المشرق

مجلة كاثوليكية تصدر مرّتين في الشهر برسوم وتصاوير عند اللزوم

تحتوي مباحث علمية وادبية وفنية

بادارة آباء كلّيّة القديس يوسف لصاحب امتيازها الاب لويس شيخو اليسوعي

السنة السادسة

١٩٠٣

قيمة الاشتراك ١٢ فرنكاً لبيروت و١٥ فرنكاً للخارج

طبع في بيروت بالمطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين سنة ١٩٠٣

AL-MACHRIQ

REVUE CATHOLIQUE ORIENTALE BIMENSUELLE

Sciences — Lettres — Arts.

Sous la direction des Pères de l'Université S[t] Joseph

Paraissant le 1 et le 15 de chaque mois

en un fascicule de 48 pages, grand in-8°

avec illustrations selon les besoins du texte.

SIXIÈME ANNÉE

1903

Prix de l'abonnement annuel: Beyrouth 12 francs — Union postale 15 francs.

BEYROUTH

Imprimerie Catholique

1903

المشرق

عامنا الجديد

نودّع بالشكران عاماً قد انقضى وبالحمد والتسبيح لله ننطقُ
ونتلو تحيّاتٍ لعامٍ هلالهُ تبدّى لنا والله فيهِ الموفّقُ
عسى الدهر لا يبلو العباد بآفةٍ ويغمرهم بالخير ربٌّ ويشفقُ
فهذا دعاء القلب جاء يزفّهُ لقرّائهِ في غرّة العام مشرقُ

اسداد النيل الجديدة *

للاب بطرس دي فراجيل اليسوعيّ

من اعجب ما ذكرهُ العرب من آثار ملوكهم الاقدمين سدُّ مأرب او العرم وهو جنس ابتناهُ على ما رُوي سبأ بن قحطان بين جبلين بالصخر والقار فحقن بهِ العيون والامطار وساق اليهِ مياه الجبال وترك فيهِ خروقاً على قدر ما يحتاج اليهِ اهل اليمن في

* راجعنا لتسطير هذه المقالة الكتب الآتية: A. Chélu : *Le Nil, le Soudan et l'Egypte* = W. Willcoks : *The Nile Dam at Assouan and after* = Id. : *Egyptian Irrigation* = H. Pensa : *L'Egypte et le Soudan Egyptien.* = A. Milner : *England in Egypte* = W. Garstin : *Irrigation projects on the upper Nile* = Rapports et documents officiels = Journaux locaux.

سَقيهم (راجع الجزء الثالث من مجاني الادب ص ٢٩٥) . فهذا العمل الخطير جعل سهول اليمن كجنّات فيحاء اغنت سكّانها ما شاء الله

وما نقرأهُ عن قدماء العرب قد تمّ اليوم فعلًا في بلاد اقرب الينا نريد الاقطار المصريّة وخزّانها الجديد في اسوان الذي احتُفل بافتتاحهِ في العاشر من الشهر المنصرم فكان الاحتفال يوماً مشهودًا حضرهُ الجناب الخديوي وشقيق ملك انكلترة الدوق دي كونوت والدوقة قرينتهُ مع قناصل الدول العظمى واعيان مصر ووجوه البلاد وكلّهم بالبزّة الرسميّة هذا فضلًا من الجماهير المجمهرة من الناس تقاطروا الى مشاهدة هذه الحفلة البهجة

على انّ هذا المشروع الجليل مع خطر شأنهِ ليس هو الّا مقدّمةً لمسعىً آخر اجلّ واعظم يحاول ارباب السياسة المصريّة اخراجهُ الى حيّز العمل اعني بهِ ابتناء احواضٍ أُخرى في النيل الاعلى لتكون مصر والسودان على مأمن من القحط ابد الدهر . ولمّا كان هذا الامر ممّا يهمّ بلادنا الشرقيّة وترقّيها في معارج الفلاح احببنا ان نبسط الكلام في الاحواض النيليّة واسبابها ومنافعها

١

اعلم انّ الذين لا يعرفون مصر حقّ المعرفة ولم يعيشوا فيها زمنًا طويلًا رُبّما خُدعوا بما يقرأونهُ عن النيل وخواصّهِ في قديم الاعصار. قال هيرودوت ابو التاريخ: « انّ مصر هديّة النيل » . وقال عمرو بن العاص في كتابهِ الى الخليفة عمر بن الخطّاب بعد فتح بلاد الفراعنة: « انّ كل خيرات مصر تأتيها من نهرها الميمون » . وقال المسيو شيلو (Mr Chélu) في مقدّمة كتابهِ النفيس عن مياه مصر وسقيها: « ان كل كتبة العهد القديم لسانٌ واحد في إطرائهم مصر ونهرها الجليل الذي يجلب اليها في كل سنة من اواسط افريقية بطين لزج يغطي مساحتها البالغة ١٠٠,٠٠٠,٠ هكتار فيخصبها ويغنيها »

فالذين يقرأون مثل هذه الاوصاف لا يرون فائدة لحبس المياه وتنظيم السقي لزعمهم انّ المياه اذا غمرت الاراضي ونضبت انعشت في قلبها حياةً جديدة فيكفي الزارع ان يبذر بذرهُ فينال بدلًا من الواحد مئة ضعف

ذاك قولهم وهم لا يدرون انّ حالة مصر اليوم ليست كحالتها في الامس وذلك

لانَّ سطح النيل قد هبط الآن فصار دون سطح الاراضي التي يجري في وسطها فاضحى بذلك آفة للبلاد بعد ان كان خيرها الاعظم . فتراهُ سنةً لا يبلغ علوَّهُ القانونيَّ فتقحط البلاد لقلَّة الماء وفي سنة يعلو سطحهُ علوًّا زائدًا فيجحف التربة بسيلهِ ويجرفها

والامر الاول قد لحظهُ مهندسو البعثة الفرنسوية قبل مئة سنة ودلُّوا على سببهِ وهو ارتفاع التربة بما يأتيها من الطين الدسم ويبلغ مقدارهُ مسانهةً ٤٠,٠٠٠,٠٠٠ طنّ من الموادّ اللزجة التي ترسب على سطح الارض مع مياه النيل عند نضوبها . وليست مصر السُّفلى الَّا مركَّبًا من هذه التربة الجرفيَّة وقد قُدّر سَمْكها في كلّ مئة سنة فوُجد ١٢٥ ميليمترًا فتكون ارض مصر ارتفعت منذ اربعة آلاف سنة خمسة امتار .

امَّا الامر الثاني اعني جَرْف السيل للتربة فسببهُ خرابُ السِدَدة الطبيعيَّة التي كانت تحصر المياه فترفعها في تُرع متعدّدة . وهذه الاحباس الطبيعيَّة كصخور الشلَّالات وصمّ الجنادل عمل في عناصرها الحامضُ الكربونيّ الذي يأتي بهِ النيل الابيض في جملة ما يأتي من الاجسام الآليَّة المتحلّلة . فهذا الحامض الاكَّال مع احتكاك المياه نخرا الصخور وخدَّدا فيها خدودًا بليغة فتغيَّرت هيئة مسيل النيل وزاد عمقهُ . واذا قابلنا الآن اعلى درجةٍ يبلغها مقياس النيل في سني فيضانهِ مع ما كان يبلغهُ في عهد الفراعنة وجدنا انهُ اليوم اهبط سطحًا منهُ سابقًا بثمانية امتار . ولنا على ذلك دليل واضح في ما دوَّنهُ الملك ماوريس (Mœris) على صخور « سَمْنَة » بالحروف الهيروغليفيَّة . ونرى اهل دنقلة في ايَّامنا لا يمكنهم ان يسقوا اراضيهم الَّا بان يصعدوا مياه النيل خمسة عشر مترًا فوق سطحها

وعليهِ ترى على طول وادي النيل أُلوفًا وربوات من العمَلة ليس لهم من همّ الَّا استقاء مياه النهر بآلات شتَّى كالنواعير والشواديف والطلمبات ولوالب ارخميدس فضلًا عن الادوات البخاريَّة . وكلُّ ذلك بخسٌ في الزراعة وخسارة فترى املاكًا كثيرة بارت بعد خصبها وريعها . مثال ذلك انَّ بين خرطوم واسوان ٢٧٠,٠٠٠ كيلومتر مربع من الاراضي كان يسقيها النيل سابقًا فتأتي بالغلَّات العظيمة واليوم لا يُزرَع من هذه الاراضي سوى ٢٠٠٠ كيلومتر والباقي قد بسطت عليهِ الرمال كفنها فاهلكتهُ . وكذلك ما بين اسوان فالقاهرة لم تعد الارض تأتي باكثر من غلَّة واحدة

لصعوبة السقي . وان كان اهل مصر السُّفلى ينالون غلاّت متوالية فيحصلون على ذلك بعد الكدّ والنّصب

هذا ومما اضعف تربة مصر وافقرها ما نوّه به المسيو شيلو قال انّ اهل مصر منذ قرون متوالية يجرون في زراعتهم على طريقة واحدة دون مراعاة لطبيعة الارض وترويحها فصارت لا تأتي بما تأتي به الاراضي الطيّبة في فرنسة وانكلترة وهولندة من الغلاّت . والامر في مصر اخطر منهُ في غيرها لانّ حياة هذه البلاد متوقّفة على الزراعة فاذا كسدت صار الاهلون جميعاً في ضنكٍ وبلاء . لا سيّما ان هذا البلد اليوم يبهظهُ دَين ثقيل ويصرف مُتَوَلّوهُ كلّ سنة المصاريف الطائلة منعاً لطغيان النيل ولاصلاح التُّرَع

فترى من ثمَّ انَّ مستقبل مصر من حيث احوالها الاقتصاديَّة ليس بزاهر لولا ان يتلافى اصحاب الامر هذا الخلل بوضع سدود يُنظَّم بها الريّ . قال المسيو شيلو لو انَّ الله بسابق عنايتهِ لم يجعل شلاَّلات للنيل لاقتضى الامر ان نقيمها نحن لمنافعها الجمّة . ولما كانت هذه الجنادل قد خُدّت باخاديد عميقة او ذهب بها الزمان فاتلفها لا بُدّ من وضع أسداد تقوم مقامها فيرتفع سطح مياه النهر وتُسقى الاراضي سقياً نظامياً ليزيد خصبها وغضارتها ويصير النيل صالحاً لسير المراكب من البحر المتوسّط الى خطّ الاستواء

٢

اقدم اثر تاريخي ينبئنا بمساعي الفراعنة في اصلاح مجرى النيل ما ورد عن بركة قارون (بُحيرة ماويس) في اقليم الفيّوم وبلاد الفيّوم هي اليوم اخصب الاقطار المصريَّة وكانت في سالف الزمان غوراً متّسعاً يبلغ تكسيرهُ الفي كيلومتر مكعَّب تأتيهِ مياهُ النيل بمسيل طبيعيّ يُعرف ببحر يوسف . وهذه البحيرة لم يحفرها الملك أمنحمعت كما يروي البعض استناداً على مزعم هيرودتس وانّما جُعلت لها فقط سكورٌ في ايّام ملوك الدولة الوسطى فصارت البحيرة كحوضٍ عظيمٍ تُحفظ فيهِ المياه الزائدة وقت الفيضان فتُصبّ عند نقص المياه . وبقيت تلك البحيرة على ذلك مدَّةً يعلمها الله الّا انَّ في القرن الثاني للميلاد كانت المياه قد هبطت هبوطاً عظيماً فصار سطحها اربعة امتار فوق البحر المتوسّط بعد ان كان يعلوهُ باحد وعشرين متراً . واليوم قد انحصرت المياه في هذه البحيرة حتّى انّ اتساعها لا يتجاوز سعة بحيرة قنسطنس في سويسرة . وسنذكر

انَّ المهندسين فكَّروا في اصلاح هذا الحوض لسقي اراضي مصر

ثمَّ مرَّ على المصريين عشرون جيلًا دون ان يحاول احد من الملوك تنظيم مياه النيل وتحسين مسيلهِ. وممَّا يُنسَب للرومان عدَّة قنيّ وتُرَع حفروها لترويج التجارة والملاحة. ثمَّ عُني خلفاؤهم بكَسح هذه القَنَوات وتنظيفها الَّا انَّ الفلاَّحين المسخَّرين بمثل هذا العمل الشاقّ كانوا يتنصَّلون منهُ ما امكنهم حتى انَّ القنيّ اضحت في القرن الثامن عشر مترعةً بالرمل والطين لا تصلح لجري المياه

ولمَّا قام محمَّد عليّ باشا لم يألُ جهدهُ في سدّ هذا الخَلل واصلاح سقي النيل. وممَّا فكَّر فيهِ ان يُخرِج الى عالم الوجود سكرًّا عظيماً في راس مصر السّفلى المعروفة بالدَّلتا حيث النهر ينقسم الى قسمين فيرفع سطح المياه اربعة امتار الى اربعة ونصف صعودًا. وقدَّم لهُ مهندسان فرنسويَّان رسمَين يختار منهما ما شاء فالرسم الاول اصطنعهُ الباشا لينان دي بلفون (Linant de Bellefonds) غايتهُ ان يُبنى خزَّان للنيل شماليّ تلك النقطة ويقوّم مجرى النهر الَّا انَّ هذا الرسم أُهمل لما كان يقتضيهِ من النفقات. والرسم الثاني وضعهُ موجل بك (Mougel - bey) فاصاب رضى محمَّد علي باشا وكان موجل بك اظهر اقتدارهُ على الاعمال الهندسيَّة باصلاحهِ لمرفإ الاسكندريَّة فسلَّمهُ محمَّد عليّ باشا هذا العمل الجديد الاهل بالجبابرة

فباشر المهندس هذا المشروع العظيم في سنة ١٨٤٣ ساعدهُ في اتمامهِ ١٢٠٠٠ جندي والفُ عمَّار الَّا انَّ نشاط العَمَلة خمد بعد ذلك وحال دون العمل من المصاعب ما لم يكن في الحسبان. منها انَّ المهندس لم يجد في التربة صخرًا ثابتاً يبني عليهِ الاساس فلزمهُ ان يحفر خنادق عميقة استغرقت كثيرًا من المال فتصدَّى لهذا العمل وزير الماليَّة وعاكسهُ فارتخت عزائم المهندس ولم يواصل عملهُ الَّا بعد العناء والمشقَّة وبقي هذا الخزَّان غير تامّ الأُهبة ناقصاً من عدَّة وجوه فأُهمل منذ سنة ١٨٦٧ واستولى عليهِ الخراب شيئاً فشيئاً. وغاية ما كان يخزنهُ من المياه اربعة امتار ليس الَّا

ولمَّا كانت السنة ١٨٨٥ قرَّرت الحكومة بان يُصرف على ترميم هذا الخزَّان ستَّة ملايين من الفرنكات فباشر اصحاب الامر هذا العمل باغراء السير كولين منكريف (sir Colin Moncrieff) ونظارة الكولونل مهندس

العسكر وِستِرْن (Western) والمهندس البلدي رَيد (Reid) فاشتغلوا في هذا الاصلاح خمس سنوات ولاقوا في اثناء الامر مشاكل لا تُحصى وصفوها في كتابٍ خاصّ نشروهُ في ذلك

وبعد الفحص المدقّق وجدوا انَّهم لا يستطيعون اصلاح الاساسات دون خطر سقوط البناء كلّهِ فقسموا العمل اقساماً ونشّفوا جانباً من الخزّان نحو ٣٠ قنطرةً منهُ فافردوها ووطّدوا دعائمها بالحجارة الضخمة والكلس الفرنجي واعلوا اساسها مترًا وربع مترٍ ثمَّ انتقلوا الى الاقسام الاخرى الى ان انتهوا من العمل . وكثيرًا ما كانت المياه المنبجسة من الارض تغمرُ العمارة في مطاوي الشغل فتمكَّنوا من قطعها بقصبات حديديّة كانوا يغرسونها في التربة ويجعلون لها قساطل يجري منها الماء الى خارج البناء . واشتغل العَمَلة في هذا الامر وحدهُ ثلاثة اشهر ليلًا مع نهار

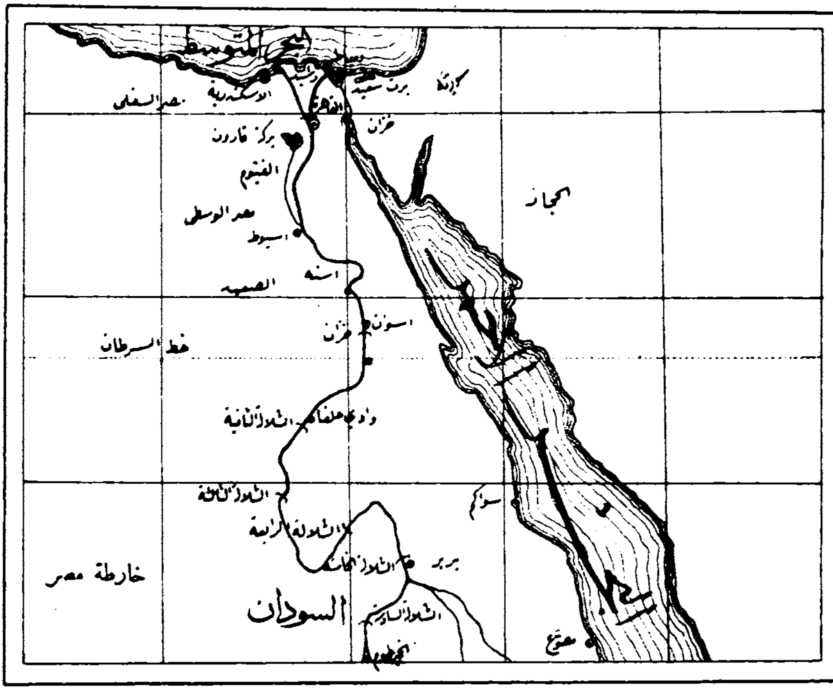
وخزّان الدلّتا هذا ينقسم الى قسمين: قسمٌ على شعبة رشيد طولهُ ٥٢٢ مترًا و ٢٠ سنتيمترًا يتركّب من ٧١ قنطرة و ٦٨ مفتاحاً لجري المياه وسِكْرَين سِكر في كلّ طرفٍ . وقسم على شعبة دمياط طولهُ ٤٥٢ مترًا و ٣٠ س تعلوهُ ٦١ قنطرة مع ٥٨ مفتاحاً وسِكْرَين ويجمع بين هذين القسمين رصيف مستدير في وسطهِ ترعة المنوفيّة

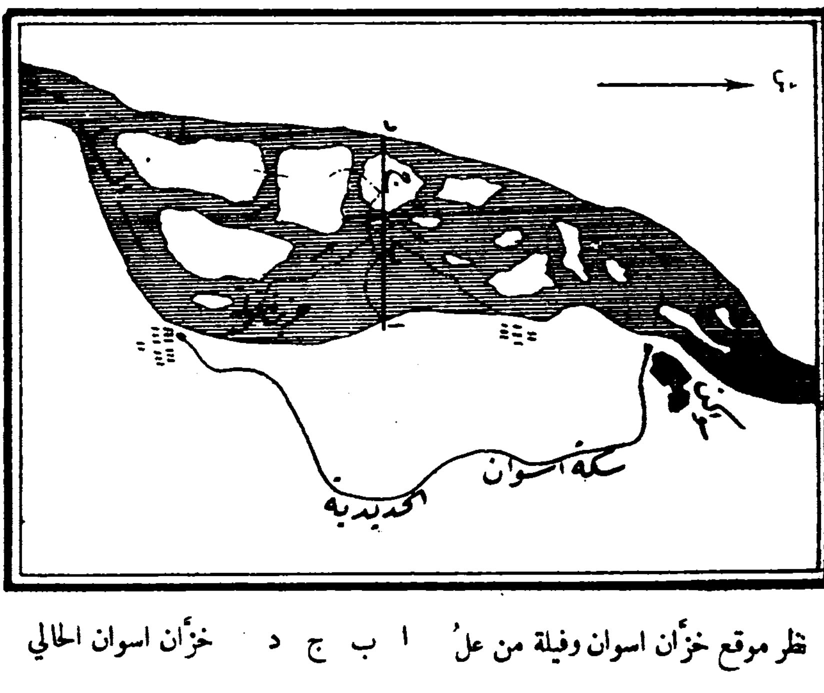
وهذا الخزّان المسمَّى بطن البقرة يؤدي لمصر السفلى خدماً جليلة وان فاقتهُ الاحباس الجديدة فمنهُ تجري المياه الى القنوات الستّ التي ترى تُحَيت القاهرة فتحيي الزراعة في البلاد الساحليّة وتضمن لاهلها القوت والحياة . والمياهُ التي تصبُّ من هذا الخزّان تعادلُ في كميتها ستّة او سبعة اضعاف مياه التاميز نهر لندن

٣

ولكن ان كانت حياة المصريين مضمونةً في اسافل مصر منذ سنة ١٨٩٠ فالامر لم يزل في لُبس وإشكال لمصر الوسطى وللصعيد واهلها تحت خطر الضنك والمجاعة لولا ان يُتلافى امر النيل وينظّم ريّهُ

واوّل من فكّر في استدراك الخلل فرنسويّان هُمامان الكنت دي لاموت ورصيفهُ المسيو جارَكهْ صاحب خزّان نهر السُون في مدينة ليون فعرضا على الحكومة ان يبنيا حوضاً كبيرًا تربيعهُ ٧٩٠ كيلومترًا في فمّ انبوس جنوبيّ عقبة جبل سلسلة تحت اسوان على مسافة ٥٥ كيلومترًا منها . وكان المهندسان يجدمان انَّ هذا الحوض





نظر موقع خزّان اسوان وفيلة من علُ   ا ب ج د   خزّان اسوان الحالي

يمكنهُ ان يخزن سبعة مليارات متر مكعب من الماء حتى اذا جرى منهُ مدَّة مئتي يوم ٣٠ مليون متر مكعَّب في اليوم لا تنضب مياههُ . فوقع هذا المقصود الخطير موقعاً حسناً لدى لجنةٍ من المهندسين عُقدت لفحصهِ مع الشرط بان يُراقَب المكان ويُدقَّق البحث عنهُ. وفي سنة ١٨٨٧ عاد الكنت دي لاموت وعرض بناء حوضٍ ثانٍ في سهل قلابشه على مسافة نحو ٥٠ كيلومترًا من الشَّلالة الاولى

فأُرسل سنة ١٨٩٠ وفدٌ من المهندسين ليفحصوا المكانين ويتعرَّفوا علوَّهما بالتدقيق فوجدوا انَّ ابتناء الحوضين امرٌ عويص تخيب دونهُ الآمال لا سيَّما ان سهل قلابشه اعلى من ان يُجعل حوضاً للمياه

فاتَّجهت حينئذٍ الافكار الى سهل الفيُّوم السابق ذكرهُ واوَّل من استلفت الانظار اليهِ المسيو لينان دي بلفون في كتابهِ عن تاريخ وزارة النافعة في مصر واشار الى تحويض بحيرة ماوريس اي بركة قارون. واستصوب الكنت دي لاموت هذا المشروع وايَّدهُ بتعريف انخفاض وادي ريَّان الذي تغمرهُ البحيرة المنويَّة جنوبيَّ الفيُّوم. وكذلك فصَّل الامر احد العلماء الاميركيين وبيَّن رسمهُ واتِّساع البحيرة وكميَّة مائها وقدَّر ما يقتضيهِ المشروع من النفقات بنحو عشرين مليونًا. الَّا انَّ هذا المسعى ايضاً لم يتمَّ فعلًا لاسباب منها قرب وادي ريَّان الى القاهرة فلا تنتفع مصر الوسطى كثيرًا من هذا الحوض

وعُرض على الحكومة بعدئذٍ مشروع آخر للكونيل روس (Ross) غايتهُ اصلاح تُرَع متفرِّقة في مصر الوسطى والصعيد وحدس بان هذا الامر لا يكلِّف اكثر من ٢٠ مليونًا ونصف مليون فرنك. فاستحسن اهل النظر هذا القصد لكنَّهم ارتأَوا انَّ خير العموم يقتضي مشروعاً آخر اعمَّ فائدة

فقدَّم اذ ذاك الفرنسي المسيو پرومت (Mr Prompt) ناظر الجسور والقنوات رسماً آخر غايتهُ ابتناء خزَّان في اسوان مع تمهيد الطرق للحكومة المصريَّة لفتح السودان . وكان ذلك في سنة ١٨٩١ والحرب السودانيَّة قائمة على ساق. وكان اول منفعة تنجم من هذا المشروع أن يُجعَل النيل صالحاً للسفن من اسوان الى خرطوم وذلك بابتناء عشرين خزَّانًا بين المدينتين فيرتفع سطح المياه عن قعرها مترًا واحدًا على الاقلّ. وممَّا اقترحهُ المسيو پرومت ان تكون اسوان منتهى السكة الحديديَّة في الصعيد ويُبتنى فيها حوضٌ علوهُ خمسة او ستَّة امتار ثمَّ يُضاف اليهِ حوض ثانٍ علوهُ

١٧ مترًا في مضيق قلابشه يُخزن فيهِ كميَّة من المياه تبلغ ١٥٠٠٠ مليون متر مكعَّب. واذا تمَّ كلُّ ذلك صار السودان تحت حكم مصر واضطرَّ اهلهُ ان يرسلوا كلَّ محصولاتهم على طريق مصر

فهذا هو المشروع الاخير الذي كان أساسًا لما نجز اليوم بالفعل سبق الى وضعهِ مهندس فرنسوي فاتئهُ من بعده المهندسون الانكليز

(التتمَّة لعددٍ قادم)

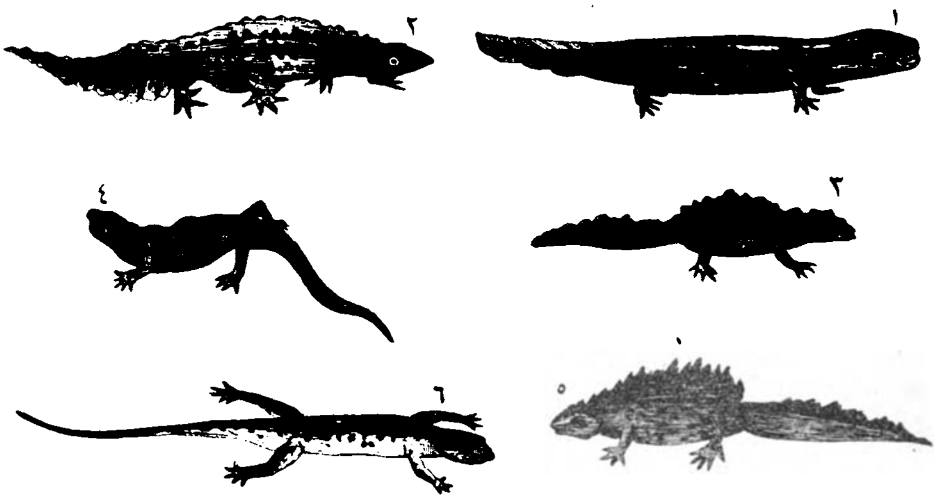
السَّمَنْدَل

للكاتب المتفنن البارع الاب انستاس الكرملي

في اللغة العربيَّة ألفاظ كثيرة لا يُعرَف اليوم معناها الحقيقي وذلك امَّا لقصور التعريف الذي ورد بخصوصها. وامَّا لابهامهِ وغموضهِ وامَّا لقولهم «معروف» وهو اليوم عندنا «مجهول» او نحو ذلك من أساليب الكلام الذي لا يُغني عنهُ فتيلًا ولا يُروي غليلًا مع اننا اصبحنا في زمانٍ نحن في حاجة ماسَّةٍ الى معرفتها لان اغلبها من المواليد الثلاثة التي لجهلنا ما وصفهُ السَّلَف من تلك الحروف نتَّخذ بدلًا منها الفاظًا اعجميَّة نحن في غنًى عنها. وزد على ما تقدَّم أنَّنا اذا توفَّقنا الى كشف غوامضها نستفيد منها فوائد جمة: منها اننا نفهم فهمًا جليًّا معنى تلك الالفاظ عندما يذكرها العرب في مؤلفاتهم. ومنها أنَّنا نتمكَّن من استعمالها في مواطنها ومساقطها من كتاباتنا كلَّما احتجنا اليها. ومنها تخليص هذه اللغة الشريفة من الابهام الذي يُتعب الافهام ويدفع النفس الى السأم

وقد بذلتُ ما في الوُسع لازاحة القناع عن مثل هذه الالفاظ فوقفت والحمد لله على كثير من حقائق معانيها ودقائق مدلولاتها ومبانيها امَّا بمعرفة الاعجميّ الذي أخذتْ عنهُ وإمَّا من إعمال الفكرة فيها وامَّا اني اهتديتُ الى ضالَّتي نبأً حتى انهُ لم يَبْقَ للشبهة فيها سبيل. ومن هذا القبيل كلمة «سمَندل»

قال الدميريّ: «السَّمَندل» بفتح السين والميم وبعد النون الساكنة دال مهملة ولام



١ السمندل الاميركيّ ٢ السمندل المبقّع ٣ السمندل الرُّخامي
٤ السمندل البرّي ٥ السمندل ذو العرف ٦ سمندل المقابر

في آخرهِ وسمَّاهُ الجوهري: « السَّندَل » بغير ميم. وابن خلكان: « السَّمَند » بغير لام وهو طائر يأكل البيش. . . ومن عجيب امر السَّمَندل استلذاذهُ بالنار ومكثهُ فيها واذا اتّسخ جلدهُ لا يُغسل الّا بالنّار. وكثيرًا ما يوجد في الهند وهي دابّة (كذا بعد ان قال انهُ طائر) دون الثعلب خلنجيَّة اللون حمراء العين ذات ذَنب طويل يُنسج من وَبَرها مَناديل اذا اتّسخت أُلقيت في النار فتنصلح ولا تحترق. وزعم آخرون: ان السَّمَندل طائر ببلاد الهند يبيض ويفرّخ في النار وهو بالخاصيّة لا تؤثر فيهِ النار ويُعمل من ريشهِ مناديل تُحمل الى بلاد الشام فاذا اتّسخ بعضها طُرح في النار فتأكل النّار وسخهُ الذي عليهِ ولا يحترق المنديل. قال ابن خلكان: « ولقد رأيت منهُ قطعة ثخينة منسوجة على هيئة حزام الدابّة في طولهِ وعرضهِ فجعلوها في النار فما عملت فيها شيئًا فغمسوا احد جوانبها في الزيت ثمَّ تركوهُ على فتيلة السراج فاشتعل وبقي زمانًا طويلًا مشتعلًا ثمَّ أطفأوهُ فاذا هو على حالهِ ما تغيَّر منهُ شيء. قال: ورأيت بخطّ شيخنا العلاَّمة عبد اللطيف بن يوسف البغدادي انهُ قال: قُدّم للملك الظاهر ابن الملك

الناصر صلاح الدين صاحب حلب قطعة سمندل عرض ذراع في طول ذراعين فصاروا يغمسونها في الزيت ويوقدونها حتى يفنى الزيت وترجع بيضاء كما كانت ». ذكرهُ في ترجمة يعقوب بن جابر المنجنيقي مع زيادة اخرى . . . وقال القزويني: « السَّمَندل » نوع من الفأر يدخل النار وذكر ما تقدَّم والمعروف انهُ طائر كما حكاهُ البكري في كتاب المسالك والممالك وغيرهُ ايضاً ». انتهى بحرفهِ

وقال في مادَّة السَّمَندر والسَّمَيْدر: « دابَّة معروفة عند اهل الهند والصين. قالهُ ابن سيده ». قلتُ: ولم يزد المؤلف على هذا القَدْر

وقال في التاج: « السمندل طائر بالهند لا يحترق بالنَّار ويُقال فيهِ ايضاً « السَّبَنْدل » بالباء عن كُراع. ويُقال انهُ اذا هرم وانقطع نَسْلهُ ألقى نفسهُ في الجَمْر فيعود الى شبابهِ » .اه. وقال في « سَمَنْدر » : السَّمَنْدر كقَلَنْدَر و « السَّمَيْدَر » كعَمَيْثَل دابة كالسَّمَندل وعلى الثاني اقتصروا كاقتصار الصاغاني على الاول. وقال : هي غير السَّمَنْدَل اه. وقال في « السَّنْدَل » : طائر يأكل البيش عن الحائط. كما في اللسان

وقال في البرهان القاطع ما معرَّبهُ : « السَّمَنْدر كقَلَنْدر حيوان يتكوَّن في النار وهو بقدر الفارة. قيل: اذا خرج من النار يموت. وقد يخرج منها في بعض البلاد ليجول خارجاً عنها فيصطادهُ الناس ويتَّخذون من جلدهِ مناديل وقَلانِس واذا اتَّسخت يلقونها في النار فتنظف كانها غُسلت بالصابون. وعلى روايةٍ : أنهُ بشكل سامّ ابرص. ومن جلدهِ تتَّخذ عالاتٌ ومن وَبرهِ تُنسج ثياب . وهذه تُلبس غالباً في الأيَّام الحارَّة والحرارة والهواء لا يؤثران فيها ابداً. ويزعم البعض ان السَّمَنْدَر طائر وهو السمندل ايضاً ». اه

وقال في مادة « سمندل » السَّمَنْدَلُ والسَّمَنْدُورُ والسَّمَندُوكِ والسَّمَنْدُولُ والسَّمَندُونُ كلها بمعنى سَمَندل. وأصل لفظة سَمَنْدُون : « سام اندرون » فنُحِتَت ومُحَصَّلها : « في النار او بداخل النار » لان معنى « سام » « النار » ومعنى « اندرون » « في » او « بداخل » اه

وقال في « سامَندر » : سامَندَر على وزن آهَنكر : هو السامَندل. وهو حيوان بقدر الفارة يتكون في النار ويُتَّخذ من جلدهِ قلانس وأَكِمَّة وثياب . واذا اتَّسخت تُلقى في النار فتخرج كانها قد غسلت بالصابون. وعلى روايةٍ اخرى: انهُ طائر. اه

وقال في « سَالاَمَنْدَرَا » بفتح الميم : نوع من الوَزَغ لهُ اربع أرجل قصير الذنب رقيق العنق ملوَّن بالسواد والصُفرة لا يفعل فيهِ الحجَرُ ولا النارُ ابدًا. وهو سمٌّ قاتل يُقال لهُ بالتركية « يبلانه اغوريرن » اي المعطي السمَّ للحيَّة. وهو يوجد غالبًا في معادن النُشادر ويقال لهُ الحِرْذَوْن ايضًا. واذا رُبط قلبهُ على الكتف افاد للحُمَّى الربع . اه

فهل سمعت هذه التعاريف الغريبة المتَضاربة من « حيوان وطائر ومعدن » وهل حفظتَ اللُغات المصحفة التي وردت فيها وقد بلغت احدى عشرة لغة او فهمت ما المراد بهذا السَمَندل وما هو الاصل المعرَّب عنهُ وإلى كم معنىً نُقل هذا الحرف ؟—

قلتُ : الاصل في كل ذلك ان الكلمة يونانية معرَّبة عن « سالاَماندرا » (σαλάμανδρα) وهو اسم دويبة مشهورة عند الاقدمين وقد رَوَوا عنها نفس الخرافات التي ذكرناها بل وزادوا فيها . واسمها بالعربية السَّرَفُوت والسَرَفُون والمشهورة من هاتين اللغتين ما كان آخرها تاء . قال الدميري : السَّرَفُوت : بفتح السين والرآء المهملتين وضم الفاء : دويبة تُعشش في كور الزجاج في حال اضطرامهِ وتبيض فيهِ وتفرّخ ولا تعمل بيتها إلا في موضع النار المستمرَّة الدائمة . كذا قالهُ ابن خلكان في ترجمة يعقوب بن صابر (وفي مادة سمندل يقول: بن جابر) المنجنيقيّ . (قلتُ : ولم اجد هذه الترجمة في كتاب ابن خلكان الذي بيدي) وهذه الدويبة تشارك السَمَندل في هذا الوصف . انتهى

امَّا الحقيقة فهي انَّ هذه الدويبة هي من جنس الضفادع المرئيات الذنب (batraciens urodèles) وتشتمل على دويبات منظرها الخارجي منظر سَوَامِّ ابرص فان جسمها مستطيل وذنبها طويل غير محدَّد الطرف ولها اربع ارجل جانبيَّة متساوية في طولها غير ملتحمة في الغالب وفي كل رِجْلٍ ٤ أو ٥ اصابع خالية من الاظفار . وراسها مُفلطَح ولها عدَّة أسنان صغيرة ومن هذه الدويبات : بَرّيَّة وهي السَمادر الحقيقيَّة ومنها مائيَّة . والبريَّة هي التي اشتهرت بهذه الخرافات . وامَّا ما فيها من الصدق فهو ان اجسام هذه الدويبات تفرز مادة لزجة تضرب الى البياض ولتدفقها فيها تُمكِّن الدويبة من ان تعيش هُنَيهة من الزمان وهي في النار الى ان تنفد تلك المادَّة فتموت كسائر الحيوانات . وهذه المادة كريهة الرائحة حادَّتها وهي سامَّة لكنَّ سمّها خفيف الفعل لا يقتل غير الحشرات . وهذه الدويبات نافعة لانها تَلتَهم الخراطين

والهوامّ. وهي تكاد تكون صمّاء عمياء وتأوي الى المواطن المظلمة النَدِيّة

ولعلّك تسألني وكيف إذن شاع عن هذه الدويبة انها طائر وان هذا الطائر يعيش في النار وانهُ قد وجد من ريشهِ او من شعرهِ (على راي من يعدّ هذه الدويبة حيوانًا) ما اتُّخذ منهُ مناديل وثياب ومناطق الخ الخ

ان مثل هذا الوهم كثير عند قدماء الكتبة وهم معذورون في ذلك لقلّة اطلاعهم على مثل هذه الامور في كل حيوان او طائر ليس من بلادهم. فلا عجب بعد ذلك اذا ذهب العوامّ الى ما ذهب اليهِ الخواصّ

وممّا دفعهم الى هذا الوهم انهم حفظوا ممّا سمعوهُ عن هذه الدوَيبة انها «تعيش في النار اذا أُلقِيَت فيها» وما سمعوا بهذا الامر الغريب في حدّ نفسهِ الّا وزادوهُ غرائب على عجائب فقالوا انهُ يعيش فيها ويعشِّش ويفرّخ الخ ناسبين اليها كل ما سمعوا من الاخبار التي يُروى فيها عن عدم تاثير النار في الشيء المرميّ فيها او عن تحسُّنهِ فيها بدلًا من فنائهِ وزوالهِ. واشهر ما كان يُعرف يومئذٍ من هذا القبيل: ١ً طائرٌ اسمُهُ القوقيس او القَقْنُس (راجع المشرق ٢: ٩٢٦) ولهذا ظنَّ البعض انهُ طائر. ٢ً دويبةٌ وهي هذه التي ذكرناها. والذين قالوا بذلك هم الذين اعتمدوا على الاصول التي نقلوا عنها هذه اللفظة وقد مرَّ الكلام عن حقيقة امرها. ٣ً مادةٌ معدنيةٌ عرفها السلف منذ قديم الزمان كما قد عرفها ايضًا الاعاجم من يونان ورومان غير انهم وهموا في جعلها ريشَ طائرٍ او شعرَ حيَوانٍ وسبب وهمهم هو مشابهة هذه المادّة للريش او الشعر حتى ان قدماء الاعاجم كانوا يسمُّونهُ «الكتّان الذي لا يحترق» والحقيقة انها مادة معدنية تسمَّى بالفرنسية amiante وكان تُتَّخذ منها المنسوجات بانواعها وكانت كلّما اتسخت يلقونها في النار فتنظف. ومثل هذه المادّة مادّة اخرى تُعرف بالعربية «بحجر الفتيلة» وبالفرنسية asbeste. وقد ذكر هـذا الحجر ياقوت في كتابهِ «معجم البلدان» في مادة «بَذَخشان» قال ما حَرفهُ: وحجر الفتيلة شيءٌ يُشبهُ البرديّ والعامّة تظنهُ ريش طائر يُقال لهُ «الطلق» (١ (ويروى: المطلّق) لا تحرقهُ النار يوضع في

١) الذي جاء في كُتُب اللغة عن الطلْق: .... هو نبتٌ تستخرج عُصارتهُ فيتطلّى بهِ الذين يدخلون النار او هذا وهمٌ اي ما نقلهُ ابن عباد والاصمعي وقال في ابن عباد لم يعمل

الدُهن ثم يشتعل بالنار فيتَّقد كما تتَّقد الفتيلة فاذا اشتعل الدُهن بقي على ما كان لم يتغير شيء من صفته وكذلك ابدًا كلما وضع في الدُهن واشتعل واذا أُلقي في النار المتأَججة لا تحرقهُ ويُنسج منهُ مناديل غلاظ للخوان فاذا اتَّسخت وأُريد غسلها أُلقيت في النار فيحترق ما عليها من الدهن والدَرَن وتخلص وتطلع نقية كأن لم يكن بها دَرَن قطّ . اه

والظاهر ان كلمة « سمَندل » وان كانت في الاصل اسم هذه الدويبة المذكورة إلا ان العرب خصَّصوا هذه اللغة او هذا التصحيف بهذا الحجر أي amiante وخصُّوا اللفظة الاصلية اي « سمَندر او سمَيْدر » بالدويبة المعروفة « بالسَا لاَمَندرَا » وهذا ما يؤخذ من سياق النصوص التي أوردَناها ممَّا لا يُبقي شبهة في هذا الاستعمال .
وكثيرًا ما يُعرب العَرب اللفظة الواحدة الاعجميَّة بلغاتٍ او روايات مختلفةٍ ويخصُّون كل لغة بمعنىً يتميز عن معنى اللغة الأُخرى تميُّزًا بيّنًا . والشواهد على ذلك كثيرة ولا بدَّ من ذكر واحدٍ اثباتًا لكلامنا

فمن ذلك كلمة βύσσος فان معناها الاصليّ : نوع من الكتَّان الرقيق او ضرب من القطن يُستخرَج من نوعٍ من الصدف البحري اسمُهُ : الفِنَةُ البَحْرِيَّة (١ وقد اطلق اليونان والرومان هذه اللفظة على كل شعر يشابه الوبر او الخيوط النباتية بل وقد توسعوا بمعناها فاطلقوها على القطن . قلنا : فقد جاءت هذه اللفظة في تراجم التوراة المختلفة بصورة « بُوص » وفسَّرها صاحب محيط المحيط بالدمقس ووافقهُ صاحب أقرب الموارد إلا اني لم اظفر بهذا المعنى في غير هذَيْن المعجمين من الدواوين اللغوية التي وصلت اليها يدي . والذي وجدتهُ في كتب اللغة ان البُوص : بالضمّ : ثمر نباتٍ . والله اعلم بالمعنى الصحيح

شيئًا وهو ليس بنبت إنما هو جنس من الاحجار واللخاف ولعلَّهُ سمع ان الطلق يُسمَّى كوكب الارض فتوهم انهُ نبت ولو كان نبتًا لاحرقتهُ النار وهي لا تحرقهُ إلا بحيَلٍ وهو معرَّب تلك . اه .
فانظر حرسك الله الى ما حلَّ بهذا السمندل فقد انتقل الى جميع أطوار المواليد من معدن (على الراي الصحيح) ونباتٍ (على راي بعض اللغويين) وطائرٍ (على راي العوام) وحيوان (على راي جماعةٍ من العلماء) فصحيح كل ذلك

١) وبهذا المعنى ورد التيِل (بتاء مثناة) بمعنى البُوص . قال في التاج في مستدرك مادة ت و ل : التيِل . شيء شبه الكتَّان يخرج من البحر تُنسج منهُ الثياب . اه

وقد عرَبتْ ايضاً هذه اللفظة بصوت « بزّ » فجاءت بمعنى الثياب مطلقاً او متاع البيت من الثياب

وقد نُقلت الى وجهٍ ثالث وهو « البِزْيَوْن » قال في التاج : البِزْيَوْن كجِرْدَحْل ووقع في اصلاح المنطق بفتح الباء وفي الصحاح مثل عُضفور (ومثلهُ في اصلاح الكاتب) : السندس . وقال ابن بري : هو رقيق الديباج . وقال غيره : بساطٌ روميّ ». اه فممّا تقدم ترى انهم قد يعرّبون الكلمة الواحدة باوجهٍ مختلفة ويُخصصون كل لغة بمعنىً قائم بذاته . فتدبَّر

الكنيسة والعلوم الفلكيّة

نظرٌ للاب لويس شيخو اليسوعيّ

لا نتمالك من الدهش بل من الضحك عندما نطّلع على بعض الجرائد او المجلاّت المصريّة فنراها تخوض في مواضيع شتّى لا تدري منها سوى قشرتها وربّما استندت في ذلك الى اقوال بعض الصحفيين الاوربيين من ذوي الجهل او اصحاب الاغراض العمياء ممّن غشّى على ابصارهم البغض للكنيسة وتلاعبت بهم الاهواء تلاعب الريح بالعصافة . ولو اردنا ان نتتبّع هذه الاقاويل الكاذبة لحُتم علينا ان نكتب المؤلفات الضخمة تزييفاً لها وتقويضاً لحججها الواهنة . وانّما نكتفي اليوم بالردّ على جملة واحدة قرأناها في بعض هذه المجلات نقلتها احدى الصُّحُف المحليّة وهي قولها « انّ الكنيسة تسلّطت في العالم المسيحيّ اثني عشر قرناً في اوربّا ولم تمنحنا فلكيًّا واحدًا » ففي هذه الجملة من التحامل على الكنيسة الكاثوليكيّة ما لا يسعنا السكوت عنهُ فاسرعنا الى كَتْب هذه العجالة ليرى القرّاء ما في هذا القول من الصدق

*

وقبل الردّ على هذه العبارة المجحفة بحقّ الكنيسة لا بُدّ من تقديم بعض المقدّمات تمهد الطريق لفهم ما يأتي فنقول :

(اولًا) ساء ظنّ بعض الكتبة اذ يعتبرون الكنيسة كجماعة علميَّة غايتها بثّ المعارف البشريَّة ونشر العلوم الدنيويَّة . أجل انَّ كنيسة المسيح لا تأبى شيئًا ممَّا يسمق بعقل الانسان الى معرفة الحقائق العالميَّة ايَّة كانت لا بل تجد فيها مساعدًا قويًا لتحقيق غايتها التي لاجلها انشأها الربّ على الارض ولكنَّ العلَّة الاولى التي حملت ابن الله على وضعها انَّما هي ابعد امدًا واقصى غرضًا من ذلك . وعليهِ فانّ المسيح لذكرهِ السجود لمَّا ارسل الحواريين الى اقاصي المعمور لم يقـل لهم : « اذهبوا وألقوا الكتب العلميَّة وانشروا المعارف البشريَّة » بل قال لهم (متى ٢٨ : ١٩ — ٢١) : « اذهبوا وتلمذوا كلّ الامم معمّدين ايَّاهم باسم الآب والابن والروح القـدس وعلّموهم ان يحفظوا جميع ما اوصيتكم بهِ وها انا معكم كلّ الايام الى منتهى الدهر » فترى من هـذه الآية البيّنة ان الغاية التي توخَّاها السيّد المسيح بانشاء الكنيسة انَّما هي غاية دينيَّـة روحيَّة اعني خلاص الامم وانقاذها من رقّ عبوديَّة الشيطان خزاهُ الله . ومن ثمّ سواء وُجد في الكنيسة علماء بالمعارف المدنيَّة او لم يوجد ليست الكنيسة بمسؤولةٍ في ذلك وغاية ما يُطلب منها أنشرت دين المسيح بين الامم ام لا

نقول (ثانيًا) انهُ ليس بصحيح قول القائل بانَّ الكنيسة تسلَّطت في اوربَّة اثني عشر قرنًا فانَّ القرون الثلاثة الاولى كانت فيها الكنيسة في ضنكٍ ونحن تدلُّنا عليهـا كلُّ آثار التاريخ المدني فضلًا عن التاريخ الكنسي فكان المؤمنون يعيشون في الداميس وهم يختفون عن العيان لئلاَّ تدهمهم ضربات الوثنيين فيبْلَوْا بنكالهم . والشاهد على ذلك الاضطهادات العشرة الكبرى التي ابتلاهم بها القياصرة في العالم كلهِ فمات منهم الموت الاحمر في تلك القرون نحو سبعة آلاف الف بعضهم شيوخ وشبَّان وفتيَة ونساء وفتيات لم يبالوا باصناف العذاب حبًّا بالدين . ثمَّ هجمت على انحاء اوربَّة الشعوب الـبرابرة مدة خمسمائة عام من قوط ووسيقوط وهون وفرنك وجرمان فتقاسموا العالم الرومانيّ واسالوا فيهِ الدماء سيولًا فاين كان للكنيسة التسلُّط في اوربَّة كما زعم الزاعم وقصوى غاية الكنيسة في تلك الاعصار ان تمدّن هذه الامم الجديدة وتلين طباعها وتنيرها بنبراس الايمان فما حظيت برغائبها الَّا بعد الشدائد والضيقات التي لا تُوصف . هذا مع اشتغال علماء الكنيسة بصيانة المؤمنين من اضاليل الهراطقة وتفنيد مزاعم المبتدعين

نقول (ثالثًا) انّ العلوم لا تنحصر فقط في الفلكيَّات او المعارف الطبيعيَّة . فانَّ

عددها لا يُحصى ومنها ما هو اشرف واعظم من هذه العلوم كالعلوم اللاهوتيّة التي تقرّب من الله عزّ وجلّ والعلوم الكتابيّة التي تحتوي تاريخ الوحي واحوال شعب الله منذ بدء الخليقة والعلوم الفلسفيّة التي تبين اصول الحقائق واركانها والعلوم الادبيّة التي تهذّب القلب وترشد الى الفضائل الانسانية وعلوم اخرى غيرها وترى لعلماء الكنيسة في الشرق والغرب في كل هذه العلوم المجلدات الضخمة التي يقصر عمر البشر عن مطالعة قسمٍ صغير منها نكتفي بذكر تآليف القديس اغوسطينوس في الغرب والقديس يوحنّا فم الذهب او القديس افرام في الشرق . فان اهمل علماء الكنيسة بعض العلوم الطبيعيّة كالفلكيات والرياضيّات ليصرفوا همّتهم الى ما هو اولى وافضل فهل عليهم من حرَج ؟ لا لعمري

نقول (رابعاً) انّ العلوم الفلكيّة لم تترقّ ترقياً يُذكَر بعد عهد اليونان الاقدمين اعني منذ بطليموس الى ان قام المحدثون منذ ثلاثمائة سنة فاعادوا للعلوم الطبيعيّة اجمالًا وللفلكيّة خصوصاً بهاءها القديم بل الاولى ان يقال انّهم ادخلوها في طور لم يخطر على بال أحد من الاقدمين وذلك بوضع الآلات الجديدة التي لا تُعدّ الآلات القديمة بالنسبة اليها الّا كملاعب الصبيان . وللكنيسة في هذا الطور الجديد حصّة لم ينكرها الّا من ليس لهُ المام بالتاريخ فانّ بين عظام الفلكيين او ارباب الطبيعة الذين اشتهروا في هذه القرون الاخيرة اكثر من سبعمائة رجل كانوا من ائمّة الدين او من المتمسكين بعراهُ تمسّكاً لا يُفصم . وقد ضربنا مثالًا في ذلك لمّا وصفنا حديثاً المراصد التي يديرها اليسوعيّون وحدهم في العالم (راجع المشرق ٥ : ٣٧٩)

نقول (خامساً) واخيراً ان كرور الاجيال وما جرى فيها من التقلّبات قد اودت بكثير من الآثار القديمة ولا نشك في انّ قسماً من التآليف المفقودة كانت تبحث في هذه العلوم الطبيعيّة ولا سيّما الفلكيّة كما تشير اليها كتب الخلف

هذه ملاحظات وجب تقديمها لمن احبّ الوقوف على حقائق الامور لئلّا يصوّب سهام الملامة الى الكنيسة ولديها من الحجج ما يمهّد عذرها لو صحّ فيها قول العذول بأنّها لم تُعقب من يتفرّغ للعلوم الفلكيّة

ولكن هيّا بنا الآن نبحث عن صحّة قول هؤلاء المقرّفين فنزنهُ بمعيار العقل وننقدهُ في بوتقة التاريخ فنقول :

اننـا راجعنا مجموع اعمال الآباء والكتبة الكنسيين اللاتينيـين في القرون الاثني عشر الاولى التي لا تقلّ عن مائتين وعشرين مجلّدًا ضخماً يحتوي المجلّد منهـا على ١٢٠٠ صفحة بنيّفٍ فدوّنّا اسماء الكتب والمقالات الموضوعة في الفلكيّات والعلوم الطبيعيّة فهاك ما وجدنا منها يمكن كلّ الباحثين ان يطالعوهُ فيحكموا في اننـا لم نبالغ في دفاعنا عن الكنيسة وآثارها

١ اوّل اثرٍ نجدهُ من اعمال الآباء الفلكيّة كتاباتهم في حساب الفصح فلمّا كان هذا الحساب لا يتمّ الّا بمعارف متعدّدة ودقّة نظر في قاعدة القمر وتقلباتهِ واتفاقهِ مع حركات الشمس الظاهرة أعملوا الفكر في ذلك ووضعوا التآليف العديدة في بيـانهِ وقد باشروا الامر منذ القرن الثاني في كنائس الشرق والغرب معاً منهم القديس هيپولتوس في رومية والقديس قبريانوس في قرطجنـة والقديس ميليتون في سرديقة واوريجانس في الاسكندريّة واوسابيوس في قيصريّة والمكرَّم بيدا في انكلترة وكاسيودورس وزير تاودوريك ملك القوط وديونيسيوس الصغير في ايطالية ورابان مور في فرنسة وغيرهم ايضاً وقد عددنا جملة ما كُتِب في الحساب الفصحيّ من الكتب فوجدناها لا تقلّ عن عشرين تأليفاً (١ وبعضٌ منها جامع شاملٌ يُذهل العقل بسعة علم اصحابها

٢ ومن الآثار الفلكيّة في اعمال الآباء والكتبة الكنسيّين شرحهم على بعض فصول الكتب المقدّسة حيث ورد وصف الافلاك فانّهم انتهزوا تلك الفرصـة ليتّسعوا في تعريف العلويّات والنجوم. واكثر ما جاء ذلك في تفسيرهم الفصل الاوّل من كتاب التكوين بل خصّص كثيرون من علماء الكنيسة كتباً ضخمةً لهذا الفصل وحدهُ ضمّنوها ابحاثاً عديدة في الاحكام الفلكيّة وهم يدعون هذه الكتب المستقلّة القائمة بذاتهـا اكزاميرون (Hexameron) اي وصف ايّام الخليقة الستّة يبلغ البعض منها ٦٠٠ و ٧٠٠ صفحة في مطاويهـا كلُّ المباحث التي تُرى في كتب الفلكيين الاقدمين من وصف السماء وافلاكها ونجومهـا الثوابت والسيّارات وخصوصاً الشمس والقمر والارض وما

---

١) راجع مجموع اعمال الآباء اللاتين لمين ج ٤ ص ٩٣٧ و ١٠٣١–١٠٥٣ ثمّ ٥٩ ص ٥٤٥ (في كتابين) ثمّ ج ٦٤ ص ١٣٤٩ ثمّ ج ٦٧ ص ١٩ و٤٨٣–٥٢٠ ثمّ ج ٩٠ ص ٥٧٩ و ٦٤٧ ثمّ ج ١٠٧ ص ٦٦٩–٧٣٧ ثمّ ج ١٢٩ ص ١٢٧٣ ثمّ ج ١٣٧ ص ١٥ وراجع ايضاً مجموع اعمال الاباء اليونان لمين

يلحق بكل منهــا من المطالب المتعدّدة كالكسوفات والخسوفات والمظاهر الجويّة. وهذه الكتب ظهرت في الغرب والشرق معًا منها في الغرب للقديس امبروسيوس (١ ولبطرس ابيلاردوس (٢ وللقديس اوجين (٣ وللمكرَّم بيدا (٤ ولاسقف مدينة اوتون هونوريوس (٥ ولأرنلدوس الرئيس (٦ ولهوغو من روان(٧ وكتب بعض الآباء اللاتين في هــذا المعنى باليونانيَّة كالقديس هيپوليتوس او بالشعر اللاتيني ككتنسيوس (٨ وهلدبرت في اكثر من الف بيت (٩ امَّا الآباء الشرقيُّون فلهم من هذا القبيل التآليف الجليلة باليونانيَّة او السريانيَّة نخصُّ منهم بالذكر القديس ابيفانيوس والقديس باسيليوس والقديس غريغوريوس النيصصي ويعقوب الرهاوي وقد نُقلت الى العربيَّة بعض اعمالهم وفي مكتبتنا الشرقيَّة قسمٌ منها

٣ ولم يكتفِ جهابذة الكنيسة بذلك وانَّما ألّفوا التآليف الفلكيَّة المستقلّة وورد بعضها في جملة الدوائر العلميَّة التي ألّفوها في مجموع المعــارف البشريَّة كدائرة العلوم للقديس ايزيدورس الاشبيلي (١٠ المتوفَّى سنة ٦٣٦ في عشرين كتابًا لم يترك علمًا من علوم زمانهِ الَّا وبحث فيهِ فابتدأ بالعلوم اللسانيَّة والادبيَّة ثم بحث عن العلوم الفلسفيَّة والعلوم الرياضيَّة والنجوم والطبّ والعالم وظواهرهِ والانسان والارض واقسامهــا والحجارة الكريمة والزراعة والسياسة والبناء والحرب والالعاب واثاث البيت الخ. وكدائرة أُخرى للمكرَّم بيدا المتوفَّى سنة ٧٣٥ (١١ في نيِّف والف صفحة لهُ فيها ابحاث واسعة في العلوم الرياضيَّة وعلم الهيئة وعلم النجوم ودوائر الكرة والقطب وفي الاسطرلاب الى غير ذلك ممَّا يشهد على فضل هذا الكاتب البارع. وكدائرة ثالثة صنَّفها للملك لويس الاوَّل ابن كرلوس الكبير ملك فرنسة احد ائمَّة العلماء اسمهُ رابان مور المتوفَّى سنة ٨٤٤ (١٢

---

١) راجع مجموع الاباء لمين ج ١٤ ص ١٢٣ ٢) ج ٧٨ ص ٧٣٠

٣) ج ٨٧ ص ٢٦٩ ٤) ج ١١١ ص ٩

٥) ج ١٧٢ ص ٣٥٢

٦) ج ١٨٩ ص ١٥١٣ ٧) ج ١٩٣ ص ١٢٤٧

٨) ج ٧ ص ٩ — ٧٧ ٩) ج ١٧١ ص ١٢١٤

١٠) راجع المجموع السابق ج ٨٢ ص ١—١٠٥٠ Isidori Etymologiarum libri XX

١١) ج ٩٠ ص ١٢٣ — ١١٩٥ (V. Bedæ opera didascalica)

١٢) ج ١١١ ص ٩ — ٦٢٣ Rabanus Maurus : *De Universo, libri* XX.

بحث فيها عن كل علوم عصرهِ وافرد قسماً منهـا للعلويَّات والعلوم الفلكيَّة والهيئة ووصف البلدان. ولنا دائرة رابعة ألَّفها في القرن الثاني عشر هونوريوس من اوتورن (١ (١١٣٦ †) ليست اقلّ فائدة من الدوائر السابق ذكرها وهي تشمل قسماً كبيرًا من العلوم الفلكيَّة التي تفرَّد بها هذا الكاتب كما سيأتي

٤ واذا بحثنا الآن عن تآليف الآباء في الفلكيَّات والرياضيَّات دون غيرها وجدنا لهم مصنَّفات عديدة صبرت على آفات الزمان نعدّد هنـا بعضها. ألَّف الفيلسوف الشهير بويسيوس (Boèce) المتوفّى سنة ٥٢٥ في الرياضيَّات ونقل الى اللاتينيَّة قسماً من اعمال اوقليدوس (٢. وصنَّف ألكوين (٨٠٤ †) نديم الملك شرلمان مقـالة في القمر وسيرهِ وفي كبس السنين (٣. وصنَّف كتابًا واسعًا في الهيئة رابان مور السابق ذكرهُ (٤. وصنَّف للملك نفسهِ دُنغالوس الحبيس (٥ رسالة في انكسافي الشمس اللذين حدثا سنة ٨١٠. وصنَّف في القرن العاشر جربرت (وهو سلفسترس الثـاني الذي رقي الكرسي الروماني سنة ٩٩٩) كتبًا عديدة في الحساب والمساحة وفي صُنع الكرَة وقيل انهُ اول من عُني بذلك وقد اصطنع ساعةً بديعة لاوطون الملك (٦. ووضع لهُ معاصرهُ الاسقف ادلبودوس البندكتي رسالة في طريقة وجود حجم الارض (٧. وصنَّف فرنكو المعروف بالاستاذ (١٠٦٥ †) تأليفًا في ستَّة كتب عن تربيع الدائرة (٨. وممَّن برَّز في التآليف الفلكيَّة هونوريوس من اوتون لهُ اربعة كتب في علم الهيئـة والفلك والآثار الجويَّة وكتاب في الشمس وخواصّها وثلاثة كتب في العـلويَّات والثوابت والسيَّارات والبروج وتقسيم الازمنة والاقاليم السبعة (٩. وصنَّف كثيرون في

---

١) راجع مجموع الآباء اللاتين ج ١٧٢ ٢) ج ٦٣ ص ١٠٧٩–١٣٠٧

٣) ج ١٠١ ص ٩٧٩ – ١٠٠١ (De cursu et saltu lunæ ac bissexto)

٤) ج ١٠٧: ٦٦٩ – ٧٢٧

٥) ج ١٠٥ ص ٤٤٧ De duplici solis eclipsi an. 810.

٦) ج ١٣٩ ص ٨٥ – ١٣٧ ٧) ج ١٤٠ ص ١١٠٣

٨) ج ١٤٣ ص ١٣٧٣ Franco scolasticus: *de quadratura circuli*

٩) اعمال الآباء اللاتين ج ١٧٢ ص ١ – ١٨٧ (Honorius Augustodunensis: *De philosophia mundi — De solis affectibus — De Imagine mundi*)

الاسطرلاب وتعريفهِ ومنافعهِ كبيدا المكرَّم (١ وهرمان الصغير (٢ وبطرس ابيلردس (٣

٥ وممَّن ألَّف في الشرق في العلوم الفلكيَّة والرياضيَّة بين نصارى اليونان مارينوس في القرن الخامس للميلاد وسَمبليقيوس في اوائل القرن السادس وايسيدورس من ملطية وانطيميوس من ترالَّة وهما اللذان بنيا اَيا صوفيًا التي تشهد لهما بالمعارف السامية في الرياضيَّات وتحريك الاثقال واشتهر بعدهما اوتوكيوس العسقلاني تلميذ ايسيدورس شارح كتب ارخميدوس وابولونيوس وبرَز في القرن السابع يوحنا النحوي اليعقوبي الشهير صاحب عمرو بن العاص واسطفان الاسكندري المعروف بالرئيس والاستاذ كتب في كلّ العلوم الرياضيَّة والفلكيَّة والكيمويَّة. وبرع في القرن التاسع لاون الرياضي الذي طلبهُ الخليفة المأمون من ملك الروم تاوفيل. واشتهر في القرن الحادي عشر ميخائيل بسألوس لهُ كتب في كيكلوس السنة وحركات القمر والكسوفات والخسوفات والحساب الفصحي. وممَّن كتبوا في وصف البلاد واوضاعها في القرن السادس قزما المعروف بالهنديّ (Cosmas Indicopleustes) ولهُ رحلة شهيرة في مجموع الآباء اليونان. واشتهر بعد القرن الحادي عشر غير هؤلاء لا نتعرَّض لذكرهم(٤

وصنَّف كثيرون من كتبة السريان في العلوم الطبيعيَّة كتبًا تلاعبت بها ايدي الضياع او متزوية في زوايا النسيان منها في القرن الثاني كتاب لابن ديصان. وممَّا نجا من آفات الدهر كتابان في فِعل القمر وحركة الشمس لسرجيوس الراسعينيّ وكتاب في صور البروج لساويرس سبُكت وكلاهما ازهر في القرن السابع ونشر تآليفهما العلَّامة الالمانيّ ساخو: واشتهر في القرن الثامن البطريرك طيموتاوس الاوَّل المعروف بالكبير ويعقوب الرهاوي وجرجس اسقف العرب وقد ضاع كتاب الاوَّل في الفلكيَّات ونُشر قسم من اعمال الاثنين الآخرين. وليعقوب الرهاويّ كما سبق كتاب في ستَّة أيام الخليقة ضمَّنهُ فصولًا عديدة من العلوم الطبيعيَّة والفلكيَّة والجغرافيَّة. وقد صنَّف في ذلك موسى بركيفا وفي كتابهِ رسوم حسنة تدلُّ على سعة علمهِ. وصنَّف ايضًا في المعنى ذاتهِ عمنوئيل بر شهري كتابًا واسعًا بالشعر السرياني في ٢٨ بابًا. وقد سبق لنا في ترجمة

---

١) راجع مجموع الآباء اللاتين ج ٩٠ ص ٩٥٥

٢) ج ١٤٣ ص ١٣٨٩ و١٤٣ ص ٣٧٩ ٣) ج ١٨٨ ص ١٧٦٠

٤) راجع تاريخ الآداب البوزنطية Krumbacher : *Gesch. d. byzant. Litteratur,* SS. 620

غريغوريوس ابن العبري ما وضعهُ هذا العلَّامة الشهير من التآليف الفلكيَّة فليراجع (المشرق ١ :٧٠٥)

٥ واذا انتقلنا بعد هذا الى ما صنَّفهُ نصارى الشرق باللغة العربيَّة في الرياضيَّات والاجرام الفلكيَّة لرأينا ما يقضي لهم بالشكر الجزيل والثناء العميم. ولا حاجة هنا الى سرد اسماء النصارى الذين نقلوا كتب اليونان والسريان في كل ابواب العلوم الى العربيَّة فانَّ عددهم يُربي على المئتين ومن اراد الاطلاع على اسماء بعضهم فليراجع كتاب الفهرست لابن النديم المطبوع في ليبسيك سنة ١٨٧٢ وكتاب طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة . وانَّما نقتصر فقط على ذكر ما ألَّفهُ هؤلاء الكتبة في العربيَّة وفي بيانها دليل كافٍ على مرتبة اصحابها ومكانهم من العلوم الطبيعيَّة والفلكيَّة خصوصاً

صنَّف عبد الله بن مسرور النصرانيّ كتاب مطرح الشعاع وكتاب تحاويل سني العالم والحكم عليها وكتاب تحاويل سني المواليد (١. ووضع ابو زكريَّا حنُّون (ويروى جنُّون) بن عمرو بن يوحنَّا بن الصلت كتاب الاحتجاج في صحَّة النجوم والاحكام فيها (٢ . وكتب ابو علي عبد الله بن علي الدنداني (ويروى الرندانيّ) النصرانيّ كتاب صناعة التنجيم (٣. وليوحنَّا بن يوسف بن الحارث بن البطريق المعروف بالقسّ اختصار جدولين في الهندسة ومقالة في البرهان على انهُ متى وقع خطّ مستقيم على خطَّين مستقيمين موضوعين في سطح واحد صيّر الزاويتين الداخلتين في جهة واحدة انقص من زاويتين قائمتين وكان يوحنَّا ممَّن يُقرأ عليهِ كتاب اقليدس وغيرهُ من كتب الهندسة (٤. وألَّف ابو بشر متَّى بن يونس النصراني من اهل دير قُنَّى تفسيرًا لكتاب السماء للاسكندر وكتاب المقاييس الشرطيَّة وكان ابو بشر هذا معاصرًا لابي نصر الفارابيّ (٥. وصنَّف ابو الخير الحسن بن سوار المعروف بابن الخمَّار النصرانيّ كتاب الآثار المخيلة في الجوّ الحادثة عن البخار المائي وهي الهالة والقوس والضباب ونقل كتاب الآثار العلويَّة عن السريانيَّة (٦. وصنَّف يحيى بن عدي ابو زكريَّاء اليعقوبيّ تفاسير

١) راجع كتاب الفهرست ص ٢٧٧ ٢) راجعهُ ص ٢٨٠
٣) راجعهُ ص ٢٨٠ و 132 ٤) راجعهُ ص ٢٨٣
٥) راجع تاريخ ابن العبري ص ٢٩٦ والفهرست ص ٢٢٤ ٦) الفهرست ٢٦٥

على كتب النجوم (١. وصنّف تلميذهُ ابو علي عيسى بن الحق الشهير بابن زُرعة مقالة في السماء (٢. ومقالة في علّة استنارة الكواكب (٣. وكتب في ايّام الرشيد يوحنّا بن بختيشوع كتابًا في ما يحتاج اليـهِ الطبيب من علم النجوم (٤. وكتب قبلهُ يوحنا بن ماسويه كتاب الازمنة (٥. وصنّف ابو زيد حنين بن اسحاق العباديّ الشهير كتابًا في المدّ والجزر وكتابًا في الالوان والاهوية والازمنة وكتابًا في الآثار العلويّة ومقالة في قوس قُزَح وكتابًا في الشمس والقمر وكتابًا في السماء والعالم وكتابًا في تركيب العين وصنّف من بعدهِ ابنهُ اسحاق بن حنين شرحًا مختصرًا لكتاب اوقليدس (٦. وصنّف الاسقف ربيع بن زيد القرطبيّ في الاندلس في القرن العاشر كتبًا فلكيّة ذكرها المقّري

ومن افاضل كتبة النصارى قسطا بن لوقا البعلبكيّ الذي ألّف كتبًا عديدة في كل العلوم ومن تآليفهِ في الطبيعيّات والنجوم كتاب المرايا المحرقة وكتاب الاوزان والمكاييل وكتاب في المروحة واسباب الريح وكتاب العمل بالكُرَة النجومية وكتاب المدخل الى علم الهندسـة وكتاب شكوك كتاب اقليدس وكتاب المدخل الى علم النجوم وكتاب في استخراج مسائل عدديّة من المقالة الثالثـة من اوقليدس وكتاب تفسير ثلاث مقالات ونصف من كتاب ديوفنطس في المسـائل العدديّة وكتاب الفلاحة (٧. وممّن كتب منهم بالكيمياء اصطفن الراهب المترهّب في عُمر مار مخائيل قريبًا من الموصل عدّد لهُ ابن النديم في كتاب الفهرست ستّة كتب في الكيميـاء وذكر لهُ كتابًا في الاوقاف والازمنة (٨ . ولنصارى السريان كتب كيمويّة عديدة نشرها في عهدنا الكيمويّ الشهير برتلو (Berthelot) ونقلها الى الفرنسويّة وعلّق عليها التعاليق وبيّن فضلها على الكتب العربيّة بهذا الخصوص

هذه نبذةٌ وجيزة تُطلع قرّاء المشرق على انّ الكنيسة لم تهمل العلوم الطبيعيّة في القرون الاثني عشر الاولى كما زعم الزاعم ولو اردنا برهـانًا آخر على ذلك لوجدناهُ في المدارس التي انشأتها الكنيسة في توالي الاجيال وكان فيها للعلوم الطبيعيّة والرياضيّات والفلكيّات نصيب طيّب كمدرسة الاسكندريّة الشهيرة في القرن الثاني والثالث للمسيح

١) راجع الفهرست ص ٢٦٤ ٢) راجعهُ ايضًا ٣) كتاب طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة ج ص ٢٣٦ ٤) راجعهُ ص ٣٠٢ ٥) راجعهُ ص ١٨٣
٦) راجعهُ ص ٢٠٠ الى ٢٠٣ ٧) راجع الفهرست ص ٢٩٥ وطبقات الاطبَّاء ج ١ ص ٢٤٥ ٨) الفهرست ص ٣٥٩

ومدارس نصيبين والرها وبيروت في القرن الرابع والخامس ومدرسة جنديسابور في القرن السادس والسابع ثمَّ مدارس رومية واسبانيــة على عهد غريغوريوس الكبير ومدرسة إكس لاشابال في ايام الملك شرلمان ومدارس القسطنطينيَّة في القرن التاسع والعاشر وليست التآليف التي ذكرناها سوى اثمار تلك الرياض الفيحاء نضجت رغماً عمّا دهم تلك العصور من آفات الحروب وغزوات البرابرة الذين هجموا على العالم الروماني من كلّ صوب

وقد اقتصرنا في هذه المقالة على العلوم الطبيعيَّة والفلكيَّة ولو حاولنا البحث عن علوم أُخرى وفنون تلحق بها كعلم البناء مثلًا وعلم الجغرافيــة والرِّحَل وعلم الحيوان والمعادن والحجارة الكريمة والنبات والعلوم الطبيَّة والموسيقى لأتَّسع بنا المجال وتحقَّق القارئ بان النصرانيَّة لم تدع صنفاً من المعارف البشريَّة دون ان تخوض في عبابهِ حتى في الاجيال التي يدعوها البعض اوان الجهل وقرون الظلمة. لكنَّنا نضبط الآن عنــد هذا الحدّ عنان القلم مؤمّلين بان اصحاب النقد المنصفين لا يعودون يقرّفون الكنيسة بما هي براءٌ منهُ ويستندون الى أقوال ذوي الغايات كسيديليو (Sédillot) ولوبون (Lebon) وغيرهما ممَّن لا يعدُّهم العلماء في جملة الأثبات الثقــات هدانا الله وايّاهم الى سواء السبيل

ترجمة السيد المفضال

دير ارسين ايدنيان

بقلم حضرة الاب الفاضل دير نرسيس صائغيان

في ٢١ تموز من العام المنصرم فقدت الملَّة الارمنيَّة احد فطــاحل علمائها وفحول ادبائها بل اكبرهم واسماهم وزعيمهم ونبراسهم ألا وهو السيد الجليل والحبر النبيل دير أرسين ايدنيان رئيس العام للرهبــان المخيتاريين المقيمين في ڤينَّة ولهُ من العمر ٧٧ سنة فتكت بهِ يد المنيَّة وسحبت على القلوب غيوم الاحزان والحقّ يقــال ان الرزيَّة عظيمة والخسارة كبيرة بوفاة هذا العلاَّمة الجليل الذي خدم آداب احدى الطوائف الشرقيَّــة

خدمةً تُذكر فمن الواجب علينا اذًا ان نورد لمعة من اعمالهِ المبرورة رغبــةً في تخليد ذكرهِ وافادة لجمهور الشرقيين

وُلد الفقيد في الاستانة العلية من ابوين فاضلين في ٧ تشرين الثاني سنة ١٨٢٥. ومنذ نعومة اظفاره انكبَّ على الدروس الاوليَّة بكل نشاط وجهد وكان الولد ذا فهم متوقد وذكاء غريزيّ تلوح على جبهته الغرَّاء ملامح النجابة وامائر النباهة. فلمَّا بلغ العاشرة من عمره طلب ان يترهب ولذلك أُرسل الى فينَّة عند الرهبــان المخيتاريين فهناك اقبل على درس العلوم والفنون المتنوعة واللغات المختلفــة فنجح نجاحًا لا مزيد عليهِ ونبغ في جميع اصناف المعارف مع ما كان يزيّن بهِ نفسهُ من الفضائل الرهبانيَّة حتى رقي الى درجة الكهنوت سنة ١٨٤٥ وسمّي ارسين

وما لبث بعد ذاك العهد بقليل حتى صار الاب ارسين كسراج موضوع فوق منارة العلوم والآداب الارمنيَّة لم يزل نوره الضئيــل في بادئ ذي بدء يزهو ويشعّ حتى اضحى ضوءا ساطعًا لامعًا لا يخفى بهــاؤهُ على كل ذي بصر لانهُ ما كادت تمضي على سيامتهِ بضعة اسابيع الّا وشرع يترجم الى الارمنيَّة احدى خطب كيكيرون البليغ المصقع بقلم عسجدي ولسان ذهبي. وبعد هذا اخذ يقابل جميع المخطوطات او نسخ الكتاب المقدس الارمنية مع بعضها ويدوّن ما يوجد بينها من الروايات والاقوال المختلفة بكدّ وجدّ لا يعرفان مللًا حتى انجز هذا العمل الخطير. وفي سنة ١٨٤٧ صنع كرة ارضيَّة كبيرة الدائرة باحرف ارمنيَّة قضت العجب من رئيس الجمعية الجغرافية في ڤينّة. ثم باشر سنة ١٨٥١ بعمل كرة أُخرى باحرف عربية لم تزل بلا طبع

وفي السنة المذكورة أُرسل الاب أرسين الى ازمير بصفة معلم فقام بهذه المهنــة الشاقّة قيامًا نعمًا ابدى في اثنائها عن كل جدارة وغيرة حتى السنة ١٨٥٦ وفي هذه المدّة اتقن فن التصوير اليدوي بمجرد جهده اتقانًا كاملًا ولهُ عدَّة تصاوير دينية جميلة للغاية نخص منها بالذكر صورة الثالوث الاقدس التي تخلب ألباب الناظرين اليها

وفي سنة خروجه من وظيفة التعليم سافر الى اوربَّة فجــال في بعض بلاد فرنسة وايطالية ثم عاد الى ڤينة وهناك شرع بعمل خطير وتأليف اثير لم نجد لهُ في الارمنيَّة نظيرًا وهو كتاب عبارة عن ٥٠٠ صفحة يُقسم الى ثلاثة اقسام عنوانه الصرف البحثي للارمنية الحديثة او العامية خرج الى حيز الوجود سنة ١٨٦٦ فادهش كل من تصفّحهُ وتوغّل

في فحصه . ففي القسم الاوَّل وهو الاكبر شأناً يبحث المؤلف البارع عن اصل الارمنية العامة وجوهرها واقسامها او شُعَبها فتراه يخوض ويغوص ويتعمق في هذه المواضيع العويصة والأبحاث الغامضة ولم يخرج من غمارها واعماقها حتى يأتي بفوائد فرائد وعجائب غرائب تحيّر العقول وتجلب العجب حتى لا يتماسك اللسان عن الهتاف: لله درها قريحةً متوقّدة ويا لهُ من علمٍ واسع وعقل ثاقب بل نابغة فهّامة لا يجاريه نظير

والقسم الثاني يتضمن قواعد صرفية للغة الحديثة اودعها صاحب الكتاب ابحاثاً جليلة مدهشة للغة القديمة واماً القسم الثالث فيحتوي على نظر لهُ في صرف اللغة القديمة مع فوائد جمّة فهذا الكتاب احدى آيات العقل البشري اضحى اليوم في الطائفة الارمنية كدستور يُرجع اليهِ ومورد يستقي منهُ جميع الصرفيين والمحررين باللغة الحديثة التي جعلها المؤلف الجليل على اساس ثابت واركان وطيدة تضمن لها دوام حياتها النافعة

وللفقيد غير هذا صرف مطوَّل للغة القديمة فاق جميع سوابقهِ وهو تحفة في بابهِ ولهُ ايضاً عدَّة تآليف نفيسة ومقالات عديدة نصفح عن ذكرها لنتبعهُ الى الاستانة حيث عُين سنة ١٨٦٧ مديراً للمدرسة المختصة بجمعيتهِ ومثقفاً لاولاد طائفتهِ فاقام بوظيفتهِ هذه احسن قيام ونبغ في ايّام ادارتهِ رجال اجلاء اشتهر منهم كثيرون بعدئذٍ في المناصب الرفيعة والمراتب السياسية وبرع غيرهم بالكتابة

لكن سنة ١٨٧٦ انسحب عن وظيفتهِ هذه مستعفياً واخذ يبحث عن الموسيقى الارمنية الكنسية بعناء مفرط وبحث دقيق لانهُ كان متضلعاً في هذا الفن ايضاً وهو اول من رتب الموسيقى الطقسية وضبط الالحان القداس الالهي بعلامات اوربيَّة وعلقها حسب مطالب الفن الحديث لكن مع محافظة كلية على روح واصول الموسيقى الارمنية المهيبة . فنجح في مشروعه هذا نجاحاً كاملاً والدليل على ذلك انهُ لما قُدّمت الذبيحة الالهية في ڤينة سنة ١٨٨٤ على هذا النسق الجديد وبمرافقة آلات الموسيقى هاجت نفوس الحاضرين وخاصّةً من الاكليروس اللاتيني وكان التأثير على قلوبهم عظيماً حتى كادت تسيل العبرات من المدامع وردّدوا عبارات الشكر بقولهم: هكذا كان يتصوّر القديس يوحنا فم الذهب وامثاله هكذا كان يشعر القديس امبروسيوس ونظراؤهُ وبلا ريب هكذا كانت ترتّل آباء الكنيسة الارمنية القديسون. هذا التأثير بذاتهِ شاهدتهُ كنيسة المخيتاريين مرة أخرى سنة ١٨٨٧ يوم سيامة الفقيد مطراناً لانهُ بعد

ان تقلّب في مناصب عديدة أُنتخب رئيساً عاماً لرهبانيته تقريباً بصوت واحد سنة ١٨٨٦ ثمَّ سُقِف في العام التالي حسب العادة المألوفة فجُعل رئيس اساقفة على سلامينة (قبرس) شرفاً بيد المثلث الرحمة السيد اسطفان عازريان وكانت الحفلة شائقة جداً

والحق يقال ان المنتخب حقّق آمال المُنتَخبين واتى باعمال مبرورة وخدم مشكورة فنمت الجمعيَّة وازهرت في ايَّام رئاسته وكسيت برونق لا سابق لهُ وبهاء عظيم فباهتمامه نشئت مجلّة علمية تاريخية وادبية تصدر مرَّة في الشهر طارت شهرتهـا في الغرب والشرق

وهو الذي وسّع نطاق موادّ الدروس وادخل المطبعة الكبرى في طور جديد فصارت كاملة الاهبة تامَّة الادوات لا ينقصها شيء من الاكتشافات الحديثة واخترع ايضاً حروفاً جديدة ونقوشاً.بديعة وزخارف جميلة تزيّن اليوم جيود الكتب والمجلاَّت الارمنية وليس في هذا من العجب لان الفقيد كان ذا فكر واسع لهُ المامٌ تقريباً في كل علم وفنّ كما كان متضلعاً في لغات عديدة كاليونانية القديمة والحديثة واللاتينية والايطالية والفرنسية والانكليزيَّة والالمانية والسنسكريتية والسريانية والعبرانية والفارسية والتركية والعربية التي يتكلم عن احوالها في بعض حواشي الصرف البحثي (الذي وصفناهُ آنفاً) يصفها كاحد ابناء العرب وكان اذا افاض في موضوعٍ ما تكلّم باسهاب ودقّة كليَّة ومجمل القول كان دائرة معارف حيَّة صارت اليوم الى كان

ولكن رغماً عن سعة علمه هذا ومعارفه كان الفقيد متواضعاً وديعاً لين العريكة ذا رقّة وشهامة متزيناً بمزايا وفضائل شتَّى داومها حتى ساعة موته الذى فاجأهُ بعد منتصف الليل في مصيف جمعيَّته بضيعة ماوير وصار لهُ مأتم حافل كما يليق برجل عالم عامل.وكان مكرَّماً محبوباً من دولتنا العلية اداما الله ومن الدولة النمساويَّة والكرسي الرسولي وتشرَّف بالوسام المجيدي من الطبقة الثالثة والصليب الكبير وعدّة القاب شرفية مختصة بالبلاط الواتيكاني ولا حاجة للقول انهُ كان ملفاناً في اللاهوت ايضاً

فعلى نابغة كهذا نبكي اليوم بعيون مدرارة وتبكي معنا الآداب الارمنية لانها فقدت حبيبها ومعززها ولكن ما العمل انَّا لله وانَّا اليهِ راجعون ولنا تعزيةٌ بتركته العلمية وتلامذتهِ الذين خلّفهم لنا كآباء افاضل وعلماء فطاحل نخصّ منهم بالذكر الاب هاكوب

داشيان الذي طار صيتهُ في كل اوربَّة وكما يبان سوف يفوق رئيسه ومعلمه الغائب برَّد الله مثواه بوابل رضوانه واسكنهُ فسيح جنانهِ آمين *

ديوان المتلمّس

عُني بنشرهِ وتعليق حواشيهِ الاب لويس شيخو اليسوعيّ

لاحق بسابق (راجع المشرق ٥ : ١٠٥٧)

١ اوَّل قصيدةٍ نقلها الرواة عن المتلمس وبها يُفتتح ديوانهُ في نسخهِ الثلاث التي وصفناها هي ميميَّتهُ الشهيرة انشدها لمَّا بلغهُ قول الحارث بن التوأم والحارث بن جلدة امام عمرو بن هند في نسبهِ انهُ مشكوك فيهِ (راجع المشرق ٥ : ١٠٥٩). وهذه الابيات كلها منتخبة جيّدة. قال ابو عبيدة (في الاغاني ٢١ : ٢٠٩): ولم اسمع لاحدٍ بمثل هذه الابيات حكمةً وامثالًا من اوّلها الى آخرها (من الطويل)

يُعيِّرُني أُمِّي رِجَالٌ وَلَا أَرَى أَخَا كَرَمٍ إِلَّا بِأَنْ يَتَكَرَّمَا

(الروايات): في نسخة لندن (ل): تُعيّرني. . . ولَنْ تَرَى. وفي الاغاني (٢١ : ٢٠٩): تَعَيَّرَني امّي. ولن ترى. فتكون «تعيَّرهُ» كقولك تنقَّصهُ. ولم نجد لهذا الوزن ذكرًا في كتب اللغة. وفي حواشي النسخ الثلاث وفي لسان العرب رواية أُخرى حسنة للشطر الاوَّل: تكرَّمْ لتعتادَ الجميل فلن ترى. (الغريب) قال في نسخة (ل): يُعيّرني امّي اي بأُمّي فحذف الباء. قال ابن قتيبة في ادب الكاتب (ص ٤٤٧ من طبعة ليدن): وتقول: عيَّرتَني كذا ولا يقال عيَّرتَني بكذا. قال النابغة (يذكر هربهُ من المنذر):

وعيَّرتْني بنو ذبيان رهبتَهُ وهل عليَّ بان اخشاكَ من عارِ

وفي المصباح للفيّومي: عيَّرهُ كذا وبكذا. والافصح ان يُعدَّى الفعل بنفسهِ. (المعنى) قد قبَّح عليَّ رجال ونسبوا الى أُمّي العار ولو كانوا احرارًا لما فعلوا لانَّ الكريم الحرَّ يأتي بفعال الكرام

وَمَنْ كَانَ ذَا عِرْضٍ كَرِيمٍ فَلَمْ يَصُنْ لَهُ حَسَبًا كَانَ اللَّئِيمَ الْمُذَمَّمَا

(الروايات) روى كثيرون: ولم يَصُن. وفي نسخة (ل): كان اللئيم المُزَنَّمَا. قال هبة

* اخذت هذه التفاصيل من اوثق المصادر واصدقها فضلًا عمَّا عرفته بنفسي

اقه العلويّ في ديوان مختارات شعراء العرب (ص ٣١). ويروى: ومن كان ذا مال كثيرٍ . . . كان اللئيم المُلَوَّما. (الغريب) قال هبة الله المذكور: العِرْض موضع المدح والذمّ من الرجل يُقال انهُ كريم العِرْض ولئيم العرض. والعِرْض الجسد يقال انهُ لطيّب العرض وخبيث العرض. والحَسَب كرم الفعل من الانسان وان لم يكن لهُ ابٌ في الشرف والمجد. ويقال افعلْ ذلك على حَسَب ما ترى اي على قَدْرِهِ. (المعنى) انَّ الكريم الطيّب العنصر يصون شرفهُ ولولا ذلك لعُدَّ لئيماً واستوجب الذمّ

اَحارِثُ اِنَّا لَوْ تُسَاطُ دِمَاؤُنا تَزَيَّلْنَ حَتَّى لَا يَمَسَّ دَمٌ دَمَا

(الروايات) في نسخة مصر (م): تُشاطُ. وروى العلوي في مختارات شعراء العرب (ص ٣١): لو تَساقطْ . . . تَزايلَنْ. ومثلهُ في شرح شواهد التلخيص (١ : ٣٤٨). (الغريب) سَاطَ يَسُوط خلط. ومثلهُ شـاط. وقيل شاطهُ هدرَهُ. تَزَيَّل افترق وابتعد. (المعنى) ورد في نُسَخ الديوان: اي لا تختلط دماؤنا ويُعرَف هذا من ذاك فانَّ دماء ملوك كريمة لا تختلط بدماء غيرهم (ويروى: خلاف دماء غيرهم) وهذا كما قيل انا معروف في حياتي وفي موتي. وقال في الاغاني (٢١ : ٢٠٨): يقول لو خُلطت دماؤنا ودماؤكم لترايلت وتميّزت من بُعد ما بيننا وهذا كما قال الآخر:

لعمرُك انّني وابا رياحٍ على طول التهاجر منذ حينِ
لَيُبغِضُني وأُبغضهُ وايضاً يراني دونهُ واراهُ دوني
فلو انَّا على حجرٍ ذُبحنا جرى الدَّمَيان (كذا) بالخبر اليقينِ

وخلاصة معنى البيت: اسأتَ يا حارثُ بتعييرك وفعلتَ فعلاً ذميماً لم يأتِهِ كريمٌ مثلي فصار بيننا بُعد وتبايُن حتَّى لو مُزجت دماؤنا يوماً لتنافرت وتميّزت حتَّى تأبى ان تختلط. (التاريخ) حارث هو احد الحارثين اللّذين عيّرا المتلمّس امّهُ اي الحارث بن التوأم اليشكري او الحارث ابن جَلَدة. (الانتقاد) قال في الاغاني: «قال ابن قتيبة: وممّا يُعاب من قول المتلمّس قولهُ «احارثُ» البيت. وهذا من الكذب والافراط. ومثلهُ قول رجلٍ من بني شيبان كنتُ اسيرًا مع بني عمّ لي وفينا جماعة من موالينا في ايدي التغالبة فضربوا اعناق بني عمّي واعناق الموالي على وهدةٍ من الارض فكنتُ والله ارى دمَ العربيّ يمتاز من دم المولى حتَّى ارى بياض الارض من بينهما فاذا كان هجيناً قام فوقهُ ولم يعتزل عنهُ». وعندنا انَّ هذا البيت من اشكال البديع وهو داخل في باب المبالغة والغلوّ. قال ابو عليّ الحاتميّ في (الاغاني ٢١ : ٢٠٩): اشردُ مثلٍ قيل في البُغض قول المتلمّس «احارثُ» البيت. حكى ذلك ابو عبيدة وزعم انهُ اَسيَر مثلٍ في البُغض

اَمُنْتَقِلًا مِنْ آلِ بُهْثَةَ خِلْتَنِي اَلَا اِنَّنِي مِنْهُمْ وَاِنْ كُنْتُ اَيْنَمَا

(الروايات) جاء في شرح الديوان: قال ابو اسحاق ويروى: مُنْتَفِلًا بالفاء. وفي الاغاني (٢١ : ١٨٧) وفي مختارات شعراء العرب للعلوي (ص ٣١): اَمُنْتَفِيًا من نَصْر بُهثة. (الغريب) انتقل منهُ وانتفل منهُ وانتفى منهُ بمعنى واحد اي (تبرَّأ عن عمرو الشيباني). وقال العلويّ: يقال للرجل

يُرَى بشيء: انفُلْ ذلك عن نفسك اي أَنفِهِ. وقولهُ «واينا» يريد اينما كُنت اي انا منهم وان كنتُ اينا كنتُ فاقتصر. كما قال النَّمِر:

فانَّ المنيَّةَ مَنْ يَخْشَها فسوفَ تصادِفُهُ اينا

اعني اينا حلَّ وصار. (التاريخ) نَصَر فرعٌ من جُنْة وجُنْة من ضُبَيعة وهو جُنْة بن وَهب ابن جُلَيّ بن احمس بن ضبيعة (اغاني ٢١: ١٨٧) وقيل جُنَة بن حارث بن وَهب (خزانة الادب ٤: ٢١٦). وقيل جُنْة بن حَرب بن جُلَيّ (نسخة ل). امّا (المعنى) فيقول لا تظنّ انني اتبرّأ من بني ضبيعة قومي فانني انتسب اليهم حيثما اكون واينا حللتُ

أَلَا إِنَّنِي مِنْهُمْ وَعِرْضِي عِرْضُهُمْ كَذِي ٱلْأَنْفِ يَحْمِي أَنْفَهُ أَنْ يُكَشَّمَا

(الروايات) روى في خزانة الادب لعبد القادر بن عمر البغدادي (٤: ٢١٥): أَنْ يُحَشَّما. وروى العلويّ (ص ٢١): ان يُصلَّما. (الغريب) جاء في شرح النسخ الخطيّة وفي منتخبات شعراء العرب (ص ٢١): يقال جدع انفهُ اذا قطع طرفهُ. ويقال: كشم انفهُ واوعبهُ واستوعبهُ وصلمهُ واصطلمهُ اذا استأصلهُ. وقال العلويّ: اصطلم انفهُ واجتثمهُ (كذا ولعلّ الصواب اجتثَّهُ) واقتلَمهُ واقتبَهُ واجتلَمَهُ هذه اربعة الفاظ للانف دون الاذن. (المعنى) قالهُ العلويّ: اي انا من حيّهم فاحمي حمام كما يحمي ذو الانف انفهُ ان يُقطَع

وَإِنَّ نِصَابِي إِنْ سَأَلْتَ وَأُسْرَتِي مِنَ ٱلنَّاسِ حَيٌّ يَقْتَنُونَ ٱلْمُزَنَّمَا

(الروايات) في نسخة لندن: وانَّ تصابي. وهو تصحيف. وروى في الاغاني (٢١: ١٨٧): من الناس قوم يَقتَنون (كذا). (الغريب) جاء شرحهُ في الديوان وفي منتخبات شعراء العرب (ص ٢١): (النصاب) الاصل. و(الأُسرة) القبيلة والعشيرة الذين أُسِر بهم اي قويَ بهم. و(يقتنونهُ) يتخذونهُ قنية. واصلهُ من اللزوم والامساك. يقال اقنُ حياءك اي الزمهُ. وهو مال قُنية ومال قُنوة وقُنيان ومنهُ قول رؤبة: «انك تقنوني بالإلحافِ» اي تُلزمنيهِ. قال ابو اسحاق: قد قَنِيَ حياءهُ كقولك بَقِيَ: وَيَقْنَى مثل يَبْقَى. ويقال لاقنونَّك قناوتك. ولأمنونَّك مناوتك ولأشكمنَّك شُكمك ولأشكدنَّك شُكدك اي لاجزينّك جزاءك. والمزنّم الذي سِمَتُهُ الترنيم وهو ان تقشَّر جلدة الاذن وتفتل فتبقى زنمةٌ تنوس اي تضطرب. وقال العلويّ: والترنيم ان تُشَقّ اذن البعير من اعلاها شقَّين او ثلاثة ثمَّ تُترَك تنوس معلَّقة فذلك الترنيم والترعيل يقال زَنَّمها ورعَّلها. (المعنى) وان سألت عن نسبي اعلمتك بأني من عشيرةٍ ذات ثروة يملك اهلها المواشي والمال الواسع

وَكُنَّا إِذَا ٱلْجَبَّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ أَقَمْنَا لَهُ مِنْ مَيْلِهِ فَتَقَوَّمَا

(الروايات) في نسخة لندن: من صَعَره. (الغريب) قال في الديوان: صعَّر خدَّهُ اي امال خدَّهُ في جانب من الكبر. يقال: رجل أصعَر اذا كان مائل العُنُق في جانبٍ. قال العلويّ (ص ٢٢): الصَّعَر الميل. والعرب تقول: واللّه لأُقيمنَّ صَعَرهُ وصَيَدَهُ وقَذَلَهُ وصَغَاهُ وأَوَدَهُ

وأَدَدَهُ. يُقال اَوِدَ العُود وأَدِدَ وعَوِجَ وعَصِلَ اذا اعوجَّ. (المعنى) انّنا فضلًا عن ثروة قومنا نكسر من زَهْو المتكبّر الذي يكابرنا فنقوّم خدَّهُ المائل إشرافًا وكبرًا. (الانتقاد) يقال انَّ هذا البيت افخر بيتٍ قالتهُ العرب. ومثلهُ قول الآخر:

وكُنّا اذا الجبّار صعَّر خدَّهُ ضربناهُ حتَّى تستقيم الاخادعُ

لِذِي ٱلْحِلْمِ قَبْلَ ٱلْيَوْمِ مَا تُقْرَعُ ٱلْعَصَا وَمَا عُلِّمَ ٱلْإِنْسَانُ إِلَّا لِيَعْلَمَا

(الروايات) رُوي في نسخة لُندن: يُقرَعُ العصا. (الغريب) ما زائدة. وقَرْعِ العصا كناية عن التنبيه. وعُلِّم أُنذر ونُبِّه. (المعنى) يخاطب الحارث بن التوأم فيقول لهُ قد نبَّهتك وأنذرتُك كما أُنذر سابقًا ذو الحلم بقَرْعِ العصا: (التاريخ) قد اختلف الرواة في ذي الحِلْم الذي قُرعت لهُ العصا. فيدَّعي بنو دَوْس انَّ ذا الحلم هو عمرو بن حُمَمَة الدَّوسي. ويقول بنو قيس انهُ عامر بن ظرب وهذا اصحّ واكثر على افواه العلماء. وادَّعاهُ بعض بني قيس بن ثعلبة لسعد بن مالك بن ضبيعة ابن قيس. وجاء في الاغاني (٣: ٢) عن ابن حبيب انَّ ربيعة تدَّعي المثل لعبد الله بن عمرو بن الحرث ابن همام واليمن تدَّعيهِ لربيعة بن مخاشن وهو ذو الاعواد. وامَّا خبر المثل فورد على صورتين قيل انَّ عامر بن ظرب كان طعن في السن حتَّى اربى على مئة سنة (وقيل مئتي سنة) وكان حَكَمًا على العرب فلحظ بنوهُ انهُ رُبَّما اخطأ في حكمهِ فنبَّهوهُ على ذلك فقال لهم: اذا رأيتموني خرجت من كلامي واخذتُ في غيره فاقرعوا لي العصا. فتولَّت ذلك ابنتهُ وكانت اذا قرعت لهُ بالعصا ثاب اليهِ حلمهُ فاصاب في حكمهِ (راجع الاغاني ٣: ٢ و ٢١: ٢٠٤) ورُوي مثل هذا الخبر عن عمرو بن حُمَمَة. امَّا بنو قيس بن ثعلبة فيروون الخبر على صورة أُخرى يقولون انَّ سعد بن مالك كان نديمًا للنعمان الاكبر فغضب النعمان على اخيهِ عمرو بن مالك واراد قتلَهُ ان اساء الجواب في مسئلة فنجاهُ اخوهُ سعد بن مالك بان اشار اليهِ بعصاه ونبَّهَهُ على الجواب فانتبه عمرو واحسن الجواب فنجا وقال سعد في ذلك:

قرعتُ العصا حتَّى تبيَّن صاحبي ولم تكُ لولا ذاك للقوم تُقرَعُ

فنجّى بها حوباء نفسٍ كريمةٍ وقد كاد لولا ذاك فيهم يُقَطَّعُ

ولذلك رواية طويلة تجدها في الاغاني (٢١: ٢٠٤) وفي امثال الميداني (١: ٣٢) وغيرها. وقد اكثر العرب من ذكر ذي الحلم قال الحرث بن وعلة:

وزعمتمُ ان لا حلومَ لنا انَّ العصا قُرِعتْ لذي الحِلْمِ

وقد عرَّض المتلمّس بالحارث بن التوأم في هذا فيقول لهُ: قد قرعتك بهذا الكلام كما كان يُصنَع بذي الحلم. (الانتقاد) جاء في نسخ الديوان قول الاصمعيّ بعد هذا البيت: انَّ المتلمّس احد فحول الرؤساء. وقال ابو عبيدة: ما سبق المتلمّس الى مثل هذا المثل. وفي صحاح الجوهريّ بيت عدَّهُ البعض تابعًا للبيت السابق وهو:

تحلَّمْ عن الأَدْنَيْنَ واستَبْقِ ودَّهم ولن تستطيعَ الحلم حتَّى تحلَّما

استشهد بهِ في مادَّة حلم. وقال: تحلَّم اي تكلّف الحلم

وَلَوْ غَيْرُ اَخْوَالِي اَرَادُوا نَقِيصَتِي جَعَلْتُ لَهُمْ فَوْقَ ٱلْعَرَانِينِ مِيسَمَا

(الروايات) روى الزمخشري في الكشّاف: غير اخواني. ويروى في نسخة مصر: ازادوا نقيصتي وهو تصحيف. (الغريب) العرانين الانوف. قال في مختارات شعراء العرب: العِرْنين اعلى قصبة الانف وهو المَعْطس وهو النُّخرة. ويقال لثقبِ السمّ وكذلك ثقب كلّ شيء اذا ضاق فهو سمّ. ويقال للحاجز في الوسط الوترة ويقال لطرفهِ الرَّوْثة والعَرْنَمة والخَنْثرمة وهي الارنبة. والمِيسَم العلامة. (المعنى) يقول لو لم يكن الذين عيَّروني امّي من قرابتي لوسَمْتُهم على انوفهم اي هجوتهم هجاء يلزمهم لزوم الميسم في الانف ووسمتُهم بسمة من الذلّ اشتهروا بها فلم يمكنهم اخفاؤها. (الانتقاد) هذا البيت قد استشهد بهِ المبرّد في الكامل (ص ١٥٨ من طبعة ليبسيك) وقال انهُ يشبه قول حاتم: «لو ذات سوار لطمتني». يريد انّ «غير» مرفوعة بفعل يفسرهُ الفعل الظاهر والتقدير «لو اراد غير اخواني»

وَهَلْ لِيَ اُمٌّ غَيْرُهَا اِنْ تَرَكْتُهَا اَبَى ٱللهُ اِلَّا اَنْ اَكُونَ لَهَا اَبْنَمَا

روى العيني (٤: ٥٦٨): ان ذكرتُها. (الغريب) اراد «ان اكون لها ابنًا» فزاد الميم كما تزاد في زُرْقم لشديد الزرقة وفُسْحم لفسيح الصدر وشَدْقَم لمتّسع الشدق وشَجْعم للشجاع. قال حسّان:

ولدنا بني العنقاء وابنَيْ محرّقٍ فاكرمْ بنا خالًا واكرمْ بنا ابنما

وقال الهُذلي:

تعاورتما ثوب العقوقِ كلاكما ابٌ غيرُ برٍّ وابنمٌ غير واصل

وجاء في تاج العروس: وهمزة ابنم همزة وصل. قال سيبويهِ وكأنَّ زيادة الميم في «ابنم» أمثَل قليلًا لانّ الاسم محذوف اللام فكأنها عوضٌ منها وليس في فُسْحُم ونحوهِ حذف. وقال ابو الهيثم: اذا زيدت الميم فيهِ فيُعرب من مكانين يقال: هذا ابنُمُكَ بضمّ النون والميم ومررتُ بابْنِمِكَ بكسرهما ورأيتُ ابْنَمَكَ بفتحهما. ومنهم مَن يعربهُ من مكان واحد فيعرب الميم لانَّها صارت آخر الاسم ويدع النون مفتوحة على كلّ حال فيقول هذا ابْنَمُكَ الخ. وابنم لا تثنّى ولا تُجمَع الّا انّ الكُمَيْت ثنّاهُ فقال:

ومنّا ضرارٌ وابْنَماهُ وحاجبٌ مورّث نيران العداوة لا المُخبي

(المعنى) واضح. يُنكر الشاعر انّ لهُ امًّا غير امّهِ فهيهات ان يجحد نسبهُ واصلهُ. (الانتقاد) جاء في الاغاني (٢١: ٢٠٩) عن ابي عبيدة: انّ هذا اشردُ مثلٍ قيل في الامّهات

وَمَا كُنْتُ اِلَّا مِثْلَ قَاطِعِ كَفِّهِ بِكَفٍّ لَهُ اُخْرَى فَاَصْبَحَ اَجْذَمَا

(الروايات) جاء في شرح شواهد الكشّاف (ص ١٣٢): «وهل كنتُ... عليهِ تُقَدِّمَا». (الغريب) الاجذم والاقطع واحد اي المقطوع احدى يديهِ. وجذمتُ الحبل قطعتهُ ورجل مِجْذامة ومجذام اي مقطاع للامر. (المعنى) قال ابو عبيدة في شرحهِ: يريد انهُ فيما صنع بهِ اخوالهُ بمنزلة

من قطع احدى يديهِ بالاخرى فلو همّ ام وكافأهم كان بمنزلة من قطع يدهُ الاخرى فيبقى اجذم فامسك عنهم » . وقد اخذ هذا المعنى من قال :

قومي همُ قتلوا أُميمَ اخي فلئن رميتُ يُصيبني سهمي
ولئن عفوتُ لَاعفوَنْ جللًا ولئن جنيتُ لَأوهنَنْ عظمي

يَدَاهُ اَصَابَتْ هٰذِهِ حَتْفَ هٰذِهِ فَلَمْ تَجِدِ ٱلاُخْرَى عَلَيْهَا مُقَدَّمَا

(الروايات) روى في مختارات شعراء العرب (ص٣٢) : لم يجد . وفي الاغاني : تَقَدُّما . (الغريب) الحَتْف الموت . جعل قطع اليد بمنزلة موتها . (والمعنى) تتمّة لمعنى البيت السابق اي انّ اليد القاطعة لاختها لا تجد نفعاً بذلك او بالاحرى انّها تؤذي نفسها

فَلَمَّا ٱسْتَقَادَ ٱلْكَفُّ بِٱلْكَفِّ لَمْ يَجِدْ لَهُ دَرَكًا فِي اَنْ تَبِينَا فَاَحْجَمَا

(الروايات) رُوي في احدى النسخ : استفاد بالفاء وهو تصحيف . ويروى : « فاجحما » بتقدم الجيم . (الغريب) استقاد طَلَب القَوَد اي القصاص . واستقادَ فلاناً بفلانٍ اي طلب قَتْلهُ بهِ . وتبينا اي تفترقا . والدَرَك الفوز . وأَحْجَم عن الشيء امسك عنهُ ولم يُقدم عليهِ ومثلهُ أَجْحَم . (المعنى) تتمّة البيتين السابقين : اي لمّا رأى طالب الثار انهُ بانتقامهِ لا يصيب غايتَهُ فيكون بمنزلة قاطع يده الاخرى عدل عن فعلهِ وامسك . وهذا البيت في بعض الروايات مقدَّم على البيت السابق وتأخيرهُ أَبْيَن للمعنى

فَاَطْرَقَ اِطْرَاقَ ٱلشُّجَاعِ وَلَوْ يَرَى مَسَاغًا لِنَابَيْهِ ٱلشُّجَاعُ لَصَمَّمَا

(الروايات) جاء في نسخة لندن : مساغاً لناباهُ . وهي رواية مصحّفة . وروى هبة الله العلويّ في منتخبات شعراء العرب (ص ٣٢) : « فلم يرى مساغاً لنابَيةِ » وهي رواية مغلوطة . (الغريب) اَطْرَق سكتَ وقيل نظر الى الارض ساكتاً . والشُجاع من اسماء الحيّة . قال العلويّ : الشُجاع حيّة لطيفٌ اقرع الراس . والمساغ المضيّ والمسلك . يريد مساغاً في نكزهِ . وصمّم مضى على الامر وجدَّ فيهِ . (المعنى) هذا البيت مثلٌ ذكرهُ الميداني (١ : ٢٠٨) . قال ابو علي : هذا البيت يُضرب مثلًا للرجل يقصّر الى ان تمكّنَهُ الفرصة (اغاني ٢١ : ٢٠٩) . وخلاصة المعنى انَّ المولّ على الشرّ لاخيهِ اذ يرى سوء عقبى عملهِ ولا يجد منهُ فائدةً يجري على مثال الحيّة التي تعدل عن اللذغ اذا تحقّقت انها لا تلقى مساغاً لنابَيها الّا بمضرّة نفسها . (الانتقاد) قال ابو عبيدة (في الاغاني ٢١ : ٢٠٩) . قول المتلمّس هذا اشردُ مَثَل قيل في اعتداد بني العمّ والكفّ عن مقاتلتهم بفعلهم

وَقَدْ كُنْتَ تَرْجُو اَنْ اَكُونَ لِعَقْبِكُمْ زَنِيمًا فَمَا اَجْرَزْتَ اَنْ اَتَكَلَّمَا

(الروايات) جاء في نُسخ الديوان : « وقد كنتُ ارجو ان اكون لعقبهم » وهي رواية فاسدة تخالف المعنى ما لم يُقَل ان قولهُ من باب التهكم . وروى في الاغاني (٢١ : ١٨٧) : فما اَحرَزْتُ وهو تصحيف . (الغريب) العَقْب الولد والنسل وعقب كلّ شيء آخرهُ . والزنيم المَنُوط بالقوم

اللاصق بهم وهو ليس منهم. واصلهُ من الزَّنَمة التي تُقطع من اذن الشاة فتُترك معلقةً». قال حسَّان بن ثابت :

وانت زنيمٌ نيط في آل هاشمٍ كما نيط خلفَ الراكبِ القَدَحُ الفَردُ

والاِجْرار ان يُشَقَّ طرف لسان الفصيل او الجدي لئلّا يرضع. قال عمرو بن معدي كرب :

ولو انَّ قومي انطقَتْني رماحهم نطقتُ ولكنَّ الرماحَ اَجرَّتِ

قال العلويّ: والتَّفليك ان يُثقَب لسان الفصيل ويُجعل فيهِ خيط من شعر ويُعقَد طرفاهُ كالفلكتين فيمنعهُ من الرضاع. (المعنى) ظنَنْتَ يا حارث انني ارضى ان اكون بينكم كالغريب اللاحق بكم فلم تستطع ان تربط لساني عن الكلام. وقد ضرب الاجرار مثلًا للسكوت

لأُورِثَ بَعْدِي سُنَّةً يُهْتَدَى بِهَا وَأَجْلُوَ عَنْ ذِي شُبْهَةٍ اِنْ تَوَهَّمَا

(الروايات) روى في خزانة الادب (٤: ٢١٦): يُقتَدى بها. وكذلك في مختارات العلويّ (ص ٢٣) وروى ايضاً: «واَجلُو عمَى ذي شُبْهةٍ». (الغريب) قد استشهد النحويُّون بهذا البيت دلالةً على ان اللام الداخلة على المضارع هي لام الابتداء دخلت عليهِ للتوكيد وليست في جواب قسم. السُّنَّة الطريقة والسيرة. والشُّبهة الامر المشتبه الملتبس وقيل الشبهة مشابهة الحقّ للباطل والباطل للحق من وجهٍ اذا حُقّق النظر فيهِ ذهب. وتوهَّم اي اخطأ في ظنّهِ. (المعنى) انّي بدفاعي عن نسبي سأُقيم من بعدي سُنَّةً يقتدي بها غيري وازيل الشُّبهة التي خالجت افكار البعض في حقّي

اَرَى عُصُمًا مِنْ نَصْرِ بُهْثَةَ دَانِيًا وَيَدْفَعُنِي عَنْ آلِ زَيْدٍ فَبِئْسَمَا

(الروايات) روى في مختارات شعراء العرب (ص ٢٣): في نَصر بُهثَةَ دائبًا. ويروى: امتقلًا في آل بهثة. . . وتنفلني. وروى في نسخة لندن: فيبسها. وهو غلط. (التاريخ) عُصُم رجل من بني ضُبَيعة قال للمتلمّس: انت من بني يشكر واستَ منّا. ونَصر بُهثَة مرَّ ذكرهُ في البيت الرابع. وآل زيدٍ من عشائر بُهثَة بن ضبيعة. (الغريب) الداني المتقرّب. وبئسما اي بئسما يفعل. (المعنى) يقول انَّ من جملة من يقرِّفني في نسبي عُصُمًا هذا فهو ينتسب الى بني نَصر بن بُهثَة وينفيني عن آل زيد بن بُهثَة وكلانا في حقوق نسبنا سواء

اِذَا لَمْ يَزَلْ حَبْلُ اْلقَرِينَيْنِ يَلْتَوِي فَلَا بُدَّ يَوْمًا مِنْ قُوًى اَنْ تُجَذَّمَا

(الغريب) القَرينان بَعيران يُقرَنان في حبلٍ. والقوَّة طاقة من طاقات الحبل. وجذَّمهُ قطَّعهُ. (المعنى) قال العلويّ: «ضرب ذلك مثلًا لهُ ولعُصُم خصمهِ. يقول: اذا كان الرجلان كلٌّ واحدٍ منهما يناوي صاحبهُ فلا بُدَّ لاحدهما ان يغلب الآخر» وتنقطع العلائق التي بينهما كما ينقطع حبل القرينَيْن اذا كثُر التواؤهُ. (الانتقاد) قال ابو عبيدة: هذا البيت من شارد الامثال

اِذَا مَا اَدِيمُ اْلقَوْمِ اَنْهَجَهُ اْلبِلَى تَفَرَّى وَاِنْ كَتَّبْتَهُ وَتَخَرَّمَا

(الروايات) يروى: اذا ما ضيحُ القوم. ويروى: يُفرَّى ويُخرَّما. (الغريب) قال العلويّ:

اديمُ كلّ شيء جلدهُ . وأنهجهُ أخلقَهُ . يقال نهج الثوبُ وأنهج ونَهِجَ وأَنهجَ اي خَلَقَ . وتفرَّى تمزَّق . وكتَّبهُ خرزَهُ والكُتَب الخَرْز . وتخرَّم تشقَّق . (المعنى) يقول ان الاديم يصعب اصلاحهُ وخرزُهُ اذا ما بلي وتخرَّق . ضرب ذلك مثلًا لشتم اقاربهِ وتعييرهم الذي يصدع القلوب فيصعب جبرُها بعد انفصالها (لهُ بقيَّة)

يمين العليّ

رواية تاريخية للاب س. ت اليسوعيّ

مقدَّمة

لا يرتاح القرّاء الى رواية خياليَّة ارتياحهم الى الروايات الجامعة بين تفكيه الالباب ورياضة العقل . وانَّما ذلك يُحصل عليهِ بالروايات التاريخيَّة لاسيَّما اذا كانت تفاصيلها تُحيي لنا ذكر بلادٍ محبوبة واوطان عزيزة

فكم من مرَّةٍ اذا سار البيروتي في شوارع مدينتهِ وعثرت رجلهُ بآثار الاقدمين كبقايا الابنية القديمة والاعمدة الغائصة في الاطلال والحجارة المزيَّنة بالكتابات المجهولة يتوق الى استطلاع معالم مدينتهِ ويرغب ان يقف على حقائق تاريخها الغابر تذكُّر القرون الخالية وما كانت عليهِ بيروت في سالف الاعصار من الجاه والرونق فيُجيل في مخيَّلتهِ احوال سكَّانها ويتتبع آثارهم ويُنصت الى كلامهم في لغةٍ لم يدرك اليوم معناها فيجد في هذا التذكار من الانس والارتياح والبسط والانشراح ما يزيدهُ تعلُّقًا في وطنهِ وحبًّا باهل جلدتهِ

وهذا ما حملنا نحن ايضًا على ان نبحث في بطون الاوراق ونستخرج من زوايا النسيان بعض مآثر حاضرة البلاد الشاميَّة في القرن الاوَّل للميلاد فنكسو هذه الاخبار الصادقة بُرْد قشيب تنسجهُ المخيَّلة وتلحم سداهُ خواطر القلب . فعسى هذه الاسطر تروق في عيون اهل الشرق فتبعثهم على درس تواريخهم الدارسة ليرفعوا أعلام البلاد وينشروا من رميمها مفاخر الاوطان فتتمُّ فائدة الاقتداء وينهج المحدثون مسالك الاقدمين

*

افتتاح روايتنا في اوائل السنة السبعين للمسيح . وكانت بلاد الشام آنئذٍ ايالةً من ايالات المملكة الرومانية الممتدّ رواقها الى اقاصي العالم المعروف . وفي تلك السنة عينها احرزت سوريَّة لها من المجد ما لم تنلْـهُ سابقًا فانَّ فِسْبَسْيان قائد جيوش رومية في الشرق استُدعي الى عاصمة الدنيا ليتربَّع في دست المملكة بعد مقاتلة الطغاة لكنَّهُ لم يهمل مشروعاً عظيماً كان انتُدب اليهِ وهو حصار مدينة اورشليم فما شدَّ الرحال قافلاً الى الغرب حتى قلّد ابنهُ طيطس امر المدينة العاصيــة فصارت في حالة يُرثى لها ولن يمضي عليها بضعة شهور حتى تدخلها جيوش رومية المظفَّرة فتنهبها وتُعمل فيهــا عاملي السيف والنار ولا تلبث مدينة طرابلس بعد قليلٍ ان ترى شهيدها الاوَّل لاونطيوس يُهريق دمهُ في سبيل دين المسيح المنتشر حديثًا

هذه امور ثلاثة كلُّها خطيرة جليلة . اوَّلها يُنبئ بانحلال الدولة الرومانيَّة وتقهقر الوثنيَّة معها كيف لا وترى حينئذٍ خمسة قياصرة يحاولون التملك على الدولة الرومانية بينمــا تزمجر على ثغورها قبائل البرابرة لتهجم عليهــا ويدوي في اليهوديَّة بركان العصيان

والامر الثاني يحقق نبوَّة الانجيل الطاهر في اورشليم قاتلة الانبياء وسافكة دم ابن الله . قد أزِفت الساعة اذ لا يبقى لهيكلها من ذكر وينعب فوق اخربتها الغُراب وسوف يحلّ على بنيها دم البارّ الذي طلبوا صَلبه من بيلاطس

وكذلك الامر الثالث لا يخلو من خطر وشأن فانَّ في موت لاونطيوس الاختياري على يد عبَدَة الاوثان اشارةً الى عالم جديد سوف يخلف العــالم القديم لأنَّنا نعلم ان دم الشهداء لا يذهب هدرًا فانهُ اشبه بزرعٍ يزكو وينمو فيأتي بثمار جنيَّة وهي اثمــار النعمة والخلاص

هذه هي الحوادث التاريخيَّة الثلاث المهمَّة التي نبني عليها هذه الرواية فنلحمها في بعضها ونوردها في مظهر جديد ونضمّنها اخبار بلادنا السوريَّة والاحوال التي طرأت عليها فى ذلك العهد . وقد وسمناها باسم « عين العليّ » وهو اسمٌ رمزيٌّ لا يلبث القارئ ان يفهم معناهُ

وغاية ما نتمنّى ان تحظى هذه الرواية قبولًا لدى القرّاء فتزيدهم حبًّا للاوطان وتمسُّكًا بالدين

بيروت في غرّة كانون الثاني سنة ١٩٠٣

الفصل الاول

مغارة الحمام

نحن في فصل الشتاء الّا انّ السماء بعد هُتونها مدّة ايّام متوالية راقت فصفا اديمها والشمس بعد سيرها في دائرة السماء صارت الى الأصيل وهي تنير باشعّتها الذهبيّة مراقي ملعب اغريبا الملك ·

وكان الاهلون اذ ذاك في حركةٍ ونشاط يجري كهولهم الى الحمّامات العموميّة بينما كان الشيوخ يدلفون الى الاروقة الفخيمة التي ابتناها اغريبا وراء المرسح

وكانت الحركة اشدّ واعظم في سوق اليهود فيزدحم الناس حول الباعة وهم في هياط ومياط ترى على ملامحهم سمة الروماني واليوناني والساميّ ولكلّ منهم لبسُهُ الخاصّ وعاداتهُ المألوفة لدى أسرتهِ . وكنت تسمع هذا ينادي المارّة وذاك يصرخ وغيرهُ يزجر الغريم وكلٌّ منهم يعرض للزّبون ما لديه من اصناف البضاعة وضروب الاقمشة مقسمًا باله الهيكل انّ سلعهُ من الجنس الفاخر وانّ اسعارها غاية في المهاودة وبخس الثمن

وكانت سوق اليهود على ربوةٍ تتحدَّر تحدُّرًا خفيفًا الى البحر وفي اعلاها عدّة بيوت حسنة البناء جميلة المنظر شيَّدها التجار لسكناهم وكانت بينها دارٌ فسيحة عالية الجدران ذات اطناف فوقها سطحٌ يكشف على انحاء البلدة تُعرف بدار الورود لكثرة ما كان ينبت فيها من اصناف الزهور ولا سيَّما الورد

نِعم الورد وحبَّذا حمرتهُ ورائحتهُ العطرة ! فانّ يهوديت ابنة صمويل ساكنة هذه الدار كانت مولعة بالورد تصرف صلب نهارها بتربية اصنافهِ التي كانت تُرى في بيتها في كل ادوار السنة

وكان صمويل ابوها اغنى اهل بيروت بالحرير ترى القوافل تأتيه بهِ من اقاصي الشرق بعد ان اهتمَّ في قطف فيالجهِ اهل الصين فحلّلوهُ ثمَّ نسجهُ اهل دمشق وصبغهُ اهل صور وصيداء . وكان صمويل يتاجر بهِ في عواصم الشرق والغرب وكان اهل رومية خصوصًا

يقبلون على اقتناء حريرهِ فيوسق بهِ عمّالهم سفنهم التجاريّة و يرسلونها الى امّ المدن وهم يدفعون فيها الاثمان الطيّبة حتى اضحى صمويل من المثرين المشار اليهم بالبنان لكثرة غناهم

امّا يهوديت فكانت في ذلك النهار غائصةً في بحر الافكار على وجهها امارات القلق والكدر كنتَ تراها جالسةً على مقعد في رواق دارها لا تبدي حراكاً كانها تُصغي الى صوت مياهٍ فوّارة تعلو في الهواء وتتناثر على شبه غلالةٍ منعكسةٍ الى حوضٍ من الرخام الملوّن العروق

فتُرى في اي شيء كانت يهوديت تسرّح افكارها ؟ أكانت تفكّر في ابيها الذي برح بيروت منذ ايّام ليحضر في اورشليم عيد الفصح وينهي فيها بعض اموره التجاريّة ؟ ولكن كانت اخبار البريد وردتها في صباح ذلك النهار فاعلمها ماريوس الساعي انّ اباها تامّ العافية وسلّمها صفيحةً يخبرها والدها في جملة كتابتهِ انهُ ابتاع لها عقدًا ثمينًا من اللآلئ المشعّة الكبيرة الحجم سوف يزين بهِ جيدها فيزيدها حسنًا على حُسن

كلاّ ليس فكرها عند والدها المتغيّب بل ولا عند اخيها يوسف الذي كان رحل ولهُ من العمر عشرون سنة الى بلاد اليونان فقرأ في اثينة على اساتذتها المشاهير فانجز دروسهُ واصاب قصبة السبق. وكان منذ ايّام قلائل خرج من اثينة ميمّمًا رومية العظمى مُبحرًا اليها على طريق الاسكندرية

وكانت يهوديت مع حبّها لاخيها لا تجد في حبّهِ ما يروي غليلها لانها كانت تجد يوسف يجدّ في تحصيل العلوم لا يكترث للذّات العيش ولافراح البيت على انهُ كان يعزّ اختهُ ويرى في صورتها آيةً من الجمال اراها الخالق للعالمين ليبهرهم بمحاسنها. وكان يوسف يكاتب اختهُ ويرسل لها القصائد الرنّانة في اوصاف خُلقها وخَلقها. وهو الامر الذي كان يحبّب اليها اخاها فترتاح الى كتاباتهِ وقراءة نظمهِ. وكانت قصيدتُهُ الاخيرة معنونةً « بدُرّة المشرق » وفدت عليها يوم امس اطنب اخوها في مدحها فاجاد ما امكن

غير انّ هذه المدائح مع تردّد صداها في قلب يهوديت لم تكن لتشغلها حينئذٍ وانّما كان فكرها يجول في غير ذلك

وكانت أَمتها الموكّلة بالساعة الرمليّة وافتها ثلاثًا لتعلمها بساعات الزمان دون

ان تبالي لقولها حتى صار اصيل النهار اعني الساعة العاشرة منهُ فكأنها افاقت من سكرتها لمَّا نبَّهتها الأَمَة وقامت مذعورة. لكنَّها ثابتْ الى نفسها بعد هنيهةٍ واستغربت ضحكاً اذ رأت بازائها عَبدتها وكان اسمها دوروتيـا وهي امرأة مسنّة مصريَّة الجنس قبيحة الصورة سوداء غليظـة الشفاه لابسة ثوبًا طويلًا من الخام الغليظ. وكانت اقتربت الى سيّدتها وهي في قلقٍ من امرها اذ رأتها ساكنة واجمة منذ ثلاث ساعات. فما لحظتها يهوديت حتى اضحكتها صورتُها ثمَّ سألتها: ما الامر ؟

قالت: على الباب صانعٌ ارسلهُ يعقوب ابن الربّي رئيس الكنيس ليتفقَّد اخبار صحّتكِ أَفأقول لهُ انكِ متوعكة المزاج ؟

— كلَّا بل بلغيهِ انكِ رأيتني في السَّجس والبلبال لأَنّي كنتُ افكّر فيهِ

— كيف ابلّغهُ هذا وهو اذا عَلِمَ بكدر خاطركِ ساءهُ الامر فما بالك تُحزنين هذا الشاب الرّيض الاخلاق وهو ابن رجلٍ اغنى من قارون يملك من المال القناطير المقنطرة التي يزيد ثقلها على ما يثقلهُ من وقر السنين

— إلزمي الصمت افيكون ابن يعقوب رشاكِ برشوةٍ ما لتدافعي عنـهُ امامي وتعطفي بقلبي اليهِ. فان كان ذلك لفعلتُ بكِ . . .

وما قالت هذا حتى رفعت يدها متهدّدة. امَّا الأَمَة فما سمعت كلام سيّدتها الفتيَّة السنّ حتى انسحبت من امامها صامتةً بعد ان قبَّلت ثوبها منحنيةً

— زِه زِه انَّ دوروتيا أَمتي ايضًا داخلة في المكيدة. فما هذا الَّا دليل على رغبة والدي في ان يُزوج بيني وبين هذا الشاب الدميم. يا للهِ هل رأى احد ديكًا مثلهُ في قبح صورتهِ تراهُ طويل الساقين معوجَّ القدّ مائل الشقّ مجتمع المنكبَين اصعـل الرأس افطس الانف فبحقّ حياتي لا اظنّ انهُ يوجد لهُ شبيه في الدمامة

قالت يهوديت هذا واخذت تقهقه لما ترآى لها في مخيَّلتهـا من مقابح يعقوب طالب الاقتران بها. فاعاد لها ضحكها فكاهة نفسها المألوفة بعد ان غلب عليها العبوس

ثم دخلت غرفتها مارَّةً امام وذيلةٍ (مرآة من المعدن) فنظرت الى صورتهـا فافترَّ ثغرها واصلحت ما اختلَّ من خُصَل شعرها الاشقر ثم تطالَت من نافذة حجرتها فرأَت في الجنينة عند باب الدار حارسها وهو في انتظـار لاوامر سيّدتهِ فدعتهُ وللحال لبَّى دعوتها مسرعًا

وكان الحارس المذكور رجلًا طويل القامة عريض الصدر كأنهُ جبَّار في عظمهِ يضرب شعرهُ الكثّ الى الصهبة وعلى شفتيهِ شاربان ضخمان يتدلّيان على جانبي شدقيه فيظنهُ الذي يراهُ علجًا من همج الناس. امَّا بياض وجههِ وشقرة شعرهِ فكانا يدلان على اصلهِ وانهُ من بلاد الجرمان

فدخل الرجل وانحنى مسلّمًا ثم انتصب دون حراك فقالت لهُ يهوديت:

هيَّا سلوانس اعدّ لي المِحفَّة فاني اريد ركوبها ولعلي اتأخر قبل الرجوع فمُرْ حَمَلة المشاعل بان يأتوا بعد المغرب فينتظروني على سِيف البحر عند الرمل

فانحنى الحارس الجرمانيّ وخرج ليمتثل اوامر سيّدتهِ

وكان سلوانس بِيع صغيرًا كعَبْد وربي في بيت صمويل وكبر وتعلم اللغتين الجاريتين في بيروت الآراميَّة واليونانيَّة فضلًا عن شيء من اللغة اللاتينيّة. وكان محبًّا لسادتهِ وهو لهم آمن من الكلب وكانت محبَّتهُ لسيّدتهِ يهوديت اعظم وارقّ لا يفارقها لحظة عين اذا خرج في خدمتها

وفي اثناء ذلك جلست الفتاة على كرسيّ تصطلي باشعَّة الشمس ريثما يهيّئ سلوانس الحداجة وامرت أَمَتَين يونانيَّتين كانت تعهد اليهما بلبسها أن تتولَّيا امر زيّها قبل ان تخرج ففعلتا والبستاها ملاءةً بيضاء كالثلج ثمَّ ذرَّتا على شعرها ذرورًا من سحيق الذهب وزينتاها بافخر حليّها. وكانت الفتاة في خلال ذلك ترى شخصها في المرآة لئلاً ينقصها شيء من اسباب الجمال صابرةً على ما يورثها ذلك من السأم والملل

وما انتهت من زينتها حتى قامت تخطر كبرًا وتميس زهوًا فاجتازت الدار وبلغت الرواق حيث كان عشرون عبدًا من الزنج في انتظارها ليحملوا محفَّتها. وكان هؤلاء متجعّدي الشعور مشتملين الشَّملات البيضاء يجعلون اطرافها على منكبهم الايسر وكانت في معاصمهم المعرَّاة اساور ودمالج من ذهب وفي ارجلهم شبه الخلاخل ليزيد بحسن ملابسهم رونق سيّدتهم

فلمَّا وصلت يهوديت قرَّب اليها الحاملون محفَّتهم فاجلسوها فيها واتَّكأت على مرافق من الارجوان ثمَّ مدَّت قهرمانتها الاستار من جهة الشمس واماطتها من الجانب الآخر ونظَّمت ثيابها وانحنت مودّعةً

— هيَّا الى مغارة الحمام

فلما سمع العبيد امرها حتى ساروا بها سيرًا لينًا ماشين المشي الموقَع المنظَّم وتوجهوا الى باب الجنوب . وكان يتقدَّم المحفَّة بعض الغلمان يُنحُّون القوم عن الطريق بقضبان من العاج فيتبعهم الزنوج وهم ينظرون الى الجمهور بعين ابيَّة

فنزل حملة المحفة سوق اليهود ثمَّ اداروا الظهر للمرسح سائرين مع الشمال وجهتهم الزقاق المعروف بالقويم حتى اذا ادركوا الباب الذي في اقصاه ينهجون الطريق اليممة صيداء . وكانت الساعة اذ ذاك نحو الحادية عشرة لم يبقَ لمغيب الشمس الَّا ساعة واحدة

وكانت يهوديت تحدّق من علوّ محفَّتها ذات اليمين وذات الشمال الى الباعة فتُسرّ بحركاتهم وتبسم لخزعبلاتهم وتنظر الى اصناف سِلَعهم . ومما كان يستجلب خاطرها مشهد قومٍ من النَّصابين والصعاليك الدجَّالين من اهل البادية يجرون الالعاب الغريبة والحِيَل العجيبة وكذلك شخصت ببصرها الى فئةٍ من غوغاء المصريين كانوا يدقّون الدفوف ويطبِّلون ويزمّرون استدرارًا لحسنات المحسنين . وكانت تسرّح ابصارها في اجناس المارَّة فلا تكاد تجد اثنين متشابهين في الهيئة والملامح والملابس اذ ترى مثالًا من كل امم الغرب والشرق معًا من اهل غالية وبريطانية واليونان والسرماتيين والحبش والنوبة والعرب وكانت تميّز بينهم مواليد الشام واهل جلدتها اليهود الذين تنوس على عارضيهم الغدائر . وكانت من وقت الى آخر ترى بعض الفرسان من ضبَّاط الرومان يركضون جيادهم في وسط القوم ويضربون بسياطهم من يعوقهم ويثبِّط سيرهم الحثيث . وربَّما سمعت السابلة يُثنون على حُسنها عند مرورها فيستفزُّها ثناؤهم ويطربها قولهم

وبعد برهةٍ من الزمان بلغ بيهوديت حاملوها الى باب المدينة فاحسَّت بنسمات الريح البحريَّة فنصبت صدرها لتتنسَّمها وتنظر الى الامواج المُلامسة لصخور الساحل وتعاين طيور البحر الجاثمة على سطح المياه

واخذ من ثمَّ الحملة بالاسراع سائرين في طريق لاحبة موثورة لا يُجاريهم في سيرهم غير اصحاب الثروة من رجالٍ ونساء في محفَّاتهم يحملهم العبيد مثل يهوديت . وكانت الآنسة تتبيَّن معارفها وتبتدر بعضهم بالسلام او تجيب على سلام صديقاتها باشارة خفيفة من رأسها او حركة من يدها

بيد ان نظر يهوديت كان في الغالب متحيّرًا كأنها تفتّش عن ضالّة او تتوقّع قدوم احدٍ. وكانت محفّات اعيان بيروت تتلاقى ذاهبةً آتيةً. ومن حين الى حين كان حمَلة المحفّات يميلون قليلًا الى جانبي الطريق ليَدَعوا جادّتها لقوافل الجمال الناقلة لغلاَّت حيفا وعكّة فترى سُفُن البرِّيَّة سائرة سيرًا مهيبًا مادّة اعناقها الى القوم يتقدّمها حمار صغير يقودها في سواء السبيل

وكانت يهوديت لا تُعير بالًا الى هذه المناظر اذ وجب قَلبُها واقشعرَّ بدنها وكأنها سمعت صوت فارسٍ يجري الخَبَب وهو آتٍ الى جهة بيروت فقالت في نفسها: أتُراهُ هو? فحدَّقت نظرها الى الامام وزاد اضطرابها واحمرَّ وجهها بحمرة قرمزيَّة فقالت: هو هو بعينهِ

وكان الفارس المقبل على جواده ضابطًا رومانيًا في مقتبل العمر حسن البزَّة جميل الهيئة. فعرف من بعيد المحفَّة وصاحبتها وضبط عنان فرسهِ فمرَّ رويدًا بقربها وسلَّم على الفتاة. امَّا يهوديت فانتعشت لدى نظره واصاب جسمَها كهزَّة الكهرباء فاجابت الى سلامهِ احسن جوابٍ ثمَّ استندت الى مرفقتها كاسرةً جفنها كأنَّ الحياء غضَّ بصرها. ولكن ما صار الفارس وراء المحفَّة حتى التفتت يهوديت لتشبع منهُ عينها فرأت الفارس هو ايضًا يحدج اليها بنظره حتى ابتعد كلاهما فتوادعا وارخى اذ ذاك الفارس العنان لفرسهِ فاخذ جوادُهُ يلتهم الارض عدوًا

امَّا يهوديت فلم تزل تتبعهُ بالنظر الى ان غاب عن عيانها. غير انهُ لم يغب عن جنانها فبقي قلبها يخفق مدَّة طويلة لا يمكنها ان تخمد لظاه وتسكن حركاتهِ

وما لبث الحمَلة ان وصلوا الى مغارة الحمام. فنزلت يهوديت من المحفَّة ومشت على الصخور التي بازاء المغارة ثم اخذت بعض حفنات من الشعير كان اتى بها احد الخدم في سلَّةٍ فبثَّتها حولها. واذا بالحمام صفَّق باجنحتهِ وتطاير من ابراجهِ الطبيعيَّة ثم هبط على الحبّ المنثور

وكانت يهوديت تنظر الى الطيور بعيَن حائرة لا تقرُّ لما حولها من المشاهد الجميلة لاسيَّما ان الشمس كانت وقتئذٍ تزلت الى الافق وهي على وشك ان تغوص في البحر وكانت اشعَّتها تنير لبنان وتجلّلهُ ببهاء يأخذ بالابصار الَّا انَّ قلب الفتاة لم يكن حيث كان جسمها استباهُ الفارس بسيره فذهب بهِ

وبعد ان قضت الابنة ساعة من الزمان رأت الليـل يمدّ عليها رواقهُ فاشارت الى حشمها انْ : اقفلوا راجعين الى المدينة . فركبت حداجتها وسار بها الحمَلة . وكان لبنان يظهر لها وقتئذٍ بمنظر مهيب تجلّل قمةُ الثلوج الغرّاء وتكسو جوانبهُ بقايا نور النهـار برونق جليل يأخذ بمجامع القلب . لكنْ فكر يهوديت كان يهذُ بالضابط الروماني الذي لقيتهُ في هذه الطريق مرّتين فاسر قلبها وهي لم تعرفهُ وبعد ان كان قلبها حتى ذاك اليوم بارداً جامداً لم تجد في الارض انيساً مذ فتكت يد المنيّة بوالدتها العزيزة

وعادت في المساء الى يهوديت بشاشتها المألوفة اذ تبدَّدت عنها غياهب الحزن التي كدّرت صباحها وتوارى عنها خيال يعقوب الممقوت . ولمّا اتى اليها العبد الصغير المدعو اوفوريون بطعام العشاء لاطفتهُ بالكلام ومكنتهُ من تقبيل يدها ثم امرت بان يُعطَى عبيدُها صحناً من الحلويات في سرب الدار حيث كانوا يقيمون

وبعد عشائها قامت الى حجرتهـا واطفأت المصباح الثمين الذي كان يضعُ بضوئهِ اللطيف فينير فراشها المصطنع من النحاس المذهَّب مع اثاث غرفتها ثم فتحت نافذةً كانت ترى منها السماء مرصَّعة بالكواكب فجلست عنـدها ترعى النجوم وتفـكّر في ما يُعدّ لها مستقبلُها وربّما جرت الرياح حيث لا تشتهي السفن

وكانت البلدة في تلك الليلة مزدانةً بالانوار لأن القيصر فسبسيان كان دخل رومية وتملّكها فانتشر الخبر في كلّ انحاء المملكة . امّا يهوديت فكانت تتنسّم اخباراً غير هذه فجعلت تبحث في كبد السماء عن نجمها الميمون المعروف باسمها لعلّهـا تقرأ في صفحاتهِ اللامعة سعدها المنتظر

قضت على تلك الحالة ساعةً حتى اكتحل جفنـاها بالنوم فرقدت ولم ترقد مخيّلتها التي مثلت لها في المنام ما رأتهُ في طريقها الى مغارة الحمام (ستأتي البقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

تاريخ سوريّة

بقلم السيد الجليل والعالم العامل المطران يوسف الدبس المارونيّ

الجلّد السادس (طُبع في المطبعة العمومية ١٩٠٢ . ص٦٦٣)

يتضمَّن هذا القسم من كتابٍ طالما أَشدْنا بفراندهِ تاريخ سوريَة منـذ اواخر

القرن الحادي عشر الى اوائل القرن السادس عشر. وقد وجدناهُ بعد تصفح طُرَفٍ منهُ انهُ كاخوتهِ السابقين في حسن سبكهِ وكثرة تفاصيلهِ وجودة عبارتهِ مع استطرادات عديدة الى غير تاريخ سوريَّة شرقًا وغربًا ما من شأنهِ ان يزيد الكتاب فائدةً وجدوى. ومما لا يسعنا الاضراب عنهُ ذكر سيادة المؤلف مجلّتنا المشرق بالخير واستشهادهُ باقاويلها فاوجب علينا شكرهُ انسأ الله في اجلهِ ونفع طائفتهُ الجليلة بل كل ابناء الوطن بغزارة علومهِ وامثال فضائلهِ فهو السميع المجيب

كتاب المنارة الطبيَّة في المداواة الاهليَّة

تأليف ميلاد جرجس منصور صالح صفير

(طُبع في مطبعة الارز سنة ١٩٠٢ص٤١٢)

احسن الدكتور النطاسي خير الله افنــدي فرج صفير احد المتخرجين في مكتبنا الطبي والمعاون سابقًا في المستشفى الفرنسيّ بنشر كتاب كان بقي لولا همَّتــهُ في زوايا النسيان وهو كتاب المنارة الطبيَّة في المداواة الاهليَّة صنَّفهُ احد اطباء لبنان المأسوف عليهِ ميلاد جرجس منصور صالح صفير العجلتونيّ تعجَّلتهُ المنيَّة فصدَّتهُ عن اتمامهِ. ولم يكتفِ خير الله افندي ان ينشر هذا الاثر المتضمّن لابحاث عديدة في الامراض الاهليَّة واسبابها واعراضها وعلاجها بل احبَّ ان يصدرهُ بفصول مفيدة عن مبادئ التشريح والفسيولوجية ويلحقهُ بموجز اقر باذينيّ يشمل اهمّ المواد الطبيَّة مع ذكر اخصّ العقاقير والتمييز بين ضارّها ونافعها فجاء الكتاب شافيًا وافيًا يندر وجود مثلهِ في اللغة العربية فاثاب الله المؤلف وجازى ناشر التأليف ومجلي محاسنهِ

الدرر السنيَّة

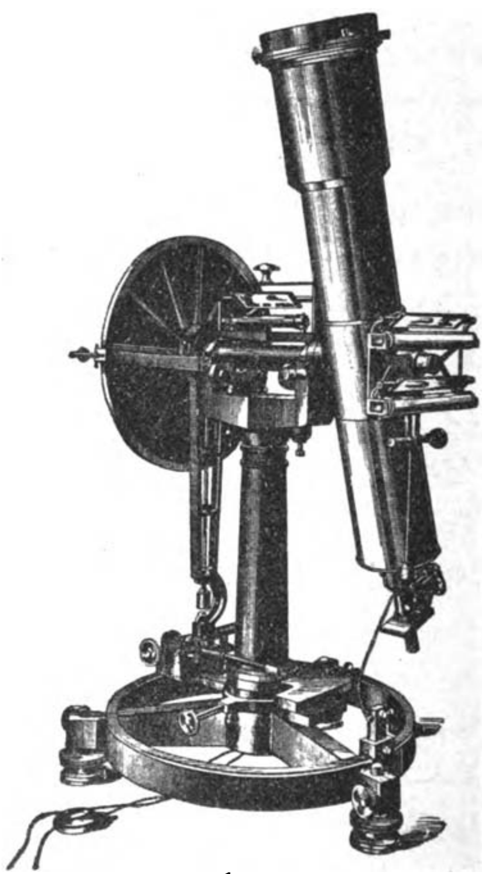
في واجبات ذوي الدرجات الكهنوتيَّة

للاب هارل الفرنسيّ. معرَّبة بقلم الخوري يوسف ديب (الجزء الاوَّل ١٩٠٢ ص ٢٦٦)

قد كثرت والحمد لله الكتب الموضوعة لتهذيب الاكليروس ووصف واجباتهِ منها في العربية فقط نحو عشرة تآليف مطبوعة في رومية والقدس الشريف وبيروت. وقد امتاز هذا الكتاب الجديد بكونهِ يتضمّن خلاصــة ما كتبهُ الآباء ومعلمو السيرة الروحية في الفرائض الكهنوتية كتعريف سموّ درجة الكهنوت والفضــائل التي تترتَّب على رجال الدين والصفات التي ينبغي لهم ان يتَّصفوا بهــا لتهذيب القريب

وارشاد النفوس الى غير ذلك مما لا غنى للاكليريكيين من مطالعتـهِ ودرسهِ ليكونوا السراج الوهّاج الموضوع على منارة الكنيسة · حقّق الله اماني المترجم بان يكون كتابهُ فاعلًا جديدًا لاحياء روح الله في قلوب وكلائهِ على الارض ل·ش

The Photochronograph and its applications
by J. G. Hagen, s. j., *Washington*, pp. 160
الفوتوكرونوغراف وخواصّهُ



صورة الفوتوكرونوغراف

للرهبانيَّة اليسوعية في جورجتَون مرصد يتولّى ادارتهُ احد مشاهير الفلكيين ممَّن لا يزيدهُ ثناؤنا مجدًا لعظم مقامهِ بين علماء الخافقين وهو الاب ي. هاغن الذي مرَّ ذكرهُ في المشرق (٥ : ٣٨٠) · وللاب المذكور مآثر متعدّدة فلكيَّة من جملتها الكتاب

الذي نحن في صددهِ وهو يتضمَّن وصف آلة بديعة اخترعهـا هذا العلامة مع بعض رصفائهِ من مرصد واشنغتن وغيره غايتها تدوين رصود فلكيَّة عديدة على طريقة ادقّ واكمل. وذلك انَّ النظارة الفلكية تجهَّز عادةً بجهاز من انسجة العنكبوت فاذا مرَّ النجم رأت العين صورة النسيج عليهِ عند مروره فتتأثَّر العين اوَّلًا بالنسيج ثم بصورة الكوكب وفي هذا التتابع خللٌ لا بدَّ من اصلاحهِ بعمليَّة تُدعى «بالتعـديل الشخصيّ» اعني بزيادة كمّية معلومة لضبط الحساب. وهو الخلل الذي سـدَّهُ الاب هاغن مع رصفائهِ المذكورين بوضع هذه الآلة الجديدة وهي تصوِّر النجم عند مروره امام آلة الرصد ولئلّا تكون هذه الصورة عبارة عن خطّ ابيض مستقيم يسهل احتجابهُ جُعل للآلة ساعةٌ فلكية تكشف بحركتها الكهربائيَّة الصفيحة الفوتوغرافيَّة كلَّ عُشرٍ من الثانيـة وتحجزها بحيث يُرى النجم المرصود في آخر العمليَّة على صُوَرٍ متعدّدة غاية في البهـاء يُجعل بين بعضها فروضٌ لتعريف الاوقات فيرجع الفلكيّ الى هذه الصفيحة ويستطلع بها احوال النجم في كل حركاتهِ. على ان هذه الصور صغيرة جدًّا لا تُرى الَّا بالمجهر. وهذه الآلة دُعيت فوتوكرونوغراف اي مدوّنة الزمان بالنور وصفها الاب هاغن في هذا الكتاب وبيّن خواصّها ومنافعها ليس فقط في رصد النجوم لكن ايضًا في تعريف أعراضها وهي تصلح لدرس السيَّارات واقمارها ولبيان قِران النجوم وغيابها. وممَّا صُوِّر بهذه الالة حلقة زُحَل ومناطق المشتري الاستوائيَّة. وفي الكتاب جداول عديدة وثماني صور فلكية بديعة من جملتها صورة الفوتوكرونوغراف الاب م. كولنجت

DIGORSKIYA SKAZANIYA
Mockba, 1902, pp. 148

طُرَف في لغة اهل ديغور

قد جمع الاستاذ ف. ملّر في هذا الكتاب مقاطيع عديدة منهـا روايات وقصص واغاني في لغة بعض اهل جبل قاف (Caucase) تُدعى اللغـة الأُسِتيَّة (ossète) يتكلم بها اهل ديغور وقد ترجم هذه الشذرات الى اللغة المسكوبية وعلّق عليهـا تعليقات قصيرة. وهذا التأليف يتمّم ما باشر فيهِ الاستاذ نفسهُ سابقًا فنشر من هذه اللغة منتخبات في سنة ١٨٨١ ثم مع مساعدة البارون دي ستاكلبرغ في سنة ١٨٩١. والمجموع الجديد حصل عليهِ الاستاذ ملّر بواسطة بعض ادباء ديغور فدوَّن ما سمعهُ منهم بحروف ابتدع صورتها قبلًا. ولعـلَّ القرَّاء يتعجبون من اهتمام رجلٍ شهيرٍ

كصاحب هذا التأليف بمثـل هذه المنشورات الّا انّ العلماء الاوربيين يرون ما وراء ذلك فوائد جمّة منها انّهم يتمكّنون بعد زمن من وضع كتاب يقابل بين لغات تلك الانحاء الشتّى فيوءدون للعلم بتعريف اصول اللغات خدماً جليلة كالخدم التي سبق اليها بروغمان (Brugmann) ولِسكيان (Leskien) بدرس الاغانيّ الليتوانيَّة التي ازالت الشبهات عن مسائل عديدة من فرع اللغات الهندواوربيَّة. فنشكر اذًا الاستاذ ملّر على صُنعهِ ونتمنّى ان ينهج غيرهُ طريقتهُ في جمع شتات اللغات الغريبة التي يعرفونها علّهم يفيدون اخلافهم وينجّون من التّلَف ما لعلّهُ يضيع لولا عنايتهم   الاب ب. بترس

شذرات

معادن البورق في سلطان تشاير ذكرنا في مقالتنـا «المناجم المعدنيَّة في الدولة العلية» (المشرق ٥ : ٧٧٥) اكتشاف معادن البورق في سلطان تشاير في سنجق كرامي وما يُنال منها من الارباح العظيمة. وقد افادتنا آخرًا المجلّات العلمية ان الشركة الانكليزيَّة التي نالت الامتياز لاستثمارها قد وسَّعت منذ زمن قريب نطاق اشغالها فتعدّن اليوم اكثر من مئتي هكتار ملك. ولها رأس مال يبلغ ٦٠ مليون فرنك واستخرجت ٩٠٠٠ طن من المعدن بسعر ٢١ فرنك و ٧٥ س في الطنّ يُباع اكثرها في روان ولفرپول ومرسيلية وهمبورغ وبطرسبورغ وتريستة. والبورق يوجد في التربة بين خليط من الجصّ والحُمَر ويكون قِطعًا على شكل كَلَويّ او على شكل سنّ الفيـل ويُرى ممزوجًا بالمغنيسيا (borate de magnésie) والبورق يستعمل في الطب بصفة حامض البورق وهو ينفع في امراض كثيرة

الطوابع البارومترّية انَّ المحطـة المركزيّة لبريد واشنطون اخذت منذ بضعة اسابيع تُفيد اهل البلد باحوال الزمان يوميًّا وذلك انَّها اذا وسمت الطوابع التي على غلافات المكاتيب تطبع ايضًا عليها كلَّ الاعلامات الجويَّة التي تُرصد في مرصد المدينة بحيث يطّلع عليها بعد قليل كل اهل المدينة

اسرع المراكب التجاريَّة في العالم السبق فيها لانكلترة فانَّ لها اربعة مراكب: كونوت (Connaught) ولَينستر (Leinster) ومُنستر (Munster) واولستر (Ulster) تقطع في الساعة ٢٣ عقدة وخُمس العقدة ثمَّ يليها مركبان المانيَّان

« دوتشلند وكون پرنس ولهلم » فيقطعان ٢٣ عقدة ثم ثلاثة مراكب انكليزيان « كَمپانيا ولوكانيا » فالمانيّ « قيصر غيليوم الكبير » ثم خمسة مراكب فرنسويّة: اللوران (la Loraine) والساڤوا (la Savoie) من شركة ترنسلَنْتيك والمنش والتاميز وفرنس. امّا مراكب النزهة (yachts) فالسبق فيها لمركب اميركيّ نجز منذ شهرين في نيويرك. يُدعى سهماً (Arrow) طولهُ نحو ٣٣ متراً في عرض ٣ امتار و٨٠ س يقطع في الساعة ٧٢ كيلو متراً ونصف. وهي سرعة غريبة تعادل سرعة السكك الحديديّة الخفيفة السير

اصطدام منطادين — من غرائب الصُدَف انّ في ٧ تشرين الاوّل التقى في الظلمة منطادان كان احدهما متوقلاً الى اعلى الجوّ والآخر نازلاً الى الحضيض فاصطدما في علوّ ٣٨٠٠ متر فوق باريس الّا انّ اصحابها نجوا بعون الله ولم يصب منهم غير عاملٍ واحد فُتّت بعضده

اسئلة واجوبة

س سُئلنا عن الايات الآتية التي وردت في الجزء الحادي والعشرين من الاغاني (في الصفحة ١٩٠) وهي ليهس الذي يُضرب فيهِ المثل بالتحامُق فمن ايّ بحر هي وكيف تقطيعها:

يا لها نفساً يا لها إنَّـــني لها الطعمُ والسلامَهْ
قد قتل القومُ إخوَتها بكل وادٍ زُناه هامهْ
فلأطرقَنْ قوماً وهُمْ نيامْ وابركَنْ بركةَ النعامهْ
قابض رجلٍ باسط أُخرى والسيف أُقدِّمــهُ امامهْ

ج نجيب على هذا السؤال في عددٍ قادم ما لم يُجبْ احد قرّائنا ان يتكرّم بالجواب عنّا

س وسُئلنا لماذا كتبنا باعدادنا السابقة اسم « اسوان » بالسين وقد ورد في الجرائد والمجلّات بالصاد اسم اسوان

ج راجعنا كلّ كتب جغرافيّي العرب فلم نجـد منهم واحداً يكتب « اسوان » بالصاد ففضّلنا الانتساء بهم

س وسئلنا كيف نظمنا الشاعر الجاهليّ المهلهل في عداد الشعراء النصارى وهو يُقسم بالانصاب والانصاب ما يُعبد من دون الله الانصاب وعبادتها

ج نجيب انّ ذكر الانصاب في شعر شعراء الجاهليّة لا يدلّ وحدهُ على وثنيّتهم والامثال في ذلك كثيرة. نكتفي بذكر عبد المسيح بن جرير المعروف بالمتلمّس وعدي ابن زيد اللذين لم يشك احد في نصرانيّتهما وقد ذكر كلاهما الانصاب ل. ش

المشرق

اصل الدين فلسفيًّا

لحضرة الاب الخوري بطرس مبارك مدير الدروس في مدرسة الحكمة العامرة

خطابٌ القاهُ في غرفة القراءة

اذا سرَّحنا رائد الطَّرْف في العالم كلهِ وطالعنا اخبار المتجوّلين في جميع انحاء الارض وبين الشعوب المختلفة نرى جامعًا واحدًا يجمع الشعوب الحاضرة على اختلاف طبقاتها ولغاتها وعاداتها اعني بذلك الاقرار والاعتراف بوجود عالم حقيقي غير منظور اسمى من العالم الذي نحن فيهِ وبوجود علاقة متبادلة بين هذين العالمين

ثمَّ اذا تصفَّحنا تواريخ الامم السالفة التي وطئت الارض قبلنا ثمَّ حصدتها يد المنون على الطريق التي نحن سالكوها لرأينا ان ذلك الجامع عينهُ كان يجمع اجدادنا كما يجمعنا نحن ايضًا

حقيقةٌ واحدة اتَّفق ويتَّفق فيها البدو والحضَر الهمَج والمتمدّنون الفلاسفة والاميون وفي الجملة فاذا أصَخنا سمعًا الى دوي الاعصر القديمة والحاضرة نسمع اصواتًا تتصاعد من كل جهة صوتًا من المشرق صوتًا من المغرب صوتًا من الشمال والتيمن وهذه الاصوات تلتئم جميعها وتنضمّ بصدًى واحد وهو وجود الدين في كل آنٍ واين حتى لا تكاد توجد مدينة او قرية الَّا وُجد ويوجد فيها معبدٌ هو شاهد عياني على وجود الدين فيها

وذلك حادث عياني ينادي بهِ ارباب الاديان على اختلاف مذاهبهم ويقرّ بهِ

العقليون ولا يستطيع الماديون والطبيعيون الى انكارهِ سبيلًا

هلمَّ بنا ايها الكرام نبحث بحثًا مدققًا عن السبب الذي دفع العالم باسره الى الى ان يدينوا بدين . وعن العلّة الكافية لهذا الاتفاق الغريب على حقيقة ذات اهمية كبرى نظير الدين الذي عليهِ تدور رحى اهمّ اعمالنا وعنده محطّ آمالنا

اعلم ان للجواب عن سبب هذا الاتفاق طريقتين: الاولى تاريخية وضعيَّة ومآلها ان الله سبحانهُ اعطى الانسان الاول مع الوجود معرفة وجود عالم غير منظور واوحى اليهِ اخصّ حقائق تعلقهِ بهذا العالم غير المحسوس فتأصل هذا الاعتقاد في الانسان الاول وبواسطتهِ انتقل بالتقليد الى افراد ذريّتهِ وهكذا الى جميع امم العالم المختلفة

فهذه الطريقة وان صحيحة المبدإ والنتيجة ليست التي اسلكُها في خطابي بل توخَّيت الطريقة الثانية الفلسفية ومآلها على فرض عدم وجود الوحي فهل كان في وسع الانسان على ما هو عليهِ من الادراك والارادة الحرَّة والنوازع الطبيعية الصحيحة ان يتّصل الى معرفة وجود مقرّ هناء ورغد فوق هذه الارض وادي البكاء والشقاء ووجود سلّم تصل هذه بتلك ؟ فاجيب نعم . والنتيجة تكون لا بدّ لراحة العقل من الدين كما انهُ لا بُدّ لتسكين الجوع من الطعام . ولقد سلكتُ في بحثي هذا مسلك لابلاس العالم الفلكي الشهير عندما اراد ان يبيّن من حالة الارض الحاضرة ما امكن ان تكون عليهِ منذ البدء قبل ان تخرج من جوفها الجبال الشامخة وتكتسي بالازهار النضرة والاشجار الخضرة وعلى الله الاتكال (١

ولقائل ان يقول لسنا الآن في الكنيسة حتى نسمع خطابًا عن الدين . فاجيب: ايا تُرى هل وُضع الدين لينحصر ضمن جدران الكنيسة ؟ ومع ذلك ليس تجود يدٌ الَّا بما تجد هذه بضاعتنا فان راقت في اعينكم فلكم ولنا والَّا فلنا وحدنا

١

اذا امعنّا النظر في حالة الانسان الحاضرة نراه دائمًا قلقًا لا تستقرّ لهُ حال ولا يهدأ لهُ بال ما بقي على ظهر الارض حيًا . وكما ان الامواج المتعدّدة والارواح المختلفة تتلاعب بالمركب الصغير على سطح البحر ولا تدع ان يقرّ لهُ قرار كذلك الاشغال المتنوعة والعلائق المتعددة مع ما يتصل بامور المعيشة تتنازع حياة الانسان من جهة

١) وكنتُ اود ان ابسط القول في اجزاء هذا الخطاب لكنَّ ضيق المقام يحول دون المرام

ومن جهةٍ أُخرى تتلاعب فيها ارياح الانفعالات والعواطف النفسانيَّة فتارةً يجذبهُ الحب وأُخرى يبعده ُ البغض. اليوم تفرحهُ الآمال وغدًا يحزنهُ اليأس. وبالاجمال نرى الانسان من المهد الى اللحد تتقاسم اوقاتهُ وتستغرق ساعات حيــاته حربان حربٌ من الداخل وحربٌ من الخارج. ومجموع هذه العوامل الداخلية والخارجية يدعوها العلماء العـالم الاختباري. لان هذا المجموع موضع اختبار الانسان وموكولٌ لخدمتــهِ ادبيًا ومادياً فيسرح فيهِ المرء ويمرح على الرحب والسعة. على ان هذا العالم الاختباري مع اتساعهِ واختلاف مواضيعه يضيق بالانسان فلا يملأ فراغ قلبه ولا يشبع امياله بل تراه غالباً يلتفت يُمنةً ويسرةً كأَنَّ لهُ وراء هذا العالم اغراضًا شتَّى لا يجدها فيهِ ومثَله مثـل العصفور المسجون في القفص. نعم يجد هناك مأْكلهُ ومشربه مهيَّئًا امامه ولكن تعوزهُ الحريَة التي بدونها لا يهنأ لهُ عيش البتة. يتقلَّب الانسان في خيرات هذا العـالم ولكن رعاك الله تغلغلْ الى غَوْر قلبهِ تجد هناك فراغًا عظيماً لا تملأْهُ خيرات الدنيـا باسرها ولهذا تسمو مقاصده الى العُلى ويطلب راحته من السماء. فلو فُرض المحال ايهـا الكرام ولقي الانسان على الارض ما يملأ وهدة قلبه الواسعة ويشبع شهواتهِ كلها ويملّكهُ الراحة في هذه الحياة الدنيا لما وُجد الدين في الدنيا بتةً وما رفع الانسان نظرهُ نحو العلى وما كنتم ترون هذه الهياكل المرتفعة ولا هذه المعابد المزيَّنة واَيانَ توصل الانسان بواسطة اكتشافاته وتقدمهِ في المعـارف والفنون الى ان يخرج من بواطن الارض ما يكفيه موءْنةً لسدّ عوزهِ المادي والادبي ولإشباع عقله وقلبهِ فذلك اليوم يكون اعظم يوم في تاريخ البشريَّة و يبقى ذكرهُ مثل اهرام مصر على ممرّ الأيام والدهور لانهُ يكون الحدّ الفاصل بين الانسان والدين. في ذلك اليوم العظيم يطرق الانسان ولا يعود يرفع طرفه نحو العلى فتدقّ اجراس الحزن على وفاة الدين في اربعة اقطار المسكونة ويدفن الانسان كلَّ دين وكل علاقة مع الله تحت انقاض المعابد كلها. ولكن تشجَّعوا ولا تضطرب قلوبكم ايهـا الكرام لان ذلك اليوم الذي فيهِ يجد ابن آدم على الارض ما يجيب على سوءالات عقلهِ ومطاليب قلبــهِ الذي فيهِ تشبع شهواتهُ من خيرات الارض كما يشبع البهيم من اعشاب الفلا ويذهب فينام خالي البال ناعمه ما بزغ ولن يبزغ فجرهُ على بني البشر ما خفق قلبٌ وجال فكر

دعوا الملحدين والعقليين والماديين يترجَّون المحال دعوهم في غيّهم يعمهون ويماقون

آمالهم بحبال من عنكبوت دعوهم يركضون وراء أخيلتهم واذا سمعتم يوماً ان شمس ذلك النهار اخذت ترسل اشعّتها الى العالم من فوق قمم الجبـال فلا تصدّقوا بل قولوا لنفوسكم ان هؤلاء يسعدون بالحلم ويرضون من الحقيقة بالباطـل ومن الماء العذب بالسراب. ولماذا شمس ذلك اليوم لن تشرق ابداً. اولًا : لان العقل يطلب جواباً صريحاً من العالم الاختباري عن ثلاثة اسئلة تقف في وجهـهِ في كل آن ومكان كلّما اختلى بنفسهِ كانها اشباحٌ مخيفة ولا يجد لها جواباً مقنعاً ألا وهي: من اين اتيتُ والى اين اذهب وما هي الطريق التي يجب ان اسلكها كي احصـل على غايتي. فهذه الاسئلة تنهش عقل الانسان نهش الذئاب الجائعة وتسلب راحتهُ. وثانياً : لان القلب يطلب السعادة الكاملة ولا يجد في عالم الكون سوى اشياء باطلة كاذبة واليكم بيان ذلك مرتباً مفصلًا

(السؤال الاوّل) من اين اتيت ؟ سؤال مهمّ مقلق

اما أنهُ (سؤال مهمّ) فلأنّا نرى الناس يبذلون قصارى الجهد في سبيل انتسابهم الى اجداد شرفاء قد عُرف لهم مجد البأس او مجد العلم او مجد الرتب العالية ويحتفظون بكل اثر يؤيد شرف اصلهم وكرامة محتدهم ويفتخرون بذلك على من سواهم. وما ذلك سوى نتيجة علمهم ان سموَّ الغاية مترتّب على شرف الاصل. ألا ترى ان المعادن الكريمة كالالماس والزمرد تزيّن تيجان الملوك ولا يُتّخذ الخسيس منها كالحديد والنحاس الّا للاعمال المبتذلة ؟

امّا انهُ (سؤال مقلق) الخواطر يتبع الانسان العاقل اينما حلّ وحيثما توجّه عالماً كان او جاهلًا. فلأنَّ الانسان لا يرى حولهُ سوى علل ومعلولات فلا مسبّب بلا سبب ولا معلول بلا علّة. يرى لمعان البرق يعقبهُ قصيف الرعد والمطر ينشأ عن تلبُّد الغيوم فلا دخان بلا نار ولا حركة بلا محرّك ولا ابن بلا اب ولا محبوب بلا محبّ ولا حصاد بلا زرع وعلى هذا النمط ينتقل الانسان مدفوعاً بقوة المقايسة وبالميل الغريزي الذي يدفعهُ طبعاً الى البحث عن العلّة عند ما يرى المعلول. الى ان يستفتي نفسه قائلًا : وانا اشرف المخلوقات الارضية القابض على زمام منافعها تُرى من اين اتيت. فلا يرى مجيباً وحينئذٍ يضطرب عقلهُ ويقلق باله من هذا السكوت الرائع بالنظر اليهِ وحدهُ. يسأل الرياح الاربع يسأل الكواكب والنجوم يسأل شرائع الكون المادية والادبية فلا يجد مجيباً على سؤالهِ. نعم

انّا نأتي من حيث لا ندري ومن العبث والخطإ ان نطلب الجواب من نواميس التناسل . فهذه وان اجابت عن بعض ما نرغب الجواب عنهُ فانها تقصر عندما تصل الى الحلقة الاخيرة من هذه السلسلة . لانهُ اذا توصلنا بواسطة التاريخ والتناسل الى ان نصعد الى ابوينا الاولين فالمسألة نفسها ترجع بقوةٍ اعظم . من اين اتى ابوانا الاولان ؟ هنا تقف معارفنا الاكيدة . هنا ينقطع حبل مداركنا ويستولي على بصيرتنا الطبيعية ظلام حالك فنبتدئ نخبط خبط العشواء

وكفاك شاهدًا على ما يأخذ العقل من الارتباك لِما يرى من المذاهب في حلّ هذا المشكل . ومتى تضاربت اقوال الاطباء في شأن المريض فذلك دليلٌ على ان المرض عُضال وحياة العليل في خطر . واما تلك المذاهب فليس من وراء عدِّها الّا اضاعة الوقت على غير طائل . ومن الآراء القائلة ادّعاء جماعة من العلماء ان اصل الانسان من كمالٍ حدث في الطَّبيعة على ممرّ السنين والدهور او هو حدثٌ اوجدهُ الاتفاق . اذ كل ذلك ينبذهُ العقل فلو كان في وُسع سنَّة الارتقاء العمياء ان تكون علّةً لمعلول كهذا عجيب في دقة تركيبهِ الطبيعي وكامل في صفاتهِ الادبية نظير الانسان لَعبدتُها واتخذتُها لي الهًا . ولو صحّ انّ الاتفاق الّف اعضاء الانسان ونظمها ونمّ باسراره الى الدماغ البشري فجاء على ما هو عليهِ من احكام الترتيب مع تعدُّد الاعمال المتباينة لسجدتُ لهُ وقلت لهُ : ايها الرب ربنا ما اعجب اسمك . ولكن هيهات ان يصحّ المنام فهل يخرج من العوسج تين او من الشوك عنب ؟ فمن اين لسنَّةٍ عمياء ان توجد الانسان صاحب البصيرة الوقّادة والفكر الثاقب . ومن اين لعدم النظام ان يكون علّةً لمثال النظام وانموذج الترتيب

وفضلًا عن ذلكَ فان الانسان كائن مؤلف من نفس وجسد واذا كان العلم والعالم يعجزان عن بيان اصل الجسد على ما تقدَّم فهما عن بيان اصل النفس الروحية اعجز . اذ من البديهي ان لا يملك الّا المالك فمن لا يملك عشرة غروش فكيف يستطيع ان يُعطي الفًا ومن ثم يبقى سؤال الانسان عن اصله بلا جواب شافٍ . وكيف يستريح الانسان والحالة هذه واصعب حالات النفس احتمالًا حالة التردُّد والريب . وكيف ينام خلي البال من يهجس اناء الليل واطراف النهار في البحث عن اصول الاشياء التي حوله . كيف يسكن ضميره وهو الذي يتوسَّد الكتب ليطلع على اخبار السلف ويقتحم اخطار

السفر ليعلم ما في القطب وهلمَّ جرًّا. ألعلَّ هذه الاشياء اهمّ عنـدهُ من نفسهِ ؟ فلا غرو اذن ان بقي الانسان قلقًا مهما تكاثرت عليهِ الاموال وتلونت الملذات

(السؤَال الثاني) من اين اتيت لا ادري فهل اعلم الى اين اذهب. ان المسافر يسأل اولًا الى اين يذهب كي يسير نحو الغرض لئلا يطيل السير باطلًا وتفوتهُ الغاية هكذا الانسان المسافر على وجه الارض يسـأل العلوم المختلفة يسأل النجوم السيَّارة والجبال الراسخة والابحر الواسعة الى اين اذهب الى اين اذهب. وما من مجيب. نعم ايها الكرام حسب ظواهر الامر نذهب جميعًا الى اللحد وكما ان المياه المتساقطة على الجبال تنحدر طبعًا الى البحر حيث لا تعود تُعرف هكذا نحن فان قوَّةً لا تُردّ ولا تُدفع تجرُّنا قسرًا الى القـبر هناك تتساوى الاحوال وتنتهي الآمال هناك ينحلّ جسدنا هذا و يرجع كل عنصر منهُ الى اصلهِ. ولكن ما عساهُ يلمُّ بالنفس التي تفوق كلَّ ما هو تحت الشمس شرفًا وجمالًا وبهاء. هل تموت مع الجسـد ؟ وما عساه يحل بالنور الطبيعي نور العقـل الذي يضيءُ امامنا كمصباحٍ نيّرٍ في طريق هذه الحياة المظلمة ؟ والى اين منتهى ذاك الفكر الثاقب الذي يسابق البرق ويفوق النسيم رقةً واعتدالًا ؟ وهل يضمحلّ ذلك البحر العجَّاج بحر العواطف الداخلية والآلام النفسانيـة التي نشعر بها طيَّ الضلوع ؟ سَلوا الجثَّة عن النفس. سَلوا النفس بعد انفصالها من الجسد. اسألوا علماء الطبيعة . اسـألوا الفلاسفة. هل نموت كلنا وهل ميتة واحدة للانسان والبهيم ؟ وهل من حياة بعد الموت فالجواب بعد البحث ينحصر في هذه الكلمة : لا نعلم العلم الشافي. وعليهِ فان هذا السؤال « الى اين اذهب » يبقى دائمًا نصب عيني وينخر فؤَادي كما ينخر السوس اصول الشجر

على انهُ وان سكت العلم والعالم عن تبيان حالة النفس بعد الموت فالسكوت عن الجواب ليس دليلًا على العدم اذ كم وكم من القوى الطبيعية بقيت ساكتةً مدفونة في اجرام الارض حتى اتت يدٌ حاذقة فاخرجتها الى العيان ؟ فدونكم الكهربائية مثلًا التي تصنع العجائب في ايامنا أما بقيت مطمورةً في الاجرام الارضية حتى اخرجها منها كُلفاني وڤُلتا. فالسكوت اذًا ليس هو العدم. ولهذا قال شاتوبريان: الدين زهرةٌ منبتها القبر وليس للقبر معنًى بدون الدين

(السؤَال الثالث) من اين اتيت لا ادري الى اين اذهب لا اعلم فهل لي من نور

ينير قدميَّ كي لا اعثر في طريق هذه الحياة ؟ وهل من مرشدٍ يهديني الى الصراط المستقيم متى اعتسفتُ عنهُ ؟ نعم يوجد نورٌ وهو الضمير (وهنا اختصر الكلام تفاديًا من الملل) وكلٌّ يرى ضوءهُ داخل جنانه ويقرأ من خلالهِ هذه الكلمات : لا تقتل لا تزنِ لا تسرق حِدْ عن الشر واصنع الخير . ولنا دليلٌ عليهِ لا يُرَدّ وهو ان كل من قصد عمل الشر فانهُ يتطلب الظلمة والخفاء . وعُمَّال الخير يطلبون النور . النسر والباز علكان الجو مدة النهار واماَّ البوم والخفَّاش فسلطانهما في الليل . الايل والحمل يرتعان في المروج الخصبة بعين الشمس واماَّ الذئب والضبع فيسطوان تحت جنح الليل

على اننا ايها الكرام . وان كنَّا نشعر بوخز الضمير وصوته يدوي غالبًا في اعماق قلوبنا فمع ذلك لا ندري من اين يأتي ذلك الصوت ومن هو الصارخ وهذه الشريعة الطبيعيَّة من سنَّها علينا ومن ينتقم لها او يجازي عنها ان خيرًا فخيرًا وان شرًّا فشرًّا اهو موجود في هذا العالم ام في عالم آخر لا نعلم . نعم قد ظنَّ العجم ان ذلك القاضي العادل هو « مِترا » اي الشمس لانها ترى بعينها العظيمة كل ما يحدث على الارض . اما الهنود فزعموا انَّ ڤاروتا اي الجوّ هو المنتقم لصراخ الضمير . والماديُّون اختصروا الامر بانكار مهماز الضمير وبالنتيجة وجود قاضٍ لهُ . غير ان كل ذلك قد سقط اليوم امام العلم الحاضر . رأيتم كيف ان العلم والعالم الاختباري يعجزان عن الجواب على اسئلة العقل فلننظرنَّ الآن اذا كان في وسعهما ان يجيبا على مطالب القلب البشري لكن « تجري الرياح بما لا تشتهي السفن »

لا يندّ عنكم ان ليس من شيء . وان خطيرًا يلهي خواطر الانسان عن التفكر الدائم بالسعادة ولا من نوازل وان تعاظمت . ولا من مصائب وان تلوَّنت تثبّط الانسان عن انتجاع مناجع الآمال وتعليل النفس ابدًا بحياة اهنأ واسمى من هذه الحياة الدنيا اليها يكون مرجع اعمالهِ ومنتهى آمالهِ ما زال حيًّا على وجه الارض سواء كان عالمًا او جاهلًا غنيًّا او فقيرًا . ولهذا ترون الانسان يتهافت على خيرات الدنيا تهافت الفراش على الشهاب ظنًّا منهُ انهُ يسدّ بها جوعهُ ويروي عطشه او يجد فيها ما ترتاح اليهِ نفسه لكنهُ وا اسفاه يرجع دائمًا بصفقةٍ خاسرة . وممَّا يقضي على كل عاقل بالعجب العجاب انهُ كلّما ازداد المرء انقيادًا لنفسه وتطوّح في ملذات الارض وكسب المال وتحصيل الشرف والسعي وراء الشهوات ازداد شوقًا عظيمًا الى السعاده ورغبةً في

طلبها. ان الاسد يتربّص في عرينهِ راصداً فريستهُ حتى اذا ما هصرها وحصّل طعامهُ سكن جأشه وبات خلياً مستريحاً امّا الانسان فانهُ يترامى على الملذات كالايل الظمآن الى المياه العذبة فيشرب كؤوسها حتى آخر نقطة ومع ذلك فلا يروي غليلهُ بل يزداد عطشاً وشوقاً الى السعادة فهو اشبه شيء بالنار التي تزداد سعيراً كلّما ازدادت وقوداً وقصارى القول نرى الانسان من ابتداء حياتهِ الى نهايتها لا يألو جهداً من السعي وراء خير لا يدركهُ

انظروا البشر يَفرون اديم الارض ناشدين السعادة منذ ثمانين قرناً. فسَلوهم علّهم وجدوها. اسألوا الاموات حيث السرو شامخ برأسـهِ نحو العلى من فوق مقابر تضمّنت مخفخة الانسان اسألوا الاحياء كباراً وصغاراً اغنياء وفقراء علماء وجهالاً اسألوهم علّهم وجدوا ما تشتاق اليهِ قلوبهم. فمن المقابر والقصور من المدن والقرى من السماء والارض يرنُّ في اذانكم صوت ذلك الملك الذي قال عن نفسه: «كلُّ ما ابتغتهُ عيناي لم ادعهُ يفوتها ولا منعتُ قلبي من شيء. باطلة الاباطيل وكل شيء باطل» وفضلاً عن ذلك فان الخيرات العالمية كاذبة تغشي بصرنا ببهرجتها الخارجية فنظن ان السعادة بالمجد او بالمال او بالملذات وعندما يبيّن لنا انّا قبضنا عليها نرى انّا كالقابضين على الهواء نفتح الكف فلا نجد شيئاً نسعد بالحلم ونحزن عند اليقظة ونحن كما نحن مائتون معذَّبون

٢

هذه حالة الانسان ادركها العقل من اول وهلة ولم يتوصل الى حلّ عقدتها ومعرفة اسبابها فحار في امره وهتف نظير فولتير وهو على فُراش الموت: «النور النور» ولكن من اين النور بين قرائر الموت والشقاء. واصبح كمن اصابتهُ حمّى شديدة يتململ على فراشهِ ويتقلب ظهراً لبطن علّهُ يجد ما يطفئ احتراقه فلا يجد الى ذلك سبيلاً فصاح من اعماق قلبه مخاطباً كل ما حولهُ نظير فيلوكتتات لمّا شكا امره الى الصخور المتـاوحة لهُ في جزيرتهِ: أعدلٌ ان اكون انا وحدي عرضةً للعذاب والآلام والموت. اعـدلٌ ان ملحمة العالم يكون اقل حظّاً من طير السماء وذئب الغاب. اعدلٌ ان البعوضة الصغيرة ودودة الصخر الحقيرة تجدان قوتهما وراحتهما والانسان مالك العـالم قلق كريشة في مهبّ الريح تتنازعهُ عوامل الكدر فلا تُبقي عليهِ ولا تذر. وانتِ ايتها الطبيعة يا من اظهرتِ ذاتكِ امّا حنونة لجميع المخلوقات صنعتِ العصفور للطـيران فكوّنتِ لهُ

جناحين وابحتِ لهُ الجوّ مجالًا. اعطيتِ ارز لبنان العالي صلابةً تسخر بقوة العواصف العظيمة واوليت زنبق الوادي صلابةً ولينًا لمقاومة النسيم الساري فلماذا انت بخستِ حقَّ الانسان وحدهُ. خلقتِ لهُ عقلًا ثاقبًا وتركتهِ يهيم في وادي الضلال لا يعلم من اين اتى والى اين يذهب. اعطيتهِ قلبًا شعورًا اوسع من الخيرات الدنيوية فامسى كالعصفور الوحيد على الاشجار يفتش عمّا يعوزه فلا يجد. اوَّاه ايها الكرام كم هو مؤثّر دوي وصراخ اولئك الفلاسفة الذين لم يرضوا سوى الاختبار هاديًا. وكم هي محزنة زفرات قلوب اولئك الشعراء الذين لم يعرفوا في غير خيرات الارض سعادةً. وكنت اودُّ ان لا أُسمعكم منها شيئًا لولا ضرورتها لكمال موضوع كلامي

قال جوفروا الفيلسوف الفرنساوي بعد ان نبذ الدين ظهريًا: « من اين يأتي السلام اذا كان لا يعلم الانسان من اين اتى والى اين يذهب. وكيف يهنأُ العيش متى كان كل ما هو حولنا اسرارًا والغازًا. فمن طلب السلام وهو يجهل اين مسيره فلقد طلب المحال »

وقال مان دي بيران بعد ان ذاق مرارة الكفر: « انما اعظم احسان الدين للبشر انقاذُهم من حالة الريب التي هي سمٌّ زعاف للمعيشة وآفة اخترعها العقل لعذابهِ ». والشاعر جورج فارسي اعترف علنًا « انهُ نهك قواه واراق ماء حياتهِ منذ استأصل من قلبهِ عاطفتي الايمان والمحبة ». وادمون شِرِّر الشاعر الالماني قال لاحد اصحابهِ: « ان الكفر قلَّل عدد الخالصين الى السماء ولكنهُ كثَّر عدد الحزانى والاشقياء على الارض لان الدين هو طبيعيٌّ للانسان ». وغير هؤلاء كثيرون من فلاسفة وشعراء وكتبة الاعصر الخوالي قد افصحوا عن ارتباك العقل واضطرابهِ ما دام بعيدًا عن الدين. فقم ايها العقل وقف عند شاطئ بحر هذا العالم وانعم النظر فيهِ علَّك تجد وراءه ضالَّتك. فينقشع ظلام الجهل وتتبدد عن سمائك غيوم الكآبة

ان كريستوف كولومب صاحب العلم الراسخ والفضيلة السامية والفضل العميم لمَّا انتج من كرَوِيَّة الارض وقياسها انهُ لا بُدَّ من وجود عالم آخر غير الارض المعروفة وقتئذٍ كان يذهب غالبًا الى شواطئ البحر ويرمي بناظريهِ الى تلك السهول الزرقاء وقد تصاعدت من فؤاده زفرات الشوق الى تلك الديار الجديدة التي لم يكن يراها

الّا بعين العقل فيوماً ما وجد على الشاطئ اعشاباً لم تكن معروفة في العالم القديم فكانت لهُ بمثابة كتاب مفتوح أُرسل اليهِ من الارض التي كان مزمعاً ان يفتتحها فشدّ مسافرًا بين هجمات المخاطر وعند ما لمح عن بعد تلك الاراضي الجديدة هتف وكل من معهُ بفرح لا يوصف: « هوذا الارض هوذا الارض »

هكذا صنع العقل البشري في اكتشافهِ العالم غير المنظور . بعد ان قاس اطراف هذا العالم الارضي والمادي وعرف انهُ يقصر عن تفسير وجوده الذاتي لكونهِ حدثاً عارضاً من الممكن ان لا يوجد انتج انهُ لا بد للعالم من موجد خارجي عنهُ ازلي واجب الوجود في ذاتهِ والّا لزم ان يوجد هذا العالم قبل وجودهِ اذ ترتّب عليهِ ان يعمل قبل ان يوجد وذلك ضرب من المحال . ونهض عندئذٍ نهضة الابن الشاطر قصد التخلص من الجوع والعري ووقف على شاطئ بحر هذا العالم الاختباري وحدق بباصرتهِ فلاح لهُ من خلال الموجودات انهُ لا توجد غاية بلا وسيلة ولا وسيلة بدون غاية ولا عضو بدون عمل ولا عمل بدون موضوع يوافقهُ ولا عين بلا الوان ولا صوت بلا آذان ولا طير بلا جناح ولا اسد بلا انياب ومخالب وتلك سنّة طبيعية لا تُنسخ . وحينئذٍ اشرقت عليهِ من خلال المقايسة المنطقية هذه الحقيقة العامّة وهي لا بدّ للنوازع الصحيحة ان تصل الى ما تنزع اليهِ . وعليهِ فلو لم توجد السعادة حقيقةً لما تمكّن في اعماق قلبي الحي ذلك الميل الذي لا يُغلَب نحو الحصول عليها . فمن الضرورة اذًا ان توجد في مكان ما ولا بُدَّ من ان احصل عليها عاجلًا او آجلًا لانَّ من اوجدني عادل وسنن الطبيعة احكام عامة لا يُفلَت منها ولا تقبل الاستثنا . والحال اني لا اجدها على الارض فاذن لا بُد من وجود عالم آخر غير العالم المنظور اجد فيهِ ما يشفي أُوامي و يسدّ وهاد فؤادي العميقة . اذ لا بُدَّ للنوازع الصحيحة ان تصل الى ما تنزع اليهِ . وعلى هذه المنوال عرف ايضاً أنهُ لا بد من الوصول الى جواب مقنع على سوالات عقلهِ الصوابية واذا كان لا يتسنى لهُ ذلك في هذه الحياة الدنيا كما ذكرنا فلا بد من حياةٍ اخرى حيث يعلم من اين اتى والى اين يذهب ومن ينتقم لصراخ ضميره او يجازيه على ما يفعلهُ من الصلاح فملى سلّم هذه الحقائق صعد العقل وحام مثل النسر وحدق ببصرهِ الحادّ الى ما فوق واخذ يجول في فسحات ذلك الجو الصافي جولان الهائم وما ارتفع الحجاب وظهرت امام بصره تلك الفسحات العظيمة وانقشعت تلك الغيوم المتلبدة عن ذلك العالم الجديد

حتى صعدت من صميم قلب الانسان ترانيم الفرح والابتهاج فهتف مثل مريم اخت موسى عند خروج بني اسرائيل من بحر الاحمر ومن عبودية المصريين « الرب عزي وتسبيحي قد كان لي خلاصاً » (١) فتدفقت عليهِ الانوار واكتنفتهُ من كل جهة وظهرت لهُ اسرار وجوده وعرف ان القادر على كل شيء قد ابدعهُ من العدم الى الوجود وان اليهِ مرجع اعمالهِ وغاية آمالهِ وهو مشترع ضميرهِ وموضوع سعادتهِ القصوى. فعلى هذا القياس المنطقي كان العقل ارتفع رويداً متدرجاً بالحقائق لو لم يوجد الدين يكفيهِ مؤنتهُ ويهديهِ الى سواء السبيل ولو افترضنا عدم الدين حقيقةً كان العقل قد اخترعهُ على النمط المذكور لان الدين ضروري لراحة العقل كما ان القوت ضروري لراحة الجائع ولهذا نرى الناس قد اتفقوا على الدين كاتفاقهم على ضروريات الجسد كالاكل والملبس والذود عن العرض وحبّ الوطن وهلما جرًّا

ومالي والاسهاب في حقيقة وجود الدين امام كرام رضعوا مبادئهُ مع الحليب فنشأوا عليهِ . يفضلون الدين على كلّ خيرات هذا العالم ويفتخرون في انهم حفظوا وديعة الايمان وصانوها من كل شائبة الضلال . لا زلنا واياكم محافظين على هذا الكنز الثمين الذي فيهِ وحدهُ سعادة المرء وخلاص الشعوب

١) خروج ف ١٥ عد ٢

الدَّاوُدة او الدَّاوُدِيُّون

لحضرة الكاتب المتفنن البارع الاب انستاس الكرملي

(١ً تمهيد) قد لاحظ احد المشتغلين بعلم الاديان ان في البلاد السهلة المنبسطة الاياديم والممهَّدتها تكثر الديانات الكبار العديدة الاتباع والاشياع وتقلّ فيها الاديان الصغيرة او الفرق الفرعية المتضاربة. الّا ان هذه النِحَل والبِدَع المتفشّية تتأصل بعكس ذلك في الحزون والاراضي الجبليــة فتتمكن فيها كل التمكُّن وربَّما زادت تفرُّقاً وتشعباً وتجزُّءاً كلما زادت الجبال شِعاباً ومناعةً ووعورةً. وسبب هــذا الاختلاف واضح لكلّ متبصّر وهو ان السهليّين يسهل عليهم مخالطة بعضهم لبعض لتجاورهم وتقاربهم وكثرة المواصلات بينهم فتتوحَّد الجامعــة بينهم وتربطهم ربطاً محكماً لِما يكثرون من تجاذب اطراف الكلام وتداول الحقائق التي لا بدَّ من ان ينقدح لهم نارها اذا كانت الغــاية مجرَّدة عن كل سوء نيَّة او وهم سابق متأصّل في العقول. وزد على ذلك انهُ اذا حدث اضطهاد فريق لفريق آخر يدين بغير دين الاول سهل على المشدّدين قتل المضيَّقين واحراق كتبهم والتنكيل بهم وجعلهم مثلةً للمعتبر وربَّما اكرهوا كثيرين منهم الى التشبُّث بمذهبهم. واماَّ اهل الجبــال فلقلّة المواصلة بينهم وصعوبة اجتماعهم ومخالطتهم بعضهم لبعضٍ تبقى كل عصابة على معتقدها الذي ولدت فيهِ او جاءَت بهِ من السُهول زمن اضطهادها فضلًا عن ان اصحابهــا اذا اضطُهدوا يَجِدون في الجبال حصوناً منيعة طبيعيَّة أمنع من الحصون البشريَّة فيكونون فيهــا في احرز حرز ويصعب تتبُّعهم وتأثرهم فيبقون على حالتهم ما شــاء الله. واذا حاربهم اعداؤهم ناوأوهم ووقفوا بوجوههم بقلبٍ كانهُ قُدَّ من جُلمود وصبروا على تحمُّــل المتاعب والمصاعب والمصائب بنوعٍ لا يحتملهُ اهل السهول. لان هواء الجبال والعيشة فيهــا قد روَّضت اجسادهم ونشَّأت قُواهم وابرزت مكنونات فضــائلهم الطبيعيَّة واضعفت رذائلهم الحيوانية بحيث تمكِّنهم من اهل السهول الذين ليس لهم مثل هذه المناقب الغريزيَّة او لضعفها فيهم. وعليهِ فالجبليُّون اشداء جسماً وحلماً وارادةً وفعلًا

هذا وليس من بلادٍ يصدق فيها هذا الكلام مثــل بلاد الكرد او كُرْدِستان إذ

ما من ديانةٍ او بدعةٍ او فرقةٍ الّا وترى فيها اناساً يقولون بها بل وفيها مللٌ ونِحَل وبدع لا تُوجد في غير تلك الديار وهو ما قد اوضحناهُ غير مرَّة في المشرق الزاهر. واليوم نطرف قرَّاء هذه المجلّة بتعريفهم ديانة أُخرى لم يسمعوا بها ولم يقرأوا عنها في سفر من الاسفار العربية او الاعجمية وهي الديانة الداوديَّة

٢ً (تعريف الداودة) الداوُدة او الداوديون (ولا تقل الداوديَّة لان هذه التسمية قد غلبت على طائفة من الاكراد مختلفي الاديان) قومٌ من عُنصرٍ كرديّ يقولون بانهم يتبعون داود النبي ويفضلونهُ على سائر الاولياء ويجعلونهُ في مقدَّمتهم من جهة سموّ المقام والدرجة. والسبب في اعلاء شأنهِ عن سائر الانبياء انهم يقولون: ان هذا النبيّ بالغ في عبادتهِ لله عزَّ وجل وخدمهُ بغيرة عظيمة ولذا استجاب تعالى دُعاءهُ ووهبهُ اعظم ابنٍ وُجد على الارض (اي سليمان الحكيم) وتنبَّأ اعظم النبوَّات وجعلهُ من اعظم ملوك الارض واعطاهُ قوَّة غريبة في ابادة اعدائهِ. فاذا كان الله قد رقَّاهُ هذه الدرجة الرفيعة من الاجلال والاكرام أيحقُّ للانسان بعد ذلك ان لا يقتدي بربّهِ وخالقهِ ويجلّ من يجلّهُ ويذلّ من يذلّهُ

٣ً (بلادهم وعددهم) هم مبثوثون في نواحي خانِقين (وتُلفظ هذه الكلمة هناك خانجين باسكان النون بعدها جيم مكسورة) ويكثرون في بلدة اسمها «كِرِنْد» او «إِكِرْنت» على بُعد خمسة فراسخ من خانقين. وفي الجبال المجاورة لهذه المدينة. ويبلغ عددهم اليوم تسعة آلاف بيتاً لا غير. ويدَّعون انهم كانوا كثيري العدد في الزمن القديم الّا ان اضطهاد مجاوريهم لهم اباد طوائف عديدة منهم وتبدَّدت البقية تحت كل كوكب لكنَّ هذه السنين الاخيرة اجتمع بعضهم في مدن وقرى متجاورة من تلك الاصقاع. وبقيت فرقة منهم أُخرى في مَندَلي (مدينة على بعد ١٧ ساعة من بغداد شمالاً) وعُرفت هناك باسم «مير الحاجّ» والواحد منهم «مير الحاجّي»

٤ً (لغتهم) هي فرع من اللغة الكرديَّة وقد دخلها الفاظ كثيرة من الفارسيَّة والعربية وبعض التركية. وهم جميعهم يُحسنون التكلم بالفارسية وقليل منهم يعرف العربية

٥ً (كتابهم المنزل وشيء من عقائدهم) للدوديّين كتاب منزل هو «الزَّبور» ولا يُطلعون عليهِ احداً ممَّن ليس من دينهم الّا ان واحداً من النصارى كان قد ادَّى خدماً

جزيلة الى الشيخ الاكبر فوعدهُ بان يريَهُ الكتاب المذكور وعيَّن لهُ اليوم والساعة فجاءهُ في الوقت المعيَّن وأراهُ اياهُ فوجدهُ عبارة عن وريقات مكتوبة باللغة التركية وبحروف عربية. وهي حقيقةً مزامير داود النبيّ الَّا ان التصحيف والتحريف كثر فيها. ولا شك ان هؤلاء الاقوام قد حصَّلوا نسخةً اصلية في سابق الزمان من احد النصارى فنسخوها عندهم

ومما روى لي عن دينهم احد النصارى المتكثلكين وهو من ابناء هذه البلاد قال: ذهبتُ يوماً الى مَندَلي لابيع نُسخاً من التوراة وكان عندي منها من كل لغةٍ فبينما كنتُ ذات يومٍ جالساً في حانوت يهوديّ وكان بجانبهِ رجلٌ بزيّ مُسلمي تلك البلدة اشترى اليهودي نسخةً من التوراة العبرية ثم قال لي: ولماذا لا تبيع لهذا الرجل (واشار الى صاحبهِ) توراة بالتركية. فاعلم ان صاحبي هذا ليس مسلماً بل داوديًا الَّا انك لعلَّك لم تسمع باسم الداوديين هنا وقد اصبتَ لانهم لا يُعرفون هنا الَّا باسم «مير الحاج» وهم اقوام لا يعتقدون الَّا بنبوة داود الملك. ثم التفت الرجل الغريب نحوي وقال لي: أأنتُ نصراني. قلتُ: نعم. قال: فان كنتَ كذلك فانت من قرابتي في الدين لان النصارى يعتقدون بنبوة داود الملك ونحن كذلك فتعال معي واصحبك الى شيخي. فقلتُ: سمعاً وطاعةً. فاخذني ومضى بي الى شيخهِ وبعد ان تعارفتُ معهُ بعتُهُ نسخة من التوراة باللغة التركية. ثم سألتُهُ: الى اي دينٍ ترجع فرقتكم. قال: ليس ديننا من الفرق الاسلامية وانما هو دين قديم مستقلٌ بنفسهِ وكان اصحابنا منذ ايَّام نبيّنا الملك داود ولنا شريعة تنهانا عن كل منكر من سرقة وقتل وزنى وغيرها وتلزمنا بعمل الصالحات واجتناب الطالحات واننا لا نعتقد بشيء من معتقد غيرنا. وبعد ان تجاذبت والشيخ اطراف الكلام ودَّعتهُ وانصرفتُ. الَّا انهُ طلب منّي ان آتيهُ يوماً آخر ليُطلعني على بيت صلاتهم. فلمَّا كان اليوم الموعود ذهبتُ اليهِ فلمَّا دخلتُ عليهِ قال لي: إتبعني. فتبعتُهُ وبعد ان سِرنا بضع دقائق ادخلني غرفةً عظيمة قد عُقد في وسطها قُبَّة حسنة البناء وكان في صدر الغرفة صندوق من خشب طولهُ ٥ أمتار في عرض مترين وعلوهُ متر و ٢٥ سنتيمترًا. وكان على هذا الصندوق غطاء اخضر من نسيج القطن يُجلّلهُ من الجهة الواحدة الى الجهة الاخرى وفوقهُ مسارج كثيرة مُطفأة قد غطَّت الصندوق كلهُ. وجميع تلك

المسارج من الطين المشويّ وقد دُهِنت بدهان مختلف الالوان من اصفر واحمر واسود واخضر وازرق وابيض. فسألتُهُ . ما هذه المسارج . قال : هذه بمنزلة مصابيح نوقدها في وقت الصلاة واذا بلغنا وسطها اطفأناها. فقلتُ لهُ: هل لكم كتاب مُنزل. قال: نعم. وهو كتاب الزبور. ومحصَّل ما فيهِ معرفة الله وتوحيدهُ وانهُ يحرم علينا كل كبيرة الَّا القتل في بعض الاحيان وذلك اذا قتل واحد من اعدائنا احد المتديّنين بديننا فيحلُّ قتلهُ بايدينا. وبعد ان كلَّمتُهُ هنيهةً من الزمان ودَّعتُهُ وانصرفتُ

وليس للداودة يوم خصوصي يرصدونهُ لخدمة الله بل يعتبرون الأيام كلها سواء وجميعها مقدَّسة

وهم يحبُّون محبةً عظيمة يسوع المسيح ويعتقدون بنبوتهِ الَّا انهم يجعلونهُ دون داود الملك. ولكونهم يحبُّون المسيح فهم يحبون ايضاً جميع النصارى على اختلاف فرقهم. واذا رأوا نصرانيًا يقرأ في كتاب ويذكر اسم داود الملك اخذوا الكتاب من صاحبهِ برفقٍ ووضعوهُ على رأسهم اجلالًا للنبيّ الملك

والحكومة لا تأخذ منهم عسكريَّة او نحو ذلك من الضرائب المشهورة. وهم دائمًا متجمعون في محلَّة خصوصيَّة بهم لا يختلطون مع غيرهم ويقيمون في اغلب الاحايين في ضاحية المدينة او البلدة

ولا يحلّ لاحد منهم ان يتزوَّج باكثر من امرأة (١ ولا يجوز عندهم الطلاق

---

١) قرأنا في مقالة لغة الجرائد (ص ٤٩): « ويقولون: رأيتُهُ اكثر من مرَّة وجاءني اكثر من واحدٍ. ومقتضاهُ اثبات الكثرة للمرَة وللواحد لان المفضَّل عليهِ في معنًى من المعاني لا بُد ان يشارك المُفضَّل في ذلك المعنى. فقولك: بكرٌ اشرف من خالدٍ يتضمَّن اثبات الشرف لخالد مع زيادة بكر عليهِ والظاهر ان هذا التعبير منقول عن التركيب الافرنجي. والعرب يستعملون هنا لفظ غير يقولون: رأيتُهُ غير مرَّة وجاءني غير واحدٍ. لان غير الواحد لا بُدَّ ان يكون اثنين فما فوق. » اه بحرفهِ. قُلنا: ١ً ان هذا التركيب ليس بافرنجيّ لان العرب قد استعملوهُ قبل مخالطتهم الافرنج كما سنوردهُ من الشواهد على ذلك. ٢ً ان معنى « أكثر من » في مثل هذه العبارة ليس للتفضيل كما توهمهُ حضرة المنتقد لان ليس كل ما جاء مُفرغًا بقالب « أفعل » يُفيد التفضيل كما هو ظاهر. وقد نبَّهَ على ذلك ابن عابدين الدمشقيّ في كتابهِ « الفوائد العجيبة في اعراب الكلمات الغريبة ». اذ قال: « وافعل التفضيل (في مثل هذا التعبير) يُفيد بُعد الفاضل من المفضول وتجاوزهُ عنهُ « فمِنْ » في مثلهِ ليست تفضيليَّة » اه المقصود ذكرهُ. ٣ً جاء في محيط المحيط في مادَّة غ ي ر « وقولهم غير مرَّة اي اكثر من مرَّة واحدة » فلو لم يجُز هذا التعبير لما قالهُ. ومثلهُ

البتّة. الّا انهم يختتنون اولادهم. وهم لا يرون في اكل لحم الخنزير ما يحرّمهُ بل يفتخرون باكلهِ ويغالون بلحمهِ. وكذلك يجيزون شرب الخمر وسائر المسكرات الّا انهم لا يسكرون وهم يستطيبون المخنوق والميتة والدم كلّما حصل بيدهم

والكذب عندهم محرَّم كل التحريم ولو هُدّد الانسان بالقتل. وتَعْظُمُ خطيئة الكذب اذا كان السائل يقول لهُ: عليك « بسبعة ثيران داود ». او « باربعين ثور داود » (كذا ولا اعلم ماذا يريدون بهذه الثيران) واعظم قَسَم عندهم قولهم: « بحقّ فيْء داود ». ومن محرَّماتهم السرقة ولو كانت الاشياء تُسرق من الفرق المعادية لهم كل المعاداة. ومن محرَّماتهم ايضاً بدء شغل من اشغالهم بقولهم: « بسم الله الرحمان الرحيم » وهم لا يقبلون من اسماء الله الّا لفظة « العليّ » وانما ذكرنا هُنا اسمهُ تعالى باللفظة المعهودة في كلام الشيخ مع النصرانيّ تخليصاً ايّاهُ من عُقَد الكلم الغير المألوفة على السمع. ومن محرماتهم ايضاً الصوم والصلاة بالفاظ يتعلمونها استظهاراً. ويقولون ان العليّ (الله) يكره هذا النوع من الصلاة

وهم يعتقدون بالتناسخ والتقمُّص ويقولون ايضاً ان الانسان اذا نام تخرج روحهُ من سجن الجسد وتطوف الارض وهي مع ذلك لا تنفكّ عن مراقبة الجسد حتى اذا

قال صاحب اقرب الموارد ونصُّ عبارتهِ: « فعلَهُ غيْر مرَّة اي اكثر من مرَّة ». ٤ٌ اليك بعض الشواهد من اقوال ائمة العرب. قال عبد اللطيف البغداديّ في وصفه للأهرام: وعند هذه الأهرام « باكثر من غلوةٍ » صورة راس وعنق بارزة من الارض في غاية العظم يُسمّيهِ الناس ابا الهَوْل ». وقال السيوطي في كتاب الاشباه والنظائر في اللغة في كلامهِ عن الضرورة نقلاً عن السيرافي والرضيّ: « ومنها لا يجوز الفَصْل بين امَّا والفاء « باكثر من اسم واحد ». اه. وقال في الاتساع: « وهل يجوز ان يتوسّع في الفعل « اكثر من واحد » بان يتوسَّع معهُ في الظرف ثم يتوسَّع في المَصْدر. وكذا يجوز ان يقال « اقلّ من واحد ». قال الثعالبي في ثمار القُلُوب في مادَّة « ميدان الخلفاء »: « ما عاش بعدها الاَّ اقلّ من سنة ». ٥ٌ نحبُّ ان يُذْكر لنا كيف يُعَبر عن هذا المعنى وهو « لا يحلّ لاحدٍ منهم ان يتزوَّج باكثر من امراة » فان قيل: « ان يتزوَّج بغير امراةٍ » قُلْنا وهل يمكن ان يتزوَّج الانسان بغير امراةٍ وان كان يجوز لهُ فهو من غرائبهِ. وعلى كل فان فُصَحَاء الكتبة في مثل هذا الكلام لم يستعملوا الاَّ ما اخذناهُ عنهم. قال في طبقات الأطبَّاء (١ :١٢٥) « نحنُ معشر النصارى لا نتزوَّج باكثر من امراةٍ واحدةٍ ». وكذلك أورد هذا النصّ ابن العبري في كتابهِ تاريخ الدول (ص ٢١٥ من الطبعة الصالحانيَّة). وانت تعلم ان ابن العبريّ هو من الكتبة المبرزين في العربيَّة

انتمت جولانها عادت الى مقرّها من الجسد فيستيقظ الانسان ويرجع الى حالهِ الاولى واماً ما يرى من امارات الحيـاة في جسمهِ في حالة النوم فهي علامات تدلُّ على ان النفس لا تغادر الجسد بتاتاً بل ترجع اليهِ بعد ساعاتٍ. وقد ابقت نائباً عنها «النَّفَس» (بالتحريك) فهو يدخل ويخرج منعاً للوهم في الناظر الى الجسد

ومما يشدّدون في تحريمهِ الحجّ الى المزارات ومقامات الاوليـاء كالمشهد والنجف وكربلاء وغيرها

هذا وفي ديانتهم اسرار كثيرة لا يبوحون بها الّا لمن بلغ سنّ الرجولية ولذلك فهم يخفونها على اولادهم ولا يلقنونها ايّاهم الا عند ما يكتهلون

٦ً (شيوخهم) هم رجال فضلاء عقلاء يبتعدون عن كل سيئة ويدّعي جميعهم بالسيادة لكونهم سُلالة النبيّ داود الملك

٧ً (اخلاقهم وعوائدهم) من عوائدهم المشهورة اكرام الضيف فهم يعظمونهُ ويجلونهُ ويقومون بجميع واجباتهِ ويلاطفونهُ احسن الملاطفة واذا اراد الانصراف زوّدوهُ بكل ما يحتاج اليهِ في السفر وشيّعهُ عدد غفير منهم ليحافظوا على حياتهِ عند الحاجة. الّا انهُ مما يجب على الزائر هو ان لا يتلفّظ ابدًا بالبسملة. وقد روى لي بعض الثقات الخبر الآتي قال: نزلتُ عند بعض اصدقائي من اهل هذه الفرقة ولمّا حان وقت الغداء مُدّت السفرة ووُضعت الوان الاطعمة فتقـدّم المدعوّون واصطفّوا حول المائدة فحينما مُدّت الايدي قلت من فوري: «بسم الله» وما كادت هاتان اللفظتـان تخرجان من شفتيّ الّا والايدي قد جُذِبت فجأةً فاندهلتُ من عنـدي ورأيتُ جميعهم ينظرون اليّ باوجهٍ قد بدت عليها العبوسة والاستياء. ثم قالوا لي بصوتٍ واحدٍ: «ارفعوهُ» فاخذتني الدهشة وبقيتُ أحيَرَ من ضبّ وأولَهَ من صَبّ. ثم قلتُ: «ما وراءكم يا ناس». قالوا: لقد حُرّم علينا هذا الطعام بما نطقت من الكلام وحُلِّل عليك وحدك فكُلْ من الالوان ما شئت. لكن اذا آكلتَ ثانيًا قومًا منّا فاياك ان تنطق بمـا تفوّهت بهِ الآن. فاستغربت الامر في نفسي وآليتُ على نفسي ان لا أُواكل داوُديًّا

ومن اخلاقهم الحمية الدينية والغيرة الجنسيّة والارتبـاط برابطة الاخاء والمحبّة. وهم يشدُّ بعضهم أزْر بعض واذا نكبهم الزمان بنكبةٍ تضافروا فيما بينهم وانتشلوا المنكوب للحال ورفعوهُ الى درجة المساواة لاصحابهِ

ومن عوائدهم انهُ لا يجوز لاحدٍ من رجال هذه الفرقة ان يقصَّ شيئاً من شاربيه لان ذلك عندهم اثم عظيم. امَّا اللحية فيجوز قصها بالمقص لا غير وتمشيطها بعد ذلك

واغلب الناس الذين ليسوا من فرقتهم في تلك الانحاء يجلّونهم اعظم الاجلال ويتوقّعون منهم اجلَّ الكرامات واعظم الآيات وذلك لِما وسموا بهِ من الصدق والنزاهة وعُرفوا بهِ من الامتناع من الكذب والسرقة وسائر العظائم. وممَّا يروى من كراماتهم انهُ يُحمل الى اكابر ساداتهم كلُّ من جُنَّ او عضَّهُ كلب كَلِب فيضرب السيد مريضهُ بكفهِ البريئة (حسب روايتهم) وللحال يعود الشفاء الى المريض. وكذا قل عن من أُصيب بالفالج او باللَّقوة فلا دواء لهُ الَّا الصَفعُ او الصَقعُ او الصكُّ او اللطمُ حسب مقرّ الداء او تحكيم الدواء

٨ (لباسهم) لباس الرجال كلباس اهل البلاد الموجودين فيها واماً لباس النساء فغريب جدًّا. فانهنَّ يلففنَ على رؤوسهنَّ عمامة عظيمة ويلبسنَ درعاً يختلف ظاهرهُ عن درع سائر النساء ولذلك لا يصعب على احد تمييز نساء هذه الفرقة من نساء بقيَّة الاديان

٩ (سحنتهم وملامحهم) قد قلنا ان الداوُدَة من عُنصرٍ كرديّ. وهذا العنصر وان كثرت تبايُناتهُ الَّا ان العلامات العظيمة المميّزة لهُ تبقى واحدة في جميع فروع هذه الطائفة وشُعبها. واعظم هذه الفصول هيئة الجمجمة. فان الغالب في رؤوسهم الفَطَح(١ وان كان فيهم صُعَلٌ(٢ كثيرون. الَّا ان القياس يتمشَّى على الاغلب كما لا يخفى.

---

(١) و(٢) الفَطَحُ يقابلهُ بالافرنجية brachycéphalie والصفة منهُ « الأَفطَح ». وهو العريض الراس (عن اللغويين) ويُراد بذلك المستدير الجُمْجُمَة او الذي يكاد يكون مستديرها وهو نقيض « الأَصْعَل » dolichocéphale وهو الرقيق الراس (جمهور اللغويين) والدقة تكون في الطول اكثر ممَّا تكون في العرض

والأَفطَح عند الباحثين عن سلائل البشر من كان عرض راسهِ اعظم من طولهِ . وبعبارة اخرى: من كانت فيهِ نسبة القطر المستعرض الى القطر المقدَّم الخَلْفيّ تتردّد بين الكسر ٠,٨٠ وصحيحه . وفي السلالة البيضاء أقوام فُطْحٌ مبثوثون على وجه الارض كلها : منهم : التركمان والكَلْمُوك في آسية . والجرْبون والفنلَنْديّون والبريطانيون والسابوديون والارلنديون في اوربة . وذوو الجلود الحمراء والاسكيمو في اميركة . والزُنوج والمَسْوَدُون في اوقيانية (نُريد بالمسودّين ما يُسميهِ الافرنج négritos وهم طائفة من الزنج قبل انهم

وعليهِ فعلامة الجمجمة المميّزة لهم هي ٨٦. — اما بقيَّة تقاطيعهم فراجعهـا في آخر مقالة تنكهة الاذهان (المشرق ٥ : ٥٨٢) واماً الذي يميّز هؤلاء الناس عن بقيَّة اقوام الأكراد فهو انهُ يُرى على سيمائهم عنفوان الذل والخضوع وامارات التخوُّف والتهيُّب الَّا ان هذه الدلائل لا تُزيل ما في مجموع ملامحهم من آثار المآثر والفضائل ممَّا لا ترى لهُ اثرًا في طوائف الأكراد

والخلاصة ان في مجموع تقاطيعهم مسحة تترجم عمَّا في آدابهم من العفَّة والزهـد في اللذات الدنيئة السافلة بخلاف ما قد اشتهر بهِ اغلب الكُرْد من هذا القبيل والسلام

اسداد النيل الجديدة

للاب بطرس دي ڤراجيل اليسوعيّ

٤

فبعد كل ما سبق شرحهُ من اختيار موقع موافق لسدّ النيل في اسوان ارسلت الحكومة المسيو وِلكوكس (Mr W. Willcoks) لمراقبة المكان ونظر صلاحيّتهِ. فكتب في ذلك المقالات الطويلة هو وناظر الريّ الكولونيل روس والكولونيل مُنكريف نائب الكتابة في وزارة النافعة لكنَّ آراهم كانت متضاربة متباينة في تعيين نقطة العمل مع اتّفاق اكثرهم على اسوان واسيوط دون غيرهما

وممَّا ثبَّط مباشرة الشغل واخَّرهُ دَيْنُ الخزينة المصريَّة وخوف اصحاب ادارتهِ

تولدوا من اختلاط الزُنوج الاصليين بالبيض على تَنَاسُبٍ مختلف وهم ليسوا سُودًا في الأصل بل انما صاروا سودًا او اسودُّوا بالامتزاج ومرّ الزمان)

واماَّ الأصعَلُ فهو من تردَّدت في جمجمتهِ نسبة القطر المُستعرض الى القطر المقدَّم الخَلفيّ بين ٧٢ و ٧٦ ومن الصُعْل في السلالة البيضاء الآرْيون الحقيقيُّون (كالمنادكة والفرس والافغان وألمان الشمال والانكليز الصكصون والزمنديون والالزاسيون وغيرهم) وكذلك الساميُّون (كالعَرَب واليهود) واما بين الزنج فاغلب الأجيال الكُبرى صَعلاء . وبين الصُعْل والفُطح أقوام وَسَطٌ mésaticéphales وهم متولدون من امتزاج الصُعْل بالفُطح

من نفقات جديدة لاسيَّما ان مصاريف المهندسين الانكليز كانت قد بلغت في العشر السنين الاخيرة ٣,٢٥٠,٠٠٠ جنيه لمصالح عموميَّة شتَّى أفما كان ذلك كافياً ؟

وكانت الدول الكبرى ايضاً تعارض هذا المشروع لغاية أُخرى وهو حرصها على آثار جزيرة فيلة وهياكلها الشهيرة وخصوصاً على تحفة هندسيَّة يتقاطر الزوَّار الى مشاهدتها وهي الكشك الذي نُجز بناؤُهُ على عهد الملك طرايانوس. ولمَّا كانت هذه الجزيرة فُوَيق الجنادل الاولى (انظر الصورة في المشرق ٦ : ٧) فمياه الخزَّان بارتفاعها عند اسوان ستغمرها لا محالة في مدَّةٍ قسم من السنة. فكثر لذلك القال والقيل وكتب اصحاب الجرائد المقالات الشديدة اللهجة رشقوا فيها المهندسين بألسنة حداد ونسبوهم الى الهمجيَّة بتدمير ابنية تُعدّ من آيات الهندسة القديمة. فتشكلت لجنةٌ من علماء العاديَّات للنظر في صيانة هذه الآثار الخطيرة فذهب كلٌّ مذهبهُ دون ان يتَّفقوا على رأي

وفي اثناء ذلك كان المسيو ڤيلكوكس لا يزال يقرّب المشروع ويُثبت منافعهُ الاقتصاديَّة ويبعث الهمم الميّتة للسرعة في مباشرته حتى تقرَّر الامر في سنة ١٨٩٨ وقدَّم السير كاسل (Sir E. Cassel) ومحلّ ايرْد (J. Aird) وشركائه في ليڤربول ما يحتاج اليهِ العمل من المصاريف وكان الشرط ان يبنى سدَّان الواحد في اسيوط والآخر في اسوان في ظرف خمس سنوات. وهما السدَّان اللذان انجزهما العملة آخرًا تحت نظارة المسيو ڤيلكوكس ثم المسيو ڤاب (A. Webb)

(سدّ اسيوط) فلنبدأ اوَّلًا بوصف هذا السُدّ الذي بُوشر فيهِ في شتاء سنة ١٨٩٨. وطول هذا الخزَّان يبلغ نحو ٨٠٠ متر وهو يتركَّب من ١١١ قنطرة بينها تُرع سعتها خمسة امتار ونصف تُقفَل بابواب من حديد ورصيف الخزَّان مع قناطرهِ راكز على سطح سمكهُ ٣ امتار و٤٠ س في ٢٩ مترًا عرضاً يصونهُ سورٌ من اساطين معدنيَّة متواصلة مغروسة في الارض الى عمق سبعة امتار تحت قاع النهر لئلاَّ تتحلَّب المياه الى الاساس فتنقضهُ او توهن دعائمهُ كما حصل في خزَّان الدلتا وكذلك فُرش مسيل النهر وجانباهُ ببلاطٍ قُلفط بالخزف لئلاَّ تنفذ المياه اليهِ. امَّا علوّ السدّ فوق السطح المذكور فهو ١٨ مترًا و٧٠ س

قال السير باكر (Sir B. Baker): ولعلَّ الذي يرسم صورة الخزَّان على القرطاس

لا يرى في الامر مشقَّةً ولكنَّ شتَّان بين النظريَّات والعمليات . فانَّنا في طول مدَّة الشغل اضطرَّتنا الحال الى ردّ هجمات خصمٍ كان لا يدع لنا راحةً ليلاً مع نهار ألا وهو عنصر الماء الذي كان يتهدَّد مساعينا بالخراب بلا مَلَل ولا سأم . فلردّ غاراتهِ كنَّا نترصَّد كلَّ حركاتهِ لئلاَّ يفجأنا بمكايدهِ الخفيَّة . ولمَّا كان للنيل قوانين ثابتة في فيضانهِ الذي يتمّ في شهور الصيف كان يجب علينا أن نسرع العمل في مدَّة الشهور التي تتناقص فيها المياه حتى اذا حان وقت الفيضان يقوى قسم البناء المنتهي على صدَمات النهر عند زيادتهِ »

وهاك فصلاً عن طريقة العمل في خزَّان اسيوط . فانهُ عند انتهاء الفيضان في تشرين الاوَّل كان العَمَلة ينقلون الى النهر حيث تحتَّم الشغل اكياساً مملوءةً من الرمل فيجعلونها كوماً مرصوصةً على شكل مستدير تُحاط بها الاخشاب وتُطلى بالطين . ثم تُستخرج المياه الباقية في ضمن الدائرة بطلمبات فتُصبّ خارجاً الى ان تيبس الارض ثم يُحفر الرمل عميقاً وتُغرس فيهِ اجزاز المعدن الضخمة ثم يُبنى السطح بناء متيناً حتى لا يتلفهُ الفيضان في تموز

وكان الشغل يزيد مشقَّة على قدر اقتراب وقت الفيضان ففي شهري سنة ١٩٠٠ كان المهندسون يراقبون العمل بلا انقطاع وتحت امرهم ١٣٠٠٠ عامل يشتغلون في حرّ يبلغ ٤٠° درجة من المقياس المئويّ الى ٤٥° وكان عدد الطلمبات سبعة عشرة تُنبط كمّيةً من المياه كافية لألفي ألف نفس امَّا اكياس الرمل القائمة في وجه المياه متَّسقةً منظمةً على خمسة صفوف بل عشرة وعشرين صفًّا فبلغ عددها مليونًا ونصف مليون . وكان الرمل في اثناء العمل ينهار ويتساقط وربَّما تداعت بسبب انهيارهِ اقسام البناء المُنجزَة فيحتاج العملة الى فتح آبار يصبُّون فيها كلساً وملاطاً ليقوّوا ما تصدَّع منها . وكان ضغط الماء في محل مسيلهِ ينفذ في اعماق الارض فيفتح لهُ نبوعاً في وسط مساحة الشغل وبلغ عدد هذه النبوع نحو الالف لزمهم سدُّها بسرعةٍ وعلى طرائق مختلفة وبعد النفقات الطائلة

ومع كل هذه المشاكل والعوائق كان الشغل جاريًا مجراهُ بل تمَّ بزمن قريب لم يكن الآمال لتبلغهُ فان الخزَّانين كليهما نجزا قبل الوقت المعهود باكثر من سنة

وخزَّان اسيوط هذه يضمن منذ الآن ريّ زروع مصر الوسطى وبلاد الفيُّوم وبهِ يعلو سطح مياه ترعة الابراهيميَّة ويوفر للزرع ١٢٠٠ كيلو متر مربع

(سدّ اسوان.) امَّا سدّ اسوان الذي جرت حفلة افتتاحهِ في ١٠ من الشهر المنصرم فقد كان الدوك دوكونوت وضع حجرهُ الاول في ١٢ شباط من سنة ١٨٩٩. وهذا الخزَّان اعظم قدرًا واخطر شأنًا من خزَّان اسيوط فانَّ موقعهُ على مسافة ٩٦٠ كيلو مترًا من القاهرة حيث النيل يجري في شبه حوض طبيعي محصورًا بين ضفّتين من حجارة الصوَّان المحبَّب نافذًا بين الجنادل التي منها يتركَّب الشلّال الاوَّل

وهذه النقطة كانت استلفتت منذ بداءة العمل انظار المهندسين حتى انَّ المسيو فيلكوكس كان فكَّر اوَّلًا في ان يبني على الجزائر التي هناك اسدادًا عديدة تجمع الجنادل الى بعضها فتكون قائمة في وجه المياه على شكل مستدير محدَّب. وهو لا يزال يرجّح ان هذا العمل كان اثبت وامتن لو فُضِّل

وعلى كل فان الخزَّان الحاضر على صورة خطّ مستقيم طولهُ كيلو متران واستقامة خطّهِ هذه ازالت كثيرًا من صعوبات العمل ولعلّها تضمن لهُ ثباتهُ ايضًا لانَّ البعض يظنُّون انَّ الخطّ المستقيم اصلح من غيرهِ في البلاد الحارَّة حيث الابنية تتمدَّد بقوة الحرارة

واصعب ما قُضي عملهُ على المهندسين في اسوان ان يضعوا اساسًا للبناء ويركبوا قواعدهُ. لانهُ كان يترتَّب عليهم ان يكسروا سورة المياه ويفتحوا لها مجازًا موقتًا مدَّة ولكن كيف تُضبَط قوَّة هذه المياه في منحدرٍ يبلغ فيهِ سرعتها الى ٢٤ كيلو مترًا في الساعة؟ فبعد الرويَّة والفكر لم يجدوا لفكّ هذا المشكل الَّا ان يُنحُّوا معظم المياه عن مسيلها ويجعلوا لها تُرَعًا عميقة تجري فيها. فحفروا هذه الترع وحصَّنوها بحجارة ضخمة بلغ ثقلها ٥٠٠٠ كيلو مشدود بعضها بالبعض بقلوس من الفولاذ وزنها خمسون طنًّا. وقد بلغت احدى هذه الترع عشرة امتار عمقًا

فلمَّا خفَّت بذلك سطوة المياه باشروا بالعمل كما فعلوا بسدّ اسيوط اعني انَّهم حلَّقوا حول مكان الشغل اكياسًا من الرمل ثمَّ سحبوا ما بقي في ضمن هذه الحلقة من المياه بالطلمبات فنشَّفوا المكان واخذوا بالحفر

وكان الذين سبروا موقع هذا السُّدّ بعد الفحص المدقّق اكَّدوا انَّ قاع النيل في هذا المحلّ يتركَّب كلّهُ من الصوَّان الاصمّ وحجر الديوريت الصلد وعليهِ فيكون اساس الخزَّان غاية في الصلابة لكنَّ هذا القول لم يصحّ من كلّ وجه لانهُ لمَّا كشفوا قاع

النيـل وجدوا قسماً منهُ يتركّب من تربة خوّارة من حجر الطلق (mica) الذي لا يصلح لمثل هذا البناء

فكادت الآمال تحبط بهـذا الاكتشاف غير المنتظر لولا انّ اللورد كرمر نشّط العزائم وبعث الهمم فحُفرت الأُسس العميقة الى ان وجدوا في قلب الارض الجلاميـد الصمّاء. وذلك في بعض الامكنة على عمق ١٣ مترًا فبنوا عليهـا الاساس الذي كان سمكهُ في اسفلهِ ٣٣ مترًا. فزادت بذلك النفقات زيادةً عظيمة لم تجرِ على بال على انّ العمـل تمّ بعد ذلك دون حادثٍ آخر مكدّر الى ان نجز كما هو اليوم.

وطول هذا السدّ كيلو متران وهو يتركّب من حائط ذي منحدرَين وفي اعلاه سطح عرضهُ متران. واعلى نقطةٍ فيهِ اذا حسبتَ الاساس تبلغ ٤٣ مترًا و٣٥ س وعلوّ الجدار فوق منافذ المياه ٢٢ مترًا. امّا ثقل البناء فيبلغ مليونًا من الطن

وقد اتّخذ اصحاب البناء الحجر الصوّان الذي مقالعهُ في تلك النواحي (راجع المشرق ٥ : ١٠٠٠) لاساس هذا الخزّان وطانوهُ بملاط بورتلند الصلب. امّا قلب البناء فحشوٌ بمركّب متين من الكلس والرمل والحصى جُبلت دقائقها ببعضهـا فصارت كالحجريّة. ويتركّب جانبا الخزّان من حجارة مكعّبة ضخمة غير محكمة النحت بخلاف مجاري المياه المفتوحة فيهِ فانّها مفروشة برخام مصقول

وهذه المجاري او مفاتيح المياه عددها ١٨٠ جُعلت على هندام يروق في العيـن ١٤٠ منها تبلغ سَعَتُها ٧ امتار و ٣٠ س ارتفاعاً في عرض مترين و ٢٥ س. وباقيهـا على نصف هذا الارتفاع. ويجري فتح هذه المجاري بالكهرباء وابوابها على طراز ستوني (Stoney) ذي المحادل واكبرها وزنهُ ١٤ طنًّا يُفتح باليد ولو ضغطَتْهُ المياه ضغطاً قدرهُ ٤٥٠ طنًّا

وفي غربيّ الخزّان على ضفّتهِ الشماليّة تُرعة للمراكب لها اربعة حواجز كلّ حاجز عرضهُ عشرة امتار و ٧٠ س وعلوهُ ٢٠ مترًا. وهـذه الحواجز على شكل خصوصيّ يدور قسمها الاعلى وتتنحّى جانبًا على منوال بعض الرُّتج. وقد فُضلت هذه الطريقة لانها ضامنة للصلابة فتقوى على حَبس الف مليون طنّ من الميـاه. وكلّ حاجز من هذه الحواجز كافٍ لهذه المهنة ولو تلفت الحواجز الاخرى الثلثة. والحقّ يقـال انّ المهندس المسيو ستوكس (W. Stokes) اظهر في هذا العمل براعةً لا نظير لها. وممّا

لا يسعنا الاضراب عنهُ ما افرغهُ نظّار العمل وعمَلتهم من النشاط الغريب فانَّ البنّائين في بعض الأيام اصطنعوا الى ٣٦٠٠ طنّ من البناء . وكان يساعدهم على العمل ثلاث سكك حديديّة وكان عدد عظيم من الآلات البخاريّة وغيرها ينقل الموادّ اللازمة للبناء من المقالع الى محلّ الشغل. وقد بلغ في بعض الاحيان عدد العَمَلة في اليوم الواحد ١١٠٠٠ عامل

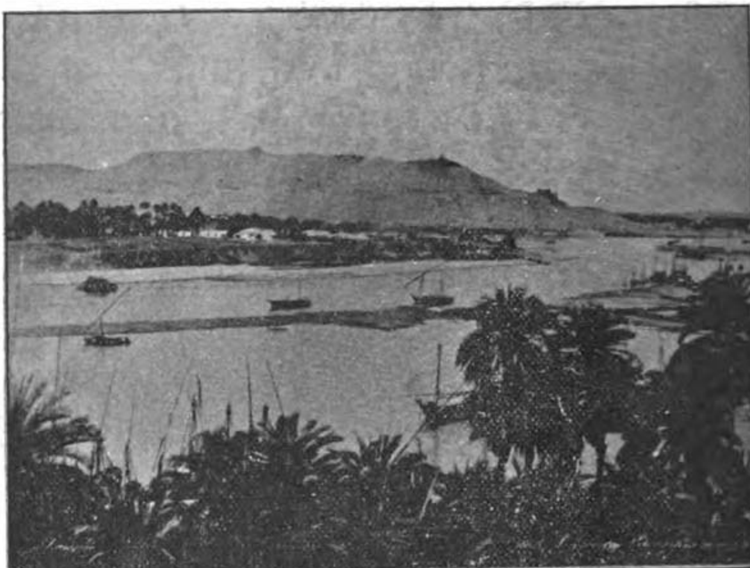
وفي آخر تشرين الاوَّل بعد الفيضان أُقفلت المفاتيح وتزل مجرى النيل الى ٢٠٠٠ متر مكعَّب في الدقيقة . امَّا الخزَّان فاخذ يمتلئ شيئًا فشيئًا . وقد حسب الحُسَّاب انَّ المياه بارتفاعها سوف تتقهقر الى ٣٠ كيلو مترًا مندحرة الى جنوبي اسوان فيكون هذا الحوض خازنًا مئة مليون متر مكعَّب من الماء . ولا بأس اذا غُمرت بعض الاراضي فانَّ النيل سيُخصب بدلًا منها ٢،٤٠٠،٠٠٠ متر مربَّع من المفاوز البائرة ويسقي بلادًا واسعة في شهر ايَّار وحزيران فضلًا عن كونهِ يسهّل الاسفار للمراكب الصاعدة الى جهات السودان .

٥

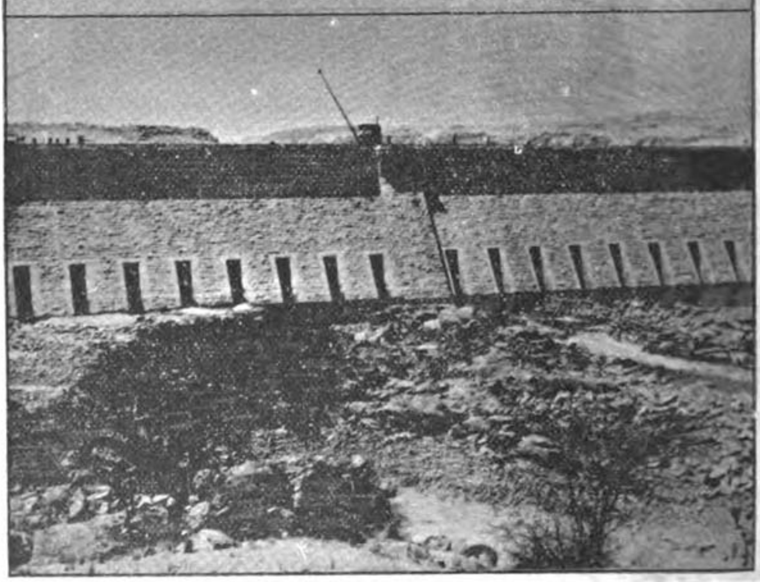
قد فهمت ممَّا تقدَّم شرحهُ انَّ المنافع التي كان يقصدها المصريّون بابتناء خزَّاني اسيوط واسوان كادوا ينالوها فيحققوا رأي المسيو پرومت (راجع ص ٨) وآمالهُ . فمذ اليوم صارت مصر واثقة بمستقبل اهلها وحياتهم ولن يعود احدٌ يقرأ على صفحات التاريخ ما دوَّنهُ الفرعون زوسيري احد ملوك السلالة الثالثة على الحجارة انَّ مصر اصابتها المجاعة سبع سنين لنقص مياه النيل (راجع قصَّة يوسف) . وكذلك قد افترَّ ثغر الزراعة بهذا العمل فانهُ ليس فقط ستزيد المزارع القديمة خصبًا بل يتسع نطاق الزراعة في صحاري كان سائدًا عليها ملك الرمال . امَّا التجارة فستقوم على ساق لانَّ ضفَّتي النيل من الصعيد الى السودان تصيبان عمَّا قليل حياة جديدة فتُمَصَّر الامصار وتُبنى القرى والدساكر فتُنقَل حاصلات البلاد الداخليَّة الى البحر المتوسّط ومنهُ اليها واردات العالم كلهِ وتُصبح السودان لاحقةً بمصر لا يفصل البلدين عدوٌّ او خارجيّ

ولمَّا كان اتّصال السودان بمصر لا ينجز تمامًا الّا باتّخاذ أسداد أُخرى للنيل لا يمكننا ان نختم هذه المقالة دون ان نذكر شيئًا ممَّا يقصدهُ ارباب الامر من هذا القبيل

قلنا انَّ خزَّاني اسيوط واسوان ليسا الّا مقدَّمةً لمشروع آخر اعظم شأنًا واوسع



١



١ منظر اسوان ونواحيها   ٢ قسم من خزّان اسوان

نفعاً. فانَّ المتولين على مصر يؤملون قريباً ابتناء خزَّانين آخرين احدهما في وادي حلفا في حدود مصر والسودان لريّ بلاد النوبة والآخر في خرطوم عند الشلاَّل السادس لسقي السودان وبهما يصبح كلا البلدين في مأمن من القحط والمجاعة ابد الدهر. ولا يبعد انَّ مهندسي الانكليز يباشرون بهما بعد زمن قليل

غير ان المسيو وِلكوكس لا يكتفي بان يخصب مصر والسودان فانهُ يريد ان يجعل النيل الاعلى في قبضة المصريّين كما يملك صاحب الملك رأس العين ليتصرَّف بمياهها كيف شاء. ولمَّا كان النيل يخرج من ثلاثة مصادر عظيمة اعني بحيرة تسانا في بلاد الحبش ومنها النيل الازرق ثم بحيرتي فيكتوريا نياترا والبرت وراء خطّ الاستواء ومنهما النيل الابيض عرض المسيو وِلكوكس على ارباب الامر اصطناع احواضٍ أُخرى في مجاري النيل الثلاثة بحيث تُخزَن كل مياههِ في مصادرهِ المختلفة فلا يبقى خوف البتَّة على مستقبل مصر والسودان وعلى هذا النمط تُصبح المستعمرات الانكليزيَّة في اواسط افريقية كبحر الغزال والاوغندة امصاراً غنيَّة يخيّم فوقها التمدُّن

هذه نيَّات المسيو وِلكوكس يصرّح بها الآن ويكتب للمدافعة عنها المقالات المطوَّلة. الَّا انَّ هذا الكاتب يغويهِ التعصُّب لوطنهِ وهو لا يرى ما وراء تحقيق هذه النيَّات من العقبات. فننشدك الله ايرضى ملك الحبش بان يُقام في بلادهِ خزَّان يتولَّى ادارتهُ الغرباء. امَّا بحيرة فيكتوريا فاذا أُقيم لها سُدّ سترتفع المياه وتغمر المستعمرات الالمانيَّة التي بقربها والمانية لا ترضى بذلك مطلقاً. فلا يبقى الَّا البحيرة البرت يمكن ابتناء حوضٍ عندها. فهل يا ترى يخرج المشروع يوماً الى حيّز الوجود فالامر تحت ريبٍ لاسيَّما انَّ المنافع التي تنتج عن هذا الاسداد ليست كلُّها خالصةَ الفائدة فاذا نفعت بلداً رُبَّما اضرَّت غيرهُ

وها انَّ سُدَّ اسوان نفسهُ يرى فيهِ ذوو النظر شوائب تُنقص من قدرهِ. منها ما قلنا عن آثار جزيرة فيلة التي تغطيها المياه مدَّة من السنة ولعلَّها تتلفها مع الزمان رغماً عمَّا أُتخذ لصيانتها من الاحتياطات. ومنها انَّ المياه المرصودة وراء الخزَّان تبقى اشهراً طويلًا راكدةً على شبه المستنقعات أفلا تفسد هذه المياه ويحصل عنها حمّيات تجعل الجهات المجاورة لها غير مسكونةٍ. ومنها ايضاً انَّ اهل النوبة الذين لاجل قرهم لم يدفعوا حتى الآن الَّا خراجاً خفيفاً لا يلبثون عمَّا قليل ان يصبحوا

عرضةً لمطامع الكاسين والجُباة فتزاد فرائضهم ويستولي على املاكهم اهل الثروة

هذه بعض ملاحظات جاهر بها اهل الاعتبار رويناها كما عرضوها. ونحن نشكر لكل من وقفوا حياتهم واتعابهم في سبيل نجاح مصر سواءٌ كانوا من اهلها الوطنيين او من الاجانب لاسيّما ارباب الهندسة الفرنسويين والانكليز الذين ارونا عياناً ما لم نكن نرجو بروزهُ الى عالم الكون والله الموفق للصواب

يمين العليّ

رواية تاريخية للاب س. ت اليسوعيّ (تابع)

الفصل الثاني

الضابط راسيوس روفوس (١

مرَّ الضابط الروماني بقرب محلَّة يهوديت فما توارت عن عيانهِ حتى ركض فرسهُ الى جهة بيروت فاجتازها على جوادهِ مسرعاً وهو ينحي بقضيبهِ كلَّ من يثبطهُ في سيرهِ

وكان الناس يتأهّبون لزينة الليل فيعلّقون القناديل ويضفرون اكاليل الغار ويعدّون المشاعل ليشاطروا العالم الروماني بافراحهِ. وكان لاهل بيروت سبب خصوصيّ يدعوهم الى اقامة هذه الحفلة البهجة لانهم كانوا عرفوا القيصر الجديد فسبسيانوس ورأوهُ في مدينتهم حيث اتاهُ الوفود ليبايعوهُ بملك رومية (٢

لكنَّ الضابط لم يُعِر بالهُ لهذه التأهبات وعجّل سائرًا الى الباب الشرقيّ ومنهُ صعد الى ربوة مشرفة على البلدة وعلى نهر ماغوراس (نهر بيروت) معاً وكانت هذه الاكمة مزدانة بالدور الجميلة والمنازل الفخيمة يسكنها اهل اعيان البلد وضبّاط الجند. وكان في طريقهِ يرى اهل المزارع لابسين ثياب العيد ومسرعين الى المدينة ليشاهدوا الزينة فاذا واجهوهُ خفضوا اصواتهم وناجى بعضهم بعضاً مومئين اليهِ

١) وباللاتينيَّة Ræcius Rufus وهو اسمٌ تاريخيّ وكذلك اكثر الاسماء التي نبني عليها روايتنا فانَّها تاريخيَّة

٢) رجع تاريخ يوسيفوس (الحرب اليهوديَّة ك ٤ ف ١٠ ع ٦) وتاريخ تاقيتوس (٢ : ٨٠)

ثم وصل الفارس الى بيتٍ وسط فنزل عند بابهِ وسلَّم لجام الفرس الى عبد اسرع الى استقبالهِ. ثم دخل الدار وهو يردّد نغمةً من نغمات النوبة العسكريَّة. واذا برجل من الداخل يدعى لوسيليوس صرخ اليهِ بصوت جهوري أأنت هو يا راسيوس روفوس ؟

– انا بنفسي

(لوسيليوس) وما قولك بالزينة التي يُعدُّها اهل المدينة ؟

(روفوس) هذه حفلات رسميَّة . . . ولا اراها تتجاوز الحدود المألوفة

(ل) ساء قولك هذا. اتستقلّ هذه الزينة وهي قد افرغت صندوق ماليَّتنا

(ر) لا بأس فان مدينتكم غنيَّة وكفى شاهدًا على ذلك ما فيها من الابنية الفخيمة كالحمَّامات والملاعب العموميَّة وما يزينها من دُمى الآلهة وتماثيل الرجال العظام حتى العُمَّال الصغار

(ل) نعم ان بيروت واسعة التجارة غنيَّة السكَّان ولكن كيف تجهل مع انَّك ضابط الجند الرومانيين فيها منذ ثلاث سنوات ان هذه الابنية ليست على نفقة البلديَّة وانَّما هي هدايا ملوك عظام لمدينتنا. فانَّ هيرودس الكبير قد ابتنى بمالهِ الخاصّ اروقتنا ومجلسنا العموميّ وبعض هياكل آلهتنا [١]. وشيَّد الملك اغريبا المرسح العظيم للالعاب العموميَّة والحمَّامات [٢]. واماَّ القائد الروماني اغريبا صهر اغوسطس فهو الذي يُبهج الجمهور في كلّ سنة بما يصرفهُ من المال الجسيم للمشاهد والالعاب [٣]. فلا يبقى الَّا التماثيل التي ينصبها الاهلون تقرُّبًا من اصحاب الامر ليؤلّفوا قلوبهم

(ر) وهل عندك شيء من الاخبار ؟

(ل) ليس من خبر جديد وحتى الآن لم يَدْعُك احد من رؤسائك الى المعسكر لمواصلة الخدمة فانَّهم لا يظنُّون انك برئتَ تماماً من جرحك

(ر) نعم كدتُ انسى السهم الذي رشقني بهِ البرتيُّون في حربنا الاخيرة ولولاهُ لما كنتُ الآن في هذه الدار متنعماً برغد العيش ربما اشفى منهُ الشفاء التامّ. وازيدك علماً اني لا ارغب الرجوع الى فرقتي قريباً

---

١) راجع تاريخ الحرب اليهوديَّة ليوسيفوس (ك ١ ف ٢١ ع ١١)

٢) راجع كتاب الآثار اليهوديَّة لهُ (ك ١٩ ف ٧ ع ٥)

٣) راجعهُ ايضاً (ك ٢٠ ف ٩ ع ٤)

(ل) ما هذا القول. كنتُ اسمعك قبل اسبوع تتلهّف الى الحرب لتدافع عن المملكة واليوم اراك تنسى الجنديّة وتريد الراحة ؟ ماذا عرض لك ؟

(ر) عرض لي انني رأيتها . . . ورأتني

(ل) ومن هي ؟

(ر) هي . . . هي . . . ولكن كيف أُعلمك باسمها وانا لا اعرفهُ . وانّما اعرف انها فتاةٌ جميلة وانّ حبها لاط بقلبي مذ نظرتُ اليها ونظرتْ اليَّ

(ل) واعجباهُ . أجنديّ مثلك تصطادهُ الاوانس ويدع قلبهُ تستفزّ بهِ الاهواء لنظر بسيط رشقتهُ بهِ فتاةٌ مجهولة ... ولا احسبها الّا ابنةً يهوديّة . . . ولا أرى غيرهنَّ يفعلنَ ما فعلتْ اذْ ابتدرت بقحةٍ ورمتك بسهامها

(ر) يهوديّة . . . اخالك مازحاً . . . ليست الفتاة الّا ابنة احد الفرسان او البطارقة او الامراء . . . .

(ل) خدعك يا صاح قلبُك . ولكن أخبرني بامرك معها وكيف اوقعتك هذه الإلاهة في حبائلها

(ر) لمّا ابللتُ من مرضي واندمل جرحي ركبت في اوّل اسبوع من دسمبر فرسي واخذت اركضهُ على شاطئ نهر ماغوراس وكان الجواد لمّا احسَّ بفارسهِ عاد اليهِ نشاطهُ واخذ يمرح في المروج المجاورة يتقدّمهُ كلبي الامين السلوقيّ وهو يفرح لفرحي كأنّهُ يهنّئني بالسلامة والصحة . وانا في سيري اذ عرضت لنا غيضةٌ في عطفة من الطريق لم يسبق اليها نظري فما بلغها الجواد حتى عثر بشجرها فكبا وكدتُ انا اسقط لانَّ ضعفي لم يسمح لي بضبط عنان الجواد على ما كنت اروم من السرعة

وفي الوقت ذاتهِ سمعتُ صوتاً صائتاً يخرق الجوّ دلالةً على الهلع والخوف . فنظرتُ واذا بفئة من فتيات المدينة كنَّ اجتمعنَ في تلك الغيضة ليتجاذبنَ اطراف الحديث وكان نظري اطار قلبهنَّ شعاعاً . فاردتُ ان استميح منهنَّ عذراً فتلجلج لساني واذا بواحدة منهنَّ اجابتني برقّةٍ : « لا بأس بحيدي وكفانا انّا رأيناك سالماً . وحقّ راس الملك انك لفارسٌ تحسن ركوب الخيل المطهّمة ولو كان بيدي اكليل من الغار لوهبتهُ لك ودونك هذا الغصن الاملود من اغصان الزيتون بدلًا منهُ » . فاخذتُ الغصن من يدها

شاكرًا وثنيت عنان الجواد وقلبي يخفق لرقّة كلامها ولم ابتعد عنهنّ الّا بعد ان جريت امامهنّ شوطين فصفّقنَ لي بالايدي مستحسنات لرشاقة حركاتي

(ل) قد فهمتُ الآن معنى هذا غصن الزيتون الذي جعلتهُ فوق فراشك وضممتهُ الى شارة الفخر التي اولاكها كربولون في حرب البرتيين . ولعلَّ هذا هو الداعي لبسطك وانشراحك منذ ثلاثة اسابيع . وهل رايتَ معبودتك بعد ذلك ؟

(ر) رأيتها قبل ثمانية ايام . وفي هذا المساء ايضاً صادفتُها وهي محمولة على محفَّة فوق اكتاف عشرين زنجيًا وكانت متَّجهة الى غار الحمام

فلمّا سمع لوسيليوس هذا الكلام اخذ يقهقه ثم قال : ولا تعرف اسمها ؟

(ر) كنتُ اودُّ لو اقف عليهِ

(ل) انا اعلمك بهِ . وقد عرفتها من وصفك لها . . . هذه ابنة اغنى يهود بيروت يدعى ابوها صمويل واسمها يهوديت

(ر) وهَبْ انّها هي ثم ماذا ؟

(ل) ماذا ؟ ايستطيع ضابط مثلك قليل المال متوسّط الحال ان يخطب وحيدة رجلٍ اغنى من الملك كريزوس . ولكن افترض ان اباها يرضى باقترانكما . ايسوغ لرجلٍ روماني ان يلقي بمقاليد امرهِ الى امرأة اجنبيّة ليست من جنسهِ . . . ولعلّك غدًا تمشي الى حرب قومها في اورشليم . أنسيت حالة هـذا الشعب مع الدولة الرومانيّة وعصيانهُ على جنودنا المظفَّرة . وهاك اليوم قسبسيان الملك لا تستقرّ قدمهُ في روميـة حتى يسعر هذه الحرب العوان ويُرسل ابنهُ طيطس الى فتح المدينة العاصية . أفاتك انّ القوّاد في اجتماعهم الاخير في الصيف اتّفقوا على خراب اورشليم واستعبـاد شعبها . . . فكيف ترضى لك بقرينةٍ من القوم العبيد . . . لا لا يا روفوس هذا لا يليق بشرف الرومان . فضلًا عن انّ اليهود في كتبهم المنزلة لا يُسمح لهم بان يقترنوا بعَبَدة الالهة مثلنا فانّنا لديهم كقوم ارجاس لا يمكنهم ان يعيشوا في صحبتنـا البتّة فدَعْ اذن عنك هذه الافكار . . . وهلمَّ بنا الى لوقينيوس فرونطو فانهُ هـذا المساء اعدَّ لبعض الاصحاب مأدبةً فهلمَّ فاسنِنا الافراح بحضورك وغرّق همومك بكؤوس الخمـرة القبرسيّة

(ر) قد جرحتَ قلبي يا ليسيليوس فلم يَعُد لي شهوة الطعام

(ل) اني جرحتهُ كما يجرح الناصح بنصيحتهِ والصديق بمشورتهِ. فان آثرت نصحي لا بدَّ يوماً تحمد مغبَّتهُ. فهلمَّ معي فانَّ المدعوّين الى الوليمة عند لوقينيوس فرونطو يقشعون عن قلبك هذه الهموم. فهيا بنا

(ر) لا اريد ان يراني القوم وعلى وجهي آثار الغمّ فاني ابقى هنا واستودعك الآلهة الى غدٍ

(ل) نعم الى غدٍ فنَمْ نوماً هنيئاً. امَّا انا فاني ساقضي ليلي في المسرَّات مقدّماً تحيَّاتي لباخوس إله الخمر فانهُ نِعم الاله يفرّج عن الاكدار وينفي عن القلب غمام الاحزان

(ر) اذهب مسرعاً لانك ان تأخَّرت نُظمت في عداد الطفيليين فلا تذوق شيئاً من المآكل الطيّبة والمشارب اللذيذة المعدَّة لاعيان المدعوّين

*

— هاءنذا وحدي... لقد اظلمت الدنيا في عيني لما كشفهُ لي هذا الصديق... انهُ اصاب حبَّة قلبي وبدَّل افراحي بالاتراح واهبطني من اوج الرجاء الى قعر اليأس.. ومع ذلك لا اراهُ الَّا صادقاً يريد خيري ويطلب راحة قلبي

وبينما كان روفوس يردّد هذه الافكار في راسهِ اذ دخل عبد واعلم الضابط بان عشاءهُ حاضر. فصرفهُ روفوس باشارة وخرج ليستنشق الهواء على سطح البيت علَّهُ يسرّي عن قلبهِ مضضهُ واوجاعهُ ويعيد اليهِ سكونهُ

فجلس على دكَّة واسند رأسهُ الى شرفة من شرف الدار. وكانت السماء في تلك الليلة مزدانة بنجوم لامعة تتلألأ بكواكب ساطعة لا يحجبها غمام امَّا الارض فكانت تجاري السماء ببهائها فانَّ لبنان كان يشعُّ بالانوار والمدينة كانت تُرَى كانها شعلة نار تتصاعد منها اصوات الافراح وترتفع من انحائها الاسهم الناريَّة خارقةً كبد الزرقاء. فبقي روفوس مدَّة لاهياً عن هذه المشاهد البهيَّة تتجاذب قلبهُ الهواجس وتتراكم على نفسهِ الحنادس

وكانت دار لوقينيوس فرونطو تبعد عن دار الضابط نحو مئتي قدَم تُرَى الانوار من نوافذها. فلمَّا اجتمع القوم اخذت ضجَّة الافراح تزداد واصوات المغنّين والقيون مع نغمات الاوتار تصدح في الفلا حتى بلغت آذان روفوس الكاسف البال فكان

ذلك ضغثًا على ابالة وتفاقمَ حزنهُ لمَّا قابل حالهُ بمسرَّات اصحابهِ وقاس كربَهُ بالبهجة السائدة على البلد باجمعهِ. فاحسَّ بجُثام ضغط على قلبهِ وتخدَّرت اعضاؤهُ وتولى عليهِ سُبات عميق كان يُسمَع لهُ في اثنائهِ زفرات وانين

وفي تلك الاثناء كانت الاحلام الذهبيَّة ترفرف حول راس يهوديت في غرفة «دار الورود» (البقيَّة للآتي)

نظر في اهمّ حوادث السنة المنصرمة

للاب لويس شيخو اليسوعي

ليس من شأن مجلّتنا المشرق ان تخوض في الامور السياسيَّة وتسطر الماجريات اليوميَّة والاخبار المستحدثة فانَّها تدع ذلك لقرينها البشير. الَّا انَّنا رأينا ان نخصص في آخر السنة المنصرمة ومفتتح السنة الجديدة فصلًا اجماليًّا يتضمَّن اهمّ الحوادث التي جرت في بُرهة العام الماضي. ففي هذا النظر العمومي نجد فائدتين: الاولى انهُ تاريخ ملخَّص لهذه السنة والثانية انَّ الحوادث اذا ضُمَّت الى بعضها تُرَى بسهولةٍ علائقُها وتظهر اسبابها وغاياتُها وعلى ذلك تتوقف فلسفة التاريخ

١ اوربَّة

﴿ الدولة العليَّة ﴾ يسرُّنا ان نفتتح كلامنا بذكر دولتنا العليَّة فانَّ الذات الشاهانيَّة صانها الله من كل الآفات وايَّد شوكتها دخلت في العام الماضي في السنة السابعة والعشرين من جلوسها المأنوس على تخت السلطنة. ومن مآثرها ايَّدها الله في هذه السنة الاخيرة اهتمامها بالاسطول العثماني وانشاء سُفن جديدة. ومنها اصلاح السجون بعد عود لجنةٍ كُلِّفت في فحصها في كل ولايات الدولة. ومنها ايضًا تقرير الحضرة الشاهانية بانشاء مكتب لتدريس فنّ المعادن مع ما يحتاج ذلك من العلوم كتحريك الاثقال والطبيعيَّات ودرس طبقات الارض والنبات. ومنها ايضًا القرارات النهائيَّة في انشاء سكَّة بغداد التي يؤمل افتتاح اشغالها في هذه السنة. وقد ابدت الحضرة السلطانيَّة في

غضون العام الماضي من اللُّطف والمجاملة للكنيسة الكاثوليكيَّة ما زاد على فضلها السابق كالرقيم السلطاني الموجَّه لقداسة الحبر الاعظم مع وَفد خصوصي أُرسل الى رومية في فرصة اليوبيل البابويّ. وكالبراءة الممنوحة لغبطة البطريرك الجديد على طائفة الروم الكاثوليك وكالاوسمة العثمانية المرصَّعة او المجيديَّة الاولى الممنوحة لثلاثة بطاركة من الكاثوليك

﴿ رومية ﴾ قد عزَّى الله قلب ابي المؤمنين بما نال في العام المنصرم من التعازي في وسط بلاياه. فانَّ دخولهُ في يوبيلهِ الحبري اتى كبرهان جديد على العناية الصمدانيَّة بالكنيسة وراسها المنظور. وقد كانت الاعياد المقامة في هـذه النسبة كانتصار باهر للكثلكة في كل انحاء المعمور فانَّ الدُّول كلّها قد ارسلت معتمديها مع الهدايا الفاخرة لامام الاحبار. ومذ ذاك الحين اخذ الزوَّار يتوافدون الى امّ المدن للتبرُّك بمواجهة شيخ الفاتيكان وتقبيل اقدامهِ. فاصبحت رومية في كل هذه السنة كزار مقدَّس يحجُّ اليهِ العالم الكاثوليكيّ. ولم يتأخر شرقنا العزيز في مقاسمة هذه الافراح باقامة الحفلات البهجة وارسال الهدايا السنيَّة ورحلة الاحبار الاجلاء من كل الطوائف في مقدَّمتهم بطريركا السريان والكلدان الكاثوليك الى زيارة الاعتاب الرسوليَّة. امَّا قداسة راعي الرعاة فانهُ رغمًا عن عبء السنين لا يزال يمسك بيدٍ قويَّة سكَّان السفينة البطرسيَّة وحسبك ما نشرهُ في هذا العام من الرسالات البليغة المملوءة حكمةً ودراية في الدروس الكتابيَّة وتهذيب الاكليروس. وما انهاهُ من المشاكل مع عدَّة دولٍ بابرام المعاهدات وعقد المخابرات لاسيما مع الولايات المتَّحدة في شأن الفيليبين

﴿ فرنسة ﴾ كانت في العام المنتهي امورها الداخليَّة مضطربةً لما سُنَّ فيها من الشرائع المجحفة بحقوق الرهبانيَّات وقد قدَّم جمهور الاساقفة لمجلس الامَّة رسالة عموميَّة يستلفتون انظارهُ الى ما تُحدث هذه المعاملات من شتات الامر وتفرُّق الكلمة. وكذلك اضطربت الاحوال باضراب العَمَلة عن الشغل في امكنة عديدة فتوقَّف دولاب التجارة مدَّةً حتى انتهت هذه الازمة بحمدهِ تعالى. ومن الامور التي كثر فيها القال والقيل مسئلة عائلة همبر التي فرَّت هاربةً بعد اكتشاف خديعتها لكنَّ الشرط الاسبانيين تمكَّنوا اخيرًا من القاء القبض عليها وسلَّموها للدولة الفرنسويَّة لتجري عليها المحاكمة. ومن الامور السارَّة انَّ الجمعيَّات الكاثوليكيَّة وخصوصاً جمعيَّات الشبَّان زادت في

السنة ١٩٠٢ الفةً وارتباطاً للمدافعة عن الكنيسة وحقوق الدين. امّا الخارج فانّ احوال فرنسة فيهِ على غاية الترقي فانّ مستعمراتها زاهرة ونفوذها متّسع. من ذلك انها ازالت ما كان بينها وبين سيّام من الاستياء والسُّخط بمعاهدة أُبرمت بين الدولتين في ٦ تشرين الاوَّل نالت فرنسة بموجبها مقاطعات مالوپري و باساك وهي عبارة عن ٢٧٠٠٠ كيلو متر تُضمّ الى مستعمرتها في كامبوج ويشترط عليها ان تردّ لسيام مرفأ شنتابون الذي كان في يدها منذ ١٨٩٣. وكذلك بقيَّة المستعمرات الاسيويَّة الفرنسويَّة فانّها في احسن حال يبلغ سكانها ٢٥,٠٠٠,٠٠٠ وتجارتها ٤٠٠,٠٠٠,٠٠٠ فرنك. امّا مستعمراتها الافريقيَّة في سينيغال وغيناي وساحل العاج وداهوماي والكونغو ومداغسكار فضلًا عن بلادها في شمالي افريقية كلّها في نجاح انّما قد حدث في تنظيمها بعض التغيير تسهيلًا لادارتها وتحسيناً لامورها. على انّ الله قد امتحن مستعمراتها الاميركيَّة بما دهم جزيرة مرتينيك من المصاب الذي لا تزال آذاننا تطنّ لاهوالهِ. وقد امتاز في مساعدة المنكوبين مرسلو جمعيَّة آبا الروح القدس فاستحقوا ثناء الحكومة الفرنسويَّة كما اثنت على كثيرين من مرسليها في مستعمراتها واثابتهم بانواطٍ وامتيازات شرفيَّة

﴿ ايطالية ﴾ تجوَّل ملكها فيكتور عمنويل الثالث في انحاء اوربَّة وزار الامبراطورين الثلاثة غليوم الثاني وفرنسوا جوزف ونيقولا الثاني في عواصم ملكهم فتأوَّل الصُّحُفيُّون لهذه الزيارات التأويلات السياسيَّة فيعلمنا المستقبل بخطإِها او صوابها. وفي هذه السنة مات الوزير السابق كرسبي المشهور بعداوتهِ للدين وكان في آخر حياتهِ يعيش منسيًّا. ومن اعمال الكاثوليك الايطاليين المشكورة سعيهم في ابطال البراز وسنّ شريعة ضد المتبارزين. ومناقضتهم لسُنَّة الطلاق التي يرغبها الاباحيُّون

﴿ اسبانية ﴾ قد احتفل الاسبانيُّون الحفلات الفخيمة المملوءة تحمُّساً في ايَّار بنسبة تتويج ملكهم الفونس الثالث عشر. ومع كونهِ الآن صار مستقلاًّ في الاعمال لم يرضَ بان تنفصل عنهُ امهُ ماري كريستين التي ادارت المملكة نيابةً عنهُ مدَّة ١٦ سنة بكل فطنة وحكمة واحسنت تربيتهُ حتى كانت لهُ بمثابة بلانش دي كاستيل للملك القديس لويس التاسع. وإِثر هذه الاعياد الشائقة تجوَّل الملك في اطراف دولتهِ فكان طوافهُ باعثاً لعواطف الحبّ وشواعر الانتباه لشخصهِ الكريم امّا الملك الجديد فانهُ مستعدّ لتضحية حياتهِ لخير رعاياهُ وهو الآن يصرف عنايتهُ في توسيع نطاق التجارة

والصنائع . وقد انتهت السنة بازمة الوزارة وسقوط ساغستا وتشكُّل وزارة أُخرى محافظة يترأَّسها المسيو سيلفيلا

﴿ البورتغال ﴾ لا يزال النفوذ الانكليزيّ سائدًا على هذا البلد فان الانكليز يضبطون اكثر املاكهِ وكرومهِ ومعاملهِ . والظاهر اليوم ان انكلترَّة نالت من البورتغال مستعمرتها دي لاغوا في شرقي افريقية بينما تملك المانيا على البلاد الواقعة في شماليها

﴿ المانية ﴾ ترى الامبراطور غليوم في حركة دائمة لترقية دولتهِ وتوثيق العلائق الحبيَّة مع الدول الاوربية ولذلك زار في العام المنصرم الملك ادورد والامبراطورَين فرنسوا جوزف والقيصر نيقولا . وقد جدَّد المعاهدة الدفاعيَّة المثلَّثة مع النمسة وايطالية . وممَّا يشهد على ترقّي المانية نموّ سكَّانها العجيب فان الكاثوليك وحدهم قد بلغوا في هذه الدولة نحو ٢٢,٠٠٠,٠٠٠ — نالت ايضًا المانية من تعطفات الذات الشاهانيَّة ان تستولي في بحر الاحمر على جزيرة فرسان لتجعلها مرفأ لاسطولها في ممرّهِ الى الشرق الاقصى — وقد منح الحبر الاعظم للامبراطور ان ينشئ كليَّة كاثوليكيَّة في ستراسبرغ — ومن آثار المانية في السنة ١٩٠٢ مؤتمراتها المتعدّدة منها مؤتمر التدرُّن في برلين ومؤتمر الكاثوليك في مانهيم ومؤتمر المستشرقين في هامبورغ وكلّ ذلك دليل على ما للالمان من النشاط في كل الاعمال العظيمة الآيلة الى خير الوطن دينيًا ومدنيًّا

﴿ انكلترَّة ﴾ قد خلا الجوّ لانكلترَّة في العام المنقضي فانَّها نشرت علَمها فوق الترنسفال بعد ثلاث سنوات ذاقت جنودها في غضونها الامرَّين بازاء امَّة صغيرة استَقْتَلَت في سبيل حرّيتها . وكان الصلح في ٢ حزيران مقدّمةً لافراح لم يُعهَد لها مثيل اقامها الانكليز لتتويج ملكهم ادورد السابع فدُقَّت البشائر ونهض العالم البريطاني كرجل واحد لابداء ما تكنُّهُ الصدور من الاعتصام بحبل الملكيَّة الوطنيَّة على ان هذه الحفلات تأخرت مدَّةً ريثما يبلُ الملك من علَّة فاجأتهُ فكادت تذهب بحياتهِ بيد انَّها كانت داعيًا جديدًا لمظاهر الحبّ والولاء من قبل رعاياه . امَّا احوال بريطانية العظمى في الخارج فسائرة على قدم النجاح لاسيَّما في اليابان حيث عُقدت محالفة بين الدولتين . وغاية همَّة الدولة الانكليزيَّة في الحاضر ان تمدَّ في افريقية سكَّة حديديَّة من شمالها الى جنوبها مارَّةً في املاكها ما امكن وهذه اوَّل ثمرةٍ تنوي اجتناءها من حربها الافريقيَّة واستثمارًا للمناجم الغنيَّة من الذهب والماس التي تجدها في تلك البلاد . هذا وقد لاقت

انكلترة في جهات الصومال من المقاومة لجيوشها ما لم يَدرُ على خلدها وهي حتى الآن تناجزهم القتال ولم تظفر بهم تماماً

﴿ روسيَّة ﴾ لا تزال الدولة الروسيَّة تخطو كل سنة خطوة واسعة حتى بلغت مساحة املاكها ثلاثة اضعاف مساحة اوربَّة يُعَدُّ سكَّانها ١٣٥ مليونًا من البشر منهم في آسية ٢٥ مليونًا يسكنون في بلاد واسعة لا تقل مساحتُها عن ١٧ مليون كيلومتر مكعَّب. هذا اذا لم يحسب مندشورية في املاكها والأولى ان تعدَّها من روسيَّة لأنَّ هذه الدولة اخذت تتصرَّف بها تصرُّف السيّد بملكهِ. وممَّا يزيد روسيَّـــة نفوذًا في الشرق الاقصى سكَّتها الحديديَّة الواصلة بين عاصمتها وڤلاديڤوستوك مارَّةً في سيبيرية وبحيرة بيكال ومندشورية. وهذه الطريق عبارة عن ثُلث دورة الارض ستفتح لروسيَّة كنوز تلك البلاد النازحة وتجعل تجارتها في مقدَّمة التجـارة الاوربيَّة. وممَّا تستعدُّ لهُ اليوم الدولة المسكوبيَّة عيد المئة الثانية لتأسيس حاضرتها بطرسبورج وذلك في اوائل أيار القادم. ومن الاخبار السارَّة المنبئة بتحسُّن العلاقات بين روسيَّة والكرسي الرسولي الزيارة التي نوى القيصر بصنعها قريباً لنائب المسيح على الارض

﴿ النمسة ﴾ ممَّا تلهج بهِ كل الجرائد الفوز العظيم الذي فاز بهِ في انتخابات مجلس النوَّاب الحزب الكاثوليكيّ الذي يتولَّى شؤونهُ الدكتور الهمام والبطل الضرغام لويغر الصادق الانتماء الى عرش الامبراطور فرنسوا جوزف يســاعدهُ في رئاستهِ البرنس لويس لِختِنشتين. والامل وطيد بان يعود قريباً بهمَّة هذين الزعيمين الهدوّ والسلام لتلك البلاد التي تتعاورها سهام المشغّبين كالاشتراكيين والفرامسون

﴿ بلجكة ﴾ رأت بلجكة في السنة المنصرمة من تقدُّم تجارتها البرّيَّة والبحريَّة ونموّ صنائعها وتحسُّن ماليَّتها ما يضمن لسيطرة الحزب الكاثوليكي فيها الثبات لسنين طويلة. امَّا ملكها فمعدود بين اعظم الملوك الذين تربَّعوا في اوربَّة على تخت السلطنة يحبُّ رعيَّتهُ حبَّ الاب الشفوق لحشاشة قلبهِ كما تخلص لهُ الرعيَّة حبَّهـا البنويّ ولمَّا اراد بعض الاشقياء ان يعكّروا صفاء الجوّ ونصبوا المكايد للملك استاء الشعب كلهُ ايَّ استياء ووُدَّا لو فدوهُ بالنفس والنفيس. وكذلك شاطروه في حزنهِ لفقـد قرينتهِ الصالحة ماري هنريات النمسويَّة التي ماتت ميتة الابرار في سبا في ١٩ ايلول بعــد ان عطَّرت بفضائلها السامية كل انحاء الدولة. ومن مآثر الحكومة البلجكيَّة انَّها ردعت

اصحاب الشَّغَب وردَّت كيد زعمائهم في نحرهم وكذلك سنَّت قانونًا لمنع القمار. وأحسنت ادارة مستعمرتها في الكونغو بحيث اضحت تلك البلاد كمثال المستعمرات بحسن تدبيرها وجودة احوالها ادبيًّا ومادّيًّا . وفي ايلول التأم المجمع القرباني في نامور حضرهُ ٣٠٠٠٠ رجل من نخبة الكاثوليك الاوربيين وقد ترأس هذا المجمع نيابة الكردينال غوسنس باسم الحبر الاعظم مع ٢٥ اسقفًا وانتهى بطوافٍ مهيب حُمل فيهِ القربان الاقدس في شوارع المدينة يتقدَّمهُ المؤمنون بعدد نيف ومئة الف نسمة

﴿ هولندة ﴾ الوزارة التي ضبطت في سنة ١٩٠١ عنان التدبير ساست في العام الماضي البلد سياسةً مملوءة حكمةً كيف لا وبين هؤلاء الوزراء ثلاثة كاثوليكيّين من ذوي الخبرة والذكاء اختارهم الدكتور كويبر البروتستاني لسموّ مداركهم . ومما جعل لهولندة مقامًا رفيعًا بين الدول مجلس التحكيم المنشأ في لاهاي لفضّ المشاكل الدوليَّة . وقد رضيت دول عديدة بحكم هذا المجلس في دعاوي مختلفة منها الخلاف الواقع بين فرنسة وانكلترة بشأن شطّ الذهب والخلاف بين فرنسة والشيلي و بين الولايات المتَّحدة وجمهوريَّة سلفادور ومما حكم فيهِ هذا المجلس مؤخرًا الخلاف بين المكسيك وكاليفورنية فقُضي على المكسيك تعويضًا عن اموال اليسوعيين المحجورة وقت الغاء رهبانيَّتهم ١,٤٢٠,٦٨٣ دولار لكنائس كاليفورنية وفي كل سنة منذ الآن ٤٣,٠٥٠ دولارًا

﴿ سويسرة ﴾ باعت في السنة ١٩٠٢ اكثر من ٢,٠٠٠,٠٠٠ ساعة بنحو مئة مليون فرنك ولا يجاريها في هذه التجارة دولة أُخرى — ومن اعمالها الشهيرة سِرْب سِمپلون الذي فُتح في جبالها على علوّ ٧٥٠ مترًا وطولهُ عشرون كيلومترًا فيكون اطول كل الاسراب وهو يقصّر المسافة بين كالاي وميلان بنحو ١٠٠ كيلومتر . وهذا السرب مضاعف قسمٌ منهُ للذهاب وقسم للاياب بينهما ١٧ مترًا من الصخور الصمَّاء فلا خطر للاصطدام — وقد تعدَّدت ايضًا في جبال سويسرة السكك الحديديَّة المسنَّنة حتى اصبح اليوم عددها عشرين سكة — في ١١ من الشهر الجاري صار رئيسًا لايالاتها المتَّحدة المسيو دوشر (M. Deucher)

﴿ اسوج ونروج ﴾ قد دُشنت في تروندهيم من اعمال نروج كنيسة كاثوليكيَّة كبرى وحضرت الحكومة البروتستانيَّة رسميًّا هذا الاحتفال . وهو اوَّل مرَّة حدث

ذلك منذ الاصلاح البروتستانيّ . وكذلك بلاد اسوج قد اطلقت الحرّية لكل من يريد ان يدين بالدين الكاثوليكي

﴿ البلقان ﴾ هناك عدّة امم صغرى لا تزال في حركة متداومة اعاد الله اليها السلام والأمن

﴿ اليونان ﴾ انتهت ازمتها الوزاريّة وصارت رئاسة الوزراء الى المسيو ديليانيس

(البقيَّة للآتي)

الآثار الشرقية في مكاتب باريس

للاب انطون ربّاط اليسوعي

ليست غايتنا في هذه المقالة ان نصف لقرّائنا ما تحتويه خزائن باريس من المخطوطات الشرقيَّة القديمة كالتآليف الكبيرة والآثار الادبيَّة فانَّ غيرنا من افاضل المستشرقين قد سبقونا الى ذلك نخصُّ منهم بالذكر دي ساسي ودي سلان وزوتنبرغ ومصنفات هؤلاء العلماء معروفة وموجودة فلا يصعب الاطلاع عليها

على ان في باريس كنوزًا أُخرى مطمورةً لم يتصدَّ حتى الآن لوصفها احد من الأُدباء ومرادنا بها الرسائل والمذكّرات التي كتبها الشرقيُّون فارسلوها الى الدولة الفرنسويَّة منذ نيف وثلثمائة سنة فصينت في عاصمة فرنسة في مكاتب الوزارات منها مكتبة وزارة الخارجيَّة ومكتبة الوزارة البحريَّة ومكتبة وزارة المستعمرات وغير ذلك من المكاتب التي اسعدنا الحظّ بمطالعتها واستنساخ قسمٍ صالح منها يفيد تاريخ بلادنا افادة عظيمة . وهذه الكتابات عبارة عن مئات من المجلَّدات الضخمة الرزم الملفوفة والاوراق المنضَّدة في أسفاط وقماطر لم يزل اكثرها مجهولاً فاحببنا ان نصف لقرّائنا اخص هذه الآثار ونتحفهم بشيء من شذراتها علّها تقع لديهم موقع القبول فإمَّا ان تميط القناع عن امور خفية او انها تضيف افادات جديدة الى ما كان معروفًا

وقبل المباشرة بذلك لا نرى بُدًّا من ان نصدّر مقالتنا بكلام اجماليّ في هذه المكاتب ومحتوياتها الثمينة

١ً مكتبة السجلّات في الوزارة الخارجيّة

هي اغنى مكاتب الوزارات الباريسيّة بالآثار الشرقيّة المستحدثة والكتابات الرسميّة . بيد ان الدخول اليها لا يخلو من مصاعب شتّى ولا بُدَّ لذلك من رخصة خصوصيّة يستمدُّها الطالب من وزير الخارجيّة الذي يطرحها على لجنة سياسيّة تبحث عن صوابيّة الطلب واهليّـة الطالب ثمّ تحيلهُ الى الوزير فيمنح الاجازة وفقًا لنتيجة البحث . وهنا ننتهز الفرصة لنشكر سعادة المسيو جيرار دي ريال (Girard de Rialle) ناظر هذه الكتابات سابقًا ومعتمد الجمهوريّة الفرنسيّة حالاً في الشيلي والمسيو لويس فارج (L. Farges) متولي ديوان السجلات القديمة في هذا القسم والاديبين الموسيو توسرا رادل (Tausserat-Radel) والمسيو ريغو (Rigault) وغيرهم على ما ابدوا لنا من اللطف والمجاملة مدّة الاشهر الطويلة التي قضيناها في باريس لمطالعـة هذه الآثار فقد ادّوا لنا من الخدم والتسهيلات ما جعلنا اسرى فضلهم

وممّن حظينا هناك بمعرفتهم سعادة المسيو بوب (M. Aug. Boppe) قنصـل دولة فرنسـة حالاً في القدس الشريف وكان اذ ذاك ناظرًا على ديوان ترتيب السجلات فوجدنا منهُ رجلًا فاضـلًا وعالمًا رصينًا جازتـهُ دولتهُ برفع مقامهِ وكنّا اوّل من سبق فبشّر اهل بلادنا بتعيينـهِ الى هذا المنصب الرفيع وذكر محامدهِ في جريدة البشير

امّا الاضابـير التي تُحفظ في مكتب الوزارة الخارجيّة فمدارها على الكتابات الرسميّة التي تداولت بين فرنسة وغيرها من الدول ولا نذكر منها سوى ما تهمّنا معرفتهُ. وهي تُقسم الى اقسام مختلفة يدعونها سلاسل (Séries)

١ سلسلة المعاريض والمذكّرات (Documents et Mémoires)

تحتوي على مئات من المجلّدات في علائق فرنسة مع بقيّة الدول منها ٧٥ مجلّدًا تحت عنوان « الدولة العثمانية وفرنسة » واكثر ما فيها من السجلات والكتابات مدارهُ على التجارة في بلاد الدولة العليّة ومخابرات اصحاب الدولتين في ذلك . ولهذه السلسلة فهارس واسعة تسهّل التفتيش على المطالعين وتيسر لهم ادراك ضالتهم . ويا ليت بقيّة السلاسل تُنتظم على هذه الطريقة ايضًا فتغني الدارسين عن البحث الطويل واضاعة الوقت الثمين

٢ سلسلة الرسائل السياسيَّة (Correspondance diplomatique)

ان القسم المختص بالدولة العليَّة في هذه السلسلة لا يقلّ عن ٢٥٩ مجلّدًا ضخمًا مع مُلحق ذي ٣٢ مجلّدًا وكلها تتضمَّن رسائل سفراء الدولة الفرنسويَّة لدى الباب العالي الى ملوك فرنسة ووزرائها مع صورة الاجوبة عليها . وهذه السلسلة مع غنى موادّها وسعة فوائدها ينقصها رسائل عديدة في مجلّداتها الاولى فانَّها تبتدئ بالقرن السادس عشر ولا تشمل الى غاية سنة ١٦٦٥ سوى عشرة مجلّدات . فيبقى ٢٨١ مجلّدًا للرسائل المسطَّرة منذ ذلك العهد الى سنة ١٨٣٠

وبعض ما ينقص هذه السلسلة في اوائلها تجدهُ في مكتبة باريس العمومية كما سيأتي ذكرهُ . وممَّن استفادوا من هذه الاوراق المؤرّخ شاريار (Charrière) نشر منها قسمًا في المجموع المعروف « بنصوص مفيدة لتاريخ فرنسة » (Documents pour servir à l'Histoire de France) تشغل اربعة مجلَّدات منهُ لكنها وشلٌ من بحر . وفي هذه السلسلة من الدفائن الثمينة ما يزين المكاتب وينطق بلسان حالهِ عمَّا كان من حسن العلائق بين الباب العالي والمملكة الفرنسيَّة . منها الخطوط الشريفة التي ارسلها السلاطين العظام الى ملوك فرنسة على قراطيس حريريَّة فاخرة قد يبلغ طولها نحو الذراعين وهي مرسومة بالطغراء الهمايونيَّة ومكتوبة بالخطوط البديعة الرائعة . وكان بودّنا ان نرسم بالفوتوغرافية بعضًا من هذه الآثار الجليلة والتحف السنيَّة لتزيّن بها صدر هذه المجلَّة الَّا ان الظروف حالت دون الرغائب . ومنها ايضًا رسائل لاحبار الكنائس الشرقيَّة من بطاركة ومطارنة واساقفة وغيرهم من اصحاب البيوتات ومشاهير الرجال سنذكر منها طُرَفًا

٣ سلسلة الامور الدينية والرسائل الشرقيَّة (Affaires religieuses et Mémoires du Levant)

وهي اضابير مودعة في ثماني قماطِر (عُلَب) كبيرة طولها نحو الذراع في عرض ثلث الذراع كلّها ملأى من رسائل المرسلين وغيرهم مدارها على الامور الدينيَّة في الشرق من السنة ١٦٤٥ الى السنة ١٨٠٦ وهذه الرسائل منضَّدة بلا تجليد ولذلك لا يُسمح بمطالعتها الَّا باذنٍ خاصّ من اللجنة الدوليَّة وكذا فعلهم بكل الاوراق المنثورة اي المتروكة بدون تجليد . وقد طالعناها

٤ سلسلة رسائل القناصل الفرنسيين (Correspondance consulaire)

ان ما يتعلّق بالشرق من هذه السلسلة موجود في قماطر كالموصوفة سابقاً تحتوي مكاتبات قناصل فرنسة الى حكومتهم وهذا جدولها :

اسماء القنصليّات (ق) او نياباتها (ن)	بدء تاريخ الرسائل	عدد القماطر
حلب (ق) والاسكندرونة (ن) من سنة	١٦٨٥	٢٣
طرابلس (ق)	١٦٦٧	١٦
صيداء (ق)	١٦٧٠	٢٣
عكّاء (ن)	١٧٢٠	٠٩
بيروت (ن)	١٨٢٢	٠٢
القاهرة (ق)	١٦٦٩	١٦
الاسكندريّة (ن)	١٦٩٢	٢١

وآخر تاريخ هذه الرسائل سنة ١٨٣٠ لانّ ما كتب بعد هذا العهد لا يُسمح بمطالعته

وفي خلال هذه السلاسل تجد ما يُدعى في الدوائر السياسيّة بالارشادات (instructions) وهي تعليمات كتابيّة مفصّلة تُعطى للسفراء اذا ما أُنتدبوا الى منصب سياسي لدى الدول الاجنبيّة من شأنها ان تفيدهم عن العلائق الكائنة بين دولة السفير والدولة التي يُرسل اليها مع بيان احوال تلك الدولة وطريقة سلوكهِ مع رجالها وما يُقتضى عليهِ مراعاتهُ او العدول عنهُ في معاملاتهِ الرسميّة والى هذه الارشادات يرجع السفير في معضلاتهِ وفضّ مشاكلهِ وكانت هذه الاشارات قديمًا غاية في الخطر وعظم الشأن قبل اختراع التلغراف والسكك الحديديّة لان السفير لم يكن ليستطيع ان يخابر دولتهُ بالسرعة المطلوبة فكان يستغني بهذه الارشادات ويجري على حسب نيّات مرسليهِ ورغائبهم. والذي سلّمتهُ الدولة الفرنسيّة من هذا القبيل لمنصّبيها لدى الباب العالي كثيرٌ في نشرهِ فوائد جمّة لتاريخ الدولتين. وكان ممّن تجرّدوا لهذا الامر سعادة المسيو جيرار دي ريال المومأ اليهِ فأعدّ للطبع قسماً من هذه الارشادات الّا انّ ما نيط بهِ من المهامّ السياسيّة لدى حكومة الشيلي ثبطهُ عن مواصلة عملهِ. وقد اعلمنا سعادتهُ في العام الماضي انهُ لم يعدل عن مقصودهِ بل هو مصمّم على اخراجهِ الى حيز العمل قريباً

٢ً مكتب سجلَّات وزارة البحريَّة

ان شؤون التجارة ومكاتبات القناصل كانت حتى اواخر القرن الثامن عشر منوطة في فرنسة بوزارة البحريَّة ولذلك كان القناصل والعُمَّال يبعثون اليها بالرسائل والاعلامات المتعلّقة بامورهم التجاريَّة وامور الذين يلوذون بهم . وكان الوزير بعد وقوفهِ عليها يعرضها على الملك فيعهد اليهِ الملك بالجواب . وكان الواجب ان تُحفظ كل هـذه الكتابات في محلّ واحد امَّا في وزارة الخارجيَّة التي قامت بعد ذلك مقام الوزارة البحريَّة في علائقها مع الشرق واما في وزارة البحريَّة غير ان الذين تولَّوا تنظيم هذه المخطوطات نقلوا رسائل القناصل الى وزارة الخارجيَّة واودعوا مسودَّات الاجوبة دار وزارة البحريَّة وفرَّقوها في سلاسل جمَّة فقضت علينا الحال ان نطرق باب هذا المكتب لنبحث عن دفائنهِ . وممَّن وجب علينا شكرهم المسيو دي نوفيل (de Neuville) الذي سهَّل لنا تحصيل الاجازة من سعادة وزير البحريَّة لاجل التنقيب في هذه الخزائن وكذلك المسيو فونتن (Fontayn) الكاتب الاوَّل في هذا المكتب والمسيو بريسو (Brissot) متولي حراستهِ

وقد اطَّلعنا على سلسلتين من هذه السلاسل . احداهما موسومة بعلامة B^4 وليس فيها من الآثار الشرقيَّة الَّا النزر القليل . والثانية سلسلة B^7 وهي تحتوي على نيف و ٥٠٠ مجلَّد او إضبارة فيها من الصُحُف والقذالك والمسودات ما يطول شرحهُ ولولا خبرة المسيو بريسو بمضامين هذه الاوراق المكردسة والافادات التي كنَّا نتلقَّاها منهُ يوميًّا لما وصلنا الى المطلوب فقد ارشدنا جنابهُ الى المواضع التي وجدنا فيها رسائل عزيزة الوجود ونصوصًا تاريخية مفيدة وغير ذلك ممَّا نقلناهُ عن ستين مجلّدًا او رزمةً من هذه السلسلة ولا نُرانا استوفينا مضامينها الشرقيَّة . وهذه السلسلة الجزيلة الفائدة قد نُقلت آخرًا الى مكتب السجلَّات الوطنيَّة (Archives Nationales). وقد نُقل قسمٌ من السلاسل الاخرى الى وزارة الخارجية . امَّا نحن فسنذكرها في كلامنا بعنوانها القديم مكتفين بما تقدَّم التنبيه اليهِ

٣ً مكتب سجلَّات وزارة المستعمرات

قد دخل سهوًا في مكتب هذه الوزارة بعض آثار الشرق المسيحي كُتبت في الثلاثين سنة الاخيرة من القرن الثامن عشر وأُودعت في سلسلة حرف F بعنوان رسالات وامور دينيَّة

٤ً مكتب السّجلات الوطنيَّة

في هذا المكتب اثمن السجلَّات واقدمها تاريخًا واعلاها قدرًا الَّا انها لا تحتوي من

امور الشرق الّا ما نُقل اليها من وزارة البحريّة كما ذكرنا وكذلك تجد في السلسلة المُعلَمة بحرف K اوراقاً لسفير فرنسة في الاستانة المركيز دي بوناك من السنة ١٧١٦ الى ١٧٢٥ وفي سلسلة L رسائل بعث بها المرسلون في حلب (سنة ١٦٥٥—١٦٥٧) كانت سابقاً في مكاتب رهبان الكرمل فاستنسخناها

٥ً المكتبة العمومية

تحتوي على مجموع ثمين في ثلاثين مجلّدًا للسفير دي سيزي (de Césy) المتولي شؤون السفارة الفرنسية في الاستانة منذ سنة ١٦٢٠ . وهذه الكتابات غاية في الاهميّة ومن شاء البحث المدقّق عن احوال البطريركية القسطنطينيّة واخبار كيرلس ليكاري لا يستغني عن مطالعتها

وفيها ايضاً كتابات للسفير دي جيراردين (de Girardin) تشتمل على اهمّ ما حدث لهُ في عهد سفارتهِ مع الرسائل الواردة اليهِ من حكومتهِ

وفيها ايضاً غير ذلك ممّا يطول هنا شرحهُ . الّا ان المخطوطات العربيّة والسريانيّة المتعلّقة بتاريخ الشرق المسيحي في هذه القرون الاخيرة هي قليلة متفرقة

وبعد هذه المقدّمات لا نرى بُدًّا من ايضاح ما نحن فيهِ من الارتباك فقد كنّا نودّ كشف هذه الخبايا وفتح كنوزها الدفينة ونشر قسم من هذه الرُقات . الّا ان ضيق الصفحات في هذه المجلّة مع ما هناك من ظروف المكان والزمان كل ذلك يحوجنا الى ان نكتفي بشذرات طفيفة وبعض طُرَف من رسائل بطاركة واساقفة وقناصل موردين لها على لفظها ما امكن دون ان نتعرَّض لمضمونها سلباً او ايجاباً بل نترك فيها الحكم للقارئ اللبيب

ونجعل بداية كلامنا من السنة ١٦٢٠ وفيها تبتدئ اهمّ المخطوطات الباريسيّة التي نحن في صددها . ولا نجهل انَّ في مكاتب رومية العظمى ما سبق هذا التاريخ وفي يدنا من هذه الآثار شيء كثير من اخبار القسم الثاني من القرن السادس عشر واوائل السابع عشر نخصّ منهُ بالذكر رسالات الاب يوحنّا اليانو (جوان باتشتا) اليسوعي الى الاقباط والموارنة وغيرهم ممّا يملأ مئات من الصفحات فنضرب الآن الصفح عنها الى ان تُسعفنا الظروف على نشرها . ونفتتح مقالتنا برسالة للبطريرك مكاريوس الذي مرَّ في المشرق وصف رحلتهِ الى البلاد المسيحية (المشرق ٥ : ١٠٠٩) ولو تأخرت

عن تاريخ سنة ١٦٢٠ لأن المثل بالمثل يُذكر ثمَّ نعود الى السنة التي جعلناها مفتتحاً لآثارنا . وهذه الرسالة كتبها البطريرك المشار اليه سنة ١٦٦٣ الى ملك فرنسة لويس الرابع عشر. وهي مصونة في كتابات وزارة الخارجيَّة في الصفحة ٨٠ من المجلّد الثامن من سلسلة العلاقات السياسيَّة مع الدولة العليَّة ... (لها بقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

ابن رشد وفلسفتهُ

تأليف فرح انطون منشئ مجلَّة الجامعة ١٩٠٣ (ص ٢٢٧)

كتب فرح افندي انطون في مجلّة الجامعة فصلًا في ترجمة ابن رشد نشأ بسببهِ جدال بينهُ وبين المنار (المصري) فافرد هذا التأليف للردّ على المنار غير انَّهُ تتبَّع في اكثر اقوالهِ مزاعم رنان بكتابهِ المعنون Averroës et l'Averroïsme ولم يكتفِ بذلك بل تأثَّر هذا الجاحد في ما لهُ من المطاعن في سائر مصنَّفاتهِ بالسيد المسيح

عن المرء لا تسأل وسلْ عن قرينهِ فكلُّ قرينٍ بالمقارن يقتدي

فبناء عليهِ لا يعجب المطالع اذا رأى في هذا التأليف من المزاعم ما لا يسلِّم بهِ مسيحيٌّ كقولهِ (في الصفحة ١٨٩و١٩١) : « انَّ علماء النصارى وعقلاءهم (زهْ زهْ) لا يعتقدون بلاهوت السيّد المسيح ابن الله الحيّ الّا بالمجاز » وانَّ « مسألة التثليث في الاقانيم مسألة شعريَّة (!!!) تصوريَّة » . فأيم الله إنْ كان هذا معتقد صاحب الجامعة فليرضَ بهِ هو وأمثالهُ من الملحدين امَّا نحن وكلُّ من يدين بالنصرانيَّة فقد تعلَّمنا غير ذلك من انجيل الربّ وتعليم الكنيسة وقد افادنا الرسول (غلاطية ١ : ٨) : « ان بشَّركم احد ولو ملاك من السماء بخلاف ما بشَّرناكم فليكن مُبسَلًا » فنؤمن بانَّ المسيح لذكرهِ السجود هو الله وابن الله حقيقةً لا مجازًا وانَّ تثليث الاقانيم عقيدة جوهريَّة ليس فيها شيء من التصوُّر والخيال هذا ايماننا وفيهِ نحيا وعليهِ نموت ولو احصانا صاحب الجامعة في عداد الجهلاء .

Histoire du Commerce français dans le Levant au XVII^{e} siècle

par Paul Masson. Paris, Hachette pp, 533

تاريخ التجارة الفرنسيّة في الشرق في القرن السابع عشر

اهدت الينا مكتبة هاشيت الشهيرة كتابًا نفيسًا للكاتب المدقق بولس ماسون بيّن فيهِ تاريخ التجارة الفرنسية مع البلدان الشرقيّة في القرن السابع عشر نقلًا عن السجلّات والرسائل المحتفظة في خزائن الوزارات في باريس فألفيناهُ تأليفًا معتبرًا مملوءًا من نوادر المقتبسات والمنتخبات التجاريّة الجزيلة الفائدة وان شاء الله نتحف القرّاء بشذراتٍ منهُ اذا سنحت لنا الفرصة لنظهر لهم عظيم فائدتهِ مكتفين اليوم بالاشارة. امّا المؤلف فهو ممّن يوثق بصدق نقلهم معروف بجدّهِ في التنقيب يراهُ من يدخل المكاتب الباريسيّة منصبًا على المطالعة لا يأخذهُ في شغلهِ ملل. وفي عزمهِ ان ينشر قريبًا في قسم ثانٍ تاريخ تجارة دولتهِ في الشرق مدّة القرن الثامن عشر تتمّةً للفائدة فنشكر لهُ ولاصحاب مكتبة هاشيت هديّتهم ونتمنّى للكتاب رواجًا الاب ا. رباط

EXPÉDITION DES ALMOGAVARES EN ORIENT (1302-1311)

المغاورن في الشرق

par G. Schlumberger, Paris. Plon, in-8, IV-396

قد افادنا صالح بن يحيى في تاريخ بيروت (ص ١٣٨و١٤٩ و ١٦٧ من طبعة الاب لويس شيخو) عن الكثيلان وما كان بينهم وبين المسلمين من روابط الولاء والكثيلان ويُدعَون ايضًا المغاورين (Almogavares) غزاة كانوا يخوضون البحار ويشنّون فيها الغارات. ومن غزواتهم غزوة شهيرة اصابوا فيها الغنائم العظمى جرت سنة ١٣٠٢ فدخلوا بلاد الروم ونهبوا مدنهم الساحليّة واستولوا على قسم من اليونان اتّخذوها كاقطاع وانشأوا لهم فيها دوقيّةً سنة ١٣١١. فهذه الغزوة قد وصفها كاتب بارع من الاكادمية الفرنسويّة غوستاف شلومبرجر الذي ذكر المشرق (٥:١٠٠٣) آخرًا احد تآليفهِ الحديثة في ترجمة بطلٍ من ابطال فرنسة ارنلد دي شاتيليون وفي هذا التأليف الجديد برهان ناطق عن تفنّن الكاتب وحسن انتقائهِ للمواضيع وسعة معارفهِ وانسجام عبارتهِ وسبك معانيهِ حتى ان قارئ هذا الكتاب لا ينظر في مقدّمتهِ حتى يندفع الى مواصلة المطالعة رغبةً منهُ للوقوف على اخبار هؤلاء المغاورين فترى الكتاب اشبه برواية خياليّة ذات وقائع غريبة مع كثرة التنقّل في الاحوال المتباينة الاب ف. بوقيه

شذرات

كتابة عربيّة باللغة النبطيّة — ذكرنا سابقًا (في المشرق ٤: ٣٢٩) رحلة الموسيو دوسو الى الصفا وما وجدهُ هناك من الآثار المجهولة منها كتابات متعدّدة باليونانيّة والنبطيّة والعربيّة. فلمّا عاد الى باريس فحص الكتابات النبطيّة فحصًا مدقّقًا فوجد بينها كتابة عربيّة مكتوبة بالحرف النبطيّ اكتشفها في بادية حرّة في وادي السوط على مسافة كيلو متر من النمارة في جنوبيّها الشرقيّ وتاريخ هذه الكتابة سنة ٢٢٣ لبُصرى التي توافق سنة ٣٢٨ للمسيح فتكون اقدم كتابة عربيّة معروفة الآن (راجع المشرق ٥: ٨١٦). ولهذا الاثر الفريد اهميّة كبيرة لتعريف اصول الخطّ الكوفيّ ولاخبار عرب الشام وفي الكتابة المذكورة تاريخ وفاة احد ملوكهم يدعى امرء القيس بن عمرو ملك بني اسد وترار احد عُمّال القياصرة في بادية الشام. امّا لغة هذه الكتابة فليست فصيحةً فيها مسحةٌ من النبطيّة هذا اوّلها: « تي نَفسُ (هذا قبر) امرء القيس بَرُ (بن) عمرو ملك العرب كلّه ذو (الذي) أسَرَ التاج وملك الاسدين وترارو وملوكهم الخ » والعلماء لم يحلّوا حتى الآن كل مشكلات هذه الكتابة. ولعلّنا نعود اليها مرّة أخرى

لطيفة — في آخر هذا الشهر عيد احد اولياء الله القديس فرنسيس دي سال اسقف سابوديا. فاحب جناب الاستاذ يوسف إلي سليمان ان يصنّف هذه الارجوزة اودعها فكاهةً من ترجمة حياته

صلاة الفلّاح

انَّ شرود العقل في الصلاةِ لآفــةُ الانسان في الحياةِ
قد اخبر الراوي عن افرنسيس دي سالسَ المطران والقديسِ
اذ كان يومًا يسلكُ الطريقا وافاهُ فلّاحٌ غدا الرفيقا
ما طويا من المدى قليلا حتّى اغتدى كلاهما خليلا
فخاطب القديسُ هذا الساري وجعلَ الموضوعَ حُبَّ الباري
رجاءَ ان يجديَهُ إفادَه في مَنهجِ الايمان والعبادَه
قال لهُ في معرض الكلامِ أفتُحِبُّ خالقَ الانامِ
فجاوب الفلّاح « يا لطيفُ » أعنهُ اسلو وَهوَ بي رؤُوفُ
أُحِبُّهُ محبةً سنيّه في ذكرهِ لي لذّةٌ شهيّه

فاسترسل القديس ثم قالا أفي الصلاةِ تطلب الكمالا
ألا تميلُ في الدعا للسهوِ ألا تكون ابدًا في لهوِ
فَشَفَنَ الفلّاحُ إفرنسيسا وهاكم جوابَهُ النفيسا
في طول عمري لم أُطعِ خنّاسا وفي صلاتي لم أرَ الوسواسا
فلاح للقديس انَّ الراحلْ لِمنهج الصَّلاة حقًّا جاهلْ
واثرَ الامرُ بهِ تأثيرًا ورامَ ان ينيلهُ تنويرا
وقال ان صدقتَ فيما قلتا فاصبر عليَّ واستمع لي وقتا
هل لك ان تُصلّيَ (الابانا) من غير ان تشتّت الجنانا
اذا فعلتَ نلتَ ذا الجوادا وكان ما تقولهُ السَّدادا
ها قد بدا صاحبنا يقولُ صلاتَهُ وقلبهُ مشغولُ
لكنّهُ ما قالَ منها النّصفا حتّى انتهى ورامَ عنها وقفا
فكرٌ أتى لقلبهِ فتّانا في انّهُ سيملكُ الحصانا
وقالَ للقديس ذا الكلاما هل معَهُ تعطينيَ اللجاما
فجاوب القديسُ ثمَّ قالا لا ذا ولا هذاك لَسنَ تنالا
إذ في الصلاةِ قد اتيتَ السهوا ولا جزا لمن يجيءُ اللهوا
فاحمرَّ من خجلهِ الفلّاحُ وقالَ قد بانَ ليَ الصّلاحُ
حقًّا شرود العقل في الصلاةِ لآفةُ المرء بذي الحياةِ

أسئلة وأجوبة

س ورد في مجلّة المشرق (٥ : ١٠٤٢) في مقالة الاديار القديمة في كسروان لحضرة الاب الفاضل الخوري ابراهيم حرفوش سؤال ترك الجزم بهِ لارباب البحث وهو: « هل الدهن بالزيت بدعة وهل في الصلوة الموردة اعلاه ما يشير الى شيء من البدعة » فتطفّلت بالجواب راجيًا ادراج كلامنا في مجلتكم الغرّاء في باب الشذرات والاسئلة

الدهن بالزيت يوم خميس الاسرار

ج نجيب (اوّلًا) ان الدهن بالزيت يوم خميس الاسرار في الغسل ليس ببدعة مطلقًا بل هو طقس شرقي ويظهر انهُ قديم العهد وحتى الآن تستعملهُ الكنيسة الارمنية ما خلا قسم منها. وعلى ظنّي ان اليعاقبة يستعملونهُ ايضًا وهذا الدهن تذكار للطيب الذي اراقتهُ مريم المجدلية على اقدام المخلص كما يستنتج وضعيًا من الصلوة الارمنية التي تُتلى على الزيت في مثل هذا اليوم. (ثانيًا) ان الصلوة السريانية التي اوردها صاحب المقالة لا يوجد فيها لفظة تشير الى بدعة او تمسُّ عقائد وآراء الكنيسة بشيء فما الداعي اذن الذي حمل المطران جرمانوس الى هذا الحكم بقولهِ: « لا يجوز الدهن في

الزيت لان ذلك بدعة يستعملها تباع ديوسقورس فقط »

عندنا ان ما حمل المطران على هذا القول هو نفس المبدأ الذي تبعهُ بعض المرسلين في الشرق الذين كانوا يجهلون احياناً لغة الشرقيين وعوائدهم فكل طقس شرقي عويص المعنى او الاصل او يختلف عن طقوس الغربية اختلافاً كلياً كانوا ينسبونهُ الى البدعة. وكذلك حكم بعض الاكليروس الشرقي الذي لم يسعدهُ الحظّ بالبحث والتفتيش عن طقوسنا القديمة. اقول (ثالثاً) لعلَّ المطران جرمانوس سمع من البعض كلاماً او زعماً بخصوص هذا الطقس يُشتَمُّ منهُ رائحة الهرطقة فحكم بما حكم ومَبنى حكمهِ خاصّةً اذ ذكر ان بعض الارمن غير الكاثوليك كانوا يزعمون او يقولون ان مسحة الزيت يوم الخميس تقوم مقام المسحة الاخيرة وهو رأي باطل كما لا يخفى. او لعلَّ المطران جرمانوس رأى العادة المألوفة في الكنيسة اليونانية التي تقوم بالطقس المذكور يوم خميس الاسرار آونة غسل الارجل فدعاهُ ذلك الى الارتياب في سلامة الطقس الذي نحن في صدده عن شائبة البدعة

ولكن كان ينبغي للمطران جرمانوس ان يتحقَّق الحقيقة ويمحصها قبل ان يفتي جزافاً بحق طقس شرقي قديم استعملتهُ كنيستهُ المارونية (دير نرسيس صانغيان الارمني)

س وسُئلنا هل يجوز للكاهن الشرقي ان يمنح سرّ التوبة في بيت رجلٍ من غير طقسهِ. وهل الحلّة ثابتة اذا منحها المعترف

سرّ التوبة

ج لم نجد في هذا الامر جواباً صريحاً في الحقّ القانونيّ المخصوص بالشرقيين. ولكنّنا نظنّ ان الحلّة ثابتة وان كان الكاهن يخطئ بتصرفهِ بدون رخصة اسقف الطائفة او نائبهِ ما لم يكن الامر جارياً كعادة مألوفة بين الطوائف الكاثوليكية

سأل ج. س احد كهنة الموارنة الأفاضل: ١ً أيحقّ في عيد الميلاد لكلّ من كهنة اللاتين ان يقدّسوا القداسات الثلاث او لواحدٍ منهم فقط. ٢ً وهل يُسمح بذلك لكهنة الطقس الشرقيّ. ٣ً ايجوز للكاهن الشرقيّ ان يقدّس بلا تلاوة رسائل القديس بولس

جواب على سؤالات في الطقوس

ج نجيب (على الاوّل) انّ قدّاسات عيد الميلاد الثلاث مسموح بها لكلّ كاهن لاتينيّ لكنّها ليست مفروضة. وعلى (الثاني) انّ الكاهن الشرقيّ لا يستطيع دون اذن المجمع المقدّس ان يقيم هذه القداسات الثلاث. وعلى (الثالث) ان تلاوة

رسائل القديس بولس مفروضة في القداس لا يجوز ان يهملها الكاهن ما امكنهُ

س عاد شكري افندي حوّا فسأل عن طول الذراع التجاري بالنسبة الى المتر لانَّهُ وجد جوابنا بكون الذراع يساوي ٦٧ سنتيمترًا وثلث سنتيمتر لا يوافق الاذرعة التي قاسها

الذراع التجاري

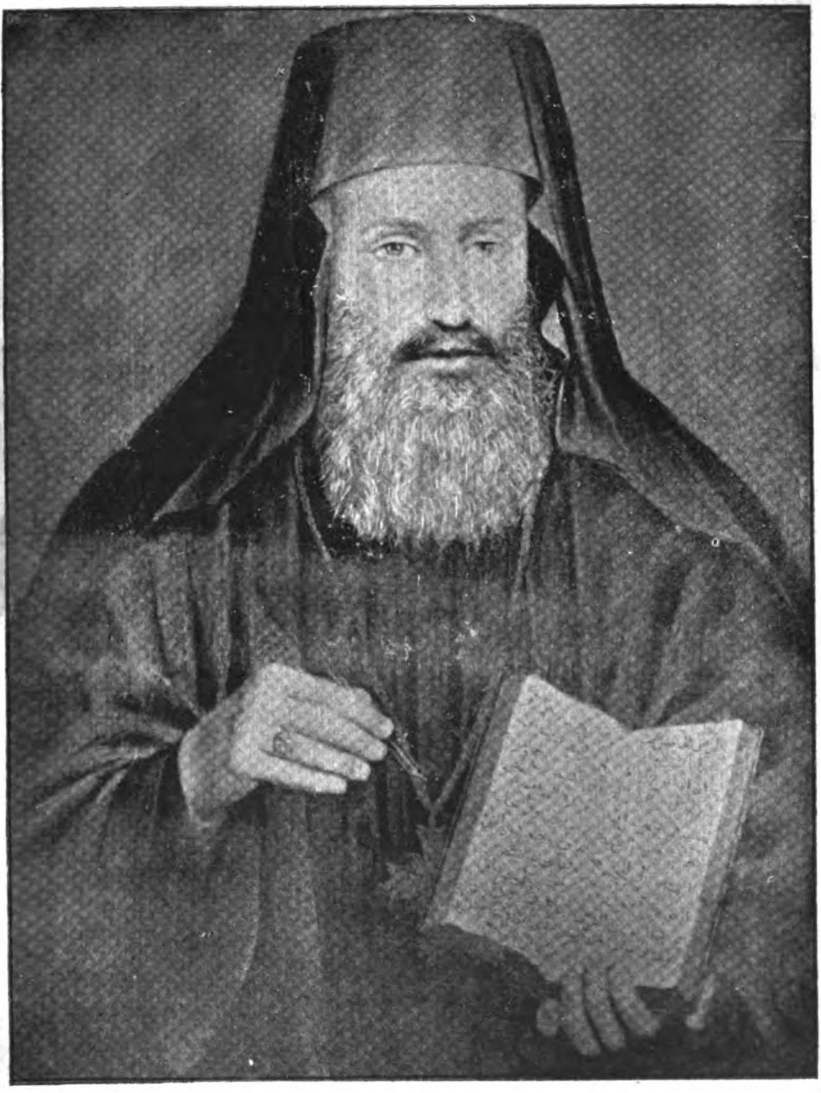
ج نجيب اجمالًا على انَّ الذراع المعوَّل عليها في الممالك العثمانيَّة والمضبوطة غاية الضبط هي الذراع المعماريَّة التي طولها ٧٥ سنتيمترًا بنيّف قليل يبلغ ٧ مليمترات. امَّا الذراع التجاريَّة فنجد في تعريف قياسها بعض اختلاف فانَّ تقويم هاشت مثلًا يجعلها ٦٨ سنتيمترًا بلا كسر. ومنهم من يزيد ومنهم من ينقص. وقال في دليل ايزامبرت: انَّ الذراع تختلف بين ٦٦ سنتيمترًا و٧٠ س في الدولة العليَّة. والظاهر انَّ ذراع بيروت تساوي ٦٨ س ونصف

س وسأل من حلب احد كهنتها: ١ً هل يمكن أن تكتسب في يوم واحد غفارين متعدّدة ان اتمَّ الراج شروطها. ٢ً ان كان غفران واحد يفي تمامًا عن دين احدى الانفس المطهريَّة فما الفائدة من تعداد الغفرانات. ٣ً وكذلك لماذا تقدَّم قدَّاسات كثيرة لاسعاف هذه النفوس اذا كانت ذبيحة واحد كافية لخلاصهنَّ جميعًا بصفة كونها غير متناهية

الغفارين وربحها

ج الغفارين نعم روحيَّة تمنحها الكنيسة لما أُعطي لها من السلطان للربط والحلّ في السماء كما في الارض ولأنَّها نالت من مراحمهِ تعالى مقاليد ملكوت السماوات. امَّا الجواب عن الاسئلة فنجيب عن (الاوَّل) انَّهُ يمكن ان تُربَح في يوم واحد غفارين متعدّدة اذا اتمَّ المؤمن الشروط المفروضة لربحها ولكن هذه الغفارين لا تزيد المؤمن برارةً اذا كانت نفسهُ طاهرة وانَّما الاعمال المنجزة لرُبحها تزيدهُ ثوابًا وكذلك يمكنهُ ان يخصص الغفارين على نيَّة النفوس المطهريَّة. ونجيب على (الثاني) انَّ الغفران الكامل الواحد كافٍ لخلاص نفس من النفوس المطهريَّة في ذاتهِ لكنَّنا لا نعلم ما يمنحهُ الله في حكمتهِ وعدلهِ من هذه النعم لأنَّهُ عزَّ وجلَّ حرٌّ في عملهِ يخصّص من هذه الغفارين ما شاء والخلاص من يشاء حسب ارادتهِ وقضائهِ. وكذا قُلْ عن الذبيحة الالهيَّة التي لها في ذاتها قدرٌ لا ينتهي لكنَّهُ تعالى يستجيب دعاء كنيستهِ على حدٍّ يرضى هو بهِ ولا يتجاوزهُ حسب قضائهِ. وبعبارة أُخرى انَّ الذبيحة غير متناهية في ذاتها لكن تخصيص نعمها منوط بمشيئة الله

ل. ش



صورة الخوري نيقولاوس الصائغ

منقولة عن رسمهِ المحفوظ في دير المخلّص لرهبان الروم الكاثوليك الحلبيّين في صربا

المشرق

ترجمة الطيب الأثر

الخوري نيقولاوس الصائغ

ارسل الينا احد افاضل رهبان الروم الكاثوليك الحلبيين من دير الشير افادات عديدة في ترجمة فريد وطنهِ وفخر ملّتهِ الخوري نيقولاوس الصائغ نقل اكثرها عن سجلّات الرهبانيّة فاقتبسنا من انوارها واجتنينا من اثمارها واضفنا اليها ما اتّصلت اليهِ يدنا من معلوماتنا الخاصّة فادمجناها بها واخرجنا سيرة هذا الرجل الفاضل والشاعر المجيد على الصورة الآتية (ل . ش)

قد امر الربُّ في انجيلهِ الطاهر ولهُ الامر المتبوع والكلام المسموع بالّا توقد السُّرج وتُجعَل تحت المكيال بل توضع فوق المنارة ليستضيء بنورها كلُّ من في البيت. وكذلك قد شاء الله عزّ وجلّ ان يقيم في كنيسته رجالًا عظامًا جعلهم ملحًا للارض ونورًا للعالم المسيحيّ فلا يحسن ان تبقى ضياؤهم محجوبةً وافضالهم في زوايا النسيان مدفونةً. وممَّن متّع الله بهم شرقنا العزيز ذلك الرجل الشهير بل الكوكب المنير الخوري نيقولاوس الصائغ الذي ادّى لطائفتهِ اجلّ الخِدَم وترك من بعدهِ آثارًا طيّبة فاح عطرها وانتشر ذكرها. غير انّ ترجمة هذا الاب المفضال كانت حتى الآن مودعةً في بطن الاوراق لم يُروَ منها الّا نبذة قصيرة لا تبلغ الصفحة الفرد ظهرت في مختصر تاريخ الروم الملكيين (ص ٤٩) ولمّا كانت هذه اللمعة لا تروي غليلًا ولا تشفي عليلًا بادرنا الى تسطير هذه الترجمة اودعناها ما امكنّا من اخبار هذا العالم المشهور علّها تبعث في قلب احد ابناء ملّة الروم الملكيين الرغبة في ان ينقِّبوا عن بقيَّة آثاره ويصنّفوا لتخليد

ذكره سيرة مطوَّلة يضمّنونها تفاصيل حياتهِ مع اخبار الرهبانيَّة الحنَّاويَّة التي كان احد جهابذتها وافرادها. وقد قسمنا هذه المقالة ثلاثة اقسام نبحث في القسم الاوَّل منها عن اصل الخوري نيقولاوس واخبارهِ الى يوم زهدهِ في الدنيا وترهُّبهِ. وفي القسم الثاني عن ترجمة حياتهِ في الرهبانيَّة ونختم القسمين بقسم ثالث نذكر فيهِ فضائلهُ وآثارهُ

١ طفولية الخوري نيقولاوس وشبابهُ

قد ذكرنا غير مرَّة في المشرق ما نالتهُ الشهباء من الفخر في ختـام القرن السابع عشر واوائل القرن التالي اذ قام في ظهرانيهـا بين كلّ الطوائف الكاثوليكية رجال عظام امتازوا فضلًا وفضيلةً نهجوا لذوي ملّتهم طريقًا رحبة يسلكونهـا من بعدهم فتبلّغهم اوج العزّ والمجـد. والخوري نيقولاوس الصائغ احد هؤلاء المشاهير الذين اصطفاهم الباري في عنايتهِ الصمدانية ليسعوا في هذه النهضة الادبية بين الطوائف الشرقيَّة

وُلد هذا الفاضل رحمهُ الله في مدينة حلب في بعض شهور سنة ١٦٩٢ من والدين جمعا بين خيرات الدين والدنيـا وكان اسم والدهِ نعمة او نعمة الله وعُرف بالصائغ لما كان يزاولهُ من صنعة الصياغة في بلدهِ. وكان الابوان من طائفـة الملكيّين راسخين في التُّقى وخوف الله وعلى ذلك ربَّيا اولادهمـا. ولا نعرف من هؤلاء الَّا ابنيهما نيقولا ويوسف (١ وقد توفّي يوسف في عزّ شبابهِ سنة ١٧١٦ فرثاهُ الخوري نيقولا بقصيدة بليغة المعاني اودعها ارقَّ العواطف تحتوي مئة بيت اوَّلها:

خطبٌ مُريعٌ ثابتٌ لا يُصْرَفُ وقضاء ربّ فهو لا يتصرَّفُ

وفيها يعزّي اباهُ بقولهِ :

ابتاهُ ثِقْ باللّه وارضَ بحكمهِ فهو الذي احكامهُ لا تُعْرَفُ
فاحزَنْ على ابنك حُزْن داودٍ على آبيشَلُومَ وما بذاك تكلُّفُ
فالاصل يُرجى بعد قطعِ فروعهِ ان تنبتَ الاغصانُ منهُ فيُخْلِفُ

ورضع نيقولا منذ صغرهِ افاويق الصلاح ونشأ على حبّ الفضيلة والديانة ووقعت

١) وفي ديوانهِ (ص٣٠٢) تاريخ لميلاد انطون بن موسى الصائغ سنة ١٧٥١. ولعلَّ موسى احد اخوة صاحب الترجمة

تعاليم والديهِ في تربة جيّدة اثمرت بعد قليل اثمار البرّ والطهارة

وكان الولد مع تقواه متوقّد الفهم ذكيّ القلب كما هو الغالب على احداث الشهباء. فلمّا ترعرع جعلهُ والداهُ في احد المكاتب فاظهر من النباهة والميل للعلم ما حمل معلّميهِ على القول بانهُ سيكون من رجال وطنهِ المعدودين. على انّ والدهُ اذ رآهُ احرز مبادئ العربية اخرجهُ من المكتب ليعلّمهُ صنعتهُ. فجدَّ الولد في اتقانها وبرع فيها بعد زمن قليل الّا انّ قلبهُ منذ شبَّ كان مائلًا الى الحياة النسكية والزهد عن الدنيا وهذا ما كان يحدو بهِ الى ان يقضي اكثر اوقات فراغهِ في زيارة الكنائس واقامة الصلوات والتردُّد على الكهنة والعبّاد

وكانت في غضون ذلك نشأَت في الشهباء بين الطوائف الشرقيَّة تلك الحركة الكاثوليكيَّة التي أشرنا اليها مرارًا في المشرق (راجع المشرق ٢ : ٤٤٢ و ٥ : ٣٩٧ الخ) بهمَّة الآباء المرسلين وبعض رجال الصلاح. وقد نال الطيّب الذكر عبد الله زاخر صاحب التآليف الشهيرة ونيقولاوس الصائغ من هذه الحركة ما لا حاجة لذكرهِ هنا (١

ومع هذه النهضة الدينيَّة كانت حدثت نهضةٌ أُخرى ادبيَّة فانَّ بعض شبَّان الشهباء من الأُسر المعتبرة اتّفقوا على ان يأخذوا العلوم اللسانيَّة من مناهلها ويجدُّوا في اقتباس الآداب. ولمَّا رأوا انَّ درس العربية بفروعها ضعيف عند اهل جلدتهم اتّفقوا على ان يأخذوا اصول هذه اللغة من بعض شيوخ الشهباء المسلمين. ولم يكن اذ ذاك في حلب من يفوق في العلوم اللسانيَّة الشيخ سليمان الحلبيّ الشهير بالنحوي قرأوا عليهِ الصرف والنحو وتلقَّوا العلوم البيانيَّة ودرسوا العروض حتى نبغوا في تحصيل هذه العلوم بعد مدَّة. وكان اول من سبقهم الى ذلك جبرائيل بن فرحات فخر زمانهِ وامام ملّتهِ المارونيَّة وكان مولدهُ سنة ١٦٧٠. وتبعهُ ميخائيل حكيم الذي رُقّي بعد ذلك الى اسقفيَّة حلب وجلس على الكرسي الانطاكيّ بعد كيرلُّوس طاناس. ثمَّ الشماس عبد الله زاخر صاحب التآليف الشهيرة وعبد الله قرآلي الماروني الذي سُقِّف على بيروت بعد ان صار رئيسًا عامًّا على الرهبانية المارونيَّة . ثمَّ مكرديج الكسيح

---

١) راجع المشرق (٣ : ٣٦٠ , ٦٨٠ , ٧١٩ وحاشية ٩١٥)

الشاعر الناثر الارمنيّ ونعمة ابن الخوري توما الحلبي (راجع المشرق ٥ : ٣٩٦) . وكان آخرهم نيقولا الصائغ ولد من بعدهم فاقتدى بآثارهم . وكان الشيخ الذي اخذ عنهُ نيقولا يختصُّهُ بالعناية لما يرى من نجابتهِ وشدَّة حرصهِ على الدرس

وكان حينئذٍ في حلب احد الكهنة الافاضل من طائفة الروم الكاثوليك اسمهُ الخوري ميخائيل البجع كان درس في رومية العلوم العليا ونال فيها شهادة الملفان ثم عاد الى وطنهِ حلب حيث رُقّي الى درجة الايكونوموس . فرغب نيقولا الصائغ الى هذا الكاهن بان يلقّنهُ الرياضيَّات والعلوم الفلسفيَّة واللاهوتيَّة ليستعدَّ بذلك الى الكهنوت اذا ما تيسَّر لهُ يوماً ان ينتظم في سلك ارباب الدين . فاجاب الخوري ميخائيل الى سؤلهِ وانضمَّ الى نيقولا صديقاهُ ابن حكيم والشمَّاس عبد الله زاخر وانكبُّوا كلُّهم على هذه العلوم فاستقوا من مواردها العذبة ما امكنهم

وكذلك يؤخذ من رسالةٍ كتبها في ذلك الزمان يوسف مارون الدويهيّ انَّ صاحب الترجمة تتلمذ مع الشمَّاس عبد الله زاخر لبطرس التولاوي فدرسا عليهِ الدروس اللاهوتيَّة

غير انَّ الاديب نيقولاوس لم يكن ليكتفي بتهذيب عقلهِ واحراز المعارف البشريَّة والدينيَّة وانَّما كان يشعر في قلبهِ ميلاً قويَّا الى عيشة التنسُّك والزهد ليتجرَّد عن العالم واباطيلهِ وينقطع لخدمة الله وحدَهُ

وممَّا زادهُ في ذلك رغبةً مَثَلُ نخبةٍ من شُبَّان حلب كانوا خرجوا من وطنهم ورحلوا الى لبنان ليلبسوا فيهِ الاسكيم الرهبانيّ . كان بعضهم موارنةً كالقس جبرائيل فرحات وعبد الله قراألي وجبرائيل حوَّاء ذهبوا الى لبنان نحو سنة ١٦٩٥(١) وبعضهم روماً ملكيّين كالخوري جراسيموس والخوري سليمان سكنا اوَّلاً دير البلمند ثمَّ توغَّلا في لبنان فاحتلاَّ دير القديس يوحنَّا الصابغ قرب قرية الشوير . فكان نيقولا يستطلع اخبار هؤلاء الزُّهاد ويُسَرّ بما يبلغهُ عن عيشتهم النسكيَّة فيغبطهم على كونهم آثروا النصيب الاصلح . فجعل يبحث عن الطريقة المثلى لتبريد ظمأهِ واخماد لظى قلبهِ

---

١) وفي ترجمة حياة المطران فرحات انَّهُ ترهَّب سنة ١٦٩٤ الَّا انَّ قصيدتهُ الاولى التي في رأس ديوانهِ تاريخها سنة ١٦٩٠ ويقال عنها انهُ نظمها في حلب

وفي تلك الاثناء نحو سنة ١٧١٣ جاء الى حلب عائدًا من رومية القس جبرائيل فرحات لبعض الشؤون فاجتمع بهِ نيقولا ووجد في صحبتهِ ما زادهُ رغبةً في اقتفاء آثارهِ . وكان هذا الراهب الجليل يرشدهُ ويحبّب اليهِ العيشة الرهبانيَّة وجرت مذ ذاك الوقت بين المعلم وتلميذهِ صداقة كانت اواصرها تشتدُّ مع الزمان. والى هذه العلائق يشير الخوري نيقولا في رثائهِ للمطران جرمانوس فرحات اذ قال :

امامي وذُخري بل غنائي ومغنمي غنمتُ بهِ غنمًا تجلُّ غنائمُهْ
فان كنتُ مَنْ يُلغي آلاهُ فانني لظالمُ نفسي شرَّ ظلمٍ وظالمهْ
وان يكفر الاحسان من ليس شاكرًا فاشبهُ بالكفران من هو كاتمُهْ
حلبتُ بهِ وُسْعَ الاناء معارفًا يُلازمني جُنحَ الدُّجى وأُلازمُهْ

ولعلَّ ابن فرحات هو الذي اقنع والدي نيقولا بان يدعا ابنهما يتبع دعوتهُ ويقطع الحبال التي تربطهُ بالعالم وهمومهِ

وفي سنة ١٧١٦ عاد القسّ جبرائيل فرحات الى لبنان حيث عُهدت اليهِ رئاسة رهبانيّتهِ العامَّة . وفيها ايضًا خرج نيقولاوس صائغ للترهُّب(١ ولا يبعد أنَّ كليهما رحلا معًا وسافرا برًّا . وما لا ريب فيهِ انَّ الشاب نيقولاوس زار قبل دخولهِ دير الشوير اديرة الجبَّة وجبل كسروان حيث وجد كثيرين من معارفهِ الحلبيين فكانت زيارتهُ لهم كبلسم على وجعهِ اذ بارح مسقط رأسهِ . ومع هذا تراهُ لا يزال يذكر وطنهُ العزيز ولولا حبُّهُ لربّهِ لما انفصل عنهُ البتَّة . وفي ديوانهِ ما يشهد على رقَّة هذه الشواعر كقولهِ :

يا حبَّذا حلبُ المنيفةُ انَّها ارضٌ تناهى حسنُها وبهاؤها
رقَّت معانيها فرقَّ مديحُها مذ رقَّ منها صَفْوُها وصفاؤها
قد لذَّ فيها العيش عيشًا صافيًا اذ لذَّ منها ماؤها وهواؤها
قد طاب منها العنصران فطاب عُنْصُرُ اهلها ابدًا وصحَّ شفاؤها

ومنها : تُفني الهمومَ غياضُها ورياضُها وحياضُها وغمارها وغماؤها

---

١) كذا استفدنا من الاوراق المرسلة من دير الشير عن سنة دخول نيقولا الصائغ الرهبانيَّة الحناوية . وجاء في مختصر تاريخ الروم الكاثوليك (ص ٤٩) انهُ دخل الرهبانيَّة سنة ١٧٠٥ (اي قبل هذا العهد باحدى عشرة سنة) ولا نظنُّ هذا صحيحًا . وفي ديوانهِ (ص ١٨٠ و ٢٣٠) قصيدتان قالهما سنة ١٧١٦ وهو مبتدئ كما سيأتي

من كلّ قطر رادَها الورَّاد فانشدهوا وقالوا اين هم اكفاؤها
الله زيدها عزَّةً ومهابةً حتَّى تذلَّ لعزّها اعداؤها

وبعد ان زار الاحباب ووطَّد عزيمتهُ على اقتصاص آثارهم وصل دير ابناء ملّتهِ في الشوير. فكان وصولهُ اليهم كيوم عيدٍ لما كانوا يعلمون من فضلهِ وفضيلتهِ. فرحَّبوا بهِ واكرموا مثواهُ وزاد بهم فرحهُ اذ راوهُ لم يأتِ الدير فارغاً بل جاء بمالٍ كثيرٍ يريد حبسَهُ على الرهبانيَّة فيسدّ بذلك حاجاتها ويتلافى فقرها المُدقع

٣ عيشتهُ الرهبانية

بعد ان اخذ نيقولاوس نصيباً من الراحة اسرع الى الرئيس وهو نصر الله كرمة الحلبي المعروف في الرهبانيَّة باسم الخوري نيكيفورس فطلب منهُ ان ينظمهُ في سلك الطالبين فاجاب الى دعوتهِ بطيب الخاطر. ومذ ذاك الحين وجَّه المبتدئ الحاظهُ الى الكمال فانقطع الى كل الرياضات التي يُروَّض بها طلبة الرهبانيَّات كاعمال الاماتة والتواضع والتفرُّغ للاصوام والصلوات والشغل اليدويّ. وقد قال في ذلك الوقت اوَّل شعرهِ منهُ قصيدة طويلة يعاتب بها نفسهُ ويزجرها عن السيِّئات اوَّلها:

خطاؤك وافرٌ بالوزر طامٍ وطبعُكَ نافر منذ الفِطامِ

ولهُ قصيدة أُخرى حسنة انشدها حينئذٍ يصف فيها الراهب الصالح وما يقتضي عليهِ من اعمال النسك ليكون اهلاً بدعوتهِ اوَّلها:

يا طالباً نسكاً تأدَّبْ قبل ان تُدعى بناسكْ

ومن يطَّلع على ما اودع الشاعر نظمهُ من المعاني الروحيَّة ووصف الكمال الرهباني يتحقَّق بان المبتدئ الجديد بلغ بعد زمن قليل من البرّ والقداسة ما لا ينالهُ غيرهُ الَّا بعد الرياضات الطويلة والممارسات المتعدّدة

وكان نيقولاوس يحبُّ في ايَّام ابتدائهِ مطالعة كتاب الاقتــداء بالمسيح ويغذي نفسهُ باقاويل هذا التأليف الذهبيّ المتضمّن زبدة الكمال في صفحات قليلة. وقد نظم بالشعر بعض شذراتهِ (راجع ديوانهُ ص ١٠٥ و ١٨٢ و ٢٣٤ الخ)

وما مضى على نيقولاوس شهور قليلة بعد دخولهِ في الدير حتى خلب قلوب الرهبان

جميعاً وجذبها الى حبّهِ لِما رأوهُ فيهِ من التقوى ودماثة الاخلاق والحبّ الاخوي والتواضع مع رسوخهِ في العلوم التي لم تكن لتنفخ قلبهُ

وكان الرئيس يشكر الله على هذا الكنز الثمين الذي اغنى بهِ رهبانيّتهُ وكان لا يبتُّ حكماً الّا استشارهُ ورجع الى نصائحهِ٠ ولمّا مرَّ الوقت المعيّن لنذورهِ ابرز بين يدي رئيسهِ النذور الثلاثة البسيطة الفقر والعفّة والطاعة ولهُ في وصفها الابيات المستجادة (راجع ديوانهُ ص ١٠١ و ١٣٦)

وبعد ثلث سنوات من دخولهِ في الرهبانيّة اتّفق الجميع على رسامتهِ شمّاساً ثمَّ قسّاً وذلك سنة ١٧١٩ سامهُ السيد سلفستروس الدهّان مطران بيروت وكان ذا غيرةٍ على الايمان الكاثوليكي محبّاً للرهبانيّة الشويريّة (١

ومن آثارهِ في تلك السنة انّهُ انفق من مالهِ الخاصّ وبنى كنيسة الدير المقامة على اسم القديس نيقولاوس شفيعهِ (وفي ديوانهِ تاريخها) وشيّد خمس قلالي مجاورة لها

وبعد سنة من سيامتهِ انتُخب مدبّراً ثانياً للرهبانيّة وذلك في ١ حزيران سنة ١٧٢٠. فكان اول همّهِ ان يجعل نفسهُ مثالاً لاخوتهِ في ممارسة كل الفضائل المسيحيّة. وفي شعرهِ صدًى لهذه الافكار المقدّسة وممّا نظمهُ في ذلك الوقت وصفهُ للراهب الفاتر وتحريضهُ اخوتهُ على حبّهِ تعالى (راجع ديوانهُ ص ١٨١) وذمُّهُ للتغزُّل (ص ١٨٥). ولمّا استنشدهُ احد اخوتهِ قصيدةً يبعث بها الى بعض خلانهِ في الديار المصريّة تهنئةً لهُ بالزواج استهلَّ قصيدتهُ بهذه الابيات:

لكمُ التهاني فالزواجُ جميلُ لكنّما ثوبُ العفاف جليلُ
قد كنتُ اهوى ان ارى كلَّ الورى مثلي فهل لذوي الجهادِ مثيل
فالارضُ عِلاها التاجُ وعِلا ال ملكوتَ رهط عاش وهو بتولُ
التابع الحَمَلَ الذبيحَ وشأنهُ لطهورهِ التقديسُ والترتيلُ
سرٌّ تشرَّف في ولادةِ مريمٍ قد زانَ هام أُهيلِهِ الاكليلُ

١) وعليهِ فيكون قول صاحب مختصر تاريخ الروم الكاثوليك (ص ٤٩) في ان الخوري نيقولاوس ارتسم كاهناً سنة ١٧١٢ غير سديد. لانّ عمرهُ في تلك السنة كان عشرين عاماً ولا يجوز للكاهن الكاثوليكيّ ان يكهَن في سنّ العشرين. ثمّ مرَّ قولنا بانهُ دخل الرهبانيّة سنة ١٧١٦ ولم يكن بعد كاهناً

وكان الخوري نيقولاوس مع حرصهِ على قداسة نفسهِ غيورًا على كمال اخوتهِ يحضُّهم ما امكنهُ على الترقّي في كلّ اسباب البرّ. وكان مع ذلك يتلهَّب غيرةً على الايمان الكاثوليكيّ يسعى غاية امكانهِ في نشرهِ والدفاع عنهُ لا يهاب في جانب الله كبيرًا ولا صغيرًا حتى شاع اسمهُ في انحاء سوريَّة

وفي تلك الاثناء فرغ كرسيّ حلب بارتقاء السيّد اثناسيوس الدبَّاس الى الرتبة البطريركيَّة خلفًا لكيرلُس الخامس المتوفّى في العشر الاوَّل من سنة ١٧٢٠. فطلب الحلبيُّون الى البطريرك ان يسقّف عليهم الخوري نيقولاوس وكاتبوهُ في ذلك الَّا انَّ تواضعهُ ونفورهُ من المناصب العليا حملاهُ على رفض الاسقفيَّة فأُقيم بدلًا منهُ احد اخوتهِ الرهبان وهو الخوري جراسيموس وذلك في ٢٦ ك ١ سنة ١٧٢٠

وفي ٢٣ نيسان من السنة صار في دير القديس يوحنَّا السابق اوَّل مجمع عام للرهبانيَّة. وفيهِ نذر الاب العام الخوري نيكيفوروس مع بقيَّة المدبّرين والرهبان النذور الاحتفاليَّة وهي الفقر والطاعة والعفَّة ومذ ذاك ابتدأت في الرهبانية النذور الاحتفالية. وزادوا نذرًا رابعًا وهو الاتضاع ابرزوهُ مدَّةً مع النذور الثلاثة الى ان تثبَّتت فرائض الرهبنة فأُبطل

وبعد انتهاء المجمع عهد اليهِ رئيسهُ ان يتفقَّد اديرة الرهبانيَّة ويُصلح ما بها من الخلل وكانت هذه الاديرة ثلاثة دير مار اشعيا القريب من برمانا ثم دير مار الياس محيدثة ودير السيّدة في راس بعلبك. وقد كابد في مهمَّتهِ هذه مشقَّاتٍ كثيرة من قبل بعض المنفصلين الذين اثاروا عليهِ غضب البطريرك اثناسيوس وعاكسوهُ في اعمالهِ الخيريَّة. وفي ديوانهِ (ص ٢٣٩) ما يُشعر بهذه المِحَن التي قاساها خصوصًا من قبل احد الرهبان الذين خدعهم الطمع بالرئاسة فجحدوا الايمان الكاثوليكيّ ولاذوا باهل الدنيا لترويج مطامعهم. لكنَّهُ اثابهُ الله تحمَّل كل هذه المحن بالصبر الجميل مستسلمًا اليهِ تعالى واثقًا بعنايتهِ وهو مع ذلك يهيم متشوّقًا الى دير مار يوحنَّا ووادِيهِ واخوتهِ وقد كتب حينئذٍ (راجع ديوانهُ ص٢٣٥):

يا نسيم الصبا تحمَّل سلامي ثمَّ بلّغ تحيَّةَ المُستهامِ
ذلك الواديَ الخصيب صباحًا ورُباهُ المنيفة الاكرامِ

وفي هذه القصيدة يصف كثيرًا من احوال الرهبان الشويريين في مناسكهم

وعباداتهم بشعر منسجم يسيل رقةً ولطفًا :

ليس فيهم وان دجا الليلُ كابٍ غافلُ اللحظ عاثرُ الأقدامِ
لابسين الحداد فوق جسومٍ شفَّ من تحتها نحيفُ العظامِ
لهمُ البرُّ والعفافُ وشاحٌ غير مُستردمٍ مدى الايامِ
منطقتْ حقوهم مناطقُ نسكٍ اكسبتهم طهارة الاجسامِ
توَّجتهم قلانسٌ واقياتٌ خلتها مغفرًا على كلّ هامِ

الى ان قال : ان ترُم جنّة النعيم بارضٍ نَعِمت من خصائص الإنعامِ
ملكوتٌ يضمُّ كلَّ طهورٍ مالكوهُ ملائك العلّامِ
فهو دير المخلّص مار يُحنّا والنبيّ الكريمِ نسلِ الكرامِ

ولمّا انهى الخوري نيقولاوس المهمّة التي وكلها اليهِ رئيسهُ عاد الى دير الشوير في سنة ١٧٢٢ . وفيها منحهُ الله فرحًا عظيمًا بقدوم صديقهِ المُخلص الشماس عبد الله زاخر من حلب الى لبنان هاربًا من اعدائهِ وكان نزل في زوق مكايل فاجتمع بهِ الخوري نيقولا ونشّط عزائمهُ وحرّضهُ على اتمام المشروع الذي فكّر فيهِ وهو انشاء المطبعة التي نُقلت بعد ذلك الى الشوير . وللخوري نيقولا قصيدة عامرة الابيات يمدح فيها صديقهُ ويعزّيهِ في التجارب المتعدّدة التي ألمّت بهِ من قبل المشاقّين اولها :

لَعمرُك انَّ الصبرَ غايتُهُ القدرُ وحسبُكَ قدرٌ من خلائقهِ النصرُ

ومنها : فباللهِ من قد عاف خدنًا وموطنًا لهُ الله خدنٌ والسماءُ لهُ خدرُ
وقالوا تميَّز ألنفاقُ ام النوى فقلتُ ألَا واللهِ خيرٌ ليَ الهجرُ
فلا خيرَ في دارٍ وان قد ألِفتَها تبارى بها الاضلالُ والضرُّ والمكرُ

وفي سنة ١٧٢٣ في ١١ أيار قُلّد رئاسة دير مار يوحنّا فضاعف همّتهُ وافرغ كل مجهودهِ في تحسين احوالهِ المادّيّة والادبيّة . وكذا فعل في دير مار اشعيا في السنة التالية لمّا أُقيم عليهِ رئيسًا بدلًا من الخوري جنّاديوس . وكأنّ الله انتدبهُ الى رئاسة هذا الدير ليقدّم لاخوتهِ الرهبان مأوًى وملاذًا لمّا ثارت عليهِ وعلى اخوتهِ ثوائر المنفصلين فانّ سلفستروس الدخيل لمّا رأى ما للرهبان الشويريين من المساعي المبرورة وانّهم بارشاداتهم ومواعظهم وتعاليمهم يرشدون كثيرين الى الحقّ ناصبهم في اعمالهم وتمكّن من نفيهم من اديرتهم حتى دير مار يوحنّا الصابغ ودير مار الياس محيدثة فاضطرَّ الرهبان ان يجتمعوا كلّهم في دير مار اشعيا حيث استقبلهم الخوري نيقولا بحنوّ الاب لاولادهِ الاعزّاء واجتهد في ان يخفّف عليهم بلطفهِ ومحبّتهِ أعباء هذه المحن وكان الرهبان مع هذا

في ضيقٍ عظيم يجتمع خمسة او ستّة منهم في قلالي صغيرة لا تزيد على عشر اذرع مربَّعة مع انَّ هذا الرئيس الهُمام كان زاد على القلالي القديمة ثماني غُرف شيَّدها لهذه الغاية

وقد نال الرهبان من الضنك والجوع والعري ما لا يصفهُ قلم. امَّا الخوري نيقولا فانَّهُ تأثَّر من حالة اخوتهِ تأثيرًا عظيماً وهو يعدُّ اوجاع كل واحد منهم كاوجاعهِ الخاصَّة وقد بلغ بهِ ذلك الى أن اصيب بحمَّى خبيثة كادت تذهب بحياتهِ الثمينة لولا انَّ الله حنَّ على ابنائهِ وردَّ لهم اباهم بعد ان يئسوا من شفائهِ. وما ابلَّ من مرضهِ حتى قام وطرق ابواب الامراء اللمعيين في صاليما ودخل على الامراء الشهابيين وبيَّن حقوق رهبانيَّتهِ حتى رجَّعوا لهم الاديرة المسلوبة. وما اكتفى بان يهتمَّ بشؤون رهبانيَّتهِ بل خدم الرهبان اللبنانيين بان نال لهم من الامير حسين واولادهِ في صاليما دير سيدة طاميش. وفي ديوانهِ قصائد نظم قلادتها في ذلك الوقت مادحاً بها الامراء اللمعيين منها قصيدتهُ الداليَّة التي اوَّلها:

العدلُ يبني والامان يشيّدُ والجورُ يفني والهوانُ يبدّدُ

وفي سنة ١٧٢٧ اتَّفقت اصوات اخوانهِ الرهبان على ترقيتهِ الى الرئاسة العامَّة على جمعيَّتهم. ومع كونهِ لم يحبَّ الرئاسة والترفُّع لم يرَ بُدًّا من التلبية لمشيئتهِ تعالى فباشر هذه الرتبة بما طُبع عليهِ من النشاط والغيرة وقصارى غايتهِ ان يزيد شعب الله فضلًا وصلاحاً. وقد بقي في هذا المنصب اربع سنوات توالت عليهِ في اثنائها المصائب وابتُلي بضروب الاكدار فانَّ سلفسترس البطريرك الدخيل وحزبهُ ما علموا بانتخاب الخوري نيقولا رئيساً عاماً على الرهبان الشويريين حتى تصدَّوا لهُ ونصبوا لهُ المكايد واذاقوهُ الموت الواناً. فانَّهم ضربوا الاخماس بالاسداس وبذلوا النفس والنفيس في احباط مساعيهِ وانتزاع الاديرة من ايدي رهبانهِ فنجحت مكايدهم وفاز سهمهم فهجموا على دير مار يوحنَّا ليلًا وطردوا منهُ رهبانهُ فعادوا الى دير مار اشعيا منتظرين بفروغ الصبر ان يُسرّي الله عنهم. لكنَّ الخوري نيقولاوس لم يَخُرْ عزماً ولم يضعف نفساً فانهُ عاد الى حكَّام لبنان واوقفهم على ظلم اعدائهِ فاقرُّوا بحقوق جمعيَّتهِ واجبروا المغتصبين على ردّ المسلوب بعد شهرين. فقال في شكر ناصرهِ الامير حيدر الشهابيّ قصيدتهُ التي اوَّلها:

أضحي وابصاري تغضُّ وتُبصر وتبيتُ افكاري تصوغ وتكسِرُ

ولهُ ايضاً قصيدة يمدح بها القاضي عبد اللطيف الذي حكم لهُ ولرهبانهِ اوَّلها:

ممتدَّ المجد والعلاء المنيفِ سِدرة الفخر ذا المقام الشريفِ

وبينما كان يهتمّ بامور رهبانهِ بغيرةٍ لا تعرف الملل امتحنهُ الله ثانيةً بمرضٍ عُضال سرى اليهِ بخدمتهِ لاحد رهبانهِ وهو الاب بروكوبيوس الطبيب. وكان هـذا دُعي الى تمريض قرينة الامير عسَّاف ابنة الامير حيدر في صاليما وكان داؤها معدياً فانتقل اليهِ المرض ومنهُ الى الخوري نيقولاوس وتفاقم الداء حتى ساقهُ الى ابواب المنون. فعلم الشماس عبد الله زاخر بثقل مرضهِ وكان وقتئذٍ في الزوق فاسرع الى الاب يعقوب الراهب اليسوعيّ المتطبّب في عينطورة وطلب منهُ ادويةً منحهُ الله بها الشفاء التام

وفي سنة ١٧٣٠ طلب صاحب الترجمة من المجمع الملتئم في دير مار يوحنا ان يُعفى من الرئاسة على الرهبانيَّة فأُجيب الى الحاحهِ بعد ان رفضوا طلبهُ غير مرَّة (١ وانتُخب الخوري مكسيموس حكيم. لكنَّهُ لم يُعفَ من عدَّة مهامّ أُنيطت بهِ كالمدبريَّة ووكالة دير المخلّص. وفي ايلول من السنة التالية أُقيم وكيلًا عامًّا ونائبًا عن الاب العام الذي تفرَّغ عن الرئاسة

وممَّا سعى فيهِ في تلك الاثناء فتحُ دير للعابدات على اسم سيدة البشارة في الزوق فاشترى هناك مزرعة سنة ١٧٣٢ وبنى فيها ديرًا جعل فيهِ الراهبات. وشاركهُ في هذا العمل صديقهُ الشماس عبد الله زاخر. الَّا انهُ لقي في سبيل هذا المشروع من المشاكل ما يطول شرحهُ هنا ودام الامر الى سنة ١٧٤٨ حيث ازال الكرسيّ الرسوليّ تلك العقبات واعاد الصلح بين ابناء الكنيسة

وفي ١٢ ت ٢ من السنة ١٧٣٢ عُقد مجمع عام في دير النبيّ اشعيا فقُلّد الخوري نيقولاوس الرئاسة العامَّة ثانيةً فعاد اليها بنشاطهِ المألوف وتجرُّدهِ المشهور وبقي في هذا المنصب الى آخر حياتهِ في سنة ١٧٥٦ وهو يتفـانى في خير اخوتهِ ويتلهَّب غيرةً على ترقيهم في البرّ والآداب

وفي سنة ١٧٣٤ اظهر غبطة البطريرك كيرلُّس طاناس الكاثوليكيّ الانطاكيّ رغبتهُ في توحيد الرهبانيَّتين الشويريَّة والمخلصيَّة. لكنَّ الخوري نيقولاوس بعد مفاوضة

١) وعليهِ فلا يصحّ ما جاء في مختصر تاريخ طائفة الروم الملكيين (ص ٣٧) ان الخوري نيقولاوس اقام في الرئاسة من سنة ١٧٢٧ الى ١٧٥٧

آباء جمعيَّتهِ لم يرَ في هذا الاتحاد صلاح الرهبانيَّتين لما كان بينهما من التباين في الروح والعادات والطرائق النسكيَّة فعرض على البطريرك رأي رهبانهِ وتقدَّمهم وظلَّ يدافع عن حقوقهم الى ان حظيت ملاحظاتهُ قبولاً عند مرجعها الاعلى

وبسعيهِ ايضاً منح الحبر الاعظم اكليمنضوس الثاني عشر الرهبانيَّة الشويريَّة مقاماً في عاصمة الكثلكة. فان الخوري نيقولاوس كان ارسل في سنة ١٧٣٣ الابوين نكتاريوس ميره وبروكوبيوس الطبيب الحلبيّ باسم الرهبانيَّة واصحبهما بتحارير منهُ ومن السيد مكسيموس حكيم الراقي حديثاً كرسيّ اساقفة حلب ومن الاب بطرس فروماج اليسوعيّ ومن بعض الآباء الكبوشيين. فاحسن الاب الاقدس وفادتهما وشملهما بنظرهِ الابوي وتكرَّم على الرهبانيَّة بكنيسة سيدة السفينة كما شرح ذلك في المشرق (٤: ٥٦٦) سيادة الارشيمندريت الكسيوس كاتب واقام لها كردينالاً محامياً وهو اينوشنسيوس بتره في ١٨ ك ٢ سنة ١٧٣٥

واعظم خدمةٍ اداها الخوري نيقولاوس في تلك الاثناء لرهبانيَّتهِ انهُ وضع فرائض الرهبانيَّة الشويريَّة مستنداً فيها الى قوانين الآباء الاقدمين وخصوصاً القديس باسيليوس الكبير وارسلها الى رومية سنة ١٧٤٧ مع الابوين يوحنَّا النقَّاش الدمشقي وتوما كرباج الحلبيّ فاثبتها البابا بناديكتوس الرابع عشر بعد الفحص المدقَّق في سنة ١٧٥٧ وبراءة التثبيت مطبوعة في صدر كتاب الفرائض. ثم اثبت ايضاً البابا نفسهُ فرائض راهبات دير سيدة البشارة سنة ١٧٦٣ وهي ايضاً من تأليف الخوري نيقولاوس

وكانت السنون الاخيرة من حياة هذا البارّ ايام هدوء وسلام افرغ غاية جهدهِ لتحسين امور رهبانيَّتهِ ماديًّا وادبيًّا. وقد اتاح لهُ الله في سنة ١٧٥١ ان يتبرَّك بزيارة الاماكن المقدَّسة وشفاء غليله برؤية الارض المرتوية بدم مخلصهِ يسوع الحبيب. ثم رجع الى دير الملاك ميخائيل في الزوق وهو لا يزال يكدّ ويتعب ويعظ حتى اوائل الشهر كانون الاوَّل من سنة ١٧٥٦ فاجتمع في اثنائهِ الرهبان لمجمع عام فاستقال الخوري نيقولاوس وطلب منهم ان يعفوهُ فلم يقبل اصحاب الاصوات استقالتهُ فلمَّا رآهم لا يصغون الى توسُّلاتهِ قال لهم: ان لم تعفوني انتم فالله نفسهُ يعفيني. قال ذلك كأنَّ الامر أُوحي اليهِ من قبل الله. وفي غد ذلك النهار وهو اليوم السابق لحفلة المجمع حضر تلاوة الفرض وقدَّم الذبيحة الالهيَّة وبعد الشكر صعد الى غرفتهِ بتمام الصحة ودعا متقدّمي

الرهبان واوصاهم وصاياهُ الاخيرة كأنهُ يودّعهم الوداع الاخير. وفيما هو يكلمهم شعر في جسمهِ بضعفٍ عقبهُ حمّى شديدة فتقبّل الاسرار المقدَّسة بكل ورع وخشوع ومُسح المسحة الاخيرة بيد السيد اثناسيوس دهّان مطران بيروت خلف السيّد سلفسترس الدهّان والذي صار بعدئذٍ بطريركاً وتسمّى ثاودوسيوس. وكان الرهبان في غضون ذلك قد اجتمعوا عند فراشهِ فاخذ المحتضر يودّعهم ويحرّضهم على الثبات في دعوتهم والمحافظة على واجباتهم الرهبانيَّة وباركهم ثم امسك بيدهِ الصليب المقدَّس وقبّلهُ وضمَّهُ الى صدره واسلم الروح بكل سكينة وذلك في ١٧ كانون الاوَّل من سنة ١٧٥٦

وهنا حدث بحزن اخوتهِ ولا حرج فانَّهم بكوهُ بكاء اعزّ الآباء ولم يكادوا يقبلون تعزيةً لولا معرفتهم انَّ الله دعا اليهِ عبدهُ الامين ليكافئهُ عن اتعابهِ ويقيمهُ شفيعاً لهم يتقرَّبون بهِ الى عرش جلالهِ

وقد احتُفل بجنازتهِ احتفالاً عظيماً مهيباً حضرهُ كلّ سكّان قرية الزوق والقرى المجاورة واودع جسمهُ الطاهر في ضريح فوق ضريح السيد جراسيموس مطران حلب في كنيسة دير الملاك ميخائيل

٣ً بعض مآثر الخوري نيقولاوس الصائغ

سطرنا في الصفحات السابقة ملخَّص حياة رجل الله الخوري نيقولاوس الَّا اننا لم نذكر من مآثرهِ الّا النزر الزهيد وكنَّا نودّ لو نفرد لهذه الاعمال باباً مستقلاً لولا ضيق المقام فنكتفي بالاشارة الى شيء منها ونبتدئ بذكر بعض فضائلهِ التي ازدان بها في حياتهِ

١ (فضائلهُ) قد نوَّهنا في ترجمة حياتهِ الى كثيرٍ من الفضائل السامية التي مارسها. وممَّا خُصَّ بهِ محبَّة عظيمة للربّ الاله تراهُ يتغزَّل في كمالاتهِ ويصبو الى جلالهِ ويصف في شعرهِ سرّ ثالوثهِ غير المدرك وانبثاق الروح الاقدس (ص ١٤٥ من ديوانهِ) وتجسد الابن الوحيد مع ذكر اطوار حياتهِ على الارض من ميلادهِ الى موتهِ (ص ٥٨, ٢١٧,١٥٧,١٣١ الخ) وسر قربانهِ الاقدس الذي وصفهُ بابدع الصفات في مقصورة يحقّ لها ان تُرقم باحرف ذهبيَّة (ص ٢١٤) وافاض في مناقب والدة الله التي كان متعبداً لها واثقاً براحمها وقد مدحها منذ دخولهِ في الرهبانيَّة بشعرهِ الرائق (ص ٣٢ . ٤١ الخ)

ومن محبّتهِ هذه المتّقدة لربّهِ نتجت محبَّة أُخرى رسخت في قلبهِ رسوخ الجبال نريد محبَّتهُ للكنيسة الكاثوليكية واعتصامهُ بالصخرة البطرسيَّة فلا تكاد ترى صفحةً من

ديوانهِ الّا اودعها ما كان صدرهُ يكنّهُ من عواطف الحبّ والاخلاص لهذه الكنيسة ولاحبارها المعصومين عن الضلال في التعليم الدينيّ · وتراهُ بخلاف ذلك يتتبّع الشقاق بهجوهِ ويندّد بزعمائهِ ويكشف معايرهُ ومضارّهُ ولهُ في ذلك من التفنُّن ما يقضي لهُ بالعجب · ويلحق بهذا الباب قصائد قالها في بعض ضحايا الشقاق كابراهيم الدلّال (ص ٨٠) والقس بطرس الحلبيّ (ص ٢٥٩)

٢ (ابنيتهُ) لهذا البار ابنية عديدة شيّدها من مالهِ الموروث واهداها للرهبانيّة الشويريّة · منها ما ذكرناهُ سابقاً كبيعة القديس نيقولاوس في دير مار يوحنّا وقلالي دير مار اشعيا ودير راهبات البشارة في الزوق · وقد اوقف في سنة ١٧٢٦ على دير مار اشعيا ارضاً زُرعت توتاً · وممّا شُيّد بسعيهِ من مال الرهبانيّة دير الملاك ميخائيل ثمّ بنى لهُ رواقاً في سنة ١٧٥١ · وفي سنة ١٧٣٤ رمّم دير مار يوحنّا ووسّعهُ · وفي سنة ١٧٥٠ اشترى من الشيخ شاهين تلحوق ارضاً موقعها قرب مكين عمّر فيهـا ديراً على اسم القديس الشهيد جاورجيوس · وعُرف الدير بدير الشير لموقع بنيانهِ · وهو اليوم دير كبير مشهور بغزارة مائهِ وجودة هوائهِ ونضارة غياضـهِ · وفي سنة ١٧٥١ اصلح دير النبي اشعيا وبنى قبّة جرسهِ · واشترى في زحلة ارضاً عمّر فيها ديراً على اسم القديس الياس المكنّى بالطوق وهذا كان خاتمة ابنيتهِ رحمهُ الله رحمةً واسعة واجزل ثوابهُ

٣ (تآليفهُ) اشهر تآليف الخوري نيقولاوس ديوانهُ المشهور الذي طُبع اوّلاً في مطبعتنا سنة ١٨٥٩ على علّاتهِ ثم نظر فيهِ الشيخ ابراهيم اليازجيّ واصلح شيئاً من شوائبهِ فطُبع بعد ذلك ستّ طبعات متوالية · وقد كانت في الطبعة الاولى نحو عشر قصائد أُخر منها ارجوزتهُ في الصلاة ضرب المصلح عنها صفحاً لبعض ركاكة في نظمها · وما لا ينكرهُ احد انّ شعر الخوري نيقولاوس رقيق المباني بليغ المعاني كثير التفنُّن لهُ في المديح والرثاء والتهاني والتاريخ وجميع الفنون الشعريّة ما يشهد لهُ بطول الباع وسموّ القريحة ولهُ البديعيّة الحسنـة في مديح السيّد المسيح ورسلهِ الاطهار في ١٥٦ بيتاً ومن تآليفهِ ايضاً القرائض الرهبانيّة التي سبق ذكرها وقد اثنى عليها البابا اكليمنضوس لمّا اثبتها · وممّا افادنا حضرة الاب قسطنطين باشا انّ للخوري نيقولاوس كتاباً كبير الحجم يتضمّن مواعظ على مدار آحاد السنة والاعيـاد يوجد منهُ نسخة في مكتبة عين تراز · ولهُ تآليف أُخرى أُحرقت في سنة ١٨٦٠ بعين الدوق في زحلة مع كتب عزيزة الوجود

كان استعارها من دير الشير السيد باسيليوس شاهيات الحلبيّ اذ كان اسقفاً على زحلة. فذهبت هذه الكنوز الثمينة ضحيَّة النار

هذه بعض مآثر الخوري نيقولاوس الصائغ دوَّنَّاها هنا ليأتسي بها ابناء الرهبانيَّة الباسيليَّة ولعلَّ هذه الخلاصة تبعث في بعض كتبهم الرغبة في ان ينشروا ما بقي مطويًا من اخباره

رسالة في وحدانيَّة الخالق وتثليث اقانيمه

تأليف ايليَّا مطران نصيبين

عُني بنشرها الاب لويس معلوف اليسوعيّ

توطئة

انَّهُ لمن المقرَّر لدى العلماء العارفين بالآداب النصرانيَّة ان صاحب كتاب دفع الهمّ ايليَّا النصيبيني قد ترك للسَّلف فيما تركهُ من التآليف الشائقة مقالةً في وحدانيَّة الخالق وتثليث أقانيمهِ. وكنَّا مع مَن هام بآثار العرب ووقف لاحيائها جُلَّ اتعابهِ نتأسَّف على انَّ يد الدهر اغتالت تلك الدرَّة الثمينة (راجع المشرق ٥ : ٢٤٠)

بيد ان الله يسَّرنا الى الاكتشاف عنها فيما دُفن من الدفائن في مكتبة اكسفورد الشهيرة بل قُل فيما حُفظ كأغنى اللآلئ في ذلك المتحف البُدْلاني الكريم. وجدْتُها ضمن مجموع لم اعهد لهُ شبيهًا في المكاتب الاوربيَّة وقد وصفهُ بعض الوصف صاحب فهرست تلك المكتبة في المجلَّد الاوَّل منهُ تحت عدد ٣٨ (Hunter. 240). وهذا المجموع يحتوي على عدَّة تآليف او مقالات يبلغ عدد صفحاتها ٢٦٠ صفحة. امَّا مضامين هذه المصنَّفات فهي كما ترى: ١ً في اوَّل الكتاب تقويم السنة القبطيَّة. ٢ً شرح الامانة. ٣ً كتاب درياق العقول في علم الاصول للقسّ رشيد ابي الخير ألَّفهُ سنة ١٠٧٢ م على ما ورد في الفهرست الباريسيّ. ومنهُ نسخ معهودة في مكاتب شتَّى. وفي خزانة كتبنا الشرقيَّة منهُ نسخة منقولة عن دير القديس يوحنَّا الصابغ في الشوير. ٤ً المقالة الاولى لبولس البوشيّ اسقف مصر في معرفة الاله المتجسِّد من القياس العقليّ. ٥ً المقالة الثانية لابي الفرج عبد الله بن ابي الطيّب في التثليث والتوحيد. ٦ً مقالة ليحيى النحويّ في الدلالة على حدث العالم. ٧ً مقالة لحنين بن اسحاق في حقيقة الاديان وكيفيَّة ادراكها. ٨ً كلام للآباء الفضلاء في اصناف سياسة البارئ. ٩ً ذكر اجتماع مطارنة الطوائف عند بعض الوزراء بالمشرق ١٠ً مقالة ايليَّا الأشلّ مطران حمص. يذكر فيها اسباب تنازلهِ عن الاسقفيَّة ويتطرَّق من ذلك

الى التكلّم عن شرف وعظمة الكهنوت . ١١ً رسالة ايليَّا مطران نصيبين التي ننشرها هنـا . ١٢ً مقالة لهُ ايضاً في نعيم الآخرة . ١٣ً مقالة في الزنا . ١٤ً مقالة لساويروس بن المقفَّع . ١٥ً كتاب آداب الكنيسة ممَّا شرحهُ ابو اسحق ابن ابي الفضل ابن العسال . ١٦ً شذرات من كتاب الشفاء لابن سيناء ثمَّ ادعية

ولمَّا كان كتاب درياق العقول اوسع تآليف هذا المجموع قد وسمهُ الجامع باسـمِهِ في النسخة الاوكسفورديَّة التي تاريخها سنة ١٥٩٦ . وعندنا انَّ هذا التاريخ لا يصحّ الَّا على قسمٍ منهُ لانَّ في المجموع خطوطاً مختلفة منها ما هو اقدم من هذا العهد . وكذلك ورق الكتاب ترى بعضهُ شبيهاً بورق المخطوطات التي سبقت القرن السادس عشر والله اعلم

امَّا مقالة ايليا النَّصيبيني فهي كدرَّة من دُرر الآداب النصرانيَّة هذا نصُّها :

سأل فيلسوف يهودي من اصحابي ادام الله توفيقهُ ان اذكر لهُ اعتقاد النَّصارى في الباريْ تعالى وما معنى قولهم انَّهُ جوهر واحد ثلثـة اقانيم وانا ذاكر ذلك حسب ما رُسم واقول :

نحن معشر النصارى نعتقد ايَّد الله الفيلسوف انَّ البـاريْ جلَّت قدرتهُ واحد لا اله الَّا هو وانهُ كيان واحد ثلثـة اقانيم . فان قال قائل من الموحّدين : ما حملكم ان تقولوا انهُ كيان ثلثة اقانيم وما معنى ذلك ؟

قلنا قد اتَّفقنا والموحّدين على ان الباريْ تعالى واحد وليس يخلو هـذا الواحد ان يكون قائماً بنفسهِ او موجوداً في غيرهِ مثل الاعراض . ومن المحـال ان يكون موجوداً في غيرهِ فهو اذن قائم بنفسهِ . وليس يخلو هذا القائم بنفسهِ ان يكون حيًّا او غير حيّ ومن المحال ان يكون خالقُ الحياة غير حيّ فهو اذن حيّ . وليس يخلو هذا القائم بنفسهِ الحيّ ان يكون حكيماً او غير حكيم ومن المحـال ان يكون خالق الحكمةِ غيرَ حكيم فهو اذن حكيم . فقد ثبت ان الباريْ جلَّت قدرتهُ قائم بنفسـهِ حيّ حكيم والسريانيون يسمُّون كل موجود هو قائم بنفسهِ بالسريانيَّة كيانًا (١ قديمًا كان ذلك الموجود او محدثًا اذ كان حدُّ الكيان عندهم هو القائم بنفسهِ . ولمَّا كان الباريْ جلَّت قدرته حيًّا حكيماً وكان لا حيًّا الَّا بحياة ولا حكيماً الَّا بحكمة ثبت ان الباريْ تعالى كيان واحد من حيث هو قائم بنفسهِ حيّ بحياتهِ حكيم بحكمتهِ

---

١) يريد بالكيان (ܟܝܢܐ) جوهر الذات الالهيَّة وطبيعتها الروحانيَّة البسيطة مع قطع النظر عن صفاتهِ تعالى عزَّ وجلَّ

ولما كانت ذاتهُ غير قابلة للاعراض بطل ان تكون حياتهُ وحكمتهُ عرَضَين وكل ما ليس بعرَض فهو امّا كيان وامّا اقنوم. ولمّا بطل ان تكون ذات الباري تعالى وحياتهُ وحكمتهُ ثلثة اكيان او ثلاثة اعراض ثبت انّها ثلثة اقانيم

ونقول ان الله هو كيان واحد ثلثة اقانيم. فقولنا «كيان واحد» عبارة عن القائم بنفسهِ وقولنا «ثلثة اقانيم» عبارة عن الذات والحياة والحكمة فلا فرق بين قولنا «كيان واحد ثلثة اقانيم» وبين قولنا «قائم بنفسهِ ذو حياة وحكمة». فان قال الفيلسوف رحمهُ الله انكم اذا اثبتُّم للباري تعالى حياة وحكمة فقد اثبتم معهُ قديمَين آخرين وهذا ضدّ التوحيد. (قلنا) قد اجمعنا نحن وانتم على انّ الباري تعالى حكيم حيّ ونعلم من حكم اللُّغة والقوانين المنطقيَّة ان الاسماء المشتقَّة هي مأخوذة من معانٍ موجودة بها للمسمَّيات بالاسماء المشتقَّة والحكيم مشتقٌّ من الحكمة والحيّ مشتقٌّ من الحياة واذا كان الامر على هذا وكان الباري حيًّا حكيماً وجب ان يثبت لهُ حياة وحكمة. فان قيل ان هذا يلزم في سائر الاسماء الّا في اسماء الباري وان ليس الاسماء المشتقة لهُ بمعانٍ موجودة فيهِ كالاسماء المشتقة للمخلوقين لمعارفهم. (قلنا) ان هذا الاستثناء في موضع خلاف وهو دعوى بلا دليل وهذا ما لا يجوز في النظر لان من شرط النظر ان لا تجعل الدعوى دليلًا وانتم انّما هوذا تدّعون في هذا الموضع خلاف ما يوجبهُ القياس وقوانين المنطق واصول اللغة لانّ القياس وقوانين المنطق واصول اللغة توجب ان لا يكون حكيم الّا بحكمة ولا حيّ الّا بحياة كما لا نحوي الّا بنحو ولا مهندس الّا بهندسة ولو لَزِمنا الشركُ لاجل اثباتنا لله حياة وحكمة لكان الفيلسوف رحمهُ الله احقّ منّا بالشِرك لانهُ يثبت انّ لله العلم والحياة والقدرة والارادة والكلام والسمع والبصر فان كان مع اثباتهِ لله ذلك هو بريء من الشرك فنحن ايضاً مع اثباتنا لله الحياة والحكمة بريئون من الشرك

فان قال قائل لمّا كان الباري جلّت قدرته حكيماً حيًّا خالقاً جوّادًا رازقاً رحيماً حليماً سميعاً بصيرًا وغير ذلك من الاوصاف فلِمَ اقتصرتم على ان اثبتُّم لهُ منها الحكمة والحياة فجعلتم الحكمة والحياة اقنومين وحذفتم ذكر الرحمة والجود وغير ذلك من الصفات التي كان يلزمكم على اصولكم ان تجعلوها اقانيم كما جعلتم الحكمة والحياة. (قلنا) ان اسماء الباري تعالى على ضربين ذاتيَّة وفعليَّة فالاسماء الذاتيَّة هي ان تخصّ كيانهُ وذاتهُ مثل قولنا القائم بنفسهِ الحكيم الحيّ. والاسماء الفعليَّة هي مشتقَّة من

مثل قولنا الخالق الجوّاد الرازق الرحيم الحليم السميع البصير وما شاكل ذلك من الاسماء. فقولنا انَّ الباريْ تعالى حكيمٌ حيٌّ مثل قولنا قائم بنفسهِ. وانَّما إثباتنا لهُ الحكمة والحياة مثل اثباتنا لهُ الذات لان حكمته وحياته ليستا بقوّتين مركَّبتين مثل حكمة المخلوقين وحياتهم لكنهما ذاتيّان كيانيّان غير متجزّئتين من الذات وغير متبعِّضتين من الكيان. وقولنا انَّ لهُ خلقًا وجودًا وارادةً ورحمةً وغير ذلك من الصفات فهي صفات فعليّة تتعلّق بافعالهِ وذلك ان الخالق مشتقٌّ من خلق يخلق. والجوّاد من جاد يجود. والرازق من رزق يرزق. والرحيم من رحم يرحم. والحليم من حلم يحلم والسميع من سمع يسمع. والبصير من بصر يبصر. فجميع هذه الاسماء وما شاكلها هي مشتقَّة من الافعال وهي تتعلق بالخالق والمخلوقين. وذلك ان قولنا «جوّاد» يتعلّق بهِ والذين يجاد عليهم. وقولنا «خالق» يتعلق بهِ وبالمخلوقين. وقولنا «رازق» يتعلق بهِ وبالرزق وبالمرزوقين. وقولنا «مريد» يتعلق بهِ وبالمراد. وقولنا «رحيم» يتعلق بهِ وبالمرحومين. وعلى هذا المثال تجري الامور في جميع الاسماء الخارجة عن الذات والحكمة والحياة. فلمَّا كانت الذات والحكمة والحياة خواصَّ ذاتيَّة وكانت الارادة والجود والرحمة وما شاكلها صفات فعليَّة سُمِّيت الذات والحكمة والحياة خواصَّ واقانيم وسُمِّيت الارادة والجود والرحمة وما شاكلها صفات

فان قيل ان قولكم بان الله جوهر يؤدي الى القول بان الاعراض تدخل عليهِ تعالى لان حدّ الجوهر ما حمل العرض . (قلنا) ان الذي نعتقدهُ في الباريْ تعالى هو انهُ قائم بنفسهِ ونحن نسمّي القائم بنفسهِ بالسريانيَّة كيانًا ولمَّا فسَّر المقدَّمون من علمائنا الكتب المنطقيَّة والشرعيَّة عبَّروا عن هذه اللفظة التي هي بالسريانية كيانًا ومعناها القائم بنفسهِ باللفظة التي هي بالعربية جوهر ونرى الخلف في زماننا هذا واقعًا في معنى هذه اللفظة لانَّ علماء الكلام يقولون انَّ حدّ الجوهر ما حمل العرَض. فان كان معنى الجوهر هو القائم بنفسهِ فلا طعن على من يقول ان الله جوهر اذ كان الله قائمًا بنفسهِ واذا كان معنى الجوهر عندهم ما حمل الاعراض فليس الله جوهر. واذا رجع الى اقاويل العلماء عُلم انهُ لا طعن على من يقول ان الله جوهر اذ كان قصدهُ في قولهِ جوهر القائم بنفسهِ. قال صاحب العلم الالهيّ في الباب الثاني عشر من المقالة الاولى ما هذا حكايتهُ: «قد بُيّن ان المحرّك الاوَّل اوَّل على الاطلاق فهو اذن علَّة الموجودات كلّها وما كان كذلك فلا

يخلو من ان يكون امّا جوهرًا وامّا عرضاً. ومن المحال ان يكون عرضاً لان الجوهر علّة وجود العرض والله علّة وجود كل شيء. ولولا الجوهر لم يوجد العرض قائماً بذاته فليس الامر في ذلك بالعكس فبقي ان يكون جوهرًا او شيئًا اشرف من الجوهر او جوهرًا يخصُّهُ او كياناً او عيناً كيف شئت تقول بعد ان يكون المعنى محفوظاً. فهذا القول من هذا العالم يجيز القول بان الله جوهر بمعنى انهُ قائم بنفسهِ وهو المعنى الذي تذهب اليهِ النصارى في قولهم ان الله جوهر

وقال ابن الطيب في كتاب الطمس على الاصول الخمس ما هذا حكايتهُ: «اعلم ان النصارى اذا حقّقنـا معهم الكلام في قولهم ان الله جوهر واحد ذو ثلثة اقانيم لم يحصل بيننا وبينهم خلاف الّا في الاسم لانهم يقولون انهُ جوهر لا كالجواهر المخلوقة بمعنى انهُ قائم بنفسهِ والمعنى صحيح والعبارة فاسدة لان الاسماء يُرجَعُ فيها الى اهل اللسان ولم يطلق عليـهِ احد منهم جوهرًا وامّا الكلام معهم في تثبيت النبوة كاليهود» فقد دلَّ هذا القول على انهُ لا طعن على النصارى في قولهم ان الله جوهر بمعنى انهُ قائم بنفسهِ وانهُ لا خلف بينهم وبين غيرهم الّا في اثبات النبوّة. وقال ابن شبل في كتابهِ في ادب الجدل ما هذا حكايتهُ: «ألا ترى ان سائر الامم تقيس القدير سبحانهُ على الشاهد في جميع ما يثبتونهُ من وحدانيّتهِ وصفاتهِ وعدلهِ وقدرتهِ وفعلهِ. فيقولون الدليل على انهُ قادر وجود افعالهِ لان الفعل في الشاهد من احدنا يدلّ على كونهِ قادرًا وكذلك الفعل المحكم من احدنا يدلّ على كونهِ عالمًا ويُستدَلّ بفعل البارئ جلّت قدرتهُ المحكم على كونهِ عالمًا فيجمعون بينهما بمعنًى من المعاني وان افترقا من وجوه أُخرى. فلو ان قائلًا قال: لا يقاس البارئ على احدنا في الشاهد لانهُ قديم ونحن محدثون ونحن اجسام وهو غير جسم ونحن نعلم ونجهل ونقدر ونعجز وهو لا يجهل ولا يعجز لكان كلامًا فاسدًا وكذلك النصارى يقيسون القديم على المحدث في كونه جوهرًا بمعنى انهُ قائم بنفسهِ وان كان الجوهر في الشاهد محدثًا حاملًا للعرض واذا كان ذلك كذلك علمنا ان القياس يصحُّ من جهة واحدة ومعنى واحد وان افترقا من وجوهٍ أُخر». فقد دلَّ هذا القول على ان الذي حمل غير النصارى على القول بان الله قادر عالم هو الذي دلَّ النصارى على ان الله جوهر اذ كان الجوهر عندهم القائم بنفسهِ فأمّا عند من يعتقد ان حدّ الجوهر ما حمل العرض فمعاذ الله ان يكون الله جوهرًا ومن قال انّهُ جوهر على هذا الوجه فقد كفر. وبالجملة اذا اجتمع

اهل لغة العرب على ان حدّ الجوهر ما حمل العرض فقد ثبت باقرارهم ان ليس في لغتهم لفظة تصحّ ان يعبَّر بها عن القائم بنفسه فاذا كنّا لا نجد في لغة القوم لفظة نعبّر بها عن القائم بنفسه اذ ليس في لغتهم لفظة حدّها القائم بنفسه فالأحوط ان نعبّر عن ذلك باللفظة السريانية المقدّم ذكرها وهي الكيان كما لم نجد في لغتهم لفظة نعبّر بها عن الشيء الذي ليس بكيانٍ عام ولا عرض عبّرنا عنهُ باللفظة السريانية التي هي الاقنوم اذ هي تقع عند السريانيين على كل ما ليس بكيان عامّ ولا عرض. ولذلك نقول ان الباري جلّت قدرتهُ كيان واحد ثلثة اقانيم والفيلسوف ادام الله تأييده يقف على ذلك ويعرّفني ما عنده فيهِ ان شاء الله

صُنّفت هذه الرسالة بالموصل في شهر رمضان سنة عشرين واربعمائة هـ (١٠٢٩م) ولله الحمد

الاديار القديمة في كسروان

لحضرة الاب الفاضل ابراهيم حرفوش المرسل اللبناني (لاحق بسابق)

مكتبة دير مار شليطا (تابع)

٨ الكتاب الثامن مجلّد بخشب تجليداً متيناً وهو عبارة عن ٦٩٣ صفحة بقطع نصف نُسخ سنة ١٨٦١ للاسكندر سنة ١٥٥٠ م يحتوي على مواضيع مختلفة ومؤلفات متنوعة جُلدت معًا ونسخها جميعها ناسخٌ واحد كما سترى

فالقسم الاوّل من الصفحة الاولى الى الصفحة ٨٩ يتضمن كتاب ܗܝܡܢܘܬܐ ܘܡܫܘܕܥܢܘܬܐ اي كتاب الامانة المنسوب الى ابينا القديس يوحنا مارون منسوخ بعامودين باصله السرياني وترجمتهِ العربية لتوما الكفرطابي الاسقف المونوطوليتي الذي افسد الامانة وزيّفها وشحنها بغواياته عند ما دخل لبنان سنة ١٠٨٩ كما اشار الى ذلك السمعاني والدويهي وصاحب الدر المنظوم. قال العلامة الدويهي في الفصل الحادي عشر من تاريخهِ المعنون مارون والموارنة (وهو القسم الاوّل من تاريخهِ): « ان توما الكفرطابي يقول في الديباجة التي وضعها على كتاب الامانة ان القديس يوحنا مارون اتى الى لبنان لحفظ الايمان ». وهاك ديباجة هذا الكتاب بحرفها وقد طالعها الدويهي في هذا الكتاب

الذي نحن بصدده في مار شليطا وعلّق على الهامش بخط يده الكريمة هذه العبارة الآتية غير انَّ الذي عرم الكتاب ثانيةً بعد عصر الدويهي شطر سطرًا او سطرين منها عند قطعهِ الكتاب لجهلهِ قيمة الكاتب وما تبقَّى منها فهو ما يلي بحرفه: «كان يعتقد بالسيد مشيئة (١ واحدة (٢. واما قول الانبا يوحنا مارون فيبتدئ ܒܬܪܬܝܢ ܟܝܢܝܢ ܘܒܬܪܬܝܢ ومن شهاداته بيان واضحًا انهُ كان يعتقد في طبيعتين ومشيئتين في المسيح المخلص». وتعقُّب علامتنا الدويهي للكفرطابي بهذه العبارة يظهر جليًا من مطالعة الديباجة التي علقها على الكتاب وهاكها بحروفها بالسريانيَّة وترجمتها العربية نقلًا عن الكتاب الذي نحن بصدده والاصل السرياني معلق على الصفحة الا ٨ منهُ والترجمة العربية على الصفحة الاولى وصاعدًا الى الثامنة ومنها ترى السريانية والعربية بحقلين:

« بسم الاب والابن والروح القدس الٰه واحد. نبتدي بعون الله وتوفيقهِ بكتب الامانة المقدسة فيما تعتقدهُ النصارى بربنا الكلمة اللاهوتيَّة ابن المسيح بما تضمنتهُ السيادة الابويَّة للقديس يوحنا بطريرك انطاكية بدير المقدس دير رهبان السوريان (كذا) وانهُ كان بطريرك انطاكية وعلى الشام وكان مقامهُ بالدير المذكور. فلما تحرَّكت تلك الطغمة المنشقة عن الايمان الصادق من نسطور الذي جزَّأ وقسم الاحايد الشريف بربنا. ايضًا تالك الاخرى التي من اوطيخي المعترف باعتقاده ان اختلطت الطبيعتين اللاهوتية والناسوتية وصارت واحدة واستحالت ومكسيموس جعل في المسيح ارادتين وفعلين وعندما حسنت هذه المقالة عند اولاد هؤلاي المذكورين. عند ذلك جعل هذا القديس حَنًّا بناصيهم ويطردهم من جماعة اهل الكنيسة الرسولية لانهم جعلوا اولئك المضادين العدل

الاصل السرياني

ܒܚܝܠܗ ܕܡܪܝ ܫܪܝܢ ܡܟܬܒܝܢ ܟܬܒܐ
ܕܗܝܡܢܘܬܐ ܬܪܝܨܬܐ ܕܡܫܝܚܝܐ ܕܥܠ ܒܪܐ
ܡܠܬܐ ܐܠܗܝܐ ܡܫܝܚܐ ܕܥܠ ܚܝܠܐ ܕܐܒܘܬܐ ܕܡܪܝ
ܝܘܚܢܢ ܦܛܪܝܪܟܐ ܕܐܢܛܝܘܟܝܐ:
ܕܒܝܬ ܡܪܘܢ ܕܝܪܐ ܩܕܝܫܐ ܕܡܬܩܪܐ ܕܣܘܪܝܝܐ
ܕܗܘܐ ܕܝܢ ܦܛܪܝܪܟܐ ܕܐܢܛܝܘܟܝܐ ܘܕܟܠܗ
ܡܕܢܚܐ ܘܥܡܪ ܒܗ. ܟܕ ܗܘܐ ܗܘܐ:
ܕܡܢ ܐܪܛܝܩܘ ܕܢܣܛܘܪ ܘܡܩܕܘܢܝܘܣ. ܐܪܛܝܩܘ
ܕܐܘܛܝܟܐ ܢܝܫܐ ܘܡܩܕܘܢܝܘܣ. ܘܢܣܛܘܪ ܐܡܪ
ܕܬܪܝܢ ܩܢܘܡܐ ܒܡܫܝܚܐ ܡܢ ܒܬܪ ܚܘܝܕܐ ܘܟܕ
ܗܘ ܗܠܝܢ ܗܘܐ. ܘܡܩܕܘܢܝܘܣ ܕܐܝܬ ܒܗ ܬܪܬܝܢ
ܨܒܝܢܐ: ܗܝܕܝܢ ܕܝܢ ܐܬܚܪܡܘ ܘܐܬܦܪܫܘ
ܡܢ ܥܕܬܐ ܩܬܘܠܝܩܝ ܡܛܠ ܕܐܦ ܗܠܝܢ ܗܦܟܘ.

١) في الاصل لفظة « طبيعة » مضروب عليها وفوقها بخط الدويهي نفسه لفظة « مشيئة »

٢) المراد من هذه العبارة بيان معتقد الكفرطابي كما يستدل من لواحق العبارة وان كان اولها مفقودًا عند قطع ورق الكتاب بالعرم

يقولوا بربنا انهُ مشيئتين وارادتين ولم يفهموا الخلاف الذي بين المشيئتين وعندما نهضت هذه المقاومة الرديَّة من اولئك الذين هم رؤساء الكنيسة ومن ملوك الزمان الحداد (كذا) فنظر هذا المغبوط ماري مارون الذي هو يوحنا لان ليس لهُ وقوف قدامهم لكيلا يغير ايمانه الصادق فرأى ان يخلي كرسي انطاكية ويخرج سرًّا الى الشام فلما وصل الدير الذي كان لهُ على شاطئ نهر العاصي في بلاد حمص وحماة وكانت جماعة ذاك الدير ثمان ماية راهب قديسين وهناك صحح هذه الامانة وعاد ارسلها الى جبل لبنان والى المشرق والى بلاد حلب : انَّا نؤمن ونعتقد نحن اولاد الكنيسة المقدسة الجامعة الرسولية الخ »

ܘܐܟܣܢܝܐ ܕܐܬܟܢܫܘ ܒܣܘܢܗܕܘܣ ܕܢܝܩܝܐ ܘܣܘܢܗܕܘܣ ܕܟܠܩܝܕܘܢ ܒܡܕܢܚܐ ܘܒܬܪܗ ܡܢ ܐܢܛܝܘܟܝܐ ܘܐܦ ܒܙܒܢܐ ܗܢܐ ܕܐܝܟ ܗܘܐ ܒܐܘܪܚܐ ܘܡܕܝܢܬܐ ܫܠܡܬܗ ܥܠ ܡܟܣ ܗܕܐ ܕܐܘܪ ܐܝܟ ܗܘܐ ܒܝܪܐ ܗܘ ܐܡܠ ܡܪܐ ܕܡܪܐ ܒܝܬܐ ܘܡܕܝܢܬܐ ܣܘܪܝܐ ܘܒܐܬܪܘܗܝ ܐܙܠ ܒܠܘܪܢܐ ܗܘܐ. ܘܟܡ ܡܕܒܪ ܘܡܕܒܪ ܠܟܘܪܐ ܕܒܠܒܢ ܕܝܢܐ: ܡܗܝܡܢܝܢ ܘܡܘܕܝܢ ܚܢܢ ܒܬܐ ܒܝܬܐ ܕܝܢܐ ܕܐܬܒܢܝܬ....

هنا تبتدئ الامانة بالحصر وما تقدَّم فهو عبارة عن الديباجة التي علَّقها الكفرطابي عليها وحاول بثّ سم تعليمهِ بين ابناء طائفتنا فرجع بخفي حنين كما اثبت ذلك الدويهي والسمعاني وغيرهما ببراهين دامغة

ثم ان ناسخ الامانة انبأنا عن اسمه وموطنه بالكتابة التي علقها باحرف عربية سخيفة جدًّا في آخر العامود الاوَّل من الصفحة ٨٩ وها كها بالحرف :

« سنة ١٨٦١ يونانية تَمَّمت هذا الاعتقاد بقرية شويتا بناحية عكَّار من نسخة كتاب المطران انطون مطران الرعية وكان على يد الفقير قه سمعان باسم شدياق انجيلي (١ من قرية حدشيت من جبة بشري من جبل لبنان ابن القس هارون ابن الخوري يوحنا . . . (غير مقروء) »

وعلى العامود الثاني من الصفحة نفسها ترى كتابة أُخرى عربيَّة باحرف سريانيَّة كتبها مشتري الكتاب بجذافيره مع ما فيهِ من المواضيع المختلفة التي جُلّدت بجلد واحد مع كتاب الامانة المقدَّم ذكره ولمَّا كانت هذه الموضوعات اكثرها قوانين كنائسيَّة

١) لم يحذّر المجمع اللبناني عبثًا (الباب ١٤ من القسم ٣ ع ٥٢٣) على العامَّة الَّا يخلطوا بين اسماء المراتب والوظائف الكهنوتية بقوله « ان من عادة العامة ان تسمي الشامسة شدايقة وان تقول كبير الشامسة وتريد بهِ الشماس وتعني بهِ الشدياق الشمداني . . . وعلى رئيس الشامسة الذي يسمونه شدياقاً انجيلياً الخ » وها ان الكاتب لجهله يدعو ذاته شدياقاً انجيلياً في هذه العبارة ويسمي ذاته ارخيدياقن فيما كتبهُ على الصفحة ٦٢١ من الكتاب كما سترى

ونواميس بيعيَّـــة كما سترى لذا اطلق المشتري على الكتاب اسم « الناموس المعظم » وهاك الكتابة بالحرف :

« الله حق . بسم الاب والاب وروح القدس الاله واحد . اشترى هذا كتاب الناموس المعظم الخوري سابا ابن الشمَّاس يوسف يُعرَف بابن حليب من قرية العاقورة قاطن يومئذٍ دمشق الشام اشتراهُ من الشدياق ابن القس هـــارون من قرية حدشيت من جبة بشري بتسع سلطانية نهـــار الخميس في ١٠ تشرين الثاني سنة ١٨٨٩ يونانية (سنة ١٥٧٨ م) احسن الله عاقبتــهُ الى خير والحمد لله واحد رب العالمين امين »

ويلي ما تقدَّم :

« ايها الاب القاري ادعي (أُدعُ) لكاتب الاحرف الحقيرة بغفران ذنوبه وهو يُدعى خاطر باسم شماس ليس بالفعل يُعرف بابن الخوري سابا المشتري المذكور اعلاهُ وكل فاعل لهُ جزاه من خير او شرّ »

ولنتبع الآن مواضيع هذا المجلد المختلفة بعد ان حررنا ما هو مسطر على الصفحة الاخيرة من كتاب الامانة . فاولًا ترى على الصفحة ٩٠ التي تلي الصفحة الاخيرة من كتاب الامانة الكتابة الآتية بخط مشتري الكتاب الذي ورد ذكره اعلاه ويظهر ان هذه الصفحة كانت تُركت بيضاء فكتب عليها مشتري الكتاب القوانين الآتية نقلها عن كتاب آخر بشأن تعيين عيد القيامة المجيد وهي لا تخلو من الاهميَّة وهاك النصّ بالحرف :

« ايضاً بعض من قوانين الرسل الاطهار يشهدوا على عيد قيامة المسيح . قانون : لانَّهم قالوا في كتاب التعاليم يجب عليكم يا اخوة ان تعملوا عيد الفصح بكل استقصاء واهتمام عظيم من بعد جمعة فطير اليهود وان لا يعمل هذا العيد الذي هو تذكار آلام الوحيد دفعتين في السنة بل دفعة واحدة فتحفظوا الاستقصاء من عيد اليهود الذي فيهِ طعام الفطـــير في زمان الربيع هذا الذي يحفظ واحد وعشرين يوماً من الهلال الجديد في اسبوع آخر اي يوم يقع الاربعة عشرية القمر يوم الاحد يكون العيد الاحد الآخر وان كان يوم الاثنين (يكون) الاحد العيد وان كان الثلاثاء او الاربعاء او السبت (يكون) الاحد العيد يعني ان جاء في اينا يوم في السبة هو الاحد يكون عيد قيامة مخلصنا »

ثم يورد قانون الرسل الرابع بهذا المعنى ثم يأتي بقانون مجمع نيقية الثامن والثلاثين والتاسع والثلاثين وهاك نصَّهُ :

« قالوا لا يجب ان نعيد معهم (اليهود) بل اذا كان الفصح يوم الاحد الاحد التـــالي هو عيد القيامة واذا وقع في اي يوم كان في الجمعة الحد العيد »

ثم يورد قانون من مجمع نيقية :

« حُدّد الاعتدال في واحد وعشرين من اذار والاربعة عشرية التي تقع قبـــل الاعتدال اعني

الواحد وعشرين في اذار لم توافق لحساب العيد بل التي تقع في واحد وعشرين ام بعده كما سبق القول لان حفظ السنة الشمسيّة لاجل الاعتدال الربيعي وحفظ السنة القمريّة لاجل اربعة عشرية القمر وهو ضروري لقاعدة الاعياد ولاجل هذا الابا القديسون في مجمع نيقية وضعوا الاعتدال في ٢١ آذار وامروا بموجب المرسوم الالهي ان الاربعة عشرية القمرية تكون في شهر الاولى التي تقع يوم واحد وعشرين مع الاعتدال الربيعي ام التابعة الاقرب اليهِ وايضاً ان يوم الاحد الاول الذي يجي بعد الاربعة عشرية القمر يتعيد عيد القيامة المقدس حتى تتعيد الاعياد في اياما » اه

ثم انك ترى على الصفحة ٩١ ما يلي بحبر احمر:

« نكتب القانون الاوّل في ذكر الايمان اصول الاعتقادات في مذاهب النصرانيّة والشريعة المسيحيّة ». وفي هذا الكتاب ما يدل على انهُ من وضع الكفرطابي ففي الصفحة ١٠٠ لمّا يعدّد الفرق النصرانيّة يقول: « ذكرت خبَر هاتين الفرقتين المارونيّة والملكيّة وشرحت بيان حالها شرحاً شافياً في الرسالة التي كتبتها الى الاب القديس ارسانيوس اسقف عين قره (اي العاقوره) ووسمتها برسالة العدل » وكلٌ يعلم ما فعلهُ الكفرطابي لبثّ غواياتهِ وقد اشار الدويهي الى هذه الرسالة التي ارسلها لهذا الاسقف. ويظهر من سياق المطالعة ان الكفرطابي كان في عداد الكتبة المجيدين في العربية وينتهي هذا الكتاب الى الصفحة ١٠٨ وفي اسفل العامود الاول منها ترى ما يلي بحبر احمر:

« نكتب القوانين المقدسة الذي رتبوهم لنا الآبا والتلاميذ الرسل وثبتوها في اليمة المقدسة صلاتهم تكون معنا امين القانون الاول الصلوة والاحتفاظ بها » ومن الغريب في هذا الباب شروط الصلاة وحدودها قال: « فاماً حدودها وشروطها فانها تحتاج في اوّل شيء الى الطهارة وهو الاغتسال بالماء في اثر الحدث. فان لم يجد ماء فليتجمَّر بثلاثة حجارة وما زاد عليها حتى ينقى من اثر النجوى. ثم غسل اليدين بالتسمية وغسل الوجه برسم الصليب المحيي. ويُستَحَبّ ايضاً غسل الرجلين في كل غدا فاماً من لم يحدث فلا يحتاج الى الاستنجا بل يُستحبّ منهُ غسل اليدين والوجه. وغاية الغسل ان يعم الماء العضو الذي يغسلهُ عوماً كاملًا وان كان لا يقدر على الماء واحدث استنجى بالحجارة كما قلنا وصلى ولا حاجة لهُ الى غير ذلك في ذلك الوقت الخ »

الى غير ذلك من العوائد الغريبة عن عُرفنا اليوم غير انهُ يبيّن في آخر الفصل « ان من اغتسل من الجنابة غسلًا عاماً اي افاض الماء على جسمه معتقداً انهُ يريد بذلك الاغتسال من نجاسة القلب فانهُ قد تنجّس ولا يجوز لهُ صلوة الّا بعد اعتراف الكاهن وقبوله صلاة الاستغفار »...

ثم انك ترى على الصفحة ١١١ هذا العنوان بحبر احمر: « نكتب شرح قليل من

المحارم التي تلاها الثلاثمائة وثمانية عشر من مجمع نيقية وفحوى هذه القوانين منع التزوج بامرأتين والتزوج باختين الخ . ثم هذا القانون يأمر الهجر وعدم المساكنة

« اذا ارادت الامرأة مفارقة زوجها والرجل مفارقة امرأتهِ فليبعث من احبَّ الفرقة بكتاب اطلاق يبيّن فيهِ لايِ سبب هي الفرقة الواحد من صاحبه وان كانت الاساءة من قبل الرجل فليوفها مهرها وجهازها وان كانت الاساءة من قبل الامرأة فتأخذ مهرها فقط ويحبس زوجها جهازها جزاء الاساءة »

ويلي ما تقدَّم من القوانين على الصفحة ١١٢ في العامود الاوّل صلوة سريانيَّة تقال على الاب والام اللذين مات لهما طفل ولم يَنَلْ نعمة الاصطباغ بالمعموديَّة المقدسة

ثم يلي هذه الصلوة على العامود الثاني من الصفحة نفسها عنوان كتاب شرع كنسي فريد في بابه اظنهُ لابن العسال يبتدي من الصفحة ١١٢ وينتهي الى الصفحة ٦٢١ وها اننا نصف حُلَى هذا الكتاب ونورد فهرسته لعلَّ المطالع يهتدي الى اسم موّلفه اذا ما عارضه بغيرهِ من النسخ التي لهذا المؤلف فيهدينا اليهِ وهاك صدر الكلام في هذا الكتاب بعد البسملة :

« الحمد لله الذي شرفنا باصول الايمان والاعمال واتقن افعالنا الظاهرة والباطنة بشريعتي العدل والكمال » . وبعدُ هذا الكتاب مجموعٌ من الكتب الالهيَّة والقوانين الروحانيَّة وما فرَّعهُ العقل عليها وردَّهُ القيام اليها بليغاً يخلو مع الاختصار من الاخلال ويجمع بين فائدتي التفصيل والاجمال اعتضد بمجموعات جمعت ببصيرة وتوفيق واجتهاد وانتُخب من موضوعات وضعها من لهُ في التصنيف خبرة وتحقيق واعتياد فاما ما هو من الكتب في القوانين فقد وضعتُ اسماءهم واسماء واضعيهم واما ما استندت فيهِ الى العقل والقياس فقد اضفتهُ الى القوانين وهذا فيهِ قليل ولم يرد الّا في بعض المعاملات . . . »

واماً فهرست الكتاب فهو عبارة عن واحد وخمسين باباً . الباب ١ في الكنيسة وما يتعلق بها . ٢ في الكتب والاصول المقدسة . ٣ في التعميد والداخلين في الايمان . ٤ في البطاركة والمطارنة . ٥ في الاساقفة . ٦ في القسوس . ٧ في الشمامسة . ٨ في باقي خدام البيعة . ٩ في الكهنة جملة . ١٠ في الرهبان والراهبات . ١١ في اداب وصايا العلمانيين . ١٢ في القداس . ١٣ في القربان وانواعه . ١٤ في الصلوة . ١٥ في الصوم وانواعه . ١٦ في الصدقة . ١٧ في متولي الصدقة . ١٨ في العشور والبكور والاوقاف . ١٩ في الآحاد

والاعياد . ٢٠ في الشهداء والمعترفين والجاحدين . ٢١ في المرضى . ٢٢ في الاموات . ٢٣ في المآكل والملابس والمنازل والصنائع . ٢٤ في الخطبة والاملاك والزيجة . ٢٥ في تحريم التسرّي . ٢٦ في الهبة . ٢٧ في القرضة والرهن والضمان والكفالة . ٢٨ في العارية . ٢٩ في الوديعة . ٣٠ في الوكالة . ٣١ في الحرّية والعبوديَّة والعتق . ٣٢ في الحجر . ٣٣ في المباعات وما معها . ٣٤ في الشركة . ٣٥ في الاكراه والغصب . ٣٦ في الابنية وما يتبعها . ٣٧ في الاجارة . ٣٨ في القرض . ٣٩ في الاقرار . ٤٠ في ما يوجد ضائعاً . ٤١ في الوصيَّة والحال . ٤٢ في المواريث . ٤٣ في الملوك . ٤٤ في الحكَّام . ٤٥ في العتيقة والجديدة . ٤٦ في عقوبات الكفر . ٤٧ في القتل . ٤٨ في قصاص الزنا . ٤٩ في قصاص السرقة . ٥٠ في عدة جرائم . ٥١ في عدة امور . انتهى الفهرست . وينتهي هذا الكتاب الى الصفحة ٦٢١ فيكون عبارة عن ٥٠٩ صفحات بقطع النصف جمع فيهِ موءلفه فوائد في بابها من القانون . وفي منتصف العامود الاول من الصفحة ٦٢١ الكتابة الآتية :

« تم الناموس المقدس بعون الله تعالى وحسن توفيقهِ وكان النجاز من ذلك في ١٧ يوم من شهر حزيران يوم الثلاثه عند غروب الشمس سنة ١٨٦١ يونانية من سنين اسكندرْ وكتبه العبد الخاطئ الحقير المسكين الغارق في خطاياه وذنوبه سمعان باسم ارخيدياقن ابن القس هارون ابن الخوري يوحنا كمبوش من قرية حدشيت المباركة من لبنان المبارك من جبة بشري الله يرحمه ويرحم والديه ويرحم من يترحم عليه امين . وهو برسم كاتبه سمعان المذكور اعلاه وهو من نسخة قنوبين وهو كان يومئذٍ تحت حوز وفي يد الشدياق ابراهيم ابن الشماس يوحنا ابن الفحل من قرية شدرا معاملة حصن الاكراد الله يرحم من كتب ومن قرأ فيهِ لا يعتب ان وجد ناقص ام زايد لان كل مخلوق ناقص وما في كامل غير الله وحده لهُ المجد دائماً ابدًا امين رب العالمين امين امين »

واعلم ان الناسخ قد اوقع في هذا الكتاب من الاغلاط ما لا يحصى . بقي علينا ان نقول اذا لم يثبت ان هذا الكتاب هو لابن العسَّال ألا يحتمل ان يكون كتاب الهدى او الشرع الماروني القديم الذي نقلهُ الكفرطابي الى العربيَّة الفصحى بعد ان كان الاسقف داوود الماروني ترجمهُ اوَّلاً من السريانيَّة الى العربيَّة سنة ١٠٥٩ كما ارتأى علماؤنا في ذلك . لا نجزم بهِ لاننا لم نعثر على نسخة من كتاب الهدى لنعارضها بالكتاب الذي بين ايدينا

ثم يلي الصفحة ٦٢١ مواضيع مختلفة في الشرع الكنسي اظنها من بقايا كتاب

الهدى او الشرع الماروني القديم وهاك فهرستها: ١ في الحائض. ٢ قانون اخذ الجسد المقدَّس. ٣ الاعتماد فريضة واجبة لازمة من اصول الدين. ٤ ثم قانون قوريلس لاجل المعموديَّة والزواج . ٥ ثم ما يجب على النصارى ان يؤمنوا بهِ الخ. ٦ في الطهارة (صفحة ٦٥٨). ٧ اختلاف النصارى في اخذ القربان المقدس صفحة ٦٧٨. ٨ ثم قانون الصوم وهو الاخير غير انهُ ناقص ولمَّا لم يجد الناسخ كمالة الفصل كتب على الهامش معتذرًا بقولهِ:

« يا اخي هذا الكتاب ناقص من اخره لان النسخة كانت عتيقة من ٣٠٠ سنة لا تلومني ايها القاري صلي عليَّ من شان المسيح وانكتب في شويتا قرية من ناحية عكَّار وهو برسم كاتبه الشاس سمعان ابن القس هارون من قرية حدشيث من جبة بشري الله يرحم والديه »

وبهذه العبارة ينتهي هذا المجلد الضخم الذي نسخهُ ناسخ واحد بعينه كما رأيت من الكتابات التي استشهدنا بها نقلًا عن صفحاته ٨٩ وال ٦٢١ والصفحة الاخيرة التي نقلنا عنها العبارة الاخيرة الموردة اعلاه (ستأتي البقيَّة)

نظرٌ في اهمّ حوادث السنة المنصرمة

للاب لويس شيخو اليسوعي (تتمَّة)

٣ اميركة

﴿ الولايات المتَّحدة ﴾ رأت في السنة المنصرمة نهاية حربها في جزائر الفيليبين واستسلام العصاة الوطنيين الذين كان يقودهم اغوينالدو. واخذت من ثمَّ تهتمّ بشؤون الجزيرة واصلاح امورها. ولمَّا كانت مسألة املاك الرهبانيَّات من اخطر المهامّ ولها علاقة بامور الدين عزمت حكومة واشنطون ان تخابر الكرسيّ الرسوليّ في ذلك فتمَّ الاتفاق على وجه حبّي برضى الدولتين معًا. وقد وجد معتمد قداسة البابا من المجاملة والمراعاة ما استوجب ثناء الكاثوليك على نزاهة دولة واشنطون ونيَّاتها السلميَّة نحو الكنيسة — وممَّا اكسب الولايات المتَّحدة جاهًا أنَّها رفعت عَلَمها لاوَّل مرَّة على جزائر الانتيل الخاصَّة بدنيمرك بعد تنازل هذه الدولة عنها في معاهدة وقَّعتا عليها في ٢٤ ك ٢ — وقد اوشكت ايضًا الولايات المتَّحدة ان تنهي مسألة أُخرى سوف توليها قريبًا

منافع جمّة وهي مسألة ترعة بناما فانها تهيَّأت لان تدفع للشركة الفرنساويَّة السابقة ٤٠ مليونًا من الدولار في مقابل تخلّيها التام عن املاكها وحقوقها ثم تتفق مع جمهوريَّة كلومبية على ان تُعطَى الارض اللازمة لهـذا المشروع الخطير على شرط انَّ الولايات المتَّحدة تضمن لها سلامة بلادها — امَّا رئيس الجمهوريَّة روزفلت فانهُ قضى قسمًا من هذه السنة يتجوَّل في انحاء البلاد ليثبت سلطتهُ ويستطلع احوال مرؤوسيهِ وقد همَّهُ امر الفعَلة الذين اعتصبوا نحو اربعة اشهر فكان اعتصابهم آفةً على نفوسهم وعلى بلدهم

﴿ جزيرة كوبا ﴾ نالت جزيرة كوبا في سنة ١٩٠٢ حقوق الاستقلال وفي ٢٠ اَيار سنة ١٩٠٢ سلَّمت حكومة الولايات المتَّحدة مقاليـد الامر للشعب الكوبي ولرئيسهِ الجديد توما استرادا پلما على شروط تخوّلها حقوقًا امتيازيَّة لا تعطى لغيرها من الدول كحقّ التوسُّط والترخيص بانشـاء محطَّات بحريَّة. والرئيس الجديد سُمّي لاربع سنوات وهو يتولَّى السيادة على مليونٍ ونصف من النفوس

﴿ الانتيل ﴾ قد اشرنا سابقًا الى فاجعة المارتينيك من مستعمرات فرنسة في الانتيل. لكنَّ هذه الجزيرة لم تُفجَع وحدها في السنة المنقضية وانما عمَّ المُصاب قسمًا من الانتيل الانكليزيَّة كجزيرتيْ سان ڤنسان وسان توما. وفي الوقت عينـهِ تفجَّرت براكين الغواتمالا في اميركة المتوسّطة فذهبت حممُها بمدن زاهرة. وكذلك احترقت مدينة شماكا في جبل القاف مع اهلها بعدد ١٥٠٠٠ نفس وخربت في يابان جزيرة توري شيا. وقد بلغت في هذه السنة الفواجع الزلزليَّة او البركانيَّة مبلغًا لم يألفهُ العلماء قبل ذلك فانَّها انافت على ٣٠٠ حادث

﴿ كندا ﴾ انتهى وضع القلوس التلغرافيَّة بينها وبين اوسترالية مارَّةً بجزائر فانِنْغ وفيجي وزيلندة الجديدة. وطول هذه الحبال ١٣٤٠٠ كيلومتر أُنفق عليها مبلغ ٤٥ مليون فرنك. وامَّا احوال كنـدا فعلى ما يرام من الترقي والنجاح تحت ظلّ العَلَم البريطانيّ. ولا تزال مناجمها في كلُنْدَيك مطمحًا لانظار محبّي المال يتقاطر اليها في السنة ربوات من الناس ليستخرجوا من اعماق الارض أَرْكِزَتها

﴿ اميركة الجنوبيَّة ﴾ جمهوريَّاتها المتعدّدة في غَلَيان دائم لا تكاد ترى منها دولة في سلام اللهمَّ الَّا بلاد (المكسيك) فانَّها منـذ سنين قليلة اخذت في نهج

القوانين التجاريَّة والزراعيَّة الآنلة الى خير الجمهور فترى ميزانيَّتها في تحسُّن ومعاملاتها على نجاح لولا انَّها فُجعت باحدى مُدنها وهي مدينة اوكوس من اعظم مرافئها خُسفت بها الارض فتلف معظم سكَّانها — (كولومبية) وردت مــدَّة ثلاث سنوات ماء الحروب الاهليَّة الأُجاج حتى افاقت اخيرًا من غفلتهـا وسلَّمت اعنَّة التدبير الى وزارة يترأسها رجلٌ ذو دين وهمَّة معًا وهو الرئيس ماروكين فاخذ يصلح شؤونها ويتدارك خورها وقد اتَّفق مع رئيس اساقفة بوغوتا على تكريس الدولة لقلب يسوع الاقدس فتمَّ ذلك باحتفال بهيج في ٢٢ حزيران الماضي. وتؤمل كولومبية لمستقبلها نجاحًا اعظم اذا ما تمَّت قناة بناما المارَّة في بلادها فيفتح لها ابوابًا واسعة للتجارة والارباح المادّية

وكذلك اعاد الجــنرال دي پلازا السكينة لجمهوريَّة (خطّ الاستواء) بعد الأَشغاب والفتن — وكانت جمهوريَّتا (الشيليّ والارجنتين) على وشك خوض معامع الحرب في اوائل السنة ١٩٠٢. ثم ثابتا الى التعقُّل والرويَّة ورفعتا دعواهما الى ملك انكلترة ادوار فردَّ تحكيمُهُ السلام للبلدين وقسم بينهما الحدود التي كانت داعيًا للنزاع — فبقيت (ڤنازويلة) وهي في هرج ومرج منذ زمن طويل وبعد انتصــار رئيسها كاسترو على خصمهِ ماتيوس دخلت في ميدان آخر يُرجَّح انَّها تخرج منهُ بصفقة خاسر. فانَّها لم ترضَ ان تدفع لالمانية ولانكلترة ما لهما عليها من الغرامة فاتَّفقت الدولتان على استعمال القوَّة الجبريَّة ولعلّنا لا نلبث ان نرى هذه الجمهوريَّة الصغرى خاضعــةً مستسلمة ما لم تمدّ اليها الولايات المتحدة يد المساعدة. وكذلك جمهوريَّتا (پيرو وبوليڤية) تتنازعان منجمًا ذهبيًّا على حدود الجمهوريَّتين وحتى الآن لم ينتهِ النزاع. امَّا (البرازيل) فخلد الى الدعة والسكون ورؤساؤهُ يفرغون حالًا جهدهم في توسيع نطاق تجارتهِ — وقد انتهت السنة بانتخاب رئيس جديد لجمهوريَّة (هايتي) وهو الجنرال سنيكا والامل وطيد بأَنَّهُ يعيد المياه الى مجاريها بعد تعكُّرها وانتشاب الحرب الاهليَّة

٣ آسية

اذا انتقلنا من عالم الشغل والحركة والترقي المادّي الى قارتنا الاسيويَّة وجدنا بلادنا كأنَّها افاقت من سُبات طويل وهي مدفوعة بالرغم عنها الى حركة لا مناص لها منها

❁ الشرق الاقصى ❁ هناك شعوب اذا أُحصوا كادوا يبلغون ثلث عدد بني آدم يسوسهم ابن السماء او بالاحرى امُّهُ الامبراطورة وصيَّتُهُ المالكة باسمهِ. الَّا انَّ الايدي

القابضة على اعنَّة الملك قد ضعفت عن التدبير. فانَّ ثمَّت جمعيات سريَّة متعدّدة تثير الفتن وتسعر جذوة الشرّ تراها اذا خمدت نائرتها في جهة أحيت معالم الهرج في جهة أخرى — كانت السنة ١٩٠٢ موعد انجلاء الجيوش الاوربيَّة عن الصين الَّا انَّ المذابح الجديدة التي احدثتها هذه العُصَب استدعت بقاء قسم منها هناك ريثما تستتب الراحة — هذا وقد عاد البلاط الامبراطوري الى قصره في باكين بعد تغيُّبه عنهُ سنةً بنيف. وقد استقبل الامبراطور وامُّهُ سفراء الدول الاجنبيَّة في قصرهما في المعاهد المخصوصة بالاسرة الملكيَّة وكبار الدولة من المجلس الاعلى وهو امرٌ لم يُعهد سابقًا — وفي اثناء السنة قد وقَّع مندوبو الصين على معاهدة السلم والتزمت مملكتها باداء الغرامة الحربيَّة للدول المتحالفة وكانَّ الروسيَّة لا تكتفي بغرامة فانَّ نظرها طامح الى منشورية تريد ضمَّها الى املاكها الواسعة. وحتى الآنَ لا توافقها الدول على مطامعها. اما نحن الكاثوليك فيسرُّنا ان نرى الزرع الروحيّ ناميًا في تلك البلاد القاصية وعدد المؤمنين يتكاثر مع الأيام رغمًا عن المحن التي اصابت نصارى الصين في السنين المنصرمة

﴿ اليابان ﴾ اليابان والصين على طرفي نقيض في اعتبارهما تمدُّن العصر فبينما هذه تأنف من كل استحداث ترى تلك جاريةً جري الجواد في اتخاذ الاختراعات الجديدة وتباري الدول الاوربيَّة الكبرى فتراها تقوم وتقعد ولا تدع بابًا الَّا تقرعهُ لتتأثر قرائنها حتى اضحت اليوم دولة معدودة ذات جيش عظيم وقوَّة بحريَّة معتبرة لا يأنف من محالفتها كبار الدول. وفي العام الماضي تحالفت اليابان وانكلترَّة على حفظ الصين من كلّ تهديد وقرَّرتا بقاء كوريا ومنشوريا كجزئين تابعين لمملكة ابن السماء ونيَّتهما بهذه المحالفة ان يتعرَّضا لروسيَّة في الشرق الاقصى

﴿ الهند ﴾ كانت احوالها في العام الماضي غير مرضية لدائين مجحفين لا يزالان يفتكان بكثير من انحائها ألا وهما القحط والطاعون فانتشرا في النواحي الداخليَّة بعد ان كانا منحصرين في الجهات الساحليَّة فاماتا العباد واخربا البلاد. والمجاعة ضاربةٌ بعد اطنابها في امكنة كثيرة يموت بسببها الوف ومئات الوف من الاهلين هذا مع ما تصرفهُ الحكومة الانكليزيَّة لاعالة الجائعين فانَّها تفرّق على عددٍ يبلغ ٤٥٠٠٠٠ نفس طعامهم اليومي. على انَّ الامطار التي هطلت آخرًا احيت القلوب وانعشت آمال الزُرَّاع

﴿ فارس ﴾ تجوَّل حضرة شاه العجم في اوربَّة فزار الدول الكبرى ورؤساءها

فاستقبلهُ الملوك بالاكرام اللائق لاسيَّما اصحاب الدولتين اللتين تجاورهما مملكتهُ اعني الروسيَّة وانكلترَّة . وقد نال الانكليز الرخصة بتعدين المعادن المكتشفة في بلاد ايران امَّا الروس فانَّهم يواصلون في العجم مدَّ السكك الحديديَّة التي تزيدهم فيها نفوذًا

﴿ سوريَّة ﴾ أُصيبت طائفة الروم الملكيين الكاثوليك بعظيم احبارهـا غبطة السيد بطرس الرابع الجريجيري في ٢٤ نيسان فكان لمنعاهُ صدى حزن في كل القلوب كما ظهر في حفلة جنازتهِ التي حضرها معظم اهل الثغر . على انَّ الله خفَّف هذا المصاب بعد قليل بانتخاب خلفهِ غبطة السيد المفضال والحبر الهمام كيرلُّس جحا الثامن من اسمهِ . فما كاد يجلس على كرسي انطاكية حتى خصَّتهُ الذات الشاهانيَّة بتعطفاتها الملوكانيَّة كما سُرَّ بانتخابهِ قلب ابي المؤمنين . واجمع الكلُّ على ان هذه الرتبة السامية « لم تكُ تصلح الَّا لهُ ولم يكُ يصلحُ الَّا لها » فاخذ يحقق فيهِ آمال ملَّتهِ — وقد حظي كاثوليك سوريَّة في اواخر ايلول بزيارة احد امراء الكنيسة ألا وهو نيافة الكردينال فرَاري رئيس اساقفة ميلانو وهو اوَّل كردينال وطئ ارض بلادنا بعد ستَّة قرون مرَّت عليها . ولم يعتِم نيافتهُ ان اقلع من بيروت قاصدًا يافا والاراضي المقدسة — ومن الامور السارَّة التي اهتزَّت لها قلوب اللبنانيين طربًا ورود المتصرف الجديد حضرة الوزير المشير صاحب الدولة مظفَّر باشا فاستبشر اهل الجبل بقدومهِ وقد رأوا من بواكير اعمالهِ ما حقَّق حسن ظنّهم بهمَّتهِ القعساء وثقتهم بإقدامهِ على مصالح الجبل — وقد شاء الله ان يمزج هذه الافراح بشيء من بلايا هذه الحياة بانتقال عدوى الهواء الاصفر الى تخومنا فاحتلَّ هذا الضيف الثقيل جنوبيَّ الشام وفتك في بعض انحاء فلسطين فابطر اهلَهـا ذرعَهم ثم مدَّ رواقهُ فوق الفيحاء فهلعت القلوب بظهورهِ وارتفعت اكفُّ الضراعة الى الله بان يردَّ هـذا العدوَّ الفتَّاك على اعقابهِ . والظاهر من الانباء الاخيرة انَّ ظلَّهُ الممقوت اخذ بالتقلُّص نجَّى الله عبادهُ قريبًا من نكباتهِ . على انَّ سريان هـذا الداء في قلب الشام لم يكن ليوقف حركة اشغال السكَّة الحجازيَّة بين دمشق ومكَّة فجُهّز منها في قسمَيها نحو ٢٠٠ كيلو متر — وقد رأت سوريَّة في هذه السنة نهـاية سكَّة اخرى فتحت لاواسط بلادنا طريقًا تجاريَّة أحيت موات ارضها وبعثت هِمَم اهلها

٤ افريقية

﴿ افريقية الجنوبيَّة ﴾ وضعت فيهـا الحرب اوزارها الَّا ان الاهلين قد نالهم

من جرَّائها نوائب كدمتهم بانيابها وعركتهم عرك الرحى بثفالها فاصبحت اليوم ارامل البوير ويتاماهم في حال يُرثى لها. وقد فطن الانكليز الى ذلك وارسلوا شمبرلين ليجبر قلوبهم المهيضة ويقدّم لهم ما يحتاجونهُ من المساعدات لتعود الزراعة الى مقامها وفيها حياة البلاد — هذا وقد عاد اصحاب المناجم الذهبيَّة الى استثمار هذه المعادن. وشاع آخرًا أنهُ وُجدت مناجم جديدة من الماس في تلك الاقطار. فان صحَّ الخبر لا يلبث عُصَب العَمَلة ان تنقضَّ على هذه الغنائم انقضاض كواسر الطير على قنيصها — ومن الامور المهمَّة التي جرت هناك في العام المنصرم موت سسل رودس توفي في مصيفهِ في بنوزمبرج قريبًا من كابتون بداء القلب وذلك في ٢٦ آذار. مات قبل ان يرى نهاية الحرب التي كان اعظم مسعريها. قد دُعي سسل رودس نابوليون الكاب لانهُ فتح لوطنــهِ بلادًا جديدة الَّا انهُ اشبه ايضًا الفاتحين الذين لا يفوزون بمطامعهم الَّا بما يجلبونهُ من المضرَّات على غيرهم — وفيما نحن نذكر هذا الفاتح الفاتك لا يسعنا ان نسكت عن فتَّاحين آخرين في جنوبيّ افريقية وهم روَّاد السلام والتمدُّن الذين اثاب احدهم الملك ادوار بنحــهِ وسام القديس ميخائيل وجاورجيوس الذي لم يُمنَح سابقًا الَّا للامراء واصحاب الاسرة الملكيَّة. نريد الاب هيخت من مرسلي خَدَمة مريم وجمعيَّتهُ وقد ادَّوا للمتحاربين من الانكليز والبوير خدمًا تُذكر فتُشكر. وقد سمعنا في هذه المجلَّة (المشرق ٤: ٧٦٧) صوت سسل رودس نفسه يشهد للمرسلين اليسوعيين الذين لقيهم في افريقية الجنوبيَّة

﴿ افريقية المتوسّطة ﴾ هي مجال تتجارى فيهِ فرسان الدول الاوربيَّة وخصوصًا معتمدو المانية وانكلترَّة وفرنسة فكلٌّ منهم يتسارع الى النُقَط التي لم يضبطها غيرهُ من اقرانهِ ليجعلها لاحقةً باملاكهِ. على انَّ النفوذ الاعظم يكون لانكلترَّة اذا ما امكنها ان تتمّم مشروعها الذي تسعى وراءهُ منــذ زمن مديد ألا وهو مدّ سكّة حديديَّة توصل بين طرفي افريقية جنوبها وشمالها بين مصر ومستعمرة الكاب. فاذا فازت بالمرغوب استغنت عن ترعة السويس وفتحت لها طريقًا جديدة الى الهنــد مجتازةً من بعض جهات افريقية الشرقيَّة

﴿ افريقية الشماليَّة ﴾ ترى في شمال افريقية الشرقيّ اهل الصومال تحت قيادة مهديّ جديد يدافعون عن استقلال وطنهم. والمرجّح ان معظم الصومالولند لا يلبث ان يدخل تحت حكم الجبَّار البريطاني الذي يريد ان يضبط ضفَّة افريقية عند بحر الهند

كما يضبط في عدن ضفَّة آسية — في الحبش يرعى النجاشي منليك شعبهُ بالعدل والحكمة وقد باشر هذا الملك بعدَّة مبانٍ عظيمة كقنطرة وخزَّان في ناحية شوكور وقصر واسع على مقربة من كوسا في وادي كوسا. وعمَّا قليل يُنتظر تدشين السكَّة الحديديَّة التي تمتدّ من هرر الى جيبوتي مع فرع الى اديس بابا عاصمة الملك وفرنسة تُعد في هذه الفرصة لملك الحبش استقبالًا بهيجًا — امَّا مستعمرة الاريتره فان احوالها تتحسَّن تحت العلم الايطالي لولا ان سكَّة جيبوتي تتهدَّد تجارتها بالمزاحمة — ثمَّ ان سرنا متقدمين الى الغرب لقينا مصر التي تقلَّبت في العام الماضي بين حوادث سارَّة ووقائع مفجعة. فمن خطوبها التي مُنيت بها عدوى الطاعون وداء الهواء الاصفر تحوَّل كلاهما القطر المصري واورد كثيرين حياض الموت. امَّا المفرحات فكثيرة. منها المعرض الزراعيّ الذي افتتحتهُ مصر في ٢٢ ك ٢. ومنها تكريس الكنيسة القبطية الكاتدرائيَّة في الاسكندريَّة في ايَّار أُقيمت للقبط الكاثوليك في محلّ الهيكل القديم المعروف بالقيصري (Cesareum) ومنها تدشين دار العاديَّات المصريَّة الجديدة في ١٥ نوفمبر (راجع المشرق ٥ : ١١٠٥) نُقلت اليها آثار مصر المحفوظة سابقًا في قصر الجيزة. ومنها في ١٠ كانون الاوَّل افتتاح خزَّان اسوان وهو المشروع العظيم الذي يضمن لمصر الوسطى مستقبل زراعتها وحياتها (راجع المشرق ٦ : ١ و ٦٧). ومنها المؤتمر الطبيّ المنعقد في ١٩ منهُ حضرهُ نيف وخمسمائة طبيب قدموا القطر المصري من كلّ جهات العالم المتمدّن وتباحثوا في مسائل الطبّ وملحقاتهِ. ومنها اخيرًا ابرام المعاهدة التجاريَّة بين مصر وفرنسة تخوّلهما حقوقًا متبادلة في واردات البلدين وصادراتهما — واذا ختمنا هذا النظر في افريقية الشماليَّة بالغرب الاقصى وجدنا انَّ الامور فيها مدعاةٌ للقلق منذ وفاة الباي سيدي علي باي في ١١ حزيران وتولّي ابنهِ على زمام الولاية. فانَّ بعض القبائل المجاورة لتونس قد نشرت لواء العصيان وتتهدَّد البلد والباي حتى الآن غير كاف لردّ غاراتها

٥ اوقيانية

انَّ التحالف الاسترالي الذي جرى في عام ١٩٠١ لم يزل في طورهِ الحرج ولا يبعد مع ذلك انَّ التحالف المذكور يتمُّ قريبًا وتدخل فيهِ زيلندة الجديدة. وما لا ريب فيهِ انَّ استرالية في ترقٍّ عظيم ومستعمراتها في نماء وخصب وسوق تجارتها رائجة. وقد يزيد عدد

سكانهـا مع الأيّام حتى بلغ مليونًا ونصف ليس بينهم من همج الهنود الّا ١٣٠٠٠ هندي امَّا الكاثوليك هناك فصار الآن عددهم ٢٥٠٠٠٠

هذا نظر اجمـالي في اهمّ ما حدث في عالم الكون في سنتنا المنصرمة ولو سمح لنا المكان لذكرنا اموراً غيرهـا لا تخلو من الاهميَّة كارتداد الملكة ناتالي للدين الكاثوليكيّ ووفاة ملك زنجبار وغير ذلك ممَّا نضرب عنهُ الصفح اقتصاراً ولله الحمد

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعيّ (تابع لما سبق)

٦ انتشار الأمَّة المارونيَّة في لبنان

للامة المارونيَّة في لبنان مقام ممتاز لتوفُّر عددها فيهِ ولما بينها وبين هذا الجبل من العلاقات التاريخية المتواصلة حتى جاز لها ان تعتبر لبنان كوطنها الخاصّ. ومن ثم لا يسعنا نصرف عنها النظر في غضون تسريح ابصارنا في آثار لبنان

وليس كلامنا في الأمَّة المارونية تاريخيًّا اذ لم نتوخَّ في مقالاتنا تاريخ الجبـل بل آثارهُ ولاسيَّما ان تاريخ هذه الطائفة قد شاع اليوم فلا حاجة الى اعادة ما يعرفهُ القرَّاء (١ وعليهِ فنقتصر في هذا الباب على ما يختص بنشوء الطائفة وانتشارها في لبنان فنُعدّ بهذه الدروس الخاصَّة الموادّ لتاريخ اعمّ واكمل. وفي الفصول السابقة توطئة لهذا الباب وفيها ذكرنا الشعوب الذين جعلوا قبل الموارنة سكناهم في لبنان. ومنهم من خلَّف فيهِ شُعبًا من عُنصره كالمردة والجراجمة بقي منهم فئات في القسم الثـاني من القرن السابع الذي نخصُّهُ الآن بالبحث

(١) راجع تاريخ الطائفة المارونية للدويهي الذي نشرهُ جناب الاستاذ العـالم رشيد افندي الشرتوني

وكان الموارنة في ذلك العهد عبارة عن مجموع زُمَر آراميَّة لم يمسَّها العنصر اليوناني وعدَّتهُ تقيم خصوصاً على مقربةٍ من أفامية في جهات دير مار مارون ومنهُ اتَّخذوا اسمهم. ومن ثم انتشروا في وادي العاصي وخصوصاً في معرَّة النعمان وفي شيزر وحماة وحمص كما يظهر من نصّ للمسعودي ورد في كتابهِ المعنون بالتنبيه والاشراف ألمَعْنا اليهِ غير مرَّة

واذا راجعنا اقاويل قدماء المؤرخين كابن العبري في تاريخهِ الكنسي السرياني (١ وابن بطريق (٢ وغيرهما وجدنا الموارنة في مقامـات أُخرى ارقى شمالًا كمنبج وقنَّسرين والناحية المعروفة بالعواصم. ومن المحتمل ايضاً انَّهم كانوا في انطاكية وجوارهـا لانَّ انطاكية تُعدّ كحاضرة هذه الناحية وفيها تدخل مدينة قورس المتكرّر ذكرها في ترجمة القديس مارون لتاودوريطس اسقف هـذه المدينة (٣. وكتبة الموارنة يوافقون على انتشار طائفتهم في تلك الانحـاء وشهاداتهم في ذلك صحيحة مستندة الى نصوص وضعيَّة لا تُنكر. ونحن اول من يرضى بمثل هذه الشهادات المؤيدة بالبرهان

وان سأل سائل هل يُعرف عدد هذه العشائر المارونيَّة المستعمرة في سوريَّة الشماليَّة وسوريَّة الوسطى. اجبنا انهُ ليس في وسعنـا ان نعيّن ذلك بالتدقيق لكنَّهُ يؤخذ من نبذة سريانيَّة تاريخية اوردها المشرق في سنتهِ الثانية (ص ٢٦٧) نقـلًا عن المجلَّة الاسيويَّة الالمانية (ZDMG, 1875) انَّ هذا اللفّ كان ذا عدد وافر اذ حضر بصفة فرقة دينيَّة امام الخليفة معاوية فجرى بينها وبين اليعاقبـة جدال كانت فيهِ الدَّولة على اليعاقبة. وكان اصحاب هذه البدعة قوماً كبيرًا في ذلك العهد فلولا انَّ الموارنة كانوا على نوعٍ ما يعادلونهم عددًا لما حكم لهم الخليفة على اخصامهم

١) الجزء الاوَّل منهُ ص ٢٧٠–٢٧٤

٢) راجع تاريخهُ في مجموع الاباء اليونان ج ١١١ ص ١٠٧٧ و ١٠٧٨ ومنهُ في مكتبتنا الشرقية نسخة خطيَّة قديمة ويزعم ابن بطريق انهُ دخل بين الموارنة قوم من الروم لعلهُ يريد الآراميين المتجنسين بالجنسية اليونانية كما كان منهم كثير في سوريَّة. وان صحَّ قولهُ كان لهُ شأن لتقرير العناصر السوريَّة وغيرها

٣) راجع كتاب البلدان لابن رسته (ص ١٠٧) وفتوح البلدان البلاذري وتنبيه المسعودي وغيرهم من كتبة العرب. وقد تبعناهم في كتابة اسم قورس بالسين بدلًا من قورش بالشين وفقاً للفظ الآرامي

وكان دخول الموارنة الى لبنان على رأينا في القسم الثاني من القرن السابع هاجروا الى الجبل من وادي العاصي . وكاني هنا بالقارئ يتعرَّض لي فيقول : مالك تذكر مهاجرة الموارنة الى لبنان اليس اصحّ ان يقال انَّ سكّان لبنان الاصليين هم الموارنة . فالجواب على انَّ مبادئ تاريخ الموارنة الدينيّ تشير صريحًا الى كون هذه الطائفة كانت اوَّلًا خارجًا عن لبنان . ومن المعلوم انَّهـا تنتسب الى القديس مارون وقد عاش القديس مارون في شماليّ سوريّة في البلاد الواقعة بين انطاكية وقورس ثم تراها مواصلة سيرها في وادي العاصي في زمنٍ لم نسمع لها بذكر في لبنان . ثم بعد ذلك بمدَّة نجد الموارنة يتوقَّلون في هذا الجبل مهاجرين اليـهِ من الشمال ونواحي سوريّة المتوسّطة . فلا بُدَّ اذن من التسليم بتنقُّل الأمة . وفي تاريخ تاوفانوس كما في فتوحات البلاذري اشارة الى هذه المهاجرة كما سنبيّن آنفًا

ولكن تُرى ماذا حمل الموارنة الى مبارحة وادي العاصي واستبدال مقاماتهم فيهِ ليسكنوا لبنان . نجيب ان الرأي عندنا انهم عدلوا الى لبنان تملُّصًا من اضطهـادات مجاوريهم نخصّ منهم بالذكر اليعاقبة اعداءهم . وكان اليعاقبة في ذلك الوقت اصحاب بطش وسطوة لهم في افامية ونواحيها الكعب الاعلى . وكان لهم قريبًا من افامية دير عظيم على اسم ماري باسوس (١ بلغ عدد رهبانهِ ٦٣٠٠ . ولمَّا كان الفريقان على طرفَي نقيض قُضي على الموارنة المهاجرة

وقد بيَّنَّا ما كان بين الفريقين من العداوة . ولنا على ذلك برهان آخر اقدم عهدًا ورد في تاريخ الكنيسة لابن العبري (المجلّد الاوّل ص٢٧٠–٢٧٤) قال انَّ في عهد الملك هرقل حدث بين رهبان دير مار مارون واليعاقبـة مشاحنات فانتزع الاوَّلون من ايدي اليعاقبة كنائسهم برضى ملوك القسطنطينيَّة فحاول اليعاقبة استرجاعها في ايَّام معاوية فلم ينالوا بالمرغوب . ولا غرو انَّ اليعاقبـة كانوا يترقبون الفرصة ليزاحموا الموارنة شيئًا فشيئًا ويضطرُّوهم الى ان يخرجوا من اماكنهم فطلب الموارنة لهم ملاجئ حريزة

١) راجع مقالة الاب شابو في مار باسوس L'abbé Chabot : *La légende de Mar Bassus et de son couvent à Apamée*, p. 55, 60, 63.

٢) انَّ في هذه المنازعات بين الموارنة واليعاقبة دليلًا واضحًا على بطـلان مزاعم بعض الكتبة الذين نسبوا للموارنة اضاليل يعقوب البرادعي في طبيعتي المسيح

يحصلون فيها على الدعة والسكينة. ولعلَّ خراب دير مار مارون حدث في ذلك العهد وكان بعض اليعاقبة سبباً لخرابه

بيد انَّ هذه المهاجرة لم تكن دفعةً واحدة وانَّما حدثت في ازمنة متوالية فكان المهاجرون ينتقلون الى لبنان زرافاتٍ زرافاتٍ. وفي عهد المسعوديّ اي في القرن العاشر نجد منهم بقايا في وادي العاصي خارجاً عن لبنان. امَّا دخولهم في هذا الجبل فكان في وقت المَرَدَة والجراجمة وفيهم يصحُّ خصوصاً قول تاوفانس « انَّ كثيرين من اهل البلاد احتموا في ذراهم (اي المردة) » وقول البلاذري في فتوح البلدان (١ « انَّ جماعة كثيرة من الجراجمة والانباط والعبيد الأُبّاق ضوَوْا الى الروم » اراد بذلك الموارنة فدعاهم باسم الانباط دلالةً على اصلهم الآراميّ

وكان دخول الموارنة الى لبنان من الشمال اعني انَّهم تبطَّنوا وادي الأُرُنط فاجتازوا افامية وحماة وحمص الى ان قرَّ قرارهم في الجبل. فسكنوا اوَّلًا جهاتِهِ الشمالية ثم تقدَّموا الى اواسطِهِ ثم بلغوا جنوبَهُ. هذا ما يمكن استخلاصهُ من النصوص التاريخيَّة التي ورد فيها ذكر انتشار الموارنة في لبنان

وقد بيَّنا في مقالتنا عن سكنى لبنان في قديم الزمان (المشرق ٥ : ٦٤٠) ان مشارف الجبل والجهات المعروفة بالجرد بقيت الى القرن السابع قليلة السكَّان كثيرة الغابات. امَّا « الوسوط » فكانت مأهولة وان كان اهلها اقلَّ عدداً من الارياف والسواحل. فلا مراء انَّ الموارنة سكنوا اعالي لبنان لخلوّها من السكَّان. واحتلُّوا اوَّلًا اودية الجبَّة اعني مقاطعات اهدن وبشرَّاي وحدَث ولعلَّهم لقوا هناك بعض المساكن التي كانت سبقت عهدهم على الاصحّ كقرية اهدن وقرية بشرَّاي (٢ وعندنا انَّ الموارنة نزلوا ايضاً في بعض اماكن من منحدر الجبل قريباً من البترون عند دير كفرحيَّ القديم (٣. ولعلَّ مدينة البترون نفسها اضحت من اوَّل مساكن الموارنة كلّها او على الاقلّ قسم منها

١) راجع المشرق (٥ : ١١٣٢)

٢) راجع المشرق (٥ : ٦٤٢) وهناك بيَّنا ما يختصّ باهدن وبشرَّاي. امَّا الحدَث فمن اقدم قرى لبنان ورد اسمها في نزهة المشتاق للادريسي وتكرَّر ذكرها في اخبار اصول الطائفة المارونية

٣) راجع المشرق (٩ : ٧٢٨)

فيكون اذن اول مركزٍ احتلَّهُ الموارنة عند ولوجهم لبنان معاملة الجبَّة وقسم من بلاد البترون فهناك كان مهد الأمَّة المارونية كما اشرنا اليهِ غير مرَّة

ومن الحوادث التاريخيَّة الاولى التي جرت بعد سكنى الموارنة في لبنان ما ذكرناهُ في مقالتنا عن الجراجمة وهي شكوى اهل الجبل من عامل بعلبك وكان الشيخ الشهير محمَّد الاوزاعي ممَّن دافعوا عنهم وانتصروا لهم. قال البلاذري في فتوح البلدان (ص ١٦٢) عن محمَّد بن سعد عن الواقديّ قال: خرج بجبل لبنان قومٌ شكوا عامل خراج بعلبك فوجَّه صالح بن عليّ بن عبد الله بن العباس من قاتل مقاتلتهم واقرَّ من بقي منهم على دينهم وردَّهم الى قراهم واجلى قوماً من اهل لبنان. فحدثني القاسم بن سلَّام انَّ محمَّد بن سعد حدَّثهُ انَّ الاوزاعيّ كتب الى صالح رسالة طويلة حُفِظ منها وقد كان من اجلاء الذمَّة من جبل لبنان ممَّن لم يكن ممالئًا لمن خرج على خروجهِ: «ممَّن قتلتَ بعضهم ورددتَ باقيهم الى قراهم ما قد علمت فكيف تؤخذ عامَّة بذنوب خاصَّة حتى يُخرَجوا من ديارهم واموالهم...» (البقيَّة للآتي)

يمين العليّ

رواية تاريخية للاب س. ت اليسوعيّ (تابع)

الفصل الثالث

مأدبة لوقينيوس فرنطو

كان لوقينيوس فرونطو صاحب المأدبة التي دُعي اليها لوسيليوس رجلًا من اعيان بيروت ممَّن تَشرئبُّ نحوهم الاعناق وترنو اليهم الابصار. وكان القيصر نيرون منحهُ رتبة الفارس رجاء ان يؤلف قلبهُ فيجتذبهُ الى رومية ويجعلهُ من ندمائهِ لكنَّ سراب الرتب المنيفة والالقاب الشريفة لم يكن ليخدعهُ فآثر ان يبقى في مدينتهِ رخيَّ البال مأمون الجانب وهو فيها عزيز مكرَّم من ان ينتقل الى جوار نيرون فيضيع بين حشمهِ ويتذلَّل لمن سبقهُ الى نعمة القيصر

ونِعْم ما فعل فانَّ اهل وطنهِ جازوا لوقينيوس عن امانتهِ خيرًا فجعلوا لهُ المعالي

الخطيرة والمراتب السنيَّة فاختاروهُ لسدانة اكبر هيا كلهم وجعلوهُ كاهنًا لخدمة الوهيَّة القياصرة . ولم يبقَ لهُ ليترقّى الى ذروة المجد سوى ان ينـال منصب رئاسة البلديّة (١) . على انَّ وجوه البلد كانوا يفكرون في ذلك لاسيَّما انهم كانوا يرون الاهلين مولعين بلوقينيوس يحبُّونهُ ويؤثرونهُ

ولم يحظَ فرونطو لدى الشعب فقط وانَّما كان ايضًا رجلًا سياسيًّا حاذقًا عارفًا بالامور مُحسنًا لتدبيرها . ولمَّا مرَّ ڤسپسيـان في بيروت ورأى فرونطو ما كان لهُ من السطوة والبأس علم بانهُ سيفوز بعدوّهِ ڤيتاليوس ويتولَّى زمام العالم الروماني

ومن ثم اجتهد فرونطو ان يتقرَّب الى قائد الجيش مدَّة اقامتهِ في المدينة ويأسر قلبهُ بمعروفهِ فكان يباري الامراء والملوك بما يهديه لڤسپسيان من الالطاف ويتبرَّع لجندهِ من المال . ولما رأى سُحَيْم (Soème) صاحب حمص وانطيوخوس الرابع ملك قوماجين واغريپا ابن هيرودس اغريپـا ملك اليهوديَّة واختهُ برنيقية يتسابقون الى الحظوى لدى ڤسپسيان لم يدَّخر هو وسعًا ليغلبهم بكرمهِ وجاههِ وبذخ عيشهِ فأَولَم لهُ ولقوَّاده الولائم الفاخرة التي دُهش لها المدعوُّون واقرُّوا لهُ فيها بالسبق

بيد انَّ لوقينيوس لم يصرف كل هذه المبالغ الَّا لينال جزاءهُ قريبًا من ڤسپسيان ساعة يجلس على تخت القياصرة . فما بلغهُ في ذلك اليوم خبر مبايعة مجلس الاشراف في رومية للامبراطور الجديد وهو لم يخرج بعد من الاسكندريَّة حتى اوفد الوفود اليها والى رومية معًا امَّا الى الاسكندريَّة فليبلّغ سلامه وفرائض التهانئ لمخدومهِ « القيصر الالهيّ » . وامَّا الى رومية فليشكر الشيوخ على مبايعتهم بالملك لمن هو جدير بهِ . وبعث ايضًا من قبلهِ رجلًا الى ليسينيوس موسيانوس عامل سوريَّة سابقًا وصديقـهِ الحميم يهنّئـهُ على الرتبة التي نالها وهي قيادة الجيوش الرومانيَّة ونيابة القيصر عليها وكان هذا الرجل دخل رومية واستولى عليها باسم ڤسپسيان سيّدهِ

وكذلك الاعياد الشائقة التي أُقيمت في مساء ذلك النهـار في شوارع بيروت فكان لوقينيوس فرونطو انفق عليها من مالهِ الخاصّ مبلغًا عظيمًا ومن ثم كنت تسمع القوم المتقاطرين من كل ارباض المدينة وانحاء لبنان يلهجون باسم هذا الفارس ويثنون

---

(١) هذه الرئاسة كان يتولَّاها عند الرومان رجلان من وجوه كل مدينة فيُدعَيـان لذلك باسم ديومڤير (duumvir)

عليهِ الثناء الطيّب فزادت بذلك شهرتهُ وعظُم شأنهُ

وكان زاد على هذه المظاهر العموميَّة انهُ اعدَّ في عشيَّة ذلك النهـار وليمةً دعا اليها كلَّ وجوه المدينة واصحاب الاقدار الشريفة ليقاسموهُ افراحهُ بارتقـاء الملك ڤسپسيان الى السُدَّة الامبراطوريَّة

وكان ليسينيوس صديق راسيوس روفوس من جملة المدعوّين لهذه الوليمة كما مرَّ ففارق روفوسَ وتركهُ اسيفًا كسيفًا ثمَّ سار الى بيت فرونطو وموقعهُ على حافة الطريق السائرة الى نهر بيروت. وكنتَ ترى اشراف البلدة آتين من كلّ صوب يحملهم العبيد على المحفات ويتقدَّمهم الخدَم بالنفَّاطات الموقدة وكانت هذه الانوار تزيد بهاء المشاعل والمصابيح التي كانت تزين البيوت الخاصَّة فتجعلها كأنَّها شعلة نار

امَّا ليسينيوس فانهُ كان يسير ماشيًا تزاحمهُ هـذه المواكب فكان يسمع العبيد يصرخون كلٌّ بلهجتهِ الخاصَّة. فهذا يقول: وسّعوا الطريق لكاپيتون الشريف. وذاك يردّد: حيدوا عن مسير ابن اوفيميوس. ويكرّر ثالث: إلَم تفتحوا طريقًا للضابط سرديوس أحلنا عليكم بالسياط. ولم يزل هو يمشي الهوينا حتى ادرك باب لوقينيوس حيث رأى الاشراف ينزلون من محفاتهم فيستقبلهم عنـد مدخل الدار اصحاب فرونطو وخدَمُهُ ويساعدونهم على ارتقاء الدرج الرخاميّ الذي في وجه الدار

فدخل لوسينيوس مع الداخلين ولمَّا وصل الى ساحة الدار الداخليَّة وجد فرنطو وهو قائم يرحّب بالقادمين فسلَّم عليهِ وكان كل كبار القوم اذا دخلوا يتقدَّمهم ترجمـان (nomenclator) فيذكر لصاحب الدار اسم المدعوّ والقابهُ فيصافحهُ فرونطو ويسلّم عليهِ سلامًا طيبًا ثم يدخلهُ الى ردهةٍ كبرى ينتظر فيها المدعوُّون ساعة العشاء

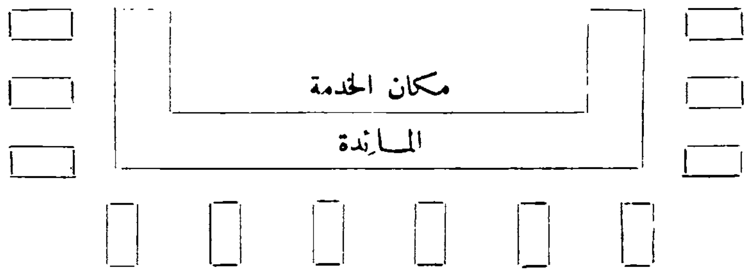
ولما صار ليسينيوس في القاعة اختار لهُ زاوية بقرب صديقين وجدهما هناك اسمها كالپورنيوس وديودوتس فجلسوا يتجاذبون اطراف الحديث ويترقَّبون احوال المدعوّين

وكان المدعوّون في تلك الليلة من كل طبقات الناس لم يتأنَّق فرونطو كثيرًا في انتخابهم وغايتهُ ان يظهر أُبهة دارهِ وسعة ذات يده. فكان التجـار واصحاب الفنون وصغار العمَّال ممزوجين بذوي الرتب الجليلة كشيوخ البلد والقضاة وكبار الضباط واعيان الثغر من اهل الثروة والاملاك. وكان ديودوتس يعرفهم كلهم فاخذ يصفهم لصديقَيهِ كالپورنيوس وليسينيوس يساعدهُ على التمييز بينهم منظر حللهم الرسميَّة وما عليها من

النقوش والتطريز بالذهب . وكانت اصوات الحديث تتصاعد شيئاً فشيئاً فيُسمَع لها دويٌ اجشّ. وبينما كانوا على ذلك اذ دخل المتسلم (questeur) فقام لهُ القوم اجلالًا. ثمَّ عادوا الى حديثهم هنيهةً واذا بباب غرفة الاكل انفتح على فور فظهرت القاعة مشعَّةً بالانوار وعلى بابها عبدان صغيران بايديهما اكاليل اخذا يجعلانها على رؤوس المدعوّين وهما يشيران اليهم بالدخول بالرجل اليُمنى لتفاؤل اهل الزمان باليمين

فدخل القوم ودُهشوا لجمال تلك الحجرة وكثرة مفاخرها كنقوش سقوفها ومصابيحها الزجاجيَّة المصطنعة في الاسكندريَّة وصيداء وكانت روائح الندّ واللبان العربيّ تفوح من كل جانب يلقيها العبيد في النار فينتشر عبيرها في الدار

ثم اضجع المدعوُّون اثنين اثنين على مضاجع أُعدَّت على ثلاث جوانب المائدة



صورة المائدة عند الرومان وحولها فُرُش المدعوين يضَّجعون عليها للاكل

وهي تتلألأ بصحاف البلّور وآنية الفضَّة والجامات المرَصعة بالذهب والحجارة الكريمة. فتقدَّم العبيد وحلُّوا لكل نديم احذيتهُ وضمَّخوا رجليهِ بالطيب بينما كان الندماء يمتدُّون كلّ على فراشهِ ويتكئون على احد مرافقهم للاكل

ثم باشر المؤاكلون بمقدَّمات الطعام عرضها عليهم العبيد ثم نزعوها من امامهم بسرعة غريبة حتى انَّ لسينيوس وصديقهُ ديودوتس وكليبودنيوس كانوا يترصَّدون الالوان فاذا قربت من ايديهم تسارعوا اليها وازدردوها ازدرادًا لئلَّا تفوتهم الفرصة اذ كانوا من صنف الطفيليين الذين لا يأكلون ليعيشوا بل يعيشون ليأكلوا

وبعد النقول اخذ الخدَّام بتقدمة الاطعمة كلحوم المواشي والدواجن والطيور والاسماك مع عدَّة مآكل مما كان يغالي بهِ الرومان ويستجلبونهُ من البلاد البعيدة. ثم انتهوا بالحلويات والقطائف والفواكه. وكان صاحب البيت في اثناء الاكل يلاحظ المدعوّين

لئلّا ينقصهم شيء . وكان اذا اراد الحظوى لدى بعض ضيوفهِ يختصّهم بقطعٍ يختارها لهم فيرسلها على يد العبيد . ولذلك اسرّ ليسينيوس الى ديودوتس قائلًا : ألا ترى فرونطو يؤلّف القلوب ليُصيب عندهم اثرةً ومكانةً . امّا نحن فلا تراهُ يفكّر فينا . قال ديودوتس : ان لم يخدمنا فرونطو فنحن نخدم نفوسنا . قال هذا ورأى في يد احد الخدم صحفةً فيها سلوى فاستدعاهُ بالحاح بيد انّ العبد اصمّ دونهُ سمعهُ وقدّم الصحن لغيرهِ

وكان عبيد آخرون وقوفًا وفي ايديهم اجاجين مملوءة من صنوف الخمور كالخمر القبرسيّة وخمر جزيرة ساموس وخمر حلبون (المجاورة لدمشق) يسكبون منها في اقداح الندماء فيفرغونها وكانت هذه الاشربة في الغالب من المدامة المعتّقة تضرب سورتها في راس الشاربين . فما مرّ عليهم ساعة من الزمان حتى علا لغطهم وارتفعت جلبتهم وكان منهم من يستغرب ضحكًا او يكثر من المجون والمزاح البذيّ

وكانت اجناس الاطعمة وصحاف الالوان تتوارد بلا انقطاع حتى كظّ الطعام الآكلين . امّا فرونطو فلمّا رأى انّ ضيوفهُ شبعوا امر جوقةً من القيون بان يدخلنَ فيطربنَ الناظرين برقصهنّ ففعلنَ وأرينَ الحضور من حركاتهنّ العجائب الغرائب والجمهور يصفّق لهنّ ويشبع العيون من زفنهنّ الخلاعي

ولما انتهينَ اشار فرونطو الى فرقةٍ من اصحاب الطرب فاخذوا بعزف الملاهي وشنّفوا ساعةً آذان المدعوّين بآلاتهم ثم عقّبوا ذلك باناشيد واغاني شجيّة في مديح القيصر الجديد ووصف عظمة رومية امّ المدن واطراء المدعوّين وكانت بذلك نهاية هذه الحفلة التي دامت ستّ ساعات متوالية

وكان المدعوّون اصبحوا في حالةٍ يُرثى لها وهم بين نيام وسكارى فاسرع اليهم عبيدهم وحملوهم الى محفّاتهم ثمّ نقلوهم الى بيوتهم على عجلةٍ . امّا ليسينيوس فدعا صديقيهِ ليناموا عندهُ في بيتهِ الذي وصفنا موقعهُ فوق الاكمة المشرفة على النهر فساروا وهم يتمايلون ذات اليمين وذات الشمال يمشون خطوة ويسقطون أخرى حتى بلغوا بعد الجهد الجهيد بيت ليسينيوس وامتدّوا على فراشهم وهم لا يعون

وكان نور الصباح اخذ يتبلّج والمدينة تستفيق من النوم (ستأتي البقيّة)

مطبوعات شرقية جديدة

Science et Religion

Etudes pour le temps présent, 250 volumes.

العلم والدين مباحث لافادة اهل العصر

Librairie Bloud et Barral, *Paris*. 1902

قد توفرت في عصرنا المطبوعات التي تناصب الدين وتبثّ على رأس الاشهاد روح الكفر والفساد ولذلك قد هزّت الاريحيَّة جماعة من الكاثوليك الفرنسويين على ان يؤلّفوا مكتبة واسعة على اسم « العلم والدين » يودعوها اهمّ المباحث التي يخوض فيها كتبة العصر فيرجع اليها الكاثوليك في معضلاتهم. والمكتبة المذكورة تتألف اليوم من ٢٥٠ تأليفاً كلّها على قطع واحد وحجم يختلف بين ٦٠ و ٨٠ صفحة بحيث يمكن اقتناء كلّ منها بثمن بخس لا يتجاوز ستين سنتيماً. امّا مؤلفوها فهم كلّهم من مشاهير الكتبة ممَّن اجمع الناس على طول باعهم في ما توخّوا البحث فيه. ولمّا كان عدد هذه المصنَّفات وافرًا لا يمكنّنا وصفها جميعًا نكتفي بذكر بعضها ممَّا يهمّ الشرقيين خصوصاً فمن ذلك عدّة تآليف في الكتاب المقدَّس ومتعلّقاته هـذه اسماء بعضها: ما هو الكتاب المقدَّس. التوراة وتاريخها منذ اصولها الى أيامنا. التوراة والعلوم الشرقيَّة. التوراة بازاء العلوم النظريَّة. اسفار موسى الخمسة. الاسفار الالهيَّة وصحّة رواياتها. نسبة العهد الجديد الى الرسل. كيف كُتبت الاناجيل المقدَّسة (١. ومن هذه الكتب ما وُضع لبيان حياة المسيح وقيامته ولاهوته: طفولية المسيح وفقًا لتقليد اليهود والنصارى. حكم اليهود على المسيح بالموت. موت المسيح على الجلجلة. هل قام المسيح؟ المسيح الدجّال. العالم اليهودي في عهد المسيح والرسل (٢. ومنها ما يبحث عن الدين المسيحيّ وتاريخهُ وعن الكنيسة

1) **Th. Calmes** : Qu'est-ce que l'Ecriture sainte. — **C. Chauvin** : La Bible depuis ses origines jusqu'à nos jours; I *La Bible chez les Juifs*, II *La Bible dans l'Eglise Catholique*. — **V. Ermoni** : La Bible et l'Orientalisme; I *La Bible et l'Egyptologie*; II *La Bible et l'Assyriologie*. — **B. Colomer** : La Bible et les Théories scientifiques. — **L. Méchineau**, s. j. : L'Origine mosaïque du Pentateuque. — **Idem** : L'Autorité humaine des Livres Saints. — **Idem** : L'origine apostolique du Nouveau Testament. — **Th. Calmes** : Comment se sont formés les Evangiles.

2) **C. Chauvin** : L'enfance du Christ d'après les traditions juives et chrétiennes. — **Idem** : Le Procès de Jésus-Christ. — **Idem** : Au Golgotha — **Idem** : Jésus-Christ est-il ressuscité? — **Idem** : His-

الكاثوليكيَّة والبدع المنفصلة: سموُّ الدين المسيحي . ارتداد القديس بولس . اصل الرتبة الاسقفيَّة . تأثير الدين في الفنون . الكنيسة الرومية الارثذكسيَّة والاتحاد . الكنيسة الروسيَّة . الدين المسيحي في الحبش(١ وقسمٌ يبحث عن الاديان غير النصرانية كديانة اليهود والبراهمة وكنفوشيوس وبوذا(٢ ويوجد اقسام اخرى تتضمَّن تآليف عديدة لاهوتيَّة وفلسفيَّة وادبيَّة وعلميَّة كلُّها جزيلة المنفعة نحضُّ ارباب الدين على مطالعتها وتعريبها

شَذَرَاتٌ

الكوليرا او الهواء الاصفر في الشام ! ارسل الينا جناب يوسف افندي الفاخوري من اساتذة العربيَّة في المدرسة البطريركية العامرة هذه القصيدة فاثبتناها بالحرف:

بالشامِ ضيفٌ قد أناخَ ثقيلا | وأبى التحمُّل واستحبَّ حلولا
علمَ الدماثة سنَّةً شرعيَّةً | في اهلها فارتادهم تطفيلا
ورأى بتلك الارض اكرم معشرٍ | تخذوا السماحَ مؤالفًا وذميلا
قوم همُ من اصل يعربَ دأبهم | بذلُ النوالِ على العُفاة جزيلا
خالوا الضيافة خلَّةً محمودةً | حتى ولو كان المضاف مهولا
فرأى بهم جودَ الاعاربِ طاميًا | واباءةً وتعزُّزًا وجميلا
الفى التنظُّف من حميد خلالهم | وهو العدوُّ ولم يكن مأمولا
فاغتاظ منهم واستعاذ بمكرهِ | واسرَّ شرًّا بالدها موصولا
فاتى المياهَ وبثَّ فيها سُمَّهُ | من غيظهِ واقام ثمَّ نزيلا
والناسُ طبعًا مائلون لرشفها | وهي الحياة وضمَّت التنكيلا

toire de l'Antechrist — **E. Beurlier :** Le monde juif au temps de Jésus-Christ et des Apôtres, 2 *parties*.

1) **P. Courbet :** Supériorité du Christianisme. — **L'abbé Bourgine :** Conversion de St-Paul — **V. Ermoni :** Les Origines de l'Episcopat. — **A. Renucci :** L'influence de la Religion dans l'art. — **F. Tournebize.** s. j. : L'Eglise grecque-orthodoxe et l'Union, 2 *parties*, - **I. L. Gondal :** L'Eglise russe - **Idem :** Le Christianisme au pays de Ménélik.

2) **A.-F. Saubin :** La Synagogue moderne. — **Idem :** Le Talmud et la Synagogne. — **Ch. Godard :** Le Fakirisme. — **L'abbé Thomas** : Le Bouddhisme, 2 *parties* — **Ch. Godard :** Le Brahmanisme. — **P. Caron :** Confucius, sa vie et sa doctrine.

ما كان يرضى ان يمثّل بَرْضهم بل انهُ نظر الكثير قليلا
ولذاك ذا الخدّاعُ يُردي منهمُ في كل يوم اربعين قتيلا
والاهل من هذا العدوّ تحذّروا جدّوا المسيرَ عن الديار قبيلا
والجوُّ ما انقشعت غياهبُ غيثه والحال توجب عن دمشقَ رحيلا
ان البعاد عن المواطنِ موءلمٌ من غير موجدةٍ تُقامُ دليلا
قلقت خواطرنا بنكبةِ بلدةٍ تشفي الغليل متى لقيت غليلا
ما كان فيها غير خيرِ كُلنا نُولاه من تلك الديار جليلا
فالبرُّ منبعهُ الشآم وبحرهُ يُفضي الى جوّ الشقاء وبيلا
إنّا لنأسفُ ان تكون دمشقنا مشقيّةً او تُحرمَ التسهيلا
لولا حميّةُ ناظمٍ ومظفَّرٍ ورشيد بيروتَ العزيز مثيلا
هامَ التجارُ بكسبهم ورباحهم ورأوا الى حجز الدقيق سبيلا
وغدا الفقير بحاجةٍ لغذائه والكفُّ صفرٌ لا تنال فتيلا
يا ربِّ وقِيا ذي الاماكن فتكهُ وأرحم دمشقًا واهزمِ المماولا
يا ربِّ ما جحد العبادُ مراحمًا في الشرق واتخذوا الفساد خليلا
إنّا على سُبل الهدى فارفق بنا جُودًا وظلّتَ إلهنا المسؤولا

اسئلة واجوبة

ابيات مجهولة البحر (جواب على سؤال سابق للاب خليل اده اليسوعي)

سُئل المشرق (في اول اعداد هذه السنة ص ٤٨) من اي بحر هي الابيات الآتية الواردة في كتاب الاغاني (٢١ : ١٩١) على لسان بَيْهس وكيف تُقطَّع:

يا لها نفسًا يا لها انَّـني لها الطعمُ والسلامهْ
قد قتلَ القومَ اخوتها بكلّ وادٍ رناه هامهْ
فَلأَطرقَنْ قومًا وهم نيامٌ وأبركَنْ بركةَ النعامهْ
قابض رجلٍ باسط أُخرى والسيفُ أُقدمهُ امامهْ

(فنجيب) ان العلاّمة غويدي في فهارس كتاب الاغاني جعل هذه الابيات من بحر المنسرح يريد المحذوف الوتد في آخر عروضهِ وضربهِ فتأتي اجزاؤهُ:

مُستَفعِلُن مَفعُولاتُ فِعلُن مُستَفعِلُن مَفعُولاتُ فِعلَن

وهو قولٌ اقرب الى الصواب من غيرهِ لكنَّهُ لا يحلُّ المشكل حلاًّ مُرضياً فانك ان قطَّعت هذه الابيات على المنسرح وراعيت جوازات هذا البحر الشعريَّة لم تكد تجد بيتاً واحدًا يطابق تفاعيل هذا البحر مطابقةً تامَّة ما لم يُقَل انَّ الرواية فاسدة ولا بُدَّ من شاهد على فسادها لاسيَّما انَّ الابيات منقولة عن نسختين مختلفتين ليس بينهما فرقٌ يُذكر. ولكن اذا تعذَّر تعيين بحر هذه الابيات يمكننا بيان ايقاعها طبقاً للمبادئ التي شرحناها سابقاً في المشرق (٣: ٩٣٦؛ ١٠٢٦؛ ١٠٨٣). والبحث عنهُ لا يخلو من الفائدة

(نقول) اذا دللنا على المقطع المتحرّك اي الحرف المتحرّك بهذه العلامة (ᴗ) وعلى المقطع الساكن وهو عبارة عن السبب الخفيف بهـذه العلامة (—) وقطَّعنا الابيات السابقة وفقاً لذلك حصلنا على الجدول الآتي:

	الصدر		العجز	
البيت الاوَّل	——ᴗ—•	——ᴗ——	——ᴗ—ᴗ	——ᴗ—ᴗ
« الثاني	——ᴗᴗ—	—ᴗᴗ—ᴗ	——ᴗ—ᴗ	——ᴗ—ᴗ
« الثالث	———ᴗ——	——ᴗ—ᴗ	——ᴗ—ᴗ	——ᴗ—ᴗ
« الرابع	——ᴗᴗ—	——ᴗᴗ—	ᴗ—ᴗ——	——ᴗ—ᴗ

فاذا اعتبرنا في بادئ الامر أعجاز هذه الابيات دون صدورها ظهر لنا لاوَّل وهلة الايقاع فترى اوَّلًا الاعجاز الاربعة تتركَّب من عشرة مقاطع. وثبات عدد المقاطع من شروط النظم العربيّ في اكثر بحوره. ثم ترى في هذه الاعجاز مع اتفاق عدد المقاطع ثبات عدد الازمنة لانَّك اذا حسبت المقطع المتحرّك زمناً والساكن زمنين وهذا اعدل قياس لمقادير المقاطع وجدت لكل عجزٍ من الابيات الاربعة ١٦ زمناً (راجع المشرق ٣: ٩٤١). ثم اذا لحظت ترتيب هذه المقاطع ونسبة حركاتها وسكناتها وجدتَ انها تنقسم الى جملتين متشابهتين تتألف كل منهما من خمسة مقاطع تتوالى على اسلوبٍ واحدٍ اوَّلها وثالثها متحرّكان والباقية ساكنة الّا عجز البيت الرابع وسنبيّن سبب هذا الاختلاف فيه. وانت تعلم انَّهُ اذا توالت ازمنة محدودة على نسب واوضاع مخصوصة ثم أُعيدت تلك الازمنة بمقاديرها وترتيبها فذلك دور الايقاع بعينهِ (المشرق ٣: ٩٤٠). واذا رددت هذه الاعجاز الى التفاعيل وجدتها تتألف من دَوْري ايقاعٍ وزنُ كلّ منهما «مَفَاعِلاتُن»

وان قلتَ ليس في الابحر العربية المألوفة بحرٌ من هذا الوزن. اجبتُ: (اولًا) ان الغرض من مقالتي هذه البحث عن ايقاع هذه الابيات لا تطبيقها على الابحر المعهودة

اذ الامر يتعذَّر كما رأينا . (ثانياً) وما ادراك انَّ هذه الابيات لا تدخل في شوارد الشعر العربيَّ التي لم يُضبَط بحرها باتفاق العروضيّين (راجع العمدة لابن الرشيق طبعة تونس ص ١١٦ و ١١٨) . (ثالثًا) ساء ظنُّ القائل بانَّ هذا الوزن غريب عن الاوزان العربيَّة اذ نجدهُ في الايقاعات اللحنيَّة التي ذكرها صفيّ الدين البغدادي (راجع المجلَّة الاسيويَّة الفرنسويَّة سنة ١٨٩١ ج ٢ ص ٢٥٠) وقد دعاهُ الثقيل الثاني . بل من الاغاني القديمة ما وجدناهُ مطابقًا لهذا الوزن في نظمهِ ولحنهِ

١ فان صحَّ عن اعجاز هذه الابيات انَّها من وزن الثقيل الثاني بقي ان نفحص عن صدورها أتصدق فيها شروط هذا الايقاع . (قلنا) ان الصفيّ يجعل دور هذا الوزن كما ترى

٣٠ ٣٠ ٢٠ ٣٠ ٣٠ ٢٠ • (ثم يعود)

فالنقط في هذا الدور تدلُّ على النقرات والاعداد على ازمنتها . ويوازيها في النظم الاحرف وحركاتها (راجع المشرق في الاعداد المذكورة) . ويجوز بين النقرة الاولى والثانية وبين الثانية والثالثة اقحام نقرةٍ بشرط ان لا تنقص الازمنة ولا تزيد . وذلك على طرقٍ مختلفة . منها أن تقسم الزمن الاصلي الى ثُلثين وثُلث او بعكس ذلك الى ثلث وثلثين او ايضاً مناصفةً كما ترى في الاشكال الآتية :

الاصل	•	٣			•	٣			•	٢	•
الشكل الاول	•	١	•	٢	•	١	•	٢	•	٢	•
الشكل الثاني	•	٢	•	١	•	١	•	٢	•	٢	•
الشكل الثالث	•	١ ١/٢	•	١ ١/٢	•	١	•	٢	•	٢	•

وقد ذكر صفيّ الدين صريحًا الشكل الاوَّل . وان بدلت النقرات وازمنتها في هذه الاشكال بالحروف والحركات المناسبة كان الايقاع في الشكل الاوَّل «مَفَاعِلاتُنْ» وفي الثاني «مُفتعلاتن» وفي الثالث «مستفعلاتن» باعتبار قياس كل من السببين الاوَّلين من «مُسْتَفعِلَاتُنْ» زمنًا ونصف زمن وقد بيَّنَّا وجود هذا الزمن (راجع المشرق ٣ : ١٠٨٥). ومن المُمكن ان تُقحَم النُقَر على طرق اخرى نضرب الآن عنها صفحًا

٢ ومن جوازات العرب في اوزان ايقاعاتهم انَّهم يعكسون الاجزاء والادوار ولنا شاهد على ذلك حتى في عروض البحر الخفيف حيث اجازوا «مُسْتَفْعِلُ» وهو عكس «فَعِلَاتُنْ» . وعليهِ فان قلبنا في الايقاع الذي نحن في صددهِ «مفاعِلاتن» و «مُفتَعِلَاتُنْ» صارا بالقلب «مُستَفعِلَاتُ» و «مُستَفعِلَاتُنْ»

٣ ولا بُدَّ من تنبيه القارئ على مبدإٍ آخر ذي شأن وهو انَّ للسكتة في الانشاد والغناء قياساً يحسب زمنهُ مع ازمنة الايقاع وهو كثيرٌ في الغناء. ولا اظنُّهُ يُنكر في النظم اذ لا يتمّ الوزن غالباً الّا بهِ. قال ابن الرشيق في العمدة (ص٩٢) عن الخرم في الشعر: «انَّما اسقطوهُ (اي الحرف الاوَّل من الوتد) كأنَّهم يتوهَّمون انهُ في السكتة فلذلك جعلوهُ في الوتد المجموع لان المفروق لو اسقطوا حركتهُ الاولى لبقي ساكناً ولا يبتدأ بالساكن فيسقط ايضاً والسكتة لا تحتمل عندهم الّا حرفاً (اي زمناً) وهذا اعتدال مليح جدًّا» اه. وجاء ايضاً لابن سينا في الشفاء (راجع المقالة الـ ٥ من الفن الـ ١٢ من الرياضيَّات وهي في الايقاع(١ بعد ذكرهِ مكان السكتة من الايقاع اللحنيّ وقلّة استعمالها في الايقاع الشعري لتعذّر الوقف في الكلام (Ms. Lond. 171^b): «الّا انَّ في البحور العروضيَّة بحرين هما من هذا القبيل وانَّما يتّزنان بسكتة وهما تغييران لبحرين آخرين وتجد هناك تغييرات لبحور جُعلت بحورًا لاغراضٍ لهم» اه. ثم اورد مثالًا واحدًا وهو المديد وزعم انهُ من الرمل انَّما يتزن بسكتةٍ قياسها زمانان بعد الجزء الثاني «فاعِلُنْ» او «فَاعِلَا» بدلًا من السبب المحذوف «تُنْ»

واذا رجعنا الآن الى الابيات التي نحن في صددها قلنا عن صدر (البيت الاول) ان جزءه الاول «يا لها نَفْ» مَفَاعِلَاتُنْ دخلهُ شبه الخرم وعُوِّض عنهُ بسكتة. وامَّا الجزء الثاني «سًا يا لها انْ» فوزنهُ مُستَفعِلَاتن وقد بيَّنَّا طريقة تحويل «مَفَاعِلَاتُنْ» اليهِ

(صدر البيت الثاني) جزؤهُ الاول «مُفتَعِلَاتُنْ» بدلًا من «مَفَاعِلَاتُنْ». وامَّا الثاني فلا يتَّزن الّا بسكتة مدّة زمنٍ واحد بعد م لفظة «القوم» فيكون الوزن باعتبار هذا المقدَّر «مُسْتَفْعِلَاتُنْ» وهو عكس «مُفْتَعِلَاتُنْ»

(صدر البيت الثالث) على ظنّنا ان الرواية الصحيحة لهذا الشطر هي «فَلَأَطْرُقَنْ قومًا هُمْ نيامٌ» بحذف الواو لان الزيادة ظاهرة فيهِ. فيتركَّب من «مُسْتَفْعِلَاتُنْ» مرَّتين (٢

(صدر البيت الرابع) وزنهُ «مُفْتَعِلَاتُنْ» مرَّتين. امَّا اوَّل جزء العجز فهو «مُستَفعِلَاتُ» وهو عكس الأصل – وخلاصة الكلام انَّ وزن هذه الابيات مَفَاعِلَاتن (٨ ازمنة و ٥ مقاطع) مرَّتين في كل شطر يجوز فيهِ مُفتعلاتن ومستفعلاتن (بشرط مراعاة الزمن) مع عكس الوزن الاصلي وجوازاتهِ

---

١) في مقالتنا عن الايقاع في الشعر العربي ان احسن طريقة لمعرفة ايقاعات الشعر العربي مقابلتها بايقاعات الالحان ثم وجدنا في الشفاء لابن سينا انَّهُ يتبع هذه الخطَّة في كلامهِ عن الايقاع ولولا انَّ النسخة التي بين ايدينا كثيرة الاغلاط لنشرنا هذه المقالة برمَّتها لما تتضمَّنهُ من الفوائد

٢) وان اعتبرتَ الرواية صحيحةً قُلْ انَّهُ دخلهُ شبه الخزم «فَلْ» وانَّ جزءهُ الاوَّل «مُفْتَعِلَاتُنْ» وهو من تغييرات الدور الاصليّ

المشرق

بعض اديار مصر القديمة

لحضرة الاب ميخائيل جوليان اليسوعي

قد أتفق لنا في اسفارنا في انحاء مصر ان نتعهّد آثارًا عديدة واديارًا قديمة سكنها القديسون من اهل النسك والزهد الذين عاشوا على طريقة القديس باخوميوس والقديس انطونيوس وادهشوا العالم بتقشفاتهم وفضائلهم . وهذه الاخوبة لا يقصدها السياح لانهم لا يشاهدون فيها من فخامة البناء ودقيق الصناعة وغريبها ما يشاهدونهُ في آثار الفراعنة والبطالسة . واماً الوطنيُّون فلا يهتمون بهذه البقايا المسيحيَّة ولعلَّهم يجهلونها جهلًا تامًّا ومنقتصر في مقالتنا هذه على ذكر اهمّ هذه الاديار القديمة التي تستحق الاعتبار والنظر والتي لم يسبق لنا الكلام عنها من قبل مكتفين فقط بوصف ما رأيناه رأي العين وما سمعناهُ ممَّا لهُ علاقة بحياة القديسين الذين اقاموا فيها . ولا شيء احبَّ لدينا من تدوين اعمال اولياء الله . ولنفتتح الكلام مبتدئين بالشمال

١

دير القديسة دميانة

يرى المسافر شمالي المنصورة على طرف الارض المالحة والمستنقعات التي تنتهي بها مصر السفلى من ناحية البحر ديرًا جميلًا يعتبرهُ الاقباط اجلَّ اعتبار ويسمونهُ دير الستّ دميانة وهو نفس الدير الذي قضت فيهِ دميانة العذراء حياتها وهناك تمَّ استشهادها في ايام الاضطهاد الذي اثارهُ على المسيحيين ديوقليسيانوس الملك . ويحج الاقباط افواجًا

الى هذا المقام من كافة انحاء مصر السفلى يوم ذكر تدشين الكنيسة في ١٠ اَيار

ولمّا كان السيد مكسيموس اسقف هرموبوليس الكبرى الكاثوليكي في الاسكندريّة رغب يوماً ان يزور دير الست دميانة وهو عائد الى كرسيه في المنيا فصحبتهُ في سفرهِ

فسرنا الى هذا الدير راكبين السكّة الحديديّة المنشأة حديثاً وهي توازي الساحل مارّةً ببلدة بلقاس. وبلقاس على مسافة اثني عشر كيلومترًا من الست دميانة جنوبيًّها

وكنّا في اثناء المسير نُقِرّ العين بمشاهدة مدنٍ عديدة كانت في سالف الاعصار مقاماتٍ للاساقفة كدمنهور المعروفة قديمًا بهرموبوليس الصُغرى. ثمّ دسوق التي بقربها كانت مدينة نوكراتيس عند قرية نبيره الحاليّة. ثم شبَس الشهداء وهي كباسا (Cabasa) القديمة التي على اسمها سُقف قاصد مصر الرسولي شرفًا ثم سخا (Xoïs) احدى عواصم مصر في غابر الزمان. ثم آخرًا بلقاس وكانت تُعرف باسم ديوسپوليس وهي پيناميس القديمة

وبلقاس قرية كبيرة عامرة وهي قصبة المركز المنسوب اليها الذي يُعدّ كاعظم مراكز مصر. فاستقبلَنا «العمدة» واكرم وفادتنا وهيّأ لنا المطايا لنركب الى الدير قبل ان ينشر الليل لواءهُ

ولمّا جزنا القرية مررنا بالقرب من كنيسةٍ للقبط الارثدكس ذات قبابٍ عالية جميلة. ثم سرنا في وسط مزارع نضرة مجارين لترعةٍ من تُرَع الريّ. ثم مالت بنا الطريق الى اليمين وتغيَّرت علينا المناظر فلاحت لنا سهول فسيحة ضويّة النبات قليلة الريع تخدُّها الاخاديد العميقة وتتخلّلها مجاري المياه. امّا القرى في تلك البطاح فعبارة عن سور من الطين اشبه بحظيرةٍ في ضمنهِ صفوف اكواخ حقيرة يسكنها عَمَلة شركة زراعيّة تُدعى «شركة البحيرة» نسبةً الى مديريّة البحيرة المجاورة للاسكندريّة في غربيّها. وهذه الشركة قد ضمنت مسافة ٤٢٠٠٠ هكتار من الارض البائرة لتستثمرها وتحسّن تربتها. وقد نالت هذه الشركة ارباحاً وافرة وهي تفضِل الطرائق الزراعيّة الاقتصاديّة المألوفة في مصر على اصول الفلاحة المستحدثة واختراعاتها المستجدّة التي تقتضي في الغالب نفقات عظيمة ولعلّها لا تصلح لهذه البلاد

ومن آفات المزارع في هذه النواحي (اللهمَّ الّا الأرُزّ) ما يخالط التربة من الملح.

وقد حُفرت الجداول في وسطها ليجري اليها الماء العذب فيحلّل الملح واذا تحلّل الملح صار ثقلهُ اعظم مجرى الى الاخاديد العميقة التي ذكرناها . وهي قنيٌّ تُدعى مراكف(؟). وقد اتّفق مرورنا بكثير منها فوق معابر لا تصلح الّا لمرور الماعز . وهذه المعابر تتألّف من خشبتين دقيقتين عرضهما ٥٠ سنتيمترًا فوقهما شيء من الحشيش والمدر يُرى من خلالها الماء الجاري . واذا بلغت الدابّة احد هذه المعابر الخطرة صاح بها الحمّار: « رجلك » فاخذت حذرها ومرّت على رسلها سالمةً

ولمّا انتهينا من عبور هذه الخنادق وقع نظرنا على الدير فلاح لنا في وسط هذه الارض القفرة على هيئة تأخذ بمجامع القلب . وذلك انك ترى قبابهُ البيضاء تعلو سور الدير على شكل صومعة ذات طبقات متعدّدة . وكانت الشمس عند مغيبها ترسل على هذه الابنية اشعتها الذهبيَّة فتنعكس صورتها على الأُفق . ومن يراها عن بعد يخالها كنيسة روسيَّة بديعة الحسن نُقلت من صحاري الشمال الى بطائح الشرق المنيرة . وهكذا كان وصفَها لنا احد المهندسين المتولين سقي النيل لمّا علم انّنا ناوون زيارتها فتحقّقنا صدق وصفهِ . ثم مشينا في سبخةٍ لا يُرَى فيها اثر الزراعة وانّما تنبت فيها بعض اعشاب رمداء كما في السواحل الى ان بلغنا الدير فاذا هو بناء مربَّع تكسير جوانبهِ ستُّون مترًا على التقريب . وبابهُ الى الشرق يقوم بحراستهِ كثيرٌ من الخدم

فلمَّا دخلنا ارسلنا الى الرئيس كتاب وصاةٍ كان اصحبنا بهِ خوري القبط الارثذكس في المنصورة . فما لبث الانبا بطرس ان نزل ليستقبلنا واحتفى بنا مرحّباً قبل ان يسبر غورنا . وكان سيادة المطران مكسيموس قد نزع خاتمهُ واخفى صليبهُ ليبقى بصفة كاهن بلديّ مجهول امَّا انا فكنتُ على هيئة سائح افرنجي

وكان هذا الرئيس ربعةً قصير القامة في مقتبل العمر لهُ لحيةٌ خفيفة لطيف الطباع كثير المؤانسة . وفي الدير ثلاثة كهنة اعزاب ينتمون الى رهبان القديس انطونيوس الّا انهُ ليس ثمّت اثرٌ للقانون الرهبانيّ ولعلّهم قضوا مدّةً في احد اديار نطرون او الاسقيط وليس شيء آخر يفرق بينهم وبين بقيَّة الكهنة الارثذكسيين . ولمَّا اجتمعنا بهم اكّد لي احدهم انهُ يعرفني وانهُ لقيني قبل بضع سنوات في اورشليم . فتذكرت اذ ذاك انني كنتُ يوماً في القدس اتجوّل على جبل الزيتون قريباً من الابنية الروسيَّة التي هنالك اذ لقيني كاهنٌ ظننتهُ من الحبش فكاشفني عن رغبتهِ في اتباع العقائد الكاثوليكيَّة

وكأنَّ روَساءهُ وقفوا على نيَّاتهِ فنفوهُ بعد ذلك الى دير الست دميانة ليحيد عن فكرهِ بالاهتداء ولئلاَّ يعود يجتمع بكاهن كاثوليكيّ

ثم طلبنا الى الرئيس بان يفيدنا شيئاً عن تاريخ هذا الدير فعمد الى كرَّاس مخطوط على جدولَين قبطيّ فعربيّ يتضمَّن قصَّة القديسة « دميانة » ومنهم من يروي " جميانة ». والكرَّاس عبارة عن خمس عشرة صفحة مزيّن بنقوش غير محكمة التنميق ولا اظنُّهُ يتجاوز ما وراء القرن السادس عشر. مؤلفهُ يوحنَّا اسقف بُرُلس يقول في مقدَّمتهِ انهُ حظي بهذه الترجمة المكتوبة بخط القديس يُسنطوس صاحب تراجم كثيرٍ من الشهداء الذين قُتلوا في سبيل الايمان على عهد ديوقليسيانوس. واليك خلاصة حياة القديسة دميانة

كان ابو الشهيدة يُدعى مرقس وكان والياً على مدينـة صفران التي موقعها قريباً من الدير في جنوبهِ الشرقيّ. ولمَّا بلغت دميانة سنَّ الزواج اراد ابوها تزويجها امَّا الفتاة فابت قائلةً: « كلاَّ ان عروسي هو السيّد المسيح. لكنني ارغب اليك ان تبني لي ديرًا انقطع فيهِ مدَّة حياتي الى خدمة الله وحدهُ ». فلم يرَ ابوها بدًّا من اجابة طلبتها وابتنى لها ديرًا في مكان الدير الحالي فسكنتهُ دميانة مع اربعين من العذارى اللواتي زهدنَ على مثالها بالدنيا وشاطَرْنها نصيبها في خدمتهِ تعالى

ثم بلغ ديوقليسيانوس خبرها فبذل غاية جهدهِ ليستميل اباهـا الى عبادة الاوثان وما زال يغريهِ بالوعد والوعيد حتى نال منهُ مبتغاهُ ورقَّاهُ جزاء لكفره الى رتبة الولاية على فرامة وكانت مدينة كبيرة على جوار بلوزة

امَّا دميانة فاشجاها الامر ايَّ شجاً ومن وقتها لحقت بابيها ولم تزل تتوسَّل اليهِ حتى اناب الى الله واضرمت قلبهُ ندامةً على فعلهِ. لكنَّ الامبراطور استشاط عليـهِ غضباً وامر بقطع راسهِ ثم اوفد فرقةً من الجند الى وادي قيزبان حيث كان دير دميانة فانتهكوا حماهُ ونكَّلوا بالقديسة دمياية تنكيلاً ثم القوها في سجن مظلم حيث تراءى لها الملاك ميخائيل فابرأها من جراحاتهـا. الَّا انَّ الجلَّادين عادوا الى عذابها وعذاب رفيقاتها وقطعوا آخرًا روَوسهنَّ وذلك في ١٣ من شهر طوبه (٢١ ك ٢)

وفي الكرَّاس الذي لخصتهُ اقاصيص عديدة وتفاصيل خياليَّـة غريبة زادها الكاتب على مألوف عادة الاقباط. وقد طُبعت حديثاً ترجمة هذا الكتاب العربيَّة في القاهرة بهمَّة وكيل اوقاف مطران القدس

وكان الليل في اثناء ذلك بسط اجنحتهُ. اذ جاء ثلاثة من اصحاب تقويم الاملاك وطلبوا في الدير محلًّا يأوون اليهِ فاضطجعوا تحت الرواق الذي كنا فيه نتجاذب اطراف الحديث ملتحفين باغطيتهم فلم نحبَّ ان نزعجهم واوينا نحن ايضًا الى الفراش مؤجلين زيارة الدير الى غدٍ

وكانت زيارتنا الاولى في صباح اليوم التالي لكنيسة الدير. وعلى بابها كتابة قبطيَّة تفيدنا انَّ السيد باسيليوس مطران القدس على الاقباط رمَّم الكنيسة والدير في سنة ١٦٠٣ للشهداء الموافقة للسنة ١٨٨٧ المسيحيَّة. والدير تحت حكم هذا الاسقف الذي تمتدّ ابرشيَّتهُ على قسم كبير من مصر السفلى

واذا تجاوزت الباب دخلت في بناء فخيم مستدير يدهش الابصار وفي صحنهِ قبر القديسة الشهيدة ورفيقاتها الاربعين تعلوهُ قبَّة باسقة تقوم على اربع دعائم وكل دعامة عبارة عن اربعة اعمدة ضُمَّت الى بعضها وحول هذه الدعائم سوقٌ واسع على شكل الحلقة. امَّا القبر فهو شبيه بدكَّة مربَّعة علوُّها نحو مترٍ وجوانبها اربعة امتار وعلى هذه الدكَّة صورة صليب عريض ناتئ. وقد طُلِي القبر كلهُ بدهون على شبه الرخام. وفي جهة الغرب هيكل يستند الى المشهد. وبازائهِ من جهة الشرق معبدٌ يُعتبر كمدخل للكنيسة الكبرى التي هي قديمة العهد لكنَّها غليظة البناء ليس فيها اثرٌ يُذكر اللهمَّ الَّا اخشابها المشبَّكة ذات المربَّعات الدقيقة الصنع المنزَّلة بالعاج ومثلها كثير في كنائس الاقباط العتيقة

امَّا بقيَّة الدير فلم نرَ فيه ما يستلفت النظر فانَّهُ يتألف من مجموع غرف غير متَّسقة وقاعات عموميَّة وباحات وسلالم أُلحق بعضها بالبعض بلا نظام ولا هندام في ازمنة متباينة على مقتضى حاجة رهبان كل عصر. لكنَّهُ لا ينقصهُ شيء من لوازم المعاش والمتانة ولو حاصرهُ عدوّ لاستطاع سكَّانهُ ان يصبروا على الحصار اَيامًا ريثما يأتيهم المدد من الخارج. وللدير املاك تبلغ سعتها ١٢٧ هكتارًا وتربتها جيّدة تكفي غلاَّتها لمعاش الرهبان واصلاح ما خرب من ابنيتهِ

وقد لحظنا في هذا الدير من النظام وسعة العيش والسكينة ما كان لنا اقوى دليل على حسن ادارة رئيسهِ الانبا بطرس وثقة مرؤوسيهِ بهِ

ومن سطوح الدير يمتدّ النظر شمالًا الى سهولٍ قفرة غبراء تنتهي بكثبانٍ من الرمل

وراءها البحر وليس هناك ما ينبئ بوجود البشر الّا بيت حقير فوق رابية يأوي اليه ناطور الشواطئ ومياه تُرع شبيهة بالنضار تجري فيها قوارب صغيرة وكذلك بعض قطعان من الغنم السود تسرح في تلك الفيافي. امّا جهتا الشرق والغرب فلا تميّز العين في آفاقهما سوى خطوطٍ قاتمة يخيّم فوقها سحابة تدلّ على قرًى تحجبها غابات النخل

وكان رجوعنا الى القاهرة في مساء ذلك النهار على طريق المنصورة وطنطا في السكّة الحديديّة التي تسير في وسط بقاع لا يشاكلها غيرها في مصر زكاء وخصباً

٢

مدينة البهنساء

من المدن القديمة الشهيرة بالآثار مدينة البهنساء وكان اسمها في غابر الاعصار أُكسِرنكوس (Oxyrrhincus) وهو اسم سمكةٍ تُعرف اليوم في مصر بالقنّومة (mormyrus oxyrrhincus) ودُعيت البهنساء بذلك لان اهلها كانوا يعبدون هذه السمكة كما كان يعبد الكلاب اهل كينوپوليس وهي مدينة كانت قائمة بازاء البهنساء على ضفّة النيل تُعرف اليوم بشيخ فضل. وحدث في احدى السنين انّ اهل كينوپوليس اصطادوا سمك القنّومة فاكلوهُ فاغتاظ اهل البهنساء واكلوا لحم الكلاب انتقاماً منهم فنشبت لذلك حرب بين المدينتين لم يخمد سعيرها الّا بتوسّط الجنود الرومانيين الذين فصلوا بين الفريقين

ثم لاحت انوار النصرانيّة في مصر وكان اهل مدينة البهنساء ممّن اكتحلوا منذ القرون الاولى بدين المسيح ونبذوا شناعات الوثنيّة وامتازوا بعد حين بقداسة السيرة وزهد كثيرون منهم بالدنيا حتى صارت البهنساء تُعدّ كمدينة الزهاد والرهبان

ولنا على ذلك شهادة صريحة في الفصل الخامس من كتاب روفين (Rufin) المعنون تاريخ الرهبان (١ فان هذا الكاتب الشهير قدم في اواخر القرن الرابع للمسيح ومعهُ القديسة ميلانية وزار البهنساء فوجد فيها عشرة آلاف راهب وعشرين الف راهبة عذراء. وقال ما تعريبهُ:

« وبلغنا احدى مدن الصعيد حيث وجدنا الدين زاهراً اي ازدهار حتى انّنا لو اردنا بيان الحقيقة كلّها لنَسَبَنا القرّاء الى المبالغة فان المدينة تغصّ بالرهبان وفي ظهرانيها عدد لا يُحصى من الاديار

١) راجع مجموع الاباء اللاتين لمين (المجلد ٢١ ص ٤٠٨)

وقد حوَّل الجمهور الابنية العموميَّة وهياكل الاوثان الى مساكن يأوي اليها النسَّاك. وعدد الاديار في هذه المدينة ينيف على عدد بيوتها. وهي تحتوي على اثنتي عشرة كنيسة عمومية فضلًا عمَّا لكل دير من المعابد الخاصَّة. هذا وانَّ ابواب المدينة وابراجها واسوارها وكل خلواتها قد اصبحت ملاجئ لاذ بها الرهبان فتراهم يقيمون فيها ليلًا مع نهار وهم يسبّحون الله ويمجدونهُ بحيث تحسب ان المدينة كلها كنيسة واحدة. ولو اراد الاسقف ان يقيم الصلاة في ساحات البلد لامكنهُ ذلك كما في الكنيسة لانَّ سكانها كلهم من الكاثوليك ليس بينهم وثنيٌّ ولا مبتدع. وقد اقام الوجوه والاعيان بينهم رجالًا على ابواب المدينة لينبئوهم بقدوم الغرباء والفقراء ليسرعوا الى دعوتهم الى بيوتهم ويتحفوا بهم ويقضوا حاجاتهم . . . »

وقد دوَّن التاريخ اسماء بعض القديسين الذين اشتهروا في البهنساء. منهم سنوثيوس او شنُّوده(١ الذي استشهد على عهد ديوقليسيانوس. والقبط يذكرونهُ في ١٤ برمهات(٢٤ اذار). ومنهم الاسقف تاودورس او تاذرس احد مقاومي الشيعة اللوسيفريَّة. والاسقف أُبغي جامع اقوال الآباء (٢. وكان هذا في اوَّل امرهِ ناسكًا كثير التقشُّف والاماتة. فلمَّا صار اسقفًا رأى نفسهُ عاجزًا عن مواصلة تلك العيشة الشظفة فشكا امرهُ الى الله بقولهِ: « اللهمَّ اتكون حرمتَني نعمتك بسبب الاسقفيَّة ». فاجابهُ الربّ: « كلَّا لم تفقد نعمتي. وانَّما كنتُ اعينك بذاتي على ممارسة اعمال التوبة لمَّا كنتَ في عزلةٍ عن البشر. امَّا اليوم وقد صرتَ في وسط العالم فانَّ الناس يتولَّون ترويضك في سُبل الفضيلة »

ومع ما كانت عليهِ البهنساء من الدين والتقوى تمكَّن الشيطان خزاهُ الله من زرع بذور الشقاق في وسطها. وقد انتصر بعض اساقفتها للاطيوس بطريرك انطاكية وتبعوهُ في ضلالهِ (٣ وكذلك البدعة اليعقوبيَّة فانَّها نالت من اهلها واضلَّتهم سواء السبيل

والبهنساء في ايَّامنا عبارة عن قرية متوسّطة في الكبر موقعها على الضفَّة الغربيَّة من ترعة بحر يوسف بازاء محطَّة بني مزار بين المنيا وبني سويف على بُعد متساوٍ منهما ولمَّا لم اجد احدًا من معارفي تعهَّد البهنساء ونواحيها صمَّمت العزم على زيارتها

١) راجع تراجم الابا الفصل الخامس
٢) قد نُشر هذا الكتاب باللاتينية واليونانية بهمَّة كوتلّاريوس
٣) راجع الشرق المسيحي للوكيان

مع احد الرهبان من جمعيّتنا وسلّمنا امرنا الى شيخ الحمّارين في بني مزار ليقودنا الى تلك الجهات وكان بعض الركّاب اجتمعنا بهِ في القطار وصّاهُ بنا وعظّمنا عندهُ زاعمًا انّنا من اصحاب المراتب السنيّة

فكان مسيرنا الى جهة الغرب على طريقٍ زراعيـة لاحبة . وبعد ان قطعنا خطّين من السكك الحديديّة أُنشئا هناك لنقل قصب السكر لمعمل مغاغة عبرنا اربع ترعٍ من تُرَع السقي فبلغ بنا المسير بعد ساعةٍ ونصف الى قرية اشروبة وعندها آخر الطريق . ومن ثمّ مشينا في مسالك ضيّقة تتخلّل الحقول ادّت بنا في اقلّ من ساعة الى قرية كبيرة تدعى سندافة وهي بازاء البهنساء ليس بينهما سوى ترعة بحر يوسف

فسار بنا المكاري توًّا الى بيت العمدة وادخلنا ديوانهُ دون تكلفةٍ . وكان شيخ الضيعة جالسًا وحولهُ بعض الفلّاحين يقضي بينهم ويحلّ مشكلاتهم . فلمّا رآنا القوم تعجّبوا اوّلًا من زيّنا الاوربي وهم لم يعهدوا مثل ذلك سابقًا . لكنّ شيخ الحمّارين ازال اندهاشهم ووصفنا لهم باحسن الصفات واعظم الالقاب . فقام العمدة من فورهِ واخذ يبالغ في اكرامنا وامر بان تُعدّ ذهبيّتهُ لركوبنا ولم يرضَ ان نجتاز الترعة على زورقٍ بسيط ثم فوّض الى ستّة من رجالهِ ان يُرونا في البهنساء كلّ ما نحبّ تفقّدهُ

فقطعنا الترعة وعرضها في هذا المكان كعرض نهرٍ ثم ولجنا طريدةً من البساتين لقينا وراءها خرقًا من الرمال القاحلة في وسطهِ جدران ماثلة ومناور متداعية وقبور مقبّبة استولى عليها الخراب . وترى غربيّ ذلك الفضاء أنجاد الصحراء الليبيّة قد تواصلت بها الرمال فغطت قسمًا من آكامها الصخريّة . وان حوّلت النظر الى الشمال رأيت كثبانًا من الرمل تتمثّل فوقها اسوار البهنساء وبروجها ومناورها . ففي هذا القاع وفوق تلك الرُّبى كانت مدينة أُكسِرنكوس او البهنساء القديمة . والحقُّ يُقال انّ النسّاك الاقدمين لم يكونوا ليجدوا مقامًا احقّ بهم واولى بمناسكهم وتعبّداتهم لما في ذلك القفر من اسباب العُزلة ودواعي التنسُّك مع سعتهِ وقربه من المياه والمزدرعات . فمن شاهد المكان لا يشكُّ في ان جماعةً من الرهبان تبلغ عشرين بل ثلاثين الف راهبٍ امكنها ان تعيش فيهِ عيشًا هنيئًا في السكينة والسلام

ثم رقينا هناك ربوةً يُرى فوقها عمود من الصوّان ماثل وهو من بقايا احدى كنائس البلدة فاشفينا على البطحاء كلّها وكانت العين تميّز في الجنوب الغربيّ مقبرة

الاقباط وقبورها المكلّسة التي تشبه عن بعدٍ قطيعاً من الغنم . وفي الجهة الغربيَّة يرى الناظر في السلسلة الليبيَّة شِعْبًا يؤدي الى واح البحريَّة المعروف ايضًا بواح البهنساء . امَّا القبَّة والجدران المتداعية التي كانت تُرى في تلك الجهة على مسافة نحو نصف الساعة فهي بقايا دير قديم كان يُعرف بدير السبع البنات . وفي تاريخ ترجمتهنَّ انَّ احد الفجَّار حاول ان يغتصبهنَّ فالتجينَ الى الله فارسل ملاكًا نقلهنَّ الى هذا المكان فابتنين لهنَّ ديرًا وعشنَ فيهِ عيشةً صالحة . وكنَّا نرى ايضًا اطلالًا دارسةً زعم الدليل انَّها آثار كنائس قديمة والامر ليس بمستبعد وقد افادنا المقريزي في كتاب الخطط ان عدد كنائس البهنساء كان يبلغ سابقًا ٣٦٠ كنيسة . والشيخ ابو صالح الارمني من كتبة القرن الثاني عشر قد عدَّد خمس عشرة كنيسة في البهنساء في زمانهِ (١

ثم تابعنا مسيرنا الى الشمال فسرنا مدَّة ثلث الساعة في مدافن يُنزَل اليها بآبار محكمة البناء عمقها ثلاثة او اربعة امتار . وقد استخرج منها اهل العاديَّات اجسامًا محنَّطة بقي في الرمل كثيرٌ من آثارها كلفائفها وعصائبها وقلائدها واسوارها فيها خرز من السَّبَج او الزجاج . وشاهدنا بين هذه البقايا المتحطِّمة عددًا وافرًا من الآنية الخزفيَّة وهي مقعَّرة على شكل البواتق وفي قعرها قطعٌ ملح متبلورة مشوبة بمادَّة ربداء . ولعلَّ هذه الآنية كان قدماء البهنسيين في ايام عبادتهم السمكة قنُّومة يتَّخذونها ليجعلوا فيها موميا معبودهم محنَّطة بالنطرون

واخبر الثقة انهُ قبل زيارتنا للبهنساء بنحو سنةٍ كان قد اتاها باحثان انكليزيَّان احدهما المستر هُنت والآخر الجنرال غرنفل فحفروا في بعض الامكنة واستخرجوا منها سرًّا عاديَّات كثيرة اودعوها في ٢٨٠ صندوقًا وحمَّلوها ستَّة عشر جملًا وكان في جملة هذه العاديَّات اوراق من البردي او البابير وجدوها في حفرةٍ غربيَّ الضيعة

وقد اذاعت المجلَّات العلميَّة خبر هذه الكتابات ووصفها المشرق في سنتهِ الاولى (ص ٣٣٢ و ٥٧٩) وذكر انَّ في جملتها قطعًا من مجموع اقوال الربّ (Λόγια) للقديس بابياس تلميذ الرسول يوحنَّا الحبيب (٢ وهي مكتوبة بخطّ يونانيّ غليظ

---

١) راجع خطط المقريزي (ج ٢ ص ٥١٨) وتاريخ ابي صالح طبعة اكسفرد (ص ٩٣ و ١١٨)

٢) راجع مجموع الآباء اليونان لمين (ج ٢٠ ص ٣٠٠)

يُظن انهُ يرتقي الى القرن الثاني عشر او الثالث عشر

وفي هذا المكان اطلال عديدة لكنائس واديار قديمة تُرى خصوصاً شماليّ القرية منها جدران وعقود واعمدة صوّان اكثرها غائص في الرمل. ولحظنا فوق ربوةٍ سبعَ دعائم مصفوفة كأنَّها مهيَّأة ليُجعل فوقها اعمدة لكنيسة. وقيل لنا ان النساء الحبالى من كلِّ الاديان يأتينَ ويصلينَ في هذا المكان فينلن النجاة

وبعد تجوُّلنا بين هذه الاخربة وصلنــا اخيرًا الى قرية البهنساء الحاليَّة. ومعنى البهنساء في القبطيَّة «الزواج». قال الشيخ ابو صالح (ص ٩٤) وسبب تسميتها لأنها «بُنيت لجوارٍ من بنات الملوك عذارى تروجوا (كذا) لابناء الملوك من هذه المدينة»

ومن آثار البلدة الحاليَّة الجامع المعروف بالمعلَّق وهو محكم البناء جميل الهندسة في سقفهِ نقوش بديعة بالالوان والذهب. وحول الجــامع غرف وابنية حسنة لاحقة بهِ. وفي الايوان عمود من الصوّان الورديّ عليهِ كتابة يستفاد منها انّ السيد الشريف الحاج مصطفى جدَّد بناء هذا الجامع. وفي كتابة أُخرى تاريخ البناء وذلك سنة ١٠٩٢ للهجرة (١٦٨١ م)

وبينما كنَّا نعتبر هذا الاثر الجليل من الهندسة العربيَّــة ونبحث عن خواصّهِ اذ سمعنا جلبةً وراءنا. فالتفتنا واذا بعُمْدة البهنساء ومعهُ اهل الضيعة وهو ينتهر من رافقنا من اهل سندفة ويخاصمهم لأنهم ادخلوا اناساً غرباء الى البهنساء دون رخصتهِ. وكان الفريقان في عياطٍ ومياط فخفنا ان يحصل بسببنا ضرر لرفقتنا ورأينا من الصواب ان نسرع عائدين الى سندفة لقصّ جناح الفتنة. الاَّ انَّنا تمكنَّا قبل خروجنا من زيارة جامعٍ آخر كان الاهلون يشتغلون في ترميمهِ. وهو جامع الحسن بن صالح. وجدنا فيهِ اخشاباً جميلة النقش بديعة الصنع ترتقي الى زمن الدولة الفاطميَّة. امَّا اعمدة الجــامع فهي مختلفة الاصل ذات هيئات شتى قدَّرنا انها سبقت ايام الفتح الاسلامي ولعلَّهــا كانت تزين كنائس قديمة تهدَّمت

(التتمَّــة لعدد آخر)

السَجَنجَل

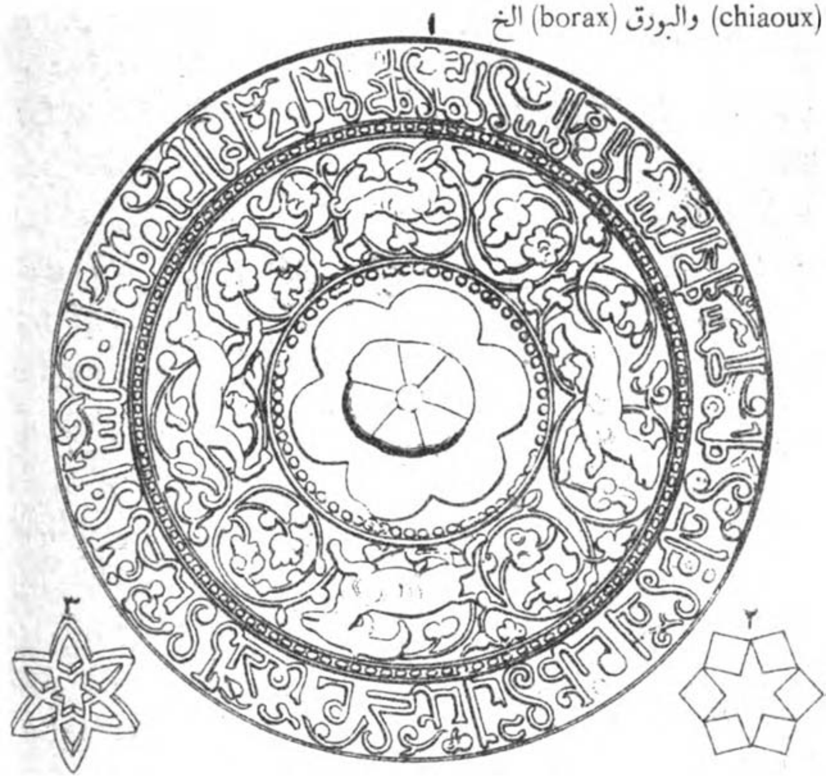
لحضرة الكاتب العالم والباحث المتفنّن الاب انستاس الكرملي

قد ذهب اللغويّون في اصل هذه اللفظة مذاهب شتى. قال في شفاء الغليل: السجنجل المرآة والزعفران او ماء الذهب. ويقال: زَجَنجل. معرَّب. اه. ولم يذكر الاصل المعرب عنهُ. وقال في محيط المحيط: «السجنجل المرآة والذهب وسبائك الفضة والزعفران. روميَّة اه. وذكر صاحب المزهر السجنجل بين الالفاظ الرومية. وكذا فعل الثعالبي صاحب فقه اللغة. وقد وردت في كتاب مرقاة الجاني كلمة السجنجل بين الالفاظ السريانية او العبرانيَّة الاصل. وذهب السيد المرتضى والمجد الفيروزابادي وعاصم افندي وغيرهم الى ان اللفظة رومية. وقال الاب هنري لامنس اليسوعي في كتاب الفروق في حاشية ص ١٢١ : السجنجل عند اكثر اهل اللغة انهُ روميّ ولا يُعرف لهُ الّا لفظ « speculum » اي المرآة . فلست اتحقَّق هذا الاشتقاق لوجود النون في سجنجل وقلب p جيماً . انتهى

والخلاصة ان الآراء متضاربة في هذا الصدد الى انني اخال قد اهتديتُ الى اصلها الاعجميّ على الصورة الآتية: لمَّا كنت يوماً مارًّا باحدى اسواق بغداد المعروفة بسوق الغزل رأيت عند احد الباعة مرائي مختلفة الطول والشكل ومن جملتها طائفة منها مركبة في قطعة خشب ثخينةٍ مستديرة محفور باطنها على شكلٍ مسدَّس الزوايا. (انظر الشكل ١ في الصفحة التالية).ورأيت ان من اعراب البادية من يُسمّي هذا النوع من المرايا المسدسة الزوايا: «سَجَنْجَلًا » والنوع المركب زجاجه تركيباً غير هذا التركيب « ماويَة » او « مِرَاية » فاستغربت هذا التمييز او التقييد وقلت في نفسي: لا بُدَّ من ان فيهِ سرًّا لغويًّا. وبعد ان امعنت النظر في هيئة المرآة رأيتها مسدسة الزوايا. فقلت: لقد اهتديت إذن الى سرّ تسميتها بهذا الاسم فتكون الكلمة معرّبة عن الرومية sexangulum بتقدير speculum ومعنى ذلك: (المرآة) المسدَّسة الزوايا . فحُذف الموصوف وبقيت الصفة على ما هو الامر جارٍ في الفاظ كثيرة

امَّا قلب الحرف x الروميّ او ξ اليوناني حرفًا واحدًا في العربيَّة فكان معهودًا عند الاقدمين. قال في شفاء الغليل في شرح لفظة بيمارستان: «... واول من صنعهُ

ابقراط وسمّاهُ « أَخْشِنْدُوْكِيْن » قلت : ويونانيتها « ξενοδοχεῖον » ومن يتتبع بعض الالفاظ يرَ شيئاً كثيراً من ذلك الطقس (τάξις) والانبيق (ἄμβιξ) والابريز (ὄβρυζον) وغير ذلك . ومثل ذلك فعل الافرنج فانهم قد نقلوا حرفاً واحداً عربياً الى حرفهم x من ذلك: الطباشير (tabaxir) والشرناق (axirnach) والشاويش (chiaoux) والبورق (borax) الخ



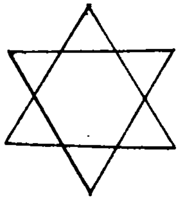
الشكل ١ مرآة قديمة الشكل ٢ و٣ نقوش عربيّة مسدّسة

واذ قد ثبت لنا مأخذ الكلمة العربيَّة نقول: اماً لفظة « زَجَنْجَل » بالزاي في الاول فهو تصحيف السَّجَنْجَل كما ورد مثل ذلك عند العرب سواء في الالفاظ المعربة كالسراط والزراط والسقر والزقر او في العربيَّة الفصحى كاللسق واللزق والبساق والبزاق. ولنا امثال على هذين النوعين تُعدُّ بالمئات الّا اننا نجتزئ بما ذكرنا

واماً من جهة سائر معاني السجنجل المعروفة عند العرب فهي من باب التوسع

والمجاز والتشبيه . فمن معاني السجنجل عندهم « الفضة » ووجه نقلها الى هذا المعنى بيّنٌ لما في الفضة من البياض والجلاء ورؤية الصور فيها اذا كانت صقيلة السطح ولأنّ بعض المرائي كانت تُتّخذ من الذهب والفضة . ثم انتقلوا من معنى الفضة الى « الذهب » اما للسبب الذي ذكرناهُ آخرًا واما لان الفضة والذهب معدنان اخوان من جهة النفاسة والعزّة حتى ان العرب اطلقوا عليهما اسم « الحجرين » بل ونرى في كثير من الاسماء العربيّة الدالّة على الفضة تدلُّ ايضاً على الذهب مثال ذلك: النُضار والتبر والعسجد والصَّيْدَن وهذه للفضّة والصَيْدان للذهب ولعلّ الاصل في الاثنين واحدٌ . ثم من معنى الذهب الذي تعنيهِ كلمة سجنجل انتقلوا بهِ الى معنى الزعفران لما بين هذا النبات والذهب من المشابهة في اللون . كما سمّوا صَرَفانًا (وهو نوع من التمر رزين) النحاسَ والرصاص للسبب عينهِ . فصار معنى السجنجل الدال في الاصل على مسدّس الزوايا: « المرآة والفضة والذهب والزعفران » . قال صاحب التاج : « السجنجل المرآة رومي معرَّب . . . وايضاً الذهب ويُقال سبائك الفضة وقِطَعها على التشبيه بالمرآة - ويُقال الزعفران . . . » . فتأمل في السجنجل . ولا تَغْفَل عمّا حلّ فيها من الغِيَر والعِلَل . حفظك الله وايّانا من الزلل والخطَل

(المشرق) نشكر لحضرة الاب انستاس افادتهُ عن اصل لفظة السَّجَنْجَل واشتقاقها فلا ريب انّ العلماء يعيرون قولهُ بالًا لاسيَّما انهُ استند على برهان وضعيّ أيدَّ بهِ مقالهُ . وما لا ينكر ان المسدَّس كان يدخل كثيرًا في نقوش الهندسة العربيَّة كما ترى في الاشكال التي رسمناها (راجع الشكل ٢ و٣) . وقد جاء في الفصل الثالث والثلاثين من كتاب يوليوس سالينوس في اثناء ذكرهِ لبلاد العرب انّهم كانوا ينحتون الزبرجد على الشكل المسدس الزوايا (Beryllus sexangulatus) . وممّا رواهُ العلّامة رينو (Reinaud) في كتابهِ عن الآثار المحفوظة في متحف الدوك دي بلاكاس انّ المسدس كان يدخل في كثيرٍ من الاشكال السحريَّة عند العرب كما ترى في هذه الصورة ولا غرو اذن ان اتّخذوا مرايا على الصورة عينها . وفي الشكل الرابع الذي تراهُ في الصفحة ١٥٦ مرآة قديمة عربيَّة في وسطها دائرة مسدسة . لكنّنا نستغرب اشتقاق لفظة السَّجَنْجَل من كلمة لاتينية مع قلّة الالفاظ العربيَّة المأخوذة من هذه اللغة . ثم في اللفظة اللاتينية الحرف المزدوج x يكونُ



الشكل ٤

على قول حضرة الكاتب قد نُقل الى الجيم العربيَّة ولا نعرف مثلًا يؤيد ذلك . ولِمَ لا يقال انّ سجنجل منقولة عن العبرانيَّة סגלגל (سَجَلْجَل) ومعناها فيها « المستدير » فان المرايا في الغالب مستديرة الشكل (١ . ثم انّ بين اللفظتين العربية والعبرانية تشابهًا ظاهرًا . هذه ملاحظات نعرضها لحضرة كاتبنا البارع لعلّهُ يجد فيها بعض الصواب . والله اعلم (ل . ش)

١) راجع الصفحة ٩٥ من كتاب فرنكل في الالفاظ العربية الدخيلة

زوّار الليل

للاب ليفنكستون اليسوعي عرّبها حضرة الخوري اسطفان البشملاني

كانت جمعيَّة القلب الاقدس المعروفة بجمعيَّة « الاتحاد » قد عقدت في لندن اجتماعها الشهري جريًا على مألوف عادتها في دير « ارلنكتون » فالقى رئيس هذه الجمعيَّة الاب موراي خطابًا بليغًا في هذه المناسبة جعل موضوعهُ « فضيلة الغيرة » فاجاد في ما قال منتهى الاجادة وكان لكلامهِ تأثير عجيب في نفوس الحضور لاسيَّما عند ما جاء على ذكر مكافأة الاشتراك مع المسيح في عمل تخليص النفوس السامي. على ان تأثير هذا الكلام كان اشدّ واقوى في ابنة من صغار الطلبة ومن « الغيورات » في الجمعيَّة اسمها اغنيسة بحيث وقع في قلبها وقوع الكلام المنزل وقد كانت ترى ان عمل تخليص الانفس ممَّا لا تصل اليهِ مداركها لكنَّهُ اصبح عندها بعد سماع خطاب الكاهن مفهومًا بيّنًا لا بل من الامور التي سلبت عقلها واخذت بمجامع قلبها كقمَّة جبل تجلَّت للناظر بعد ان وقعت عليها اشعَّة غزالة الصباح. ومن ثم شعرت كأن قوَّة تدفعها الى القيام بشيء من هذا العمل الخطير لكن كيف وباي طريقة تلك مسئلة بقيت عندها محلًا للنظر ولم ترَ بُدًّا من مكاشفة الاب موراي بها وعليهِ فبعد اعطاء البركة وقفت تنتظرهُ في ردهة الاستقبال

وكان هذا الاب معروفًا بطيب القلب وبشاشة الوجه ممَّا جعل الاحداث يستأنسون بهِ وكان يعز هذه الابنة التي لم تتجاوز الاثني عشر ربيعًا ويفضّلها على غيرها من اترابها لا لجمالها اذ كان يرى كلَّ ولد جميلًا ولا لصلاحها لانهُ كان اعلى من ان يسيء الظن باحد من أحداث رعيَّتهِ ولا لامتيازها عن اقرانها الطلبة اذ كانت تتساوى عندهُ اقدار الاحداث بل السبب ما رواهُ لبعض الكهنة قال: « كان يعجبني من هذه الابنة مزيَّة واحدة وهي معرفة الالهيَّات الامر الذي ربَّما عجبتَ منهُ والذي اعنيهِ هو انها تفهم حقائق ديانتنا المقدَّسة. وانت ترى ان الرجل الموسيقي يميل الى تلميذ مولع بفنّ الموسيقى والمصور يعزّ تلميذًا اوتي براعة خاصة في فنّ التصوير اذًا فلا بدعَ اذا اعزّ الكاهن تلميذًا اوتي موهبة فهم الامور السرمديَّة »

وقد اختبر الكاهن الفاضل هـذه الموهبة في الابنة المذكورة أيام كان يؤهب الاحداث الى المناولة الاولى منذ سنة وكان جريًا على حميـد عادته يقترح على الاولاد استظهار امثولة معيَّنة في التعليم المسيحي ويُعنى بتفسيرها لهم بكل دقَّة ثم يأذن لكل منهم ان يلقي عليهِ ما شاء من الاسئلة في الامور التي شرحها لهم. وقد قال الاب موراي ايضاً: «كثيرًا ما كنتُ اندهل من اسئلة هذه الابنة وملاحظاتها الصادرة عن صائب نظر وطول رويَّة واذا شرحتُ قاعدة من قانون الايمان ادركتْ من معناها الغاية واحقّق لك انني بعد وقوفي على مبلغ عقل هذه الابنة لم اعد اعجب لعمل القديسة كاترينا التي افحمت من ناصبها من فلاسفة عصرها الخالي في الاسكندريَّة»

ثمَّ بعد زمنٍ قليل اتى الاسقف ليمنح ابناء رعيتهِ سرّ التثبيت فبسط هذا الاب الغيور لدى سيادتهِ حالة اغنيسة فتبسَّم لِما رآهُ من حماسة هذا الكاهن الشيخ واستحسن ان يضاف الى اسمها في التثبيت لفظـة كاترينا فسُرَّ الكاهن لذلك وقال: «انني لاعجب كيف ان هذه التسمية لم تجرِ في خلدي ولا غرو فان آراء سيادتكم لهي آيات منزلة لان الابنة ككاترين بطهارتها وحكمتها»

ولا بدعَ اذا رأينا هذا الاب زاد اعزازًا لهذه الابنة واذ رآها ذات يوم بادرهـا قائلًا: «ما حالك يا اغنيسة انك لقد اصبحت اليوم من الغيورات بل من الصادقات في جمعيَّة يسوع المباركة فحبذا هذا الفخر ولك مني خالص التهنئة. قالت: اشكرك ابتِ غاية الشكر وانني سأبذل الجهد لتحقيق رغائبك واكون من الحاميات الصادقات على انني جئت الآن ارجو حضرتك الافادة عن شيء ورد في عظتك بالامس. فقال: ما هو. قالت: امر تخليص الانفس فقد حدَّثتني النفس بان اقوم بهذا العمل ويعلم الله ما فعل كلامك في قلبي فلم اكن ادري من قبل ما هو تخليص النفوس. قال: ان هذا عمـل مقبول لدى القلب الاقدس وانني مسرور لكون كلامي اثَّر فيكِ هذا التأثير. قالت: نعم ابتِ وقد وطنتُ النفس على تخليص نفس واحدة على الاقل. قال: انفسٌ واحدة خلا نفسكِ. قالت: نعم وهنا نقطة المسئلة فانني اذا استطعت ان اخلِّص نفسًا كنت على ثقة من خلاص نفسي. قال: ذلك لا ريب فيهِ. قالت: ومن ثمَّ صحَّ عندي انَّ من اخلّصهُ لا يقرّ لهُ قرار حتى يعلم انني على وشك الخلاص ولنفرض — وهنا نظرت الابنة الى الكاهن مبتسمةً — ولنفرض ابتِ انني خلصتُك أفلا تعمل بما في وسعك

على ان تفتح لي باب السماء . فتبسّم الكاهن وقال : من البديهي انني افعل ذلك واقيم الحجّة على القديس بطرس اذا حاول ابقاءكِ خارج الجنّة

لعمري ان محادثة هذين الصديقين على تفاوتهما في العمر لمّا يبتهج لهُ الخاطر ويقر بمرآهُ الناظر ولا بُدّ للصداقة كما قال الفيلسوف من وجود التناسب بين الصديقين وترى ان هذا التناسب قد وُجد لسمو مدارك الابنة الصغيرة من الجهة الواحدة ودعة الكاهن الشيخ من الجهة الاخرى ثم قال الكاهن : لقد اصبت يا اغنيسة في الاعتقاد بان الاحسان يقضي على المحسَن اليهِ بان يعمل كل ما بوسعه لخير المحسِن . قالت : ذلك ما فكرتُ فيهِ ولا بدع ان مخلصنا الالهي لا يدع عبدًا اكرم منهُ فاذا خلصتُ لهُ نفسًا خلّص لي نفسي . وهذا ما حملني على الرغبة في تخليص نفس واتيتك الآن مستفيدة كيف يتهيّأ لابنة مثلي ان تخلّص نفسًا فانك انت كاهن ويتسنى لك تخليص الشعب . قال الكاهن : قد يمكنكِ تخليص الغير بالصلوة وعلى الخصوص مع الاخرين كما هو الغرض من جمعيّة الاتحاد . قالت : نعم غير انني لا اظفر بالضالّة المنشودة وهي ان اخلص نفسًا بمفردي . فاطرق الكاهن هنيهةً ثم قال : لقد ادركتُ قصدكِ وهاكِ طريقة الوصول اليهِ وهي ان تعمّدي طفلًا على خطر الموت في حين ليس من وقتٍ لدعوة الكاهن فان مات الطفل بعد هذا كنتِ على ثقة من ارسال نفس الى السماء . على انهُ لمّا كان ذلك نادر الوقوع فخير لك ان تصلي لاجل الانفس بالعموم وتسالي الله ان يُوحي اليكِ اذا ما خلص شخص بصلواتك وربّما بقي ذلك غامضًا لديكِ الّا ان اسرار الله وطرقه عجيبة فسلمي الامر الى مشيئتهِ عزَّ وجلَّ وهو يرشدك الى الطريقة المثلى . قالت : اشكر لحضرتك الافادة والآن فانني استودعك الله . قال : على الطائر الميمون وبحراسة الله

*

بينما كانت اغنيسة عائدة الى البيت اخذت تفكر في ما قالهُ الاب موراي وعزمت على ان تتلو كل يوم بعض صلوات لخلاص الانفس غير غافلة عن انتهاز فرصة لتعمّد طفلًا على خطر الموت فاخذت من ثم تعتني بامر الاطفال من جيرانها حتى اكتسبت قلوب ذويهم بلطفها وبذلك تسنّى لها معرفة من تنضر من هذه الازهار

البشريَّة الناضرة ومن لم يتنصَّر منها ثم وجهت منتهى العناية الى الصغار غير المعتمدين لتجعلهم اولادًا لله وورثة السماء

فاتفق انها بينما كانت ذات يوم مارَّة ببعض البيوت رأت امرأةً ايطاليـة الاصل كانت توطنت حديثًا مع اسرتها ذلك الحيّ ورأت في حجرها طفلًا خُيّل لها بانهُ واحد من جوقة الاطفال السماويَّة التي تبدو بكمالها وجمالهـا من فوق قوس بهيج كما تُرى في صور المصوّر رافائيل الشهير ولم تتمالك ان هتفت قائلة لتلك الام : تبـارك الله ما اجمل طفلك. وما عتم حتى تمكنت عرى الصداقة على قصر العهد بين الابنة والام وبالمثل بين ذلك الطفل الذي اخذ يزحف مادًّا يديهِ الى اغنيسة الصغيرتين عند ما تهمّ باخذهِ على ذراعيها كأنْ قد أُوحي اليهِ اعجاب الابنة بهِ. وعرفت اغنيسة ان هذه الاسرة كاثوليكيَّة وان الطفل لم يعتمد بعد وقد اتى عليهِ من العمر ستَّة اشهر فألحّت الابنة على المرأة لتسرع بتعميد الطفل مخافة ان يفاجئهُ لا قدَّر الله ما يودي بحياته فيحرم من الذهاب الى السماء ومن صحبة الملائكة الذين يميلون الى مرافقته وهو بمكان من الجمال والظرف. فهذه الكلمات الساذجة بعثت في صدر تلك الام قلقًا وعادت على نفسهـا باللوم على هذا الاهمال وقالت انها تكلّم زوجها في هذا الشأن

وكانت من نتيجة ذلك ان الطفل صـار تعميده من يد الاب موراي في الاحد التالي وكانت اغنيسة بعد اخذ رضى والديها كفيلة لهُ وبعد انتهاء الحفلة تقدم الكاهن من اغنيسة واثنى خيرًا على مروءتها وبيَّن لها ان قد نالت سهمًا عظيمًا في هذا العمل المبرور ثم ألمع الى انهُ اذ لم يمت الطفل كما يرجو وجب عليها العناية بتربيتهِ على الدين الكاثوليكي واصبحت مسئولة بالمحـافظة على تقويم اخلاقهِ. فهذه المسئوليَّة اضعفت شيئًا من عناية اغنيسية بالاطفـال وقالت : ان الاجمل بي ان اصلي لاجل خلاص النفوس واترك الباقي على الله

واصيل يوم الاحد بعد ذلك بشهر من الزمان كان الاب موراي راجعًا من عيادة مريض وعلى وجههِ علائم الغمّ ودلائل الاضطراب كأن امرًا جرى على غير ما يريد. وتفصيل الخبر ان امرأة كانت مرَّت بهِ وحدَّثتهُ بوجود رجل مشرف على الموت نازل في بعض بيوت ذلك الحي وهو من جَحَدة الدين الكـاثوليكي وطلبت اليهِ ان يدبّر المريض الذي لم يدعُ كاهنًا بالتي هي احسن. فشكر لها هذه العناية ووعدها باتمام ذلك

وما لبث ان انطلق الى منزل الرجل فوجده قد ناهز الخمسين من العمر متوسّدًا فراشًا باليًا اصفر الوجه يقاسي اشدّ الاوجاع. وما كاد الكاهن يدخل حتى لحهُ العليل فحوَّل نظره عنهُ كأنّهُ اشمأزَّ من منظرهِ. فدنا الاب من فراشه وقد اخذتهُ الشفقة عليهِ وطفق يلاطفهُ برقيق الكلام مستفسرًا عن حالة مرضه ثمَّ سألهُ اذا كان كاثوليكيًا فاجاب الرجل بنفور: لا لستُ على شيء. قال: ولكن أما كنت كاثوليكيًا من قبل؟. قال: مهما كنتُ فلست الآن على شيء. ولا اعتقد بدين من الاديان. فاذ ذاك اخذ الاب موراي يستعمل ما أُوتيه من الحكمة والدربة ليضرم في صدر هذا الجاحد شرارةً من الايمان ويبعث بهِ على الرغبة في اسرار الديانة ولكن ذهب تعبه سدًى وبقي ذاك القلب قاسيًا كالصخر الاصمّ واخيرًا قال الرجل: لا تزعجني فانا لم أدعُك اليَّ ولست بداعٍ كاهنًا او مرسلًا سواك ايًا كان. ولمَّا رأى الكاهن الصالح ان تعبه ذهب ادراج الرياح ترك ذلك البيت ومضى. وهذا سبب ظهور علائم الكآبة على وجهه في حين رجوعه الى منزله. وبينما هو يفكر في هل من وسيلة يستخدمها لرجوع ذاك الضالّ الى الله واذا بصوت عذب نبَّهُ من تفكُّره يقول: اسعد الله مساءك يا ابتِ موراي. والتفت فرأى اغنيسة تنظر اليهِ مبتسمةً وكأن قد أُوحي اليهِ على ما يعرض لمن زاول المهنة المقدّسة ان العناية الالهية شاءت ان تمنح نعمة الهداية لذاك الخاطئ المصرّ على غيّهِ على يد تلك الابنة الطاهرة فقال: اريد منكِ يا اغنيسة ان تسرعي الآن الى الكنيسة وتتلي بعض صلوات لاجل رجل مارق من الدين عسى الله يمنُّ عليهِ بالتوبة ونور الهداية. قالت: سمعًا وطاعة. وتوجَّهت الى الكنيسة وسار الكاهن في سبيله وقد سُرّي عنهُ بعض الهمّ وهو على يقين من ان الخاطئ لن يموت بدون الزاد الاخير

*

ان الصلوة لاجل اهتداء رجل خاطئ لم تكن بالامر الغريب لاغنيسة فقد اعتادت ان تذهب في كل احد لتسمع الاب موراي يقرأ قائمة اسماء الذين تُطلَب الصلوة لاجلهم استمدادًا لنعمة الاهتداء والميتة الصالحة والنعم الضرورية. فدخلت الكنيسة وتلت بعض الصلوات على نية الاب المذكور وعادت الى بيتها فوجدت والديها بانتظارها في ردهة الاستقبال وما كادت تدخل حتى قالت لها امها: انني كنت احدّث والدك عن ترنيمة جديدة أنشدَها الاحداث في قدّاسهم هذا الصباح وقد أُعجبت بها غاية

الاعجاب فهل تعرفين عنوانها ؟ قالت: هل تريدين الترنيمة التي مطلعها « اسمعي يا نفسي» ؟ قالت: نعم هي هي . قالت: انها احدى اغاني فابر الشهير وعنوانها « زوار الليل » ولعمري انها غاية في الحسن ويا ليت عندنا علاماتها الموسيقية . قالت: ينبغي استحضارها فهل تعرفين اسم واضعها ؟ قالت: نعم وضعها ريشردسون . فقال المستر رالي ابو الابنة: اني اشتريت بعض انغام موسيقية وقد اعطاني احد الكهنة كتاب اغاني انكليزية لاطالعهُ ولعل فيهِ علامات الانشودة المطلوبة فاصعدي يا اغنيسة الى غرفتي وأحضري لي الصرة الموضوعة على الخزانة . فذهبت واستحضرتها وما كاد ابوها يفتح الكتاب حتى رأى كلمات الانشودة وعلاماتها بعينها فسرّت امرأته لذلك سرورًا عظيمًا وقالت لابنتها: ينبغي الآن ان تغنّي الترنيمة ليرى ابوك ما اشجاها وانا اعزفها على البيانو . قالت: حسنًا ما قلتِ وانما لستُ اعرف منها سوى ثلاثة ادوار . قالت: ذلك يكفي وتقدمت الى البيانو وكان النهار جميلًا والحرّ شديدًا ففُتحت النوافذ لدخول الهواء النقي ورفعت اغنيسة صوتها وانشدت:

اسمعي يا نفسي انغامَ السما   وقد امتدَّت قُبَيل الغَلَسِ
فوق بحرٍ بالغمار ألتطما   ورياضٍ ذاكيات الغرسِ

*

حبّذا صوتٌ حلا اذ حملا   صادق الاخبار عن ذاك النعيمْ
حيث وجه الله يبدو من عُلى   عرشهِ تبارك الوجه الوسيمْ
لا شقاء لا عنا لا وجلا   بل سلام أبدَ الدهرِ مقيمْ

*

تلك اجواقُ مسيحٍ عَظُما   هبطت ترهو بابهى ملبسِ
انشدت « زوّارُ ليلٍ » نغما   حاويَ الترحاب بادي الانسِ

وقد كان صوت اغنيسة في بادئ الامر ضعيفًا غير واضحٍ تمام الوضوح الّا انها ما تقدمت بالانشاد حتى اشتدّ الصوت قوةً وتأثيرًا مجاوبًا لعواطفها التي تنبهت بالكلام والنغم فتحرك ابواها واخذتهما هزّة الشجو والطرب . وما كادت تنتهي من الانشاد حتى تقدمت أمها المسترس رالي وقد تولّاها الدهش والعجب وهنّأت ابنتها على ما أُوتيت من البراعة في الغناء واذ نظرت الى وجهها ورأت الدمع يجري من مآقيها قالت: ما شأنكِ يا عزيزتي اغنيسة . قالت: لست ادري يا اماه وقد شعرت بشيء غريب في اثناء غنائي اذ خيّل لي ان كلمات الانشودة وانغامها وتمثّلت لعيني صورة

الملائكة ينشدون وكاني بهم يتضرعون الى الله في شان الخاطئ المسكين الذي رغب اليّ الاب موراي في ان اصلّي لاجلهِ. فقال المستر رالي: من هو يا ترى ذاك الرجل. قالت: لا ادري ولكن الاب موراي قال لي انهُ شخصٌ قد اشرف على الموت وهو في حاجة الى نعمة الاهتداء ولعلي لم اصلّ لاجلهِ بكفاية فاستأذنكما في الصعود الى غرفتي لاتلو بعض صلوات لاجلهِ. وما كادت تخرج من حضرتهما حتى قالت الام: تالله لقد اصبحت اغنيسة لطيفة الاحساس قال الاب: نعم واخشى ان تصير ألطف احساساً فيفاجئها لا قدر الله بعض الامراض وليس عجيباً ان ابنةً من مثلها تتأثر لكلام أُغنيَّة او لتفكرها بموت رجل مما لم تعتدْ مشاهدتهُ وقد خُيل لي ان وجهها يلمع وقت الغناء كوجه من ينزل عليهِ الوحي وقد اهتززتُ لصوتها كالشارب الثمل. قالت: و يا عجبي ان ذلك ما حدث لي. قال الاب: هيَّا بنا الآن لننظر الى هذه الانشودة تبارك الله ما ارقَّ هذا النظام واجلى هذا الكلام فلله درُّ الاب فابر من شاعر مجيد وانني سمعت ان لو لم يصرْ كاثوليكيًّا لعدهُ الانكليز شاعر العصر ولا جرم انَّ من اعظم انتصارات الكنيسة في هذا القرن اهتداء هؤلاء العلماء الاعلام والموسيقى الثلاثية الانغام ألا وهم « نيومن ومانينغ وفابر » وقد صحَّ ان الكنيسة الكاثوليكيَّة تستطيع أَسْر اشرف الناس مهما سمت مداركهم وارتفعت منزلتهم فبحقيقتها فازت بعقل « نيومن » الباهر وبصلاحها الذي لا يُغلَب تغلبت على ارادة « مانينغ » وببهائها اكتسبت قلب « فابر » الرقيق

*

ان الحالة التي يرى المرء نفسهُ فيها بعد نبذ نعمة الله لهي اتعس الحالات واشقاها وهذا المحتضر الخاطئ الذي رفض قبول رسالة الاب موراي عرف الان قيمتها فقد حاول حيناً ان يتستَّر بستار الشك ويتمنَّع بحصون الريب والوهم ولكن ما عتم ان تقلصت هذه الغياهب الرقيقة وتقوَّضت تلك الصروح الواهنة بترديد حملات الاب موراي الصادقة والنقض البيّن لمزاعم عقلهِ الوهميَّة ورأى ضميره يشكوه وجهاً لوجه لانهُ وهو الرجل الكاثوليكي المولد قد ابى قبول مساعدة كاهن عند احتضاره و بالتالي رفض مقاصد الخلاص وكثيرًا ما حدثتهُ النفس — والنفس أمَّارة بالسوء — ان قد فات الوقت وتوبة المريض مريضة وبهذا اعتراه الفشل وجرَّه الى اليأس او كاد. وكان

لانّ نافذة غرفتهِ تُركت مفتوحةً فدخل منها صوت ولدٍ يغني غناء تعشقهُ النفس ويحنّ اليـهِ القلب وقد اتى ذلك الصوت الرخيم بيّناً مفهوماً عند سكون الاصيل حتى سمع الغناء كلمةً فكلمة . فاصغى الرجل شديد الاصغاء تخلصاً من نحس ضميره وصرفاً لذهنهِ عمّا كان يقلقهُ من الهواجس . فوجد في بادىء الامر شيئاً منعشاً ملطِفاً في رنين صوت الولد الطاهر الّا ان هذا لم يكن واحسرتاه بالامر المقصود اذ قد اتجه ذهنه الى الترنيمة فتذكر الفاظها وقد كانت هذه ممّا اعتاد ان ينشـدهُ في زمن الصبا وهو بعدُ طفل طاهر في جوقة المرتلين بانكلترة . فساقهُ تصوره الى مراجعة تلك الايام السعيدة فذكرها بعد نسيانهِ وتمثلت لعينيهِ تلك الاقواس البهيجة في الكنيسة القديمة العهد حيث وقف الكاهن في المحراب وقد جثت والدته على مقعدها عن قرب وهو ينشد :

تلك اجواق مسبحٍ عظما هبطت ترهو باجمى ملبسِ
انشدت « زوّار ليلٍ » نغما حاويَ الترحاب بادي الانسِ

ولا ريب انهُ كان اذ ذاك اشبه بملاك . ولكن اترى الملائكة تنشد مرحّبة بهِ اليوم له كيف انقلب . فهطل الدمع الغزير من مآقيهِ لتفكره بهـذا واختلط قلبه بالغمّ والاشجان ثم سمع انشاد الدور الثاني :

صوتها رنَّ رنيناً قد حلا من بعيدٍ في الدجى وهي تصيحْ
« يا نفوساً حِملُهـا قد ثقلا لا تخافي واتبعي صوت المسيحْ »
« انهُ يدعوكِ فأتي عجلا كل من يأتي اليهِ يستريحْ »

*

انما الانجيل موسيقى فما اطرب الصوت بلحنٍ قدسي
انهُ يحدو بنا نحو الحمى جنة الفردوس اشهى مجلسِ

فهتف قائلاً ان الربّ يدعوني اليـهِ فلم يفت الوقت بل لم يزل لي رجاء . ارحمني يا يسوع مُرني لكي آتي اليك . ثم سمع الدور الثالث :

ودويٍ من بعيدٍ يُسمعُ كنواقيسٍ دوتْ عند المغيبْ
او بحارٍ موجهـا لا يهجعُ او حمامٍ سجعت سجع الخطيبْ
شُغل القلب بهِ والمسمعُ ذاك حقّاً صوت ايسوع الحبيبْ

*

ايها الراعي الالهي انما انت غوثٌ لضعاف الانفسِ
فأدرْ خطواتها نحو السما وأتِها ارشاد روح القدسِ

ان صوت اغنيـة المحرّك العواطف « كناقوس دوى عند المغيب » كان لذلك الخاطئ

المحتضر كصوت الراعي الصالح نفسهِ يدعوه اليهِ ليرجع الى المرعى الحقيقي فهتف قائلًا: انا آتٍ يا مخلصي الحبيب. وما كاد يأتي على هذه العبارة حتى دخلت اليهِ تلك المرأة التي ذكرنا انها كانت تعتني بهِ رحمةً واشفاقًا فبادرها قائلًا: ناشدتُك الله ايتها المرأة أتيني بالكاهن عاجلًا ليرد اليَّ السلام قبل الممات. فاسرعت المرأة وهي لا تكاد تعي من شدَّة الفرح وبلَّغت الامر الى الاب مورواي الذي سار من وقتهِ الى جانب فراش المريض واخذ يعزّيه باسرار الديانة الاخيرة. وما اشدَّ ما كان تعجبهُ اذ علم ان الحامل على اهتداء الخاطئ كان انشاد اغنيَّةٍ لبعض الاولاد المجاورين وللحال طرق فكرهُ اسمُ اغنيسة. فاستعلم من المرأة عمَّا اذا كانت سمعت الغناء وعرفت المغني فقالت: نعم ومن المؤكد ان الولد ما كان الَّا بنت المستر رالي الصغيرة بارك الله فيها ما كان اطرب صوتها. قال: لقد صحَّ ما قدَّرتهُ فاسرعي يا مسترس مورفي وتكرمي باحضار اغنيسة. ولمَّا اتت اخذها بيدها ودنا بها من فراش العليل قائلًا: هوذا الولد الذي انشد الترنيمة التي سببتْ لك هذا التأثير. فهتف الرجل وقد اخذ يدها وادناها من شفتيهِ قائلًا: ليباركك الله يا بُنيَّة فبفضلكِ نلت نعمة الرجوع الى ربّي. امَّا اغنيسة التي لم تكن تدري بشيءٍ ممَّا حدث وقفت كالمأخوذة على ان الاب مورواي اسرع فاخبرها بالامر وقال: هوذا الشخص الذي رغبتُ اليكِ في ان تصلي لاجلهِ وقد وددت الآن ان تسمعي من فمه ان الله عزَّ وجلَّ قد شاء برحمته ان يسمع صلواتك فاذهبي الآن واخبري والديك بانني سامر بهما عند رجوعي الى منزلي. حينئذٍ وجَّه انظاره الى المحتضر الذي اخذت قواهُ تنحلّ وتنحط بسرعة فتلا صلوات المحتضرين لاجله واقام عند فراشه يشجعهُ ويعزيه حتى لفظ انفاسه الاخيرة بسلام. واذ ذاك قام وهو مملوءٌ عزاء يحمد العناية الالهيَّة العجيبة ثم انطلق ليزور آل رالي فوجدهم يتوقَّعون مجيئه بفروغ صبر لان حديث اغنيسة الملتبس سبَّب لهم حيرة. فقصَّ عليهم الخبر اليقين وختم الكلام قائلًا: انني على يقين تامّ ان الرجل مات بتوبة صادقة ولا ريب في انهُ فاز بالخلاص وعليهِ فقد قيَّض الله لك يا اغنيسة ان تستحقي اجابة صلواتك. قالت: نعم ابتِ تبارك الله جلَّ وعلا ان طُرقهُ عجيبة واری نفسي موعبة من الشكر والحمد لهُ تعالى اذ تفضَّل ومنَّ عليَّ بتخليص نفس. وهنا تكلم المستر رالي فقال: انني بعد امعان النظر في كل ما حدث لا اظن ان اغنيسة نالت وحدها كرامة هذا الاهتداء بل هناك شريك يشاركها فيهِ وهو انا الذي استحضرت

الكتاب المشتمل على الترنيمة التي اثَّرت بالخاطئ. فقالت المسترس رالي: وانا لا أُحرَم نصيباً من اجر هذا العمل اذا كنت اول من فكر بالترنيمة وأغريتُ اغنيسة على انشادها. حينئذٍ قال الاب موراي: لقد احسنتم ايها الكرام في ما نطقتم ولا بد لي من ان أخص الاب فابر الذى نظم الانشودة بسهم فهو والحق يقال جدير بالنصيب الاوفر وانا أخشى يا اغنيسة ان لا يبقى لك الَّا اليسير بهذا الاجر. ولكن اغنيسة تبسمت لهذا القول وشعرت بنفسها ان العلي قد استجاب دعاءها وكان قلبها يطفح عزاء وفرحاً

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعيّ (تابع لما سبق)

٦ انتشار الامَّة المارونيَّة (تتمَّة)

ولمَّا كثر عدد الموارنة في القرون الثامن والتاسع والعاشر اخذوا شيئاً فشيئاً في الامتداد الى الجنوب واحتلُّوا بلاد جبيل. وممَّا يشهد على سكناهم في معاملتي جبيل والبترون مذ ذاك العهد عدَّة كنائس سبق لنا وصفها في مقالتنا عن كنائس لبنان القديمة (راجع المشرق ٣: ١٨٠١). وقد لقي الموارنة في تلك النواحي قوماً من اصل البلاد كانوا يسكنون السواحل والوسوط. غير انَّ عددهم لم يكن متوفرًا. وكان اكثرهم نصارى يتكلمون باللغة الآرامية ويقيمون فيها طقوسهم الدينيَّة. وعندنا انَّ هؤلاء الآراميين لم يلبثوا ان يمتزجوا بعد قليل بالموارنة امتزاج الماء بالراح كما امتزج بهم ايضاً بقايا المردة والجراجمة الذين تخلَّفوا في لبنان. وكانت مهاجرة سكَّان وادي الأرنط الى لبنان لا تزال متواصلةً متتابعة لمزاحمة اليعاقبة واضطهادهم للموارنة

وكان الملكيُّون مع هذا يقطنون بعض قرى لبنان في بلاد البترون وجبيل مثل

كفر شليمان وحدتون (١ وبقسمايا (٢ ودوما والقرى المجاورة (٣ نحو كفور (٤ وغرزوز وغيرهما. وكان الملكيَّة في لبنان يتبعون آنئذٍ في فرائضهم الدينية طقس انطاكية اعني على الراجح ليتورجية القديس يعقوب التي ناقضهـا بعد ذلك البطريرك ثاودورس بلسمون (٥ واستبدلها بليتورجيَّـة القسطنطينيَّة. وفي ما خلا ذلك لم يختلف الملكيُّون عن بقيَّة الآراميين في اصلهم ولغتهم. وما لا ريب فيهِ انَّ الكتابات اليونانيَّة لنصارى لبنان قليلة جدًّا لا يُعرف منها الَّا كتابتان او ثلاث كتابات. امَّا الكتابات التي تُرى على بعض الصور في سيّدة نايا بكفر شليمان مخطوطةً باليونانيَّة فليست هي للوطنيين وانَّما كتبها مصوّرون بوزنطيُّون او مثَّلها الوطنيُّون كما وجدوها في امثلـةٍ بوزنطيَّة قديمة

وبعض القرى التي كان يسكنها سابقًا الملكيُّون نراها بعد ذلك مأهولة بالموارنة. إمَّا لانَّ الموارنة دخلوها فامتزج بهم الملكيون. وامَّا لانَّ الملكيين هاجروها فانتقـلوا الى امكنة غيرها او لاسباب نجهلها

وخلاصة الامر انَّنا اذا استثنينا اليهود نجد في تركيب الأمَّة المارونيَّة ما نجدهُ في تأليف جميع الامم التي تتركَّب أُصولها من عناصر شتَّى. وكذلك الأمَّة المارونية اذا اعتبرتَها في اواخر القرون المتوسّطة رأيتها تتألف من اصول مختلفة اوَّلها واعظمها شأنًا الموارنة المهاجرون الى لبنان من سوريَّة الشماليَّة وسوريَّة الوسطى ضوى اليهم قومٌ من الأَبَاق والطرداء الذين لاذوا بحمى المردة والجراجمة الباقين في لبنان فضلًا عمَّا كان هناك من القطين الاصليين. فهذه العناصر كلُّها تمازجت بعد حين وصارت أمَّةً كبرى ذات لغة واحدة وهيئة واحدة وغاية واحدة لا يمكن الآن اصحاب النظر مهما دقَّقوا في البحث ان يفرزوا جنسيَّاتها الاصلية

فاذا لحظنا نموّ الأمَّة المارونيَّة كما تقدَّم واعتبرنا انَّ عدد المواليد يفوق كثيرًا عندهم

١) راجع في المشرق (٣: ١٠٢٣) مقالتنا السابقة عن هذين المحلين

٢) تاريخ الدويهي (ص ٢٠٧)

٣) منها كفر حلدا وقد وجدت فيها آثار ابنية للملكيين

٤) راجع كتاب خزائن الكتب في دمشق وضواحيها للاديب حبيب افندي زيَّات (ص ١١٩ الخ) والمشرق (٥: ١٠٤ و ١٠٦)

٥) راجع المشرق (٣: ٢٧٢)

الوفيات لا نعود نستغرب ما ذكرهُ غليلموس الصوري في تاريخ الصلبيين حيث احصى الموارنة اربعين الفاً . وهذا الاحصاء الاجمالي ينطبق على ما رُوي في تواريخ الاعصار المتوسّطة عن الموارنة انَّهم منتشرون في جهات طرابلس وبلاد البترون وجبيل والجبّة الى نهر ابراهيم . وهو قول صحيح غالبًا مع بعض شذوذ كما سترى قريبًا عند ذكرنا لقوم من غير المسيحيين سكنوا في ايالات لبنان الواقعة شمالي نهر ابراهيم

ومما ورد ايضًا في التواريخ الصليبيَّة ذكر مقدَّمٍ مارونيّ يدعى سمعان تولّى عينتاب في شماليّ سوريّة (١ ولا نعلم من اي فرقة من الموارنة كان أَمن الذين في لبنان او ممَّن تخلَّفوا في بلاد العواصم . امَّا كونهُ من موارنة العواصم فاقرب الى الصواب

ونجد قبل هذا العهد قومًا من الموارنة في بلاد ما بين النهرين اشتهر منهم توفيل ابن توما الماروني المنجم الرهاوي قال ابن العبري في تاريخ الدول (صْ ٢١٩و٢٢٠) : « كان رئيس منجمي المهدي . . . . وكان على مذهب الموارنة الذين في جبل لبنان من مذاهب النصارى ولهُ كتاب تاريخ حسن ونقل كتابي اوميروس الشاعر على فتح مدينة ايليون في قديم الدهر من اليونانيَّة الى السريانيَّة بغاية ما يكون من الفصاحة » . وكذلك نجد في عبر دجلة بين الموصل وبغداد جماعة من الموارنة ذكرها في القرن الثالث عشر الراهب ريكُلد دي مونكروا (Ricold de Montcroix) وروى ان لها مطرانًا يدبّرها (٢ . ولعلَّ قيسًا الماروني المؤرخ الذي اسهب في ذكرهِ المشرق (٣ : ٤٥١,٣٥٦,٢٦٥) كان من تلك الجماعة . وعلى كلٍّ لا نرى احدًا من كتبة الموارنة ذكر هذا المطران في ما وراء دجلة . وكل هذا دليل على انَّ في تاريخ الأُمة المارونية امورًا عديدة لم يُحسر بعد عنها اللثام . ومن المحتمل انَّ الكتبة سكتوا عن هذا المطران كما سكتوا عن غيرهِ لانَّ الاساقفة المارونيين كانوا مدَّة الاجيال السالفة كنوّاب للبطرك ومعاونيهِ دون كرسيٍّ خاصٍّ . وانَّما جُعلت لهم مراكز منفردة في القرون المتأخرة فقط

١) راجع تاريخ مملكة اورشليم Röhricht: *Geschichte des Königreichs Jerusalem*, p. 220, note 6.

٢) راجع Quatremère: *Mémoire sur les Nabatéens*, p. 149

وكان القرنان الثاني عشر والثالث عشر قرنَيْ نهوض وترقٍّ في لبنان. وفي ذلك العهد بُنيت كنائس عديدة على طرزٍ خاصّ تزينها الكتابات السريانيَّة وفيها من نقوش الفسيفساء والتصاوير الملوَّنة ما سبق وصفهُ (١. وفي هذه الابنية دليل على وفرة عدد اللبنانيين وهمَّتهم ولم يزل ينمو هذا العدد ويتزايد حتى هاجر قسمٌ منهم الى النواحي المجاورة من فلسطين ولاسيَّما القدس الشريف وكان لهم فيهِ عدَّة كنائس(٢. وكذلك انتقلت منهم مستعمرات الى قبرس ثم رودوس. امَّا قبرس فقد سكنوها منذ القرن الحادي عشر ونرى لهم في هذه الجزيرة ديرًا (٣ في تاريخ سنة ١١٢٠. وقد نموا نموًّا عظيماً حتى انهم كانوا يسكنون منها ثلاثين ضيعةً (٤ وكان يرعاهم مطران من طائفتهم. وكان بعضهم في مدن قبرس الكبرى وخصوصاً الماغوصة (٥ وكانت في ذلك العهد واسعة التجارة. امَّا دخول الموارنة في رودس فنظنُّهُ انهُ جرى على عهد الفرسان المعروفين بالاسبيتلار (Les Hospitaliers) لمَّا احتلُّوا تلك الجزيرة فتبعهم الموارنة. وكذلك ذهب قسمٌ منهم في القرن السادس عشر مع فرسان رودوس الى جزيرة مالطة ولحق بهم بعض من اخوانهم من موارنة قبرس في اواخر ذلك القرن. ولعلَّ وجود الموارنة في مالطة ممَّا ساعد على حفظ العربيَّة ونَشرها في تلك الجزيرة. ومن المعلوم انَّ اهل مالطة يتكلَّمون باللغة العربيَّة مشوبةً بالفاظ دخيلة من اللغات الاجنبيَّة

امَّا حلب فيظهر من نصٍّ لتوما الكفرطابي ورد في المشرق (٦ : ١١٨) ان الموارنة كانوا فيها منذ زمن قديم لكنَّ اخبارهم في الشهباء مجهولة الى القرن الخامس عشر حيث اتاهم مددٌ جديد من لبنان (راجع المشرق ٥ : ١٠٣٩ في الحاشية الثانية)

ولنعودنَّ الآن الى الموارنة المستوطنين لبنان فانَّهم كانوا في نموٍّ وازدياد يمتدُّون

---

١) راجع مقالاتنا عن كنائس لبنان القديمة

٢) المشرق ١ : ٩٢

٣) راجع سلسلة بطاركة الموارنة للدويهي (الطبعة الثانية ص ٣٢ الحاشية الاولى)

٤) راجع تاريخ قبرس L. Machéras : *Chronique de Chypre*, trad. f. 15,16

٥) وجاء في رحلة يعقوب دي برن (J. von Bern) سنة ١٣٤٦ انهُ وجد الموارنة في هذه المدينة يقيمون رتبهم على طريقة الروم. ولا نفهم ما يعني بذلك المؤلف يريد ان الموارنة كانوا يستعملون اليونانيَّة في طقوسهم وهي لغة اهل الجزيرة؟ فهذا ممكن

شيئاً فشيئاً في النواحي المجاورة. قال الدويهي: « وبسبب ما اشتهر بهِ لبنان اوانئذٍ من الامن والطمأنينة قصدهُ الناس من الاماكن البعيدة (١» التي يهجرها المهاجرون الى قبرس وجزائر البحر المتوسّط

ومع هذا النموّ لا نرى الأمّة المارونيّة تتقدّم الى الامام في القرنين الثالث عشر والرابع عشر. امّا لاجل مهاجرة قسم منها الى قبرس ورودس كما سبق وامّا لاجل الحروب التي انتشرت في كسروان في ذلك العهد فبقي الموارنة ما وراء نهر ابراهيم

وهنا لا بُدَّ من تكرار ما قلناهُ غير مرّةٍ في مقالاتنا (٢ انَّ كسروان ليس من المقاطعات التي اوى اليها الموارنة قبل القرن الخامس عشر. وقد اوردنا نصّاً للادريسي ذكر فيهِ وجود اليعاقبة في جونية (المشرق ١:١٠١٨). وان سأل القارئ ومن كان يسكن اذن كسروان قبل هذا العهد. اجبنا انَّ معظم اهل هذه الناحية كانوا من المتاولة او من النصيريين. وكان النصيريّون قاطنين ايضاً في بعض جهات لبنان الشماليّة كجهات البترون ونواحي المنيطرة والعاقورة (٣ لكنَّ عددهم الاوفر انّما كان في كسروان. وقد ذكر صالح بن يحيي صاحب تاريخ بيروت (٤ الغزوات التي باشرها نوّاب الشام في ايّام السلطانين الملك الاشرف خليل بن قلاوون والملك الناصر محمّد بن قلاوون فحاربوا النصيريّة في جبال كسروان ولم يزالوا يناجزونهم القتال حتى اخرجوهم من كسروان وجعلوا مكانهم قوماً من التركمان على الاقلّ في بعض النواحي وبقي كثير من المتاولة معهم. هذا وان اموراً كثيرة من تاريخ كسروان لا تزال مجهولة حتى يومنا. الّا انّنا نعلم بلا ريبٍ انَّ النصارى لم يحتلّوا هذا الجبل قبل القرن الخامس عشر

ولمّا كانت اوائل القرن الخامس عشر جعل الموارنة يتجاوزون نهر ابراهيم ويصعدون الى كسروان. وكان انتشارهم فيهِ سريعاً حتى صارت هذه المقاطعة في القرن السابع عشر كلّها لهم. وامتدَّ من ثمَّ الموارنة الى مقاطعتي المتن والشوف. لكنّنا نقف عند هذا الحدّ لئلّا ندخل في اخبار قريبة من عهدنا وليست غايتنا كما قلنا ان نسطّر تاريخ لبنان

١) راجع تاريخ الدويهي (ص ١٤٠)

٢) راجع المشرق (١:٥٦)

٣) ولنا في النصيريّة مقالة افرنسيّة جمعنا فيها كل ما يختص بآثار النصيريين واحوالهم وسمناها باسم « النصيريّة في لبنان » ونشرناها في مجلّة الشرق المسيحي سنة ١٩٠٢

٤) راجع تاريخ بيروت (ص ٤٤–٥١)

بل ان نبيّن بوجه الاجمال كيف انتشرت الأمّة المارونيّة . امّا تفاصيل اخبارها فليست الآن من شأننا وقد مرَّ منها كثير في ابحاثنا السابقة وسنورد ان شاء الله غيرها في ما بعد (ستأتي البقيَّة)

توفير السكّان بتقليل الموتان

لمة صحيَّة وطنيَّة للدكتور امين افندي الجميّل

قال المسيو بروواردل رئيس مدرسة الطبّ الفخري في باريس : « انَّ دعوة الطبيب لم تَعُدْ في الهيئة الجامعة دعوة شفاء فقط بل دعوة وقاية خاصّة » . وهو كلام ينشط الاطبّاء ويبعث فيهم روح الغيرة ليتداركوا المرض قبل وقوعهِ وينشروا الفوائد الصحيَّة المانعة من سَرَيان الادواء والاسقام . وقد سبق لنا في بعض مقالاتنا المدرجة في البشير وفي تقرير عرضناهُ آخرًا على دولة متصرف لبنان كلام في انماء عدد السكّان بطريقة الزواج وتوفير المواليد وتقليل المهاجرة آفة بلادنا المخيفة في الاوان الحاضر وذكرنا انَّ لهذه الآفة دواء بفتح موارد للرزق وقد قيل : حيث ينبت رغيف ينبت رجل وذلك امَّا باحياء الزراعة وانهاض الصناعة وترويج التجارة وامَّا بتعزيز الآداب وتحبيب الوطن

واليوم غايتنا ان نبحث في مهاجرةٍ اشدّ خوفًا واسوأ مغبَّةً تسوق الناس لا الى البلاد القاصية بل الى المقابر فنبيّن طرائق الوقاية منها او على الاقلّ كسر شوكتها وحصر مضارّها نزيد عدّة امراض يذهب كلَّ سنة الوف من الناس ضحيَّتها فيخلفون من بعدهم الحسرات . وهي امراض لو اتّخذ الاهلون بعض الوسائل السهلة لنجوا من بلاياها وآفاتها المجحفة وازداد عدد السكّان بتقليل الموتان

﴿ الجدري ﴾ انَّ اوَّل هذه الاسقام المضنية والعلل المفنية الجدري وكلٌّ يعلم ما لهذا الداء من الايادي السود في تاريخ بني آدم فانَّهُ ملأ المقابر بفرائسهِ فضلًا عمَّن شوَّه محاسنهم . وكان الناس يخافون الجدري سابقًا اكثر من داء الهواء الاصفر . ولا غرو فانهُ كان اذا دخل بلدةً اوقف حركة الاشغال وعمَّم الفقر ونشر الخراب والموت . وكان الاهلون يلتجئون لاستدراك شرّهِ الى آفة من جنسهِ فكانوا يعمدون الى صديد

بجدور ويلقّحون بهِ السليم. وهو التطعيم المعروف بالبلدي الّا انّ هذا التلقيح امات الكثيرين وكان سبباً لانتشار الداء وفشوّهِ. وظلّت الحال على ذلك الى ان قام جِنِر الشهير في اواخر الجيل الاسبق فارشدنا الى التطعيم بلقاح يُتَّخذ من جدري البقر فاصاب المرى وقطع دابر الداء. واكثر البلاد المتمدّنة جعلت هذا اللقاح اجباريًا فنجت من سوء عواقب العدوى. ولو اردنا شواهد على ذلك لوجدناها بالالوف. فانّ الجدري مثلًا فشا سنة ١٨٧٠ في الجيش الفرنسيّ ولم يكن التلقيح اذ ذاك جاريًا فمات من الجند ٢٣,٤٦٩ رجلًا ثم صار التطعيم قسريًا فلم يبقَ اثر للمرض مطلقًا بعد ذلك

ومن المقرّر الآن انّ التطعيم المسمّى عندنا بالافرنجيّ يقي تمامًا من الجدري على شرط ان يجدَّد كل خمس سنوات في الاولاد وكل سبع سنين في الكبار لانّ قوّتهُ العاصمة تكاد تتلاشى في آخر هذه المدّة بسبب تجدُّد الجسم كلهِ. هذا ويجدر بنا ان نستلفت الانظار الى امرٍ مهمّ وهو انّ الحرّ في بلادنا يُفسد سريعًا اللقاح البقري فيبطل عملهُ ولذلك الاولى ان يُتَّخذ هذا المطعوم في فصل الشتاء (راجع مقالة الدكتور نغر في المشرق ١ : ٧٠)

﴿ الملاريا ﴾ هي حُمَّى المستنقعات وتُعرف بالبُطاحيّ من افشى الامراض وارخمها قاعبةً تعمّ البلاد الناطقة بالضاد. امّا سببها فهو ميكروب افرزهُ لاوّل مرّة الدكتور لاڤران اثناء اقامتهِ في جزائر الغرب ومرّ وصفهُ في المشرق (٤ : ٢٤٣). ويظهر هذا الداء على اختلاف اشكالهِ من حُمَّى دوريَّة وحُمَّى الغِبّ وحمى الربع في كلّ مكان تستنقع فيهِ المياه او تأسن بقوَّة الحرارة كما ترى في السواحل البحريَّة وضفاف الانهار

واذا انتشر هذا الداء في مكان لا يبقي ولا يذر. فانهُ فتك فتكًا ذريعًا في الجند الاوربيين لمَّا افتتحوا افريقة والهند فعمَّر بهم القبور وقد قفرت بهِ مقاطعات مأهولة بالسكّان بل بلاد واسعة كانت تُعَدّ كآيةٍ في الحضارة والنضارة. وبسلاحهِ فقط غلب نابليون الاوّل عسكر الانكليز في جزيرة والشرن (Walcheren) فانهُ اذ علم انّ اعداءهُ عسكروا عند مصبّ نهر الاسكوت (l'Escaut) حيث تفشو الملاريا امر القائد برنادوت بألّا يناجزهم القتال بل يدع العدوى تعمل فيهم عملها فما مرّ على الانكليز عشرة أيّام حتى بطش بهم الداء ولم يزل في ازدياد حتى قذف الرُّعب في صدورهم

ومنحوا الفرنسيس اكتافهم بعد ان مات منهم الوف. وان حولنا النظر الى بلادنا وجدنا كثيرًا من انحائها فريسة الحمّى الملاريّة اكتسبت بذلك شهرةً محزنة ضُرب بها المثل كقولهم في زوق: « زوق الخراب عين افرش له وعين غطيه » وفي عمّيق: « جاب لهُ الضيق من عمّيق » وفي البوشريّة: « يا طالب العافية من البوشريّة » وامكنة أُخرى من السواحل وضفاف الانهار بيّنّا في مقالة نشرناها في جريدة الروضة سبب وبائها ووخم هوائها

فان كانت هذه حالة الملاريا وعواقبها السيئة تُرى هل من دواء لهذا الداء. نجيب انَّ هذه الحُمّيات تُتّقى بوسائط عديدة منها ما هو شائع لا ينكر منافعهُ خبير نريد الكينا التي يُعدّ اكتشافها من اكبر نعم الله نحو عبادهِ

ومنها الاستعمار فان مدنًا كثيرة وضياعًا آهلة كانت قبل توارد السكّان اليها موبوءةً رديئة الهواء فصارت بعدئذٍ عامرةً لمّا كثر فيها السكن. وقد اخبرني المرحوم الدكتور سوكه انَّ قسمًا كبيرًا من بيروت الحاليّة كان في السابق وبيلًا وخيم المرتع وهو اليوم طيّب الهواء لا اثر فيهِ للامراض الوبيئة

ومنها الزراعة فانّها اذا انتشرت في مكان اصلحت تربتهُ لانَّ النباتات عمومًا والاشجار خصوصًا تمتصُّ رطوبة الارض بجذورها وتنقي الهواء بورقها. ومن هذه الاشجار ما هو طيّب الرائحة يعطِّر الجوّ بنفحاتهِ وينافي الجراثيم المُعدية كالارز والصنوبر وبالاخصّ الاوكاليبتوس. وهكذا اصلح الرهبان المعروفون بالترابيست محلّات عديدة بالحراثة فطاب هواؤها وزكت غلّاتها. وهكذا اصلح ايضًا اليسوعيّون في البقاع مزرعة تعنايل وكانت قبل ثلاثين سنة عشًّا للحمّيات. فترى ممّا سبق عظم جناية الذين يقطعون الاشجار فبالحقّ يقال انَّ قطع الارزاق كقطع الاعناق (ويريدون بالارزاق هنا الاشجار)

ومن اخصّ الوسائل لتلافي الحمّى الملاريّة اتلاف البعوض (البرغش) الذي اتّضح منذ زمن قريب انّهُ بلسعهِ هو العامل الاكبر في نقل حُمّى المستنقعات وهذا لعمري من اهمّ الاكتشافات الحديثة والفضل في تقريرهِ يعود الى الدكتور رونالد روس (Ronald Ross) احد اطبّاء مدينة ليفربول فانّهُ درس الامر درسًا خصوصيًّا وانعم فيهِ النظر ونشر النشرات المتعدّدة المبنيّة على اختبارات متكرّرة حتى اماط كل شبهة عن وجه الحقيقة. وفي السنة المنصرمة قدّر العلماء قدرهُ فجازوهُ بجائزة المحسن العظيم نوبل

(Nobel) قدرها خمسة آلاف ليرة افرنسيَّة. وقد ذكر المشرق (٤: ٢٤٣) ما كان لاحد اهل بلادنا وهو الدكتور عبد الله جبور من حُسن النظر وسبقِ الاشارة الى هذا الامر الخطير اذ استلفت الخواطر الى وظيفة البعوض في نشر البطاحيّ برسالة دوَّنها في المقتطف سنة ١٨٨٤. وفي المشرق ايضاً تصاوير تعرّف اجناس هذه الجراثيم وكيفيَّة امتزاجها بالدم نُشرت في مقالة للدكتور الياس الحاج فلا حاجة الى التكرار

والوقاية من هذا الداء بأن تُنشَّف المستنقعات والمياه الآسنة. امَّا الحياض والبرك فتُجعل فيها الاسماك لتأكل صغار البعوض الذي لا ينشأ الّا في الماء او يُصَبّ على وجه هذه الحياض قليل من البترول فيميت الهوامّ. وما خلا ذلك تُقفل النوافذ المساء والصباح حين دخول البعوض. وتُتَّخذ الكلال والناموسيَّات وقت النوم. بل صار الفعلة اذا اضطرُّوا الى سكنى امكنة مبلوَّة بالبطاحي لا يشتغلون الّا في منازل او خيام تسترها اقمشة ناعمة ينفذ بها الهواء دون ان يدخلها البعوض

ومن اسباب الوقاية من الحمَّى الملاريَّة ان يقضي اهل السواحل لاسيَّما الأُسر الموسرة فصل الصيف في جرود لبنان. لانَّ هذه الحمَّيات تشتدّ خصوصاً في السواحل مع اشتداد الحرّ وتكاد تنقطع في ايَّام البرد. امَّا اعالي الجبل فبعيدة عن هذه المستنقعات لا اثر فيها لجنس البعوض الناقل للملاريا فضلًا عمّا اشتهرت بهِ من نقاوة الهواء وبرودة الماء وجمال المناظر

❊ الحمَّى التيفونيديَّة ❊ هي من اكبر عوامل الدمار ومن اقوى انصار الموت يكفي مجرَّد ذكر اسمها لتجديد لوعات الحزن في قلوب كثيرين من اهل الوطن ومن سكَّان القطر المصري على من نكبتهم بهِ هذه الحُمَّى الخبيثة. من الاحباب وما كاد يبرح عن ذكرنا وباء بيروت في سنة ١٨٩٥. وهذا الداء لا يفتك فقط في المدن وسواحل سوريَّة فانَّ الجبل لا يسلم من آفاتهِ. وفي جوار قريتنا العامرة بكفيًا مزرعة صغرى تعرف بالدوار تفتك بها هذه الحمى مع طيب هوائها حيناً بعد حين وتميت نخبة رجالها

امَّا العامل الكبير في نقل جراثيم حُمى التيفوس فهو الماء ومثلهُ الهواء الاصفر. ومن الشهادات الحديثة على انتشار الحمى بالمياه القذرة ما اقرَّ بهِ الجنرال اندره في جلسة مجلس الشيوخ المعقودة في ٢٥ ت٢ من السنة المنصرمة: «اذا سُئلتُ عن الوفيات بالحمى التيفونيديَّة التي تحدث بين جيوشنا لزمني الاقرار بان سبب اكثرها المياه غير

النقيَّة التي يشربها الجند». ثمَّ اثنى على المسيو دي فريسينه احد سلفائهِ لسعيهِ باعطاء الجند مياهاً نقيَّة او مرشحات اصوليَّة فقلَّ بذلك عدد الوفيات بهذا الداء في ثكنات كثيرة. قال الاستاذ برواردل: «انَّ في مئة اصابة بالحمى التيفوئيديَّة ٩٩ منها يكون سببها الماء». وهو كلام حريٌّ بالاعتبار وان كان فيهِ مبالغة بيّنة لاسيَّما نظرًا لبلادنا التي كثيرًا ما تنتقل فيها جراثيم العدوى بمساكنة المصابين ومخالطتهم في الاكل والشرب واللباس كما ترى بين الفقراء. وممَّن رأيتُهم رأي العيان شابٌّ اسمهُ ز. دهمتهُ الحمى التيفوئيديَّة في بيروت فعاد الى قريتهِ وفيها توفي. فانتقل المرض الى اخوتهِ الخمسة فذهب باعمارهم ولم يسلم من اهل هذا البيت الَّا الامّ مع ابن لها مكار كان في الغالب خارج الدار. وقد انحصر هذا الداء في اصحاب البيت المذكور لم يُصب بهِ غيرهم

واعلم انَّ العلم كان يبحث منذ سنين عديدة عن اللقاح الواقي من هذا الداء الذعاف حتى اكتشفهُ آخرًا الدكتور شانتمس البكتريولوجيّ الفرنسويّ الشهير. وهو مصل يُحقن بهِ المريض يستخرج من السمّ التيفوئيديّ لا من ميكروب العلَّة نفسها. وقد قرأ عنهُ مقالةً في المؤتمر المصريّ الاخير وبيَّن حُسن نتائجهِ

ولا بُدَّ ايضاً من اتّخاذ بعض الوسائط الواقية من شرّ هذا الداء. من ذلك السعي باستجلاب مياه صافية من اصل ينابيعها وحفظها في مجراها سالمةً من كلّ الجراثيم الوسخة بأن تُغطَّى القنيّ على طول ممرّها لئلاَّ يخالطها شي من الاقذار. وهذا ما امرت بهِ حكومتنا السنيَّة شركة نهر بيروت وما نؤمل اجراؤهُ في نفق تلّ مار يوسف البرج وقناة زحلة التي ستنتهي قريباً

ومن الضروريّ اللازب ان تنهى الحكومة نهياً قطعيًا بان تطرح في المياه الجارية الاقذار وسماد الحيوان وعلى الاخصّ الافرازات البشريَّة او تجعل هذه الاوساخ في جوار الينابيع لانَّ الامطار اذا سقطت حلّلتها بما فيها من الميكروبات وجرَّت جراثيمها الى المياه فلوَّثتها

واذا لا مناص للاهلين من شرب المياه الغير النقيَّة كما ترى في مصر فَلْيلتجأ الى المراشح العموميَّة القانونيَّة (ترشيح الاحواض) على الطريقة التي ذكرناها في كتابنا «قانون الصحَّة» والى المراشح البيتيَّة على طريقة باستور نخصُّ بالذكر منها مرشحة شمبرلان. امَّا ترشيح الماء بالزير كما هو شائع في مصر فاستعمالهُ لا يكاد يفي بالمقصود

﴿ السلّ ﴾ هو الداء العياء والجائحة المجحفة التي تُنسي آفات الوغى ونوازل الدهر من المجاعات والقحط والاوبئة اذ انّ السلّ وحدهُ يسبب خمس الوفيـات في اوربة. وقد اخذ الداء يتفشى بين اهل بلادنا لاسيَّما مذ سرى بيننا التمدّن الاجنبي الموهوم وعاد الى لبنان المهاجرون الى اميركة. ولا حاجة الى وصف السـل والكل يعرفون كم هدم من بيوت عامرة وقطع من ارحام موشّجة

للسلّ ميكروب يعرف بميكروب كوخ يسري الى الاجسـام المستعدّة لقبولهِ امَّا استعدادًا ارثيًّا يخلّفهُ الابوان للبنين وامَّا استعدادًا شخصيًّا بهِ يعرّض الانسان نفسهُ لهذا الداء العُقّام سواء كان بارتكاب المنكرات او بالافراط في الاشغال او بانهاك القوى وسوء الغذاء والسهر الطويل والاحزان وكلُّ هذه الاسباب قد فتحت في اوربة بابًا واسعًا لانتشـار السلّ. وستصبح لهُ طريقًا بيّنًا اذا تأثرنا آثارهم في سيئاتهم دون حسناتهم

هذا واني اقرُّ انَّ هـذا الداء اصعب وقايةً من الامراض السابقة لاسباب يطول بيانُها وها انا اذكر سبل الوقاية التي وصل اليها العلم وان كانت لسوء الحظّ غير معصومة (راجع ايضًا في المشرق ١ : ١١٩ مقالة الدكتور الفاضل حبيب افندي الدرعوني)

من احسن الطرائق المعروفة للوقاية من السلّ الاستحمام بالشمس فانَّ نورها مطهّر عظيم. وكذلك استنشاق الهواء الطيّب بفتح نوافذ متحاذية تجري بينها الريح وتزيل جراثيمها الوبيئة فانَّهُ من المقرَّر انَّ السل يكثر مع وخم الهواء ويقلّ مع نقاوتهِ. ومن اختبارات العلَّامة برون سكوار انهُ لقَّح بعض حيوانات بلقـاح السل الرئويّ وتركها تتمتَّع بالهواء وبنور الشمس. ولقَّح غيرها فحبسها في اكواخ مقفلة فسلم من الداء اكثر الحيوانات الاولى امَّا المحبوسة فلم ينجُ منها احد

ومن الوسائط الواقية من الداء العيشة المرتّبة والاغذية المقوية لاسيَّما اللحم النيّ الذي بيّن فوائدهُ آخرًا الدكتوران البارعان ريشه ولاندوزي. وعليهِ فتكون «كبّتنا النيَّة» من المآكل الواقية من السل فبارك الله بها

وممَّا يجب ان يعتادهُ الجمهور الامتناع قطعيًّا من البصاق في الارض وبالخصوص في الاماكن العموميَّة والمحالّ المأهولة لانَّ بصاق المصابين بالسلّ مملوّ من جراثيم التدرُّن التي تنتشر في الهواء ومنهُ تتصل الى الصدور والرئات ولذلك ترى في اوربّة الاعلانات

العموميَّة تحذّر الناس عن البصاق في الارض. وقانا الله من هذا الداء وقبيح معرَّتهِ

﴿ موت الاطفال ﴾ ان للموت في الطور الاول من حياة الانسان فتكاً ذريعاً تشهد عليهِ الاحصاءات المدقَّقة في البلاد الاوربيَّة والاختبار اليوميّ في بلادنا. ومن ثم قد وجَّه العلماء نظرهم الى هذا الامر المهمّ واعملوا فيهِ الفكر والرويَّة حتى تحققوا بعد البحث انَّ امثل الوسائل لتقليل موت الاطفال رضاعة الامّ لولدها. وقد راقب الاستاذ بيدن مئة طفل يغتذون بحليب أمهاتهم ومئة آخرين ممَّن يغتذون بطرائق أُخرى صناعيَّة ثم كرَّر اختباراتهِ فوجد انَّهُ في السنة الاولى وحدها من الحياة لا يتجاوز عدد وفيات الاوَّلين اربعة في المئة. بينما يبلغ في الآخرين ٧٠ بل ٨٠ واكثر في المئة على حسب الابتعاد من الطريقة الطبيعيَّة. فاخذ من ثم الاطبَّاء يفرغون كنانة الجهد لتنشيط الارضاع الطبيعيّ فكتبوا في ذلك الفصول العديدة ونشروا المقالات المسهبة وعلَّقوا الاعلانات في النوادي العموميَّة وانشأوا الجمعيَّات الخيريَّة وشكَّلوا اللجان الصحيَّة لوقاية هذه الزهور الغضَّة التي منها يتكوَّن رجال الغد حتى ظهر مفعول هذه الحركة المشكورة ففي باريس بعد ان كان عدد وفيات الصغار سنة ١٨٩٢ ثلاثة آلاف وخمسمائة تساقط بعد عشر سنوات حتى لم يتجاوز في سنة ١٩٠١ الفًا وتسعمائة وخمسًا وسبعين

ومن ثم ننشد الله الامهات ان لا يدَّخرنَ وسعاً في ارضاع اطفالهنَّ. ولا يُطعِمنَهم قبل الاوان مأكلًا آخر لا تهضمهُ معدهم ولذلك نرى كلَّ امّ تخالف ترتيب العناية يقاصُّها الله بان يكون ولدها ضعيف البنية مهزولًا وربَّما ادَّى فعلهنَّ الى قتل اولادهنَّ وما المسؤول بذلك غيرهنَّ. وليعلم المرضعات انَّ وقت التسنين وفي ايَّام الحرّ خطرًا اعظم على الاطفال. والحرّ كما لا يخفى يؤثر في وظائف الحياة لاسيَّما الهضميَّة فتكثر الاختمارات والتعفُّنات في حليب الامّ بعد خروجهِ من الثدي. وكذلك يؤثر في بنية المرضعات قلَّة النوم وغزارة العرق والافراط من اكل الخضرة والفاكهة وشرب المثلَّجات فيتأثر الطفل من احوال امهِ وكثيرًا ما يذهب ضحيَّة سوء تدبيرها. قال المسيو برتيلون رئيس قلم الاحصاء في فرنسة: «انَّ ولايتنا الجنوبيَّة البحريَّة التي يشتدُّ فيها الحرّ تخسر خمسة عشر الف ولدٍ في كلّ سنة ايَّام القيظ بالزيادة عن بقيَّة الولايات» فان كانت الحال كذلك في فرنسة حيث الحرّ اقل والعناية بالاطفال اعظم فما قولنا في سواحل سوريَّة وعموم الديار المصريَّة حيث يحتدم القيظ وتتوقَّد سمائمهُ وتكثر الرطوبة

وتسيل من الجسم مسايل العرق. افليس الى هذا العامل تُنسب في بلادنا وفي القطر المصري خصوصاً كثرة وفيات الاطفال

نعم انَّ لموت الاحداث اسباباً أُخر لا يمكنّا الآن ايضاحها. وقد اكتفينا بالنزر القليل طالبين في الختام منهُ تعالى ان يرشد اهل الوطن الى اتخاذ الوسائل الصحيَّة التي عليها تتوقَّف سلامة البنية ونفي الاسقام. نخصُّ منها بالذكر النظافة والعيشة المعتدلة المنظمة لاسيَّما في الصغر ووقت الشباب. لئلَّا يأكل الشابُّ الحصرم فيضرس بالشيخوخة بل يضرس بسببهِ اولادهُ كما نرى في داء الزهري وفي السكر. وربَّما امتلأ الاناء قبل الشيخوخة فيطفح ويفيض بغتةً وما كلَّ مرَّة تسلم الجرَّة

نظرٌ
في اخصّ العاديّات المكتشفة آخرًا في سوريَّة

للاب لويس جلابرت اليسوعي

لا يزال قرَّاء المشرق يلحُّون علينا بالسؤال ان نفيدهم عمَّا يستخرجهُ اصحاب العاديَّات من الدفائن المطمورة في بلادهم. ولا غرو فان هذه الكنوز الاثريَّة اصدق شاهد على احوال الوطن السالفة واوثق مؤرخ سطَّر لنا اخبار الغابرين بل خلَّد ذكرها بحفرها في الصمّ الصلاب بحيث قويت على قوارع الدهر وقامت بعد قرون متعدّدة تخبرنا بلسان حالها عن بعض مآثر الاقدمين

هذا ولا ينتظرنَّ القارئ منَّا ان نتّسع في هذه الاكتشافات ونطيل فيها الشرح فانَّ ذلك يقتضي مجلَّدات ضخمة ولكن نلخص ممَّا ورد في المجلَّات الاثريَّة الكبرى ما نراهُ حقيقًا بالذكر مفيدًا للمطالعة علَّهُ يثير الرغبة في قلوب البعض بان يدرسوا هذه الآثار درساً نعماً ويزيدوا حجَرهم في بناء صرح العلوم الشاهق (١

١) وكنَّا نودّ ان ندوّن في هذه المقالة شيئاً من اكتشافات بلاد فلسطين لولا انَّ ذلك يؤدي بنا الى الطول. فنحيل القرَّاء الى المجلَّات الفلسطينية الخاصَّة المكتوبة بالفرنسيَّة والالمانيَّة والانكليزيَّة. وفي المجلَّة الكتابية (la Revue Biblique) خلاصة هذه الاكتشافات تصدر في كلّ ثلاثة اشهر

١ عاديَّات فينيقية

نبتدئ اولًا بذكر ما وقف عليهِ العلماء من آثار الفينيقيين لما في اكتشافها من الخطر وعظم الشأن لانَّ تاريخ سوريَّة في الطور الفينيقي كثير الشبهات قليل الحقائق الراهنة . والعلماء يتلقَّون باصوات الفرح كلَّ اثرٍ وان صغيرًا يسمح لهم بان يسبروا غور هـذه الامة العظمى

واعلم انَّنا مع مراجعة المجلَّات الخصوصيَّة قد اتخذنا لنا امامًا في الآثار الفينيقيَّة الاثريَّ الشهير المسيو كلرمون غانو (Mr Clermont-Ganneau) وقد حاز في اكتشاف هذه الآثار قصبة السبق فتراهُ مع وصفهِ بقيَّة الحفريَّات الشرقية وكتاباتهِ عنها لا يزال يفرد الفصول المطوَّلة للمآثر الفينيقيَّة وفكّ اسرارها وبيان فوائدها

١ (انصاب امّ العواميد) من اعظم الاكتشافات الفينيقيَّة التي اكسبت المسيو رنان شهرتهُ آثار امّ العواميد (١ او امّ العمَد وهي قرية صغرى قريبة من البحر جنوبيَّ صور عند مصبّ وادي حمول. وقد نالت هذه العاديَّات شهرةً جديدة باكتشافات مستحدثة متوالية جرت آخرًا. واهمّ هذه الحفريَّات نصبٌ جميل من القرن الثاني قبل المسيح عليهِ كتابة ونقوش. امَّا الكتابة فلا تزيدنا علمًا كبيرًا على ما كنَّا نعرفهُ سابقًا من احوال فينيقية على عهد البطالسة وامَّا النقوش فهي غاية في الغرابة كما سترى

وقد جاء في الكتابة الفينيقية ما معرَّبهُ: « هذا النصب ذكرٌ لبَعَليتن بن بعليتن الربّ » فلا يستفاد من هذا الكلام الوجيز شيء يُذكر لانَّ اسم « بعليتن » علم معروف. والربّ بالآرامية العظيم والسيد. ولعلَّ هذه اللفظة تدلُّ على رتبةٍ بعينها لم نعرف حقيقتها حتى يومنا

امَّا النقوش التي ذكرنا خطر شأنها فانها تمثّل قرص الشمس مجنَّحةً على جانبيها علامتان رمزيّتان على شكل الحيَّة تُدعيان اوريوس (uræus) ومن تحت هذه النقوش صورة ناتئة لرجلٍ غير ملتحٍ يُرى راسهُ من الجانب الايمن وثلاثة ارباع شلوهِ المكسور وهو لابس رداء طويلًا واسع الطيَّات مشدودًا بمنطقةٍ خفيَّة ونازلًا الى

١) راجع كتابهُ بعثة فينيقية (ص ٦٩٤–٧٥٠ مع التصاوير ع ٥٠–٥٨)

القسم الادنى من جسمهِ · ويدهُ اليمنى مبسوطة الى الامام على علوّ ذقنهِ كما كان القدماء يصوّرون السُّجَّد. امَّا الشمال فبها يمسك صورة ابي الهول المصريَّة وابو الهول هذا متوَّج باكليليهِ المعروفين وبين مخالبهِ مجمرة يُحرق فيها الطيب (١

وللرجل الذي وصفناهُ قلنسوة مستديرة متوسّطة الكبر مائلة الى الخلف على شكل التماثيل التي تُرى في مدافن تدمر. ومن اسفل القلنسوة من وراء الاذن تخرج خصل قصيرة من شعرهِ تغطّي عنقهُ الثخين البارز من اعلى ردائهِ المفتوح. ومن انعم النظر في وجه الشخص وجدهُ محلوق العارضين والشوارب وتحقق انهُ رجل مُسنّ قويّ الالواح شاحب اللون ذو هيئة حيَّة مؤثرة يكاد ينطق بفيهِ

وهذه النقوش العجيبة التي تشبه بدقّتها الصور المصريَّة المكتشفة حديثاً في نواويس الفيوم فوق رؤوس الموميا تمثل لنا صورة احد الفينيقيين في ذلك العهد العهيد وتفيدنا عن سحنة اهل ذلك العصر ولبسهم مع كثير من احوالهم

وما مرَّ على هذا الاكتشاف زمن قليل حتى شفعهُ اكتشاف آخر لانصاب جديدة وجدت في امّ العواميد افاض في ذكرها المسيو هوزي (Mr Heuzey) في الجلسة التي عقدتها في ١١ نيسان سنة ١٩٠٢ اكدامية الكتابات والفنون · وبين هذه الانصاب والنصب الموصوف آنفاً تشابهٌ ظاهر وان كانت دونهُ في دقّة الصناعة (٢

والاثر الاوَّل يمثل تمثيلاً غير متقن شخصين احدهما رجلٌ لابس لبس الفينيقيين والآخر امرأة مقنَّعة على هيئة نساء اليونان

وقد وصف المسيو هوزي تمثالاً آخر اكتُشف في المكان نفسهِ فيهِ صورة رجلٍ فينيقيّ يُرى اعلى جسمهِ الى منطقتهِ وهو في لبسهِ وهيئتهِ وحركاتهِ كمثل الشخص المصوَّر في نصب المسيو كلرمون غانو

وذكر الموما اليهِ دميةً ثالثة وهي امرأة منتصبة على هيئة السجود تشملها ملاءة تنحدر من اعلى راسها الى اكتافها بزيّ حسن. وفي القسم الاسفل من هذا الاثر

١) راجع المجلّة الاثريَّة (RA., 1902, I, 200-207 et Pl.XXXI) ثم مجموع الآثار الشرقية (RAO, V p. 1-8, Pl. I et II; 87-86 Pl. V)

٢) راجع المجلّتين السابقتين (ص ٢٠٢ و ٥ : ٨٦)

امرأتان عليهما متزران الى ما فوق صدرهما كعادة المصريّات قديماً تراهما جاثيتين على الرُكَب الواحدة بازاء الاخرى وبيد كل منهما اناء بلا عُرَى تصبّان منهُ الماء على نباتٍ مقدّس غُرِس في وسطهما

وقد عُني المسيو هوزي بشرح اسرار هذه الانصاب الثلاثة ودقّق البحث عن كلّ قسمٍ منها وقابلها مع الآثار المعروفة قبلهُ ليستخلص منهـا معانيها الخفيَّة ومع افراغهِ مجهودهُ في ذلك لم يتمكّن من حلّ رموزها. لكنَّهُ بيّن انَّ في صنـاعة هذه التماثيل مسحةً من فنون المصريّين والكلدان واشاراتٍ الى عقائد تينـك الأمتين فضلًا عمّا يلوح فيها من الطرائق التصويريَّة الجارية عند اليونان واهل آسية

ومع هذه الانصاب التي وصفها المسيو هوزي انصاب اخرى قد ذهبت رسومهـا وامّحت تصاويرها وُجدت في المحـلّ ذاتهِ وهي اليوم في متحف اللوڤر. وكلٌ هذه الانصاب غفلٌ لا كتابة عليها وانّما وُجد معها حجارة اخرى فيها اربع كتابات فينيقيَّة جدّ المسيو هوزي في تفسيرها مع احد رصفائهِ. ثم عاد المسيو كلرمون غانو واعمل فكرهُ النقّاد في هذه الآثار فحسّن واكمل واصلح الخلل لاسيَّا في احدى الكتابات التي قرأ مضمونها على هذه الصورة: «لبعليتّن ابن عبد هور ملك عشترت (١)»

ولو اردنا ان نلخص كلّ ما كُتِب عن هذه الآثار لطال بنا الكلام فاكتفينا بالاشارة ليعرف القرّاء كم يسعى الاثريّون الفرنسيّون في تعريف الآثار الفينيقيَّة

٢ (هيكل اشمون في صيداء) بلغ مسامع صاحب السعادة حمدي بك متولّي نظارة المتحف العثماني في الاستانة العليَّة انَّ بعض الاهلين اجروا في جوار صيداء حفراً خفيًّا على غير نظام استخرجوا بهِ بعض الكتابات الفينيقيَّة. فكتب للحال الى جناب مكريدي بك وهو اذ ذاك في بعلبك ينظر باسم الحكومة السنيَّة اعمال البعثة الالمانية ووكل اليهِ بان يبحث عن اصحاب هذه الحفريّات غير القانونيّـة واذا استصوب الامر بان يجري بنفسهِ في صيداء حفرًا منتظمًا لعلّـهُ يجد آثارًا أُخرى يُرسلها الى المتحف العثمانيّ العامر

---

١) راجع المجلّة الاثريّة (R A, 1902, Mars-Avril, p. 200 – 206) ومجموع المسيو كلرمون غانو (R A O, V. 85 et 148-156)

فاسرع مكريدي بك الى صيداء وبعد البحث اللازم تحقّق صحة الخبر وباشر الحفر على مقتضى الاصول الهندسيّة لئلّا تتلف الآثار بسوء العمل وقد اسعدهُ الحظّ على وجود هيكل جميل يُعرف بهيكل الاله اشمون ولمّا انتهى من الحفر ارسل تقريرًا بيّن فيهِ ماجريّات العمل ونتائجهُ ومع التقرير رسوم وتصاوير للعالمين الالمانيين شولتس (Schultz) وكرنكر (Krencker). ونحن نختصر هنا هذا التقرير مع ما كتبهُ عن هذه الحفريّات حضرة العلاَّمة الاب لكرنج الدومنيكي في المجلّة الكتابيّة والمسيو كلرمون غانو في مجموعهِ الشهير للآثار الشرقيّة والمسيو فيليب برجه (Ph. Berger) في مقالة نشرها في مجموع الكتابات والفنون (١

وموقع هذا الهيكل في البستان المعروف اليوم ببستان الشيخ على منعطف ربوةٍ فوق وادي نهر الاولى قريبًا من مصبّ هذا النهر على مسافة نحو كيلومترين و ٣٠٠ متر شماليّ صيداء. فكان اذن الهيكل المذكور خارجًا عن المدينة مهما بُولغ القول في اتساعها القديم. وهو يتركّب من سور مربّع مستطيل بُني بنحيت الحجارة وحجارتهُ ضخمة محكمة الوضع. وكان السور المذكور موازيًا لاربع نواحي المعمور طولهُ من الشرق الى الغرب نحو ٦٠ مترًا وعرضهُ من الشمال الى الجنوب نحو ٤٤ مترًا. وهذا السور كان يدعى الحَرَم كما يُرى في اكثر معابد الساميين ومثلهُ في القدس الشريف وفي الشيخ بركات وفي حصن سليمان. وفي وسطِ السور كان المقدس او مقام الالهة وحولهُ ساحة متسعة. وهذا المقدس لم تُكتَشف حتى الآن آثارهُ. لانَّ الحفر لم يتمّ بعد ولكن لاشكّ في وجودهِ

وممّا يزيد هذا الاكتشاف شأنًا كتابات فينيقيّة تجدينا عدّة فوائد لتاريخ فينيقية ومن غريب الامور انّ هذه الكتابات لم تكن على وجه الحجارة الظاهر بل على وجهها

(١ راجع Macridy Bey: *Le temple d'Echmoun à Sidon* (RB., 1902, p. 488-515 et 1903, p. 69-77 = R. P. Lagrange : *Notes sur les inscriptions trouvées par Macridy Bey* (Ib. 1902, 515-527) = Clermont-Ganneau: RAO., V. p. 217-276 = Ph. Berger : *Mémoire sur les inscriptions du temple d'Esmoun à Sidon*, Extrait.

الخفي الواقع فوق الحجارة السفلى بحيث لم يمكن الاطلاع عليها الا بنقض الحجارة والفصل بينها . وقد استدلوا بذلك على ان الكتابات التي شاعت قبل الحفر القانوني والتي كان العلماء في ريب عن صحتها انما هي صادقة . وهذه الكتابات كلها عبارة عن نسخ متعددة لنص واحد الا ان بعضها اكمل من البعض على قدر الحجارة . وعددها ست كتابات او سبع

وقبل ان نذكر مضمون هذه الكتابة لا بدَّ ان ننبه القرّاء على مناظرة جرت بين العلماء فانَّ بعضهم وفي مقدمتهم المسيو فيليب برجه يزعم ان الهيكل وابنيتهُ يرتقي الى عهد الكتابة وتاريخها . ويزعم غيرهُ وهو الرأي المرجح انَّ هذه الكتابات اقدم عهدًا من الهيكل وانما كانت في هيكل سابق ظاهرةً في واجهتهِ فلما خرب الهيكل الاول اتخذت موادهُ لبناء هيكل جديد فنُضِدت الحجارة على هذه الصور غير القياسيَّة

وان سألت الآن عن مضمون الكتابة قلنا انَّ فطاحل العلماء تسابقوا في فك مشكلاتها نخصُّ منهم بالذكر حضرة الاب لكرنج والمسيو كلرمون غانو والمسيو فيليب برجه فسَّروها كلٌّ واحد وحدهُ دون ان يطلع على تفسير الآخرين . الَّا انَّ مقالة كلرمون غانو ظهرت بعد مقالة رصيفيهِ فنأخذ تفسيرهُ ثم نعود الى الاختلاف الذي بين شرحهِ وشرح العالمَين الآخرين . قال انَّ في هذه الكتابة ثلاثة اقسام نشير اليها بثلاثة حروف الابجديَّة (ا ب ج) :

ا { الملك بُدعشترت ملك الصيدونيين
حفيد الملك اشمنعزر ملك الصيدونيين

ب { بصيدون البحر
بشمم رمم
بارض رسفم
بصيدون مشل
التي بناها (؟)
وبصيدون البر

ج { بنى هذا الهيكل (كلَّهُ ؟)
لمعبودهِ اشمون سار قدش

ففي هذه الاقسام الثلاثة (اب ج) قد اتفق العلماء على شرح القسمين الاوّل والآخر (ا ج) الّا القليل وفيهما معنًى تامّ . اما القسم الثاني (ب) فالآراء فيهِ متضاربة . فان المسيو برجه شرحهُ هكذا : « بصيدون البحريّة خاصّة السماوات العليا ارض الرسفيم صيدون المالكة » وقد فسَّرهُ حضرة الاب لكرنج بنوع آخر فقال : « بصيدون في يوم شمم رمم اب صيد الذي هو صيدون كما بناها صيدون الملك » فترى ما بين الروايات الثلاث من الاختلافات الذي لا نتعرَّض للحكم بينها . وقد اتى آخرًا المسيو هالفي (Mr Halévy) بشرح رابع في المجلّة الساميّة (١٩٠٢ ص ٣٤٧ — ٣٦٧) فزاد الامر التباساً

ومهما كان من امر هذا القسم الثاني فانَّ ما تقرَّر وثبت من قسميها الآخرين غاية في الاهميَّة لتعريف سلسلة ملوك صيداء الفينيقيين . وقد كان سعادة حمدي بك نهج الطريق لبيان هذه السلسلة باكتشاف ناووس احد ملوك صيداء وكانت عليهِ هذه الكتابة التي حلّها المسيو فيليب برجه (١ : « انا تبنيت كاهن عشترت وملك الصيدونيين ابن الملك اشمنعزر كاهن عشترت وملك الصيدونيين المضَّجع في هذا الناووس . . . » فالكتابة الجديدة التي نحن في صددها تؤيّد صحّة كتابة ناووس الملك اشمنعزر الذي اكتُشف سنة ١٨٥٥

ومن الاكتشافات القديمة كنّا نعرف انَّ اشمنعزر (الاوّل) ولد تبنيت وعَمعَشترت فتزوّج تبنيت اختهُ عمعشترت فولد لهما ابن يدعى اشمنعزر (الثاني) . ثمَّ يؤخذ من الكتابة الحديثة انَّ « بدعشترت هو حفيد اشمنعزر » . فترى ايّ اشمنعزر هو المراد الاوّل او الثاني ؟ . فقد ارتأى المسيو برجه والاب لكرنج بان المراد هو اشمنعزر الثاني . ولكن اذ كان لا يُنكر ان اشمنعزر الثاني مات في الرابعة عشرة من عمرهِ بلا ذريّة قالا ان بدعشترت ليس حفيدًا لاشمنعزر الثاني بل هو ابن عمهِ . اما المسيو كلرمون غانو فانهُ يرتأي بخلاف ذلك ان بدعشترت حفيد اشمنعزر الاوّل وهو يجعلهُ

١) المجلّة الاثريّة .R A. 1887, II, 109 فترى لطف سعادة حمدي بك الذي نشر خبر اكتشافهِ لاوّل مرّة في مجلّة افرنسية وكذا صنع آخرًا جناب مكريدي بك . وبذلك يظهر جليًّا ما بين علماء دولتنا العليّة والعلماء الفرنسيين من الصلات الحسنة . وزد على ما تقدم انّهُ برز في العام الماضي كتاب عن « مدفن صيداء الملكي » (La Nécropole royale de Sidon) نشرهُ حمدي بك بعيّة ت . ريناخ

ابناً لا لتبنيت لكن لاخٍ لهُ مجهول لم يملك فتولى ابنهُ هذا بُدعشترت زمام الملك بعد اشمنعزر الثاني المتوفَّى صغيرًا كما ترى في هذا الجدول:

اشمنعزر الاوَّل
كاهن عشترت وملك الصيدونيين

تبنيت
كاهن عشترت وملك الصيدونيين

يقترن باختهِ . . عَمعشترت
كاهنة عشترت
ووصيَّة الملك في صغر ابنها

اشمنعزر الثاني
ملك الصيدونيين مات حدثاً ولهُ ١٤ سنة

اخ مجهول
لم يملك

ابنهُ بدعشترت
ملك الصيدونيين يتولّى الملك بعد اشمنعزر الثاني

فهذه السلسلة لملوك صيدون تسدُّ خللاً كبيرًا في التاريخ اذ تعرّف تعريفاً اكمل واتم دولة اشمنعزر وسلالتهُ من بعدهِ . امَّا زمن هذه الدولة فقد اختلف فيهِ الكتبة وكانوا يظنُّون سابقاً انَّهم ملكوا في القرن الحادي عشر قبل المسيح . ثم جاءت الاكتشافات الاثريَّة فبيَّنت بطلان هذا الزعم حتى قال البعض ان هذه الدولة تولَّت زمام الملك على صيدون بعد الاسكندر اعني بين سنة ٣٣٢ و٢٧٥ قبل المسيح (١ ثم اعاد العلماء النظر في هذا الامر . واليوم عاد العلماء فبحثوا بحثاً ادقّ في الامر واستنتجوا انَّ اشمنعزر وذريتهُ سبقوا عهد الاسكندر اعني ملكوا في القرن الرابع او الخامس من قبل المسيح (٢

هذه نبذة وجيزة تنبئ القرَّاء بما حصل عليهِ علم العاديَّات الفينيقيَّة من الترقي في العام الماضي . وقد بقي علينا ان نبيّن ما اكتُشف في العام نفسهِ في بلاد الشام من العاديَّات اليونانيَّة والرومانيَّة ننشرهُ في عدد آخر ان شاء الله (لهُ بقيَّة)

---

١) هذه نتيجة مقالة للمسيو فيليب برجه عنوانها: « L'archéologie et l'épigraphie » طبعها سنة ١٨٧٧

٢) وهو رأي فيليب برجه في مقالتهِ الحديثة ورأي حضرة الاب الكرنج في المجلة الكتابية (R B., l. c., p. 521-525)

مطبوعات شرقية جديدة

ܠܟܣܝܩܘܢ ܣܘܪܝܝܐ ܕܒܪ ܒܗܠܘܠ

معجم الحسن بن جلول بالسريانيّة

Lexicon Syriacum auctore Hassano Bar Bahlul

e pluribus codicibus edidit et notulis instruxit

Rubens Duval. *Parisiis*, 1898-1901

انَّ نطاق الدروس السريانيّة لا يزال كلَّ يوم يتَّسع اتساعاً اعظم بقدر ما يستخرج العلماء من كنوز هذه اللغة المدفونة فينشرونها بالطبع. وقد امتاز بين انصار السريانيّة احد المستشرقين الفرنسويين المسيو روبنس دوڤال فاحرز لهُ اسماً طيّباً يُثني عليهِ بالخير كلّ محبي الآثار الآرامية. ومن التآليف التي يعود اليهِ الفضل بنشرها هذا المعجم السريانيّ الذي طالما تشوّق الادباء الى الاقتباس من فرائدهِ ألا وهو معجم الحسن ابن بهلول الاوانيّ الطيرهاني الذي صنّفهُ في اواسط القرن العاشر. وُلد المذكور في اوانة من قرى تكريت ودرَس مدّةً في بغداد وألّف كتابهُ بعد مراجعة المعاجم السريانيّة التي سبقت زمانهُ اخصُّها معجم حُنين بن اسحاق ومعجم ابي يحيى زكريّا المروزي ومعجم عيسى بن عليّ تلميذ حنين فجمع فوائدها الشتى وادرج فيها الالفاظ الدخيلة في السريانيّة لاسيَّما المنقولة عن اليونانية. ومن خواصّ كتابهِ انهُ دلّ على الموارد التي اخذ عنها وزاد عليها الفاظاً وشروحاً بالسريانيّة والعربية لم يسبقهُ اليها غيرهُ. وكانت خزائن الكتب الاوربيّة تصون عدداً وافراً من نسخ هذا المعجم مسختها ايدي النساخ وزادت عليها ونقّصت فراجعها المسيو دوڤال وقابل بينها بعد العناء الطويل والشغل الشاغل حتى انتهى من عملهِ بعد اربع سنوات ونشرهُ في مطبعة باريس العموميّة في نحو ٢٤٠٠ صفحة. ولم يكتفِ بنشرهِ بل صدّرهُ بالمقدّمات المفيدة والحقهُ بالفهارس الواسعة وحشّاهُ بالحواشي التي تشهد لهُ بطول الباع في معرفة اللغة السريانيّة. فنشكر هذا العلّامة الفاضل باسمنا وباسم كلّ الطوائف الشرقيّة السريانيّة على الخدمة الجليلة التي اداها لآداب السريان ومعارفهم بنشرهِ هذا المعجم ونحضُّ كلَّ من يريد إحكام هذه اللغة ألّا يحرم نفسهُ منهُ

كتاب
تاريخ بيروت

واخبار الامراء البُحْتُريّين من بني الغَرب لصالح بن يحيى

سعى بنشرهِ وتهذيب عبارتهِ وتعليق حواشيهِ الاب لويس شيخو اليسوعي (١٩٠٢ ص ٣١٥)

ان من طالع اعداد السنتين الاولين من مجلّة المشرق امكنهُ ان يتحقَّق ما يحتوي هذا الكتاب الفريد من الفوائد الجمّة عن تاريخ بيروت ومقاطعات لبنان الغربيّة كالغرب الاقصى والغرب الشمالي والغرب الاعلى وما يليها من النواحي كالشحّار والمناصف والعرقوب. وممَّا يزيد هذا الاثر خطرًا انَّ كاتبهُ صالح بن يحيى صنَّفهُ في زمن لم نكد نجد فيهِ ذكر لبنان في غيرهِ من المؤرخين واستند في روايتهِ الى اصدق الموارد واحقّها بالاعتبار وهي المناشير السلطانية والكتابات الرسميَّة التي وقف عليها بين آثار اسلافهِ. فجمعها في هذا الكتاب وجعلهُ تذكرة لامراء الغرب وقد كتب ما كتب بسذاجة لم يتحرَّ بعملهِ سوى افادة أُسرتهِ الشريفة ومراعاة حقوق التاريخ « فلم يكن (كما قال في فاتحتهِ) مغاليًا في السلف فيصفهم بازيد مما فيهم ولا حسودًا فينعتهم بما ليس فيهم ». وكان المؤلف اراد ان تبقى هذه التذكرة « كوقف على البيت لا تخرج عن الخلف ولا تُعار لغيرهم » لظنّهِ « انَّ لا احد ينتفع بها غير اربابها ». فكان الامر على خلاف ما ظنّ واسعدنا الحظ على استخراج هذه الدرّة اليتيمــة من صدفتها بزيد خزانة كتب باريس حيث نقلها تيَّار الدهر فنجت من ايدي الضياع. وقد نشرنا هذا التأليف تباعًا في المشرق وعلّقنا عليهِ التعاليق الموسعة التاريخيَّة والجغرافيَّة واللغويَّة ليعمَّ بذلك نفعهُ وتظهر فوائدهُ. ثم خفنا ان يصعب النظر فيهِ وهو متفرّق في اعداد المجلّة فجمعناهُ في مصنَّف مستقلّ على حجم اصغر واضفنا اليهِ ثلاثة ملحقات اوَّلها منقول عن تاريخ ابن سباط تتمةً لاخبار بني الغرب. والثاني مدارهُ عن احوال بيروت من عهد المؤلف الى ايّامنا. امَّا الملحق الثالث فهو يتضمَّن استدراكات وفوائد مع اربع فهارس تيسيرًا لادراك مطالب الكتاب هذا فضلًا عن رسمين يزينانهِ احدهما شجرة نسب بني بحتر امراء الغرب والآخر رسم خارطة بلاد الشوف وخصوصًا بلاد الغرب نقلًا عن خارطة للمهندس البارع عزتلو يوسف افندي افتيميوس

﴿ خلاصة اعمال شركة القديس منصور دي پول في بيروت عن سنة ١٩٠٢ ﴾

هي السنة الثالثة والاربعون لعهد تأسيس هذه الشركة المقدَّسة ومن راجع برنامجها الجديد تحقَّق انَّها لا تزال راقيةً معارج التقدُّم والنموّ بهمَّة رئيسها الهمام الڤيكونت فيليب دي طرازي ويحسن مساعي اعضائها العاملين في دوائرها الخمس. وقد نالت في العام الماضي التفاتاً خصوصياً من مكارم قداسة الحبر الاعظم الذي قدّر اعمال الجمعيَّة قدرها ونشَّط ذويها بمنحهم البركة الرسولية. ومن مضمونات البرنامج في هذا العام فضلًا عن الداخل والخارج لمحة من ترجمة السعيد الذكر البطريرك بطرس الرابع الجريجيري مع سيرة رجل الخير فردريك اوزنام منشئ شركة القديس منصور دي پول. فنهنئ الجمعيَّة ونتمنَّى لها كلّ نجاح ل. ش

مطبوعات أُرسلت الى ادارة مجلة المشرق

1 La science de la religion et la science du langage d'après Max Muller, par F. Prat s. j., *Louvain*, p. 28, 1901.

2 Les fêtes Mariales de 1904, réflexions et projets par R. N. de la Broise et A. du Bec-Boussay, *Extraits des Etudes* 1902.

3 Guérison subite d'une fracture, récit et étude scientifique (p. 48)

وهو بحث علميّ لثلاثة اطبّاء باجكيين عن شفاء عجيب حدث لرجل كسيح اسمهُ بطرس دي رودر (de Rudder) باستحمامهِ في حوض سيدة لورد فانجبر بغتةً عظم ساقهِ المكسورة بشفاعة البتول بعد ان ضاق ذرع الاطبَّاء عن شفاء دائهِ واقرارهم بعجزهم

٤ مبادئ العربية للمدارس الابتدائية — في الصرف والنحو للمعلم رشيد افندي الشرطوني. طبعة ثانية مصحَّحة. بالمطبعة الادبية (ص ٨٨ ١٩٠٢)

٥ ترجمة حياة البطريرك مكسيموس مظلوم بالفرنسيَّة لحضرة الارشيمندريت منسنيور الكسيس كاتب. طبعت بمطبعة البروبغندا سنة ١٩٠٢ (ص ٢٧)

شذرات

﴿ وشن او إشان الأعواد ﴾ قد بشرت بعض المجلَّات والجرائد العلمية العربية قرَّاءها بخبر اكتشاف ٤٠٠ لوح من الاجرّ البابليّ على يد علماء الالمان من اللجنة الشرقيَّة وبان في تلك الالواح مباحث عزيزة في آداب تلك اللغة ومؤلفاتها المدرسيَّة وقد ذكرت تلك الصحف نقلًا عمَّا نشرهُ الافرنج ان ذلك كان في محلٍ من

بقايا بابل وقد اختلف كتبة الجرائد في كتابة اسمهِ فمنهم من قال: « نشان الاسود ».
ومنهم من دعواهُ: « نيشان الاواد » (؟). ومنهم من اطلق عليهِ اسم « نيشان الأَوَد »
وغيرهم غير ذلك. امَّا الرواية الصحيحة فهي: « إشـــان الأعوَاد » ويُريد الاعراب
بالإشان كلَّما ارتفع من الارض والبعض منهم يُسمِّيهِ « بالتل » ايضاً ويجمعون الاشان
على أشن (eucheun) ومنهم من يقول في المفرد « وشان » ويجمعها على « وشّن »
والكلمة الاصليَّة الفصيحة هي « وَشن » وهو ما ارتفع من الارض. وقلب الهمزة واواً
وبالعكس امر مشهور عند العرب (المزهر ١: ٢٢٣) ألا ان اعراب العراق قد خصُّوا
كلمة « الأُشن » بالتلال المتقوِّمة من انقاض الآثار العاديَّة. ولهذا تَسمَعُ اسماء تلال
كثيرة تبتدئ بكلمة « اشان » وقد جمعتُ منها اكثر من مائة اسم من هذا القبيل

وعليهِ « فلِمَن لا يسعهُ السفر الى بابل ليتحقق صحَّة اللفظ من بدو تلك الناحيـــة
ورهبانها » ليكتفِ بمطالعة المشرق ويقرّ بفضلهِ والله يهدي من يشاء

الايطوريون قد ذكر حضرة الاب الفاضـــل لامنس اليسوعي
الايطوريين غير مرَّة في المشرق (من ذلك ٢: ٢١٥ و٦: ٨٢٤ الخ) وبيَّن بدلائل
لامعة ساطعة انهم كانوا من القبائل العربيَّة او الارمية التي مدَّت جناح سطوتها على البلاد
الواقعة جنوبيّ دمشق وشرقيّها وان ايطورية في الاصل توافق بلاد اللجأ وجيدور الحالية.
الى غير ذلك من الفوائد الجليلة. ألا انهُ لم يبحث عن اصـــل هذه التسمية ومعناها
وعربيتها الاصليَّة فإتماماً للفائدة اقول: ان حضرة الاب كتب اسمهم مرَّةً بصورة « ايتوريين »
(المشرق ٢: ٢١٦) ومرة « ايطوريين » (المشرق ٥: ٨٢٤) والاصح في كتابتهـــا
« الإِطُورِيّين او الايطورِيّين » ومعنى اللفظة « الجَبَليُّون » اشارة الى منشإهم لانهم
كانوا في الجبال الصخريَّة الواقعة في شرقي دمشق المعروفة اليوم باسم « جبل حوران
او جبل الدروز واللَّجأ » ومعنى « طور » بالعربيَّة كما في سائر اللغات السامية « الجبل »
ومعنى « إ » أو « أي » « ال » التعريف. وذلك ان اداة التعريف عند اهل تيماء هي
« الهاء » كما في العبرية ثم نُقلت الى الهمزة لما بينهما من المقاربة في المخرج. وكان
حقُّ هذه الهمزة ان تُفتح تبعاً للاصل ألا ان بعض قبائل العرب كقيس وربيعة وتميم
كانت تكسر المضموم او المفتوح اينما وقع فيقولون مثلًا رِحيم ورِغيف وبِعير بكسر
اوائلهنّ والاصل الفتح كما هو مشهور. وكل كلمة مبدوءة بهمزةٍ مكسورة اذا وافقتها

كلمة عبرية من لفظها يكتبها العبريون بالياء. ولذا يكتبون «إيطوريَّة» هكذا: יטורת

ثم ان لفظة «جَيْدُور» ليست الَّا «يِيطور» نفسها مصحفة على لغة من يقلب الياء جيماً مطلقاً سواء كانت تلك الياء خفيفة او مشدّدة وفي الاوّل او في الحشو او في الطرف (التاج في اوَّل باب الجيم ٢ : ٧٢) ثم رقّقوا الطاء وجعلوها دالًا وذلك «لان هذه الاحرف الثلثة اعني الزاي والسين والصاد تتعاور كما تتعاور التاء والدال والطاء» (المزهر ١ : ٢٢٩) مع ذكر امثلة كثيرة. فصارت «جَيْدُور» باعادة الفتح الى اصله. فتدبَّر (الاب انستاس الكرملي)

(المشرق) انَّ اشتقاق ايطوريَّة من الطور ملاحظة حسنة سبق المستشرقون فاشاروا اليها. امّا غيَّة الفوائد فجديرة بالاعتبار بيد انَّنا لا نقطع بصحتها. وكذلك لم يحكم العلماء حكماً فصلًا في التوحيد بين «جيدور» و«ايطورية» لانَّ معاملة «جيدور» بلاد سهل امَّا «ايطورية» فعلى قول حضرة الاب انستاس معناها الجبليُّون. هذا فضلًا عمَّا بين الكلمتين من التباين في اللفظ ه. ل

العرب في رودسية قد نشر حديثًا المستر ستنْلي لان پول في المجلَّة الانكليزيَّة (Proceedings of the Royal Irish Academy) كتابة عربيَّة وُجدت منذ عهد قريب في جنوبيّ افريقية في بلاد المتابلي من اعمال روديسية. والكتابة المذكورة تاريخ ضريح احد المسلمين اسمهُ سلم بن صالح المتوفَّى في سنة ٩٥ للهجرة الموافقة لسنة ٧١٣ للميلاد. وقد استدلَّ العلماء بهذا الاكتشاف على ان العرب دخلوا جنوبيّ افريقية منذ القرن الاوَّل لتاريخهم واستعمروا تلك البلاد القاصية مدَّة قرون عديدة وتاجروا مع الزنج من اهلها. واليوم صار اصحاب الآثار ينسبون اليهم ابنية عظيمة ترى في تلك الجهات اخربتها كانوا من ذي قبل في ريب في بُناتها ظنَّ البعض انَّها من عهم قديم سبق تاريخ المسيح وقد بالغ غيرهم في قدمها حتى نسبوها الى عهد سليمان (راجع المجلَّة الأثريَّة ص ٦٣ من السنة الحاليَّة)

اسئلة واجوبة

س سأَل حضرة القس انطون صابر هل توجد مستحجرات من ذوات الثدي وهل تُعرف مدفنها لانَّهُ قرأَ في كتاب مشهد الكائنات (ص ١٧٤) انَّ «ذوات الثدي قلَّ ما يُشاهد منها»

مستحجرات ذوات الثدي

ج ليس الكلام الوارد في كتاب مشهد الكائنات سديدًا فانَّ مستحجرات ذوات

الثدي كثيرة لا يخلو منها متحفٌ من المتاحف الجيولوجية وقد وُجد منها ما يرتقي الى الطور الثالث اعني قبل ظهور الانسان على الارض . وسنعود ان شاء الله الى هذا الموضوع

س وسأل حضرة القس يوسف حبيقة البسكنتاوي كيف نوفّق بين قول القديس بولس (عب ٩: ٤) حيث يقول انَّ تابوت العهد كان يحتوي « لوحي الوصايا وقسط المنّ وعصا هارون » وبين آيات سفر الخروج (١٦: ٣٣) وسفر العدد (١٧: ١٠) والملوك الثالث (٨: ٩) والايام الثاني (٥: ١٠) التي صرَّحت بوجود لوحي الوصايا فقط في التابوت

ما كان يحتويهِ تابوت العهد

ج لا يخالف ما ورد في رسالة القديس بولس الى العبرانيين عن مضمون تابوت العهد ما ورد في اسفار العهد القديم لانَّ التابوت لم يكن في اول الامر يتضمن غير لوحي الوصايا . ثمَّ جُعل فيهِ بعد ذلك بزمان قسط المنّ وعصا هارون وكانا في محل آخر من المقدس . ولنا على ذلك شاهد وهو تقليد اليهود دوَّنهُ الربّيون منهم الرّبي لاوي بن جرسون والربي أبرْبنل وكلاهما يوافق القديس بولس في قولهِ

س وسُئلنا كيف امكنَّا ان نقول في شرح مجاني الادب (ص ٧٤) ان الحبيس الذي زارهُ ابراهيم بن ادهم المتوفّى سنة ٧٧٨ للمسيح انهُ هو القديس سمعان العامودي المتوفّى سنة ٤٨٠ . ثم انَّ في روايتنا عن اعمال هذا القديس اختلافات كثيرة مع ما روى غيرنا فمن اين ذلك ؟

القديس سمعان العمودي ودير سمعان

ج قد سقط من شرحنا في هذه الصفحة سطر كامل بسهو صفّاف الحروف كما نبّهنا الى ذلك في ملحقات لنا على هذا الشرح . فانّنا كنّا كتبنا هكذا : « انّنا نظنّ انَّ هذا الحبيس [احد السماعنة الاربعة الذين اشتهروا بعيشتهم فوق العمود وكلهم قديسون واشهرهم] هو القديس سمعان . . . » فسقط السطر الذي تراهُ بين معكّفين . امَّا ما ورد من الاختلاف بين روايتنا ورواية غيرنا عن سيرة القديس سمعان العامودي الاوَّل بخصوص سنة ميلادهِ وزمن عيشتهِ على العمود وغير ذلك فانهُ ناجم عن اختلاف الروايات في ترجمتهِ . ولو اردنا تدوين هذه الروايات وما فيها من الآراء المتضاربة لرأى السائل العجائب الغرائب وتحقّق انَّ قولنا في سنة ميلادهِ ٣٦٠ اقرب الى الصواب . وكذلك في سني زهدهِ واقامتهِ على العمود اكثر من خمسة عشر رأيًا (راجع اعمال البولنديين المجلّد الاوَّل ص ٢٦١ — ٢٨٦) . امَّا موقع دير سمعان الذي ذكرهُ هنا القزويني وجعلهُ في جوار دمشق فقد وصفهُ ياقوت في معجم البلدان (٢: ٦٧١) وقال « انَّ عندهُ قبر عُمَر بن عبد العزيز » واليهِ اسندنا رأينا ل . ش

المشرق

ختام اليوبيل البابوي

للاب لويس شيخو اليسوعي

قد ادركنا منذ الاسبوع الاخير(١ بحسن عونهِ تعالى ختام اليوبيل البابويّ فاسعدَنا الحظّ بان نشاهد ما لم تحظَ قبلنا بمشاهدتهِ كنيسة الله في القرون الغابرة اللهمَّ الّا مرّةً في شخص الطيّب الذكر بيوس التاسع سلف قداسة ابينا وعظيم احبارنا لاون الثالث عشر المالك سعيدًا . فانَّ الكرادلة كانوا اذا أجلسوا على الكرسيّ الرسوليّ من اختاروهُ خلفًا لهامة الرُّسل بعد اداء فرائض الخضوع يسمعونهُ هذه الكلمة المشاعة: «لن ترى سني بطرس». فلمّا ملك البابا السابق وضبط زمام الرئاسة على الكنيسة جماء احدى وثلاثين سنة بنيفٍ انتقض هذا القول للمرَّة الاولى. ثم ظهر بطلانهُ ثانيةً في هذه الأيام الاخيرة في حبرنا الجليل وتاج راس كنيستنا البابا لاون فبلغ سني بطرس وبعد مضيّ شهرين ان شاء الله يربي على أيامهِ ايضًا (٢. وهكذا ظهرت عنايتهُ تعالى بكنيستهِ المقدَّسة اذ شدَّ ازرها بحبرين متواليين رعيا شعبهُ بدرايةٍ عجيبة في مدَّةٍ تنيف على نصفِ قرن. ومن ثمَّ نرى اليوم العالم الكاثوليكيّ يجدّد في نسبة ختام هذا اليوبيل

١) ارتقى لاون الثالث عشر الى السدَّة البطرسيَّة في ٢٠ شباط من سنة ١٨٧٨ امَّا حفلة تتويجهِ فكانت في ٣ اذار منها

٢) رعى بطرس الرسول كنيسة الله في رومية ٢٥ سنة وشهرين وسبعة ايام

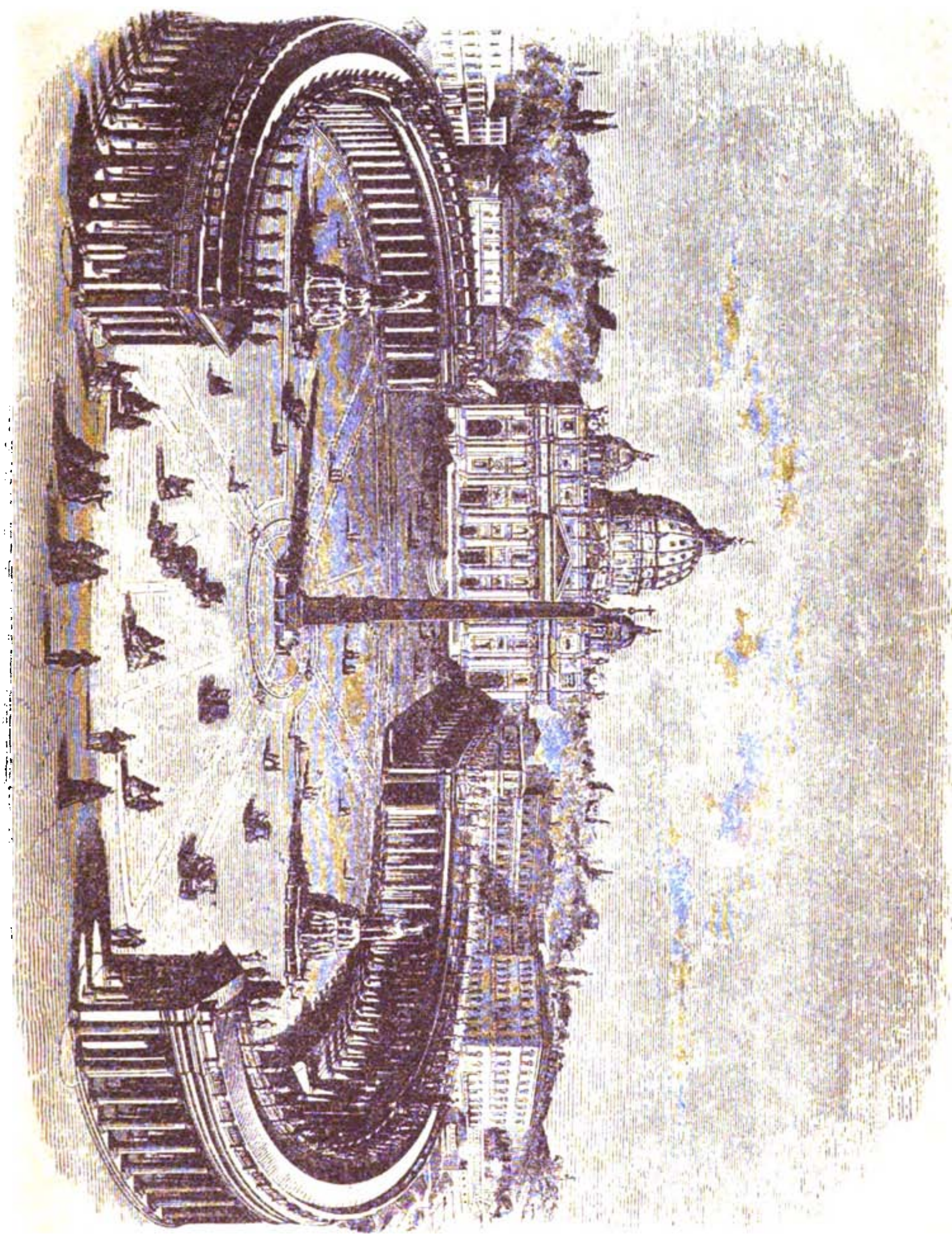
مظاهر الفرح ويكرّر مجالي الاكرام التي سبق فقدَّمها سلفاً في بدء السنة اليوبيليّة · وكان المشرق برز مع رصيفهِ البشير في بزّة العيد فلبس كلاهما ثوباً من البهاء والرونق استلفت الابصار واستعطف الخواطر

ولا يسعنا في ختام هذه السنة المباركة الّا ان نضيف صوتنا الضعيف الى اصوات اخوتنا اولاد البيعة المقدَّسة الرومانيَّة الارثذكسيَّة من جميع الشعوب والقبائل ونردّد معهم آيات الشكر للعزّة الالهيّة التي اصطفت في ايامنا هذه الحرجة ذلك الراعي الصالح والحبر المفضال وايَّدتهُ بروحها الاقدس وزانتهُ بالمدارك السامية والفضائل الزاهية والهمَّة العالية ليكون كسيّدهِ الذي ينوب عنهُ في الارضين « نورًا ينجلي للامم ومجدًا لشعبهِ اسرائيل » · ثم نرفع اكفَّ الضراعة الى ابي المواهب طالبين اليهِ بان يُنسئ في اجلهِ ويذلّل امامهُ المصاعب ويعزّي قلبهُ الابوي برجوع الخراف الشاردة الى الحظيرة البطرسيَّة فيتمّ في ايامهِ وعدهُ تعالى في انجيلهِ الطاهر بأن تتألف رعيَّة واحدة تحت راعٍ واحد

ولمَّا كنَّا في عامنا الماضي قد عدَّدنا مناقب امام الاحبار وبيَّنا قسماً من اعمالهِ الخطيرة ومشروعاتهِ الآئلة الى مجدهِ عزَّ وجلّ وخير الكنيسة رأينا هذه السنة ان نكتب فصلاً في هيئة الكرسي الرسولي ونظام البلاط البابويّ ليقف القرّاء على مفاخر الكنيسة الكاثوليكيَّة اورشليم الجديدة مدينة العليّ التي رآها الرسول يوحنَّا الحبيب نازلةً من عند الله كالعروس المزيَّنة لخطيبها المسيح (رؤيا ٢١ : ٢) ·

*

انَّ الكاثوليكيّ الصادق الامانة بل كل رجل صائب الفكر اذا ما اجال رأيهُ في النظام العجيب الذي امتازت بهِ الكنيسة الرومانيَّة من حيث وحدة رأسها وتوفُّر عمَّالها وائتلاف اعضائها وانتشار حيويَّتها الى اقاصي المعمورة لا يتمالك من تكرار كلام النبيّ بلعام اذ اطلق الله لسانهُ بازاء معسكر شعب اسرائيل وانطقهُ بما حرفهُ (عدد ٢٤ : ٥ الخ) : ما اجمل خيامَك يا يعقوب · واخبيتُك يا اسرائيل منبسطة كأودية وكجنّات على نهر وكاغراس عودٍ غرسها الربّ وكارز على مياه · · · جثا وربض كاسدٍ وكلبوءة فمن ذا يثيره · · · » · فهذا الكلام الشعريّ اللهجة يصدق في كنيسة المسيح اكثر منهُ في اسباط اسرائيل . ولا غرو لانَّ ما كان يعرض لبني اسرائيل انَّما كان رمزًا عن



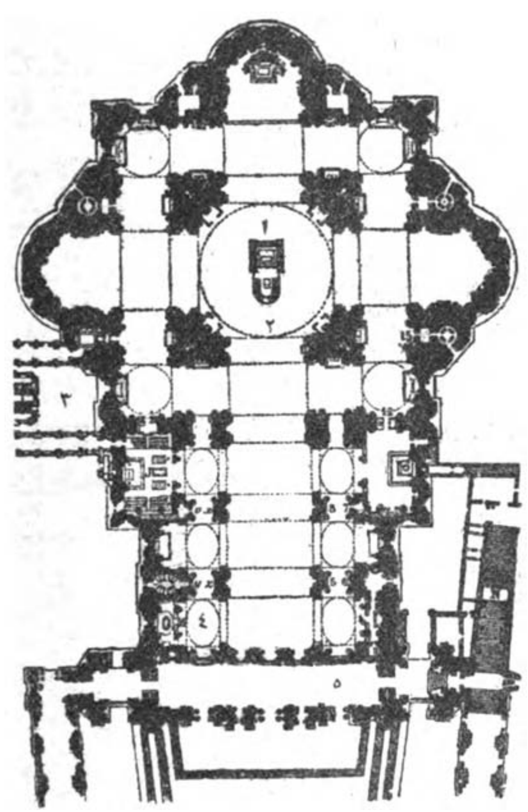
احوال شعب آخر جعل الله الاسرائيليين كصورتهِ وخيالهِ على حسب قول رسول الامم في رسالتهِ الاولى الى اهل كورنتس . وفي هذه النبذة مصداق لقولنا تبيّن ترتيب الكنيسة واتّساق دوائرها وانتظام اقسامها . ولايضاح غايتنا نتكلّم اوّلًا عن الحبر الاعظم ثمَّ عن حشمهِ ورجال بلاطهِ واعيان دولتـهِ ثم عن المجامع والدواوين التى تساعدهُ في قضاء الامور ثم عن العالم الكاثوليكيّ المدَّبر بعنايتهِ

١ الحبر الاعظم

﴿ اسمهُ والقابهُ ﴾ هو البابا ويدعوهُ العرب البابة او الباب (راجع المشرق ٥: ٢٠٨ و ٢٢٢) نائب المسيح على الارض . خلف هامـة الرسل بطرس الصفاة . راس الكنيسة المنظور امام الاحبار وراعي الرعاة . ابٌ عامٌّ لكلّ المؤمنين قُلّـد سياستهم دون استثناء . لهُ الحلُّ والعقد في تدبير شؤونهم الروحيَّـة يعلّمهم ويرشدهم وهو في تعليمهِ معصوم عن الخطإ « اذا ما علّمهم بصفة كونهِ راعيًا ومعلمًا لجماعة المسيحيين فاوعز اليهم بقوّة سلطانهِ السامي الممنوح لهُ من الربّ في شخص بطرس الرسول بان يعتقدوا احدى القضايا المختصة بالايمان والآداب » (كلام المجمع الفاتيكاني) . وللبـابا حقّ الرئاسـة على المجامع المسكونيَّة لا تثبت اعمالُها الّا بتقريرهِ . لهُ التصرُّف التامّ في اختيار البطاركة والكرادلة والمطارنة والاساقفة فيمنحهم ما شاء من السلطة والانعامات والامتيازات . ومع ان البابا راس بيعة الله هو ايضًا بنوع خاصّ بطريرك البلاد الغربيَّة وجاثليق ايطالية ومطران الاقليم الرومانيّ واسقف رومية . وهو فضلًا عن ذلك ملك زمنيّ يمتدُّ حكمهُ على الاملاك البابويَّة التي سُلبها في ٢٠ ايلول سنة ١٨٧٠ . فاضحى مذ ذاك الحين سجينًا اختياريًا في بلاطهِ يُقيم الحجّة كلّ عام على من غصبهُ مملكتهُ التي لا بُدَّ ان تعود اليهِ يومًا لاستقلال الكرسيّ الرسوليّ واتمام مهنتهِ السامية بملء الحريَّة

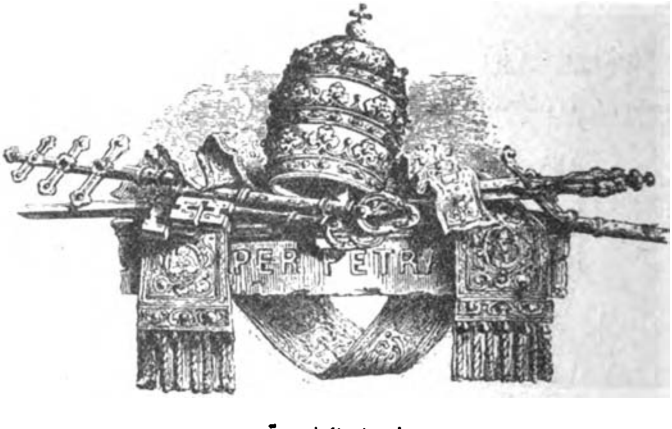
﴿ مقامهُ ﴾ الآن في الفاتيكان وهو قلّة من قُلل رومية السبع موقعهُ على الضفّة اليمنى من نهر التيبر وفوق هذه القلّة قصر ملكي طولهُ ٢٥٠ مترًا ذو ثلاث طبقات يسكنهُ الحبر الاعظم وحاشيتهُ . وهذا القصر عبارة عن ابنية فخيمة لا تجمع بينها هندسة عموميَّة لانها من عمل اجيال شتّى . وفيها من الردهات والقاعات والمقاصير والدهاليز والمعـابد والمتاحف والمكاتب ما لا يُحصى ولا يُقدَّر لهُ قيمة . وهذه المبـاني الجليلة قد عُني

بتشييدها ونقشها وتجهيز اثاثها اكبر المهنـدسين واعظم المصوّرين وابرع النقّاشين ممَّن ضُرب المثل في شريف اعمالهم كرفائيل وميكال انج وبرامنتي وليغوريو وفُنتانا. وفي الواتيكان من الآثار الدينيَّة والعاديّات والمخطوطات العزيزة الوجود ما لا يكفي لوصفهِ الوفٌ من المجلَّدات الضخمة. امَّا الرُّتب الدينيَّة فيقيمها الحبر الاعظم في الغالب في المعبد السكستيّ الذي تُرى في سقفهِ صورة الدينونة الاخيرة للمصوّر البارع ميكال انج. وللفاتيكان حدائق واسعة جامعـة كلَّ ما يروق العين نظرهُ من النبات والازهار والاشجار ولهُ مرصدٌ مجهَّز بكل الادوات الفلكيَّة التي تُرى في مراصد الدول الكبرى. والفاتيكان لاحق بساحة القديس بطرس الشهيرة (انظر الصورة ١) التي طولها ٢٤٠ مترًا في عرض ١٩١ م تحدق بها اربعة صفوف من الاعمدة الجباريَّة على شكل الاروقـة في عدد ٢٨٤ عمودًا. وفي وسط الساحة مسلَّة مصريَّة جُعلت هناك بهمَّة سكستس الخامس وعلى جانبها حوضان تفور منهما المياه على علوّ ستة امتار ونصف وفي اعلى هذه الساحة ساحةٌ اخرى اصغر منها يُرتقى اليهـا بدرج ومنهـا يُصعد الى كنيسة القديس بطرس اعظم كنائس المعمورة كلها (انظر رسمها هنا)



١ الهيكل البابوي = ٢ قبر الرسولين بطرس وبولس = ٣ الموقف (السكرستيا) = ٤ جرن المعموديَّة = ٥ الرواق = ٦ كرسي مار بطرس

يُدخل اليها من خمسة ابواب احدها لا يُفتح الّا في سنة اليوبيل كلّ ٢٥ سنة. وطول الكنيسة ١٨٧ مترًا ما خلا رواقها واكبر كنيسة بعد كنيسة القديس بطرس كنيسةُ القديس بولس في لندن لا يتجاوز طولها ١٦٩ مترًا. وكنيسة القديس بطرس على هيئة صليب في وسطها قبر الرسولين الاعظمين بطرس وبولس تحت قبَّة الكنيسة التي تبلغ من الحضيض الى الصليب الذي يعلوها ١٣٣ مترًا و ٦٩ سنتيمترًا وقطر القبَّة في اسفلها ٤٢ مترًا و ٢٠ س قد كُتب في دائرتها آية متى: انت الصفاة وعلى هذه الصفاة ابني كنيستي. والقبة محمولة على اربعة اقواس مُثّلت في جوانبها صور الانجيليين الاربعة بالفسيفساء وفي سقف القبة صورة الآب الازلي بالفسيفساء ايضًا. وفي اقصى السوق الوسطى من الكنيسة كرسي مار بطرس (اطلب الصورة ٢) وهو بناء فخيم من الشَّبَه المموَّه بالذهب في ضمنهِ الكرسي الخشبيّ الذي جلس عليهِ بطرس الرسول وخلفاؤهُ في قرون النصرانيَّة الاولى. ويحمل هذا البناء اربعة اشخاص عظيمة تُمثّل معلمي الكنيسة اثنان من الغرب وهما القديسان امبروسيوس واوغسطينوس واثنان من الشرق وهما القديسان اثناسيوس ويوحنَّا فم الذهب



الشعار البابويّ

﴿ لبسهُ ﴾ بزَّة البابا في بلاطهِ بيضاء تتركَّب من مدرعةٍ (soutane) حريريَّة لامعة ذات لِفقَين تضمُّها الازرار (وفي الشتاء تكون المدرعة جوخًا) وعلى حقويهِ منطقة من الحرير ينتهي طرفاها باهداب من الذهب. وعلى راسهِ قلنسوة خفيفة بيضاء

ربّما ابدلها بكُمّة واسعة من المخمل الاحمر محشّاة في دائرتها بجلد القاقم الابيض. واحذيته من الحرير الابيض مطرّز على وجهها رسم الصليب يقبّلهُ من يدخل على ابي المؤمنين (راجع المشرق ٤ : ١٣١). وفوق المدرعة كتونة بيضاء مطرّزة بتخاريم يعلوها رداء قصير من الحرير الاحمر وحول عنقهِ بطرشيل احمر مكفوف بالذهب (انظر صورة البابا الحالي في المشرق ٥ : ١٩٣) واذا خرج البابا الى حدائقهِ لبس قبعةً من اللبد الاحمر ذات رَعَثات من الذهب وتردّى برداء من الجوخ الاحمر فوق مدرعته

امّا ملابس البابا الحبريّة في الرتب الدينيّة فتشبهُ ملابس الاساقفة الّا انها افخر وممّا يختصّ بامام الاحبار دون غيرهِ تاجهُ المثلّث الاكلّة (tiare) ويدعوهُ الطليان المُلك المثلّث (triregno) دلالةً على سلطة البابا المثلّثة الممنوحة لهُ من المسيح كمعلم وكرأس الكهنوت وكراعٍ للكنيسة(١). وفي بعض الاعياد يُطاف بالحبر الاعظم محمولًا في محفّةٍ خاصّة بهِ. ولهُ عرشهُ البابويّ من الذهب الابريز يجلس عليهِ في اوقات معلومة وعلى جانبيهِ مذبّتان من ريش الطاووس. هذا فضلًا عن الخاتم الثمين الذي يختم بهِ مناشيرهُ وهو يُعرف بخاتم الصيّاد نسبةً الى بطرس الحواري الصيّاد. والخاتم المذكور يمثّل صورة القديسين بطرس وبولس مع اسم البابا

❊ شعارهُ ❊ للبابا شعار عامّ وشعار خاص. فالشعار العامّ يشمل كل الاحبار الرومانيين يتضمَّن: ١ً التاج المثلّث الذي سبق ذكرهُ. ٢ً المفاتيح اشارةً الى قول الرب الى بطرس: « سأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات ». ودلالةً على ذلك يوم تتويج البابا يُقدَّم لهُ مفتاحا كنيسة القديس يوحنّا اللاترانيَّة وهي الكنيسة الباباويَّة الكاتدرائيَّة واحد المفتاحين من ذهب والآخر من فضّة. ٣ً الصليب المثلّث العوارض يُحمل امام البابا في المواكب الدينيَّة. ٤ً راية الكنيسة الرومانيَّة يحملها احد اعيان رومية. اما الشعار الخاصّ فهو يختلف مع كل فردٍ من الاحبار العظماء. فانَّ شعار لاون الثالث عشر نخلةٌ في وسطها خطّ من النور وعند راسها على الشمال كوكب ذو ذؤابة وعلى جانبي جذرها زهرتان من السوسن

❊ مالية البابا ❊ مُنذ غُصب الحبر الاعظم املاكهُ لم يَعُد لهُ لمصروفهِ الخاص

١) والعالم الكاثوليكيّ في هذه السنة يقدّم للحبر الاعظم تاجاً مثلّثاً صاغهُ الصائغ الشهير اوغست ميلاني ويُعَدّ كاحدى آيات الصناعة في ايّامنا

ولنفقات اهل بلاطهِ سوى حسنات المؤمنين ومدخول بعض الاوقاف التي لم تتَّصل اليها يد المغتصبين. ومع قلَّة ذات يد الاب الاقدس تراهُ ينفق في وجوه الاعمال الخيريَّة وفي سُبل ترقيَ الكنيسة ما لا ينفقهُ اغنى الملوك. وقد نالت الكنائس الشرقية نصيباً عظيماً من هذا الكرم الحاتميّ الذي قيَّد قلوب جميع طوائفنا باسار حبهِ وشكر معروفهِ

﴿ الاوسمة البابويَّة ﴾ هي من خمسة اصناف: اوَّلها وسام القبر المقدَّس. وقد اناب الحبر الاعظم البطاركةَ اللاتينيين في القدس الشريف عنهُ في منح هذا الوسام الذي فيهِ اربع رُتب مختلفة وهو يمثّل صليب اورشليم المخمَّس. وثانيها وسام المسيح وهو اشرف الاوسمة واعلاها قدرًا ولا يُعطى الَّا نادرًا. وهو عبارة عن صليب لاتينيّ احمر محلًى بالميناء وفي داخلهِ صليب ابيض. ثالثها وسام بيوس التاسع انشأهُ هذا البابا سنة ١٨٤٧ وهو ذو اربع رتب يمثل كوكبًا مثمَّن الاشعَّة في وسطهِ اسم منشئهِ. رابعها وسام القديس غريغوريوس الكبير. وهو وسام عسكريّ ومدنيّ يمثّل صليباً لكل عارضةٍ منهُ رأسان وللوسام العسكري صفيحة ذات شعار حربي. وكلا الوسامين ينقسم الى اربع رتب. خامسها وسام القديس سلفسترس اضاف اليهِ غريغوريوس السادس عشر وسام مهماز الذهب. وهذا الوسام يمثل صليباً معلقاً بسلسلة من ذهب ولهُ رتبتان. وهو محصور في عدد معلوم من الاشخاص. وللباباوات اوسمة وانواطٌ اخرى غير رسميَّة يمنحونها من وقتٍ الى آخر. فان لاون الثالث عشر انشأ وساماً باسمهِ وهو عبارة عن صليبٍ من ذهب او فضَّة او نيكل يُعطى لمن ادَّوا خدماً خصوصيَّة للكنيسة وللحبر الاعظم (pro Ecclesia et Pontifice). فترى ممَّا سبق انَّ نوط « محامي القديس بطرس » لا يدخل في الوسامات البابويَّة

٣ الاسرة البابويَّة

ليس كلامنا هنا عن اهل البابا واقاربهِ وانَّما نريد المنصَّبين من الاقليروس والعاملين لخدمة البلاط البابويّ

١ً (كرادلة البلاط البابويّ) هم اربعة متعلقون بشخص الحبر الاعظم ويُعدُّون كوزراء دولتهِ وهم يسكنون في الفاتيكان. واعظم هؤلاء الكرادلة كاتب اسرارهِ وهو اليوم نيافة الكردينال رمپولَّا

٢ً (اعيان البلاط البابويّ) هم اربعة ايضاً القهرمان ومتولي تدبير الرتب الدينيَّة وكبير الحجَّاب . والمهردار

٣ً (الحجَّاب السرّيون) هم اليوم تسعة منهم مدير الجمعيَّات الخيريَّة وموزّع الصدقات ومنهم وكيل الخزينة البابويَّة . ومنهم كتبة البرآت والمناشير المرسلة للملوك والامراء . ومنهم كاتب اسرار السفارة يوفد الى الملوك والامراء القادمين الى رومية

٤ً (ناظر المعبد الرسوليّ) وهو الوافه يصون آنية المعبد الرسولي ويُعدّ لوازم الرتب الدينيَّة

٥ً (اهل الدار الرسوليَّة) وهم طبقات منهم شرفيُّون ومنهم من يتولَّى اعمالًا خاصَّة بعضها دينيَّة وبعضها عالميَّة واخصُّ هؤلاء المنصَّبين المساعدون للعرش البابويّ

٦ً (الحشم الرسولي) وهم اربعة من العالميين يتولَّون ادارة المستشفى البابويّ وهندسة الابنية في البلاط الرسوليّ وترميمها وادارة البريد والاصطبلات . ويُعَدّ منهم سفير الوردة الذهبية التي يمنحها البابا مرَّةً في السنة لاحد الاشراف

٧ً (اركان الجيش البابويّ) الحرس الشرفيُّون هم اليوم سبعة وسبعون شخصاً يترأسهم البرنس الرومانيّ ألتياري واليهم يُعزَى حامل الراية البابويَّة

٨ً (ضبَّاط الحرس السويسريّ) وهم ثلاثة يقودون ١١٧ جنديًا وكلهم من كاثوليك سويسرة المتطوّعين

٩ً (ضبَّاط الحرس البلاطي) وهم سبعــة وتحت امرتهم اربع فرق من الجند كل فرقة تتركَّب من ثمانين جنديًا

هذا الى مراتب اخرى متعدّدة كالوعَّاظ وجوقات المرتلين وخدَمة الرتب الدينيَّة. واذا اضفتَ اليهم نظَّار المكاتب البابويَّة ومحافظي متاحف الفاتيكان ومتوليّ نظارة المرصد البابوي بلغ عددهم نيِّفاً وخمسة آلاف شخص . ولكل هذه الرتب والمنــاصب الَّا القليل منها ثياب رسميَّة زاهية الالوان بهيَّــة الاشكال لا تكاد العين ترى من جنسها في بقيَّة الدُّول لمحافظة الاحبار الرومانيين على قديم العادات

٣ النظام الكَنَسيّ

وان كان رأس الكنيسة واحدًا تعود اليهِ كلُّ السلطة وبهِ تُناط كلّ الاعضاء فان النظام يستدعي في هذه الجماعة اقساماً متعددة نجدها في الكنيسة الكاثوليكية على

احسن مثال تتحدَّر اليها قوى الرأس الحيويَّة وتتشعَّب في كل عروق هذا الجسم العظيم

﴿ الكرادلة ﴾ اعلى رتبة في الكنيسة الكاثوليكيَّة الرتبة الكردينالية والكرادلة في الكنيسة كشورى الدولة وامراء البيعة اليهم يستند الحبر الاعظم في تدبير الامور وبينهم يُنتخب خلفاء الاحبار المتوفَّين. وهـذه الرتبة قديمة جدًّا في الكنيسة وكان الكرادلة في الاصل رعاةً لمؤمني رومية في احيائها الشتَّى ثم اختصَّهم الحبر الروماني بشخصهِ وجعلهم رتبةً منفردةً ودُعوا بعدئذٍ بهذا الاسم ومعناهُ « القطبيّ » لأنَّهم بمنزلة القطب عليهم مدار الامور. وقد اختلف عدد الكرادلة في تمادي الاجيال الى ان قرَّر البابا سكستوس الخامس بان يكون عددهم سبعين تنويهًا بالسبعين شيخًا الذين اتَّخذهم موسى لقضاء بني اسرائيل واشارةً الى تلامذة المسيح. والكرادلة على ثلاثة اقسام ستَّة منهم من رتبة الاساقفة وخمسون من رتبة الكهنة واربعة عشر من رتبة الشمامسة. وانَّما هذه الاسماء شرفيةٌ لانهُ يمكن ان يكون الاسقف من رتبة الكرادلة الشمامسة او الكرادلة الكهنة. ولكن لا يمكن ان يرقَّى احد الى رتبة كردينال اسقف او كردينـال كاهن الَّا ان يكون حقيقةً اسقفًا او كاهنًا. واعظم الكرادلة اسقف مدينة اوستية لهُ حقُّ التقدم وهو الذي يسقِّف الحـبر الاعظم اذا انتُخب كاهنٌ او شمَّاسٌ لرعاية الكنيسة. ومن الكرادلة المتازين الكامرلنغ وهو الذي يدبّر الامور بعد وفاة راس الكنيسة الى يوم انتخاب خلفهِ. والكرادلة ينصِبهم البابا وحدهُ في مجمع عموميّ ويعلن اسماؤهم للدول. وشارة الكردينالية قبعـةٌ من الحرير الاحمر ولبسهم من الارجوان. وجاريهم من الخزينة البابويَّة عشرون الف فرنك لكلّ واحد

وعدد الكرادلة اليوم ٦٠ كردينالًا رُقي واحد منهم الى هـذه الرتبة على عهد بيوس التاسع وهو الكردينال اوريليا دي سان ستيفانو وهو اسقف اوستية وكامرلنغ الكرسي الرسولي معًا والباقون كلهم قد اختارهم البابا المالك سعيدًا. وقد بقي عشرة مناصب كردينالية فارغة منـذ وفاة الكردينال باروكي مؤخرًا. امَّا جنسيَّة الكرادلة فتختلف على حسب مشيئة البابا واكثرهم عادةً الايطاليُّون لاسيَّما الرومان. والكرادلة الحاليُّون من اثنتي عشرة دولة

٢ ﴿ البطاركة ﴾ قد ذكر حضرة الاب ميشال تاميزيه ما يختص بالرتبة البطريركية وتاريخها وحقوقهـا (المشرق ٥ : ٤٣٣). وعدد البطاركة الكاثوليكيين في

زماننا اربعة عشر ثمانية منهم لاتينيون وهم بطاركة انطاكية والاسكندريَّة وقسطنطينيَّة (وهذه الكراسي الثلثة شرَفيَّة) واورشليم والبندقية ولشبونة والهند الشرقيَّة والهند الغربية. وستة شرقيُّون وهم ثلاثة بطاركة على انطاكية للروم الملكيين وللموارنة وللسريان ثم بطريرك قيليقية للارمن ثم بطريرك بابل للكلدان ثم بطريرك الاسكندريَّة للاقباط. ومن شارات البطاركة الدرع المقدَّس الذي يمنحهم ايَّاهُ الحبر الاعظم. وهم بقوَّة منصبهم يُعدُّون كمساعدين للعرش البابوي

٣ ﴿ الجثالقة ﴾ كانوا قديمًا يتولَّون شؤون احد الاقاليم تحت نظارة البطاركة وربَّما دعاهم كتبة الشرق باسم اكسرخس. وكان لهم سلطة على الاساقفة في دائرة نفوذهم. امَّا اليوم فصارت هذه الرتبة شرَفية تُعطى في اسبانية لصاحب كرسيّ طليطلة وفي فرنسة لمطران ليون وفي بلجكة لمطران مالين وفي ارلندة لمطران ارماغ وفي المانية لمطران كولونية وفي النمسة لمطران سَلزْبُرْغ وفي بوهيمية لمطران پراغ وفي ايطالية لمطران پيزة ولمطران سالرنو وفي بولونية لمطران غنيسن وپوزن ولمطران ڤرسوڤية وفي هنغارية لمطران غران وفي الجبل الاسود لمطران انتيڤاري وفي البرازيل لمطران سان سلفادور دي لا باي. وللجثالقة حقّ التقدُّم على رؤساء الاساقفة ويُمنحَون الدرعَ المقدَّس

٤ ﴿ المطارين او رؤساء الاساقفة ﴾ يبلغ عددهم في يومنا ١٩٤ مطرانًا خمسة وعشرون منهم شرقيُّون من طوائف شتى والباقون لاتينيون. ويضاف اليهم ٨٨ مطرانًا لهم كراسيّ شرَفيَّة من جملتهم القصَّاد الرسوليُّون

٥ ﴿ الاساقفة ﴾ على قسمين قسم يتولى رعاية المؤمنين في كراسي معلومة وعددهم ٧٧٢ اسقفًا. منهم ٥٣ شرقيُّون والباقون لاتينيُّون. وقسم آخر شرفيّ وعددهم ٣٩٢

٦ ﴿ السفراء الرسوليُّون ﴾ اربعة عشر ثمانية منهم في اوربَّة وستَّة في اميركة. هذا فضلًا عن المعتمدين الذين يرسلهم الحبر الاعظم لقضاء بعض الشؤون

﴿ النوَّاب الرسوليُّون ﴾ اكثرهم في الرسالات بين غير المؤمنين وعددهم ١٢٩ اسقفًا. ويضاف اليهم الولاة الرسوليُّون في عدد ٤٢

واذا جُمع عدد المنصَّبين في الكنيسة الكاثوليكيَّة بين كرادلة وبطاركة وجثالقة ورؤساء اساقفة واساقفة وسفراء رسوليين ونوَّاب بلغ المجموع ١٧٣١ مُنصَّبًا. هذا فضلًا

عن الاكليروسَيْن العالميّ والقانوني البالغين فوق الثمانمائة الف نفس. منهم في الرسالات الخارجية بين غير المؤمنين ستون الفاً

٤ الدواوين والمجامع الرومانية

لمّا كانت الكنيسة لا تزال تتّسع جيلاً بعد جيل وكان العالم الكاثوليكيّ كلهُ منوطاً بالكرسي الرسولي اقتضى الامر بان تُنشأ دوائر شتّى ودواوين مختلفة لمساعدة الحبر الاعظم في مهامّهِ ولعضدهِ في حل المشاكل المتعدّدة التي تعرض كلّ يوم للمؤمنين ولرعاتهم وقد بلغت هذه الدواوين والمجامع نحو الثلاثين لا يسعنا هنا تعدادها ونكتفي بذكر بعضها ليعرف القرّاء عناية الاحبار الرومانيين بكنائس المعمورة كلها اذ لا يفوتهم شيء من احوال مرؤوسيهم حتى في اقاصي الدنيا. واقدم هذه الدواوين « ديوان التفتيش » أُنشئ في القرن الثالث عشر لردّ غارات الهرطقات والاضاليل وحفظ وديعة الايمان سالمةً من كلّ شائبة. ويلحق بهذا الديوان « مجمع مراقبة الكتب » ليُحرَم منها ما كان مضادًّا للايمان او منافياً للآداب أُنشئ سنة ١٥٧١. ومن هذه المجامع « ديوان المجالس البابويّة » غايتهُ تهيئة الموادّ التي ينبغي البحث عنها في المجالس الكردينالية تحت رئاسة البابا. ومنها دواوين مختلفة لانتخاب الاساقفة والفحص عن اهليَّتهم والنظر في شؤونهم ودعاويهم وملازمتهم لأبرشيّاتهم وكذلك دواوين لمراقبة الرهبانيّات وصيانة رسومها والعناية بامورها. ومنها « ديوان المجمع » لتنفيذ قوانين المجمع التريدنتيني وحلّ المشكلات المتعلقة بهِ. ويلحق بهِ ديوان آخر يدعى « ديوان المجامع الاقليميَّة » غايتهُ فحص اعمال المجامع الخاصّة المنعقدة في كل بلد وتثبيتها. ومن الدواوين الشهيرة « مجمع انتشار الايمان » تتعلّق بهِ كل امور الرسالات بين غير المؤمنين في اربع خوافق المسكونة. ولهذا المجمع مكتبة غنيّة بالآثار الدينيّة ومطبعة شهيرة نشرت منذ نحو ٣٠٠ سنة الوفاً من الكتب الدينيّة والعلميّة في كل اللغات المعروفة. ويلحق بهذا المجمع ديوان خصوصي « لامور الطوائف الشرقيّة ». ومنها « ديوان الطقوس » لصيانة الفرائض الدينيّة ولتثبيت قداسة اولياء الله. ولكنائس رومية لاسيَّما كنيسة مار بطرس ديوان آخر لتنظيم رتبها الكنسيَّة. ومنها « ديوان الغفارين والذخائر » لمنح الغفارين الشرعيَّة ولفحص ذخائر الشهداء والقديسين قبل عرضها على المؤمنين ليكرموها. ومنها « ديوان الامور الكنسيَّة غير العاديّة » الحادثة في العالم مع الدول والممالك. ومنها دواوين لتنشيط الدروس اللاهوتيَّة

والفلسفية والتاريخيَّة وترويج اسواقها وتنظيم تعاليمها. وفي السنة المنصرمة قد انشأ البابا لاون ديوانًا جديدًا للدروس الكتابية وتفسير الاسفار المقدَّسة. ومن هذه الدواوين ايضًا « مجمع التوبة الرسولي » لحلّ الخطايا المحفوظ حلُّها لراس الكنيسة ورفع التأديبات البيعيَّة وتبديل النذور والنظر في شرعية الزواج والحكم في المشاكل الادبيَّة. ومجمع « الداتاريا » لتحليل موانع الزواج وتوزيع المناصب ذوات الرواتب (bénéfices) وغير ذلك . واخيرًا ديوان « الروتة » وهو شبيه بوزارة العدليــة الَّا انهُ يختصّ بالحقوق القــانونية . وهذا الديوان قد ضُمَّ اليوم الى ديوان الطقوس. وكل هــذه الدواوين يرأسهــا الكرادلة ولها جماعة من المستشارين والكتبة ولها جلسات تعقدها في ايَّام معيَّنة واذا اتَّفق اصحابهــا على شيء رفعوهُ الى امام الاحبار ليحكم فيهِ حكمًا نهائيًا. وقد اجملنا فيها الكلام فانَّ التفاصيل عنها تستــدعي شرحًا مطوَّلًا لا يمكننا الخوض فيهِ

• الكاثوليك

رأيت في الاقسام السابقة ان الكنيسة في نظامها كجيشٍ مصفوف تحت الرايات كما وصفها الكتاب الكريم (سفر الاناشيــد ٦ : ٣) غير انَّ نظامها هذا لا يتمّ الَّا بالشعب المسيحيّ الذي تراهُ منتشرًا في كل اقطار العالم لا تخلو منهُ البلاد النازحة ولا الجزائر القاصية. وهذا الشعب في نماء متواصل وقد رأينا احصائين حديثين لآخر السنة المنصرمة فاذا فيهما عدد الكاثوليك يُربي على ثلثمائة مليون. وما هو جدير بالاعتبار انَّ شعوبًا جديدة لا تزال تحني المناكب لنير المسيح اللّين وتدين بالنصرانيَّة لا قسرًا وكرهًا بل بطيب القلب وقد رأينا هذه الامم بعد ارتدادهــا قد جحدت كلَّ اباطيلها ومارست الفضائل السامية وربَّما اراق المحدثون في التنصُّر دماءهم في سبيل الايمان كما شُوهد في الصين والتُّبَّت والتُّنكين وفي اواسط افريقية. ولا نتَّسع هنا في الشرح بعد ما كتبناهُ منذ سنتين عن الكثلكة في القرن التــاسع عشر (راجع المشرق ٤ : ١٠٠٩ و ١٠٨٧)

وفي الختام نتمنَّى ان يزداد كلَّ يوم شعب الله عددًا وصلاحًا تحت نظارة صاحب اليوبيل وراعي الاغنام الناطقة الى أن يثيبهُ الله بعــد سنين عديدة ثوابًا واسعًا لحسن متاجرتهِ بالوزنات اللهمَّ امين

حِكَم بُزُرْجمهر

توطئة

قد اشاد الفرس بذكر احد حكمائهم المبرّزين يُدعى بُزُرْجُمهر ومعناهُ الشمس العظيمة وهم كثيرًا ما يروون عنهُ الاقاويل الحكمية والامثال السائرة وضربوا بحكمتهِ المثل. وقد وقفنا في احد جامع مكتبتنا الشرقية على فصل يتضمَّن قسمًا صالحًا من حكم هذا الرجل الشهير. وهذا المجموع قدم مرَّ وصفهُ سابقًا وعنهُ اخذنا عدَّة مقالات حسنة منها مقالة مكارم الاخلاق للثعالبي (٣: ٢٨) وكتاب السياسة للفارابي (٤: ٦٤٨) ورسالتي الطير لابن سينا وللغزَّالي (٤: ٨٨٢) ونخبة من حكم علي بن ابي طالب (٥: ١٠). وحكم بزرجمهر المذكورة قد وردت في اثر حكم امير المؤمنين عليّ. وهي عبارة عن تسع صفحات

امَّا ترجمة بزرجمهر فلا نعلم منها شيئًا ثبتًا مع كثرة اخبارهِ في خرافات العجم. وما يُستخلص من كتبهم ومن تواريخ العرب كالمسعودي في مروج الذهب والثعالبيّ في ملوك الفرس (ed. Zotenberg) انَّ بزرجمهر وهو ابن البختكان ولد في مرو من اعمال خوارزم في القرن السادس للمسيح فتلمذ لبعض حكماء بلدتهِ واخذ عنهُ العلوم. فحدث ان كسرى انو شروان رأى منامًا ازعجهُ فلم يمكن احد منجميّ بلاطهِ ان يفسرهُ لهُ الى ان بلغهُ خبرُ بزرجمهر فاستقدمهُ ووقف بهِ على معنى حلمه ففسَّرَ الملك وقدَّم بزرجمهر على اعيان دولتهِ واستوزرهُ ثم نكبهُ وحبسهُ وطالت ايامهُ في المحنة حتَّى كُفَّ بصرهُ. ثم احتاج اليهِ انوشروان واسترضاهُ وكرَّمهُ وبقي بُزُرجمهر في منصبهِ الى ايَّام كسرى ابرويز فخدمهُ ثلاث عشرة سنة ثم اتَّهمهُ هذا الملك بالميل الى بعض الزنادقة من الثنويَّة فنكَّل بهِ وضرب عنقهُ. فتكون وفاة بزرجمهر على هذا الحساب وقعت سنة ٦٠٣ للمسيح
ل. ش

(٩١[r]) قد كان بزرجمهر عمل في اول مملكتهِ في اجتناء الآداب من مظانّها وطلب الحكمة من معادنها ثم أُعين بفهمٍ وغزير عقل وكمال لبٍّ (٩١[v]) ولم يكن كسرى انوشروان عرفهُ ولا علِمَ ما عندهُ. وان كسرى جمع ذات يوم اولئك الحكماء فدخلوا عليهِ جميعًا ودخل معهم بزرجمهر وهو يومئذٍ حديث السن فطعموا واخذوا مجالسهم لمناظرة الحكمة بين يديهِ ومطارحات الادب عندهُ. فامرهم ان يظهر كل واحد ما عندهُ من الحكمة البالغة والآداب النافذة وامر بتفقد كلامهم ليُعمِل فيهِ رأيَهُ ويتفرَّغ للنظر في مخارجهِ. فتكلَّم القوم جميعًا بما حضرهم من جوامع الادب وفنون الحكمة فلما فرغوا قام بزرجمهر ماثلًا امام الملك وقال: ان رأى الملك ايَّدهُ الله ان يأذن لي في الكلام فان

عندي حكمة بالغة وادبًا ثاقبًا وعلمًا جامعًا احببتُ ان اظهرهُ للملك فان الحكيم ليس بلوم في اظهار حكمتهِ وابداء باطن آدابهِ ومكنون علمهِ. قال لهُ كسرى: دونك فتكلّم. فقال بزرجمهر: ان افضل الاشياء بلاغ الايجاز. والاكثار ضلال. والباطل خيال. الدنيا سَفَر والآخرة غاية. من ثقل الحقّ يُفلح لهُ ومن عمي عنهُ يُفلج عليهِ. لكل حق حقيقة ولكل انسان خليقة. فليُلتمس من الامور حقائقها ولتُجرَ الامور على طرائقها. واسُّ الامور معرفة الله وعمودهُ خوف الله وذروتهُ طاعة الله. ومن يُطع الله يرفعهُ ومن يتعزّز عليهِ يُذلّهُ. القصد اقرب من التعسُّف والكفُّ اهون من التكلف والتقدّم انجى من التخلُّف. اقرب العدو ذو القرابة واصدق الاصدقاء البعداء. كن في الدنيا ببدنك وفي الآخرة بقلبك. واجترِ بما يُجتَجزأ ولا تعبأ بما لا يُعبأ. وايّاك وما يُستهوى. الصدق قوةٌ والكذب عجزٌ. والسرّ امانةٌ. والجوار قرابةٌ. والمعرفة (92r) صداقةٌ. والعمل تجربةٌ. والخُلق عادةٌ. والرفق لبٌّ. عداوة العاقل اسلم من مودّة الجاهل. القويُّ من امسك عمّا يضرُّهُ. الصمتُ زينٌ. والسخاء غنًى. والشحّ فقرٌ. والضعيف من قوي على ما لا ينفعهُ والغنيُّ من غني بقوتهِ. كن في التواضع في العلم كالجاهل. وكن في الاقتصاد في المنطق كالعيّ. واحتمل من العلم ما لا يحتمل من العمل بهِ. واكتفِ من المنطق بالكفاف. فان غُلبت على العلم لا تُغلب على الصمت فان الصمت سبيل البلغاء وهو اجلب للمودّات وانفى للحسد. واذا تعلمت علمًا فاحفظهُ فانّ اضاعة العلم نسيانهُ. المجانبة تبطل العداوة. وتمحق البغض القديم. ثم لتكن رغبتك في جمع المال كرغبتك في انفاقهِ في وجوهِهِ. ولا تكن في انفاقهِ اقلّ حرصًا منك في جمعهِ. فِرَّ من الجهل واهلهِ فانهما كالجيفة من مرَّ بها لم ينجُ من رائحتها. اعطِ العدل من نفسك الرضا منك. ولا تجعل اذنك وعاء لمن القى اليها. ولا يكونن رضاك وغضبك بيد غيرك. اقبل العذر ممّن يعتذر اليك. ولا تتكلّم بما لا ينفعك فتكون كالمرسل سهمهُ. ولا تطلب الامور مدبرةً. ولا تطمح الى ما ليس لك فان ذلك مفتاح الفقر. القليل يجزئ من الكثير والكثير لا يغني من القليل. من تواضع للمعلمين تعلّم. ومن ذلَّ للعلماء سادَ. لا تُشنزنَّ من فوقك فان ذلك سخفٌ منك ولا تحقرنَّ من دونك فان ذلك لومٌ. العلمُ يرفع الوضيع والجهل يضع الرفيع. من عرف الله رغب في طاعتهِ

فلمّا سمع كسرى انوشروان ذلك من بزرجمهر وعلم ما ظهر من حكمتهِ

وكمال ادبهِ وذكاء عقلهِ امر فكُتِبَ اسمهُ اول اسامي اولئك الحكماء وامر لهُ بصلةٍ جزيلة وقرَّب مجلسهُ فوق مجالس اصحابهِ

وان كسرى فرَّغ نفسهُ ذات يوم لمثافنة الادب واستماع الحكمة فجمع اليهِ وزراءهُ والحكماء ممَّن ببابهِ (92^v) واشراف مرازبتهِ وامر بزرجمهر فتصدَّر لهم ليُلقوا اليهِ المسائل من الحكمة التي تنفع سامعيها وتزيد عقول معلميها فأنبرى لهُ احدهم فقال لهُ: ايُّها الحكيم ما بيان القضاء والقدر. قال بزرجمهر: بيانهما ان ترى العاقل اللبيب فقيرًا والجاهل الضعيف موسرًا. ثم سُئل: ايُّ الناس افضل. قال: مجتهدٌ في الخير ساعدهُ القدر. سُئل: ايُّ الخصال بالمرء اجمل. قال: وقار بلا مهابة وسماح بلا طلب مكافاة واجتهاد بلا طلب دنيا. سئل: اي خصلة واحدة في الانسان اعظم ضررًا. قال: بصرهُ بعيوب الناس وقلّة بصرهِ بعيوب نفسه. سئل: بما تُقاس الامور. قال: يُقاس العقل بالحلم وصلاح الشيم بالقناعة والطبائع بالمروَّة. سئل: اي الاشياء احقُّ ان يُحترَس منهُ. قال: لا شيء احقُّ ان يُحترس منهُ من العُجب واتباع الهوى وفرط التواني في الاعمال المهمَّة. سئل: اي السخاء افضل. قال: افضل السخاء ما ابتدأتَ بهِ قبل السؤال وترك طلب المكافاة عليهِ. كل سخاء ليس عن هشاشة فانهُ داع الى التبرع والتماس قروض الدنيا وطلب المكافاة ومن كانت هذه صفتهُ لا ينبغي ان يسمَّى سخيًا بل تاجرًا. سئل: اي شيء اقرُّ للعين. قال: الولد الطيِّب والزوجة الصالحة. سئل: مَن احقُّ بالرحمة. قال: الكريم الذي تسلَّط عليهِ اللئيم والبرُّ الذي تسلط عليهِ الفاجر والعاقل الذي تسلَّط عليهِ الجاهل. سئل: ايُّ الناس اشدُّ ندامةً عند الموت. قال: العالم المفرط في عملهِ. سئل: ايُّ الناس اشدُّ ندامةً في الحيوة. قال: الفَجور اذا رجع على نفسهِ باللائمة وصانع المعروف الى من لا يستحقهُ. سئل: من اولى باللائمة. قال: من كفر معروفًا اصطُنع اليهِ ولم يشكرهُ واضاع مودَّة اخوانه وتهاون باهلهِ واقاربهِ ولم يلتفت اليهم. سئل: (93^r) مَن احقُّ ان يُتَّقي ويُخاف. قال: الامام الجائر والاخ المخادع. سئل: اي شيء احقُّ ان يُستأنس بهِ. قال: الزمان الصالح والاخ الودود. سئل: اي الزمان افضل. قال: ما لم تكن الغلبة فيهِ للاشرار. سئل: اي الاخوان افضل. قال اشركهم في الضرَّاء وافضلهم في السرَّاء. (لهُ تتمَّة)

نظرٌ

في اخصّ العاديَّات المكتشفة آخرًا في سوريَّة

للاب لويس جلابرت اليسوعيّ (تتمَّة)

٢ عاديَّات يونانية رومانية

العاديَّات اليونانيَّة المكتشفة في سوريَّة اوفر عددًا من العاديَّات الفينيقيَّة الَّا انَّ



اثر حمص

اسرارها عويصة ورموزها خفيّة لاسيّما ما يختصّ بالديانات الشائعة في سوريّة فانّ الآلهة المبودة في بلادنا قبل دخول اليونان تراها تتزيّا بعدهم بازياء يونانيّة وتبرز في صور جديدة بحيث يصعب تعريفها وبيان خواصها. الّا انّ الاثريّين واهل البحث لا يزالون في كلّ يوم يميطون عنها استارها الحاجبة لها. وهاك ما استفدنا من ذلك في بحر السنة المنصرمة

كان حضرة الاب هنري لامنس وقف في مدينة حمص على اثر جميل من عهد الرومان يمثل اربعة اشخاص (راجع الشكل ص ٢٠٨) مع اسماء اصحابها باليونانية ثلاثة منها معروفة وهي اسماء الآلهة بالوس او البعل (Βῆλος) ويريبولوس او يربعل (Ἰαρέβωλος) واجليبولوس او عجلبعل (Ἀγλίβωλος). امّا الاسم الرابع فكان في كسرٍ من الحجر لم يبقَ منهُ الّا ثلاثة احرف وهي سام (CEM) فأعمل حضرة الاب سبستيان رنزڤال فكرتهُ في هذا الاسم حتى انجلت لهُ حقيقتــهُ (١ وعلى رأيه انّ هذا احد اعلام الإلاهة اثينة (Ἀθηνᾶ) او مينرفة التي كانت تُعرف في بعض المحلّات باسم سيميا (ΣΙΜΙ او ΣΕΜΕ او ΣΕΜΕΑ) كما اثبت ذلك العلاّمة پردیزه (Mr Perdrizet) في المجلّة الاثريّة (R A, 1898, I, 39) فاستدلّ الاب رنزڤال على انّ عبادة هذه الإلاهة كانت شائعة بين حمص وحماة. وهو امرٌ قريب من الصواب سيبيّنهُ حضرة الاب بمقالة مطوّلة لما في بيانهِ من الشأن الخطير لتاريخ الديانة في سوريّة ايّام اليونان

وممّا اكتُشف ايضاً في السنة الماضية من العاديّات اليونانيّة اثرٌ آخر اقرب الى زماننا من الاثر السابق لم يُعرف حتى الآن اين وُجد. وفي هذا الاثر صورة إله غريب الشكل تراهُ ممتطياً جوادًا ولابساً لبس اهل آسية (٢. فالاثري الشهير موسيو هوزي (Heuzey) بعد نظر مدقّق في هذه الصورة ومقابلتها مع الصور المعروفة قبلهُ استنتج انّها من الصور الشمسيّة التي اتّخذها الشرقيّون لعبادة نيّرنا الاعظم كما فعل اليونان الذين عبدوا الشمس تحت صورة الاله هاليوس (Ἥλιος) . ومن العاديّات التي تشبه هذه الصورة اثرٌ اكتُشف سابقاً في قرية الفرزل من البقاع

١) راجع المجلة الاثريّة (R A. 1902, I p. 387 - 392) ومجموع ابحاث الاكادمية C R. A. 1902, p. 235-237

٢) Comptes – rendus de l'Académie 1902, p. 190-192

ومع الصورة التي نحن في صددها كتابةٌ فسّرها المسيو هوزي على هذا النمط :

« قد اقام مزبناس ومرقس ابنهُ هذا النصب تذكاراً للاله جنياس (Γηνεας) الاله الوطنيّ في شهر دستروس في سنة ٥٠٧ »

وهذا التاريخ يوافق شهر آذار من سنة ٢٣٤ لصور. ومن المحتمل ان يكون التاريخ تاريخ الاسكندر فتوافق السنة ٥٠٧ لسنة ١٧٥ لليونان

وقد خالف المسيو كلرمون غانو (١ هذا الشرح في بعض دقائقهِ وزعم انّ جنياس ليس بدلًا من « الاله » بل مضافًا اليهِ فيكون المعنى: قد اقام... لاله (رجلٍ معروف باسم) جنياس » وعليهِ لا يكون جنياس اسم اله بل اسم رجلٍ انتسب الى إله مجهول. وقد اتى المسيو كلرمون غانو ببعض كتابات تؤيد قولهُ منها (θεὸς Αὔμου) اي إله (رجل يسمّى) اوموس و (Θεὸς Οὐασεάθου) و (Θεὸς Ἀμέρου) اي إلهُ اواسياثيسَ والهُ اميروسَ. الّا انّ هذا الرأي ليس بقول فصلٍ والعلماء لا يزالون في ريب عن صحّة تفسير المسيو كلرمون غانو لانّ الامثال التي عرضها مُشتَبَهٌ بها وقد جاء الاوّل منها على صفة بدلٍ في بعض الكتابات (٢. ولعلّ الزمان يكشف اللثام عن هذا المعمّى فنعرف ان كان جنياس علمًا لبعض الالهة الساميين كما رجّح المسيو هوزي او اسم رجل بعينهِ كما ظنّ المسيو كلرمون غانو وهو مع ذلك لم يقطع بحكمهِ

٣ عاديات بادية الشام

بادية الشام غنيّة بالكتابات القديمة ولا يزال منها شيء كثير مطمورًا في اطلال تلك النواحي. وممّن وقفوا النفس في استخلاص هذه الآثار العلّامة الشهير المسيو دوسو (Mr Dussaud) الذي سبق المشرق (٤ : ٣٢٩) وعرف كثيرًا من اكتشافاتهِ (٣. وقد عاد ثالثــةً الى تلك الجهات فسافر من دمشق في آذار من سنة ١٩٠١ وطاف بادية الشام ميمّمًا الجنوب فاجتاز بلاد اللجا من مسميّة الى نجران بميلــة الى غربيّ الطريق الرومانيّة الجارية من دمشق الى بُصرى. ولم يتوقّف المسيو دوسو طويلًا في اللجا

---

١) راجع مجموعةُ R A O., V. p. 154-163

٢) راجع كتابات العلّامة وادنغتون (W. 2393)

٣) راجع ايضًا تآليفهُ. R. Dussaud: *Voyage au Safa.* = Id. ; *Etudes sur les Nosairis.* = Id.: *Voyage en Syrie.*

وكان سبقهُ اليهِ غيرهُ من العلماء كوادنغتون ودي ڤوكويه وإڤنغ (Rev. Ewing) فنقلوا كتاباتهِ لكنهُ اسرع الى جبل الدروز سائرًا على طريق سُلَيم والقنوات وعتيل والسويداء والرحا وحبران وصلخد وعرمان وجمع في مسيرهِ عددًا وافرًا من المخطوطات فضلًا عمَّا استفاد من الرسوم الجغرافيَّة واحوال السكَّان في تلك الانحاء. ثم توجَّه الى الشرق ودخل الحرَّة فلقي فيها من الكتابات ما جاوز آمالهُ لولا اضطرَّتهُ اسبابٌ عرضت لهُ الى العود السريع الى دمشق قبل ان يتمم عملهُ. ولم تدم رحلتهُ هذه الَّا ستَّة اسابيع وكانت مع ذلك كثيرة العوائد واسعة الجدوى اذ انهُ عاد من بلاد الصفا ومعهُ ٩٠٠ كتابة جديدة بلغات شتَّى. اكثرها باللغة الصفويَّة التي لم يفكّ العلماء اسرارها الَّا منذ زمن قليل (راجع جدول حروفها في المشرق ٤ : ٣٢٩). وقد لقي مع هذه الكتابات التصاوير عينها التي سبق وصفها هناك وهي تدلُّ على تنقُّل قبائل العرب في تلك الاقطار وتعرّف كثيرًا من احوالهم المجهولة

ومن هذه الكتابات ما خُطَّ باللغة النبطيَّة يبلغ عددها ست عشرة ومنها باليونانيَّة وباللاتينيَّة (١ عددها ١٦٧ ومنها اخيرًا ٣٤ كتابة عربيّة. وهذه الكتابات لم ينشر منها المسيو دوسُّو إلا النزر القليل (راجع المشرق ٦ : ٩٣) وانَّما شرح فقط آخرًا اخبارَ رحلتهِ وما وجدهُ من الكنوز العلميَّة اجمالًا (٢ فاذا ما ابرز مكتشفاتهِ أفدنا القرَّاء عن مضمونها

وممَّا يبشّرنا بهِ المسيو دوسُّو في معرض رحلتهِ فوائد عديدة في تعريف جغرافية تلك الجهات وفتح الانباط لاقصى جنوب حوران على عهد اليونان والرومان وفي تخطيط السكك الرومانية وفي الحصون المشيَّدة على اطراف بلاد العرب المحوَّلة بعد ذلك الى اديار على عهد ملوك الروم وكذلك وعد القرَّاء بانهُ يبيّن لهم بالبراهين القاطعة اشتقاق الخطّ العربيّ المعروف بالكوفيّ من الخطّ النبطي وفي عزمهِ ان يختم ذلك

---

١) لم ينشر المسيو دوسُّو من هذه الكتابات اللاتينيَّة الَّا كتابة وحدة وليست هي كما يظنّ مجهولةً لانَّها نُشرت سنة ١٨٩٦ في مجلَّة « اصداء سيّدة فرنسة »

٢) راجع مقالتهُ في المكتب العلمي الفرنسي C R A., 1902, p. 251-264 = Rapport sur une Mission dans le désert de Syrie par René Dussaud.

ببحث اثري عن جامع بني امية في دمشق ونحن نتمنى ان يطلعنا قريباً عن كل هذه الدفائن الثمينة

وكنا قبل ختام هذه المقالة نودّ ان نفيد القرّاء علماً عن اكتشافات ارباب البعثة الالمانية الذين تولّوا الحفر في بعلبك واعادوا الى هذه الآثار قسماً من رونقها القديم ولكن توقفنا عن ذلك ليكون الفضل السابق في نشرها لاصحابها فاذا ما نُشرت اسرعنا الى تدوين خلاصتها

فترى من هذا النظر العمومي انّ بلادنا ميدان تجري فيهِ العلماء كجياد يتسابقون باكتشافاتهم الى ذروة المجد ويسرُّنا ان نرى مواطنينا ينهجون ايضاً نهجهم ليجاروهم في هذا السباق الجليل

الدليلُ المبين

في ائمَّة اللغة من الاقدمين والمُحدثين

لحضرة اللغويّ النقّاد والكاتب العالم والباحث المتفنّن الاب انستاس الكرملي

ادرج حضرة الاستاذ الفاضل سعيد افندي الشرتوني مقالة في مجلّة المقتطف ترجمها « الدقائق العربيَّة » (المقتطف ٢٥ : ١٠٥ الخ) واستشهد لتأييد بعض تلك الدقائق بكلام بعض المولّدين والمحدثين وافاد بها كثيرين . ثم سأل على اثر ذلك احد قرّاء تلك المجلّة (٢٥ : ٢٦٨) سؤالًا لم يُجب عليهِ احدٌ الى الآن وهو هذا ندرجهُ بنصهِ الحرفيّ ليطّلع القارئ عليهِ . قال :

« اطّلعت على ما كتبهُ الاستاذ الشرتوني في الدقائق العربية وكنتُ كلّما قرأتُ دقيقة منها ورأيت شواهدها اقول في نفسي تُرى هل يجوز ان نأخذ بعض الكتاب النابغين من المحدثين ونحذو حذوهم في ما خالفوا بهِ المتقدمين ؟ — وان كان ذلك غير جائز ما دام الكاتب منهم في قيد الحياة ولا اذا مرّ عليهِ قرنٌ او قرنانِ فكم هي السنون الشرعية التي يجب ان تمرّ حتى يصير قول الكاتب حجَّةً يؤخذ بها كقول الاشمونيّ مثلًا في « عوض عن حرف » او حتى يصير كلام من كان مثل الجبرتيّ حجّةً مثل كلام ابن الاثير من حيث اللغة . واني اطرح هذا السؤال على حضرة الاستاذ الشرتونيّ ومن حذا حذوهُ من علماء اللغة عسى ان يتوسّعوا فيهِ ويدلّونا على الحدّ

الذي نقف عندهُ الآن في الاعتماد على الكُتَّاب الاقدمين ويضعوا لنا قاعدةً نعرف بها مقدار السنين التي يرجع فيها في المستقبل الى ما مضى من هذا القبيل فنعلم منها عدد السنين التي يجب ان تمرّ حتى يصير استعمال الكُتَّاب في عصرنا هذا قاعدةً يُجرى عليها . » اه

وكما انني لم ارَ احدًا قد اجاب على هـذا السؤال فاحببتُ ان أُجيب عنهُ بلسان المشرق الزاهر تعميمًا للفائدة فاقول :

ينحصر هذا الكلام في سؤالين او قضيتين : ١ً ما هي المدة الشرعيَّة اللازمة ليُتَّخذ قول الكاتب حُجَّة لغويَّة يؤخذ بها ؟ ٢ً هل يجوز لنا ان نأخذ مآخذ بعض الكتّاب النوابغ من المحدثين ونحذو حذوهم في ما خالفوا بهِ المتقدمين ؟ فأُجيب :

١ً ما هي المدة الشرعيَّة ليُتَّخذ كلام الكاتب حُجَّةً يؤخذ بها ؟

ليس من مدَّة شرعيةٍ معيَّنـةٍ تُخرج الكاتب من عالم الخمول الى عالم الاحتجاج بكلامهِ بل اللازم في مثل هذا الصـدد ان يكون المتكلم « فصيح الكلام متعمّدًا إيّاهُ موثوقًا بعربيتهِ » فان اختلَّ هذا الشرط بشيءٍ منهُ لم يَجُز اتباع الكاتب او تأثُرهُ في شيءٍ من كلامهِ ولو كان « من اهل الجاهليَّة » . وهذه القاعدة العامَّة تُستَخلَصُ من ائمة العرب الذين دوَّنوا اللغة في صدر الاسلام اذ انَّهم لمَّا همُّوا باثبات قواعد النحو واللغة لم يحتجُّوا بشيءٍ من اهل الجاهليَّة ممَّن خالفوا قواعد اللغة الفُصحى . قال السيوطي في كتاب الاقتراح (ص ٢٢ من طبعة دائرة المعارف النظاميَّة في حيدرآباد) ما نصهُ :

واما كلام العرب فيُحتجّ منهُ ما ثبت عن الفصحاء الموثوق بعربيَّتهم . قال ابو نصر الفارابي في اوَّل كتابهِ المسمَّى « بالالفاظ والحروف » : كانت قُرَيش اجود العرب انتقـادًا للافصح من الالفاظ واسهلها على اللسـان عند النطق واحسنها مسموعًا وأبينها ابانةً عمَّا في النفس . والذين عنهم نُقلت اللغة العربية وبهم اقتُدي وعنهم أُخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم « قيس وتميم واسد » فان هؤلاء هم الذين عنهم اكثر ما أُخذ ومعظمهُ وعليهم اتُّكل في الغريب وفي الاعراب والتصريف ثمَّ « هذَيل وبعض كنانة وبعض الطائيّين » ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم وبالجملة فانهُ لم يؤخذ عن حضريّ قط ولا عن سكَّان البراريّ ممَّن كان يسكن اطراف بلادهم التي تجاور سائر الامم الذين حولهم فانهُ لم يؤخذ لا من لخم ولا من جذام فانهم كانوا مجاورين لاهل مصر والقبط ولا من قضاعة ولا من غسَّان ولا من اياد فانَّهم كانوا مجاورين لاهل الشأم واكثرهم نصارى يقرأُون في صلاتهم بغير العربية . ولا من تغلب ولا النمر (١ فانهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونانيـة .

١) كذا وفي المزهر (١ : ١٠٥) وقد ذكر هذا النصّ يقول « واليمن » . (قلتُ) ورواية « النمر » اصحّ لانهم كانوا من سكَّان الجزيرة

ولا من بكر لانهم كانوا مجاورين للنبط والفرس ولا من عبد القيس لانهم كانوا سكّان البحرين مخالطين للهند والفرس ولا من أزد عمان لمخالطتهم للهند والفرس ولا من اهل اليمن اصلًا لمخالطتهم للهند والحبشة ولولادة الحبشة فيهم ولا من بني حنيفة وسكّان اليمامة ولا من ثقيف وسكان الطائف لمخالطتهم تُجّار الامم المقيمين عندهم ولا من حاضرة الحجاز لان الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدأوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الامم وفسدت ألسنتهم ». اه

وبعكس ذلك فان الذين دوّنوا اللغة احتجّوا بكلام معاصريهم ممّن توخّى الكلام الفصيح في ما يقولهُ. وقد فعل ذلك إمام النُّحاة سيبويهِ الشهير فانهُ قد احتجّ ببعض شعر بشّار بن بُرْد كما يتحقّقهُ كل من يطالع كتاب شيخ النحاة مع ان هذا الشاعر كان من مُعاصريهِ. قالهُ المرزبانيّ وغيرهُ. (راجع كتاب الاقتراح ص ٣٢). وقال ثَعْلَب في اماليهِ: كان يونس يقول: حدَّثني الثقة عن العرب فقيل لهُ: مَن الثِقَةُ. قال: ابو زَيد. قيل لهُ: فَلِمَ لا تُسَمِّيهِ. قال: هو حيٌّ بَعْدُ فانا لا أُسَمِّيهِ » (عن المزهر ١ : ٧١)

وبهذا القدر كفاية في هذا الموضوع الاوّل اذ نستنتج ان ليس من مدّةٍ معيَّنةٍ تُحدّد أستِئهامَ الكاتب بل ان ذلك متوقف على فصاحتهِ ليس الّا

٣ هل يجوز لنا ان نأخذ مآخذ بعض الكتّاب النوابغ من المحدثين في ما خالفوا بهِ المتقدمين

قلتُ: امّا ان يكون خلافُ المحدثين هذا في الالفاظ او المفردات * وإمّا في التعبير * وامّا في التركيب *

١ فاذا كانت مخالفة المحدثين للاولين في (المفردات) فقد اجاب عن ذلك ابن جنّيّ في كتاب الخصائص حيث قال:

« فان كان فردًا بمعنى ان المتكلم بهِ من العرب واحد ويخالف ما عليهِ الجمهور فيُنظَر في حال هذا المنفرد بهِ فان كان فصيحًا في الجميع ما عدا ذلك القدر الذي انفرد بهِ وكان ما اوردهُ ممّا يقبلهُ القياس الّا انهُ لم يُروَ بهِ استعمال الّا من جهة ذلك الانسان فان الأولى في ذلك ان يُحسَن الظنُّ بهِ ولا يحمل على فسادهِ (قال) فان قيل: فمن اين ذلك وليس يجوز ان يرتجل لغةً لنفسهِ. قيل: قد يمكن ان يكون ذلك وقع اليهِ من لغة قديمة طال عهدُها وعفا رسمها ». اه بحرفهِ. ثم قال: « [وعليهِ ف] ينبغي ان يستوحش من الاخذ عن كل واحدٍ الى ان تقوى لغتهُ وتشيع فصاحتهُ » اه

امّا اذا كان ما تفرَّد بهِ المتكلم لم يُسمع من غيرهِ لا ما يوافقهُ ولا ما يُخالفهُ فقد قال ابن جنّي في هذا الخصوص:

والقول فيه انهُ يجب قبولهُ اذا ثبتت فصاحتهُ لانهُ امّا ان يكون شيئًا اخذهُ عمَّن نطق بهِ بلغة قديمة لم يشارك في سماع ذلك منهُ على حدّ ما فلناهُ في من خالف الجماعة وهو فصيح . او شيئًا ارتجلهُ . فان الاعرابيّ اذا قويت فصاحتهُ وسَمَت طيمتهُ تصرَّف وارتجل ما لم يُسبَق اليهِ . فقد حُكي عن رُؤبة وابيهِ انهما كانا يرتجلان الفاظًا لم يسمَعَاها ولا سُبقا اليها . « امَّا لو جاء عن متَّهم او من لم ترقَ بهِ فصاحتُهُ ولا سبقت الى الانفس ثقتُهُ فانهُ يُرَد ولا يُقبَل ». فان ورد عن بعضهم شيء يدفعهُ كلام العرب ويأباهُ القياس على كلامها فانهُ لا يقنع في قبولهِ ان يُسمَع من الواحد ولا من العدَّة القليلة « الَّا ان يكثر من ينطق بهِ منهم فان كثر قائلوهُ الَّا انهُ مع هذا ضعيف الوجه في القياس فجازهُ وجهان : احدهما : ان يكون من نطق بهِ لم يُحكم قياسهُ . والآخر : ان تكونَ انتَ قصَّرت عن استدراك وجه صحَّتهِ ويُحتَمل ان يكون سمعهُ من غيره ممَّن ليس فصيحًا وكثر استماعهُ لهُ فسرى في كلامهِ الَّا ان ذلك قلَّما يقع ». فان الاعرابي الفصيح اذا عُدل بهِ عن لغتهِ الفصيحة الى اخرى سقيمة عافها ولم يعبأ بها . « فالاقوى ان يقبل ممن شُهرت فصاحتُهُ ما يوردهُ ويحمل امرهُ على ما عرف من حالهِ لا على ما عسى ان يحتمل » كما ان على القاضي قبول شهادة من ظهرت عدالتهُ وان كان يجوز كذبهُ في الباطن اذ لو لم يؤخذ بها لادَّى الى ترك الفصيح بالشك وسقوط كل اللغات . (انتهى كلامهُ الشائق)

واعلم ان هذه القواعد البديعة لا تُطلق على كلام الجاهليين فقط او على المخضرمين بل على المولَّدين ايضًا والمحدثين والمعاصرين من الادباء والكتَّاب واللغويّين . والدليل على ذلك انَّنا نرى كثيرين من اهل الجاهلية لا يُعتدُّ بكلامهم ولا يُتَّخذ حجَّةً . ومنهم من يُتَّخذ حجَّة في مواضع وتُدفَع حجتهُ في مواطن أُخرى . ومنهم من يُتَّخذُ كلامهُ حجَّةً على كل حال . وما سبب كل ذلك الَّا موافقة كلام اولئك الشعراء والادباء او المتكلمين للقواعد العربيَّة وثقة الناس بفصاحتهم وصدق لغتهم الخالصة ولهجتهم البحْتَة او بالعكس . وادعامًا لكلامنا هذا ننقل بعض الشواهد عن الائمة العظام . قال الاصبهاني في كتاب الاغاني (٢ : ١٨) :

[كان عدي] شاعرًا فصيحًا من شعراء الجاهلية وكان نصرانيًا . . . وليس ممَّن يُعَدّ في الفُحول هو قرويّ وقد اخذوا عليهِ في اشياء عيب فيها . وكان الاصمعي وابو عبيدة يقولان عدي ابن زيد في الشعراء بمنزلة سُهيل في النجوم يُعارضُها ولا يجري معها مجراها وكذلك عندهم أُميَّة ابن ابي الصلت . ومثلهُ كان عندهم من الاسلاميين الكُمَيت والطرِمَّاح . قال العجاج : كانا يسألاني عن الغريب فأُخبرهما بهِ ثم اراهُ في شعرهما وقد وضعاهُ في غير مواضعهِ . فقيل لهُ : ولِمَ ذاك . قال : لانهما قرويَّان يصفان ما لم يَرَيَا فيضعانهِ في غير موضعهِ وانا بدوي اصف ما رأيت فاضعهُ في مواضعهِ . وكذلك عندهم عديّ واميَّة (انتهى)

ونستنتج من هذا الكلام ما عدا الشهادة المؤَيدة لدعوانا النتائج الآتية : ١ً ان

لغة اهل القرى او الحضر من العرب كانت تختلف عن لغة اهل البادية. ٢ً لم يكن كل عربيّ يفهم جميع الالفاظ العربيّة لانّ لسان البدوي كان يختلف عن لسان الحضريّ لما في حاجة هذا الى غير ما في حاجة ذاك. ٣ً انهُ وُجد الفاظ عند الحضر لم يكن لها وجود عند اهل البادية وبالعكس. ٤ً قد يستعمل الشاعر الحضريّ الفاظاً لا يضعها في مواضعها الحقيقية الخ

وقال صاحب الاغاني في ابي العتاهية (٣ : ١٤٥) نقلًا عن الاصمعيّ: « شعر ابي العتاهية كساحةِ الملوك يقع فيها الجوهر والذهب والتراب والخزف والنوى ». وقال عنهُ ايضاً (٣ : ١٢٦): « وقيل كان غزير البحر لطيف المعاني سهل الالفاظ كثير الافتنان قليل التكلُّف الّا انهُ كثير الساقط المرذول مع ذلك ». اه. وعليهِ فلا يمكن ان يُستشهد بكلام ابي العتاهية الّا بما طابق الاصول العربيّة الفصيحة الصحيحة. والّا فساقط كلامهِ ومرذولهُ يبقى كذلك ما شاء الله ولا يُغيّرُ منهُ شيئاً مرُّ الزمان ولا كرّ الاعوام

وقال ايضاً في الاغاني (١٥ : ٩٧): « نُقل عن الاصمعيّ قال: كانت الرواة لا تروي شعر ابي دُؤاد (الايادي) ولا عديّ بن زيد لمخالفتهما مذاهب الشعراء ». اه. واذ قد سمعتَ بعض الشهادات عن الجاهليين واحد فصحاء المولّدين اسمع الآن ما قيل عن بعض الائمة المتأخرين. من ذلك ما قال في تاج العروس في آخر مستدرك مادة خ ر ط ما نصهُ:

(فائدة) قال شيخنا: استعمل الناس كثيرًا « الانخراط » بمعنى « الانتظام والدخول » كانخرط في السلك اذا انتظم فيهِ. وقد وقع في كلام الفصحاء الثقات من علماء اللسان كالسكاكي والزمخشري واضرابهما ولا يكاد يوجد في كلام العرب ونصوص اهل اللغة ما يؤيدهُ. ثم رأيت الشهاب وقع لهُ مثل هذا. ولكنهُ رحمهُ الله وقع في جامع اللغة لابن عبّاد على قولهم: « خرطتُ الجواهرَ: جمعتُها في الخريطة. قال: فعلمتُ انّهم تجوّزوا بهِ عن جعلهِ في العقد. الى آخر ما ابداهُ ونقلهُ في شرح الشفاء وعناية القاضي. وهو كلام لا محيد عنهُ ». انتهى

قلتُ: ومن ذلك نستنتج: ١ً ان كلام الفصحاء الثقات من المتأخرين كلهُ حجّة. ٢ً انهُ يوجد في كلام مثل هؤلاء الائمة الفاظ لا وجود لها في كلام العرب الاقدمين ولا في نصوص اهل اللغة وعليهِ فكتب اللغة لا تحوي جميع الفاظ الثقات. ٣ً اذا شاعت اللفظة التي لا وجود لها عند الاقدمين عن لسان اهل الثقات تُلتقط التقاط الدرّة

وتخرط في خرائط متون اللغة ولا يُظَنُّ سوءا في من استعملها ولا يُخطَّأ بهــا كما توهَّم ذلك بعض الكتبة من المتأخرين زماناً وانتقادًا

وقد جاء في التاج ايضاً ردًّا على ابن حجر المكيّ لانتقادٍ لهُ على صاحب القاموس في خصوص كلمة « التعزير » ما نصهُ:

قلتُ: والعجب منهم (اي اللغويين) كيف سكتوا على قول الشيخ ابن حجر وهو: « فكيف ينسبُ (اي صاحب القاموس) لاهل اللغة الجاهلين بذلك من اصلهِ ». فانهُ ان اراد باهل اللغــة الائمة الكبار كالخليــل والكسائي وثعلب وابي زيد والشيبانيّ واضرابهم فلم يثبت ذلك عنهم خلط الحقائق اصلًا كما هو معلوم عند من طالع كتاب العين والنوادر والفصيح وشروحهُ وغيرها. وان اراد جم مَن بعدهم كالجوهريّ والفارابيّ والازهري وابن سيدة والصاغاني فانهم ذكروا الحقائق الشرعية المحتاج اليها وميَّزوها من الحقائق اللغويَّة امَّا بايضاحٍ فكالجوهريّ في الصحاح او باشارة كبيــان العلَّة التي تميز بينهما وتارةً ببيان المأخذ والقيد كابن سيدة في المحكم والمخصَّص. وابن جنيّ في سر الصناعة وابن رشيق في العمدة والزمخشري في الكشَّاف وَكَفاك بواحدٍ منهم حجَّــةً للمُصَنِّف فيما رَوَى وَنَقَل » (انتهى المقصود)

فانظر حرسك الله الى هذه العبارة الاخيرة فان كلام كلّ واحدٍ من هؤلاء المتأخرين يكفي وحدهُ لان يكون حجَّة في نفسهِ مَع انَّهم كلهم ليسوا من اهل الجاهلية ولا من ساكني الخيم. وما سبب ذلك الَّا فصاحة لسانهم وخلوص لغتهم. وعليهِ فان الشرط الذي اشترطهُ العرب في صدر الاسلام عند تدوينهم اللغة بطل اليوم لما سبق من تقييد اوابدها واثبات قواعدها وجمع شواردها حتى لم يُعَد يُخاف على صحَّة سلامتهــا كما كان يُخاف عليها باديء بدء وذلك عملًا بالمبدإ الفلسفي وهو: « اذا بطلت العلَّة بطــل المعلول » وعليهِ فلا يجوز اليوم اخذ العربيَّــة عن اهل الوَبَر بل عن اهل المدَر والحضر من الثقات لانقلاب الاحوال

٢ وان كانت مخالفة المتأخرين للاولين في (التعبير) وذلك في ما ينقلونهُ عن الاعاجم من الاساليب المعنويَّة والمجازات او التشبيهات المتولّدة من نوعيَّــة مدنيَّتهم وحضارتهم او في استعمالهم مجازاتٍ حديثةً متخذةً من حاجات الالفة العصريَّة العربيَّة الحاليَّة فلا بأس بل « لا بُدَّ » من اتخاذها وادخالها اللغــة العربيَّة اذا كان « سبكها وتركيبها » مطابقاً للاصول النحويَّة العربيَّة وعبارتها تؤدّي المعنى المطلوب بدون تكلُّف او تعمُّل. وسبب ذلك هو ان الكاتب « مصوّر » الَّا انهُ مصوّر افكار ومعــان لا

مصوّر اشياء وغوانٍ ومبانٍ . وان من فرائض المصوّر الحاذق الماهر في صناعته ان يُفرغ كنانة وسعهِ في ان يصوّر ما يراهُ تصويرًا يقرّبهُ من الحقيقة ويُمثّل الطبيعة التي يُريد رسمها احسن تمثيل . ومن ثم فكلّما شابهت الصورةُ الاصلَ المنقول عظمت قيمتها وارتفعت وفاخر الناس بها وبمحاسنها وازداد اعتبار المصوّر في عيون الاقوام واعترف لهُ بمهارتهِ وحسن صناعتهِ واهلية شهرتهِ بها

وعليهِ فاذا كان الكاتب مُصوّر افكار فكيف يجوز لهُ ان يصوّر افكارًا ليست من زمانهِ ؟ او كيف يصوّر افكار هذا اليوم وينسبها الى امس او بالعكس؟ أفلا يُشبهُ من يفعل هذا الفعل مؤرخًا انتُدِب لكتابة وقائع يومهِ فيكتب لنا وقائع جرت قبل مئات من السنين يذكر فيها اشخاصًا بازياء واسلحةٍ وآلاتٍ وحيواناتٍ ووسائط حربيّة هي اليوم في زوايا النسيان وهو مع ذلك ينسبها الى وقائع هذه الأيّام وما ذلك الّا ليتّخذ نفس عبارات او تصاوير او تشابيه الاقدمين ليُقال عنهُ انهُ يجيد الكتابة في مثل هذا الموضوع . أفلا يحقّ ان يقال عن مثل هذا الكاتب انهُ كاذب وان صناعة الانشاء ليست من صناعتهِ وان كلامهُ لا يُتّخذ دليلًا على حالة عصرهِ من ايّ وجهٍ كان وانهُ من الكتبة المتأخرين عقلًا ودرايةً ولغةً الخ وانهُ من عداد الذين لا يستطيعون مجاراة سائر فحول العصر في ميدان البلاغة والانشاء ؟ وانهُ وانهُ وانهُ كل ما تُريد . . .

هذا واذا امعنتَ في البحث عن حالة الانشاء قبل الاسلام وبعدهُ وتدبّرت الاستعارات والتشبيهات والمجازات التي كانت تُستعمل في حالة بداوة العرب وقابلتها بما كان من بابها في أبان حضارتهم وزهوها رايتُ الفرق بينهما عظيمًا على حدّ ما يرى بين الثرى والثريّا . هذا ولا يحقّ لك ان تدّعي بان كلام المبرّزين من الاقدمين ابلغ من المتأخرين فهذه دعوى فارغة يُعيدها الواحدُ بعد الآخر من الادباء بدون تدبُّر ويتناقلها الخلف عن السلف بدون تبصُّر ولو يتأملون هذه العقيرة لخجلوا من مداومتهم على تغنّيهم بها

طالع مثلًا المعلقات او السموط ثم انتقل شيئًا فشيئًا من هذهِ الى المُجمهرات الى المنتقيات الى المذهّبات الى المراثي الى المشوبات الى الملحمات حتى تصل الى اشعار المتنبي والصاحب ابن عباد الى كلام ابن خلدون وابن الاثير الخ الخ ترَ انك كلّما قاربت زمن الاسلام واوغلت فيهِ وزادت حضارة العرب رقّت حاشية الشعر وتدقّقت معانيه

الساحرة للالباب وتسلسلت مبانيه حتى تكاد تذوب لطافةً — ترَ بعد المقابلة بين كلام الفريقين ان في الفاظ الاقدمين خشونةً وفظاظةً وفي تشابيههم ما يُشتمُّ منهـا رائحة البَعر والبُعران ولا يمكنك ان تخرج عن بعض امور يعيدها الشاعر بعد الشاعر من جميع القبائل حتى اصبحت عندهم بمنزلة سدّ ياجوج وماجوج لا يُمكن خرقـهُ او مجازتهُ ولا يمكن هدمهُ او تحويلهُ عن موقعهِ. واما اذا اجلتَ النظر في شعر الحضر ترى فيهِ المباني والمعاني قد دقت ايَّةَ دقَّة حتى انك لا تكاد تسمعها الَّا وقد بلغت اقصى الجنـان واخفى زاوية من زوايا النفس

والخلاصة ان نسبة كلام الاقدمين الى كلام المتأخرين كنسبة كلام الطفل الى كلام الكهل او كنسبة نُطق الجاهل الى نطق العاقل او ان شئتَ فقل ان نسبة كلام اولئك الى كلام هؤلاء كنسبة سيفٍ خشيبٍ كُهام الى سيف صقيل حُسام. غير ان كلامنا هذا لا يجد آذانًا صاغية وقلوبًا واعية ما لم يُدعَم بشهادة احد الائمة. قال ابن خلدون امام المنتقدين في مقدمتهِ (ص ٥٢٩ من الطبعة البيروتية الغير المشكلة):

ان كلام الاسلاميين من العرب اعلى طبقةً في البلاغة واذواقها من كلام الجاهليـة في منثورهم ومنظومهم فانَّا نجد شعر حسَّان بن ثابت وعمر بن ابي ربيعـة والحطيئة وجرير والفرزدق ونصيب وغيلان ذي الرمة والاحوص وبشَّار ثم كلام السلف من العرب في الدولة الامويَّة وصـدرًا من الدولة العباسية في خطبهم وترسُّلهم ومحاوراتهم للملوك ارفع طبقة في البلاغة من شعر النابغة وعنترة وابن كلثوم وزهير وعلقمة بن عبدة وطرفة بن العبد ومن كلام الجاهلية في منثورهم ومحاوراتهم والطبع السليم والذوق الصحيح شاهدان بذلك للناقد البصير بالبلاغة والسبب في ذلك ان هؤلاء الذين ادركوا الاسلام سمعوا الطبقة العالية من الكلام. . . لكونهـا ولجت في قلوبهم ونشأت على اساليبها نفوسهم فنهضت طباعهم وارتقت ملكاتهم في البلاغة على ملكات من قبلهم من اهل الجاهلية ممَّن لم يسمع هذه الطبقة ولا نشأ عليهـا فكان كلامهم في نظمهم ونثرهم احسن ديباجة واصفى رونقًا من اولئك وارصف مبنًى واعدل تثقيفًا بما استفادوهُ من الكلام العالي الطبقة. وتأمَّل ذلك يشهد لك به ذوقك ان كنت من اهل الذوق والتبصُّر بالبلاغة. (انتهى)

وازيد على ما تقدَّم في سبب سموّ بلاغة اولئك الاسلاميين على كلام اهـل الجاهلية انهم ارتقوا معارج الحضارة فرقَّت طباعهم وتخيُّلاتهم ومحضت اذواقهم ودقَّ بصرُهم في معرفة انتقاء الالفاظ وانتقادها فجاء كلامهم وعليـهِ مسحةٌ من الرقَّة والطلاوة وتتضوَّع منهُ طيوب المدنيَّة والانس ممَّا لم يكن للجاهلية بها عهد. وعليهِ فاذا كان الامر على هذه الصورة اي ان ارتقاء طبقة الكلام يكون بارتقاء حضارة

صاحبهِ فما احرى بنا ان نُدخل التعابير والتصاوير الأنيقة المحدثة المتولّدة من الحضارة الحديثة او من الاساليب الاعجميّة. اذ قد سبقنا الى مثل هذا العمل العربُ في ابان حضارتهم عند مخالطتهم الامم الاعجمية ونقل كتبهم الى اللغة العربية. لا بل وقد دسّ صاحب القاموس تعابير دخيلة في كتابهِ بحيث يصعب علينا اليوم معرفتها وتمييزها من التعابير والتشابيه العربية المحضة. قال في التاج:

ظمئ اليهِ اي الى لقائهِ. اشتاق: واصلهُ من معنى العطش. وفي الاساس: ومن المجاز انا ظمآن الى لقائك: اي مشتاق. ونبّه عليهِ الراغب وهو مستعمل في كلامهم كثيرًا. قال شيخُنا: «والمصنّف كثيرًا ما يستعمل المجازات الغير المعروفة للعرب. ولا بدّ ان اغفل التنبيه على مثل هذا». قلتُ: وهو كذلك. ولكن ما رأيناهُ نبّه الّا على الاقلّ من القليل كما ستقف عليهِ (انتهى كلام التاج)

قال كاتب هذه السطور: وهـذا النوع من المجاز مأخوذ من العبرانيين ولغتهم وكثيرًا ما نرى مثلهُ في التنزيل العزيز. قال صاحب الزبور: «اللهمّ انت الهي واليك ابتكر اليك ظمئتْ نفسي» وشحُبَ جسمي (مزمور ٦٢: ٢) وقال: «ظمئت نفسي» الى الله الى الاله الحيّ (مزمور ٤١: ٣). الى آخر ما هناك من الشواهد الكثيرة. وقد دخل هذا التعبير في لغة العرب على ايدي نصاراها في غابر الزمان كما ادخلوا كثيرًا من ألفاظ وتعابير الإرَميين والعبريين

هذا وهناك تعابير ومجازات واصطلاحات كثيرة مأخوذة من اللغة الفارسيّة واليونانيّة ممّا يكون موضوعًا لمقالةٍ قائمة برأسها. ولهذا نقف عند هذا الحدّ من هـذا الموضوع مجتزئين بالبرض عن العدّ وبالقُل عن الجلّ

٣ وامّا اذا كانت مخالفة المتأخرين للأوّلين في (التركيب) فهذه بدعةٌ يجب للحال نبذها وتشنيع اصحابها وضربهم عن اتيان مثل تلك التراكيب التي تُنافي كل المنافاة مزية لغة العرب وتفسدها كل الفساد وتجرّها الى مهاوي الرطانة وتدفع الناطقين بها الى الطُمْطُمانيّة والارتضاخ. ويكون ذلك مثـل تقديم المضاف اليهِ على المضاف كقولك: «زَيدٍ كِتابٌ» وانت تُريد: «كتابُ زَيدٍ» او ان تتصرّف بالمبتدإ والخبر والنعت والمنعوت على حدّ ما تصرّف بها الفرزدق في بيتهِ المشهور:

وما مثلهُ في الناس الّا مملّكًا ابو امهِ حيّ ابوهُ يقاربهُ (١

---

١) قال ابن عيسى الشَنْتَمري في كتابهِ تحصيل عين الذهب: «اراد وما مثلهُ في الناس حيّ

او ان تفعل كما قال الآخر:

فاصبحتْ بعدَ خطَّ بَهجَتِها كأنَّ قفرًا رُسومَها قَلَمَا (١

او كما انشد آخر:

فقد والشكُّ بيَّن لي عناء بوشك فراقهم صُرَدٌ يصيح (٢

واقبح منهُ قول الآخر:

لها مُقلَتا حوراء ظلَّ خميلةً من الوحش ما تنفكُّ ترعى عرارها (٣

ومثل هذا التقديم والتأخير تجيزهُ اللغات اللاتينيَّة واليونانيَّة والتركيَّة وبعض الاحيان الفارسيَّة ايضاً الَّا ان اللغة العربيَّة تنبو عنهُ كلَّ النبوّ وتمجُّهُ مجَّ الأُجاج. وعليهِ فلا يجوز قبول مثل هذا التركيب وان سبقنا اليهِ بعض الاقدمين من العرب ممَّن جاوروا الاعاجم. وممَّا تقدَّم نستنتج هذه النتيجة وهي:

(النتيجة) جوابًا على سؤال احد قرَّاء المقتطف نقول: ١ً يجوز لنا ان نحذو حذو المحدثين "من النوابغ الفصحاء الموثوق بعربيتهم" في ما خالفوا المتقدمين. وذلك فقط في المفردات والتعابير او التصاوير ولا يجوز ذلك في التراكيب المنقولة عن الاعاجم والدخلاء المخالفة لاصول العربيَّة ولتراكيب الاقدمين. ٢ً لا بأس من استشهام الكاتب في حياتهِ او بعدها غاضًا النظر عن ديانتهِ فقد قال صاحب الاقتراح: « أُعتُمِدَ في العربية على اشعار العرب وهم كفَّار لبعد التدليس فيها كما اعتُمد في الطبّ وهو في الاصل مأخوذ عن قوم كفَّار ». ولذا ترى في شواهدهم مزيجًا من شعر وثنيّي العرب ونصاراهم ويهودهم ومسلميهم

يناربهُ الَّا مملَّكًا ابو أمّ هذا المملّك ابو هذا الممدوح واراد بالمملَّك الخليفة هشام بن عبد الملك وخالهُ الذي ابوهُ ابو امهِ ابرهيم بن هشام المخزوميّ. وتلخيص معنى البيت: ما مثل هذا الممدوح في الناس الَّا الخليفة الذي هو ابن اختهِ. وهذا المعنى مع سخفهِ امثل ممَّا عُبّر بهِ عنهُ من لفظهِ لانهُ فرق بين النعت والمنعوت في قولهِ حيّ يناربهُ بخبر المبتدإ وهو قولهُ ابوهُ وفرق بين المبتدإ الذي هو ابو امهِ وبين خبره بقولهِ: حيّ. فاحال اللفظ حتى عميَ المعنى السخيف فازداد قبحًا الى سخفهِ. اه

١) واراد: فاصبحت بعد بهجتها قفرًا كأنَّ قلما خطَّ رسومها

٢) واراد: فقد بيَّن لي صرد يصيح بوشك فراقهم والشك عَناء

٣) اراد: لها مُقلَتا حوراء من الوحش ما تنفكُّ ترعى خميلةً

٣ً مدَّة الزمان غير مشروطة في اتخاذ الكاتب حجَّةً ولذا يبقى كلام الاشموني «اشمونيًّا» اي فصيحًا يُهدى بهِ ويُقتدى. ويبقى كلام الجبرتيّ «جبرتيًّا» اي ركيكًا وان مرَّت عليهِ القرون والعصور ولذا لا يُعتدُّ بهِ ولا يُستشهد بهِ

وعليهِ فان ما احتجَّ بهِ حضرة الاستاذ الشرتوني من اقوال متأخري الفصحاء والبلغاء كالاشمونيّ وابن الاثير واضرابهما موافق كلّ الموافقة لشروط الاخذ عنهم كما تقدَّم. ومن ثم فلا باس من ان نحذو حذوهم. وزد على ما تقدَّم ان جماعة من ائمة اللغويين قد سبقوا حضرة العلامة الشرتوني في عملهِ هذا واستشهدوا بكلام «فصحاء المولَّدين» لاثبات الفاظ وعبارات لم تُنقل عن الاقدمين. ولابن عابدين الدمشقيّ كتاب ترجمهُ بـ «الفوائد العجيبة. في اعراب كلمات الغريبة» وهو كلهُ عبارة عن اوضاع من هذا النحو وقد استلَّها من كُتُب فصحاء المولدين وائمتهم كصاحب الصحاح والفيروزاباديّ والزمخشريّ وابن هشام والجلال المحليّ. وغيرهم. وكذا فعل الثعالبيّ في كتابهِ: «ثمار القلوب في المضاف والمنسوب» وابن عيسى الهمذاني في كتابهِ «الالفاظ الكتابية» الى غير ذلك من مثل هذه الكتب فان «اغلب» ما ورد فيها أو «كلهُ» لا يُوجد في كتاب الاقدمين وتعابيرهم فكيف الامر اذن؟ هل نعدُّ كلَّ هؤلاء جهلاء ونحن العلماء؟ — فهذا كلام لا يقبلهُ سليم العقل ولا سليم الذوق وعليهِ:

فتشبَّهوا ان لم تكونوا مثلهم ان التشبُّهَ بالكرام فلاحُ

بعض اديار مصر القديمة

لحضرة الاب ميخائيل جوليان اليسوعي

٣ دير ابي فانس

سرنا من المنيا لزيارة هذا الدير ووِجهتُهُ الجنوب فنزلنا من السكَّة الحديديَّة عند المحطة الثالثة وهي إتليدم قرية تُرى على قُلة من الاطلال والرسوم الدائرة علوُّها نحو عشرة امتار الى خمسة عشر مترًا. واسمها كما ترى اعجميّ لا يُردّ الى اصل ساميّ وارتفاع اتليدم فوق هذه الاخربة دليل بيّن على انَّ ثمَّت كانت قديمًا بلدةٌ. وقد بقي

من آثارها في شمالي القرية عند مسجدٍ صغيرٍ سارية منبسطة على الحضيض فيها صورة صليب وعلى رأي اهل القرية انَّ هذا العمود كان في كنيسةٍ استولى عليها الخراب وصبر منها على الدهر بقايا صالحة تُرى تحت المسجد

والنصارى في اتليدم قليلون ليس بينهم من الكاثوليك سوى رجلٍ واحد وليس اصلهُ من القرية فنزلنا عندهُ ريثما يهيّئ لنا لوازم الطريق لزيارة دير ابي فانس وهو على مسافة ثلاث ساعات من اتليدم على طرف الصحراء الليبيَّة

ولا نصف المناظر التي قرَّت بها ابصارنا في سيرنا فانَّ وادي النيل كلهُ نضارة ومحاسن تتشابه جهاتهُ المختلفة . ومن وصف بعضهُ وصفهُ كلَّهُ

وبعد ساعتين ادركنا قريةً كبيرةً تدعى حور وهي بلا شك في موقع مدينة قديمة لا تحت ابنيتها المرتفعة من الردم والاخربة . وبينما كنَّا نسرّح العيون في مساكن الضيعة اذ سمعنا دليلنا يقول: « دونكم هذه الباحة التي ترونها امام الرَّحى البُخاريَّة فانَّها باحة كنيسة قديمة . فان الفعلة لمَّا حفروا لبناء الرَّحى وجدوا في الارض جدران بيعة وآنية كنسيَّة ». واعلمنا بعدئذٍ الخواجا عليم افندي توما عامل البريد في اتليدم ان من جملة هذه الآنية كانت مبخرتان فضيتان وصليب من النحاس عليهِ كتابة يونانية واناء زجاجيّ للميرون . ولا عجب فان النصرانيَّة كانت زاهيةً نامية في كل هذه البلاد فلمَّا توالت الاعصار وكثر الخراب اخنى الدهر على الآثار الدينيَّة فدرست ثم غطَّاها النيل بطينهِ اللزج الذي يجرفهُ كلَّ سنة في مجراه فصارت ابنية كثيرة في اعماق الارض . وممَّا يشهد على ذلك ان كنيسة الاقباط في بليانا قريباً من جرجا التي كانت سابقًا على سواء الارض صار حضيضها اليوم في سربٍ يُنزَل اليهِ بدرجات عديدة

ثمَّ بلغنا بعد قليل ضيعة أُخرى تشبه حور في كبرها وهي لاصقة بها تدعى قصر حور . فعلم بقدومنا كاهن القبط الارثذكس وهو يُعرف هنا بالقمّص فبادر للسلام علينا وهو رجل تلوح عليهِ مخايل النجابة والفضل . فدعانا الى بيتهِ واظهر لنا من الانس واللطف ما ذكَّرنا بما لقيهُ المرسل اليسوعي الاب سيكار قبل مئتي سنة من الاكرام لدى كاهن القرية نفسها وقد اتاح الله لهُ ان يهدي تلك النعجة الضَّالة الى حظيرة الكنيسة (١

١) راجع الرسائل البابنية (Lettres Edifiantes. Mémoires du Levant, T. II, 2e partie, *Lettre au comte de Toulouse*

امَّا القمُّص الحاليّ فانهُ سُرَّ بنا ايَّ سرور اذ علم انَّنا اتينا لتزور كنيسة ابي فانس لانهُ هو الذي عُني منذ سنةٍ بنزع ردمها وترميمها واقامة الذبيحة المقدَّسة فيها كل يوم احد

وكان سؤالنا لحضرة القمُّص ان يفيدنا شيئًا عن ترجمة ابي فانس المكرَّم في هذا المحلّ. فاسرع وارسل من يأْتيهِ من الكنيسة بكتاب خطيّ قديم مكتوب بالعربية يحتوي ترجمة ابي فانس الحبيس مسطَّرة بقلم تلميذهِ افرام نلخص منها ما يأْتي:

ابو فانس تصحيف الاب اسطفانس وهو احد العبَّاد الذين اشتهروا على عهد الملك ثاودوسيوس الكبير. كان منذ حداثتهِ مولعًا بزيارة النُّسَّاك فحملهُ مثالهم الى ان يقتدي بآثارهم ويسعى في طلب الكمال المسيحيّ. فطلب لهُ مكانًا معتزلًا عن النــاس في الصحراء الليبيَّة فوجد مغارةً فوق جبــل من مقاطعة اشمونين وراء قرية بوصير (١. وكانت هذه المغارة مظلمةً لا تنفذ فيها اشعَّة الشمس مطلقًا فحبس ابو فانس نفسهُ في الغور ومارس هناك اعمال النسك والاماتة. ثم دعاهُ الله الى اسعاف الفقراء وعيــادة المرضى وتهذيب الاخوة المنقطعين الى العيشة الرهبانية في ذلك الجبــل وتخريجهم في الامور الروحيَّة. وقد خصَّهُ الله بالكرامات وصنيع المعجزات. وقد اوحى اليــهِ بوفاة الملك ثاودوسيوس في يوم وقوعها وهو بعيد عنهُ. وقد اسهب افرام بعد هــذا في وصف تعاليم ابي فانس وارشاداتهِ للنسَّاك الذين كانوا يتردَّدون اليهِ لزيارتهِ. وختم ذلك بخبر موتهِ الصالح. قال: انهُ كان واقفًا فاحنى الرأس بهدوٍّ وفارق الروح في ٢٥ من شهر امشير (٤ آذار). وكان جسمهُ اضحى قحلًا يابسًا كعود النخل لكثرة اصوامهِ وشظف عيشهِ. (قال) وشادوا لاكرامهِ ديرًا قريبًا من بني خالب من كفور دلجا في مقاطعــة اشمونين». هذا لباب رواية افرام الكاتب وفي المكتبة العمومية في باريس كتاب يتضمَّن ترجمة ابي فانس نظنهُ لا يختلف عن النسخة التي اختصرناها هنا

امَّا قرية بني خالب المذكورة هنــا فموقعها على مسافة كيلومترين. من قصر حور جنوبيّها. وامَّا دلجا التي في دائرتها كانت قرية بني خالب فبلدة كبيرة تبعد نحو عشرين

١) بوصير او ابو صير او بوسيريس مدينة كان موقعها في محل القريتين السابق ذكرهما اي حور وقصر حور وقيل ان اشتقاق اسمها من اسم بعض النسَّاك ولعلَّهُ هو ابو فانس نفسهُ (راجع وصف مصر لعلماء البعثة الفرنسية الطبعة الثانية ج ٤ ص ٣٢٩)

كيلومترًا في جهة الجنوب. فثبت اذن ان الدير الذي نحن الآن عازمون على زيارته بصحبة القمّص هو نفس الدير الذي ذكرهُ افرام الكاتب

فخرجنا من القرية وعبرنا الترعة الكبيرة المعروفة ببحر يوسف فوق جسر من المراكب ثم سرنا قليلًا بين المزارع حتى بلغنا الرمال التي تغطي منحدر السلسلة الليبيَّة وقسماً من بطحائها. فاذا بدير ابي فانس لاح لنا عن بعد كنقطة سوداء فوق تلك الروابي وعلى بعد مئة قدم من جانبهِ الايمن صخور في وسطها المغارة التي عاش فيها رجل الله. وكانت خيلنا تسير سيرًا شاقًّا بين تلك الآكام فتغوص قوائمها في كثبان الرمال الى ان افضى بنا المسير بعد الجهد الجهيد الى اسوار الدير العالية

وهذا الدير قد استولى عليهِ الخراب وكان في سالف الزمان يشبه اديار صحراء النطرون والصعيد الاسفل فيتحصَّن بهِ الرهبان لردّ غارات اهل البادية وكان في وسطهِ ابنية عديدة وجنينة وبرج منيع ولم يبقَ من كلّ ذلك الَّا سور مربَّع تتداعى جدرانهُ. امَّا الكنيسة فسلمت من هذا الخراب الَّا انَّ الاطلال والرمال المحدقة بها لم تزل تعلو حولها حتى اقتضى الامر ان يُبالغ بالحفر لفتح بابها. وقسمٌ من داخلها حتى الآن تغمرهُ الرمال

واخذ القمّص يقصُّ علينا ما تكلّفهُ من العناء لتعزيل هذه الردوم من الخراب والمعابد التي على جانبيهِ. وقد وشى بهِ بعض الحسَّاد وزعموا انهُ يبحث عن كنوز خفية الَّا انَّ نيَّاتهِ الحسنة قد بانت اليوم لكلّ العيان ولا احد يعارضهُ في عملهِ الصالح. ويا حبَّذا لو اجتهد محبُّو الآثار القديمة في تنظيم لجنة لصيانة الآثار النصرانية وحفظها وترميمها. فانَّ ابنيةً كدير ابي فانس وكنيستهِ لجديرة بان تُصان من نوائب الدهر كآثر يطلعنا على هندسة النصارى الاقدمين

امَّا هندسة هذه الكنيسة فانَّها تجمع بين خواصّ طراز الكنائس اللاتينيَّة والكنائس القبطيَّة. فتراها مقسَّمة الى ثلاث اسواق يفصل بينها اثنا عشر عمودًا والسوق الوسطى تنتهي بحنيَّة على شكل نصف دائرة ولها معبدان هما كجناحيها على شكل عارضتي الصليب وكلُّ ذلك شائع في هندسة الكنائس اللاتينيَّة او البوزنطيَّة. لكنَّ المعبدين القائمين على جانبي الحنيَّة على خطّ واحد والقبب التي تعلو جناحي الصليب والمدخل المبني على جانب الكنيسة فكلُّ ذلك من الطراز القبطيّ. وزد عليهِ انَّ لمعبدي

جناحي الصليب معبرًا وراءهما على غير مألوف عادات كنائسنا . وقريبًا من الحنيَّة ترى حتى الآن الفرن الذي كانوا يخبزون فيهِ خبز القربان وفي محلّ آخر حوض للمياه الجارية من جرن المعموديَّة كما تُرى في كل كنائس الاقباط (١

وهذه الكنيسة على اسم الصليب المقدَّس فاحبَّ بناتها ان يمثّلوا الصليب في طريقتها الهندسيَّة . وقد اكثر المصوّر الذي نقشها من رسم علامة الصليب في كل نواحيها. وهذه الرسوم اعجب ما يُرى في هذه الكنيسة فانَّ صورها مختلفة الاشكال ناصعة الالوان منظَّمة على طرائق شتَّى بصناعة بالغة اقصى الإحكام . ففي صدر الكنيسة ترى صلبانًا كبيرة الشكل مختلفة الالوان عليها صورة الكفن المقدَّس وآلات آلام المخلّص وفي القبب وعلى جوانب الاسواق صلبان صغيرة مشتبكة بعضها بحيث ينتظم من اشتباكها الغريب صلبان أُخرى اعظم منها وترى هذه الصلبان الكبرى مندمجة في بعضها فيتركَّب منها صلبان نهاية في العظم . وقصارى القول انك تجد الصلبان المرسومة في كل جدران هذه الكنيسة حتى عواميدها من اسفلها الى اعلاها لا يخلو قدم مربَّع منها دون علامة سرّ الفداء مرسومة على اشكال مختلفة مع توافق عجيب في الالوان

وكان العلاَّمة الاب سيكار لمَّا زار هذه الكنيسة سنة ١٧١٦ لحظ بين هذه الصلبان صليبًا في اطرافهِ الاربعة اربعة زهور من السوسن (⚜) محكمة النقش وقرأ في قبَّة الحنيَّة هذه الكلمات مكتوبة باللغة القبطيَّة « عود الحياة » . وقد تمكنَّا من اكتشاف الاثرين رغمًا عمَّا يحجبهما من بياض الكلس الذي دُهنت بهِ بعض اطراف الكنيسة مرَّتين منذ عهد الاب سيكار

وكانت عودتنا الى المنيا نصف الليل راكبين العربة التي تُلحقها ادارة السكة الحديديَّة بقطار الشحن رفقًا بالمسافرين المتأخرين عن قطار الركَّاب

٤ دير جنادلة

مررتُ يومًا بقرية دير جنادلة الواقعة على مسافة نحو ساعتين ونصف غربيّ صدفة ثالث محطَّة السكة الحديديَّة جنوبي اسيوط فسألت اهلها أيعرفون الدير الذي نُسبت

---

١) وقد نشر علماء البعثة الفرنسية رسم هذه الكنيسة في مجموعهم Description de l'Egypte, par les Savants de l'Expédition Française, *Antiquités* T. V, pl. 67

اليهِ قريتهم فاشاروا الى الغرب حيث تمتدُّ الصحراء الليبيَّة ووراءها الصخور العالية قالوا لي: هناك الدير ولكن لا تستطيع ان تزوره وحدك لانَّ في كهوف الجبل وشعابهِ قوماً من قطَّاع الطرق يأوون اليهِ ودأبهم النهب والسلب. ومع ذلك اذا اردت ان تواجه اصحاب هذا الدير فهم عندنا يقيمون بيننا». فقصدت هؤلاء الرهبان ووجدتهم اثني عشر راهباً كلهم كهنة يعيشون من اوقاف ديرهم. فاكرموا وفادتي وامتاز بينهم في التحفِّي بي رجلٌ قويّ البنيَّة كثيف اللحية تظهر في وجههِ ملامح الفظاظة فبشَّ لي وفرح بمشاهدتي ولم تمرّ عليهِ سنة حتى طلب الانضواء الى الكنيسة الكاثوليكيَّة مع قومٍ من طائفتهِ وهو الآن راعيهم يتولَّى تدبيرهم

ثم اتَّفقنا مع ثلاثة من هؤلاء الرهبان على ان نركب بصحبتهم فنزور ديرهم. ولمَّا جُهِّزت معدَّات السفر سرنا معهم وكان يرافقهم احد خدَمتهم وعدد من الغفراء وكلنا راكبون الحمير وكان يتقدَّمنا احد الكهنة وبيدهِ البندقيَّة راسها الى فوق وقندقها على فخذهِ الايسر

وكانت طريقنا تسير الى اعلى الجبل على خطٍّ مستقيم بين جُثًى من الحجارة ألقاها زوَّار الدير تذكارًا لزيارتهم. وبعد سيرٍ واصلناهُ نحو نصف الساعة تراءى لنا سدَف الدير منتصباً بين الصخور المتوقدة باشعَّة الشمس. وهذا الدير قائم على مرقًى يعلو فوق الحضيض نحو عشرين مترًا ووِجهتهُ الى الشمال الشرقيّ. وتلوح من تحتهِ الى اليمين مغاور نُحتت في الصخر

وعلى مسافة مئة متر من حلف الجبال بئر مطويَّة بنحيت الحجارة محكمة الصنع تعادل في حسنها احكم آبار فلسطين المنسوبة الى الآباء الاوَّلين عرضها اربعة امتار وعمقها ٢٥ مترًا. فاحبَّ رفقتنا ان يشربوا منها فعمدوا الى حبل علَّقوا بطرفهِ اناء من تنك البترول فاستقوا ماء عذبًا صافياً قلَّما يلقى المسافر مثلهُ جودةً في بلاد الصعيد. وكانت نَفَحات من الريح الشماليَّة تهبُّ في هذا المكان فتلطِّف حرارة الهواء. فاستنتجنا من ذلك انَّ قدماء النسَّاك كانوا يحسنون انتقاء مناسكهم لينقطعوا فيها لاعمال البرّ والتقشُّف

ولمَّا اقتربنا من الدير تحقَّقنا انَّ المغاور التي رأينا مداخلها انَّما هي مقالع قديمة نُحتت في القرون السالفة فاتخذها الرهبان كحُجَر ومآوى وجهَّزوا لها ابوابًا ومنافذ ومقاعد

وخزانات واواخيّ لربط الدواب وحلقات لتعليق السُرُج في السقف. وكان لبعض هذه الغرف اروقةٌ في مُقدَّمتها تُرى حتى الآن حزوز الصخر الدالَّة عليها

واكبر هذه الكهوف جعلهُ الرهبان كنيسة كما يظهر ذلك من صور القديسين والرموز الدينيَّة المنقوشة وبقايا رسوم ملوَّنة بالمغرة تُستشَفُّ حتى الآن في جدران هذه المغارة وسقفها ما وراء الكلس الذي طُليت بهِ

ويُصعد من هذه المغاور الى الدير بدرج صعب المرتقى يؤدي الى باب مصفَّح بالحديد وجدناهُ مفتوحاً. ولهذا الدير سورٌ مبنيٌ بنحيت الحجارة في اسفلهِ وبالآجرّ في اعلاهُ. واماَّ جدارهُ الغربيّ فهو منحوت بالصخر. وفي وسط السور ابنيــة غير متَّسقة. وكان في الجدار الغربيّ مقالع قديمة فوسَّعها الرهبان واضافوا اليهــا مباني جديدة لسكناهم

وكنيسة الدير هي اعظم هذه الردهات المنحوتة في الصخر ترى جدرانها وسقفها مزَّينة بالتصاوير الَّا انَّ السناج قد سوَّدها فلا تكاد تميّز بين هــذه الصور الَّا شيئاً قليلًا بينها صورة ملاك وصليب كبير وخطوط هندسية متشبكة. وفي السقف حلقتان للمصابيح. ومماَّ اخبرنا بهِ احد رفقائنا انَّ راهباً من كهنتهم الاقدمين كان يتعلَّق بيديهِ بهاتين الحلقتين فيبقى على هذه الحالة زمناً طويلًا يصلّي الى ان تخونهُ قواهُ فيفلتهما لشدَّة الوجع. ويلحق بهذه الكنيسة سوقٌ ثانية اصغر منها فيهــا معابد مبنية بازاء مدخل الكهف شرقاً. وهذا القسم كان مخصَّصاً باكرام البتول الطاهرة تشهد على ذلك كتابة بالقبطية والعربيَّة خُطَّت على باب المقدس مضمونهــا اوَّل السلام الملكي. ويوجد في الدير كنيسة غير هذه مشيَّدة على اسم الرسل الاثني عشر لم نجد فيها شيئاً يستحقُّ الذكر

ومن غريب الامور انَّ صخراً كبيرًا تدحرج بالقرب من الكنيسة الكبرى فاحدث في الدير خرقاً بيّن رسمَهُ الداخليّ كأنَّ مهندساً قام بالامر لبيان اسرار هندسة البناء. وفي الطابق الاسفل الغرفُ العمومية التي كان يجتمع فيها الرهبان كمحلّ المائدة وغير ذلك. اماَّ منام الرهبان فكان في الطابق الاعلى فوق سقف من الصخر سمكهُ نحو مترٍ وفي جوانب هذا المكان ست او سبع خزائن كبيرة منقورة في الصخر فوق الحضيض بنحو متر ونصف. وكانت اسرَّة الرهبان مبنية تحت هذه الخزائن على شكل مناضد في دائرتها اطارٌ عالٍ. وهذه الاسرَّة لم يبقَ لها اليوم اثر الَّا انَّنا وجدنا شبهها في دير مار

سمعان المعروف بالانبا هِدْرا قريباً من اسوان وفي دير الفاخوري الآتي ذكرهُ

واعلم انَّ تقسيم الرهبان للنوم في غرفٍ تحتوي الواحدة منها سبعة او ثمانية فُرش لأمرٌ درجَ في اغلب اديار الصعيد التي كانت تابعة لقانون القديس باخوميوس. ومَن راجع رسوم هذا المنشئ العظيم يرى بخلاف ذلك انهُ امر بان تُفرد لكل راهب قلاية. ومن ثم فيكون القانون قد اختلف من هذا القبيل. ويُروى عن شنوده رئيس الدير الابيض القريب من سوهاج وكان على عهد القديس باخوميوس انهُ جعل الرهبان اثنين اثنين. وشنوده المذكور كان يدَّعي بانَّهُ مُصلح لقانون القديس باخوميوس

وكنَّا قرأنا في رسالة لاحد قدماء رهباننا انهُ لمَّا طاف هذه البلاد بلغهُ خبر كنيسة قديمة ذات تصاوير ونقوش وكتابات موقعها في وادٍ قريب من دير الجنادلة الَّا انَّ سكَّان الناحية لم يرضوا بمرافقتهِ اليها خوفاً من اللصوص. فاحببنا ان نزورها ولم يوقفنا خوف اللصوص لكثرة عددنا. والوادي المذكور يُدعى بالوادي الشرقيّ ولا ريب انهُ دُعي بذلك لانهُ مدخل الى احدى الطرق المؤدّية الى الواح الشرقيّ في وسط الصحراء الليبيَّة. وهذا الوادي ينتهي عند السهل شمالًا على مسافة ٥٠٠ او ٦٠٠ قدم من دير الجنادلة

ومن قطع هذا الوادي تعجَّب من قحطهِ ووحشتهِ. فانَّك ترى عن شمالك في وسط الجبل صفوفاً من اغوار مربَّعة المداخل منقورة في الصخر ومن امامها اخربةٌ تسندها مصاطب ودكك من الحجارة. ومن جهة اليمين وادٍ آخر يتشعَّب من الوادي الاوَّل وفوق الربوة المشرفة على مُنقسَم الواديين ابنية استولى عليها الخراب. وفي اسفلها عند منحدر الوادي مغاور أُخرى اكبر من مغاور الوادي السابق. ولهذه المشاهد نظرٌ مهيب لكنهُ موثر ومحزن معاً لانك لا ترى في تلك الديار ديَّارًا ولا اثرًا للنبات فانَّ الحياة قد فارقت تلك الاماكن فنشر عليها الموت اعلامهُ

وباشرنا بزيارة الاغوار الواقعة على يميننا لسعتها واوَّل ما وقع عليهِ نظرنا ردهةٌ كبيرة طولها مئتا متر في عرض مئة وعلوّ ستَّة او سبعة امتار وسقفها يستند الى سَوارٍ ضخمة. وهذه القاعة مفتوحةٌ من طرفيها فيدخلها نور الشمس وينتشر بين دعائمها فيكسبها منظرًا يسحر العقول ويفتن الالباب. وكانت هذه الردهة مقلعاً من الحجارة وحجارتها نُقلت الى حيث يعلم الله لأَننا لا نرى في جوار هذا الوادي بناء قديمًا. ولعلَّها دخلت

في بعض الابنية المطمورة في الصحراء٠ وقد اتّخذ النصارى هذا المكان لعبادتهم كما يُستدلّ عليهِ بالكتابات القبطيَّة المسطَّرة على جدرانهِ بالمغرة٠ لكنّ اكثر هذه الكتابات يصعب قراءتها لموقعها في زوايا مظلمة

وهذا المقلع يمتدُّ على طول الجبل وينفذ من جانبه الآخر فلمَّا انتهينا الى طرفهِ وجدنا بازائنا كهوف الوادي الاوَّل وهي ايضاً مقالع قديمة للحجارة الّا انَّ الآثار المسيحيَّة فيها اوفر٠ ودخلنا اول مغارة لقيناها فاذا هي كنيسة جميلة كلها منقورة في الصخر. وبلاطها الصقيل يتركَّب من الملاط الشديد الصلابة ووجه الصخر مطلي بالكلس والطين عليهِ تصاوير عديدة اكثرها بالوان المغرة الصفراء والحمراء. والحنيَّة على شكل نصف دائرة متجهة الى الشرق ولها قبَّة في ربع كرة منها صورة السيد المسيح وحدهُ جالساً على مائدة وهو يرسم سرّ القربان الاقدس٠ وعلى جانبيهِ رسلهُ واقفون ثلاثة عن يمينهُ وثلاثة عن شماله والباقون على الجدران التي بازائهِ٠ وتحت الصورة زينة على شكل اطار مشبَّك كما في كنيسة الدير٠ وكل هذا المحضر حسن الرسم لا شيء يُستهجن في هيئة الاشخاص واوضاعهم٠ وفي جهات أُخر من المقلع صور قديسين آخرين الّا انَّها دون الصورة السابقة اتقاناً٠ وفي الجدران كوًى منقورة في الصخر تزيّنها العمَد والطنوف والنقوش٠ وتُرى ثمَّت كتابات قبطيَّة عديدة لم نتمكَّن من قراءتها لعلوّها وصغر حروفها ولعلَّ هذه الكتابات لا تختلف عمَّا ترى عادةً مخطوطاً في كنائس الاقباط القديمة اعني انَّها تحتوي ادعيةً مختلفة الى الله عزَّ وجلَّ والى صليب الفادي ثم بعض الحِكَم او الآيات من الاسفار المقدَّسة اخصُّها الزبور يليها اسم الكاتب او المتوفَّى التي رُسمت على ضريحهِ الكتابة٠ وفي بعض الاحيان يُضاف الى ما تقدَّم تاريخ الشهداء٠ ودونك مثالاً عن هذه الكتابات نعرّبهُ عن كتابة قبطيَّة في كنيسة ابي حنّس التي وصفناها في مقالةٍ نشرناها في الرسالات الكاثوليكيَّة (١٨٩٤ ص ٤٩٣)

«كلُّ حياة الانسان كالغمام تنقشع وهموم هذه الحياة كالظلّ تتقلَّص واعمالهُ تعالى لا تُدرك ومن قام بازاء منبرهِ تعالى وجد جزاء اعمالهِ بالعدل٠ امَّا انا فاذ قرب انحلال جسدي فاني اشعر باهوال الموت لانهُ لا بُدَّ لي ان اعود الى التراب كاجدادي. فاذكروني انا المسكينة فبرونيا وليرحمني الله انا المتوفَّاة في ٢٧ من شهر ابيب من سنة ٤٦٦ لديوقليسيانوس (٧٥٠ للميلاد)

وهذا التاريخ كما ترى بعد الفتح الاسلاميّ. وعندنا انّ اكثر كنائس الاقباط القديمة التي تتشابه من حيث غوورها في بطن الارض واشكالها وكتاباتها انّما هي من بعد الفتح المذكور. ولعلّ النصارى التجأوا الى هذه الاغوار ليمارسوا ديانتهم فيها

(التتمّة لعدد آخر)

يمين العليّ

رواية تاريخية للاب س. ت اليسوعيّ (تابع)

الفصل الرابع

الشقيق والشقيقة

ما كاد يتمزّق ستر الليل حتى اخذت حركة الاشغال في بيروت. فكنت ترى في طُرقها زمرةً من العبيد يسعون لخدمة سادتهم. امّا الفقراء والصعاليك الذين قضوا ليلتهم مشتملين باطمارهم تحت الاروقة الممتدّة على جانب السكة الرومانيّة المؤدّية الى النهر او لاصقين بجدران حمّامات اغريبّا الدافية فانتبهوا من رقدتهم وهم يتمطّون بالاصلاب ويتحايدون عن طريق السابلة لئلّا تدوسهم الارجل. وكان الفلّاحون يتواردون الى البلد منهم من يحمل البقول على مناكبهِ. ومنهم من يسوق دابّتهُ الموسقة بالفاكهة او بدواجن الطير او البيض. والجمّالة يقودون بُعرانهم الى مرفإ المدينة عليها اخشاب الارز الضَّخمة المقطوعة في لبنان

ومع انّ الفجر لم يُسفر بضيائهِ كنت ترى « دار الورود » تشعُّ نوافذها بانوار المصابيح على خلاف عادة سكّانها وكان الخدَم في جلبة يدعو بعضهم بعضاً ويتأهبون لامرٍ عظيم وبينهم الناظر ينتهرهم ويتهدّدهم إن تأخروا وكان يصرخ: ألا تعلمون انّ سفينة « العنقاء » على وشك دخول المرفإ فهيّاً اسرعوا كل السرعة

وما مرَّ على هذا القول بضع دقائق حتى صرَّ البـاب على اعتابهِ فانفتح وخفَّ مانسان من العبيد الى جهة المرفإ. وكانا يسيران سيرًا حثيثًا فتتطاير عن جسمهما الفاحم اطراف ازارها الابيض. وتبعهما بعد هنيهة عصابة من العبيد حاملين على اكتافهم محفّةً فارغة أعدُّوها للقادم الشريف

وكان سلوانس الناظر تأخّر قليلًا لبعض شؤونه فسبقهُ العبيد الذين وُكل اليهِ امرهم فالتفتوا واذا بهِ لم يجيء بعد فاخذوا يمزحون في حقهِ ويتفاكهون فهذا يهزأ بحركاتهِ وذاك يتقلّد لفظةُ الاجنبي. وكان واحد يقول:

دَعنا نتريَّث في السير فاذا جاء يوسف سيدنا ولم يرَنا فيكون الذنب على سلوانس الناظر فيُلقى في مطمورةٍ او يُرسَل الى البقاع ليرعى خنازير معلّمنا

واردف عبدٌ من الاحداث الفرهين الخبثاء: امّا انا فاذا تربّع مولانا على المحفّة وجاء الدور اليَّ لحملهِ هززتُ بهِ هزًّا مُقلقًا فيتزعج بهذه الحركة

وبينما كان العبيد في قيل وقال يصرخون ويقهقهون اذ سمعوا فوق رؤوسهم فرقعة السياط وصوتًا كهزيم الرعد يقول:

أرى الفئران يرقصون بغيبة القطّ. زمّوا الألسنة يا انذال وخفّوا بالسير والّا . . .

فارتجفت فرائص العبيد وعرفوا انَّ الوكيل ادركهم. وكانوا مع خوفهم منهُ يطيعونهُ ويسمعون قولهُ لانَّ سلوانس كان طيّب القلب يتظاهر بالجفاء وهو في الحقيقة رقيق الطباع ليّن الجانب لا يستعمل مع الخدم الضرب والشدّة. ومن ثم نظر اليهِ العبد الصغير ضاحكًا فقال:

انَّ حيّتك يا سلوانس لا تلدغ وسوطك لا يضرب غير الهواء

فهجم عليهِ سلوانس كأنهُ يريد تأديبهُ. الّا انَّ الصغير اخذ حذرهُ وادلع لسانهُ راكضًا

*

كان رصيف المرفأ لما بلغهُ عبيد السيّدة يهوديت غاصًا بالاهلين مع انَّ الشمس لم تطلع بعد. فهذا ينضّد حمولةُ الواصلة وذاك يُعدُّ بضائعهُ ليرسلها الى الجهات. واصوات القوم تخرق الجوّ فمنهم من يدعو الحمّالين ومنهم من يخاصم النوتيين

وكانت السُّفن راسيةً في مرفإِ بيروت الصغير تتحامى وراء السدّ الامواجَ المتلاطمة وكان عـددها وافرًا تبلغ نحو مئة مركب قدم بعضها من الاسكندريّة وبعضها من رودس او قبرس او جزائر اليونان او صقلية ولكل هذه السُّفُن هيئات متباينة بين طويل وعريض ومسطّح ومزيّن بصور آلهة الرومان والفينيقيين ومنها شراعيّة ومنها ذات مقاذيف متعدّدة الصفوف وبعضها للحرب وبعضها للاسفار البعيدة. وكان الهواء يتلاعب

بها جميعاً فتراها تتمايل من مقدَّمتها الى مؤخَّرها او تتهادى يميناً وشمالاً وتصرّ صريراً اشبه بصوت الثكلى

وبينما كان سلوانس وقومهُ يُنعمون النظر ليميّزوا بين هذه السُّفُن « العنقاء » اذ رأوا على مسافة نحو خمسمائة قدم قلوعاً بيضاً يهبُّ فيها الريح فيسوقها الى المرفإ. فصرخ بعض التجار هي « العنقاء » القادمة من رومية على طريق الاسكندريَّة وكان من جملة ركّابها يوسف بن صمويل اليهودي واخو يهوديت صاحبة دار الورود. وكان هذا بعد نهاية دروسهِ في اثينة رحل الى رومية لكنَّهُ لم يُطل الاقامة فيها فعاد راجعاً الى بيروت قبل الاوان. فزار في عودتهِ الاسكندريَّة وقبرس وارسل منها بريداً يخبر اختهُ بوصوله. وكان البريد سفينةً قبرسيَّة اقلعت من قبرس عند وصول « العنقاء » اليها فبلغ الخبر في نصف الليل وذلك كان سبب تلك الحركة الغريبة في بيت صمويل قبل تنفُّس الفجر

فلمَّا تحقَّق سلوانس انها « العنقاء » صفَّ العبيد على طرف الرصيف ليتلقَّوا سيّدهم بشارات الاكرام

وكانت السفينة تتقدَّم بسرعة الغريبة لانَّ بحَّارتها لم يكتفوا بمدّ الشُرُع بل كانوا على اربعة صفوف في قعر السفينة وسطحها يقذفون بالمجاذيف على ايقاع صوت ناظرٍ كان جالساً في اعلى السفينة فيصفّق بيديهِ ويتغنى بنغمة واحدة يردّدها

وكان الناس يزدحمون لمشاهدة هذه السفينة التي كانت تُعَدّ من اجمل سفن ذلك العهد وهي تامَّة الاهبة مجهَّزة بالادوات الرشيقة ومزيَّنة باصناف التصاوير

فوصلت العنقاء بعد قليل ونفذت بين السفن كالسهم الرشيق حتى كادت تمسُّ الرصيف. وللحال مُدَّت الى البرّ خشبة على هيئة الجسر تسابق الناس الى الاجتياز عليها

لكنَّ سلوانس لم يدع احداً يتقدَّمهُ وكان الناظرون يهابونهُ لهيئتهِ الجبَّاريَّة فدخل السفينة ومعهُ عبدان وبقي العبيد الآخرون في انتظارهم ينحُّون اصحاب الفضول ويفيدونهم علماً عن مرتبة القادم اعني « يوسف بن صموئيل صاحب الثروة والجاه في بيروت. وهو شابٌّ من علماء زمانهِ المعدودين درس في اثينة وزار رومية والاسكندريَّة ولا مراء انهُ واجه الامبراطور الجديد فسپاسيانوس »

وصارت هذه الاخبار تتناقلها الالسنة ويعظمها الواحد بعد الآخر حتى اضحى الجميع عيوناً شاخصة ليروا الوافد ويشبعوا منهُ ابصارهم

وما لبث سلوانس والعبدان حتى عادوا بعد حين وعلى اكتافهم المحفَّة يركبها ابن سيّدهم. فكان القادم لابساً رداء طويلاً ابيض كالثلج فوقهُ شملة حمراء تَنَكَّبها على زيّ الرومان وهو مضطجع يسند رأسهُ الى وسادة توسَّدها

فلمَّا رآهُ الجمهور حادوا عن طريقهِ وعلت اصوات عبيدهِ للسلام عليهِ وكذلك دعا لهُ بالتهليل كلُّ من كان يعرف اباهُ او يعاملهُ في التجارة. فردَّ يوسف عليهم السلام متبسماً وشكرهم باشارة من يدهِ المثقلة بالخواتم والفصوص الكريمة

وللحال سار الموكب في نظام حسن فكان السائسان يتقدَّمان لفتح الطريق ووراءهما محفَّة السيّد يوسف ثم يلي المحفَّة عدد من حشمهِ واهل دارهِ وفي يد كل منهم آنيةٌ ثمينة وآثار غريبة أُتي بها من البلاد الاجنبيَّة. ثم خلفهم عدد غفير من العبيد. وكان هذا الموكب يزداد في طريقهِ الى حيّ اليهود فيتبعهُ من اوساط القوم كلُّ من ينتمي الى أُسرة صموئيل او لهُ معها بعض العلاقات

فلمَّا بلغ الموكب «دار الورود» نزل صاحبها وصرف القوم التابعين بعد ان فرَّق عليهم بعض الدنينيرات وامر وكيلهُ ان يتبرَّع بمثل ذلك على كل من يأتي للسلام مدَّة الاسبوع كلهِ

ثم دخل غرفة الاكل الشتائيَّة وفيها كانت تنتظرهُ اختهُ يهوديت لتستقبلهُ اذ لم تسمح لها قيّمتها دوروتيا المصريَّة ان تخرج الى ساحة الدار وفقاً لآداب النساء المرعيَّة في ذلك العصر لئلاَّ تختلط بسَفَلة القوم

فما رأت اخاها داخلاً حتى ترامت عليهِ ضاحكةً باكيةً لا تعرف بايّ كلام تتلقاهُ ثم اخذت تقبّلهُ مراراً وتلقي عليهِ الف سؤَال عن حالهِ وسفرهِ وهي لا تدع لهُ وقتاً للجواب

امَّا يوسف فكان يكتم فرحهُ كما يليق بمثلهِ فيتقبَّل تحيَّات اختهِ ويفرح لفرحها دون ان يبالغ بالمظاهرات الوديَّة. ومع تصوّنهِ كنت تراهُ لا يدع امراً من امور الدار الَّا يستخبر عنها فلم يَفُتهُ منها شيء. وكذلك تنازل فاظهر لطفهُ لخدَم البيت الذين بارحهم منذ اربع سنوات

وفي مساء النهار لمّا عادت الى بيروديت سكينتها اخذت تطلب من اخيها ان يقصّ عليها اخبار رحلتهِ وكلَّ ما عاينهُ او حدث لهُ في غربتهِ

— ماذا تزعمين يا اختي ؟ وكيف اخبرك بكل ما رأيتُ . هذه اربع سنوات مرّت عليَّ منذ خروجي من بيروت وقد شاهدتُ ما لا تكفي كتب ضخمة لتصفهُ

— بدارِ بدارِ ايها العزيز ولا تخفِ عليَّ شيئًا من اخبارك السارَّة . وايَّاك ان تفعل كابي الذي لا يهمّهُ شيء . سوى اخبار التجارة واسعار الحرير والارجوان . وما اشبه فاذا خسر خسارةً تجهَّم لنا وعبس بوجهنا . امَّا اذا ربح ربحًا ما فتراهُ متهلّلًا يبشُّ بنا ويمنحنا طلباتنا بشرط ألّا نطلب شيئًا غاليَ الثمن

— لا يزال لسانكِ طويلًا كما عهدتهُ . فاسمعي لي وكفّي عن النميمة . . . لعلَّكِ ظننتِ انني بقيتُ حزينًا كئيبًا بعد ان فارقت الاوطان . ولكن ساء ظنكِ فانّي وجدت في اثينة من البهجة والسرور ما لا يفي بوصفهِ لسان . وما كادت تستقرُّ بها قدمي حتى تبدَّدت احزاني وسُرّي عني . والحقُّ يقال انَّ اثينة من اجمل مدن العالم ولولا انَّ رومية اليوم غلبتها في آثارها لعددتُها جنَّة عدن . فانكِ مهما سرتِ لا ترين فيها ألّا هياكل عظيمة ومعاهد واسعة ومراسح بهيَّة وكل ساحاتها مزَّينة بتماثيل لابرع التنَّاشين . وما كنتُ ادعُ يومًا يفوتني دون ان ارقى الى ربوتها فاسرّح الابصار في تلك المناظر البديعة التي لم يجتمع مثلها تحت الشمس فازور هياكلها وادقّق النظر في مآثرها لا رغبةً في دين اهل اثينة الباطل وحبًا بآلهتهم الكاذبة ولكن لاشفي غليلي من محاسن العقل البشريّ وبديع اعمالهِ . وكنّا اذا صار المساء نتردَّد الى اروقة المدينة او الى حدائقها فنقضي ساعاتٍ في ارتشاف كؤوس الهناء وتجاذُب اطراف الحديث . امَّا الليل فكنَّا نحضر فيهِ ضروب الالعاب

— بخٍ بخٍ وكنتَ تزعم في كتبك لوالدنا انك متفرّغ للدرس

— لم اكذب على والدي لانَّ العيشة في اثينة بمنزلة الدرس فانَّ مجرَّد النظر الى آثار هذه المدينة يفقِّه العقل ويهذّب الالباب . لا يستطيع الغريب ان يخطو خطوةً دون ان يتعلَّم شيئًا جديدًا وكذلك اذا تردَّد على اساتذتها وأُدبائها وجد في لقياهم منافع جمَّة واتَّسعت مداركهُ وسمت همَّةُ فطلب المعالي ليقتصَّ آثار الابطال الاقدمين

— اخاف ان تكون نسيت ديننا وهيكل اورشليم

كلّا لم اجحد دين آبائي ولم ازل اوجّه النظر الى مدينة القدس. وقد لقيت في اثينة قوماً من اهل جلدتنا وهم مثلنا في انتظار مسيح الربّ. وقد اخبرني بعضهم انّ قبل ورودي بخمس عشرة سنة قدم المدينة رجل من ترسوس يدعى بولس بشَّر الأثينيين بإله مجهول. وكان لكلامهِ وقعٌ في الجمهور فباحثهُ الفلاسفــة واخذوهُ الى محفلهم اريوس باغوس فلمَّا سمعوهُ يتكلَّم عن القيامة نبذوا كلامهُ نبــذ النواة واستهزأوا بهِ قائلين: « سنسمع منك عن هذا مرَّةً أخرى ». الّا انَّ امرأةً تدعى داماريس واحد عظامهم اسمهُ ديونيسيوس وغيرها قليلين خُدعوا بهِ وتتلمذوا لهُ (راجع سفر الاعمال ف ١٧)

وليس بولس هذا الّا احد زعماء النصارى يطوف البلاد ليقنع الناس بانّ رجلًا اثيماً يُدعى يسوع سعى كهنتنا بقتلهِ هو المسيح الموعود. ألم تسمعي يا اختي بالمسيحيين؟

— نعم سمعتُ واعرف انَّهم محبُّون للسلام لا يريدون سوءًا لاحد

— بئس ما ظننتِ فانهُ ليس على الارض قوم شرّ منهم. وهم سبب كلّ الشدائد الحالَّة بنا. كان قياصرة رومية يحبُّوننا ويدافعون عنــا حتى ظهر هؤلاء العيَّارون فصرفوهم عن محبَّتنا والقوا في قلوبهم بذور العداوة والبغض لنا... وقبل اليوم باربع سنوات احرقوا جانباً كبيرًا من مدينة رومية ليستولوا على الامر وارادوا ان يلحقوا تبعة الاثم علينا

— يا الله

— ولكن عاد كيدهم في نحرهم فان نيرون عرف خبثهم فقتل منهم في شهر آب من السنة ٦٤ عددًا لا يفي بهِ احصاء. كما اخبرني رئيس مجمعنا في رومية. وكان الناس يظنونهم بادوا من وجه الارض لكنَّهم ما لبثوا ان ظهروا ثانيةً واثاروا الفتن في انحاء شتى حتى اسعروا علينا غضب رومية (ستأتي البقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

CHANTS ARABES DU MAGHREB

par C. Sonneck, *Paris, Maisonneuve*, 1902, p. 224

الديوان المُغرب في اقوال عرب افريقية والمغرب

كثيرًا ما ذكرنا في المشرق ولوع علماء الغرب بدرس اللغات العامية وتدوينهــا لما

يجدون في كلامها المطبوع من الفوائد اللغويّة التي تؤدّي بهم الى معرفة آداب كلّ بلد وعاداتهِ وتاريخهِ ممّا يُستشَفّ لهم من وراء هذه اللهجات الدارجة. وذلك ما دفع احد مديري مكتب قَسَنطِينة في الجزائر الى جمع ١١٧ قطعة من الموشّحات والاغاني والاهازيج الشائعة بين عرب افريقية والمغرب واكثرها لمشاهير القوّالين في تلك النواحي فنشرها بالطبع في مطبعة ميزانوف الشهيرة بباريس وحشاها بعدّة ملاحظات لغويّة. وفي نيّتهِ ان يلحقها بقسم ثانٍ يودعهُ ترجمتها الفرنسويّة. ودونك مثالاً من هذه الاقوال ليعرضها القارئ على اللهجات الشائعة في بلادنا وهي خمريّة قيل انّها لشاعر تلمساني اسمهُ ابن الذبّاح:

* بيت *	قُوم ترى دراهم اللوزْ	تندفق عن كلّ جيها
	النسيم سقطها في الحوزْ	والنّدَى كَبَّب عليها
	دابا تلقح ورقة اللوزْ	جا بشير الخير ليها
* طالع *	الرياض يعجبني الوانْ	قوم يا صاحْ للبراعا
	يا نديم ايا للبستان	نتنموا في الدنيا ساعا
* بيت *	قوم ترى الورق تعبدْ	والازهار في حليها
	والطيور بالكل تنشدْ	تقرا قل هو الله عليها
	املا لي كاسي وجدّدْ	هذا هو فصل النزهـا
* طالع *	الربيع اقبل يا انسانْ	قوم يا صاح للبراعا
	يا نديم ايا للبستانْ	نتنموا في الدنيا ساعا
* بيت *	يا مَنهُ يعشقْ	هذا هو كاس الحميا
	الزهر والورد يعبقْ	ريحتهْ ريحه ذكيًّا
	والمزار في الغصن ينطقْ	بعشقته هيّج عليّا
* طالع *	والمليح يعجبني سكرانْ	حين يقول سما وطاعا
	يا نديم ايا للبستانْ	نتنموا في الدنيا ساعا

Correspondance commerciale

Exercices en français et en arabe (1re partie.)

par Mr J. Harfouch, Beyrouth, Imprimerie Cath., 1902, *p.* 131

المراسلات التجارية في اللغتين العربية والفرنسيّة

لا يزال استاذ مدرستنا البارع المعلم يوسف افندي حرفوش يتحف بلادنا حيناً بعد آخر بكتب مدرسيّة تقرّب للاحداث درس اللغتين العربيّة والفرنسيّة. وقد كافاهُ الله عن همّتهِ هذه المتواصلة برواج تآليفهِ بين علماء اوربّة فضلاً عن اقطارنا الشرقيّة. ومن اثمار هذه الدوحة المونعة كتاب نشرهُ آخرًا دعاهُ المراسلة التجاريّة في اللغتين

العربيَّة والفرنسيَّة توخَّى في وضعهِ ارشاد الاحداث الى المكاتبات التجاريَّة لِما في اتقانها من الفوائد الجمَّة لاهل بلادنا الذين يزاولون التجارة ولا مُندحة لهم من معاملاتها الجارية. وقد ضمَّن المؤلّف في هذا الكتاب الصغير الحجم الكثير الجدوى اكثر الالفاظ والاصطلاحات والتراكيب التجاريَّة التي تمكّن من انشاء المراسلات المتداولة بين التجار في اللغتين الفرنسويَّة والعربيَّة والتمارين التي هي في هذا القسم تتضمَّن جُملًا متفرّقة مدرَّجة على اوزان الافعال الفرنسيَّة قياسيَّة كانت او سماعيَّة على طريقة قريبة المنال. تروّض الطالب وترقّيهِ الى قسم آخر نتمنّى صدورهُ قريبًا ان شاء الله يودعهُ المؤلف مكاتبات متعدّدة في كلّ فرع من فروع التجارة. ونحن لا نشكّ في انَّ ارباب المدارس اذا وقفوا على فوائد هذا الكتاب يتسارعون الى ادراجهِ في سلك كتبهم المدرسيَّة

شَذَرَاتٌ

انجيل عربيّ قديم — وصفنا في سنتنا الرابعة (المشرق ٤: ٩٧—١٠٩) عدَّة اناجيل عربيَّة قديمة قسَّمناها الى خمسة اقسام على اختلاف عهدها وطرق تعريبها. ومن جملة ما وصفنا هناك (ص ١٠٧) انجيل مزيَّن بتصاوير وجدناهُ في ماردين رقّينا عهدهُ الى نحو اربعمائة سنة والحقناهُ بترجمة انجيل ابن العسَّال الجامعة لفوائد الترجمات القبطيَّة والروميَّة والسريانيَّة. ثم وجدنا في بيت احد افاضل البلدة الخواجا بطرس افندي تيَّان نسخةً أُخرى تشبه هذه النسخة شبهًا عظيمًا الَّا في بعض الالفاظ تاريخها سنة ٦٢٤ هجريَّة (١٢٢٧ م) كُتبت على ما نظنّ في بلاد مصر بخطّ نصارى الاقباط كمثل الخطّ الذي ترى صورتهُ في صفحتين رسمناها بالفوتغراف (ص ١٠٥). والكتاب عبارة عن ٤٨٦ صفحة مع نقوش جميلة بالالوان في صدر كلّ من الاناجيل الاربعة وفي هامشهِ اعداد قبطيَّة بالحبر الاحمر. امَّا تقاسيم فصول كل انجيل فتختلف عن نسختنا. فانَّ انجيل متَّى يحتوي ٦٨ فصلًا وانجيل مرقس ٤٨ فصلًا وانجيل لوقا ٨٣ فصلًا وانجيل يوحنَّا ٢٠ فصلًا. وفي صدر الكتاب اسمهُ بالالوان: «كتاب الانجيل الطاهر والمصباح المنير الزاهر» ثم في الصفحة الاولى البسملة يليها قولهُ: «نبتدئ بحول الله تعالى وحسن توفيقهِ نكتب اربعة اسفار الانجيل المقدَّسة (كذا) الذي بشّر بها الاربعة الرسل الاطهار متَّى مرقس لوقا يوحنَّا. اوَّل ذلك بشارة القديس متى المصطفى». ثم «بشارة القديس

مرقس » وفي آخرها : « كملت بشارة مرقس الرسول الذي كان اسمهُ يوحنَّا كما شهد لوقا في كتاب الابركسيس وهو ابن اخت برنابا (برنابا) يحفظنا الربّ بشفاعتهِ امين والحمد لله دائماً ابداً ». ثم « بشارة لوقا المرتضى » وفي ختامها : « نجز انجيل لوقا الرسول بسلام من الرب امين والسبح لله دائماً ». ثم « بشارة يوحنَّا بن زبدى » وفي آخرها : « كمل انجيل يوحنَّا وهو كمال الاربعة اناجيل بسلام الرب امين والحمد لله دائماً ». ودونك مثالاً من هذه النسخة نجعل بازائهِ ترجمة الانجيل الذي وجدناهُ في ماردين

ميلاد الكلمة (اوَّل بشارة يوحنَّا)

نسخة الاديب بطرس افندي تيَّان	نسختنا المكتشفة في ماردين
في البدء كان الكلمة . والكلمة كان عند الله . والهُ هو الكلمة . كان هذا قديمًا عند الله . كلٌّ بهِ كان وبغيرهِ لم يكن شيء ممَّا كان . بهِ كانت الحياة والحياة هي نور الناس . والنور اضاء في الظلمة . والظلمة لم تدركهُ . كان انسان أُرسل من الله اسمهُ يوحنَّا . هذا جاء للشهادة ليشهد للنور ليؤْمن الكل بهِ . ولم يكن هو النور بل ليشهد للنور الذي هو النور الحقيّ الذي يضيء لكل انسانٍ آتٍ الى العالم . في العالم كان والعالم بهِ كُون والعالم لم يعرفهُ . الى خاصَّتهِ جاء وخاصَّتهُ فلم يقبلهُ . فاعطاهم سلطانًا ان يصيروا بني الله الذين يؤْمنون باسمهِ الذين ليس هم من دم ولا من هوى لحم ولا مشيئة رجل لكن وُلدوا من الله . والكلمة صار جسدًا وسكن فينا ورأينا مجدهُ مجدًا مثل ذي الوحيد الذي مثلي من الآب نعمةً وحقًّا	في البدء كان الكلمة . والكلمة كان عند الله . والله هو الكلمة . كان هذا قديمًا عند الله . كلٌّ بهِ كان وبغيرهِ لم يكن شيء ممَّا كُوِّن . بهِ كانت الحياة والحياة هي نور الناس . والنور في الظلمة ظهر . والظلمة لم تدركهُ . كان انسان مرسل من الله اسمهُ يوحنَّا . هذا جاء للشهادة ليشهد للنور ليؤْمن الكل من يدهِ . ولم يكن هو النور بل ليشهد للنور . كان النور الحقاني الذي يضيء لكلّ انسان آتيًا الى العالم . في العالم كان والعالم بهِ كُوِّن والعالم لم يعرفهُ . الى خاصَّتهِ اتى وخاصَّتهُ لم تقبلهُ . فاعطاهم سلطانًا ان يصيروا بني الله الذين يؤْمنون باسمهِ الذين ليس هم من لحم ولا من دم ولا من مشيئة رجل لكن من الله ولدوا . والكلمة صار جسدًا وسكن فينا ورأينا مجدهُ مجدًا مثل ذي الوحيد الذي من الآب المملي نعمةً حقًّا

ومن هذا يظهر انَّ هاتين النسختين ترجمة واحدة مع تصرُّف يسير . وان هذه الترجمة سبقت زمن ابن العسَّال . والمرجح انَّها مترجمة عن اليونانيَّة وشاعت بين النصارى الملكيين في مصر وبلاد الشام . وقد افادنا حضرة الاب الفاضل خليل مرتا انهُ وجد في القدس الشريف في مكتبة الاقباط نسخةً من الاناجيل تشبه نسختنا الماردينيَّة الموصوفة سابقًا كُتبت سنة ١٠٤٢ للشهداء بيد توما بن الصائغ . وقد تأكَّدنا من بعض آيات ذكرها

حضرة المراسل انَّها كنسخة بطرس افندي تيَّان ليس بينهما اختلاف يُذكر. وممَّا في هاتين النسختين انَّهُ ورد في خبر زيارة البتول العذراء الى نسيبتها اليصابات انها مضت مسرعةً « الى عين كارم الى مدينة يهوذا » وذكر عين كارم ينقص في نسختنا

اسئلة واجوبة

س سأل من صيداء جناب توما افندي كيَّال ما هو المركَّب الذي تُطلى بهِ الشجر عند تطعيمها صيانةً للطعم من تقلُّبات الهواء والحشرات ومن اين يستحضر

مركَّب لتطعيم الاشجار

هذا المركَّب شائع في اوربَّة يدخل في تركيبهِ الراتينج والتربنتين والشمع اخترعهُ لوهم لوفور (Mastic Lhomme Lefort) ويمكن استحضارهُ من باريس من عند الزراعي الشهير ڤيلمورين (Vilmorin , 4 Quai de la Mégisserie) زجاجة منهُ ذات مئة غرام تساوي خمسين سنتيماً. ويجوز استعمال الصلصال (argile) بدلًا من هذا المركَّب

س سأل جناب عيسى افندي زريق: ١ً هل توجد شروحات افرنسيَّة على مجموعة كتابات سوريَّة اليونانيَّة واللاتينيَّة لوادنغتون ومجموعة دي ڤوكويه لكتابات سوريَّة الوسطى والمجموعة ڤان بركم للكتابات العربيَّة واين تباع وكم تساوي. ٢ً هل ورد اسم الله ΔΙΟCΚΟΡΟC في احدى الكتابات المكتشفة في سوريَّة. وهل بينهُ وبين الاله « Κοίρανος κώμων » نسبة ؟. ٣ً هل يُعرف لابن خواجه زاده رسائل ومؤلفات غير تهافت الفلاسفة المطبوع في مصر. ٤ً هل نُشرت رسالة ابن عطاء الله المعروفة بمتن الحكم

ج نجيب على (الاوَّل) انَّ مجموعات وادنغتون ودي ڤوكويه وڤان بركم تتضمَّن شروحًا افرنسيَّة على الكتابات التي نشروها. امَّا محلّ مبيع هذه التآليف فعند كل الكُتُبيين الكبار في باريس وليبسيك. نخصّ منهم بالذكر ارنست لورو (E. Leroux rue Bonaparte, 28) امَّا ثمن هذه المجاميع الثلاث فنحو مئة فرنك. نجيب على (الثاني) انَّنا في شبهة عن اسم « ΔΙΟCΚΟΡΩΝ » ولعلَّ الصواب (ΔΙΟCΚΟΡΟC) وهو علمٌ معروف ورد في عدَّة كتابات ولا نظنّهُ اسمًا لإله. وعلى كلّ حال لا علاقة بين « ΔΙΟCΚΟΡΩΝ » و « Κοίρανος κώμων ». نجيب على (الثالث) انَّ لمصلح الدين مصطفى بن يوسف البرسوي المعروف بخواجا زاده كتبًا كثيرة في التوحيد والاصول والحكمة عدّدها الحاج خليفة في كتاب كشف الظنون. ونجيب على (الرابع) انَّنا لم نسمع بان متن الحكم لابن عبد الله طُبعت حتى الآن ل. ش

المشرق

بحث جغرافي

في سيرة القديس مارون الناسك

للاب هنري لامنس اليسوعي

إكمالًا لبحثنا عن منشإ الطائفة المارونيَّة وتكوّنها نضيف الى ما سبق من الكلام بعض افادات تتعلّق بحياة القديس مارون الذي خلّف اسمهُ للطائفة الموما اليها٠ غير أننا لا نتجاوز الحيّز الجغرافي الذي رسمناهُ فنتكلّم من ثمَّ على حياتهِ لا من الوجه التاريخي بل من الوجه الجغرافي لاسيَّا وان هذا الوجه قد كثر تغاضي الباحثين عنهُ حتى الآن فبقيت فيهِ مشاكل كثيرة لا بُدّ من تفكيك معضلاتها

*

ليس في ايدينا شيء يروي اخبار القديس مارون غير مصدر واحد اصلي اي الترجمة التي تركها تاودوريطوس اسقف قورس (١ وهي تركة جليلة القدر يكفي انتسابها الى هذا المؤرخ الجليل للحكم على مكانتها من الاهمية ولولا ايجازها المفرط لما وجدنا فيها مساغًا للانتقاد وتأخذ عليهِ انهُ اهمل الوجه الجغرافي اهمالًا تامًّا حتى اننا لا نجد في ترجمة القديس مارون سوى اسم واحد من اسماء الامكنة وسبب ذلك هو انهُ دوَّن ما

١) راجع تأليفهُ المعنون « تاريخ الرهبان » في مجموع الاباء اليونان ج ٨٢ واليهِ نشير في هذه المقالة

دون الحمل معاصريهِ على سلوك طريق الفضيلة بايراد سيَر الزهّاد والقديسين فلم يخطر لهُ في بال ان يشفي رغائبهم في امور كان يفترض انّها معروفة عند جميعهم

وبناء عليهِ نأسف كل الاسف على عدم التفاتهِ الى هذا الشان الذي لو اراد الكتابة فيهِ لكان وفاهُ حقَّهُ من البيان بغاية الضبط والدقَّة. وهب انهُ لم تكن لهُ معرفة شخصيَّة بالقديس مارون فقد كانت لهُ صداقة بليغة مع القديس يعقوب (١ اشهر تلاميذه الذي أطلعهُ على كل ما يتعلّق بمن يصفهُ هذا المؤرخ اليوناني تارةً بمارون الكبير وتارةً بمارون « الالهي » (٢ . وكأنَّ تاودوريطوس خشي في كلامهِ على الابطال المسيحيين الكثيري العدد من تكرار اخبار الخوارق والمعجزات فبالغ في اختصار سيرة القديس مارون بنوع انَّ من يطالعها تتبادر الى ذهنهِ في الحال مسائل كثيرة لا يجد لها حلاً وهي: أين ولد القديس مارون وأين عاش واين دُفن واين هو الدير الذي تسمَّى باسمهِ. فاتمامًا لهذه النواقص عزمنا على ان نسرد في الصفحات التابعة كل ما تيسَّر لنا جمعهُ من المعلومات المؤدية على قدر المكنة الى العلم الكافي باحوال الناحية التي تعطَّرت باريج هذا الناسك العجيب ولهذا نضرب صفحًا عن الاطناب في حياتهِ متوسعين بوصف البلاد التي صرف فيها ايامه لان ذلك اعون على فهم ترجمته

١

في القسم الشمالي الشرقيّ من سوريَّة كانت تمتدّ في ذاك الزمان القديم مقاطعة كوماجينة وهي ناحية متَّسعة الاطراف يحدُها من الشمال جبل طوروس ومن الشرق نهر الفرات ومن الغرب قيليقية. واماَّ من الجنوب فيصعب تحديدها وبناء عليهِ نرسمها بخطّ غير منتسق يذهب من الفرات الى ما تحت هيرابوليس (منبج) حتى يتصل بجبل امانوس (المًاداغ) مارًّا تحت مدينة حلب وشماليّ بحيرة العمق بالقرب من انطاكية

هذا هو اعظم اتساع ادركتهُ كوماجينة عندما كانت تشتمل ايضًا على المقاطعة « القورسية » (٣ التي دُعيت بهذا الاسم نسبةً الى مدينة قورس حاضرتها وكان موقع

---

١) راجع في تاريخ الرهبان تراجم تلامذة القديس مارون

٢) Θεσπέσιος

٣) وفقًا لبعض قدماء المؤرخين

هذه المقاطعة الثانيــة في جنوبي الاولى وسنذكر بُعَيد هذا مقدار امتدادها (١ لان الكلام عليها لا يخلو من فائدة كبرى للاطلاع على اخبار القديس مارون

وحتى يكون للقارئ تصوُّر صائب بهذه المقاطعــة نكتفي الآن من القول ان كوماجينة تنطبق في الحاضر على قسم من ولايتيّ معمورة العزيز وحلب غير ان الجزء الاكبر من كوماجينة هذه كان في ضمن ولاية حلب اعني انهُ كان يشمل بالتقريب كلّ متصرفيَّة مرعش ويدخل فيهِ من متصرفية حلب المركزيَّة اقضية عينتاب وكلِّس والباب وصارم وجبل سمعان ومنبج. امَّا من متصرفيــة اورفة فما كان يحتوي غير قضائيَ غربي الفرات اي جزءًا من قضائي بيرجيك وروم قلعة

وكان الذين استوطنوا هذه المقاطعة من بادئ الامر قبائل الحثيين ومنها امتدُّوا بعد ذلك الى بقية سوريَّة. يدل على ذلك ما عثر عليهِ الباحثون من الآثار التي ابقاها للاجيال الغابرة هذا الشعب الذي لم يُعرف من اخباره حتى الآن شيء كثير (٢. على ان القبائل المذكورة ما لبثت ان اختلطت بالآراميين الذين اسَّسوا هناك كثيرًا من الممالك أخصُّها بيت عدين وارباد وكانت قاعدة هذه المملكة الثانيــة مشيَّدة في موقع تلّ أرفاد شماليّ حلب

وكانت كوماجينة في عهد دولة السلوقيين من جملة مقاطعات المُلك الذي اسسوهُ غير انَّها ما لبثت ان استعادت استقلالها وارجعت ولايتها الى ملوك من اهلها. وبعد وفاة انطيوخوس الثالث في السنة السابعة عشرة للمسيح صارت الى الرومانيين فادخلوها في جملة مستعمراتهم غير ان ذلك لم يدم الَّا سنوات قليلة لانها في السنة الثامنة والثلاثين رُدَّت الى ابن الملك انطيوخوس السابق ذكرهُ وبعد مرور اربع وثلاثين سنة اي في السنة الثانية والسبعين ضُمَّت بوجه نهائي الى المستعمرات الرومانيَّة وكانت سميساط حاضرةً لها (راجع ماركاردت في نظام المملكة الرومانيَّة. مج ٢ من الترجمة الافرنسيَّة ص ٣٤١ و٣٤٢)

امَّا سكَّان المقاطعة المذكورة فكانوا آراميين أصلًا ولغةً. نعم ان الآداب اليونانيَّة

---

١) راجع استرابون (ك ١٦ ف ٢) وبلينيوس (ك ٥) الخ

٢) راجع المشرق (٥: ٧٥٩)

كانت قد دخلت البلاد بدخول السلوقيين واصابت نجاحًا جديدًا في ايّام الرومانيين غير ان هذا النجاح كما نبَّه على ذلك العلاَّمة نُلدك لم يتصل الى درجة امتدَّت معها اللغة اليونانيَّة او الآداب اليونانيَّة امتدادًا عظيمًا بل حدّ ما فيهِ ان صنائع المغرب وطريقة المعاش فيهِ قد فازت بشيء من التقدّم وان بعض عناصر الحضارة الغربيَّة قد تسرَّبت الى افكار القوم المتمدنين ولغتهم. قال نُلدك: « امَّا القول بان اللغة السريانيَّة قد زالت من المراكز المتهذّبة فهو من قبيل المبالغة والغلوّ فان الآراميَّة كانت لغة قديمة استعملها اهل التمدن في التخاطب والكتابة بينما كان القوم في رومية وارباضها لا يعرفون في ذاك الوقت حروف الهجاء. وفي ايّام ملوك الفرس الذين كان قورش الملك اشهرهم اتُّخذت الآرامية لغة رسميَّة في مصر وفي آسية الصغرى ايضًا اي في خارج موطنها الاصلي. وفي ايّام الامبراطرة الاوَّلين الرومانيين نجد الآراميَّة ايضًا كلغة رسميَّة لا في تدمر وحدها بل ايضًا في المملكة النبطيَّة حتى بلاد العربيَّة في الجهة التي تُعرف اليوم بالحجاز اي في ناحية غريبة عن منشإِ اللغة المذكورة على ان ذلك لم يكن نتيجةً لتغلبها السالف بدليل ان آثار تدمر والنبط تنطق بان هذه اللغة اصابت نموًّا وانتشارًا فيما بعد ايّام ملوك الفرس وعلى ذلك فقد كانت اللغة الحيَّة في سوريَّة وبها كان القوم يتخاطبون ويتكاتبون

« نعم ان اليونانيَّة كانت من زمان قد حلَّت محلَّها في الاصطلاح الرسمي ولكن القوم في ما خلا ذلك لم يكونوا يكتبون ولا يتكلمون الَّا بالآراميَّة ولا يصحّ في كل حال تعليق اهميَّة كبيرة على ما كان يعملهُ بعض اهل المدن من تكليف معلمي المدارس بكتابة بعض تواريخ يونانيَّة على مدافن امواتهم مع انهم يكادون لا يفقهون منها كلمة واغلب هذه التواريخ مشوَّهة بالاغلاط فوق ما يمكننا وصفهُ (١ » انتهى كلام نلدك

فيُستدل ممَّا مرّ بيانهِ ان مقاطعة كوماجينة كانت كبقيَّة سوريَّة آراميَّةً محضة كما سبق لنا اثبات ذلك في غير هذا الموضع. امَّا مستخدمو الحكومة وقليلون غيرهم من افراد السكَّان فكانوا يفهمون اليونانيَّة ويتكلمون بها لا اكثر

وفي اثناء القرن الثالث والقرن الرابع تقسَّمت سوريَّة تقسيمًا اداريًا جديدًا

١) راجع المجلَّة الاسيويَّة الالمانيَّة (ZDMG) سنة ١٨٨٥ ص ٣٣٢

وسنذكر تفصيل هذا الامر واخباره في خلال مقالتنا هذه. امَّا كوماجينة فتسمَّت على إثر التقسيم المذكور بسوريَّة الفراتيـة نسبةً الى الفرات وجُعلت هيرابوليس (منبج) قاعدةً لها وجرى كذلك بعض التعديل في حدّها الجنوبي فتمدَّد الى الجنوب ولاسيما في النواحي القريبة من الفرات غير انهُ سُلخت عنها ناحية حلب وأُلحقت بسوريَّة الاولى

وكانت في جنوبي كوماجينة ناحية تدعى « القورسية » ولا بدَّ لنا من توفية الكلام حقَّهُ على هذه الناحية نظرًا لما يترتَّب عليهِ من الفائدة في المسألة التي نحن بصددها

وكان لهذه التسمية كما لغيرها من التسميات الجغرافيَّة امتداد يعظم ويقلّ بحسب الازمنة ففي ايَّام استرابون كانت تُطلق على ارض واسعة تذهب من جبل امانوس الى الفرات وتشمل خلا ناحية قورس ناحيتي حلب ومنبج. غير انَّها بعد ذلك كأيَّام القديس يوحنا فم الذهب والقديس مارون مثلًا انحصرت بناحية مدينة قورس فعن هذه الناحية الأخيرة نتكلَّم الآن ولمزيد التوضيح ندعوها « القورسية الصغرى » وسنبحث عن وصفها في كتب توادوريطوس الشهير الذي تولى اسقفيتها مدَّةً طويلةً من السنين

كانت مسافة القورسية الصغرى اربعين ميلًا في عرض مثلها وكانت فيهـا جبال معتدلة الارتفاع بين سبعمائة وثمانمائة متر معظمها كاسٍ بالغابات. ومع انهـا ليست بذات ثروة وغنى كان فيها نحو ثمانمائـة محلّ بين دساكر وقرى كبيرة كما يتبيَّن ذلك من رسالة لتوادوريطوس كتبها الى القديس لاون الكبير فيها يخبر البابا المشار اليهِ انهُ يعتني بثمانمائة كنيسة(١. ولم تكن فيها سوى مدينة واحدة اعني بها قورس التي باسمها تسمَّت الناحية كلها. وسنذكر كيف كانت المدينة في ايَّام القديس مارون غير انَّنا قبـل ذلك يجب ان نعيّن موقعها وموقع الناحية التي كانت قاعدة لها ومركزًا مدنيًّا ودينيًّا

على مسافة ستين كيلومترًا شماليّ حلب تجد مدينة كلّس التي هي قصبة قضاء يُسمَّى باسمها واذا توغلتَ في الجبال على مسافة خمسة عشر كيلومترًا نحو الشمال الغربي تدلُّك الخارطة على شبه وادٍ ففي هذا الوادي كانت مدينة قورس التي كان توادوريطوس اسقفًا لها وحتى اليوم ما زالت خرائبها ناطقة بكبرها واتساعها واهل البلاد يسمونهـا

١) راجع الرسالة ١١٢ وفيها يعترف توادوريطوس باولية الحبر الروماني. راجع ايضًا الرسالة ٩٢

« قورس » او « كورس » وليس بين ايدينا لسوء الحظّ وصف مدقّق لهـذه الخرائب والبلاد المجاورة لها لأنّنا لم نزرها كما ان السيّاح القليلين الذين زاروها لم يتركوا لنا شيئاً من نتيجة ابحاثهم عنها . وآخر من زارها من السيّاح هو المسيو برتلمي ترجمـان قنصلية فرنسة في حلب وذلك في شهر ايلول سنة ١٨٩٤ غير انّنـا لم نرَ من تقريرهِ سوى خلاصة يسيرة ظهرت في نشرة مجمع الكتابات لسنـة ١٨٩٥ (١ تتضمن ثلاثة رسوم شمسيّة تمثّـل « اخربة قورس العظيمة » ووُجد ايضاً بين اوراق المستشرق الشهير غيلدميستر مقالة عن قورس لم تُنشر بالطبع (ZDPV, XIV, 82) وكل هذه الناحية التي يهمّ البحث عنها كثيرًا توضيحاً لمنشإ الطائفة المارونيّة وتاريخ النصرانية في سوريّة تستحقّ ان يقصدها الباحثون وينقّبوا في آثارها بالتفصيل والتدقيق . غير انّنا تعويضاً عن سكوتهم بذلنا الجهد حتى نجمع من الكتب كل ما له بالقورسية علاقة قريبة او بعيدة وسنجعل جلّ اعتمادنا في هـذه المسألة على مصنّفات توادوريطوس ونتخذها إماماً لنا في بحثنا هذا

٢

اذا تابعنا فورير (٢ وجب القول بان قورس من اقدم المدن السوريّة وانّها سبقت دمشق لأنّ هذه على موجب قوله قد أسستها احدى الطوارئ التي اتت من قورس . غير ان تعليل فورير منقوض لان آية النبي عاموس (٩ : ٧) التي يعتمد عليهـا لا تصح له الّا اذا اثبت انّها تشير الى مدينةٍ سوريّة لا الى ناحية من اسية الصغرى مع ان هذا الراي الثاني اقرب واوفر احتمالًا (٣

وزعم آخرون انّها تأسست اكرامًا واجلالًا لقورش العظيم ملك الفرس ولعل هذا الزعم ناجم عن كتابة بعض المؤرخين البيزنطيين الذين كانوا يكتبون Κύρος بدلًا من (Κυῤῥος) . وكان موقع المدينة في ناحية قليلة التضاريس وكان فيها على عهد الرومانيين طريقان رومانيان أحدهما يتجه الى الرها والآخر الى حماة (٤ ويظهر من التاريخ انّها

(١ راجع Cemptes-rendus de l'Acad. des Inscriptions, 1895, p. 469

(٢ Furrer, ZDPV, VIII, p. 39

(٣ راجع قاموس الاداب الكتابية لفيكورو في مادة Cyrène

(٤ كتاب المسالك لانطونين Itinerarium Antonini (ed. Parthey, 84, 86, 87)

كانت اذ ذاك مهمة لأنها اعطت اسمها الى ناحية كبيرة مثل « القورسية » التي كانت تشتمل كما سبق القول على نحو النصف من مقاطعة كوماجينة غير ان اتساعها تبدَّل اخيرًا بالضيق كما تقدمت ايضاً ملاحظة ذلك

ويحتمل ان تكون قورس قد ابتدأت في هذه الفترة تنحطّ قليلًا عن مقام مجدها غير انَّها كانت في ايَّام توادوريطوس والقديس مارون موقعاً حصيناً يحمي قلاع ناحيـة الفرات (١ واستمرَّت كذلك حتى الفتح العربي فأُلحقت فيــهِ بناحية العواصم (٢ وفي أيام عبد الملك ضُربت فيهِ سكَّة (٣ ممَّا يثبت انها كانت اذ ذاك صاحبة شان ومقام وقد استرجعها نور الدين من الصليبيَّة ومن بعدهِ لم نعثر لها على ذكر ونظن انهُ ما طال الامر حتى أُهملت وهُجرت غير انَّنا لا نجسر على متابعة من قال بان نور الدين المذكور هو الذي اخربها . وهذا كل ما نعلمهُ من تاريخ قورس المدني

وفي ايَّام توادوريطوس التي نهتم لها بنوعٍ خاصّ لانهــا كانت بالوقت نفسه ايام القديس مارون تظهر قورس كمدينة صغيرة لان المؤرخ المذكور يسميها « πολίχνη » (٤ غير انهُ يجب الحذر من اتخاذ هذه التسمية على حرفيتها فكما ان اهالي لندن وباريس الذين يضارعون او بالحري يتجاوزون شعب مملكة او اكثر قد ينزّلون سائر المدن منزلة اماكن حقيرة لا اهمية لها هكذا يمكن ان يكون قد خطر مثل هذا الخاطر للمؤرخ توادوريطوس الذي ائتلف رؤية محاسن انطاكية وطنه وجزيل اتساعها . ومعلوم انها كانت اذ ذاك ثالثة حواضر العالم المتمدن او على الكثير رابعتها . وبناء عليهِ سترى بعد هــذا انهُ لم ينل عزاء تامًّا بسبب اضطراره الى فراق انطاكية والاقامة في حاضرة اقليمية كمدينة قورس التي يشهد باهمّيتها الحقيقية اتخاذها ثكنةً للعساكر ما بين طريقين عظيمين رومانيين

والظاهر انها لم تحوِ غير قليل من الآثار التي وفَّرها التمدُّن اليونانيُّ الرومــاني في المدن السوريَّة كالاقنية والمناهل والاروقة المغطاة المستندة الى اعمــدة ممَّا كان يُبنى في

١) راجع C. R. Acad. Inscript., 1902, p. 513

٢) راجع فتح البلدان للبلاذري ص ١٣٢ , ١٤٩ وقدامة ص ١٥٢ (طبعة دي غوي) . امَّا العواصم فرَّ ذكرها في المشرق (٦ : ١٢٢)

٣) المجلة الاسيويَّة الالمانيَّة (ZDMG, 1889, p. 984)

٤) راجع مجموع آباء اليونان لمين (ج ٨٣ ص ١٢٢١)

الشوارع المهمّة ليقي المارة في ايام الصيف من حرّ الشمس وفي ايّام الشتاء من الامطار (١ وكل ما احتوتهُ من هذا القبيل قد تمّ بمساعي وعناية اسقفها العظيم الذي لا نبالغ اذا سميناهُ مؤسسها الثاني

قال توادوريطوس المذكور: «انني شيدتُ في قورس من اموال الكنائس اروقةً عموميّة وبنيت جسرين عظيمين واعتنيت بالحمّامات العموميّة ثم انني اتخذت قناة وجررت بها مياه النهر القريب وهكذا متّعت المدينة بالمياه الغزيرة التي كانت محرومةً منها قبلًا » (٢ وكانت قورس خاليةً من طبيب فسعى توادوريطوس كل السعي في حمل احد الاطباء على الاقامة بمدينته الاسقفيّة (٣ ولهُ غير ذلك ايضاً من الاعمال الدالّة على اهتمامه العظيم بالحاجات الزمنية لابناء رعيته

واننا لنأسف عن عدم تمكننا في هذا المبحث الجغرافي خاصةً من الاطناب في مآثر هذا الرجل العظيم الذي يُعدّ من مشاهير عصره ونوابغ دهره فقد كان متسع المدارك رفيع الفهم محتقرًا حطام الدنيا وكان مع ميلهِ الى المفاخر والمعالي يقدم على العظائم ويبذل كل مقتناه في سبيل الفقراء والآثار النافعة للجمهور. وكان من الذكاء على جانب عظيم يرتاح الى الاطلاع على كل شيء والوقوف على كنهه وحقيقته. ومن الخطابة في اعلى مقاماتها لا يفوقهُ فيها احد غير فم الذهب. ومن المنصب الاسقفي في اسمى مراتب الهمة والغيرة والتقى بحيث يصح ان يُجعل إماماً وقدوة لكل الاساقفة في كل عصر (٤ ولهذا كان احقّ مؤرخ بتدوين سير الابطال المسيحيين كالقديس مارون الذي لولا آثار قلمهِ لجهلنا ترجمتهُ.

غير ان ما نعلمهُ من الجغرافية الطبيعية لقضاء كلّس يشرح ويتمم وصف القورسية

---

١) كانت كل المدن السوريّة المهمّة مشتملة على مثل هذه الاروقة كما يتبيّن ذلك من مشاهدة تدمر وجرس (عجلون). والعمد الكثيرة المتراكمة حتى اليوم في ميناء جبيل وشوارعها هي من بقايا الاروقة المذكورة ٢) تاريخ الرهبان (فصل ٢١ والرسالة ٨١)

٣) يتكلم توادوريطوس في الرسالتين ١١٤ و١١٥ عن كاهن اسمهُ بطرس عانى التطبيب زماناً طويلًا في قورس. واكتشفوا ايضاً في ديامس رومية حجر ضريح لكاهن من المتعاطين صناعة الطبّ. غير ان القوانين التي ترتّبت بعد ذلك حظرت الطب على رجال الاكليروس

٤) ان سيرة توادوريطوس هي من السير البالغة حدّ الكمال تستحق ان يطالعها كل من اختارهم المولى لحمل عبء الاسقفية الثقيل

مثلما يُفهم من الافادات المنثورة في كتابات توادوريطوس فان البلاد كلها مشغولة بجبل الأكراد وهو عبارة عن أسناد اي جبال صغيرة منفصلة عن سلسلة امانوس الكبيرة ولم تزل هذه الجبال حتى ايامنا كثيرة الآجام والغابات (١ بحيث تدهش جميع السيَّاح الذين اعتادوا النظر الى تعرّي بقية سوريَّة من الاشجار غير انهم اذا بحثوا عن القرى الثاغانة التي كانت في القرن الخامس لا يقفون لها على اثر

وقد علمتَ ان توادوريطوس يتكلم على نهر جرَّهُ الى المدينة وعن جسرين كبيرين شيَّدها هناك . وفي الحقيقة انهُ تمرّ في جوار قورس عدَّة انهار منهـا نهر عفرين اخصّ السواعد الشماليَّة لنهر العاصي . وبالقرب من قورس يلتقي بالنهر المذكور نهران صغيران احدهما صابون سو والثاني جاموس ديرسي ولعلَّ مياه نهر صابون القريب من اخربة قورس هي التي جرَّها توادوريطوس الى كرسي اسقفيته

ومع قرب الانهر المذكورة كانت بقية الناحية القورسيَّة كثيرًا ما تصاب بالجفاف وقد ذكر توادوريطوس خبر جفافٍ اصابها في رسالة وجهها الى اريوبنداس يسألهُ فيها ترك الديون التي لهُ على المزارعين باراضيه الواسعة في القورسيَّة (الرسالة ١٣) ويذكر ايضاً خبر جفاف آخر في ترجمة بوليخرونيوس (٢

هذا ما استطعنا جمعهُ من المعلومات عن مدينة قورس وجيرتها غير اننا لم نقف على معلومات تُذكر عن سائر اماكن القورسيَّة لان توادوريطوس لا يشير في ما خلفهُ من الكتابات الَّا الى قليـل منها مثل اسيكا ونيتيس وتيليا وثوغالا وراما وسيتَّا ونيارا ونيموزا (٣ ولم يلحق بهذه الاماكن شيئاً من الاوصاف ما خلا نيارا فانهُ وصفها بانها مدينـة وقد رأيتَ ان لاكثر الاماكن السابق ذكرها اسماء آرامية وهو امر طبيعي في ناحية آرامية خالصة كما مرَّ لنا اثبات ذلك في الكلام على كوماجينة إجمالًا وكما سنثبتهُ بعد هذا في الكلام على القورسيَّة خصوصاً

---

١) ممَّا يجب التنبيه اليهِ هو انهُ يوجد بين اشجار هذه الغـابات اشجار مثمرة تنبت من تلقاء نفسها . وهكذا كانت الحال في ايَّام توادوريطوس لانهُ يخبر عن القديس يعقوب النـاسك الشهير انهُ كان يقتات من ثمار اشجار الغاب (مج ٨٢ ص ١١٠٩)

٢) راجع مجموع الآباء اليونان لمين (ج ٨٢ ص ١٢٦١)

٣) في المجلد نفسهِ ص ١٢٢٩ , ١٢٣٢ , ١٢٥٣ , ١٢٥٤ , ١٢٥٧ , ١٢٥٩ , ١٢٦٠ , ١٢٦٤

ولم يكن سكّان القورسيّة من ذوي الغنى والثروة بدليل ان اسقفهم كان يضطرّ الى اسعافهم والقيام بالاشغال العموميّة لديهم. وكان في بعض المرّات يرفع العرائض من اجلهم الى الامبراطورة بولخرية القديسة وغيرها من كبراء المنصّبين (١ وهي تدل من جهة على شهامة قلبه وحنانه ومن جهة ثانية على شقاء الاهالي الذين بهظتهم الضرائب وثقلت عليهم جدًّا حتى ان الكثيرين منهم لعجزهم عن القيام باعبائها كانوا يؤثرون التسوُّل وهجر الاوطان (الرسالة ٤٢) (له بقيَّة)

حِكَم بُزُرْجُمِهْر

عُني بنشرها الاب لويس شيخو اليسوعي (تتمَّة)

وسُئل بزرجمهر: من اكثر الناس عداوةً. قال: الفاحش الجامد الكفّ. سئل: من اكثر الناس صديقًا. قال: البارّ بالناس الليّن الكلمة. سئل: ايُّ السرور احلى. قال: سرور عواقب الاحتمال. سئل: اي الشهوات اعدل. قال: تجربة العقلاء ذوي اللبّ والحياء. سئل: اي الامور اعسر على صاحبها. قال: التماس رضا الاشرار. سئل: اي الاشياء اتعب تعبًا. قال: خدمة الامراء وصحبتهم. سئل: اي الاشياء اسرع تقلّبًا. قال: قلوب الملوك. سئل: اي شيء اسرع انقطاعًا. قال: مودّة الاشرار الجهّال. سئل: اي شيء أبين جورًا. قال: اللسان الكذوب. سئل: اي شيء افسد لقلوب الناس. قال: الظنّة والتهمة. سئل: اي شيء اشدّ تهجينًا لصاحبه. قال: الصَّلَفُ والمزاح للسوقة والبغي في الحروب وصغر الخطر وقلّة الحياء في النساء واتباع الهوى للعلماء والكذب لذي الشرف. سئل: اي الامور افضل في صلاح الدين. قال: الشكر لذوي النعم. سئل: ما بال العقلاء لا يُكثِرون ملامة الجهّال. قال: كما لا يلومون العميانَ على قلّة البصر والمشايخ على كبر السنّ كذلك لا يلومون الجهّال على جهالتهم. سئل: ما افضل ما يعتقد اهل العقول من الخصال المحمودة. قال: قلّة الاسف على ما فات وقلّة الحزن

١) راجع رسالة ٤٢-٤٥

عند المصائب وترك الرجاء لما يُخاف فيهِ الغدر وترك الفشل والخَوَر في الشدّة وقلّة البطر في الرخاء . فهذا ما يعتقد عليهِ اهل العقول . سئل : ما شرّ طبائع الامراء (93٧) . قال : الجبن عن الاعداء والبخل عن الاعطاء وترك مؤامرة العقلاء وسرعة العجلة في الاشياء . سئل : اي شيء اصعب مقاساةً لصاحبه . قال : التكلّف لاخفاء الفاقة . سئل : اي شيء اشدّ من الفاقة . قال : الاستكانة اشدُّ منها . سئل : اي السعادة افضل . قال : ما وافق منها القضاء والقدر . سئل : اي خصلة واحدة في الكهول والشبان افضل . قال : امّا في الكهول فالحلم . وامّا في الشبّان والأحداث فالنشاط . سئل : اي شيء اسعد لطالبه . قال : من طلب حقًّا فادركهُ . سئل : من اسعدُ السعداء . قال : العاقل الموفّق الرشيد . سئل : ما افضل مواقع الخير . قال : المؤاساة عند الشدائد . سئل : ما امارة العقل . قال : تعلُّم الادب الصالح . سئل : بما تُصلَح الطبائع المختلفة . قال : بالصبر والحلم . سئل : بما تتمّ مروّات الاخوان . قال : بالمثابرة عليها . سئل : باي شيء يُعرف العقل وباي شيء يُعرف الخُلق . قال : امّا العقل فيُعرف بالحلم والنظر في العواقب . وامّا الخُلق فيُعرف عند منالة السلطة واصابة الثراء لانهما تُظهران من صاحبهما ما لم يكن يُعرف بهِ . سئل : ما احقّ ما يحتاج اليهِ العاقل . قال : التمييز بين الحقّ والباطل . سئل : اي شيء يزيد العاقل عقلًا ويزيد الجاهل جهلًا . قال : امّا ما يزيد الجاهل جهلًا فمعاشرتهُ للجهال الذين يُزيّنون لهُ جهلهُ ويُصوّبون لهُ رأيهُ فيزداد عند ذلك حمقًا وجهلًا . وامّا ما يزيد العاقل عقلًا فمجالسته العقلاء والاقتباس من آرائهم . سئل : اي شيء ازين بالعلماء واي شيء ازين بالشجعاء واي شيء ازين بعوامّ الناس . قال : لا شيء ازين بالعلماء من الصدق ولا بالشجعاء من الصبر ولا بسائر الناس من سلامة القلوب . سئل : فهل يُغيّر قلوبَ العقلاء المالُ . قال : ليس بعاقل من يغيّر قلبَهُ المال . سئل : اي شيء افضل للعاقل . قال : اجتناب الآثام . سئل : اي خصلة هي شرّ من اعجاب المرء بنفسهِ (94ر) . قال : انزالهُ نفسه فوق قدرها . سئل : الشحّ والبخل امرهما واحد ام مختلفان . قال : هما مختلفان . قيل : فما اختلافهما وما بيان ذلك . قال : امّا البخل فامساك ما ينبغي ان يُعطى . والشحّ طلب ما ليس يحقّ لهُ . سئل : ما افضل ما يعمل بهِ الرجل لله ولنفسهِ ولسلطانهِ ولاخوانهِ ولاهلهِ ووطنهِ قال : اما لله فالشكر على نعمائهِ واحسانهِ . واما لسلطانه فالنصح والطاعة . واما لنفسه فالاجتهاد في اصلاح معاشه . واما لاخوانه فالصلة والبذل والمؤاساة . واما للاهل والولد

فحسن التأديب وكثرة الرحمة واللطف والبرّ . سئل : ما بال العاقل لا يشتدّ حزنهُ وهمّهُ في وجههِ والجاهل يشتدّ ذلك عليهِ . قال : لان عقــل العاقل يعلو همّهُ وحزنَهُ فيقهرهما . سئل : عن موقع الولد من القلب . قال : ان الولد يطيّب لابيهِ طعم الحيوة ويخفّف عنهُ ثقل الموت مع بقاء الذكر وحسن المعونة على الدهر . سئل : ما افضــل المال . قال : ما أُنفق منهُ . وما لم يُنفق منهُ فليس لصاحبه . سئل : ما بال العقلاء يفرحون بالمال مع عظيم وِزْرهُ . قال : لما يحبون من اكتساب الأَجر واصطناع المعروف فيهِ . سئل : اي الملوك افضل . قال : الذي يأمنهُ البريء ويخافهُ المذنب . سئل : من اغنى الناس . قال : اقنعهم بما رزق الله

(ومن كلامهِ الرصين) لا نُبل الّا مع نزاهةٍ ولا ذهن الّا مع عقل ولا صدق الّا مع وفاء ولا وفاء الّا بسلامة صدرٍ . اصل العقل العفاف وثمرتهُ مجانبة الآثام . واصل العفاف القناعة وثمرتهُ قلّة الرياء . واصل النجدة القوّة وثمرتها مجانبة البغي . واصل العمل القدرة وثمرتها السرور . ومن حاول الامور احتاج الى ستّ خصــال : الادب والتجارب والاعوان والفرصة والتوفيق والاجتهاد وهنّ ازواج . فالتجارب والادب زوج ولا يكمل الادب الّا بالتجارب (94) ولا التجارب الّا بالادب . والاعوان والفرصة زوج لا يُنتفع الاعوان الّا بالفرصة ولا بالفرصة الّا مع الاعوان . والتوفيق والاجتهاد زوج فالاجتهاد سبب النجح والتفريط سبب الخيبة . والسبب الذي يدرك بهِ العاجز حاجتهُ هو الذي يحول بين المرء وطلبتهِ . خمسة من طبائع العلماء : ترك الاسف على ما فات وترك الفرح بما يُوتى وترك الرجاء لما لا يُرجى وتجنُّب البطر في الرخاء وتجنّب الاستكانة في الشدّة . سبعة من طبائع الجهّال : الغضب في غير شيء . والاعطاء في غير حق واعجــاب المرء بنفسه وكثرة التبسم بين الناس وتضييع الشيء . وكثرة الكلام في غير نفع والثقة بمن لا يؤمن غشهُ . اول العلم الصمت والثاني الاستماع والثالث الحفظ والرابع العمــل بهِ والخامس نشرهُ وافضلهنّ طاعة الله فيهِ . ينبغي للعاقل ان يجالس العلماء فانهُ ان اصاب حمدوهُ وان جهل علّموه وان احتاج اليهم نفعوهُ ولا يجالس الجهّال فانهُ ان اصاب لم يحمدوه وان احتاج اليهم خذلوه . وان ممّا يدلّ على علم العالم معرفتهُ بما يُدرك من الامور ورغبتهُ في المكارم واظهارهُ علمهُ في الناس ومعرفتهُ باهل زمانه وبصرهُ بالنــاس وارشادهُ المستشير وترك مخالفة خلطائه والتسوية بين لسانه وقلبــه ولا يسبقهُ لسانهُ الى ما يكتمهُ

قلبهُ. قال بعض من حضر من القوم: أيها الحكيم اي شيء ممّا يؤتى المرء خيرٌ في دنياه وآخرتهِ . قال: غريزة عقلٍ . قال: فان حُرِمَهُ. قال: صديق حبيب ومشاور لبيب. قال: فان حُرِمَهُ. قال: ميتة قاضية. قال آخر: ما ثمرة العلم. قال: محبتهُ الناس لصلاحه واخذه بالوثيقة لنفسه. قال آخر: فما افضل ما اتاه العاقل لصلاح دنياهُ وآخرتهِ. قال: الاستماع من العلماء والقبول منهم والتقدُّم في العمل قبل وقتهِ وحسن (95ʳ) الرويَّة فيما يأتي وتجنُّب الطغيان عند القدرة وترك الاستكانة عند النائبة ولا يرتكب سوءًا قد يسوغ لهُ ولا يحزن على ما لا محالةَ واقعٌ بهِ ولا يحاول ما ليس من شأنهِ ويُعامل العدوَّ بما لا يخاف لائمة الناس فيهِ. ومن ثمرة العلم الكفُّ عن التأنيب في الشيء الذي ليس التأنيب فيهِ بنافع واتخاذ التجارب منارًا فيما يحاول من الامور ولا يحمد ما ليس لهُ حقيقة والمباعدة من سرورٍ تكون عاقبتهُ ثبورًا. ولا يطلب الراحة بالتواني ولا يعمل عملًا يخاف ان يورثهُ ندامةً ويحتمل النصَب فيما تُرجى فيهِ المنفعة ويرضى بالحقّ اذا لزمهُ. وقيل لهُ: أيها الحكيم لكل انسان حاجة ولكل حاجة سبيل فمن اصاب ذلك السبيل نجح ومن اخطأ خاب فما ذلك السبيل. قال بزرجهر: ان سبيل ذلك درك الدنيا والآخرة ولا سبيل الى دركهما الّا بالعقل. والعقل نوعان: نوع مطبوع ونوع متعلَّم. فالمطبوع خلقةٌ تفرَّد بها الخالق والمتعلَّم مستفاد من المطبوع. ولا سبيل للمتعلم الى التعلُّم الّا بصحة الطبع وقد قيل: انّما الانسان عقل في صورة فاذا اخطأهُ العقل ولزمتهُ الصورة لم يكن انسانًا كاملًا وانّما هو تمثالٌ بلا روح فمن طلب الادب فهو العاقل المتعلم فليعرف الاصول فانهُ اذا عرف الاصول اكتفى بها عن الفروع فاصل الامر في الدين ان يعتقد معرفة الله تعالى ومخافته ويشهد ان لا إله الّا الله ويؤمن ببعثهِ وقيامتهِ ورسله ويُفوِّض المشيئة اليهِ. واصل الامر في المعاش الّا يُطلبَ الّا من حِلّهِ وكريم مطالبه وتُجتنب المطاليب الخبيثة والمكاسب الدنيَّة. واصل الامر في الاخوان ان يُنتقى منهم اخوان الصفا الذين ان احتاج اليهم واسَوْهُ واذا زلَّ استقالوهُ واذا وقع في نائبةٍ لم يسلموهُ اليها. واصل الامر في الكلام السكوت عن كثيرٍ منهُ ولا تتكلَّم الا عند اصابة (95ᵛ) الفرصة فان الكلمة في غير موضعها تذهب بلا حلاوة ولا طلاوة. واخزنْ كلامك كما تخزن نفقتك وزِنْهُ كما تزِن دراهمك وخذ منهُ بقدرٍ وكُن منهُ على حذرٍ. واصل الامر في الطعام ان لا تحمل على معدتك الّا بقدر طاقتك وقوتك وقمْ عن المائدة وانت تشتهي ما عليها من

الطعام . واصل الامر في لهوك ولذّتك ان تجعل لذلك اوقاتًا معلومةً وتجعل لذلك غايةً فاذا بلغت الغاية او قاربتها فدعها . واصل الامر في العبادة ان تحمل عليها نفسك في ليلك ونهارك ولا تؤخر شيئًا هممتَ بهِ منها لغدٍ واستغنم الحَسَنة الواحدة تعملها والسيئة الواحدة تتجنبها . فهذه الاصول التي تدور عليها الاشياء ومنها تتشعب الفصول فاحمدُ الناس من اخذ بها وعمل بجلّها ولم يمل بهِ الى الهوى والى ما خالفها فان اتباع الهوى مفسدة للدين والعقل ومن رآه بالراي فانّما الفضل لمن كان عقلهُ غالبًا لهواهُ . واحقُّ ما شغل بهِ المرء نفسهُ بعد احراز دينهِ معاشهُ الذي فيهِ صلاح دنياه والقوَّة على امر آخرتهِ . ولا ينبغي للعاقل ان يفرّط فيهِ من اجل وجوهه وابعدها من الدناءة والجشع فان لكل رجل سببًا يطلب فيهِ معاشه ويتأتى لهُ فيهِ امّا رفيعًا وامّا دنيًا وامّا بين ذلك ولا يحسن بذي العقل والدين ان يطلب من المعاش الّا قصدًا لافضل مطالب الرزق وتجنُّب ما يقبح منهُ ويكون شينًا عليهِ

(قلنا) هذا ما عثرنا عليهِ في كتابنا المخطوط من حكم بزرجمهر وقد جمعنا في مجاني الادب اقاويل غيرها كثيرة لهذا الحكيم تجدها في الجزء الاول (العدد ١٣٥) وفي الثاني (ع ١٠١ , ١٥٠ , ١٥٣ , ١٨٦ , ١٩٦ , ٢٠٤ , ٢١١) وفي الثالث (ع ٦١ , ١٥٣) فعليك بها وهي من اجلّ الحكم

الأُسرة النبيلة

او خلاصة اخبار بيت ابيلا

للاب لويس شيخو اليسوعي

انَّ في بلادنا السوريَّة أُسَرًا فاضلة قدمتها من الاقطار الغربيَّة منذ زمن مديد فتوطّنتها وانتشرت فيها واكسبتها فضلًا على فضل وصار تاريخها كقسم من تاريخ الوطن لا يجوز ان يبقى مطمورًا في زوايا النسيان

ومن جملة هذه الأُسر الشريفة التي وقفنا على بعض اخبارها آل ابيلا الذين لهم في صيداء ونواحيها الذكر المستفيض احببنا ان ندوّن خلاصة تاريخهم قبل ان تأخذهُ يد الضياع

*

لانَّ في جنوبيَّ صقلية بين افريقية واوربَّة جزيرةً تُعدّ كفاصل طبيعيّ بين العالمين الشرقيّ والغربيّ ألا وهي جزيرة مالطة التي توالت عليها الدول من فينيقيين ويونان وروماني وعرب واسبان وفرنسويين وانكليز لما رأوا في ملكها من الموقع الحريز والحصن المنيع مع سهولة مراقبة سواحل اوربَّة وشماليّ افريقية. ففي هذه الجزيرة اشتهرت اسرة ايلا التي منها الفرع الذي قدم سواحل الشام

وممَّن افادنا عن اخبار هذه العائلة صاحب تاريخ جزيرة مالطة الكاتب شِيَنْتار (Ciantar) الذي نشر تأليفهُ بالطبع سنة ١٧٨٠ فافرد لذكر بيت ايلا فصلًا في كتابهِ الرابع لخَّصهُ عن كتَبة أثبات سبقوا عهدهُ. ويستفاد من قولهِ انَّ اصل اسرة ايلا من بلاد قطالونية من اعمال اسبانية واورد مصداقاً لقولهِ شهادة المؤرخ برزد مستري (Mestre) الذي ذكر في تلك البلاد بيتين عُرفا بهذا الاسم احدهما في بناديس والآخر في أمبوردو

ثم انتقل بعضهم الى مملكة بلنسية واتَّصلوا بخدمة ملوك اراغونية فنالوا عندهم المراتب السنيَّة وصاروا لهم عمَّالًا في صِقِلّية وقد ذكر الكاتبان مونيوس (Mugnos) وزوريتا (Zurita) قوماً بهذا الاسم عُرفوا في قطانية من مدن تلك الجزيرة كَنْتغر ايلا وابنهِ جاكومو في تاريخ سنة ١٣٤٢ واشتهر في مدينة سان فيليب دارجير منهم غوليلمو دي ايلا في تاريخ سنة ١٣٩٢ او ١٣٩٣. وبعد زمن قليل قُلّد هؤلاء الثلثة حكم هذه المدينة بموجب رقيم ملكي تاريخهُ ٥ تموز من سنة ١٣٩٨

وكان سبقهم الى الرتب العالية في مالطة ريئند ايلا فانَّ هذا انتقل من صِقِلّية الى تلك الجزيرة نحو سنة ١٣٥٠ واظهر في تدبير الامور وسياسة المملكة اقتدارًا عظيماً ففوّضت اليهِ في ٢٣ ايَّار من سنة ١٣٥٩ حكومة مالطة. ولدينا صورة المنشور الذي يخوّل ريئند هذا المقام السامي وهو مكتوب باللاتينيَّة بامضاء لودوك وفرتونيو كاريوزيو بموجب امر ملك اراغونية والملكة امرأتهِ

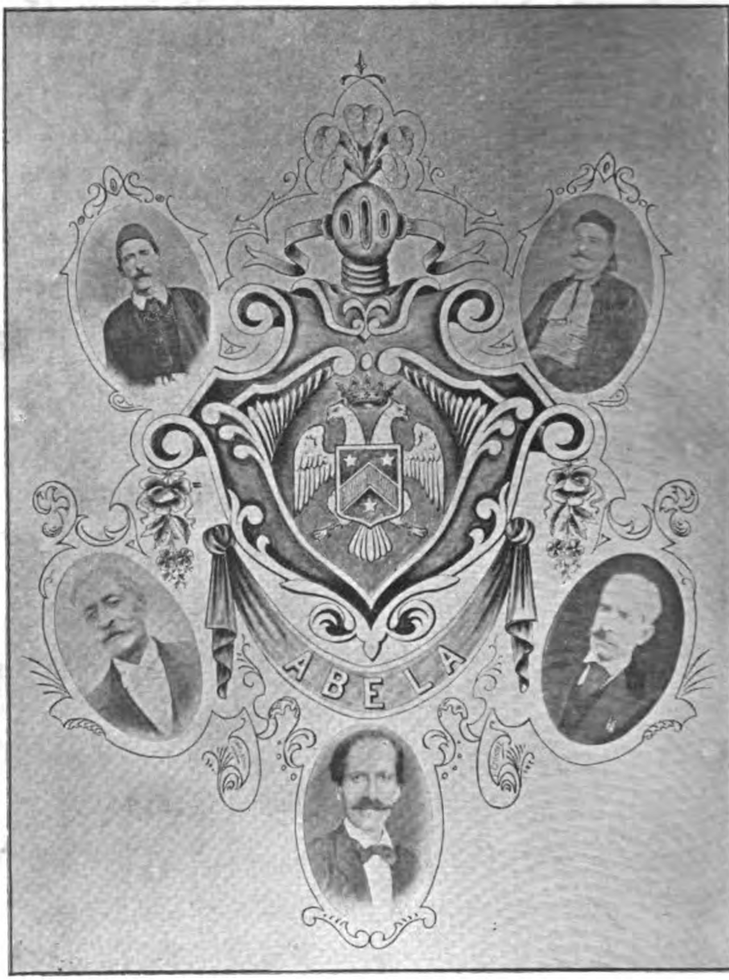
وقد اشتهر في مالطة بعد ريئند المذكور احد ابنائهِ يدعى برتولوميو. فانَّ هذا الرجل المحنَّك بدربة الامور ادَّى للحكومة الاسبانيَّة خدماً جليلة حملت ملك اراغونية الفونس الخامس المعروف بالشجاع الى ان يجازيَهُ فولَّاهُ مدينة بترا لونغا (Pietra Lunga) سنة ١٤٣٢ ثمَّ منحهُ القاب الشرف في ١٥ اذار ١٤٤٣. وخلفهُ في هذه الالقاب من

بعدهِ اولادهُ وحَفَدَتهُ منهم نيكولو الثاني وفيليب (سنة ١٤٩٨) وبترو نائب السردار (سنة ١٥٠٢) وجوليانو (سنة ١٥١٠) ونيكولو الثاني (١٥٣١) ودياغو (١٥٣٦) وقد تقلّدوا كلُّهم المناصب العالية والرُّتب الشريفة كنناسة الاساطيل وقيادة الجيوش. وكانوا يسكنون اولًا في قلعة الجزيرة ثمَّ انتقلوا الى المدينة المعروفة بالقديمة (Citta vecchia) او مدينة الاشراف (Citta notabile) فنما عددهم وزاد قدرهم واشتهر منهم قومٌ بالادب والشعر والعلوم الرياضيَّة والطبّ

وفي تلك الاثناء عهد كارلوس الخامس الى فرسان رودس امر جزيرة مالطة وجعلها لهم ملكًا مستقلاً بشروط اشترطها عليهم. فاحتلُّوها سنة ١٥٧٠ تحت قيادة ڤيليار الشهير (Villiers de l'Ile-Adam) ولم يلبث الفرسان ان عرفوا ما لأُسرة آل ابيلا من الفضل فكان بينهم وبينها علاقات حسنة وربَّما انتدبوا اعضاءها الى الامور التي تدلُّ على ثقتهم بها واعتبارهم لها. وقد ذكر المؤرخون رقيمين احدهما تاريخهُ ١٠ ت٢ سنة ١٥٣٤ والآخر سنة ١٥٧٣ يشهدان على شكر فرسان مالطة وزعمائهم لآل ابيلا على ما ادّوهُ من الخدم للجزيرة ويثبتان لهم القابهم الشرفيَّة

وفي اواسط القرن السادس عشر هاجر قسمٌ من آل ابيلا من مالطة الى صقلّية وصار لهم فيها نفوذ وقُلّدوا الاعمال العظيمة واقترنوا بالزواج بأُسر شريفة كأُسرة البارون دالْ كاموليو واسرة امراء ألاغونة. وكانوا يسكنون سيراقوسة وتَرميني مع ما خلّفوا في مالطة من الاملاك الواسعة

وممَّن اشتهروا في اواخر هذا القرن الدون ليونردو دي ابيلا بن فيليبو من سكَّان ترميني. فدرس هذا في رومية وتقلّب في الدواوين الكنسيَّة والدرجات الرفيعة. وفي تلك الاثناء كان الكرسيّ الرسولي وجَّه الى طائفة الاقباط الاب حنَّا اليانو اليسوعيّ ليرشدهم الى الايمان الكاثوليكيّ. ثم بلغهُ انَّ بطرك اليعاقبة داود يطلب الانضمام الى الكنيسة الرومانيَّة. فاختار البابا غريغوريوس الثالث عشر ليونردو دي ابيلا وسامهُ اسقفًا على صيداء شرفًا وارسلهُ الى البطريرك داود والى بطاركة الارمن والكلدان والروم وآزرهُ بثلاثة من الرهبان اليسوعيين احدهم الاب ليونرد سنتانجلو بصفة مستشار ولاهوتيّ والثاني الاب اغناطيوس دي لاكازا وكان يعرف العربيَّة. امَّا الثالث فكان اخًا مساعدًا. وكان سفرهم في آذار من سنة ١٥٨٣ ثم ابحروا



يعقوب ابيلا   أيوب ابيلا   نخلة ابيلا

حبيب ابيلا   شبلي ابيلا

من البندقيَّة الى الاسكندريَّة فسوريَّة وطافوا بلادًا كثيرة وتحقَّقوا خُبث اليعاقبة ومكرهم واجتمعوا ببطريرك الموارنة في قنوبين فلقوا عندهُ كلّ اكرام وحفاوة. وقابلوا وكيل بطريرك الكلدان فجحد اضاليلهُ بين يدي سفير البابا وكذلك ساروا الى سيس لمواجهة بطريرك الارمن ثم الى دمشق واورشليم لمفاوضة بطريركيهما الملكيَّين في امر الاتحاد ثمَّ عادوا الى امّ المدائن بعد سنتين. وقد كتب ليونرد دي ابيلا اخبار رحلتهِ باللغة الايطاليَّة وقدَّمها للبابا سكتوس الخامس فنُشرت مرارًا بالطبع ونُقلت الى الافرنسيَّة

وقد تفرَّع من أُسرة ابيلا فُرَعٌ ذكرها المؤرخ شينطار اشتهر بينها البارون بيينيو في سيراقوسة والبارون شزافيرانا وغيرها لا يسع المقام ذكرهم فردًا فردًا

وكان لاسرة ابيلا شعار (آرمة) اختصَّت بهِ وهو على صورتين الاولى تمثّل هابيل ساجدًا امام المحرقة التي قدَّمها للربّ اشارةً الى آل ابيلا كأنَّهم اشتقُّوا اسمهم من هابيل. والصورة الأُخرى وهي المتداولة في العائلة المذكورة ترى مثالها في هذه المجلَّة وهي عبارة عن حنيَّة ذات ثلاثة نجوم مذهَّبة في ميدان ازرق يحملها النسر الملكيّ

٢

هذا ما تمكَّنَّا من جمعهِ باختصار عن اصل أُسرة ابيلا واخبارها السابقة. امَّا الفرع المقيم الآن في صيداء فقد اتاها واردًا اليها من مالطة ولذلك عُرفوا ببيت المالطيّ. واوَّل من قدم منهم سواحل الشام كان اسمهُ جاكومو اي يعقوب ورد اليها مع ابنهِ توماس ليتعاطيا التجارة وذلك في القسم الآخر من القرن الثامن عشر. واحتلَّا في بادئ الامر مدينة عكَّا على عهد الشيخ ظاهر العمر فتوليا اعمال التجارة بين عكَّا ومالطة وجهات اوربَّة فنجحت امورهما نجاحًا عظيمًا وبلغا ثروةً طائلة استلفتت اليهما الانظار

ثم صارت ولاية عكَّا الى احمد باشا الجزَّار فاحتاج الى مساعدة جاكومو وولدهِ فطلب منهما مالًا لتيسير امورهِ فساعداهُ واستمالاهُ بذلك واستوطنا عكَّا واتَّخذا فيها الاملاك الواسعة وانشأا فيها العمارات التي لا تزال تُعرف حتى اليوم باسمهما

ولمَّا توفّي جاكومو خلفهُ في اشغالهِ التجاريَّة ابنهُ توماس ولم تطل مدَّتهُ واورث مالهُ ابنهُ الياس. وكان الياس مبتلًى بمرض في عينيهِ لم يمكنهُ ان يزيد على ثروة ابيهِ فعاش من تركتهِ واولد ثلاثة بنين وهم فرنسيس وتوما ويوسف

فرنسيس اعقب ولدهُ الياس الذي سافر الى مصر وخدم في دوائر المرحوم محمَّد

علي باشا وكان ذكيًا شجاعًا مقدامًا فأُسندت اليهِ نظارة معامل غزل القطن فقام بمهنتهِ احسن قيام واخترع لترويج العمل محسّنات كثيرة وكانت وفاتهُ بلا عقب بالهواء الاصفر سنة ١٨٣١

وخلَّف توما بن الياس ولدًا اسمهُ حبيب درس العلوم الرياضيَّة ثم سافر الى الهند والصين للتجارة ثم عاد الى وطنهِ ورحل الى بلاد السودان وافاد مالًا كثيرًا وكانت وفاتهُ في الخرطوم سنة ١٨٦٦ عن ثروة عظيمة

امَّا يوسف بن الياس فانهُ تعلَّم الطبَّ والجراحة وبرع بهما وانتظم في سلك جيش نابوليون الاوَّل لمَّا قدم لمحاصرة عكَّا في اوائل القرن الماضي فبلغ الامر احمد باشا الجزَّار فحنق عليهِ وعلى اخوتهِ وضبط املاكهم فهرب آل ابيلا من وجههِ واستتروا. وكذلك يوسف فانهُ لمَّا رجع نابوليون الى بلادهِ فرَّ هاربًا الى لبنان وتوارى الى وفاة احمد باشا الجزَّار سنة ١٨٠٤ فجاء صور وتأهل هناك بالسيدة وردة ابنة الياس الحمصي ثم تحوَّل الى صيداء وتوطَّنها وزاول فيها التجارة والطبَّ معًا. وبرع في الطبّ فاحرز لهُ بمعالجاتهِ شهرةً كبيرة

ولمَّا ارادت الدولة الانكليزيَّة ان تختار لها ممثلًا في صيداء ألقت اختيارها على يوسف المذكور لوكالة القنصليَّة فتولَّى اعمالها بنشاطٍ حتى اثنت عليهِ دولتهُ مرارًا وابدت لهُ من المجاملة والالتفات جانبًا عظيمًا. وكان مع ذلك ليّن العريكة سهل الطباع مرتبطًا مع الجميع بوثاق المودَّة لا سيَّما مع اشراف لبنان وبيوتاتهِ كالشهابيين والمعنيين والصعبيين والحرفوشيين وبني علي صغير وبني منكر. ومما يُذكر لهُ فيشكر ما قدَّمهُ لاهل لبنان من المساعدات المهمَّة في سنة ١٨٤١ فاستوجب ثناء جميع الاهلين. وكانت وفاتهُ في اواسط تشرين الاوَّل سنة ١٨٤٤ وقد اثنى عليهِ الكولونيل روز قنصل الدولة الانكليزيَّة العام بكتاب تعزية وجَّههُ الى اخوتهِ واولادهِ

وبارك الله نسل يوسف فخلَّف اولادًا كثيرين فضلاء بقي منهم عشرة احياء من بعد وفاتهِ وهم: يعقوب ونيقولا ونخلة وحبيب وجبران ورفول وايُّوب وجرجس وشبلي ومريم. وقد تعاطى هؤلاء اعمالًا شتَّى كخدمة الدول في المناصب القنصليَّة واعمال التجارة ومهنة الطبّ واتَّسعت اشغالهم وامتلكوا الاملاك الواسعة في صيداء وبيروت

ولبنان ومما اشتهروا بهِ اتفاقهم العجيب ومحبة بعضهم لبعض حتى لم يسمع قطّ انهُ وقع بينهم خلاف

ولما كان المقام لا يسمح بذكر تفاصيل اخبارهم نكتفي بالبعض عن العدّ والقليل عن الكثير فنقول:

خلف يعقوب البكر اباهُ في اعمال القنصليَّة الانكليزيَّة فتولَّاها من سنة ١٨٤٤ الى ١٨٧٢ وقد أُثبت في مرتبتهِ هذه بموجب فرمان شاهاني نالهُ من مكارم السلطان عبد المجيد خان سنة ١٢٦٨هـ (١٨٥١) وهو يُلقَّب في الفرمان المذكور باسم «الامير» ويُدعى «قدوة امراء الملَّة المسيحيَّة». وقد اظهر في هذه المدَّة الطويلة اقتدارًا عظيمًا على التدبير وهمَّةً نادرة في خير الاوطان حتى انَّ الحضرة السلطانيَّة تكرَّمت عليهِ بالنشان المجيديّ. ولهُ من المساعي المبرورة لدى المسيحيين اجمالًا واللبنانيين خصوصًا ما تشهد لهُ عدَّة كتابات تاريخها ١٨٤٥ و١٨٦٠م وقعة بامضاء عدد وافر من الكهنة والعالميين. وكذلك اطَّلعنا على فصول مطوَّلة نشرتها الجرائد الاوربيَّة مثنيةً على شهامة قنصل صيداء وتفانيهِ في سبيل المنكوبين. ولدينا رقيم من القاصد الرسوليّ السيد يوسف ڤالركا تاريخهُ ٢٥ تموز ١٨٦٠ يطري فيهِ آل ابيلا وعظيم همَّتهم. ولم يلبث البطريرك الموما اليهِ ان نال لكلّ من الاخوة من قداسة الحبر الاعظم بيوس التاسع وسام غريغوريوس الكبير (١. ولم تنسَ الدولة الانكليزيَّة عن مكافأتهِ فانَّها عرفت لمثلها حسن خدمهِ فانعمت عليهِ بشمعدان من فضَّة وزنهُ ٥٢٥٠ غرامًا وعلوهُ ٧٥ سنتيمترًا في اسفلهِ كتابة تشهد على فضلهِ. وفي مدَّة قنصليَّة يعقوب زار سوريَّة البرنس دي غال ادوار ابن الملكة ڤكتوريا ووليّ عهدها الذي يملك اليوم على بريطانية العظمى فمرَّ بصيداء في ٩ أيار من سنة ١٨٦٢ راكبًا يختهُ الملكيّ فاستقبلهُ المرحوم يعقوب ابيلا بما يليق بجلالتهِ من الاكرام فنزل البرنس الى البرّ وتلطَّف بزيارة الدار القنصليَّة وسُرَّ بما لقي فيها من الحفاوة وشارات الاجلال. وكانت الدار مزيَّنة مفروشةً بجلود النمورة والضباع وبقي هناك الى المساء فقفل راجعًا الى يختهِ وارسل صورتهُ كتذكار زيارتهِ الى المرحوم يعقوب ابيلا وحرَّر عليهِ اسمهُ الشريف. وهي صورة

١) وقد كتب حضرة الاب روسُّو المرسل اليسوعي في صيداء مقالةً افاض فيها في ذكر آل ابيلا وارسلها الى البطريرك يوسف ڤالرغا فاجابهُ مثنيًا على المذكورين وامرهُ بتبليغهم بركتهُ الرسوليَّة

كبيرة تُرى حتى اليوم في الصاعة نفسها التي احتلَّها كضيفٍ كريم . واعقب المرحوم يعقوب ابيلا عدَّة اولاد افاضـل لا يزالون في قيد الحياة ومنهم يوسف الوارد ذكرهُ ووليم وميشل

وقد خلفَ يعقوب في قنصليَّة الدولة الانكليزيَّة اخوهُ حبيب بمقتضى فرمـان شريف من الحضرة السلطانة تاريخهُ سنة ١٢٩٠ هـ (١٨٧٣) ودُعي بهِ اميرًا وكان قبل ذلك تولَّى وكالة قنصليَّة دولة اسبانيـة ونال جزاء خدمهِ وسامَ الملكة ايزابلاَّ الكاثوليكيَّة مع لقب « دون » الشرفيّ . وكانت الدولة الانكليزيَّة واثقة ايضًا بفضلهِ عرفت ما لهُ من الاقدام والنشاط في سنتي ١٨٤٠ و ١٨٦٠ . وخدم بصفة ترجمان قنصلَ دولة انكلترة العام في سوريَّة الكولونل روز وذهب في خدمة هذه الدولة مرتين الى جهات فلسطين فارسلت اليهِ الحكومة هديَّتين ثمينتين وقلَّدتهُ نيابة قنصليَّة دولتها بعد وفاة اخيهِ فزادت همَّتهُ في خدمتها ونال رضاها لكنَّهُ تنزَّل لابن اخيهِ الدكتور البارع يوسف ابيلا عن وكالة دولة اسبانية

وكان حبيب رجلًا كريم الاخلاق فصيح اللسان ثاقب الفهم محنَّكًا في الامور وكان يُتقن عدَّة لغات كالافرنسيَّة والايطاليَّة والانكليزيَّة فضلًا عن العربيَّة والتركيَّة . وكان رحب الجنان ثبت الفؤاد قيل انهُ لمَّا زار القدس في سنة ١٨٧٢ بمعيَّة إلدرج قنصـل الدولة البريطانيَّة دُعي كلاهما الى حفلة عرسٍ جرت فيهـا ألعاب وأُطلقت البنادق فاصابتهُ رصاصة في وجنتهِ واخترقت حلقهُ وخرجت من تحت اذنهِ من الجهـة الأُخرى فهمَّ الناس بان يمسكوا الفاعل فيجازوهُ عن فعلهِ الّا ان المرحوم اشار اليهم بألَّا يفعلوا ثم اخذ قشَّةً من الارض وغطَّها في دمهِ الجاري وكتب على ورقةٍ انهُ بملء رضـاهُ يُسقط حقوقهُ عن الجاني ويصفح عن ذنبهِ ولا يريد ان احدًا يتعرَّض لهُ . وممَّا امتـاز بهِ حبيب ابيلا تمسكهُ بالدين الكاثوليكيّ اضحى بذلك قدوةً لاهل وطنهِ وكان يثابر على الاسرار المقدَّسة لاسيَّما في آخر حيـاتهِ . وقد شيَّد في قرية جباع محلّ مصيفهِ كنيسةً اوقف عليها بعض الاملاك للقيام بنفقاتها . ومات ميتةً صالحة في سنة ١٨٨٣ . وخلَّف ١٣ ولدًا منهم خمسة صبيان تولَّى كبيرهم المسيو انيبال قنصليَّة الدولة الانكليزيَّة بعد المرحوم شبلي . ثم جان ورفقي وانجَ وعزيز الذي انتظم في سلك الرهبانيَّة اليسوعية

وقد تعاطى نيقولا ونخلة وجبران الطبَّ والتجارة معًا . وامتـاز الاوَّل بسيرتهِ الحسنة

واستقامتهِ في المعاملات ومات بلا عقب سنة ١٨٦٨ . وصرف الثاني قسماً من حياتهِ في بيروت وجدَّ في اعمال الزراعة ولهُ ابنيةٌ جميلة الهندسة انشأها واحسن تدبيرها وولد قيصر وكسرى والياس . امَّا جبران فتولَّى نيابة قنصليَّة دولة البرتغال في صيداء . وكان ايضاً يُعنى باعمال الزراعة والتجارة وادَّى للدولة الانكليزيَّة خدماً معدودة فشكرتهُ عليها بهديَّة فاخرة وابنهُ شكري وارثٌ لاعمالهِ وفضلهِ

وكان ايُّوب متخرّجاً بالآداب الاجنبيَّة متقناً لبعض اللغات ولهُ فصول كتبها في المجلاَّت الاوربيَّة عن احوال الشرقيين وعاداتهم. وتعاطى التجارة في بيروت والاسكندريَّة وفي سنة ١٨٦١ قُلّد نظارة قنصليَّة المانية في صيداء . فخدم هذه الدولة ٣٦ سنةً ونال منها وسام تاج بروسيا الملكي . وولي مرَّتين وكالة قنصليَّة اميركا في بيروت . وتوفي سنة ١٨٩٧ وخلَّف اولاداً منهم هنري ونجيب

ودرس شبلي العلوم الرياضيَّة في الكليَّة الاميركانيَّة واخذ الطبَّ عن الدكتور فان ديك وتعاطاهُ في دمشق ثم في صيداء والَّف كتاباً في الحمّيات رفعهُ الى المدرسة الكليَّة في نيوريك فنال منها شهادة الدكتوريَّة . وكان ايضاً يزاول التجارة والزراعة وولي نيابة القنصليَّة لدولة اميركا . ثمَّ صارت اليهِ قنصليَّة دولة انكلترة بعد وفاة اخيهِ حبيب فادار امورها الى سنة وفاتهِ في ١٧ تموز ١٩٠١ واولادهُ الذكور فريد وجاكي وسميح ووديع وبترو . يخدم منهم الدكتور جاكي والمسيو بترو دولة انكلترة الاوَّل بصفة قنصل في طرابلس والثاني بصفة كنشليار في حيفا

وقد اشتهر في الكتابة والشعر العربيّ المرحومان رفُّول وجرجس ايبلا . وكانا كفيفين فلم يمنعهما داؤُهما من ان يتفرَّغا للعلوم الرياضيَّة ودرس العربيَّة بفروعها حتى قيل عنهما انهما حكيا المعرّي في ادبهما كما حكياهُ في مصاب فقد بصرهما . وتوفي رفُّول عن ثلاثة اولاد منهم صبيّان فيليب وانطون . ولهُ قصائد عديدة اخذت اكثرَها يدُ الضياع من ذلك قولهُ يمدح الخواجا جرجس اديب :

يا نسيم الصبح خذ عنّي السلام ... نحو قوم هيَّجوا فيَّ هيام
ذبتُ وجداً في هواهم وجوًى ... ليتَ يحظى باللقاء المستهام
غلبوا في حسنهم ليلى كما ... بتُّ كالمجنون فيهم من غرام
وصبا قلبي فصبَّت ادمعي ... فافضتُ نيل مصرٍ بانسجام
حيث لي فيها امام فاضلٌ ... حاز في رتبتهِ اعلى مقام

وسما في جدّ رأي صائبٍ ساد فيهِ وعلا كل الانامْ
شرَّف الآداب اذ فيها سعى وكذا من جوده نال الكرامْ
لو اعاد الشمس ضوءًا رأيهُ لن يكُنْ كسفٌ ولم يلقَ ظلامْ

وهي طويلة لم يسلم منها غير ما ذُكر . ولهُ ايضاً:

يا سُهيل ارعَ ذمامي فانا لك راعٍ وكلانا لم يَنَمْ
عُجْ على غير قيـاسٍ ساريًا من جنوبِ الغرب مع نَسْمِ النَّسَمْ
وخُذِ الشرق الشمالي قبلـةً واتلُ في بيروتَ آياتِ السَّلَمْ
أخبرِ الاحباب عنّي انني بعد بعدي عنهمُ ذقت الندمْ
طيفهم ان بعدوا عن مقلتي لم يفارقهـا دوامًا وهيَ لمْ
هدَّ حيلي الشوقُ لكن املي باللقا لطَّفَ من جسمي الضَّرمْ
فسى احظى برؤياهم وبي رمقٌ كي اشتفي من ذا الالمْ
وعلى الله اتكالي فالذي يُخلص الآمال فيهِ لم يُضَمْ

وكان رفول يتعاطى كاخوتهِ اعمال التجارة والزراعة . وكان يأتيـهِ ادباء الشبَّان فيدرسون عليهِ . وممَّن اخذ عنهُ عزّتلو نقولا بك توما المحامي الشهير والقانوني البارع . وقد قال يودّع معلّمهُ ويشكرهُ لمَّا رحل الى مصر

الفراق

جار الفراقُ على ضعفي وما عدلا والصبرُ ولّى ورغد العيش قد رحلَا
والوجدُ قد اوقدَ الاحشاء يسمرها بنارِ ضيمٍ حكَت نارَ الغضا وجلَا
والذلُّ قد لذَّ لي والخطُّ في جسدي سينٌ وقافٌ وميمٌ والهنا بطـلَا
قالوا ألا ايها الصبُّ القتيلُ نوًى مهلًا كفاكَ عذابٌ في الفوادِ حلَا
واكففْ دموعك لا تذرف وكُن رجلًا وارفق بذاتك لا تغفل وكُن بطلَا
وارشف لما الرشدِ واسلُ الهمَّ مهتديًا ولا تكن حائرًا سكران منذهلَا
فقلتُ وا اسفي كيف السلوُّ وقد أوهى الهوى جسدي فأتاعَ واشتَعَلَا
أيرتجى الصبر انَّ القلبَ منسلبٌ فكيفَ صبرٌ بلَا قلبٍ يُرى وَأَلَا
قلبي غنيمةُ مجدي سيدي سندي ربَّ الحجى رفعتي السَّامي الجلال عُلى
تاجي ملاذي ابتهاجي مَن بهِ افتخرت اوجُ المعاليَ علمًا فطنةً عملَا
بدرٌ بهِ يهتدي للحقِّ بدرُ هُدًى مولًى بهِ مجمعُ الآداب قد شُملَا
هو الاديبُ الاريبُ الفاضلُ الفاطنُ آا سامي الذي قدرهُ بالرفع قد رفـلَا

العالمُ البارعُ الميمونُ طالعهُ والناظمُ الناثرُ الباهي الذي فَضُلَا
ان قال شعرًا يخرُّ الدهرُ متَّضعًا لهُ وان قال رأيًا يذهلُ العُقَلا
شهمٌ ببهجتهِ الايَّامُ قد رَقَصَت والسعدُ فيهِ بدا والعزُّ قد نزلا
يا ايها الحَكَمُ المبدي لنا دُرَرًا ومن سما بصنيع الخير واشتغلَا
انت الذي افتخرت فيهِ الملا أدبًا انت الذي للتقى قد مهَّدَ السُّبُلَا
مني اليكَ سلامٌ فاخرٌ عطرٌ ارجو اللقاء ولا اخشى لهُ مطَلَا

امَّا جرجس فكان متوقد الذهن حسن الرويَّة جيِّد الذاكرة وقد توفي في السنَ السابعة عشرة قبل ان يجني اثمار علمهِ واجتهادهِ. وشعرهُ رقيق مطبوع عثرنا منهُ على ما يلي. فمن ذلك قولهُ في مدح ابراهيم بك كرامة ابن الشاعر الشهير بطرس كرامة:

هزارُ الانس غنَّى مستهيما على دوح التهاني مستقيما
واضحت دارنا وبها ابتهاجٌ عسى يبقى لدينا مستديما
وامسى القلب منا في مناهُ ومن سقمِ الفراق غدا سقيما
وقلت لهُ لقد نلتَ الاماني وموسى الشوق كنتَ بهِ كليما
لاجل كرامة يا قلب طبنا نفوسًا والسرور بنا أُقيما
بابراهيم من بلواي أبرا وأُعذَر من نواه بأن اهيما
فيا من قربهُ اضحى نعيمًا وكان بعاده عنَّا جحيما
لقد احييتَ فضل ابيك حتَّى بفضلك فقت والدك الحكيما
ابوك لقد بنى لك بيت مجدٍ وزدتَ بمجدك المجد القديما
فلا زالت شموسك مشرقاتٍ على الدنيا ولا زلت الكريما
ولا برحت علاك على كمالٍ ويبقى الحظّ عندك مستقيما

واجاب على كتاب كان المذكور عاتبهُ بهِ فقال:

ألا حبَّذا عتبٌ بدا من معاتبٍ لقد صرت فيهِ كالاسير المكاتبِ
اذا ما اتتني من حبيب رسالةٌ اراهُ بها مثل القريب المخاطبِ
فطرفي بها يجني من الخطّ حظّهُ وتُتلى فيحظى السمعُ منها بجانبِ
ويحضر في قلبي خواطر لذَّة اذا كان فيهِ ساكنًا شخص صاحبي
وكم ساكن في مهجة وهو ساكت وقد فات من جدواه فضل المجاوبِ

ومنها في المدح:

كرامة ابرهيم فاقبل قصيدتي ولا فضل لي اني اتيتُ بواجبِ
اديبٌ اريبٌ المعيٌّ مهذَّبٌ لهُ الفضل ارثٌ عن ابٍ ذي مناقبِ
ومَن لي بان يرضى باني اخصّهُ بديوان شعرٍ مُترَع بالعجائبِ

وما ذاك الّا انَّ فيهِ شمائلًا ... تحضُّ على تخصيصه بالاطايبِ
وان ودادي يا كرامة زائد ... على ودّك السامي لاعلى المراتبِ
كفاك من العلياء ما انت حائز ... بهِ فائزًا منها باسنى المطالبِ
فصلني ولو بالخطّ فالخطب هيّنٌ ... وان كنت تُصبُّ العين في وصف غائبِ
وما بك يُجْل يا كرامة اغنا ... ليكمل حظي من جميع الجوانبِ

ولهُ من قصيدة يمدح بها الشيخ الاديب يوسف افندي الاسير:

فيوسف يُدعى بالاسير لانهُ ... يسير اليهِ العلم في غاية الاسرِ
فهيمٌ كريمٌ فاضلٌ متأدبٌ ... قد استوجب المدح الجزيل مع الشكرِ
قد استوجب العزَّ الرفيع مع الثنا ... لكثرة ما فيـهِ من الشيم الغرِّ
قد استوجب الفخر المنيع مع العلى ... وحمدًا جميلًا فائق الحد والحصرِ
ألا ايها البحر العرمرم انني ... لراجيك عفوًا عن قصوري وعن شعري
وان قبول العذر احسنُ خلّةٍ ... يُزان بها اصل الفتى فاقبلنْ عذري

وقال في مديح السيد عبد الله الجابريّ لما قدم من حلب الى الشام:

رأينا ذوي فضلٍ ومثلك لن نرى ... فان جميع الصيد في باطن الفرا
لقد اشرقت في الشرق شمسك وانجلى ... ظلام الدياجي حيث صبحك اسفرا
واذ جئت برَّ الشام اينع روضهُ ... واثمر فيهِ الفضل والعدل ازهرا
وحلّت ببيروت المسرّة كلها ... وفي ثغرها حلَّ ابتسام بلا مرا
اسرتَ العلى حيث المعالي رقيقة ... تهيم ولكن غير وصالك لا ترى
فلا برحت تحظى بهِ حيث انها ... لها في هواك العذر من سائر الورى
دُعيتَ بعبد الله انّك سيدٌ ... وبالجابريّ الالمعيّ لتجبرا
واصبح ذو فضلٍ بحبك هائمًا ... واضحى بك الشاني الظلوم مكدرا
حويتَ التقى والجدّ والجد والهدى ... عن الجد حتّى طبتَ فرعًا وعنصرا
لكفّك جودٌ لا يُقاس بهِ ندى ... محال علينا ان نعدَّ ونحصرا
فحاتمٌ الطائي روى عنك جودهُ ... واحنف عن حلم يزينك قصَّرا
قدامةُ يروي عنكَ كلَّ بلاغةٍ ... وقسٌّ روى عنك الفصاحة مُخبرا
وأنّك للعلياء اجدر طالبٍ ... وانت لدى الاقمار في ارفع الذرى
وأنّك بحرٌ لا يُخاض قرارهُ ... بلا حرج عنهُ يحدّث مَن درى
واخلاقك الحسنى خُلقن من الرضى ... ورأيك اضحى من ضيا الشمس اظهرا
تتيه القوافي في مديحك عزّةً ... ويسمو بكم نظم القريض مصدَّرا
فلا زلت ترقى اكمل السعد كلّما ... صباحٌ بدا او صاح طيرٌ وبكّرا

وقد كاتب الشاعر العصريّ الطيّب الذكر الشيخ ناصيف اليازجي ومدحهُ بقصيدةٍ مطلعها :

بحور الهوى قد اغرقت كلَّ سابحٍ وقصَّر في ميدانهِ كلّ راجحِ

فاجابهُ الشيخ ناصيف عليها بقصيدةٍ من بحرها ورويّها منها قولهُ في مدح جرجس ايلا :

هويتُ الذي اعطى العلومَ فؤَادَهُ فأعطتْهُ منهـا سانحًا بعد بارحِ
تيمَّنتُ باسم الخضر فيـهِ وطالما ترى المرء لا يخلو اسمهُ من لوائحِ
وجدتُ بهِ بل منهُ متعـةُ سامعٍ و يا حبَّذا لو نلتُ رؤية لامحِ
به حسدتْ عينايَ أذني وربَّما تُخصَّص بالإقبال بعض الجوارحِ

فهذه نبذة وجيزة من اعمال أسرة ايلا الفاضلة نتمنَّى للخلَف من ابنائها ان يسيروا على ادراج اسلافهم لا سيَّما في استمساكهم بعرى الدين فيزيدوا على فضلهم فضـلًا ويكونوا لوطنهم فخرًا

بعض اديار مصر القديمة

لحضرة الاب ميخائيل جوليان اليسوعي (تتمَّة)

● دير الفاخوري

بين الرمال التي تمتدُّ في سفح سلسلة الجبال الليبيَّة على بعد ٢٠ كيلومترًا شمالي شرقيّ اسنا ديرٌ قديم لا يسكنهُ ديَّار تدلُّ آثارهُ الباقية على اتساعهِ وماضي عظمتهِ مع انَّ الكتب العديدة التي نُشرت في القرن المنصرم عن بقـايا مصر لم تتعرَّض لذكرهِ . امَّا الاقباط الذين يسكنون وادي النيل من الاقصر الى اسوان فهم يعظِّمونهُ ويحجُّون اليهِ زرافاتٍ يوم عيد الراهب القديس الذي شرَّفهُ بفضـائلهِ وكراماتهِ اعني القديس متى الفاخوري . وهم يزعمون انَّ احد ملوك الحبش ابتنى هذا الدير شكرًا لله على شفاء ابنتهِ المدنفة على الموت بشفاعة متى المذكور

ودونك ما ورد عن هذا القديس في السنكسار القبطي الذي نقلهُ الى الالمانيَّة

المستشرق وِستِنفلد (ص ١٥٨) في اليوم السابع من شهر كيهك قال: « وفي هذا اليوم انتقل الى دار الخلد الفقير القديس متى وكان رئيساً على دير في جبل اسنا ممتازًا باعمال البرّ والصلاح وكان يطرد الشياطين ويشفي كلّ المرضى الذين يدعو لاجلهم باسم الربّ. ومن معجزاتهِ ان قوماً اتوهُ بامرأةٍ لم يُعرَف لدائها دواء فاوحى اليهِ الروح القدس بانّ مرضها عقاب لخطيئة اجترحتها وهي انّها اقترنت باخوين تتاليًا فاضطُرّت الى ان تبوء باثمها علناً فتلا القديس عليها صلاةً وما كاد ينتهي من دُعائهِ حتى خُسفت بها الارض وصارت عبرةً للحضور... وكانت سباع البرّ وضواري الوحوش تأتي القديس فتقتات من يدهِ... ولمّا وافاه الاجل انتقل بسلام الى مقرّ الابرار »

وقد ذكر الشيخ ابو صالح الارمني (١ متى الراهب وهو يدعوهُ متيوس العابد ويروى عنهُ انهُ صار اسقفا على اسنا وانهُ لمّا قدم البلد خرج الناس بين نصارى ومسلمين لاستقبالهِ. وفي معرض كلامهِ يذكر ائتلاف الاهلين في ناحية اسنا مع اختلاف الاديان فقال ما حرفهُ: « وفي اعراس المسلمين وافراحهم يحضروا النصارى ويقرأوا قبطيًا صعيدي ويمشوا قدام العريس في اسواقها وشوارعها وصار هذا عندهم عادة مستقرّة الى عصرنا نحن. وفي ليلة عيد الميلاد المقدّس من كل سنة يوقدوا المسلمين والنصارى شموع ومصابيح واحطاب بجملة كبيرة » انتهى

(قلتُ) وهذا كل ما امكنني جمعهُ عن ترجمة الراهب متى الفاخوري وديرهِ الذي قصدتُ زيارتهُ لاصف آثارهُ

وكان دليليَّ الى هذا الدير رجلين من ذوي الأُنس واللطف احدهما من تلامذتي الأقدمين وهو اليوم ناظر البريد في اسنا. والآخر كاهن قبطيّ اورثذكسيّ يتولّى ابوهُ (وهو كاهن مثلهُ) امر هذا الدير وبيدهِ مفاتيحهُ

ولمّا قطعنا مسافة ثلاثة ارباع الساعة من اسنا عثرنا فوق قُلّة جرداء على صفائح من الحجارة مكتوبة بالخطّ الهيروغليفيّ وعندها اساس حيطان ضخمة وهي اطلال هيكل قديم كان مشيَّدًا للاله خنوم. وقد وُجد ثمّت بعض الآثار قيل انّ من جملتها رسم منطقة البروج وفي الكتابات اسماء القياصرة وبعض الشعوب الشرقيين كالفرس

١) راجع الصفحة ١٢٩ من تاريخهِ (طبعة اكسفرد)

والمقدونيين وغيرهم . واهل هذه الناحية يدعون هذا المكان باسم دير الحجر اشارةً الى انَّ هذا الهيكل جُعل ديرًا على عهد النصارى

وكانت طريقنا في ارياف على حدود صحراء مجدبة يغطيها الرمل. ولم نزل سائرين حتى لاح لنا الدير في وسط الرمال على مسافة كيلومترٍ من الارض المزدرعة وهو عبارة عن ابنية عظيمة تجاورها قبورٌ نصرانيَّة بيضاء كالثلج لطيفة المنظر

ولا يختلف دير الفاخوري في هيئتهِ عن بقيَّة الاديار القبطيَّة المبنيَّة في صحاري مصر فلهُ مثلها سورٌ رحبٌ مرصوص البنيان منيعهُ يكتنف معاهد الدير وبرجًا مربعًا واسعًا يتحصَّن بهِ الرهبان عند الحاجة ويشرف على كل الدير وملحقاته . ومما بقي منهُ الى عهدنا يُستَدَلُّ على انهُ كان من اعظم اديار مصر القديمة . ولا نشكُّ بانَّ رياضًا فسيحة كانت تحدق باسوارهِ فلم يبقَ منها اثر . واليوم ترى الفلّاحين يقصدون جوار الدير ليستخرجوا من تحت رملهِ تربةً يدعونها بالسباخ غنيَّة بملح النطرون والسماد النباتيّ يثقلونها على جمالهم ويصلحون بها مزارعهم

وابنية هذا الدير كلُّها بالآجرّ او بنحيت الحجارة وهندستها احكم من سائر الاديار واتقن صنعًا . وترى آجرّ الحيطان جُعل سافاتٍ على صفَّين صفٌّ منها قائم كما في العقود والقباب وصفٌّ مسطَّح بالتتابع . والابواب على الغالب مبنيَّة بنحيت الحجارة الجميلة تزيّنها الافاريز والطنوف او نقوش من الآجرّ المختلف الالوان نخصّ بالذكر بينها باب الممشى الاوسط الذي يُدخل منهُ الى حُجَر النوم . وهذه الحُجَر كما سبق القول تشمل من ستٍّ الى ثماني دِكَك من الحجارة لاصقة بالحيطان كان الرهبان يتَّخذونها كاسرَّةٍ ينامون فوقها . امَّا البرج فهو ذو ثلاث طبقات كلُّها مقبَّبة وثيقة العقد يُصعد اليها بدرج صبر على آفات الزمان

وكذلك الكنيسة فانَّ الدهر لم يُخنِ عليها كسائر ابنية الدير وهي تمتاز بزخرفة بنائها وجمال نقوشها . ويُستدلُّ على انها سبقت الفتح الاسلاميّ بهندستها الشبيهة بالكنائس اللاتينيَّة . فانَّ سوقها الوسطى تعلوها قبَّة واسعة قائمة على اربع دعائم متينة وامام السوق رواقٌ وعلى جانبيهِ سوقان أُخريان صغيرتان . ومن جهة الشرق يلحق بقوس القبَّة خورس الهيكل يُرى من جهتيهِ مصلَّيان على شكل جناحي الصليب . وبازائهِ القدس على طرز حنيَّةٍ . وكلُّ الكنيسة مزدانة بصور القديسين منها ما يمثل اشخاصهم

بتمامها ومنها نصفيّة مدوَّرة الشكل وهذه الصور لا تخلو من الاتقان وان يكنْ طمس الدهر بعض محاسنها . وفي المصلّى الشماليّ صورة للبتول الطاهرة يكرمُها الزوّار غاية الاكرام الّا انّ سناج الشمع سوَّدها فلم يكد يترك لها اثرًا

وقد بنى الاقباط في توالي الازمنة امام المقدس حائطًا نصفيًا يفصل المقدس عن صحن الكنيسة كما هو جارٍ عندهم في كنائسهم المستحدثة . ولهذا الحائط باب ينفذ الى الهيكل . وحول الباب افريز ناتئٌ يبرز منهُ في جهتيهِ قرنان دقيقا الصنعة لعلَّهما اشارة الى القرنين النورَّيين اللذين ظهرا على جبين موسى الكليم بعد مناجاتهِ لهُ تعالى

وفي شمالي هذه الكنيسة بيعةٌ أُخرى غفلٌ من النقوش بُنيت على الطراز القبطيّ وهي عبارة عن سوق مفردة وِجهتها من الشمال الى الجنوب ينفذ اليها عدَّة معابد مقابلة للشرق

وحضيض الكنيستين مفروش بالحصر وناهيك بذلك دليلًا على انَّ الزوّار لا يزالون حتى يومنا يتردَّدون اليهما في بعض المواسم وانَّما يتوارد الحجّاج اليهما خصوصًا في السابع من شهر كيهك الواقع فيهِ عيد متى الراهب ويحيون فيهما الليل بالصلاة

وفي ظاهر الدير على مسافة ربع الساعة منهُ بقايا كوخٍ حقير مبني بالآجرّ موقعهُ وسط الرمال زعم الكاهن دليلنا انَّ ثمَّت كان يعيش متّى العابد قبل ان يشيّد لهُ ملك الحبش هذا الدير

وكان رجوعنا الى اسنا على ضفاف النيل ومرورنا في طريقنا على اسفنط (اسفينيس القديمة) وهي اليوم قرية كبيرة تُرى فوق قلّة دكناء تتركَّب من اطلال قَلَبها ارباب العاديَّات ظهرًا لبطنٍ رغبةً في الآثار القديمة المطمورة فيها . وفوق البيوت صفٌّ من ابراجٍ واسعة بُنيت للحمام فيخال للرائي انَّ هذه البلدة قلعة حريزة . وبعد سيرٍ حثيث بلغنا آخرًا نهر النيل عند مطانا وهو اقصى ما يُرى من معامل السكَّر في جنوبيّ مصر

٦ اديار شتَّى

لا حاجة الى الافاضة في وصف اديرةٍ عديدة قديمة العهد زرناها في وادي النيل فوق القاهرة فانَّ هذه المقامات لا تختلف كثيرا عمَّا مرَّ لنا وصفهُ فنكتفي بذكر ما تفرَّد بهِ بعضها فقط

(دير الحَمَام) موقعهُ في ناحية الفيُّوم على حدود الريف يبعد نحو نصف الساعة عن هرم اللاهون ذلك البناء العجيب الذي ناطح الدهر بقرنهِ فصبر على بوائقـهِ منذ ألوف اعوام وهو مع ذلك مبني بسافات من السياع دون الحجر. وهذا الدير خلوٌّ من الرهبان يقصدهُ الجيرة في بعض الاعياد وقد جُدِّد بناؤهُ منذ بضعة قرون فشُيِّد بأنقاض دير آخر اقدم عهدًا واوسع بناء تُرى في الحضيض منهُ آثار بيّنـــة. وهندسة الكنيسة على طراز الكنائس الروميَّة التي سبقت الفتح الاسلامي. اعني انهم جعلوا بازاء الحنيَّة الشرقيَّة حنيَّةً أخرى على شكل نصف دائرة اصغر منها وِجهتُها المغرب. وقد شاهدنا مثل هذه الحنايا الثانويَّة في اديار اخرى قديمة تُرى في اسفل كنائسها منها دير القديس سمعان او الانبا هدرا قريبًا من اسوان

وفي هذا الدير وجد العلاَّمة الاثريّ فلندرس پتري (Flinders Petrie) سنة ١٨٨٩ عددًا وافرًا من كتابات البرديّ يرتقي عهدها الى القرنين الثامن والتاسع للمسيح ينوط معظمها باحوال الدير الزمنيَّة وفي جملتهـــا قطعة من رسائل الحواريين القديسين يعقوب ويهوذا كُتبت بلغـــة اقباط اخميم وقد نُشر كلٌّ ذلك بالطبع في لندن (١

(دير الجبال السبعة) هكذا دعا العلاَّمة المقريزي ديرًا قديمًا موقعهُ في وادٍ قفرٍ شرقيّ اخميم على مسافة ثلاث ساعات منها. والاهلون يدعونهُ شيخ شاغون. وقد ارتأى بعض الكتبة المحدثين انهُ دير نسطوريوس ولا نعلم على اي سند يدعمون قولهم. اجل انَّ نسطوريوس بعد نفيهِ في احدى واحات الصحراء الليبيَّة نُقل الى اخميم وقضى فيها اجلهُ ولكن ليس لدينا شاهد انهُ حُبس في هذا الدير او في غيرهِ

وفي مُنفرَجٍ للوادي الذي يُفضي بالسائر الى الدير على يمينهِ صخرةٌ كبيرة تدحرجت من الجبل يستظل تحتها السابلة. وفي وجه هذه الصخرة الاسفل عدَّة كتابات ورسوم تشبه آثار وادي مكتَّب الشهيرة في شبه جزيرة سينا. وهي عبـــارة عن خطوط حفرها المسافرون بروّوس المُدَى. ومعظمها باللغة اليونانيَّة تحتوي في الغالب على اسم الكاتب

---

١) راجع David Nutt: *Coptic manuscripts, braught from the Fayoum,* 1893



الذي خطّها وبينها صلبان وشعار اسم المسيح مع صور عدّة حيوانات جبليّـة كالغزلان والاكباش البرّيّة الخ

وهذا الدير من صنف المناسك المعروفة باللورا (laure) كان الرهبان يعيشون فيها معتزلين عن بعضهم يجتمعون فقط في الكنيسة التي تُرى آثارها وبعض نقوشها في مضيق الوادي في اسفلهِ . امّا مآوي الرهبان فكانت في صخور الجبل منقورة فيهِ يركب بعضها فوق البعض وهي صعبة المرتقى

وممّا حمل النسّاك على اختيار هـذا الوادي انّ في قعرهِ عيناً كانوا يستقون من مياهها . وكذلك على مسافة نحو ربع السـاعة من هذا المكان عين أُخرى لكنّها بكيّة قليلة الماء

ومن الاديار التي ذكرها المقريزي (١ : ٥٠٤) « دير القرقس » وزعم انهُ على مسافة ثلث ساعات من دير السبعة الجبال شرقاً وانهُ « في اعلى جبـل قد نُقر فيهِ ولا يعلم لهُ طريق بل يُصعد اليهِ في نقور في الجبل وتحتهُ ماء عذب واشجار ريّان » . وقد بحثنا عن هذا الدير وسألنا عنهُ اهل اخميم في هذه الناحية فذهبت مساعينا ادراج الرياح

(دير مار جرجس) هو على ضفّة النيل الشرقيّة على بعـد ساعة من اخميم وفي مكانهِ اليوم قرية صغـيرة يسكنها النصارى . وكنيسة هذا الدير قديمة وهي احسن مثال لهندسة كنائس الصعيد المشيّدة بعد العهد اليونانيّ الروماني اعني انّ لها سوقاً او سوقين تمتدّان من الشمال الى الجنوب وتعلوهما القبب المركبة فوق دعائم مربّعة جُعلت على مسافات متناسبة بعضها من بعض . وفي جهة الشرق سوق ثالثة كل قوس من اقواسها معبدٌ يفضي الى السوق المجاورة وذلك على عددٍ وِتر والمعبد الاوسط اوسع من غيرهِ واكثر زينة ينتهي على شكل نصف دائرة مقوّسة وفيهِ الهيكل الذي تُقـام عندهُ الرتب الدينيّة . والمعابد التي على جوانبهِ واروقة الاسواق التي بازائهِ مختصّة بالنساء وتفصلها حواجز (شعريّات) من الخشب المشبّك او من الآجرّ ذي النوافذ . والباب الكبير في الغالب على جانب الهيكل او بازائهِ . ولمعابد النساء بابان خصوصيّان . امّا جرن العماد والفرن الذي يجهّز فيهِ خبز الهيكل والموفه فمكانها غالباً في المعابد المذكورة

١) راجع الخطط للمقريزي ١ : ٥٠٤

وهذه الكنائس القبطيَّة مبنيَّة بالعرض بالنسبة الى محور الحنيَّة او الهيكل بخلاف كنائسنا اللاتينيَّة التي تمتدُّ بالطول. وهي هندسة تجعل لكنائس الاقباط هيئة غريبة كأنَّها حوانيت سوقٍ جُعلت معابد للصلاة

ومما يطلعنا على صورة الكنائس القبطيَّة قبل ثلاثة عشر قرنًا كنيسة دير انبا بسادا او بساتيس بازاء مدينة المنشيَّة المعروفة سابقًا باسم بتولمائيس هِرميو وفيها بقرب الهيكل حجرة تحوي ذخائر القديس الذي على اسمهِ بُنيت الكنيسة. وهذا القديس كان اسقفًا على المنشيَّة وعيدهُ عند الاقباط الكاثوليك في ٢٧ كيهك. وكذلك كنيسة دير انبا باخوم (بوخوميوس) شماليّ شرقيّ الكرنك يزعم الفلّاحون الذين يشتغلون في املاك ذلك الدير انَّ فيها جسد القديس باخوميوس. وكذلك ايضًا كنيسة دير الشهداء او دير أُمونيوس على بعد ساعة من اسنا في جنوبها الشرقيّ وفي كلّ هذه الكنائس نقوش رائعة تترقّى الى ذلك العهد وكلّها مبنيَّة بالعرض على النمط المذكور سابقًا (تمَّت)

موسى على النيل

معرَّبة عن قصيدة شهيرة لفكتور هوغو الشاعر الفرنسوي بقلم جناب الاديب الفاضل يوسف ابي سليمان مدرّس البيان في كليَّة القديس يوسف

فنزلت ابنة فرعون الى النهر لتغتسل وكانت جواريها سائرات على شاطئ النهر (سفر الخروج ٢: ٥)

موشح

اللازمة

أخواتي الماء قد حاكى السَّما بصفاءٍ راقَ عندَ الغَلَسِ
طلعَ الصبحُ بوجهٍ بَسما فبدا الماء بثغرٍ ألعَسِ

١ يا لها من ساعةٍ فيها انتضي نصلُ صبحٍ شقَّ أسدالَ الدُّجى
وجلا عنّا غيومَ المَضَضِ إذ اتانا بجبينٍ أبلَجا
لم يزل حصّادُنا في رَبَضِ ليس إنسٌ نحو ريفٍ عرَّجا
صوت منفٍ لم يزل منكتما ونسيمُ الصبحِ مُحيي الانفسِ

فهنــاءُ الرُّوحِ عندي عظُما أَخَوَاتي بغياضِ السُّندسِ

٢ سطعت في قصرنا زُهْر الفنونْ خطفت ابصارنا بالعجبِ
فزهور النّيف سحرٌ للعيونْ وبهِ للنفس نيلُ الاربِ
وهو يُودي بافانين الشجونْ دونهُ حوضٌ طُلي بالذهبِ
بحفيف الريحِ قلبي أُغرما فنسيمُ الريحِ رَوْحُ النَّفَسِ
ساطعُ الاصباءِ عندي قد سما فوقَ أطيابِ اللُّبان الأَنفَسِ

٣ فهذاذيكنّ فالماءُ أستكانْ والسما قد كُسيت ثوبًا مُنيرْ
ذَرْنَ جِلبابًا زها كالارجوانْ ذَرْنَهُ فوقَ رياضٍ كالحريرْ
عَنّيَ اترعنَ رضيعاتِ اللّبانْ خُمرًا من دونها التبرالنضيرْ
انَّ حُبّي طيَّ قلبي أحتدما من تباريحِ الظباءِ الكنَّسِ
مَعَكُنَّ الغوصُ أضحى مَنعما بينَ امواجِ بنَغْمِ الجرَسِ

٤ فهذاذيكنَّ... لكن ما ارى بينَ اغباش الصباح المسفرِ
هل يُرى شيءٌ بأفقٍ اغبرا فأجلنَ الطرفَ في ذا المُدبرِ
فتَياتي لا تخفنَ المنكرا ليسَ نكرٌ لذوات الخفَرِ
علّهُ جِذعُ نخيلٍ قدِما يبتغينا من أقاصي البسبسِ
يطلب الاهرام فيها مُغرَما راكبًا تيّارَ ماءٍ سَلِسِ

٥ ما اقول... الامرُ فيهِ ريبةٌ خُدِعت عيناي في ذا المشهدِ
فاذا صحّت بعيني نظرةٌ قلتُ قولًا لم يَدرْ في خلدي
هي فُلكٌ بأرمسٍ مقبلةٌ صدَفٌ إيزيسُ فيهِ تهتدِي
قاربٌ في غمرِ بَحرٍ قد طما سَفَطٌ فيهِ تمادى حدَسي
وبهِ طفــلٌ هجوعٌ أنغا أغمَضت عينيهِ بنتُ النّعَس

٦ نائمٌ في حضن نهرٍ قد صفا نومهُ في حضن أمٍّ نائتِ
مهدهُ عُشُّ حمامٍ قد طفا فوقَ امواجٍ بهِ قد طافتِ
لَعِبَ الموجُ بهِ فاستهدفا عرضةً للريح إمّا ثارتِ

هزَّهُ الماء هزيزًا نعما فهوَ وَسنانُ أليفُ الأَنسِ
لجبٌ قد هدهدتهُ انغما مهدهُ اضحى شبيه الرَّمسِ

٧ نَبهَ الطفلُ بفلكٍ سبحتْ يا عذارى منفَ اسرعنَ اليهْ
قد بكى ٠٠ واهًا لامٍ طرحتْ ابنها في اليمّ لم تشفق عليهْ
حولهُ الامواج ماجت مرحتْ بَسطَ الطفلُ اليكنَّ يديهْ
يا لقلبي جاءهُ الموت فما بينَ امواجٍ سطت من محرسِ
مهدهُ من قصبٍ قد نُظما وَيحَ طفلٍ بالبلى مُنغَمِسِ

٨ فلنخلّص ذا الرضيعَ الناضرا فهوَ من اولاد يعقوبَ الكرامْ
فـأبي امسى عتيًا جائرا أيُجازَى الطهرُ بالفعل الحرامْ
يا لطفلٍ باتَ عقلي حائرا من أذاهُ وفؤادي باضطرامْ
ليتني أُنجي صبيًا اكرما وأُريهِ النور بعد الحِندِسِ
ليتني أُمسي لهُ امًا كما انني من كربهِ في سَجَسِ

٩ هكذا كانت تناجي «بثيةٌ» بنتُ فرعونٍ خواتينَ الجمالْ
وهي تمشي وتليها سُربَةٌ قد تَمَيّسنَ بغنجٍ ودَلالْ
ولها بين الجواري طلعةٌ اخجلت بالحسن ربّات الحجالْ
حينما بنت الملوك القُدما خُلعت عنها ثياب الاطلسِ
برزَت بدرًا يفوق الانجما وبدت تزري بزهر النرجسِ

١٠ خاضت الماء بساقيّ لازوَردْ فعلى الموج على بدرِ الزمانْ
وعن الطفل لها قد رامَ طردْ غير انّ النفس فاضت بالحنانْ
سبحت زهراء تحكي نورَ وردْ نحو طفلٍ حبهُ راحُ الجنانْ
أدركت صيدًا رأتـهُ مغنما سحبتهُ بذراعٍ أملسِ
وعلى الخدَّين منها انسجما ماء كِبْرٍ وحياء قدُسي

١١ شقّتِ البحر بصدرٍ من لُجينْ وسعت بالمهـدِ نحو المنزلِ
والجواري خائفاتٌ قُربَ حَينْ إذ تراءت بثيةٌ في وَهلِ

إنّما الغادةُ فازت بعد أينْ واتت بالطفل فوق الدَّغلِ
والعذارى رُمنَ إرواء الظَّما بشفاهٍ طيِّباتِ اللَّعَسِ
فكسونَ الطفلَ حين ابتسما قُبلًا بالوَصف لمّا تُقَسِ

١٢ عجِّلي يا مَنْ بعيدًا وقفتْ تتبعُ الطفلَ بلَحظِ الحائرَهْ
سَكِّني نفسًا عليهِ ارتجفتْ فعليهِ عينُ ربٍّ ساهرَهْ
فتعالي لا كأمٍّ عُرفتْ بل كَظئرٍ حُبُّ أمٍّ ساتِرَهْ
لا تخافي أنْ تضمِّيهِ كما تفعلُ الأمُّ بحالِ الهوَسِ
ليس يُفشي سرَّكِ الوجدُ فما بِثيةٌ أمّا فطيبي وأنسي

١٣ بينما الورقاءُ كانت تسجعُ لرضيعٍ ضمَّ آياتِ البها
ذهبت عند ابيها تشفعُ بصبيٍ عينُهُ عينُ المها
وعلى خدَّيهِ ضاءت ادمعُ سفحتْها أمُّهُ ممّا بها
أنّما الاملاكُ تشدو هُيَّما بالسما في حبِّ ربٍّ اقدسِ
فاسمعي يا ارضُ هذا النَّغَما من سنا موسى السنيِّ اقتبسي

١٤ يا بني يعقوبَ كفُّوا الادمعا واصبروا فالصبر عقباه النجاءْ
وافصلوا دمعًا سخينًا همعا عن مياه النيل اذ تمَّ الجلاءْ
أنّما الاردنُّ فيكم وَلِعا فاسمعوهُ صارخًا وافى الصفاءْ
يا بلاد الوعد طيبي مبسما أرضَ جاسانَ اخربي واندرسي
يا بني الميعادِ هيُّوا للحمى انَّ موسى هادمٌ للمَحْبَسِ

١٥ يا لطفل فوقَ امواجٍ طفا خلَّصتهُ البكرُ من ايدي المهاتْ
انهُ في طُور سينا المصطفى وكليمُ اللهِ ربَّ الضَّرَباتْ
يا بني الانسان كفُّوا الصَّلَفا واخضعوا للهِ مبدي المعجزاتْ
انَّ مهدًا سينجّي بالدّما إسرئيلًا من اراضي التَّعَسِ
انَّ مهدًا سينجّي الأُمما من جحيمٍ بالصليب الأقدسِ

عين العليّ

رواية تاريخية للاب س. ت اليسوعيّ (تابع)

فلمّا سمعت يهوديت كلام اخيها في حقّ المسيحيين اضطربت افكارها وخيَّمت على قلبها غيوم الهموم اذ انها كانت اجتمعت بكثيرين من المتنصرين في بيروت فوجدتهم دمثي الطباع مهذَّبي الاخلاق. وكانت قهرمانتها دوروتيا مسيحيَّة وكذلك جملةٌ من عبيد دار ابيها... فيا تُرى لو عرف يوسف اخوها بهم ماذا يفعل... فارادت ان تصرف عنهم فكرهُ فقالت:

اراك تحب الرومانيين وقياصرتهم وتريد ان تكسب رضاهم

— لا حيَّاهم الله ولا بيَّاهم. وكيف احبُّ رومية وملوكها وهم يوغرون منَّا الصدور ويستثيرون دفين الاحقاد. قد اشهروا لاورشليم مدينتنا المقدَّسة حربًا اثيمة ولكن لي الثقة الوثيقة انَّهم لا ينجحون في ما نووا لانَّ عين العلي تصونها. وكان نيرون ارسل قسمًا من جنده ليناجزوها القتال فاثابهُ الله بأن قوي عليهِ احد مماليكهِ. فهذا جزاء من يمدُّ يدهُ الى بنت صهيون ومدينة داود. ومذ ذاك الحين لم تذق رومية هناء في امورها. ففي سنة واحدة تنازع ولايتها ثلاثة قياصرة. وقد رأيتُ قبل بضعة ايَّام قومًا من الاوباش يجرُّون في شوارع رومية جسم ڤيتاليوس الذي كانوا حيَّوهُ سابقًا باسم القيصر قال هذا واطرق واجمًا ثم اردف قولهُ:

وفي غد ذلك اليوم بايع مجلس الشيوخ لڤسپسيان الذي كان الجند سبقوا فنهبوا دارهُ قبل يومين. ولا ريب ان سينالهُ ما نال نيرون لانهُ اراد خراب مدينتنا اورشليم وقد رأيتهُ آخرًا في الاسكندريَّة فتأكدت انَّ ايَّامهُ معدودة

وكانت يهوديت في غضون ذلك ساكتةً متحيِّرة وهي تفكر في ما يغلي في قلب اخيها من مراجل العداوة للرومانيين حتى خافت من ان يبلغهُ ما فعل يهود بيروت في الليلة البارحة اذ شاركوا الاهلين بزينة حيَّهم لمَّا بلغهم فوز ڤسپسيان الذي استعبد الوفا من اهل جلدتهم

أمّا يوسف فبقي هنيهةً غائصاً في افكاره ثم عاد الى فكاهة طبعهِ وقال لشقيقته:
استميحكِ عذرًا يا اختاه فاني أسمعتُكِ كلاماً رنّق صفاء عيشكِ فاحفظيه كسرّ ولا تُعلمي بهِ احدًا حتّى ابانا يعقوب نفسهُ فان والدي رجل تاجر لا يفقه غير معاملات البيع والشراء فاذا بلغهُ ما قلت حسبني معتوهاً... وقد قلتُ ما قلتُ امامكِ لاني لا اخفي عنكِ شيئاً وازيدك علماً باني انتظمتُ بسلك الذين يُدعَون بالغيورين الذين همّهم ان يعيدوا لمدينة داود رونقها القديم... والآن سرّي عنكِ ودعينا نقضي أياماً قليلة في السرور والفرح قبل ان افارقكِ لتتمّة مقاصدي

قال هذا ثم قبّل اختهُ في جبينها وخرج يتنغّم باغنيّة يونانيّة فبقيت يهوديت في حجرتها وحدها تردّد في فكرها ما سمعت من اخيها... فهذا الاخ العزيز الذي كانت تتوق الى نظرهِ قد رأتهُ في حالة لم تخطر لها في بال فانّها ما كانت لتظنّ انهُ واغر الصدر على رومية واهلها. وان كانت في قلبهِ حزازات مثل هذه كيف ترجو ان يتمّ فرحها بذلك الضابط الروماني الذي خلب عواطفها ؟ او يسمح اخوها باقترانهما البتّة ؟

الفصل الخامس

في الحرب

مرّت الأيام وانقشعت عن قلب يوسف همومهُ بما لقيَهُ من اللطف وامائر الحبّ بجوار شقيقتهِ التي كان يصافيها الوداد ويخلص لها الاخاء منذ نعومة اظفارهِ فكان يقضي بصحبتها ساعات اشهى لديهِ من شهد العسل يناجيها في احوالهِ ويقصّ عليها اخبارهُ في أمهات المدن ويصيخ اليها سمعاً ثم تحدّثهُ هي بامورها وما جرى لها في غيبتهِ الطويلة. وقصارى القول انّ الشقيقين كانا يعدّان ايام التلاقي اقصر من طرفة العين لما يرشفانهِ من كؤوس الهناء حتى انهُ خُيّل ليهوديت انّ اخاها لم يَعُد يفكّر في الفراق فقالت لهُ يوماً وهي تداعبهُ :

يَسُرُّني أن ارى تلميذ الفلاسفة يرضى بالسكنى في بيروت وان لم يلقَ فيها من ضروب الملاهي والالعاب ما لقيَهُ في اثينة. وكأني بك لم تنفر من سماع لهجتنا اليونانيّة التي إخالك تحسبها رطانةً لمّا تقابلها بطلاوة كلام السيّدات اللطيفات في عاصمة اليونان... هيّا اسرع بالرحيل لئلّا يأخذ لسانك على كلامنا البربريّ وعاداتنا الهمجيّة

فكان يوسف يبسم لهذا القول ضاحكاً فيجيب اختهُ:

اصبتِ يا أُخيَّة فانَّ هذا هو الاسبوع الثالث مُذ وطئتْ قدمي ساحل بيروت وها قد قرب شهر شباط فكان الاحقَّ بي ان اهجر الديار لكنَّ لطفك سباني فثبَّطني عن السير. ثم انَّ والدنا يعقوب لم يَعُد حتى الآن...

فما سمعت يهوديت اسم والدها حتى قطَّبت وكلح وجهها لأنَّها كانت ترى في تأُخرهِ داعياً للقلق لاسيَّما انهُ لم يُنفذ اليها برسالةٍ منذ بضعة اسابيع. فشعر يوسف باترائها وندم على ما فرط منهُ فاردف قولهُ:

لا تقلقي يا عزيزتي لتاُخر والدنا في القدس الشريف ألم تفيديني عنهُ انهُ يريد حضور عيد الفصح في اورشليم. وامَّا رسائلهُ فان شاء الله تردنا عمَّا قليل

قال يوسف هذا ليطمّن اختهُ لكنهُ في حقيقة الامر كان مشغول الفكر كاسف البال لا يعلم ماذا يحلُّ باورشليم وسكَّانها. اجل انَّ المدينة مذ تبوَّأ ڤسپسيان سُدَّة الملك قد أُرخي عنها الخناق وخفَّت اهوال الحصار. ولكن اتُرى انَّ هذه الهدنة تدوم زمناً طويلًا. تلك كانت الهواجس التي تخالج فكر يوسف فاحبَّ ان يكتمها عن اختهِ

قالت يهوديت: انَّ كلامك يا اخي يُسرّي عني بعض همومي لكنهُ لم يسكن بلبالي تماماً. وكاني احسُّ بالدهر واقفاً لنا بالمرصاد يتهدَّدنا بقوارعهِ. وممَّا زاد قلقي حلمٌ احتلمتهُ في بعض لياليَّ السابقة. خُيّل لي اني في مرسح الالعاب والقوم يضجُّون باصوات الفرح ويهلّلون بينما كان المصارعون يقاتلون الضواري في ميدان المرسح. وانا كذلك واذا بأسد هائل اسود برز للقتال وهو يزأر وبازائهِ والدي العزيز يحاول ردَّهُ عنهُ. فذُعرتُ وكاد قلبي يطير شعاعاً لاسيما اذ رأيتُ بقعًا من الدم على الحضيض فصرختُ صرخةً افاقتني من نومي وانتبهتْ لها دوروتيا أَمتي فبادرت اليَّ لتسكن جأشي. لكنَّ فرائصي تُرعد كلَّما تصوَّر لي هذا الوحش الضاري...

— ما هذا يا أُخيَّتي اتصدّقين انتِ ايضاً اضغاث الاحلام... دعي عنك هذه الترهات. امَّا انا فقد نبذت مثل هذه الخرافات فلا اعيرها بالًا. وكم من مرَّةٍ رأيتني في الحلم اقلب ركام الذهب فما كنت عند الصباح اغنى مني في المنام ولا ارى أسدكِ الَّا كدنانيري

*

وفي تلك الغضون كان الضابط راسيوس قد شفي من جرحهِ الشفاء التام وهو لا يزال في مصيف لوقيليوس المبني فوق الربوة المشرفة على نهر بيروت ينتظر اوامر الامبراطور ليعود الى فيلقهِ. لكنَّ جلوس القيصر الجديد لم يكن ليسمح لهُ بعد ان يهتمَّ بامر الجيوش ويستدعي الضبَّاط الذاهبين بالرخصة. وعليهِ فكنت تراهُ يقضي ايَّامهُ على جوادهِ تارةً يخرج الى الصيد في غابات لبنان المجاورة لبيروت يسابق فرسان البلد في مراح الخيل على رؤُوس الملإ من الاهلين الذين كانوا يتقاطرون الى معاينة هذه المشاهد البهجة وكان اسم راسيوس شائعاً على ألسنة القوم لما عهدوهُ فيهِ من الفروسيَّة والإقدام وربَّما حكموا لهُ بقصبة السباق على اقرانهِ

وكان لوقيليوس صديقهُ يُسَرّ بما يراهُ فيهِ من انجلاء الهمّ عن قلبهِ وفراهة طباعهِ ولم يَعُد يسمعهُ في معرض الحديث يذكر الفتاة التي فتنت قلبهُ فظنَّ انَّ كلامهُ عمل في صديقهِ وصرفهُ عن عواطفهِ نحوها وميلهِ اليها

لكنهُ خُدع بالظواهر فانَّ جُرح قلب راسيوس لم يلتئم بعد بُرئهِ من سهم البرتيين وانَّما كان كلام لوقيليوس حاكٌ في نفسهِ مدَّة يومٍ او يومين فقط ثم عادت آمالهُ فانتعشت فيهِ بل زادت قوَّتها لكنهُ كان يخفيها عن صديقهِ ويكتمها في طيّ صدرهِ

وكان منذ مساء النهار الذي فيهِ تلاقى بمحفَّة السيِّدة المجهولة على طريق مغارة الحمام قد مرَّ عليهِ عشرون يوماً لم يألُ جهدهُ في لقاء ذلك الموكب وهودج تلك السيدة مرَّة أُخرى غير انَّ مساعيهُ كانت تحبط فيعود المساء بخفَّي حنين

فاحبَّ يوماً ان يركض جوادهُ قريباً من دار الورود علَّهُ يرى وراء حواجزها تلك التي استهوت قلبهُ فكان يجد الدار مقفلةً لكنهُ عاين الورود التي تزين المنافذ وهي ناصعة الالوان زاهية تتعطَّر من اريجها الارجاء. فاكتفى بهذا الدليل ليمنّي نفسهُ بالآمال الطيّبة

وكان يخال لهُ انَّ امانيهُ ستتحقَّق يوماً الَّا انَّ الآلهة لا تمنحهُ مبتغاهُ حتى يكون فاز باكاليل الانتصار بعد حربٍ يشهرها لاعداء رومية على ثغور المملكة فيعود ظافراً وعلى رأسهِ اكليل الغار شارة المنتصرين. وكانت مخيلتهُ تصوّر لهُ حفلة دخولهِ المدينة اذ القوم يتناشدون بمديحهِ والامبراطور يجعل في اصبعهِ خاتم الفرسان. فلا بدع ان ذلك

اليوم سيفتح لهُ ايضاً باب دار الورود فيُحظيهِ صموئيل بيد ابنتهِ يهوديت فيقضي معها عيشة السعادة والرخاء

تلك كانت افكار راسيوس الضابط تهجس في صدرهِ مدّة انتظارهِ لاوامر القيصر. وكانت الحرب على وشك الاتّقاد وهو لم يدرِ انَّ دارها قريبة منهُ وانهُ سينتضي سيفهُ الحسام على قومٍ تربطهم ويهوديتَ اواخيُّ الدين والجنسيَّة (ستأتي البقيَّة)

الحَفْريَّات والمستحجرات

للاب غدفريد زُموفن اليسوعيّ مدرّس الطبيعيَّات في كليَّة القديس يوسف

وعد المشرق بان ينشر فصلًا في المستحجرات فاسرعنا الى كتابة هذه النبذة وفاء بالوعد فنبيّن اولًا ماذا يراد بالمستحجرات وما هي خواصُّها وشروطها ثمَّ نذكر اصنافها على حسب ازمنتها في الطبقات الجيولوجيَّة

١

اعلم انَّ بعض الكتبة الشرقيين لمَّا نقلوا عن العلماء الجيولوجيّين مقالاتهم في طبقات الارض وما وُجد فيها من آثار الاجسام الآليَّة كالنبات والحيوان والعناصر المتبلورة والموادّ المعدنيَّة اطلقوا على كلّ ذلك اسم المستحجرات وهم يريدون بالاجمال الاجسام الحفريَّة وليست المستحجرات الَّا قسماً من هذه الآليَّات وعليهِ لا نرى بُدًّا من تعريف الحفريَّات عموماً قبل ذكر المستحجرات خصوصاً فنقول :

انَّ الحفريَّات (fossiles) تكون على ثلاثة اقسامٍ:

(القسم الاوَّل) منها يشمل البقايا الآليَّة التي حُفظت في قلب الارض دون تغيير في تركيبهِ الكيمويّ الذي كان عليهِ في الاصل مثال ذلك العظام والقرون والاظافير والاصداف وخواشف الاسماك وبيوت السلاحف وقطع الاخشاب. على انَّ هذه الآثار لا تُرى في تركيبها الاصلي تماماً بل يطرأ عليها بعض التغيير اللهمَّ الَّا في طبقات الارض العليا. وانَّما يتزايد تغيُّر تركيبها على قدر اختلاف بُعدها عن طبقات الارض الظاهرة

كانت عليها وقت حياتها فاكتسب هيئة الاجسام المعدنيّة وصار شبيهاً بالحجارة وهي المستحجرات بحصر القول الّا انّ آثار تركيب عناصرها الباطنيّ وصورتها الخارجيّة تدلّ دلالة بيّنة على اصلها الآليّ من نبات او حيوان

(القسم الثالث) من هذه الحفريّات اوسع نطاقاً من الصنفين السابقين وهو يطلق على كلّ اثرٍ او صورة لاجسام حيّة ذهبت اعضاؤها واقسامها الاصليّة لكنّها ابقت في باطن الارض هيئتها وشكلها. فتارةً يُرى في الارض تجاويف فارغة دالّة على تلك الاجسام البائدة وتارةً قد تخلّل في تلك التجاويف موادّ معدنيّة اخذت صورتها فصارت كقالبها الحقيقيّ واشكالها الناتئة. وهكذا قد بلغنا هيئات متعدّدة لحيوانات رخوة هلاميّة تُرى في طبقات الارض السُّفلى. فاندثرت هذه الحيوانات ولم تندثر صورتها المرسومة في التربة. ومن ذلك هيئة لحوم بعض الحيوانات وآثار مخالب بعض الطيور الغريبة والاسماك البائدة

والعلم الذي يبحث عن هذه الحفريّات على اختلاف اقسامها يُدعى بالپالیونتولوجيا وهي كلمة تتركّب من ثلاثة الفاظ يونانية. معناها علم الكائنات القديم (παλαιος قديم; ὢν ὄντος كائن; λόγος علم). وهو يتفرّع الى فرعين كبيرين فرعٌ منهُ يبحث عن النبات الحجريّ وفرع عن الحيوانات في باطن الارض وطبقاتها المختلفة بل كثيرًا ما تُعاين آثارها في قلب الصخور فيا ليت شعري كيف تبطّنتها. اعلم انّ الجواب عن ذلك يقتضي درس علم الجيولوجيا اي كيفيّة تكوُّن الارض وطبقاتها وما طرأ عليها من الاحوال بعد ان خلقها الخالق. وخلاصة القول انّ هذه الطبقات رواسب تجمّعت موادّها ببطء في قعر البحار وتراكمت وتنضّدت موادُّها في اطوار من الزمن لا يمكن حدُّها فحُفظت فيها هذه الاجسام الآليّة على حسب اختلاف هذه الاطوار الجيولوجيّة فترى لكل طورٍ منها بقايا وآثارًا لا تراها في الطور الآخر

وان سأل سائل عن الشروط المقتضاة لتكوُّن هذه الحفريّات. قلنا انهُ لامر معلوم انّ الآليّات من النبات او الحيوان اذا عملت فيها العوامل الخارجة كالهواء وغيرهِ لا بُدَّ لها بعد موتها ان تفسد شيئاً فشيئاً وتتلف. ولكن ربّما وقعت هذه الاجسام او قسمٌ منها في مستودعات تكون لها بمنزلة الغلاف يصونها من عوامل الفساد

وربّما توقّفت صيانة قسم من هذه الاجسام على احوالها وطريقة معاشها فانّ

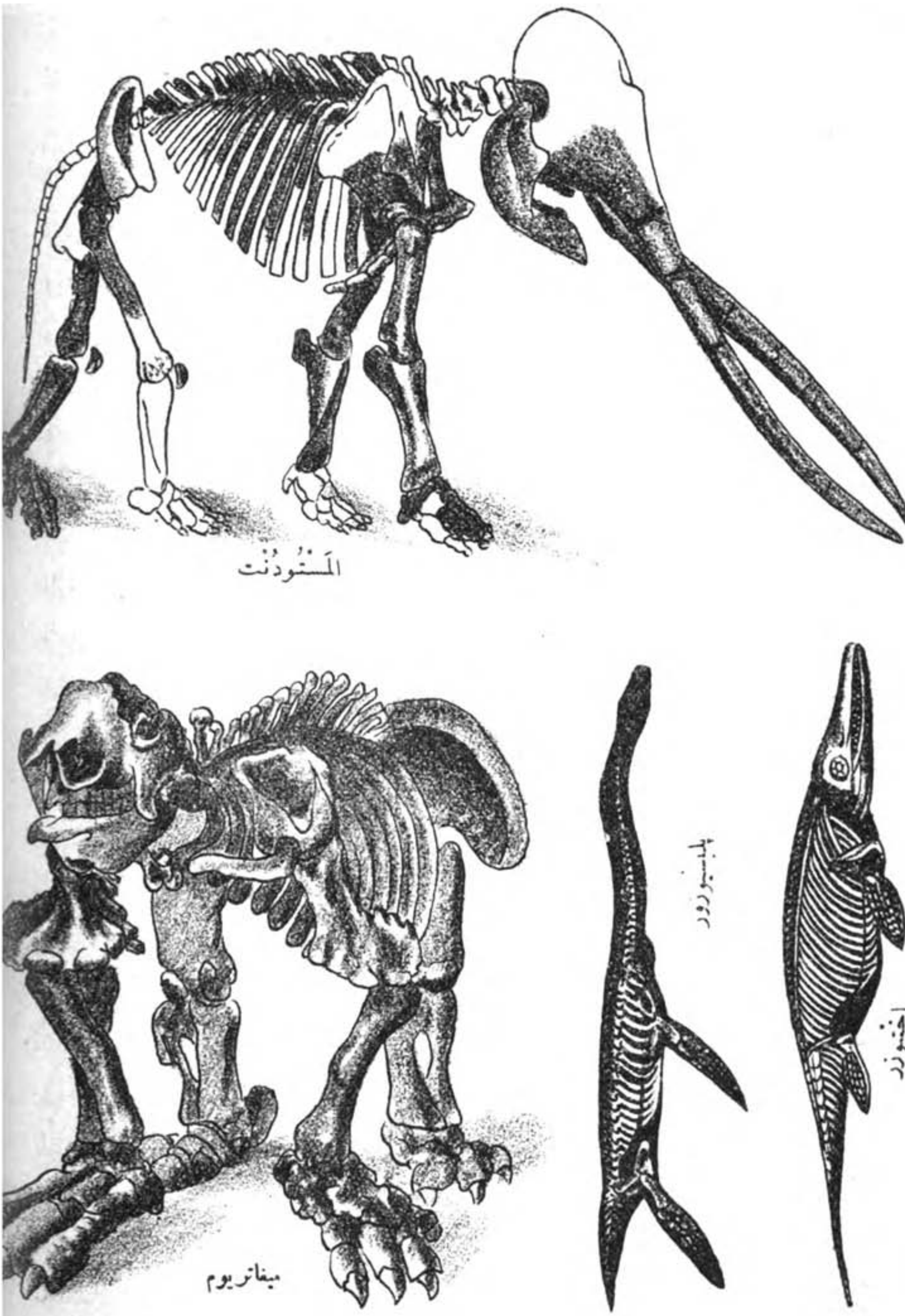
(الصنف الثاني) من الحفريّات ما فقد منها الخواصّ اليمويّة الاصليّة التي بعضها كالحيوانات المائيّة اذا ماتت وقعت جثتها في الطين اللزج او غاصت في الرمال فتبقى مطمورةً ما شاء الله وتضحي بعد اجيال في جملة الحفريّات. وهذا ما جرى للمحار الحيوانات الحلزونيّة فانّ عددًا منها لا يُحصى قد وُجد في طبقات الارض السُّفلى وقد ساعد على تحجُّرها ما عليها من الاصداف المتركبة من كربونات الكلس. وفي وادي صليا في المتين وبجوار دير مار عبدا هرهريّا بكسروان طبقات كثيرة من اصدافها المتحجرة

وليس الامر كذلك في الحيوانات الكبرى ذوات الثدي وفي الطيور فانّ جثثها لم تسلم الّا اذا طرأ عليها حوادث غير عاديّة بان تكون مثلًا خُسفت بها الارض او غاصت في ردغات المستنقعات او وقعت في وهاد تغطّيها الثلوج

امّا النبات الذي يذوي بكل سرعة فانهُ يتحجّر بفعل مياه بعض العيون ذات الموادّ المحجرة كالكلس والمادّة السيليسيّة او بسقوطهِ في اوحال او تربة صلصاليّة تغطّيه فتصونهُ مع زهرهِ وحبوبهِ

ولا بدَّ لكل هذه الاجرام لتسلم من الفساد ان يكون صوانها صفيقًا يمنع نفوذ الهواء اليها امّا بتكوُّن مادّة صدفيّة حولها او بان يُحدق بها طين لزج او جليد. وهذا ما جرى لبعض الحيوانات الضخمة كالممُّوث في صحاري سيبارية المتجمّدة فقد وُجدت هذه الحيوانات مصونةً بتمامها حتى لحومها وجلودها وشعرها كما كانت يوم طُمرت في هذا الجليد حتى انّ لحمها كان طريًا بعد أُلوفٍ من السنين أُلقي منهُ للكلاب فاكلتهُ بشهوةٍ وهكذا ايضاً دُفنت بعض الهوامّ التي وجدت في غُلُفٍ من الموادّ الراتينجيّة ومثلها بعض الاصداف صِينت في رواسب من الموادّ الخزفيّة

واذا استثنيت هذه الظروف غير العاديّة قلّما تجد جسمًا آليًا لم يُصبهُ بعض التغيير في اجزاء جوهرهِ على قدر ما سرتْ اليهِ عوامل الفساد وعلى قدر صبرهِ على هذه المتلفات. واثبت ما في الحيوان على هذه عوامل الانحلال انيابهُ وعظامهُ وقرونهُ واصدافهُ فانّها لا تكاد تتغيّر مع الزمان لما يدخلها من الموادّ الصلبة المتكوّنة من فسفات الكلس الذي هو من اصلب الاجسام واقلّها انحلالًا. وربّما وُجدت هذه الاقسام على حالتها الاصليّة دون ان يطرأ عليها طارئ الفساد بتخلّل موادّ اجنبيّة في جوهرها


المستودنت
ميغاتريوم
بلسيوزور
إختيوزر

٢

هذا وانّ من انعم النظر في طبقات التربة تحقّق انّ لكل طبقة اجساماً آليّة مختصّة بها دون غيرها منها تُعرَف اطوار كرّتنا الارضيّة معرفةً تامّة وهذه الاطوار دامت عدداً من القرون والسنين لا يعرفها الّا الله. واكثر ما تُقسم هذه الازمنة الى اربعة اقسام يتشعّب كل قسمٍ منها شُعباً عديدة

(الطور الاوّل) هو أوغلها في القدم وفيهِ ظهرت الحياة بادئ بدءٍ على وجه الارض. فان كرّتنا بعد ما طرأ عليها من التقلّبات البركانيّة والطوارئ الجيولوجيّة نمت فيها انواع النبات نموّاً غريباً لحرارة الارض الطبيعيّة في ذلك العهد وكثرة الحامض الكربونيّ الذي يحللهُ النبات فيقتات من كربونهِ. وكان في ذلك الزمان من النبات الجباري والادواح العظيمة والغابات ما بقي كثير من آثارها في سافات الارض السُّفلى والفحم الحجري. امّا الحيوان فظهر منهُ بعض ذوات الفقرات منها برّيّة قليلة كالزحّافات ومنها بحريّة كالاسماك. ثم بعض السراطين اخصّها نوع يُعرف بالتريلوبيت (trilobite) فُقِد بعد ذلك وهو على شكل ترسٍ بيضويّ ذو حلقات متعدّدة. ثم بعض الاصداف منها الليتويت (lituite) والمحارات. ثم حيوانات بلا عظام طويلة الجوارح

(الطور الثاني) وقد طال زمنهُ وتوفّرت عجائب مخلوقاتهِ. وممّا امتاز بهِ هذا الطور كثرت حيواناتهِ ذواتِ الفقرات فترى منها ضروباً غريبة الهيئة عظيمة البنية منها زحّافات كالاختيوزور (ichtyosaure) والپليسيوزور (plésiosaure) تراها كالتماسيح طولها ستّة امتار بنيّف وبعضها ذوات اصابع مجنّحة (ptérodactyle) ومنها طيور ومنها حيوانات هلامية واصداف. ومنذ هذا الطور الثاني ترى ذوات الثدي الّا انّها قليلة وصغيرة الشكل ولهذه الحيوانات غُلُفٍ طبيعية تصون فيها صغارها. والمحارات المعروفة بالأمونيت (ammonite) لا تكاد تُحصى في هذا الطور وفي اطوار الحجارة الطباشيريّة ثم لم يبقَ لها اثر بعد ذلك

(الطور الثالث) يُفرز من الطور السابق بكثرة حيواناتهِ من ذوات الثدي اكثرها غليظة الجلد (pachyderme) متناهية في الكبر كانت تتجوّل في الاودية والغابات كملوكٍ في املاكها. وقد ظهر منها انواعٌ شتّى كالپاليوتريوم (paléotherium) والاناپلوتريوم (anaplotherium) والهينودون (hyénodons) ثم بعد مدّة الدينوتريوم

(dinotherium) والمستودنت (mastodonte) وبعض اشكال القرود الضخمة . ثم في آخر هذا الطور تُرى آثار الحيوانات المجترّة والسباع الضواري . امّا الانسان فلم يقف العلماء حتى الآن على آثارهِ في ذاك الزمن وانّما يحدسون بوجودهِ حدساً فقط

(الطور الرابع) يمتاز عما سواهُ بظهور الانسان على الارض . ومذ ذاك الحين لا نعود نجد على الارض آثار انواعٍ جديدة من النبات والحيوان وبعكس ذلك نرى ضروباً من الحيوانات الغريبة التي شاعت في اوّل زمن الانسان قد بادت آثارها لاسيّما حيوانات من ذوات الثدي كالمموث الذي كان يبلغ علوُّه اربعة امتار وكالميغاتريوم الذي كان طولهُ خمسة امتار والأيل القديم وكبعض الطيور الغريبة وحيوانات اخرى تُرى في متاحف اوربّة في جملة الحُفريّات والمستحجرات . وعليهِ فلا صحّة لما جاء في كتاب مشهد الكائنات (ص ١٧٤) « بانّ ذوات الثدي قلّ ما يُشاهد منها مستحجراً » فانّ مستحجرات ذوات الثدي كثيرة منها في بطرسبرج ولندن وباريس ومدن غيرها ولعلّها اكثر عدداً من سواها . والله اعلم

مطبوعات شرقية جديدة

Dictionnaire des Antiquités Grecques et Romaines
par Daremberg et Saglio, (fasc. 33, *Hachette,* 1902)

معجم العاديّات اليونانيّة والرومانيّة

يتابع مؤلفا هذا المعجم النفيس الذي سبق لنا وصفهُ (المشرق ٥ : ١١٠٠) عملهما بهمّة لا تعرف مللاً . وفي هذا الجزء الذي يحتوي على موادّ قسم من حرف الميم (MED-MET) فصول عديدة كلّها تدلّ على علم غزير واطّلاع واسع كفى باسماء كاتبيها شهرةً وضماناً لصحّتها منهم العلماء ريناخ ولافاي وساغليو وكانيا وغيرهم كثيرين . ولو سمح لنا المقام لاتّسعنا في وصف بعض الموادّ الّا انّ كل مقالة منها تستدعي شرحاً طويلاً وانّما نكتفي بذكر الفصول التي تبحث عن الطبّ والتطبيب عند الرومان واليونان (Medicus) وعن التسوُّل والاستعطاء (Mendicatio) وعن التجارة

(Mercator, Mercatura) وعن عطـارد الاله (Mercurius) في اربعين عمودًا٠
فلعمري انَّ من يطّلع على مثل هذه المعاجم يُعرف ما لاصحابها من الفضل ولا يتمالك عن شكر من يقوم بمثل هذه الاعمال

الاب ل٠ جلبرت

Choiseul et la France d'Outre-mer
par E. Daubigny, in - 8° XVI - 352, *Hachette*.

المستعمرات الفرنـويّة في عهد الوزير شوازول

بعد معاهدة باريس في سنة ١٧٦٣ كانت مستعمرات فرنسـة اضحت في حال يُرثى لها فضلًا عمّا فُقد منها بالحروب٠ فلمّا تقلّد شوازول وزارة لويس الخامس عشر حاول ان يعيد لهذه المستعمرات في غواينة ومداغسكر والهند وسواحل افريقية وجزائر فرنسة وبوربون شيئًا من رونقهـا القديم٠ وقد جمع المسيو دوبيني في سجلّات وزارة البحريّة والمستعمرات ما لقيَهُ في هذا الشأن وبيّن ما يعود الى شوازول من الفضل في ذلك وكيف احرز لدولتهِ بعض الفخر وان لم تساعدهُ الاحوال على الفوز بمرغوبهِ

Le prétoire de Pilate et la forteresse Antonia

par le P. Barnabé d'Alsace, O. F. M, Paris. *Picard*, XXIII - 251, 1902

دار ولاية بيلاطوس وقلعة انطونيا

من اراد البحث عن تاريخ النصرانية في القدس الشريف لا يمكنهُ ان يضرب صفحًا عن آثار آلام المخلِّص في تلك المدينة٠ وحضرة الاب برنابا المرسل الفرنسيسي ممَّن يخوض في مثل هذه الابحاث منذ سنين قليلة وقد اشتهر بتآليف سابقة مهمّة عن جبل طابور وتجلّي المسيح عليهِ وعن موقع عمواص المذكورة في الانجيـل٠ وفي الكتاب الذي نحن في صددهِ قد تحرَّى حضرتهُ بيان موقع دار ولاية بيلاطوس البنطيّ حيث جُلد السيِّد المسيح وكُلّل بالشوك وحُكم عليهِ بالموت٠ ورأيُهُ في ذلك يخالف مزاعم بعض المحدثين ويوافق التقليد القديم بان هذه الدار هي قلعة انطونيا القديمة التي شيَّدها هيرودس الكبير شمالي غربيّ الهيكل الواقعة قريبًا من الثكنة العسكريّة ودير راهبات صهيون على عهدنا٠ وقد اتى لتأييد قولهِ بشهادات متعدّدة لقدماء الكتبة واسند رأيهُ الى الآثار والعاديّات المكتشفة حديثًا في اورشليم من ذكر الكنائس التي بُنيت ثمّت في كرور الاجيال٠ وخلاصة القول انَّ في هذا الكتاب لُباب التآليف السابقة عن قضيّة

دار الحكمة الرومانيّة ايّام الخلص مع عدد وافر من الرسوم والتصاوير التي تقرّب ادراك هذه المطالب الشائقة. لكنّنا وددنا لو حايد المؤلف في معرض كتابتهِ بعض الاقوال القارصة في حقّ الذين ليسوا على رأيهِ وخصوصاً حضرات الآباء الدومينيكيين الافاضل الاب س. رتزڤال

ثلاث روايات

للراوي اسكندر ديماس الكبير معرّب بقلم فرح انطون منشئ الجامعة

ان لاسكندر ديماس بضع مئات من الروايات كتبها ليفكّه بها اهل عصرهِ وهي اليوم منسيَّة لا يكاد يعرف اسمها الّا محبّو الانتيكات وقد ظنّ منشئ مجلّة الجامعة انّ قرّاء الشرق يجدون في هذه البضاعة الكاسدة لذّة اذا نقل منها الى العربية ثلاث روايات يزعم انّها تاريخيّة. والحقّ يقال انّها تبعد عن التاريخ بُعد الثريّا عن الثرى. ونكتفي لتأييد قولنا بذكر قصّة الحدّاد «كامين» او «جامين» التي فنّدها في المشرق حضرة الاب لويس دي انسلم ردًّا على مقالة المقتطف المُعنونة «صفحة من تاريخ فرنسة» ونتعجّب كيف معرّب هذه الروايات ذكر مقالة المقتطف في هذا الصدد وضرب صفحاً عن جوابنا عليها ل. ش

شذرات

الهلال ووجود الخالق — اخطأ الهلال في عددهِ الصادر في ١٥ شباط اذ قال (ص ٣١٧) عن وجود الخالق: «انّ البحث في وجود الخالق سبحانهُ وتعالى من المواضيع العقيمة التي يرى العقلاء العدول عنها اذ يستحيل اثباتها بالبرهان» ليت شعري كيف يستطيع منشئ مجلّةٍ ادبيّة كالهلال ان يقول بمثل هذا القول الذي ينافي اقوال كلّ الفلاسفة الأثبات من يونان ورومان ونصارى ومسلمين ويهود وكلّهم لسان واحد في اثبات قضيّة وجود الخالق بالبرهان العقليّ فضلًا عن الدينيّ. وادلّتهم سواء كانت محمولة على برهان العلّة والمعلول لبيان كون الخالق هو العلّة الاولى او على برهان وجود عالَم ذي نظام شاهد لمنظّمه بانّهُ الخالق سبحانهُ وتعالى او على برهان الحُدث

الدالّ على القديم او على المتحرّك الذي يعود الى محرّك اوّل تبيّن كلّها هذه القضيّـة بياناً قطعيّاً لا ينكرهُ الّا الملحدون (راجع المشرق ٤ : ٩٦١) مقالة بولس الراهب في وجود الباريّ تعالى وكمالاتهِ وكتاب تهذيب الاخلاق لابن مكويه وكتاب الفوز الاصغر المطبوع في مطبعة ثمرات الفنون

احماء السفن بالبترول قالت جريدة الماتن ان السفينـة كلام الانكليزيّة قطعت المسافة التي بين باتوم وسدني غير مستعملة سوى البترول السـائل مكان الفحم. وقد انقصت الثلث من نوتيّتهـا في سفرها المذكور ومع نقصهم زادت سرعة مسيرها نصف عقدة طول مدّة السفر. وكانت مقطوعيتها من الفحم كل يوم ٢٦ طنًّا غير ان مقطوعيتها من البترول اقتصرت على ١٨ طنًّا لا غير

الياقوت الصناعي توصل المسيو فرنويل احد الكيماويين الى عمل ياقوت صناعي يشبه كل الشبه الياقوت الطبيعيّ. امّا كيفيَّة العمل فهي دقيقـة ومعقدة وهي ان يذوّب الالومين في انبوبة ويُخلط بهِ ٢٥ في المائة من اوكسيد الكروم لاجل تلوينه ثم تؤخذ المادَّة المذوّبة وتلحم بسلك صغير من الالومين المتجمع مع كربونات البوطاس. وبعد ذلك يُذرّ على كرّيَة الالومين المذهبة غبار الالومين الممزوج بالكروم. وبواسطة تبريد فجائي تنشق المادة المتكونة على هذه الصورة الى شطرين متساويين يمكن المشتغل بالحجارة ان يجلوهما حتى يصيرا كالياقوت الحقيقي. على انهُ ما زال حتى الآن بين الياقوت الصناعي والطبيعي فرق جزئي لا يمكن تحقيقهُ الّا بنظّارة معظِمة قويّة (البشير)

الزرنيخ هو من المعادن التي شاع ذكرها بين الموادّ السامّة القتّالة يكفي منها القليل لقتل الحيوان. ومما اثبتهُ حديثاً بالامتحـانات المتكرّرة احد العلماء الفرنسيين الدكتور ارمان غوتيه من اساتذة المكتب الطبيّ في باريس انَّ هذا المعدن لا يخلو منهُ حيوان سواء كان انساناً او بهيمةً او طائرًا وان لهُ فعلًا مهمًّا في اجهزة الحسّ والتوليد يقويها وينعشها ويجدّد حيويّتها وعليـهِ فيصيب الاطباء الذي يصفونهُ للضعفاء البنية والمهزولين وفي امراض اخرى. واكثر وجود الزرنيخ في الجلد وملحقاتهِ وفي الدماغ والعظام

اسئلة واجوبة

خالج الشك بعض اصدقاء حضرة الاب انستاس الكرملي في صحّة ما كتبهُ في مقالتهِ عن النور انّ بني ساسان هم النور بعينهم او الكاولية

قال حضرتهُ في جوابهِ:

لعلّ فريقًا من قرّاء المشرق الزاهر يُشاطرون هؤلاء الاخدان الافاضل في رأيهم غير اننا نستلفت افكارهم في مثل هذه الامور ان لا ينظروا الى مجرَّد لفظ الاسم او مقابلتهِ بنظيرهِ او مرادفهِ او ما كان من هذا الباب بل ان ينظروا الى المعنى الذي تفيدهُ الكلمة او الى جوهر الشيء وموصوفهِ. فقد رأيتَ ان اسماء النور في نفس ايامنا هذه تختلف باختلاف الأقطار بل وباختلاف الأقطار العربية كما ألمعنا اليهِ مفصَّلًا في صدر هذه النبذة فهل يكون بعد ذلك من العجب ان نرى اسماءهم تختلف حتى بمرور العصور. وبالخصوص اننا نعلم انّهم لا يُسمُّون انفسهم باسمٍ واحدٍ ثابتٍ بل ولا يريدون ذلك. هذا ومن الادلّة التي تزيدك بيانًا في هذا الصدد فما عدا ما اسلفنا تعدادها ما يأتي:

١ً انك اذا قابلت آداب واخلاق وعوائد نوَر هذه الايّام بينها وبين ما جاء من مثل ذلك عن بني ساسان الذين ورد ذكرهم في كتب العرب المتفرّقة وبالخصوص في القصيدة الساسانية التي نوّهنا بذكرها غير مرةٍ وجدتَها كانّها قُدَّتْ من سيرٍ واحدٍ

٢ً اسمع ما قال الشريشيُّ في شرح المقامة الساسانيَّة للحريريّ (٢: ٣٩٤) فانهُ يذكر ما نصهُ بحرفهِ: ساسان شيخ المكدّين والفرباء وهم بنو غبراء. والغبراء الارض وسُمُّوا بني غبراء لقطعهم جهات الارض وجولانهم في البلدان فكانَّهم ليس لهم أصل يُنسبون اليهِ الّا الارض. وقيل سمُّوا بذلك للزومهم غبراء الارض وجهها وترابها والرقاد فيها فيغبرون بذلك ويتغيّرون. انتهى.

فهل ينطبق هذا الكلام على غير هؤلاء النور

٣ً ان هؤلاء الاقوام بين الامم يُشبهون الدهريين بين العلماء فانَّهم كيفما ظهروا وباي صورة تمثلوا وبين اي قومٍ نجموا ومهما اختلفت اسماؤهم يعرفهم مع ذلك الحكيم العاقل لاوّل وهلةٍ لما يُبقُون بعدهم من الآثار على حدِّ ما قيل:

تلك آثارنا تدلُّ علينا فانظروا بعدنا الى الآثارِ

اصلاح بعض اغلاط طبعيَّة واقعة في مقالة النور (المشرق ٥): الصفحة ٨٦٦ س ٠٩ « علما الاعلام » والصواب « العلمـاء » = ٨٦٨ س ٣ « كوجيدون » ص « كوچيدن » = ٨٦٩ « المصحّفة من » ص « عن » — ٢١ « تأخـذ » ص « مأخذ » = ٨٧٠ « ان النورة » ص « ان نورة » = ٨٧٣ س ٣٢ « البطانخ » ص « البطائخ » ٨٧٣–٨٧٥ « السيابجة » ص « السبابجة »

السنة السادسة　　العدد ٧　　١ نيسان سنة ١٩٠٣

المشرق

بُرْتَقال صيداء

لجناب الاديب توما افنـدي كيَّال

قد اشتهرت مدينة صيداء من قديم الزمن بمحصولات اراضيها الكثيرة وباثمارهـا اللذيذة المختلفة الاجناس الكثيرة العـدد المفضَّلة على ما سواها والمرغوبة من سكَّان المدن السوريَّة والاوربيَّة نظرًا للذيذ طعمها وحسن هيئتها وررونقها وطول مدَّتهـا. صفاتٌ خصَّ بها المولى اثمار هذه المدينة القديمـة العهد فاغناها بعد مجدها السابق بمحصولات يتفاخر بها كل من رآها وتمتَّع بها

هيَّا بنا ايها القارئ الكريم ندخل معًا احد بساتين هذه المدينة ونتجوَّل بهِ قصد التنزُّه باحثين في الوقت ذاتهِ عن انواع الثمار الموجودة في ذلك البستان الواسع الارجاء المغروس بهِ من الاشجار القديمة والحديثة العهد ما لا يفي بهِ احصـاء من برتقال ورمَّان وخوخ وموز وتفَّاح ومشمش ولوز واجَّاص وتوت وانكدونيا ودرَّاق واثمار أُخرى متعددة لا يسعنا المقام سردها بالتمام. ولا غرو ايها القارئ اللبيب ان ياخذك العجب والاندهاش لدى رؤياك هذه الاشجار في هذا الفصل البديـع فتتحقَّق بالعيان ما طالما سمعتهُ عن بساتين صيداء وفواكهها اللذيذة

هذا وانَّ بين هذه مواهب الطبيعة ثمرًا يتباهى بهِ الصيداويُّون اذ عليـهِ مدار تجارتهم ومعاش القسم الأكبر من اهـالي مدينتهم ألا وهو البرتقال عوَّلتُ على ان اشرح لك مفصَّلًا عمَّا تهمُّك معرفتهُ من زرعهِ وتطعيمهِ وانواعهِ ومنافعهِ آخذًا هـذه

التعليمات من اوثق المصادر علّها تحرّك بك الشوق لزيارة مدينتنا باقرب وقت فتكون مطلعاً حينئذٍ على ايضاحاتٍ وافية بهذا الخصوص يصعب عليك معرفتها بالبحث الشخصيّ الطويل والتنقيب عن حقائقها

١ تاريخ زرع البرتقال في صيداء

يتناقل بعض المسنّين في مدينتنا حديثاً عن ابائهم واجدادهم بهِ يزعمون ان اول بزر من البرتقال زُرع في بساتين صيداء أُخذ من بعض السيّاح المالطيين . وهاك ما سمعتهُ منهم اسردهُ بحروفهِ . رسا في مرفإ صيداء في اواسط الجيل السابع عشر مركب شراعي يقلُّ عدداً من نخبة اهالي جزيرة مالطة وجهتهم زيارة الاراضي المقدَّسة . ولاشتهار صيداء بالآثار الفينيقية احبُّوا ان يصرفوا فيها بضعة ايام وكانوا يقصدون غالباً الجهة القريبة من البحر المعروفة بالسبع العيون فهنالك كانت تقرُّ ابصارهم برأى مناظر تلك البقعة البديعة التي تفوق الاماكن المجاورة من البلدة من حيث عذوبة مياهها وحسن موقعها . وكان سكان تلك المحلات يتردَّدون على السياح المذكورين ويقدمون لهم ما لاق من الاكرام والخِدَم . ففي احد الأيام اهدى كبير السياح لمواطنينا ثمراً فاخراً ذا رائحة عطريَّة وطعم لذيذ فشكروا افضالهُ وطلبوا منهُ بعض ايضاحاتٍ متعلقة بزرع بزر هذا الثمر المدعو البرتقال فلم يبخل عليهم بها فحفظوا بزور تلك البرتقالات التي أُهدوها وزرعوها في بساتينهم فاقبلت بعد سنوات قليلة وزكت ونمت نموًّا عظيماً ولم تزل الشجرات المذكورة على ما سمعتهُ من الكثيرين باقية حتى يومنا تحمل اثماراً (١) . ثم صارت الغيرة تحرك اصحاب الارزاق شيئاً فشيئاً لزرع هذا الصنف في املاكهم فحصلت صيداء من ذلك الوقت على بساتين مهمة يضرب المثل بأُترنجها سواء كان في البلاد الشامية او الاجنبيَّة

١) (المشرق) اذا صحَّ هذا القول لا يكون البرتقال قديماً في صيداء ولعلَّ مراد الكاتب احد انواع البرتقال فقط وما لا شبهة فيهِ انَّ طرابلس اشتهرت ببرتقالها منذ القرن الحادي عشر للمسيح كما ذكر ذلك ناصر خسرو في سفرهِ الى الشام . ولعلَّ الفرنج تعلَّموا زرع البرتقال من اهل الشرق

٢ كيفية زرع البرتقال (١

توفّق الزارع الصيداوي بعد اختباراتهِ العديدة الى انتخاب بزر الصُّفير وتفضيل زرعهِ على سائر البزور نظرًا لجودتهِ وحسن اقباله وقد ثبت لهُ بان الشهر الاكثر موافقةً لذلك هو شهر اذار وهاك كيفية زرعه: خذ كمية من الصفير وذرّها في المغرس (المسكب) المعين لها وليكن المحل معرضاً للشمس وتربته خالية على قدر الامكان من الحصى وكثير السماد فتنبت بعد شهرين من زرعها وعلى الاقل ٤٥ يوماً فدعها تنمو في مغرسها مدَّة سنتين ثم انقلها باعتناء الى مغرس آخر اكثر اتساعاً وافرز بعضها عن بعض وأبقها سنتين كذلك الّا انهُ اذا كانت ملاحظة النصب وسقيهُ قانونيًا مع وجودهِ في تربة رمليَّة ربَّما نما في ثلاث سنوات بدلًا من الاربع. واخيرًا انقل الاغراس افرادًا الى المحلات المعينة لزرعها واغرسها بحيث تبعد كل واحدة عن الثانية اربعة امتار تقريباً واتركها على هذه الصورة مدَّة ٢٢ او ٢٣ شهرًا وبعد ذلك تطعمها بالجنس الذي تحبه من البرتقال كالليمون الحامض وجنس يوسف افنــدي. لكن اذا زرعت بزرًا من نوع البرتقال البزري فلا لزوم لتطعيمهِ لانهُ يبقى على اصله فتنبت منهُ اشجار بزرية. امَّا باقي اجناس البرتقال فاذا زُرعت بزورها رجعت الى اصلها الذي أُخذت منهُ اولًا وهو الصُّفير فلذا يلزم تطعيمها

٣ كيفية التطعيم

لا يجوز التطعيم الَّا في فصلي الخريف والربيع وهاك كيفيته: خذ فسيلة (رقعة) من شجرة البرتقال وافتح لها شقًّا على قدرهــا في مطعوم (شجيرة) الصُّفير وأحكم ربطها بقشرة من التوت او الموز ودعها كذلك ثلاثة اسابيع كاملة ثم ارفع الرباط المذكور وبعد ذلك بعشرة ايَّام اقطع (جُمَّ) الغصن فوق رقعة التطعيم بنحو ٧ سنتيمترات وضع في الحال في اعلى المحل المجموم ترابًا رطباً على قدر اللزوم خوفاً من حرارة الشمس فترى بعد مضي ١٠ ايَّام او ١٢ يوماً فرخاً خارجاً من الجهة المطعمة فيلزم وقتئذٍ مداراته وربطهُ بسلخة (شلة) كي لا ينسلخ عن امهِ بل يبقى مرتبطاً بهــا فينمو تدريجًا ويبقى على حالة نموه هذه مدَّة ٢٥ شهرًا يمكنك بعد انقضائها ان تجني من اثماره اللذيذة التي

(١ اخذنا الافادات المتعلقة بزرع البرتقال وتطعيمه واجناسهِ من جناب عمر افندي الشريف

تنسيك اتعابك باسرها . امّا التعطيم في الخريف فانهُ يكون اساسٌ للتطعيم الربيعي المعوَّل عليهِ فلذا لا يُجمّ في الخريف بل يبقى وديعاً للربيع

٤ الكميَّة التي تحملها شجرة البرتقال

ان شجرة البرتقال تحمل في السنة الثالثة من تطعيمها (اي الاولى من حملها) من عشر ثمرات الى عشرين ثمرة وفي الرابعة اربعين وفي الخامسة مئة وهكذا تدريجًا الى ان يبلغ معظم حملها ١٠٠٠ برتقالة سنويًا لكنهُ يوجد بعض اشجار من البرتقال التي يبلغ حمل الواحدة منها الفي ثمرة وغيرها ٣٠٠٠ ولعلَّ بعضها يناهز ٥٠٠٠ واذا نظرت حينئذٍ الى هذه الاشجار تراها حاملةً هذه الكميَّة المهمَّة من الاثمار وهي رافعة اغصانها الكثيفة بافتخار يتلاعب النسيم بين اوراقها الواسعة وهي لا تبدي حراكًا كانَّها طودٌ شامخ تتَّجه اليها اعين الناظر فيسبِّح الخالق ويشكرهُ على نعمهِ الغزيرة التي منَّ بها على الانسان

٥ الاراضي الصالحة لزرع البرتقال وكيفية سقيها (١

ان تربة بساتين صيداء قد أُحكمت فلاحتها ونظفت من الحصى فلذا تراها على وجه العموم صالحةً لزرع شجر البرتقال وهي تقسم الى ثلاثة اقسام منها اراضٍ رمليَّة ومنها حمراء ومنها سوداء . امَّا الاراضي البيضاء فغير صالحة لذلك لانها لا تطلب ماء

١ً فالرمليَّة هي الاراضي المجاورة للبحر تصلح جدًّا لهذا الصنف وبرتقالها فاخر طيب يعطي ثمرًا قبل باقي اشجار البرتقال الّا انهُ اذا بقيت اثمارهُ على الاشجار مدَّة طويلة يبس فذهبت طراءتهُ ولا لذَّة لآكلهِ . امَّا سقيه ففي كل ثمانية ايَّام مرَّة واحدة اعتبارًا من اوَّل حزيران الى آخر تشرين الاوَّل وعلى البستاني ملاحظة مسئلة السقي خاصةً في شهري تموز وآب

٢ً الاراضي الحمراء هي اراضٍ متوسطة تصلح للبرتقال لكنها ليست كالاولى من حيث التربة واثمارها من الدرجة الثانيــة نظرًا للطعم ولطول مدَّة الاقامة ويلزم سقيها مرَّة في كلّ عشرة ايَّام

---

١) ان البلاد التي يكثر فيها تساقط الثلوج لا تصلح اراضيها اصلًا لزرع هـذا الصنف لان الثلج والبرد الشديد يضرَّان بنموهِ

٣ً الاراضي السوداء كثيرة في سقي صيداء واشجارها تحمل حملًا وافرًا واثمارها لذيذة غاية في الحلاوة يمكن تركها على الاشجار الى منتهى حزيران يُنقل منها الكثير الى الخارج ومدخولها ليس بقليل الّا انهُ يلزمها اعتنـاء ومصاريف وافرة وهي تُسقى مرَّة واحدة كل ١٥ يومًا

٦ اجناس البرتقال

تعدّدت اجناس البرتقـال وكثرت انواعهُ لكن يمكن حصره في ١٢ جنسًا لكل واحد منها ايضًا اقسام مختلفة وهي هذه :

١ (المالطي) هذا هو الجنس الاصلي الذي منهُ أُخذت البزور وصـارت على تمادي الأَيام وتغيير التطعيم واختلاف الاراضي تتنوَّع اشكالهُ وصفاتهُ. ثمرهُ مستدير واسع لا نُـكتة (طبعة) لهُ في اسفله. امَّا شجرهُ فقد اصبح نادرًا ولعلَّ صنفهُ يفنى بعد بضع سنوات ولا يبقى منهُ في بساتين صيداء. واحسن اثمارهِ ما كان بهِ نُـكتـة بيضاء. والاهالي تطلق عليهِ الآن اسم البزري

٢ (البزري) سمي كذلك لكثرة بزرهِ وهو ذو شكل مستدير كبير الحجم ويكون على نوعين بلدي وماوردي وكلاهما يُعـدّ من احسن اجناس البرتقال فهو لذيذ الطعم فاخر طويل الاقامة تبقى اثماره على الشجر حتى اوائل نيسان. زرعـهُ مرغوب جدًّا نظرًا لوفرة حملهِ وكثرة ايرادهِ

٣ (البلدي) وهو على ثلاثة انواع ناعم وماوردي وخشن. الاوَّل ما كانت قشرتهُ ملساء ناعمة وهو مفضل على النوعين الآخرين. والماوردي دون الاوَّل في الطعم لكنهُ ذو شكل بديع يتوق لرؤياه الناظر. امَّا الخشن فقشرتهُ غليظة بهِ كثير من اللب واصحاب الاملاك يقلعون منـهُ كثيرًا لانهُ لا طلب عليهِ من الخارج ويستعيضونه باشجار من البلدي الناعم وعمَّا قليل لا يعود لهُ اثر ما بين باقي الاشجار

٤ (الشمُوطي) هو برتقال طويل ذو قشرة رقيقـة ثمره لذيذ الطعم واشجاره تأتي باثمارها قبل بقية اجناس البرتقال. وهو على ثلاثة انواع بلدي وماوردي ويافاوي فالبلدي ثمره مائيّ طيب الذوق يرسل منهُ في اوائل الخريف قسم وافر الى بلاد الانكليز على مراكب شركة برنس لَين فيصلها سالمًا من دون ان يلحق بهِ ضرر البتة. والماوردي

اشجارهُ قليلة لكن اثماره لذيذة للغاية لاسيَّما اذا أُبقيت الى اواخر الشتاء . اماَّ اليافاوي فأصل طعمه من يافا اثمارهُ ناشفــة جدًّا لا لذة لهُ ولا طراوة حتى لو قطعت الثمرة الواحدة اجزاء متعددة لا يسقط منهــا نقطة ماء فلذا اهالي يافا يسمون برتقالهم هذا ببرتقال السيّدات لان الآكل منهُ لا تتَّسخ يداهُ بل تبقيان نظيفتــين على الاطلاق

٥ (الخُتمُلي) سُمي كذلك لانهُ يُنظر في اسفله طبعــة مستديرة اشبه بالختم وهو على نوعين بلدي وشموطي وهذا البرتقال مائي كثير الحلاوة يُفضّل اهــل الثغر اكلهُ على غيره . امّا الوقت المناسب لقطفه وللتناول منهُ فهو في شهري كانون الثاني وشباط

٦ (الماوردي) لون هذا الجنس من البرتقال احمر على شبه لون الورد ممسَّك الرائحة مائي بديع الشكل يحمرُّ في اواسط الشتاء لكن اذا بقي على الشجر الى نيسان يرجع فيبيضُّ . واذا تركتَ بضع برتقالات منهُ في حُجرة محكمة القفــل مدة خمسة أيام ثم فتحتَها بعد ذلك انبعثت للحال منها رائحة عطريَّة تبقى منتشرةً مدةً طويلة في ذلك المحل . وهذا هو افخر اجناس البرتقال الصيداوي يشعر الآكل منهُ بحلاوة لذيذة لا تعادلهــا حلاوة وبطعم ممسَّك لا يعرف قَدرَهُ الَّا من ذاقهُ اذا وُضع على موائد الملوك والامراء يكون لهُ المقام الاول ما بين سائر الفواكه فلا يملّ الناظر من رؤياهُ لما صبغتهُ بهِ الطبيعة من الحمرة القانئة . ويرسل منهُ قسمٌ كبيرٌ الى الاستانة العليَّة والى بلاد الانكليز والى جهات أُخر من سوريَّة كبيروت والشام وخلافهما . وهو ايضًا على ثلاثة انواع بلدي وشموطيّ وساقصلي

٧ (السُّكَّري) هذا الجنس دون باقي اجناس البرتقال سواء كان في الطعم او في طول الاقامة لا طلب عليهِ من الخارج واشجارهُ قليلة وزرعهُ غير مرغوب

٨ (يوسف افندي mandarine) كثر في مدينتنا تطعيم اشجار الصفير بطعم يوسف افندي في هذه السنين الاخيرة نظرًا لرواج سوقهِ وهو على نوعين بلدي وماوردي وهو ذو طعم لذيذ احسن انواعه ما كان رقيق القشرة قليل البزر تحمل الشجرة الواحدة منهُ من ٥٠٠ الى ٩٠٠ ثمرة ومعظم حملها الفي ثمرة يزكو زرعهُ كثيرًا في الجهات القريبة

من النهر الاولي ويصلح للاكل في اواسط الشتاء ويفضّلهُ البعض على البرتقال من حيث سهولة هضمه ولجمعه بين الحلاوة والحموضة

٩ (الهندي) هذا الجنس يصلح فقط للمربّى حملهُ قليل ولونهُ ضارب الى الصفرة يبقى على طراوتهِ زمناً طويلًا بعد قطفه وهو كبير الحجم مستدير وهو على نوعين ايضاً شموطي وبلدي والاول مفضل على الثاني

١٠ (الحلو) هو شكل واحد احسنهُ ما زُرع في ارض ترابية سوداء وقد كان زرعهُ مستحبًا في بساتين صيداء الّا انهُ منذ عهد ثلاثين سنة قلّ الاقبال عليهِ من الخارج فأخذ اصحاب الاملاك يقلعونهُ فقُلع اكثر من نصف اشجارهِ واستُبدلت باصناف أُخرى من البرتقال مع ان هذا الجنس غاية في الحلاوة والمنفعة كان الاهلون يطلقون عليهِ اسم باترهر

١١ (الحامض) يوجد من هذا الجنس في صيداء في اي وقت طلبتـهُ ويباع باسعار بخسة للغاية في الشتاء ثم يتعالى سعرهُ قليلًا في الصيف. اذا قُطفت اثمارهُ وهي خضراء تبقى محفوظة مدّة طويلة وهو على نوعين مغازلي ومراكبي ويصدر من الاوّل كميّات وافرة الى الاستانة العليّة والى اودسا والقطر المصري

١٢ (الكُباد) وهو على نوعين بلدي وشامي فالبلدي مفضلٌ على النوع الثاني يستعمل للمربيات

٧ آفة البرتقال (الضربة)

في اواسط شباط سنة ١٨٧٩ كان الشتاء شديدًا جدًّا اشبه بشتاء سنتنا الحالية فانحدرت الثلوج بغزارة قويّة وقرس البرد كثيرًا الى ان هبطت درجة ميزان الحرارة الى تحت الصفر وكان اذ ذاك علوُّ الثلج المتساقط في صيداء وما يجاورها اكثر من ذراع فتضرَّرت من جرائهِ المزروعات ويبس قسم من الاشجار كاللوز والمشمش والبرتقال. وفي السنة التالية اصاب اشجار البرتقال آفة انزلت باصحـاب الاملاك اضرارًا فادحة وجعلت مداخيل اراضيهم لا تقوم بمصاريفها. فلمَّا رأت الحكومة السنية ما حلَّ من الخسائر العظيمة بالملّاكين الصيداويين ارسلت من قبلها معتمدين ترافقهم لجان طبيّة للبحث عن هذه الآفة واخذ التحوُّطات لمنع سريانهـا الى الاشجار السليمة. فبعد الفحص المدقّق قرَّروا استعمال الوسائط الآتية لإتلافها وهي ان تطلى الاشجار المضروبة

بمزيج من عصير التبغ او التنباك او البترول او بمحلول من كبريتات الحديد او النحاس او بالبترول والماء مع قليل من الصابون المذوَّب. لكن بعد الامتحانات العديدة لم تأتِ هذه الادوية بالنتيجة المطلوبة وناهيك عن المصاريف التي تكبَّدها الملاكون بأدوية أُخرى لم يحصل منها كذلك فائدة البتة الى ان ثبت لهم اخيرًا بان التقلبات الجويَّة هي وحدها قادرة على ابادة هذه الآفة تدريجًا. امَّا سببها فهو مِكروب رمادي اللون يتسلط على الشجرة فيضرب اثمارها ويعدمها رونقها وهو يختفي في جذع الشجرة ويسري سمُّهُ الى الاغصان ومنها الى الثمر ولا يبارحها قبل ان يفتك بها فتكًا مريعًا حتى يعدمها النمو وفي النهاية لا تعود الشجرة تصلح الَّا للنار. ولله الحمد قد خفَّت وطأة هذا الداء منذ ثماني سنوات والأمل بان يزول تمامًا عمًّا قريب تاركًا للملاكين شاهدًا على سوء عمله بما خلَّف من آثار الخراب في بساتينهم

٨ الاضرار التي تلحق بأشجار البرتقال

ان شجرة البرتقال اذا اعتنى ارباب الفلاحة بامر زرعها وسقيها قانونيًّا تعيش فوق ٢٥٠ سنة لانهُ لم تزل حتى يومنا باقية الاشجار التي زرعت اولًا في مدينتنا وهي اليوم في حالة مرضية تحمل ثمرًا امَّا الاحتياطات التي يلزم اتخاذها لمداراة البرتقال فهي اولًا رفع جدران البساتين المطلة على الطريق لان الغبار المتصاعد منها يؤذي الاشجار المزروعة على الجوانب فلذا لوحظ بان الاشجار المتطرفة تعيش اقل جدًّا من المغروسة في الداخل واثمارها صغير الحجم. ثانيًا الاعتناء بسقيها قانونيًّا حسب نوع الاراضي كما بينا ذلك آنفًا. ثالثًا عدم زرع البقول والخضرة بين الاشجار لانهُ يؤخرنموها ويقلّل حملها وسببه كثرة المياه التي تلزم للخضر في كل يوم من ايام القيظ خلافًا للبرتقال الذي لا يلزم سقيه الَّا قانونيًّا. رابعًا فرش السماد على قدر لزوم الاراضي في ايام الخريف

٩ منافع البرتقال

سل أيها القاري اللبيب المسافرين الى صيداء برًّا او بحرًا في هذا الفصل الربيعي عن الروائح العطريَّة المنبعثة من بساتين مدينتنا فيجيبوك انهم يتعشون بشذاها قبل وصولهم الى صيداء باربع ساعات وكلما اقتربوا من المدينة تزداد روائح الزهر الزكيَّة فتنشط قواهم خصوصًا عند الصباح فيصبح مستنشقها ثملًا مدَّة ذلك النهار منشرح

الصدر خالي البال منتعشاً من عرفها اللذيذ. وفي هذه الأيام البديعة تتسابق الاهالي زرافات زرافات قبل بزوغ الفجر للنيروز فتقضي بضع ساعات خارج البلدة متمتعة باطيب الروائح واذكاها فتدخل البساتين وتقطف من ازهار الصفير والبرتقال وتجمع منها ما لذَّ لها وطاب وتحضرها الى منازلها وتحفظها في قاعات الاستقبال فيتعطَّر المكان من رائحتها حتى يخال للداخل اليهِ انهُ في جنَّة غنَّاء. لكن حذارِ من ابقائها مدة طويلة في قاعات النوم ام تركها بها ليلاً لان عَرْفها القوي يضرُّ بالنائم فتتخدَّر اعضاؤهُ ويشعر عند استيقاظه بارتخاء في جسمهِ ربَّما تولَّد لهُ منهُ ضعف شديد

ويكثر في شهري شباط واذار الاقبال على زهر الصُّفير لان الاهالي تستخلص منهُ ماء فوائدهُ معروفة شائعة في البلاد السوريَّة وخلافها وها اننَّا نلخص في هذه المقالة بعضها: ان ماء الزهر ينتفع بهِ المصابون بالقبض والمرَضون لاوجاع المعدة. وكذلك يفيد افادة جزيلة لشفاء الصداع والداء المسبب من تلك المعدة فاذا تناول المصاب من هذه خلاصة الزهر مقدار فنجان صباحاً قبل الاكل ممزوجاً بقدح ماء بارد على مدَّة عشرة أيام متوالية شفي من سقمهِ الشفاء التام. واذا ادنيتَ من فم المغشيّ عليهِ قليلاً من هذا ماء الزهر ينتعش حالاً ويهدأ خفقان قلبه وسُرّي عنهُ وانكشف كربهُ. امَّا الحلويات على اختلاف اجناسها فانَّها اذا مُزجت بشيء من هذا الماء تحسن طعمها واكتسبت رائحة ذكية تجلب للمتناول منها القابليَّة. ولماء الزهر ايضاً فعلٌ في التشنجات العصبية. وقد اصطلح الاطباء على صنع صبغة من قشر الصُّفير غاية في الافادة يضيفونها الى بعضٍ من الادوية بصورة شراب فيقبلها المريض اذ ذاك بطيبة خاطر ويُسَرّ بطعمها ويداوم على شربها بالرضى. واطباء مدينتنا يصفون للمرضى بالحُمّيات الثقيلة مصّ البرتقال لان منهُ تترطب المعدة وتتخفف اوجاعها. وقد افادنا الثقة ان اطباء لندن وليفربول يصفون في بعض الاوقات البرتقال الصيداوي لمرضاهم. وقد جرَّب الكثيرون من مواطنينا ورق الصُّفير المُغلى فوجدوا منهُ فوائد عظيمة للمصابين باوجاع المعدة المزمنة

أمَّا منفعتهُ لاهالي صيداء عموماً فهي ظاهرة للعيان اذ انهُ منذ ابتداء موسم البرتقال الى حدّ نهايتهِ قلَّما ترى اعراضاً شديدة في مدينتنا خاصَّة بين القاطنين في البساتين. وقد اكَّد لنا كثير منهم بان الذين يكونون مصابين بامراض في الصيف تزول

عنهم تماماً في الشتاء والربيع لمداومتهم على اكل البرتقال. وقد اعتاد الاهلون حفظ قشر البرتقال فييبسونهُ حتى اذا اوقدوا ناراً في الشتاء وخافوا مضرَّة رائحة الفحم وضعوا منهُ قليلاً في النار فتنبعث منهُ في الحجرة رائحة عطريَّة تبطل اذى الفحم. والاطباء يدخلون قشر البرتقال في تركيب بعض الادوية وهو ذو فائدة كبرى اذا غُلي منهُ قليلاً وتناولهُ المصاب باوجاع الراس فيتخفف الألم عنهُ تدريجاً. والمعامل الاوربيَّة المشتهرة باستخراج العطور المختلفة الاجناس تفضّل البرتقال الصيداوي على غيره فتستخرج من القشر ماء عطريّاً لهُ المقام الاوَّل ما بين الطيوب الاوربيَّة

١٠ الشرابات التي تصنع من البرتقال

احبُّ قبل ختام هذا الموضوع ان تقف ايها القارئ الكريم على صنع بعض الشرابات والمربَّيات من البرتقال والصُّفير كي تنشأ فيك الرغبة في زرع هذا الصنف المهمّ فتغني بهِ ارضك نظراً لمنافعه العديدة

(شراب البرتقال) ذوِّبْ مقدار رطل سكر على النار في قليل من الماء ودعهُ يبرد ثم اعصر عشرين برتقالة وامزج عصيرها المصفَّى مع القطر (السكَّر) وحركهُ قليلاً. اخيرًا حفّ (ابرش) قشر برتقالتين واعصرهما بخرقة نظيفة وما استخرج منهما تضعهُ للشراب المذكور واختم الزجاجة التي تودعها هذا الشراب ختماً محكماً وعندما ترغب التناول منهُ خذ مقدار فنجان ونصف لكل قدح من الماء وحركهُ قليلاً واشرب هنيئاً مريئاً فيترطب منك الفؤاد ويبتعد عنك العناء اذا كنت قادماً من سفر طويل او مصاباً بالم في المعدة. وقد اصطلح اهالي الثغر تقديم هذا الشراب لزائرهم صيفاً

(شراب الصُّفير) ان شراب الصفير يُعمل كشراب البرتقال الَّا انهُ عند عصر كل ليمونة منهُ يلزمك غسل يديك وتنظيف السكين لئلاَّ يمرّ طعمهُ وضعْ لرطل السكر ١٢ ليمونة عوضاً عن عشرين. وهذا الشراب ينتفع بهِ كثيرًا المصابون بالدوران او بانقباض الصدر خصوصاً اذا شُرب صباحاً

(شراب الحامض) ان هذا الشراب يُعمل كشراب البرتقال ايضاً الَّا انهُ لرطل من القطر اعصر فقط ثماني حبات ولا تضف هذا العصير مع القطر الَّا بعد ان يبرد تماماً لئلاَّ تصير طعمتهُ حامضة ولهذا الشراب افادة كبيرة للمصابين بالاسهال وللمعرضين لاوجاع المعدة

١١ المربيات

(مربى زهر الصُّفير) ان اردت عمل هذا المربى اقصد صباحاً بستاناً يكثر فيه هذا الجنس وانتخب الزهر المفتح واجمع احسنهُ واحضرهُ لمنزلك ونقّ الورق فقط دون الزهرة الداخليَّة وانقعهُ في الماء مقدار ساعة ثم اجعلهُ في ماء غالٍ واتركهُ على النار يستوي تماماً ثم صَفِّهِ حسناً وضعهُ في عصير الحامض الحصر مقدار ساعتين او اكثر حتى يصير لونهُ ابيض واخيراً اكب الحامض وعد فانقع الزهر في الماء البارد حتى يحلو تماماً ونشفه بعد ذلك بخرقة خفيفة واسكب عليهِ القطر المذوَّب بارداً. وفي اليوم الثاني ترى انَّ الماء قد نضح منهُ فأزِلهُ ثم زِدْ لهُ قطراً واعد هذه العمليَّة اربعة ايَّام متوالية في نهايتها تعود تغلي المربَّى قليلاً على النار مغموراً بالقطر وتضعهُ بعد ان يبرد بآنية زجاجية فيبقى بها محفوظاً زمناً طويلاً. واحتفظ على هذا المربَّى ايها المطالع اللبيب واهدِ منهُ لاصحابك الاعزَّاء وكلما شعرت بضيقة صدرٍ او بترخٍ في جسمك متأتٍ من تعبٍ في المعدة خذ منهُ قليلاً فتشعر للحال براحة كليَّة

(مربَّى الصُّفير الاخضر) اجمع من بستانك صغار الصفير ولتكن الواحدة منها اصغر من الجوزة واخلع عنها اللب بمنقرة خصوصيّة واغسلها باعتناء ونظافة تامَّة واسلقها بإناء نحاسيّ (طنجرة) غير مبيَّض (لان المبيَّض منها يسوّد لون هذا المربَّى) واضعاً قليلاً من الملح في الماء المغلى ودعها على النار تغلي الى ان تقارب الاستواء ثم انزلها عن النار وخذ كل واحدة من هذه الاثمار وضعها في ماء بارد مصفىً وغيّر هذا الماء ثلاث مرات في النهار معتنياً بتنظيف كل حبة بمفردها غاية الاعتناء وواصل هذه العمليَّة الى ان تحلو الحبوب (ولعلَّهُ يلزم لذلك مدة خمسة او ستة ايَّام) واستحضر في نهاية المدة المذكورة مقدار رطل واربعة اواق سكر (لكل مئة حبة) وبعد ان تُغليهُ على النار تدعه يبرد وقتاً قليلاً ثم تسكبهُ على المربَّى وفي اليوم الثاني تزيل عنهُ ما نضح من الماء وترجع فتزيدهُ قطراً وتتركهُ الى اليوم الثالث وفي اليوم الثالث تعود للعمليَّة ذاتها ثمَّ تغليهِ على النار مع القطر مقدار نصف ساعة وتضعهُ بعد ذلك في الآنية المجهَّزة لذلك. وننصحك ايها الصديق ان لا تقدم من هذا المربَّى الفاخر الذي يكلفك عناء وافراً الَّا لمن تعزُّهم جدًّا

(مربّى قشر الصُّفير) حفّ الصُّفير الذي ترغب صنعهُ مربّى وقصّ الواحدة خمس او ستّ قطع ثمّ اجعلهــا بخيط ولفّ اذ ذاك كل واحدة منها لفاً محكماً واسلقها بماء مغلى مقدار نصف ساعة ثم دعها في ماء بارد وغيّر عنهـا هذا الماء مرارًا عديدة الى ان تحلو تماماً (راجع عمليّة مربى الصُّفير) ودعها تنشف بعــد ذلك واخيرًا انزع عنها الخيطان ثمّ صيّرها السكّر المذوّب وفي اليوم الثاني ترى انها نضحت ماء فتراجع حينئذٍ العمليّة المصطلح عليها لمربّى الزهر

(مربّى الكباد) يعمــل تماماً كمربّى قشر الصُّفير الّا انهُ لا حاجة بان يُلظم بالخيط كالاوّل وكذلك عملية مربّى الليمون الهندي

(مربّى قشر الحامض) انتخب الحامض المراكبي الرجعي وحفّ قشرهُ واعصر حامضهُ ودعهُ جانبًا وقطّعهُ فيا بعد قطعاً صغيرة واسلقهُ بماء مُغلى وانقعهُ بعدئذٍ بالماء البارد ساعتين حتى يحلو تماماً ثمّ صفِّهِ من الماء ونشفــهُ بخرقة بيضاء خفيفة . واخيرًا اغلِ السكر واجعلهُ فيهِ ودعهُ يغلي وقتاً يسيرًا وضعهُ بعد ان يبرد في الآنية الزجاجيّة المخصصة لهُ

انني قد اخذت الافادات التي ذكرتها في مقالتي هذه عن مصادر يوثق بها وتحاشيت على قدر الامكان التطويلات المملّة لانهُ لو اردت تعداد كل ما سمعتهُ عن البرتقال ومنافعهِ للزم لذلك مجلّد كبير وفي الختام اطلب من حضرات القرّاء الكرام اسبال ذيل المعذرة عمّا رأوهُ من الخلل والنقصان في هذه المقالة فان العصمــة لله وحدهُ

(المشرق) نضيف هنا الى مقالة جناب الاديب توما افندي كيال ما اطّلعنا عليهِ في بعض الكتب المستحدثة عن محصولات الليمون باجناسهِ (اي البرتقال والليمون الحلو والحامض) في سواحل الشام . (اوّلًا) يافا تُصــدر في السنة بنحو ٢,٠٠٠,٠٠٠ فرنك من الليمون وفي مواسم الليمون للانكليز مراكب خاصّة تنقل هذه الاثمار الى انكلترة وهذه المراكب لشركة برنس لَين وبَلْس اشيا مينور (Bell's Asia Minor) . (ثانيًا) صيــداء تُصدر بنحو مليون

فرنك من الليمون. (ثالثاً) بيروت يصدر منها الى مصر وروسية وجهات الدولة العليَّة بنحو ٢٠٠,٠٠٠ فرنك. (رابعاً) طرابلس يبلغ صادر ليمونها الى الخارج فوق مليونين فرنك. (خامساً) الاسكندرونة محصولها من الليمون ٣٠٠,٠٠٠ فرنك

المرَدَة او الجراجمة

لحضرة الكاتب العالم والباحث المتفنّن الاب انستاس الكرملي

(المشرق) وردتنا هذه المقالة متأخّرة بالبريد وكان كاتبها الاديب ابقاهُ الله نسج بُرْدها قبل اطلاعهِ على ما سطَّرهُ حضرة الاب لامنس بخصوص الجراجمة فجاءت مقالتهُ هذه مؤيدة لقول الاب المذكور موافقة لهُ كأنَّما سقوط الحافر على الحافر

انَّ كاتب هذه السطور « مارونيٌّ قُحٌّ » وهو يبذل مهجتهُ ونفسهُ بطيبة خاطر في سبيل الدفاع عن وطنهِ وطائفتهِ وهو امرٌ لا يشقّ على احدٍ اذا قدَّر وطنهُ حقّ قدرهِ وبالخصوص اذا كان كلٌّ من الدين والدنيا والوجدان يسوق كل انسان الى هذا الشان. غير ان كل عاقل يجعل فوق حُبّ وطنهِ وطائفتهِ وجنسيَّتهِ محبَّتهُ لله لاسباب واضحة لا حاجة في ذكرها. ثم ينظم بعد حبّ الله في سلك محبوبيهِ حُبَّ صورتهِ اي الشغف بالحقيقة لانهُ عزَّ وجلّ هو الحقّ عينهُ ومن طلب الحقّ في امورهِ وشؤونهِ فقد طلب الله لا محالة. وعليهِ فاني ان وجدتُ شائبة في شخصي او في اهلي « وتأكدت وجودها » اقرُّ بها صاغرًا. واعنو لمن يرشدني الى ذلك واكون لهُ شاكرًا. متذكرًا انَّ الكمال لله وحدهُ عزَّ وجلّ. وان جميع خلائقهِ عرضة للنقص والزلل

وكنتُ منذ أن حلمتُ قد نشأتُ على هذا الراي وهو: « ان المردة والموارنة قومٌ واحدٌ » وقد ناضلتُ عن هذا المذهب اشدّ المناضلة في كل فرصة سنحت لي. وبقيتُ على هذا القول حتى هذه الأيَّام اي الى ان طالعتُ ما كتبهُ حضرة الاب العلّامة المدقق هنري لامنس اليسوعي (المشرق ٥ : ٨٢٦) . فما كدتُ استشفّ من وراء سطورهِ رأيهُ الشخصي (وان صرَّح في مستهلّ كلامهِ بانهُ لا يُبدي رأيًا في تلك القضية)

الّا وتغلّبت عليَّ بوادر الاستياء والغيظ لرؤيتي انهُ ينسف بخطّة قلم واحدةٍ صرحاً كنتُ إخالهُ ممرَّدًا وقد كابد آباؤنا عرَق القربة في انهـاض دعائمهِ وتمكينها على أُسس تكاد تكون مكينة . وما طالعت مقدَّمة تلك النبذة الّا وجئتُ على آخرها بلمحةٍ من البصر لشدَّة التأثُّر الذي اصابني وانا لا اكاد اعي شيئاً . وكل هذا كان جزافاً او من حدّ باب البوادر

وبعد ان ولّت عني تلك الحدَّة ونتائجها وعقبها الهدوُّ والسكون قلتُ في نفسي: « ولماذا هذا الاستياء . فان كان الاب مصيباً في كلامهِ فلا يحسن بي ان امتعض من الحقّ وامتعاضي هذا لا يجدي فتيلًا ولا يُغيّر شيئاً من تلك الحقائق التاريخية . واماً اذا كان مخطئاً فان كلامهُ لا يفعل شيئاً في نفوس الباحثين المحقّين » وما قلتُ ذلك الّا وثابت اليَّ افكاري ورجعتُ الى رأيي الاول اي : « ان المردة والموارنة قومٌ واحد »

ثم بعد ذلك طالعت بلذةٍ لا توصف ما ورد في المشرق (٥ : ٩١٤) من الردّ على هذه المقالة وكنتُ كلّما قرأتُ سطرًا شعرتُ بهزة فرحٍ في وجداني يفوق اضعافاً ما اصابني من الانزعاج عند مطالعتي مقالة حضرة الاب لامنس . الّا انني من بعـد ان فرغت من قراءتها ثم لحظتُ ما حشّى بهِ حضرة الاب الباحث تلك المقالة النفيسة بسطور دقيقة نحيلة عقدتُ النية على ان اتصفّح التاريخ بقلبٍ خالٍ من كل غرض لاتتبّع آثار تلك المسئلة واتثبّت الحقّ لأراهُ في اي الطرفين هو . وقلتُ : « عليَّ قبل كلّ شيء ان اطّلع على ما قالهُ العرب في هذا الموضوع لانهم كانوا كلّما فتحوا بلدًا ذكروا أمّتهُ او طائفتهُ ووصفوا احوالها . فلا يمكن انّهم لم يذكروا المردة وقد كان هؤلاء يدافعون باديءَ بدء عن الرومانيين في جبل اللُّكّام . فاخذت اتصفّح كتب التواريخ العربية المطوّلة واحدًا واحدًا لعلّي اعثر على شيء من هذا القبيل فلم اجد ضالّتي لا في ابن الاثير ولا في ابن خلدون ولا في ابي الفـداء ولا في ابي العبّاس البلاذري ولا ولا ولا . . . فاستنتجتُ ان العرب لم يعرفوا هؤلاء الاقوام باسم المرَدَة بل باسم آخر عليَّ ان ابحث عنهُ واجدهُ . امّا ان العرب لم يعرفوا المردة البتّة فهذا لا نصدّقهُ لأننـا نعلم حقّ العلم انّهم لمّا حاربوا الاكراد ذكروهم باسمائهم وعدَّدوا قبائلهم ولفوفهم بنوع عجيب حتى انهُ لم يسبقهم الى مثـل ذلك التعريف الفرس انفسهم مع انهم جيرانهم فكيف لم يذكروا المردة وقد انتشبت بينهم وبين المردة حروب طويلة فلا شكَّ انهم عرفوهم باسم آخر . وللحال اخذت اتدبّر

التواريخ مرَّةً ثانية باحثاً عن المردة باسم آخر فوقفتُ على الحقيقة والحمد لله. واليك نتيجة بحثي هذا:

١ً ان اسم « المردة » لم يعرفهُ اهل سوريَّة في عصر فتوحات العرَب بل قد اصطلح عليهِ اليونان من عندهم واطلقوهُ على اولئك الأقوام المحاربين من باب المشابهة في العوائد والاخلاق الحربية لان المردة في الاصل من أقوام فارس والكلمة فارسية الاصل لا حظَّ لها من الاشتقاق العربي او الإرَميّ

٢ً ان الذين ذكروا اولئك الاقوام بعد ذلك باسم « المرَدَة » من الكتبة السوريين عرباً كانوا او ارميّين اخذوا تلك التسمية من اليونان لا من اجدادهم او سكان بلادهم الاقدمين. وكلُّ من ذكرهم باسم المردة هم من الكتبة المحدثين لا من المعاصرين لتلك الفتوحات

٣ً كان المردة في الاصل رُوماً مع اقوام شتى من امم مختلفة تجنَّسوا بالروميَّة وكذلك كان رؤساؤهم وقوادهم واغلب فرسانهم. وقد جاؤُوا بلاد سوريَّة في ايَّام الفتوحات صدًّا لغارات العرب ثم انضمَّ اليهم جمٌّ غفير من الوطنيين (ومنهم كان الموارنة) وأنباط وأسرى وعبيد أُبَّاق من عبيد « المسلمين » وبالخصوص من ابطال سُكَّان قرية الجرجومة فأُطلق على هؤلاء كلهم اجمعين اسم الجراجمة من باب تسمية الكل باسم الجزء. وهو اسمهم الصحيح التاريخي الذي عرفهُ المعاصرون من اجدادنا ومن كتبة العرب كما يتضح ذلك في مَوطِنهِ ان شاء الله

٤ً ان اسم المردة والاصحّ الجراجمة اسم قوم مُحارب قد اجتمع افرادهُ من امم شتَّى و« أديانٍ » مختلفةٍ ولا جامعة لهم الَّا جامعة الحرب والغزو ولم يكن ابداً اسم فرقة دينيَّة نصرانية او غيرها

٥ً كان الجراجمة قبل ان يأتوا لبنان يسكنون ولايات آسيَّة الصغرى التي رجعوا اليها بعد غزوتهم للُبنان لا بل ومنهم من توطَّن اضالية ومنهم من رحل الى جزيرة قبرس ومنهم من اقام في بلاد اليونان ومورة ونواحيها ولم يزالوا في جميع تلك البلاد على نظامهم العسكري الى ان تقلَّص ظلُّ السطوة الرومية وكان لهم ضبَّاط وقوَّاد يسوسون أُمورهم. واماَّ الموارنة فلم يهاجروا بلادهم الَّا النزر القليل منهم

فهذه كلها حقائق اصبحت عندي مثبتة راهنة يعزُّ عليَّ ذكرها لانها تُخالف كل المخالفة ما صرَّح بهِ آباؤنا وكُتّابُنا إلَّا انَّ الحقَّ احقّ ان يُقال و يُتَّبع. قلتُ: «يعزُّ عليَّ» لاني أرى هذه النتائج التي استنتجتُها من كتب العرب (ما عدا النتيجة الاخيرة فهي من كُتُب اليونان) هي نفس ما توصَّل اليهِ الاب الفاضل العلاَّمة المحقّق المدقّق هنري لامنس اليسوعيّ من كُتب اليونان. واني الآن لأَعجب من دقّة نظرهِ واصابة سهم كلامهِ غرض الحقّ. ولذا اصبحتُ من بعد استيائي منهُ اشكر لهُ كل الشكل بلسان المشرق نيابةً عن كل من يُحبّ الحقّ ويتبعهُ على سعيهِ وتحقيقهِ واودّ ان يواصل مثل هذه الابحاث عن بلادنا وآثارها

امّا كيفيَّة بلوغي الى مقصودي هذا فقد كان على الوجه الآتي: اني اخذت في ان ابحث عن اوَّل من ذكر اسم «المردة» وبعد التنقيب والتنقير لم اجد احدًا تقدَّم مؤرخي اليونان في اطلاق هذا الاسم عليهم. واشهر من نُقلت شهادتهُ وتناقلها الخلف عنهُ واحدًا بعد واحدٍ هو ثِيوفانس واليك بعضًا ممَّا قال: «في السنة الثامنة والتاسعة لقسطنطين (الملك اللحياني اي في سنة ٦٧٥ و ٦٧٦) دخل المردة لُبنان وفتحوا جميع البلاد من جبل اللُكام (وفي الاصل «من الجبل الاسود» وهو اسمهُ القديم) الى بيت المقدس. واستحوذوا ايضًا على مشارف لبنان. وانضوى اليهم اناس كثيرون من البعيد ومن الوطنيين حتى انهم في برهة من الزمان بلغوا أُلوفًا مؤلفة . . . فاوفد العدو الى القسطنطينيَّة وفدًا يطلب الصلح». ثم قال بعد ذلك: «وفي السنة الاولى ليُسطنيان الملك الاخرم (اي سنة ٦٨٥) ارسل اليهِ صاحب الشام رُسلًا لتأييد الصلح وعاهدهُ على ان يلتزم الملك بان يُكبحَ جيش المردة الذين في لبنان ويمنع شنَّ غاراتهم... وأنْ يُدفَع للملك كلَّ يوم (ويُروى كلَّ أُسبوع) أَلف دينار وفرس وعبد. فارسل الملك بولس الجستريان لإِحكام عقد عُرى الصلح فتمَّ العهد على يدهِ وشهد بهِ شهود عدل. ثم ارسل واستجلب ١٢ الفًا من المردة وبهذا العمل انثلمت شباة سلطة الروم. وذلك ان يسطنيان الاخرم لم يكن قد اكمل من العمر ١٦ سنة فكان أخرق في حكمهِ. وفي السنة الثانية استرجع المردة الساكنين في لبنان. وبهذه الصورة هدم سورًا حصينًا» انتهى كلام المؤرخ اليوناني

فلمَّا وقفتُ على هذا النص فهمتُ ان ثِيوفانس لم يُسمّ اولئك الاقوام «مردة»

الّا توسعاً ولم يُرد بذلك ابدًا ان يذكر اسمهم الحقيقي بل نُكتةً بديعية تاريخية ليفهم قرّاءهُ ان ما جرى بين الجراجمة والعرب يُشبه ما جرى بين المردة واعدائهم في سابق الزمان. وذلك ان المردة كانوا امةً قد تمّت جامعتُها قبل المسيح وكانت من الامم المادويّة نازلة بالسيف الجنوبي من بحر قزوين بين جيلان غربًا والطافورة شرقًا وكانت قد خضعت خضوعًا اسميًا للدولة المادويّة الفارسيّة ثم للاسكندر ثم... ثم... ثم... اما بلادهم فكانت تقريبًا مازَندران الحالية (اي بين جيلان وطبرستان) وكانوا صعاليك الّا انهم كانوا محاريب مغاوير يتهالكون على السلب والنهب والغزو ومن ذلك اسمهم بالمادويّة «مردان» او الابطال المغاوير المحاريب والواحد منهم «مَرْذ» فعرّبوها وقالوا في جمعها مَرَدَة. واما قول بعضهم انهُ مشتقّ من العربية من معنى التمرُّد فقول لا ينطبق على الحقيقة وان وافقهُ وجه الاشتقاق والتاريخ

وكان المردة يشنّون غارات شعواء على اعدائهم بدون ان يريحوا اجسادهم. ومن ذلك الاشارة الدقيقة البديعة اشارة ثيوفانس المؤرخ التي تهافت على التقاطها المؤرخون من بعدهِ فاساؤوا التصرّف بأخذها ومعناها. وهذا الامر نفسهُ هو الذي دفع بعض الباحثين من متأخري الافرنج الى القول بان المردة هم «من الشعوب التي كانت قبل المسيح وانهم هاجروا الى بلاد عديدة على ممرّ القرون ومنهم مردة لبنان». قلنا: فكونهم وُجدوا قبل المسيح فهذا امرٌ لا يختلف فيهِ اثنان واماً كون بعضهم هاجروا الى لبنان فمّا لم نتوفّق الى العثور عليهِ في التواريخ التي بيدنا

ولما تأكدتُ اختلاق هذا الاسم وعاريَتهُ اخذتُ بيدي كامل ابن الاثير وتصفّحت الحوادث التي طرأت في بلاد الشام في ما يكاد يقع في نحو ذلك الزمان فوجدتهُ يقول (٤: ١١٨): «ذكر عصيان الجراجمة بالشام»

ولمّا امتنع عمرو بن سعيد على عبد الملك خرج ايضاً قائدٌ من قوّاد الضواحي في جبل اللُّكام واتّبعهُ قوم كثير من الجراجمة والانباط وابّاق عبيد المسلمين وغيرهم. ثم سار الى لبنان. فلمّا فرغ عبد الملك من عمرو ارسل الى هذا الخارج عليهِ فبذل لهُ كل جمعة الف دينار (١. فركن الى ذلك ولم يفسد في البلاد. ثم وضع عليهِ عبد الملك سحيم بن المهاجر فتلطّف حتى وصل اليهِ متنكرًا فاظهر لهُ ممالأتهُ وذمّ عبد الملك وشتمهُ ووعدهُ ان يدُلّهُ على عوراتهِ وما هو خير لهُ من

١) قال ابن العبري في تاريخ مختصر الدول ص ١٩٤ من الطبعة الصالحانية: وفي سنة ٧٠

الصلح. فوثق اليهِ ثم ان سحيماً عطف عليــهِ وعلى اصحابهِ وهم غارّون غافلون بجيشٍ مع موالي عبد الملك وبني أُميَّة وجندٍ من ثقات جنــدهِ وشجعانهم كان اعدَّهم بمكانٍ خفيّ قريب وامر فنودي من اتانا من العبيد يعني الذين كانوا معهُ فهو حرٌّ ويثبت في الديوان فانفض اليهِ خلق كثير منهم فكانوا ممَّن قاتل معهُ فقتل الخارج ومن اعانهُ من الروم وقُتل نفر من الجراجمة والانباط ونادى المنادي بالامان فيمن بقي منهم فتفرقوا في قراهم وسدَّ الخلل وعاد الى عبد الملك ووفى للعبيد » . انتهى كلام ابن الاثير

فبحثتُ حينئذٍ في تاج العروس عن معنى الجراجمة فرأيتهُ يقول: « الجراجمة (بهاء) قومٌ من العجم بالجزيرة . وفي نسخة من العرب . وهو غلط . ومنهُ حديث وهب: قال طالوت لداود عم : انت رجل جريء وفي جبالنا هذه جراجمة يحتربون الناس او لصوص يستلبون النـــاس وينهبونهم او هم نبط الشام . قال ابن بري: ومنهُ قول ابي وجزة :

لو ان جمع الروم والجراجما » . انتهى

فلمَّا لم ارَ في هذا الكلام اصل لفظة الجراجمة نقَّبت عنهـا في دائرة المعارف للبستاني فلم اظفر ثمَّ بشيءٍ . فتعجبتُ من ذلك لاهمالهِ مادَّةً في غاية الاهميَّــة . ثم نقَّرت عنها في معجم البلدان فألفيت النص الآتي (٢ : ٥٥):

الجُرجومة . بضم الجيمين مدينة يقال لاهلها « الجَراجمة » (١ كانت على جبل اللكام بالثغر الشامي عند معدن الزاج فيما بين بيَّاس وبُوقة قرب انطاكية . والجراجمة جيل كان امرهم في ايَّام استيلاء الروم ان خافوا على انفسهم فلم يتنبَّه المسلمون لهم وولّى ابو عبيــدة انطاكية حبيب بن مسلمة الفهريّ فغزا الجرجومة فصالحهُ اهلهُ على ان يكونوا اعواناً للمسلمين وعيوناً ومسالح في جبل اللكام وان لا يؤخذوا بالجزية وان يُطَلِّفُوا (بالفــاء الموحدة الفوقية اي يوهبوا) اسلاب من يقتلونهُ من اعداء المسلمين اذا حضروا معهم حرباً . ودخل من كان معهم في مدينتهم من تاجرٍ واجــير وتابع من الانباط من اهل القرى ومن معهم في هــذا الصلح فسُمُّوا « الرواديف » لانهم تَلَوهم وليسوا منهم . ويقال انهم جاؤوا بهم الى عسكر المسلمين وهم ارداف لهم فسُمُّوا رواديف . وكان الجراجمــة يستقيمون للولاة مرَّةً ويعوجُّون أُخرى فيكاتبون الروم ويمالئونهم على المسلمين ولمَّا استقبل عبد الملك بن مروان لمحاربة مصعب بن الزُّبير خرج قوم منهم الى الشام مع ملك الروم

للهجرة وهي سنة الف للاسكندر استجاش يوسطينيانوس ملــك الروم على من بالشام من المسلمين فصُولح على ان يؤدّى اليهِ كلّ يوم جمعة الف دينار . وقيل « كلّ يوم » الف دينار وفرساً ومملوكاً انتهى . وهذا الكلام الاخير يوافق نصّ ثيوفانس

١) وفي الاصــل المطبوع قد ضبطت الجيم الاولى بالضم وهو خطأ واضح لانَّ وزن التكسير « فَعَالِلة » لا يأتي ابدًا مضموم الاوّل ابدًا

تفرقوا في نواحي الشام وقد استعان المسلمون بالجراجمة في مواطن كثيرة في ايّام بني أُميَّة وبني العبّاس واجروا عليهم الجرايات وعرفوا منهم المناصحة » . اه

فهذا الكلام وان كان مفيدًا غاية الافادة الّا انهُ وجيز الشرح قليل التفاصيل ويُشعر بان للجراجمة وقائع كثيرة واموراً خطيرة . فبحثتُ عنهم في فتوح البلدان للبلاذري فوجدتهُ وافيًا بالمرام شافيًا لما في النفس من الأوام . ولذا ادرج كلامهُ الذي يكون بمنزلة فصل الخطاب . قال ولله درُّهُ من قائل (ص ١٥٩) :

« امر الجراجمة » (وفي الاصل مضبوطة ايضاً بالضم وهو خطأ كما رأيت)

« حدَّثني مشايخ من اهل انطاكية : ان الجراجمة من مدينةٍ على جبل اللُكَّام عند معدن الزاج فيما بين بيّاس وبوقا . يقال لها « الجرجومة » . وان امرهم كان في ايّام استيلاء الروم على الشام وانطاكية الى بطريق انطاكية وواليها . فلمّا قدم ابو عبيدة انطاكية وفتحها لزموا مدينتهم وهمّوا باللحاق بالروم اذ خافوا على انفسهم فلم يتنبه المسلمون لهم ولم يتنبهوا عليهم . ثم ان اهل انطاكية نقضوا وغدروا فوجّه اليهم ابو عبيدة من فتحها ثانية وولّاها بعد فتحها حبيب بن مَسْلَمَة الفهري . فغزا الجرجومة فلم يقاتلهُ اهلها ولكنهم بدروا بطلب الامان والصلح فصالحوهُ على ان يكونوا اعوانًا للمسلمين وعيونًا ومسالح في جبل اللكام وان لا يؤخذوا بالجزية وان يُنفَلوا اسلاب من يقتلون من عدوّ المسلمين اذا حضروا معهم حربًا في مغازيهم . ودخل من كان في مدينتهم من تاجرٍ واجيرٍ وتابع من الانباط وغيرهم واهل القرى في هذا الصلح فسُمُّوا « الرواديف » لانهم تلوهم وليسوا منهم . ويقال انهم جاؤوا بهم الى عسكر المسلمين وهم ارداف لهم فسُمُّوا روادف فكان الجراجمة يستقيمون للولاة مرة ويعوجون اخرى فيكاتبون الروم ويُمالئونهم . فلمّا كانت ايّام ابن الزُبير وموت مروان بن الحكم وطلب عبد الملك (بن مروان) الخلافة بعدهُ لتوليتهِ اياهُ عهدهُ واستعدادهُ للشخوص الى العراق لمحاربة المصعب بن الزبير « خرجت خيل الروم الى جبل اللكام وعليها قائد من قوّادهم ثم صارت الى لبنان . وقد ضوت اليها جماعة كثيرة من الجراجمة وانباط وعبيد اُبَّاق من عبيد المسلمين فاضطرّ عبد الملك الى ان صالحهم على الف دينار في كل جمعة وصالح طاغية الروم على مالٍ يؤدّيه اليهِ لشغلهِ عن محاربتهِ وتخوُّفهِ ان يخرج الى الشام فيغلب عليهِ » . واقتدى في صلحهِ بمعاوية حين شُغل بحرب اهل العراق فانهُ صالحهم على ان يؤدي اليهم مالًا وارتهن منهم رهناء وضعهم ببعلبك . ووافق ذلك ايضًا طلب عمرو بن سعيد بن العاص الخلافة واغلاقه ابواب دمشق حين خرج عبد الملك عنها فازداد شغلًا وذلك في سنة ٧٠ (٦٨٩ م) . ثم ان عبد الملك وجّه الى الرومي سُحيم بن المهاجر . . . فقتلهُ ومن كان معهُ من الروم ونادى في سائر من ضوى اليهِ بالامان فتفرّق الجراجمة بقرى حمص ودمشق ورجع اكثرهم الى مدينتهم باللُكَّام واتى الانباط قراهم فرجع العبيد الى مواليهم وكان ميمون الجُرجُماني عبدًا روميًا لبني أُمّ الحَكَم اخت معاوية بن ابي سفيان وهم ثقفيُّون وانما نُسب الى الجراجمة لاختلاطه بهم وخروجهِ بجبل لبنان معهم فبلغ عبد الملك عنهُ بأس وشجاعة فسأل مواليَهُ ان يعتقوهُ

ففعلوا. وقوَّدَهُ على جماعة من الجند وصيَّرهُ بانطاكية فغزا مع مسلَمَة بن عبد الملك الطُوانة وهو على الف من اهل انطاكية فاستشهد بعد بلاء حسن وموقف مشهود. فغمَّ عبدَ الملك مصابُهُ واغزى الروم جيشاً عظيماً طلباً بثاره

« قالوا ولمَّا كانت سنة ٨٩ (٧٠٧ م) اجتمع الجراجمة الى مدينتهم واتاهم قومٌ من الروم من قِبَل الاسكندرونة ورُوسِيس (١ فوجه الوليد بن عبد الملك اليهم مسلَمَة بن عبد الملك فاناخ عليهم في خلق من الخلف فافتتحها على ان ينزلوا بحيث احبُّوا من الشام ويجري على كل امرئٍ منهم ثمانية دنانير وعلى عيالاتهم القوت من القمح والزيت وهو مدَّان من قمح وقسطان من زيت وعلى ان لا يُكرَهوا ولا احد من اولادهم ونسائهم على ترك النصرانيَّة وعلى ان يلبسوا لباس المسلمين ولا يوخذ منهم ولا من اولادهم ونسائهم جزية وعلى ان يغزوا مع المسلمين فيُنَفَّلوا اسلاب من يقتلونهُ مبارزةً وعلى ان يوءخذ من تجاراتهم واموال موسريهم ما يوءخذ من اموال المسلمين. فاخرب مدينتهم وانزلهم فاسكنهم جبل الحوَّار وسفح اللولون (؟) وعمق تيزين. وصار بعضهم الى حمص ونزل بطريق الجرجومة في جماعةٍ معهُ ثم هرب (اي هذا البعض الآخر) الى بلاد الروم (٢

« وقد كان بعض العمَّال ألزم الجراجمة بانطاكية (٣ جزية روءوسهم فرفعوا ذلك الى الواثق بالله رحمه وهو خليفة فامر باسقاطها

« وحدَّثني بعض من اثق بهِ من الكتَّاب ان المتوكل على الله رحمه امر باخذ الجزية من هوءلاء الجراجمة وان تُجرى عليهم الارزاق اذ كانوا ممَّن يستعان بهم في المسالح وغير ذلك. وزعم ابو الخطَّاب الازديّ ان اهل الجرجومة كانوا يُغيرون في ايَّام عبد الملك على قرى انطاكية والعَمْق (٤ واذا غزت الصوائف قطعوا على المتخلّف واللاحق ومن قدروا عليهِ ممَّن في اواخر العسكر وغالوا في المسلمين. فامر عبد الملك ففرض لقوم من اهل انطاكية وانباطها وجعلوا مسالح واردفت بهم عساكر الصوائف ليوءذنوا الجراجمة عن اواخرها. فسمُّوا « الروادبف » واجرى على كل امرئٍ منهم ثمانية دنانير والخبر الاوَّل اثبت

---

١) قال ياقوت: روسيس بضم اولهِ وسكون ثانيهِ والسين الاولى مهملة وياء ساكنة كورة من كور العواصم راكبة البحر بين انطاكية وطرسوس

بلاد الروم

٢) ويريد العرب ببلاد الروم ما نسمّيهِ اليوم بآسية الصغرى واضالية وبلاد اليونان ومورة كما يتَّضح ذلك من مراجعة كتبهم. وهو امرٌ لا شكَّ فيهِ ولنا نصوص عديدة توءيدهُ

٣) ومن ذلك ترى ان الجراجمة اصبح اسماً عامًّا لاولئك الاقوام ولا يُراد بهِ فقط اصل جرجومة كما ترى من سياق هذا الكلام اذ نرى الجراجمة في انطاكية

٤) العَمْق على ما قالهُ ياقوت: « كورة بنواحي حلب بالشام الآن وكان اولًا من نواحي انطاكية ومنهُ اكثر ميرة انطاكية »

(ثم اورد حضرة الاب انستاس ما نقلناهُ عن البلاذري سابقًا (راجع المشرق ٥ : ١١٢٥) من امر الامام الاوزاعي وتوسُّطهِ لمَّا شكا اهل لبنان عامل خراج بعلبك)

هذا ما اخذناهُ بحرفهِ عن تاريخ هذا الكاتب المحقِّق . وانت تعلم علوَّ منزلة البلاذريّ من تدوين الحوادث اذ انك لا ترى ابدًا هذا الجهبذ يُلقي الكلام على عواهنهِ بل يسندهُ دائمًا الى من حدَّثهُ بهِ . فضلًا عن انهُ كان معاصرًا لاغلب تلك الوقائع لانهُ ولد في اواخر القرن الثاني للهجرة وتوفّي في عهد المتوكل (وكانت خلافة المتوكل من سنة ٢٣٢ الى ٢٤٧ هـ = ٨٤٦ — ٨٦١ م) ويكاد يكون معاصرًا لأقدم مَن ذكر الجراجمة باسم المردة اي ثيوفانس الذي ولد نحو سنة ٧٥١ وتوفي سنة ٨١٨

ومن بعد ان بلغنا الى هنا من بحثنا هذا اخذنا نتصفَّح بعض الكُتُب في هذا الموضوع فوجدنا ابن العبريّ يقول في تاريخهِ السريانيّ (الإرميّ) العبارة ما نصُّهُ (راجع طبعة الاب بدجان ص ١٠٩) :

« ܐܢܫ̈ܝܢ ܪ̈ܗܘܡܝܐ ܓܝ̈ܣܐ ܡܪ̈ܘܕܐ ܐܘܟܝܬ ܓܢ̈ܒܪܐ ܘܡܢ ܣܘܪ̈ܝܝܐ ܓܪ̈ܓܡܝܐ ܡܬܩܪܝܢ ܗܘܘ ܘܐܚܕܘ ܡܢ ܛܘܪܐ ܕܓܠܝܠܐ ܥܕܡܐ ܠܛܘܪܐ ܐܘܟܡܐ ܘܟܠܗ ܛܘܪܐ ܕܠܒܢܢ ܘܣܓܝ̈ܐܬܐ ܐܥܩܘ ܠܗܘܢ ܠܛܝ̈ܝܐ ܘܒܚܪܬܐ ܐܙܟܝܘ ܛܝ̈ܝܐ ܘܡܢܗܘܢ ܩܛܠܘ ܘܡܢܗܘܢ ܥܘܪܘ ܥܝ̈ܢܝܗܘܢ »

وهذا تعريبهُ : « انَّ قوماً من الروم غزاة مَرَدَة اي من الكماة وكان اهل سوريَّة يسمُّونهم « جَراجمة » اي أَبطالًا ضبطوا البلاد من جبل الجليل الى الجبل الاسود (اللُّكَّام) وكل جبل لبنان وكابد العرب منهم كثيرًا وفي الآخر تغلَّب عليهم العرب فقتلوا بعضاً منهم وسَمَلوا عُيُون آخرين . » اه .

ومن هذا الكلام نتحقَّق أمرَين وهما : ان اهل سوريَّة القدماء ما كانوا يعرفون هؤلاء الاقوام الَّا باسم الجراجمة وامَّا المردة فانَّها دخيلة وان الجراجمة والمردة قوم واحد عُرِفوا باسمين مختلفَين . ومن يسمع شهادة ابن العبري وهو خالي الغرض لا يتمالك من ان يقول : « قطعت جهيزة قول كل خطيب » . والسلام

(المشرق) انَّ في قول حضرة الاب انستاس تحت عدد ٣ (ص ٣٠٣) انَّ الموارنة ممَّن انضمُّوا الى المردة وأُطلق عليهم جميعاً اسم الجراجمة لمن شأنهِ ان يوفّق بين رأي حضرتهِ والرأي المخالف اذ لا يُستغرب ان يكون اسم الجميع أُطلق على قسمٍ واحدٍ فدُعي الموارنة بالمردة لانَّهم كانوا معهم

بحث في اصل النطق *

للاب يوسف جاره اليسوعي

ان الكلام لطبيعي للانسان. قال شمس المدارس: « لو كان ابن آدم حيوانًا يحنُّ من طبعهِ الى الخلوة والعزلة لكفتهُ اهواء نفسه التابعة في تصرُّفها نظام الاشياء لاطلاعه على كنه احوالها. لكنهُ لمَّا فُطِرَ حيوانًا انيسًا مؤالفًا لامثاله تحتَّم عليهِ اظهار افكاره للغير بوسيلة النطق. ولذا لزم وجود اصوات ذات معنى ليتيسَّر للانسان امر العيشة الاشتراكية (١) »

تُرى ماذا يُطلب بعد هذا لتأييد حكمنا كون الكلام طبيعيًا للانسان ؟ يظهر لنا انهُ يكفي لذلك ان يكون للاصوات التي يلفظها الانسان مناسبة طبيعية ثم معنى مضبوط محدود واخيرًا لا بُد من قوةٍ تحدّد للاصوات مجاري معانيها. والحال ان الكلام الملفوظ طبيعي لابن آدم حيث ان الله قد وهبهُ جهازًا للصوت يؤهلهُ لابراز اصوات ملفوظة بل غرس في نفسه ميلًا فطريًا يهديهِ الى استعمال تلك الاعضاء كآلة لفضّ مختوم افكاره يجيزها الى مخاطبيهِ جاريًا في ذلك حسب مقتضى الحال

تلك قضيَّة قد همنا بعقدها بالادلَّة المتينة ووصلها بشهادات الباحثين السديدة وهو في علمنا القاصر ويقيننا الخامل امرٌ تمثَّل صوابه للعيون وتقرَّر حكمهُ في العقول

على اننا لا نألو جهدًا في تفقُّد مذاهب الخصوم كي يصدعَ البحث ملتبس الشكِّ فيكون البرهان مجلي للشبهة وموجبًا للحجة. واذ كانت ارض موضوعنا هذا متراخية الشقَّة متفاوتة السبيل والخطَّة فلا يسع جواد الفكر جوب فسحاتها في طرفة عين رأينا قبل الخوض في فَلَواتها ان نتريَّث قليلًا ونطلق رائد النظر على متسع

* قد استندنا في سرد هذه المقالة الى هؤلاء الكتبة الاربعة G. Sortais : *Psychologie*, p. 525-536 = Chr. Pesh, vol. 3. *Psych. : De origine linguæ.* = E. Rabier : *Psychlogie*, ch. XLIII. = Foncegrive, *Psychologie : Le langage.*

(١) S[t] Thomas in I Periherm. l. 1. lect. 2

ارجائها ونختار لنا صراطاً اميناً ودليلاً حكيماً يساعدنا على طيّ المراحل واحدة واحدة الى ان نقف على مواقع آثارها ونستثير خفيّ اخبـارها فنبلغ المراد ونحمد جدّنا المستجاد . وعليهِ فنعرّف مباشرةً طليعة والنطق المتفرّع عن ارومتـهِ ثمَّ نتطرق الى البحث عن اصل الكلام مستعرضين حلّة كل من الآراء المتداولة المعروفة مظهرين ما فيها من الرخيص والثمين الى ان تتجلى طاعة المذهب العقلي في مشرق البصائر الاغرّ . فنقول والله في التوفيق خير مسؤول

النطق(١ هو مجموع دلائل يكشف بها الانسان لغيره القناع عمّا تحرّك بهِ ضميرهُ. لا غرو انهُ لا يكفي للانسان صوغ الافكار وابقاؤها في صدفة عقلهِ بل عليهِ اذا ما اراد البيان عنها ان يبرزها ويجلو مكنونها لمن شاطره كاس الحياة وانتظم واياهُ في سلك الهيئة الاجتماعيَّة

على انهُ لمَّا كان المرء لا يستطيع ابلاغ خفايا قلبـهِ توًّا الى سامعهِ تراه يعمد الى حركات وافعال تقرع باب الحواسّ المجاورة لهُ فتطبع عليها طابعها وللحـال تتأثر عوامل الحواسّ القـابلة لنطقنا وتفصح عن احوالٍ شابه احوالنا صداها. فالدليل اذًا حادثٌ حسّيّ يثير في نفسنا فكرَ حادثٍ آخر غير محسوس. فان صراخ المتوجع مثلًا يدلُّنا على الم لا تدركهُ حواسنا . وبالاجمال الدليل هو كل شيء يصحبهُ فكر شيء آخر او كل شيء يقود الى معرفة غيره

موادّ الدليل ثلاث : ١ً حادثٌ حسيّ وُضع للدلالة . ٢ً حادثٌ غير محسوس مدلولٌ عليهِ. ٣ً علاقة بين الدالّ والمدلول عليهِ يُطاعنا بها الاول على حال الثاني

تلك هي موادّ النطق وهو في حيّز الامكان. ولكن لوجود دلالةٍ حاليَّة حاضرة لا بُد من عقل يُدرك العلاقة الجامعة بين الدليل والمدلول عليهِ

امَّا علاقات الدليل والمدلول عليهِ فكثيرة الانواع واهمُّها :

١ً ما قام بين العلة والمعلول : كالبارود وانفجارهِ

٢ً ما بين الواسطة والغاية : كالابرة المغنطيسيَّة والإبحار

١) قد توسعنا في معنى النطق في هذه المقالة . فاستعملنا الكلام اي النطق الملفوظ مرادفاً لهُ في اغلب المواضع . والفرق الفاصل بينهما يدلُّ عليهِ عند الضرورة سياق الكلام . — كذلك للدليل معنيان متفاوتان اولهما مرادف للعلامة (signe) والثاني للبرهان . فتأمل

٣ً علاقات المشابهة : كالرسم والاصل المأخوذ عنهُ

٤ً علاقات تلاصقٍ اعتيادي سواء كان ناجمًا عن الطبيعة او عن معاقدة أبرم الناس حبالها : كالخطّاف وورود الربيع او الكلام والفكر

واخيرًا علاقات المجانسة : كالقسطاس والعدل

كذلك للدليل اوجه شتى نقتصر منها على ذكر ما لهُ علاقة تصل الدليل بالمدلول عليهِ. فالدليل يدعى طبيعيًا اذا كان مرتبطًا بنوع فطريّ بالمدلول عليهِ. فان صاحب تلك الدلائل يبرزها من تلقاء نفسهِ واغلب الاحيان دون رضى تسبق اليهِ ارادته. فإنَّ قابل تلك الدلائل يجد لها معنًى في نفسه يشاكلها صفةً من غير ما اتفاقٍ معهود. ومثال ذلك: سمات الوجه المختلفة والاصوات والصراخات المتعدّدة المعبّرة طبعًا عن احوال الضمير. كذلك الدخان دليل على النار والاحمرار في الوجه على الخجل والحياء الخ

والدليل الاتفاقي هو ما ارتبط بالمدلول عليهِ على طريقةٍ حدَّدت رسومَها ارادةُ الناس وسنَّ لها شرائعها خاطر المتعارفين والمتكالمين. فباعث الدليل هذا يأتي بهِ بعد إعمال فكرةٍ وكدِّ ارادةٍ. والقابل لهُ لا يمكنهُ ان يتوصل الى صحة معناه وخفي مغزاه ما لم يسبق لهُ علمٌ يَسِمُ كل شيء بسمةٍ تعرّف نكرته. فالاعجمي الناظر لاوَّل مرَّة الى قدّة حمراء طُرز فيها هلال ابيض الوجه اغرُّ وفي صدره نجمة حسناء ترصعهُ لا يدري ان ما يراهُ هو هو علَم الأمة العثمانيَّة المحروسة الى ان يجلو لهُ غامض هذه الحقيقة من عرف بامرها وبلغهُ سرُّها. والقسم الاعظم من النطق هو من هذا القبيل

فمن هنا يظهر لك ان الدليل الاوَّل منبعهُ الطبيعة والثاني اتفاق الناس والنطق يتركب من كليهما فلا هو طبيعي محض ولا اتفاقي بحت. واذ كان النطق دليلًا بل ارفع الادلة شأوًا واجلّها منفعةً فهو يُقسم ايضًا الى قسمين: طبيعي واصطلاحي او اتفاقي

فممَّا اندرج تحت حكم الاصطلاح الخالص: لغة الكيميا والجبر وحروفهما الدالَّة على قوانينهما وكذلك طريقة تدوين العلامات الموسيقيَّة. وما شابه ذلك كثير

والطبيعي هو ما تألف من علاماتٍ مصدرُها الفطرة واساسها الطبيعة وهو يُعرب

اعرابًا بينًا عن كل احساس ومعنًى دار في نفسنا مع عجزه عن ابداء طبيعة الفكر نفسهِ واخراجه في قالب جوهره المتنزّه عن الهيولي ٠

فالى مركز النطق والكلام تنتهي خطوط الدلائل الأُخر. فهو نقطة دائرتها وذلك لما لهُ من الالتحام القريب بالعقل الممتاز عن سائر القوى البشريَّة طبيعةً ورتبةً ولما يجد فيهِ الانسان من السهولة لابراز افكاره وشواعره. ناهيك عن مزايا أُخر نعدل عن وصفها في هذا المقام. وهنا حسبنا الاستشهاد بما قالهُ القديس اغسطينوس في شرف الكلام انهُ « اول الدلائل وملكها ». فالكتابة تخلّدهُ في الطروس. والالقاء بجملة اعظم وقعًا في النفوس. والغناء يبسط موشَّى حسنهِ. والرموز والمظاهر والحفلات تؤَوّلهُ على طرائق جمة لا يبلغها الاحصاء. وبخلاصة القول ان سائر الدلائل كالخدَم تعنو لامرته وتزيدهُ رونقًا وكمالًا

وقبل الولوج في غابة البحث عن اصل النطق اتيت بهذه التعريفات تمهيدًا للموضوع وتقريبًا لجانبه. وقد اتخذت لي قادةً في وضعهِ رجالًا برزوا في حلبة هذا الميدان وعُرفوا باصالة الراي وسداد البرهان. فمن نار قِراهم اقتبستُ جذوةً وحملتها الى قرّاء المشرق علّها تهدي من سعى وراء هذه الضالة سواء السبيل

وما من احد يجهل ما لهذه المسألة من جليل القدر بل من المناهج الوعرة المطلع السريعة المنحدر الكثيرة المعاثر والمزالج والطافحة بالعقبات والمضايق. فلهذا صعَّد في فسحاتها الجمُّ الغفير وصوَّب واستنطقها حالها المتقدمون والمتأخرون فكانت لهم كلغز اجوبتهُ مغلقة ملتبسة يتنازعها الصواب والضلال شطرين ويتناوبها الجدّ والهزل ذات اليمين وذات الشمال

هذا واننا نزفّ للقرّاء الراي الاكثر شيوعًا والمرموق بعين القبول عمومًا مستندين بذلك الى الدليل وهو اقوى حاكم وعارضين اقوال العلماء على محك الانتقاد وهو اتره قاضٍ

لا جرم ان من تداول هذه المسألة وقلّب صفحاتها تبدّت لهُ على وجهين الاول تاريخي وهو كيف نشأ النطق في واقع الحال. والثاني فلسفيّ محض اعني كيف امكن نشوء النطق وابتداعهُ

فالجواب التاريخي لا يُعجَم عوده الّا بادلّة ايجابيّة راهنة والذين انقادوا لفتواه

يسندون زعمهم الى آيةٍ جاءت في الكتاب الكريم في سفر التكوين حيث ورد انَّ « الرب الاله جبل من الارض جميع حيوانات البرّيّة وجميع طير السماء واتى بها آدم ليرى ماذا يسميها . فكل ما سماهُ بهِ آدم من نفسٍ حيّةٍ فهو اسمهُ » (تك . ف ٢ . ع ١٩)

على ان المستدل من هذه الالفاظ هو ان آدم ليس الله تعالى خصص كلًّا من هذه الخلائق باسمهــا . وان الرجل الاوَّل كان قد رُزق ملكة الكلام . وهذا نفسهُ هو قطب بحثنا وفي اجتلاء نوره ترانا قد شدّدنا رحال الطلب وأنضينا ركاب الأمل

امَّا آباء الكنيســة ومعلموها فانَّهم في تقرير هذا الامر على قسمين قسمٌ منهم ارتأى بانَّ النطق اتى عن وحي الهي وان الانسان لا قدرة لهُ على استنباطه بمجرَّد قواه الطبيعية . وقسمٌ آخر من الآباء والعلماء قد ناصبوا هذا المدَّعى وأيَّدوا مقالهم بالبراهين الساطعة . وكفاهم شرفًا ان قد سار في مقدمتهم القديس اغسطينوس والقديسان غريغوريوس النيسيّ وباسيليوس العظيم والخطيب المصقع بوسويه واستنهج سبيلهم كثيرون من الكتبة المحدثين على اختلاف مشاربهم كما نوضح ذلك في وقته

هذا وان اقرَّ بوجه عمومي الفلاسفــة الكاثوليكيون بامكان الانسان وقدرتهِ على ابتــداع النطق فانهم يسلّمون ان الله في واقع الحال قد انزل على آدم النُّطق او التكلُّم (١ . وكذلك العرب في الغالب يرجّحون الرأي بانَّ الكلام توقيف من الله ليس تواضع واصطلاح (٢

امَّا نحن فدأبنا التنقير عن الوجه الفلسفي دون سواهُ غير مستندين رأسًا الى اللاهوت والنقل بل الى المبادئ العقليَّة . فنقول ان الباري تعــالى اذ خوَّل آدم قوةً تسنَّت لهُ

١) اعلم انهُ لمن تعاليم اللاهوت الثابتة ان الانسان الاول قد خُلق متحليًا بحلَّة العقل التامّ رافلًا في ثوب النعمة والبرارة حائزًا على كل المنح اللازمة لهُ للنهوض باعباء مهمتهِ العظمى الجاعلة اياه ابًا للذريَّة الانسانية وكذلك النقل يُعلمنا ان آدم قد خُلق في نضارة العقل ونال المقدرة على الكلام والتصرُّف بهِ فلم يمش حليف الحصر واللُّكْنة محتبس اللســان . وذلك امَّا لان الله عند خلقه ايَّاهُ قد سكب في نفسه علم الكلام . وإمَّا لانهُ نالهُ بعد ظهورهِ قوةً تمكنهُ من إيجاد الكلام المعبّر عن فكره

٢) راجع المزهر للسيوطيّ

بواسطتها معرفة الاشياء وادراك خواصّها اطاق لهُ العنان في انتقاء الكلمات ووضعها مواضع الاشياء. وبالنتيجة امكن اباناً الاوَّل ان يتوخّى سبك نظام النطق من تلقاء نفسهِ تعاضده الى ذلك قواهُ البشريَّة لا غير

وايضاحاً لهذا المبحث وتبديداً لغياهب الابهام نحصر اوابد مطلبنا في القيد الآتي: هل استطاع الانسان ان يصل بنفسه الى اخراج كنز النطق من دفائنه دون عونٍ الهي او إلهام علويّ ؟ فنجيب: امكنهُ ذلك

فهلمَّ بنا اذن لحلّ هذا المشكل متخذين العقل مطيَّة والبرهان نبراساً نقطع بهِ مهامه الاجيال ونتخطى حواجز المسافة والاعمار الى ان ينجلي لبصيرتنا محيَّا الحقيقة وتُماط استار المغالطات والسفسطات

١

وكأني وانا اسطر ما سبق قد طرقت أُذني اصوات مختلفة واعتراضات مشتبكة آثارها اقران هذا الميدان فترى كل فريقٍ منهم يحاول جذب الحقيقة اليهِ ما امكنهُ. واذ يمَّمت متطفلاً حلقتهم وأملت لحظي مليًّا الى جماعتهم بان لي جحفلان متلاحمان علَت جلبتهما وبرقت اسنتهما يجوبان مضمار المنافسة ويخوضان غمار المقارعة والمعاكسة قصد افتتاح مملكة النطق والوقوف على اساسه الاصلي

فالفريق الاوَّل نادى بعجز الانسان عن تنظيم احوال النطق وابتكار غرر اساليبه والثاني قِرنهُ اعترف لهُ بهذه المزيَّة وقلَّد فكرهُ بهذه القلادة السنيَّة فاعطى القوس باريها والسهم راميهُ. فريقان اعتصم اوَّلهما بحبل النقل فدُعي المذهب النقلي والثاني تمسك بزمام المبادئ العقليَّة او الحسيَّة جهدهُ فوسموهُ بالمذهب العقلي الحسي. الَّا ان الاخير ينشطر الى شطرين كلٌّ منهما بمناط الثريا من الآخر كما يبدو لك ذلك في مؤتنف كلامنا

هيَّا بنا الى استيراء زند كل من هذه الآراء واستشفاف فرند صوارم فروعها فنضمّ الينا ما كان صافياً جوهرهُ ونطرح بمعزلٍ منَّا ما اترل فيهِ الصدأ شرَّهُ وضرَّهُ

(ستأتي البقيَّة)

مَقَالَةٌ

لارسطوطاليس في التدبير

نقلها عيسى بن ابي زُرعة

مقدّمة

بين النصارى الذين اشتهروا في العلوم الفلسفيَّة في القرن الرابع للهجرة والعاشر للمسيح ابو عليّ عيسى بن اسحاق بن زُرعة. قال ابو الفرج المعروف بابن النديم في الفهرست (ص٢٦٤) وابن ابي اصيبعة في كتاب طبقات الاطباء (١: ٢٣٥) وابن العبري في مختصر تاريخ الدول (ص٣١٥) انهُ كان من المتقدّمين في علم المنطق وعلوم الفلسفة واحد النقلة المجوّدين. مولدهُ في بغداد سنة ٣٣١ ﻫ وبها توفي سنة ٣٩٨ (٩٤٣ — ١٠٠٨ م) وكان يعقوبيَّ النحلة وكان كثير الصحبة والملازمة ليحيى بن عدي الفيلسوف النصراني الشهير (راجع المشرق ٥: ٣٦٨). ولابن زرعة تآليف عديدة وردت قائمتها في فهرست ابن النديم وطبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة. وقد امتاز ابن زُرعة بالنقل عن اليونانيَّة والسريانيَّة. واكثر ما عرَّب كتب ارسطو. وقد اخذت يد الضياع اغلب تصانيفهِ الّا قليلًا منها صبر على صروف الدهر وجدنا منها بعض رسائل مفيدة في خزائن كتب اوربَّة. وفي مكتبة باريس العمومية مجموعٌ موسوم بالعدد ١٣٢ تاريخ كتابته سنة ١٣٤٥ للمسيح فيهِ عدَّة تصانيف ومن جملتها في الصفحة ١٧٠ مقالة تنسب لارسطو في التدبير يُقال هناك انَّ معرّبها ابن زرعة احببنا ان نثبتها في المشرق على علّاتها. وقد بحثنا عن اصلها اليوناني في مجموع كتب ارسطو فلم نجدها ولعلَّها ممَّا فُقد من كتبهِ او هي لاحد تلامذتهِ نُسبت اليهِ ل. ش

بسم الله الرحمن الرحيم

امَّا بعد فان حقًّا على العاقل ان ينظر الى محاسن الناس ومساوئهم وموقعها منهم في منافعها ومضارّها. ثم يلتمس النافع لنفسهِ من مثل ما نفعهم ويقي المضارّ عنها من مثل ما ضرّهم فيوفق الامور ويطابقها ويجعل بين طبقاتها حدودًا تُزايل بينهما. ثم يأخذ لنفسهِ آلة تأديبها في احياء علمِ ما عَلِم من الامور بالعمل واستجلاب ما جهل بالتعلّم. ثم يكون تأديبهُ لنفسهِ في غير وقت واحد ولا معلوم فانهُ واجد في كل حين من احايينهِ وطبقة من طبقات الدهر الذي هو راكبها او في حالٍ من حالات نفسهِ التي

يتحرك اليها من ضروب الجد والهزل والفرح والحزن والاقامة والظعن موضع تأديب لنفسهِ وتقويم لها حتى لا يكون لاهل طبقة من الطبقات رفيعةً كانت او وضيعة عليهِ في طبقتهم التي يشاركهم فيها فضلًا (فضلٌ) . فان امرءًا لا يلتمس ان يكون لهُ فضل على اهل منزلة من المنازل التي فوق منزلتهِ (ليس بفاضل) فان التماس الراحة بالراحة تُذهب بالراحة وتورث النَّصب لانَّ تأديب المرء نفسهُ داعية الى نقله (الى) الأرفعين ان كان ذا رفعة (وجعلهِ) من الاخسّين ان كان ذا خساسة . وترك التأدب خوفًا من النَّصب غائل مُقتر فمنهاج التأدب يوقظ النصب بالادب . ثم لا يمنعك عصيانها من ادامة تيقيظها فان إلحاحك عليها مع الراحة يستحملها على طاب الراحة ببعض الطاعة ولا ينسب الذي يتيقظ وان كان كثيرًا ان يترك قليلًا (كذا) . فاذا همَّت النفس ببعض الاجابة كان اوَّل ما يوجد بها اعطاء الدَّين حقــهُ واشعار النفس حظّها . ثم تعهُّد الاخوان باحيـــاء الملاطفة فان التارك متروك (كذا) . ثم الاستكثار من فوائد الاخوان فان كثرتهم تُقيل العثرة وتنشر المحمدة . ثم تأدية الفروض الى اهل المكاشرة المتشبهين بالاخوان والصبر عليهم امَّا طمعًا في تحويل ذلك منهم صدقًا واماً اتّقاء كلمةِ فاجرٍ وقعت في سمع مائقٍ ذي دولة . ثم اعطاء اخوان الاخوان شعبــة من الحفظ والتذكير فان اخوان الاخوان من الاخوان وهم بمــنزلة العلم المستدلّ بهِ على الوفاء . ثم ان اقصى محن الاخوان التي يُمتحنون بها عند الناس اماً عند الموت فتحفظهُ في العقب واماً عنــد الزمانة فتحفظهُ على حال الضعف وامَّا عند الحاجة فتحفظهُ على المسكنة (كذا) . ثم توزين ما نلتَ وما أنلت ثم حسن التعاطي ان كان لك فضل باسقاط المنّ واحراز الفضل والسخط على نفسك في التقصير . ثمَّ تعهّد الملوك بالتقريظ والملازمة فانَّ همَّتها في نفسها الامتداح وفي الناس الاستعباد . ثم تعهُّد النصحاء بالمخالاة فان نصيبهم منك ونصيبك منهم في الخلوة . ثم تعهد الصلحاء بالمصافاة ليُعرفوا بمثل ما عرفوا بهِ من الخير . ثم تعهُّد الأكفاء بالمكارمة فانها تحشم البخل وتجدي الاخاء . ثم تعهّد الضعفاء بالرحمة واقويائهم بالتعليم فان رحمتك لذوي الرحمة تورثك برَّهم وتعليمــك لذي القوَّة منهم تورثك نفعهم . ثم تعهُّد المعيشة بالاصلاح من غير محسن للمستوجبات بما يجب لها (كذا) . ثم تعهّد الاعداء بالاذى وذوي الاغتيال بالمناقضة وذوي التنصُّل بالمغفرة وذوي الاعتراف بالرأفة والرحمة . ثم تعهد الحسَّاد بالمغايظة واهل البغي المداجنة واهل السفاهة بالعلم واهل

المواتاة بالوقار واهل المشاتمة بالمحقرة واهل المنافسة بالمكاشرة واهل الملادَّة بالاحتراس. ثم الامرُ في الشبهات بالكفّ وفي المجهولات بالإزجاء وفي الواضحات بالعزيمة وفي المستريبات بالبحث. ثم احياء الحزم عند المكاره والصبر عند النوائب والتجمُّل عند الغيظ والكظم عند الغضب والوقار عند المستجهلات. ثم تعهُّد الجار بالرفق والقرين بالمؤانسة اذا انضمَّ الى واحدةٍ واحدةٍ من الباقين من قبل الخواصّ لا من قبل الجوهر (كذا) فقد وفينا بما ضَمَنَّاهُ وتبيَّن بما ذكرناهُ بمعونة الله وحسن تسديدهِ ولهُ الشكر دائمًا الى ابد الابدين

إرلندة ورسولها

لاحد الآباء اليسوعيين الارلنديين

الاسبوع السابق ذكرت الكنيسة الكاثوليكيَّة في مدار اعيادها السنويَّة احد ابنائها العظام الذين شرَّفوا اسمها في بلاد واسعة ونشروا لواءها فوق رؤوس أُمَم ظافرة ألا وهو القديس پتريسيوس او بطريك رسول ارلندة الذي لا يزال اسمهُ حيًّا بين اهل تلك الجزيرة حتى انَّ عيدهُ يُحسَب كموسمٍ وطنيّ يصرفهُ الارلنديون بالافراح والمسرَّات اينما كانوا وحيثما حلُّوا. فرأينا بهذه المقام ان ندوّن لقرّاء المشرق شيئًا من احوال ارلندة ورسولها علَّ ذلك يحظى لديهم قبولا

١ . ارلندة

(جغرافيَّتها) ارلندة احدى المالك البريطانيَّة الثلاث التي منها يتكوَّن ما يدعوهُ الانكليز المملكة المتحدة. وهي تُعرف بالنسبة الى بريطانيَّة العظمى باسم الجزيرة الشقيقة موقعها غربيّ انكلترَّة ودرجاتها من حيث عرضها الشمالي بين ٥١ٌ ,٢٦ و٥٥ٌ ٢٢ٌ. امَّا طولها فبين ٦,٤٦ٌ,٩ و٧ٌ و٩ٌ ٤٩,١٢ٌ ومساحتها ٨٣,٧٩٢ كيلومترًا مربَّعًا اذا حسبت معها الجزائر الصغرى العديدة التي تجاور سواحلها. ويبلغ عدد سكَّانها بمقتضى الاحصاء الاخير ٤,٤٧٠,٧٥٠ نفسًا يدين زهاء اربعة ملايين منهم بالديانة الكاثوليكيَّة والباقون يتشيعون بشيع عديدة يجمعها اسم المذهب البروتستاني

(اسمها ووصفها) اسم ارلندة مشتقّ من «إرين» و « لَند » اي الجزيرة الخضراء لما يزينها من المروج المتسعة والغابات النضرة والاشجار الوارفة التي افاض في ذكرها الشعراء الارلنديون. وقد عرفها اليونان قبل المسيح بنحو ٣٠٠ سنة ودعاها ارسطو في كتابهِ عن العالم « إيَرْنة » وهو اسمها الكلتيّ معناهُ جزيرة الغرب وكان الرومان يدعونها «إيبرْنية» او « يوڤرْنية ». على انَّ هذه الاسماء لم تكفِ الارلنديَّ لتعريف وطنهِ فانهُ لا يألو جهدهُ في نعتها باحلى الاوصاف ووَسمها باجمل الاسماء فهو تارةً يدعوها بزمرّدة البحر او غادة المياه وتارةً يطلق عليها اسم جزيرة الغابات وحينًا يسمّيها ارض الغِناء وزهرة البرّ الى غير ذلك من الاسماء التي يسوّلها للارلندي حنانهُ الى وطنهِ. ولا غرو فانَّ الله قد خصّ هذه الجزيرة بمرافق طبيعيَّة قلَّما اجتمعت في غيرها. فمن ذلك جودة هوائها ولطفهُ اذ يخفّف شدَّة بردها مجرى مياهٍ حارَّة يُعرف بالغُلْف ستريم (golf stream) يبلغ سواحلها فتبقى طول سنتها معتدلة الهواء. ومنها خضرة رياضها السندسيَّة التي تروق لها العيون وغاباتها ذوات الاشجار العاديَّة. ومنها غزارة مياهها الجارية المخصبة المتحدّرة على شبه الشلّالات او المتجمعة في بُحيرات واسعة جميلة المنظر ومنها المناظر الغريبة التي يصبو اليها القلب في سواحلها واواسط البلاد كانَّ الطبيعة تلاعبت في جنادلها وصخورها واوديتها ومغاورها لتُري ابناء آدم ما لديها من محاسن الصور وجميل الهيئات تخرجها الى حيّز الوجود لتبهر عيون البشر

(مرافقها) ارض ارلندة جيّدة التربة كثيرة الخصب وافرة الغلّات تزكو فيها الحبوب واحرار البقول وانواع المزدرعات وخصوصاً القلقاس (البطاطا) الذي عليهِ معوَّل الغذاء بين العامَّة حتى انهُ لو أُصيب زرعها بآفةٍ في بعض السنين لعضَّت المجاعة بانيابها الوفًا وربوات من السكّان كما حصل في اواسط القرن المنصرم اذ أَودت السَّنة بحياة ربع الاهلين فماتوا شرَّ ميتةٍ. وتكثر المواشي في ارلندة لكثرة مروجها ووفرة مراعيها فترى المال الراعي يسرح هَمَلًا نهارهُ مع ليلهِ لا خوف عليهِ من اللصوص او ضواري الحيوان. وفي ارلندة نوع من الخيل (pony) صغيرة الجسم مفتولة العضلات خفيفة السير لها شهرة كبيرة

وممَّا امتازت بهِ هذه الجزيرة معادنها. فانَّ في جوف ارضها اركزةً من الفضَّة والنحاس والحديد والرصاص والزاج والسُّبورة (الطراش ardoise) وكذلك مقالع من

الرخام والحجر الصوَّان المحبَّب ولاستثمار كل هذه المعادن شركات واسعة الثروة تستعين على اجتناء خيراتها بعددٍ لا يُحصى من العملة . امَّا الفحم الحجري فهو في ارلندة اقلّ منهُ في انكلترَّة ودونهُ جنساً . الَّا انَّ الاهلين يقتلعون من وجه الارض تربةً غنيَّـةً بالموادّ النباتيَّة القديـة العهد تصلح للوقود يدعوها الفرنج تُوْبًا (tourbe) والانكليز تَرفاً (turf) فيتَّخذونها بدلًا من الفحم لحاجاتهم ويصطلون بها في صبارَّة البرد

امَّا الفنون والصنائع فهي منحصرة في بعض المدن الكبرى اخصُّهـا بلفَسْت (Belfast) وفيها تُصطنَع ضروب الانسجة من الصوف والكتَّان والقطن وانواع الشاش والموسلين يُباع منها بالقناطير المقنطرة في كل انحاء المعمور . وقد اشتهرت الجعـة (البيرة) الارلنديَّة الطيّبة ونوع من العرق يُعرف بالوِسْكي (whisky)

ومع ثروة ارلندة وخصبها ترى الفقر المدقع ضاربًا في انحائهـا اطنابهُ . وما ذلك الَّا لسوء حالة الزراعة لما اصاب الفلَّاحين الارلنديين من الضغط الذي يُلزمهم الدفعاء فيعيشون في الضَّنْك والفاقة لا يكادون يقومون بأعباء عيالاتهم . وقد ذهب كثيرون منهم الى الاقطار الاميركيَّة حيث انتشروا انتشارًا عجيباً وهم في الولايات المتَّحدة وحدها عبارة عن عشرة آلاف الف نفس

(هيئتها السياسيَّة وشعارها) كان لارلندة نظام سياسيّ مستقلّ الى سنة ١٨٠٠ فيسوسها مجلس يتركَّب من نوَّاب الامَّة واعيانها . فلمَّا كانت السنة المذكورة ضُمَّ المجلس الارلندي الى المجلس الانكليزيّ ففقدت هذه الجزيرة الكبرى استقلالها . وقد تمَّ الامر بموجب قرار يُعرف بقرار الوحدة (Act of Union) سعى بترويجهِ وليم پيت (W. Pitt) الشهير ففاز بمرغوبه . ومذ ذاك الحين صارت ارلندة كاحدى اقاليم انكلترَّة يتقلَّد سياستها نائب ملكيّ (lord - lieutenant) من حلقة الملك يساعدهُ مجلس شوري خصوصيّ . وينوب عن ارلندة في مجلس الشيوخ او الاعيان (House of Peers) ثمانيـة وعشرون شيخاً بين ٥١٦ منهم وفي مجلس الامَّة (House of Commons) ١٠٥ نوَّاب من جملة ٦٧٠ عضواً

امَّا شعار ارلندة الخاصّ بها فعودٌ للغناء اشارةً الى طباع قدماء اهلها وولوعهم بالغناء وميلهم الى الفرح والبسط . ويُضاف الى العود برجٌ ذو هيئة خصوصيَّة كالمنارة دلالة

القديس بتريك رسول ارلنده
اوكونل ارلندي الشهير



شعار ارلنده
نبات الشمروك الرمزي

على حراسة البلاد ومنعتها في وجه العدوّ وفي لحف البرج كلبٌ يحرسهُ وصليبٌ يُعرَف بالصليب الكلتي (croix celtique) يجمع شُعَبهُ الاربعة دائرةٌ على شكل اكليل وفي اعلاهُ بيضة جُنود

(اقسامها) تُقسم ارلندة الى اربعة اقسام او أعمال. ١ً لِنستر (Leinster) وفيها ١٢ ولاية او كُنتيَّة نصفها على ساحل البحر واكبرها ولاية دوبلين التي فيها عاصمة الجزيرة دوبلين وهي مدينة كبيرة يبلغ سكانها ٣٨٠,٠٠٠ نفس موقعها عند مصبّ نهر كبير يُدعى ليفاي (Liffey)وبقربها خور واسع جميل المنظر تحدق بهِ رُبى وغياض تُرى بينها القرى والضياع المشرفة على البحر. ومن مدنها الفخيمة كِلْكناي (Kilkennay) وهي كلُّها مبنيَّة بالرخام. ٢ً أولستر (Ulster) ولها تسع ولايات. ومن مدنها الشهيرة بَلفَست السابق ذكرها اهلها ٣٥٠,٠٠٠. ٣ً كونُوت (Connaught)وفيها المناظر الطبيعيَّة الجميلة والبحيرات الواسعة موقعها عند ساحل الاتلنتيك. ولاياتها اربع. واكبر مدنها غالواي (Galway). ٤ً مُنستر (Munster). فيها ستّ ولايات عامرة يزدحم فيها السكان واشهرها ولايتا كورك (Cork) وليمريك (Limerick) فيهما مدينتان عظيمتان باسمهما رائجة فيهما التجارة

(لغتها) اللغة الشائعة في ارلندة هي اللغة الانكليزيَّة. بيد انَّ للارلنديين لغة وطنيَّة ترتقي الى عهد عهيد وهي لغة الكلتيين يتكلَّم بها نيِّف و ٦٨٠,٠٠٠ من الاهلين منهم ٤٠,٠٠٠ لا يعرفون غيرها. وهذه اللغة تتشعَّب الى ثلاث شعب اللهجة الارلندية واللهجة الاسكوسيَّة وتُعرف باسم غائليك (gaélique) يتكلَّم بها في اسكوسية ٢٥٥,٠٠٠ شخص واللهجة الولشيّة او الغاليَّة (gallois) شائعة في بلاد ولش (Wales) في شمالي غربيّ انكلترَّة يعرفها اكثر من ٩٠٠,٠٠٠ منهم وللُّغة الكلتيَّة تآليف عديدة وآداب مخطوطة

(مختصر تاريخها) للارلنديين كما لغيرهم من الشعوب تاريخٌ قديم تغلب عليهِ الخرافات والاحاديث المختلقة. فمنهم من يرقي اصول اجدادهم الى ايام الطوفان فيزعمون انَّ اوَّل مستعمرةٍ سكنت ارلندة تنتسب الى ابنة اخٍ لنوح تُدعى قيصرة (Césara) ومنهم من يرجّح القول بان اصل الارلنديين من بلاد الشرق خاض قوم منهم البحار في القرن الرابع بعد الطوفان فصادفوا في طريقهم جزيرة ارلندة فاختاروها لسكناهم.

والبعض يرتأون انَّ الفينيقيين اوَّل من استعمر تلك البلاد القاصية في غابر الاجيال

والشائع الآن بين الارلنديين انَّ اميرةً مصريَّة تُدعى سكوتا اقترنت بالزواج بملك من الإسقيتيين اسمهُ نيال فأولدا ابنًا لسعتهُ افعى خبيثة فقتلتهُ ألَّا انَّ موسى كليم الله بعثهُ من بعد موتهِ بآيةٍ عجز عن صنعهـا سَحَرة مصر فهذا المولود أبى ان يدرج مدارج فرعون وقومهِ فخرج من وطنهِ وركب سفينة فينيقيَّة بلغت بهِ سواحل اسبانية فنزل عندها وكثر ولدهُ. ومن نسلهِ كان ميلاسيوس جدّ الارلنديين اتى ارلندة في ثلاثين سفينة فاحتلَّها في القرن الحادي عشر قبل المسيح وملكها. ولما اشفى على الموت اقتسم ملكهُ بين اولادهِ الثلاثة. ثم نما عدد هؤلاء المستعمرين واليهم ينتسب البكت والسكوت الذين زحفوا الى شمالي انكلترة ففتحوها عنوةً. ويزعم مؤرخو الارلنديين انَّ ١١٨ ملكًا توالوا فجلسوا على عرش ارلندة منذ هريمند وهو ابن ميلاسيوس الى لاوغري في القرن الخامس للمسيح دون ان يطمح احد من كبار الفتَّاحين ببصرهِ نحو وطنهم ليستعبده. وكان الارلنديون الأقدمون يقتسمون الى قبائل شتَّى تتنقَّل في بَوادي الجزيرة لترعى المواشي وكان لكل قبيلةٍ امير يرى في امورها ويخضع للملك يجمع كلمتهم يدعونـهُ «أرذري» او «اردرياغ» وكان للملك قصر عظيم في ولاية ميث من اعمال لينستر شرقي الجزيرة. يجتمع فيهِ شيوخ القبائل كلَّ ثلاث سنوات لسنّ الشرائع واصـلاح الخلل اللاحق بالأُمَّة

أمَّا ديانة الارلنديين القديمة فهي كديانة بلاد غالية وسكوسيا فكان لهم كهنة درويديون ومعنى اسمهم خدَمة الآلهة او تراجمة الآلهة كانوا يقدّمون لآلهتهم القرابين ويذبحون الذبائح وربَّما قرَّبوا أسرى الحروب او اعداء مملكتهم. وكان كلامهم مرعيًّا لا يأتي احد امرًا ألَّا بمشورتهم. وكانوا يُعرفون بثيابهم السابغة البيضاء ويجعلون في عنقهم سلسلة تنتهي بكرةٍ من البلوَّر. وكان للارلنديين مغنُّون يعظِّم الشعب قدرهم ويعتبرونهم اعتبـارهم للدرويديين وكان هؤلاء يطربونهم بآلات السمع وينشدونهم الاشعار الحماسيَّة ويسردون لهم اخبار اجدادهم ويتقدَّمونهم في الحروب لينشطوهم باهازيجهم واغانيهم الموقعة على اصوات الآلات

تلك كانت احوال الارلنديّين احتفظوا عليها الى ايَّام رسولهم القديس بتريك في القرن الرابع. على ان تديّنهم بالنصرانيَّة لم يغيّر شيئًا في هيئتهم الاجتماعيَّة ونظام دولتهم

الى القرن التاسع . فلمَّا كانت السنة ٨٥٣ اجاز غزاة من الدانيمرك الى ارلندة فنهبوها واحرقوا ديارها واستولوا على قسم منهــا ولم يزل الدنيمركيُّون يعيشون فيها زمنًا طويلًا ويغزونها غزوات متوالية ويزاحمون امراءها في الملك الى ان ساس الارلنديين ملكهم بريان (Brian) و بطلهم المغوار فغلب الاعداء غلبة عظيمة لم تبقِ عليهم ولم تذر وكان اتخذ الصليب كلواء لجيشــهِ فانتصر بقوتهِ وذلك سنة ١٠١٤ في سهول كلنترف (Clontarf) فعاد السلم لارلندة

على انَّ هذه الغزوة لم تكن سوى مقدِّمة لغزوةٍ أُخرى اثقــل عبأً واسوأ عاقبة نريد غزوة النُّرمنديين . فانَّ هؤلاء بعد ان اندفعوا كسيل زحاف على انكلترَّة واستولوا عليها سنة ١٠٦٦ بعد واقعة هَسْتنكس اخذوا يتطالُون طامعين في جزيرة ارلندة ولم يزالوا حينًا بعد آخر ينصبون لها المكايد حتى ساعدتهم الظروف على تحقيق امانيّهم وذلك أنّهم وجدوا الامراء الارلنديين يتنازعون بينهم الامر فدعا احدهم وهو امير لَيْنسر المدعو ماك مرَّاك النرمنديين فانتصروا لهُ واظفروهُ باعدائهِ . لكنَّهم ابوا ان يخرجوا من ارلندة واقتطعوا لهم فيهــا الاقطاعات وملكوا الاملاك فنجم عن ذلك حروبٌ انتهت بكسرة الارلنديين ودخول بلادهم في حكم اعدائهم على عهد هنريكوس الثاني سنة ١١٧١

ألّا انَّ الارلنديين لم يرضوا بفقد استقلالهم وقاوموا السَّكسونيين الاجانب قرونًا عديدة . وقد اتَّسع هذا الخرق بين الأُمَّتين وتفاقم الشرّ بتمادي الأيَّام وخصوصًا مذ ترك سكَّان بريطانية دين اجدادهم واستبدلوهُ على عهد هنريكوس الثامن بالاصلاح الموهوم فزاد النفور بين الجزيرتين واستشرى الفساد وذهب كثير من الارلنديين ضحايا مطامع اعدائهم دون ان يقووا عليهم ودامت هذه الحال الى ان بلغ السيل الزُّبى لمَّا ضُمَّت ارلندة الى بريطانية كما مرَّ سابقًا في غرَّة القرن التاسع عشر

على انَّ الله اتاح لهذه الأمة الباسلة رجلًا مقدامًا وسياسيًّا حاذقًا وخطيبًا مصقعًا يُدعى دانيال اوكونل (D. O'Connell) ولد سنة ١٧٧٥ وتصدَّى للمدافعة عن قومهِ والذبِّ عن حقوقهم بالوسائط الشرعيَّة واستعمال النفوذ الادبيّ ولم يزل يعضــد مطالب الارلنديين بما لديهِ من القوى حتى نُفِّست عنهم كربتهم وأُرخي خناقهم فابرز الملك جرجس الرابع قرارًا لاعتاق الارلنديين . وكانت وفاة اوكونل سنة ١٨٤٧

قبل ان يبلغ غاية امانيهِ. ومذ ذاك الحين لا يزال الحزب الارلنديّ يواصل السعي في نوال ما سُلبوهُ من الاستقلال النوعي والمجلس الاداري الاعلى ليتمكَّن اهل ارلندة من سنّ القوانين لبلادهم وتدبير مصالحها الداخليَّة دون ان ينفصلوا عن بريطانية في الامور المتعلّقة بمصالح المملكة الخارجيَّة والمدافعة عن الدولة ومناونيها في الموادّ العائدة الى الخير العموميّ. وامل الارلنديين وطيد في ان ينالوا جلَّ مرغوبهم هذا عاجلًا او آجلًا

وقد افادنا البريد الاخير عن نجاح مهمّ يُرجى منهُ فوز الحزب الارلندي في مجلس العموم بخصوص الاراضي الارلنديَّة. ولعلَّهُ يعيد السلام لاهل تلك الجزيرة

٢ رسول ارلندة

لا يُمكن المؤرخ الباحث عن احوال ارلنـدة ان يضرب صفحًا عن ذكر رسولها ومنصّرها القديس بتريك حتى انَّ اسم ارلنـدة اضحى مرادفًا لاسمهِ كما انَّ اسمهُ لا ينفصل عنها البتَّة. كانت ارلندة متسكعة في ظلمات الوثنيَّة الى القرن الخامس لا لذهول دُعاة الدين النصرانيّ عنها فانهم اتوها قبل ذلك ليبشروا اهلها ببشارة الخلاص بيد انَّ مساعيهم ذهبت ادراج الرياح فعادوا خائبين آئسين لانَّ الساعة المعيَّنة منـهُ تعالى لنجاة هذا الشعب من ضلال الشرك لم تأزف بعد

ولمَّا كانت اواخر القرن الرابع هجم بعض الغزاة الارلنديين تحت امرة ملكهم نيال (Niall) على سواحل فرنسة فدخلوا بلاد بريطانيـة ونهبوا وسلبوا وجلَوا قسمًا من السكّان ساموهم الخسف واسترقُّوهم. وكان من جملة السَّبي شابٌ جميل المنظر حسن الاخلاق يُدعى بتريك يُروى عن اصلهِ انهُ كان ينتسب الى أُسرةٍ رومانيـة وشجت اواصرُها ببعض اهل غالية. وكان الشابّ مسيحيًا قضى في الرقّ ستّ سنوات وهو يرعى مواشي مواليـهِ. الَّا ان ايمانهُ كان يقوّيهِ على احتمال هذه المحنـة والصبر على مضضها الى ان مكَّنتهُ الفرصة من النجاة فابق وفرَّ هاربًا الى نواحي الجزيرة فوجد مركبًا يُبحر الى جهات وطنهِ فرقَّ الربَّان لحالهِ ونقلهُ على سفينتهِ الى حيث كان سائرًا. وكان اوَّل ما فـكَّر فيهِ بتريك لمَّا استقرَّت قدمهُ في ارض الوطن ان يزهد بالدنيـا وينقطع الى الله. قيل انهُ تتلمـذ للاسقفين الشهيدين مرتينوس من طور وكان يقربهُ وجرمانوس من اوكسار فاخذ عنهما الآداب الرهبانيَّة والعلوم الدينيَّة

وكان الله عزَّ وجلّ في اثناء ذلك يظهر لهُ في الرؤيا الشعب الذي عاش في رقّ عبوديَّتهِ سنين طويلة كأنَّهُ يحرّك في قلبهِ عواطف الرحمة عليهِ والغيرة لخلاصهِ . وربَّما كان يسمع في صلاتهِ صوت الارلنديين يكرّرون عليهِ بتواتر هذه الكلمات: « هلمَّ الينا وعرّفنا باسم الربّ » . فبقي القديس مرتابًا في امرهِ برهةً من الدهر حتى تبيَّن لهُ باجلى برهان ان الله يدعوهُ الى خلاص الارلنديين . ولئلَّا يبقى لهُ شبهة في الامر سار الى رومية العظمى وعرض امرهُ على حبرها الجليل القديس سلستينوس الذي سامهُ اسقفًا واصحبهُ ببعض الكهنة وزوَّدهُ ببركتهِ الضامنة لهُ بالنجاح في هذا المشروع العظيم

وكان وصول بتريك الى ارلندة سنة ٤٣١ وسمع بان رؤوس القبائل قد اجتمعوا عند ملكهم « لاوغري » او « لاوري » فدخل عليهم وبشَّرهم بالنصرانيَّة واصطنع بحضرتهم المعجزات الباهرة التي شهدت بصحَّة ديانتهِ وبطلان دينهم الوثني منها انهُ احيا ولدين لامير دوبلين ألفينوس كانا غرقا في نهر ليفاي فبعثهما برسم إشارة الصليب على جثَّتيهما . فكان ذلك داعيًا لتنصُّر الملك وشعبهِ

ومذ ذاك الحين اخذ بتريك يتجوَّل في كل اطراف الجزيرة ويصبغ اهلها بمياه المعموديَّة حتى لم يبق فيها بعد زمنٍ قليل اثر لعبادة الاصنام . ثمَّ جعل الاسقف القديس يسعى في ترويض اخلاق الارلنديين وارشادهم الى الفضائل المسيحيَّة واقام في عدَّة امكنة اساقفة مع عددٍ لا يُحصى من الكهنة عهد اليهم رعاية المؤمنين وتعليمهم وقد انشأ اديارًا شتى للرهبان كان يتقاطر اليها الاحداث ليأخذوا عن اصحابها العلوم والآداب . والى القديس بتريك يعود الفضل باقامة مدرسة كبرى في ارماغ جعلها كليَّة للعلوم العالية ما لبثت ان احرزت لها شهرة واسعة ليس فقط في ارلندة بل في كلّ اوربَّة وقد تخرَّج فيها كثير من مشاهير العلماء واولياء الله الذين استحقوا لوطنهم اسمًا جليلًا عُرفت بهِ مذ ذاك العهد وهو اسم « جزيرة القديسين »

هذا وان القديس بتريك كان يرشد الارلنديين الى الصلاح ويبعثهم على الامور الفُضلى بامثالهِ اكثر منهُ بقولهِ وانذارهِ فانَّ حياتهُ كانت اشبه بحياة ملاك متقمّص بالجسد كان يقضي ايَّامهُ بالصوم ويحيي ليلهُ بالصلاة ويمارس من اعمال الاماتة والتقشُّف ما لا يكاد يُصدَّق عنهُ لولا شهادة معاصريهِ . ولما توفي في شيخوخة طيّبة في ١٧ اذار من سنة ٤٩٣ عن نيف ومئة عام انتشر اسمهُ في كل المعمور وفاح عرف فضائلهِ حتى

اقاصي المسكونة ألّا انّ ابناءهُ الذين هداهم الى سراط الحقّ قد خصّوهُ بعبادةٍ واكرام لم يزدها تقادم العهد الّا رسوخاً فتراهم يوم تذكاره يلبسون لبس العيد و يزينون صدورهم بنبت الرُّطبة او البرسم المثلّث الاوراق (chamrock) اشــارةً الى ايمانهم بسرّ الثالوث الاقدس . وكان القديس لمّا بشرهم بذاك السرّ العجيب عرض عليهم البِرْسم كمثال حتّي يفسّر رمزهُ بصورة معهودة . وفي ارلندة مزارات عديدة تذكر اهلها برسولهم المحبوب يحجّون اليها ويتيمّنون بزيارتها وربّما نالوا بشفاعتهِ نعماً مشكورة

امّا كنز الايمان الذي اودعهُ القديس بتريك أمّتهُ كوديعةٍ ثمينة فان الارلنديين قد حافظوا عليهِ ايّ محافظة فكم من شيعة رفضوا وكم مبتدعٍ ناقضوا وكم أبلوا في سبيل ايمانهم البلاء الحسن فامكن اعداءهم ان يسلبوهم اموالهم ويسفكوا دماءهم دون ان ينزعوا من قلوبهم حبّهم لهُ تعالى والكنيستهِ المقدّسة

وقد شاء الله تعالى أن يتّخـذ الشعب الارلندي كزرعٍ زكيّ للنصرانيّة فان الارلنديّ كثير التنقّل في البلاد لا تكاد ترى قطرًا في العالم خاليًا من نسلهِ واينما رحل وحيثما حلّ لا يلبث الدين النصرانيّ ان يمتدّ رواقهُ حواليهِ وينتشر لواؤهُ بقربهِ حتى ان الكتبة اجمالًا يدعون الارلنديين رُسل الكنيسة الرومانيّة وانصارها المقدّمين ولذلك ترى الاحبار الرومانيين يخصّون اهل هذه الجزيرة بحبّ ابويّ ويشملونهم بانظارهم السامية وكثيرًا ما توسّطوا للدفاع عن حقوقهم . وللحبر الاعظم لاون الثالث عشر الجالس سعيدًا على السدّة البطرسيّة براءات عديدة وجّهها اليهم اظهر لهم فيها مزيد الالتفات وجميل التعطّف . فعسى ارلندة تداوم على خطّتها هذه الشريفة فتمشي على آثار اجدادها الاماجد وتسرّ كنيسة الله بنهج سُبل الفضيلة ورفع اعلام الدين

يمين العلي

روایة تاریخية للاب س . ت اليسوعيّ (تابع)

وكان اليوم الاوّل من شهر شباط واقعاً يوم السبت . فكنت ترى سوق اليهود في

هدوٌ عظيم يدهشك اذا ما قابلتهُ بما يغلب على حيّهم في بقيَّة ايام الاسبوع من الحركة الغريبة واصوات الباعة . وكانت الحوانيت مقفلةً والشوارع صامتة خالية لا يطوف فيها الّا بعض الغرباء والصعاليك

الّا انَّ هذه الحركة كانت قد انزوت في داخل البيوت وفي مجامع الصلاة حيث كانت تُتلى فصول توراة موسى وتُقام الفرائض الدينيَّة منذ سَحَر النهار الى رأد الضُّحى

امَّا بقيَّة المدينة فكانت على دأبها المألوف من البيع والشراء والمعاملات وشَحْن السُّفُن وتفريغ السِّلَع الواردة الى البلدة

وبعد ساعةٍ من الزمان اذ علت الشمس في كبد السماء اخذ اعيان بيروت ينزلون الى الساحات العموميَّة ويجتمعون تحت اروقة الملك هيرودس ليتجاذبوا ثمَّت اطراف الحديث ويتفاوضوا في اخبار البريد . فكنت تسمع هذا يروي ارتفاع اسعار الخمر القبرسيَّة وذاك يتأسَّف على ما لقيهُ من المزاحمة في بيع الزيت المجتنى من معاصر لبنان . ويخبر غيرهُ عن زكاء الغلّات في جهات حوران بعد ان أيس التجّار من غلّات البقاع . وافاد آخر انَّ الألعاب العموميَّة تفوق في الخريف بحسنها كلَّ ما سبق لاهل بيروت معاينتهُ في السنين المنصرمة

— وهل بلغكم ايها الكرام انَّ فرقةً من الفرسان قادمة من حمص مارَّةً بمدينتنا

قال هذا احد الذوات المعدودين يُدعى فيبوليوس . فما سمع رصفاؤهُ هذا الخبر حتى ازدحموا عليهِ ليستطلعوا عن حقيقة الامر

— ولماذا يأتون ؟

— بلغني وانا خارج في ليلة امس من المجلس انَّ هذه الفرقة في الطريق وانَّ امرًا لازبًا استقدمها من حمص لترحل باقرب وقت الى قيسارية فلسطين

— وهل ثمَّة فتنٌ جديدة

— لا يزال اهل الدعارة يعيثون في تلك النواحي فيريد فسبسيان انَّ يكسر شوكة المفسدين

وبينما كان ثيبوليوس يقصّ على اصحابهِ هـذا الخبر اذ ورد لوسيليوس فقطع لهُ كلامهُ متهكماً :

لا لا انّ الرومانيين يعرفون لليهود قدرهم ولا إخالهم يضمرون لهم الشرّ

— اراك تحبُّ الهزل يا لوسيليوس وقد استشففتُ ما في قلبك من الحزازات للامّة اليهوديّة . وان كنت صادقاً لراهنتُك انّ هذا الشهر لا ينتهي قبـل ان تحدث بين الرومان وبني اسرائيل حوادث ذات شأن . فعلى ايّ شيء تراهنني

اراهنُك على الكأس الزجاجيَّة المصنوعة في معامل صور والتي استحسنتها في داري قبل يوم امس . . .

فما اتمّ لوسيليوس قولهُ هذا حتّى أحسّ السامعون بحركةٍ في الجمهور المتجمّع في الساحة التي بازاء الرواق . فحدّقوا بالبصر ليعلموا ما سبب ذلك واذا بصوت سائس يصرخ : « الطريق ! وسّعوا الطريق ! » . وهو يضرب السابلة ليسرعوا في فتح الطريق . وكان وراء السائس جندي روماني لابس ثوب قائد المئة على رأسهِ البيضة العسكريّة وهو يركض جوادهُ بكل سرعة

فلمّا بلغ الى طرف الرواق حيث كان وجوه البلدة يتناقلون الاخبـار ضبط عنان جوادهِ المتصبّب عرقاً ثم وجّه الكلام الى ثيبوليوس الذي كان تقدّم اليـهِ ليستثبتهُ مستظلاً بيدهِ من الشمس :

دلّني على البيت الذي نزل فيهِ الضابط راسيوس

فالتفت ثيبوليوس الى لوسيليوس واشار اليهِ . فقال لوسيليوس : راسيوس في داري . وهاءنذا سيدي اقودك اليهِ . ولكن ألا يجوز لنا ان نطلب ماذا يُراد منهُ

— اني آتيهِ بامرٍ للرحيل

— وانت قادمٌ من . . .

— من انطاكية . وقد مررتُ بحمص ثم نزلت الى طرابلس لابلّغ الضبّاط اوامر القيصر وعند الظهيرة اواصل السير الى صيدون

— لِمَ هذه السرعة الغريبة . ألا ترى فرسك يرشح عرقاً ؟

ثم رأى لوسيليوس احد السُّقاة من باعة خمر ساموس فامرهُ ان يقدّم للوافد قدحاً من خمرها المعتّقة . ففعل . فاخذ الجنديُّ الكأس ثم اراق منها نقطاً على الارض سكبها

لاكرام المشتري الاله الاعظم وللمرّيخ اله الحرب وجرع الباقي جرعةً واحدة

ثم اردف لوسيليوس: والى اين يذهب راسيوس ؟

— عليهِ ان يلحق بفريق الجند المُعَسكِر في قيساريَّة

— في قيساريَّة ؟

— نعم لانَّ الحرب اليهوديَّة ستُستأنف عمَّا قليل. ولا يلبث طيطس ابن الامبراطور فسبسيان ملكنا المظفَّر ان يعود الى فلسطين. وهو اليوم يركب السفينة من الاسكندريَّة مبحرًا الى قيساريَّة حيث تجتمع الجنود الرومانيَّة فضلًا عن حلفاء رومية منهم فئة اهل البادية القادمون من البطنيَّة الى دمشق وفرقة القوَّاسين التدمريّين ورَماحو كَلْسيس (انجر) وفرسان سُحَيم عامل حمص وهم نيف و ٣٠٠٠ فارس وطريقهم جميعًا على بيروت ومنها الى قيساريَّة. امَّا البلدة فلا يبقى فيها الَّا نصف طابور للمحافظة على شؤونها

— عليَّ بالاناء الصوري يا لوسيوس. فترى صدق قولي

ثم تابع قائد المئة قولهُ: وقد عزم الامبراطور ان يناجز اليهود الحرب ولا يرعوي حتَّى يُبيد اعداء الدولة. ولا شكَّ انَّ هذه الحرب ستشيب لها رؤوس الاطفال

وبينما كان يقول هذا كان جوادهُ يخدُّ الارض خدًّا فاطلق لهُ العنان مشيرًا الى لوسيليوس كي يقودهُ الى دارهِ. فسار كلاهما الى شرقيّ المدينة الى جهة الربوة المشرفة على النهر حيث كان بيت لوسيليوس وفيهِ ضيفهُ راسيوس

فما تواريا عن العيان حتى عاد وجوهُ البلدة الى كلامهم واخذوا يكرّرون قول قائد المئة ويؤوّلونهُ بالتآويل المتعدّدة ويضيفون اليهِ ما سوَّلتهُ لهم مخيَّلتهم من الحدس والتخمين. ثمَّ تفرَّق المجتمعون لينقلوا الى اهلهم واصحابهم ما طرق آذانهم من الاخبار وتواعدوا بالاجتماع مساءً وراء ملعب اغريبا في ظلّ جدرانهِ الباسقة حيث تُرى باحةٌ يرتاض فيها الشبَّان بانواع الملاعب

وما مرَّ على الامر ساعةٌ من الزمان حتى انتشر الخبر في كل انحاء المدينة وهو يعظم ويتفاقم من فمٍ الى آخر. وكان القوم يدعو بعضهم بعضًا فمنهم من يتحمَّس ومنهم من يرهب عاقبة الحرب لرواج سوق التجارة. وكان الجند الذين انتهوا من الخدمة يسترسلون في الكلام عن وصف الحرب وما حضروهُ في شبابهم من الوقائع الهائلة

وكيف برّزوا فيها فنالوا من الشهرة ما نالوا. وكان بعضهم يخطّون في التراب رسم المعسكرات والخنادق ومصافّ القتال ليفسّروا ذلك لمن لا خبرة لهم بفنون الحرب.
وحاصل القول انّ في ذلك اليوم عادت لبيروت هيئتها العسكريّة التي كانت عليه قبل ذلك العهد بثمانين سنة لمّا احلّ فيها اوغسطوس قيصر مستعمرةً رومانيّة من الجند الاقدمين الذين شهدوا معامع الحروب في انحاء مملكة القياصرة

على انّ الخبر لم يفتأ ان تخطّى حدود حيّ اليهود فدهمهم كانهُ الصاقعة انقضّت فوق رؤوسهم فتبلبل هدوّ يوم السبت واقشعرّت الابدان. وكنت ترى كثيرين منهم يخفّون الى الكنيس ليخمدوا غضب الله على قومهم بتلاوة مزامير التوبة وقد ذرّوا الرماد على رؤوسهم ولبسوا المسوح واذرفوا الدموع السخينة. وكان بعضهم في هياط ومياط يتجوّلون في الاسواق كأنهم يرون فوق اعناقهم سيف الرومان مجرَّدًا ليقطع حبل حياتهم وهم يتذكّرون ما اصاب اهل جلدتهم من النوائب قبل خمس سنوات لمّا ثارت الفتن في مدن الساحل كبطلمايس وغيرها فذهب كثيرون منهم ضحايا المطامع والشحناء. امّا النساء فكانت تُسمع اصوات عويلهنّ ويطلّ بعضهنّ من نوافذ دورهنّ او يَعلونَ السطوح مكشوفات الوجوه متشعثات الشَعر وهنّ يضربنَ صدورهنّ

وبقيت دار الورود مقفلةً الى قريب من ساعة الظهر كأنّ اهلها لم يشعروا بما شاع خبرهُ في كلّ اطراف البلد. فحينئذٍ انفتح باب المائدة فخرجت يهوديت مستندةً الى ذراع اخيها يوسف. واذا باصوات النحيب بلغت مسامعها. وللحال رأت احدى إمائها المسنّات تُسرع اليها صارخةً:

وا سيّدتي انّ الرومان دخلوا اورشليم وانتهكوا حمى المدينة المقدّسة

فما سمع يوسف هذا الكلام حتى صرخ: « لعنة الله على الرومان ». امّا يهوديت فامتُقع لونها وارتعدت فرائصها وسُمع لها انين ضعيف: « وا ابتاه ». ثم مالت وسقطت بين ذراعي اخيها

فاسرع اخوها لينعش قواها واجلسها على ديوان ثم دعا سلوانس ناظر عبيدهِ ليسألهُ عن صحّة الخبر. فلمّا تحقّقهُ عاد الى شقيقتهِ ليطيّب قلبها: « لا بأس على ابينا يا أُخيّة فان فِرَق الجنود لم تجتمع بعد في قيساريّة ولم يصل طيطس قائدها الى فلسطين. وعليهِ ليس الخطر كما تظنين ويستطيع ابونا اذا شاء ان يخرج من صهيون ناجيًا بنفسهِ ولعلّهُ

الآن في الطريق وعمّا قليل نبتهج بعودته. ولا غرو انّ الاخبار التي بلغتنا اليوم قد سبقت وبلغت اهل اورشليم قبلنا وليس ابونا ممّن يودّ الاقامة في مدينة يتهدّدها الحصار. وان شئتِ هاءنذا أُرسل ساعياً الى جهات صيداء وصور ليتنسّم لنا الاخبار ويستعلم عن امور والدنا . . .

فلمّا سمعت يهوديت كلام اخيها آبت اليها قواها وصبغت الحمرة خدودها ثانيةً وعاد الابتسام الى ثغرها. ثم اخذت تدافع عن الأَمَة التي اشاعت هذه الاخبار القلقة قبل ان تتحققها وكان يوسف يريد ان يكبّلها بالحديد ويضربها بالسياط :

ارحم هذه المسكينة فانّ الخوف قد اخذ بمجامع قلبها وشوّش افكارها. أو تريد ان تزيدها وجعاً على وجعها. اني لاعجب منكم ايها الرجال وارى قساوة قلوبكم كفظاظة الرومان . . .

— لا تنتصري للرومان يا اختي فانكِ لو عرفتِ حقّ المعرفة هؤلاء الرومان لما نويتِ لهم خيرًا. على انّ خبر الحرب لا يخيفني او بالحريّ انهُ يفرح قلبي لاني ارجو عمّا قليل أن نكسر شوكتهم ونذيقهم كأساً امرّ من العلقم تنسيهم كسرة غالوس الشهيرة. ولا غرو انّ إلٰه ابائنا يحارب معنا اعداء مدينتهِ المقدَّسة. ولكن هلمّي نصعد الى سطح الدار ليفرخ روعكِ ويهدأ قلبكِ وتستنشقي الريح الطيّبة

قال هذا واخذ بيد اختهِ وصعد كلاهما الى السطح فما استقرّت عليهِ اقدامهما حتى وقع نظرهما على الحيّ باجمعهِ فرأوا القوم في ذهاب واياب وجلبة الاصوات تتصاعد من كل الأطراف. ثم هدأت هذه الاصوات بغتةً وتسارع القوم الى بيوتهم اذ راوا شرذمةً من الجند يجتازون الحيّ وهم يصرخون: فليحيَ راسيوس

فنظر يوسف ويهوديت من وراء شُرَف الدار واذا بفرسان تقرع خيلهم بلاط الحيّ ومعهم قائد مئة وضابط. فلمّا مرّوا عند دار الورود رفع راسيوس بعينيهِ لعلّهُ يرى فيهِ الفتاة التي هام بحبّها. لكنّهُ لم يرَ فوق سطحها احدًا فاشار بيدهِ الى جدران الدار كانهُ يودعها السلام الاخير. امّا يهوديت فعرفت الضابط وخُيّل لها ان قلبها كاد ينفطر لمّا عرفتهُ وسمعت الفرسان يصرخون ثانيةً :

« ليحيَ الضابط راسيوس »

وكانّ يهوديت رأت في تلك الساعة بينها وبين الضابط هوّةً وفي وسط الهوّة جثّة

والدها يعقوب مضرَّجة بالدم

وكان يوسف لحظ ايضاً حركة الضابط عند مروره بإزاء الدار وشعر بهزَّة في جسم شقيقتهِ المستندة اليهِ فادرك معنى ذلك وابرقت عينهِ. لكنَّهُ ضبط نفسهُ ولم يَفُه ببنت شفة (ستأتي البقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

Histoire des Institutions monarchiques dans le royaume latin de Jérusalem (1099—1291)
par G. Dodu, Hachette, Paris, 1894, pp. 381

تاريخ الرسوم الملكيَّة في ايَّام الدولة اللَّاتينيَّة الاورشليميَّة

غاية مؤلف هذا الكتاب ان يعرِّف نظام هذه الدولة القديمة من حيث نظام جيوشها وماليَّتها وعدليَّتها وترتيبها الكنسيّ. ولم يكتفِ صاحبهُ بان ينقل ما كتبهُ في ذلك المؤرخون الفرنج بل راجع ايضاً ما سطَّرهُ في هذا الشأن الكتبة الشرقيُّون مستندًا في ذلك الى نصوصهم المترجمة الى اللغات الاوربيَّة ولولا جهلهُ اللغات الشرقيَّة لامكنهُ ان يستفيد كثيرًا ممَّا لم يُنقل بعد الى الألسنة الاجنبيَّة. وبوجه الاجمال قد اصاب المسيو دودو في حكمهِ عن الرسوم الاورشليميَّة وصلاحيَّتها ومنافعها اللهمَّ الَّا ما كتب في فصلهِ السادس عن « الملكيَّة والاكليروس » فقد شطَّ فيهِ بعض الشطوط. وممَّا نثني فيهِ على المؤلف قولهُ في غُليلموس الصوريّ واعتبارهُ لتأريخهِ الذي لا يماثلهُ تأريخ آخر في صحَّتهِ ودقَّة نظر كاتبهِ واتساع معارفهِ ه. ل

I Philon le Juif, *par E. Herriot*, Hachette, 1898

تاريخ فيلون اليهودي

II La Poésie alexandrine, *par A. Couat*, *ibidem*, 1892

الشعر الاسكندري

١ً ان كتاب المسيو هِرْيوت يجي لاهل عصرنا ردحةً من الدهر بلغت فيهِ الفلسفة اليونانيَّة مبلغاً عظيماً وظهرت على صورة جديدة بما دخلها من التعاليم اليهوديَّة

وكان إمام هـــذه الفلسفة فيلون اليهودي الشهير الذي بالغ في درس كتب افلاطون واستخلص منها لبابها وحاول ان يوفّق بينها وبين اسفار التوراة المنزلة . وقد ادّى بهِ بحثهُ الى ان زعم انّ كلّ ما ورد في الكتب المقدَّسة ضربٌ من الرموز والمجازات لا يُراد بها ألّا المذاهب الفلسفيَّة وهذه المذاهب اذا جُرّدت عن صورتهـــا الخارجيَّة تنطبق على اقوال افلاطون إمام الفلاسفة . وهي مزاعم غريبة ومظانّ واهيـــة لو صحَّة لقوّضت اركان الكتب الالهيَّة ونفت حقيقة اخبارها اذ تجعلها رموزًا لا صحَّة لها غير دلالتهـــا على تعاليم فلسفيَّة بشريَّة . نعم انَّ الكنيسة لا تأبى في شرح الكتب المقدَّسة الرموز والاشارات لكنَّ ذلك بعد اقرارها بصدقها وحقيقتها التاريخيَّة لا كما زعم فيلون . ونأخذ على مؤلف هذا الكتاب انهُ تابع فيلون في اقاويل كثيرة مردودة كنكرانهِ للوحي واستنادهِ الى العقل والبرهان دون الايمان . ومن ثم نُوعز الى قارئ هذا الكتاب ان يأخذ حذرهُ ممَّا اودعهُ صاحبهُ من الاراء الواهنة

٢ ً امّا الكتاب الثاني فانّنا نثني عليـــهِ الثناء التامّ . ومدارهُ على الشعراء الاسكندريين على عهد البطالسة الثلاثة الاوّلين . ومؤلفـــهُ قد احسن درس الكتبة الذين حاول تعريفهم وهو يبيّن بلسان فصيح ما خُصَّ بهِ الشعر الاسكندريّ القديم من المزايا ويسطّر تراجم اصحابهِ ويقابل بينهم وبين من سبقهم من الشعراء منتقدًا عليهم في بعض ما فرط منهم الاب ل . جلابرت

Lehrbuch der neusyrischen Schrift - u. Umgangssprache
von I. Rosenberg, Leipzig 1903, SS. 160
اللغة الكلدانية العاميَّة

انَّ في الممالك المحروسة نحو مئة الف رجل من النصارى واليهود يتكلّمون حتى اليوم باللغة الكلدانيَّة العاميَّة واكثرهم يعيشون في قرى واقعة بين وان وارمية والموصل . وقد جعل الاوربيّون يدرسون هذه اللهجة رجاء ان يجدوا فيها بقايا اللغة الارميَّة القديمة . وممَّن انقطع الى درسها حضرة الآباء اللعازريين والمرسلون الاميركان والانكليكان الذين انشأوا في تلك الانحاء اديارًا ومكاتب ومطابع ونشروا فيها عدَّة كتب دينيَّة وعلميَّة بالكلدانيَّة . وقد احبَّ المسيو روزنبرغ ان يؤلف من هذه المنشورات مجموعًا يرجع اليهِ العلماء وقدّم عليهِ ملخصًا ضمَّنهُ قواعد هذه اللغة من صرفها ونحوها ومصطلحاتها فاجاد واضحى كتابهُ دستورًا لدرس هذه اللغة والوقوف على خفاياها

شذرات

❋ سهو ❋ قد وقع في عددنا الاخير غلط طبعي ذهب ببعض معنى مقالة حضرة الاب زموفن « في الحفريات » وذلك ان السطر الاول من الصفحة ٢٨٠ نقل بالغلط الى رأس الصفحة ٢٨١ . فوجب التنبيه . وعليه فليقرأ هكذا : « الصنف الثاني (او القسم الثاني) من الحفريات ما فُقد منها الخواص الكيموية الاصلية التي كانت عليها الخ »

نسخة عبرانية قديمة للتوراة — كنّا قرأنا في بعض المجلات والجرائد ان الخواجا خليل صبرا المقيم الآن في مصر اكتشف نسخة قديمة لاسفار موسى يرتقي عهدها الى السنة ٧٠٠ قبل المسيح فلم نُعر هذا الخبر بالًا لما فيه من الكذب الصريح ثم علمنا بعد ذلك ان هذه النسخة تاريخها سنة ١١٦ هجريّة (٧٣٤—٧٣٥ م) وانّها في يد جناب الافندي جرجي زيدان يهتمّ بمشتراها مدير مكتبة شيكاغو . وهذه النسخة كما ترى ليست قديمة بالنسبة الى النسخ اليونانية التي ترتقي الى القرن الرابع للمسيح لكنّ في اكتشافها خطرًا كبيرًا لانّ اقدم نسخة كاملة كان يُعرف تاريخها حتى الآن هي المعروفة بالبابلية (Codex babylonicus) المصونة في خزانة بطرسبرج تاريخها سنة ١٢٢٨ للاسكندر (٩١٦ للمسيح) وُجدت في بلاد القريم . وفي المتحف البريطاني نسخة اخرى غير كاملة تاريخها سنة ٩٠٦ للميلاد

اكتشاف مهمّ — اكتشف المستشرق الهمّام الخوري فرنسيس نو (F. Nau) في مكتبة المتحف البريطاني في لندن رسالة سريانيّة وجّهها رهبان دير مار مارون نحو سنة ٥٩٢ للمسيح الى اليعاقبة في انطاكية ليدافعوا فيها عن الايمان المستقيم

مجموع تآليف كتبة النصارى الشرقيين — علمنا بمزيد الفرح انّ المستشرق الشهير الاب يوحنّا شابو الّف جمعيّة من العلماء لينشر مجموع ما كتبهُ قدماء نصارى المشرق بالسريانيّة والحبشيّة والقبطيّة والعربيّة وقد باشر بالعمل بما يُعهد فيه من النشاط والغيرة . ولا تنتهي السنة حتى يبرز من مجموعهِ مجلدان او ثلاثة . وممّا يُنشر قريبًا بالعربيّة تاريخ بطاركة الاسكندريّة لساويرس بن المقفّع وتاريخ ابن الراهب وتاريخ سعيد بن بطريق وتاريخ جرجس بن المكين المعروف بابن العميد ومصباح الظلمات لابي البركات وسنكسار الكنيسة الاسكندريّة وكلّ هذه التآليف غاية في الاهميّة كما ترى . وان احبَّ احد اهل بلادنا ان يشارك الاب شابو في عملهِ

فليخابره راساً L'abbé J. - B. Chabot, Paris, Claude - Bernard. 47

نصرانيَّة بزر جمهر حكيم الفرس كنَّا اثبتنا في ترجمة بزر جمهر التي قدَّمناها على حِكَمِهِ (راجع الصفحة ٢٠٥) انهُ « قُتل على عهد كسرى ابرويز لمَّا أُتهِمَ بالميل الى التنويَّة ». وهو امرٌ رواهُ المسعودي في مروج الذهب. لكنَّ جناب القانونيَّ البارع جرجس افندي صفا استلفت انظارنا الى نصٍّ آخر ورد في الباب الثالث والستين من كتاب سراج الملوك لابي بكر محمَّد الطرطوشي يستفاد منهُ انَّ بزر جمهر قتلهُ كسرى انوشروان لانهُ جحد المجوسيَّة ليدين بالنصرانيَّة. وهاك قولهُ بالحرف (طبعة بولاق سنة ١٢٨٩ ص ١٨٩): « ولمَّا ضرب انوشروان عنق بزر جمهر لمَّا رغب عن دين المجوسيَّة وانتقل الى دين المسيح عليهِ السلام وجد في منطقتهِ كتاباً فيهِ ثلاث كلمات: اذا كان القدر حقًّا فالحرص باطل. واذا كان الغدر في الناس طباعاً فالثقة بكل احد عجز. واذا كان الموت بكل احد نازلًا فالطمانينة الى الدنيا حمق ». فنشكر لجناب الافندي ملاحظتهُ لما فيها من الافادة لتاريخ النصرانيَّة عند قدماء الفرس

اسئلة واجوبة

السَجَنْجَل كتب حضرة الاب انستاس الكرملي ما حرفهُ: قد ذيَّل حضرة الاب لويس شيخو ما كتبناهُ عن اصل لفظة السجنجل بفوائد جزيلة العوائد فنشكر لهُ عنها. الَّا انها مع ذلك لا تخلو من دقيق غُبار الانتقاد. قال حرسهُ الله: « لكنَّا نستغرب اشتقاق لفظة السجَنْجَل من كلمة لاتينيَّة مع قلة الألفاظ المأخوذة من هذه اللغة » قلنا: اننا لا ننكر ذلك بل اذا زدنا على هذه القلة لفظة واحدة فلا نكون قد زدنا تلك الألفاظ زيادة مفرطة. ثم ان القول بقلة الألفاظ العربيَّة المأخوذة من اللاتينيَّة هو راي كثيرين من المستشرقين الَّا اننا لا نوافقهم ولو يفسح لنا المشرق محلاً لبيَّنَّا للقرَّاء الكرام عدداً وافراً من هذه الألفاظ لا يمكن ان تكون مأخوذة من غير اللغة الروميَّة لعدم وجود شبيه لها في سائر اللغات الاعجميَّة ولفقدان اصلها في العربيَّة. وتلك الالفاظ تدلُّ على اثاث البيت وبنائهِ وانواع الثياب الى غير ذلك ممَّا لم يذكرهُ احدٌ قبلنا

واما نقل حرف x المزدوج الى الجيم فقد اوضحنا في بعض المُثُل التي استشهدنا بها انهم قد نقلوها الى القاف والشين والزاء. والحال ان هذه الحروف تتعاور مع الجيم

كما يشهد بذلك طائفة من ائمة اللغويين. — واماَّ القول بان سجَنْجَل منقولة عن العبرانيَّة סגלגל (سجَلْجَل) فهو والحقُّ يقال اصحُّ من الذهاب الى اشتقاقها من الروميَّة « لو ثُبِتَ وجود اللفظة العبريَّة » فانَّنا لم نجـدها في معجم العلاَّمة جسنيوس الواسع الموادّ. ولا في المعجم العبري الفرنسي الذي نشرتهُ الشركة الاسرائيليَّة للكتُب الدينيَّة والادبيَّة. ولو فرضنا وجودها في غير هـذين المعجمين بقي ان يُنظَر الى الـ ס في اول مادة גלגל (جلجل). نعم اننا لا ننكر ان هذا المضاعف الرباعي ومثلهُ المضاعف الثلاثي גל يدلُّ على الاستدارة فتكاد تكون هذه المادة واحدة في جميع اللغات وكلها تدلُّ على الاستدارة الَّا ان قواعد اللغات السامية واحكامها تكاد تكون واحدة في جميـع الفروع وعليهِ فمن اين جاءت السين ס في اول مادة « جَلْجَل » وحروف الزيادة لا تُزاد الَّا في الافعال والاسماء المشتقة من تلك الافعال. وليس في الاسماء المشتقة ما يبتدئ بالسين. وعليهِ فدخول مثل هذه السين على اول الكلمة غريب ومن ثمَّ فاذا ثبت وجود كلمة « سجَلْجَل » في العبريَّة فلا تبعد من ان تكون هي ايضاً مشتقة من لفظة اعجميَّة ومن اللغة التي صرَّحنا بها

ثم لو فرضنا انَّ زيادة الـ ס على هذه الكلمة العبريَّة هي من المقيسات (وهو بعيد جدًّا) قلنا : وكيف امكن لهـذا الاعرابي ان يُحسن التفريق بين قُيود اسماء المرآة مع انهُ كان بيد البائع مرايا كثيرة مستديرة ومختلفة الهيئـة ولم يطلق كلمة « سجَنْجَل » الَّا على النوع المسدَّس الشكل في الداخل والمستدير في الخارج. والاعرابيُّ أُميٌّ. فيبقى هذا السرُّ في مُنتهى الغُمُوض. فاذا اجاب حضرة الاب عن هذه الشكوك سلَّمنا بصحة اشتقاق اللفظة من العبريَّة وفضلنا رأيهُ على رأينا واسلفنا لهُ الشكر

(جواب المشرق) قد اصاب حضرة الاب انستاس بقوله انَّ גלגל تدلُّ في اللغات الساميَّة على الاستدارة. وان اشتقاق لفظة « السجلجل » من סגלגל اصحّ من اشتقاقها من اللاتينيَّة « sexangulatus » امَّا وجود هذه اللفظة في العبريَّة او بالاحرى في الإرميَّة فامرٌ يقرُّ بهِ العلماء باللغات الساميَّة وقد ذكر اللفظة العلاَّمة فرنكل في الالفاظ الارميَّة الدخيلة في اللغة العربيَّة (ص ٩٧). ثم انَّ الـسين ס كما لا يخفى من حروف الزيادة التي تدخل على المزيدات الساميَّـة فترى وزن « إستَفعل » في العربيَّة ووزني ܫܩܛܠ و ܐܫܬܩܛܠ في السريانيَّة ووزن « שפעל » في العبريَّة. بل ترى السين او الشين في مزيد الرباعي المضاعف كما في السريانية ܐܫܬܪܒܪܒ ويقرب من هذا الوزن في العربيَّة وزن إفعَنْلَلَ مثـالهُ اقعنسس. فليس اذن من المستغرب ان يكون ضاع وزن « اسجنجل » وبقي منهُ بعض مشتقاتهِ في سَجَنْجَل والله اعلم

المشرق

قيامة المسيح

للاب يوسف غرد اليسوعي مدرّس اللاهوت في كليَّة القديس يوسف

في هذه الأَيام يتجلّى العالم المسيحيّ في افخر اثوابهِ وتهتزّ معاطف قلوب المؤمنين بطوالع موسم يطوّق نحورهم بقلائد العزّ والبهجة. كيف لا ويحتفل النصارى بذكر اعظم حادث جرى في كرور الادهار وسُطر في بطون تواريخ الاعصار نريد قيامة السيّد المسيح لذكرهِ المجد وانتصارهُ على قوّات الجحيم وسلطة الموت

قلنا انَّ هذا حادث تاريخي ولا بدع لانَّ يسوع الناصريّ ليس كاحد ابطال الاجيال الغابرة او آلهة اساطير الاوَّلين الذين شاع ذكرهم بين قدماء اليونان او براهمة الهند فاعارهم الشعراء من الصفات والسجايا ما سوَّلتهُ لهم مخيَّلتهم فنشروا بين الناس ما اختلقوهُ وزاد العامَّة على ذلك من الخرافات والترَّهات ما لا يقبلهُ عقل عاقل. لا لعمري بل انَّ يسوع المسيح رجلٌ معروف لا شكَّ في وجودهِ كما لا ريب في وجود الاسكندر الفتَّاح او نابليون الكبير. هو رجلٌ محسوس ذو لحم ودم كبقيَّة البشر لهُ تاريخ ثابت وترجمة حياة مقرَّرة. لهُ نسبٌ معلوم يرتقي اصلهُ الى داود بسلسلة متواصلة. قد دُوّن عهد مولدهِ في اكتتاب اجراهُ احد ولاة الرومانيين في قرية تُدعى بيت لحم. قُتل بموجب حكم ارسل بيلاطوس البنطيّ صورتهُ الى طيباريوس قيصر. وكان هذا القرار مودعًا في دار الصكوك في رومية على عهد ترتليانوس المعلّم المتوفى سنة ٢٤٥ للمسيح

وقد اثبت الامر ذاك الكاتب الشهير في تآليفهِ. امَّا حياة المسيح وبشارتهُ فممَّا ظهر على رأس الملأ لم يشهد بهما فقط بعض التلامذة الاميين بل جموع كثيرة وشعب لا يُحصى عديدهُ. وكان يتأثرهُ جماهير مجمهرة منهم اصحاب يرتاحون الى كلامهِ ويشيدون بذكرهِ ومنهم اعداء الدآء يترصَّدون كلَّ حركاتهِ ويتجسَّسون كلامهُ لعلَّهم يجدون في اعمالهِ او اقوالهِ مغمزًا يمكنهم من القبض عليهِ ليذيقوهُ الموت الذُّعاف وهم لم يرعووا عن غيّهم ويعدلوا عن سوء نيَّتهم ريثما فازوا بالمراد فقتلوا البارَّ بيد الحاكم الروماني واودعوهُ اللحد وختموا على قبرهِ ظافرين. تلك امور شهد على صحَّتها كتب اليهود وتواريخ الوثنيين فضلًا عن الاناجيل المقدَّسة

لكنَّ النصارى مع اقرارهم بهذه الحقائق التاريخيَّة يعتقدون بامرٍ آخر ليس هو دون ذلك شأنًا وهم يبذلون حياتهم بطيب الخاطر لاثبات صحَّتهِ. اعني بهِ لاهوت هذا المصلوب وكونهُ ابنًا لله. ولهم في اقامة البيّنة على ذلك شواهد صادقة وادلَّة ناطقة يسطع في جملتها برهان لامع يفوقها كلَّها فوق الشمس على الكواكب وهو وحدهُ يُغني عنها جميعًا ألا وهو قيامة السيّد المسيح فانَّها ركنٌ تستند اليهِ النصرانيَّة وان قوي انسان على دحضهِ اسقطها وابادها معهُ. امَّا اذا ثبت هذا البرهان فيثبت معهُ الدين النصرانيّ وهو في حرز حريز وحصن منيع «يعزُّ على من رامهُ ويطول» وقد اقرَّ بذلك القديس بولس الرسول في رسالتهِ الى اهل قورنتس الاولى (١٥: ١٤) حيث يقول: «فان كان المسيح لم يَقُمْ فكرازتنا اذن باطلة وايمانكم ايضًا باطلٌ». وقد ادرك الحواريون ما في هذا الامر من الخطر فانَّهم لمَّا حاولوا ان يقيموا خلفًا ليهوذا الاسخريوطيّ ارادوا ان يكون ممَّن يشهد معهم بقيامة الربّ من الاموات (اعمال ١: ٢٢). وكذلك ادرك اعداء المخلِّص انَّ قيامتهُ تبطل كلَّ مكايدهم ومن ثم طلبوا الى بيلاطوس ان يُحرَس القبر لئلَّا يُسرق جسم يسوع فيشيع بين الشعب خبر قيامتهِ (كما سبق واخبر بذلك) فتكون الضلالة الاخيرة شرًّا من الاولى (متَّى ٢٧: ٦٥)

فترى من ثمَّ ما وراء هذه الحقيقة من عظم الشأن. ولذلك قد عوَّلنا في هذه المقالة ان نوضح للقرَّاء هذه القضيَّة فنبيّن قوَّتها ومَنَعتها بازاء كلّ غارات الهرطقات. ونقسم هذه النبذة الى قسمين فنثبت في القسم الاوَّل انَّ قيامة المسيح مع ما يلوح في وقوعها

لاول وهلة من الغرابة وعدم الامكان لحادثةٌ نيّرة أكيدة لا طاقة الى جحودها . وفي القسم الثاني نبرهن انَّ هذه القيامة هي اقوى دليل على لاهوت المسيح

١

كانت وفاة المسيح نحو الساعة التاسعة من النهار اي الثالثة بعد الظهر من يوم جمعة الفصح . ولم يمرَّ على موتهِ ثلاث ساعات حتى رخَّص الوالي ليوسف الراميّ بان ينزل جسمهُ من على الصليب ويدفنهُ فتمّ الامر بمحضر من بعض النساء التقيّات ومساعدة نيقوديموس ويوحنّا الحبيب

تلك امور جرت بعلم الرومان واليهود معًا ولم يلبث القبر ان دُحرج على بابهِ حجر كبير وخُتم بخاتم الولاية وجُعل عندهُ حرّاس لئلاَّ ينتهك حرمتهُ احد فاطمأنَّ اليهود غير مكترثين لما سمعوهُ من فم « ذلك المُضلّ » انهُ يقوم من الاموات

ولكن يا للعجب العجاب بينما كانت الامور على هذه الحال اذ شاع في اورشليم بعد يومين انَّ الجسم توارى من القبر . وانَّ الميت قد قام بملء الحياة والجد وانهُ ظهر لا مرَّة واحدة بل مرارًا متعدّدة وفي امكنة شتى وفي ظروف تختلف ايَّ اختلاف . وانَّ الذين نظروهُ مسُّوا جسمهُ وتكلَّموا معهُ وآكلوهُ . وكلُّ ذلك يشهد بهِ ليس واحد او اثنان بل نيّف وخمسمائة من الشهود العيان الأثبات الذين عاينوهُ مرَّة اخيرة صاعدًا في الجوّ بكل أُبهة وجلال الى ان توارى عن ابصارهم تمامًا

نعم ان الشهود الذين يعلنون بهذه الامور الغريبة هم من تلامذة المصلوب لانَّ اليهود الذين قتلوهُ والجنود الذين صانوا قبرهُ لم يعاينوهُ البتَّة . وهذا ممَّا يقرّ بهِ صريحًا بطرس الصفا وهو مع ذلك لا يتردّد في أدا شهادتهِ حيث يقول (اعمال ١٠ : ٤٠ — ٤٣) : « هذا (يسوع الناصريّ) اقامهُ الله في اليوم الثالث واعطاهُ ان يظهر علانيةً لا للشعب كلّهِ ولكن لشهود اصطفاهم الله من قبلُ اي لنا نحن الذين اكلنا وشربنا معهُ بعد قيامتهِ من بين الاموات وقد اوصانا ان نكرّر للشعب ونشهد بانهُ هو الذي عيَّنهُ الله ديَّانًا للاحياء والاموات »

فهذه الشهادة الصريحة حادثٌ واقعيّ وردت في التاريخ ولا يمكن انكارها . ولكن يستطيع اهل البحث وارباب العلم ان يسبروها بمعيار الانتقاد ويقيسوها بمقياس العقل ليروا ان كانت تتمُّ فيها شروط الشواهد التاريخيَّة . اعني اولًا ان كان الشهود محقّين

صادقين ليسوا من الماكرين المخرقين. وثانياً ان كانوا من الشهود الأثبات الذين يوثق بشهادتهم لم يرووا ما رووا جهلاً دون تروٍّ. متابعين لخيلتهم واضغاث احلامهم. وخلاصة القول لا بدَّ لنا قبل المصادقة على شهادتهم والرضى بقولهم ان نتبيَّن انهم لم يَخدَعوا ولم يُخدَعوا . فاذا تقرَّر هذان الشرطان لا مناص من قبول شهادتهم وثبت معاً انَّ المسيح إله

١ صدق الرُسل في شهادتهم عن قيامة المسيح

امَّا كون الرُسل صادقين محقّين ليسوا بعيَّارين مكَّارين فذلك ممَّا يلوح من نفس روايتهم فانَّ من يمعن النظر في ما اوردتهُ الاناجيـل المقدَّسة يَرَ الحقَّ يتدفَّق من كلامهم. فانَّك لا تشعر في شهادتهم بشيء من التصنُّع ولا طنطنة الألفاظ ولا ترويق الكلام وترقيشهِ ممَّا يدلُّ على بعض اختلاق لا بل في كل ما يروي هؤلاء الأمينون سمةٌ واضحة من السذاجة تقضي بالعجب وتمثِّل الحقيقة على صورة من الصـدق واليقين لا ينكرها الَّا من كابر الحقَّ وعاندهُ. وقد اقرَّ العرب بذلك فدعوا تلامـذة المسيح بالحواريّين قالوا: « انَّما دُعوا بهذا الاسم لصفاء نيَّتهم وصدق سريرتهم »

ولكن هَبْ ان الرُسل اتَّفقوا على تشييع خبر قيامـة المسيح وهو كاذبٌ لا نصيب لهُ من الصحة تُرى هل امكنهم ان يُقنعوا بقصَّة فريَّة مثل هذه فيجيزوها على عقول الناس ويدافعوا عنهـا بازاء كلّ اهل اورشليم بل بازاء اعداء سيّدهم الذين ما كانوا ليسكتوا عن الافك والمَين او بالاحرى كانوا ألقموا اصحاب الزور والبهتان الحجر وافحموهم بالدليل

قال الاب مُنسبراي الخطيب الشهير: « لو كان خبر قيامة المسيح من الروايات الفريَّة لاستشففنا الكذب من ورائها وظهر اختراع البشر لا محالة. قُل لي ناشدتك الله كيف امكن قوماً من الرعاع الأميينْ ان يتَّفقوا بغتةً على إشاعة معجزةٍ ليس لها شبيه في تواريخ الاوَّلين فيرووها امام الوفٍ وربوات من السامعين دون ان تُستَروَح منها رائحة الكذب. أفما كان ظهر من اقوال الرسل عدَّة دلائل تشهد على خداعهم كالتناقض في الروايات المختلفة وكالاقاويل الخرافيَّة التي تُدحض لاوَّل وهلة وكالزخارف والتسميقات والمبالغات التي هي من اقوى أعلام الخداع واوضح آيات البهتـان. على انَّ الامر على عكس ذلك ترى تلاميذ المسيح يخبرون بخبر لم يطرق على بال بشر وهم يروونهُ بابسط

كلام كما عاينوهُ دون ان يلوح من قولهم او حركاتهم او تصرفهم شيء يدلّ على اختراع او تلفيق كالقلق او الانزعاج ولا شيء من الاهواء النفسانيّة كالخوف او الرجاء. فليت شعري ايّ كاذب مموّه يستطيع عملًا كهذا. ومن اعتبر رواية الرسل بعين خالية من الغرض لا يسعهُ الّا ان يقول لولا انَّ قيامة المسيح امرٌ لا ريب فيهِ لما امكن هؤلاء ان يشهدوا بشهادة الحقّ ولظهر صريحًا كذبهم على رؤوس الملإ. فانّ سذاجة روايتهم لمن انطق الدلائل واصدق الشواهد على انّهم شهود ثقة لم يريدوا الغشّ ولم يحاولوا الخداع »

هذا ولنا على صدق الرسل وصحّة شهادتهم على قيامة الربّ حجّة اخرى ابهر آيةً واوضح دلالةً. نريد قوّتهم وثباتهم في تأييد قولهم. نعم انَّ الدجّالين ربّما تجاوزوا كلّ حدود الخبث والدعارة ولكن اذا اقتضى الامر ان يبذلوا في سبيل الخداع مهجتهم ويتحمّلوا الشتائم والنكال وانواع الموت لاثبات الكذب تراهم في الغالب ينكصون على الأعقاب ويبوؤن باثمهم ليتملّصوا من الكراهية والمحن. واذا ما ثبت منهم البعض على تلك البلايا (وقليل ما هم) انّما يثبتون ذلك امّا خوفًا من عذابٍ اعظم او املًا بمطلوب مرغوب

وليس الامر كذلك في الرسل تلامذة المسيح فانهم جميعًا خاطروا بانفسهم وبذلوا الارواح وقاسوا الشدائد والمحن وذاقوا الموت الاحمر بطيب الخاطر دون ان ينكثوا بشهادتهم او ينقضوا حرفًا ممّا سبق لهم قرارهُ. حتى جاز لنا القول مع الفيلسوف پسكال: « انّي لاصدّق شهادة رجال يعرّضون انفسهم للهلكة والموت إثباتًا لقولهم » وهذا ما اقرّ بهِ الملاحدة فضلًا عن المؤمنين كستروس (Strauss) مثلًا والجاحد رينان وغيرهما كثيرين فلم يروا وجهًا لانكار صدق الرسل. وكيف ناشدتك الله ينكرون امرًا اضوأ من الشمس. لانَّ تلامذة المسيح كانوا تفرّقوا وانقطع سلك نظامهم منذ موت سيّدهم وقد استولى عليهم الخوف والخجل حتى لم يجسروا ان يخرجوا من علّيتهم « خوفًا من اليهود » وهاك تراهم بعد زمن قليل ينتصبون امام القوم المزدحمين حولهم فيبشرون بقيامة المصلوب وذلك بازاء اعدائهِ الذين امروا بصلبهِ قبل خمسين يومًا ويبكتونهم على فعلهم لا يُبالون بالوعد والوعيد ويثبتون صحّة قولهم بالمعجزات الباهرة

ولمّا تصدّى لهم الكهنة والشيوخ ورؤساء الشعب وحبسوا اثنين منهم اعني بطرس ويوحنّا واقاموهما في وسط مجمعهم مشدّدين عليهما النكير مع الامر بالّا يبشروا بهذا الاسم يجيب الرسولان بجرأة (اعمال ٤: ١٩): « احكموا انتم ما العدلُ امام الله ان نسمع لكم ام نسمع لله فانّا لا نقدر ان لا نتكلّم بما عاينّا وسمعنا » فتهدّدوهما وصرفوهما

الّا انّ الرسل لم يكفّوا عن التبشير بل زادوا غيرةً ونشاطاً في كرازتهم بقيامة المخلّص من بين الاموات. فعاد اليهود وقبضوا ليس فقط على بطرس ويوحنّا بل على الاثني عشر بأسرهم والقوهم في السجن ثم جلدوهم بالسياط وتهدّدوهم بما هو اعظم واشدّ لو ثبتوا على قولهم. فلم يفعل كلام اليهود فيهم. وكان جوابهم الوحيد « انّ الله احقُّ من الناس ان يُطاع » بل « خرجوا من وجه المحفل فرحين بأنّهم حُسبوا مستاهلين ان يُهانوا لاجل اسم يسوع » (اعمال ٥: ٤١)

فيا ليت شعري كيف تغيّرت قلوب هؤلاء التلامذة ؟ انّى لهم هذه القوّة وهذا الثبات العجيب بازاء العذابات والموت لولا انّهم علموا العلم التامّ بحقيقة قيامة الرب وتحقّقوا صحّة هذا الحادث الغريب الذي شهدوا به

نعم انّنا لا نجهل نحن المسيحيين انّ هذه القوّة التي ظهرت في الحواريين انّما أُوتوها من الله كما سبق السيّد المسيح ووعدهم بذلك حيث قال (اعمال ١: ٨): « ستنالون قوّة الروح القدس الذي يحلُّ عليكم فتكونون لي شهودًا في اورشليم وجميع اليهوديّة وفي السامرة والى اقصى الارض » لكنّ القوّة العلويّة لم يُمنحوها الّا بعد ان استثبتوا خبر قيامة الرب وعرفوا صحّتها. ولولا قوّة الحقّ على نفوسهم لما امكن الله ان يؤيّدهم بسلطانهِ لينصروا الباطل والزور بل كانوا بعد موت سيّدهم ايسوا منهُ فعادوا الى بيوتهم لينتظروا مسيحاً آخر يردّ الى اسرائيل ملكهُ المفقود ومجدهُ الدارس: وهذا ما اخذ بفعلهِ تلميذا عمواص اللذان خرجا من اورشليم كئيبين آيسَين فتراءى لهما الربّ وثبّت ايمانهما فعادا الى لفيف الاخوة

وكأنّي اسمع هنا اصوات المعترضين ليبيّنوا ببعض الدلائل انّ رُسل المسيح خدعوا العالم بنشر خبر قيامتهِ

يقولون (اوّلًا) انَّ الرسل كانوا يحبُّون معلّمهم محبَّة فائقة الحدود فلم يرضوا بان يُدفن مجدهُ معهُ ولذلك اشاعوا خبر قيامتهِ الموهوم

نقول انَّ هذا الاعتراض لا يقبلهُ العقل لانَّ الرُسل كانوا من صعاليك القوم لا نفوذ لهم ولا جاه ولا علم البتَّة فكيف يقنعون بصحَّة خبر كهذا ائمَّة الشعب والرؤساء والكهنة. ثم كيف يعرضون على الناس السجود لرجلٍ قتلهُ اعداؤهُ وسمَّروهُ على خشبة العار فيجلبونهم الى ان يعبدوا طوعاً «مصلوبًا هو شكٌّ لليهود وجهالة للامم» كما يقول بولس الرسول (١ كور ١: ٢٣). وهل كان يمكن ان ينتظر الرسل لو فعلوا ذلك غير الاهانات والعذابات والوان الموت كما جرى لهم رغمًا عن شهادتهم الصادقة

يقولون (ثانياً) انَّ الرسـل كانوا سمعوا من فم سيّدهم ذِكر الملكوت فلمَّا مات معلّمهم لم يرضوا بان تخيب آمالهم فبشَّروا بقيامتهِ ليمكنهم ان يعيدوا ملك اسرائيل ويكونوا هم من اركان هذه الدولة المجدَّدة

نجيب ان الرسل لو ارادوا ان يجدّدوا ملك بني اسرائيل باشاعة خبر قيامة المسيح لكانوا طلبوا ملكاً زمنيًا مع الغنى والشرف والسلطان. ولا نراهم بعد قيامة المسيح يفكرون في شيءٍ من ذلك كما كانوا يفعلون قبل قيامتهِ. وغاية ما يريدون ان يقيموا مملكة روحيَّة مبنيَّة على الفقر والزهـد والتواضع والصبر على الآلام والاوجاع ولا يتَّخذون لنوال غايتهم شيئاً من الوسائل البشريَّة وانَّما اتكالهم عليـه تعالى فكيف يا تُرى يُنجح الله مقاصدهم اذا ما كان مسعاهم مبنيًا على الافك والخديعة

ثم نرى قول الرسل مؤيَّدًا بالمعجزات والعجائب فقل لي رعاك الله هل يستطيع تعالى ان يثبت اكاذيب المكَّارين بكراماتهِ وخوارقهِ. وليست هذه المعجزات اموراً خفيَّة بل يصنعها التلاميذ على رؤوس الاشهاد وذلك باسم يسوع الناصريّ المصلوب. كما فعل بطرس ويوحنًا بذلك الاعرج الكسيح الذي لقياهُ على باب الهيكل فشفياهُ بغتةً اثباتًا لقيامة المسيح واعلنا بالامر امام الشعب باسرهِ ثم امام مجلس الشيوخ وعظماء الاحبار فقالا: «يا رؤسـاء الشعب وشيوخ اسرائيل ان كُنَّا نُفحص اليوم عن إحساننا الى رجل سقيم بماذا برئَ فليكن معلوماً عند جميعكم وجميع شعب اسرائيـل انهُ باسم يسوع المسيح الناصري الذي صلبتموهُ انتم والذي اقامـهُ الله من بين الاموات بذاك وقف هذا امامكم متعافيًا» (راجع سفر الاعمـال ف ٣ ثمَّ

ف ٤ :٨). فان كان الله ايد قول الرسولين باعجوبة كهذه فذلك دليل واضح على صحّة قيامة المسيح التي لاجلها اجترحا هذه المعجزة الباهرة لانهُ من المستحيل ان يسمح الله بعمل المعجزات اثباتاً للضلال وتأييداً للمكر. وقد اقرَّ بذلك الخمسة الآلاف من اليهود الذين اذعنوا للحقّ وطلبوا من الرسل ان يعمدوهم باسم المسيح

على انَّ لليهود اعتراض (ثالث) يلتجئون اليهِ لنكران قيامة المسيح قالوا: «انَّ تلامذة يسوع اتوا خفيةً وسرقوا جثّتهُ من القبر والحرّاس نيام» وهو قول شاع عند اليهود منذ ايّام الرسل كما دوّن ذلك القديس متى في انجيلهِ (ف ٢٨). ثم رواهُ اليهود في كتابهم المسمّى بالتلمود. يقولون انَّ تلاميذ يسوع كانوا سمعوهُ في حياتهِ يذكر انهُ سيقوم من بين الاموات فلمّا رأوهُ مات ارادوا ان يصونوا شرفهُ ويخدعوا القوم بخبر قيامتهِ

ولكن هلمَّ بنا نبحث عمّا في هذا القول من الصحّة ليرى القرّاء انَّ الحواريّين لم يفكّروا في امرٍ كهذا وانَّهم لو حاولوا تنفيذهُ لنالهم خلاف ما كانوا يؤملون فنقول:

إمّا انَّ الرسل كانوا عالمين بقيامة الربّ يعتقدون بقرب وقوعها لأنَّهم سمعوا بذلك من فمهِ. وامّا انهم لم يعتقدوا بها البتة. وامّا انهم كانوا في ريبٍ وشكٍّ من وقوعها. فان قيل (الاوّل) كان حقهم ان ينتظروا بملء الصبر ان يقوم الرب في الوقت المعيَّن دون ان يبتدروا الامر فيطمسوا شيئاً من معالمهِ ويُنقصوا شأنهُ. وان قيل (الثاني) اعني عدم اعتقادهم بقيامة المخلّص فلم يبقَ لهم بعد موتهِ الّا ان يتشتّت شملهم ويتفرّقوا تحت كل كوكب لانَّ كلّ امانيهم في معلّمهم بطلت وخابت ولم يَعُد لهم ثقة في كلامهِ ورجاء في قيام مملكتهِ. فليس هو اذن المسيح الموعود بهِ ولا داعي يحدو بهم الى ان يُنفذوا كلام رجل مكّار خدّاع. وان قيل (الثالث) وهو اقرب الى الصواب اعني انَّهم كانوا يتردّدون بين الرجاء وخيبة الآمال فكان ايضاً الأولى بهم ان ينتظروا ريثما تنقشع سحابة الشكّ. فإمّا تتوطّد آمالهم بقيامة معلّمهم ويتحققون انهُ مسيح الله وامّا يقنطون منهُ فلا يعودون الى ذكرهِ ابد الابد

ولعلَّ قائلًا يقول انَّ الاهواء استفزَّت التلاميذ فخدعهم حبُّهم الاعمى لمعلمهم وسوَّل لهم الشيطان ان يسرقوا جثَّتهُ ليُشيعوا بخبر قيامتهِ

فنجيب على المعترض لو صحَّ قولك لما تمَّ ذلك الَّا باحد امور ثلاثة اعني بالقوَّة الجبريَّة او بالرشوة او بالمكيدة. وليس اثر للحقيقة في احد هذه الامور

لم يمكن الرسل ان يلتجئوا الى القوَّة الجبريَّة. وذلك لاسباب عديدة منها انَّ القبر كان مختومًا بخاتم الوالي الروماني يحرسهُ جنود متيقظون انذرهم رؤساء الكهنة والشيوخ بخطر السرقة وحذَّروهم فلو حاول التلامذة انتهاك حرمة القبر لما تردَّد الحرَس في ان يحولوا بينهم وبين القبر . ومنها ان الرسل كانوا اذ ذاك في حالة يرثى لها من الخوف والهلَع اذ هربوا مذ نظروا معلمهم في ايدي اعدائهِ . وبلغ الجبن باعظمهم شأنًا وهو بطرس الصفا الى ان نكرهُ لمجرَّد اشارة أمةٍ ذليلة قالت انهُ من تلاميذهِ. وان قيل ان بطرس بعد نكرانهِ احبَّ ان يستقتل في سبيل معلّمهِ ليكفّر عن ذنبهِ فجمع التلاميذ وهجموا على الحرس. اجبنا انَّ قتالًا كهذا لا يجري دون ان تبقى آثارهُ من جرحى وقتلى وليس شيءٌ ينبئ بمثل ذلك. ولا نرى بيلاطس البنطي ورؤساء الكهنة يحاكمون الرسل على جناية تُعدُّ من اعظم الجنايات. بل يكتفي الشيوخ بان يتهدَّدوا الرسل ويأمروهم بالَّا يكرزوا بيسوع الناصري

ولقائل انَّ الرسل فضَّلوا الرشوة فاعطوا دراهم للحرَّاس الذين مكَّنوهم من نقل الجثَّة. نجيب انَّنا لا ننكر مَيل الجند الى الرشوة وقد اشترى اليهود شهادتهم الكاذبة ليقولوا انَّ تلاميذ يسوع سرقوا جسمهُ من القبر (متى ٢٨ : ١٦) . ولكن كيف استطاع الحواريون ان يرشوا الجند وهم فقراء صيَّادون لا ثروة لهم. فان قيل انَّ نيقوديموس ويوسف الرامي كانا من الاغنياء ومن تلامذة يسوع اجبنا انَّ اعداء المسيح كانوا يترصَّدون كلَّ حركات الرسل فلو عرفوا بأنَّهم رشوا الجند لمَّا تأخَّروا عن فحص الامر اذ أنَّهم لم يقيموا الحرس الَّا ليمنعوا هذه السرقة. ولكانوا هتكوا السرَّ واباحوا باثم الرسل يوم جعل هؤلاء يبشرون بقيامة سيّدهم كما انَّهم كانوا جازوا الجند بالعقاب لقبولهم الرشوة

فبقي المكر والختل. يقول الخصوم انَّ الرسل سرقوا جثَّة المسيح كيدًا ولكن نرجوهم ان يفيدونا باي طريقة فعلوا ذلك. فيجيب البعض انَّ الرسل فتحوا سربًا تحت

الارض حتى بلغوا القبر فاخذوا الجثّة التي فيهِ. ولكن ساء ظنّهم فكيف يا تُرى امكن الرسل بثلاثين ساعةً ان ينجزوا عملًا كهذا فيفتحوا سربًا واسعًا وينقروا الصخر. ثم كيف استطاعوا ذلك دون ان يلحظهم الحرّاس ويسمعوا صوت المطارق. او كيف لم يبقَ اثرٌ لهذا السرب بعد فتحهِ فيشهد على السارقين – يقول غيرهم بل دخل الرسل القبر من بابهِ اذ كان الحرس نيامًا. يجيب القديس اوغسطينوس: « تأتون أيُّها اليهود بشهود نيام أليس الأحرى ان يقال أنكم انتم نيام اذ توسّلتم بهذه الوسيلة ». والحقُّ يقال انَّ شهادة النائم لا تُقبل في القضاء بل كان الحرس يستوجبون العقاب فلماذا لم يحاكمهم اليهود ويزُجوهم في الحبس. ثم زد على ذلك امورًا كثيرة لا تُصدَّق منها انَّ الحرَس كلَّهم ناموا في وقت واحد النَّوم الغَرِق وانَّهم لم يحسُّوا بضوضاء كهذه فانَّ فضَّ ختم الولاية ودحرجة الحجر ونزع الجسم كلَّ ذلك لا يتمّ دون حركةٍ وضجَّة. ثم ان السارق اذا سرق اسرع ما امكنهُ لا يبالي بالكسر والتبذير والخراب. ونرى على خلاف الامر الاكفان ومنديل الراس موضوعةً منظَّمة كلٌّ منها على حدة (يوحنَّا ٢٠: ٧–٨) افليس هذا دليلًا على انهُ ليس ثمَّت نهبٌ ولا سرقة

فهذه مجمل الاعتراضات التي اخترعها نكَرَة قيامة المسيح لينسبوا هذا السرَّ العجيب الى الخداع والمكر. فترى انَّ حججهم باطلة لا تقوم بازاء العقل الصائب ويحق لنا نحن النصارى ان نقول بكل صدق ويقين انَّ الرسل لم يكونوا من اهل الخداع والغشّ وان شهادتهم صادقة

ولكن ان كانوا لم ينووا الكذب والمكر أترى لم يكونوا هم انفسهم من المخدوعين فآمنوا دون بيّنة كافية وايقنوا بصحَّة امرٍ لا ركن لهُ ولا سند وكان انخداعهم مجلبةً لانخداع الذين سمعوهم. ففي عدد آخر نبحث عن هذه القضيَّة الثانية ونعرضها على حكم العقل والانتقاد

(ستأتي البقيَّة)

بحث جغرافي

في سيرة القديس مارون الناسك

للاب هنري لامنس اليسوعي (تابع)

وان قيل ما اللغة التي كان القوم يتكلّمون بها في القورسيّة اجاب الذين يتسرَّعون في الأحكام قبل الوقوف على كنه المسائل انها ينبغي ان تكون اليونانيّة لان توادوريطوس اسقف البلاد كتب بها. غير انَّ هذا التعليل لا يرضينا ولا يصلح حجّةً لاقناعنا لانَّ لدينا من الادلة الواضحة ما يؤيد العكس (١

رأينا في مقالة سابقة (المشرق ٤: ١٠٨٦) ان توادوريطوس مع ان لغتهُ الاصليّة هي اليونانيّة (٢ كان عارفاً ايضاً بالسريانيّة. غير ان المقام لم يسمح اذ ذاك بالافاضة في الكلام على هذه المسألة المهمّة ولولا ذلك لأتينا بشهادة المؤرخ اليوناني ملالا (٢ : ١١٠ طبعة اكسفورد) وهو يثبت ان العامّة في انطاكية كانوا يتكلمون الآراميّة واما الباقون فاذا كانوا لا يتكلمون بها فكانوا على الاقلّ يفهمونها. ويثبت الاستاذ العالم كوغنير (Kugener) اثباتاً صريحاً (في الشرق المسيحي ١٩٠٢ ص ٢٠٢) ان السريانيّة كانت اللغة الشائعة في انطاكية وضواحيها

وهنا نستأذن في ان نضمّ الادلّة التابعة الى البراهين التي سبق ايرادها: ان ابوي توادوريطوس كانت لهما علائق مكينة مع الناسك القديس مقدونيوس وقد اخبر توادوريطوس بالتفصيل كيف ان تجرّدهُ لخدمة الله كان نتيجة تحريضات الناسك

١) اذا كان برهاننا صحيحاً اثبت خروج الذين يعلّلون التعليل الآتي عن قواعد الاستدلال العقلي وهو قولهم: « ان جملة اساقفة في سوريّة كتبوا باليونانيّة فاذًا سوريّة كلها كانت تتكلم اليونانية » وسنثبت في ما يلي من كلامنا عن القورسيّة ان نتيجتهم هي اوسع من المقدّمات. وقد سبق لنا تبيان ذلك في كلامنا على ناحية انطاكية (المشرق ٤: ١٠٨٣) التي يحاول البعض ان يصوّروها لنا مثل بلاد يونانية. وفي املنا اننا نستطيع اثبات الامر نفسه عن سائر نواحي سوريّة متى تيسّرت الفرصة

٢) كما قد صرح بذلك راجع مجموع مين (في المجلد ٨٣ ص ٨٤٣)

المذكور فقال ان مقدونيوس كان يتردّد على منزلهم في انطاكية فلمّا ترعرع تاودوريطوس اخذ الناسك يرغبهُ ترغيباً شديدًا في خدمة الله (١ والحال ان مقدونيوس لم يكن يعرف غير السريانيَّة (٢ واذ قد ثبت ذلك وكان التسليم صعباً بان مخاطبات هذا الرجل القديس كانت تجري بواسطة ترجمان فيترجح عندنا انهُ لم يكن تاودوريطوس وحدهُ يفهم السريانيَّة بل ان ابويه ايضاً كانا يفهمانها وكانت هذه العيلة كما هو معروف من العيال الوجيهة في انطاكية

ولنا في الحادث الآتي بيانه دليل اقوى واصرح فقد اخبر تاودوريطوس في تاريخ الرهبان (٣ ان الشيطان ظهر لهُ ذات ليلة في قورس وهو اسقفها فهدَّدهُ تهديدًا مخيفاً مرعباً وكان يخاطبهُ باللغة السريانيَّة وكان احد رفقائه راقدًا معهُ في غرفته فسمع ايضاً الكلام عينه وسمعهُ كذلك الحشم الذين في المنزل. فمن هذا الحادث الذي اقتصرنا على ذكر خلاصته يسوغ لنا ان نستنتج النتيجة الآتية:

ان ظهور الشيطان الذي اخبر عنهُ تاودوريطوس لا يخلو ان يكون امّا حلماً مجردًا او رؤيا حقيقيَّة. على ان الظروف التي قارنت الحادث تُرجح انهُ كان من قبيل الثاني ومع ذلك لا نجد بأساً اذا عددناهُ من قبيل الافتراض الاوَّل بل انهُ ربّما جاء من هذه الحيثيَّة أوفق وافيد لما نحن بصددهِ. وعليهِ اذا قلنا انهُ كان حلماً مجرَّدًا فبما ان النائم لا يحلم اصلًا بلغة لا يعرفها او بلسان لا يتكلم بهِ الَّا نادرًا ينتج عن ذلك ضرورةً ان تاودوريطوس كان يتكلم عادةً السريانيَّة او بالاقلّ انهُ كان يفهمها بسهولة. واذا قلنا ايضاً انهُ كان رؤيا حقيقيَّة يصعب ان نبيّن كيف ان جميع سكان الدار الاسقفيَّة فهموا مثل تاودوريطوس تهديدات الشيطان لو لم تكن اللغة السريانيَّة مألوفة عندهم

ويقول تاودوريطوس ايضاً (في المجلد ٨٣ ص ٣١٣) انهُ وجد كتباً كثيرة سريانيَّة من تأليف برديسان والراجح انهُ لقيها ضمن ابرشيته حيث كانت اقامته او في انطاكية التي كان يتردَّد اليها حيناً بعد آخر كما سترى في اثناء مقالتنا هذه. ولا نجد

١) تاريخ الرهبان (مين ٨٢ ص ١٣١٤, ١٣١٥)

٢) راجع المشرق (٤: ١٠٨٣) امّا الناحية الواقعة بين انطاكية وحلب فراجع بشأنها الاباء اليونان المجلد ٨٢ والصفحة ١١٦١ حيث ورد ذكر السريانية كلغة البلاد

٣) راجع مجموع الآباء لمين (مج ٨٢: ١٣٤٣, ١٣٤٤)

ادنى صعوبة للتسليم بالفرض الثاني لانهُ يدلُّ على انتشار الكتب السريانيَّة في مدينة قد طالما صوَّروها لنا يونانيَّة محضة

وكان توادوريطوس يرغب في زيارة النسّاك الكثيرين بابرشيَّتهِ ويلتذّ بمحادثتهم طويلًا وسنرى بعد هذا انهُ لم يكن احد من هؤلاء النسّاك يعرف اليونانيَّة. وبما انهُ لا يأتي في كل ما خلَّفهُ من الكتابات بذكر ترجمان وجب التسليم بان محادثتهُ التي كانت تطول في بعض الاحيان ايّاماً (١ قد كانت تجري بالسريانية وانهُ كان يعرف هذه اللغة حقّ المعرفة ويتكلم فيها بسهولة

وممّا يجب التسليم بهِ وينتج ضرورةً عما قدَّمناهُ هو ان الاسقف المذكور ما كان وحدهُ يفهم السريانيَّة بل ان جميع عشرانهِ من سكان الدار الاسقفيَّة كانوا يفهمونها ايضاً ولا يبعد انَّهم كانوا يتكلمون بها. واذا صدق هذا الامر على الدار الاسقفيَّة فماذا ينبغي القول عن سائر المدينة التي كان الاسقف كما سبق القول اعظم شخص معتبر فيها ؟

ليس الجواب على هذا السؤال بصعب لانَّ كاتب ترجمة توادوريطوس يصرّح دون مواربةٍ « بان الجميع تقريباً في قورس وفي القورسيَّة كانوا يتكلمون باللغة السريانية وان عدد اليونان لم يكن فيها شيئاً مذكورًا » (٢ ويؤخذ من كلامهِ انَّ ذلك كان أخصَّ الاسباب التي حملت توادوريطوس على القبول رغماً عن ارادتهِ باسقفيَّة هذه المدينة لانهُ لما كان عالماً بارعاً وخطيباً مفلقاً يُضاهي فم الذهب بل يكاد يفوقهُ ايضاً في مسائل تفسير الكتاب المقدَّس رضي ولكن مع كرهٍ ومشقَّة نفس بان يدفن كل ما رُزق من مواهب العقل في مدينة صغيرة قد لا تأتي فيها هذه المواهب بفائدة لعدم وجود جمهور من السامعين يقدر على مجاراته في السبيل الذي يرومهُ. غير انهُ ما لبث ان ذلّل هذه العواطف البشريَّة وانقطع بكليتهِ الى الاهتمام بمنفعة وخير القطيع الذي فُوّض الى تدبيرهِ

وللقارئ ان يعترض بخطب توادوريطوس ويقول انها كُتبت كلها باليونانيـة فنحن نتلقّى الاعتراض بالقبول غير واجدين شيئاً من الصعوبة في ردّهِ وسبب ذلك ان غالب

١) راجع في تاريخ الرهبان ترجمة مار يعقوب (ف ٢)

٢) الاباء اليونان لمين (مج ٨٤ ص ١٤٣, ١٤٤)

الخطب التي لتوادوريطوس ألقاها في خارج قورس لانهُ كان من محبي الحركة والتنقُّل وكثيرًا ما كان يزايل ابرشيته بدليل انهُ لمَّا ثارت الخصومات بسبب بدعة نسطور وكان اسقف قورس صديقًا للمبتدع من صباه صدرت لهُ الاوامر من قبل الامبراطور ان لا يبارح مركزهُ فشقَّ عليهِ هذا المنع كثيرًا كما يتبيَّن ذلك من رسائلهِ ولكن ما لبث المنع ان ارتفع بعد مدَّة وجيزة فعاد الاسقف المذكور الى اسفارهِ

وكان توادوريطوس يتردَّد خاصةً على اثنتين من المدن اعني بهما انطاكية وبيريه (حلب) وكانت الاولى على مسيرة يومين من مركزهِ والثانيــة اقرب من هذه المسافة (١

اما انطاكية فكانت وطنهُ ولهذا كان يكثر التردُّد اليها حتى اضطرَّ الى الاعتذار لرؤسائهِ عن طول اقامتهِ بهــا (٢. واشهر خطبه وافصحها كما هو معلوم عشر خطب موضوعها العناية الالهيَّة وقد شهد في رسالته الى البابا انهُ ألقاها كلها في مدينة انطاكية ثم انهُ في رسالتهِ الخامسة والسبعين يذكر خمسة اسباب حملتهُ على اعزاز اهالي حلب وآخر هذه الاسباب هو انهم «كانوا يسمعون خطبهُ بلذةٍ ومسرة ولهذا كان يبذل جهدهُ في ان يلقي عليهم احسن وافضل ما عندهُ من هذا الصنف». ولنا ان نقول بعبارة أخرى انهُ كان يحب الكرازة في انطاكية وحلب ليقينهِ بان السامعين في هاتين المدينتين يفهمون خطبهُ اليونانيَّة ويقدّرون فصاحتها بخلاف الحال في قورس

على انهُ لا يصح الاستنتاج من هذا ان حلب كانت بلدة يونانيَّة فقد ذكر نلدكه (٣ ان الاحوال فيها من الوجه التاريخي كانت شبيهة باحوال الرُّهــا ومن المعلوم ان الرُّها كانت في ذاك العهد آراميَّة بحتةً بل مركز الآداب الآراميَّة ولهــذا يجب القول ان حلب ايضًا كانت ارامية بسكَّانها ولغتها ولكنها لمَّا كانت مدينة كبيرة تجاريَّة لم يكن ليصعب فيها وجود جمهور من السامعين يجيدون فهم اليونانية. فان السوريين في كل زمان كانوا يتعلمون كثيرًا من الالسنة والامثلة على العــارفين بينهم بلغات عديدة لم تفت

١) اخبر توادوريطوس انهُ كان يسافر مساء النهار من حلب فيصل الى قورس في صباح اليوم التالي

٢) اعمال الاباء اليونان (مج ٨٣ ص ١١٣٥ و ١١٤٦)

٣) راجع المجلَّة الاسيويَّة الالمانيَّة (ZDMG) سنة ١٨٨٥ ص ٣٣٤

فقط من يلتمسها . وكما اننا اليوم نجد في المدن السوريّة عددًا غفيرًا ممّن يفهمون الخطب باللغات الاجنبية هكذا كان الامر في ايّام توادوريطوس . ومثلما لا نستطيع ان نستنتج في الوقت الحاضر ان اللغات الاجنبية متغلّبة على اللسان الوطني هكذا القول ايضاً عن خطب اسقف قورس

فاذا كان الذين يفهمون اليونانية في قورس قوماً قليلين فما ظنك بسائر الناحية ؟ وقد اخبر توادوريطوس ان سكّان المقاطعة الفراتية التي كانت القورسية تابعةً لها كانوا يتكلمون السريانية (١

هذا فضلًا عن ان هيرو بوليس (منبج) مركز رئيس الاساقفة الذي كان يخضع له اسقف قورس كانت ايضاً مركزًا مهماً سريانيًا . وبعد قليل لوفاة توادوريطوس تولى الكرسي المذكور فيلكسينوس احد مشاهير الكتبة عند السريان . وفي جرمانيقية التي تسمى اليوم مرعش كان القوم ينصبُّون ايضاً على آداب اللغة السريانية

ولقد سبق لنا ايضاح ما كان من هذا القبيل في مدينتي انطاكية وحلب (٢ وعلى ذلك لم يبقَ من داعٍ للتسليم بان ابرشية قورس وحدها التي كانت في شمالي سوريّة محفوفةً من كل انحائها بالبلدان الارامية قد خرجت عن هذه الدائرة . والحقّ يقال ان هذه الناحية كلها لم تكن لها غير لغة واحدة اي الارامية التي كان المتأدبون يضيفون اليها معرفة اللغة اليونانية . قال المستشرق ساخو : « من اعظم مرافق النصرانية ان الوعّاظ كانوا يستطيعون ان يكرزوا بلغة واحدة اي الارامية من حدّ انطاكية حتى بابل »

واذا حصرنا الكلام في المتوحدين الذين كانوا يسكنون صحاري القورسية نرى الادلة متظاهرة على انهم كانوا باسرهم تقريباً اراميين يتسمّون باسماء سريانية مثل مايسياس واشبسياس ومارون وسلامانس وماريس وزابيناس وباراداتوس وتاليلايوس

---

١) تاريخ الرهبان (٨٠ ص ٣٣٧ راجع ايضاً المجلّد ٨٢ ص ١١٦٣ و ١١٦٤) وفيه يخبر كيف ان رهبان دير على الفرات كانوا يرتلون المزامير بالسريانية التي هي لغتهم الاصلية كما ذكر ذلك بالنص الصريح

٢) راجع كذلك المشرق (٤ : ١٠٨٣)

ومارانا (١ وقد قال توادوريطوس عن الاوّل اي مايسياس قولًا صريحًا « انهُ كان سريانيًا بلغته » (٢ امّا الراهب القديس ابرهيم الذي ترقى بعد ذلك الى اسقفية حران في بلاد ما بين النهرين فذكر توادوريطوس في معرض اخباره عن زيارة الامبراطور لهُ مع كل حاشيته ان الموما اليهِ لم يكن يفهم كلمة واحدة يونانية (٣ وروى في موضع آخر عند كلامهِ على الناسك تاليلايوس انهُ لمَّا زارهُ تعجب كثيرًا « اذ سمعهُ يجاوبهُ باليونانية » (٤ لان الناسك المذكور كان على حسب رواية اسقف قورس قيليقي الجنس وكل ذلك يدل على ان معرفة اليونانية لم تكن شائعة بين السوريين الوطنيين

وان قيل ما هي الليتورجية التي كان اكليروس قورس يجري عليها قلنا ان الجواب على هذه المسألة امر صعب بالنظر لعدم وجود معلومات صريحة بشأنها. ولكن بما اننا قد اثبتنا ان الارامية كانت لغة الناحية ساغ ان نستنتج ان الليتورجية كانت تجري بهذه اللغة ذاتها ولعلها لم تكن تجري بغيرها الّا في كنيسة قورس الكاتدرائية. وفي ترجمة الناسك ابرهيم الذي سبقت الاشارة اليهِ دليل ظاهر على ما نقول فقد كان على ما روى توادوريطوس من ابناء القورسية حيث صرف زمانًا طويلًا في الحياة النسكية وفي الختام شخص الى لبنان وهدى فيهِ كثيرين من الوثنيين وعلَّمهم العبادة الالهية الحقيقية. ولا ريب انهُ كان يخاطبهم بالسريانية لانهُ لم يكن يعرف سواها ويُقيم لهم الليتورجية كما قد شاهدها مستعملةً في القورسية وطنه (مج ٨٢ ص ١٢٢٥) قال ساخو: « ان الاراميين نشروا النصرانية في الشرق » وعلى ذلك فان الكنائس التي أسسوها قد علموها بالضرورة ليتورجية ارامية. وكانت السريانية كما هو معلوم اوّل لغة ليتورجية مستعملة (٥ وفي ما اوردناه بهذا الشان كفاية للقارئ حتى يتيسَّر لهُ

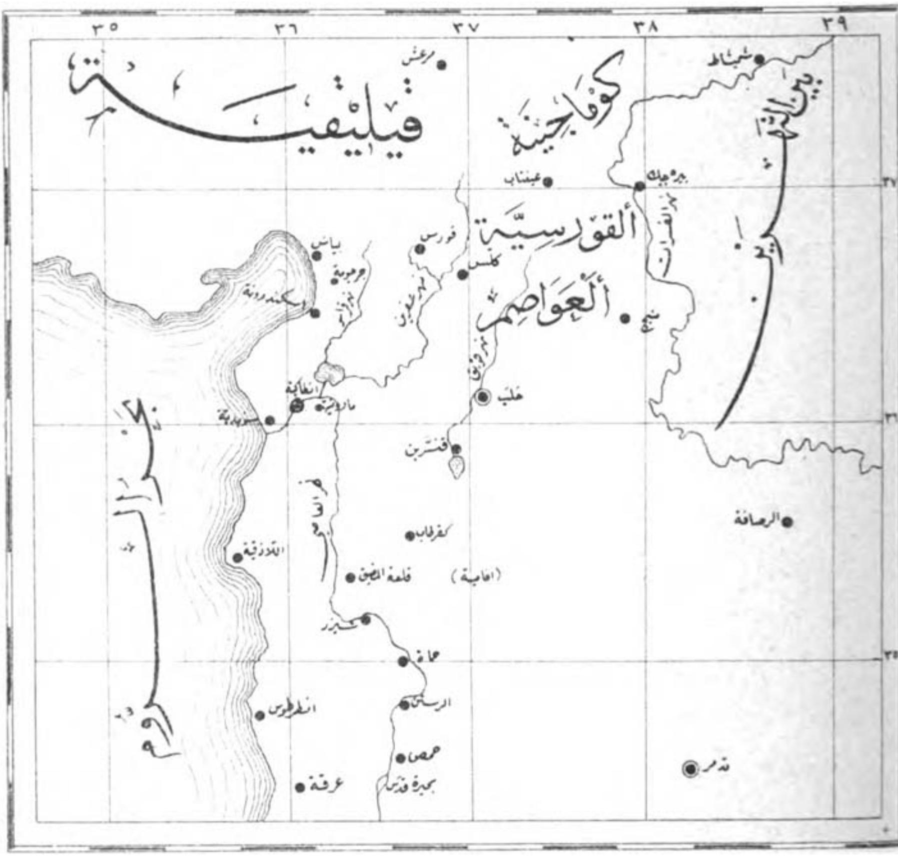
١) راجع تاريخ الرهبان

٢) راجع مين (ج ٨٢ ص ١٣١٦)

٣) تاريخ الرهبان ص ١٣٢٨

٤) هذا ممَّا يوجب الافتراض ان الاسقف خاطبهُ اوَّلًا باليونانية

٥) راجع في معجم اللاهوت الكاثوليكي (١ : ١٤٠٢) مقالة للاب فاليه الصعودي الذي نسب اليهِ بعضهم رايًا مخالفًا لما نحن فيهِ



خريطة سورية الشمالية

الحكم فبقي علينا ان نبحث عن احوال النصرانية في القورسية وهكذا نتمم كلامنا عن جغرافية هذه الناحية

٣

ان القورسية كانت كلها بالتقريب مسيحية في ايام توادوريطوس كما يُفهم ذلك من عدد الثمانمائة كنيسة التي يقول الاسقف المذكور انهُ كان مكلفاً بتدبيرها . ويظهر انهُ كان قد اتخذ بعض اعوان لهُ من الخوارنة الاسقفيين لادارة الكنائس الكبرى في ابرشيته وفي رسالته ١١٣ يسمي اثنين من هؤلاء الخوارنة . وبناء عليهِ يجوز ان نحسب القورسية كلها مسيحية في زمانه اذ لم يكن فيها من الوثنيين الّا افراد قلائل (١.

وكان في القورسية جماعة من الهراطقة وعلى الخصوص من المرقيونيين . قال توادوريطوس : «ان ثماني قرى افسدتها هرطقة المرقيونيين مع الاماكن المجاورة لها ارجعتُها الى الطريق القويم (٢ . وكانت هناك ايضاً قرية اخرى عامرة بالتابعين لمذهب الاونوميين وقرية غيرها اريوسية فتوفقتُ لانارة الجميع بالنور الالهي وهكذا بنعمة الله لم اترك في ابرشيتي اثرًا للهرطقة ولم يكن ذلك ليستطاع دون اقتحام اخطار واراقة دم لانني كثيرًا ما تعرضت لرجم الهراطقة » . ويشهد في موضع آخر (٣ انهُ عمَّد عشرة آلاف من الهراطقة المرقيونيين واثر هذا الانتصار الاخير على الجحيم ظهر لهُ الشيطان كما سبق الخبر محاولًا توقيفهُ عن قتال الغواية والضلال

امَّا دخول النصرانية الى القورسية فلا نعلمهُ بالتحقيق ولكننا نظن انهُ كان في الصدر الاولى بالنظر الى قرب هذه الناحية من انطاكية احد مهود الدين المسيحي وقد حضر احد اساقفتها مجمع نيقية . وامَّا خلفاء توادوريطوس فلا نعلم منهم غير اسماء ثلاثة فقط (٤ ولا ريب ان كرسي قورس فقدَ اهميتهُ من بعد انتشار بدعتي نسطور ويعقوب البرادعي . ومع ذلك وجدنا في جريدةٍ لأُسقفيات بطريركية انطاكية ترتقي على

---

١) راجع رسالتَيهِ ٦٧ و ٦٨
٢) الرسالة ٨١
٣) تاريخ الرهبان ١٢٤٣ الخ والرسالة ١٤٥ و ١١٣
٤) لوكيان : الشرق المسيحي (٢ : ٩٣٠ الخ)

ما نظنهُ الى القرن الثامن ان قورس كانت معدودةً في ذلك العهد من جملة الكراسي المطروبوليطية لكن لم يكن لها اسقفيات تتبعها (راجع اخبار بطاركة انطاكية والقدس في الاسفار الاورشليمية ص ٣٣٧)

ونعلم ان جسدي الشهيدين المعظمين قزما وداميانوس قد دُفنا في قورس ولذلك قد تُسمَّى هذه المدينة في بعض الاحيان اكراماً لهما بمدينة القديسين. واخبر توادوريطوس نفسهُ كيف انهُ في ذات يوم نجي من الحريق الكنيسة المشيَّدة على ذكر هذين الشهيدين (١ القديسين . وفي موضع آخر يذكر ايضاً في جملة كنائس مدينتــه الاسقفية كنيسة على اسم الشهيد ديونيسيوس (٢ ويخبر كذلك عن دير قائم بحــذاء احدى كنائس قورس (٣ وفي رسالتيهِ ٦٦ و٦٧ يتكلم على هيكل شيدهُ هو وكرسهُ للرســل القديسين (٤. وكان في قورس ايضاً مصلًى على اسم الناســك القديس مرقيانوس ومن العجيب انهُ تشيَّد في حياة الناسك المذكور (٥

فكل هذه الآثار الدينيّة تجيز لنا الحكم بان الديانة كانت في القورسية زاهرةً زاهيةً بأيام راعيها الاثيل واسقفها الغيور

ولنا ايضاً دليل آخر على ازدهار الديانة نأخذهُ من وفرة عدد المناسك في الناحية المذكورة التي كانت احسن البلاد ملاءمةً لحياة الزهد والعبادة لانها كثيرة الجبــال بعيدة عن المراكز الكبرى والطرق التجاريَّة وافية بحاجات قوم يكتفون بالقليل حتى كان يصحُّ ان تدعى فردوس المتوحدين ونعيمهم وهذا هو السبب الذي من اجله انتشرت فيها كثيرًا هــذه الهيئة الاخيرة من حياة النسك. وفي تاريخ الرهبان لتوادوريطوس الذي خصَّص منهُ النصف بتراجم عظماء الرهبان في القورسية قلَّما يأتي بذكر الاديار (٦

١) مجموع الآباء (مج ٨٤: ص ٧٨٦ و٧٨٧)
٢) تاريخ الرهبان الفصل ١١
٣) وكانت الكنيسة على اسم الرسل الاطهار. تاريخ الرهبان ١٣٣٩
٤) راجع كذلك المجلد ٨٢ ص ١٣٥٠
٥) راجع المجلد عينهُ ص ١١٤٧ و ١١٤٨
٦) في الرسالة ١١٧ يتكلم عن أليبوس ويقول عنهُ انهُ «إكسَرخوس الرهبان عندنا» وهي عبارة تدل على وجود دير في قورس او في الابرشية التابعة لها. ويذكر ايضاً اديارًا أُخرى في المجلد ٨٢ والصفحة ١٢٢٥ و ١٢٦٠ غير ان الاديار كانت هناك قليلة جدًّا

بل يذكر المتوحدين الذين كان يحتشد حولهم بعض التلاميذ فيقتفون آثارهم وينهجون نهجهم غير انهم كانوا يعيشون هم ايضاً متوحدين دون ان يجتمعوا ضمن حظيرة دير

وكان توادوريطوس يحبّ ويكرّم هؤلاء الرهبان القديسين الذين كانوا يعطّرون ابرشيته بعرف فضائلهم ولهذا كان يكثر من زيارتهم ومحادثتهم وكل ما كتبهُ عنهم في تاريخ الرهبان قد رآهُ فيهم او سمعهُ منهم. على ان الرهبان المذكورين قابلوهُ بمثل عواطفه واثبتوا لهُ ذلك لمّا أُبعد عن ابرشيته فانهُ لم يجد اذ ذاك اصدقاء اشدّ اخلاصاً من هؤلاء القوم الذين كانوا كما قال عنهم « يحتقرون هذه الحياة الزائلة متوقعين الحياة الابديّة » (١

وقد سبق لنا تسمية بعض ابطال هذه العيشة النسكيَّة فبقي علينا ان نذكر اخصّ واحد بينهم اعني بهِ القديس مارون وكل ما تقدّم من الكلام جعلناهُ كتوطئة تمهد لنا السبيل لتعيين وطن هذا القديس العظيم والمكان الذي صرف فيه حياته فاذا لم نتوصل دائماً الى نتائج نهائية واذا اكتفينا اكثر الاحيان بالظنّ والتقدير فالذنب كل الذنب على فقد المعلومات المؤكدة في هذا الشان. غير ان ما سنبسطهُ مماَّ يستحق الانتباه واملنا ان يكون محرضاً لاولي البحث على الجدّ والتنقيب لعلهم يتوفقون الى ما لم نتوفق اليهِ. وفي كل حال ليس من غايتنا ان نلزم القارئ باتباع آرائنا ولكنَّنا نتوخى من كل ذي ادب ان ينظر فيها منتقداً حتى تنجلي المشاكل وتتبدّد الغياهب. ومماَّ يسرّنا جدًّا هو ان نداءنا للطوائف المسيحية الشرقيَّة حتى تبذل الجدَّ اللازم في الابحاث التاريخيَّة (٢ قد لاقى قوماً يسمعون فهبَّ بعض الأُدباء واخذوا ينقبون في تواريخ طوائفهم ونشروا منها اشياء حرية بالاعتبار وأملنا ان يزدادوا حمية في هذا الشان لما يُرجى عن عملهم من المنفعة. وفي هذا المقام لا نرى بدًّا من الثناء على بعض أُدباء الطوائف الشرقيَّة لما اتحفوا بهِ الدروس التاريخيَّة من التآليف النافعة كما نمدح ايضاً سائر الذين نشروا في مجلّة المشرق ابحاثاً مهمة في شؤون طوائفهم وآدابها الطقسيَّة وآثارها القديمة

١) الرسالة ١٣٥

٢) راجع في مجلة المشرق (١ : ٢٦١) مقالتنا المضمونة : هيَّا الى درس تاريخنا

٤

اين وُلد القديس مارون ؟ هذه مسألة كان في وسع تاودوريطوس كاتب ترجمة هذا القديس ان يجاوب عليها جوابًا شافيًا غير انهُ لسوء الحظ لم يذكر عنها شيئًا في الكلام الوجيز الذي تركهُ ولهذا وجب علينا ان نسعى بالافصاح عمَّا سكت عنهُ . على انَّنا لسنا باوَّل من سعى وراء هذا الامر فان حضرة الخوري ميخائيل غبريل يقول في كتابه تاريخ الكنيسة المارونيَّة (ص ٨٤) ما نصهُ : « ان القديس مارون ولد . . . في بلدة تدعى مارونيا البعيدة نحو ثلاثين ميلًا عن انطاكية في جوار مدينة قورش »

(ستأتي البقيَّة)

خواطر

في بعض بلاد الشام القديمة

للاب هنري لامنس اليسوعي

نشر جناب الاديب امين ظاهر افندي خير الله في المقتطف عدَّة مقالات تحت هذا العنوان « منزلة الشعر من التاريخ » والحقّ يقال ان مثل هذه الابحاث تكشف القناع عن احوال بلادنا السابقة وتبعث الهمم على درس فحول الشعراء الاقدمين

ومع ما نجد في هذه المقالات من الفائدة والجدوى قد لقينا في بعض اقوال المؤلف ما يستدعي النظر والانتقاد ونكتفي اليوم بايراد بعض الملاحظات خطرت لنا في اثناء مطالعتنا للصفحتين ٢١٠ و ٢١١ من عدد آذار من السنة الحاليَّة

١ ذكر جناب الكاتب (ص ٢١٠) بيت عمرو بن كلثوم التغلبيّ :

ألا هُبّي بصحبكِ فاصبحينا ولا تُبقي خمور الاندرينا

ثمَّ الحقهُ بهذا التفسير : « وأندرين لم تزل آهلة حتى الآن وموقعها في لواء مرعش من ولاية حلب وهي الآن قصبة قضاء باسمها »

(قلنا) انَّنا نعرف قضاء يُدعى اليوم بقضاء اندرين لكنَّ القصبة التي اشار اليها

جناب الكاتب مجهولة اليوم لا تُعرف ليس فقط في لواء مرعش بل في ولاية حلب كلها. وقد بحثنا عن اندرين هذه في سالنامة ولاية حلب المطبوعة سنة ١٣١٩ هـ فلم نجد لها ذكرًا في القضاء المدعوّ باسمها (ص ٣٧٨). امَّا ڤيتال كوينه فقد ذهب في كتابهِ الشهير عن تركيَّة اسيا الى انَّ قصبة قضاء اندرين انَّما هي كبان. وعلى كلّ حال لا نظنّ انَّ موقع اندرين التي ذكرها عمرو بن كلثوم راقيةٌ الى هــذا الحدّ من الشمال لبُعدها عن بلاد العرب بل عن تخوم سوريَّة وان قيل أنَّها داخلة في حدود ولاية حلب اجبنا ان موقعها الجغرافيّ غير موقعها السياسي. فلو كانت اندرين هــذه واقعةً حيث جعلها امين افندي خير الله لكانت في حيّز بلاد الاناضول شمالي جبل طورس الذي يعتبرهُ كل الجغرافيين كاحد حدود سوريَّة ولو وُجدت هناك بلدة بهذا الاسم لما ضرب جغرافيّو العرب صفحاً عنها

وقد ذكر قدماء كتبة العرب بلدةً بهذا الاسم نظنُّها هي التي قصدها الشاعر. ولنا على ذلك شاهد صادق في معجم البلدان (١ : ٣٧٣) لياقوت الروميّ قال:

« اندَرِين اسم قرية في جنوبيّ حلب بينهمــا مسيرة يومٍ للراكب في اطراف البريَّة ليس بعدها عمارة وهي الآن خراب ليس بها الَّا بقيَّــة الجدران واياها عنى عمرو بن كلثوم بقولهِ: ألا هبّي (البيت). وهذا ما لا شكَّ فيهِ وقد سألتُ عنهُ اهل المعرفة من اهل حلب فكل وافق عليهِ »

وقد نقل صاحب مراصد الاطلاع على مألوف عادتهِ مُجمل قول ياقوت فاثبتهُ. ولنا ما يؤيد قولها ويزيدهُ بيانًا. فمن ذلك انَّ اخربة اندرين معروفة منذ زمن طويل وموقعها على مســافة نحو مئة كيلومتر (١ من حلب في جنوبهــا الشرقيّ. وكان الرومان يدعونها باسم اندرونة (Androna) وقد وُجدت فيها عدَّة كتابات يونانيَّة (٢ واطلال ابنية واسعة وكنائس عديدة وقلعة كبيرة (Κάστρον) وموقع هذه المدينة في مكان جيّد التربة كثير الخصب ألَّا انهُ خراب. والظــاهر ان اندرين المذكورة كانت بلدة ذات شأن ولعلَّها كانت كرسيًا اسقفيًا

ثم نعلم ايضاً انَّ اندرين التي نحن في صددها لم تكن بعيدة عن منازل بني تغلب

١) وذلك اكثر ممَّا ذكرهُ ياقوت بقولهِ انَّها على مسيرة يوم للراكب

٢) راجع مجموع الكتابات اليونانيَّة CIG 8228-8231 ثم مجموع وادنتون Waddington, 2637 ثم مجلة الجمعيَّة الفلسطينيَّة الالمانيَّة ZDPV, XXII, 133 *etc.* XXIII, 97.

في الشام اعني في الصحراء الشاميَّة الواقعة بين منبج والفرات ورصافة · فلا غرو ان التغلبيين عرفوها ومنها كانوا يسبئون الخمر

ويؤخذ من كتابة اكتشفها المسيو هرتمان (ZDPV,l.c.) انّ اندرين كانت مأهولة عامرة سنة ٥٥٨ للمسيح اعني على عهد الشاعر عمرو بن كلثوم وليس من دليل على انها خربت بعدهُ بزمن قليل · والكتابة المذكورة تفيدنا بان اهلها كانوا يشيّدون بناية كبيرة في السنة المزبورة

٢ وفي الصفحة نفسها من المقتطف ورد ذكر بلدةٍ اخرى لا نوافق جناب امين افندي على تعيينهِ لموقعها · وهي « شِبام » المذكورة في بيت امرئ القيس :

انفٌ كلون دم الغزال مُعتَّقٍ   من خمر عانة او كروم شبامِ

فزعم انَّ « شِبام هو موضع بالشام » : قلنا انَّ شباماً علَم لعدَّة امكنة وهي كلها في جنوبيّ جزيرة العرب كما ورد في معجم البلدان لياقوت (٣ : ٢٤٨—٢٥٠) وفي صفة جزيرة العرب للهمداني (ص ٤٥,٥٧,٧٢,٨٦,٨٧,١٠٥ الخ)

٣ وليس تعريف موقع « وادي جدَر » الذي ورد ذكرهُ في بعض ابيات ابي ذؤيب ونقلهُ الافندي هكذا سهلاً · والبيت :

فما انْ رحيقٌ سبتها التجا   رُ من اذرعات فوادي جَدَرْ

قال الكاتب الفاضل (ص ٢١٠) : « اذرعات هي قرية في حوران ووادي جدَر وهي موضع بالشام (١ » صدق بقولهِ انَّ اذرعات من قرى حوران وامَّا جعلهُ « وادي جدَر » في الشام فليس غايةً في الدقَّة · وقد ذكر ياقوت هذا البيت (٢ : ٤٠) وقال انَّ « جدر قرية بالاردن » لكنَّهُ اورد بعد ذلك بيتاً للاخطل :

كأنني شاربٌ يوم استبدَّ جم   من قرقفٍ ضمَّنَتْها حمصُ او جدَرُ

فقال : هي (جدَر) قرية بين حمص وسَلَمية تُنسب اليها الخمر · وقال في محلّ آخر عند ذكر دير اسحاق (٢ : ٦٤٣) انَّ هذا الدير « بين حمص وسلمية في احسن موضع واتزههِ وبقربهِ ضيعة كبيرة يقال لها جدر التي ذكرها الاخطل »

وقد راجعنا ما لدينا من الرسوم والكتب الحديثة في وصف البلدان فلم نجد محلاً

---

١) وهكذا قال شارح ديوان الاخطل (راجع طبعة الاب صالحاني ص ٩٨ السطر ٦)

يُعرف باسم جدَر ولا موضع دير اسحاق. وليس هذا سبباً للشكّ في عدم وجودهما حيث روى ياقوت بكل دقّة واشار الاخطل الى موقع جدَر بذكرها مع حمص. ومن ثمّ نرى أنْ نُميّز « جَدَر » من « وادي جدر » فجدر هي القرية المذكورة في شعر الاخطل وموقعها بين حمص وسلمية امّا وادي جدر فهي قرية بالاردن كانت تُعرف في قديم العهد عند الروم واليونان باسم جدَرة (Gadara) وهي مُكيْس الحاليّة القريبة من نهر الاردن الواقعة على طريق اربد الى طبريّة او الى الناصرة. ونذكر انّنا وجدنا لمّا مررنا هناك في بعض رحلتنا كروماً واثار معاصر قديمة تشهد على انّ زراعة الكروم كانت شائعةً فيها سابقًا

٤ وقد روى امين افندي (ص ٢١٠) بيتاً لامرئ القيس على هذه الصورة:

كأنّ التجار أصعدوا بسبيئةٍ من الخصّ حتّى انزلوها على يُسرِ

(قلنا) انّنا نرى انّ الرواية الصحيحة لهذا البيت هي « الحُصّ » بالحاء المهملة لا « الخصّ » بالخاء المعجمة. وعلى رأينا انّ الحُصّ هذه هي التي ذكرها ياقوت في معجمهِ (٢ : ٢٧٤) وقال انّها « موضع بنواحي حمص يُنسب اليهِ الخمر » ثم يروي بيتاً لابي محجن:

تُروي بخمر الحُصّ لحدي فانّني اسيرٌ لها من بعد ما قد اسوقُها

نعم انّنا نعلم ان الحاء والخاء رُبّما اختلطا في النسخ القديمة ولكن في شهادة ياقوت ما يزيل الشبهة اذ انّ حصّاً موضع شهيرٌ بخمرهِ وليس للخصّ ذكر في المعاجم وقد ذكر المسيو هرتمان (ZDPV,XXIII,76) انّ على مسافة ٣٠ كيلومترًا شماليّ اندرين بساتين « تُدعى بساتين الحَصّ »(كذا رواها بفتح الحاء) ويشير موقعها الى بلدة قديمة. الّا انّ هذا المكان لا يوافق القرية التي ذكرها ياقوت وقال انّها في جوار حمص. ولم نجد لها في غير كتابهِ ذكرًا

موارنة حلب الشهباء

لحضرة الكاتب الفاضل القس جرجس منش الماروني

تحت عنوان « الاديار القديمة في كسروان » نشر حضرة الاب الفاضل الخوري

ابراهيم حرفوش المرسل اللبناني مقالة مسهبة في السنة المنقضية من مجلّة المشرق الخطيرة ضمّنها فوائد جمّة فاجاد في كثير من المقتبسات التي تنطق بما لحضرتهِ من سعة الرواية والاستقصاء في البحث واستاهل شكرًا لذلك جزيلًا

بيد انهُ قد ذيّل مقالتهُ بحواشٍ عن موارنة حلب الشهباء تحتاج الى التبصُّر واعمال الفكرة لاصلاح فاسد بعضها واظهار خطإ البعض الآخر. ولمَّا كنتُ ممَّن تطالَّ الى الاستفادة وعكف على درس تاريخ الوطن العزيز احببتُ ان اعمل الفكر في ذلك المرئي والمسموع على سبيل التحقيق لا التنديد فاقول وبالله الاستعانة

١ كنيسة السيدة للموارنة (راجع المشرق ٥: ٨٩٧)

قال حضرة الاب ابراهيم حرفوش

« من المعلوم انهُ كان لطائفتنا في حلب عدا كنيسة القديس الياس كنيسة على اسم السيدة » واستدلَّ عليها ممَّا « جاء في ذيل صلوة مديح مريم البتول حيث قال الناسخ: كمل هذا الكتاب المبارك سنة ١٨٣٠ يونانية على يد الحقير الخاطي... يوسف من القرية المحبة للمسيح حصرون وكتبهُ لكنيسة (كذا) مريم القديسة » واستظهر عليها « بان الدويهي وصف قبة مذبح هذه الكنيسة في ص ١٣٢ من المجلد الاول من منارتهِ الخ... »

(قلنا) ليس بمعلوم انهُ كان للموارنة كنيسة على اسم السيدة عدا كنيسة القديس الياس لا في التقليد الشفاهي ولا في سجلّات سائر الطوائف المسيحية التي ذهبت طعام النار في كوائن السنة الخمسين من القرن المنقضي. واماً استدلالهُ بقول ناسخ صلوة مديح مريم « ܠܐܝܩܪܐ ܕܡܪܝܡ ܩܕܝܫܬܐ » فان الناسخ يريد انهُ كتب كتاب المديح « لاجل او لاكرام مريم القديسة » لا « كتبهُ لكنيسة مريم القديسة » كما ترجم حضرة الاب. وحسبك ان « المهمّ في هذا الكتاب المبارك الاخ الخوري فرج » يقول في حاشية أخرى في الكتاب نفسهِ انهُ « اوقفهُ للقديس مار ايلياس في حارة الجديدة » فلو كان للموارنة كنيسة على اسم السيدة عدا كنيسة القديس الياس الشهيرة لما كان المهمّ بنسخ الكتاب خالف ناسخهُ واوقفهُ على كنيسة مار الياس وهو كتاب مخصوص بمدح مريم البتول كما لا يخفى. واماً استظهارهُ بوصف الدويهي قبة مذبح هذه الكنيسة اي كنيسة السيدة فهو مخالف لمعنى الدويهي فانهُ يريد

كنيسة السريان الكاثوليك او كنيسة الارمن الغريغوريين والارجح الاولى (١ وناهيك ان الدويهي لا يذكر انها للموارنة فلو كانت لهم لما تأخر عن تخصيصها بهم وهو يذكر احطّ منهـا من حوادث الموارنة واشيائهم كما يعلم كل من طالع تآليفهُ العديدة فتأمل

٢ دخول الموارنة الى حلب (راجع المشرق ٥ :١٠٣٩)

ثمّ ان حضرة الاب اتى على زمن دخول الموارنة الى حلب وهو المروي عن سجل اسقفيتهم الذي يذكر اسماء الكهنة الذين توفوا ودُفنوا في كنيسة مار ايلياس منذ دخول الطائفة المارونية حلب سنة ١٤٨٩ فرمى حضرة الكاتب هذا الكلام على عواهنهِ كما رآهُ دون بحث كافٍ واليك البيان فان كاتب السجل لم يبدأ بهِ سنة ١٦٨٠ كما ظنّ حضرة الاب بل بدأ بهِ بعد ذلك بازمان لان كاتبهُ او جامعــهُ هو المطران جرمانوس حوّا (٢ كما يُلمح من مطلعهِ وقد اخذ معظمهُ عن بعض افادات حرَّرها السيد العلّامة جرمانوس فرحات الشهير في ذيل بعض مترجماتهِ الطقسية الباقي بخطهِ حتى هذا العهد في المكتبة المارونية بحلب. بيد ان هــذا السجل مغلوط ايًّا كان كاتبهُ او مؤلفهُ واعظم دليل على انّ كاتبهُ قليل التحقيق انهُ يجعل اول اسقف لحلب المطران جبرائيل البلوزاني في حين انهُ قد سبقهُ اكثر من ثلاثة اساقفة على مطرانية حلب المارونيَّة. ومهما كان من الامر فان الطائفة المارونيَّة لم تدخل في سنة ١٤٨٩ كما جاء في السجل المذكور لان جبرائيل القلاعي الشهير وان قال عنــد كلامهِ عن توما الكفرطابي « ان الموارنة لم يكن لهم مطران في كورة حلب » فانهُ يقرّر بان الموارنة كانوا في حلب في أيام الكفرطابي اي القرن الحادي عشر والثاني عشر وان لم يكن لهم مطران في ذلك الزمان (٣ وناهيك ان في يدي اثرًا جليلًا يثبت وجود الموارنة بحلب في العصر الثالث عشر فكيف انقرض هؤلاء الموارنة القدماء من الشهباء في الدهر الرابع عشر ليخلفهم

١) كلا الكنيستين القديمتين على اسم السيدة بيد انهُ لا يمكن تعيين الكنيسة التي يريدها الدويهي منهما لان النار التهمتهما في السنة الخمسين المذكورة

٢) ارتقى الى الاسقفية سنة ١٨٠٤ وقضى نحبهُ في عام ١٨٢٧ للمسيح

٣) انظر ص ٣١٧ من روح الردود وص ٣٣٩ من تاريخ الموارنة للدويهي

الموارنة الحدثاء في القرن الخامس عشر فهذا من الامور الصعبة التوفيق وليس باليد ما يثبت الانقراض اثباتًا باتًا. فغاية ما يجب ان يؤوَّل بهِ ما ورد في السجل السابق الذكر ان الارتحالات المارونية من لبنان الى حلب الشهباء ابتدأت منذ القرن الخامس عشر الى ان كثرت في القرن السادس عشر كما يعلم اهل البحث والاطلاع على عمومهم. هذا ولا ينكر بان موارنة حلب لم يكن لهم اسقف قبل القرن السادس عشر كما سنبينهُ في غير هذه المقالة وان كهنتهم كانوا من لبنان قبل العصرين الاخيرين كما نبَّه عليهِ صاحب التاريخ الكنائسي الذي مرَّ شيء من وصفهِ في السنة المنقضية من المشرق الانور فتبصَّر

٣ حكاية زقاق الاربعين (راجع المشرق ٥ : ١٠٣٩)

ثم ان الاب ابراهيم حرفوش حكى حكاية زقاق الاربعين فروى « التقليد الشائع... ان الزقاق المسمَّى حتى اليوم في حلب زقاق الاربعين سُمّي كذلك من الاربعين عائلة مارونية التي اتت من شمالي لبنان ». (قلنا) لا ريب في ان هذا التقليد شائع في حلب الشهباء ولكن شيوعهُ ليس عند الموارنة فقط بل عند الروم ايضاً ويزعمون ان هذه العائلات ليست مارونيَّة فقط بل ملكيَّة ايضاً وليست من لبنان فقط بل من حمص وحماة ايضاً فيا ترى ايُّ هذه الاقوال الصادق وايُّها الكاذب. وامَّا مصدر هذا التقليد فيما زعموهُ فهو محبُّ الدين محمد بن الشحنة (١ صاحب تاريخ روضة المناظر في اخبار الاوائل والاواخر الذي اشتهر في زمن غزوة تيمرلنك الشهير. ولكنني قد راجعت تاريخَي ابن الشحنة المتوسط والصغير (٢ فلم ارهُ يذكر زقاق الاربعين بتةً ولا يذكر التقليد المحكيَّ عنهُ اصلًا وكيف يذكر امرًا جرى بعدهُ بنحو تسعين سنة كما سترى في الفقرة التابعة. وغاية ما رأيتهُ في التاريخين المتوسط والصغير ان ابن الشحنة يذكر باب

١) حكى ابن الشحنة عن نفسهِ ان مولدهُ سنة ٧٤٩ ﻫ (اي سنة ١٣٤٨ م) وان عمرهُ في عهد تيمور (اي سنة ١٤٠٠ للميلاد) اربع وخمسون سنة

٢) رُوي ان ابن الشحنة ألَّف ثلاث تواريخ لحلب الكبير والوسط والصغير ويُعرَف اليوم منها الصغير والوسط وامَّا الكبير فهو مفقود. (راجع الصفحة ١٢٧ من تحف الانباء في تاريخ حلب الشهباء لبينوف الجرماني)

الاربعين مرَّاتٍ ويقول انهُ يقع في القرب من باب النصر (١ وفي القرب من محلّة الفرافرة. ثم يأتي في موضع آخر على سبب تسمية الباب بالاربعين فيقول: « اختلفوا في تسميتهِ بهذا الاسم فقيل انهُ خرج منهُ مرَّةً اربعون الفًا فلم يعودوا فسُمّي بذلك . . . وقيل لانهُ كان بالمسجد الذي داخلهُ اربعون من العبَّاد وقيل اربعون محدّثًا وقيل كان بهِ اربعون شريفًا والى جانب اعلى المسجد للاشراف مقبرة ». انتهى نقلًا عن الباب السادس « في ذكر عدد ابواب حلب » من مختصر تاريخ ابن الشحنة

فترى ان البعض من اهل التقليد حكموا عن زقاق الاربعين ما حكاهُ ابن الشحنة من باب الاربعين مع تغيير يسير يظهر لكل ذي عينين وفي عَزْوهم هذا التقليد اليهِ اعظم دليل على هذه المغالطة الواضحة لاهل البصيرة والبصائر

واني بعد هذا لا اقدم على القطع بسبب تسمية زقاق الاربعين (٢ لانهُ دون ذلك شبهات لا تكشفها الدلائل المعروفة كما سبق في سبب تسمية باب النصر. ولا يخفى ان قضية الحكم على نظائر هذه الاسباب من اشدّ القضايا مراسًا واعسرها مطلبًا في تاريخ حلب الشهباء لما يعترض في سبيلها من العقبات والشبهات التي يقف عندها المؤرخ حائرًا مترددًا دون ان يتهيَّأ لهُ الحكم فيها على وجهٍ يأمن معهُ الوهم والخديعة وذلك لخفاء كثير من صحيح اخبار ذلك العهد وضياع معظم ما اختصَّ بهِ من الكتابات والمصنفات

هذا ما بدا لي في حكاية زقاق الاربعين فهلمَّ بنا نعمل الرويَّة في عصرها. ليظهر فسادها تمامًا

---

١) قال ابن شداد في تاريخهِ: ويلي باب الاربعين المقدَّم ذكرهُ من الجهة الشمال باب النصر وكان يُعرف قديمًا بباب اليهود لان محالّ اليهود من داخلهِ ومقابرهم من خارجهِ فاستقبح الملك الظاهر وقوع هذا الاسم عليهِ فسمَّاهُ بباب النصر. قال ابن الشحنة: والظاهر انهُ لا بُدَّ لتخصيصهِ بهذا الاسم من سببٍ لكن لم يذكر ابن شدَّاد ولا ابن الخطيب بعدهُ لذلك من سبب والله تعالى اعلم

٢) تضاربت الاراء في سبب تسميتهِ بهذا الاسم فقيل لانهُ عُمّر باربعين عائله نصرانية وقيل لانهُ شُيد بهِ اربعون دارًا في اوّل الامر وقيل لانهُ كان يؤدّي اليه من باب الاربعين وقيل بل لانهُ كان بهِ كنيسة على اسم الاربعين شهيدًا الى غير ذلك من الاقوال المتضاربة التي لا تتجاوز حدّ الحدس والتخمين

٦ عصر الحكاية المزعومة (راجع المشرق ٥ : ١٠٤٠)

ثم ان حضرة الكاتب اتمّ الحكاية المذكورة بتحديد عصرها فقال انَّ هذه الاربعين عائلة قدمت حلب في « ايَّام السلطان الغازي سليم وحلّوا في حلب لتعاطي التجارة »

لا مشاحَّة في ان الذين يذهبون الى اثبات هذه الحكاية المزعومة يقولون ان هذا السلطان الفاتح لمَّا دخل الشهباء سنة ٩٢٢ ﻫ (اي سنة ١٥١٦ م) ظافرًا بالغوري آخر ملوك الجراكسة بحلب ولم يجد فيها احدًا من النصارى آمر فاحضروا منهم اربعين عائلة من شمالي لبنان في وهم قومٍ او من حمص وحماة في زعم آخرين وهو كلام لا يخرج عن حدّ الاوهام كما ترى فيما يأتي :

اوّلًا ان ابن الشحنة الذي اسندوا اليهِ الحكاية الموهومة ولد سنة ١٣٤٨ للميلاد وادرك تيمرلنك سنة ١٤٠٠ وما من قائل انهُ عاش الى سنة ١٥١٦ اي مئة وثماني وستين سنة حتى يدرك السلطان سليمًا ويتكلم عمَّا جرى في عهدهِ. ثانيًا اني لا آخذ على حضرة الاب سوى ايرادهِ هذه الحكاية التي جرت بعد سنة ١٥١٦ على علاَّتها مع انهُ اعتمد على السند الماروني القائل بان الطائفة المارونية دخلت حلب سنة ١٤٨٩ اي قبل الحكاية المزعومة بنحو ثلاثين سنة. ثالثًا قد رأى حضرة الاب ان المطران انطونيوس كان مطران حلب والشام وجبة بشراي (١ في سنة ١٥٢٧ م فهل تكاثر الموارنة بحلب في احدى عشرة سنة الى حدّ ان يُقام عليهم اسقف. رابعًا قد روى حضرتهُ ان في مكتبة مار شليطا كتاب فرض الشعانين والناسخ يقول انهُ برسم كنيسة حلب لجماعتنا السريان سبط الموارنة الساكنين في جبل لبنان المبارك (٢ وهو مخطوط سنة ١٤٩٥ اي قبل عهد الحكاية المزعومة باحدى وعشرين سنة. خامسًا ان ليونار آبل (ابيلا) قاصد البابا غريغوريوس الرابع عشر سنة ١٥٨٢ يروي في كتاب رحلتهِ انهُ اجتمع بالبطريرك ميخائيل الحموي مرارًا في حلب وعرض عليهِ صورة ايمان

---

١) انظر ص ٨٩٧ من السنة الخامسة للمشرق الاغرّ

٢) راجع ص ٨٩٦ من سنة المشرق المذكورة

الكنيسة الرومانية فقبلها طوعاً واقرّ بها بين يديهِ ووقّع عليهـا بختمهِ وامضائهِ بتمام المسرّة والرضى وكان وقتئـذٍ قد بلغ الثمانين من العمر[١]. سادساً ان تاريخ الآباء... الفرنسيسيين يفيد عن دخولهم الى حلب وتسليمهم كنيستهم للموارنة وهي كنيسة القديس الياس المقدم ذكرها مرارًا الى غير ذلك ممَّا سبق عهد الحكاية الوهمي بازمان على ما تراهُ مبسوطاً في غير هذه المقالة. فهل يظنّ ظانّ بعد هذا ان ذاك التقليـد راهن يعتمد عليهِ كاتب او مؤرخ

وناهيك ان ابن الشحنة الذي يعزون اليهِ ذاك التقليد المزعوم يأتي بذكر النصارى في عهدهِ مرّاتٍ قال في مختصر تاريخهِ: « في بُراق[٢] من اعمال حلب معبـد يزورهُ المسلمون والنصـارى » وقال في موضع آخر: « في شمالي حلب عمود تنذر لهُ المسلمون والنصارى واليهود يقال ان تحتهُ قبر نبيّ » وقال ايضاً ما حرفهُ: « وحارة النصارى هي المعروفة بالجُديدة بالتصغير ». فهل يجوز بعد هذا ان يقال ان النصارى لم يكونوا بحلب قبل السلطان الغازي سليم الاوّل

فالصحيح في توجيهِ ذاك التقليد ان طائفة من أُسر النصارى قدمت من حمص وحماة ولبنان لاستيطان حلب عقيب انتصار السلطان سليم على الغوري لِما كانت حصلت عليهِ النصرانيّة من السلام والامان منـذ تملُّك الدولة العليّـة كما هو مشهور فاخذ الأحفاد يتناقلون هذه الانباء والاعقاب يتوسعون في روايتها حتى جاءت كما رأيت آنفاً

وفي الختام ارجو العفو من الاب ابراهيم حرفوش واسألهُ ان لا يحسبني من المتطفلين في ما ابنتُهُ من الاوهام في تاريخ وطني العزيز واستزيدهُ من نشر مثل مقالته المفعمة بالفوائد التاريخيّة التي تكشف القناع عن بعض آثار الشرق والسلام

(المشرق) قد اطّلع حضرة الاب ابراهيم حرفوش على هذه المقالة فارسل لنا الملاحظات الآتية عليها فقال:

١ً) انَّ قول حضرة المنتقد انَّ كنيسة السيّدة التي ذكرها العلّامة الدويهيّ هي للسريان

١) طالع ص ٥ من السنة الثالثة من مجلة الشرق المسيحي او ص ١٩٨ من كتاب خزائن الكتب في دمشق وضواحيها لجناب الاديب حبيب افندي الزيّات

٢) قال ياقوت بُراق من قرى حلب بينهما نحو فرسخ

او للارمن لا نراهُ مبنيًّا على حجَّة راهنة لان مدار كلام الدوجي على أُمور طائفتهِ لا على طائفة اخرى ولو اراد السريانَ او الارمن لصرَّح عن الامر. وكذلك نتعجَّب من حضرتهِ اذ يقول انَّ سجلَّ الطائفــة لا يذكر هذه الكنيســة وهو مع ذلك يخطّئ السّجلّ المذكور في امور اخرى. وما ادرانا انَّ ذكر هذه الكنيســة ما ورد في سجــلٍ اقدم عهدًا التهمهُ الحريق كما التهم سجلات بقيّة الطوائف

٢ً) كيف يثبت حضرتهُ ان جامع السجل هو المطران جرمانوس حوّاء حقيقةً

٣ً) كيف يرمي حضرتهُ كاتب السجل بالغلط وقد اعتمد عليهِ فيما اوردهُ من الافادات بشأن تاريخ اساقفة حلب في كرَّاستهِ المتضمّنة النهـانيّ المرفوعة لسيادة المطران يوسف دياب الجزيل الاحترام. ثمَّ من هم الاساقفة الذين سبقوا جبرائيل البلوزاني على كرسي حلب؟

٤ً) ما لحضرتهِ لم يذكر الاثر الذي في يديهِ مثبتًا وجود الموارنة في القرن الثـالث عشر فانَّ ابرادهُ لمن شأنهِ ان يكشف القناع عن تاريخ طائفتنا في الشهباء

٥ً) قولنا في المطران انطونيوس انهُ كان مطرانًا على حلب والشام وجبَّة بشرّاي ليس رأينا الشخصي بل هو للمطران انطونيوس نفسهِ كما تراهُ في الكتابة التي علَّقها بيدهِ على الكتاب الخامس الوارد ذكرهُ في المشرق (٥: ٨٩٧). اماَّ اعتراض حضرة الاب منش بانهُ يبعد عن الصواب انَّ الموارنة كثروا بمدَّة ١١ سنة الى حدّ ان يقام لهم اسقف فالجواب انَّ ذلك لم يكن نظرًا لكثرة عددهم بل لبعد مزارهم ليتمكَّن الاسقف من تفقُّد شؤونهم لاسيَّما في ذلك العهد اذ كان الاساقفة يقيمون بجوار السيّد البطريرك يوجّههم حيثما شاء بصفة نوَّاب. فلماَّ عهد البطريرك الى المطران انطونيوس بزيارة الشام وحلب وجبَّة بشرَّاي دعا ذاتهُ مطرانهـا. وهذه العادة في طائفتنا استمرَّت الى زمن المجمع اللبنـاني الذي قسم الابرشيَّات وحدَّدها كما ترى في اعماله. فامكن اذن المطران انطونيوس ان يزور الموارنة بعد حلولهم حلب باحدى عشرة سنة ليتفقدهم. ويُستَدلّ من السجل نفسهِ على انَّ اساقفة حلب الاوَّلين قبل جرمانوس فرحات كانوا يسكنون لبنان ويزورون رعاياهم حينًا بعد حين

٦ً) يؤخذ علينا انَّا استندنا الى السجلّ والتقليد في شأن زقاق الاربعين مع ان الفرق بين الحادثين ثلاثون سنة لانَّ الفرض تقريب العهد في امر تاريخ حلول الطائفة في حلب اعني حلولهم في القرن الخامس عشر سندًا الى الرواية والسجل وان كان بينهما بعض الفرق والقصــد من ذلك انَّ الاربعين العائلة التي حلَّت في زقاق الاربعين زادت الموارنة شهرةً واسماً. على اني لا انكر الغموض في هذه الحادثة وان امكن حضرة الاب منش ان يبيّن بوجهٍ صريح وجود الموارنة في حلب في الجيل الثالث عشر اذعنت لقولهِ بطيب الخاطر. وعلى كلّ حالٍ اني اشكرهُ على ما يبذلهُ من التنقير في هذه الحادثة التاريخيَّة واتمنّى ان يهتدي الى ما يكشف بهِ القناع عنها تماماً

(المشرق) مماَّ استنسخهُ حضرة الاب انطون ربَّاط في مكاتب باريس مذكَّرة للسفــير الفرنسوي دي جرردين (de Girardin) ورد فيها بعض فوائد عن كنيسة الموارنة في حلب (Bibl. Nat. Ms fr. 7162) فقال في تاريخ سنة ١٦٨٦ انَّ المرسل اليسوعي الاب ديشان لحبهِ للطائفة المارونية سأَلهُ ان تُقدَّم عريضة للباب العالي يُطلب بها توسيع كنيسة الموارنة في حلب.

ومماً جاء في هذه العريضة ما تعريبهُ :« انَّ الموارنة كانوا قبل نحو خمسين سنة عددًا قليلًا جدًّا فأُعطيت لهم لصلاتهم غرفة قريبة من كنيسة الارمن لا يدخلها الَّا ٤٠ او ٥٠ نفسًا . ثم زاد عددهم مؤخرًا بمجيءُ عائلات كثيرة من لبنان استوطنت حلب . . . حتَّى اربى على ٤٠٠٠ . . . وعليهِ فيطلبون ان يوسّعوا هذه الغرفة بان يضيفوا اليها مخزنًا لا يحجزهُ عنها الَّا حائط بفتح باب يؤدي الى دارٍ تكون كمدخل للكنيسة . . . » . فلعلَّ الابوين الفاضلين ابراهيم حرفوش وجرجس منش يجدان في هذه العريضة التي كتبها موارنة حلب سنة ١٦٨٦ فائدة . وكان الكاڤليار دارڤيو (Ch. d'Arvieux) كتب في رسالة خطيَّة تاريخها سنة ١٦٧٥ انَّ عدد الموارنة في حلب ١٥٠٠ والروم ٦٠٠٠ والسريان ٤٠٠٠ والارمن ٥٠٠٠

الأثير او الفلك العالي

لحضرة الاب فردريك دي بلنياي اليسوعي

لا يستطيع احد ان يطالع كتابًا علميًا دون ان يجد فيهِ ذكر الاثير مكرَّرًا . وليس كلامنا هنا عن ذلك السائل الطيَّار السريع الالتهاب الذي يُنال بالاستقطار ويستعمل في تبنيج المرضى وكثير من اعمال الجراحة او الطب وانَّما المقصود سائل آخر غاية في اللطف يُفترَض وجودهُ وان لم يقع تحت الحواسّ وهو ينفذ في كلّ الاجسام وفي كلّ خلاء وبتموُّجهِ تفعل فينا العوامل الطبيعيَّة من النور والحرارة والكهرباء

وقد تأوَّل فيهِ القدماء التأويلات العديدة ودعاهُ اليونان بالاثير العالي او الاثير المنير وكانوا يزعمون انَّ منهُ مادَّة النار كما انَّ جوهرهُ احد مكوّنات العالم . امَّا المحدثون فاصلحوا كثيرًا من مزاعم الاقدمين في هذا الصدد وان لم يتَّفقوا على اوصافهِ

ولذلك رأينا ان نبحث عمَّا كتبهُ العلماء في هذا الشأن ونستخلص ما تقرَّر في حقّ هذا العنصر الغريب فنعرّف شيئًا من خواصهِ ومميّزاتهِ . ولمَّا كانت العلوم الطبيعيَّة تبني مباحثها على امور وضعيَّة فلنبدأ بالمرئيَّات راقين من المعلول الى العلَّة

١ حقيقة الأثير

انهُ لبديهيٌّ انَّ الكواكب ترسل الينا باشعَّتها ولولا ذلك لما شعرنا بنورها . والحال لنَّ هذا النور قبل ان ينفذ في جوّنا لا بُدَّ لهُ ان يجتاز مسافاتٍ لا تُحصى ليس فيها غير الخلاء . والدليل على ذلك ان جوَّنا هذا تنقص كثافتهُ على قدر ما نرقى في طبقاتهِ العليا . وهو ينتهي حيثما يبطل فعل ثقل الارض اعني عند الحدود التي لم تعُد الارض

كافيةً لجذب دقائقها الجوّيّة . فان كان اذن نور الكواكب وحرارة الشمس يبلغان حتى كرّتنا لزم القول انَّ كليهما ينتشران في الخلاء . ولنا شاهد حسّي على ذلك في مقياس الحرارة اذا جعلتهُ في وسط آلة التفريغ ثم افرغتَ منها الهواء فانَّ الخلاء لا يمنع نظر المقياس وكذلك الحرارة الخارجيَّة تفعل في المقياس كانَّهُ في الجوّ

وليس الحرارة والنور وحدها يتصلان بنا مارّين بالخلاء لكن الجاذبيّة ايضاً فان الافلاك كلّها يجذب بعضها بعضاً على حسب قانون معلوم سبق الى اكتشافهِ نيوتن الشهير فقال: « ان الاجسام تتجاذب بالنسبة الى اجرامها وبعكس مربَّع مسافاتها »: ولا يخلّ بهذه القاعدة وقوع الخلاء بين الاجسام

فهذه نتائج اكيدة مقرَّرة لا يمكن نكرانها ولكنَّها تستدعي شرحاً يرتاح اليهِ العقل . فان استفتينا العلماء وجدناهم صوتاً واحداً على انَّ في هذه المسافات الخالية وسيطاً لنقل النور والحرارة والكهرباء والجاذبيَّة . والسَّبب انَّ الاجسام لا يمكنها ان تعمل بعضها في البعض ما لم يُوصِل بينها واصلٌ كما يثبت ذلك الفلاسفة . والعمل عن بعد بلا متوسط من المستحيلات

ولكن تُرى ما هي حقيقة هذا الوسيط أهو عرضٌ ام جوهر ؟ ذهب البعض الى انَّهُ عرضٌ اي انهُ كتموُّج او قوَّة وما اشبه ذلك . لكنَّ هذا المذهب باطل اذ لا يقوم العرض طبيعيّاً الّا في الجوهر . وكذلك ليس من تموُّجٍ او قوَّةٍ الّا بعنصر مُمَوَّج او بذي قوَّة . فلا ندحة اذن من القول بان هذا الوسيط جوهر حقيقيّ

وان سألتَ عن كُنه هذا الجوهر وجدتَ العلماء على رأيين يُدعى احدها راي التبعُّث (émission) والآخر راي الاثير فالذين يرتأون الراي الاوَّل وهو راي نيوتن يزعمون انَّ هذا الجوهر يتركَّب من دقائق غاية في اللطافة تصدر بها الاجرام العلويَّة فتملأ بها الفضاء . امَّا اصحاب الراي الآخر فيرون انَّ الخلاء نفسهُ يتركَّب من مادَّة ثابتة تملأ كلَّ الفضاء العلويّ وبها تمرُّ التموُّجات النوريَّة التي تنبعث من الاجرام الفلكيَّة وهذه المادَّة هي الأثير وقد تغلب اليوم هذا الراي الثاني يتبعهُ اكثر العلماء وذلك لاسباب نذكر بعضها :

الاوَّل انَّ مذهب نيوتن يفسّر انتشار النور من الافلاك الى ارضنا لكنَّهُ لا يُعلّل الجاذبيَّة العموميَّة بتَّةً

الثاني انَّ هذه الدقائق المشعَّة لو انبعثت من الاجسام المنيرة لأثَّرت فيها جاذبيَّة الافلاك التي تمرُّ في وسطها فلا يدرك العقل كيف تأتينا على خطٍ مستقيم وبسرعة واحدة مع اختلاف العوامل التي تتجاذبها

الثالث انهُ لو صحَّ راي القائلين بهذا التبعُّث لكانت حرارة الاشعَّة تنمو على قدر ارتفاعنا في الجوّ. والامر على عكس ذلك كما يشهد الراقون بالمناطيد الى العلاء فانَّهم يشعرون ببرد قارس يخدّر اعضاءهم ويزداد كلَّما ارتفعوا ويرون السماء فوق رؤوسهم حالكة كما في الليل

الرابع انَّ اصحاب التبعُّث كانوا زعموا انهُ لو قيست سرعة مرور الشعاع المنير في الماء لوُجدت اخفَّ من سرعة مروره في الجوّ. وكان الرأي المخالف يرى عكس ذلك. فلمَّا أُجري هذا الاختبار في الاعماق البحريَّة تقرَّر انَّ سرعة النور في الماء ثلاثة ارباع سرعته في الهواء فبطل اذن زعم اهل الانبعاث

خامساً قد اثبت العلاَّمة فرنيل (Fresnel) انَّ للنور تموُّجات كما للصوت. وهذه التموُّجات ترتفع وتنخفض كما ترى في حلقات الماء لو القيتَ فيهِ حجرًا. فاذا ارسلتَ على حاجزٍ اشعَّة مصباحين منيرين بنور متساوٍ رأيت على الحاجز شِقَقًا منيرةً جدًّا وشققًا مظلمةً سوداء. فالشقق المنيرة تصدر من التقاء موجتين نوريَّتين متشابهتين اي مرتفعتين او منخفضتين امَّا الشقق السوداء فتنتج من التقاء موجتين متضادَّتين مرتفعة فمنخفضة لانَّ الواحدة تبطل الأُخرى فتحصل الظلمة. كما يجري في الماء لو ادركتْ موجة مرتفعة موجةً منخفضة فترى الماء ساكنًا. فهذا الامتحان يُبطل زعم نيوتن تمامًا في مذهب الانبعاث اذ لا يُفهم كيف انَّ زيادة النور تُنتج ظلمةً. وهو بخلاف ذلك يؤيد مذهب القائلين بالاثير

هذه الاسباب التي حملت العلماء على اهمال مذهب الإشعاع والقول بانَّ الاثير يملأُ كلَّ المسافات الواقعة بين الافلاك

٣ خواص الاثير

ان كان وجود الاثير امرًا ثابتًا في عالم العلم. ليس تعريف خواصّهِ كذلك فانَّ العلماء لا يزالون مرتابين في وصفها وانَّما يرجحون فقط هذه الخواصّ ونحن نتأثَّرهم في ذلك

١ (انتشارهُ العامّ) الاثير مُنتشر في كلّ مكان بين دقائق الاجساد وخارجًا

عنها. ولو افرغت حُجرةً من الهواء تماماً لبقي فيها الاثير لا تعمل فيهِ آلات التفريغ. ولا يمكننا ان نشعر بهذا العنصر اللطيف اذ ليس بيدنا مقياس نقيسهُ بهِ او نعرضهُ عليهِ

ولعلّك تعترض قائلًا فان كان الامر كذلك ما لبعض الاجسام تكون كثيفةً لا ينفذ فيها النور ولا الحرارة ولا الكهرباء. أفما كان ينبغي ان تعمل هذه العوامل في كل الاجساد والاثير داخل في دقائقها ؟

نجيب انَّ كثافة الاجساد ليست مطلقةً وانَّما تُحسَب كذلك بالنسبة الى غيرها. أفلا ترى مثلًا عدَّة موادَّ كانت معدودةً بين الاجساد التي يُستشَفّ النور من ورائها وهي اليوم تُرى شفَّافةً تخترقها اشعَّة رُنتجن. وكذا يُقال عن بقيَّة الاجسام الكثيفة فانَّ كثافتها عرضيَّة والدليل على ذلك انَّ المعادن والحجارة اذا طُرقت ورُقّقت رُؤي من ورائها النور وامكن درس تركيبها بالمجهر. وان بحثت عن سبب كثافتها فالمرجح انَّ المعادن تمتصّ الاشعَّة النوريَّة الواقعة عليها فتبطل فعلها. امَّا الاحجار فلأنَّها تتركَّب من عدَّة اجسام متبلورة ودقائق مختلفة الهيئة فاذا وقعت عليها الاشعَّة النوريَّة انكسرت تموُّجاتها فتبدَّدت. كما لو اتَّخذت موشورًا من زجاج كان جانبان من جوانبهِ على شكل زاوية قائمة فاذا وقع شعاع من النورِ على احدهما بخط مستقيم نفذ الى الجانب الآخر دون انحرافٍ لكنَّهُ ينعكس انعكاساً تامًّا بالنسبة الى الجانب الثالث اعني الى وَتَر هذه الزاوية القائمة فلا ينفذ منهُ ولا يُرى البتَّة بحيث يصحّ القول انَّ هذا الجانب عرض لهُ كثافة تامَّة. واذا افترضت جسماً يتركَّب من موشورات عديدة على هذه الصورة تضعضع نورها منعكساً فلا يُبصَر اصلًا. وعليهِ فان الكثافة ليست بمانع يصدُّ الاثير في باطن الاجساد المُصمتة نفسها

وان سألت ما رأينا في الكهرباء أيوجد اجسام كثيفة بالنسبة اليها اعني لا تنفذ فيها الكهرباء. نقول ان كان الكلام عن الكهربائيَّة العاديَّة الشائعة فانهُ مقرَّر انَّها لا تنفذ في كلّ الاجسام. ولكن ليس الامر صحيحاً في كلّ ضروب الكهرباء

ومسير الكهرباء على طريقتين منها ما يتبع الاسلاك المتكهربة ومنها ما ينتشر على هيئة التموُّجات كما ثبت مؤخرًا باكتشاف العلاَّمة هِرْتس ولذلك دُعي هذا الصنف من الكهرباء باسم التموُّجات الهرتسيَّة ويراد بها الكهرباء المشعَّة. وهي تنفذ في الاجسام التي لا تعمل بها الكهرباء العاديَّة وعلى خلاف ذلك الاجسام التي

تنفذها الكهرباء العادية لا تخترق الكهرباء المشعة . فهاتان الكهربائيتان اذن على طرفي نقيض

٢ (لطافة الاثير) لا يشكُّ احد من العلماء في انَّ الاثير لا يقع تحت الحواس . ولكن هل هو لطيف خالٍ من كل كثافة ؟ او ليست لطافتهُ موهومةً لخلوّنا من كل مقياس نقيس بهِ كثافتهُ وذلك لدقَّة اجزائهِ التي لا تدركها حواسّنا ولا تشعر بها آلاتنا القياسيَّة . تلك مسألة عويصة لم يحكم العلماء فيها الحكم الفصل . وقد ارتأى اللورد كِلْفِن (Kelvin) انَّ للاثير كثافةً اذا قيست بكثافة الماء كانت بنسبة $\frac{1}{1000000000000000000000}$. وقد وافقهُ على هذا الرأي العلَّامة فرينل لمَّا ذهب الى انَّ الاجرام المتحركة تجذب بسيرها قسماً من الاثير . وقد نكر غيرهما من العلماء هذه الكثافة . ويبنون نكرانهم على انهُ لو كان للاثير ثقلًا نوعيًا لصحَّت فيهِ نواميس الثقل وكان ثقلهُ مختلفًا على اختلاف طبقاتهِ فتنحرف بسبب ذلك اشعَّة نور الكواكب ويتأجَّل سيرها . وعلى كل حال فان كان الاثير ذا كثافة فانَّ كثافتهُ في منتهى القلَّة

٣ (عدم انضغاط الاثير) ومن غريب خواصّ الاثير انهُ مع لطافتهِ لا يكاد يقبل الانضغاط . فكيف التوفيق بين هاتين الخاصَّتين

امَّا كونهُ لطيفًا فيعرف من الرجوم والنيازك التي تقع على الارض فانها اذا بلغت جوَّنا التهبت باحتكاكها وذاب من سطحها نحو ملمتر . فاذا فحصنا داخلها وجدناهُ سالمًا وذلك دليل على انَّها لم تبلغ جوَّنا متَّقدةً وانَّ سبب اتّقادها ما تلقاهُ من الضغط في جوّنا . فاذن لم تجد ضغطًا فوق جوّنا والاثير غاية في اللطافة

امَّا كون الاثير لا يقبل الانضغاط فيظهر من انتشار النور الذي يتموَّج بفعل الاجسام المنيرة . لأنَّهُ لا يمكن جسمًا ان يتموّج ويهتزّ الَّا اذا صَلُبَ وتوتّر وامتنع من الانضغاط لانَّ التموُّج والاهتزاز لا يتمَّان الَّا بانتقال الحركة من ذرَّةٍ الى اخرى . ولو ضعفت الذرَّة الاولى عن قبول الحركة لتلاشت معها ايضًا القوَّة الاصليَّة بعد قليل . وبعكس ذلك اذا كانت الذرَّة الاولى صلبةً لا تنضغط انتقلت القوَّة منها الى الثانية فالثالثة حتى حدود الجسم الاخيرة بسرعة دون فقد شيء من القوَّة الباعثة . فالصلابة اذن هي الشرط اللازب لنقل هذه الحركة وسرعتها وبقدر ما تزيد هذه الصلابة وقلَّة

الانضغاط تزيد ايضاً السرعة وتحفظ القوّة الاصليّة

مثال ذلك ان سرعة انتشار الصوت في الماء اربعة اضعاف سرعته في الهواء لقلّة انضغاط الماء بالنسبة الى الهواء. وهو ينتشر في الحديد المذاب اكثر من انتشاره في الماء بمرّتين ونصف. فترى من هذه الحسابات كم هي صلابة الاثير وقلّة انضغاطه لانّ النور ينتشر فيه بالثانية على مسافة ٣٠٠,٠٠٠ كيلومتر

ولكي تفهم الامر بنوع حسّي افترض انبوبة مملوءة ماء تمتدّ من اوربّة الى اميركة فاذا حدث في راس الانبوبة ركز شُعر به في الرأس الآخر بعد ثلاثة ارباع الساعة. امّا اذا كانت الانبوبة مملوءة اثيرًا فشُعر بالصوت بعد ١٠٠٠/١ من الثانية. فلو كان الجسم لا يقبل الضغط بتّة لشُعر بهذا الصوت للحال دون تباطوء فترى انّ الاثير لا يكاد يقبل الضغط

ولسائل ان يسأل وكيف يمكن جوهرًا ذا لطافة في الغاية ان يتّصف بمثل هذه الصلابة ؟

لنا في بيان هذا الامر عدّة آراء يعرضها ارباب الطبيعة: الرأي (الاوّل) رأي القائلين بأن الاثير صلبٌ في ذاته غير قابل الضغط وانّ حركتهُ عرضيّة. وهم يتمثّلون بمثل قرص من القير البُرغندي الشديد الصلابة اذا جُعل عليه رصاصة اثّر فيه ثقلها الى ان تنفذهُ وتخرقهُ. ويذكرون ايضاً مثال قطعة كبيرة من جليد اذا مُدّ فوقها سلك حديد يضغطها نفذ فيها السلك شيئاً فشيئاً دون ان يُبقي اثرًا لحزّهِ. ومن المعلوم انّ الجليد لا يقبل الضغط ويكسّر قنابل الفولاذ. فيستنتجون من هذين المثلين انهُ يمكن وجود جوهر لا يقبل الانضغاط في ذاته تخترقهُ اجساد أُخرى اذا تمّت بعض شروط معلومة. وكذلك الاثير

والراي (الثاني) اقرب الى الصواب وهو عكس الراي الاوّل يقول اصحابهُ انّ الاثير لطيفٌ طبعاً وصلبٌ عرَضاً. وقد اثبت اللورد كِلفين انّ المائع اذا ما حُرّك بحركة سريعة صارت خواصهُ كخواصّ الاجسام الصلبة. وهكذا يشرح العلماء فعل الزوبعة والإعصار فانّ الهواء اللطيف الطبع يتكيّف في حركته بكيفيّات الصلابة حتى انهُ يقوى على هدم البيوت واقتلاع الاشجار. وكذلك الماء فانهُ قليل الفعل اذا كان راكدًا واذا طغى وماج اخرب السدود وهدم الاسوار. وامثال ذلك كثيرة

وان قيل لاصحاب هذا الراي انَّ زعمكم يصحّ في الموائع التي تتحرّك ولكن لا حركة للأثير. يجيبون انَّ الاثير يخلو من حركة الخطّ الموازي للشعاع المنير لكنَّهُ لا يخلو من حركة الخطّ العمودي كالفلّينة فوق الماء المتموّج فانَّها تتحرّك في مكانها وان لم تنتقل من محلّ الى آخر. وهذه الحركة في الاثير كافية لبيان ما فيهِ من الصلابة رغمًا عن لطافتهِ

وقد ارتأى غيرهم رأيًا (ثالثًا) وهو رأي كثيرٍ من الانكليز يقولون انَّ الاثير يتركَّب من دقائق صلبة في ذاتها لكنَّها مرنة في روابطها فيكون في بعض الوجوه صلبًا غير قابل الانضغاط وفي وجوهٍ اخرى منضغطًا لطيفًا. وهو رأي ضعيف يستلزم وجود اثيرٍ آخر ليبيّن ارتباط هذه الدقائق الاثيريَّة

٤ (وحدة الاثير) هذه الخواصّ العجيبة التي ذكرناها للاثير ليست بشيء اذا قابلناها بخاصَّة رابعة اعني وحدة الاثير. ويراد بهذه الوحدة على ما قال مكسويل (Maxwell) الطبيعيّ الشهير انَّ الحرارة والنور والكهرباء والقوَّة المغنطسيَّة كلّها جوهر واحد ومعلولات علّة واحدة وهي الاثير فالاثير باختلاف طول تموُّجاتهِ واختلاف سرعتها يسبّب هذه المظاهر الطبيعيَّة

والحقُّ يقال انَّ مذهب مكسويل ينطبق على نواميس الخالق الذي يُحدث اعظم المفاعيل بوسائط غاية في البساطة. وكما انَّ الطبيعيين اثبتوا بعد الابحاث الطويلة وحدة الحرارة والنور ووحدة المغنطيسيَّة والكهرباء هكذا يرجح مكسويل انَّ هذه العوامل الطبيعيَّة كلها ترجع الى مصدر واحد جعلهُ الخالق كالعامل الأكبر لكل هذه العوامل الثانويَّة

ولعلَّ القارئ يسأل هنا وهل ثبت قول مكسويل هذا بالاختبار؟ اجبنا انهُ حتى الآن لم يتَّصل العلماء الى بيانهِ. لكنَّ امورًا كثيرة كان سبق مكسويل ورجَّح صحَّتها بالحدس والظنّ تحقَّقت من بعدهِ بالاكتشافات العجيبة التي توصَّل اليها آخرًا العلماء المشاهير كهرتس وبرنلي (Branly) ومركوني (Marconi) واثبتوها بالتجربة

وممَّا وقفوا عليهِ قياس طول التموُّج الكهربائي المشعّ اعني المسافة التي بين نقطتين تحتوي احداهما معظم ارتفاع التموُّج وهو يدعى عقدةً والاخرى منتهى انخفاضها ويدعى جوفًا. واوَّل من توفَّق الى ذلك العالمان دي لا ريف (de la Rive) وسرازين

(Sarasin) في جنيفا فكانت نتيجة اختباراتهما انَّ طول التموُّج يبلغ ستَّة امتار. وكان العلماء حسبوا سابقًا انَّ النور يقطع في الثانية ٣٠٠,٠٠٠ كيلومتر او ٣,٠٠٠,٠٠٠ متر. فلمَّا عرضوا الكهرباء المشعَّة على قياس اهتزازات النور وجدوا ان الكهرباء تجري في ذلك جري النور وانَّ اهتزازات امواجها ٥٠,٠٠٠,٠٠٠ في الثانية وهذا هو الواقع في النور باختلاف قليل فاستنتجوا انَّ عاملهما واحد

فهذا الاكتشاف المهمّ الذي أدَّى بالعلماء الى ان يوحّدوا بين الكهرباء والنور ممَّا يؤيد مذهب مكسويل بخصوص الاثير وتعليلهِ لكلّ هذه العوامل الطبيعيَّة. واليوم تراهم يبحثون عن آلة تنشيء في الثانية ٤٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ من الاهتزازات تمكنهم من الانارة الاصطناعيَّة. وقد وضع واحدٌ منهم اسمهُ بوز (Bose) آلةً تُصدر في الثانية ٥٠,٠٠٠,٠٠٠ هزَّة. واذا مكَّنتهم المساعي من ايجاد مثل هذه الآلة استعاضوا طرائق الانارة الجارية اليوم بطرائق أُخرى غاية في السذاجة والاقتصاد فينظمون هذه الاهتزازات كما يشاؤون وينشئون تارةً نورًا بلا حرارة وتارةً حرارة بلا نور واخرى حرارة بلا عوامل كيمويَّة الى غير ذلك من النتائج الغريبة التي تجعل النور طوع يد الانسان يتصرَّف فيهِ على مقتضى ارادتهِ وكفاك رجل واحد لينير مدينةً كاملة بنور ساطع

فهذا بعض ما ينتج عن مذهب مكسويل بخصوص وحدة الاثير والنور والحرارة والكهرباء. واذا ما تحقَّقت آمال العلماء وخرجت الى حيّز العمل سوف يرى الناس من عجائب الاختراعات ما ينسيهم الاكتشافات الغريبة التي افتخر بها القرن السابق ويشعرهم بقدرة الخالق وحكمتهِ وهو الذي اودع عالمنا مثل هذه القوى الدفينة وارشد العقول الى الوقوف عليها بتوالي الاعصار. سبحانهُ لا اله غيرهُ

يمين العلي

رواية تاريخية للاب س. ت اليسوعيّ (تابع)

الفصل السادس

جُبَيل

كان الليل ماذًا رواقهُ المدلهمّ. الَّا انَّهُ ليل البلاد الشاميَّة تشعُّ فيهِ الكواكب

بانوارها الساطعة وتنبعث فيــهِ الحدائق المجاورة للساحل من الروائح العطرة. بينما ترى القمر في كبد السماء يخفف باشعَّتهِ الفضيَّة اكفهرار الليل ويجلّل بضيائهِ قمم لبنان ومنعطفهُ الى سبج البحار اللازورديَّة

ففي تلك الليلة كان قومٌ سائرين في الطريق الرومانيَّة البيضــاء التي تسير من بيروت الى طرابلس لا يُظلّها شيء من الاشجار سوى بعض شجر الزيتون العاتيــة او مخافر جندٍ تُرى حيناً بعد حينٍ على مقربة من الطريق لحراستهــا. امَّا القوم فكانوا يحملون على مناكبهم محفَّة يتقدَّمها اربعة من العبيد في ايديهم مشاعل لانارة الطريق

وكان الحملة يمشون بخفَّــة كانَّ محفَّتهم لا تثقل على اكتافهم وكأنَّهم لم يحملوا الّا وَقرًا خفيفاً لا يبهظ عليهم حملهُ. ولو عاينتَهم في سيرهم لرأيتهم يرفعون على الراحات حملهم إشعارًا بخفَّتهِ. وكان احدهم يوقع باغنيَّة يتغنَّى بها على خطواتِ رصفائه ليمشوا مشياً منتظماً. اذ اشار اليهِ رفقاؤهُ قائلين:

صَهْ فانَّ معلّمتنا ترقد وحقَّ رأسها انها غاية في الحاجة الى النوم بعد ما ألمَّ بها من الأحزان

فسكت العبد. ولم يعد يُسمع في جوف الليــل سوى صوت اقدام الماشين مع نُباح الكلاب التي كانت تعوي لضوء القمر في القرى الواقعة على لحف لبنان

وبينا هم في سيرهم اذ خرج من وراء اسجاف المحفَّة انين ينبئ بقلب اقرحهُ الحزن. وكان الانين متصاعدًا من صدر يهوديت ابنة صموئيل اذ هي كانت المحمولة في المحفَّة. ثم سمعها الحملة تقول في اثناء كابوس دهمها في نومها:

« لا لا ناشدتُك الله... أُقسم لك باني لم افعل... عليَّ... دَعني يا جلَّاد.. »

قالت هذا ثمَّ سكتت واخذت تُعول عويلًا مرًّا في اثنائهِ كان يُسمع لها بعض الفاظ متقطّعة: « يا راسيوس... ابتاهُ... مسكين ابي وايّ مسكين »

قال سلوانس العبد الامين الذي وثقت بهِ وائتمنتهُ على حياتها وكان واقفاً على يمين المحفَّة: « انها تفكر في ابيها » . ثم رفع الستار الذي كان يحجبها ومسَّ يدها ففزعت من النوم مذعورةً ورفعت برأسها قائــلة: « اين نحن ». ثم نظرت واحسَّت بظلمة الليل وشعرت بندى البحر فعرفت حالها واخذت منديلها لتنشف دموعهــا ثم اردفت: آه نحن في الطريق... اني كنتُ نسيتُ في نومي كلَّ ما عرض لي. آه

كم تألمتُ . . . ولكن قل يا سلوانس الى اين وصلنـا ؟

— ثقي يا سيدتي انّا قد بلغنا نهر ليكوس (نهر الكلب)

قال هـذا وامر العبيد بان يكفُّوا برهة عن السير. فاخرجت يهوديت رأسها لترى المكان فاذا هو مضيقٌ مرهبٌ قفر تكتنفهُ الجبال يُسمع في وسطهِ خرير الميـاه الجارية . فارتعدت فرائصها وتخوَّفت ان يكون المكان مأوى للصوص . ثمَّ سـألت وهي لا تعي لنفسها خوفاً :

كم هي الساعة . . . ايلوح الصباح قريباً ؟

— قد اخذت ديكة القرى تصيح فلا يمرّ علينا ساعتان او ثلاث ساعات حتى نرى الفجر متنفساً

ثم عاد العبيد فساروا بخطوات مسرعة دون خوفٍ ان يُفيقوا سيّدتهم من رقادها. امّا يهوديت فازالت من امام وجهها سجوف المحفّـة لتستنشق نسيم البحر الذي كان ينعش صدرها ويخمد هيجان اعصابها . وكان الالم قد اضنى قواها وهدَّ حيلها . فاخذت تفكّر في ما اصابها في يومها السابق من الاكدار التي رنّقت كأس فرحهـا وقطعت حبل سعادتها . وهذه الاحزان كانت استولت على قلبها بغتةً دون انتظار . امّا سببها فحديثٌ جرى لها مع اخيها يوسف بدّل افراحها بالاتراح وجعلهـا اشقى الناس بعد ان كانت تؤمل بالمسرّات القريبة

*

كانت اصيل يوم امس جالسةً في غرفتها مستندةً الى مرفقةٍ وبازائها اخوها يوسف يسعى بتسليتها عن غيبة ابيها وتأخُّرهِ عن الرجوع . ويذكّرها بأنّهُ ارسل ساعياً يأتيهما بالاخبار الصادقة ثمَّ يؤكّد لها انَّ حصار مدينة اورشليم لم يبتدئ بعد فابوها صموئيل يمكنهُ الفرار قبل ان تُقفَل ابواب المدينة المقدَّسة

ألّا انّها هي لم تزل مضطربةً الى ان قالت لاخيها دون تروٍ : انّي خائفة على حياة ابي واعرف انَّ الرومان اذا قصدوا شيئاً لا ينكصون على الاعقـاب ولا بُدَّ لهم ان يفتحوا عاصمة مملكة اليهود بوقتٍ قريب فاذا كان ابي لم يفرّ بعد فالويل لهُ . . .

قالت هذا بتوجع جاش بهِ صدر اخيهـا وفار فائرهُ لانهُ تذكّر التفات الضابط راسيوس الى اختـهِ عند مرورهِ على باب الدار فقال مغضباً : « الرومان ! اصدقاؤكِ

الرومان ! اراكِ تتيمّنين بقدومهم وتتفاءلين بنصرتهم . او تظنين اني لم أدرك بعواطفك اولم اشعر باضطراب جسمكِ قبل يومين لمّا مرّ الضابط راسيوس بازاء عينكِ . . . اني لواقف على خفايا قلبكِ ولن تخدعيني البتّة . فكل مظاهرات الخوف على حياة والدنا وبكاءكِ عليهِ لكذبٌ وغشّ فانّ كلّ شواعر قلبكِ متّجهة الى هذا الضابط الروماني اللعين . . . فماذا يهمّكِ امر المدينة المقدّسة او ان يُقتل والدنا وتفنى أمّتنا فانّ غاية ما تشتهين ان تحظي باحد انذال الرومان . . . فاعلمي أنّكِ استخرجتِ اضغان صدري لكنّ احتقاري لكِ اعظم من بُغضي . . . ولا بدّ لي ان أدرك بثاري منكِ يوماً وأنتصر لشعبنا عليكِ . . . »

قال هذا ثم اقسم يميناً محرّجة ان : « لا ابرح الآن جواركِ وابقى هنا لأترصّد هذا الروماني الذي مال اليهِ قلبكِ فاذا ما عاد سالماً غمستُ هذا الخنجر في قلبهِ . . . فتتمّ بموتهِ افراحكِ ويشفى غليل محبّتكِ للرومان »

ما كاد يوسف ينتهي من هذا القول حتى خرج من الدار وترك اختهُ في الحيرة والذعر . وكانت اذ سمعت بكلام اخيها رأت نفسها في حلم فلم تدرِ ما تجيب لما سلقها بهِ من الكلام المرّ . فلمّا خرج أجهشت بالبكاء وتدفّقت عبراتها كالسيول . . . « كيف يا تُرى تجاسر اخوها بان يشكّ في حبها لوالدهما . . . امّا هو أفكان لهُ ان يجرح قلبها بكلام احدّ من النصال فيتهدّدها ويتهدّد من كانت عوّلت عليهِ لسعادة حياتها . . . كلاّ لا تريد مطلقاً ان تجتمع باخيها ثانيةً . . . وان كان يوسف يبقى في الدار الوالديّة فانّها هي لا تُقيم فيهِ ابد الابد . . . بل تهرب في الليلة ذاتها . . . »

فكّرت في هذا ثم دعت بدروتيا . فدخلت أمتُها مسرعةً واخذها الاندهاش لمّا رأت سيّدتها كادت تغيب عن رشدها . فاخبرتها يهوديت بما جرى لها واراحت نفسها بما كشفتهُ لها من اسرار قلبها لأنّها كانت أمةً امينةً تثق بها في كلّ امورها وتعتبرها كأُمّها مذ فقدت والدتها وكثيرًا ما كانت تستهدي برأيها وتذعن لمشورتها لاسيّما مدّة سفر ابيها وغيبة يوسف شقيقها

فعزّتها دوروتيا واثبتتها على عزمها فقالت لها : « هيّا اسرعي يا عزيزتي ولا نبقى في دارٍ اضحت لكِ شرًّا من المنفى . والراي عندي ان تذهبي الى جبيل وفيها بيت ظئركِ العجوز فانّها تُسرّ بنظركِ وتضيفكِ عندها على الرحب والسعة . امّا اخوك

فانهُ يخفى عليهِ مسيركِ واذا ما أَيس بعد مدةٍ من لقياكِ لا بُدَّ لهُ ان يرحل من بيروت فابلّغكِ الخبر فتعودين الى داركِ بعد رحلتهِ »

ومن ثمَّ قامت يهوديت في اوَّل هجعة من الليل وركبت محفَّتها دون ان تودّع اخاها الذي كان خرج الى شوارع المدينة ولعلَّهُ ذهب الى المرسح العموميّ ليحضر العاباً كانت تقوم بها جوقة مصريّة قدمت بلاد الشام لترتزق بالرقص والغناء وفنون الخلاعة

لكنَّ يهوديت قبل خروجها كتبت ليوسف هذه السطور الوجيزة وسلَّمتها لاحد عبيد الدار: « لا تفتش عنّي لاني لست اريد ان انظر وجهك وقد كفرتُ باخائك لما في قلبك من الاحتقار والبغض للّتي كانت شقيقتك »

وكانت يهوديت نسيت كل ما جرى لها بعد كتابتها هذه الرسالة. وغاية ما كانت تتذكر انَّها حلمت وبكت في حلمها البكاء الغزير. ثم ارادت ان تعلم ايكون اخوها تقصّى آثارها ليدركها فامرت حملة المحفَّة ان يتوقَّفوا عن سيرهم حيناً وتوجَّست ركزاً من سنابك خيلٍ فلم تسمع شيئاً. فاستدلَّت بذلك انَّ اخاها لم يشعر بعدُ بهربها. فاوعزت الى خدمها بمواصلة السير

*

ليس منظر يشبهُ بمحاسنهِ منظر الساحل الشامي الذي يمتدُّ من نهر الكلب الى جُبيل. فانَّ السائر يجري على مقربة من بحر شديد الزرقة تنكسر سورة مياههِ الزاخرة على سِيفهِ مصافحةً لرملهِ الناعم تارةً وحيناً لحصاه الصقيلة. وربَّما انتصبت في وجهها الصخور فتساورها الامواج كانَّها تريد كسر شوكتها. وعلى يمين السابلة رُبى وآكام تستند اليها جبال عالية كانَّها اسوار لحصن منيع لا يقوى على انتهاك حرمتهِ بشر. وعلى منعطف هذه التلال من المناظر البهجة ما تقرُّ لهُ العين لاسيَّما في اوائل الربيع ومما كان يدهش الناظر سابقاً الغابات الكثيفة التي كانت تزين لبنان وتبسط عليهِ ظلالها الوارفة لا يُسمَع فيها غير تغريد الطيور مع صوت فؤوس العملة الفينيقيين الذين كانوا يقطعون من اشجارها ما يرونهُ صالحاً لملاحتهم وتجارتهم البحريّة

وكان سلوانس وقومهُ يقطعون تلك الانحاء بنشاط وهم يجدون في بهجة الطبيعة ومحاسنها ما ينعش قواهم ويبهج قلوبهم. وكان الليل في تلك الاثناء زحف بخيلهِ ورجلهِ وانشقَّ عمود الصباح. وما بلغوا نهر ادونيس (ابراهيم) حتى بزغت الشمس وارسلت

في وجه يهوديت اشعّتها الاولى فاستبشرت الفتاة بمنظرها وانجلى شيء من كربها فنزلت من محفّتها عند الجسر الممتدّ فوق مياه النهر لتنال نصيباً من الراحة

ولم تكن يهوديت الى ذاك الحين متَّعت بصرها بمحاسن لبنان ولم تعرف منهُ الّا ما كان مجاورًا لارباض بيروت. فلمّا استنشقت روائح زهورهِ العطرة ورأت ما فيهِ من ضروب المحاسن بسم ثغرها وشعرت براحة لم تعهدها الى ذاك الوقت

واخذت تتجوّل على ضفّة النهر وتنظر الى مصبّهِ في البحر. وكانت تتعجّب من حمرة مياههِ القانئة فسألت سلوانس عن سبب اصطباغ الميــاه بهذا اللون. فاجابها سلوانس :

« ليس لي علم بحقيقة الامر الّا ان الاهلين يزعمون انّ المياه محمرّة بدم ادونيس . وادونيس هذا إله الجُبَيليين يُروى عنهُ انهُ خرج يوماً للصيد ومعهُ كلابهُ السلوقيّة فتوقّل في الجبل المشرف على بلاد جُبيل. ولمّا كان في احدى الغابات واذا بخنزير برّي اثارهُ بهِ المرّيخ فهجم عليهِ وضربهُ بنابهِ والقاهُ على الحضيض صريعاً وتركهُ جسماً هامدًا. وكانت الزُهَرة تعشق ادونيس فلم تزل ترثيهِ حتى انّ الألهة كانوا في كل سنة يُحيونهُ مدّةً لمرضاتها. فاذا ما عاد موسم وفاتهِ في الربيع احمرّت مياه نهر ابراهيم حزنًا عليهِ »

وكانت يهوديت تسمع لهذه الخرافة مطرقةً واجمة وقلبها متأثر بما اصاب ادونيس من نكبات الدهر. وكأنها فكرت في حالها وقابلت بين لوعات الزُهَرة وآلام قلبها لكنّها بعد برهةٍ نفضت عنها غبار هذه التصوُّرات التي اختلقها الوثنيُّون وتنافي معتقد اليهود

وكان وصول يهوديت الى جبيل رأد الضحى. فلمّا شاهدتهــا ظئرها « لانيش » طار قلبها فرحاً. فاخذت تقبّلها بكل حنان وانعطاف وهي تذرف الدموع شكرًا لله على سلامتها. وكانت تذكر الزمن القديم اذ كانت تحملها على ذراعيها وتقوم لديهــا مقام امها. فها هي اليوم قد صارت في مقتبل العمر تامّة الشباب كالبانة المائسة قدًّا وحسناً. ثم جعلت تعتذر الى سيّدتها اذ لم تجد في بيتها شيئاً من اثاث دور الاغنياء. وما بيتها بالنسبة الى قصر يهوديت الّا حِفش او كوخ حقير

امّا ابنة صموئيل فكان تسلّي همُّها وانكشف كربُها مذ وطئت دار ظئرها ثم اخذت تطيّب قلب لانيش وتؤكد لها انّها ترضى بمعاشها وتقنع بالقليل قائلةً : لا

يكون لي يا عزيزتي ادنى همّ فاني اقتسم واياكِ اشغال البيت فارعى معكِ الخراف في الغابات المجاورة. او أصلح ما تهيَّأ لابنكِ من الصَّيد ولعلّني اركب قارب زوجك لارافقهُ الى القرى القريبة

الحقُّ يقال انَّ بيت لائيش مع صغرهِ كان في احسن موقع على ربوة منفردة تشبه خميلةً وكان وجهه يطلّ على البحر فيُرى منـــهُ مرفأ البلدة حيث تتزاحمُ السُّفن الفينيقيَّة وتنساب القوارب الصغرى وكان في جملتها زورق يوليوس النوتي زوج لائيش. وكانت بازاء الدار حديقة جميلة فيها الزهور العطرة مع احرار البقول. وعلى جوانبها سقيفة تعرّش فوقها جفنة الكرم فتلطف بفيئها حرارة الصيف. وفوق السقيفة برج للحمام كانت ترفرف حول الدار ثم تحوّم وتحط في ساحتها لتلتقط ما يلقى لها من الحبوب

وبينما كانت يهوديت تزور الدار وتُسرّ برؤيتها اسرعت لائيش وعبدة لها صغيرة تهيئان غرفةً ليهوديت وتفرشان الدار لاستقبالها ثم اعدَّتا لها ديوانًا ووسائد وكلّ الاثاث اللازم لمثلها على قدر ما تسمح لهما الحال

وكان سلوانس قبل ان يخرج الى المدينـــة ليأجر منزلًا يسكنهُ لهُ وللعبيد انفرد بلائيش واعلمها بسبب هذه الزيارة غير المنتظرة. فاظهرت العجوز خوفهـــا ثمَّ اجالت نظرها حول الدار فرأت زورق زوجها فقالت: لا بأس عليها واذا اقتضى الامر اركبناها السفينة لتفرَّ من جبيل الى قبرس او الى جزيرة ارواد. امَّا انت يا سلوانس فكن على حذر حتى اذا عرفت بخطر يتهدَّدنا انذرتنا بهِ لنفكّر بالوسائل لنجاتها (ستأتي البقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

Le Caucase, la Perse et la Turquie d'Asie
par le Baron Ernouf, 2de *édit. Paris, Plon*, pp. 367
جبل القاف والعجم وتركية آسيَّة

Les vrais Arabes et leur pays
par Denis de Rivoyre, *idem*. pp. 321
العرب وبلادهم

قد اهدت الينا مكتبة بلون الشهيرة هذين الكتابين ومدارهما على وصف البلاد التي

استلفتت اليها حديثًا انظار اهل السياسة بسبب السكك الحديديَّة المنويّ مدُّها اعني واديَ دجلة والفرات. وفيهما اخبار رحَّالتين احسنا وصف ما عاينـا. بيد انهُ قد مرَّ على الكتابين بعض سنوات فلا نرى حاجةً الى الافاضة في فحواها. ومما يزيدهما نفعاً عدَّة خارطات وتصاوير ترغّب في مطالعتهما ه. ل

L'Empire byzantin et la Monarchie franque
par A. Gasquet, *Paris, Hachette* pp. XII-484

مملكة الروم والدولة الفرنجيَّة

وهذا ايضاً من الكتب التي مرَّت على نشرها ردهة من الدهر. وغاية مؤلفهِ ان يروي ما دار بين ملوك الروم في القسطنطينيَّة ودولة الفرنج من المخابرات والمداولات السياسيَّة منذ سقوط المملكة الرومانيَّة في المغرب الى اواخر القرن التاسع للمسيح. وهو يبيّن مستندًا الى عدَّة كتابات قديمـة انَّ ملوك الفرنج الاوَّلين كانوا يعرفون لملوك الروم حقوق السيادة ويقدّمون لهم الاكرام ويعتبرونهم كخلفـاء القياصرة الرومانيين الّا انَّ هذه شارات الخضوع لم تزل في تناقص بقدر ما كانت تتقلّص سلطة ملوك القسطنطينية وتتّسع دولة ملوك فرنسة حتى لم يَعُد هؤلاء يكاتبونهم الّا باسم الاخ العزيز بعـد ان كانوا يخصُّونهم باسم الاب. وكان ملوك الروم لا يزالون يقيمون عليهم الحجَّـة دون ان يلقوا عندهم أُذنًا صاغية حتى قام كارلوس الكبير ومنحهُ البـابا لاون الثالث لقب امبراطور الغرب فاضطرَّ ملوك الروم الى ان يعرفوا لهُ مقامهُ ويتداولوا مع سفرائهِ كانهُ مثيلهم في الرتبة. وهذا ما يظهر خصوصاً في المعاهدة المبرمة بين الدولتين سنة ٨١٣ للمسيح. وقد اخبر مؤلف الكتاب كلّ ذلك تفصيلاً. ونأخذ عليهِ انهُ يتجاوز حدود الانصاف في امور كثيرة يحكم عنها جُزافًا لاسيَّما انَّهُ قد اتَّبع في رواياتهِ الكردينال العظيم والكاتب البليغ هِرغنروتر وهو يقرّ بسموّ مداركهِ وسعة علمـهِ واعتدال مشربهِ ف. ب

مكتبة الاسكندريَّة — كتب الخوري المارونيّ الفاضل بولس عويس فصلاً مفيدًا في تاريخ هذه المكتبة الشهيرة وحريقها. لكنَّهُ سها عن ذكر بعض الشهادات التي اوردناها في المشرق (٢ : ٦٧٠) وهي توضح الامر باجلى بيان وتؤيد قولهُ باثبت برهان

شذرات

عقل الحيوان ما كنّا لنظن انّ صاحب الهلال ممّن يرتأون راي بعض الملحدين فينسبون العقل للحيوان . وعليهِ قد اخذنا العجب لمّا قرأنا في عددهِ الاخير (١ نيسان ص ٢٠٧) : حيث يجيب على سؤال لاحد قرّائهِ « قد ثبت بالاختبار المتواتر انّ بعض الحيوانات تعمل اعمالًا تدلُّ على اعمال الفكرة والتعقُّل كما ذكرتم عن القردة والكلاب وغيرها » . وقد سبق المشرق ووصف مثل هذه الاعمال العجيبة التي رُبَّما فاقت بعض اعمال الانسان . ولكن بيّن بالبراهين الدامغة انّ مثل هذه الاعمال تدلُّ امّا على غريزةٍ وامّا على نباهة طبيعيّة وشتّان بينهما وبين العقل (راجع مقالة حضرة الاب ل . رنزفال في المشرق ٤ : ١١٠٥) . ومن جهة اخرى نرى المقتطف في احد اعدادهِ الاخيرة يثبت « الحياة للجمد » . فيا لله أهذه الترّهات من العلم . وكيف لا يرى هؤلاء الكتبة انّهم يخلطون بين ممالك الطبيعة ويبلبلون نظام الكون العجيب الذي وضعهُ الخالق . فان كان الحيوان عاقلًا والجماد حيًّا صار الانسان والجماد على سواء والعوذ بالله من كلّ هذه السفاسف التي لا يرضى بها عقل الصبيان فضلًا عن قومٍ عقلاء لا يزالون ينادون بالعلم وهم ينقضون اساسهُ ل . ش

جيدور وايطور قال حضرة الاب اللغوي لامنس اليسوعي : « لم يحكم العلماء حكماً فصلًا في التوحيد بين « جيدور » و « وايطوريّة » لان معاملة « جيدور » بلاد سهل . امّا ايطوريّة فعلى قول حضرة الاب انستاس معناها الجبليُّون هذا فضلًا عمّا بين الكلمتين من التبايُن في اللفظ » اه . قلنا : كون العلماء لم يحكموا حكماً فصلًا في ذلك فليس ببرهان سديدٍ فلعلهم يحكمون بعد ذلك . امّا لانّ « جيدور » بلاد سهل و « ايطورية » معناها الجبليون فنحن لا ننكر ذلك الّا اننا نقول ان الايطوريين لمّا حلُّوا في تلك الاصقاع تسمّت باسمهم بقطع النظر عن هيئة البلاد كما قد اتفق تسمية كثير من البلاد باسماء مُحتلّيها او لاسباب لم تكن نفس الاسباب التي دعت البلاد الاولى ان تسمّى بها . من ذلك مثلًا « بَابِلْيُون » فانها اسم ديار مِصر او اسم الفسطاط ومع ذلك فانك اذا بحثت عن سبب تسمية بابل بذلك لا تجدهُ في بابليون . وفي اميركة مدينة تسمّى « بغداد » وليس هناك ما سبّب هذه

التسمية. وكثيرٌ من البلاد قد تسمَّت باسم الغالبين مع بعض تصحيف للتفريق بين بلاد وبلادٍ احتلُّوها وما سبب هذه التسمية الَّا توهم فيها ليس الَّا. من ذلك: La Gaule, Le pays de Galles, la Galacie, la Galatie وكذلك نقول في «جيدور» بانها تصحيف «ايطور» او ايطورية اشارة الى القوم الذي احتلَّها لا اشارة الى حالة الارض وهيئتها كما قد يذهب اليهِ الوهم. واماَّ التبايُن الذي يُرى بين اللفظتين فهذا ليس ببعيد عند من يتتبَّع انتقال الأَلفاظ وناموس تصحيفها بلسان قومٍ وقومٍ. فلو قلنا لواحدٍ يجهل اللغات الاجنبيَّة ان «جاك Jacques» هي تصحيف «يعقوب» لضحك من هذا القول مع ان الحقيقة راهنة في ذلك. وكذلك القول بان «خَسُوس» (وهكذا يلفظ الاسبانيون كلمة Jésus) هي نفس لفظة «يسوع» لتعجَّب ايضاً. لا بل وقد وقع مثل ذلك في اللغة العربيَّة اي قد يقع اكثر من «إبدال واحدٍ» في «اللفظة الواحدة من ذلك تكافش وتقافس وشحاح وسخاخ (المزهر ١: ٢٦٢). ونكث العهد ونقضهُ. والسَرْوَعَة والزَرْوَحَة. واحمق من شَرَنْبَث اوجَرَنْبَذ (اللغويين) وهلمَّ جرًّا. وعليهِ فلا بُعد بين «جيدور» و «ايطور» من بعد ان بيناً وجه هذا الانتقال في كلامنا الأَوَّل. وللقارئ ان يتبع بعد ذلك الراي الذي يستصوبهُ والسلام الاب انستاس

⁂ قياس حرارة الشمس ⁂ قد توصَّل احد علماء الاميركان اسمهُ وِلسون (W.F.Wilson) الى قياس حرارة الشمس في جرمها الاصليّ فاثبت انها تبلغ ٦٨٦٣ درجةً من ميزان السنتيغراد

⁂ بلاد البرتقال ⁂ تُصدر بلاد كاليفورنية في كل سنة ٢٠,٠٠٠,٠٠٠ من البرتقال ينقلها ١٥٠٠٠ قطار من قُطر السكّة الحديديَّة. وفي كل سنة يُقام في مدينة «لوس انجلوس» سوق مختصَّة بالبرتقال يُعرض فيها هذا الثمر على هيئات غريبة على شكل قصور واهرام وكعوب وحيوانات يأتي الناس من كل جهات اميركة لمشاهدتها

⁂ كوخ وميكروب السلّ البقري ⁂ كان انكر الدكتور كوخ انَّ ميكروب السلّ البقري يُعدي البشر وكان الاطبَّاء الفرنسويُّون يرتأُون خلاف ذلك. وقد رجَّح المؤتمر الطبيّ الدولي المنعقد في برلين راي الفرنسويين استناداً الى بعض حوادث مقرَّرة اثبتها الدكتوران نوكارد (Nocard) وارلوين (Arloing)

مرصد اليسوعيين في الفيليبين — قد اطّلعت حكومة الولايات المتّحدة على كتاب جليل وضعهُ الاب يوسف الغه (J. Algué) مدير المرصد الفلكيّ في جزائر الفيليبين عن الآثار الجويّة فجازتهُ بمبلغ ثلثمائة الف دولار ونشرت الكتاب على حسابها

أسئلة وأجوبة

س سأل جناب الاديب ن . م . مشعلاني ايقع تحت الحرم البابويّ الكاثوليك الشرقيُّون اذا طالعوا الكتب المحرَّمة

الكتب المحرَّمة

ج لا يقع الشرقيُّون تحت الحرم البابوي الَّا اذا ذكرهم المجمع الروماني ذكرًا خصوصيًّا وانَّما يخطئون في الغالب خطأً مميتًا اذ يعرّضون بانفسهم لخطر الكفر او فساد الآداب . وربَّما وقعوا تحت حرم بطاركتهم

س وسأل الطالب النجيب ن . هراوي من هي هذه السيدة زبيدة التي تنسب اليها الآثار في نواحي لبنان

السيدة زبيدة وآثارها

ج قد اجاب على هذا السؤال حضرة الاب س . رنزفال في مقالتهِ عن زينب (الزَّبَّاء) ملكة تدمر . في السنة الاولى للمشرق . فعلى السائل بالمراجعة

س وسأل حضرة الاب انستاس الكرملي الاب هنري لامنس : كيف امكنهُ ان يقول انَّ كتبة العرب يريدون بالانباط ذوي العنصر الآرامي ونرى هذا الاسم مطلقًا على قبائل ليست بآراميَّة بل اصلها عربي صرف

الانباط

ج نجيب انَّ حضرة الاب انستاس مصيبٌ في قولهِ عن اطلاق النبطيّ على الآراميين اجمالًا . لكنَّ كتبة العرب ربَّما حصروا هذا الاسم ودلُّوا بهِ على النبط الذين اصلهم نبطيّ لاسيَّما عند كلامهم عن زمن الجاهليَّة او عن العنصر الذي كان خارجًا عن جزيرة العرب وهذا ما اردناهُ كما يتَّضح من قرينة الكلام واثبتهُ العلَّامة نلدكي مثلنا

هـ . ل



القديس جرجس

المشرق

تذكار
المئة السادسة عشرة
لاستشهاد القديس جرجس

لمحة للاب لويس شيخو اليسوعي

في هذه السنة يقع تذكار المئة السادسة عشرة لاستشهاد القديس جرجس البطل الشهيرِ الذي لا يزال اسمهُ حيًّا في اصقاعنا الشرقيَّة. ففي هذه النسبة احبَّ البعض من كاثوليك اوربَّة ان يقيموا الحفلات الدينيَّة ذكرًا لهذا الشهيد وتنويهًا بشهامتهِ وتحمُّسهِ للدين اذ أهرق في سبيلهِ دمهُ الزكيّ وفضَّل اصناف العذابات على عبادة الاصنام. وقد رأينا نحن ايضاً ان نخصّص هذه الاسطر الوجيزة بمديح وليّ الله ذاك المتجنِّد للمسيح الذي شرَّف بلادنا باعمالهِ الخطيرة وجهادهِ للربّ

١ ما تقرَّر من ترجمة القديس جرجس

في السنة ٤٩٤ م فحص الحبر الروماني البابا جلاسيوس القديس عدَّة كتب كان يشيعها الاراطقة على رؤوس الملا او يتداولها المؤمنون فينسبونها زورًا الى الرُّسل او الى خلفائهم فامر أن تُعتبر هذه التآليف بين الكتب غير القانونيَّة التي لا تُفتي الكنيسة بصحَّتها. وكان من جملة هذه المصنَّفات « اعمال القديس جرجس واستشهادهُ ». فيظهر من هذه الفتوى انَّ اخبارًا كثيرة بل خرافات عديدة عُزيت لهذا الشهيد مذ ذاك العهد العهيد

ومن ثمَّ يصعب على المنتقد ان يميّز بين اخبار القديس جرجس المقرَّرة الثابتة وما تناقلتهُ ألسن القصَّاصين في هذا الشأن. على انَّ من اعمل الفكرة في الآثار القديمة وتآليف المؤرخين الأثبات امكنهُ ان يستخلص من كلامهم بعض الشذرات التي تُطلعنا على اخصّ اعمال هذا القديس العظيم

افادنا اوسابيوس القيصريّ في الكتاب الثالث من تاريخهِ الكنسيّ انهُ لمَّا اشتدَّ ديوقلسيانوس القيصر على النصارى وأبرز في ذلك امرًا عُلّق على جدران البلاط الملكي في نيكوميديا حاضرة المملكة تقدَّم احد قوَّاد الجيش ومزَّق هذا الكتاب ولم يكترث لان يعرّض بنفسهِ لغضب القيصر. فنالهُ بسبب فعلهِ من النكال وضروب العذاب ما احتملهُ بطيب القلب مسرورًا فرحًا فمات في سبيل ايمانهِ. وقد اثبت هذا الامر نفسهُ لكتنسيوس الكاتب الشهير وكان كلٌّ من المؤرخين اوسابيوس ولكتنسيوس معاصرَيْن لديوكلسيانوس قريبين من نيكوميديا. ولعلّ الثاني منهما كان وقتئذٍ مقيمًا في هذه المدينة واصفًا لما شاهدهُ بالعيان وقد سكت كلاهما عن اسم هذا الضابط الباسل الذي لم يبالِ بالموت ليذبَّ عن حقوق قومٍ ابرار لم يجترحوا اثمًا الَّا تَنبذهم لعبادة الاوثان. وقد وقع استشهادهُ في السنة ١٩ لديوكلسيانوس الملك اي السنة ٣٠٣ للمسيح. لكنَّ التقليد المتواصل بين نصارى الشرق انَّ هذا القائد انَّما هو القديس جاورجيوس او جرجس الذي كان منتظمًا في سلك الجنديَّة يخدم ديوكلسيانوس الملك وهو يومئذٍ في شرخ الشباب لا تتجاوز سنُّهُ السنة الثالثة والعشرين. وعليهِ فيكون مولدهُ في السنة ٢٨٠ للمسيح وقد رجَّح البولنديُّون هذه الرواية في المجلَّد الثاني عشر من تراجم الابرار في تاريخ اليوم الثالث والعشرين من نيسان حيث استرسلوا في الكلام عن هذا الشهيد ونظروا بعين الانتقاد والتروّي في كلّ ما كُتب عنهُ

وممَّا تقدَّم ترى خطأً بعض علماء عصرنا الذين نسبوا الى الوهم والتخيُّلات مُجمل اعمال القديس جرجس بل انكروا وجودهُ في عالم الكون. فان العاقل لا يرمي الكلام على عواهنهِ وانَّما يتبصَّر في الامور فيفرز بين الغثّ والسمين ويتبيّن الصفيق من السخيف فيرضى بالحقّ وينبذ الباطل

٢ انتشار اسم القديس جرجس وكراماتهُ

وما يزيدنا ثقةً في عظم القديس جرجس وسموّ مرتبتهِ في الجنديَّة وخطر اعمالهِ

انَّ اسمهُ نال من الشهرة في الخافقين ما لا يمكن ادراكهُ لولا حقيقة هذه الاعمال الشريفة . ولم يحظَ هذا الشهيد بهذا الصيت المستفيض بعد وفاتهِ بقرون عديدة بل بعد استشهاده بقليل . وممَّن سبق وكرَّمهُ قسطنطين الملك الذي شيَّد لذكرهِ كنيسةً في لُدّ من اعمال فلسطين حيث نُقل قسمٌ من ذخائرهِ ودُفن باكرام وقد اقام قسطنطين الكبير نفسهُ كنيسةً أُخرى في القسطنطينيَّة على اسم هذا القديس واغناها ايضاً بشيء من عظامهِ

وفي هذا القرن الرابع اخذ النصارى يحجُّون الى قبر الشهير العظيم (μεγαλομάρτυρ) اللابس الظفر (τροπαιοφόρος) وهو الاسم الذي عُرف بهِ فيتبرَّكون بزيارتهِ ويتوسَّلون الى الله عزَّ وجلَّ بشفاعتهِ المشفعَّة . ويشهد على انتشار اسمهِ كنيسةٌ من اقدم كنائس النصرانيَّة بُنيت على اسمهِ سنة ٣٦٧ في البثنيَّة بمدينة شقَّة من اعمال حوران (١ . والمرجَّح انَّ بلاد الكرج اتَّخذت مذ ذاك العهد القديس جرجس كشفيعها الوطني بعد تنصُّرها فدُعيت جيورجيا . وكانت تُدعى قبل ذلك باسم الهلِّسبنتوس

ولنا في القرن الخامس شواهد أُخرى يُستدلُّ بها على مقام القديس جرجس في الكنيسة الشرقيَّة خصوصاً منها انَّ التقويم الاوَّل الذي رُويت فيهِ اسماء القديسين واعياد النصرانيَّة يذكر اسم القديس جرجس الشهيد . وهذا السجلّ كُتب بالسريانيَّة سنة ٤١١ للمسيح وهو اليوم في خزانة المتحف البريطانيّ في لندن وقد نشرهُ بالطبع العلامة رَيت (Wright) المستشرق الشهير . وفيهِ ايضاً بُنيت على اسم الشهيد كنيسة ازرع في حوران وتعدَّدت في القسطنطينيَّة الكنائس لذكرهِ حتى بلغت فيها ستًّا بتوالي الزمان

وفي القرن السادس اخذ اسم القديس جرجس ينتشر في بلاد غالية فشيَّدت الملكة القديسة كلوتلدة قرينة كلوڤيس ملك فرنسة الاوَّل كنيسة لاكرام القديس جرجس سنة ٥٠٩ ولم يلبث ان يقتدي بها اعيان غالية وملوك المانية والنمسة وانكلترة واسبانية حتى لو اردنا ان نُعدّد كل ما بُني على اسم الشهيد من الكنائس وما أُنشيء من المقامات لادَّى بنا الكلام الى الاطالة المملَّة

١) راجع مجموع الكتابات اليونانية (CIG العدد ٨٦٠٩) وكتابات وادنغتن (٢٠٣٨,١٩٨١ ٢٠٩٣,٢١٢٦,٢٢٥٨,٢٤٩٨)

ولمّا كان عهد الصليبيين زاد اسم القديس جرجس شيوعا وعاد الانكليز بشيء من ذخائرهِ الى بلادهم فاتّخذوهُ شفيعاً لاوطانهم وابتنوا اديرةً على اسمهِ وجعلوا عيده من الاعياد الحافلة وتُرى صورتهُ حتى اليوم على نقودهم. وكذلك فعل ملوك اراغونية والبرتغال وامراء جنوة فاتخذوا القديس جرجس كشفيع ممالكهم. وللانكليز وسام القديس جرجس وهو الحامي لشارتهم الشرفيَّة المعروفة بربطة الساق. وللنمسويين رتبة فرسان تُعرف برتبة القديس جرجس. وقد احدث قياصرة روسيَّة رتبةً شرفيَّة على اسم الشهيد عينهِ

وقد شاع ذكر القديس جرجس عند المسلمين. وهم يكرمونهُ كنبيّ ويروون قصَّتهُ في كتبهم ويدعونهُ باسم الخضر وقد وصفهُ الثعلبيّ في كتاب قصص الانبياء بقولهِ (ص ٣٧٧): «وكان جرجيس عبدًا صالحًا من اهل فلسطين قد ادرك بقايا من حواري عيسى بن مريم عليهِ السلام وكان تاجرًا كثير المال عظيم الصدقة». وللمسلمين في امكنة عديدة مشاهد ومزارات ومساجد على اسمهِ يرتقي بعضها الى زمن قديم. كفانا ذكر المسجد الذي يُرى شرقي بيروت قريبًا من نهرها (راجع تاريخ بيروت لصالح بن يحيى الذي سعينا بنشرهِ ص ١٦ و ٢٧١)

٣ تنّين القديس جرجس

لا شيء في بلاد الشرق اشهر من تنين القديس جرجس ولا تكاد ترى لهُ صورة الّا تمثّل مع شخصهِ الكريم صورة تنين هائل يصرعهُ ويشكّهُ برمحهِ الاصمّ. وقد روى ذلك صاحب تاريخ بيروت بوجيز الكلام فقال (ص ١٦):

« وقد زعم النصارى ان في القدم خرج في بيروت تنين عظيم فقرَّر اهل بيروت لهُ في كل عام بنتاً يخرجونها اليهِ اكتفاء لشرّهِ فوقعت القرعة في سنة من السنين على صاحب بيروت. فاخرج بنتهُ ليلًا الى مكان موعد التنين فتوسَّلت بالدعاء الى الله فتصوَّر لها مار جرجس القديس. فلمَّا جاء التنين خرج عليهِ مار جرجس فقتلهُ فعمَّر صاحب بيروت في ذلك المكان كنيسةً بالقرب من النهر. والنصارى تصوّر هذه الكائنة في سائر كنائس بلادهم قلَّ ما يخلو منها كنيسة . . واهل بيروت المسلمين والنصارى يخرجون في ذلك العيد الى نهر بيروت ويسمَّى عيد النهر وهو من البدع . . . والعيد المذكور دائمًا يكون ثالث وعشرين نيسان »

وقد بحث البولانديُّون عن اصل هذه القصَّة فلم يجدوا لها ذكرًا قبل القرن الحادي

عشر. وقد رجّح المنتقدون انَّ هذه الحكاية انّما هي رمزٌ فقط يُستدلُّ بهِ على ظفر القديس جرجس بالوثنيَّة وعبادة الاصنام الممثَّلة بالتنين. اما الفتاة فهي اشارة الى المدينة او البلاد التي هداها القديس الى الايمان وخلَّصها من مضرَّة الشرك ووخيم عقباه. وهذه هيئة التنين الرمزيَّة تراها في صور كثيرين من القديسين. وقد اخبر اوسابيوس القيصري في تاريخ قسطنطين الكبير انَّ هذا الملك امر بان يُقام لهُ تمثال وتحت اقدامهِ تنين تنويهاً بانتصارهِ على عبادة الاصنام. وكذلك اعلمنا المقريزيّ في الخطط (٢: ٥٠٦) انَّ الشهيد تادروس يُدعى عند الاقباط قاتل التنين. وهم يصوّرونهُ صارعاً التنين. وعلى هذه الصورة الرمزيَّة اختلقت العامَّة قصَّةَ القديس جرجس وابنة الملك كما تروى اليوم بالشعر العامي المعروف بالمعنَّى. وقد وجدنا منها نسخاً عديدة خطّية متشابهة. الّا نسخة منها هي اوسع من الانشودة المعروفة هدانا اليها حضرة الخوري بطرس حبيقة البسكنتاوي وهي مكتوبة بالكرشونيَّة في جملة اناشيد يرتقي عهدها الى نحو مئتي سنة. وقد قابلنا بين هذه النسخ فاخترنا منها ما يلي:

مديحة مار جرجس

١ على الاتّكال الربّاني الذي انعم وأعطاني
ابدي امدحْ في الحاني في قولٍ مثبوت روحاني

٢ بمار جرجس الشهيد امدحْ وان مدحه لايق ويصلحْ
وماله عليَّ قليل اوضحْ من الفضل والاحسانِ (١

٣ هو لي حارس من صغري وقد طلبتهُ في كلّ عمري
واستجابني بكل امري في البحور والبلدانِ

٤ وجدت هذا الشهيد مكرومْ عند السريان وعند الرومْ
وكتبوه في مصحف معرومْ يحوي اشكالاً والواني (٢

١) والمعروف في انشودتهِ الشائعة:

مار جرجس الشهيد امدحْ في مدحه لائق واصلحْ
سرُّه علينا قد باحْ من جوده والاحسانِ

٢) وفي النسخة المطوَّلة يلي هذا الدور سبعة ادوار اخرى لا يُستخلص لها معنًى سوى انَّ الوالي الذي استشهد في ايّامهِ القديس جرجس كان يُدعى ددیانوس وانَّ البابا فيلاجيوس كتب قصة الشهيد ودعا والدهُ غريغوس

٥ وعلى هذا الاساس نقول في مارجرجس قول مقبولْ
ومن كُتبهم اللّي غير منقولْ معقود فوق الاركانِ

٦ مدينة في بلاد سوريا تسمّى قافودوقيا
اصل جرجس كان فيها اصل فاخر ذو شانِ

٧ ابوه كان بالدفتر مكتوبْ وبجملة مناصب محسوبْ
بوقت الحرب يذهب مطلوبْ بالعسكر الروماني

٨ انتقل في الحروب وماتْ بناموسه بين الساداتْ
وورَّث لجرجس حسراتْ ولبيته والاوطانِ

٩ جرجس وامّهُ ارتحلوا من بلدهم انتقلوا
بفلسطين واللدّ دخلوا فانسرُّوا بالبلدان (١

١٠ رزق وبساتين اقتنوا ومنزل عامر ابتنوا
ومواشي وفدّان خزنوا جملة غلمان وصبيانِ

١١ كان جرجس ماشي بآدابْ ومن صغره ما كان ينعابْ
مؤمن بالمسيح ومواظبْ بامور دين النصراني

١٢ ماتت أمّهُ صار يتيمْ بقي وحده بلا حميم
وبعمل الخير كان مقيمْ متكل على الرحمانِ

١٣ وضع رزقهُ عند انسانْ بقلبه محبّة للايمانْ
وجعله على الغلمانْ واوصاهُ بالاحسانِ

١٤ ثمّة جرجس المنعوتْ اخذ لهُ هدايا وقوتْ
وجاء لمدينة بيروتْ لزيارة السلطانِ

١٥ ولمّا كان في ذاك الحينْ في بيروت ظهر تنّينْ
ريحتُه تهلك العالمينْ ويُعرف باسم الثعبانِ

١٦ على المدينة كان يهجمْ ولوسط البوّابات يلطمْ
يجعل الناس بتوهّمْ بعقل طائر حيرانِ

١٧ واجتمعوا اهل الاشوارْ لعند الملك لجوّا الدارْ
عيّنوا شورْ في ما صارْ لقطع شرّ الشيطانِ

---

١) ويروى: في بيروت جاؤوا سكنوا وعجبتهم الاوطانِ

١٩ جعلوا لهُ في اليوم غنمتينْ بكلّ نهار يأكل نوبتينْ
وفي الآخر طلب بنتينْ اعطوه غنمه وانسَاني

٢٠ طاعوا الشوره بما كان قالْ ودارتْ هذه الاحوالْ
وقطعاً لم يرضَ بالمالْ لكن بصريخ واحزانِ

٢١ كان لصاحب بيروت صبيَّة بالحسن والجمال جنيَّة
وحدها عندهُ مكفيَّة عن الشمس والمرجانِ

٢٢ وبعد ما مضى من الزمانْ جا دور بنت صاحب البلدانْ
بقي بامره كالحيرانْ ومن رعيّته فزعانِ

٢٣ جاؤوهُ في بعض الايَّامْ واجتمعوا عليهِ العوامْ
قالوا لهُ لا تخالف كلامْ عاملنا بفرد ميزانِ

٢٤ انت الرئيس جا دوركْ وما احد خالف شوركْ
قدّم بنتك بدستورك قدّمها للثعبانِ

٢٥ ابوهـا بكي وتفكرْ وعلى بنتهُ صار يتحسَّرْ
وحدتُه عنهـا كيف يظهرْ صار حالهُ كالسكرانِ

٢٦ قـال يا من يأخذ مالي ويعفي عـنّي وعيـالي
يخـلّص بنتي وآمـالي ويكسب شكري ورضواني

٢٧ قالوا لُـه لا تتحسَّرْ ومن ذا الحكم مالك منصرْ
اعيانك نصبوا لك الشرّ ان ما رضيت بالحدثانِ

٢٨ قام ابوها وهندسهـا واحسن ملبوس لبّسهـا
وجعل التاج على راسهـا والصرخات بكل مكانِ

٢٩ راحوا معهـا للموضعْ وكل واحد منهم يرجع
ابوها وقف يتطلَّعْ على بنته والثعبانِ

٣٠ طالعين النـاس تتفرَّجْ وجرجس معهم يتدرَّج
راكب فرس كالاعوجْ عينهُ تقدح بنيرانِ

٣١ اقبل اليهـا الخيَّالْ والنسا تنظر والرجالْ
وفي إيده رمحُ الابطالْ يتبختر على الحصانْ

٣٢ قال لها يا صبيه ما لكْ اخبريني على احوالكْ
لماذا شعبكْ وعيالكْ واقفين فوق الحيطانِ

٣٣ قالت لهُ يا شابّ اهربْ   ما فيك تحمي ولا تضربْ
نفسك بالحَيْل لا تحسبْ   انا قوت الثعبانِ

٣٤ قال يا جارية لا تخافي   وبعوضك انتِ قافي
عن قتله ما بقيتْ عافي   انا جرجس النصراني

٣٥ بينما الجنديُّ الصالحْ   يرصد الوحش الجانحْ
تقرّب للشاطي سابحْ   وفتح فمه للطغيانِ

٣٦ اسرع جرجس وتقدّم اليهْ   ورفع رمحهُ وهجم عليهْ
وضربهُ ضربة بين عينيهْ   والرمح من خلفه داني

٣٧ مار جرجس في ذاك الحينْ   بسيفه ذبح التنينْ
جابوا لهُ سبع فدادينْ   جرُّوه تحت الحيطانِ

٣٨ وكان الفارس أمّنهم   وبقتل التنّين طمّنهم
وعشرين الف (١ عمّد منهم   غير النسا والصبيانِ

٣٩ قام عندهم مدّة ايّامْ   اعطاهم علم وفهم تمامْ
وحذّرهم من الاصنامْ   وعبادة الاوثانِ

٤٠ واهل بيروت الأعلامْ   بنوا هيكل باهتمامْ
على اسم البتول مرت مريمْ   ومار جرجس الطوباني

٤١ في الوطى بعيد من الوعرْ   بقرب مكانهُ جاري النهرْ
وخدمته مقسومة بالشهرْ   الملكي والموراني (٢

٤٢ يجيبوا لهُ الشمع والبخورْ   هدايا مع قربان ونذورْ
ومن كثرة توقيد النورْ   اسودّت كلّ الجدرانِ

٤٣ نطلب من الله الجبّارْ   يغفر خطايا الحضّارْ
وينقذهم من عذاب النارْ   بشفاعة ذا النوراني

٤ استشهاد القديس جرجس

واعجب من حكاية التنّين السابق ذكرها ما يروى عن استشهاد القديس جرجس واصناف العذابات التي كابدها. فيزعم البعض ان هذا الشهيد كان خرج الى احد ملوك الموصل وبكّتهُ على عبادتهِ لصنم افلّون. وانّ الملك غضب عليــه واخترع لعذابهِ كلّ ما يخترعهُ عقل بشر للتمثيل والنكال فخدش جسمهُ بامشاط الحديد والمسامير والمناشير وألقاهُ

١) ويُروى : سبعين الف

٢) يريد المحلّ المعروف اليوم بمقام الخضر (راجع تاريخ بيروت ص ٢٧١. ومن ثمَّ يظهر انَّ هذا النشيد وُضع قبل سنة ١٦٦١)

في ثور من نحاس مُحمى وامتحنهُ بالنار والسباع الضارية والشفار القاطعة والمياه المغرقة والجوع والعطش الى ان مات ثلاثاً ثم اقامهُ الله من الموت ثلاثاً ودامت عذاباتهُ سبع سنين انتصر فيها على سبعين ملكاً وانتهت حياتهُ بموتهِ الرابع الاخير. الّا انهُ في اثناء ذلك صنع من المعجزات ما لا يُحصى كإحيائهِ ثورَين لامرأة عجوز وبعثهِ للاموات وجعلهِ خضراء اربعة عشر كرسياً مع دعامة بابٍ كساها باوراق وزهور اشجارها الاصليَّة وعجائب اخرى عديدة اثار بها عقول كثيرين فردَّهم الى الدين المستقيم من جملتهم اسكندرة الملكة. ولكلّ هذه الكرامات تفاصيل واسعة نقلها الثعلبيّ في قصص الانبياء (ص ٣٧٧— ٣٨٢) وابو جعفر الطبري في تاريخهِ (طبعة ليدن القسم الاوَّل ص ٧٩٥ — ٨١٢). ولنصارى القبط في ذلك ميمرٌ يقولونهُ يوم عيدهِ ونظنّهُ لبطرك النساطرة ايليا الثالث المعروف بابي حليم ابن الحديثيّ وقد طبعوهُ في جملة خطب هذا الكاتب الشهير. فنرويه هنا ليطَّلع القرَّاء على كثرة العجائب التي نُسبت للقديس جرجس تعظيماً له

* خطبة تقرأ في عيد الشهيد العظيم مار جرجس *

« الحمد لله ذي المنّة والاحسان. والنعمة والامتنان. الذي احسن الى خلقهِ وعبيده. فبذل عن خلاصهم دم ابنه وحيده. ووضع لنا بيعاً تُتلى علينا فيها اقاويله المحيية. وجعل لنا رعاة ترشدنا لسبل تعاليمهِ المرضية. وانتخب الانبياء والرسل الابرار. والشهداء والقديسين الاطهار. لنكون نحن لهم تابعين. ولوصاياهم ومواعظهم سامعين. ولِما يشيروا بهِ علينا طائعين. وعلى كل الشدائد صابرين. الذي جعل من نستشفعُ بهِ عندهُ. من اكبر اصفيائهِ واعظم جندهِ. كوكب الشهداء فخر الابرار. تاج المسيحيين رئيس الاطهار. الامير المنتخب البطل الكرَّار. نجم الصبح الزاهر الجليل المقدار. مُقدم الشهداء ماري جرجس الاسفهسلار(١. قامعُ قوة الشيطان ومبكتُ الفجّار. معينُ من يستشفع بهِ في الليل والنهار. مغيثُ من يقصدهُ في سائر الاقطار. منجدُ الخائفين بشفاعتهِ في البراري والبحار

هذا الذي احبَّ جنديَّة السماء اكثر من ولاية فلسطين. هذا الذي اقام في العذاب مدة سبع سنين. هذا هو العظيمُ في جنسنا. هذا الذي اكمل جهاده على اسم ربنا. هذا الذي يجب ان نتخذهُ شفيعاً لنا. هذا هو القديس القبادوقي الفلسطيني جاورجيوس الذي بكت الملك الكافر الشرير داديانوس(٢. هذا الذي احتمل ما احتمل من العذاب وصار

١) الاسفهسلار لفظة عجميَّة مركَّبة من كلمتين (سپاه) جيش و(سلار) قائد ٢) لانعرف ملكاً بهذا الاسم

جنديًا لرب الارباب · هذا الذي اظهر للسبعين ملكاً العجائب والآيات · واقام لهم من تراب الطافوس(١ جماعةً من الاموات · هذا الذي بصلاتهِ على الكراسي الخشبية اورقت وازهرت · بعد ان قُطعت وعُملت كراسيَّ ويبست · هذا الذي بطلبته في بيت الارملة اورقت الخشبة اليابسة واثمرت. وصارت بعد ان تهرَّت بالسوس وعليت(كذا). هذا الذي اشهر الامانة والدين العظيم باسم الربّ يسوع · هذا الذي قُتل على اسم ربنا ومات ثلاث دفوع · هذا الذي اظهرِ الآيات والاعاجيب الحسان · هذا الذي احبهُ الله ببيان · هذا الذي كسر قوّة الشيطان · هذا الذي نصر الامانة وابطل الطغيان · هذا الذي انار عيني ابن الارملة بصلاتهِ · وجعلهُ يمشي ويتكلّم وتُسمع اصواته · هذا الذي ضرب برجلهِ الارض فانشقَّت وافترقت · وغرَّق الاوثان فيها وضربها ثانيةً فانغلقت · هذا الذي سلك في طريق الجهاد احسنَ السلوك · هذا الذي بصلاتهِ نزلت نارٌ من السماء واحرقت سبعين ملكاً من الملوك · هذا الذي قال لهُ ربنا ومخلصنا يسوع المسيح · انني انتخبتك مثل بولس الفصيح · فتشهر الامانة والدين الصحيح · وقد اعطيتك السلطان على السبعين ملكاً وكل مَن حولهم فمهما اردت وقلت يحلّ بهم · وستُعَذَّب على اسمي منهم وتموت ثلاث دفعات · وفي الدفعة الرابعة تكون معي في ملكوت السموات · فمن صبر يا احباني على ما صبر هذا عليهِ · ومن نال من الشهداء الاطهار ما وصل هذا اليهِ · هذا الذي جعل الله مقصدهُ وعمادهُ فصار اكبر شهدائهِ واجنادهِ · · وقد كمّل سعيه واتمّ جهاده · ونال غاية قصدهِ ومراده · نقلهُ الله الى الملكوت الابديّة السمائيّة · واعطاهُ أفضل النعم السرمديّة · فطوباهُ ثم طوباهُ لقد عظّم الاله محلَّ بهائهِ · وشرّف اسمهِ وثناءهُ · واشرق نوره وضياءه · واخضع لشفاعتهِ احباءهُ · ورفع الله مرتبتهُ في اعلى سمائهِ. وشرفهُ على كثيرٍ من اوليائهِ واصفيائهِ · وجعلهُ نجدةً لسائر البشر · ومعونة لقاصديهِ في الإقامة والسفر · ومجيباً لاصحاب الطلبات باسرع الشفاعات. واطمئناناً للخائفين والمفزوعين (كذا). ومصباحاً للغرباء والمسافرين · ونصرة للمظلومين · وقوة للمغلوبين · ومنجياً من سائر الامراض والمصائب · ومخلصاً من الاحزان والنوائب · ومنحهُ عمل الآيات الباهرة والقوّات والعجائب الظاهرة · من إخراج الشياطين وشفاء المرضى والمصابين(٢ · ان قصدتهُ في البحار العميقة انجدك · او في اللُّجج الغريقة عضدك · او في البراري المقفرة نصرك

١) الطافوس كلمة يونانيّة معناها القبر ٢) وفي الاصل: المنصابين

او في الاماكن المفزعة ايدك. او في الطريق الخفيَّة امسك بيدك. او في الظلمات اسرع لقصدك. مغيثُ المستغيثين بمعونتهِ. مجيرُ المستجيرين بشفاعتهِ. سامعُ اصوات الطالبين اليهِ. عاضد من قصدهُ والتجأ اليهِ. الربُّ يعضدنا بشفاعتهِ اجمعين. ويشمل بنصرهِ سائر المؤمنين. ويغفر لمن يقدم في بيعته نذورًا وقرابين. ومن يترأف على الفقراء والمحتاجين. ومن يتصدَّق على الغرباء والمعوزين. ويحفظنا من التجارب بطلباتهِ. وان يديم لنا وعلينا حياة السيد الاب البطريرك انبأ (فلان) بشفاعة الرسل والقديسين وسائر الآباء والمنتخبين امين » انتهى

فمن كل ما سبق ترى ما نالهُ القديس جرجس من الفخر والعزّ في انحاء المعمور حتى انَّ اخبارهُ شاعت بين العامَّة والخاصَّة ونُسب اليهِ من الخوارق ما لا يقبلهُ العاقل اللهمَّ الَّا ما ثبت منها بالنظر والتاريخ الصادق

كتاب

بُرْء الساعة لمحمَّد بن زكريا الرازي

سعى بنشرهِ وتعليق حواشيهِ

الدكتور كَيك مدرّس الصيدلة في المكتب الطبيّ الفرنسي

ان ابا بكر محمد بن زكريَّا الرازي هو احد مشاهير اطباء العرب ولد في النصف الثاني من الجيل التاسع للميلاد في الريّ كما يدلُّ على ذلك اسمهُ وتوفي في سنة ٣٢٠ ه (٩٣٢ م)

وقد اشتهر بتآليفهِ العديدة منها كتاب الحاوي وكتاب الفصول وكتاب منافع الاغذية ودفع مضارّها وغير ذلك ممَّا يطول شرحهُ. ولهُ ايضًا مصنَّفات اقلّ منها اهميَّة ولكنها لا تخلو من فائدة منها كتاب بُرْء الساعة الذي وصفهُ المشرق سابقًا (٤: ٧٢٣) في جملة مخطوطات مكتبة كليَّة القديس يوسف في بيروت. فرأيت في نشر هذا الأثر فائدةً للاطبَّاء. واعتمدتُ في ذلك على النسخة السابق ذكرها (M^1) وقابلتها على نسختين اخريين احداها في المكتبة نفسها (M^2) والثانية تُصان في المكتبة الخديوية (C) مبالغةً في الضبط مع الدلالة على اختلاف الروايات في ذيل المجلَّة ومن هذا التأليف نُسخ قليلة في اوربة نخصّ منها بالذكر نسخة باريس. وفي الوقت ذاته اني انشر في مجلَّة اوربيَّة ترجمة هذا الكتاب بالفرنسية مع حواشٍ عديدة تنوّه بفضل مؤلفهِ ذاك الطبيب النطاسي الذي امتاز بين اطباء العرب

١) وفي هذه المناسبة اشكر محمد افنـدي امين في القاهرة واحد تلامذتي الادباء في كليتنا الذي بهمتهِ تمكنت من الحصول على نسخة نُقلت عن نسخة المكتبة الخديوية

بسم الله الرحمن الرحيم

وبهِ نستعين

قال ابو بكر محمد بن زكريّا الرازي رضي الله عنهُ كنتُ عند الوزير ابي قاسم عبد الله رضي الله عنهُ فجرى بحضرتهِ ذكر شيء من الطبّ وهناك جماعة ممّن يدّعيهِ فتكلّم واحد منهم بمقدار ما بلغهُ في ذلك علمهُ حتى قال بعضهم: « ان العلل من موادّ تكون قد اجتمعت على مرّ الأيّام والشهور وما يكون هذا سبيل كونهِ لا يكاد ان يبرأ في ساعة بل يكون في مثل ذلك من الأيام والشهور حتى يتمّ برؤ العليل» . فسمع كلامه جماعة مَن حضر من المتطببين كل ذلك يريدون بهِ الذهاب والمجيء الى العليل واخذ الشيء منهُ . فعرفتُ الوزير ان من العلل ما تجتمع في الايام وتبرأ في ساعة فتعجبوا من ذلك . فسألني الوزير ان اؤلف فيهِ كتاباً يشتمل على جميع العلل التي تبرأ في ساعة وهو مثل كتاب السرّ في الصنعة لان هذا الكتاب دستور في الطبّ والله الموفق للصواب واليهِ المرجع والمآب

قال ابو بكر رضي الله عنهُ ان من يتأنّى في تأليف الكتب [ينتظر] ان اذكر العلل التي تكون من القرن الى القدم وليس كل العلل تبرأ في ساعة واحدة فلاجل ذلك ذكرنا عضوًا وتركنا اعضاء كثيرة ثم ذكرناها بعد وقدمت ذكر ما يجوز ان يبرأ في ساعة ان شاء الله تعالى . فمن ذلك

باب الصداع

اذا كان الصداع في مقدّم الراس وممّا يلي الجبهة فان ذلك قد يكون من فضل(١ الدم فعلاج ذلك ان يُخرَج شيء من الدم اما بالحجامة او بالفصد فانهُ يسكن على المكان او يشمّ شيئاً من الافيون المصري الجيد ويجعل منهُ في انفه واصداغه او يأخذ شيئاً من العنّاب او من شرابه او يأكل شيئاً من مرقة عدس او يتناول شيئاً من

١) وفي C من قِبَل

الكزبرة اليابسة فانهُ يسكن على الفور. واذا كان الصــداع في وسط الراس فان ذلك قد يكون من الحرارة وعلاج ذلك ان تُبلّ خرقة كتان بدهن ورد وخل خمر(١ وتُلصق على الموضع وتوضع على الراس فانهُ يبرأُ في الوقت او لبن جارية يُبل بهِ الخرقة من غير دهن الورد فان ذلك يسكن في المكان او يدلك اسفل رجليهِ بدهن البنفسج وملح فانهُ يسكن على المكان او يشمّ النيلوفر ويأكل من لبّ الخيار الذي قد وضع في خل ثقيف او يتناول شيئاً من الربوب الحامضة التى من شأنها اطفاء الصفرة فانهُ يسكن في الوقت ان شاء الله تعالى. واذا كان الصداع في موٴخر الراس ممَّا يلي القَمَحْدوة فان ذلك يكون من البلغم وعلاج ذلك يتقيّأ العليل بسكنجبين(٢ وماء الفجل ويشرب عليهِ ماء الشِبث حتى يتقيّأ كل ما في جوفه من البلغم ويجتهد ان يكون ذلك في ماء حار فانهُ يسكن على المكان او يتناول شيئاً من الاهليلج الكابلي المربّى او الاملج المربّى فانهُ يسكن على المكان في الوقت وان تغرغر بايارج فِيقْرا برأ في الوقت

باب في هيجان العين

يكون هيجان العين من المشي في الشمس وعلاجهُ ان يشم الافيون المصري وتُطلى بهِ العين. او يكون ذلك بعقيب الجلوس عند النار [وعلاجه أن] يتناول شيئاً من الطعام البلغمي ويكتحل بشيء من الاهليلج الكابلي فانهُ يبرأُ في الوقت

باب في الزكام

علاج الزكام الذي هو اصعب العلل في ساعة واحدة بأن تأمر العليل ان يصب على يافوخه ماء حارًّا شــديدًا الحرارة فاذا احسّ وملكت الحرارة في دماغهِ برأ من ساعتهِ ووقتهِ. ويكون علاجهُ ايضاً بان توٴخذ خرقة كتان فتُحمى على النار وتوضع على يافوخهِ فاذا احسّ الحرارة سكن في الوقت

باب في وجع الاسنان

علاجهُ ان تأمر العليل ان يأخذ حبّتين او ثلاثة من ميويزاج(٣ ويلفهُ بقطنة ويبلهُ بماء ويدقهُ بين حجرين ويضعهُ على سنّ العليــل فانهُ يسكن في الحال او يأخذ وزن قيراطين من السكّر العُشر العتيق(٤ ويلفهُ في قطنةٍ ويجعلهُ على الضرس فانهُ يسكن. وقد يجعل اشياء كثيرة مثل الغالية والقطران وكي النار(٥

١) M^2 بكر ٢) M^2 بالخلّ والعسل ٣) M_3 زيب الجبل
٤) M^2 سكّر العشر يسمّى الترجبين المغربي ٥) M^2 او الافيون

باب في قلع الاسنان من غير حديد

يأخذ عاقَرْقَرْحا فيضعهُ في خل خمر شهرًا حتى يلين ويصير مثل العجين ثم يجعل منهُ وزن شعيرة على الضرس العليل فانهُ يقلعهُ في الوقت او يأخذ ماء عروق التوت الصيفي ويجمدهُ في الشمس في جام ويضع منهُ على الضرس فيقلعهُ

باب في البَخَر

يأخذ زبيب بزوري جيد ويدقهُ مع اطراف الآس الرطب ويجعلهُ بنادق ويتناولهُ فانهُ يسكن البخر في الوقت

باب في الخوانيق

علاجهُ ان يتغرغر بربّ التوت مع خُرء (١ الكلب فانهُ يسكن في الوقت

باب في العلق اذا تشبّث في الحلق

علاجهُ ان يتغرغر بالخلّ او يأخذ وزن درهم من الذباب الذي يكون في الباقلاء ويُدق ويُنخل ويُحَلّ بخل خمر ويتغرغر بهِ فانهُ ينحلّ في الوقت

باب في الشقيقة

علاجها ان يُبَخَّر بعَرْطنيثا فانهُ يبرأ في الوقت او يبخر بعظام الكلب. فان كان من لقوة بان يوءخذ كف من شعير ويوضع تحت الجبّ حتى يقطر عليهِ الماء ويلين ثم يوءخذ ويعصر من مائه نصف رطل ويفتق فيــهِ دانقُ أُشّق ودانق جاوشير ويسعط من ذلك اجمع بوزن دانق او دانقين فان حدث من ذلك وجع في الراس صبّ على رأسهِ ماء باردًا شتاء كان او صيفًا فانهُ يذهب في الوقت ان شاء الله تعالى

باب في الصرع

علاجهُ ان يأخذ أَفيتمون(٣ وعاقر قرحا وأُسطوخودُس وبسفايج يُدق ويُنخل ويعجن بزيت طائفيّ ويتناول مثل الجوزة قبل الطعام فانهُ يدفع الصرع في ذلك الاسبوع

باب في الدويّ والطنين في الاذن

علاجهُ ان ينقع الافيون الجيد (٤ بالماء ويقطر في الاذن فانهُ يسكن في الوقت

باب في الرعاف

علاجهُ ان يُنفخ في الانف شبّ يماني او يوضع محجمة على الجانب الذي يرعف منهُ فانهُ يسكن في الوقت

---

١) M^2 زبل ٢) C ببعر ظبي ٣) C الافيون المصريّ ٤) M^2 الافيون الجديد

باب في البواسير

علاجهُ ان يبخر بوزن دانق لوف شاميّ فانهُ يسكن في الوقت. فان عُمل حبًّا وُطرح فيهِ وزن دانق منهُ كان ابلغ ويسكن الوجع في الحال

باب في النواصير

يُدرّ عليهِ التوتيا الاخضر فانهُ يبرأ في الحال (١

باب في الجراحات العتيقة (٢ التي لم تسكن منها المدّة منذ سنة او اكثر

يؤخذ من السمن البقري العتيق الذي مضى عليهِ ثلاث سنين او اكثر ويعمل فتيلة من قطن ويُغمس فيهِ ويوضع في العَقْر فانهُ يقطع المدة فيكون تمام التحام الجراحة ثلاثة ايام بعد العلاج

باب في الجراحات الطريّة

علاجهُ ان يوضع فيهِ صمغ البلاط واهليلج كابُلي مسحوقًا مثل الكحل وماء الكافور (٣ ثم يُليَّن بدهن وعسل فانهُ يسكن في الوقت

باب ومما يذهب بالوجع عن الاعضاء من سقطة او ضربة

ان تأخذ اقاقيا وصبر وماش ومغاث وطين ارمني فتدق الجميع وتبلّ (٤ بماء الآس الرطب وتطليهِ بريشة على تلك السقطة فانهُ يسكن الوجع في الوقت ويذهب الخضرة (٥ التي تولّدت منهُ

باب في حرق النار ووجعه

قد يعرض من حرق النار وجع شديد علاجهُ ان يؤخذ مرداسنج اصفهاني ونورة وورد مسحوق (٦ وحنا (٧ من كل جزء واحدٌ وتبلّ القرصة بدهن ورد خالص ثم ينثر عليهِ فانهُ يسكن الوجع ويكون تمام البرء في اقل من ثلاثة ايّام

باب في خروج المقعد

انهُ يؤخذ ظلف شاة وقرنها فيحرق ذلك ويُدق ويُنخل ويُخلط معهُ حفنة جلنار وشبّ وعفص (٨ وورد مطحون وقشر الرمان وآس رطب من كل واحد جزء ويطبخ بماء قليل حتى يخرج قوّتهُ ويقعد فيهِ صاحب الداء فاذا خرج مقعدهُ وضُمد بهِ ثم رُدّ فانهُ يثبت على الوقت ولا يخرج منهُ

١) C يقطع المدّة في الحال ٢) C السيرة ٣) M² ومن الكافور ٤) M² وتبلّ
٥) M² الزروقة ٦) M² و C مطحون ٧) M² وحنا وحيّ العالم ٨) M² عفص بلّوط
٩) C العليل

باب في القولنج

علاجهُ ان يؤخذ من المعجون الملوكي فانهُ يُسهل في الوقت او تؤخذ حنظلة فيُستخرج شحمُها ويُعمل منها فتيلة وتأمر العليل ان يتحمّلها فانهُ يحلّهُ في الوقت الّا انهُ يحدث منهُ كَرب (١ عظيم ومغص في الجوف وعلاج ذلك المغص ان يؤخذ كفّ (٢ كزبرة وقليل كمّون وكراويا وكف شعير(٣ وكف حبّ الرمان يُطبخ جيّدًا او يؤخذ من مائه نصف رطل ويصبّ اوقية مربّى اي مربّى العسل ويضرب ويشرب فانهُ يسكن في الوقت

باب في زحير الصبيان

يؤخذ حب الرشاد مثقالًا ويطرح عليهِ ثلثا مثقال كمّون كرماني يُدق ويُنخل ويُعجن بسمن بقري عتيق ويسقى بلبن امه فانهُ يسكن في الوقت

باب في حلقة الصبيان

يسقى من انفحة جدي بلبن امه فيسكن في الوقت

باب في وجع القلب (٤

علاجهُ يؤخذ راحة كف من الحبة الخضراء وكف زنجبيل بلدي وكف جرجير يُدق ناعمًا ويُخلط بعسل ويُلعق فانهُ يذهب في الوقت. وينفع ايضًا من وجع القلب الدائم ويخرج البلغم الحارّ باذن الله تعالى

باب ممّا يعقل البطن (٥

يؤخذ قشر الخشخاش يُدق ناعمًا ويُعجن بماء الورد ويُستعمل منهُ نصف درهم صباحًا ونصف درهم مساء عند النوم فانهُ يشفي حالًا

باب في عرق النَّسَا

هذه علّة عظيمة كثيرة الخطر يتلف فيها الخلق لقلّة معرفتهم بها ويكون ذلك في الجانب الوحشي من طرف العَصعص الى القدَم ولقد كان الاجود ان نقول فيها قولًا بليغًا غير انّا نحب ان لا نتجاوز عن غرض كتابنا هذا فقلنا فيهِ بالايجاز. وعلاجهُ يؤخذ درهم صبر سُقُطري ومثلهُ اهليلج اصفر ومثلهُ سورنجان ابيض يُدق ويُنخل ويُعمل حبًّا فانهُ يسهل خمسة مرارًا الى ستة فانهُ يبرأ في الوقت. ولقد عالجت بهذه الدواء شيخًا كبيرًا بقي بهذه العلّة سنة (٦ لم يمكنهُ النهوض ولا التقلب من جانب الى جانب فبرأ في الوقت باذن الله تعالى

١) C حذر ٢) M^2 راحة ٣) M^2 زعتر وحزاة ٤ و ٥) هذان البابان في نسخة M^2 فقط ٦) C سنين كثيرة

باب في الخَدَر (١

علاجهُ يؤخذ رماد السرطان ويُخلط بزيت ويضمـــد بهِ موضع الخدر يذهب في الوقت وكذلك القطران ينفع الخدر شربًا وطليًا ويُـكثِر صاحبهُ دخول الحمام فانهُ ينتفع وايضًا شحم الحنظل يقلى في الزيت ويُمرَخ صاحب الخدر فيبرأ في الوقت وايضًا الحنظل الاخضر اذا دُلك بهِ موضع الخدر ينفع في الوقت وايضًا الشرْش المغربي يُدَق ويُضاف اليهِ عرَق روح الخمر والزبيب والعنب ينفع من الخدر والوجع والخدير الذي يكون موجودًا في اي موضع كان في البدن يجرب نفعه

باب في الاعياء والتعب

وقد يكون الرجل يمشي فراسخ نحو العشرة او اكثر فينالهُ من ذلك تعب وجمود في المفاصل ولا يمكنهُ النهوض. علاجهُ ان تبلّ (٢ اظافيره باي دهن كان فانهُ يسكن في الوقت ويمكن ان يمشي مثلها. وينفع منهُ ايضًا ان يقوم الرجل في الماء البارد ان كان صيفًا وفي الحار ان كان شتاء ويكن الماء الى ركبتهِ ولا يصب على بدنه فانهُ يذهب الاعياء في وقتهِ ان شاء الله تعالى

باب في الجرب

علاجهُ ان يأخذ الترمس البرّي ويدقهُ دقًا جيدًا ثمَّ ينقعـــهُ في الماء يومًا او يومين ويغسل الدابة وبعد الغسل يدهن بهِ فانهُ نافع ان شاء الله تعالى

باب في الاطراف اذا عرض لها الحكّة (٣ اذا غسل يده في الماء البارد

ان تأخذ ماء حارًا شديد الحرارة فتطرح فيهِ كفًّ ملح وتضع اطرافه فيهِ ساعة تبرأ في الوقت . واذ قد اتينا على ما قصدنا اليهِ فنقول لا حول ولا قوة الّا بالله العلي العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا وحبيبنا وشفيعنا يوم القيامة محمد صلى الله عليهِ وسلّم تسليمًا كثيرًا ابدًا. تمّت الرسالة المسمّاة ببرء ساعة في الطبّ تأليف الشيخ الماهر ابي بكر محمد بن زكريّا الرازي رضي الله عنهُ وجعل الجنّة مأواهُ)

فهرست الالفاظ الطبيّة الواردة في كتاب برء الساعة وما يوافقها في لسان العلم

أُشَّق – Gomme de *Dorema ammoniacum* L.	آس – *Myrtus communis* L.
	أَسْطوخودُس – *Lavandula Stæchas* L.

---

١) هذا الباب في نسخة M² فقط ولعلّهُ زيد على الاصل لانَّ فيهِ ذكر عرَق روح الخمر الذي ارتأى العلّامة برتلو انَّ الرّازي لم يعرفهُ   ٢) C ان يطلي   ٣) C في الشتاء

أفثيمون – *Cuscuta Epithymum* Murr.
أقاقيا – Extrait des fruits de قَرَظ *Mimosa nilotica* L. cueillis avant maturité.
أملَج – *Phyllanthus Embelica* L.
أنفحة – Lait contenu dans l'estomac des jeunes animaux encore allaités par leur mère.
ايارج فيقرا – Hiera picra. Confection purgative et amère à base d'aloès.
بسفايج – *Polypodium vulgare* L.
بَنفسَج – *Viola odorata* L.
تُرمُس – *Lupinus digitatus* Forsk. او *L. angustifolius* L.
توتيا اخضر –Minerai de cuivre.
جاوشير – Gomme de *Opopanax Cheironium* Koch.
جَرجير – *Eruca sativa* Lam.
جُلَّنار – Fleur du grenadier sauvage (*Punica granatum* L.)
الحبة الخضرا –Fruit du بطم *Pistacia Terebinthus* L.
حِنّا – *Lawsonia inermis* L.
حَنظَل – *Citrullus Colocynthis* L.
حيّ العالم – *Sempervivum arboreum* L.
خشخاش – *Papaver somniferum* L.
رشاد – *Lepidium sativum* L.
زبيب الجبل – Comme ميويزاج
زنجبيل بلدي – *Inula Helenium* L.
سُكّر العشر – Manne récoltée sur *Asclepias procera* L.
سكنجبين – Sirop préparé avec le miel et le vinaigre.

سورنجان – *Colchicum variegatum* L. Hermodacte.
شبث – *Anethum graveolens* L.
شرش المغربي – *Ononis antiquorum* L.
صبر – Suc de *Aloe vera* L.
صمغ البلاط – Lithocolle. Mélange de marbre et de colle de peau de bœuf.
طين ارمني – Argile ferrugineuse.
عاقرقرحا – *Anthemis Pyrethrum* L.
عرطنيثا – *Cyclamen europæum* L. ou d'après Leclerc, *Leontice leontopetalon* L.
عَفص – Galle produite sur *Quercus infectoria* Oliv.
عُنّاب – *Rhamnus Zizyphus* L.
غالية – Confection (معجون) astringente renfermant du musc.
فُجل – *Raphanus sativus* L.
كراويا – *Carum carvi* L.
كزبرة – *Coriandrum sativum* L.
كمّون – *Cuminum Cyminum* L.
لوف – *Arum vulgare* L. et autres.
ماش – *Phaseolus Mungo* L.
مرداسنج – Oxyde de plomb.
معجون الملوكي – Composé de هليلَج, poivre, gingembre, etc. — Avicenne l'appelle سيد الدوية
مُغاث – Racine de grenadier sauvage *Punica granatum* L.
ميويزاج – *Delphinium staphysagria* L.
نيلوفر = *Nymphæa alba* L. او *lutea* L.
هليلَج اصفر –*Terminalia Chebula* Retz.
هليلَج كابُلي – Variété du précédent.

رَبَّةُ شهرِ ايَّار

لجناب المعلّم الاديب يوسف افندي الفاخوري مدرّس العربيّة في المدرسة البطريركيّة العامرة

بات الخليُّ المستحبُّ الوداد مُنزَّهَ القلبِ رفيعَ العماد
مبتعـدًا عمّا يشينُ السداد يهيمُ في مريمَ فخرِ البلاد
امّ إلهِ الخلق ربِّ العباد

من هامَ في أُلفتهِ الفاتناتْ او عشق الخمرة والخادراتْ
أو جدَّ في استرضائهِ الغانياتْ مستسلماً للشرّ في ذي الحياةْ
يلقَ الشقا في كل صقع وناد

ومن يَهِم في مريم العذرا يَعتَلِ ما بين الملا قَدرا
ويذّخر من ذا الهوى فخرا ويُهدَ من صوغ الثنا دُرًّا
وعشقهُ لا يعتريهِ الفساد

فهي التي فاق بهاها القمرْ والصبحَ إشراقًا اذا ما سفرْ
والشمسَ نورًا يستميلُ النظرْ والزّهر ظرفًا ناظريهِ بَهَرْ
واستجمعتْ آياتِ حُسنٍ مُزاد

فخر العفاف المسترقِ الحبيبْ نورُ الهدى ليس بها ما يعيبْ
شمسُ البها انوارُها لا تغيبْ غوثُ الملا صوتَ المنادي تجيبْ
سلطانة العلياء عين السداد

فهيَ البتولُ الملكةُ الطاهرهْ عروسةُ الروح العليّ القادرهْ
مُريحةٌ من قسوةٍ جائرهْ مُغيثـةٌ للانفس الحائرهْ
تحيي الاماني وتُنيلُ الرّشاد

مولودةٌ خاليةٌ من غرورْ بريئة من وقر كل الشرورْ
قد حبلتْ بالربّ نسلَ القديرْ بقوةِ الروح العزيز الخطيرْ
بعيدةٌ عن ريبةٍ وانتقاد

في الصبح والامساء قد عُظِّمَتْ وافضل الوقت بهِ كُرِّمَتْ

كنيسةُ الربِّ بها أُغرمتْ وشهر أَيَّارِ لها قدَّمتْ
شهرًا بهِ تزهو رياض البلاد
شهرٌ بهِ طرفُ الانام يَقِرّ واوجهُ الاقمار فيهِ تَدِرّ
والخير تهتانًا وجودًا يَدِرّ والارض هذا الناس طرًّا تَبرّ
وتُربها يغذى بدَرِّ العهادْ
فزهرةُ النرجسِ عجبًا تميــل ويوشكُ الزنبقُ حسنًا يسيل
والندُّ فوَّاحٌ يداوي العليل والوردُ بسَّام همومًا يُزيل
ونسمةُ الصبح تهادي الوهادْ
وَرْدُكِ أيَّارُ البهيُّ الجميلْ أنوارهُ حاكتْ جمالَ البتولْ
لكنَّكَ الفاني وذا لا يَزُولْ وعرفهُ يحوي النسيمُ البليــلْ
فينعشُ النَّفسَ ويُحيي الفؤادْ
عليكَ يا خير الشهور السَّلامْ من عاشقِ العذراء أُمِّ السَّلامْ
مجدِ العفيفات وأصلِ السَّلام غوثُ البرايا في ديارِ السَّلامْ
علا بها نظمُ صحيحِ الودادْ

(السَّلام السِّلْم ثمَّ اسمٌ من اسمائهِ تعالى ثمَّ النجاة . وديار السلام الجنَّة)

ليس الجراجمة المَرَدَة

من قلم سيادة المطران الجليل يوسف الدبس رئيس اساقفة بيروت على الموارنة

قد اتحفنا المشرق الاغر في هذه المدة بمقالتين احداهما للاب هنري لامنس اليسوعي نُشرت في العدد ٢٤ من سنتهِ الخامسة (ص ١١٢٢) في الجراجمة والثانية للاب انستاس الكرملي في العدد ٧ من سنتهِ السادسة (ص ٣٠١) عنوانها المردة او الجراجمة . وبما ان الغرض من المقالتين هو البحث العلمي الصرف كان يقيننا ثابتًا بان حضرة الكاتبين يتلقيان بالمسرة الخوض معهما في هذا الميدان

ان واقع الحال هو حضرة الاب لامنس كتب مقالةً اولى انكر فيها ان المردة من

الموارنة فاجبناهُ على هـذه المقالة وايدنا كلامنا بثمانية ادلة تثبت رأينا في ان المردة اسم للموارنة في القرن السابع غير ان الاب الموما اليهِ عوضاً عن ان ينقض تلك الادلة كما تقتضي طريقة الجدال الحقة ويأتي بما يزيد في تأييد رأيهِ ان كان لهُ ما يؤيدهُ اتى بالمقالة الثانية يثبت رأيه بما لا نراهُ يؤيدهُ زاعماً ان الجراجمة اشبه بالمردة في احوالهم فهم المردة انفسهم. ثم رأينا في المشرق مقالة الاب انستاس اشبه بمقالة الاب لامنس فتحتم علينا ان ندون هذا الردّ انتصاراً لما نراهُ حقاً

هلمَّ ننظر الآن في ما كتب الاب لامنس في هذا الشان قال « ثم يذكر البلاذري تاريخ الجراجمة على مألوف عادتهِ في ذكر غيرهم من الشعوب القديمة فترى في كلامه بعض الابهام لانهُ يروي بجقهم الروايات المختلفة التي جمعها دون ان يكدّ ذهنه في اثبات صحتها او التوفيق بينها » رويدك ابي ألا ترى ان ما قلتهُ عن البلاذري مسقط لشهادته وموجب لعدم الاعتماد عليها فمن جمع روايات مختلفة ولم يعنَ باثبات صحتها والتوفيق بينها أفيسوغ الاعتماد على روايته

قلت بعد ذلك « من يقابل بين هذه الروايات الشتى يأخذهُ الاندهال لما يجد بين اخبار الجراجمة والمردة من التشابه » وقضيت اخيراً استناداً الى هذا التشابه بان الجراجمة هم المردة وانك « تطابق بينهما » فالتشابه وحدهُ وان عظم لا يجعل اثنين واحداً والَّا فيحلّ مثل هذا الكلام الى ما يبنى عليهِ من القياس فيكون كل اثنين تشابها كان احدهما الآخر والحال ان الجراجمة يشبهون المردة فاذاً الجراجمة هم المردة افيصحّ هذا القياس ؟

ومع ذلك فلنرَ ما هذا التشابه قلت : « ما ذكرهُ المؤرخون عن قدوم المردة من شمالي سوريَّة الى جنوبها وعن احتلالهم جبل لبنان وسكونهم في جوار حمص و بعلبك ودمشق قد رواهُ البلاذري عن الجراجمة في ايَّام الخليفة عبد الملك » . وذكرت قول البلاذري متقطعاً لم نهتدِ في كلامك اليهِ كاملاً فاخذناهُ عن مقالة الاب انستاس فاذا هو :

« خرجت خيل الروم الى جبل اللكام وعليها قائد من قوَّادهم ثم صارت الى لبنان . وقد ضوت اليها جماعة كثيرة من الجراجمة وانباط وعبيد ابَّاق من عبيد المسلمين فاضطرَّ عبد الملك الى ان صالحهم على الف دينار في كل جمعة وصالح طاغية الروم على مالٍ يؤديه اليهِ لشغلهِ عن محاربتهِ... ثم ان عبد الملك وجَّه الى الرومي سحيم بن المهاجر فقتلهُ ومن كان معهُ من الروم ونادى في سائر

من ضوى اليه بالامان فتفرّق الجراجمة بقرى حمص ودمشق ورجع اكثرهم الى مدينتهم باللكام »

انتهى كلام البلاذري. والظاهر منهُ اولًا ان هؤلاء الغزاة روم وقائدهم روم ولا ذكر فيهِ للجراجمة الّا تبعاً كالانباط والعبيد وانت اوهمت ان كلهم جراجمة. ثانياً ان هذه الغزوة واحدة كانت في ايّام عبد الملك والمؤرخون الذين تكلموا عن المردة بدأوا بذكر غزواتهم من ايام معاوية ودامت في ايّام يزيد ابنهِ ثم في ايّام مروان الى خلافة ابنهِ عبد الملك الذي كانت غزوة الروم هذه في ايّامهِ فلا تشابه بل خلاف في الزمان وغيره. ثالثاً ان عبد الملك صالح خدعةً الروم على الف دينار يدفعها كل يوم جمعة لطاغية الروم. والذي ذكرهُ المؤرخون عن المردة ان معاوية صالح قسطنطين اللحياني بسبب غزواتهم على مال وخيل وعبيد يبذلها لهُ ثم ان عبد الملك صالح يوستنيانوس الثاني لهذا السبب على مال بشرط ان يكبح المردة وينفي عسكرهم فالخلاف ظاهر ايضاً ولا تشابه. رابعاً ان عبد الملك على قول البلاذري ارسل ابن المهاجر فقتل القائد الرومي وكثيرين من جماعته وامن من تابعهُ فتفرق الجراجمة بقرى حمص ودمشق وعاد اكثرهم الى مدينتهم والذي ذكرهُ المؤرخون عن المردة انهُ بعد الصلح مع معاوية استمرّوا على اغاراتهم مدة طويلة وبعد الصلح مع عبد الملك حاربتهم عساكر يوستنيانوس لا عسكر الخليفة ولم ينتصروا على المردة بل اخذوا اثني عشر الفاً من عساكرهم خدعةً ومكرًا واوصلوهم اولًا الى ارمينية ولم يتفرقوا بقرى حمص ودمشق. فانظر كم من الخلاف بين المردة والجراجمة وبين البلاذري والمؤرخين الذين ذكروا المردة وانت تقول ان ما ذكرهُ البلاذري عن الجراجمة وما ذكرهُ المؤرخون عن المردة واحد وان بين الامتين تشابهاً بل اتفاقاً حملك على ان تطابق بينهما كما سيجي من كلامك. وذكرت فقرة من كلام البلاذري مقطوعة عمّا قبلها وهي « تفرق الجراجمة بقرى حمص ودمشق » لتوهم انّهم المردة اي الموارنة الذين كانوا منذ نشأتهم يسكنون في جهات حمص وحماة حيث كان دير ابيهم القديس مارون ورهبانه. والخلاصة انهُ لا تشابه بين الامتين الّا بانّ المردة انضمّ اليهم عند غزواتهم اسرى وعبيد ووطنيون والروم في الغزوة المذكورة ضوى اليهم جراجمة وانباط وعبيد أُباق لكن هذا التشابه عامّ في كلّ ثورة وكلما ثار قوم انضوى اليهم كل من لهُ مصلحة بثورتهم وهذا نراه الى اليوم في كل محل فضلًا

عن الخلاف بين من ضموا الى المردة ومن ضموا الى الروم المذكورين وحيث ان الاب لامنس والاب انستاس اعتمدا في مقالتيهما على التشابه خاصة فترى هنا ما ذكرهُ الاب لامنس في باقي اقواله عن هذا التشابه ونذكر اقوال الاب انستاس عند ردّ كلامه مبينين ان لا تشابه بين المردة والجراجمة بل اوجه الخلاف كثيرة

فقد استشهدت قول البلاذري في فتوح البلدان صفحة ١٥٩ « ان الجراجمة من مدينة على جبل اللكام عند معدن الزاج. . . يقال لها جرجومة » والمردة كانوا في لبنان وجواره على قول كل من ذكروهم فالخلاف ظاهر

ثم نقلت عن البلاذري ايضاً صفحة ١٦١ في تاريخ سنة ٨٩ هـ (٧٠٧ م) « ان الوليد بن عبد الملك وجّه الى الجراجمة مسلمة بن عبد الملك فافتتح مدينتهم وصالحهم على ان ينزلوا حيث احبّوا من الشام وعلى ان لا يُكرهوا على ترك النصرانيّة ولا تؤخذ منهم جزية. . . وان الخلفاء اجروا الارزاق على هؤلاء الجراجمة واستعانوا بهم في حروبهم » فشتّان بين ما ذكرتهُ هنا عن الجراجمة وبين ما ذكرتهُ انت نفسك عن المردة فكيف تستشهد للمشابهة ما هو نصٌّ في الخلاف على انهُ اذا صحّت هذه الرواية كان بيّنة عليك لا لك فالمردة كانوا يسطون في ايَام معاوية وايَام عبد الملك بن مروان واخذ يوستنيانوس منهم اثني عشر الفاً وانت قلت ذلك والبلاذري يقول في الجراجمة انهم صولحوا واحسن اليهم بعدم اخذ الجزية واجرى الخلفاء الارزاق عليهم واستعانوا بهم في حروبهم فهذا بيّنة لنا عليك انت الذي تزعم ان الامتين واحدة. فضلاً عن ان هذا كان في القرن الثامن بعد انقضاء غزوات المردة. نقلت ايضاً عن البلاذري قولهُ في صفحة ١٦٢ « خرج في جبل لبنان قوم شكوا عامل خراج بعلبك فوجّه صالح بن علي ابن عبد الله بن العباس من قتل مقاتلتهم واقرّ من بقي منهم على دينهم وردهم الى قراهم واجلى قوماً من اهل لبنان » فاين الذكر بهذا القول للجراجمة وانّى حقّ لك ان تقول بعد ايراده دون فاصل « هذا دليل واضح ان قوماً من الجراجمة كانوا قبل هذا العهد في لبنان ». فلو اكتفيت بما نقلتهُ عن البلاذري في كلامه عن ميمون الرومي انهُ لم يكن من الجراجمة وانهُ نسب اليهم لاختلاطه بهم وخروجه بجبل لبنان معهم لأتسق ذلك مع كلامك وان لم يفدك في مقصدك ان الجراجمة والمردة امة واحدة ولو ثبت قيام بعض الجراجمة بين المردة لا يثبت منهُ ان الامتين واحدة كما

صرحت بدّعاك بقولك « ان الاتفاق بين احوال المردة وامور الجراجمة يحملنا ان نطابق بينهما » اتسمي ما ذكر من الخلاف اتفاقاً. وعدلت عن ان تسميهُ تشابهاً ثم نقضت المشابهة والاتفاق بخاتمة كلامك حيث قلت « فكان اذًا في لبنـان قوم من الجراجمة وهذا ما اردنا بيانه ». ونحن نقول ان ثبت هذا فاي مضرة لنا منهُ فان وجد قوم من الجراجمة بين المردة في لبنان اينتج منهُ ان الجراجمة هم المردة او يؤخذ منهُ ما يضادّ ما اثبتناه. هذا خلاصة كل ما قلت

هلمّ ننظر الآن الى مقالة الاب انستاس الكرملي فقد افتتح كلامه بقولهِ انهُ ماروني قحّ وانهُ كثيرًا ما دافع عن ان المردة والموارنة امـة واحدة وانهُ لمّا طالع نبذة الاب لامنس الاولى كاد يغمى عليهِ وقراها بلمحة بصر وانهُ بعـد ان طالع الردّ على الاب لامنس انشرح صدره ولكن ما حشى بهِ هذا الاب ذلك الردّ اعاد اعتلاله واكرههُ ان يبحث عن الحقيقة (١. فهلمّ ننظر ما قال حضرة الاب ايضاً قال ان نتيجة بحثهِ ادّتهُ « اولًا الى ان المردة في الاصل من اقوام فارس والكلمة فارسيّة لا حظّ لها من الاشتقاق العربي او الارمي » قلنـا لو قال ذلك اعجمي لاغتفر قولهُ واماَّ ان يقولهُ سرياني ماروني عربي فلا يُغتفر لهُ. وقال « ثالثاً كان المردة في الاصـل روماً جاؤوا سوريّة مع غيرهم ». وقال « رابعاً ان اسم المردة والاصح الجراجمـة اسم قوم محارب اجتمع افرادهُ من امم شتى واديان مختلفة » فهذه ثلاثة اقوال مختلفـة فليقل لنا على ايّها يعتمد وعلى ايّها اعتمد كان ناقضاً لرأيه فان كان المردة من الفرس او الروم او امم شتى فليسوا جراجمة فكان عليهِ ان يصرّح على ايّ هذه الاقوال يعتمد او على الأقل ان يعبّر عن مقصدهِ بما يفهمهُ الجمهور

قال ثانياً « ان من سمّوا القوم مردة من السوريين اخذوا التسمية عن اليونان » قلنا هذا مخالف للظاهر البديهي فالمردة سوريون وسريان واسمهم يطابق السريانيّـة والعربيّة دالًا على تمردهم وعصيانهم ولا سبيل لليونان ليسموهم بهذا الاسم السرياني او العربي والقول انّهم سمّوهم كذلك تشبهاً بالمَرد الذين كانوا في القرن التاسع قبل المسيح خرافة سيأتي ردها. قال « خامساً ان الجراجمة قبل ان يأتوا لبنان كانوا يسكنون

---

١) راجع المشرق ٥: ٩١٤

ولايات آسية الصغرى » قلنا فلم يأتوا اذًا من جرجومة فجرجومة في سوريَّة فسامح الله كاتب هذه المقالة بهذه الاقوال المتناقضة ولكن لا نسامحهُ بما قالهُ بعد ذلك عنها « فهذه كلها حقائق اصبحت عندي مثبتة راهنة »

ثم اخذ الاب انستاس يورد شهودهُ فذكر اولًا توافان فنحجّهُ بما ذكر منهُ . فما معنى قوله « ان يكعّ جيش المردة الذين في لبنان ويمنع شنّ غاراتهم ...وفي السنة الثانية استرجع المردة الساكنين في لبنان وبهذه الصورة هدم سورًا حصينًا » فمن طالع اقوال توافان في محلّات عديدة واقوال شدرانوس وزاناراس وانستاس المكتبي وبولس الشماس والملك قسطنطين السابع ابن لاون الحكيم من القدماء واقوال من لا يمكن عدّهم من المتأخرين تحقق ان جميع هؤلاء يفهمون بالمردة سكان لبنان ومن انضمّ اليهم من اخوانهم الذين كانوا في نواحي انطاكية وحمص وحماة لا غزاة اتوا الى لبنان او مرّوا بهِ ولاسيَّما لان كل هؤلاء العلماء صرحوا ان غزواتهم وغاراتهم استمرت طويلًا . وقال الاب لامنس في مقالته الاولى « اقل من نصف قرن » وكل هؤلاء ايضاً سمّوهم مردة لا جراجمة فيجيبنا صاحب المقالة ان توافان سماهم مردة لنكتة بديعيَّة تاريخيَّة . وملخص كلامه ان توافان سمى الجراجمة مردة ليُفهم القارئ ان ماجرى بين الجراجمة والعرب يشبه ما جرى بين المردة واعدائهم قبل المسيح بقرون يريد بالمردة بكلامه هذا القبيلةَ التي كانت في نواحي طبرستان قبل المسيح بتسع قرون وهذه القبيلة يسميها الافرنسيون (Mardes مردس او مرد) فمن يصدق ان توافان تكلم في تاريخه بالالغاز فالالغاز والنكت البديعيَّة لا تكون في التاريخ وكيف وافق توافان على هذه التسمية كل العلماء الذين ذكرناهم وكثيرون غيرهم ولم يحلّ احدهم هذا اللغز او يفكّ هذا المعمّى الى ان اهتدى اليهِ صاحب المقالة . فمثل هذا الكلام لا يحتاج ردًّا . وفي جملة اقوال الاب لامنس في مقالته الاولى ان المردة من هؤلاء المُرْد ثم عدل عن ذلك وقال في مقالتهِ الثانية انهم الجراجمة

اورد الاب انستاس قولًا لابن الاثير في الجزء الرابع (ص ١٤٩ لا ١٨٩ كما طُبع) جلُّ ما قالهُ فيهِ « انهُ خرج قائد من قواد الضواحي في جبل اللكام واتبعهُ قوم من الجراجمة والأنباط والأُباق وغيرهم ثم سار الى لبنان (على قوله وفي نسخة مدرستنا التي هي من الطبعة الازهريَّة الى البنان) فبذل عبد الملك الى هذا الخارج الف دينار في

الجمعة فركن الى ذلك ولم يفسد في البلاد ثم وضع عليهِ عبد الملك سحيم بن المهاجر فاظهر ممالئته لهُ وذمّهُ لعبد الملك ولمّا تمكن منهُ اكمن لهُ من جنوده فقتلهُ وبعضاً من اصحابه » هذه رواية ابن الاثير وهي رواية البلاذري نفسها التي مرّ ذكرها لا غيرها . ومع ذلك فليقل لنا الاب انستاس أيسوّي بين ما كان لهـذا القائد وبين ما يقولهُ المؤرخون عن المردة واغاراتهم في ايّام معاوية حتى ايّام عبد الملك وبين ما كان من العهدتين بين معاوية وعبد الملك وملوك الروم بسبب المردة وبين ما بذلهُ عبد الملك لهذا الخارج الف دينار في كلّ جمعة ليسكتهُ خدعةً وبين قتلهِ وبعض اصحابه وبين اجلاء اثني عشر الف من المردة ثم هبه سار الى لبنان ايكون هو واصحابه المردة فلم يحارب كما حاربوا وقُتل ولم يُقتلوا . كلاّ ان هذه الرواية لا تنطبق على المَرَدَة ولا على الجراجمة ايضاً لانهم كانوا اتباعاً كما رأيت في قول ابن الاثير هذا وفي قول البلاذري

ثم جاء صاحب المقالة بكلام أخذهُ من معجم البلدان لياقوت في اسم جرجومة وبعض تاريخها . وجُل ما لهُ علاقة ببحثنا هو قولهُ « خرج منهم قوم الى الشام مع ملك الروم في نواحي الشام وقد استعان المسلمون بالجراجمة في مواطن كثيرة في ايّام بني أُميّة وبني العبّاس واجروا عليهم الجرايات وعرفوا منهم المناصحة » . فهذا مؤيد لرأينا لا لرأي الابوين لامنس وانستاس لان المردة كانوا على خلاف ذلك

ثم اورد كلام البلاذري وذكر ممّا لهُ علاقة ببحثنا ما ذكرهُ ابن الاثير في عصيان الجراجمة باكثر تفصيل وهذا قدَّمنا ردهُ . ثم اعاد علينا ما ذكرهُ الاب لامنس في افتتاح الوليد جرجومة سنة ٧٠٧ م وتأمين اهلها وان ينزلوا حيث احبوا واسهب في الخبر اكثر من الاب لامنس فكان من كلامه اكثر بيان لما نثبتهُ نحن خلافاً لهما . ولا تنسَ عمّا مرّ من انّ الكلام على حدث جرى في اوائل الجيل الثامن اذ كان نفي عسكر المردة وخمدت جذوتهم فلا ينتج منهُ شيء يدل على ان الجراجمة والمردة امة واحدة . ثم روى عن البلاذري ايضاً ان المتوكل على الله « الذي كان في القرن الثالث للهجرة امر ان تجري الارزاق على الجراجمة اذ كانوا ممّن يستعان بهم في المسـالح » وهذا ايضاً يؤيد رأينا لا رأيهما

ثم قال « هذا ما اخذناهُ بحرفه عن تاريخ هـذا الكاتب المحقّق وانت تعلم علو منزلة البلاذري من تدوين الحوادث اذ انك لا ترى ابداً هذا الجهبذ يلقي الكلام

على عواهنهِ بل يسندهُ دائمًا الى من حدَّثهُ بهِ » وقد مرَّ ان الاب لامنس قال في حقه « ترى في كلامه بعض الابهام لانهُ يروي في حقهم (الجراجمة) الروايات المختلفة التي جمعها دون ان يكدّ ذهنهُ في اثبات صحتها او التوفيق بينها » فاي منكما يا ابويَّ صدق وايٌّ لم يصدق ? امَّا انا فارى الاب انستاس احكم اذ طبّق كلامه على غرضه لكنني ارى الاب لامنس اصدق اذ نطق بالحقّ وما رويناهُ من اقوال البلاذري شاهد عدل لذلك

جاءنا اخيرًا الاب انستاس بشهادة من التاريخ السرياني لابن العبري (صفحة ١٠٩ طبعة بدجان) وتفاخر بها حتى قال بعد ايرادها « قطعت جهيزة قول كل خطيب » وجعل هذا الكلام خاتمة مقالته فامعنَّا النظر في هـذه الشهادة فاذا هي من اكبر الحجج لنا وبيِّنـة دامغة عليهِ فنورد ترجمته لكلام ابن العبري وفقًا للاصل السرياني الذي ذكرهُ هو فينظر القارئ انهُ يؤيّد جليًا ما نثبتهُ لا ما زعمهُ هو والاب لامنس قال بعد ايراده الاصل السرياني : « وهذا تعريبه : ان اناسًا من الروم (كانوا يسمون حينئذٍ رومًا كل من اتبع ملوك الروم وانتصر لهم ضد العرب) غزاة مردة (وفي الاصل اناسًا غزاة رومًا ܡܪ̈ܕܝܐ والكلمة منسوبة الى ܡܪܘܕܐ اي المتمرّد او خالع الطاعة فصحيح ترجمتها منسوبين الى المردة) وكان اهل سوريَّة يسمونهم جراجمة اي ابطالًا (وفي الاصل كان السريان لا اهل سوريَّة يسمونهم ܓܪ̈ܓܘܡܝܐ والكلمة بمعنى الابطـال او الجسورين وليست نسبة الى الجراجمة وان وافقت بعض حروف اسمهم) ضبطوا البلاد من جبل الجليل الى الجبل الاسود وكل جبـل لبنان وكابد العرب منهم كثيرًا وفي الآخر تغلَّب العرب فقتلوا بعضًا منهم وسملوا عيون آخرين »

فصحيح ترجمة كلام ابن العبري هو « ان اناسًا غزاة رومًا من امة المردة ويسميهم السريان بلغتهم كركوميا اي ابطالًا ضبطوا كل البلاد من جبل الجليل الى الجبـل الاسود وجبل لبنان الخ » وهذا الكلام الاخير نفسهُ ورد كانهُ بحروفه في اقوال توافان وشدرانوس وزاناراس في كلامهم عن المَرَدَة وكذلك رواهُ كل من رووا اخبارهم فلا شكَّ اذًا في ان ابن العبري تكلم في هذه الفقرة على المردة وليس للجراجمة فيهِ الّا قرب اسمهم من اسم كركوميا الذي فسرهُ الاب انستاس نفسهُ بابطـال ܓܪܓܘܡܝܐ بالسريانيَّة معنـاها الخروب او نوى الخروب و ܓܪܓܘܡܐ

خروبة وليس في مادة الاسم ما يدل على الشجاعة او القوة وتفسير الاب انستاس لهُ بابطال مشعر بان الكلمة ليست منسوبة الى جرجومة بل وافق مقصدهُ ان يقول جراجمة ويفسرها بابطال كما هو تفسيرها الصحيح فاذًا شهادة ابن العبري بينة ظاهرة لنا وما كان يحقّ لهُ ان يتفاخر بها ويترنم باناشيد الظفر قائلًا « قطعت جهيزة الخ » بل حقّ علينا ان نسديهُ شكرًا جزيلًا على انهُ هدانا الى بينة أُخرى فوق ما لنا من الحجج على ان المردة اسم الموارنة في القرن السابع اكسبتهم اياهُ غزواتهم واغاراتهم ثم عادوا الى اسمهم موارنة ونعتد ذلك حقيقة اثبتها كل علمائنا ونحن احقرهم في مقالتنا السابقة ومقالتنا هذه وقد جزمنا ان لا نعود الى الكلام فيها الّا ان يرد من يخالفنا فيها كل ادلتنا بموجب قوانين الجدال ولا يلقى عندنا ما يخالف هذه القوانين الّا عدم الاكتراث هدانا الله جميعًا الى الصواب

حاشية لحضرة الاب هنري لامنس

ان سمح لنا السيّد الجليل كاتب المقالة اوردنا هنا بعض ملاحظات نسأل سيادتهُ ان يرمقها بنظرهِ السامي: ١ً اننا في مقالتنا الاولى عن المردة « لم ننكر انَّ المردة من الموارنة » وانما اكتفينا بذكر آراء العلماء في هذا الشأن تاركين للقرَّاء ان يختاروا ما يرونهُ اقرب الى الحقّ (المشرق ٥: ٨٣٨). امَّا مقالتنا الثانية عن الجراجمة فقد سعينا بأن نثبت فيها استنادًا الى الكتبة الاقدمين من يونان وعرب انَّ اسم المردة والجراجمة أُطلق على امَّة واحدة او بالحري انَّ الجراجمة كانوا اقرب فرق المردة الى الشام

٢ً ليس بين رأيي وراي حضرة الاب انستاس اختلاف جوهري. وكذلك لا يختلف راينا في رفيع مقام البلاذري بين المؤرخين. الّا انَّ حضرة الاب انستاس بيّن خصوصاً عظم شأنهِ ودقّة معارفهِ بينما الفقير ابديتُ اسفي على انَّ هذا الكاتب « لم يوفّق بين الروايات التي اثبتها » (المشرق ٥: ١١٣٢). وهذا الخلل لا يمنع كونهُ من اعظم مؤرخي العرب

٣ً لسنا والاب انستاس اوَّل من ارتأى انَّ الجراجمة والمردة شعبٌ واحد. فانَّ غيرنا وفضلهم بين العلماء شائع قد سبقوا ورجّحوا هذا الراي . فان كنَّا اخطأنا فهذا الخطأ يشمل قوماً مبرّزين

٤ً لم تكن نيّتنا لمَّا قادنا سياق كلامنا عن شعوب لبنان الى البحث عن المردة ان نباشر جدالًا مع احدٍ. كما اننا الآن لا نقصد ذلك. وغاية ما اردنا ان نوضح ما حسبناهُ الحقّ. وقد عرف كاتب الارز في عددهِ ٣٩٩ الصادر في ١٦ نيسان المنصرم لنا ولحضرة الاب انستاس حُسن نيّتنا. فنشكرهُ على امتداحهِ اعتدال خطتنا

(المشرق) بعد مقالة السيّد الفضال والمطران الجليل يوسف الدبس والملاحظات السابقة لم نَعُد نرى داعياً لمواصلة هذا البحث ومن ثم لا نقبل رسالة لاحد في هذا الصدد . فلكلٍّ ان يفحص ما جاء بهِ الفريقـان من الادلَّة ويرتأي ما يرى فيهِ وجه الصواب جريًا على قول القديس اوغسطينوس: « فلنلازمنَّ الوحدة في عقائد الايمان والحُريَّة في الامور غير الثابتة والمحبَّة في كلّ شيء »

قيامة المسيح

للاب يوسف غرد اليسوعي مدرّس اللاهوت في كليَّة القديس يوسف (تتمَّة)

٢ استثبات الرُّسل في حقيقة قيامة المسيح

ليس الرسل بخادعين مكَّارين في شهادتهم على قيامة السيد المسيح فهذا ما بيَّناهُ في مقالتنا الاولى . ولكن يا تُرى ألم ينخدعوا باخبارهم عن هذه القيامة ؟ ألم يرووا ما رووا عن جهل او عن تخيُّل ووهم دون ان يتثبَّتوا في صحَّة هذا الامر العجيب فاشاعوا بين الناس ما كانوا يحسبونهُ الحقيقة وهو في واقع الحال امرٌ فريٌّ سوَّلتهُ للرسل مخيَّلتهم او ظنونهم الباطلة

(قلنا) لا شكَّ في انَّ الرُسل صرَّحوا جهارًا امام الجموع وبازاء مجلس أُمَّتهم المتألف من رؤساء الشعب والشيوخ والكهنة والاحبار انَّ الذي انطقهم واجبرهم على المناداة بقيامة يسوع الناصريّ بعد ان قتلهُ اليهود هو انَّهم رأوهُ ممتلئًا من الحيـاة وسمعوهُ يخاطبهم وجسُّوهُ بايديهم مرارًا وآكلوهُ وشربوا معهُ

فمن شاء ان ينكر انطباق هـذا القول على الحقيقة ليس لهُ ان يقدّر الَّا تقديرين :

(الاوَّل) انَّ الرسل رأوا المسيح حقيقةً لكنَّهُ لم يمت في آلامهِ . (والثاني) انَّ المسيح مات حقًّا امَّا قيامتهُ فلا حقيقة لها الَّا في مخيَّلة تلامذتهِ الذي صدَّقوا اضغاث احلامهم ونزَّلوا مرغوباتهم ومشتهياتهم منزلة الحقيقة

١ (مات المسيح حقًّا) ان حاول احد ان ينكر موت المسيح ليبطل حقيقة قيامتهِ لا يخلو ان يلتجئ الى احد القولين: احدهما انَّ الذي مات ودُفن لم يكن السيّد المسيح نفسهُ بل شخص غيرهُ هو شبههُ. والآخر انَّ المسيح أُنزل من على الصليب وجُعل في القبر وفيهِ رمقٌ فعولج من جراحاتهِ وشُفي ثم ظهر لتلاميذهِ الذين بسذاجة عقولهم صدَّقوا قيامتهُ على مثال ما جرى للقديس سبستيانوس الشهيد الذي رُشق بالسهام فتوهم اعداؤهُ انهُ مات لكنهُ لم يمت حقيقةً فعالجتهُ امرأة صالحة فلمَّا شفي رآهُ ديوقلسيانوس الملك فدهش وظنهُ قام من الموت

ولا حاجة هنا لنبطل القول الاوَّل لأنَّهُ تخيُّل لم يبالِ بهِ علماء النصرانيَّة ليدحضوهُ

امَّا القول الآخر اي ان السيّد المسيح لم يمت فهذا لا يُمكن التسليم بهِ لانَّ الأعذبة التي قاساها في مدَّة آلامهِ كان من الواجب ان تُميتهُ فمن بعد عرق الدم والجلد والتكليل بالشوك جاء الصلب على الكيفيَّة التي استعملوها بالمسامير كافياً وافياً لاماتتهِ. ولنا على حقيقة هذا الموت ادلَّة دامغة عديدة صرَّح بها الصالبون وسائر الذين شاهدوا الفاجعة المحزنة. فقد كان هناك يوحنَّا الحبيب ومريم وسائر النسوة وغيرهم. امَّا يوحنَّا فيؤكد انهُ شاهد يسوع قد اسلم الروح وذكر الوقائع التي صاحبت ووليت وفاتهُ واطال في مسألة شهادتهِ لانهُ راى كل شيء بعينهِ فقال: «الذي عاين شهد وشهادتهُ حق وهو يعلم انهُ يقول الحق» (يوحنَّا ١٩: ٣٥). ولم يكتفِ يوحنَّا بتأكيد هذا الخبر بل ذكر ايضاً كيف ان اليهود اكدوهُ قائلاً انهُ لمَّا كان اليوم الثاني موافقاً لعيد الفصح ولا يجوز في مثل هذا اليوم العظيم عذاب المجرمين وإبقاؤهم على الصليب. وبما ان المصلوبين من وجه آخر لا يجوز انزالهم عن الصلبان قبل ان تفارقهم ارواحهم أمر اليهود الجند الواقفين هناك بان يُجهزوا على المحكوم عليهم فبادروا وكسروا ساقي اللصَّين وامَّا يسوع فبما انهم تأكدوا موتهُ بمحضر من الكهنة لم يجدوا لكسر ساقيهِ داعياً لكنَّ واحداً من الجند طعن صدرهُ بحربة خرقتهُ من جانب الى آخر (يوحنَّا ١٩: ٣٤). فهب انهُ لم يكن مات فان هذه الطعنة كانت تجهز عليهِ لا محالة

ثم ان يوسف الذي من الرامة لمَّا دخل على بيلاطوس وسألهُ جسد يسوع ليدفنهُ

استدعى بيلاطوس قائد المائة الذي انفذ حكم الصلب واحبَّ ان يتأكد منهُ موت يسوع فاخبرهُ بحقيقة الحال التي شاهدها بعينهِ ومن ثم فبناء على شهادة علنيَّة ورسميَّة اذن بيلاطوس الى يوسف الرامي في دفن الجسد

ثم ان دفن يسوع هو دليل آخر على حقيقة موتهِ لانَّ العقل لا يقبل اصلًا ان اليهود الذين كانوا يبغضون يسوع كلَّ هذا البغض يرضون بترك غريمهم قبل ان يتأكَّدوا وفاتهُ التاكُّد التام. ولا يُعقل انهم لمَّا جاؤوا وختموا القبر لم يفحصوا الجثة التي اودعت فيهِ ويتحقَّقوا كونها هي جثة يسوع بالذات. ولا ريب ان اصدقاء يسوع لو شاموا ايضًا اقلَّ بارقة امل في اعادتهِ الى الحياة لما كانوا بادروا الى دفنهِ واهملوه يوم السبت بكاملهِ دون علاج. ولو قدَّرنا المستحيل وقلنا انهُ كان حيًّا لوجب ان يموت لا محالة بعد ان حنَّطوه بالمرّ والصبر والطيوب ولفُّوه باللفائف الكثيرة على حسب عادة اليهود في ذلك الزمان

فمن ذا الذي بعد ما عدَّدناه من الادلَّة يكابر وينكر الحقَّ الواضح ؟

٢ (ليست قيامة المسيح وهميَّة) بقي التقرير الثاني وهو انَّ يسوع وان كان قد مات لكنَّهُ لم يقم من القبر وهذا ايضًا منقوض. نعم ان منكري القيامة يعوّلون عليهِ ويكررونهُ على مثال اولئك الذين في ايامنا اذا تكلموا عن شيء يختصّ بالديانة او بحياة القديسين ينسبونهُ الى الوهم والهستيريا وما شاكل ذلك غير انَّ قولهم لا يقوى على دكّ الحقيقة الظاهرة. فهلمَّ نبحث عن صحَّة قولهم. يدَّعون ان التلاميذ لمَّا كانوا قد سمعوا المسيح يتكلَّم على القيامة وكان لهم من وجه آخر اعتبار زائد لقدرتهِ على اتيان المعجزات توهموا ان مثلهُ لا يمكن ان ينتصر عليهِ اعداؤهُ انتصارًا تامًا ولهذا كانوا يتوقَّعون من وقت الى آخر ظهورهِ ظافرًا وكانوا يتبادلون هذا الفكر ويتحدثون بهِ حتى آل بهم الامر الى الاقتناع بتحقُّق ما كان يختلج في اذهانهم

(قلنا) ونحن ايضًا لا ننكر الوهم وفعلهُ في الادمغة ولكن نقول انهُ من السهل التفريق بين من تسطو عليه المخيلة وبين من يتكلَّم ويعمل دون ان يكون للغرور ادنى تأثير عليهِ. واذا طالعنا اقوال الرسل وبحثنا فيها بحث منتقد نرى ان قيامة يسوع لم تكن تخطر لهم على بال ولهذا قاوموها في بادئ الامر وأبوا ان يصدّقوها مخافة ان يقال عنهم ان الوهم عمل فيهم. وكانت الانفعالات التي تركتها في انفسهم الأيام السابقة قد

انستهم ايضاً نبوَّة يسوع التي سمعوها قبلًا ولكن دون ان يفهموهـــا (يوحنَّا ٢٠ : ٩)

وكذلك النسوة القديسات لم يكن ليخالج افكارهنَّ امر القيامة بدليل انهنَّ في صباح الاحد بكرنَ الى القبر حاملات ما اشترينهُ من الطيوب اكالًا لتحنيط يسوع وكنَّ قلقات ومنزعجات يفكِّرنَ في من يدحرج لهنَّ الحجر . ولكن وجدنَ على غير انتظار ان القبر قد انفتح وان جسد يسوع غير موجود فيهِ . فلو كنَّ يرجونَ القيامة من قبل او يفكرنَ فيها لفرحنَ وابتهجنَ ولكنهن بعكس ذلك وقفنَ خائفات متحيرات . ثم ان المجدليَّة غادرتهن واسرعت الى اورشليم مخبرة بما ظنتهُ خوفًا لحرمة القبر فقالت : « قد اخذوا الربَّ من القبر ولا نعلم اين وضعوهُ » (يوحنَّا ٢٠ : ٢) . وعادت بعد ذلك مسرعة وقد ثقل عليها الحزن فجلست تبكي على باب القبر وتفتكر في الذي سرق الجسد وتجدّد عزيمتها على البحث عنهُ . وجاء اثر ذلك سائر النسوة واخبرنَ انهنَّ وجدنَ القبر خاليًا لكنهن شاهدنَ ملاكين اخبراهنَّ بان يسوع قد قام وامرهنَّ بابلاغ الخبر الى التلاميذ غير ان التلاميذ حسبوا ان النسوة قد سطا عليهنَّ وهم او غرور فعدوا كلامهنَّ كالهذيان ولم يصدقوهنَّ (لوقا ٢٤ : ١١) . وفي هذه المدَّة قام بطرس ويوحنا ولحقا بالمجدليّـــة فتأكدا حقيقة قولها وخلوَّ القبر من الجسد وبعد أن تطلّعا وفحصا حقَّ الفحص وشاهدا الاكفان موضوعة على حدة « انصرف بطرس متعجبًا في نفسهِ ممَّا كان » (لوقا ٢٤ : ١٢) . وصرَّح القديس يوحنَّا انهم في ذلك الوقت لم يكونوا بعد يعرفون الكتاب اي انهُ ينبغي ان يقوم المسيح من بين الاموات (يوحنَّا ٢٠ : ٩)

ثمَّ انَّ يسوع تراءى اولًا لمريم المجدليَّة ثم لسائر النسوة . ولمَّا عدنَ بعد ذلك الى القبر ظهر لهنَّ يسوع في الطريق بينما هنَّ راجعات غير ان التلاميذ لم يصدقوهنَّ في المرة الثانية كما لم يصدقوهنَّ في المرَّة الاولى . وكذلك التلميذان اللذان سارا الى عماوس لم يصدقا الخبر ايضًا رغمًا عمَّا كانت الالسنة تتناقلتهُ من الاشاعات في صباح النهار ولهذا تركا التلاميذ عائدين الى منازلهما فظهر لهما الرب في الطريق وعادا الى اورشليم مخبرين بما شاهدا غير ان الرسل لم يصدقوهمـــا ايضًا (مرقس ١٦ : ١٣) . وبينما كانا يتحدثان بما رأياهُ ظهر يسوع في وسط العلّية فخاف جميع من كان حاضرًا وظنَّ انهُ يرى روحًا . واماَّ يسوع فاجتهد في تسكين روعهم وتهدئة افكارهم وقال لهم : انظروا يديَّ ورجليَّ

اني انا هو. جسُّوني وانظروا فان الروح لا لحم لهُ ولا عظام كما ترون لي ». وبما ان الفرح والخوف كانا يتجاذبانهم لم يصدّقوا تصديقاً تامًّا حتى اتصل يسوع الى ان اكل امامهم سمكاً وعسلًا لاقناعهم بحقيقة قيامتهِ

فهل ينطبق ما تقدَّم سردهُ على سلوك قوم استفزَّهم الوهم واغوتهم الرغبة في مشاهدة يسوع ولو قدَّرنا ان كل ما سمعوه كان موافقاً لافكارهم ورغباتهم فلماذا اصرُّوا على نبذه واطراحه الى ان شاهدوا باعينهم وجسوا بايديهم ؟ وان قيل ان الرسل لم يروا حقيقةً ولم يجسُّوا يسوع كما يدعون وجب ان يكون يقينهم القوي نتيجة مرضٍ او خَبال (hallucination) وهذا من المحال لاسبابٍ

(اولًا) لان الخَبَل الحقيقي لا بد ان تصاحبهُ علة جسميَّة ولكن اغلب الرسل كانوا صيادين اشدَّاء صابرين على المشقة اقوياء البنية كما تؤيد ذلك اعمالهم والاتعاب التي عانوها بعد ذلك . وثانياً لان الخبل يندر حدوثهُ ولا يمكن ان يصيب في وقت واحد افرادًا كثيرين الَّا اذا كانوا مجموعين بسبب مرضهم. والحال ان الذين شاهدوا ظهورات يسوع لم يكونوا اشخاصاً منفردين بل ان عددهم يختلف بين اثنين وسبعة واحد عشر واكثر من ذلك حتى خمسمائة رأوا يسوع في وقت واحد وظروف واحدة. (وثالثاً) لان الخَبَل يختلف فعلهُ في المصابين بهِ ولا يمكن وجود اثنين منهم يريان شيئاً واحدًا بنوع واحد. والحال ان الرسل كانوا كلما اجتمع عدد منهم يرون جميعاً شيئاً واحدًا بنوع واحد. (ورابعاً) لو كان الرسل جميعاً من المُختَبَلِين ولو ان المسيح لم يظهر لهم حقيقةً لبقيت الجثة في القبر ووجب القول بان الرسل (الذين تقدم الاثبات بانهم صادقون في شهادتهم) لم يسعوا باخراجها منهُ بالحيلة والمكر. ولو كان هؤلاء المبشرون الجدد الذين حركوا اورشليم كلها بحكاية القيامة قوماً مجانين او مرضى فما هو السبب لضربهم بالقضبان والتشديد عليهم بملازمة السكوت ؟ أفما كان الاجدر اعلان جنونهم للشعب بدلًا من هذه المعاملة ؟ أفما كان الاولى فتح القبر واخراج الجثة ليراها الكل ؟ اما كان اليهود تلافوا انخداع ثلاثة آلاف رجل باول كرازة لفظها القديس بطرس وخمسة آلاف آخرين بكرازة ثانية. ولكن الحقيقة متى ظهرت وبهرت بسناها تضيع الوسائل في كتمها. وبناء عليهِ فان الرسل لم ينخدعوا ولم يخدعوا وشهادتهم صادقة يؤيدها واقع الحال ويسوع قد قام حقًّا من بين الاموات

٢

اثبتنا في القسم الاوَّل من مقالتنا انَّ قيامة المسيح امرٌ راهن مقرَّر لا يمكن انكارهُ فبقي علينا ان نبيّن انَّ هذه المعجزة دليل لامع و برهان قاطع على لاهوت المسيح

والحقُّ يقال انَّ هذه النتيجة ناجمة عن المقدَّمات السابقة كالزهر من نباتهِ والمعلول عن علّتهِ. قل لي رعاك الله ان كانت شهادة الرُسل صادقةً ليس فيهـا غشٌّ وكان مع ذلك علمهم بقيامة سيّدهم مطابقاً للواقع لا يخالجهُ ادنى ريب أفلا ينبغي على كل عاقل يطلب الحقيقة ان يصدّق هذه المعجزة فيقول « انَّ اصبع الله لهاهنا » اذ انهُ من المُستحيل ان يحدث في عالم الكون امرٌ غريبٌ كهذا يفوق طور القوى البشريَّة دون توسُّط القدرة الالهيَّة لانَّ الله وحدهُ يمكنهُ ان يبعث الموتى. وان كان الله اقام يسوع من الموت فهو على الاقلّ رجلٌ محبوب عند الله مؤيَّد بقوتهِ تعالى مُرسل منهُ ونبيُّهُ

ولكنْ هذا غير كافٍ فان قيامة المسيح تبيّن انهُ ليس هو فقط نبياً كسائر الانبياء الذين سبقوهُ او الاكبر بينهم لكنَّهُ ايضاً ابن الله الحيّ وإلهٌ حقّ. كيف لا وقد شهد قائد المئة الوثنيّ بهذا الامر لمَّا عاين المسيح يُسلم الروح وهو صارخ بصوت عظيم (مرقس ١٥ : ٣٩): « في الحقيقة كان هــذا الرجل ابن الله ». فان كان موت المسيح اضطرَّ ذلك القائد على الإقرار بان المسيح هو ابنُ الله افليس أحرى بالعاقل ان يقرَّ بذلك اذا ما تحقّق قيامتهُ من الاموات

ولا جرم لانَّ المسيح لم يكن فقط سبق واخبر تلاميــذهُ بكل تدقيق عمَّا يقاسيهِ من الآلام والموت وانهُ يقوم في اليوم الثالث بعد موتهِ ولكن كان اعلمهم ايضاً بان قيامتهُ تتمُّ بمجرَّد قوتهِ دون ان يحتاج الى احد دونهُ حيث قال (يوحنَّا ١٠ : ١٧ و١٨): « اني ابذلُ نفسي لآخذها ايضاً. ليس احد يأخذها منّي ولكنّي ابذلها باختياري ولي سلطان ان ابذلها ولي سلطان ان آخذها ايضاً »

بل زاد المسيح على هذا القول اذ جعل قيامتهُ هذه كبرهان قاطع على انهُ مُوفد من الله الذي هو ابنهُ. لأنهُ لم يُعلن بنفسهِ امام اليهود كنبيّ فقط لكن ايضاً كابن الله الحقيقي. ولمَّا دخل الهيكل وطرد منهُ الباعة وتصرَّف فيهِ كسيّد مطلق السلطة سـألهُ اليهود ايَّة آيةٍ يريهم ليفعل هذا اجاب يسوع وقـال لهم (يوحنَّا ٢ : ١٩ — ٢١): « انقضوا هذا الهيكل (وكان يعني هيكل جسدهِ) وانا في ثلاثة ايَّام اقيمهُ ».

ولمّا طلب اليهِ اليهود مرَّة أُخرى (متّى ١٢: ٣٨—٤٠) ان يُريهم آيةً يثبت بها انهُ المسيح ابن الله كما زعم اجابهم قائلًا: « انَّ الجيل الشرير الفاسق يطلب آيةً فلا يُعطى آيةً الَّا آية يونان النبيّ لانهُ مثلما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة ايَّام وثلاث ليالٍ كذلك يكون ابن البشر في قلب الارض ثلثة ايَّام وثلاث ليالٍ » كانَّ السيد المسيح بقولهِ هذا لا يحسب شيئًا كل معجزاتهِ بالنسبة الى هذه الآية الكبرى الكافية لتثبيت مدَّعاهُ

وماذا يا ترى ادَّعى المسيح ؟ أأنهُ فقط مرسل من الله او نبيّ ؟ لا لعمري وانَّما يدَّعي شيئًا هو فوق كل ذلك يدَّعي انهُ ابن الله الحقيقيّ. وهذا يكرّرهُ مرارًا عديدة باصرح كلام دون مجازٍ او استعارة البتَّة. طالع رعاك الله مثل ربّ البيت (متى ٢١: ٣٣ الخ) الذي ضربهُ المسيح لليهود حيث قابل بين المرسلين المختلفين الذين ارسلهم الله الى عَمَلتهِ وهو يدعوهم عبيدًا وبين ابنهِ الذي ارسلهُ آخرًا بقولهِ: « انَّهم يهابون ابني ». أفلا يتَّضح من هذا المثل انَّ المراد بالعبيد الانبياء السابقون وبالابن المرسل آخرًا المسيحُ نفسهُ وان هؤلاء العملة الذين لم يقبلوهُ هم اليهود. وقد ادرك اليهود قصدهُ « لأنهم همُّوا ان يمسكوهُ ولكنَّهم خافوا من الجموع لانهُ كان يُعدّ عندهم نبيًّا »

وكذلك لمَّا عاين يسوع ذلك الاعمى الذي ابرأهُ (يوحنَّا ٩: ١ الخ) فطردهُ اليهود من مجمعهم طلب منهُ بوجهٍ صريح ان يعتقد بكونهِ ابن الله قائلًا: « اتؤمن بابن الله ». ولمَّا آمن الاعمى بذلك لم يصدَّهُ الربّ عن السجود لهُ. وهذا الايمان نفسهُ قد طلبهُ من مرتا اخت لعازر قبل ان يقيم اخاها من الموت (يوحنَّا ١١: ٢٦—٢٧)

ولمَّا سأل يومًا تلاميذهُ (متى ١٦: ١٣—١٩) ماذا يقول الناس عنهُ ثم اردف قائلًا: « وانتم من تقولون انّي هو » اجاب سمعان بطرس قائلًا: « انت المسيح ابن الله الحيّ » فليس فقط لم يكذبهُ السيّد المسيح لكنَّهُ ايضًا طوَّبهُ واعلن ان قولهُ هذا كَشفهُ لهُ الآب السماوي وجازاهُ عن ايمانهِ بان اعطاهُ مفاتيح ملكوت السماوات وجعلهُ صخرة يبني عليها كنيستهُ

لكنَّ السيّد لهُ المجد لم يشهد بكونهِ ابن الله الحيّ شهادةً اصرح واجهر منها يوم اعلانهِ بالامر بازاء محفل احبار اليهود ورؤساء الشعب الملتئمين ليحكموا عليهِ بالموت وهم ينتظرون منهُ كلمةً توجب قتلهُ. فلمَّا سألوهُ اهو حقيقة ابن الله الحيّ كما

زعم. اجاب وقال لهم « اني انا هو » وزاد على قولهِ انهُ هو المُدان في ذلك اليوم سوف يأتي على سحابة السماء ليدين العالمين (لوقا ٢٢: ٦٦—٧١)

ولم يكتفِ السيّد المسيح بان يصرّح علانيةً بكونهِ ابناً لله الحيّ ولكن نسب الى نفسهِ كلّ صفات اللاهوت كالازليَّة (يوحنا ١٧: ٥) والقدرة التامة كالآب (٥: ٢١) وانهُ والآب واحد (١٠: ٣٠) وانَّ ما للاب هو لهُ (١٧: ١٠) وانهُ ربُّ السبت (متى ١٧: ٨) ثم تراهُ يغفر الخطايا باسمهِ كاله (مرقس ٢: ٥—٧) ويطلب الاكرام الواجب لله (يوحنا ٥: ٢٣) ولا يزجر تلميذهُ توما لمَّا اضطرَّهُ الحقّ فاعترف بقيامة سيّدهِ ولاهوتهِ قائـلًا لهُ : « ربّي والهي » بل اعلن بان الطوبى للذين يؤمنون بهِ دون ان ينظروهُ

فهذا الايمان بلاهوت المسيح كان كما ترى المحور الذي عليهِ دارت كل حياتهِ وبشارتهِ وتعاليمهِ

فان كان هذا هو حقيقةَ مُدَّعى المسيح وهو مع ذلك ليس بابن الله كما قال لنتج من قولهِ امَّا انهُ مجنون او انهُ مجدّف وكلا القولين باطل. كلَّا ليس المسيح بمجنون يجهل ما يقول وما يفعل مع ما نعلم من حياتهِ الصالحة واعمالهِ الشريفة وحكمتهِ السامية وشهادة اعداء النصرانيَّة انفسهم عنهُ وهم كلُّهم يعتبرونهُ كرجلٍ عظيم وحكيم ذي مـدارك سامية. وليس هو بدجَّال مجدّف مع ما يُعرَف من فضائلهِ الفريدة وآدابهِ الطـاهرة وتعاليمهِ التقويَّة التي يقرُّ لها كلُّ من لم تُعْمِهِ الاهواء كاليهود. فلا يبقى اذن الَّا القول بان المسيح هو حقيقة ابن الله. لانهُ ليس بين هذين الطرفين وسط امَّا ان نقرّ بلاهوت المسيح او نعتبرهُ كآخر الناس واخسّ البشر واعظم الدجَّالين اذ خدع العالم بقولهِ انهُ اله وهو ليس بهِ. فكيف والامر كذلك امكن الله ان يقيم هذا الخدَّاع من بين الاموات ويرمي بهذه المعجزة العالم في الضلال والغرور ويغوي العقول بتأييدهِ لفظيعةٍ كهذه

فيرى القرَّاء ممَّا تقدَّم ما في حقيقة القيامة من البرهان لمعتقد لاهوت المسيح. فان كان يسوع الناصري قد قام حقًّا كما بينّا في القسم الاوَّل وجب القول بانَّ اليهود حكموا عليهِ بالموت ظلماً كما حقَّ القول بانهُ ليس بمجدّف ولا دجَّال اذ لا يمكنَّا ان نبرئهُ من كلّ هذه الالقاب السيئة الَّا بالتسليم بانهُ حقيقة الهٌ كما كرّر ذلك في انجيلهِ الطـاهر غير مرَّةٍ

كلاً حاشا السيّد المسيح ان يكون دجالًا وما قيامتهُ الّا حقيقةٌ لا ريب فيها اذ قام كما سبق وقال. وليست قيامتهُ فعلًا خارجًا عنهُ بتوسُّط بعض الانبياء او شفاعة احد الاولياء كما حدث في قيامة بعض الموتى لكنَّها فعلهُ الشخصيّ اذ لا نرى احدًا عند قبرهِ سوى الجند والحرَّاس. نعم لو نزل المسيح من عن صليبهِ كما كان يدعوهُ الى ذلك اعداؤهُ متهكمين لكان بيّن سلطانهُ وصفة كونهِ ابن الله لكنَّ قيامتهُ بعد موتهِ ودفنهِ بملء القوَّة والحياة لآيةٌ اعظم وادلّ على لاهوتهِ. كما انَّ شمشون يوم قطَّع الحبال الجديدة التي أُسِر بها بيَّن قوَّته لاعدائهِ بيانًا اجلى من يوم قتلهِ للاسد وهو حرّ بعملهِ كذلك المسيح فانَّ انتصارهُ على الموت بعد ان مات ودُفن كان ابهر واشرف ممَّا كان لو دفع عنهُ الموت فقط وهو حيّ. وهذه القيامة تنطق بلسان حالها عن لاهوت السيد المسيح ليس فقط لانَّ المسيح كان جعلها كآية مؤيدة لقولهِ لكن ايضًا لأنَّها تدلُّ على قوَّة الهيَّة لها وحدها ملء السلطان على الموت. وقد ثبت ايضًا بذلك انَّ المسيح اله وانسان معًا كما يقول النصارى. فهو انسان اذ قام من الموت الذي لا يدرك غيرَ الانسان وهو اله اذ اقام نفسهُ بقوَّتهِ. قال القديس امبروسيوس: قد اظهر المسيح بقيامتهِ انَّ في اقنومهِ الواحد الانسان القائم من الموت والاله الباعث منهُ

فبكل حقّ اذن قلنا في اوَّل مقالتنا انَّ قيامة المسيح هي ادلّ دليل واعظم شاهد على لاهوتهِ. وهذا ما علَّمهُ الحواريون كلَّ حياتهم. قال القديس بولس الاناء المصطفى في رسالتهِ الى اهل رومية (١: ٤): «حُدِّد (وفي الاصل اليوناني: أُعلن) يسوع المسيح ربنا ان يكون ابن الله... بالقيامة من بين الاموات». وقال ايضًا (اعمال ١٣: ٣٢-٣٣) وهو يذكر اليهود بتمام الوعد الذي وُعد بهِ آباؤهم في المزمور الثاني: «قد اتمَّ الله الموعد الذي كان لآبائنا اذ اقام من الموت يسوع كما كُتب في المزمور الثاني: «انت ابني وانا اليوم ولدتُك». وليس الكلام هنا كما يظهر عن ولادة الكلمة الازليَّة كالهٍ وقد كان ذلك في البدء قبل وجود العالم فيكون اذن المقصود انهُ اولدهُ باعلان قيامتهِ امام العالم فاظهر بذلك انهُ هو ابوهُ اذ كان من المستحيل ان هذا الانسان يقوم من الموت لولا انهُ حقيقةً ابن الله

ومن هنا ايضًا يلوح السبب الذي حمل الرسل على ان جعلوا سرَّ قيامة المسيح كاساس تعليمهم لا يعرفون مللًا في شهادتهم عن هذه العقيدة كما شهد في كتاب

الاعمال حيث قال (٤ : ٣٣) : « وبقوَّة عظيمة كان الرُّسل يؤدُّون الشهادة بقيامة الربّ يسوع » . وكذلك لمَّا ارادوا ان يختاروا رسولًا يقوم مقـام يهوذا الاسخريوطي ليُحصى في جملة الاثني عشر لم يرضوا الَّا برجلٍ « يكون شاهدًا معهم بقيامة يسوع » (اعمال ١ : ٢٢) لانَّ هذه القيامة كانت لديهم كما هي الآن لدى النصارى باجمعهم البيّنة العظمى والحجَّة المُثلى التي تفوق كل ما سواهـا من الحجج . ولذلك كان المسيحيُّون الاوَّلون لا يدعون سرّ قيامة المسيح الَّا « الشهادة » ولمَّا ابتنى قسطنطين الكبير كنيسة كبرى فوق قبر المسيح لم يجد لها اسمًا احقّ بهـا الَّا بان دعاها « مرتيريون » اي الشهادة . اذ انَّ هذا القبر الفارغ ينطق بافصح برهان وابلغ كلام عن لاهوت السيّد المسيح . وهذا ما يجعلهُ اشرف كلّ القبور التي في العالم فيتمُّ بهِ قول اشعيا (١١ : ١٠) : « انَّ قبرهُ يكون ممجَّدًا » بينما ترى بقيَّة القبور تنطق بحكم الموت الذي يحفظ فيها غنيمتهُ وتجاهر ببطلان العالم وزوال جاههِ وعظمتهِ اذ كلُّ ذلك ينتهي في القبر . بخلاف قبر المسيح الذي انفتح بعد ساعات قليـلة فخرج منهُ اسيرهُ فسبى السَّبي ظافرًا ممجدًا لهُ الملك والعزّ الى ابد الابدين

يمين العليّ

رواية تاريخية للاب س . ت اليسوعيّ (تابع)

فلما تأكَّدت لانيش انَّ ابنتها بالرضاعة في امان لا يعضُّها في بيتها ناب الزمان عادت الى الجنينة حيث كانت يهوديت تتنسَّم الهواء وتستنشق روائح الزهور واظهرت لها من الانس والملاطفة ما كان من شأنهِ ان يطيّب قلبها وينسيها كربها . وجعلت تذكّرها بما جرى لها في حداثة سنّها وتفكّهها باخبارٍ واقوال عديدة لم تعِ لها يهوديت لوقوعها قبل بلوغها الرشد . وكانت لانيش لطيفة العواطف رقيقة الشعور تعـدل عن كل ما يذكر ضيفتها بنكبتها الحديثة وينكأ قرحتها النديَّة قبل اندمالها وهي تنتظر ان تفـاتحها يهوديت بخوافي قلبها لتداويها ببرهم السلوان

بيد انَّ يهوديت لما طُبعت عليهِ من الاباء والنفور لم تشأ ان تكاشف مُرضعها باسرارها وانَّما كانت تدفن اوجاعها في صميم قلبها وقد اختلقت لها حجَّةً لتعليل مجيئها

الى جبيل مدّعيةً انّها احبّت تغيير الهواء وترويح النفس واشتاقت الشوق العظيم الى ظئرها فضلًا عن انّها اتت لتطلب لنفسها سلوانًا عمّا تقاسيهِ بسبب الاخطار التي تحيق بابيها في حاضرة اليهوديّة

فاعارتها لانيش سمعها وتظاهرت بانها تجهل حقيقة الامر الذي اوقفها عليهِ سلوانس

واستقصرت يهوديت ذاك اليوم الاوّل الذي قضتهُ في صحبة ظئرها لما رأتهُ من المناظر الجديدة وتجاذبتهُ من اطراف الحديث عن سني طفوليّتها. وكانت انقشعت في اثنائهِ غياهب حزنها حتى انَّ الذي لم يك عارفًا بدفائن قلبها ما كان ليظنّ انّها ممنوّة باسى امرّ عيشها واكسف بالها لولا زرقةٌ حول عيونها كانت تدلُّ على بكائها السابق. فكانت تبشُّ في وجه ظئرها وتضحك لها وتداعبها كأنّها في احسن حال

لكنَّ فرح يهوديت لم يكن ليبلغ صميم فؤادها وانّما كانت فقط لوائح تلوح على وجهها دون ان تؤثّر في قلبها. فلمّا ضرب الليل اطنابهُ وعرضت عليها لانيش ان تستريح من اتعاب الطريق فاعتزلت في غرفتها هاجت عواطفها ثانيةً وهطلت دموعها كالتهتان ثم تذكّرت والدها فصلّت الى الله لاجل عودتهِ بالسلامة وخطر على بالها اسم راسيوس الضابط لكنّها لم تتلفّظ بهِ وهي تشعر انّها لا تنساهُ ابدًا. اما يوسف اخوها فلمّا عاد ذكرهُ الى مخيّلتها اضطربت من جرّائهِ حواسها وكادت تتلفّظ بهِ لتلعنهُ الّا انّها تمكّنت من كبح بغضها فغفرت لهُ سوء معاملتهِ

*

وكانت الأيام تمرُّ في بيت لانيش اسرع من لمح البصر ويهوديت تذوق من العيش ارغدهُ ومن الراحة اهنأها في جوار ظئرها التي كانت تتحفّى بها وتعطف عليها كالامّ على ابنتها حتى عادت اليها قواها واندمل جرح قلبها

وكانت مع ذلك تترصّد الاخبار لتعرف ماذا حلَّ بابيها وهل اخوها لا يزال بعد في بيروت. وبينما هي كذلك اذ وردها الخبر في اواسط شباط « انَّ اباها صموئيل لم يخرج من اورشليم يوم باشر الرومان بمحاصرة تلك المدينة . . . امّا يوسف فانهُ كاد يتميّز غيظًا لمّا علم بهرب اختهِ لكنّهُ لم يشأ ان يسعى في اثرها بل كان خرج من دارهِ ليرشف كاس اللذّات في مكان آخر »

فلمّا وقفت الفتاة على هذه الاخبار تنفَّست الصعداء وتجدَّد في قلبها الاسى على ابيها وبقيت في حيرة يتنازعها عاملا الرجاء والخوف فتارةً تسلّي نفسها بالظنّ انَّ اباها لا يعرّض بنفسهِ لاخطار الحرب والحصار وتارةً يغلب على فكرها ان والدها بقي في حوزة العدوّ لم يستطع الفرار ليعود الى وطنهِ

امَّا ابتعاد اخيها من بيروت فكان ممَّا يسرُّها ويفرج همَّها ويسهّل رجوعها الى دارها ولكن خافت اذا عادت الى وطنها ان تبقى في دارها معتزلةً لا انيس لها ولا جليس تشاطرهُ الاحزان. فكان هذا الفكر يفتُّ في عضـدها ويكدّر صفاء عيشها. ومن ثمَّ عزمت على ان تبقى مدَّة في جبيل عند ظئرها حيث وجدت من الراحة والتعزية ما اربى على كلّ آمالها

وكانت يهوديت تجد في جبيل عدَّة امور تستلفت انظارها كآثارها القديمة وابنيتها الفخيمة وعادات اهلها ترى كل ذلك بالرغبة وقرار العين. وكان يأخذها الاندهال عند نظرها هياكل الوثنيين وعظمة مقاماتهم الدينيَّة وكلُّها مبنيَّة بالوان الرخام ومزيَّنة بتماثيل آلهة اليونان والفينيقيين في جملتها دُمى البعل وتمُّوز حتى انَّها كادت تستحي من كنيس اليهود المشيَّد لذوي نحلتها في جبيل كلَّما كانت تقابلهُ مع هذه المباني الفاخرة التي تزدحم في صحنها الجموع

وكانت تستعظم هيكل عشتاروت وتتردَّد الى رواقهِ الجميل وتنظر الى الجُبيليين يغدون الى هيكل تلك الإلهة الشهيرة ويقرّبون لها قرابينهم ويضحُّون الضحايا امام الرمز المشير اليها وهو عبارة عن حجر مخروط منصوبٍ بازاء الهيكل

ولمَّا كان شباط على وشك الانتهاء واخذت الارض زخاريفها وجعل الربيع يزيّن الرُّبى والاودية بحلاهُ الطبيعيَّة اذ حان موسم موت الاله ادونيس او تمُّوز وهو عيدٌ كان لهُ شهرة عظيمة يتقاطر اليهِ الزوَّار من كل أوب

فدخلت يهوديت بيت احد سكَّان البلدة من اصحاب لانيش ظئرها لتنظر موكب عبَدة الاله دون ان يراهـا احد. فلمَّا حانت الساعة رأت القوم في هياط ومياط كأنَّ المدينة كلّها استفزَّتها الحميَّة الدينيَّة لتحتفل بموت إلهها. وكان يتقدَّم الموكب صفوف من الفتية والفتيات وكلُّهم يصرخون ويولولون كأنَّهم فقدوا اعزَّ الاصحاب. وكان يليهم عذارى يحملنَ على رؤوسهنَّ اطباقاً ومقاطف فيها اجناس الزهور والاثمار واصناف

الطيوب والافاويه التي تُهدى للإله الميت. وكان يمشي وراء العذارى نساء لابسات الحداد عليهنَّ السرابيل الطويلة بلا مناطق يُظهرنَ من الالم اشدَّهُ وهنَّ يضربنَ صدورهنَّ ويخدشن وجوههنَّ ويُعولن على ايقاع الجنك. وكان خلفهنَّ تمثال الاله تمّوز يحملهُ الكهنة على جنازة يُرى صريعاً على نعشٍ وجنبهُ يقطر دماً كما تصوَّروهُ بعد ان قتلهُ الوحش الضاري في مشارف لبنان. وكان الحضور اذا رأوا هذه الصورة يعلو ضجيجهم ويذرفون البكاء المرّ

وكانت هذه الجلَبَة تتزايد وتنمو كلَّما كان القوم يقتربون من نهر الاله فيغمسون التمثال في المياه التي يزعمون انَّها تحمرُّ ممَّا يسيل فيها من دم تمّوز

وكان الجمهور اذا عادوا من النهر الى الهيكل يغيّرون هيئتهم ويتهلَّلون باصوات الافراح وينشدون الاناشيد المؤذنة بقيامة الاله ادونيس من الموت ويرقصون الرقص الخلاعيّ فينتهي نهارهم على هذه الصورة

وكانت يهوديت تنظر الموكب راقبة كل حركات عبَدة الصَّنم فشعرت بما اثار في نفسها عواطف الحنان على تمّوز قتيل الصيد وذكَّرها حزن الزُّهَرة ببعض احوالها مع الضابط الروماني. الَّا انَّ جبينها نديَ خجلًا لمَّا عاينت القوم عائدين الى ديارهم في الخُلَيطى كأنَّ الخمرة لعبت في رؤوسهم فعرَّتهم من كل شواعر الحياء والادب. فادركت ما في الشرك والوثنيَّة من ساقط المتاع اذ يرتكب اصحابها كلَّ محظور ومحروم لا يردعهم حجىً ولا يكفُّهم تورُّع. فأنفت من هذه الارجاس ولم تَعُد تنظر اليها الَّا بعين البغض والنفور. بل زادها ذلك اعتبارًا لدين اجدادها لما تجد فيهِ من عظمة الخالق وسموّ عزَّتهِ وجليل صفاتهِ فحاشاهُ تعالى ان يرضى باسرارٍ سمجة كما مثَّلها كهنة الاوثان في جبيل

ومن ثمَّ عادت الى الهذيذ بتوراة موسى الكليم والتأمُّل في اسفار انبياء اسرائيل وكان قلبها يجد في مطالعة مزامير داود ارتياحاً وسلامًا فتردّدها بالصلاة رافعةً الى الله عواطف نفسها ومقدّمةً لهُ مراسيم سجودها

وممَّا كان يؤثّر فيها عند نظرها في كتب الله المنزلة ما تراهُ من النبوَّات عن مسيح الله الذي وُعد بهِ شعبُ اسرائيل فتتمنَّى ان ترى ملكهُ منتشرًا في اقاصي الارض كما جاء في اشعيا النبيّ وفي سفر دانيال وخصوصاً في زبور النبيّ داود

وبينما كانت يهوديت تقضي هكذا أيامها في مطالعة اقوال الانبياء اذ مرَّت يوماً عند المساء امام بيت حقير كان يتوارد الى بابهِ قوم على وجوههم سِمة الورع والتُّقى فوقفت هنيهةً وقد اخذ منظرهم في مجامع قلبها. وهي كذلك اذ سمعت اصوات المصلّين فاصغت اليهم لعلّها تميّز شيئاً من منطوق صلاتهم. واذا بهم يتلون مزامير داود ولكن بايّ عبادةٍ ووقار! كأنّ كلام الله في افواههم شهد العسل تزيدهُ حسناً اصواتهم الشجيَّة ونغماتهم التقويَّة

فبقيت مدَّةً مطرقةً كأنَّها خُطفت بالروح الى عالمٍ آخر ولولا خوفها ان يدركها الليل في مكانها لما كانت انصرفت قبل تمام الصلاة. ولمَّا عادت الى بيت ظئرها اخبرتها بما جرى لها قائلةً: «اني في هذا المساء وجدتُ في باطن قلبي نعيماً لم اعهده قبل اليوم كأني ظفرت بكنز دفين اسعد حياتي»

فسمعت لائيش كلامها وهي تبشّ في وجهها لأنها كانت تعرف البيت الذي وصفتهُ يهوديت وتعلم بقصتهِ واهلهِ فاحبت ان تُطلع ضيفتها على اخبارهِ الصحيحة فقالت:

«قبل يومنا هذا بنحو ثلاثين سنة قدم علينا في جبيل رجلٌ كهلٌ تلوح عليهِ لوائح الفقر وسذاجة العيش وكان البعض يدعونهُ بطرس والبعض يسمّونهُ سمعان. فدخل المجمع في احد السبوت ثم افاض امام اليهود المجتمعين في الكنيس في ذكر نبيّ يدعى ايشوع زعم انهُ ابن الله وانهُ هو احد رسلهِ. وقد اخبر المذكور عن نبيّهِ اموراً عجيبة وذكر ترجمة حياتهِ منذ ولادتهِ الى موتهِ مصلوباً وختم كلامهُ بقولهِ انَّ الميت قام وتراءى لتلاميذهِ ثم صعد الى السماء بعد ان اوصى رسلهُ بان يبشّروا باسمهِ في اربع خوافق العالم

«ذلك ما بشّر بهِ بطرس في المجمع. لكنَّ اليهود تشكّكوا من جرّاء قولهِ وطردوه من المدينة. على انَّ هذا المذهب الجديد لم يتوارَ معهُ بل وجد لهُ في جبيل تبعةً لاسيَّما مُذ تولَّى امرهم احد تلامذة سمعان بطرس يُدعى مرقس (١ ابتنى لهم قبل عشر سنوات ذاك المصلَّى الحقير الذي رأيتهِ»

كانت يهوديت في اثناء كلام ظئرها تسمع صاغيةً واعية وهي تتذكَّر ما رأتهُ

---

١) مرقس هذا هو الذي دُعي في كتاب الاعمال (ف ١٥) باسم يوحنا صار اوَّل اسقف على جبيل (راجع الشرق المسيحيّ للوكويان ج ٢ ص ٨٢١)

من امر هؤلاء النصارى في بيروت وكان في دارها منهم بعض عبيدها لم تلحظ في سيرتهم وآدابهم شيئًا يريبها في حقّهم. وقد زادها كلام لانيش رغبةً في دينهم الّا انّها كانت تنفر وتشكّ في صحّته اذا ما فكّرت في موت صاحبهِ على صليب العار وما لحق بهِ من الذلّ والهوان فتأبى ان تقرّ بكونهِ هو المسيح الموعود الذي صوّرهُ الانبياء كملك فتّاح

ومع ما كان في قلب يهوديت من الشكوك والريب كانت تشعر بمجاذب يجذبها الى البيت الحقير الذي رأتهُ. فطاوعت ميلها ورجعت اليهِ يومًا كان يُصلّي فيهِ القوم. وارادت هذه المرّة ان تدخل المصلّى وتحضر الصلاة لتراقب المصلين. فكان تأثيرهـا اعظم من الدفعة الاولى. وممّا عمل قلبها صورة شهدتها في صدر المعبد كانت تمثّل امرأة تلوح على وجهها لوائح الوقار والطهارة والحلاوة مع شيء من الحزن. فسألت: ما هذه الصورة فاجابوها: «هي صورة امّ ايشوع المدعوة مريم» ثمَّ اخبروها بترجمة حياة العذراء امّ الله والبشر معًا

فبقي ذكر هذه الصورة مطبوعًا في قلب يهوديت يتبعها ليلًا مع نهار. وكانت لا تفكّر فيها حتى تشعر في نفسها عواطف الحبّ كأنّها تجذبها الى الصلاح والفضيلة

غير ان قلب يهوديت لم يكُ بعد صافيًا نقيًّا لتتبع آثار قوم يعيشون للآخرة اكثر منهم للارض وملاذها الباطلة (ستأتي البقيّة)

مطبوعات شرقية جديدة

St Jean Chrysostôme et les mœurs de son temps

par Aimé-Puech, *Paris, Hachette*, VIII-334

القديس يوحنّا فم الذهب وآداب عصرهِ

هذا تأليف منحت جمعيّة العلوم الادبيّة في فرنسة صاحبهُ جزاءً سنيًّا لما وجدت فيهِ من دقّة الانتقاد وسعة المعارف. وغاية المؤلف كانت ان يستخلص من اعمال القديس فم الذهب كلّ ما تضمّنتهُ من الفوائد لتعريف اهل زمانهِ وعادات

عصرهِ وآداب مواطنيهِ السوريين . ومما اعجبنا في خلال مطالعتنا لهذا الكتاب ان مولفهُ مولعٌ بحبّ القديس العظيم والخطيب المصقع الذي حاول درس كتاباته فتراهُ يجيد الحكم في انتقادهِ على تآليف يوحنَّا فم الذهب كما انهُ اعلن سموَّ الفضائل التي ازدان بها في حياتهِ كلها مع ما تقلّب فيهِ من الاحوال الخطيرة والمناصب الشريفة. وخلاصة القول انَّ هذا الكتاب من التآليف الحريَّة بالثناء التامّ اللهمَّ الّا في بعض الامور التي تعدَّى فيها الكاتب طورهُ فاراد ان ينزّل نفسهُ منزلة اللاهوتيين وهو لم يدرس اللاهوت فخاض في ميدان ليس هو من فرسانهِ. وعلى كلّ حال انّنا نثني على همّتهِ ونودّ لو تقفَّى آثارهُ اهل بلادنا فاعملوا النظر في مصنَّفات ذلك الملفان الذي شرَّف اوطانهم واغناهم بكنوز آدابهِ ومعارفهِ ف . ب

Voyage d'un faux derviche dans l'Asie Centrale

par A, Vambéry, *traduit de l'anglais, nouvelle édition*, *Hachette*, pp, 404

رحلة ڤمبري الى اواسط آسية

انَّ صاحب هذه الرحلة رجلٌ من المجر يُدعى ڤمبري كان يحبُّ الاسفار اراد ان يحرز لهُ اسماً بوصف بلادٍ لم يسبقهُ اليها احد من الاوربيين. فطاف مدَّة سنتين البلاد الواسعة الواقعة في اواسط آسية وهو لابس زيّ الدراويش فامكنهُ بذلك ان يتجوَّل في بلاد بخارا وتركستان وما يجاورهما ويصف احوال اهلها وعاداتهم وآدابهم وقد سطر ذلك كلَّهُ في رحلةٍ كتبها واخبر فيها كلّ ما جرى لهُ. وهذا الكتاب الذي طُبع اوَّلًا بالانكليزيَّة نُقل الى الفرنسيَّة وطُبع اوَّلًا في مطبعة هاشيت الشهيرة. ثمَّ جُدّد طبعهُ على حجم اكبر مع صور عديدة بحيث صار الكتاب جامعاً بين اللذَّة والفائدة

HISTOIRE DES ISRAÉLITES

par Th. Reinach, 2e *ed., Paris, Hachette* 1901, pp, XVI-408

تاريخ الاسرائليين منذ فقد استقلالهم

فقد اليهود استقلالهم بعد خراب هيكل اورشليم على يد الرومان فتشتَّت شملهم وذهبوا تحت كل كوكب فتمَّت بهم نبوَّة المسيح وصدقت اقوال الانبياء الاقدمين. وقد سعى بنو اسرائيل مرارًا ان يجمعوا كلمتهم دون أن يتوفَّقوا الى ذلك. وعليهِ فلا شيء

اصعب من كتابة تأريخ قوم عباديد ليس بينهم رابطة الوحدة اللهمَّ ألَّا دينهم · بيد انَّ المسيو ريناخ العالم الموسويّ الشهير تمكَّن من جمع كثيرٍ من اخبار اليهود المتفرّقين في انحاء اوربَّة فادرجها في هذا الكتاب وهو يبتدئ باخبار قومهِ بعد الفتح الاورشليمي سنة ٧٠ للمسيح ويواصلها الى عهدنا · ولا حاجة الى القول انَّ مؤلف هذا الكتاب يمزج الخلّ بالخمر ويدافع عن اهل جلدتهِ في كلّ اطوار تاريخهم وربَّما تظلَّم من الشعوب النصرانيَّة لاساءتها العمل الى اليهود لكنَّهُ نسي ان يُدوّن شكايات النصارى المتعدّدة في حقّهم · ومن كانت هذه خطَّتهُ في كتابة التاريخ او بالحري في تزويرهِ فكيف يوثق بقولهِ ل · ش

شذرات

اشعَّة رنتجن في اليابان — من مرويَّات البشير انَّ الحكومة اليابانيَّة رأت ان كميَّةً وافرة من الذهب والفضَّة تُسرق كلَّ سنة من دار السكَّة دون ان يعلم احد بسارقيها · وذلك ان العملة كانوا يأخذون القطع فيبتلعونها حتى اذا عادوا مساء الى منازلهم اخرجوها بالمقيّئات · وقد اطَّلع آخرًا مديرو المحلّ على هذه الحيلة فألتجأُوا الى اختراع رنتجن ليطَّلعوا على ما يزدردهُ العملة من النقود · وفي كل مساء تؤخذ رسوم العمَّال لتنجلي سرقتهم

الرسالات الكاثوليكيَّة في معرض باريس — كان معرض باريس سنة ١٩٠٠ خصَّص قسماً تُجمع فيهِ آثار الرسالات الكاثوليكيَّة الفرنسويَّة في كلّ العالم · وكان المرسلون اجابوا الى رغبة مديري المعرض فارسلوا من كلّ صوب مآثر عديدة من كل صنف حتى ضاق عنها القصر المختصّ بها · ولمَّا رأت اللجنات الفاحصة ان تجازي هذه الرسالات بقيت في حيرةٍ من امرها لكثرة ما رأتهُ من المحاسن المستحقة الجزاء وقد اكتفت الدولة الفرنسويَّة بان تمنح كلَّ الرسالات اجمالًا جزاء فاخرًا وهو نوط ذهبيّ كبير يمثّل في احد وجهيهِ صورة الحبر الاعظم لاون الثالث عشر وفي الآخر اسم الرسالات وتعريف الجزاء · وقد أُرسل هذا النوط لقداسة الحبر الاعظم الذي سُرَّ بهِ ايَّ سرور · وكان مع النوط شهادة على همَّة الرسالات الكاثوليكيَّة واعمالها

الشريفة التي أُرسلت الى المعرض. وقد نالت رسالات الآباء اليسوعيين اسماً شرفيًّا. ولرسالتنا في بلاد سوريَّة ذكر خاصٌّ. وفي هذا الجزاء الممنوح من الدولة الفرنسويَّة شاهد ناطق على الخدم التي تؤدّيها الرسالات الكاثوليكيَّة للتمدُّن وخير الوطن. وهو احسن جواب لمن عيَّر الرهبان

⊰ اكتشاف آثار دينيَّة في رومية ⊱ قد اكتشف الآباء الترابستيُّون في ديرهم في رومية آثارًا ذات بال وهي كنيسة القديسين مرقس ومرقلينوس من شهداء القرن الثالث من اقدم كنائس النصرانيَّة وهي على صورة صليب يونانيّ ولم تزل فيها نقوش وبقايا قديمة من جملتها مكان المذبح والكرسيّ الأسقفي. وزاد هذا الاكتشاف شأنًا وخطرًا بوجود قبر القديس العظيم والبابا الشهير داماسوس الاوَّل (٣٦٦-٣٨٤) بلاصقهُ قبر والدتهِ لورنسيا المتوفَّاة في التسعين من سنّها بعد ان كرَّست منها لخدمة الربّ ستين سنةً في الترهُّب كما يُستدلّ عليهِ بالكتابات الباقية على القبر

⊰ تقويم الكنيسة الروسيَّة ⊱ قد قدَّم آخرًا وزير قيصر روسيَّة الى ملكهِ تقويم الكنيسة في روسيَّة. وهو يقرُّ فيهِ انَّ عدد الكاثوليك التابعين للطقس الشرقيّ (فضلًا عن اللاتين) لا يقلّ عن ٩٠،٠٠٠. ونحن نعلم انَّ هذا العدد اعظم من ذلك رغمًا عمَّا لحق بهؤلاء الكاثوليك من المحن الشديدة. وفي هذا العدد لم يُحصَ الذين نُفوا من البولونيين الى سيبريا وهم أُلوف مؤلَّفة. وفي كتاب جلالة القيصر الاخير ووعدهِ بحرّيَّة الدين ما من شأنهِ ان ينعش آمال هؤلاء المساكين

⊰ شرائع حمُورَبي ⊱ حمُورَبي احد ملوك بابل كان معاصرًا لابراهيم الخليل. وممَّا وُجد من آثارهِ في آخر السنة ١٩٠١ او في اوَّل السنة ١٩٠٢ مجموع شرائعهِ وُجدت مرقومةً على حجرٍ من الديوريت في شوشن. وعلوّ الحجر متران و٧٥ سنتيمترًا في عرض متر و ٦٥ وفي اعلى الحجر صورة الاله سَمَس (اي الشمس) جالسًا على عرشهِ وعند اقدامهِ صورة الملك حمُورَبي كأنَّهُ يبحث في الشرائع التي سنَّها لهُ الاله. وقد قرأ العلَّامة الدومينيكيّ الاب شَيْل هذه الشرائع وترجمها فاقبل العلماء على درسها فوجدوا بينها وبين شريعة موسى توافقًا في امور عديدة وقد ظنّ البعض انَّ ابراهيم الخليل لمَّا قدم من بلاد بابل اخذ معهُ نسخةً من هذه الشرائع فنقل منها موسى بعدئذٍ ما رأى فيهِ صلاحًا لشعب الله. والمظنون انَّ شرائع حمُورَبي ليست من

تأليفهِ وانَّما جمعها فقط من شرائع سبقت عهدهُ. والدليل على ذلك انَّهُ لم يرد فيها ذكر للشرك وتعدُّد الآلهة بل يُعرف فيها الاله الواحد الفرد. امَّا حمُورَبي فكان مشركًا عابدًا للاصنام بلا ريب

بطرس الرسول ولبنان قرأنا تحت هذا العنوان قصيدة جميلة بالافرنسيَّة نُشرت في « نشرة القديس لويس للموارنة » وهي منسوبة لمارونيّ. والقصيدة المذكورة للاب يوسف غودار اليسوعيّ وهو مارونيّ القلب

اليسوعيُّون في حلب قرأنا في كتاب مطلع اليامن في غبطة البطريرك كيرلس الثامن الذي جمعهُ عبد المسيح بك انطاكي صاحب العمران شهادة في المرسلين اليسوعيين نقلها عن ملخَّص تاريخ الطائفة الملكيَّة الكاثوليكيَّة للمرحوم الخوري ميخائيل مظلوم. ولمَّا كان هذا الكلام احسن ردّ على مقالات صاحب العمران نكتفي باثباتهِ هنا (ص ١٨):

« وظهرت في هذا التاريخ الرهبنة اليسوعيَّة بمظهر المدافعين عن الكنيسة الكاثوليكيَّة والمؤيدين لوحدتها وقد نمت جمعيَّتهم وازهرت وانتشر افرادهم في مشارق الارض ومغاربها وقد دخل سوريَّة عدد منهم جاؤوها للوعظ والارشاد وخدمة الانجيل ولمَّا وصل هؤلاء الى سوريَّة رأوا الكنيسة الانطاكيَّة في اسوإ الاحوال من التضعضع والضعف والجهل فاخذوا يرشدون ويعلمون ولم يصعب عليهم ان يروا انصارًا من الطائفة . . . وبقي الحال مدَّة سبعين سنة تقريبًا اي منذ سنة ١٦٥٣ الى سنة ١٧٢٠ على منوال لا احسن منهُ حيث كان البطاركة الانطاكيُّون يكرمون الرهبان ويستفيدون من معارفهم واموالهم ومساعدتهم بواسطة الدولة الفرنسويَّة الحامية لهم والصديقة الوحيدة اذ ذاك للدولة العثمانيَّة سيّدة البلاد

أسئلة وأجوبة

س سأل الاديب ن . ص هل يصحّ قول تقويم هاشيت لسنة ١٩٠٠ بان عدد الارمن الكاثوليك يبلغ ١٥٠٠٠٠ وعدد الروم الكاثوليك ١٠٢٠٠٠

عدد الارمن الكاثوليك والروم الكاثوليك

ج فليراجع السائل مقالتنا عن الكثلكة في القرن التاسع عشر في السنة الرابعة للمشرق وفي آخرها جدول لعدد الطوائف الشرقيَّة (ص ١٠٩٦) اخذناهُ عن اصدق الاحصاءات. وكلامنا هناك عن بلاد الدولة العليَّة ليس الَّا

س وسأل من غرزوز جناب جرجي حنَّا سليمان ان نفيدهُ من عدد الجرائد العربيَّة وعن اسمائها واصحابها ومكان طبعها

الجرائد العربيَّة

ج قد ذكرنا في مقالتنا المعنونة « تاريخ الطباعة في الشرق » الجرائد العربيَّة التي تُطبع في الممالك المحروسة عند ذكرنا كل مدينة ومطابعها . امَّا الجرائد المصريَّة فكثيرة لا يمرُّ علينا اسبوع دون ان نرى جريدة جديدة . وقد ألَّف المستشرق الهُمام المسيو هرتمان كتابًا حديثًا بالانكليزيَّة في الجرائد المصريَّة (The Arabic Press of Egypt) وهو يعدُّ منها نحو المئتين . وكذلك الجرائد العربيَّة في اميركة فانَّها اربت اليوم على الخمسين . ويا ليت فوائدها توازي عددها (! !)

س وسأل من عيه حضرة القس نعمة الله الشهابي الراهب الحلبي : ١ً ما المانع من ان يتزوج الرجل الاعزب بامرأة اخيهِ المتوفى . ٢ً هل يُعرف اسم امرأة قائين

الزواج بامرأة الاخ المتوفَّى – اسم امرأة قائين

ج نجيب على (الاوَّل) ان الزواج بامرأة الاخ المتوفَّى كان جائزًا في العهد القديم وامَّا في العهد الجديد فذلك محظور والمانع هو القرابة الاهليَّة التي صارت بين الارملة والاخ الاعزب عند زواجها الاوَّل (راجع غوري ٢ : ٧٧٣ — ٧٧٦) — نجيب على (الثاني) انَّ التوراة لم تذكر اسم امرأة قائين وانَّما جاء في بعض اقاصيص اليهود وروايات السريان انَّها كانت تدعى اقليميا او قليمة والله اعلم

س وسُئلنا من دوما ما معنى الشطر الثاني من البيت الوارد في الجزء الثاني من مجاني الادب (ص ٢٧) : يا خالط الدين بالدنيا وباطلها ترضى بدنياك شيئًا ليس يسواهُ ولمن يرجع الضمير في ليس والضمير المنصوب في يسواهُ

شرح بيت

ج اذا صحَّت رواية هذا البيت وقد اخذناهُ عن مجموع اشعار طُبع في لبسيك كان المعنى انك باقبالك على الدنيا ترضى بشيء لا يساوي دينك وهو معنى صحيح . فيكون ضمير ليس عائدًا على « شيء » والضمير المنصوب في « يسواهُ » عائدًا الى الدين . ولعلَّ الشاعر كان كتب في الاصل : « ترضى بدينك شيئًا ليس يسواهُ » والمعنى على هذه الرواية واضح . والضمير في ليس عائد على « شيء » وفي « يسواهُ » على « دينك »

ل . ش

Mscr. d'Al-Ahtal f. 4^b

Université Saint-Joseph, Beyrouth.

(*Cfr. Dîwân imprimé p.* 96)

وما مزبد يعلو جزائر حامر يشق اليها خيزرانا وغرقدا

حامر بين الرقة ومنبج على شاطئ الفرات والخيزران

والغرقد ضربان من الشجر

تحرز منه اهل عانة بعد ما كسا سورها الاعلى غثاء

يقمص بالملاح حتى يشفه الحذار وان كان المشيح المعودا

المشيح الحاذر فالعارف المتكمش والمعود الذى عاود ذاك

مرة بعد مرة

يطود الآذى جون كانما زفا بالقراقير النعام المطردا

كان بنات الماء فى حجراته اباريق اهدتها دياف لصرخدا

بنات الماء طير الماء وحجراته نواحيه ودياف وصرخد

قريتان بالشام

باجود سيبا من يزيد اذا غدت به بخته يحملن ملكا وسوددا

يقلص بالسيف الطويل نجاده خميص اذا السربال عنه تقددا

فاقسمت لا انسى يد الدهر شيبه غداة التشاكى ما اساغ وزودا

يقال يد الدهر يريد الدهر كله وكذلك يد المسند ومولى الدهر

وابد الدهر وابد الابدين بيد وابد الاباد وسن الحسل

ويحنيس الليالي وسحيس عجيس وما سمر السمير وما اختلف

ابنا

PHOTOLITHOGRAPHIE DE L'IMPRIMERIE CATHOLIQUE BEYROUTH

المشرق

نسخة جديدة مخطوطة

من ديوان الاخطل وُجدت في بغداد

بقلم الاب انطون صالحاني اليسوعي

ان محلّ الاخطل في الشعر اكبر من ان يحتاج الى وصف. فانهُ كان من فحول الشعراء المقدّمين عالي الكعب في النظم راسخ القدم في هذه الصناعة طويل الباع لهُ منزلة وشأن عند الخاصّ والعام. وممّا امتاز بهِ مدحهُ للكرام وجزالة وصفهِ وهجوهِ في عفافٍ من الفحش. وقد قيل عنهُ انّهُ ان هجا امضّ ووضع وان مدح اطرب ورفع حتى فضّلهُ كثيرون على جرير والفرزدق وهو اشبه بشعراء الجاهليّة. وشبههُ ابو عمرو بالنابغة لصحّة شعرهِ. وكان اولاد الملوك والامراء يعظمونهُ ويبجلونهُ وكان مقدَّمًا عند خلفاء بني اميّة. وكفى شاهدًا ان عبد الملك سمَّاه شاعر امير المؤمنين وشاعر بني امية بل اشعر العرب. فهذا الذي حدانا الى طبع ديوانهِ

ولمَّا اقدمنا على هذا العمل الخطير لم يكن يُعرف اذ ذاك من مجموع شعرهِ الَّا النسخة الوحيدة المحفوظة في خزانة كتب مدرسة اللغات الشرقيَّة ببطرسبرج

ومن عُني بنشر الشعر القديم يعلم ما يعترضهُ من الصعوبات في هذا السبيل ان لم يكن بين يديهِ الَّا نسخة واحدة قد تلاعبت بها ايدي الزمان

وعليهِ فتعويضًا عمَّا كان ينقصنا من النُّسخ انصببنا على العمل بجدّ لا يعرف الملل

وصرفنا وقتاً غير يسير في مطالعة كتب اللغة ومؤلفات العرب فحصلنا منها درراً مدفونة وهي شواهد ابيـات للاخطل تُعدّ بالمئات كما يتحقق ذلك كل من يطالع الحواشي التي علقناها على شعرهِ. وبينا نترقَّبُ وقت فراغٍ من اشغالنا لنصرفـهُ في انجاز ما وعدنا بهِ من اتمـام الجزء الخامس الذي سيحتوي الفهارس مع تصحيحات وروايات مختلفة اذ اسعدنا الحظ بان وجدنا مؤخرًا في بغـداد نسخةً جديدة خطية من ديوان الاخطل هدانا اليها حضرة العلاّمة المدقق الاب انستاس الكرملي فبادرنا لاقتنائها. وبعد اجالة النظر فيها ومطالعتها ومقابلتها مع الديوان المطبوع رأيناها جديرة بالاعتبار فاحببنا وصفها للقرّاء.

تُؤلّف هذه النسخة من ٨٧ ورقة وهي مجلَّدة بجلدٍ رقيق احمر منقوش نقشاً خفيفاً ومحفوظة احسن حفظ (١ وطول الصفحة ٢٠ سنتيمترًا وعرضها ١٤ سنتيمـترًا ونصف وطول المكتوب من الصفحة ١٥ سنتيمترًا وعرضهُ ٩ سنتيمترات. والابيـات كلها والشروح الّا ما قلّ مضبوطةٌ بالشكل الكامل. ومرسومة بخطٍ جليّ. ولبعض الابيات شرحٌ وجيز

وهذه النسخة قديمة يشهد بعتقها قرطاسها وحبرها وقلمها وتاريخهـا المكتوب في خاتمة النسخة. وهـذا نصهُ: « قد وافق الفراغ من تـكميل هذه النسخة المباركة يوم

١) ما عدا موضعين. ففي الصفحة الثانية من الورقة الاولى في بدء الاسطر ١٣ و ١٤ و ١٥ بعض كلمات ناقصة ترك الناسخ محلَّها ابيض فارغًا كأنهُ وجد الاصل الذي نقل عنهُ ممزقًا او باليًا. ولكن الاعجب من ذلك هو ان الناسخ مزج قصيدتين مختلفتين كلّ الاختلاف ليس فقط في المعنى لكن ايضاً في الوزن والقافية. فادخل ابيات الواحدة في وسط الاخرى. فانَّهُ في الصفحة ١ من الورقة ٤٥ بعد ان اورد خمسة ابيات من القصيدة الدالية « اذا ما قلتُ قد صالحتُ بكرًا. . . البعيدُ » (راجع الديوان المطبوع ٢٨٢) اتى بابيات من قصيدة كافيَّة تاركًا الخمسة الاولى منها * فقال « ترى ما يمسّ الارض منهُ اذا مشى. . . الدكادكِ » الى آخرها. والحقها ببيتين من ذات الوزن والقافية: « بنو دارمٍ عند السماء. . . » (هذان البيتان من قطعة اخرى اورد ثلاثة ابيات منها في الصفحة ١ من الورقة ٤٠). ثم عاد الى إكمال القصيدة الداليَّة (راجع الديوان المطبوع ٢٨٤ و ٢٧٥). وهذا دليل على ان النسخة الاصليَّة التي نقل عنها كاتب نسختنا لم تكن على ما يُرام من حسن الحفظ بينما نسختنا في هذه المواضع جيدة الورق والحبر والخط

* الّا انَّهُ اورد شرحَ البيتِ الخامس النـاقصِ ممزوجاً بشرح القصيدة الداليَّة « . . . والضَّواضيةُ الداهيةُ المُنـكَرُ أرادَ انهُ مُلازم فلاتَهُ لا يفارقُها هذا الحيَّةُ واللهابُ جمع لهبٍ وهي الفرجةُ تكونُ في الجبلِ نافذةً » وهذا الشرح يؤيّد قراءة العلّامة نولدكي « رَيبِ صَفاةٍ »

الاثنين الحادي عشر من شهر ذي الحجة سنة ٧٧٥ (١ على يد عبد الرحمن بن محمد ابن جعفر غفر الله لهُ » وفي اول وجه من الكتاب سُطرت بقلم غير قلم الناسخ هذه العبارة « كتاب يا لهُ قدر جليل فيهِ درّ قد حوي او جمانُ. مالكهُ مراد الجليلي سنة ١٢٢٠ »

ويبتدئ ديوان الاخطل في هذه النسخة هكذا: « الحمد لله بسم الله الرحمن الرحيم ربّ يسّر وقال الاخطل:

صحا القلب الّا من ظعائن فاتني جُننّ امير مستبدّ فأصعدا
الاميرُ قيّمهنّ والمستبدّ المالك لهنّ »

وبين هذه النسخة والنسخة المطبوعة فروق كثيرة منها زائدة ومنها ناقصة في الابيات كما في الشروح. ويبلغ عدد الابيات التي لا وُجود لها الّا في النسخة البغدادية نحو ١٨٠ بيتاً. على ان ما ينقصها ممّا هو مثبتٌ في نسخة بطرسبرج هو اوفر بكثير يبلغ نحو ١٠٥٠ بيتاً

امّا رواية شعر الاخطل في النسخة البغداديّة فهي عن ابن الاعرابي وعن ابي عمرو. بدليل ما جاء في آخر الصفحة الثانية من الورقة ٧٥ . وهذا نصهُ: « هذا

١) نرتاب في هذا التاريخ لسببين الاول ان الحادي عشر من شهر ذي الحجّة سنة ٧٧٥ لم يقع يوم الاثنين بل يوم الاربعاء. والثاني هو علامات تزوير ظاهرة في الارقام. ودليل ذلك ان الصفحة المدوَّن فيها التاريخ التصقت مع الصفحة التي قبلها على اليمين فنتج عن هذا الالتصاق تأثير الحبر من صفحةٍ على اخرى في كثير من الالفاظ. فالكلمة « سنة » ارتسمت مقلوبةً على الصفحة الاخرى وكذلك الرقم ٥ الّا ان الرقمين ٧٧ لم يؤثّر حبرهما على الوجه الآخر. ولعلّ الارقام التي كانت قبلًا موضعهما أُثّرت فمحا المزوّر آثارها. ثم انهُ يظهر بين الرقمين ٧٧ آثار نقطة ممحوّة بالحكّ. فضلًا عن ان الحبر يُرى في بعض اجزائهما احدث. فقدّرنا ان يدَ مزوّرٍ تلاعبت في تغيير التاريخ ليوهم ان النسخة اقدم ممّا هي في الحقيقة. فالرقم ٥ لا ريب في صحتهِ بدليل آثارهِ الباقية في الصفحة الاخرى. ومن فحص الارقام ٧.٧٥ فحصًا مدقّقًا تأكّدنا ان التاريخ الاصلي هو ١٠٧٥ فان اجزاء الارقام المرسومة بخطّ مهشّم يظهر مدادها قديمًا بينما مداد الاجزاء المرسومة بخطّ غير مهشّم يظهر حديثًا. فضلًا عن ان رسم ضلع الرقم ٧ على اليسار عموديّ غير مائل كما في الرقم ٧ الذي على اليمين. فكان ١ فصنعهُ المزوّر ٧ الّا ان الحادي عشر من شهر ذي الحجّة في سنة ١٠٧٥ وقع يوم الخميس لا يوم الاثنين. فيكون الناسخ غلط في تعيين اسم اليوم من الاسبوع او اسم الشهر. والله اعلم. هذا وانّهُ في السنة ١٠١٥ الحادي عشر من ذي الحجة وقع يوم الاثنين فبمحو النقطة وابدال ١ بالرقم ٧ تصير ٧٧٥. فتأمّل

آخر شعر الاخطل عن ابي عبد الله محمد بن زياد الاعرابي. وما بعده فعن ابي عمرو الشيباني » (راجع الديوان المطبوع السطر ١٦ وما يليه من الصفحة ٣٧٣)

ومقام هذه النسخة من الصحة والتدقيق في مكانٍ رفيع من جهة الالفاظ والرواية سواء كان في المتن او في الشرح فان مواضع عديدة كانت اشكلت علينا في نسخة بطرسبرج فلدى مقابلتنا اياها مع نسخة بغداد انجلى معناها ووجدنا لها الرواية الصحيحة

وبياناً لذلك نورد ههنا بعض الفاظ انتقد عليها العلّامة نولدكي (Noldeke) (١ والعلّامة بَرْت (Barth) (٢ في كلامهما عن طبعتنا . فلدى معارضتها بالنسخة البغداديّة رأيناها في هذه اصحّ :

	الديوان المطبوع	نسخة بغداد
٥٥,٩	حمالات	جمالات
٦٦,٥	من القوم لم تصبح من القوم	بقومكَ لم تصبح من القوم
٧٨,٧	بُنيتْ	نَبَتت
٨١,٥	رزموا	زرموا
٨٨,٦	حَمامةٍ	حَمامِهِ
١٦٦,٧	وترحرهن	وترجرهنّ
١٧٦,١٠	حَبيتْ	ثُوَيتُ
٢٣٠,٣	بنا	جِاَ
٢٤٤,٩	شَفَّت	شَقَّت
٢٦١,١	باتَتْ	بَاتَ
٣٠١,١٠	اقف	فقف
٣١٦,٥	ولكنّها	ولكنّما

وعليهِ فقد اكتسبنا جزيل فائدة من هذه النسخة الجديدة وتأسف اننا لم نعثر عليها قبل طبع الديوان. امّا من حيث الضبط بالشكل فهذه النسخة سقيمة كأنّ الناسخ لم يكن بهِ خبيرًا كما يستدلّ من رسم الصفحة المطبوعة بالنور والمثبَتة في هذه المقالة. ومع ذلك تراهُ بعض الاحيان في نصوصٍ مهمّة يثبت الحركات التي يقتضيها المعنى والقواعد بينما نسخة بطرسبرج تأتي بالغلط

١) Wiener Zeitschr. f. d. Kunde d. Morgenl. V *u* VI

٢) *Idem* XV

مثال ذلك بعض ما ورد في انتقاد العلّامة نولدكي والعلّامة بَرْت:

٥٦,٨	شُهُبُ	شُهُبَ
٨٩,٤	والبطونُ	والبطونِ (١
٩٦,٦	النعامُ المطرَّدا	النعامَ المطرَّدا
٢٣٠,٧	عمودَهُ	عمودُهُ
٢٣٨,٥	النفسَ . . . جُنَّةَ	النفسُ . . . جَنَّةَ
٢٤٠,٧	غريبَتُهُم	غريبَتَهُم
٢٤٠,١٠	ويُسلِمُ اصداءَ	ويُسلِمَ اصداءَ
٣١٥,٦	يَنيبُ لِما أَنابَ	يُنِيبُ لما يُنِيبُ
٣٢٠,٣	تُبِينَ	تَبِينَ
٣٢٨,٣	شُعُثُ	شُعْثُ
٣٢٨,٤	فَتَرَكْنَ	فَتُرِكْنَ

بقي علينا ان نبيّن ما في هذه النسخة من الشعر الغير الموجود في نسخة بطرسبرج

١ في الصفحة الاولى من الورقة الثامنة ٥ ابيات وهذا بدؤها: وقال الاخطل. ولم يروها ابو عبد الله وقرأناها عليه

وَمُسْتَرِقِ النُّخَامَةِ مُسْتَلِينٍ لِوَقْعِ ٱلْكَاسِ يُومِي بِالْبَنَانِ

٢ في الصفحة الاولى من الورقة السابعة عشرة قصيدة تحتوي على ١٣ بيتاً واولها

بِئْسَ ٱلْفَوَارِسُ عِنْدَ مُخْتَلَفِ القَنَا عِـذْلُ الحِمَارِ مُحَارِبٌ وَسَلُولُ

وفي الاصل الفوارسَ بفتح آخرهِ ومحاربٍ بتنوين الجرّ. وقال في الشرح «محارب ابن حصفة بن قيس بن عيلان وسلول بنت مرّة بن ذُهل بن شيبان ولدت لصعصعة بن معاوية فنُسِبوا الى امّهم»

٣ في الوجه الاوّل من الورقة ٥٢ ستة ابيات. اوّلها:

أَفِي كل عامٍ لَا يزال لعامرٍ على الفَزْرِ نهبٌ من رواشٍ مُزَنَّمُ

وقال في الشرح «الترنيم والترعيل واحد وهو ان تشقّ اذن البعير طولًا ثم تنزل

---

١) قال في شرح النسخة البغداديّة: «يقال هِمْ لنفسكَ واهتَمْ لها اي اطلب واحتَلْ وهو يَجيم لها الخلاصَ. وقرِيبَةُ والبُطُونُ من بني عامر بن عوف بن كلب»

تنوس والفزر سعد بن زيد مناة بن تميم وعامر بن عمرو من بني ابي ربيعة بن ذهل بن شيبان والاروش جمع راش وهي ديات الجراحات »

وقد وردت ايضاً الابيات الثلاثة الاولى من هذه القطعة في الوجه الثاني من الورقة ٨٥ وروى فيها « أرُوش » بدل رواشٍ. وقال هناك في الشرح « . . . الفَزْر بن شريك اخو الحوفزان والاروش دون الديات من جراحات وما اشبهها »

وآخر بيت من هذه القطعة هو الذي اثبتناهُ في الشعر المنسوب للاخطل. (راجع الديوان السطر ١١ من الصفحة ٣٩٧) وهو:

وما كانت الحيّاء فينـا مربّة ولا غد النورين ذاك المقدَّمُ

٤ في الوجه نفسه قطعة ذات ٧ ابيات واوّلها:

يا يومنا عندها هُد بالنعيم لنا منها ويا ليلتي في بيتها عودي

٥ في الصفحة الاولى من الورقة ٧٦ قصيدة تحتوي على ٨ ابيات

وقال الاخطل عن ابي عمرو وحدهُ:

أَلا يَا اسْلَمِي بالسَّعْدِ يَا أُخْتَ دَارِمٍ وَلَو شَتَّ صَرْفٌ مِنْ نَوًى لَمْ تُلَائِمِ

٦ وفي آخر الصفحة ذاتها تبتدئ قطعة محتوية على ٩ ابيات. وقال الاخطل رواها ابو عبد الله ايضاً وقرأناها عليه:

أَيَا رَاكِبًا إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ نُبَاتَةَ بِالحِصْنَيْنِ وَٱبْنَ المُعَلَّقِ

وفي الشرح: « هذان كلابيان والحصنان بالموصل »

٧ في الصفحة الاولى من الورقة ٧٩ قصيدة تحتوي على ٢٠ بيتاً ومطلعها:

أَلا لَا تَلُومِينِي عَلَى الخَمْرِ عَاذِلَا ولا تُهْلِكِينِي إِنَّ في الدَّهْرِ قَاتِلَا
ذَرِينِي فَإِنَّ الخَمْرَ مِنْ لَذَّةِ الفَتَى وَلَوْ كُنْتُ مَوْغُولًا عَلَيَّ وَوَاغِلَا

وفي الاصل « عاذلًا » مع التنوين. وقال في الشرح: « المَوْغُولُ المَدْخُولُ عَلَيْهِ وهو يَشْرَبُ وَالوَاغِلُ الدَّاخِلُ عَلَى القَوْمِ في شَرَابِهِمْ »

٨ في الصفحة الثانية من الورقة ٨٠ خمسة ابيات. اوّلها:

وقال الاخطل ورواها ابو عبد الله ايضاً:

لِمَانَ عَلَى فِتْيَانِ بَكْرِ بن وَائِلٍ وتَغْلِبَ أَصْمَادٌ بِذَاتِ الجَحَافِلِ

وقال في الشرح: « هذه ابلٌ اُخِذَتْ وهذا اسمُها يُريدُ ذَاتَ الجحافل »

٩ في الصفحة الاولى من الورقة ٨١ قصيدة من ٩ ابيات يهجو بها رجلًا من بني عبس وهذا مطلعها :

رَاحَ القَطينُ من الثغراء او بكرو وصدَّقو من نهار الامس ما ذكرو

(راجع الديوان المطبوع الصفحة ٩٨ السطر ١٦ حيث روى « الشعراء » بدل الثغراء)

١٠ في الصفحة الثانية من الورقة ٨١ قصيدة تحتوي على ٣١ بيتًا اوردنا منها البيتين الاوَّلين في ما اثبتناهُ من الشعر المنسوب للاخطل (راجع الصفحة ٣٨٤ من الديوان المطبوع السطر ١٤ و١٧)

لِأَسْماءَ مُحْتَلٌّ بِنَاظِرَةِ البِشْرِ قَدِيمٌ وَلَمَّا يَعْفُهُ سَالِفُ الدَّهْرِ

وفي لفظة « محتلّ » في الاصل حقّق اللام بكاف صغيرة فوقها فاراد محتكّ

١١ في الصفحة الاولى من الورقة ٨٣ قصيدة ذات ١٩ بيتًا اوَّلها :

أَلَمْ تَشْكُرْ لَنَا كَلْبٌ بِأَنَّا جَلَوْنَا عَنْ وُجُوهِهِمُ الغُبَارَا

ومن هذه القصيدة البيت الذي نسبناهُ للاخطل واثبتناهُ في الصفحة ٢١١ في الحاشية السطر ٢١ وقد تحققنا الآن ان ضبط الكلمتين « وأَنتُهِكَ القرارُ » كان غلطًا والصواب « وانتَهَكَ الفِرَارَا » وورد في شرح النسخة البغداديَّة : « هذا حاتم بن النعمان الباهلي وكان فلَّ يوم الثرثار وهو يوم قتِل عُمَيْر بن الحباب. وانتهاكه اجتهاده في الفرار » (راجع تاريخ ابن الاثير ٤ : ١٣٢ طبعة مصر وديوان الاخطل ٣٨٥ السطر ١٠)

١٢ في الصفحة الثانية من الورقة ٨٤ قصيدة حوت ١٣ بيتًا وقال الاخطل يمدح جرير بن عبد الله الجبليّ (راجع طبعتنا لديوان الاخطل الصفحة ٣٨٠ السطر ٢٣) ومطلع القصيدة :

حَلَّتْ سُلَيْمَا بِدَوْغَانٍ وَشَطَّ بِهَا غَرْبُ النَّوَى وَتَرًا في خَلْقِهَا اَوَدَا

امَّا سائر القطع التي لم نذكرها فهي عبارة عن بيت او بيتين او ثلاثة على الاكثر. فلا حاجة الى اثباتها هنا لاننَّا انَّما اردنا ان نعرّف ما يهمّ ممَّا انفردت بهِ هذه النسخة

هيت وينابيعها المعدنيّة

لجناب الدكتور الفاضل نابليون ماريني البغداديّ

(لفظها) سُمّيت هيت بهذا الاسم لانها في هوَّة من الارض انقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها (عن ابن السكيت) . قال رؤبة : « في ظلمات تحتهنَّ هيت » اي هوَّة من الارض . وقال ابو بكر : « سميت هِيتُ لانها في هوَّة من الارض والاصل فيها هِوْت فصارت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها » وهذا مذهب اهل اللغة والنحو . وذكر اهل الاثر أنها سميت باسم بانيها وهو هيت بن السَبَنْدَى ويقال البَلَنْدى بن مالك ابن دُعْر بن بُوَيب بن عنقاء بن مَدْين بن ابرهيم عم . وهذا هو راي العرب الّا ان اللفظة قديمة غير عربيّة وفي محاولة اشتقاقها من هذه اللغة تمحُّل ظاهر

وكانت تعرف عند الاقدمين بلفظة إيس (Is) المقطوعة من ايوبوليس (Æiopolis) وما هيت الّا إبدال « إيس » وهي بلدة من العراق العربي على الضفّة اليمنى من الفرات تبعد خمسة مراحل عن بغداد او نحوًا من اربعين ساعة على سير القافلة . وهي من المدن العريقة في القدم يعرفها الاشوريون والكلدانيُّون حتى ان أَرْجُل هيرودوتس وطئتها يوماً من حياتهِ ولم يغفل عن ذكرها في رحلتهِ الى بابل اي خمسمائة سنة قبل المسيح . وان امعنَّا النظر في الاعصُر الاولى رأينا بقعة هيت معروفة حتى عند بني آدم من قبل الطوفان . والبرهان على ذلك هو ان نوحاً لمَّا بنى تابوته طلاهُ بالقار من داخل ومن خارج ليصارع امواج المياه الهائجة ويمنع المطر من الدخول اليهِ (سفر التكوين ٦ : ١٤) . وعندي ان ذلك القير أُخذ من بقعة هيت وليس من سواها . اذ لم يوجد حُمَر في كل ارض شنعار (وهي العراق العربي الحالي) وقتئذٍ الّا في موضعين هما : هيت ونينوى . وكانت الاولى تبعد عن بابل ثلاثين ساعة واماَّ الثانية فتبعد عنها أحد عشر يوماً فتكون ارض هيت أقرب الى نوح من الثانية كما هي اليوم

وبعد الخروج من التابوت سكن نوح واولاده ارض شنعار التي فيها أُقيم البرج الشهير والمدينة العظيمة بابل (سفر التكوين ١١ : ٢ و ٤) وليس الحقيقة ببعيدة عنَّا اذا قلنا

ان نوحاً كان يسكن ايضاً تلك الاصقاع من قبل الطوفان. ولدينا على ذلك براهين دامغة مأخوذة عن ائمة التاريخ ونطاق هذه المجلّة يضيق عن نقلها ومن احبّ التفاصيل فليطالع فرنسوا لنورمان الذي يُثبت للقارئ وجود الفردوس الارضي في العراق العربي

ومن هيت اخذ ايضاً اولاد نوح قيرًا عوضاً عن الطين لإقامة برج بابل رغبةً في تمكين البناء وتصليبه لمناطحة فواعل الطبيعة ومكافحة عوامل الزمان المريعة

ومن هيت ايضاً أُخذ القير لبناء بابل قبل ان يبلبل الله اللغة الاصليّة (سفر التكوين ١١: ٤ و٥) وعلى مرور الدهور لمّا اندكّت اسوار بابل قاعدة مملكة الكلدان اعاد الشعب حينئذٍ بناءها بالآجرّ عوضاً من الحجارة وبالحُمَر عوضاً من الطين والكلس ولزيادة التأكيد نورد كلام هيرودوتس: «... فانهم كانوا كلما حفروا جانباً من الخندق يُلَبِّنون ترابه لبناً وكلما حصل لديهم جانب منهُ يشوونهُ بأَتاتين ثم يلصقونه بالحمر المحمي الخ...» (راجع الكتاب الاوّل من تاريخ هيرودوتس)

وفي عصر البابليين كان الانسان اذا اراد ابقاء آثاره وتصليبها اقامها بالقار وهكذا كان يصنع عواهلهم منهم نبوخذنصر اذ يقول في احدى العاديات الموجودة في المتحف البريطاني: «انا نبوخذنصر قد امرتُ ببناء هيكل الاله نبو في بابل بالآجرّ والقير حسب اصول الفنّ الخ». وكان كل ذلك القير يُستخرج وقتئذٍ من هيت المجاورة لاراضي بابل

فيظهر اذًا ممّا اوردناهُ ان بقعة هيت كانت ولم تزل حتى هذا اليوم مخازن الحُمر الطبيعيّة التي لم تنفد ولن تنفد. وكل سنة تأتي هيت سفنٌ عديدة لتشحن منها اقراص القير الجامد قناطير مقنطرة لتبيعها في بغداد والبصرة والعمارة والحلّة وسائر البلدان العراقية. ويستخدمهُ العراقيُّون لإطلاء الحمّامات والسواقي والاحواض وما ضاهاها. ألا اهل هيت فانهم يستعملونهُ لبناء بيوتهم وطلاء الاباريق والجرار والأقداح المصنوعة من سعف النخل

(موقعها) ان موقع هيت القديم كان في سهل مستوٍ بعيد عن الفرات باميالٍ ينتهي اليها شعبة منهُ كما يؤكد ذلك ما قال عنها هيرودوتس: «وعلى مسافة ثمانية ايام من بابل مدينة «إيس» وهي راكبة على شاطئ نهر صغير يُعرف باسمها ويدفع في نهر الفرات وتجرّ مياهه كثيرًا من الحمر»

امّا اليوم فقد تحول موقعها من السهل الى تلّ عالٍ اصبح الفرات عند اسفله ملتصقًا بالبيوت وليس لتلك الشعبة من وجود وسبب ذلك هو ان مجرى النهر اخذ يتقدّم رويدًا رويدًا حتى أكل الارض التي امامه فابتلع الشعبة واتصل بالبلدة ذاتها كما هي عادة الانهر الطبيعيّة

واذا مررتَ اليوم بهيت رأيت بيوتها كلها قائمة على ذلك التلّ المشرف على الخضراء ما وراء النهر . ومن العجب العجاب ان التلّ المذكور وحيد في بابهِ لا يوجد سواهُ في كلّ تلك البقاع المستوية السحيقة المنال الفسيحة المجال التي لا تُرى فيها حجارة البتة حتى ولو مشيت فيها مسافة اربعة ايّام شرقًا او غربًا شمالًا او جنوبًا . وعندي ان ذلك التلّ نشأ عن تراكم التراب بعضهُ فوق بعض وهو التراب الذي يخرجهُ الهيتيون من الارض طلبًا للقير كما هو جارٍ اليوم بجوار البلدة وهذا ما يترجم للناظر المتأمل عن حقيقة ادعائي وماذا يرى الناظر ؟ يرى هنالك ينابيع من الحمر تبعد ثلث الساعة عن البلدة محاطة كلها بمرتفعات من التراب يزيد علوها يومًا عن يومٍ كلما حُفرت الينابيع واستُقصي اثرها لتوسيع نطاقها او وجدانها اذا نضبت يومًا او غارت في الارض كما هي شرائع الطبيعة في طبقات البسيطة

والظاهر للعيان انهُ كان في سالف الزمان عيون حُمَر عند اسفل ذلك التل القائمة عليهِ البلدة من جهة الشرق ومما يؤكد مقالنا ويدعم زعمنا وجود هُوَّات عديدة في هذا اليوم فيها آثار قير جامد واذا تفحّصت عن ماهيّة هذه الهوات اجابك على الفور جميع الهيتيين انها كانت ينابيع ينبط الحمر من افواهها

(مساكنها القديمة والحديثة) اذا تفقد الزائر بعين الدقّة والانتباه آثار بيوت هيت القديمة اعترف بلا مراء بانها كانت مبنية بالآجرّ او باللبن مع الطين الاحمر على هيئة مربّعات ملتصقة بعضها ببعض وكل مربّع قائم بذاتهِ منقسم الى عدة قطع صغيرة ذات طبقة واحدة كما هو شائع اليوم عند عموم اللبنانيين الفقراء

امّا مساكنها الحديثة فلا تختلف عن القديمة بما يستلفت النظر اليهِ الّا انها قائمة على التل مبنيّة ايضًا بالآجرّ والطين الاحمر او باللبن مع القير او مع الكلس كلها ملتصقة بعضها ببعض ذات طبقة واحدة واطئة لا يستثنى منها الّا ثلاثة مساكن ذات طبقتين واطئة فعالية مبنيّة على الطرز البغدادي اي ان صحن الدار مكشوف للسماء

غير مسقوف ولها نوافذ واسعة ومقاصير تطــلّ على النهر مدهونة بالصبغ الملوّن من داخلٍ ومن خارج

امّا ترتيب سائر مساكن الهيتيين ففي ادنى درجة من البداوة فاذا تأمّلتَ مثــلًا خارجها رأيتهُ مكوّنًا من ثلاثة حيطانٍ والحائط الرابع لاصق بمسكن آخر ولا تجد في كل جهاتهِ الثلاث سوى ثلاث نوافذ لا بل شقوق مستطيلة الشكل لا يزيد عرض الواحد على شبرٍ الرجل وهي مفتوحة ليلًا ونهارًا لا تُسدّ الّا عنـد قرب الشتاء بقطع من الطين او بثياب بالية. واذا دخلتَ مسكنًا اقتضى لك اوّلًا ان تتقبّض وتزوي جسمك لتتمكّن من المرور بالباب على ضيقهِ. والباب مفتوح على صحن الدار راسًا بدون درج وبدون عتبة. واوّل ما يفعل فيك هو انبعاث رائحة القير المطليّة بهِ جدران البيت من داخل ثم رائحة الغازات الصادرة عن اجسام سكّانهِ. وصحن الدار مسقوف لا يدخلهُ الهواء والنور الّا من الشقوق المستطيلة المذكورة ومن الباب ايضًا. ثمّ ان المسكن كلهُ مظلم يشتمل على مقصورتين صغيرتين واحدة للمؤونة والثانية للنوم. والصحن يحتوي على التنوّر ومخزن الماء والمستراح والمطبخ. هذا ومساحة البيت كلهِ لا تزيد على عشرة امتارٍ مكعبة او خمسة عشر مترًا اذا كان صاحبهُ غنيًّا

قلتُ ان مساكن هيت مبنيّة كلها على التل الّا انهُ يوجد في السهل خانات بسيطة البناء لسكنى القوافل ايّام الشتاء وكانت البلدة القديمة وسط السهل حتى استيلاء المسلمين عليها ولم تتحول الى التلّ الّا من مدّة غير بعيدة وسبب ذلك انما هو طغيان الفرات ايّام الربيع الذي يجرُّ وراءهُ البيوت باثاثها واصحابهـا. ولا حاجة الى ذكر الاضرار اللاحقة بالهيتيين من جراء ذلك وبناءً عليهِ احوجتهم النكبات الى نقــل مساكنهم الى ما فوق التل تخلصًا من الغرق والخراب

ومن اعجب الامور انهُ لا يوجد في كل هيت الّا ثلاثة طرقٍ والبقية كلها ارتاج اي طرق ضيقة لا منفذ لها عرض الواحد منها ثُلثا المتر وعرض الطرق المعهودة متر واحد او ما ينيف عليهِ. والسوق فيها عبارة عن عشرة دكاكين لا غير لاصقة بحيطان المنـازل واكثر ما يُعرض فيها التمر واللحم والبيض والخبز

(سكّانها القدماء والحاليون) اذا أصغى الانسان الى تقاليد الهيتيين الحاليين رأى الجميع يشهدون بلسان واحد على ان سكّان هيت القدماء هم يهود من خيبر

وتأكيداً لمقالهم واسناداً لتاريخهم يشيرون باصابعهم الى منازل اولئك النكودي الحظ التي اصبحت اليوم خراباً

وعندي ان لتقاليد الهيتيين جزءاً من الحقيقة ان لم تكن الحقيقة كلها. فمن ذا الذي ينكر علينا اذا قلنا ان اليهود كانوا سكّان هيت القدماء قبل الفتح الاسلامي. والبرهان على ذلك ما أخبر ياقوت في معجم البلدان حيث قال انَّ سعداً لمّا وصل العراق أنفذ جيشاً الى هيت سنة ١٦ هجريَّة وامتلكها وامتدّ منها فواقع منهُ اهل قرقيسيا وبهذا المعنى انشد عمرو بن مالك الزهري:

تطاولتْ أيامي بهيت فلم احمْ وسرتُ الى قرقيسيا سيرِ حازمِ
فجئتهمُ في غرةٍ فأحتويتُها على عنفٍ من اهلها بالصوارمِ

والظاهر ان اليهود قد جاهروا بالعصيان وقتئذٍ ولم يريدوا ان يسلّموا بلا حرب لائتلاف كلمتهم والاعتماد على كثرتهم فسدّوا دونهم باب التساهل حتى احوج الامر المسلمين الى ارسال عسكر جرار لمقاومتهم واخذ البلدة عنوةً ولمّا دارت الدائرة على اليهود قُتلوا حزّاً بالسيف ودُكّت منازلهم عن آخرها تنكيلاً بهم ولم يقم لهم قائم حتى استيلاء الدولة العثمانية نصرها الله على هيت فسار اليهود ثانية اليها من بغداد تحت راية الامان وساكنوا اهلها المسلمين حتى يومنا هذا

وربَّ قارئ يعترض علينا بسؤالهِ الآتي: ومن اين أتى يهود خَيْبَر او اليهود عموماً وسكنوا هيت وتحصنوا فيها قبل الفتح الاسلامي. اقول امّا أنهم ساروا اليها من بابل بعد سبيهم على يد نبوخذنصر العاهل الكلداني وهو الراي الاصح (راجع سفر اخبار الأيام الثاني الفصل ٣٦: ١٧و ٢٠ سفر الملوك الرابع الفصل ٢٤ : العدد ١١ الى ٢٠). وامّا أنهم قصدُوها من مدينة خيبر ببلاد العرب على طريق الشام اذ المسافة بين هيت والشام لا تزيد كثيراً على المسافة التي بين هيت وبابل. ومن اراد الاطلاع على يهود مدينة خيبر واصلهم وكيفية استيطانهم لها فعليهِ بكتاب فرنسوا لنورمان المجلّد الخامس

امّا سكّانها الحاليُّون فهم مسلمون ويهود فقط ويبلغون نحواً من ألفَي نسمة او ما ينيف على ذلك فالثلثان منهم مسلمون والثلث الآخر يهود ولغتهم العربيَّة الرخوة اللفظ

(زيهم وحالتهم الادبيَّة الخ) ان زيّ الهيتيين الحالي هو كزي البغاددة المسلمين فيلبسون القباء (الغنباز) والقميص والعباء (المشلح) والطربوش والكوفية مع العقال والحذاء الاحمر (وهو اليمني بلسان العراقيين). وهم اناس اميُّون لا يعرفون الحيّ من الليّ وقلّما تجد بينهم من يعرف القراءة العربيَّة والكتابة فيها ومنهم من يفلح الارض ومنهم من ينسج من سعف النخل الحبل والزُرْنَة والقدح والجرَّة والخابية والصينيَّة والصَفد والعلبة الصغيرة والطبق والسلَّة الخ. ولنسائهم اليد الطولى في شغل هذه الحاجات وبعد الانتهاء من حياكتها تُطلى بالحمر من داخلٍ ومن خارجٍ كي لا يخرقها الماء. ثم تُعرض للبيع على اهل القافلة ذهابًا وايابًا. ومنهم من يستخرج الملح والحمر من الينابيع المعدنيَّة فتحملهما على الفرات سُفن شراعيَّة وتنقلهما الى جوار بغداد ومن هناك يُنقلان على ظهر الدواب الى المدينة ذاتها حيث يباعان باثمان جيّدة. ومن بغداد يُنقل القير الى سائر بلدان العراق كالبصرة والعمارة والحلّة والمنتفق وسوق الشيوخ وعانة الخ

امَّا اراضي هيت فلا تصلح للزراعة لاحتوائها على مواد مضرَّة بالزرع كالاملاح الزائدة وخصوصًا كلورور الصوديوم (ملح الطعام) الذي يميت النبات ويسمّه. امَّا الجهة الغربيَّة منها فمزروعة نخلًا وقليلًا من اشجار الليمون والبرتقال وغيرهما لكن النخل فيها ضعيف قصير لا يحمل ثمرًا الَّا نصف الكميَّة المعهودة كل ذلك لوجود الاملاح السامَّة ولم ارَ قط تلك الرياض الضاحكة والبساتين الرائقة التي اتى على وصفها ابو عبد الله محمد بن خليفة السِنْبسي شاعر سيف الدولة صدقة بن مَزْيد اذ يقول:

فمن لي بهيت وابياتها فانظرَ رستاقها والقصورا
فيا حبذا تيك من بلدةٍ ومنبتها الروض غضًّا نضيرا
وبرد ثراها اذا قابلت رياحُ السمائمِ فيها الهجيرا

ولم يزل الهيتيون حتى اليوم يستخدمون النواعير لسقاية زروعهم كما كان يفعل ذلك الاشوريون والبابليون. وما ارقّ ما قالهُ بهذا الشان ابو عبد الله محمّد السنبسي المذكور:

احنُّ اليها على نأيها واصبر عن ذاك قلبًا ذكورا
حنين نواعيرها في الدجا اذا قابلت بالضجيج السُكورا
ولو ان ما بي باعوادها منوطًا لأعجزها ان تدورا

وهذا القول ممّا يؤكد كلامنا ان استعمال النواعير في هيت ظلّ جاريًا الى صدر الاسلام . وفيها عدّة مزارات اغلبها لأئمة اللغة ولم يعلق بذكري اسماؤها لكثرتها وطول ألقابها فاجتزأت بذكرها تنبيهًا على ذلك

(ينابيعها المعدنيّة) لقد خصّ الله بقعة هيت بنعم طبيعيّة غزيرة الثمن وعزّزها بغرائب نادرة وهي الينابيع المعدنيّة المنوطة بها ارباح السواد الاعظم من الهيتيين . ولو كان هؤلاء أعلم ممّا هم عليهِ اليوم لاستخرجوا من تلك الينابيع عيونًا تقطر ذهبًا . وكنزًا يصب عليهم من الخيرات قربًا . فهي تحتوي على الحمر والملح والفصفور والكبريت الخ . كل ذلك تعويضًا لهم من عند الخالق عمّا حرمهم ايّاهُ من الحبوب والزروع التي لا تنبت عندهم . وتمهيدًا لذلك اقول ان ارض هيت سبخة مالحة مطمئنة ترابيّة محضة قلّما يوجد فيها الحجر الصلب وحيثما حفر الانسان يقع بلا ريب وبلا انتظار على قير ومياه كبريتيّة مالحة منها حارّة ومنها باردة . وبناء عليهِ فالينابيع فيها عديدة كلها موجودة بجوار البلدة منها ما يبعد مسافة خمس دقائق ومنها عشر دقائق ومنها عشرين ومنها ساعتين . ولقد زرت منها بنفسي اربعة ينابيع اثنان منها حمّات حارّة وتأمّلت مليًّا كيفيّة اندفاع الماء من اعماقها الى ما فوق سطح الارض وطريقة جمع الحمر من على وجهها فانطقني لسان الحال قائلًا : سبحانك اللهمّ ما اعجبك في اعمالك

ودونك عن اهالي هيت اسماء احد عشر ينبوعًا ممتازة بما خصها الله من المنافع : ١ً عين لُطيف تنبع حُمَرًا . ٢ً عين الذهبي تعطي حمرًا ايضًا . ٣ً عين دُرُوبي حُمَريّة ايضًا . ٤ً عين لاتق يستحمّ فيها المرضى طلبًا للشفاء . ٥ً عين معمورة تعطي « قِسْطًا » وهو القير الذي يُعلك . ٦ً عين الملح تفرز ملحًا وفسفورًا وحُمَرًا . ٧ً عين المرَج تعطي قسطًا . ٨ً عين المطاعط تعطي قيرًا فقط ولا يوجد فيها قطرة ماء البتة . ٩ً و١٠ً و١١ً عيون الجرَب سُمّيت بذلك لانها تشفي الانسان من الجرب

هذا واذا رغب الناظر الدنو من الينابيع المذكورة فانهُ لا محالة يسقط على الحضيض مغميًّا عليهِ وذلك لما ينبعث منها من الروائح الكريهة السامّة كالحامض السولفدريك والحامض الفسفوريك والحامض الكبريتيك الخ

واقواها رائحة عين دُروبي وهي التي تبعد عن البلدة مقدار ثُلث الساعة فيها يندفع الماء الى علوّ متر ونصف متر عند اشتداده العظيم . ومع الماء يخرج الحُمَر كُتَلًا كُتلًا

صغيرة الحجم وكلّما همدت قوّة الاندفاع حفرها صاحبها وتتبّع آثارها في اعماق الارض وذلك الماء المتبجس عَكِر ولهُ دويّ عظيم يُسمع على بعد خمس دقائق يسخن صيفاً ويبرد شتاء ولا تنقص كميتهُ ولا تزيد وتعطي العين يومياً من اربعين الى مائة حمل حِمار من الحُمَر الفاخر والهيتيون يستأجرونها راساً من الحكومة ويدفعون لها ريالًا واحداً عن كل اربع وعشرين ساعة

امّا عين الملح فيسخن ماؤها شتاء ويبرد صيفاً ولها بقبقة خفيفة لا تُسمع الّا عن قرب. ويسري ماؤها الى مسافة بعيدة ثم يوزع الى اقسام عديدة من الارض حيث يستمرّ فيها مدّة ستة اشهر وبعد تبخُّرهِ يركز الملح طبقات بعضها فوق بعض يبلغ سمكها من السنتمترين الى الخمسة عشر سنتمترًا وهو ابيض اللون جيد الطعم يُوسق منهُ سنوياً سُفُنًا طافحة الى بغداد والى جوارها. ولقد احوجني الاختبار الى ان آخذ منهُ قَبضَة وأستعملهُ في الطعام فكان لذيذًا لا يفرق عن الملح الاعتيادي بشيء. والهيتيون كلهم لا يستعملون سواه في طعامهم. امّا البغداديون فلا يستخدمونهُ الّا في الدباغة

وهذه العين ذاتها تُجري حُمرًا وموادّ فسفورية. ترى الاوّل طائفاً على وجهِ العين كُتلًا صغيرة وهي كلما كثرت وتجمعت كميته التقطها صاحبها. والعين على سواء الارض مكشوفة للهواء مستديرة الشكل يبلغ قطرها مترًا واحدًا ولا يُحيط بها الّا دائرة من التراب صدًّا للمياه النابعة كيلا تطفح وتصبّ من كلّ الجهات. وللماء منفذ واحد غِلَظهُ كغلظ الزند ومنهُ يجري في ساقية مكشوفة ومنها الى الدّبرِ والمشاور

اما الموادّ الفسفورية فتراها سابحة جامدة على سطح الماء تنبعث منها تلك الرائحة المشهورة التي تغنيك عن وصفها وكنهها. واذا كان الانسان جاهلًا خواص الفسفور ومفاعيله في الجسم ولمس تلك الموادّ فانهُ لا محالة يحترق كما جرى لبعض الهيتيين الذين يعترفون للسائح بان عين الملح تنبع نارًا طبيعيّة ولهذا لم يجسر احد على جمع تلك المواد الثمينة وبيعها لجهلهم بها حتى اليوم الحاضر

ويقول الهيتيون ان واحدًا من كيماويي المدرسة الشاهانيّة في الاستانة زار ينابيع هيت لاستثمارها واخذ شيئاً من ماء عين الملح وفحصهُ بالكهربائيّة فاسفرت النتيجة عن ان تلك العين تحتوي على كميّات وافرة من كلورور الصوديوم (ملح الطعام) والفسفور

والكبريت وانها تصلح لعلاج الامراض الجلديَّة والامراض الناتجة عن سوء الهضم وتلبُّك المعدة والجرب الخ. وانا اول من يوافق على هذا الراي وعلى اختبار مفاعيلها

وبقيتْ هناك فوائد شتى قد ضربنا صفحاً عن ذكرها لانها ليست من باب هـذه النشرة والسلام

الاديار القديمة في كسروان

لحضرة الاب الفاضل ابراهيم حرفوش المرسل اللبنـاني (لاحق بسابق)

مكتبة دير مار شليطا (تابع)

٩ الكتاب التاسع كتاب رتبة القداس الالهي نُسخ سنة ١٥٧٠ وعلى الصفحة الاولى فهرست النوافير المتضمنة في هذا الكتاب مع تعيينها لتذكارات مختلفة وعدد هذه النوافير ستة: ١ً ܕܩܘܣܛܘܣ ܠܥܢܝ̈ܕܐ (تافور قسوسطس للموتى). ٢ً ܕܝܘܚܢܢ ܠܚܕ ܒܫܒܐ (تافور مار يوحنَّا ليوم الاحد). ٣ً ܕܦܛܪܘܣ ܠܣܗ̈ܕܐ (تافور مار بطرس للشهداء). ٤ً ܕܬܪܥܣܪ ܫܠܝ̈ܚܐ ܠܡܠܐܟ̈ܐ (تافور الرسل الاثني عشر للملائكة). ٥ً ܕܡܪܝ ܩܘܪܝܠܠܘܣ ܠܟܠܝܘܡ (تافور مار قوريلّس لكل يوم). ٦ً ܕܡܪܝ ܝܥܩܘܒ ܠܥܐ̈ܕܐ ܡܪ̈ܢܝܐ (تافور مار يعقوب للاعياد السيدَّية)

وهذا النوع من تعيين النوافير لتذكارات مختلفـة قديم جدًّا في الكنيسة السريانيَّة وقد اشار الدويهي الى تعيين نافور مار يعقوب في تذكار الاعياد السيدَّية (طالع المنارة صفحة ١٤٨ من المجلد الثاني). وكذلك قد عيَّن علاَّمتنا المذكور في كتابهِ في النوافير السريانيَّة الذي سنأتي بوصفه ان شاء الله كلًّا من النوافير التي جمعها لتذكارات مختلفة. والمجمع اللبناني حتم بمراعاة هذا الامر من تعيين نوافير خاصَّة ببعض الاعياد والتذكارات في الباب الثالث عشر (ص ٢٠٩). وهذا ما يبطل قول الاب دنديني الذي زعم (في الفصل الرابع والعشرين من رحلتهِ) انهُ لا يوجد عند الموارنة سوى قداس واحد وقد تعقَّبهُ العالم ريشار سيمون في الحواشي التي علَّقها على كتاب رحلة الاب دنديني

الذكور (طبعة باريس سنة ١٦٨٥ ص ٣٢٩) ولا نعجب من ذلك فان الاب دنديني قد ارتأى هذا الرأي لجهلهِ لغتنا السريانية وطقوسنا مع انهُ لو تأمَّل كتاب القداس المطبوع لاوَّل مرَّة الذي احضرهُ معهُ للسيد البطريرك من رومية لوجد فيهِ اثني عشر نافورًا ولكان البطريرك سعى بطبع كل النوافير الموجودة في طقسنا لو تيسر لهُ ذلك

ولهذه النوافير المتضمنة في هذا الكتاب الذي نحن في صدده صور مختلفة للتقديس بخلاف كتاب قداسنا الذي طُبع لاوَّل مرَّة في رومية فقد اسقط توما طراف منهُ كما افادنا الدويهي صور التقديس المختلفة وعمد الى صورة واحدة اخذها عن الكنيسة الرومانيَّة وكلٌّ يعلم استياء السيد البطريرك من هذا العمل ومنعهُ التقديس في الكتاب الى مدة (طالع منارة الدويهي)

امَّا مجمعنا اللبناني فانَّهُ انتبه الى هذا الامر وقرَّر هذه الصور المختلفة للتقديس بشرط ان يعترفها السيد البطريرك ويُعنى بها (طالع المجمع اللبناني ص ١٧٩)

نقول اخيرًا ان لهذا الكتاب الخطّي حلًى خاصة بهِ من حيث درس تاريخ رتبة قداسنا وما جرى عليها من التغييرات منذ طبع كتاب القداس لاول مرَّة في رومية الى يومنا وسنفرد لهذا البحث مقالة خاصَّة ان شاء الله معتمدين على هذا الكتاب

وممَّا يستحق الذكر حادثة تاريخيَّة علَّقها الناسخ على آخر صفحة من نافور القديس يوحنا الحبيب وهاكها بالحرف:

« سنة ١٥٧٠ ربانية بعد ميلاد الرب كنت انا الحقير بقوزحيا بكتب هذا الكتاب هنا انقتل المقدم رزق الله مقدم بشراي (١ ودخلوا الاسلام الى قبرس نفدّوا في الملّاحة وبدوا يحاصروا في الافقسية من اول صيام النصارى الى سابع يوم من ايلول دخلوا الافقسية وملكوها . . . وبعد ذلك بدوا يحاصروا الماغوصة حتى فراغ بارود اهلها وماكولهم فخرج القبطان الى عند مصطفى باشا في منديل الامان وسلمهُ المدينة وحكموا البلاد جيد هذا تخبرنا من اهل قبروس ومن الخبر الطالع بين الناس » انتهى . وقد ذكر العلاّمة الدويهي خلاصة هذا الحادث في تاريخهِ المطبوع ص ١٧٣ بتخلص مع بعض اختلاف وتابعه صاحب الدرّ المنظوم

١٠ الكتاب العاشر نسخ سنة ١٥٧٩ م سنة ١٨٩٠ للاسكندر وهو عبارة

١) طالع تاريخ الدويهي ص ١٧١

عن كتاب يحوي ميامر السروجي وموسى الحجري مترجمة عن السريانية الى العربيَّة مكتوبة بالكرشوني وفي آخر هذا الكتاب زجلية في مديح القديس بهنام بخط يختلف عن خط ناسخ الكتاب وهاك الابيات الاخيرة منها ففيها بعض فقر تاريخيَّة لا تخلو من الاهميَّة :

هذا ما قال القشير في مدحه	عقلهِ بين الناس كالحيواني
تمت في عدد السنين بكسورها (١	تسعين سنة لسكندر اليوناني
قال الحقير سركيس (٢ بثوب الرهبنة	خادم لمار بيشوى الطوباني
بايَّام المغبوط بطرك عزّنا (٣	طايع لكرسي بطرس الروماني
وهذا البابا يحب سبطنا	غريغوريوس قديس رجل حقاني (٤
واما الوكيل محبوب كثير من شعبنا	كردينال كرافا (٥ ما قام لهُ ثاني

١١ الكتاب الحادي عشر نسخ سنة ١٦٠٩ بقطع ربع كُتب بالكرشوني يحتوي على ٦٠٤ صفحات ونيف فقد فُقدت منهُ بعض اوراق في آخرهِ كما سترى وهذا المجلد يحتوي على اكثر مؤلفات الاسقف جبرائيل ابن القلاعي اللحفدي الماروني العالم الشهير. فعلى الصفحة الاولى من هذا المجلد ترى العبارة الآتية بالحرف :

« على خيرة الله وحسن توفيقهِ ابتدي اكتب من بعض مقالات الآباء القديسين ضد هؤلائي الذين ينكرون ان ليس في سيدنا يسوع المسيح طبيعتين بعد اتحاده . بمعونة الله ابتدي عن الثالوث المقدس . . . نبتدي بارشاده وتأييده ومساعدتهِ بكتب اعتقاد الامانة الصحيحة بالثالوث المقدس الاب والابن والروح القدس الاله الواحد واننا نوضح ذلك ونبيّنهُ كيف كان حلول الكلمة الله الاب في مريم البتول واتلاده منها واتحاد الكلمة الالهيَّة بالجسد وتوفيق الطبايع والاقانيم في الجوهر اللاهوتي والناسوتي الخ . . . »

وعلى الصفحة الثانية ترى غرض المؤلف من هذه العبارة :

« حتَّى يتعلم ويتفقه كل من يقاف (يقف) على لفظنا هـذا من سائر الآبا البطاركة والمطارنة

---

١) يعني سنة ١٨٩٠ من سني الاسكندر التي يقابلها سنة ١٥٧٩ م

٢) هو سركيس الرزي الذي رقي الكرسي البطريركي بعد ان كان معتنقاً العيشة النسكيَّة في حبس قزحيا . ومار بيشوى محل في الحبس المذكور

٣) هو البطرك يوسف الرزي اخو سركيس المذكور

٤) هو غريغوريوس الثالث عشر مؤسس مدرستنا المارونية في رومية كما هو مشهور

٥) الكردينال كرافا الشهير باحسانهِ الى طائفتنا وخصوصاً لمدرستنا المارونيـة اذ اوقف لها كامل متخلفاتهِ

والاساقفة وسائر الكهنة والشمامسة وجميع الشعب المؤمن المسيحيين اهل جبل لبنان الموارنة الذين تفسيرهم الربانيين (١ اعني الخاصين بربنا يسوع المسيح » ويلي قولهُ هذا شرح المعتقد و يصدّر كلامهُ بالعبارة الآتية : « نكتب نحن الموارنة هذه الامانة المقدسة التي نؤمن بها » وينتهي هذا الموضوع في الصفحة ٨٣ حيث يختم بهذه العبارة : « اذكر ايها الناظر الى المرحوم ابن القلاعي الذي تعب في نقط (نقل) هذا الكتاب من الفرنجي للكرشوني لاجل الموارنة »

والعلاَّمة الدويهي عدَّ هذا الكتاب بين مؤلفات ابن القلاعي في تاريخهِ :

ويلي ما تقدَّم كتاب آخر لابن القلاعي ضُمَّ الى هذا المجلَّد نفسه وصدر الكلام فيهِ كما يلي بالحرف :

« نبتدي بعون الله نكتب تقدمات (٢ الكنيسة في العتيقة والحديثة »

ومن اقواله في هذا الكتاب عن الزواج عموماً وصحة الزواج الخفي عند الشرقيين ما مؤداهُ بالحرف (ف ٣١ ص ١٢٧) :

« الجواز (الزواج) هو اجتماع الرجل مع الامرأة في الحيوة بغير افتراق بينهم على حفظ الزي والناموس . . . الجازه (الزيجة) انها في الرضى بتصير (تصير) جازه (زيجه) مع كلام الرجل للامرأة رضيتكِ في امرأتي وقولها هي رضيتك في جوزي (زوجي) ولا يفرق بيننا غير الموت هذا كال بغير اجتماع جسداني . . . ثاني هو اختلاط الدم وبها يدعى تمام الجيزة الصادقة »

وفي هذا الكتاب نفسه (ص ١٥٠) :

« هذه صورة الجواز (الزواج) الجوهريَّة يقول العريس انا ارتضيت ان تكوني لي امرأة فتجاوبهُ العروس نعم انا ارتضيت ان تكون انت جوزي (زوجي) وفي ذلك الوقت يقتبلون الايادي والصلوة والاكليل . والصلوة من راتب الكنيسة حتى يتباركون ولكن ليس من الجواهر والكتاب ليس هو بين النصارى ما خلا بين اليهود ومن يتبعهم لاجل الطلاق ولكن النصارى ليس عندهم كتاب ولا طلاق بل ايمان وشهود »

ومن الكتاب نفسه :

« من ربط كلامه مع امرأة صارت امرأته واذا اخذ غيرها يُغتصَب في الرجوع الى الاولى ويقع في بيغاميا (٣ غنمهُ من الرسامة واذا لم يرتجع يكون تحت حرم ويقونن في خبز وماء اربعين يوماً كذلك ٣ سنين يكون مقونن صابر على اخذ الجسد (٤

١) اراد ان يشتق لفظة الموارنة من السريانية ܡܪܢܝܐ وهي نسبة الى ܡܪܢ رب وسيد

٢) يريد بتقدمات الكنيسة اسرارها كما يستفاد من نسق الكتاب ومباحثه . ولعلَّها « مقدَّسات »

٣) بيغاميا لفظة اعجميَّة (bigamia) معناها تكرار الزواج

٤) اي يُمنع من التقرب لسرّ جسد الربّ

وعلى الصفحة ٢٢٤ شرح الوصايا العشر لابن القلاعي وصدر الكلام كما يلي:
« ايضاً حول (١ العشرة كلمات اول اعبد الاه واحد » وفي مكتبة مدرسة عين ورقه نسخة من هذا الموضوع. وعلى الصفحة ٣٢٢ شرح على سرّ الاعتراف لابن القلاعي ومن هذا الكتاب مقالة على الصفحة ٣٢٢ عنوانها: « مقالة عن الرد الذي يكسبه الانسان في لعب الادريس والطاب (٢ ». وعلى الصفحة ٣٣٧ من هذا الكتاب ترى مقالة عنوانها « فرض القوانين في سر التوبة » وهذه القوانين كانت مرعية حتى زار طائفتنا الاب دنديني فاوجب ان يترك فرض القانون لحكمة المعرّف دون تقييد بالقوانين المعينة المكتنبة وهذه العادة قديمة جدًا في الكنيسة كما لا يخفى على ارباب البحث. وتنتهي المقالة عن شرح الاعتراف الى الصفحة ٣٧٦ وفي ذيل هذه الصفحة ما يلي:

« هذا كفانا ما نقولهُ بشرح الاعتراف المقدس وقوانينه وفروضه في المقتصر من ناموس كنيسة رومية الثابتة بالله واي معلم اعتراف ينصت لاعتراف الخطاة وليس يمشي في هذا الطريق بغير شك يدعى اعمى والاثنين يسقطون في الحفرة يعني في قاع جهنم »

ويلي ما تقدم موضوع آخر من مؤلفات ابن القلاعي وعنوانه:

« نبتدي نكتب ثامن مقالة نتكلم عن تقدمة (سر) دهن الزيت المقدس في ساعة الموت ومن رفضه في تلك الساعة ليس هو نصراني »

وعلى الصفحة ٣٩٤ ترى العبارة الآتية:

« اذكر ايها الاخ العزيز في صلاتك الى المرحوم ابن القلاعي جبرائيل الماروني الذي تعب في نقل هذا الكتاب من الفرنجي للكرشوني ولي انا العبد الخاطي بسم يوسف الذي ترجا صلوة الاخوة والمصلي يكون لهُ كما في قلبه »

وعلى الصفحة ٣٩٥ ترى صدر الكلام على كتاب الناموس الذي ترجمهُ ابن القلاعي عن اللغة اللاتينيَّة لافادة بني جلدتهِ واشار اليهِ الدويهي في عداد مؤلفاتهِ وهاك عبارة ابن القلاعي بالحرف:

« باسم الثالوث المقدس ابتدي ثامن كتاب من ناموس كنيسة رومية وذلك آخر كتاب من كتب الذي اختارهم الراهب استران من زهر شراه مع الناموس في المستقصر وهذا يتكلم عن الجازه (الزواج) وحدها لا غير »

وينتهي كتاب الناموس المقدَّم ذكره الى الصفحة ٥٧٢ بهذه العبارة:

---

١) يريد الترجمة عن اللاتينية بالحرف (etiam circa decalogum)

٢) راجع المشرق ٤: ٥٦٣ و ٥٦٥

« اذكر ايها الاخ الناظر الى جبرائيل الاسقف ابن القلاعي الماروني لاجل تعبه جداً كثير وعبدك الخاطي الذي خرطش لاجل حاجته باسم يوسف من شان الله »

ثم يلي ما تقدم العنوان الآتي لموضوع اخر كذا بالحرف:

« باسم الاب . . . بمعونة الله نبتدي نكتب طغيان طائفة هراطقة في بلاد بوشنا يدعوهم باتاريني (Patarins) »

وعلى الصفحة ٥٣٤ العنوان الآتي لموضوع آخر بالحرف:

« لاجل اني كتبت كتاب آخر ضد الهراطقة من كتاب تيولوجي (لاهوت) وليس حظيت بها الآن مع معونة الله ابتدي ثاني كتاب ضد ما وصفته في رتبته واخذ استشهاده وثباته من كتاب العهد يعني من العتيقة والحديثة »

وعلى الصفحة ٦٠٣ التي هي ما قبل الصفحة الاخيرة الباقية منهُ علق ناسخ الكتاب كتابة مهمة تنبئنا عن امور شتَّى كما سترى ونأسف على فقدان قسم منها في آخرها وهاكها بالحرف:

« كمل هذا الكتاب المبارك بعون الله لهُ المجد امين على يد احقر الناس وارذلهم . . . (عبارات تواضع) لاني في الجهد اجتهدت عليهِ حتى كتبتهُ . أُدعى انا الردي بالاسم يوسف ومتكني شماس بكيتونة (١ وبعيد من ذلك لاني شبه الشجرة المورقة بغير ثمار ابن المرحوم القس داود ابن الحج جرجس بيت عيمه من قرية كرمسدي المحروسة بمعونة الله في جبل لبنان المبارك في بلاد الشام في معاملة طرابلس . وانا المدعو من تلميذ الاب الطوباني المعظم الجليل خالي البطرك يوسف الرزمن قرية بقوفا وثانيه الموقر اخوه خالي المطران سركيس واسأل كل ابًا (اب) واخًا (اخ) ناظر في هذا الكتاب المبارك اذا وجد غلطة او نقصة يصلحها ولا يلوم حقارتي لاني منزل النقص والله يصلح اموره امين وكتبتهُ في مدينةُ رومية المعظمة في بيت فوق الثلاث عيون تحت بيت البابا (٢ في جبل الخيل (٣ في شهر ايار اول يوم فيهِ يوم الجمعه في ٣ ساعات ونصف من النهار في سنة ١٦٠٩ م على ايَّام اب الآبا وراس الرؤساء سيدنا البابا بولس الخامس خليفة بطرس ونائب سيدنا يسوع المسيح وكان من تكليله ٤ سنين الرب يحرسني في بركة صلاته امين

« كتبتهُ من نسخة ابن القلاعي الاسقف جبرائيل من قرية لحفد في بلاد جبيل الله يرحم نفسه امين ووجدت نسختهُ في مدرسة الموارنة ومنهُ قول في الاول وجدته في مدرسة الرومانيــة عند واحد يسوعي من كتبة الخوري حنَّا الحصروني والناظر يطلب لاجلي من شان الله ولهُ مثـل قوله امين . . . (دعاء لخاله البطرك يوسف الرزي وخاله المطران سركيس) واذكر يا رب في ملكوتك

---

١) اي شماس بالظاهر دون الحقيقة كأنَّهُ اكتفى بالكيتونة وهي الكتُّونة من اليونيَّة (χιτών)

٢) يريد سراية الكويرينال حيث كان البابا يحل قديمًا لقضاء المهامّ الزمنيَّة

٣) (Montecavallo) جبل في رومية

السماويّة الى اجماني المبجلين القس جرجس ابن القس مارون والقس الياس ابن المرحوم الحج حنّا ابن بولس من قرية اهدن وتعب معي في تحمير هـذا الكتاب وتقبيله (١ المسيح يجازيه في اتعابه امين

واعلم ايها الناظر اننا كنّا جملة في المدينة المعظمة روميـة في جملة (٢ المكرم خالي المطران سركيس في قضي اشغال الاب الموقّر البطرك الانطاكي اخوه بعثه في سنة ١٦٠٧ (١٦٠٧) مسيحية في شهر تشرين اول بسبعـة ايّام يوم الاحد نزلنا من الدير والثلاثة دخلنا البرشه (؟) ووصلنا لرومية في ١٩ (١٩) يوم من نيسان يوم السبت وقدمنا الطاعة للكرسي الرسولي وقبلنا بحسن قبول كمثل العادة »

الى هنا آخر الكتابة. غير انّنا نأسف على فقدان باقيها فقد سقط من الكتاب لتقادم العهد وعدم الحرص ورقة كانت تحتوي دون ادنى ريب تتمة تفاصيل ما جرى لهذا الوفد الماروني في رومية. ويظهر ان هذا الكتاب باعه الناسخ او اقاربه لرهبان مار شايطا وهذا ظاهر من الكتابة المعلقة على الصفحة الاخيرة منهُ وها كها بالحرف:

« لمّا كان تاريخ سنة ١٦٤٢ مسيحية نحن رهبان مار شليطا اخذنا من الخوري يوسف الكرمسداني هذا الكتاب الناموس المبارك ب ٢٠٠ قداس واستقبلنا (قبلنا) فيها انا الخاطي القس الياس ومعلمي الخوري سركيس واخي القس جبرائيل واوفينا عن ذمتنا وهـذا الكتاب لا احد يطمع عليهِ لا من الرهبان ولا من العامية لانهُ وقف لمار شليطا » (ستأتي البقيّة)

نُواح الورقاء في نواحي الوَرْكَاء

لحضرة الكاتب العالم والباحث المتفنّن الاب انستاس الكرملي

أَلْوَرْكاء مدينة قديمة شهيرة من مدن بابل. ويذهب الافرنج الى ان هذا الاسم حديث الوضع وان العرب لم تعرفهُ في سالف الزمن. وسبب تقوُّلهم هذا انهم لم يجدوا في كُتُبِ اولئـك الأقوام ذِكْرًا لِ« وَرْكة » على لفظ الاعراب الحاليين (راجع ما كتبناهُ في هذا الصدَد في المشرق ٧: ٦٧٥) ولا اثرًا لِ« ورقة » او ارقة او ورقاء او ارقاء او اراق » او نحو ذلك من التصحيفات والتحريفات التي توهَّمها قومٌ متشدّقون

١) اي ساعدهُ على نسخ ما كتب في هذا الكتاب بالحبر الاحمر وقابلهُ معهُ على النسخة الاصليّة

٢) برفقة

مُتَحَذْلقون. ولمّا كان اسم هذه المدينة قد اشتهر في التاريخ وقد ذكرها بعض العرب في صُحُفهم وهي من المدن الجليلة العريقة في القدم فيحسن بالادباء ان يقفوا على بعض اخبارها

قد قال فريق من علماء العاديّات والآثار وانضمّ اليهم جماعة من مفسري الكتاب الكريم الى ان الوركاء هي احدى المُدن القديمة الاربع التي ورد ذكرها في سفر الخلق باسم أرَك اذ يقول عزّ من قائل (١٠ : ١٠): « وكان اوّل مملكتهِ (اي نمرود) بابل وارَك واكّد وكَلْنَة في ارض شِنْعار ». قال في كتاب بابل واشور (ص ٣٩ من طبعة مطبعة الفوائد) في كلامهِ عن ارك: « فمن قائل ان مدينة ارَك هي المعروفة اليوم بورقاء او ارقاء وموقعها على عدوة دجلة عند حدود بابل وشوشانة »

(قلنا) فان كان يريد بورقاء او ارقاء مدينة الوركاء فهذه ليست على عدوة دجلة بل على ضفة الفرات وان كان يُريد بذلك مدينة أُخرى راكبة على شاطئ دجلة فليس هُناك الآن الّا مدينة « كرخا » وهي عند حدود بابل والسُّوس

ثمّ قال: « وذهب قومٌ الى انّها هي التي كانت تُعرف عند الاقدمين بايذسًا ».
(قلت) وعرّب العرب هذه الكلمة « اذاسا » على ما صرّح بضبطها وكتابتها ياقوت في معجمهِ (١ : ١٧١)

ثمّ اردف: « وقيل بل هي اورخوه التي ذكرها جماعة من متقدمي المؤرخين وقالوا انّها على نحو اربعين ميلًا من بابل. ولعلّ الصحيح كما قالهُ بعض المحققين انّها كانت في موقع الاخربة المعروفة اليوم بالاراق ومنهــا اشتقّ اسم العراق وموقع هذه الاخربة بين مدينة الحلّة وملتقى نهري دجلة والفُرات »

(قلنا) هذه التي سماها بالاراق هي الوركاء وليس اسم العراق مشتقًّا منها

ثمّ قال: « وجميعها قديمة العهد بالخراب ومعظمها بقايا هياكل لسين. وبعض ابنية اقامها ملك من ملوكها كان يقال لهُ سين سيد. وسين عندهم اسم للقمر وكانوا يعبدونهُ في ارك وما يجاورها ولذلك كانوا يسمون ارك مدينة القمر. وكانت لهُ فيهــا هياكل كثيرة وكان اكثر الملوك الذين تبوّأوا سريرها في ذلك العهد يقرنون اسماءهم بلفظة سين تبرُّكًا كسين سيد المذكور وقر سين ونارام سين الى غير ذلك ». انتهى

امّا كون الوركاء هي ارك فقد اجمع عليهِ اليوم اغلب العلماء والباحثين المحققين

وذلك ان الف الاطلاق الموجودة في آخر جميع الألفاظ الإِرَميَّة زيَّنت ايضاً هذه اللفظة. ثم ان العرب لمَّا تلقَّوا هذه الكلمة عن مجاوريهم او اصحاب تلك البلاد من بني إرَم بدلوا همزتها واوًا كما ابدلوها في «أَرَخ» الكتاب و«ورَخهُ» و«وأكَّد الشيء» و«وَكَّدهُ» وما «أَبهتُ» لهُ وما «وَبهتُ» (عن المزهر ١ : ٢٢٣ مع ذكر عدة امثلة اخرى) فصارت وركاء. ثم ادخلوا عليها الف التعريف لمشابهة صيغتها صيغة التأنيث فصارت «الوركاء»

قال ياقوت (٤ : ٩٢٢):

«الوركاء بالفتح ثم السكون وكاف والف ممدودة: موضع بناحية الروابي وُلد (١ بهِ ابرهيم الخليل عم وهو من حدود كسكر. . . منازلهم (اعني فالج وبنيهِ) الوركاء. وكانوا امةً وسطًا بين الناس لا ينسبونهم الى ارضٍ ولا امة وارضهم العراق ولسانهم كل لسان وهم من كل احدٍ ومع كل احدٍ تنتحلهم الامم حتى انتهى ذلك الى ابرهيم عم فتولَّهَ او تَقي لهُ انتحال الخَلْق ويسمون بني فالج. والصحيح ان الوَركاء ما ذُكر اولًا. قال سيف [بن عُمَر في كتاب الفتوح] اول من قدم ارض فارس لقتال الفُرس حرملَة بن مُرَيطة وسَلْمى بنُ القَيْن وكانا (وفي الاصل فكانا) من المهاجرين ومن صالحي الصحابة فنزلا أَطَدَ ونَعمان والجعرانَة في اربعة آلاف من بني تميم والرباب وكان بازائهما النُوشَجان والفَيُّومان بالوَركاء فزحفوا اليهما فغلبوها على الوركاء وغلبا على هُرمُزجرد الى فرات بَادَقْلى فقال في ذلك سَلْمى بن القين:

أَلَمْ يأتيكَ والانباء (٢ تَسْري بما لاقى على الوركاء جانِ

١) لا نرى كيف يُمكن للمرء الواحد ان يولد في عدة بلدان معًا. ونحن نرى العرب قد ذكروا عدّة مساقط لراس ابراهيم عم. فقد سمعنا ياقوت يقول هنا ان الخليل وُلد في الوركاء وهو يقول كذلك في نفس كتابهِ في ترجمة «كُوثى رَبّى» انَّ بها مولدهُ واليك نصَّ عبارتهِ: «كُوثى ربّى وبها مشهد ابرهيم الخليل عم وبها مولدهُ وهُما من ارض بابل وبها طُرِح ابرهيم في النار». انتهى. ومثلهُ قال السيد المرتضى في التاج في مادَّتي كُوثى ربًّا (هكذا كتبها بالالف وهو الاصحّ لانها تلفظ كذلك واللفظة ارمية ومعناها (الكُبرى) والوركاء

امَّا النصارى فيظنُّون ان مولد ابرهيم كان في أُور وتبعهم العلماء الاثريُّون. قال لنورمان (٤ : ١٦): اور مولد ابرهيم وهي المقيَّر. وقال البزا ركلو (٩ : ٤٥٥) وبُعيدَ من الوركاء جنوبًا مدن اخرى كبيرة اشتهرت في الاعصر الكلدانية منها اور فانها كانت مدينة زاهية جليلة قبل ٤٠ قرنًا ولم يبقَ منها الآن الّا تلّ عظيم علوهُ ٦٠ مترًا واسمهُ المُقيَّر لما في ملاطهِ من المادّة القيرية. اه (وراجع ما كتبناه ايضاً في المشرق ٣ : ٧٨٢ و ٧٨٣ ثم ٥ : ٦٧٥)

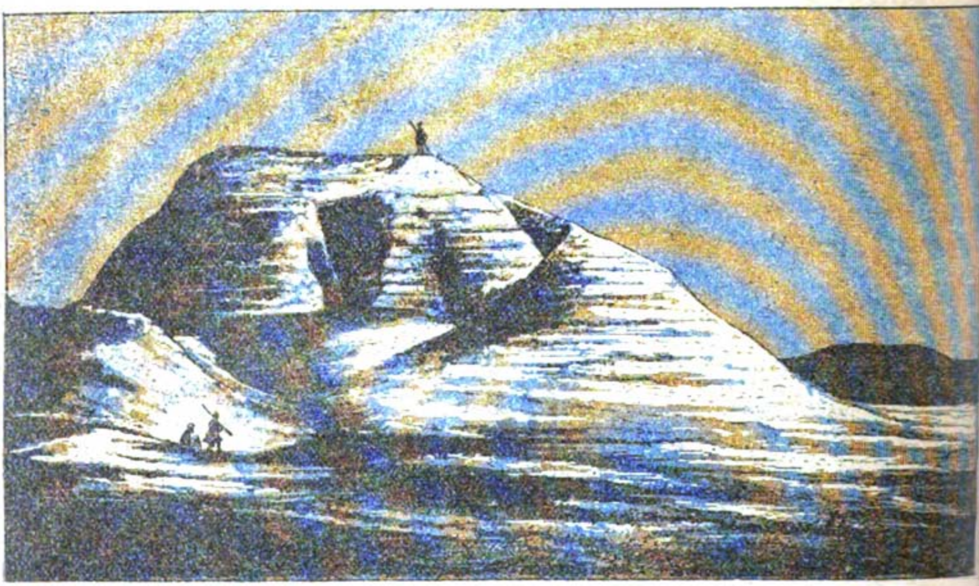
٢) وفي الاصل المطبوع الابناء بتقديم الباء على النون وهو غلط

وقد لاقى كما لاقى صتيتا قتيل الطَّفِّ اذ يدعوهُ ماني

وقال حرملة بن مُرَيطَة :

شللنـا مات ميسان بن قاما الى الوَرْكاء تَنْفيه الحيولُ
وجُزْنا ما حَلَوْا عنهُ جميعاً غداةَ تَغَيَّمت منها الجبولُ (انتهى)

وهذا نصٌ نفيس لانهُ يدلُّك على ان الوركاء كانت آهلة في صدر الاسلام وكانت تُعتبر يومئذٍ من بلاد فارس لتغلُّبهم على تلك الأقطار وهو امرٌ مقرَّر لا ريب فيهِ . وقال في القاموس : « الوركاء مولد ابرهيم الخليل صلى الله عليهِ وسلَّم » . وكذا جاء في التاج ايضاً



أخربة الوركاء

وقال اليزا ركلو (Elisée Reclus, IX p. 435) :

« في جنوبي بابل وفي اسفل الفرات في صُقع تُصَيِّرهُ المستنقعات منيعاً لا يبلغ اليهِ في معظم مدة السنة تِلالٌ متبعثرةٌ هي أَوْشانُ أَرَك او أُرُك او أركاء (Orchée) وهذه عن اليونان . وهي وركة الاعراب الحاليّين (اي الوركاء عند فصحاء العرب) وهي مدينة الأسفار الكريمة . وكان في هذه البلدة اعظم مكتبة بلاد الكلدان وهناك يومَّل ان يعثر القوم يوماً على علواء إسدُبَار (épopée d'Isdubar) بتمامها . ولم يقع عليها احد الى اليوم بل عثروا على بعض مقاطيع منهـا . وآجرُ نينوى

الذي وُجد عليهِ رواية الطوفان نُقل كلهُ من اجرّ الوَرْكاء. واذا اردنا ان ننعم النظر في المدافن الموجودة في الوَرْكاء فلا نخال ان مدينة من المُدُن القديمة كانت مقدَّسة مثلما كانت هذه لِما فيها من القبور العديدة. فان مدافنها تمتدُّ الى فراسخ عديدة من حواليها. ولا جرم ان الجُثَث كانت تُبعث اليها من جميع اقطار الجزيرة على حدّ ما يُرى اليوم في الغَرِيَّيْن (نجف وكَرْبلاء) فكانت الجثث توضع في مراكب فتنحدر على مياه الفرات». انتهى

(قلتُ) وقد زرتُ الوركاء قبل ثلاث سنواتٍ في شهر تشرين الاوَّل فاذا هي عبارة عن مدافن لا يدرك الطرفُ مداها وكثيرًا ما يجد الاعراب في تلك القُبور آثارًا قديمةً من خزف او لَبِنٍ او معدِن فيبيعونها لهذا وذاك. ولا يتعب الناقب في ايجادها لانك تراها تحت اقدامك عند ادنى حفر تحفرهُ. وفي وسط هذه القبور وشن مرتفع يُرى عن بُعدٍ بعيد وهو الذي يهدي الناس اليهِ فيؤمونهُ من اقصى تلك الانحاء. اما الآن فثلاث دولٍ تسعى في استحصال رُخصةٍ للتنقيب عن العاديَّات فيها وسوف تكشف لنا تلك المندرجات اسرارًا هي الى اليوم غامضة. وتكلمنا عن اقوامٍ هي الى اليوم هامدة

موت بيَّار *

وهي محاورة تُرجمت عن الافرنسيَّة بتصرُّف

للاديب محبوب الخوري الشرتوني تلميذ مدرسة الحكمة الزاهرة

بيَّار يعاتب سيفهُ وهو جريح على اصل الشجرة

حُسامي لا تُقدّمْ ليَ اعتذارا فقد سبَّبت لي خزيًا وعارا
حُسامي خُنتني ونقضتَ عهدي لأنك لم تذُد عنّي البوارا
ألستَ وعدتني إبَّان دارتْ رَحى الهيجاء فوزًا وانتصارا

---

* بيَّار بطل افرنسيّ مات في خدمة ملكهِ فرنسيس الاوَّل وكانت وفاتهُ في ساحة الحرب في رومانيانو سنة ١٥٢٤. اما امير الجيش الذي ورد ذكرهُ في هذه المحاورة فهو كرلوس دوق دي بوربون المعروف بقندسطبل (connétable) دي بوربون الذي خان وطنهُ وخدم في جيش اعداء دولتهِ لامورٍ نقمها على اهل جلدتهِ

فقــل لي الآن يا سيفي لماذا	نبوتَ وما عهدتُ بك انكسارا
فاني لم أعوّدك المخازي	بيوم اضرموا للحرب نارا
أراعتكَ العساكر حين كرّت	وقد شهرتْ أسنّتها الحِرارا
الومك يا حُسامي بعد حربٍ	كُسيتَ بها من الخجل احمرارا
ولكن ثقْ بانّ هواكَ يبقى	باضلاعي ولو صارت غبارا
فقد قاسمتني الاهوالَ قبـلًا	ونلتُ بك اعتلاء وافتخارا
أضمّك يا حسامي فوق صدرٍ	فؤادي فيهِ ينفطر انفطارا
تحمّلْ قبل موتي الآن منّي	الى وطني تحياتٍ غزارا
وشوقًا قد تضرّم طيّ قلبي	فلم يستبقِ لي فيهِ قرارا

محاورة بين بيَّار وامير الجيش المنتصر في المعركة

وهو افرنسيّ من العائلة المالكة وقد خان وطنهُ

قال لبيَّار

يعزُّ عليَّ يا بيَّار اني	رأيت دماك تنحدرُ انحدارا
اراك وفي فؤادي جمرُ حزنٍ	يُطيّرُ في سوَيداهُ شرارا

بيَّار

انا ايضًا حزنتُ عليك يا من	يسنُّ لذبح اهليهِ الغِرارا

امير الجيش

اظنّك لا تودّ القربَ منّي	لأنك مظهرٌ عنّي ازورارا
ايزعجك المكوث لديّ ام هل	تعدّ هنا المكوث عليك عارا
فان تكُ قد بقيتَ لدى الاعادي	فنهم لا ترى الّا وقارا
وتبقى انت يا بيارُ عندي	كريمًا لا تُعَدّ من الاسارى
وتشفى من جراحك باعتنائي	وتلقى بعد إعسارٍ يسارا

بيَّار

فما مُكثي لديك يمضّ قلبي	فقلبي صخرةٌ تأبى انكسارا
ولا هذي الجراحُ تزيد حزني	فقبلُ جُرحتُ في الهيجا مرارا

ولكنَّ المنون تريدُ ألّا اسيرَ مفارقًا هذي القفارا
كأني قد قتلتُ لهــا قتيلًا فجاءت كي تنالَ اليوم ثارا
بلى نفسي تحدّثني بموتٍ قريبٍ لا ارى منهُ فرارا

امير الجيش

كفى دَع هذه الاقوال واملأ فؤادك ايها البطل اصطبارا
فلستُ ارى الشفا الّا رياضًا ستقتطف من مغارسها الثمارا

بيَّار

قد اخترتُ الممات لانَّ هنّي اتى لكن سروري قد توارى

امير الجيش

ألا من قبلُ لم تنظر عيوني رجالًا تطلب الموت اختيارا
فان يكُ ما جنى لك يا خليلي حسامُك من رياض النصر غارا
فلا تحزنْ ولا تأبَ التسلّي ولا تفعلْ كافعال السكارى
لانَّ النصر حظٌّ إن يُعثرْ ذمارًا في الورى ينقضْ ذمارا
مضى ما قد مضى فاطلب سلوًّا وقد صار الذي في الحرب صارا
فمجدُكَ قد بنيتَ لهُ قصورًا تزيد مع انقضا الزمنِ ازدهارا

بيَّار

أيا خلفًا لنسل خير نسلٍ يضاهي الشمس نورًا واشتهارا
اميرٌ انت لكن بالوفا ما تفوتَ جدودكَ الأمرا الكبارا
فهم رفعوا فرنسا في البرايا وزادوها امتناعًا واقتدارا
وانتَ أتيتَ بعدهمُ خؤونًا ولم ترفع لعلياها منارا

امير الجيش

انا يا صاح أوسعكَ احترامًا لماذا انت توسعني احتقارا
شفقتُ عليك لا كي تزدري بي فقولك نارَ قلبي قد اثارا

بيَّار

شفقتَ عليَّ لكن انت احرى بان تُبكى الليالي والنهارا

فحالي الآن يحسدني عليها جميعُ مَنِ ٱبتنوا للمجد دارا

امير الجيش

كفى اني ٱنتصرتُ على عدوٍّ اراد لقدريَ العالي شنارا
ألا فلتبكينَّ اذًا فرنسا لقد خسرتْ بابعادي خَسارا
فهل تدعو الى الإشفاق حالي وفي ذا اليوم عانقتُ ٱلفخارا

بيَّار

نعم يجبُ الحنوُّ عليك يا من على الوطن العزيز طغى وجارا

امير الجيش

اما خانتنيَ الاوطانُ حتى جُبرتُ على تهاجُرها ٱضطرارا
بنيتُ لمجدها حصنًا ولمَّا تناهى دمَّرتْ حصني دمارا
وشتْ أمُّ ٱلمليك لدى ٱبنها بي فالقت فيهِ من نحوي نفارا
فرامَ ليَ ٱلهلاكَ بدون ذنبٍ لذاك تأيتُ عن بلدي مزارا

بيَّار

ألم تقدرْ تُهاجرُ دون حربٍ وتطلبُ عن نواظرهِ ٱستتارا
فخيرٌ لو رضيتَ الموتَ من ان تكونَ لبستَ من خونٍ شعارا
ومَن بخيانةٍ طلب المعالي فقد طلبَ المذَلَّةَ والصَّغارا
فيحسنُ لو على رزقٍ ومـالٍ ورغد العيش فضَّلتَ ٱفتقارا
اذا كان المليك جفاك قبلًا فعدْ وٱسأل جلالتهُ ٱغتفارا
وسرْ في الحال وٱستغفر فرنسا فتسدل فوق ذلَّتك الستارا
وخذ منّي الى وطني سلامًا يفوق المسك نفحًا وٱنتشارا
يزيد اليكَ يا وطني أواري فهل من نظرةٍ تروي الأوارا
أرى الأيام قد عبست بوجهي فهبْ لي من مباسمكَ ٱفترارا
ترى عيني هنـا يُبسًا فهلَّا تُريها من سهولتكَ ٱخضرارا
هجرتُك والتهاجرُ لا يخلّي حشًا الَّا ويلاهُ جمـارا
اذا ما كنتُ مجروحًا فاني لاجلك لم ازل اهوى الشِّفارا

احنُّ الى الدّيار حنــينَ طيرٍ نأى عن عشِّهِ الزاهي وطارا
ديارٌ قد ربيتُ بها صغيرًا أأنظر بعــد هاتيك الدّيارا
اموتُ وفي فؤادي نارُ شوق اليها فاقتِ النارَ استعارا

من جيبوتي الى دريداوا

رحلة لجناب الصيدلي القانوني عبد الله افندي مخائيل رعد المتخرّج في مكتبنا الطبي

مولاي — كتلميذ عارف الجميل متخرّج في مكتبكم الطبيّ الزاهر اثرت ان اقفكم على ما شاهدت من تقدم القطعة الشرقيَّة من الحبشة وهي الملاصقة لمستعمرة جيبوتي وذلك بفضــل دخول السكــة الحديديَّة الافرنسيَّــة الى هذه الاراضي· وعلى بناء المدينة الجديدة التي دُعيت دريداوا راجياً ان تنشروا مقالتي هذه اذا راقت لديكم فاقول:

مكثت فصل الشتاء بجيبوتي مستخدماً كصيدلي في ادارة الشركة الامبراطوريَّة القائمة بمدّ خطّ حديدي من هذه المستعمرة الافرنسيَّة الى داخل الحبشــة وقد كتب البشير في احد اعدادهِ شيئاً عن هذه الشركة في السنة الماضية فلا حاجة لي اذًا الى التكرار

ثمَّ انتقلتُ بالوظيفة نفسها من جيبوتي الى دريداوا وهي آخر نقطة وصل اليها الخطّ الحديدي الافرنسي المذكور وتبعد عن جيبوتي ٣٠٩ كيلومترات منها ٩٠ كيلومترًا ارض افرنسيَّة والباقي حبشيَّة تحت سلطة الامبراطور منيليك الثاني وامرة سعادة وزيره الأكبر الراس مكونين الذي عرف القرَّاء الكرام اسمهُ في السنة الماضيــة بمناسبة سفره الى اوربَّة وزيارتهِ عاصمة فرنسة

يقوم القطار من جيبوتي عند الساعة السادسة صباحاً فيروق لعين الراكب فيهِ حسن انتظامهِ وسرعة مسيرهِ ومشهد البحر الهندي المتلاطم الامواج عن اليسار ورواق خليج «تجُره» وسكونهِ عن اليمين ولكن لا يعتم ان تشرق الشمس الافريقيَّة وتمدّ شعاعها فيرى

المسافر بعد بضع دقائق نفسهُ كانهُ في منتصف النهار ويأخذ الحرّ مجراهُ ولا يجهل القرّاء الكرام ولو مبدأيًا حرّ ساحل الصومال خصوصاً اذا ابتدأ فصل الصيف

يسرع القطار الجري حتى يقطع الصومال على عرض صحرائهِ الممتدَّة من جيبوتي الى اوائل شرقي الحبشة. والمسافر لا يرى غير سهول واسعة كأنها اتون نار مُحمى يتخللها اكمات سوداء الحجارة وبعض شجيرات من نوع الاكاسيا الشوكيَّة حتى اذا قطع هذه البطاح واخذ بالصعود في الاراضي الحبشيَّة يبتدئ الحر ان يخف فيحسّ المسافر بنفسه كانهُ خرج من اتون ملتهب وقد شرع بالابتعاد عنهُ قدَماً بعد قدم. حتى اذا صار عند الكيلومتر المائتين والخمسين او ما ينيف قليلاً يشعر كانهُ لم يعد تحت سماء افريقية اذ يجد الحرارة معتدلة والارض ممتلئة من الاشجار ومفروشة بالحشيش الاخضر يرى الجبال من حوله كلها خضراء ومكلَّلة بالغابات حتى قممها فيقول: « اين انا يا قوم أفي سفح لبنان ام في غوطة الشام؟ كلَّا ما هذه افريقية ولا هذه شمسها ولا تلك اراضيها! »... مهلاً ايها المسافر العزيز لا يأخذنك العجب مأخذهُ. ما انت الَّا في افريقية وازيد انك تقترب اكثر من ذي قبل الى خط الاستواء ولكن اتجهل انك دخلت ارضاً يُعَدُّ من دخلها قبلك على الاصابع وقد دعاها ابادي (Abbadie) المسافر في افريقية بسويسرا الافريقية لجودة هوائها وصفاء مائها وطيب تربتها. مهلاً فسوف ترى ما يستحق العجب اكثر من ذلك

يدخل القطار غابة متلاصقة الاشجار تكاد لا ترى ارضها اشعَّة الشمس فيجري فيها الجري السريع نحو ٢٥ كيلومترًا ثم يدخل محطة كبيرة كثيرة البنايات منظَّمة الارصفة حيث يندهش المسافر من مرأى الجم الغفير من الاوربيين الذين جمعهم هناك صوت صفير الآلة فيقف القطار ويصرخ رئيسهُ: « دريداوا » واول شيء يستجلب نظر راكبنا العزيز هي ساعة المحطة الكبيرة فيرى الابرة قد وصلت الى الرقم الرابع اي الساعة الرابعة بعد الظهر فيقفز من عربتهِ ويحوّل نظره ذات اليمين وذات الشمال...

دريداوا

لا تتعب سرَّك ايها القارئ الكريم ولا تفتش عن هذا الاسم على خريطة افريقية لانك لا تجدهُ. دريداوا اسم لمدينة جديدة لم تكن منذ شهرين فقط سوى غابة لا بيت فيها ولا ساكن وها قد اصبحت اليوم مدينة صغيرة فيها من الاوروبيين

نحو ثلاثمائة وخمسين رجلًا بين مستخدم في السكة وعامل وتاجر: وعلى نحو كيلومتر واحد منها نحو خمسمائة بيت من قش على عادة البلاد يسكنها ما ينيف عن الف وخمسمائة وطني بين حبشي وصومالي وغورغورا وعربي من برّ اليمن وحضرموت. وكل هؤلاء لم يكن لهم من اثر في شهر كانون الاول سنة ١٩٠٢

امّا المدينة الاوربيَّة التي تمتدّ من المحطة الى المنازل الاهليَّة على عرض ثلاثة اضعاف المسافة المذكورة فهي كلها ملك الشركة الامبراطوريَّة المذكورة وهبها لها جلالة ملك ملوك الحبشة لتوزعها قطعًا مجانية على من يشاء البناء. وقد وزَّعت الى اليوم نحو نصفها (ولم يُحرم كاتب هذه العجالة من حصَّتهِ) ملكًا بلا عوض ولا ثمن. واول شيء تمَّ بناؤهُ سريعًا بالقرميد والخشب والحديد هي المطاعم والقهاوي ثم المحلات التجاريَّة والآن جعلوا يشيّدون البيوت

وقد اخذت الشركة المذكورة على عاتقها هندسة الابنية فاقامت مهندسًا مخصوصًا للمدينة يرسم خرائط البيوت والمحلات بدون اجرة لان معاشهُ من الادارة. وقد سبقت فسحبت الماء الى المدينة بانابيب من حديد على نحو ماء بيروت ووضعت سُبُلًا في جميع الشوارع وهي تقبل اشتراكات الخواصّ باسعارٍ جزئيَّة. والابنية جارية على قدم وساق واني لمتأكد ان بعد مضي سنتين فقط تصبح دريداوا مدينة جزيلة الاهميَّة رائجة التجارة لان نقطتها متوسطة بين انحاء كثيرة من البلاد الحبشيَّة ينصبّ عليها تجار القاطعات من كل جهة وصوب حاملين محاصيل البلاد من ذهب وعاج وجلود وقهوة وعسل وشمع وحنطة وحبوب وهي اهمُّ اصناف تجارة الحبشة. ويعتاضون عنها من التجار الاوربيين بالاقمشة والاشربة والقبعات وبقية الاصناف التي تجلب من اوربَّة فيسقط سوق جيبوتي وعدن ولا يعود التاجر الحبشي يصل ببضاعته الى المرافئ البحريَّة وتتحوَّل حركته الى هذه البلدة الجديدة ومما يؤكد ذلك هو ان كثير من اصحاب المعامل الافرنسيَّة اخذوا حصصًا في المدينة ليجعلوا فيها معامل فرعيَّة

(مناخ المدينة) مناخ دريداوا معتدل مائل قليلًا الى الحرارة. فصيفها اشبه بصيف بيروت وشتاؤها بشتاء حلوان في مصر. امَّا في الشتاء فالهواء ناشف قليل المطر غير ان الصيف كثير الامطار كثيف الغيوم فهذا ما يجعل الحرارة معتدلة

(تربتها) تربة دريداوا جيدة للزراعة لكن لم تعمل فيها آلة الحارث منذ خلق

الله الارض وما فيها وهي بالنظر لاعتدال المناخ وميلهِ للحرّ وغزارة الامطار تعطي الزارع موسماً في كل خمسة اشهر كما يؤيد ذلك مواسم زراعة الذرة البيضاء التي يزرعها الاهلون الغورغورا بالقرب من النهر المدعو «لاجاحرّي» الذي يجري بالوادي المسمى بنفس هذا الاسم على مسافة ثلاثة كيلومترات من دريداوا حيث مزارع قليلة تسقى بماء المطر اذ النهر يجري بالوادي ولا سبيل لديهم لجلب مياههِ الى مزارعهم. اماَّ بقيّـة الاراضي فينبت فيها الحشيش الاخضر لنفسهِ وهو يغمر المواشي فيبلغ الى بطونها وكل هذه الاراضي هي ملك سعادة مكونين لا يبيع منهـا للجنس الابيض ولا قيراطاً واحدًا لانهُ يخشى نفوذ البيض وتملكهم على بلاده غير انهُ يأجرها بكل طيب خاطر باجارات طفيفـة للغـاية بالنسبة للمحصول الناتج عنها

(ماؤها) ماء دريداوا عذب لذيذ نقي صافٍ بارد خفيف سحبتـهُ الشركة بانابيب من حديد من نهر اللاجاحرّي الآنف الذكر وهو كافٍ الآن لثلاثة اضعاف الاهالي الحاضرة غير انهُ يُزاد بالمستقبل على نحو الحاجة لان ماء النهر غزير والاقنية وحواصل الماء ضخمة وكبيرة وقد جُعلت لمستقبل مدينة واسعة الجنَّات

(اسباب المعيشة والتجارة الحاضرة) المعيشة لم تزل غالية في المطاعم غير انَّها في غاية الرخص لمن يحضرها في المنازل وخصوصاً العائلات لان كل شيء موجود باسعار بخسة جدًا فان الدجاجة بغرش صاغ والبيض والحليب بلا ميزان ولا مكيال ولا عدّ. وكذلك قل عن اللحم والصيد والخضرة وبقيَّة المحصولات الاهليَّة. اماَّ الاشربة الروحيَّة وبقيَّة ما يؤتى بهِ من اوربَّة فاسعارهُ غالية. ثمَّ ان اسباب الاتجار موفَّرة وتزداد يوماً بعد يوم واخصُّ من تروج بضاعتهم باعة الخمور واصحاب المطاعم. اماَّ الصنائع فالحظُّ الاوفى منها للنجارين والبنائين للسكة الحديديَّة ولأبنية المدينة

(السكة الحديديَّة) قد ضمنت الحكومة الافرنسيَّة اسهام هذه الشركة فتدفع للمساهمين فائض مالهم على معدل ١٠٠/٣ الى اليوم الذي بهِ تبدأ الشركة المذكورة ان تعطي ارباح اسهامها لذلك بادر المتمولون في فرنسة لابتياع هذه الاسهام. اماَّ الآن فالشركة قد اوقفت مد الخط في دريداوا مدة ثلاثة اشهر ريثما تجتمع عنـدها في جيبوتي كمية كافية من الحديد وهي الآن مصوبة كل قوَّتها على تقدم مدينة دريداوا وستشرع بمد الجزء الثاني من الخطّ (من دريداوا الى اديس ابابا وهي عاصمة الحبشة)

في اوائل تموز وطولهُ ٤٥٠ كيلومترًا اماَّ الجزء الثالث من الخطّ فهو من اديس ابابا الى النيــل الازرق وهذا سيبتدئ المهندسون بوضع خريطتهِ عند شروع الشركة بمدّ حديد الجزء الثاني اماَّ طولهُ فهو نحو ١٧٥ كيلومترًا على ما يُقال

هذا ما امكنني ان افيد بهِ القرَّاء من الملاحظات الشخصيَّة والمفاوضــات مع المستعمرين في وصف الجهــة الشرقيَّة من الحبشــة وان شاء الله نصف لهم قريبًا مدينة هرر وضواحيها لانني ساغادر مأموريتي هذه في دريداوا واذهب الى تلك الحاضرة (وهي تبعد عن دريداوا مسافة ٥٠ كيلومترًا) حيث تعيَّنت صيدليًا لمستشفى سعــادة الراس مكونين. وذلك بعد نحو شهر من تاريخ هذه العجالة

هلال الصابئ وتآليفهُ

نبذة تاريخيَّة للاب لويس شيخو اليسوعي

لا تزال همَّة المستشرقين تبعث كلَّ يوم من مواتهــا دفائن الآداب التي كنَّا نعضُّ على فقدها البنان فتراهم ينقّبون المكاتب ويقطعون البيــد ويطوفون البلدان ويبلغون اقاصي المعمورة على مثال برزويهِ لمَّا نقل من الهند الى فارس كتاب كليلة ودمنة فلا تخمد نار غيرتهم ريثما يظفرهم الله بحاجتهم مهما بعد منالُها ولا تراهم يضنُّون بهذه الكنوز اذا ما وجدوها بل يسرعون الى نشرها لئلاً تضيع الفائدة من اكتشافها

ومن التآليف التي خرجت بعد اختفائها الى عالم الوجود في السنة الجارية كتاب جليل لابي الحسن هلال الصابئ من كتبة القرن الرابع للهجرة يُدعى تحفة الامراء في تاريخ الوزراء وفي آخرهِ قطعة من تاريخهِ المطوَّل الذي جعلهُ ذيلًا لتاريخ خالهِ ثابت بن سنان بن ثابت بن قرَّة الصابئ. وقبل تعريف هذا الأَثر النفيس وخواصهِ احببنــا ان نصدّر نبذتنا بترجمة صاحب التأليف واعمالهِ ثم نبسط الكلام عن تاريخهِ

١

الصابئة شيعة غريبة الاحوال عريقة في القدم وصفها حضرة الباحث المحقّق الاب انستاس الكرملي في عدَّة مقالات اثبتناها في المشرق واستحسنها كلُّ القرَّاء. فمن هذه

العصابة اشتهر قومٌ من ائمّة الكتبة واماثل العلماء خدموا الدولة العبّاسيّة فاصابوا عند رجالها الحظوى ووقعوا لديهم موقع القبول. وقد ذكر منهم اصحاب الاخبار كابن النديم في الفهرست وابن خلكان في تراجم الاعيان وابن ابي اصيبعة في كتاب تاريخ الاطبّاء نحوًا من ثلاثين رجلًا امتازوا بعلومهم وتآليفهم منهم ثابت بن قرّة الحرّاني صاحب التصانيف في الفلسفة والهندسة والطبّ. وسنان بن ثابت الذي اشار على الخليفة المقتدر باتخاذ البيمارستان المعروف بالمقتدري وفتحَ البيمارستان المعروف بالسيّدة. وابو اسحاق ابراهيم بن سنان بن ثابت الفلكيّ الشهير . وابو اسحاق ابراهيم بن هلال بن زرهون المنشئ البليغ صاحب الرسائل التي تولّى نشرها منذ عهد قريب الكاتب الاديب الامير شكيب ارسلان. وابو عبدالله البتّاني صاحب الزيج الصابئ الذي وصفناهُ في المشرق (٣ : ٧١٧) وغيرهم ايضًا لا يسعنا هنا ذكرهم وتعريف امورهم

امّا هلال الصابئ الذي نحن في صددهِ فهو ابو الحسن وقيل ابو الحسين هلال بن المحسّن بن ابراهيم بن هلال الصابئ. كان والدهُ ابو عليّ المحسّن من اعيان الصابئة تخرّج في الآداب على ابيهِ ابي اسحاق ابراهيم صاحب الرسائل المذكور انفًا. امّا والدتهُ فكانت اخت ابي الحسن ثابت بن سنان بن ثابت طبيب الخليفة الراضي بالله والمطيع لله والمتوفّى سنة ٣٦٣ ﻫ (٩٧٤ م). وكان مولد هلال ابنها صاحب الترجمة سنة ٣٥٩ ﻫ (٩٧١ م) ربي في حجر والدهِ الاديب وخالهِ ثابت فاخذ عنهما العلوم والآداب. وكان جدّهُ ابو اسحاق الصابئ يتقلّد اذا ذاك الاعمال الجلائل مع ديوان الرسائل فلمح من حفيدهِ سمات النجابة والذكاء فدرّبهُ في فنون الكتابة. فلمّا توفّي ابو اسحاق سنة ٣٨٤ ﻫ (٩٩٤ م) تقدّم هلال في ديوان الانشاء وترقّى فيهِ حتى خُيّل انّ جدّهُ لم يمتْ. قال القفطيّ في تاريخ الوزراء: « ولم يتعرّض احد في مدّتهِ الى ما تعرّض لهُ من احكام الامور والاطلاع على اسرار الدول وذلك انهُ اخذ ذلك عن جدّهِ لانهُ كاتب الانشاء ويعلم الوقائع وتولّى هو الانشاء ايضًا فاستعان بعلم الاخبار على ما جمعهُ ». وقال ابن الجوزي فيهِ: « انهُ كان من كبار العلماء والادباء . . . ولهُ الكلام الفصيح والنثر المليح ». وكان هلال ينظم الشعر الجيّد روى منهُ جمال الدين القفطي في تاريخ الوزراء قصيدتهُ العينيّة قالها في رثاء امام العراق في زمانهِ الشريف المرتضى المتوفّى سنة ٤٣٦ ﻫ (٩٤٥ م). وكان هلال الصابئ محبًا للأدباء يتردّد على ائمّة زمانهِ من النحاة فيباحثهم ويروي

عنهم كأبي عليّ الفارسي وعلي بن عيسى الرمّاني حتى صار هو من افراد زمانهِ. وممّن اجتمع بهم ابو الحسن الهلال الصابئ وصادقهم من معاصريهِ الكاتب البارع والطبيب النطاسيّ المختار بن الحسن المعروف بابن بطلان. ولمّا رحل هذا نحو سنة ٤٤٠ هـ (١٠٤٩م) الى بلاد الشام فمصر وجّه الى ابي الحسن رسالتهُ يصف فيها رحلتهُ الى عواصم البلاد كحلب وانطاكية ومصر

وكان هلال الصابئ يدين بدين الصابئة اجدادهِ لكنهُ اسلم في آخر عمرهِ كما ذكر ابن خلكان. وقد روى الشيخ ابو المظفَّر يوسف بن قزاغلي المعروف بسبط ابن الجوزي في كتابهِ المسمَّى بمرآة الزمان خبر اسلامهِ في حكاية طويلة وجعل الامر في سنة ٣٩٩ هـ.. فان صحّت الرواية لم يقع اسلام هلال في آخر عمرهِ كما قال ابن خلكان بل في منتصفهِ لانهُ عاش بعد ذلك زمنًا طويلًا وكانت وفاتهُ في بغداد سنة ٤٤٨ في السابع عشر من رمضان (١٠٦٠ م)

وقد خدم هلال بني بويهِ وكتب لفخر الملك ابي غالب محمّد بن خلف. فلمّا مات فخر الملك اودعهُ ثلثين الف دينار اعترف لهُ بها الوزير مؤيد الملك ابو عليّ الرخجيّ وكان صاحبهُ. فعاش فيها هلال الى ان مات

امّا تآليف ابي الحسن هلال الصابئ فقد ذكرها مفصّلًا صلاح الدين بن ايبك الصفدي في وافي الوفيات وجاء ذكر بعضها في تراجم الاعيان ومعجم البلدان لياقوت الروميّ وهاك جدولها :

١ً كتاب مآثر اهلهِ. يحوي مآثر الصابئة

٢ً كتاب الكتّاب

٣ً كتاب السياسة

٤ً كتاب رسوم دار الخلافة

٥ً كتاب الرسائل انشأها عن لسان الملوك والوزراء تقارب رسائل جدّهِ ابي اسحق. وهذه الكتب الخمسة اورد اسماءها صلاح الدين الصفديّ وحدهُ ولم يفدنا عنها شيئًا ولم يدوّن الحاج خليفة اسماءها في كتاب كشف الظنون. والظاهر انّها فقدت في جملة ما فُقد من كنوز العرب الادبيَّة

٦ً كتاب اخبار بغداد. وهو كتابٌ عرفهُ ياقوت الروميّ فاستشهد بهِ مرارًا في

معجم البلدان. وربَّما دعاهُ تاريخ بغداد او كتاب بغداد. قد اخذتهُ اليوم يد الضياع

٧ً كتاب غُرر البلاغة. وهو كتابٌ في ٢١ بابًا يتضمَّن فصولًا في الكتابة واساليبها مع عدَّة رسائل من كلامهِ. وقد نجا هذا الأثر من قوارع الدهر. فانَّ منهُ نسخةً في خزانة المكتب العلميّ الملكي في بطرسبرج

٨ً كتاب الدولة الدويهيَّة. ذكرهُ الصفديّ ولم يُعلمنا من امرهِ شيئًا. ولعلَّهُ ملحق اضافهُ الى كتابٍ صنَّفهُ ابو سعيد سنان بن ثابت بن قرَّة اودعهُ مفاخر الديلم وانسابهم وذكر اموالهم واسلامهم ودعاهُ بالتاجيّ لانهُ وضعهُ لتاج الدولة من بني بويهِ

٩ً كتاب التاريخ. وهو ذيل على تاريخ شهير صنَّفهُ خالهُ ابو الحسن ثابت بن سنان بن ثابت ذكر فيهِ الوقائع والحوادث التي جرت في زمانهِ من سنة ٢٩٥ ﻫ الى حين وفاتهِ ٣٦٣ﻫ (٩٠٧—٩٩٣ م). فذيَّلهُ ابن اختهِ هلال وكتب الوقائع التي جرت من ٣٦٣ الى سنة ٤٤٧ ﻫ (٩٧٣—١٠٥٥ م). وهذان التاريخان اشتهرا في الآفاق وقال فيهما ابن العبري في تاريخ الدول (٢٩٦): « ولولاهما لَجُهل شيء كثير من التاريخ في المدَّتين » ومع شهرة هذين التاريخين فانَّ الضياع قد استولى عليهما اللهمَّ الَّا الجزء الثامن من ذيل ابي الحسن هلال يحتوي وقائع اربع سنوات من سنة ٣٨٩ الى ٣٩٣ وجدهُ المستشرق الفاضل ﻫ. ف. اميدروس (H. F. Amedroz) في المتحف البريطاني فألحقهُ بتاريخ الوزراء الآتي ذكرهُ. وهو عبارة عن ١١٩ صحيفة كلُّها فوائد لتاريخ الخلافة العبَّاسيَّة واخبار دولة بني بويه في بغداد

ولذيل تاريخ ثابت بن سنان ذيول أُخرى اوَّلها لابن هلال الصابئ وهو يُدعى غرس النعمة محمَّد بن هلال (١ ولم يتمّ وقال الحاج خليفة (٢ : ١٢٣ طبعة لبسيك): « ثم ذيَّلهُ ابن الهمذانيّ الى سنة ٥١٢ ﻫ ثم ذيَّلهُ ابو الحسن الراعوني الى سنة ٥٢٧ ثم العفيف صدقة بن الحدَّاد الى سنة ٥٧٠ ثمَّ ابن الجوزي الى سنة ٥٨٠ ثمَّ ابن القادسي الى سنة ٦١٦ (١٢٢٠ م) ». وكلُّ هذه الذيول دليل ظاهر على اعتبار الاقدمين لتاريخ ثابت وابن اختهِ هلال

١) وقد اشتهر غرس النعمة هذا بعد ابيهِ. قال ابن خلّكان في مطاوي ترجمة والدهِ: « وكان ولدهُ غرس النعمة ابو الحسن محمَّد بن هلال ذا فضائل جمة وتآليف نافعة منها التاريخ الكبير المشهور ومنها الكتاب الذي سمَّاهُ الهفوات البادرة من المغفَّلين المحظوظين والسقطات النادرة من المغفَّلين المحظوظين (ويُروى: الملفوظين) جمع فيهِ من الحكايات التي تتعلَّق بهذا الباب »

٢

هذه هي التآليف التي استحقَّت لابي الحسن هلال الصابئ تلك المرتبة الممتازة في مصافّ الكتبة البلغاء. على اننا كنَّا بقينا في ريب عن رسوخ قدمهِ في البلاغة لولا كتاب اخير نُشر بالطبع في هذه السنة الجارية نعدُّهُ من الفخر كنوز الأقدمين نعني بذلك تاريخ الوزراء الذي ألمعنا اليهِ في مقدَّمة كلامنا

وليس هلال الصابئ اوَّل من كتب تاريخًا في هذا الشأن وانَّما كان ابو عبد الله محمَّد بن عبدوس الجهشياري جمع من اخبار وزراء بني العبَّاس ما وقف فيهِ عند ابي احمد العبَّاس بن الحسن وزير المكتفي بالله. ثم تعقَّبهُ ابو بكر الصولي فصنَّف كتابًا ضمَّنهُ اخبار الوزارة الى ايَّامهِ. قال الصابئ في حقهِ: « انهُ ملأَهُ بالحشو الزائد وكسفهُ بشعرهِ البارد » فاستفزَّت الحميَّة ابا الحسن هلال ان يتابع اخبار الوزراء الذين تولَّوا الامر لبني العبَّاس بعد ذلك « وما في اكثرهم الَّا من لهُ الفضائل المذكورة والمناقب المأثورة والآثار المشهودة والافعال المشهورة من مثل ابي الحسن عليّ بن محمَّد بن الفرات وابي الحسن علي بن عيسى بن داود بن جرَّاح وابي عليّ محمَّد بن عليّ ابن مقلة ومَن بعدهم من وزراء الدولة العبَّاسيَّة (مقدَّمة المؤلف) » فسدَّ بتاريخهِ هذا الخلل بوضع تاريخ الوزراء مباشرةً بوزراء المقتدر بالله

ولهذا التأليف اسماء مختلفة فربَّما دُعي باسم تاريخ الوزراء. وقد دعاهُ ابن خلكان كتاب الاماثل والاعيان ومنتدى العواطف والاحسان. قال عنهُ: « وهو مجلَّد واحد ولا اعلم هل صنَّف (هلال الصابئ) سواهُ ام لا ». وفي الطبعة الحديثة التي أُنجزت آنفًا ورد اسمهُ على هذه الصورة: « تحفة الامراء في تاريخ الوزراء ». امَّا الحاج خليفة فانهُ لم يعرف هذا الكتاب ولم يذكرهُ البتَّة

والنسخة التي عنها نُقلت الطبعة الجديدة هي نسخة فريدة تُحفظ في خزينة كتب مدينة غوتا الشهيرة تحت العدد ١٧٥٦ تبلغ صحائفها ٢٥١ صحيفة ولكل صفحة خمسة عشر سطرًا. وهي تتضمَّن اعمال ثلاثة من وزراء المقتدر بالله (٢٩٥—٣٢٠ هـ ٩٠٨—٩٣٢ م) وهم ابو الحسن عليّ بن الفرات الذي وُزّر ثلاثًا وابو عليّ محمَّد بن عبيد الله بن خاقان وابو الحسن عليّ بن عيسى بن داود ابن الجرَّاح. فمن هذا يظهر جليًّا انَّ تاريخ الصابئ في الوزراء ليس بكامل وهو في مقدَّمتهِ يقول انهُ سيأتي بذكر ابن

مُقلة ومن تقلّد بعدهُ الوزارة وكذلك وعد في مقدّمتهِ انهُ يكتب عن كتّاب الأيّام الديلميّة كابي محمّد الحسن المهلبيّ وكابن العميد والصاحب اسمعيل بن عبّاد وغيرهم ولا تجد في هذه النسخة ذكرًا لكل هؤلاء المشاهير بل تراها تنتهي فجأةً بآخر اخبار الوزير عليّ بن عيسى لا خاتمة لها سوى «والحمد لله» فلا شك اذن انّ قسماً من هذا لا يزال ضائعاً او متزويًا في زوايا النسيان

على اننا نشكر المسيو اميدروس على همتهِ في نشر هذه التحفة النفيسة التي يُستفاد منها امور ذات شأن لتاريخ العراق واخبار بني عبّاس في ايّام عز دولتهم

وممّا تفرّد بهِ هذا الكتاب سعة علم صاحبهِ الذي جمع من اخبار الوزراء وتفاصيل احوالهم وتصرُّفهم في تدبير البلاد وسياسة الامور ما لا تجد لهُ ذكرًا في غير هذا التأليف. وهو قد اخذهُ من اصدق المصادر واوثق الرواة فضلًا عمّا وجدهُ في بطون الدفاتر التي كان يطّلع عليها للقيام بمهمّتهِ وانشاء رسائلهِ. مثال ذلك ما اوقفنا عليهِ من ماليّة الحكومة العباسيّة في ايّام المعتضد بالله ومستغلّات اراضيها ونفقات دوائرها وارزاق عمّالها الى غير ذلك ممّا يستحبُّ المحدثون الاطلاع عليهِ لمعرفة احوال الغابرين. وكذلك امور عديدة لا يتعرّض لها في الغالب الكتبة الأقدمون كتعريف آداب الوزراء ودواوينهم ومعاملاتهم ومكاتباتهم ودخولهم على الملوك وشارات رتبتهم وطعامهم وضيافاتهم ومقاضياتهم اذا عُزلوا الى غير ذلك من عادات ذلك العهد

ولمّا كان للوزراء معاملات متعدّدة مع كلّ انحاء الدولة ترى الكاتب يفيدنا عن أمور كثيرة جرت ايّام الوزراء الذين يصفهم كاحوال مصر والشام والمغرب وجزيرة العرب وفارس ممّا لهُ علاقة بتاريخ بني عبّاس

وقد اقتبسنا منهُ نحن النصارى بعض الفوائد لتاريخ النصرانيّة في ايّام العبّاسيّين كتقدُّم جملة من كُتّاب النصارى في الدواوين واستعمال الوزراء لبعض وجوه النصارى في مهامّ الدولة العبّاسيّة واتّخاذ البطريركين الانطاكي والاورشليميّ كوسيطين بين الدولة العبّاسيّة وملوك الروم وغير ذلك ممّا يطول شرحهُ

وقد استحسنّا طريقة المؤلف في كتابة هذا التاريخ فانهُ جمع بين متانة التعبير وسهولة الكلام وحسن سبكهِ والتفنُّن في التأليف دون تصنُّع او تكلف ولا حشو

ولا تطويل بحيث ينتقل القارئ من فائدة الى مثلها ومن رواية الى اختها والنفس نشيطة والقلب مرتاح وقد وجدنا انشاءهُ اشبه شيء بانشاء صاحب الاغاني في انتقاء الفاظهِ وبلاغة معانيهِ وبراعتهِ في اوصاف الاحوال. كما ترى في هذه الامثلة التي نثبتها هنا تعريفًا لمقام المؤلف وتنويهًا بفضلهِ:

قصّة مزوّر الكتاب (١١٣-١١٤)

« حدَّث ابو الحسين عبد الله بن احمد بن عياش القاضي: ان رجلًا اتّصلت عُطلته وانقطعت مادّته فحمل نفسهُ على ان زوَّر كتابًا من ابي الحسن بن الفرات الى ابي زنبور المادرائي عامل مصر في معناهُ مُتضمّنًا للوصاة بهِ والتأكيد في الاقبال عليهِ والاحسان اليهِ وخرج اليهِ فلقيهُ وارتاب ابو زنبور بامرهِ لتغيّر الخطاب فيهِ عمّا يعهدهُ وزيادة تأكيده على ما جرت بهِ العادة في مثلهِ وان الدعاء للرجل في الكتاب اكثر ممّا يقتضيهِ محلّه. فراعاهُ مراعاةً قريبةً ووصلهُ بصلةٍ قليلة وارتبطهُ عندهُ على وعدٍ وعدهُ بهِ وكتب الى ابن الفرات يذكر الكتاب الوارد عليهِ وانفذهُ بعينهِ اليهِ واستثبتهُ. وقرأ ابن الفرات الكتاب المزوَّر فوجد فيهِ ذكر الرجل بانهُ من اهل الحرمات بهِ والمواتّ لديهِ وما يقال في ذلك ويتبعهُ ممّا يعود بمعرفة حقّهِ واعتماد نفعهِ. وعرضهُ على كتابهِ واصحابهِ وعرّفهم الصورة فيهِ وتعجّب منها وقال لهم: ما الرأي في امر هذا الرجل. فقال بعضهم: يؤدَّب بالضرب والحبس. وقال آخرون: تُقطع ابهامهُ لئلّا يُعاود مثل هذا التزوير. وقال احسنهم محضرًا: تكشف لابي زنبور قصّتهُ ويُتقدّم اليهِ بطردهِ وحرمانهِ مع بُعد شُقّتهِ. فقال لهم ابن الفرات: ما ابعدكم من الخيريّة وانفر طباعكم عن الحرّيّة. رجل توسّل بنا وتحمّل المشقّة الى مصر في تأميل الصلاح بجاهنا واستمداد صُنع الله ورزقهِ بالانتساب الينا تكون احسن احوالهِ عند اجملكم محضرًا تكذيب ظنّهِ وتخييب سعيهِ والله لا كان هذا ابدًا. ثم اخذ القلم ووقّع بخطّهِ على ظهر الكتاب المزوَّر: « هذا كتابي ولستُ اعرف لِمَ انكرتَ امره واعترضتك شبهةٌ فيهِ وليس كل من خدمنا واوجب حقًّا علينا عرفتَهُ وهذا الرجل تحرّم بخدمتي ايّام استتاري ونكبتي وما أعتقدهُ فيهِ اكثر ممّا تضمّنهُ الكتاب من وصف ما عندي لهُ. فأحسنْ تفقُّدَهُ ووفِّرْ رفده وصرّفهُ فيما يعود عليهِ نفعهُ وتصل اليهِ فوائده » وردّهُ الى ابي زنبور من يومهِ

فلمّا مضت مدّة طويلة دخل على ابي الحسن بن الفرات رجلٌ ذو هيئةٍ وبزّة

جميلهِ واقبل يدعو لهُ ويثني عليهِ ويبكي ويقبّل الارض بين يديهِ فقال ابن الفرات: من انت بارك الله عليك (وكانت هذه كلمته). قال: صاحب الكتاب المزوَّر الى ابي زنبور الذي صحّحهُ كرم الوزير وتفضُّلهُ صنع الله بهِ وصنع. فضحك ابن الفرات وقال لهُ: كم وصل اليك منهُ. قال: اوصل اليَّ من مالهِ وتقسيطٍ قسّطهُ وعملٍ صرّفني فيهِ عشرين الف دينار. فقال ابن الفرات: الحمد للهِ الزمنا فانّا نعرضك لما يزداد بهِ صلاح حالك. ثم اختبرهُ وامتحنهُ فوجدهُ كاتبًا سديدًا فاستخدمهُ واكسبهُ مالًا جزيلًا»

قصّة المزيّن المحسن (٢٠٤ – ٢٠٧)

«وحدّث ابو القسم الزنجي قال: اجتمع كتّاب ابي الحسن بن الفرات يومًا بحضرتهِ وذلك في وزارتهِ الاخيرة. فذكر كلّ واحدٍ منهم ما لحقهُ من الشدائد في استتارهِ فحدّثهُ ابو عمرو سعيد بن الفرخان النصراني انهُ كان في موضعٍ واراد الانتقال عنهُ فخرج قبل طلوع الفجر. فلمّا توسّط الطريق تبعهُ انسان لا يعرفهُ واخذ في غير الوجه الذي ارادهُ وتبعهُ وخرج منهُ الى غيرهِ وهو يمشي معــهُ. قال ابو عمرو: فلمّا كاد الصبح يُسفر وقفتُ وقلتُ لهُ: حاجتك اعزّك الله. قال: اردتُ ان أُونسك في طريقك. قلتُ: انا رجل خائف واريد ان اقصد موضعًا استتر فيهِ وقد قارب الوقت الذي قدرتهُ ان يقرب باتبــاعك ايّاي. قال لي: قد عرفتك وما قصدتُ فيما فعلتهُ الّا الجميل معك ولو اردت الاستتار لكانت معوضة وهذا منزلي لك وبين يديك واسألك ان تعدل اليهِ وتعمل على المقام فيهِ. فنظرتُ فاذا الوقت قد ازِفَ ولا يمكنني الوصول الى الموضع الذي اردت قصدهُ الّا مع طلوع الشمس. فمضيتُ معهُ وتقدّمني واتبعتهُ حتى وصل الى منزلهِ ودخل وادخلني فوجدت دارًا طيّبةً وفيها فرش نظيف واكرمني ومهّدني وجلس دوني وقال لي: اعلم جعلني الله فداك اني رجلٌ مزيّن وارجع الى سعة حال ولي ثلثون غلامًا لكل واحدٍ منهم منزل مثل منزلي فتقيم عندي ما احببتَ فمتى ضاق صدرك واحببتَ الانتقال نقلتُك الى منزل واحدٍ واحدٍ منهم فاقمتَ فيهِ شهرًا ولعلّ المدّة في فرج الله عنك وبلوغك محابّك ان تكون اقصر من ذلك وبالعاجل فقد افردتُ لك دارًا واعددتُ فيها جميع ما تحتاج اليهِ حتى لا تستعمل شيئًا ممّا نستعملهُ نحن فربّما لم تستنظفهُ. ونهض من عندي وغاب ساعةً وقال: اذا شئتَ يا سيّدي. فقمتُ وادخلني الى دارٍ متّصلة بدارهِ قد فُرشت بفرش نظيف وجعل فيها ما يُحتاج اليهِ من طستٍ وابريقٍ وجرارٍ

وكيزان وقُدُور وغضار وجامات وسُكرجات وصواني واطباق وقناني واقداح واذا جارية سوداء واقفة. فقال: هذه بين يديك متولّية لخدمتك وانا صاحب خبرك فاذا كان عشيّة انصرفتُ اليك بما اسمعهُ. فشكرتهُ وجزيتهُ الخير ومضى وطبخ لي ما اردتُ وأحضرتُ من الشراب ما طلبتُ وكان يجيئني في آخر كل نهار فيحدّثني بما يعرفهُ فلم ازل على هذه الحال مدّة اربعة اشهر لا اعدم شيئاً ممّا اريدهُ. ثم ضاق صدري واحببتُ الانتقال فاشعرتهُ بذلك فاختار لي واحدًا من اصحابهِ ذكر تقدُّمهُ عندهُ وثقتهُ به فاشار بالنُقلة الى داره. فمضيت اليهِ معهُ فكان منزلهُ قريباً من منزل مولاهُ وخدمني وما قصّر في معرفة حقّي والقيام بما اريدهُ واقمتُ عندهُ شهرًا. واردتُ الانتقال فعرّفتُ المزيّن ذلك فاشار بالرجوع الى منزله فرجعتُ. ولم تمضِ الّا ايّام يسيرة حتى فرّج الله عنّا وكشف وجوهنا بالوزير ادام الله تأييدهُ

« فقال الوزير ابو الحسن ابن الفرات: فايّ شيءٍ عملتَ في امر هذا الرجل وبايّ مكافأة كافأتهُ على جميل فعلهِ. قال: لا والله ايها الوزير ما عملتُ معهُ قليلًا ولا كثيرًا. فقال لهُ: بئس ما فعلت فانك قد فضحتَ المستترين وضيّقتَ عليهم مذهبهم والآن انا أولى بقضاء الحقّ عنك منك أنفذ الى الرجل وجئني بهِ. قال ابن الفرخان: فقلتُ لكاون غلامي: امضِ الى المزيّن الذي كنّا مستترين عندهُ فجئْ بهِ وعرّفهُ ان الوزير يريدهُ. فمضى. فلمّا بعُد قال لي الوزير: اردُدهُ وتقدّمْ اليهِ بان يورد عليهِ رسالةً جميلةً يسكن اليها وان يُحضِرَهُ على رفق واكرام. (قال) فرددتهُ واوصيتهُ ومضى الغلام وتشاغل ابو الحسن بالنظر والعمل وتشاغلنا بالتوقيع والكتب. ثم جاء الغلام وعرّف ابا عمرو بن الفرخان حضور المزيّن وعرّف عمرو الوزيرَ ذلك. فقال: يدخلْ. وخرج الحاجب فأوصلهُ الى المجلس فوقف على بُعدٍ فاستدناهُ وامتنع. فالحّ عليهِ فدنا وامرهُ بالجلوس فابى اشدّ الاباء. ولم يزل بهِ حتى جلس. ثم قال لهُ: لمْ تتأخّرْ مقابلةُ ابي عمرو لك عن جميل ما اوليتهُ ايّاه الّا لانهُ خرج على حالٍ مختلّةٍ وذات يدٍ قصيرةٍ وانا اتولّى ذلك عنهُ ولقد احسنتَ بارك الله عليك وفعلتَ ما يفعلهُ الاحرار. فقام وقال: قد وصلتُ ايها الوزير الى اعظم الجزاء بوصولي الى هذا المجلس وسماعي لهذا الخطاب وبلغتُ غاية املي ونهاية امنيّتي بذلك وما بلغتُ ما كان في نفسي من قضاء حقّهِ (واشار الى ابي عمرو). فامر ابو الحسن باحضار ابي العباس احمد بن مروان وكيلهِ. فحضر واسرّ اليهِ شيئاً لم نعلم ما

هو فخرج واخذ المزيّن معهُ ثم عاد بعد ساعةٍ وحدّثهُ ما لم نسمعهُ . فاخرج رأسه من سراره وقال: أ رأيتم مثل ما نحن فيهِ مع هــذا المزيّن . تقدّمتُ الى ابن مروان بان يدفع اليهِ خمسة آلاف درهم فعرّفني انهُ امتنع من قبولها وذكر سعة حالهِ واستغناءهُ عنها . وردَّ اليهِ ابن مروان برسالة في هذا المعنى فمضى وعاد وذكر اقامته على الامتناع . فامر الوزير ابا عمرو بن الفرخان بان يقوم اليهِ ويلطف بهِ ويرفق ولا يدعهُ حتى يقبل ما اطلقهُ وقال: لعلَّهُ استقلَّ الخمسة آلاف درهم فلتجعــل خمسمائة دينار . فاحضرهُ والزمهُ اخذها وعرّفهُ انهُ ان امتنع من ذلك غضبتُ عليــهِ وانهُ يُفسد ما قد حصل لهُ من نفسي . فقام ابو عمرو وغاب ساعةً ثم عاد وقال: ما زلتُ معــهُ في مراوضةٍ وملاطفةٍ حتى قبلها وانصرف شاكرًا . فبقينا وبقي الناس زمانًا يتعجّبون من فعــل المزيّن وكبر نفسه وكرم ابن الفرات ومكافأته عن كاتبهِ »

مطبوعات شرقيّة جديدة

Die katholische Kirche in Armenien

v. Dr S. Weber, *Herder*, *Freiburg im Breisgau*, 1903 in-8, XX-531

الكنيسة الارمنيَّة الكاثوليكيَّة

انَّ مؤلف هذا الكتاب ممَّن اولعوا بتاريخ الكنائس الشرقيَّة وآثارها القديمة . وقد وضع تأليفهُ في اللغة الالمانيَّة وضمَّنهُ اخبار الكنيسة الارمنيَّة واصولها وما طرأ عليها من الاحوال منذ نشأتها الى عهدنا هذا . وقد صدَّر كتابهُ بفصول خصَّصها للبحث عن تاريخ قدماء الارمن الذين سبقوا زمن المسيح متعقّبًا في ذلك المؤرخين الاوّلين كموسى الخوريني وغيره منتقدًا على اقوالهم في بعض الامور متى لم يرها موافقةً للصواب وعارضًا اقوالهُ على ما وُجد من الآثار الكتابيَّة في تلك الانحاء في القرن المنصرم . ثم انتقل الى ذكر بشارة الايمان الاولى بين الارمن على عهد الرسل واتّسع في ذكر القديس غريغوريوس المنوّر وسعى بتعيين السنة التي عمَّت النصرانيَّة تلك البلاد . وممَّا ارتآهُ الكاتب انَّ جاثليق الارمن كان في اوَّل الامر خاضعًا لاكسرخس قيساريَّة ولا يظنّ انَّ البراهين التي تنسب انشاء كرسيّ اشميازين للقديس غريغوريوس مقنعةٌ . هذا راي المؤلف

ومن اراد الوقوف على آراء الفريقين فعليهِ بما كتبناهُ في هذا الصدد في مجلّة الشرق المسيحي في العام الماضي. ومما لا يُنكر انّ هذا التأليف الجديد من شأنهِ ان يبيّن كثيرًا من مفاخر الكنيسة الارمنيّة فنحثُّ كلّ محبي تواريخ الشرق على مطالعتهِ

الاب فرنسوا تورنبيز

Grammatica della lingua araba ad uso degli Italiani
per Fra Gabriele Maria d'Aleppo, *Beirut*, 1902, 260 - 292

غرامطيق اللغة العربية لفائدة الدارسين الايطاليين

مما اداهُ حضرة الآباء الكبوشيين من الخدم للشرق انشاؤهم في بالرمة من اعمال صِقِلّية مدرسة جامعة للرسالات الايطاليّة الخارجيّة. والعربيّة من جملة ما يُدرَس فيها من اللغات يعلّمها حضرة الاب الفاضل جبرائيل ماريّا الكبوشي الحلبي. ولمّا لم يجد حضرتهُ كتابًا مستوفيًا في الايطاليّة لتدريس لغتنا قدم بيروت ونشر في مطبعتنا الكاثوليكيّة كتابًا واسعًا في قواعد العربيّة يتضمّن صرفها ونحوها مشروحين باللغة الايطاليّة. وألحق هذا القسم الاوّل بقسم ثانٍ اودعهُ ما يحتاج اليهِ المتكلم من الكلم المتداولة والجمل والمخاطبات مع تمرينات شتّى في جملتها صور رسائل ووصولات وصكوك الى غير ذلك مما تلزم الاجنبيّ معرفتهُ ليتعوَّد لسانهُ النطق وقلمهُ الكتابة. وقد تمَّ الكتاب بجزئيهِ مطبوعًا طبعًا نظيفًا متقنًا مع ضبط القسم العربيّ بالشكل الكامل. فنهنّئ حضرة المؤلف بهذا التأليف النفيس ونتمنّى ان يقبل عليهِ كلّ الدارسين الايطاليين الذين يودّون تعلّم العربيّة واتقان فرائدها

La guerre gréco-turque
par M. Henri Turot, *Paris, Hachette*. pp. 221, in-16

لم ينسَ اهل بلادنا ما نالتهُ العساكر الشاهانيّة المظفَّرة من الفخر والشهرة في الحرب التي جرت قبل سنين قليلة بين اليونان والدولة العثمانيّة. فقد احبَّ المسيو تورو احد مشاهير الكتبة الفرنسويين الذي كان يتبع جيوش الدولتين لتسطير اخبار وقائعهما الحربيّة ان يكتب تاريخ هذه الحرب لتكون عبرةً لغيرهما من الدُوَل. وهو يثني على نظام الجيش العثماني وبسالة جنودهِ ويلوم اليونان على قلّة تروّيهم واختلال نظامهم وثقتهم الزائدة بنفوسهم. فتلك كانت اكبر الاسباب لكسرتهم وتشتُّت شملهم. ومما يزيد القارئ رغبةً في مطالعة هذا الكتاب ما اضاف اليهِ مؤلفهُ من التصاوير الشمسيّة ورسوم

اركان الحرب والخارطات المضبوطة التي اشتهرت بصنعها مكتبة هاشت   ه٠ل

كتاب المناهج

في النحو والمعاني عند السريان

تأليف حضرة الاب جبرائيل قرداحي القس الحلبيّ اللبناني (طبع في رومية ١٩٠٣ ص ٢١٤)

كان صاحب هذا الكتاب الفاضل العلاّمة وهو مدرّس العربيّة والسريانيّة في المدرسة الاوربانيّة برومية العظمى وترجمان شرف في مجمع انتشار الايمان اتحف طلبة اللغة السريانيّة بتأليف سابق وضعهُ سنة ١٨٨٠ ودعاهُ « الاحكام في صرف اللغة السريانيّة ونحوها وشعرها » استحسنهُ المستشرقون فاثنوا عليهِ. وقد مرّت الاَيام على هذا الكتاب والعلوم السريانيّة لا تزال في ترقٍّ متواصل فاحبَّ واضعهُ ان يعيد فيهِ النظر ويخرجهُ على صورة جديدة فصار المثل مثلين فكبر الكتاب حجماً واتّسعت موادّهُ نطاقاً فعمّ نفعاً. ويفيد هذا التأليف ليس الدارسين فقط بل المعلّمين ايضاً لما أُودعهُ من المباحث غير المبتذلة في اصول لغة السريان ومعانيها وفلسفتها مسنداً قولهُ الى ائمّة الكتّاب. فلا شكّ في ان محبّي اللغات الآراميّة يقبلون عليهِ كلّ الاقبال وفي اسم موّلفهِ احسن ضامن لرواجهِ

HISTOIRE DE S^t AZAZAIL

ܬܫܥܝܬܐ ܕܣܗܕܐ ܩܕܝܫܐ ܥܙܐܙܐܝܠ

texte syriaque inédit avec traduction française, *par Fr. Macler*, *Bouillon*, *Paris* 1902, pp. 64-38

يحتوي هذا الكتاب قصّة استشهاد القديس عزرائيل في رومية وجدها المسيو مكلار بين المخطوطات السريانيّة المصونة في مكتبة الاسقف اليعقوبي في القدس وهي مكتوبة بالسريانيّة في مجموع يرتقي عهد خطّهِ الى القرن الخامس عشر وسريانيّتها فصيحة تدلّ على ان كاتبها ازهر في ايّام رونق اللغة السريانيّة. هذا وانّ ناشر الكتاب لم يتمكّن من تعريف موّلفهِ ولا تعيين زمانهِ كما انهُ لم يبيّن من اين اخذ رواية كتابهِ والى ايّ سند كان مرجعهُ. وان سألتهُ ومن هو يا ترى هذا القديس عزرائيل ونحن لا نعرف شهيداً بهذا الاسم قُتل في رومية. اجابك انّ عزرائيل ترجمة اسم « بنقراطيوس »

اليونانيّ وپنقراطيوس شابّ رومانيّ مات في سبيل الايمان على عهد ديوقليسيانوس في رومية العظمى. وهو جواب لا يخلو من الصحّة لكنَّ المسيو مكلار لم يؤيد رأيهِ بادلّة كافية لحلّ المشكل. ثم انَّ في النصّ السريانيّ الذي نشرهُ اغلاطاً عديدة تشهد على انَّ المتولّي نشر الكتاب لم يتقن بعد السريانيّة وهو يقرّ بذلك اذ اورد شهادة معلّمهِ اذ كان يوصيهِ بان لا يتعجّل بنشر تأليفهِ. وفي ذيل الكتاب حواشٍ عديدة منها تافلة يُستغنَى عنها ومنها غير صحيحة. امَّا الترجمة فهي مغلوطة في اماكن عديدة لاسيَّما الصفحات الاولى مثال ذلك قولهُ (ص ٤) في ترجمة «ܐܘ ܚܒܪ̈ܝ ܘܒܢ̈ܝ ܗܝܡܢܘܬܝ» فترجمها بقولهِ (ص ٢٦): « Mes compagnons, mes enfants, qui partagez ma religion » وكترجمة قولهِ (ص٧): ܘܥܠ ܕܩܡܘ ܐܠܗ̈ܐ ܚܣܝ̈ܢܐ ܘܠܐ ܣܓܕܘ ܠܗܘܢ بما حرفهُ (ص ٢٨): « Les dieux sont puissants et comme ils ne se sont pas prosternés devant eux » ولا شكّ انَّ الكاتب كتب في الاصل " ܘܩܡܘ ܥܠ ܐܠܗ̈ܐ » اي « قاوموا الآلهة ولم يسجدوا لهم » ولو اردنا لاتينا بامثلة أُخرى وفي هذين المثلين كفاية الاب بتَرس

شَذَرات

ابيات بَيْهس — يذكر القرَّاء انَّا كنَّا سُئلنا (المشرق ٦: ٤٨) من أيّ بحرٍ هي ابيات وردت في الاغاني لبيهس. فاجاب حضرة الاب خليل اده (ص ١٤١) انَّ القول بكونها من المنسرح اقرب الى الصواب لكنهُ جواب لا يحلُّ المشكل حلاً مرضياً لكثرة اختلاف هذه الابيات عن تفاعيل المنسرح وجوازاته. واليوم قد اتتنا من جناب الاديب يوسف افندي الفاخوري فقرةٌ في هذا المعنى وهو يثبت ان الابيات من بحر المنسرح تنطبق على تفاعيلهِ اذا أُصلح منها بعض الفاظها وروعيت الجوازات الشعريَّة كالخزم في اوَّل الابيات فتكون الابيات على هذه الصورة:

يا لها نفساً يا لها انَّـــني لها الطعمُ والسلامهْ
مُقتَّلٌ اقواماً اخوها بكلّ وادٍ رناء هامهْ
فلأطرقنْ قوماً همْ نيامٌ وابركنْ بركة النعامَهْ
قابضٌ رجلٍ وباسطٌ أُخـــرى السيفُ أقدمُهُ امامهْ

وهو جوابٌ حسنٌ لولا انّنا كنّا احببنا ان يؤيدهُ الكاتب الاديب بدليـــل على انَّ في الاصل تحريفًا . والاصل منقول عن اربع نسخ خطّية مختلفة كما بيّنا

الليبانول ليس ارزنا اللبنانيّ من اجمل الاشجار واورفها ظلّا واصلبها فقط بل لهُ ايضًا منافع طبيَّة امتحنها الاطباء المحدثون فاشاروا بفوائدها . وقد استخرج الدكتور هورتاس (Huertas) حديثًا من الارز اللبنانيّ دهنًا دعاهُ « ليبانول » دلالة على اصلهِ ثم استحضرهُ بعض اطبّاء الجزائر بعدهُ من ارز جبل اطلس وقد جرَّبوه في عدَّة امراض لاسيَّما الصدريَّة منها كالنزلات الصدريَّة والزكام الشعبيّ وانسداد جهاز التنفُّس فوجدوه انفع من الادوية الجارية قبل هـــذا العهد كبلسم تولو (baume de tholu) وزيت السمك والكريوزوت (créosote) وممزوجات التربنتين . وهو يُفضَّل على هذه المشروبات بكونهِ لا يضرُّ بمنافذ الهضم وتقبلهُ المعدة بسهولة . والليبانول مائع شفّاف لونهُ في صفرتهِ كلون الليمون الحامض ذو رائحة عطريَّة الطعم حادّ وهو يتحلَّل في الكحول والاثير والزيوت . وتُصطنَع من الليبانول اقراص يدخل في كل قرص منها نحو ٢٠ سنتيغرامًا بحيث لا تتجاوز كمّيتهُ غرامين الى ثلاثة غرامات كل يوم . وربَّما مزج الليبانول بزيت السمك فيصير هذا الزيت شهيًّا

ترقّي الكثلكة في الولايات المتحدة قد نشر الدليل الكاثوليكي في اميركة احصاء يبيّن ترقي الديانة الكاثوليكيَّة في السنة المنصرمة فاحببنا اثباتهُ لفائدة القرّاء

الكاثوليك واعمالهم	سنة ١٩٠١	١٩٠٢
رؤساء اساقفة	١٣	١٣
الاساقفة	٨١	٨٦
الكهنة العالميّون	٩,٣١٨	٩,٧٤٣
الكهنة القانونيّون	٣,١١١	٣,٣٢٥
الكنائس الرعائيَّة	٦,٨٥٤	٧,٠٠٥
كنائس المرسلين	٣,٨٣٥	٣,٨٧٣
مدارس كليَّة	٧	٧
مدارس اكليريكيَّة	٧١	٧١
مدارس رعويَّة	٣,٨٤٧	٣,٩٧٨

الكاثوليك واعمالهم	سنة ١٩٠١	١٩٠٢
بيامتم	٢٤٤	٢٥٧
عدد اليتامى	٣٥,٥٦٩	٣٧,١٠٨
مشروعات خيريّة	٨٧٧	٩٢٣
طلبة المدارس الكاثوليكية		
	سنة ١٩٠١	سنة ١٩٠٢
	١,٠٧٨,٦٦١	١,١١١,٠٣١
مجموع الكاثوليك		
	١٠,٩٧٦,٧٥٦	١١,٣٨٩,٧١٠

فتكون زيادة الكاثوليك ٣١٢,٩٥٤

نجاة مدينة دار السلام من الحمّى الملاريّة دار السلام مدينة موقعها في مستعمرة الالمان في افريقية الشرقيّة كان اهلها ومن يحتلّها من الغرباء فريسة الحمّى الملاريّة تفتك بهم فتكاً ذريعاً. فعيّنت الحكومة لجنةً من الاطبّاء لدرس هذه العدوى وطرق شفائها. فلمّا تحقّقوا ان جراثيم الداء تنتقل بالبعوض اتُّخذ اصحاب الامر الوسائط الفعّالة لقتل هذه الهوامّ ولم يزالوا يحسنون احوال الامكنة حتى ابادوا البعوض واصبحت اليوم دار السلام مدينةً جيّدة الهواء بعد ان كانت من المدن الموبوءة التي لا يخلص من شرّ عدواها ساكن

اسئلة واجوبة

س سألنا الدكتور ابراهيم افندي منصور صوما هل المصادقة المعطاة لشمع باريزي في رومية تنفي استعمال شمع آخر في الطقوس الكنسيّة

شمع باريزيّ

ج انَّ المجمع المقدَّس بمصادقته على الشمع المصطنع في رومية بمحلّ باريزي لا ينفي استعمال شمع آخر يستوفي الشروط المعهودة للشمع الكنسي وانّما اراد فقط انَّهُ لا بأس من استعمال هذا الشمع في القدّاس والرُّتب الدينيّة مع ما فيـهِ من الموادّ الغريبة ولا ينوي بهذه المصادقة انَّ شمع باريزيّ هو وحدهُ المأذون باستعمالهِ

س وسأل جناب اسكندر افندي مزرعاني كيف يشاهد الابرار في السماء من هم على الارض واحوال نفوس المطهر الخ

معرفة الابرار

ج لا خلاف في انَّ الابرار في السماء يشاهدون اموراً كثيرة تجري خارجاً عن مقامهم السعيد. امّا كيف يشاهدون ذلك فالامر ليس بمقرَّر ثابت ولم تحكم فيـهِ الكنيسة حتى الآن. فمن العلماء من يقول انَّ الله يوحي اليهم بهذه الاحوال الخارجية بان يرسمها في عقولهم كصور يطبعها فيها. ومنهم من يرتأي وهو الراي المرجَّح انَّ الابرار يرون هذه الماجريّات في الذات الالهيّة على طريقة تفوق ادراكنا البشري بمقتضى مشيئتهِ تعالى وحكمتهِ ل. ش

المشرق

رحلة حديثة الى صان الحجر والمنزلة

للاب الملفان الخوري لوسيان لوروا

كنتُ منذ ثلاث سنين نزيل برت سعيد وانا لا ازال اترقّب الزمن الموافق لزيارة آثار مدينة جليلة تكرَّر ذكرها في الاسفار المقدَّسة واتَّخذها فراعنة مصر مرارًا كقاعدةٍ لمملكتهم ألا وهي طانيس المعروفة اليوم بصان الحجر حتى تيسَّر لي الامر منذ عهد قريب ففزتُ بالمرام وذلك في فصل الصيف من سنة ١٩٠١

فبعد ان اتَّخذتُ لتتمَّة المقصود كلَّ الاعلامات اللازمة واعددتُ الاهبة للسَّفر طلبتُ لي رفقةً اسير واياهم الى صان فأسعدني الحظّ بان لقيتُ خمسةً من ادباء النزّالة اثنان منهم من مستخدمي شركة قناة سويس ثم المسيو پ. وولداهُ فرنسوا وارنست. وكان احد الملّاحين الاعراب اسمهُ الرئيس عيد وعدنا بان يأجرنا لهذه السفرة قاربهُ نركبهُ من محطَّة كربوتي الى صان. وكان هذا القارب كبيرًا في مؤخرهِ غرفةٌ يمكننا ان نقضي فيها الليل

فلمَّا كان اليوم المعهود ركبنا القطار من برت سعيد ومعنا من الزاد ما يكفي لثلاثة ايَّام وتسلَّحنا ببندقيَّتين او ثلاث واخذنا معنا اداتين للتصوير الشمسيّ. فما لبثنا ان وصلنا الى محطَّة كربوتى وهي قرية صغيرة على ضفَّة بحيرة المنزلة. فكان اوَّل اهتمامنا بان نسأل عن الرئيس عيد فلم نقف لهُ ولقاربهِ على اثر. بيد انهُ لحسن طالعنا وجدنا هناك

ذهبيَّةً لأعرابيَّين كانت على وشك السفر الى دمياط فأقنعنا صاحبَيها بان ينقلانا الى صان بأجرة معلومة فرضيا وسرنا على الطائر الميمون

وكان سفرنا على بحيرة المنزلة جنوبيًا بميلة الى الغرب. وهذه البحيرة تمتدُّ طولًا في مسافة نحو مئة كيلومتر اما عرضها فيختلف. وكانت سابقًا تبلغ مدينة بلوزة القديمة ولا يفصلها عن البحر سوى كثبان من الرمل والبحر مع ذلك يتَّصل بها فتدخلها مياههُ المالحة من فوهتين او بوغاصَين. واذا نقص النيل واشتدَّ القيظ هبطت مياه البحيرة حتى ان القوارب لا تقطعها الَّا بالعناء لقلَّة الماء. امَّا اذا فاض النيل رأيت بحيرة المنزلة طاغية تشغل مياهها نحو ١٢٠٠ كيلومتر مربَّع لا يطفو فوق المياه سوى بعض جزائر عليها آثار قديمة وكان في موقع هذه البحيرة سابقًا بلاد عامرة وجنَّات فيحاء غمرتها مياه بحر المحيط فصارت بحيرةً متَّسعة الافناء ولم ينجُ من طغيان هذه المياه الَّا امكنةٌ قليلة لعلوّ تربتها منها جزيرتا تنيس وتونة

وقد ورد ذكر هذه البحيرة في مروج الذهب للمسعودي فروى خبرها وهو يدعوها بحيرة تنيس قال:

« كانت بحيرة تنيس ارضًا لم يكن بمصر مثلها استواءً وطيبَ تربةٍ وثروةً وكانت جنانًا ونخلًا وكرمًا وشجرًا ومزارع وكانت فيها مزارع على ارتفاع من الارض ولا احسن اتّصالًا من جنانها وكرومها ولم يكن بمصر كورة يقال انَّها تشبهها الَّا الفيّوم ولا اخصب واكثر فاكهة ورياحين من الاصناف الغريبة وكان الماء منحدرًا اليها لا ينقطع عنها صيفًا ولا شتاءً يسقون منهُ جنانهم اذا شاؤوا وكذلك زروعهم وسائرهُ يصبُّ الى البحر من سائر خلجانهِ ومن الموضع المعروف بالاشتوم وقد كان بين البحر وبين هذه الارض نحو مسيرة يوم... فلم يزل البحر يزيد ماؤهُ ويعلو ارضًا فارضًا في طول على ممرّ السنين... فلمَّا مضت لديقلطيانوس من ملكهِ مائتان واحدى وخمسون سنة (اعني سنة ٥٣٢ م) هجم الماء من البحر على بعض المواضع التي تسمَّى اليوم بحيرة تنيس فاغرقها وصار يزيد في كل عام حتَّى اغرقها باجمعها فما كان من القرى التي في قرارها غرق وامَّا التي كانت على ارتفاع من الارض فبقيت منها تونة وسمود وغير ذلك ممَّا هي باقية الى هذا الوقت »

وكان سيرنا في البحيرة بين جزيرتي تنيس وتونة شمالًا وبلدة المطريَّة الحافلة بصيَّاديها يمينًا حتى وصلنا بعد نحو خمس ساعات مدخل نهر المعزّ وهو الخليج المعروف في الازمنة السالفة بخليج صان (branche tanitique)وهذا النهر في وقت ارتفاع النيل كثير المياه يتَّسع يمينًا وشمالًا فيغمر بمياههِ ارضًا واسعةً. امَّا في فصل الصيف فتقلُّ

مياههُ وينحصر في حدود ضيّقة. ومياههُ عند مصبّهِ في بحيرة المنزلة لا تصلح للزراعة لاختلاطهِ بالمياه المالحة. وانّما تُرى فقط على ضفّتيهِ بعض الاعشاب كالاسل والقصب

وبعد ان واصلنا السير مدّةً بلغنا الى حيث ينقسم نهر المعزّ قسمين وكلاهما يصلح للملاحة ولنقل السلع وكان سفرنا على القسم الشماليّ وهو الذي يوصل بين الزقازيق والصلاحيَّة وصان والمطريَّة فينقل بينها صادرات مصر ووارداتها. وكنَّا لا نلقى في طريقنا الَّا بعض زوارق للعربان يسلّم اهلها علينا اذا رأونا بجلبةٍ عظيمة فنقابلهم بالمثل

وبعد ساعةٍ من الزمان بلغ بنا المسير الى المزدرعات التي تزيّن هذه الجهات وهي كلُّها خصبة يغلب عليها الارزّ والقطن وضروب الحبوب تراها تنبسط كخميلةٍ على جانبي النهر الى مسافات بعيدة وراءها رملُ الصحراء. ولم نزل صاعدين النهر الذي كان صقيلًا كمرآة وهو يتّسع حينًا وينزوي حينًا آخر في ضمن حدودهِ وتارةً يتشعَّب شعبًا فتبرز من وسطهِ جزائر خضراء رائعة المنظر. وبينما كنتُ اعاين هذه المشاهد العجيبة اذ لاح لي من سطح السفينة ضحضاح من المياه تزينهُ بُقع خضراء وادواح الشجر بينها اعشاب طويلة فسألت صاحبَيِ القارب: «ما اسم هذه البحيرة» فاجابا: ليس ثمَّت بحيرة ولا مياه ولا اشجار انَّما هذا السراب. فعرفت اني مخدوع كما خُدع قبلي كثيرون من اهل الاسفار. ثم جعلت اسرّح الطرف نحو الآفاق فلا ترى عيني الَّا الرمال الجرداء. وبقينا كذلك حتى اصيل النهار فرأينا عند الافق تلًّا مرتفعًا ظهر لنا في وسط تلك البادية القفرة كانهُ سلسلة جبال. فسألت الملاَّحَين: او هذا الجبل ايضًا من ظواهر السراب. قالا: كلَّا لكنهُ ليس بجبلٍ وانَّما هو تلّ صان الذي نقصدهُ. فشخصت عيوننا نحو تلك الآكام لعلّنا نميّز شيئًا من اخربة المدينة التي عاش فيها موسى كليم الله. الَّا انَّ التلّ كان بعيدًا يقتضي لقطع المسافة الباقية لبلوغهِ خمس ساعات على الأقل

فاسبل علينا الليل سترهُ قبل ان ندرك صان الحجر الَّا انَّ البدر طلع بعد قليل وانار النهر باشعَّتهِ الفضيَّة وكسا المزدرعات بنورهِ الكمد فانبعث امامنا عالمٌ جديد اغربُ من ظواهر السراب كانت مناظرهُ تخلب عقولنا وتسبي ألبابنا. ولم تزل ابصارنا ترعى هذه المشاهد الفتَّانة حتى بلغنا في جوف الليل قرية صان الحجر بعد اربع عشرة ساعة من السير المتواصل. والقرية على ضفَّة النهر عند سفح التلّ. فرست ذهبيَّتنا عند

طرف الضيعة حيث يتصل بالنهر اسفل اطلال التلّ وردومهُ غائصةٌ في المياه

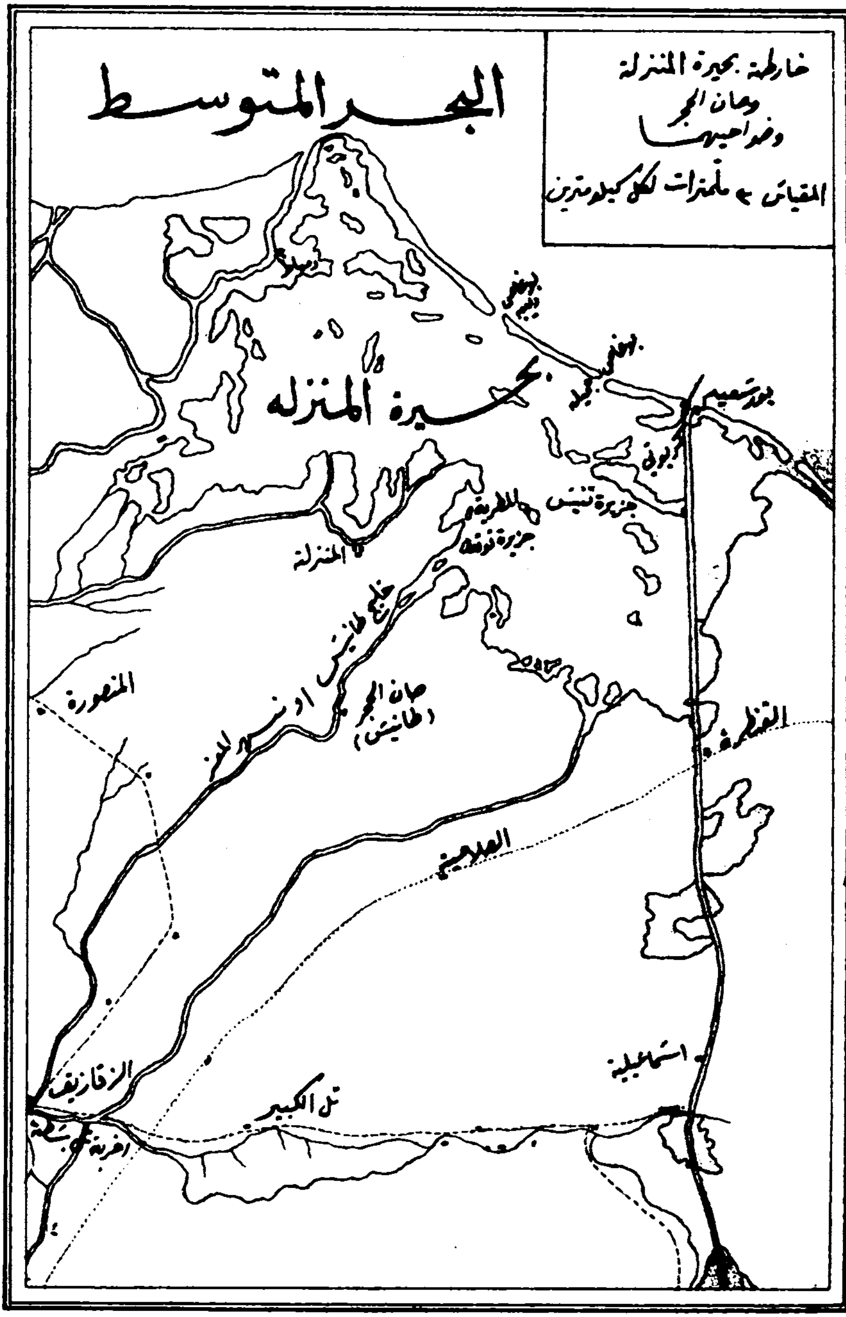
وما ادركنا صان حتى شعرت بنا كلابها واخذت بالنباح فايقظت جلبتها القرويين فقدم علينا بعضهم ليروا ما الامر ولمَّا علموا انَّ قدومنا لسلام هدأت النأمة وعاد القوم الى بيوتهم. وكان هناك يوناني صاحب نُزل دعانا لنقضي الليل في فندقهِ فابينا وآثرنا النوم في الذهبيَّة لكنَّ عينيَّ لم تكتحل باغتماض

ولمَّا تبلَّج الصبح سمعت صوتًا في مياه النهر فرأيت واذا بفتاتين من صان تغتسلان قبل طلوع الفجر فذكَّرني ذلك بفتاة فرعون التي خلَّصت في هذه الامكنة موسى الطفل من الغرق

ثم ايقظتُ رفقتي فرقينا معًا التلّ باكرًا لنبلغ قمتهُ قبل طلوع الشمس. فكنَّا نسير في طريقٍ غبراء محمرَّة التربة تتكوَّن من دقائق الآجر حتى وصلنا بعد مدَّةٍ الى انقاضٍ وبقايا جدران متداعية وآثار اعمدة ومسلاَّت وتماثيل ودُمىَ ابي الهول وكلّ ذلك خِلط مِلط في حالة يُرثى لها. فقطعنا هذه الآثار دون ان نتلبَّث في فحصها والبحث عنها لئلّا يفوتنا منظر طلوع الشمس. وكانت طريقنا فويق هذه الاطلال حرجةً صعبة المرتقى ادَّت بنا بعد قليل الى ذروة التلّ اهتدينا اليها ببناء من الحجر المنحوت يُرى هناك فانتظرنا بقرب هذه البناية بزوغ الشمس

وكان اديم السماء صافيًا لا يشوبهُ بخار او سحابة فوجَّهنا الابصار الى الشرق فلم يلبث قرن الشمس ان يذرّ فيجلِّل بانوارهِ الساطعة كل البقاع التي حولنا. ولم يزل ملك النهار يتصاعد شيئًا فشيئًا حتى ظهر بكل جلالهِ منيرًا بسراجهِ الوهَّاج حاضرة الفراعنة التي اصبحت اليوم اثرًا بعد عين وخرابًا بعد عمران فبقينا هنيهةً لا نفوهُ ببنت شفة وكلُّنا عيون شاخصة تكاد تلتهمُ هذه المناظر التهامًا

ثم جعلنا نتجوَّل فوق مشارف التلّ فاذا هو يتَّسع عرضًا ويستطيل الى جهة الجنوب. وكان مع احد رفقتي ميزان لتعريف العلوّ فرصدهُ فاذا هو يدلّ على ثلاثين مترًا بكسر. وكانت سهول طانيس القديمة تمتدّ عند اقدامنا فتذكرنا ما جرى فيها من الضربات العشر كما ورد في الكتاب الكريم (المزمور ٧٧ ع ١٢) حيث قال: وصنع (الربُّ) المعجزات امام آبائهم في ارض مصر في بقعة صوعن (צֹעַן). وصوعن هي صان او طانيس. وقد كرَّر ذلك في المزمور عينهِ (ع ٤٣)


خارطة بحيرة المنزلة
وصان الحجر
وضواحيهما
المقياس ٣ ملمترات لكل كيلومترين
البحر المتوسط
بحيرة المنزله
بور سعيد
جزيرة تنيس
المنزلة
صان الحجر
(طانيس)
المنصورة
الصالحية
القنطرة
اسماعيلية
الزقازيق
تل الكبير

ثم حاولنا النزول من هذا الجانب فما تمكنا من الامر الّا بعد العناء والمشقّة وكانت ارجلنا تغوص في تراب عميق ضارب الى الصفرة يدخلهُ قِطَع من الخزف والزجاج المكسَّر وكلّ التلّ على هذه الصورة

وان سأل السائل أوبلغت صان هذا العظم والاتّساع حتى انّ اخربتها صارت عبارة عن جبلٍ ؟ اجبنا مع العلّامة مسبرو: « ان مدينة صان لم تكن ذات شان اذ انّ مجمل ابنيتها كان منحصراً في دائرة تشمل بعض البيوت المتوسطة البناء كان يسكنها اعيان البلد وعُمَّال فرعون. وكنت ترى على رُبى قليلة الارتفاع تتركَّب من ردوم سابقة عدَّةَ ابنية اشبه باكواخ خفيفة متلاصقة ببعضها لا يفصلها الّا ازقَّة ضيّقة وكلّها من اللبن المجفّف في الشمس او الآجرّ. تلك كانت مدينــة صان. وانّما كان لها هيكل عظيم الشأن شاهق البنيان تتجهُ نحوهُ كلّ حركة السكّان لِما يُقام فيهِ من المناسك الدينيّــة لاكرام آلهة المصريين والتل يتركَّب بالخصوص من بقايا هذا الهيكل الفخيم ». على ان من نظر الى الآثار الباقية من صان وهيكلها لا يتمالك من العجب لرونق هذه العاصمة وحضارتها وعظم ملوكها

وبعد ان أجلنا الطرف في كلّ هــذه المآثر وفكّهنا المخيلة باحياء سالف الاعصار وذكر قاعدة الفراعنة على عهد بني اسرائيل نزلنا من التلّ لنبحث عن الاخربة التي اجتزنا بها صباحاً دون ان نتأمَّلها. وما يمكننا ان نقول عنها بوجه الاجمال انّ هذه الآثار قد استولى عليها الدمار فلم يبقَ منها الّا حطامها. وذلك قول يصحُّ في جميع آثار وادي النيل كتلّ بسطة وبلوزة وطانيس بخلاف عاديّات الصعيــد فانّ يد الدهر لم تُصبها بكبيرِ اذًى. امّا هيكل صان فترى بقاياهُ مجندلةً محطَّمة في حيص بيص فتعثر رجلك تارةً بصفّ من نحيت الحجارة وتارةً بردوم من الانصاب والمسلّات القديمة وحيناً بقطع من التماثيل الضخمة او الاشخاص الممثِّلة ابا الهول وكلُّ ذلك باختلاط لا يفي بهِ الوصف وهي في اسوإ حالة لا يمكن الناظر ان يتحقَّق ما كانت عليهِ هذه الآثار في اوّل تنصيبها

وممّا لحظناهُ بقايا إلهٍ جبّار منحوت بحجر الصوّان المانع فرأسهُ قد قُطع من شلوهِ وكذلك ترى ذراعيهِ وساقيهِ مكسورتين وضخمةُ عجيب ولو كان سالمًا لعُــدَّ شبيهاً في كبرهِ بدُمى الالهة التي تُرى في مِنف والاقصر. وعندنا انّ هذا التمثال هو الشخص

الذي امر باصطناعهِ رعمسيس الثاني من حجر واحدٍ وجعلهُ من اكبر تماثيل مصر

وفوق ربوةٍ ليس بعيدًا عن هذا الأثر تُرى مسلَّةٌ كبيرة ممتدَّة على الحضيض وهي مكسورة الى قسمين. يبلغ طولها من ١٨ الى ٢٠ متر وعرض كل وجهٍ من وجوهها الاربعة نحو متر و٦٠ سنتيمترًا. وعلى احد هذه الوجوه مكتوب بالحروف الهروغليفيَّة اسم رعمسيس الثاني والقابهُ فيدعى فيهِ: «ملك الشمال والجنوب ' راع أُسر مات سوتيب ان راع ' ابن الشمس رعمسيس صديق عمون وملك الارضَين». وعند لحف المسلَّة نُقشت صورةُ الملك وهو يقدّم قربانًا لالهٍ طُمست سحنتهُ

وعلى مسافة بعض خطوات من هذه المسلَّة مسلَّتـــان أُخريان على شبه الاولى في كبرها وهما كذلك مكسورتان في وسطهما وعندهما تمثال آخر عظيم لكنهُ لم يُحطَّم كالتمثال السابق وصفهُ. وتُرى في حِجْرهِ صورة امرأة صغيرة القامة منحوتة في الحجر نفسهِ. وليس بعيدًا من هذه الدمية تمثال ثالث اصغر منهما وهو حسن النقش سالم في قسمـــهِ الاعلى امَّا سُوقهُ فقد كُسِرت. وعلى صدرهِ شعار رعمسيس الثاني. لهُ هيئة كهيئة تمثال سقّارة الشهير

وفي شمالي هذا الشخص استلفت انظارنا حجرٌ من الصوَّان الاحمر منقور على شكل صندوق وهو ناووس او مصلًى صغير تكسَّر احد اطرافهِ فيُرى داخلهُ وهو منقوش وعلى كل وجوههِ كتابات وتصاوير فاخذت رسمهُ بالتصوير (ص٤٨٥). وقد مُثّل فيهِ الملك رعمسيس ثلاثًا فتراهُ يقدّم القرابين للاله اتوم او تمو اي الشمس قبل بزوغها وللاله خُبْري اي الشمس الطالعة وللاله هُورس بن اوزيريس. وجُعل الاله اتوم في الوسط وعلى رأسهِ الاكليل المزدوج اشارة الى ملكهِ على مصر العليا وعلى وادي مصر وفي يدهِ اليمنى رمز الحياة وفي شمالهِ الصولجان. وبازائهِ الملك رعميس يزين هامتـــهُ ايضًا الاكليلُ المزدوج تراهُ يقدّم لمعبودهِ تقدمةً وهي طلمةٌ على شكل مخروط كالهرم. وامام الاله قد كُتب « تمو سيّد اون » واون هي مدينـــة عين شمس. وعند اقدام الملك ما نصُّهُ: « تقدمة خبزٍ سميذ لينال الحياة من الاله » واسم الملك والقابهُ مدوَّنة امامهُ ووراءهُ فيُقرأ امامهُ: « سلطان الارضَين ' راع أُسرمات سوتيب ان راع ' (لقب الملك) رعمسيس ». ومن ورائهِ قد كُتب: « ملك الصعيد ومصر السفلى ' راع أُسر مات سوتيب ان راع ' ابن راع رعمسيس تمو سيد اون »



ناووس (ναος) او مصلًى رعمسيس الثاني في طانيس (راجع الصفحة ٤٨٧)

وعلى اليمين رُسمت صورة رعمسيس متوّج بالتاج الملكي امام الاله هورس يقدّم لهُ اناثين وعلى راس الاله يُرى قرص الشمس مع شعار الاله راع. وجسم الاله كجسم انسان امَّا راسهُ فراس باشق وهو يمسك في يمناه رمز الحياة وفي يسراه صولجان الملك وبازائهِ قد كُتب: « هورس إله الارضَين سيّد السماء ». امَّا الملك فاسمهُ والقابهُ كما في الصورة السابقة الَّا انهُ قد بُدِل اسمهُ « تمو سيّد اون » باسم « صديق هورس »

وفي جهة الشمال صُوّر الاله خبري (اي الشمس الطالعة) على هيئة بشريَّة فرأسهُ مكشوف تعلوهُ دائرة الشمس معلَّقة فوقهُ. وامامهُ الملك رعمسيس يقدّم لهُ اناثين. وبقيَّة التصاوير والكتابات لا تختلف شيئاً عن صورة اليمين

وفوق هذه الصور الثلاث على طول الناووس كتابة درس اولها وآخرها فلم يبقَ منها سوى ما ترجمتهُ: « . . . تمو قربان للاله تمو من قبل السلطان ملك الشمال والجنوب 'راع أُسر مات سوتيب ان راع' ابن راع صديق عمون رعمسيس لا زال ملكك زاهياً نامياً الى الابد »

وفي سطح الناووس من اعلاهُ خمس كتابات تنتهي كلها بهاتين اللفظتين « رعمسيس الحيي »

هذا ما بقي سليماً من آثار صان. وليس الباقي كما سبق القول الَّا كسرًا وشقفًا لا يُتركَّب منها نصبٌ كامل (لهُ بقيَّة)

أَقدم شعر عند العرب

لحضرة الكاتب العالم والباحث المتفنّن الاب انستاس الكرملي

اطلعني بعض الاصدقاء على المجلَّد التاسع من مجلّة الهلال. وبينما كنت اتصفَّحهُ وقعتُ فيهِ على مقالةٍ لصاحب المجلة في أُميَّة بن ابي الصلت وقد افتتح ترجمـة هذا الشاعر الجاهليّ بلمعة عن حالة العرَب وافتهم قُبيل الاسلام فقال حرسهُ الله (عن الهلال ٩ : ٤٥١):

« لم يَمُرَّ بجزيرة العرب على عهد الجاهلية عصر نهض فيهِ العرب مثل نهضتهم في القرن السادس للميلاد. وهو القرن الذي تقدَّم ظهور الاسلام. وكانوا قُبَيل ذلك غارقين في الجهالة والخمول لا يعرفون غير الغزو والقتل. وخصوصاً في بلاد الحجاز فاننا لم نسمع فيها قبل ذلك القرن الَّا ببضعة شعراء ولم يكونوا مجيدين. فاشهر شعراء الجاهليَّة نبغوا في القرن السادس وما بعدهُ. ويؤْخذ من مراجعة تراجم اولئك الشعراء ان الشعر العربي زها اولًا في اليمن ثم في الحجاز ونجد لانَّ اقدم من وصل الينا اخبارهم انَّما هم من اليمن كالبرَّاق ولَيْلَى العفيفة وكلاهما من اهل القرن الخامس وهما اقدم شعراء الجاهلية » انتهى المقصود من ايرادهِ

قلنا: لا نعلم على ما يدعم حضرة منشيء الهلال كلامهُ في قولهِ الاخير: « ويؤْخذ من مراجعة . . . الخ » فان كان زعمهُ هذا منقولًا عن أُدباء الافرنج فاننا قد بحثنـا في كتبهم التي بايدينا لنتدبَّر صحَّة القول فلم نتوفَّق الى العثور على ما عثر ولعلَّ السبب في ذلك قلَّة الاسفار الافرنجيَّة التي بايدينا. الَّا انَّنا وان سلَّمنا ان المؤلف اخذ كلامهُ عن الافرنج فانهُ لا يخلو من مغامز وليس كل ما يقولهُ هؤلاء الباحثون يكون بمعزل عن الانتقاد. امَّا اذا كان كلامـهُ مأخوذًا عن كتبة العرب فان هؤلاء لسان واحد على مخالفتهِ. وقد رأينا غير مرَّة ان حضرة صاحب الهلال كثيرًا ما يقع على بعض الامور

قد جاءت او نُقلت عن بعض الافراد او العشائر او القبائل من الناطقين بالضاد فيطلقها على العرب كلهم اجمعين. ولنا على ذلك شواهد جمة في جميع ما كتب عن اخلاق العرب وعوائدهم وآدابهم ولغتهم الى آخر ما هُناك. وهذا امرٌ جلل في مثل هذا الموضوع وذلك لان القارئ الغير الواقف على تاريخ العرب اذا ما طالع لاوَّل مرَّة تلك الأقوال يتمكَّن فيهِ الوَهم ولا يعود الى اصلاحهِ سبيل او يُصلَح بشقّ النفس لان ذهن المرء اشبه شيء بارض مهيَّأة للزرع فالذي يثبت فيها وينتحل لنفسهِ منها قواها هو البذر الاوَّل فاذا بُذِر فيها بذرٌ ثانٍ جاء ضعيفاً نحيفاً. ويكون الوهمُ أثبت في النفس وأعلق بها وانشب اذا ما اسند الكاتب مزاعمهُ الى احد الكتبة الأقدمين فهناك تكون البليَّة العظمى. ولو رجع القارئ الى مساند الكاتب الاوَّل وتدبَّر مقالهُ يجدهُ منحصرًا في رجلٍ واحدٍ او قبيلةٍ واحدة او ما كان من هذا القبيل لا عن العرب كلهم

ولعلَّ السبب الذي استزلَّ حضرة الكاتب المجيد في موضوعنا الحالي وقوفهُ على «كتاب شعراء النصرانيَّة» لحضرة الاب لويس شيخو اليسوعي فلمَّا طالع عصور تراجم اولئك الشعراء رأى اقدمهم في التاريخ البرَّاق وليلى العفيفة وهما من اهل اليمن فاستنتج تلك النتائج. ومهما يكن من سبب استدراجهِ الى الزلل فان كلامهُ هذا لا يوافق ما نصَّ عليهِ العرب « ان اعتمدنا على ما نقلوهُ الينا وصدَّقنا ما اوردوهُ لنا ». فلقد وصل الينا شعر اقدم عهدًا من شعر البرَّاق وليلى. وهو وان كان قليلًا الَّا انهُ يدلُّنا على ان الشعر بلغ مداهُ الأقصى من التهذيب والتصحيح منذ القرون العريقة في القدم. وكل ذلك اذا ما حكمنا على انَّ ما نقلوهُ الينا « هو حقيقةً من شعرهم ونظمهم ». الَّا انَّنا نقول من الآن إنَّ «جلَّ» ما نقلوهُ الينا إلَمْ يكن « كلُّهُ » هو مصوغ وليس فيهِ من الحقيقة مثقال ذرَّة او مقدارها. وعليهِ فلا يمكننا ابدًا ان نعرف اوَّل شعر قديم انتهى الينا ولا اوَّل قبيلة نطقت بالعربي الفصيح على صورتهِ الحالية ولا في اي بلدٍ كان ذلك طالما نستند على كُتب العرب التي بايدينا لغويةً كانت او تاريخيَّة لأنَّنا اذا عرضنا اقوالهم على نار الانتقاد فلا نراها تصبر عليها هُنيهةً من الزمان ولعلَّ الاكتشافات الأثريَّة تُوضح لنا هذه المسئلة على توالي الايَّام

امَّا كون العرب قد نقلوا الينا شعرًا اقدم عهدًا على شعري البرَّاق وليلى العفيفة

قد بلغنا من شعر الزَّبَّاء التي نبغت في القرن الثالث للمسيح . ومن نظمها (على زعمهم) :

ما للجِمال مَشيُها وئيدا   اجندلًا يَحْمِلنَ ام حديدا
ام صرَفانًا تارِزًا شديدا

(عن مجمع الامثال للميداني ١ : ١٥٩)

وقد جاءنا من شعر مَلك بن فَهم وهو اوَّل من تملَّك على تَنوخ في العراق نحو سنة ١٩٥ ب م من ذلك قولهُ لقاتلهِ :

جزاني لا جزاهُ اللهُ خيرًا   سُلَيْمَةُ انَّهُ شرًّا جزاني
أُعلِمهُ الرمايةَ كل يومٍ   فلمَّا اشتدَّ ساعدُهُ رماني

(عن مجاني الادب ٣ : ٣٠٤)

وقد وصلنا ايضاً من نظم الجرادتين او قُل الاصحّ من نظم معاوية بن بكر احد العماليق في عهد هُود (وهو عاش على ما ذكرهُ ابو الفداء وابن الأثير وابن خلدون وجمهور المفسّرين ومؤرّخي العرب بعد نوح وقبل ابرهيم الخليل وانت تعلم ان ابرهيم عاش سنة ٢٠١٦ ق م. فيكون وصلنا شعر عربيّ من ذلك العهد !!!) . وهذا ما انشدتهُ الجرادتان :

أَلا يا قَيلُ وَيحكَ قُمْ فَهَينِمْ   لعلَّ اللهَ يبعثها غماما
فيسقي ارض عاد انَّ عادًا   قدَ أمسوا لا يبينون الكلاما
من العطش الشديد فليس ترجو   لها الشيخَ الكبيرَ ولا الغلاما
وقد كانت نساؤهُمُ بخيرٍ   فقد امست نساؤهُمُ أيامى
وان الوحش ياتيهم جهارًا   ولا يخشى لعاديٍّ سهاما
وانتم ههنا فيما اشتهيتم   نهارَكُمُ وليلكُمُ التماما
فقُبِّح وفدكم من وفد قومٍ   ولا لقوا التحية والسلاما

ولو اردنا ان نشبع الكلام في هذا الموضوع ونذكر ما جاء من الاشعار العربيَّة قبل المسيح للأنا كتابًا قائمًا براسهِ ولذكرنا ابياتًا من نظم الحارث بن مضاض الاصغر الجرهميّ . ومن نظم شدَّاد بن عاد ومن شعر واحدٍ عاش في عهد النبيّ صالح (المسعودي في مروج الذهب المطبوع على حواشي نفح الطيب ١ : ٥٣٦) ومن نظم واحد كان في ايَّام النبيّ بَرخيا (المسعودي ٢ : ٣٧) . بل وقد بلغنا نظم من جميع آباء الامم والقبائل العربيَّة البائدة اي من شعر يعرب بن قحطان وعاد بن عوص وثمود بن

عابر وغيرهم (راجع في هذا الصدد المسعودي ٢ : ١٤ الى آخر ص ٣٨) . الَّا انَّنا نُحيلهم على مطالعة كتب مؤرخي العرب ولُغَويّيهم وعلى من عُني بهذا البحث

هذا واغرب الغرائب واعجب العجائب انهُ بلغنا ايضاً من نظم آدم ابي البشر نفسهِ وهذا منتهى ما افضى اليهِ بحثنا وفيهِ مُنتهى الاختلاق ايضاً قال المسعودي (في حواشي نفح الطيب ١ : ٣٦) ما نصُّهُ : « وقد استفاض في الناس شعرٌ يعزونهُ الى آدم قالهُ حين حزن على ولدهِ واسف على فقدهِ وهو :

تغيَّرت البلاد ومن عليها فوجهُ الارض مغبرٌّ قبيحُ
تغيَّر كل ذي لونٍ وطعم وقلَّ بشاشة الوجه الصبيحُ
وبدَّل اهلها خمطاً واثلًا بجنات من الفردوس فيحُ
وجاوَرنا عدوٌّ ليس ينسى لعينٌ لا يموت فنستريحُ
وقتَّل قاينٌ هابيل ظلماً فوا أسفًا على الوجهِ المليحُ
فما لي لا اجود بسكب دمعٍ وهابيل تضمَّنهُ الضريحُ
ارى طول الحياة عليَّ غمًّا وما انا من حياتي مستريحُ

ووالظاهر انَّ هذه الابيات قديمة وترتقي على الاقلّ الى صدر الاسلام ولنا على ذلك ثلاثة ادلّة . (الاوَّل) : شهادة جماعة من مؤرخي العرب . قال المسعوديّ في اثر ايرادهِ تلك الابيات ما نصُّهُ : « ووجدتُ في عدة من كُتب التواريخ والسير والانساب ان آدم لمَّا نطق بهذا الشعر اجابهُ ابليس من حيث يسمع صوتهُ ولا يرى شخصَهُ . . . » . فقولهُ : « ووجدتُ . . . الخ » . يدلُّ على ان جماعة من المؤرّخين أوردوا هذه الرواية — (والثاني) : ما حُكي عن القاضي ابي سعيد السيرافي انهُ قال : حضرت في مجلس ابي بكر ابن دُرَيد ولم اكن قبلَ ذلك رأيتهُ فجلستُ في ذيلهِ فانشد احدُ الحاضرين بيتين يُعزَيان الى آدم عم قالها لمَّا قتلَ ابنهُ قابيلُ (قانين) هابيلَ وهما :

تغيَّرت البلاد ومن عليها فوجهُ الارض مُغبرٌّ قبيحُ
تغيَّر كلُّ ذي حسنٍ وطيبٍ وقلَّ بشاشةُ الوجهِ المليحِ

فقال ابو بكر : هذا الشعر قد قيل في صدر الدنيا وجاء فيهِ الإقواء . فقلتُ : انَّ لهُ وجهاً يُخرِجُهُ عن الاقواء . فقال : ما هو ؟ . قلتُ : نَصب « بشاشة » وحذف التنوين منها لالتقاء الساكنين لا للاضافة فتكون بهذا التقدير نكرةً منتصبةً على التمييز ثم رفع الوجهِ وصفتهِ باسناد « قلَّ » اليهِ فيصير اللفظ : « وقلَّ بشاشةً الوجهُ المليحُ » . فقال :

ارتفع . فرفعني حتى اقعدني الى جنبهِ . اه (نقلًا عن ابن الشجريّ) — (والثالث) ما اوردهُ ابن الأثير في الكامل (١ : ١٦) قال : روى العلماء عن عليّ بن ابي طالب ان آدم قال لمّا قُتل هابيل : . . . (البيتان كما اوردهما المسعوديّ) . فهذا يدلُّك على ان هذا الشعر كان معروفًا في عهد عليّ ابن ابي طالب

وعندنا ان اقدم شعر انتهى الينا هو نظم زرقاء اليمامة اذا اعتمدنا على ما نقلهُ لنا العرب . وهذا القليل انتهى الينا مصحفًا محرّفًا ايضًا قال ياقوت في معجم البلدان في مادة يمامة في كلامهِ عن الزرقاء ما حرفهُ :

« ولمّا نزل بجديس ما نزل قالتْ لهم زرقاء اليمامة : كيف رأيتم قولي ؟ وانشأت تقول :

خذوا خذوا حذركم يا قوم ينفعكم فليس ما قد أرى مِلْ أمر (١ يُحتَقَرُ

اني أرى شجرًا من خلفها بشرٌ لأمرٍ اجتمع الاقوامُ والشَجَرُ

(قال ياقوت) : وهي من ابياتٍ ركيكة . اه . قُلنا : لم يُعتدّ بتلك الابيات فلم يوردوها ظنًّا منهم انّها ركيكة وهي ليست كذلك . الّا انّها لمّا كانت من لغة عرب اليمامة وكانت تختلف كثيرًا عن لغة قُريش اعتُبرت ركيكةً اعني بالنسبة الى لغة قُريش . وامّا في حدّ ذاتها فهي ليست كذلك . وهذا السبب عينهُ هو الذي افقدنا لغات العرب الأقدمين لانها لم تشاكل لغة قُريش . وما يُقال انهُ من لغات العرب المنقرضين فانهُ جاءنا محرّفًا مصبوبًا بقالب لغة قُريش . ولنا على ذلك ادلّة كثيرة لعلّنا نعود الى ذكرها في مقالة ثانية . والله أعلم

الطائفة الكلدانيّة والكنيسة الرومانيّة

بقلم حضرة الاب الفاضل الخوري بطرس عزيز نائب بطريرك الكلدان بحلب

ما برحت الأمّة الكلدانيّة منذ دخول الدين المسيحي فيها حتى الآن تعتقد برئاسة بطرس وتخلُّف الاحبار الرومانيين لهُ في رئاسة الكنيسة كلها . وقد رسخت هذه الحقيقة

١) مِل الأمر اي مِن الأمر او للأمر

في قلوبهم رسوخاً قويًا حتى ان دخول الهرطقة النسطوريّة عندهم واستمرارها مدة اجيال عديدة لم تعبث بهذا الاعتقاد ولهذا تراهم وهم نساطرة يجلّون مدينة رومية عاصمة الكثلكة ويعظِّمون احبارها كأنَّهم لم ينفصلوا عنها ولم تقطعهم من شركتها. فمن وقف على اخبارهم وطالع كتبهم يرَ ان ذلك كان عندهم من الامور البديهيَّة التي لم يقع لهم فيها ريب البتَّة حتى ان الاحبار الرومانيّين عندما قبلوهم في شركة الكنيسة الكاثوليكيَّة لم يروا داعياً لاصلاح معتقدهم من هذا القبيل

فمن ذلك ما جاء في رسالة كلدان الموصل النساطرة الى يوليوس الثالث سنة ١٥٥٢ في امر سولاقا فانَّهم بعد ان لقَّبوا الحبر الاعظم بابي الآباء وراعي الرعاة ونائب المسيح قالوا: «اعلم ايها السيد انَّنا عبيدك النساطرة قد اصبحنا يتامى بلا اب ولا مدبّر... وقد وقع انتخابنا على هذا الراهب سولاقا... فارسلناهُ اليك متوسّلين ان تسيمهُ لنا بطريركاً» (١. وفي صورة ايمان سولاقا المذكور التي أعلن بها امام يوليوس الثالث يقول: «انني اقبل المجمع النيقاوي الذي حدَّد الايمان الصحيح وحرم آريوس وحدد ايضاً انَّ الكنيسة الرومانيَّة هي كرسي بطرس وام جميع الكنائس فهذا الايمان محفوظ عندنا... ونوقر ونمدح الكنيسة الرومانيَّة ورئيسها البابا القديس فانهُ مسطَّر في كتبنا بان كهنوتنا آتٍ من الكنيسة الرومانيَّة ولهذا اتينا لنقبل منكم خمير الكهنوت» (٢

ومما يثبت قولنا ما جاء في ترجمة يابالاها الثالث البطريرك النسطوري الكلدانيَّة التي نشرها الاب بدجان. فان هذا البطريرك بالاتفاق مع ارغون ملك المغول كان قد ارسل سفيرًا الى اوربَّة راهباً نسطوريًا اسمهُ ربَّان صوما لاجل عقد التحالف مع الملوك المسيحيين لاسيَّما بابا رومية في مسألة سياسيَّة وكان البابا حينئذٍ نيقلاوس الرابع سنة ١٢٨٨ فلمَّا وصل السفير الى رومية رحَّب بهِ البابا وارسل معهُ هدايا ثمينة الى بطريركهِ مع براءة تخوّل هذا البطريرك تأييد سلطانهِ البطريركي على جميع ابناء المشرق ولم يخطر على بال هذا السفير النسطوري ان يعترض على تداخل البابا في شؤون كنيسةٍ لا تخصّه بل قبل كل ذلك شاكرًا لانهُ كان متيقناً بان الاحبار الرومانيين لهم الولاية

١) طالع كتاب المراسلات الرسمية بين الكرسي الرسولي والطائفة الكلدانية للاب صموئيل جميل (ص ١٣)

٢) راجع الصفحة ٤٧٨ منهُ

على نصارى المشرق وبطاركتهم وان كانوا نساطرة (١

وكتب ايليا السابع قبل ان يتّحد بالكثلكة الى بولس الخامس سنة ١٦١٠: «والآن ايها الاب انّي احني الرّاس ساجدًا امام عرشك بلا غشّ ولا خداع مطيعًا لك بامر ذاك الذي قلدك المفاتيح فلا انكر الصوت القائل لبطرس: «لك اعطي مفاتيح الملكوت. . . ولا اعاند كسائر الهراطقة امر الرسل القديسين والآباء الارثذكسيين الذين حدَّدوا بان كرسي رومية العظمى لهُ التسلُّط وهو رأس جميع الكراسي. حاشا بل اقرّ بان الكنيسة الرومانيَّة هي امُّ الكنائس ومن لا يعترف بذلك فليكن محرومًا (ص ٥٢٦)». وقد اجاب البابا بولس الخامس هذا البطريرك بقولهِ: «يسرُّنا الاكرام والتعلُّق البنوي الذي تظهرهُ نحو كرسي الطوباوي بطرس هامة الرسل لاسيَّما لانك تقول بان هذا التعلق قد وجد في كنيستك على الدوام (ص ١٢٣)»

فعلى المنتقد والحالة هذه ان يفحص عن سبب ثبات هذا الاعتقاد في الملَّة الكلدانيَّة وكيف يتوافق ذلك مع وجودهم في الهرطقة — امَّا الاوَّل فسببهُ لان كتبهم وطقوسهم ومجامعهم قبل النسطرة وفي اثنائهــا مشحونة بشواهد صريحة في حق رئاسة بطرس وتخلُّف اساقفة رومية لهُ. وكان من شيم هذه الطائفة التمسك الشديد بآبائها وايمَّتها وها نحن ذا نورد قليلًا من هذه الشواهد على كلا الامرين:

١ قال يعقوب افرهاط الملقب بالحكيم الفارسي في اوائل القرن الرابع في المقالة السابعة على التائبين: « وشمعون ايضًا رئيس التلاميذ كان انكر المسيح وحرم وحلف وقال لا اعرفهُ فلمَّا قدَّم التوبة واكثر من تسكاب الدموع قبلهُ ربنا وجعلــهُ اساسًا ودعاهُ صخرة بنيان الكنيسة » — وقال مار افرام المعظم في ميمره على العشاء السري: «انك يا شمعون تلميذي لقد وضعتك اساسًا للكنيسة المقدَّسة دعوتك الصفا سابقًا لكي تحمل جميع الابنية. انت هو فاحص كل الذين يبنون لي كنيسةً على الارض حتى اذا ابتنوا شيئًا رديًّا فاساسك يردعهم. انت راس ينبوع تعليمي ورئيس تلامــذتي. بك اسقي الشعوب كلها مياه الحياة العذبة التي أعطيها. ايَّاك انتخبتُ يا بكر تلامذتي لتكون وارثًا كنوزي. اعطيتك مفاتيح ملكوتي وها انت مسلط على خزائني كلها »

١) راجع ترجمة يابالاها المذكور (الصفحة ٨٤ من الطبعة الثانية)

وصلوات الفرض الكلداني مفعمة بشواهد بهذا المعنى منها في تذكار الرسولين بطرس وبولس وتذكار بطرس ويوحنّا في الجمعة المعروفة بجمعة الذهب قولهُ: « ايها المهندس الحكيم يا مشيّد الكنائس بطرس الذي قلده ربّه مفاتيح الكنز الروحي لكي يربط ويحلّ كلّ ما على الارض وما في السماء... بطرس رئيس الرسل... يا راس التلاميذ شمعون بن يونا الذي عليهِ بنى ربّنا بيعته المؤمنة » — وقال نرسي النسطوري الشهير في الجيل الخامس في ميمره على الانجيليين: « كرز شمعون في البلاد الرومانيّة بشارةً جديدة... خرج اولًا صياد السمك ليصيد الامم فرمى شبكتهُ فاصطاد امّ المدن. رئيس التلاميذ اصطاد مدينة الرئاسة » — وقال ايليا الانباري النسطوري في القرن العاشر في كتاب المئات الفصل الاول من الميمر السادس: « المسيح رئيس الاحبار والوسيط بيننا وبين الآب... اختار واقام لهُ على الارض نائبًا للكنائس الشيخَ شمعون بن يونا فدعاه باسمه الصخرة ليكون اساسًا للايمان » — ولهذا المؤلف فصل مطوّل هذا المعنى لا يسعنا المقام ان ندرجهُ — وقال عبد يشوع الصوباوي في القرن الرابع عشر في كتاب القوانين الكنسيّة الفصل الاوّل الجزء التاسع من المجلد الثاني: « ان الطوباوي بطرس حاز السلطان على المسكونة كلها » — وقال معاصره عمرو بن متى الطيرهاني المؤرخ النسطوري في كتاب تاريخهِ عند كلامهِ عن الرسل: « والرئيس عليهم كان شمعون الصفا حافظ كرسي المسيح على الارض »

فاستنادًا الى هذه الشواهد وغيرها التي يضطرّنا ضيق المكان ان نضرب عنها يجوز القول بان الكنيسة الكلدانيّة لم تشك قط في رئاسة بطرس المقرَّرة في الانجيل المقدَّس. ولهذا اكثرت من المديح لمدينة رومية والاطراء عليها لاعتقادها انّها دائمًا كرسي هامة الرسل ومركز الرئاسة في بيعة المسيح وبراهين ذلك كثيرة نقتصر على قليل منها

٢ اوّلها رسالة اغناطيوس النوراني الى الرومانيين التي فيها يبجّل هذه الكنيسة ويرفع مقامها فوق سائر الكنائس (المشرق ٣: ٨). فقد وُجدت هذه الرسالة عند الكلدان منذ القديم مترجمةً الى لغتهم وهم يعتبرونها مزيد الاعتبار — وفي رتبهم الطقسيّة لا يزالون حتى الآن يرتلون في الاحد الثالث من تقديس البيعة: « تقول رومية لقد بُنيت الكنيسة لدهر الداهرين فلا يقهرها الملوك ولا السلاطين — طوباكِ يا رومية الشهيرة مدينة الملوك أمة العريس السماوي التي جُعل فيكِ كما في مينا واعظان حقيقيان

بطرس رئيس الرسل الذي على حقهِ بنى مخلصنا كنيسته المؤمنة و بولس الرسول والاناء المختار » — وقال نرسي النسطوري في ميمره على القنطيقسطني: « رئيس التلاميذ أنصبت لهُ ام المدن فركّب فيها عيون الايمان كما جُعلت العيون في الراس — وقال طيماثاوس الاوَّل البطريرك النسطوري في اوائل الجيل التاسع في رسالته الى مار اترخا اسقف نينوى: « لرومية المقام الاوَّل والرأسيّ من اجل بطرس الرسول ». وفي رسالة لهُ الى اركون المؤمنين في الهند حفظها عبد الله بن الطيب في كتابه المسمى فقه اللغة النصرانيَّة قال: « ان قانون البيعة يأمر بان يطيع الدون للأعلى وتنتهي الطاعة من الكل الى فطرك رومية فهو القائم مقام شمعون الصفا » — وقال ايليا الدمشقي النسطوري في الجيل العاشر في كتاب القانون: « هذه هي الفرائض المعتمد عليها والتي يتمسَّك بها الرؤساء والعوامّ الشرقيون والغربيون... الفريضة الاولى امروا وقالوا ان يكون البطاركة في جميع الدنيا اربعة لا غير... وان يكون الرئيس صاحب رومية على ما امر بهِ الحواريون » — وقال ايضاً: « الفطرك الاوَّل فطرك رومية لهُ من الكرامة والفضل على سائر الفطاركة. واذا سامت الموفركيا فطركها يصير اليهِ قبل ان يأمر وينهي في كرسيهِ حتى يسلّمهُ ويتبرك منهُ » — وقال ابو الفرج عبد الله بن الطيب النسطوري في اوائل القرن الحادي عشر في كتاب فقه النصرانيَّة: « قوانين الثلثمائة والثمانية عشر نقلها ماروثا اسقف ميافارقين بمسألة مار اسحق... القانون الثاني في ان الفطاركة يكونون اربعة... ورئيسهم صاحب رومية كما امر السليحيون »

وقال عبد يشوع الصوباوي في كتاب مجموع القوانين السنهادوسية الفصل الاوَّل من البحث التاسع القسم الثاني: « لرومية العظمى أُعطيت البطريركية من اجل العمودين الموضوعين فيها اعني بطرس رئيس الرسل و بولس معلم الامم وهي الكرسي الاول وراس البطريركية... ولبيان ذلك هوذا نصُّ القوانين الغربيَّة: قانون المجامع المسكونيَّة: حتم المجمع المسكوني بان يكون اربعة بطاركة في العالم كلهِ... ويكون رئيسهم بطريرك رومية حسب امر الرسل الذي حدّدوه بقوانينهم... ومن تجاوز هذا فالمجمع المسكوني يضعهُ تحت الحرم » — وفي الفصل الخامس قال: « كما انهُ يحقّ للبطريرك ان يصنع كلّما اراده اذا كان مناسباً في شان الذين هم تحت سلطانه هكذا يحقّ لبطريرك رومية على البطاركة جميعاً كالطوباوي بطرس على المسكونة كلها لان

صاحب رومية يقوم مقام بطرس في الكنيسة كلها ومن تجاوز هذا فالمجمع المسكوني يضعهُ تحت الحرم »

وما هو اعجب ان هؤلاء النساطرة عندما يوردون هذه القوانين لا يقولون انها بطلت او أُلغي استعمالها وعندما يبجلون رومية واحبارها لا يقولون انهم الآن قد سقطوا من رئاستهم لحيودهم عن الايمان المستقيم كما احتجَّ غيرهم من المنفصلين عن الكنيسة الرومانية بل نرى بعكس ذلك باباي رئيس دير نصيبين المشهور في النسطوريَّة والذي يجلهُ النساطرة ايَّ إجلال يعتبر بطاركة رومية خلفاء بطرس كما سترى

٣ ولقائل ان يقول اذا كان ذلك كذلك فلماذا انفصل النساطرة عن شركة الكنيسة الرومانيَّة وكيف يتوافق اعتقادهم برئاسة الاحبار الرومانيين على الكنيسة وهم بعيدون عنهم محرومون بسلطانهم

نجيب ان من كان لهُ إلمام باحوال هذه الطائفة في وجودها بالنسطرة لا يبرح ان يشعر بما كانوا عليهِ من السذاجة فكانوا يعتقدون بان تمسُّكهم بالنسطرة ليس بحجَّة كافية تعفيهم عن طاعة من تشهد كتبهم بمطلق رئاستهم فلم يحتسبوا انفسهم خارجين عن الكنيسة الرومانيَّة وانَّما يدَّعون بان بُعد بلادهم وصعوبة التوصل الى رومية كانت حاجزًا بينهم وبيننا ولا علم لهم بان الكنيسة الرومانيَّة قد نبذتهم من حضنها فانهم كانوا يجهلون حقيقة ما جرى في المجمع الافسوسي جهلًا فظيعاً. ولا غرو فان استنادهم في هذا الحادث على رسالة ايهيبا الرهاوي المتحزب لنسطور الى ماري الفارسي الشهيرة المملوءة زورًا وبهتانًا على كيرلس الاسكندري هي التي اوقعتهم في هذا الوهم المبين. فكانوا يتوهمون ان كيرلس وحدهُ هو سبب حرم نسطور ظلمًا وحسدًا ولهذا انحصرت بغضتهم فيهِ وفي اصحاب الطبيعة الواحدة ولا ذكر لشلستينوس البابا عندهم وفاتهم ان كيرلس انَّما ترأس في المجمع الافسوسي وكالةً عن هذا البابا. وزد على ذلك انهم ليس فقط لم يخاصموا احدًا من الاحبار الرومانيين في هذه الوقائع بل كانوا يتوهَّمون ان القديس لاون البابا انتصر لنسطور والغى المجمع الافسوسي وحرم كيرلس في المجمع الخلقيدوني عند ما حدَّد الطبيعتين في السيد المسيح. قال باباي السابق الذكر في كتابهِ على اللاهوت والناسوت الميمر الثالث الفصل التاسع: « وديوسقوروس ايضاً الحيَّة المسمَّة ابن اخت كيرلس الافعى المتخلّف في كرسيهِ وكفره فهؤلاء قد اوقع بهم

الآباء وشذبوهم مع من ارتأى رأيهم وذلك بواسطة خليفة بطرس العظيم لاون العجيب »

وهذا الذي حمل البطريرك ايليا السابع اذ كان بعد نسطوريًّا ان يوعز الى ارشدياقونه آدم بان يؤلف كتابًا يثبت فيه بانهم لا يختلفون عن الكنيسة الرومانيّة الّا في الطقوس والعرضيّات. وأرسل آدم الى رومية لكي يقدّم كتابه الى الحبر الاعظم ويناضل عن قضيته هذه. فكتب بولس الخامس الى هذا البطريرك يقول لهُ: « انّهُ لمن عمل الرحمة الالهيَّة بانهُ بينما كان سلفاؤك وملافنة طائفتك جميعًا قد ظنوا انّهم كانوا دائمًا في الايمان المستقيم ولم يختلفوا عن الكنيسة الرومانيّة الّا في نوع التعبير كما تقول فانت اوّل من بدأ يشكّ بذلك وطلبتَ الحقّ ولم تركن الى اجوبة ذويك بل اردت ان تستشير هذا الكرسي المقدَّس بتقوى وحكمة وقد قبلنا بكل ترحاب الارشدياقون آدم الذي بعثتَ بهِ الينا وسمعنا قرار ايمانه وتعجّبنا كيف توهّم انهُ يقدر ان يوافق اعتقادات هكذا متضاربة. الّا انهُ غيّر رأيه وقد ظهر لنا واضحًا من الكتاب الذي وضعهُ بامرك لبيان اتفاق المعتقدين وجلبهُ الينا ومن مجادلاته الطويلة مع اشخاص افاضل بالتقوى والعلم عينّاهم لهُ بانهُ لا علم لهُ بالمجامع المقدّسة وهو ايضًا بعد ان ثبت لهُ الامر اقرّ بخلوّ العرض بان نسطور حُرم من الآباء في المجمع الافسوسي (وجه ١٢٣)

فالى هذا الحدّ من الجهل والتناقض يصل كل من حاد عن كنيسة المسيح محجّة الحق وامثال ذلك كثيرة في الكنائس المنفصلة عن الكنيسة الرومانيّة (١

ومكث النساطرة على هذه الحال حتى دخل بينهم المرسلون الرومانيون ورفعوا برقع الوهم عن عيونهم وانذروهم بحقيقة الامور فكنت تراهم كمن افاق من سبات طويل يوجهون الحاظهم الى مركز الكثلكة واحبارها طالبين منهم بتلهّف الانضمام الى شركة

---

١) ان ما قلناهُ عن النساطرة القدماء لا يصح في نساطرة ايّامنا من بعد دخول البروتستانت عندهم لا لانهم تدروا ان يجذبوهم الى اضاليلهم فانهم قد اختبروا ان ذلك ضربٌ من المحال لما بين المذهبين من البُعد الشاسع وان بذلوا لترويج غايتهم المصاريف الباهظة لكن لانهم افسدوا ضمائرهم وحمّلوهم البغضة للكنيسة الرومانية واحبارها كما هي شيمهم وحسبهم ان يصدوهم عن الانضواء تحت راية رومية

كنيسة المسيح معترفين برئاسة الاحبار الرومانيين عليهم وعلى سائر الكنائس وملقبينهم باشرف واسمى الالقاب. قال ربان آرام في رسالته الموجهة الى انوشنسيوس الرابع سنة ١٢٤٧ نيابةً عن البطريرك سبريشوع الخامس: « الى ابي الآباء زينة الرعاة المتولّي كرسي الطوباوي بطرس سيدي الكلي القداسة بابا رومية وجميع اقاليم العالم (ص ١) وكتب يابالاها الثالث سنة ١٣٠٤: « الى الاب المتعالي بالقداسة نائب سيدنا يسوع المسيح على الامة المسيحية كلّها الجالس على كرسي الطوباوي بطرس الرسول راعينا ابي الآباء البابا بندكتوس الحادي عشر... انّنا نقرّ بان الحبر الروماني هو الاب العام على جميع مؤمني المسيح وهو خليفة الطوباوي بطرس النائب العام ليسوع المسيح على جميع ابناء الكنيسة شرقًا وغربًا ومحبته راسخة في قلوبنا (ص ٨) » — وفي رسالة سنهادوسيّة موقعة باسم البطريرك شمعون دنحا ومطارينه الاثني عشر في سنة ١٥٨٠ الى البابا غريغوريوس الثالث عشر يقولون: « انت في الابوّة بمثابة الجنس الاعلى الذي لا جنس فوقهُ ومنهُ تشتقُّ انواع الرئاسات كلها في الكنيسة فانت ابو الآباء وعظيم الرعاة وشمس الكنائسيين ونور المسيحية » (ص ٨٨). وكتب شمعون الخامس البطريرك النسطوري الى اقليميس العاشر ١٦٧٠: « الى ابي الآباء وسيد الرعاة بطرس زماننا وبولس عصرنا تاج الرسولية وشمس التعليم الطاهر السرافيم المجسم والملاك المتجسد اللابس ايفود رئاسة كهنوت يسوع ومالك ومدبّر كرسي المسيحيّة الارثذكسيّة... فلمّا رأى سيّدهُ صدقهُ جعلهُ خليفةً ومدبّرًا ورئيسًا واجلسهُ على الكرسي البطرسي المجيد وهو راس جميع الآباء نيابةً عنهُ (ص ٢٠١) »

هذا ولو اردنا ان نورد كل ما بين يدينا من الشواهد لطال بنا الشرح فنختم مستلفتين ألحاظ ذوي الالباب الى هذا الحادث الغريب وما ينجم عنهُ من البرهان الساطع على قدميّة اعتقاد الكنيسة المسيحيّة برئاسة الاحبار الرومانيين خلاف ما يذهب اليهِ اولو الاغراض الذين يزعمون انّ اساقفة رومية ادّعوا لنفوسهم هذه السلطة زورًا ارشد الله كل الضالّين وهداهم الى سواء السبيل. امين

الآثار الشرقية في مكاتب باريس

للاب انطون ربَّاط اليسوعي

ذكرنا في المشرق (١٥ ك ٢ سنة ١٩٠٣ ص ٩١) رسالة البطريرك مكاريوس وهذا نصُّها (نقلًا عن البشير)

المجد لله دائمًا

الى جناب الموقف العالي والملك الهادي الفائق في الديانة المسيحية لودوايكو ملك الرابع عشر لفاليون لعزَّة ملكك يعطي الرب الغلبة

الداعي برحمة الله تعالى ماكاريوس البطريرك الانطاكي وسائر المشرق يطلب لعزة ملككم من الله الخلاص ونعمة لسيادتكم وسلامة من الاله الاب الضابط الكل ومن مخلصنا يسوع المسيح ونعمة روح قدسه الذي اسداها على تلاميذه الرسل القديسين في علية صهيون ذات الوقار فانارهم بحلولهِ وحكَّمهم واضاء جميع عقول المؤمنين وفهمهم . ذلك السلام الالهي وتلك البركة بعينها اللتان سُلمتا الينا نحن خلفاءهم الغير مستحقين بكونا حاللين ومترادفين على عظمة ملككم المحب للمسيح الفائق الوصف الذي من الله تساما علوه ولا زال مجدكم مكللًا بتيجان التأييد والنصر . متوجًا باكاليل الظفر والغلبة والقهر ولا برح النصر مقيمًا مقام خيامهِ . سايرًا تحت مسير اعلامهِ . ماضيًا بمضي احكامهِ . دارًا عليهِ كدرور احسانه على الخلق وانعامه . وخلَّد الله اقتدار مقره تخليدًا يبلى الزمان وهو جديد . وتنقص الايام وهو في المزيد . ويمنحهُ الرب يسوع المسيح طول العمر والبقاء بدوام العزّ والسمو والارتقا . كما منح ملوك المسيحيين السالفين الذين حظيوا بسعادة الدارين والحالين . ونالوا المواعيد الصادقة بغير شك ولا مين بشفاعة سيدتنا العذرى الطاهرة الدايمة البتولية مرتمريم والقديس المعظم مار بطرس الرسول وجميع الرسل والشهدا والانبيا والقديسين الذين ارضوا الله باعمالهم الصالحة امين •

اما بعد فالذي نطالع بهِ المقر الشريف والمقام العالي المنيف بان ما قصد الحقير دايمًا الّا دوام الصحة والنعمة والعافية للجناب العزيز وان تلتذ مسامعنا باخبار عزكم السايرة ومناقبكم الحميدة الفاخرة . ولكثرة سماعنا وتحقيقنا بغيرتكم للامانة البهية ولابنائها المسيحيين الكاثوليكيين يا اعظم ملوك المسيحيين يا اصيل في حسن العبادة والديانة كمثل المغبوط قسطنطين لاجل ذلك ارسلنا لعزة ملككم سابقًا اصطاتيكون بركة ودعا . ونخبركم عن احوال المسيحيين اخوتكم الذين في هذه البلاد وما هم بهِ من عظم الضيقات زيادة عن قديم الزمان حتى ان الامر اضطرَّ جميم الى بيع اولادهم للامم لكثرة فقرهم وفاقتهم وعدم ما بيدهم ... وهم صابرين على هذا كلهِ بشكر ونحن دايمًا لا نفتر

من التعزية لهم. واذكارهم بامتحانات الشهداء القديسين. في سالف الزمان والحين. ولما كان محب لواء ملككم وداعيكم. القنصل «بيكات» عندنا كثير نفعهم واجرى احسانهُ ورحمتهُ عليهم واسعفهم وانقذهم بما وصلت اليهِ يده وطاقته وكل ذلك بحسن نيّة جنابكم وسر برتكم اذ كنّا نحن من هذا الجنس الاصيل في حسن العبادة اعني سلالتكم الطاهرة نومل الفرج وانقاذنا من اليسر (كذا) الذي نحن بهِ وكل ذلك صائر علينا من عظم خطايانا كما يوضح ذلك من التواريخ المحررة عن المرحومين اجدادكم الملوك السالفين. . . وكيف اسعفونا في ضيقاتنا ونحن يا سيدنا لا نقصر عن خلاصهم واستنقاذهم بالمال بحسب قوتنا وطاقتنا وما تصل اليهِ يدنا واذ ليس عندنا ما يقوم بذلك اذ كنّا فقراء وضعيفي الحال نستدين ذلك من التجار غصب عنّا ولاجل ذلك كل آلات الكنايس الطاهرة واوانيها مرهونة عندهم وعلينا من الاموال بالفوايد وكل يوم تربو وما يعلم بها غير الباري سبحانهُ وتعالى وهذا محب لواء ملككم وداعيكم القنصل «فرنسيسكو بارون» ما قصر ايضاً باسعافنا جميعاً بحسب مقدرته وطاقته وما وصلت اليهِ يده وهو واصل الى حضرة سلطتكم ويخبر عظمتكم بالفم شفاهاً عن احوالنا وضيقتنا واحدة فواحدة اذ كنّا نشكر منهُ كثيرًا جدًّا ولئلّا نطيل الخطاب ونسهب في القول على عظمة مملكتكم نرجو اذًا الفرج والاسعاف من الله ومنكم اذ كان ليس تدبير المسيحيين الذين هم تحت يدكم يفيدكم نفعاً فقط بل نحن المساكين يجب عليكم تعاهدنا واسعافنا على حسب ما يلهمكم ايّاهُ ربّنا سبحانهُ وتعالى هذا رجانا وطلبتنا من ملككم المحروس ونختم كلامنا بالشكر لالهنا الصالح ونسالهُ بان يتمم سعيكم بالصالحات والصدقات والخيرات وان تجيزوا عمركم السعيد بكافة الهدو والسلامة مطمانين انتم وساير من يلوذ بجنابكم الكريم وبلاطكم العظيم وان يخضع الهنا لكم اعداكم...ويايدكم بملايكته القديسين ويحرسكم بعساكره النورانيين...ويقوي ذراعكم ويايد ملككم ويوطّد مقاليد سلطنتكم وبعد اطول الاعمار واسعد العيش واهناهُ يجعل لكم الحضوة في ملكوته السماويّة مع الاباء والانبياء والشهداء وجميع القديسين امين

لا زلتم سالمين وعونًا للخلق اجمعين نعمة ربّنا يسوع المسيح معكم امين امين امين

تحريرًا في اليوم الخامس عشر من شهر شباط سنة ١٦٦٣ مسيحية

بحلب المحروسة

اما توقيع الرسالة فباليونانيّة غير انهُ مكتوب بحروف ممتنعة القراءة تملأ سطرًا برمّتهِ — وسنعود الى ذكر القنصلين «بيكات» و «بارون»

الطوائف الشرقية وهرطقة الكلوينيين

في القرن السابع عشر

في منتصف القرن السابع عشر جرى بين بعض الكاثوليك وبين قوم من اشياع بدعة كلوين جدال مشهور كانت لهُ رنّة عظيمة في قلوب المعاصرين بسبب ما نشرهُ الطرفان المتجادلان وقتئذٍ من المؤلفات في سبيل الاعتراض والردّ الى ان ختم الجدال في اواخر القرن المذكور بخجل المراطقة وفوز الحقّ

وكان مدار البحث نكران المبتدعين للاسرار المقدّسة ولسلطة الكنيسة ولرئاستها ولغيرها من العقائد الكاثوليكيّة ولم يلبث الخلاف حتى انحصر في حقيقة وجود المخلص في سرّ القربان المقدّس واستحالة الخبز والخمر الى جسد ودم سيدنا يسوع المسيح. فدار الجدال مدّةً في آيات الكتاب المقدّس المؤيدة لحقيقة هذا السرّ ولمّا أُفحم اصحابُ الاصلاح الموهوم وقصّروا عن الجواب عاودوا الكرّة ومع نكرانهم للتقليد الكنائسي ارادوا اتخاذه حجة لهم على الكاثوليك مدّعين انّ هذه العقيدة جديدة في الكنيسة اخترعها الرومانيون منذ سنين معدودة. غير انّهم اختلفوا في تعيين الوقت فذهب قوم ان اختراعها كان في القرن السابع وآخرون في التاسع وقال غيرهم انّها لم تُعرف قبل القرن الثالث عشر او الرابع عشر. وقد اتّصلت بهم الجرأة حتى انكروا وجود هذه العقيدة في ليتورجيات الكنائس الشرقيّة وكتب ملافنتها العظام فزعموا ان الشرقيين في ايّامهم ينكرون وجود المسيح وجودًا حقيقيًا في سرّ الافخارستيًا ويرذلون استحالة جوهر الخبز والخمر الى جسد ودم يسوع المسيح. ومن ينظر في هذا الزعم يأخذهُ العجبُ من قحة المبتدعين اذ لا شيء في كتب آباء الكنيسة وتاريخ القرون المسيحيّة شرقًا وغربًا اثبتُ من هذا الاعتقاد فهو قطب الخِدَم الكنسيّة ومحور الليتورجيّات كافة. ومن ثم سهل على الكاثوليك تفنيد هذا الادعاء الفاسد فتتبعوا كتّاب الغرب والشرق جيلًا بعد جيل وبيّنوا بالنصوص العديدة انهم اجمعين يعترفون بوجود المسيح تحت الأعراض السريّة ويقرّون بهذه العقيدة جهرًا مصرحين بشهادة ايمانهم بما لا يدع لانكار المنكرين سبيلًا اللهمّ ان لم يتعاموا عمدًا فينكروا النور في رائعة النهار

ولمّا كان اصحاب الاصلاح قد ادّعوا على ما تقدّم الكلام ان الكنائس الشرقيّة لا تسلم بهذه العقيدة بل ترفضها بتاتًا سعى الكاثوليك بواسطة المرسلين في تحصيل شهادات رسمية من بطاركة الطوائف الشرقية واساقفتها في حقيقة معتقدها فجاءت الشهادات من كل الانحاء ناطقةً باشتراك الشرق المسيحيّ في معتقده مع الكنيسة الرومانية وتفنيد اقوال المبتدعين ورذلها وحرمها واقامة الحجة على من ادّعى على الشرقيين كذبًا بموافقتهم على المبادئ الكفريّة التي عزاها اليهم ذوو الاصلاح. ولمّا كانت عدّة من هذه الحجج صادرة عن قوم ليسوا بكاثوليك ولا يخضعون لرئاسة الحبر الاعظم نائب المسيح على الارض كان لاتفاقها مع عقيدة الكاثوليك قوة وقدر عظيم فأفحم

ثانيةً المبتدعون ولم يُجِبْ زعيمهم « كلود » جواباً يُذكر

وقد طبعت هذه الشهادات منقولةً الى اللغة اللاتينيّة او الافرنسيّة مع تاريخ الابحاث في الكتاب المسمى دوام ايمان الكنيسة الكاثوليكيّة في سرّ الافخارستيا في اربعة مجلدات ضخمة تحتوي على ستة آلاف عمود او ٣٠٠٠ صفحة بعمودين وقد نقلنا في مكتبة باريس العموميــة (سلسلة الكتب العربية نمره ٢٢٥ — ٢٢٧) شهادتين لبطريرك الاقباط متاووس تاريخ الاولى ٥ شهر مسري والثانيــة ١٨ هوتور سنة ١٣٨٨ للشهداء الاطهار (سنة ١٦٧١ للميلاد) وهذا نصهما بالحرف الواحد ننشره بالطبع لاول مرة :

ПJ

ƐH بسم الله الرووف الرحيم

KJ ❖ المجد لله دائماً ابداً

ⲘⲀⲦ

ΘЄ الخلاص للرب يا الله الخلاص (٢

OC ١)

سلام سيدنا يسوع المسيح ونعمة روحه الحي التي حلت على تلاميــذه الاطهار ورسله القديسين الابرار بعلية صهيون المقدسة ذات الوقار ذلك السلام الالهي وتلك البركة نفسها يكونان حالين على الدوام على الاخوة المباركين المجلين المسيحيين بارك الله عليهم اجمعين بالبركات السمايية امين

نعلمهم بعد تجديد البركات عليهم واهدى السلام الروحاني لديهم هو ان بلغنا ان العدوَ بيتكم(٣ بينكم بسببنا من اجل الايمان ونحن قد ارسلنا لكم مسطور في خصوص ذلك ونكتب لكم هذه المراسلـه ايضاً مني انا الحقير متاووس عبد يسوع المسيح بنعمه الله الغير مدروكه الغير مستحق ان ادعى بطريركاً على مدينة العظمى الاسكندريَّة وما معها وبلاد القبط بمصر وبلاد الحبشة والنوبه وافريقية ونيقيه ه

كتبت ذلك الى ذاتَ محبة لكلمن اطلع في هذا المكتوب وقراه وقد عرفنا ان

١) معناه الحقير متاووس ٢) الاحرف في الاصل مشتبكة في بعضها

٣) كذا في الاصل ولعلَّ الصواب يتكلّم

الاراتقة من اهل الافرنج فهم بالعند يضاددون خصوصاً السرّ العظيم جسد المسيح الذي هو القربان المقدس وينكروا حقيقته قايلين ان يسوع المسيح ما هو موجود فيه بذاته بل بصورته فقط ويقولون ايضاً عنا نحن ما نومن بذلك السر المقدس اعنى لم نومن استحال من الجوهر الخبز والخمر الى جوهر جسد ودم المسيح ولا حضرته على المذبح المقدس في القربان بالحقيقة بعد التقديس ويقولوا ايضاً ان القربان المقدس ما هو جسد حقيقي ليسوع المسيح بالخبز مسمى جسداً للمسيح لاجل قوة روح القدس الموجود فيه وان القربان الذي نسمى جسد المسيح يقولون ما هو جسـده بنفسه الذي في السماء ويقولون ان المسيح فهو في السما السماء (كذا) فقط ولا على الارض بذاته وان الشي الذي ننظره ما هو جسد حقيقي بل خبز فقط وهكذى يقولون عنا ان ما نسجد لجسد يسوع المسيح في القربان بالعباده المخصوصه لله ويقولون ايضاً ان الخطاة الذين يتناولون القربان لم يتناولون جسد المسيح. بهذا القول الذي سمعناه قد طلبنا الغفران من الله لاجلهم فلاكن نشير عليهم بهذا الشور لم يتكلمون علينـا بهذا الكلام الغير لايق فان ليس لهُ صحه بل كذب وباطل ولم ينظرون القشة الصغيرة في عيننا والخشبة الكبيرة في اعينهم فلذلك لنشيل الشك عن القلوب نبين لهم الان اعتقادنا فنقول لهم وقدام جميع الناس ان طايفة القبط اليعاقبه تقبل وتعتقد بهذا الايمان الحقيقي جسد يسوع المسيح بذاته الذي صعد الى السما وهو جالس عن يمين الاب في العـلا ذلك الجسد هو بذاته وبنفسه وبجوهره في القربان المقدس وهو غير منظور لاجل حضرة جسده بنفسه على المذبح المقدس لهُ بالعباده المخصوصة لله كمثل ما يومنوا طايفة اللطينيين ونحن معهم في هذا الشي المخصوص ومفترقين معهم في شي اخر. ويكذبون علينا تلك الاراتقة قايلين ان بعد التقديس ما نعبده ولا نسجد لهُ ٥

نعتقد ونقول ان الشريرين والصالحين يتناولوا جسد المسيح بفمهم الاوليون لهلاكهم والاخرين لخلاصهم نقول ونومن ان الخبز والخمر استحال حقيقياً الى جوهر جسد يسوع المسيح والى جوهر دمه الكريم حتى بعـد التقديس جوهر الخبز وجوهر الخمر لم يبقوَ وان ذلك السر المقدس يعطى للمرضي ليموتون في نعمة الله ليكون ذخيرتهم في ملكوت السموات. نقول انما هو شي غير معقول ان نصدق ان جسـداً واحداً من الاجساد يكون في كثير من اماكن في فرد ساعه لان الذي خلق الدنيا بكلمة واحدة

فهو قادر ليفعل هذه الاعجوبة يفعل جسده بكلمة قايلا بفم الكاهن هذا هو جسدي واعطى جسده لتلاميذه في عمواس وهو كان في غير اماكن. وكما ان اللهوت كان متخبي في بطن العدرى مرتمريم هكدا يكون تحت عوارض الخبز والخمر مساوي لان كان واجب ذلك ليجرب الله امانتنا وحتى لم نكره اذا الزمنـا يسوع المسيح على الاكل بجسده ني كان صعب علينا . نومن ونعتقد ايضاً ان هـذا الايمان الذي هو امر يسوع المسيح ربّنا الى اليوم بتسليم ابائنـا الرسل الحواريون الاطهار والابهات القديسين الاطهار هو ذلك الايمان الذي نحفظه الى الموت . فحرمنا كلمن خالف الامانة الرسولية قايلا عن ذلك الاعتقاد المذكور اعلاه في القربان المقدس وخالف المستحال بجوهر الخبز الى جوهر جسد المسيح وهذا اثبتناه لكلمن قري هذا المسطور وكلمن ضادده وقال اننا ما نقبـل استحال جوهر الخبز والخمر الى جوهر جسد سيدنا يسوع المسيح ودمه الكريم فانهم يتكلمون بالباطل ومعاندون للحق من جهة هذا السر المقدس لاننا ماسكين على هدا مع اللطينيين من هذه الجهـة وقد اوضحناه وعلمناه وختمناه فيصير ذلك على علمكم فتقبلوه بالمحبة المسيحية انهي ذلك والحقير يسال من صاحب كنوز الرحمه ان ينور عقولكم ويهديكم الى جميع ما يرضيه من الخيرات السماوية وتكونوا بنين للبيعة الارتدكسية الذي شاع ذكرها الى اقاصي المسكونة بصلوات الست السيدة العدرى مرتمريم الطاهره الزكيه والملايكه وروسا الملايكه وجميع الشهدا والقديسين وكل من ارضوا الرب باعمالهم الصـالحة من الان وكل اوان والى دهر الداهرين امين امين

في خامس شهر مسري سنة ١٣٨٨ (١ قبطية للشهداء الاطهار

(الختم) ⲒⲎⲤ ⲠⲬⲤ (٢

ⲠϢⲎⲢⲒ

ⲘⲪϮ

١) بالحرف القبطي

٢) معناه يسوع المسيح ابن الله — ثم على ظهر الرقيم تسجيل افرنسي تاريخه ٣٠ آب ١٦٧٢ وقّعهُ قنصل فرنسـة في مصر امبروسيوس دي تيجه (Ambroise de Tiger) والاب بليز من

ⲡⲓ

ⲡⲏ بسم الله الرووف الرحيم

✤ ⲕⲓ المجد لله دائمًا ابدًا

ⲙⲁⲧ

ⲑⲉ الخلاص للرب يا الله الخلاص

ⲟⲥ

سلام سيدنا يسوع المسيح ونعمة روحه الحي القدوس الذي حلت على تلاميذه الاطهار ورسله القديسين الابرار بعلية صهيون المقدسة ذات الوقار ذلك السلام الالهي وتلك البركة نفسهــا يكونان حاللين على الدوام على الاخوة المباركين الارتدكسيين والاراخنة المبجلين المسيحيين بارك الله عليهم اجمعين بالبركات السمايية

نعلمهم بعد تجديد البركات عليهم واهدى السلام الروحاني لديهم هو ان سمعنا وبلغنا ان العدو يتكم(١ بيناتكم في اقوال واختلافات بسببنا في اننا لم نتبع الشريعة المسيحية الواجبة والقوانين الابسطليه الرسولية والامانة الارتدكسية لكن هــذا جرى لكي يزرع بينكم قلة المحبة والامانة فلا تمكنوا ذلك العدو في الاقايل ونحن نزيل الشك من بينكم وكتبنا لكم هذه المراسلة مني انا الحقير متاووس عبد يسوع المسيح بنعمة الله الغير مدروكة الغير مستحق ان ادعى بطريركًا على مدينة العظمى الاسكندريَّة وما معها وبلاد القبط بمصر وبلاد الحبشة والنوبة وافريقية ونيقية وكتبت ذلك الى ذات محبة لكلمن اطلع في هــذا المكتوب المبارك في امانة القبط الارتدكسية وقد اتضح للحقير انكم تريدوا بنعمة الله تعالى ان تكونوا وايانا بالمحبة الصادقة والالفة الروحانية الموافقة في الامانة الارتدكسية بكلمة الله المتانسة واحدًا ورفع المقاومة من كل ضدًا (كذا) نبتدي اول ذلك

بسم الاب والابن والروح القدس الاله الواحد لهُ المجد الى اخر الدهور امين

انجه رئيس الرسالة الكبوشية والاب دانيال دارزو رئيس الرسالة الفرنسيسكانية و١١ من التجار المقيمين في القاهرة

ويليه تسجيل ثاني لسفير فرنسة في الاستانة اوليه دي نوانتيل (Olier de Nointel) بتاريخ شهر ايلول ١٦٧٣

١) راجع الحاشية الثالثة (ص ٥٠٤)

بالحقيقة نومن باله واحد الاب ضـابط الكل خالق السما والارض ما يرى وما لا يرى ونومن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الاب قبل كل الدهور نور من نور اله حق من اله حق مولود غير مخـلوق مساوي الاب في الجوهر الذي نحن البشر من اجلنا ومن اجل خلاصنا نزل من السما وتجسد من روح القدس ومن مريم العذرى وتانس وصلب عنا على عهـد بيلاطوس البنطي وتالم وقبر وقام في اليوم الثالث وصعد الى السماوات وجلس عن يمين الاب في العلا وسياتي ايضاً في مجده ليدين الاحيا والاموات الذي ليس لملكهِ انقضى ونومن بروح القدس الرب المحيي المنبثق من الاب نسجد لهُ ونمجده مع الاب والابن الناطق في الانبيا بكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة خطايانا وننتظر قيامـة الاموات وبشركة القديسين والحياة الابدية امين

نقبل هذه الامانة الارتدكسية المقدسة التي وضعوها الثلثماية وثمانية عشر المجتمعين بمدينة نيقية ونومن ونعترف ان سيدنا يسوع المسيح الاله المتجسـد طبيعة واحدة (١ مشية واحدة لا يفترق الناسوت من اللهوت ساعة واحدة ولا رمشة عين لهُ المجد الى الابد ونعترف ونومن بجسده الطاهر الذي جعلهُ لنا عهداً جديداً يوم الفصح المقدس لما قال لتلاميذه خذوا هذا هو جسدي وهذا هو دمي العهد الجديد الذي تغفر بهِ خطاياكم وهو القربان المقدس المسيح نفسه بلاهوته وناسوته لهُ المجد ونعترف ونومن بالست السيدة العذرى البتول القديسة مرتمريم والدة الله الشفيعة في خلاص نفوسنا ونعترف بالكهنوت الذي اعطاه لخليفته راس الرسل ماري بطرس (٢ الرسول قايلا ما ربطتموه على الارض يكون مربوطاً في السماوات وما حللتموه على الارض يكون محلولًا في السماوات ونقبل ايضاً السبعة اسرار المقدسة الذي للكنيسة الارتدكسية وهو المعمودية المقدسـة والميرون المقدس دهن المسحة والاعتراف عند الكهنة مثلما قال ماري يعقوب في رسالته

١) « سيدنا المسيح الاله المتجسد طبيعة واحدة » ان كان المسيح الهاً متجسداً اي الهاً وانساناً او ان شئتَ المالك الطبيعة الالهية لانهُ « اله حق » والطبيعة البشرية « لانه انسان حق » فكيف يقال انهُ طبيعة واحدة. ومن هذا يظهر جلياً ان اصحاب الطبيعـة الواحدة يخلطون بين الاقنوم والطبيعة فالمسيح هو الاقنوم الثاني من الثالوث الاقدس اقنوم واحد لا تختلط فيهِ الطبيعة الالهية بالبشرية لكنهما تلبثان مجتمعتين غير مفترقتين في وحدة الاقنوم الالهي

٢) يُقرّ اذاً البطريرك بماري بطرس راس الرسل وبالسلطة التي خولها المسيح خليفته

وليعترف بعضكم على بعض وبغير اعتراف لا يكون غفران بالندامة الكاملة على يد الكاهن (كذا) والسرّ العظيم الذي هو القربان الحيي الذي قال عنهُ سيدنا يسوع المسيح نفسه انا هو الخبز الحيي الذي نزل من السما من ياكل منهُ يحيي الى الابد يثبت في وانا اثبت فيهِ هذا الخبز الحيي نعترف ونومن انهُ هو المسيح نفسه بلاهوته وناسوته معاً وهو خلاص لكل الخليقة ولمن يعترف بهِ وامراره المقدسة وباقي السبعة اسرار المقدسة هما درجة الكهنوت المقدم ذكرها والزيجة الناموسية حكم الشريعة المسيحية وزيت المرضى اعني زيت القنديل ودرجات الكهنوت المقبولة في الكنيسة المقدسة وهي اثنى عشر رتبة وهم القيا والرهبان والعلمانيين والمرتلين والانغنسطس والابودياقن والشمامسة والكهنة اعني القسوس والقامصة والاساقفة والمطارنة والبطاركة وهذه رتبهم ونعترف ونومن اذا متنا وانتقلنا من هذا العالم وعلينا ذنوب بالمطهر نخلص والقداسات والصلوات قبل الموت وبعد الموت والترحيم على الاموات في كل حين وايضاً نكرم الايقونات المقدسات المرشومات بالميرون المقدس لاجل الذين مرشومين على اسمهم لكي يشفعوا فينا تلك الذي الصورات على اسمهم وهذه اختصار في الشرح في الامانة وقد اوضحناها لمن يطلع عليها ويقبل ما فيها بالمحبة الروحانية ويطيع الاوامر الانجيلية والابسطلية والكتب المقدسة الالهية المقبولة في الكنيسة الارتدكسية والحقير يسأل من صاحب كنوز الرحمة ان ينور عقولكم ويهديكم الى جميع ما ما يرضيه من الخيرات السمايية وتكونوا بنين للبيعة المقدسة الذي شاع ذكرها الى اقاصي المسكونة ببركات الست السيدة العدرى مرتمريم الطاهره الزكية والملايكة وروسا الملايكة وجميع الشهدا والقديسين وجميع من ارضوا الرب باعمالهم الصالحة من الان وكل اوان والى دهر الداهرين امين

في تامن عشر شهر هاتور سنة ١٣٨٨ قبطية للشهدا الاطهار

(الختم) ١) ⲒⲎⲤ ⲠⲬ̅Ⲥ̅

(لها تتمة) ⲠϢⲎⲢⲒ

ⲘⲪϮ

١) على ظهر الرقيم تسجيل للقنصل دي نيهجه تاريخه ١٠ كانون ثاني ١٦٧٢ مع توقيع كثيرين من التجار وتسجيل للسفير دي نوانتيل تاريخه اول تموز ١٦٧٢ في الاستانة

أَلمُتَلَمِّسُ

تَرْجَمَتُهُ وشِعرُهُ

عُني بنشرهِ وتعليق حواشيهِ الاب لويس شيخو اليسوعيّ

لاحق بسابق (راجع المشرق ٦: ٢٨)

قال المتلمس

٢ وهذه الابيات هي القصيدة الثانية من قصائد ديوان متلمّس. امَّا الداعي لانشادها فقد مرَّت الاشارة اليهِ في ترجمة حياتهِ. وذلك انهُ لمَّا خرج مع طرفة الى البحرين وعرف ما تتضمَّنهُ صحيفتهُ من الشرور نجا وهرب بنفسهِ الى الشام ملتجئًا الى ملوك غسّان. قال صاحب الاغاني (٢: ١٩٨) وغيرهُ: وقال ابو عبيدة لمَّا بلغ عمرو بن هند (وفي الاغاني النعمان بن المنذر) لحوقَ المتلمس بالشأم وكانت غسَّان قتلت اباهُ يوم عين أُباغ شقَّ عليهِ لحوقهُ بغسَّان وحلف ان لا يدخل العراق ولا يطعم منهُ حبَّة ولئن وجدتُهُ لأقتلنَّهُ. فقال المتلمس هذه القصيدة يهجو عمرًا وهي من القصائد المختارة جعلها صاحب جمهرة اشعار العرب في جملة المنتقيات

كَمْ دُونَ أَسْمَاءَ مِنْ مُسْتَعْمَلٍ قَذَفٍ وَمِنْ فَلَاةٍ بِهَا تُسْتَوْدَعُ العِيسُ

يروى البيت مع البيتين التاليين في ديوان المتلمّس في آخر القصيدة. ونظنُّ ان الاصحّ ان تروى في اوّلهِ كما وردت في جمهرة اشعار العرب. (الروايات) جاء في الجمهرة (ص ١١٣): كم دون ميَّة. وقال ميَّة اسم امرأة. وروى ياقوت في معجم البلدان (٤: ٦٦٩): كم دون مرية. وقال في الاغاني (٢١: ٢٠٠): ويروى: من دويَّة. وروى هبة الله العلوي (ص ٣٨): من داويَّة. (الغريب) أَسماء علَم لامرأة. المُسْتعمَل الطريق الموطأ المَدُوس. قال في نسخة الاستانة: المستعمل الطريق المسلوك فسلوكهُ استعمالهُ. والقَذَف والقُذُف البعيد وقيل الطريق التي تتقاذف بمن يسلكها. والعيس كرام الابل بيضها. (المعنى) قال صاحب الاغاني (٢١: ٢٠٠) يقول: انَّ العيس لبعد هذا الطريق (الذي يفصلهم عن اسماء) تسقط فيهِ فيتركونها

وَمِنْ ذُرَى عَلَمٍ نَاءٍ مَسَافَتُهُ كَأَنَّهُ فِي حَبَابِ المَاءِ مَغْمُوسُ

(الروايات) جاء في الديوان: نأتي مسافتهُ. ولعلَّهُ تصحيف. وروى في الجمهرة (ص١١٢): طام مناهلُهُ. قال طام اي غامر. وفي مختارات شعراء العرب: مسافتَهُ بالنصب. وحبابُ الماء النفّاخات التي تعلوهُ ويقال هو معظمهُ. (المعنى) اي كم دوحًا من جبلٍ يُرى كانهُ مغموسٌ في الماء لما يتخايل لهم من السراب في البريَّة

جاوَزْتُهُ بِأَمُونٍ ذَاتِ مَعْجَمَةٍ تَنْجُو بِكَلْكَلِهَا وَٱلرَّأْسُ مَعْكُوسُ

(الروايات) يروى في احدى نسخ الديوان: جاورتُهُ. وفي تهذيب الالفاظ لابن السِّكّيت (ص ٥٢٥): قطعتهُ. وفي الاغاني (٢١: ٢٠٠). ترمي بكلكلها. وفي الجمهرة (ص ١١٣) ومختارات الشعراء (ص ٣٨): تهوي بِكَلْكَلِها. (الغريب) الأَمون الناقة القويّة الموثقة الخَلق يؤمن عثارها. والمَعْجَمة الصَّلابة. وذات المَعْجَمَة الصَّلبة. قال في الاغاني: مُعْجَمتُها مُخبرها من عجمتُ العود اذا عضضتَهُ لتنظر صلابتهُ. وقال في الجمهرة: المعجمة من الابل التي تربع وتُثني في سنة واحدة فتقتحم سنًّا على سنّ قبل وقتها. وتنجو تسرع. وكلكلها صدرها. والمعكوس المعطوف الذي جذبهُ الراكب اليهِ. قال في اللسان في المادَّة: العَكْس ان تعكس رأس البعير الى يدهِ بخطام تضيِّق بذلك عليهِ. (المعنى) يقول جاوزت هذه الفلاة وانا راكب ناقةً موثقة الخلق شديدة ترمي بصدرها مسرعةً مع كوني أعطف رأسها بالزمام لنشاطها

يَا آلَ بَكْرٍ أَلَا لِلّٰهِ أُمُّكُمُ طَالَ ٱلثَّوَاءُ وَثَوْبُ ٱلْعَجْزِ مَلْبُوسُ

(الانتقاد) هذا البيت في الديوان هو مطلع القصيدة. وكذلك ورد في الاغاني قبل الابيات السابقة. (الغريب) للهِ امكم تعجُّب. والثواء الاقامة يقال ثَوَى وأَثوى. (المعنى) يخاطب قومهُ من بني بكر فيقول اني لاعجب منكم كيف تقيمون على الظُّلم وترضون بثوب الذلّ

أَغْنَيْتُ شَأْنِي فَأَغْنُوا ٱلْيَوْمَ شَأْنَكُمُ
وَٱسْتَجْمِعُوا فِي مِرَاسِ ٱلْحَرْبِ أَوْ كِيسُوا

(الروايات) جاء في نسخة لندن: أَغنيتُ شأني. ورُوي الشطر الاوَّل: اغنيت شاتي فأغنوا اليوم شاتَكُمُ. ويروى: تَيْسَكُمُ. واخبر ابو حاتم السجستانيّ قال: قرأتُ هذه الايات على الاصمعيّ فصحّفت عليّ فقلتُ: اغنيتُ شاتي فاغنوا اليوم شاتَكُمُ. فقال الاصمعيّ: قُلْ: فأغنوا اليوم تَيْسَكُمُ. وروى في الجمهرة (ص ١١٤): وشمّروا في مراس الحرب. وفي الاغاني (٢١: ١٩٨): واستَحمقوا. وفي مختارات شعراء العرب: واستَحمقوا في ذكاء الحرب. وروى عن ابي عبدة: في نواء الحرب. قال النواء المناواة. ويروى في نسخ الديوان: لِبسوا. ونظنها غلطًا. (المعنى) اني تداركتُ امري فعليكم باصلاح شأنكم. وهذا ايضًا معنى الرواية « اغنيتُ شاتي فاغنوا اليوم تيسكمُ » جعل المتلمّس امرهُ مجازًا بمنزلة الشاة وامر قومهِ بمنزلة التيس. وقولهُ « استجمعوا الخ » اي اجتمعوا لمحاربة عدوّكم او كونوا اكياسًا ذوي راي وحزم. قال في الجمهرة (ص ١١٤): كِيسوا اي كونوا فطناء يقول امَّا بسيوفكم وامَّا برأيكم

إنَّ ٱلعِلَافَ وَمَنْ بِٱللَّوْذِ مِنْ حَضَنٍ لَمَّا رَأَوْا أَنَّهُ دِينٌ خَلَابِيسُ

(الروايات) روى في نسخة الاستانة: انَّ علافًا . . . من حصنٍ. ويروى: ومن بالطود من حضَن. وفي الاغاني (٢١ : ١٩٨): وإنْ علافًا وم باللّوْذ. ورواية الجمهرة (ص ١١٤)

انَّ عقالًا ومن بالجوّ من حضنٍ لمّا رأوا آيةً تأتي حلابيسُ

(قال) الآية العلامة. والحلبس الشجاع. (التاريخ والغريب) قال في الاغاني (٢١ : ١٩٨): علاف ريّان بن جرم بن مطوان. ولَوْذ الجبل ناحيتهُ. وحَضَن جبل باعلى نجد في حدوده. وفي المثل: أَنجد من رأى حضَنًا. والدين هنا الحال والشان. والخلابيس الاختلاط والفساد. قال صاحب الاغاني: امر خلابيس وهو الامر فيهِ اختلاط لا واحد لها. وقال ابن النحاس: امر خلابيس فيهِ عوَر واختلاط وفساد يقال امرٌ خلابيس اذا كان متفرّقًا. وجاء في مختارات شعراء العرب وفي نسخة الاستانة خلابيس اخلاط وغدر وفساد ليس بتامّ. وبرق خلابيس لا مطر فيهِ. وخلقٌ خلابيس اذا كان على غير استقامة على المكر والخديعة. (المعنى) في البيت التالي

شَدُّوا ٱلجِمَالَ بِأَكْوَارٍ عَلَى عَجَلٍ وَٱلظُّلْمُ يُنْكِرُهُ ٱلقَوْمُ ٱلمَكَايِيسُ

(الروايات) روى صاحب الاغاني (٢١ : ١٩٨) وصاحب مختارات شعراء العرب (ص ٣٦)

رَدُّوا عليهم جمالَ الحيّ فارتحلوا والضيمُ ينكرُهُ القومُ المكاييسُ

ويروى: فاحتملوا. وروى في الجمهرة (ص ١١٤) وفي شروح الديوان وشروح ديوان مختارات شعراء العرب: شدُّوا الجمال على بُزلٍ مخيَّسة. قال المخيَّسة المذلَّلة للركوب. والبُزل جمع بازل وهو الذي اتى عليهِ تسع سنين لانَّ نابَهُ بزل اللحم فخرجَ. يقال جمل بازل وناقة بازل. (الغريب) الاكوار جمع كُور وهي الرحال. وقال ابو عبيدة: الكور هو الرحل باداتهِ. والمكاييس جمع مِكياس وهو الذي لا يزال يجيءُ بالكَيْس اي بالفطنة والعقل والظرف. (معنى البيتين) ضرب الشاعر لقومهِ مثلًا ليحملهم على انكار الظلم ودفع الضيم فقال: كونوا كبني علاف الذين كانوا محتلّين جبل حضن بنجد فلمَّا اصابهم الأذى ورأوا سوء حالهم رحلوا عن مقامهم (وفي الاغاني انهم تحوَّلوا الى عمان) ثم قال الشاعر: كلُّ قوم ذوي فطنةٍ وعقلٍ يأبون الظلم ويفرُّون من الظالمين

كُونُوا كَسَامَةَ إذْ شُعْفٌ مَنَازِلُهُ ثُمَّ ٱسْتَمَرَّتْ بِهِ ٱلبُزْلُ ٱلقَنَاعِيسُ

(الروايات) روى في الاغاني عن يعقوب المعروف بابن السكّيت: «اذ خلَّى مساكنَهُ». ورُوي ايضًا: «استمرَّ». (التاريخ) قال ابو فرج الاصبهاني وهبة الله العلويّ وغيرهما: يريد سامة بن لؤيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضر. قال الاصمعيّ غاضب سامة قومَهُ فرحل الى عُمان وكان أبي الضيم ونزل بكبكب وهو الجبل الآخر (ويروى الاحمر) وراء عرَفة فمضى كراهية الظّلم. وقال جلس هو واخواهُ كعب وعامر ابنا لؤي يشربون فوقع بينهم كلام ففقأ سامة عين اخيهِ عامر لانهُ ظلم جارًا لهُ وكان شرسًا. وقيل فقأ عين سعد اخيهِ فغضب عامر وخاف سامة ان يقع بمكّة شرٌّ فرحل عنها واتى عُمان فتزوَّج ناجية بنت جرم بن ريَّان وريَّان علاف بن

حلوان. وكان موت سامة بعمان. وذلك انَّ ناقتهُ تناولت رمثةً فعلقت بمشفرها افعى فاحتكّت الناقة بغرز الرحل فنهشت الافعى ساقَ سامة فسقط كلاهما ميتين فقال شاعر يرثيهِ:

عينِ بكّي لسامةَ بن لؤيّ   علقتْ ما بسامةَ العلّاقهْ

لا أرى مثل سامة بن لؤيّ   حملتْ حتفهُ اليهِ الناقهْ

(الغريب) الشُعْف موضع بالبحرين. وقيل انهُ تلّ على طريق البصرة الى مكّة. وهما شُعْفان. ويروى شُعُف بضم الاوّل وهو جمع شَعَفة كشِعاف. قال ابو العبّاس الاحول شِعاف الجبال اعاليها. واستمرّت بهِ اجتازت. والبُزل جمع بازل مرَّ شرحهُ. والقناعيس جمع قِنعاس وهو الغليظ الشديد. (المعنى) يحرّض قومهُ على الاقتداء بسامة بن لؤيّ الذي كان منزلهُ باعلى البلاد فسارت بهِ النوق الشداد الى عمان فرارًا من الظلم

حَنَّتْ قَلُوصِي بِهَا وَٱللَّيْلُ مُطَّرِقٌ   بَعْدَ ٱلْهُدُوْ وَشَاقَتْهَا ٱلنَّوَاقِيسُ

(الروايات) يروى: ساقتها النواقيسُ. (الغريب) القَلوص: الفتيّة من الابل. قال في ديوان مختارات شعراء العرب (ص ٣٦) وفي شرح الديوان: جا اي بالعراق الى الشام وفيها غسّان وهم نصارى. والحنين ان يمدّ البعير صوتهُ طربًا الى إلفٍ او وطنٍ. مُطَّرِقٌ يطّرق ويركب بعضهُ فوق بعض. يصف شدَّة سواد الليل. وبعد الهدوْ اي بعد ما هدأ الناس. يقال اتيتهُ بعد هَدْءٍ من الليل وهدُوءٍ من الليل وهَدْأةٍ من الليل. (المعنى) بعد ذكر الشاعر مثل بني علاف وسامة يذكر انهُ هو ايضًا انف من الضيم وقفل عن وطنهِ في العراق ميمّمًا بلاد الشام وقد نقلتهُ اليها ليلًا ناقةٌ فتيّة حنّت الى استماع اصوات نواقيس بيع النصارى في تلك الانحاء

مَعْقُولَةٌ يَنْظُرُ ٱلتَّشْرِيقَ رَاكِبُهَا   كَأَنَّهَا مِنْ هَوًى لِلرِّمْلِ مَسْلُوسُ

(الروايات) ويروى معقولةً. فيكون النصب على الحاليّة. وفي نسخة برلين: الاشراق. وكذا في ديوان مختارات الشعراء. ويروى: كانهُ طرفٌ (وطرفهٌ) للرمل مسلوس. ويروى: كانهُ طربٌ للرمل. (الغريب) المعقولة المشدودة. وقال في شروح الديوان: العَقْل فوق الركبة. فان عقَل الركبتين جميعًا قيل عقَلَها بثنائين. وينظر التشريقَ اي ينتظرهُ. والتشريق اشراق الشمس. وقيل يريد ايّام التشريق يعني ايّام الحجّ حيث تُرمَى الجمار كانهُ حجَّ قبل ان يهرب الى الشام. والمسلوس الذاهب العقل. وصف ناقتهُ بهِ وكان حقّهُ ان يقول «مسلوسة» فنزّلها منزلة الشيء. (المعنى) انَّ ناقتهُ لكثرة حنينها الى الرمل اصابها ضربٌ من الجنون فلم تصبر على راكبها وهو يضبطها منتظرًا وقت التشريق

وَقَدْ أَلَاحَ سُهَيْلٌ بَعْدَ مَا هَجَعُوا   كَأَنَّهُ ضَرَمٌ بِٱلْكَفِّ مَقْبُوسُ

(الروايات) ورد في بعض نسخ الديوان وفي الاغاني: وقد اضاء. (قال) ويروى: وقد ابان. وروى في ادب الكاتب لابن قتيبة (ص ٣٨٧ طبعة ليدن): رقدوا. ويروى: في الكفّ. (الغريب) قال ابو العبّاس المبرّد: لاح النجم اذا بدا وألاح اذا تلألأ. قال العلويّ (ص ٣٧):

« الاح لمع واذا ظهر الشيء وبدا قيل قد لاح يلوحُ . ويقال ألاح من ذلك اي اشفق منهُ . ويقال ألاح بثوبهِ وسيفهِ اذا لمّع بهِ » . وسُهَيل كوكب منير يظهر في آخر القيظ وعند نضوج الفواكه . والعرب يجعلونهُ في خرافاتهم اخا الشِعْرَيَيْن (راجع شروح مجاني الادب ص ٧٣٤) . وهجموا ناموا . قال العلويّ : والهجوع بالليل والنهار والهجور (والصواب الهجود) بالليل خاصة . والضَرَم والضرام ما دقّ من الحَطَب وما اشتعلت النار فيه سريعاً . . . وقبس النار اوقدهـا . (المعنى) سرتُ لمّا كان قومي نياماً ولاح في السماء نجم سهيل كأنهُ شهاب ملتهب في كفّ حاملهِ

اَنَّى طَرِبْتَ وَلَمْ تُلْحَيْ عَلَى طَرَبٍ   وَدُونَ اِلْفِكِ اَمْرَاتٌ اَمَالِيسُ

(الروايات) جاء في الاغاني وبعض النسخ : إنّي طربتُ ولم تَلْحَيْ . وفي نسخة لندن : ولم تلفي . ورُوي في نسخة مصر : دون الفرء وهو تصحيف . وفي نسخة لندن : دون اهلك . (الغريب) جاء في ديوان مختارات شعراء العرب (ص٢٧) : الطرب خفّةٌ تأخذ الانسان من حزن او فرح قال الراعي : « فلم نملك من الطرب العيونا » . ولم تُلْحَيْ اي لم تُلاَمي يقال لحيتُ الرجلَ ألحاهُ لَحْياً . ولحَوْت العودَ اَلحُوهُ لحوًا . ويقال إلْف أُلاَف وأَليف أُلَفاء . والأَمرات جمع مَرْت وهي الارض التي لا نبتَ فيها . والامالیس جمع إمليس وهي الخالية من كلّ شيء . وفي شروح الديوان : الامليس الارض المستوية . ومثلهُ ثوب إضريج وسيفٌ إصْليت . وامرأة ابريق اي برّاقة . ونعامة إجْفيل . (المعنى) يخاطب ناقتهُ فيقول : كيف تطربين و بينك وبين البلاد التي تحنّين اليها مفاوز متّسعة على اني لا الومك على طربكِ

حَنَّتْ اِلَى نَخْلَةَ اَلْقُصْوَى فَقُلْتُ لَهَا   بَسْلٌ عَلَيْكِ اَلَا تِلْكَ اَلدَّهَارِيسُ

(الروايات) روى في اللسان في مادّة « دهرس » : حجّت . وجاء فيهِ وفي الجمهرة وبعض نسخ الديوان : الى النَّخلــة . ورُوي في ذيل الاغاني (٢١ : ١٩٩) : نخلتي الوسطى . وجاء في شروح الديوان : حجرٌ عليكِ . وفي الجمهرة ومعجم البلدان لياقوت (٤ : ٧٦٩) : حجرٌ حرامٌ . وكذلك في نسخة لندن وفي هامش لسان العرب : بسل حرامٌ . (الغريب) . قال صاحب الاغاني : نخلة معرفة غير مصروف . قال ابو عمرو الشيباني : نخلة القصوى بغير الف ولام وادٍ وهو ممّا يلي نجدًا وهي طريق الشام . (قال) ويقال قُصْوى وقُصْيا . وبَسْل اي حرام . قال الاعشى :

فجادتكمُ بسلٌ علينا محرَّمٌ   وجادتكمُ حلٌّ لكم وحليلُها

والدهاريس الدواهي المنكرات لا واحد لها . قال الاصمعيّ : واحدها دِهْرِس وحكى الاخفش عليّ بن سليمان عن ابي عبّاس الاحول انّ واحدها دِهْرِس . وقال عيسى بن عُمَر : الدَّهــاريس والدراهيس جميعًا . (المعنى) يقول انّ ناقتهُ في طريقها لشدّة ما اصابها من التعب حنّت الى وادي نجد فزجرها صاحبها بقولهِ انّ الرجوع القهقرى هو الطامّة العظمى

اُمّي شَآمِيَةً اِذْ لَا عِرَاقَ لَنَا   قَوْماً نَوَدُّهُمُ اِذْ قَوْمُنَا شُوسُ

(الروايات) روى ياقوت (٤ : ٧٣٩) : اليَّ شآميَةً . وهو تصحيف . وجاء في روايات الاغاني

(٢١ : ١٩٩) : لا عراق لها . وروى العلوي (ص ٣٧) : تؤدُّهمُ . وفي نسخة لندن : قوماً نعدُّهم . (الغريب) أُمّي اي اقصدي يقال اَممتُ الشيء امًّا وأَممتهُ ويمّمتهُ وتأممتهُ . شآميةً اي ناحية شآميّةً . او يريد نخلة الشآميّة وهو مكان . وجاء في نسخة الاستانة بيتٌ يشير الى ذلك انشده ابو عمرو الشيباني :

لو انَّ اصحاب بني معاويه   اهل حبوب (؟) نخلةَ الشآميه

والشُّوس جمع الأشوس وهو العدو الذي ينظر اليك شزرًا لبغضهِ لك . (المعنى) يقول لناقتهِ : اقصدي في جهة الشام قوماً احبَّاء نحتلّ جوارهم اذ لم يعد لنا نصيبٌ في العراق بين قوم مبغضين

لَنْ تَسلُكِي سُبُلَ ٱلْبَوْبَاةِ مُنْجِدَةٍ   مَا عَاشَ عَمْرٌو وَمَا عُمِّرَتْ قَابُوسُ

(الروايات) روي في بعض النسخ المخطوطة : النوبات وهو تصحيف . وروى ابن السكّيت : ما عشتَ عمرو . وفي الاغاني (٢١ : ١٩٩) والجمهرة (ص ١١٤) : ولا ما عاش قابوس . قال في الاغاني : وروى الاصمعيّ : ما عشتَ عمرُو ولا ما عشتَ قابوسُ على النداء . (الغريب والتاريخ) قال ابن السكيت (ياقوت ١ : ٧٧٥) : البوباةُ ثنيّة في طريق نجد ينحدر منها صاحبُها الى العراق . فيقول لا تأخذ بذلك الطريق الى نجد وانت تريد الشام . واصل البوباة والموماة المتّسق من الارض . ويريد بعمرو وبقابوس عمر بن هند وقابوس اخاهُ ابني المنذر بن ماء السماء اللذين هرب منهما هو وطرفة فسلم المتلمّس وقُتل طرفة

لَوْ كَانَ مِنْ آلِ وَهْبٍ بَيْنَنَا عُصَبٌ   وَمِنْ نَذِيرٍ وَمِنْ عَوْفٍ مَحَامِيسُ

أُودِي بِهِمْ مَنْ يُرَادِينِي وَأَعْلَمُهُمْ   جُودَ ٱلْأَكُفِّ إِذَا مَا ٱسْتَعْسَرَ ٱلْبُوسُ

يَا حَارِ إِنِّي لِمِنْ قَوْمٍ أُولِي حَسَبٍ   لَا يَجْهَلُونَ إِذَا طَاشَ ٱلضَّغَابِيسُ

(الانتقاد) هذه الابيات لم تُذكر الّا في نُسختَي مصر والاستانة ولا ذكر لها في الاغاني وفي جمهرة العرب وكتب الادباء . (الغريب) آل وهب ونذير وعَوف فروع من بني بكر . والعُصَب الجماعات . ويروى عضبٌ ولعلّهُ تصحيف . والمحاميس الشجعان . واودى بهِ اهلكهُ . ويجوز أُردي جم من الرَّدَى وهو الموت . وراداهُ حاول رداهُ . واستعسر البوس اشتدَّ . ويروى : استسمر وهو غلط . وحارِ ترخيم حارث يريد بهِ احد الحارثَيْن اللذين سميا بالمتلمس عند عمرو بن هند (راجع ترجمتهُ في المشرق ٥ : ١٠٦١) . والضغابيسُ الضعاف واحدها ضُغبوس . (المعنى) استطرد الشاعر الى ذكر فضل قومهِ فقال لو شاء آل وهب ونذير وعوف وجمعوا كلمتهم لردَّ الظلم عني لقويتُ على من ناصبني واعلمتهم ما في قبيلتي من الكرم والمروّة ساعة البوس . فاعلم يا حارث انَّ لي اهلاً ذوي عقل وحكمة لا يتضعضع رأيهم اذا ما سقم راي غيرهم

آلَيْتَ حَبَّ ٱلْعِرَاقِ ٱلدَّهْرَ أَطْعَمُهُ   وَٱلْحَبُّ يَأْكُلُهُ فِي ٱلْقَرْيَةِ ٱلسُّوسُ

(الروايات) قال في ديوان مختارات الشعراء (ص ٣٧) : ويروى آلَيتُ بالضمّ. (قال) ويروى: يأكلهُ بالنقرة والنقرة بلدة. وروى في نسخة لندن وفي الاغاني: الدهرَ آكلهُ. (الغريب) آليتَ أقسمت والأَلْيَة اليمين جمعها ألايا وقد حذف النفي بعد القسم لدلالة المعنى عليهِ. وطَعِمَهُ اكلهُ. والسُّوس دوَيبة القمح. (المعنى) يشير في هذا البيت الى قسم عمرو بن هند لمّا حلف ألّا يأكل المتلمّس من طعام العراق فيقول لهُ ان منعتني من اكل طعام العراق فاني اجد طعاماً اوفر في الشام يأكلهُ السوس لكثرتهِ عندهم. وقد شرحهُ عبد القادر البغداديّ في خزانة الأدب (٣ : ٧٥) شرحاً مختلفاً فقال: « يقول لعمرو حلفتَ لا تتركني بالعراق ولا تطعمني من حبّهِ والحال انّ الحبّ لا يبقى ان ابقيتَهُ بل يُسرع اليهِ الفساد ويأكلهُ السوس فالبخل به قبيح وهذا على طريق الاستهزاء بهِ والسخريّة ». ونظنّ انّ المعنى الاول اصحّ

لَمْ تَدْرِ بُصْرَى بِمَا آلَيْتَ مِنْ قَسَمٍ ... وَلَا دِمَشْقُ إِذَا دِيسَ ٱلْكَدَادِيسُ

(الروايات) قال في الاغاني (٢١ : ٢٠٠) : ويروى اذا دِيسَ الفراديسُ : والفراديسُ دربٌ يقال لهُ درب الفراديس. وقال ابن النحّاس الفراديس موضع بدمشق اي اذا دُرست الزروع التي عند الفراديس. وقال الاصمعي: انشدني ابو عمرو بن العلاء: اذا ديس الفراديسُ. والفراديس البساتين واحدها فِردوس وقيل الفراديس قرية بالشام. وكذلك قال ابو عبيدة فيهِ. (الغريب) بُصرى عاصمة بلاد حوران والشام سابقاً. وديس مجهول داس. والكداديس جمع كُدْس وهو ما تكدَّس اي تكوَّم من الحنطة. (المعنى) جزاً بعمرو بن هند فيقول اقسمتَ غير انّ يمينك لم تبلغ الشام فلم يشعر اهلها بهِ لهوانك عليهم. وشرحهُ في خزانة الأدب (٣ : ٧٥) شرحاً آخر قال: « يقول لا تدري كثرة الطعام الذي ببصرى وبدمشق ». وهو يروي « كراديس » (بالرَّاء) قال الكراديس اكداس الطعام

عَيَّرْتُمُونِي بِلَا ذَنْبٍ جِوَارَكُمُ ... هٰذَا نَصِيبٌ مِنَ ٱلْجِيرَانِ مَحْسُوسُ

(الانتقاد) هذا البيت لم يُروَ في غير نسختي الديوان نسخة مصر ونسخة الاستانة. (الغريب) المحسوس المشؤوم. (المعنى) يقول بئس ما فعلتم لمّا لمتموني بمجاورتكم فليس هذا من فعل الجيران ذوي القُربى

فَإِنْ تَبَدَّلْتُ مِنْ قَوْمِي عَدِيَّكُمُ ... إِنِّي إِذَنْ لَضَعِيفُ ٱلرَّأْيِ مَسْلُوسُ

(الروايات) يروى: بغيرهم. وروى في الاغاني والعقل مسلوسُ. (الغريب) عدي يريد عديّ بن ثعلبة بن غنم بن حبيب بن كعب بن يشكر. والمألوس والمسلوس الذي لا عقل لهُ. (المعنى) لو اردتُ الآن ان اترك مأمني فاعود الى وطني فاصير تحت حكم عديّ لكنت رجلاً لا عقل لهُ

(لهُ بقيّة)

يمين العليّ

روایة تاریخیة للاب س . ت اليسوعيّ (تابع)

الفصل السابع

في الطريق

كتاب الضابط راسيوس روفوس الى صديقهِ لوسيليوس في بيروت
في ١٠ من كالندس آذار (٢٠ شباط)

صديقي الصَّدوق

كتابي اليك حفظتك الآلهة من قيسريَّة فيلبُّس (بانياس) لثماني بقين من شباط وكأنّي بك ترميني بالملام وتنسبني الى الخلف بالوعد اذ لم اكتب لك الّا بعد عشرين يوماً مضت على فراقنا . بيد انك تمهد عذري ولا محالة اذا ما وقفت على اسطري هذه

بارحنا بيروت في اصيل النهار ووجهتُنا صيداء فبلغناها في بُهرة الليل الدامس بعد خمس ساعات من سير حثيث على طريقٍ سويَّة عند سِيف البحر الّا في بعض عطفاتها وكنتُ اودّ لو رافقتني لنتجاذب اطراف الحديث لأنّي وجدتُ رفيقنا قائد المئة أشدَّ بكماً من الحيتان لا يكاد يُسمع لهُ صوت في طريقهِ وربَّما حاولتُ لافتكَّ قُفل شفتيهِ فكنتُ اخيب من القابض على ماء . وغاية ما كان يجيبني بعض الفاظ قصيرة متقطعة تفحمني وتقطع جرّتي فرأيتُني مضطرًا الى ان ألزم الصمت واصون غرار اللسان في غمدهِ . على اني كنتُ اجد في هذا القائد كل صفات الجنديّ الرومـاني فلا ترى لهُ شبيهاً في حفظ النظام العسكري وملازمة قوانين الجنديَّة ويلوح ذلك في كل حركاتهِ وسكناتهِ فتخالهُ أقومَ من سيفهِ واصلب من درعهِ . ولكن هيهات ان تجد فيهِ جليساً انيساً يلذُّك خطابهُ وترتاح لمؤانستهِ . فكأنَّهُ لم يفكر في شيء الّا في الوصول الى قيسريَّة كما أُمر

ولكن ما لنا ولقائد المئة . اراك تُسرع في قراءة ما سبق لتطَّلع على الاخبار . . . رويدك يا صاح . . . اني لاعلم حقّ العلم انك واصحابك لا يشغلك سوى الحرب ولا تحلم الّا عن الوغى ولعلّك تريد الوقوف على عقبى الحرب قبل مباشرتنا بهـا . وماذا

يهمّك وانت في مصيفك في بيروت تعيش بالرغد والهناء بينما نحن نتوسّد الحضيض ونفترش القتاد ونركب الاخطار فيصحُ فيك والحالة هذه مثل العامّة « الحربُ بالنظّارة سهلٌ ». ولكن لأُبرّد غليلك قبل مواصلة خبر سفري ها اني أُسلفك علماً عن امور الحرب . انّنا الآن ضاربون الخيام في قيسريّة ونحن في انتظار اوامر القائد الكبير من ساعة الى اخرى وفي صباح هذا النهار اتانا طيطس ابن الامبراطور ڤسپسيان بجيش جرّار وهو كما تعلم الذي وكل اليهِ ابوهُ مواصلة الحرب الاورشليميّة

فهاك الآن قد خمد لظى فضولك فلنعودنَّ الى تفاصيل اخبار سفرنا بعد مرحلتنا الاولى

اقمنا في صيداء خمساً ليس للراحة بل لانتظار قومٍ من الرديف وليلحق بنا بعض الضبّاط والعُمّال ذهبوا بالرخصة فآن لهم الرجوع الى فِرَقهم

فرأيتُ في التأخير انسب فرصةٍ لاطوف في كل انحاء صيداء وامتّع الابصار بجميع آثارها وقد اجتمعت بكثير من اهلها فلقيتُ عندهم من المجاملة واللطف ما حبّبهم اليّ وزاد مدينتهم في قلبي اعتباراً . فانَّ هذه البلدة والحقّ يقال تستحقُّ ما لقّبها بهِ الشعراء من الاسماء الحسنة . . . هي درّة المشرق وملكة البحار وسيّدة العالم القديم . . .

ولكن أتعرف ما اعجبني فوق كلّ شيء في صيداء . . . احزر ان امكنك . . . لا ليس مرفأها العجيب حيث تتهادى الوفُ من السفن التجاريّة . . . ولا معاملها الارجوانيّة التي فيها تُصبغ تلك الاكسية الفاخرة التي خُصَّ بها الملوك لرونقها وبهائها الساطع . . . هيكل اشمون ؟ كلّا لم تحزر مع اني وجدت في هذا البناء من الاعمال الهندسيّة والكنوز الفنيّة ما اذهل عقلي وخلب لبّي

فايُّ شيء اذن استحسنتُهُ فوق الكل بصيداء ؟ ... اتقرُّ بجهلك ؟ ... اعلم ياصاح انَّ الذي اذهلني في صيداء ذهولًا ليس عليهِ من مزيد . . . انّما هو امر . . . النصارى نعم النصارى . . . ولستُ في قولي هذا مصاباً بمسٍّ في عقلي كما تزعم . . . فكُفَّ عن القهقهة واسمع ما جرى لي معهم . . . وايّاك ان تحسبني منهم فتظنَّ انني متعبد لسَمَكتهم وان كنتُ مولعاً باكل السمك

وهنا كاني اراك تزيد عجباً وتنسبني الى الهذيان . نعم انَّ للنصارى رمزاً وهو السمكة . لا يخفاك انَّ السمكة يُقال لها باليونانيّة (ΙΧΘΥΣ) ولعلّك سمعت انَّ

النصارى يعبدون شخصاً يُدعى يسوع ويلقبونهُ خرستوس اي مسيحاً و يزعمون انهُ ابن الله وانهُ فاديهم. فعمدوا الى اخذ اوَّل حرف من كل هذه الالقاب فاذا بمجموعها تتكوَّن لفظة « السمكة » باليونانيَّة. ولذلك تراهم يصوّرون على نواويسهم وفي معابدهم صورة السمكة اشارةً الى معتقدهم

فترى ان في اصطلاحهم هذا لعجباً لكن امورهم اعجب من ذلك... وهنا اراك تكرّر على مسامعي ما بلغك من اسرارهم عن لسان مبغضيهم... هم قوم أَثمة ومنبع الضلالة وعشُّ الفتنة واعداء الآلهة... يجتمعون في جوف الليل ليضحُّوا الضحايا البشريَّة فيقتاتوا من لحمان اطفالٍ صغار...

هذا ما كنتُ انا ايضاً اسمعهُ ولعلي كنت افتي بصحَّتهِ. على انَّني اليوم نبذت هذه الخرافات نبذ النواة مذ جمعني ونصارى صيداء نادٍ واحد وقد اردتُ ان افحص بنفسي عمَّا تتناقلهُ الالسن في حقّهم فسألت افرادًا منهم بين شيوخ وشبَّان بين نساء ورجال فلم اجد في روايتهم اختلافاً ولا شيئاً ممَّا يريب العقل من يتهم

ومُجمل قولهم انَّ الههم واسمهُ يسوع الناصري ظهر على الارض قبل سبعين سنة فولد في مذود ومات على صليب الَّا انَّ موتهُ كان مبدأَ حياةٍ جديدةٍ اذ قام من قبرهِ ويشهد على ذلك حرَّاسنا الرومانيُّون ثم تراءى مرارًا لتلامذتهِ وصعد ظافرًا الى السماء بازاء خمسمائة من الشهود لا يزال بعضهم حيًا الى يومنا هذا. امَّا حياة الههم فكلُّها عجائب اطَّلعتُ عليها في كتابٍ يدعونهُ انجيلًا اوقفوني عليهِ فلم اجد ضمنَهُ الَّا امورًا تدلُّ على فضل عظيم وفلسفةٍ اسمى من فلسفة حكمائنا. فشتَّان بين اعماله واعمال آلهتنا التي غذتنا أُمهاتنا باقاصيصهم منذ حداثة سنّنا. فليس شيء من تلك الترُّهات واحاديث العجائز وانَّما ترى كلّ شيء في حياة يسوع مطابقًا للعقل الصائب مزيلًا لشبهات النفس مفعماً بالتقى وروح الله

وما كان يقضي مني العجب ما اخبرني بهِ بعض صعاليكهم صرفتُ ليلة في مسامرتهم في كوخ احد الحيَّاكين فجعلوا يقصون عليَّ اخبار مسيحهم فكان بينهم شيوخ وعجزة يذكرون يوم دخل مدينتهم صيداء فاجتازها وهو يصنع المعجزات (متى ١٥ : ٢١) . فكان الواحد يقول: لله هذا النبي ما كان الطفهُ واحنَّهُ. كنتُ منهوكاً بداء عياء فوضع يدهُ عليَّ وشفاني... وقال الاخر: وانا كنتُ كسيحاً فامرني ان اقوم وامشي

فقمتُ سالماً . . . وسمعتُ ثالثاً يهتف كيف يُنكَر لاهوتُهُ وقد سرتُ يوماً مع خمسة آلاف رجل الى البرّيّة فوق طبريّة لنسمع كلامهُ ولم نأخذ معنا زادًا فقاتنا كلّنا بخمس خبزات وسمكتين وبقي من الفضلات ما ملأ قففاً عديدة

وما اتمَّ هذا الراوي حديثهُ حتى اجهشت امرأةٌ بالبكاء وقالت: لما مرَّ يسوع بصيداء كنتُ فتاةً يعذّبني شيطان فخرجت امي تصيح وتقول: ارحمني يا ابن داود فزجرها اوّلًا ليرى ثبات ايمانها ثم جازاها عن ثقتها قائلًا: يا امرأة عظيمٌ ايمانك فليكن لكِ كما اردت. ومذ تلك الساعة شفيتُ تماماً (راجع انجيل مرقس ف ٧)

وهذا ليس باعجب مما رواهُ لي بعض الحضور اذ قال: « كنتُ سنةَ قتلهُ اليهود صعدت لاورشليم لاسجد في الهيكل اذ حكم عليهِ بالموت رؤساء الكهنة وبيلاطوس البنطي . فلمّا عُلّق على الصليب رأينا الشمس منكسفة وشعرنا بزلزال الارض وانشقّ ستار الهيكل . واما الميت فلم يُسمع من فيهِ غير كلام الغفران لاعدائهِ حتى انَّ قائد المئة والجنود الذين كانوا معهُ لمَّا رأوا هذه العجائب اخذوا يقرعون صدورهم قائلين حقًّا انَّ هذا كان ابن الله »

وزاد على هذه الروايات شيخ منهم كان مشتملًا باطمارٍ لكنَّ وجههُ كان متَّسماً بسمة الوقار والسكينة: وانا اعدُّ اسعد ساعةٍ في حياتي اذ كنت بعد موتهِ باربعين يوماً على جبل الزيتون فظهر لنا بجلال عظيم وخاطبنا بكلام الذَّ من الشهد ثمَّ باركنا وتصاعد الى السماء كأنهُ عمود من بخور يرتفع الى طبقات الجوّ . وبينا كنَّا نبكي جميعنا ونحن نراهُ يفارقنا اذ وارَتهُ غمامةٌ عن ابصارنا فبقينا متحيّرين مدَّةً حتى تراءى لنا ملاكان فقالا لنا انَّ الربَّ سيأتي يوماً على سحاب ليدين العالمين كما رأيتموهُ اليوم صاعداً على عنان السماء . . . فمذ ذاك اليوم انا في انتظارهِ وها قد اربى عمري على الثمانين . . . وان لم يأتِ فانا اذهب اليهِ لاكون معهُ مدى الابد »

هذه هي الروايات الغريبة التي كنت اسمعها من افواه هؤلاء الفقراء . ولا يمكنني ان اشكّ في صحّة قولهم لأنهم شهود عيان اخبروني بما رأوا وسمعوا ومن المحال ان يُخدَع الوفٌ من البشر في وقت واحد . . .

ولعلّك يا لوسيليوس تقطع لي هنا كلامي فتقول لي بصوتك الغليظ الأجشّ: وما لك لا تدين بدينهم ان كنت تصدّق كلّ خرافاتهم . . . هيَّا تعبَّدْ لابن النجَّار »

على رِسْلك يا صاح واعلم اني لا اراني حتى الآن قادرًا على اتّباع آثار هؤلاء النصارى فانَّ في تعاليمهم امورًا تنوءُ تحت اثقالها مناكبي كيف لا وفي اقوال مسيحهم ما لا اطيق حملهُ كقولهِ مثلًا: «طوبى للفقراء... طوبى للجياع... طوبى للحزانى... صلّوا لمن يضطهدونكم ويعيّرونكم...» واشياء كثيرة لم نرَ احدًا من آلهتنا تكلّم بها فضلًا عن انهُ لم يمارسها البتَّة

وعليهِ اني افضّل ان اعيش في ديانة سهلة يحبُّ آلهتها البسط وملاذّ الدنيا. لكني لا اتمالك من اعتبار المسيحيين والاقرار بسموّ فضلهم

ومع ما تقدَّم لا تظنّ انَّ النصارى قومٌ بائسون يعيشون منكوسين متعوسين كلّا بل تراهم على خلاف ذلك في السرور والبهجة مع ان اكثرهم فقراء يرتزقون بالشغل والتعب ولا يعرفون الترفُّه ورغد العيش. وقد لحظتهم اذا كانوا يجتمعون في كل مساء في معبدٍ حقيرٍ اقامهُ لهم كما ذكروا لي بطرس الصيَّاد وهو تلميذ يسوع الذي جعلهُ رئيسًا على شركتهِ فدبّر امورهم الى ان قتلهُ منذ ثلاث سنوات ملكُنا نيرون. وما كانوا يأتون للصلاة بشيء آخر سوى خبز ملّة وشيء من الخمر. وليس في هذه المآكل ما يدلُّ على الترَف والنعمة

ثمَّ ترقّبتهم عند خروجهم من صلاتهم فكانوا يخرجون صامتين قانتين على جبينهم لوائح البرّ والطهارة كأنهم ارواح سماويَّة لا بشر وكان بعضهم يذرفون الدموع الّا انّها دموع الفرح وسرور القلب... لعمري انَّ لفي ذلك سرًّا لا ادركهُ ولا بُدَّ لي ان اطّلع عليهِ. وقد سألت صديقي لاونطيوس الذي عرَّفني بهم ان يكشف لي عن سرّ هذا الاجتماع وسبب فرحهم بعد اقامتهم هذه الرتب. فكان يجيبني دائمًا: «انّنا نجتمع للصلاة ولكسر الخبز»... ولكن انّى لهم هذه البهجة وهذه البشاشة الغريبة او ليس نحن ايضًا نقرّب في هياكلنا قرابين الخبز والخمر للآلهة ؟...

قد اطلتُ الكلام في النصارى كما ترى. وما ذلك الّا لاني رأيتهم لاوّل مرَّة وباحثتهم وكنتُ اسمع عنهم اشياء متناقضة دون ان اتحقّق امرهم. فاردتُ ان افصّل لك ما وقفتُ عليهِ لعلّك تُسرّ بمعرفتهم مثلي

والفضل في تقرّبي اليهم عائد الى صديقي لاونطيوس الذي تعرَّفتُ بهِ منذ عشرين يومًا فقط فامتزجت ارواحنا امتزاج الماء بالراح

فدونك وصفهُ لتعلم انهُ يستحقّ صداقتي بل صداقتك وفقاً لقول الفلاسفة ان صديق صديقي هو صديقي

لاونطيوس رجلٌ سوريّ الجنس رشيق القامة حسن الوجه شديد البنية واطول مني قليلاً . في وجههِ دقّة ونعومة وفي نظرهِ اباء وأنفة كمألوف عادة اهل جلدتهِ . وهو مع ذلك سهل الاخلاق ليّن العريكة لا ترى الغضب يكدّر صفاء طباعهِ في حين يستفزّ الحرد غيرهُ . وقد تجنّد لاونطيوس في الكتيبة الرومانيّة الخامسة ولم يزل يترقّى فيها بما اظهرهُ من الشدّة والمراس في فنون الحرب حتى اصبح مثلي من اعظم ضبّاط الكتيبة المذكورة . وما كدتُ اخاطبهُ لاوّل مرّة حتى عشقتهُ نفسي واسرني بقيود صفاتهِ الفريدة . ولاونطيوس يدين بالنصرانيّة وبهِ توصّلتُ الى معرفة النصارى فحبّب اليّ النصرانيّة

قد طال اليك كتابي وكادت النفّاطة التي استضيْ بهـا لتسطير رسالتي تنطفئ ولا اريد مع ذلك ان اختم الالوكة دون ان اشفي غليلك بخصوص احوال الجيش

كان وصولنـا الى قيسريّة في اليوم الخامس عشر من شباط نقضي صلب ايامنا باستعراض الجيش والتمارين الحربيّة . واليوم قد وافانا قائد الجيوش طيطس كما اعلمتك في فاتحة كتابي . واتانا معهُ الفا رجل من نخبة الجنود اختارهم من الكتيبتين الثالثة والسابعة عشرة المحتلّتين في الاسكندريّة . وقد أثّر وصولهم اعظم تأثير في جيوشنـا لعلمهم بشجاعة هؤلاء الكماة الذين حنّكتهم التجارب ونجذتهم الحروب

امّا يوم سفرنا من قيسريّة الى جهات اورشليم فقد استفاض فيهِ الحديث ولكن لا بدّ للجيوش الواردة من مصر ان تستريح ايّاماً بعد ان قطعت خمسمائة ميل باقلّ من عشرين يوماً في براريّ ورمال صهرتها الشمس بلهيبها . ثم انّنا ننتظر ايضاً جنودًا آخرين من جهات شتى . ففي امس ورد ٣٠٠٠ محارب من ضفاف الفرات . وبعد يومين تأتينا الكتيبة الخامسة التي انا احد رؤسائها وكانت في عمواس وكذلك الكتيبة العاشرة التي كانت في اريحا على وشك الوصول

هذا ولا يمرُّ علينا نهار او ساعة دون ان يأتينا من حلفائنا قوم منهم رجّالة ومنهم خيّالة . وقد اعجبتني كتيبة القوّاسين السوريين . وممّن اشتهر بغيرتهِ الملك اغريبا وسحيم صاحب حمص وانطيوخوس ملك قوماجين . وقد وافانا قومٌ من غزاة البادية

العرب تراهم هائمين الى الحرب لاسيَّما انَّهم ينقمون على اليهود لحزازات قديمة في صدورهم فينتظرون الفرصة ليشفوا الغليل من دمائهم وينتهبوا اموالهم

وخلاصة القول انَّ قيسريَّة اشبه بمعسكر عظيم لا ترى فيهِ غير الجنود على اختلاف الازياء والاصول وتقاطيع الوجه والالوان. وقد سمعتُ احد كبار القوَّاد طيباريوس اسكندر يقولهُ انَّ عدد الجنود يبلغ ٦٠٠٠٠ الفًا فوحقّ الهنا المشتري لا تنجو من هؤلاء الابطال اورشليم واليهود المدافعون عنها ولو كانوا اعزَّ من العقاب

ولكن ما لي اتهدَّد اليهود بالهلاك وقد فتنتْ قلبي منهم مهاة في بيروت فارقتها والروح لا يزال منوطًا بها فلا تَلُمني يا لوسيليوس فانَّ فتاة دار الورود قد اسرتني بمحاسنها. وما يزيد رجاني انّي يوم خرجت من بيروت ومررتُ امام قصرها مع فرقة الجند السائرين لمحاربة وطنها رفعتُ بالحاظي لعلّني اراها آخر مرَّة فانظر ان كانت لا تحيد بنظرها عنّي فتلعنَني كما كان يلعنني اليهود الذين يصادفونني في طريقهم... فوقعت عيني عليها وهي على سطح دارها فلم اجد في حركاتها شيئًا يدلُّ على الشحناء والبغض فعلمتُ انَّها باقيةٌ على الوفاء... ومن ثم ها اني ذاهب الى اورشليم فاحارب الحربَ العوان كالاسد الرئبال ولا انكص الى الوراء حتى اعود ظافرًا فتسمع يهوديت طيطس قيصر يُعلن باسمي في ملعب بيروت ويكلّلني باكليل الظفر. فاذ ذاك يتمُّ فرحي وفرحها

استودعك الالهة يا صديقي لوسيليوس وارجوك في الختام ان تمرَّ امام دار الورود لترى هل صاحبة الدار في سلام وبهجة كالزهور التي تزين نوافذها »

وما انجز راسيوس الضابط هذه الرسالة حتى طلب ساعيًا يأخذها الى بيروت. لكنَّ الليل كان دامسًا لا يسمع السامع صوتًا ولا يرى الَّا انوارًا ضعيفة في اطراف المعسكر يتمشَّى عندها الحرس فلمَّا ادركهم الضابط استحضر الساعي السائر الى بيروت فاذا هو يسرج فرسهُ للسفر فسلَّمهُ كتابهُ وبعد بضع دقائق رآهُ يركض جوادهُ فتبعهُ بالنظر لعلمهِ بان رسالتهُ تتضمَّن عواطف نفسهِ بل اودعها مهجة قلبهِ

(ستأتي البقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

Eléments d'Archéologie chrétienne
par le chanoine H. Marucchi, 3 vol. 1900-1902 *Desclée*
مبادئ علم العاديّات النصرانيّة

انّ العاديّات النصرانيّة التي وقف عليها الاثريّون في زماننا بلغت عددًا لا يُحصى حتى انّ درسها اصبح اليوم علمًا مستقلاً لا غنى عنهُ لمن اراد معرفة احوال النصرانيّة في القرون الاولى للميلاد. وفي الكتاب المعنون هنا احسن دستور يتّخذهُ الدارسون كدليل يرشدهم الى ادراك مرامهم. كيف لا وانّ واضع هـذا الكتاب هو احد تلامذة يوحنّا دي روسّي الأثريّ الشهير الذي اكتشف في داميس رومية عالمًا جديدًا لاهل عصرهِ. والاب ماروكي لم يكتفِ بان اخذ هـذا العلم عن استاذهِ بل لم يزل يواصل درسهُ زمنًا طويلًا حتى جمع في هذا التأليف لُباب كتب واسعة نُشرت منذ خمسين سنة. وقد قسمهُ الى ثلاثة اجزاء كلّ جزء ينيف على اربعمائة صفحة. فضمّن الاوّل ابحاثًا عموميّة عن احوال الكنيسة في القرون الاربعة الاولى. مع تعريف عادات الرومان ووصف صنائعهم وفنونهم لاسيّما اصطلاحاتهم في الكتابات الاثريّة. وفي الجزء الثاني وصف للقرّاء كل داميس رومية وما فيهـا من الآثار في كلّ باب من ابواب العاديّات كتعريف مدافن النصارى القديمة وطرائق دفنهم وذخائر الشهداء وآثار الرتب الدينيّة. امّا القسم الثالث فقد افعمهُ المؤلف بفوائد جمّة عن الكنائس الرومانيّة القديمة ومواقعها وهندستها وتصاويرها ورموزها. وكل ذلك على طريقة سهلة المأخذ قريبة المنال ولا يسعنا الّا ان نحرّض كل محبي العاديّات الدينيّة على اقتنـاء هذا الكتاب فانّهم يعرفون بعد التجربة انّ كلامنا مقصّر في وصفهِ والثناء على مؤلفهِ الاب ل. جلابرت

Histoire de Bagdad dans les temps modernes
par Cl. Huart, *Paris, E. Leroux* 1901. pp. 231
تاريخ بغداد في الازمنة المتأخّرة

ان كتبة العرب قد افاضوا في ذكر بغداد على عهد الخلفاء وقد نقـل عنهم الاجانب ما كتبوهُ فتوسّعوا في بيانهِ. الّا ان اخبار دار السلام مذ دخلها المغول ثم استولى

عليها الفرس الى ان صارت تحت حكم دولتنا العليَّة ايَّدها الله لم يعرفها الَّا الافراد لقلّة ما كُتب في هذا الصدد في القرون المتأخرة فعزم المستشرق الشهير كليمان هوار قنصل فرنسة سابقًا ان يسدَّ هذا الخلل فجمع في هذا الكتاب ما امكنهُ من الاعلامات عن بغداد وتاريخها الى زمن عليّ رضا باشا . واخصُّ ما استند اليهِ في كتابهِ تأليف «كولشني خلفاء» بالتركيَّة لمرتضى نظمي زاده المطبوع في الاستانة العليَّة سنة ١١٤١هـ (١٧٢٨) وكتاب ثابت افندي عن تاريخ المماليك في بغداد من سنة ١١٦٣ الى ١٢٤٦ (١٧٤٩—١٨٣٠) وكتاب مطالع السعود باخبار الوالي داود الذي نُشر في بمباي سنة ١٣٠٤ هـ (١٨٨٧) ثم مزج بين هذه الروايات وزاد عليها ما يوافق بينها مع ما نقلهُ عن اصحاب الاسفار الى عاصمة العراق . فجاء كتابًا شاملًا يجمع بين الافادة واللذَّة نحرّض اهل بلادنا على مطالعتهِ وارتشاف فوائده

Cours pratique de langue arabe

avec de nombreux exercices

par le P. J.-B. Belot s.j., 2 ed. Beyrouth, 1902 pp. 308

الدروس الرياضيَّة للغة العربيَّة

مامرَّ على هذا التأليف ستّ سنوات حتى اضطرَّ صاحبهُ حفظهُ الله الى اعادة طبعهِ مع قلّة رواج الكتب الشبيهة بهِ . والسبب في ذلك انَّ المؤلف اودع كتابهُ كلَّ ما يحتاج اليهِ طلبة اللغة العربيَّة من القواعد والايضاحات المفيدة دون ان يطمسها بكثرة التفاصيل المملّة والابحاث الدقيقة التي يستغني عنها الدارسون وممَّا يزيد هذا الكتاب عائدةً التمارين العمليَّة التي الحقها المؤلف بكل باب من ابواب الصرف والنحو . فلا نشكّ ان الطلَّاب يقبلون على هذه الطبعة الجديدة اقبالهم على الطبعة الاولى لاسيَّما انَّ واضعهُ نقَّحها واضاف اليها تحسينات اشار اليهِ بها الذين اتّخذوا هذا الكتاب كدستور لتدريس العربيَّة ل . ش

شَذَرَاتٌ

التلغراف بلا سلك والجسم البشري — قد اختبر الاستاذ توما تومارينا في جنيڤا هل يمكن الجسم البشري بجوارحهِ ان يقوم مقام الباعث والقابل في

التلغراف بلا اسلاك فوجد ان ذراعي الانسان يتنزّلان بمنزلة الصواري المستعملة لذلك · وان كان جسم الانسان هو في قبولهِ للامواج الكهربائيَّة دون موادّ اخرى الّا انَّ عرض البدن ومساحتهُ يسدَّان هذا الخلل · وعليهِ فامكن هذا الاستاذ ان يبلّغ اخبارًا لمسافة بعيدة أُشير اليها بحركات الجسم

النيفوسكوب ذكرنا غير مرَّة ما للاب يوسف ألغه اليسوعيّ من اليد الطولى في العلوم الفلكيَّة حتى قدَّرت حكومة الولايات المتَّحدة قدرهُ وجازتهُ عن تصانيفهِ المتعدّدة · وقد افادتنا اخبار الفيلبيين آخرًا انَّ الاب المذكور وضع موَّخرًا آلةً جديدة لرصد الغيوم وحركاتها وسرعتها ووجهتها وعلوّها الى غير ذلك من الافادات تدوّنها الآلة بحركتها الخاصَّة وقد دعاها نيفوسكوب اي نظَّارة الغيوم · والمجلَّات العلميَّة اخذت تصفها وتبيّن فضل واضعها

مديحة مار جرجس اطَّلعنا في مكتبتنا الشرقيَّة على نسخة اخرى بالكرشوني من مديحة مار جرجس التي اثبتناها في المشرق (ص ٣٨٩—٣٩٢) تشبه النسخة المطوّلة التي اخذنا عنها · وفي آخرها بعض ادوار لا تخلو من الفوائد ندوّنها هنا · وقد ورد بعد الدور الاربعين عن كنيسة القدّيس جرجس في بيروت:

نبع ما من تحت المذبح بوسط الهيكل كان يسرح
وكلّ من يجي يشرب ينصح لو كان مرضه جواني

يقولون الى اليوم بائنْ موضع الما المعينْ
والذي يعرف ويفرزنْ ينظر بجهار كيف كاني

كنّه فرغ بمدَّة الزمانْ وفروغه قد صار برهانْ
لانهُ صار بابر الرهبانْ لاجل تغيير الايمانْ

وبعد هذا ادوار متعدّدة في ما جرى للقدّيس جرجس بعد قتل التنّين وكيف حنق عليهِ الملك ديوقلطيانوس وقتلهُ في مدينة الله حيث تشفي ذخائرهُ الاسقام · ثم قال:

نطلب بركته تكون معنا وتكون حارسة مجمعنا
وان شفاعته تخلصنا وتخلّص كلّ نصراني

ناقلها سركيس المسكينْ بالحبس في صوم الاربعينْ
بستمائة وسبعين بالسنينْ الف بتاريخ ربّاني

بقزحيّا بجبل لبنانْ كانوا الاخوة والرهبانْ

وقلبي في الهموم تعبانٌ في طول الليل سهراني

على زمان الاب المقدَّس وهو مار بولس الخامسْ
ماسك كرسي مار بطرس الطاهر الطوباني

وابي المكرَّم المشرَّفْ اعني البطرك يوسفْ
على خلاص الرعيَّة حائفْ بحسب الامر الربَّاني

برحمته الربّ يثبتهمْ كلّ الروساء برفقتهمْ
وكلّ من يمشي بطاعتهم باستقامات الايمانِ

يا ربّ ارحم ناقلها وكاتبها مع سامعها
وكلّ من آمن وتاب بقولها يخلص من النيرانِ

النظَّارة العاكسة اخبرت المجلَّة العلميَّة الامركيَّة (Scientific American) في تاريخ ٢٤ كانون الثاني من السنة الجارية وصف نظَّارة عاكسة عجيبة الصنع ابتدعها على طريقة عجيبة احد اليسوعيين في مدرسة مُنتريال في كندا وهو الاب غاره (Garais) ولها عدَّة خوَّاص اتَّسعت المجلَّة في تعريفها مع شرح رسومها. ومرآة النظَّارة من حيث الكبر هي الثالثة بالنسبة الى المرايا الفلكيَّة التي في مراصد امركة الشماليَّة كلها

صبغ لون الاكاجو اذا اردتَ ان تصبغ الخشب على لون الاكاجو امسح اولًا الخشب بمزيج من الحامض النتري (ac. nitreux) ثمَّ خذ ٣٠ غراماً من دم التنين و ٢٥ غراماً من كربونات الصودا واجعل ذلك في ٣٠٠ غرام من الكحول. فالدهون يكون اشبه شيء بالاكاجو

فقيد الآداب الصينيَّة هو الاب الجليل زوتولي (A. Zottolli) من اكبر علماء عصرهِ بآداب الصينيين وكتبهم القديمة. قال الدكتور لجّ (Legge) البروتستاني من ائمَّة المستشرقين الصينيين: «ضربت الآداب الصينيَّة ضربةً اليمة بفقد الاب زوتولي اليسوعيّ الذي احيا علوم اسلاف رهبانيَّتهِ في الصين» ثم عدَّد تآليفهُ واختصّ بالثناء كتابهُ في المعارف الصينيَّة في ستَّة اجزاء ضخمة ترجمهُ الى اللاتينيَّة. وكان يهتمّ في آخر حياتهِ بنشر اكبر معجم للُّغة الصينيَّة لا يقلّ عن عشرة مجلَّدات ضخمة. وكان اسم الاب زوتولي بالصينيَّة «شاو تالي»

المشي على الراس — في باريس منذ ثلاثة اشهر اخوان يُدعيان باتيست وفرنكوني اصلهما من بلاد الدنيمرك عمرُ الاول ٢٣ سنة والثاني ٢٦ اعتادا منذ حداثة سنّهما المشي على رأسهما. فتراهما يجعلان على رأسهما قبعةً تصونهُ يعلقانها تحت حنكهما ثمَّ ينقزان نقزًا على الراس دون الاستعانة بايديهما او ارجلهما. وهما يمشيان كذلك نحو خمس دقائق. وقد تجوَّلا في بلاد كثيرة ليرتزقا بهذه المهنة وقد راهن المدعو باتيست انهُ يقطع في مدَّة ستّ ساعات المسافة التي بين الاوبرا وبنك ليون ماشيًا على راسهِ بشرط ان يمشي كذلك دقيقتين ويستريح دقيقتين ومن الغريب أنَّهُ نازعهُ الجزاء احد الافرنسيين من اصحاب البهلوان يُدعى هيبوليت برتران

أسئلة وأجوبة

س سُئلنا ثانية عن الشمع المستعمل في القدّاس: ١ً هل المصادقة التي ذكرناها على استعمال شمع باريزيّ هي اجازة لهُ دون غيره. ٢ً هل يجوز مزج الشمع العسلي بموادّ اخرى كما يفعل باريزي. ٣ً اذا صحّ مزج الشمع العسليّ بموادّ غريبة الى اي مقدار يجوز ذلك

الشمع العسلي في القداس

ج نجيب (على الاول) كما اجبنا سابقًا انَّ هذه المصادقة على شمع باريزي التي اثبتها البشير ليست اجازة رسميَّة تجعل فضلًا لشمعهِ على غيرهِ وانَّما هي فقط مصادقة على «صحَّة» اي جواز استعمال الشمع المصطنع في معملهِ. نجيب على (الثاني) انَّ عندنا انهُ يجوز لباعة الشمع العسليّ بعد تحليل شمع باريزيّ ان يركّبوا شمعًا مثلهُ. وعلى (الثالث) ان المجمع المقدَّس لم يعيّن هذا المقدار فيقتضي استشارتهُ في الظروف الخصوصيَّة

س وسأل القس يوسف عازار العراموني: ١ً متى وبَّخ الروح القدس العالم وارشد التلاميذ الى كلّ حقّ كما جاء في انجيل يوحنَّا (١٦: ١٢). ٢ً كيف صاغ للانجيلي ان يقول عن الروح القدس أنَّهُ فعل ذلك لانهُ لا يتكلَّم من عنده او ليس الروح القدس اله كامل يتكلم ايضًا من عندهِ

الروح القدس واعمالهُ

ج نجيب عن (الاول) انَّ الروح القدس بكَّت العالم منذ يوم حلولهِ على التلاميذ في عليَّة صهيون ولا يزال يبكّتهُ ويزيّف اعمالهُ الباطلة بواسطة كنيستهِ الى منتهى الادهار وذلك امَّا بالتعليم الشفاهي وامَّا بالسيرة الصالحة. وعن (الثاني) انَّ المسيح نسب للروح القدس النطق من عند الابن لا لينكر صفةً من صفاتهِ الالهيَّة بل دلالةً على انبثاقهِ من الابن الذي هو كلمة الله الحيَّة اذ منهُ يأخذ الروح كما قال المسيح فيعطي للمؤمنين ل. ش

المشرق

اللُّغات واللَّثغات

لحضرة الكاتب العالم المحقّق والباحث المتفنّن المدقّق الاب انستاس الكرملي

لا يجهل احدٌ ما للعربيَّة من السَّعة وكثرة المترادفات وتعــدُّد الكلمات لمعانٍ لا يفصل بعضها عن بعضٍ الَّا فاصل في نهــاية الرِّقة والدقَّة والذي اوجب ذلك تسلُّط عوامل شتَّى وتغلّب عوامل مختلفة انهالت عليها من جميع قبائل العرب وبطونهــا فاوصلتها الى المبلغ الذي نراها وصلت اليهِ

واعلم يا هذا ان لتلك العوامل قواعد وضوابط فاذا ما توفّق الاديب الى معرفتها تبدَّدت لهُ حينئذٍ ظلمات كانت قبل ذلك دامسة. واهتــدى باعلام كانت آثارها في طريقهِ الى ذلك اليوم طامسة دارسة. وقبض على اعنَّة شوارد. كانت لهُ الى ذلك العهد أوَابد. ومن هذا القبيل. معرفة اللغات واللثغات عند كل قبيل. وقد رأيتُ جماعة من اللغويين. والنحاة المبرّزين. قد تعرّضوا لهذا البحث الجليــل في مواطن متعدّدة من مؤلّفاتهم الَّا اني لم أجِد من عقد لها بابًا وجمعها كلها في فصلٍ واحدٍ. او ذكرها في سِفر قائم براسهِ. وبعض هذه الاسماء لهذه اللغات واللثغات غير مذكورة في المعاجم اللغويَّة. ولهذا بعد ان نقَّرتُ عنها في كُتب مختلفة لعدة ائمَّة جمعتها في هذه النُّبْذَة افادةً لابناء هذه اللغة الشريفة ووقوفًا على اسرار اسباب اتساعها وقد سردتُها على حروف المعجم ليسهل على الباحث طلبها. ثم عقدتُ بذيل كل مادَّة اسم المَوْرد الذي وردتهُ جريًا على عادة

المحقِّقين من ابناء هذا الزمان. فاقول وبالله استعين وعليهِ التكلان:

١ً (الارتِضاخ) مصدر ارتضخ. قال في التاج: «يُقال: هو يرتضخ لُكنَةً عجميَّةً اذا نشأ معهم اي مع العجم يسيرًا ثم صار مع العرب فهو ينزع الى العجم في الفاظٍ من الفاظهم لا يستمرُّ لسانُهُ الى غيرها ولو اجتهد. وفي حديث صهيب: كان يرتضخ لكنةً رومية. وكان سلمان [الفارسيُّ] يرتضخ لكنةً فارسية. وكان عبد بني الحسحاس يرتضخ لكنةً حبشيةً مع جودة شعرهِ » اه

٢ً (الاَستِنطَاء) في لغة سعد بن بكر وهُذَيل والازد وقَيس والانصار: تجعل العين الساكنة نونًا اذا جاورت الطاء «كأَنطَى» في «أَعطَى» (المزهر ١: ١٠٩)

٣ً (التَّخضيج) قال الجد: [هو] شبه التضجيع في الكلام المُسند. وفي نسخةٍ «المُبتَدإِ» بدل المسند (التاج). وفي محيط المحيط للبستاني: خَضَّجَ الكلام: قصَّر فيهِ ومال بهِ قبل تمامهِ وهو شبه التضجيع في الكلام المبتدإ مأخوذًا من الخِضج وهو الناحية. اه. ولم اجد في ما بيدي من الكتب أَوفى من هذا التعريف ولا اوضح منهُ. فهل من اديب يُوَفّي حقَّ هذه المادة؟

٤ً (تَضجُّع قَيس) وفي المزهر (١: ١٠٤) تضجُّع قُرَيش وهو غلط طبع لم يُصحَّح والاصحّ ما اوردناهُ كما ذكرهُ صاحب خزانة الادب (٤: ٥٩٦) لان العرب تقول: انهُ لم يكن لقريش عيب في الكلام. والمأخوذ من سياق هذا النصّ ان التضجُّع من عيوب اللغات فهو اذن غلط. واما ما هو تضجُّع قَيس فلم يشرحهُ لا صاحب المزهر ولا صاحب خزانة الادب وان ذكراهُ. واما اللغويون فلم يتعرَّضوا لذكرهِ ابدًا. الّا اني اظنُّ انهُ كَسْرُ اوَّل حرفٍ من حروف المضارعة الّا ان يكون اوَّلهُ ياء فلا وهو الذي سمَّاهُ صاحب المزهر باسمٍ ثانٍ وهو « كَسْر قَيسٍ واسدٍ » (١: ١٠٤) والذي سمَّاهُ جمهور اللغويين بالتَلتَلَة. فاطلب هذه اللفظة. والتضجُّع غير الإضجاع وهو: «ما وقع في اوساط الكلم» [من الكَسْر] نحو باء الإبل». (بحرفهِ عن مفاتيح العلوم ص ٤٥)

٥ً (التَّضجيع) ذكرهُ اصحاب المعاجم اللغوية في مادة ض ج ع ولم يفسّروهُ لا في موطنهِ ولا في غير موطنهِ

٦ً (تَلتَلَة بَهرَاء) فسَّرها ثعلب في اماليهِ بكسر اوائل الافعال المضارعة

(المزهر ١ : ١٠٤) وقال الزبيديُّ في مادة طبق: « لَتَركبنَّ طبقاً عن طبقٍ. قرأ ابن عباس وابن مسعود رضه: « لتِركَبُنَّ » بكسر التاء. وهي لغة تميم وقيس واسد وربيعة يكسرون اوَّل حرف من حروف المستقبل الَّا ان يكون اولهُ فانهم لا يكسرونها. اهـ. وقال ايضاً في مادة ت ل ل: وتلتلة بهراء كَسْرُهم تاء تَفعَلون. وحكى بعضهم قال: رأيتُ اعرابيًا معلّقًا باستار الكعبة وهو يقول: « ربِّ اغفِرْ وارْحمْ وتَجاوَزْ عمّا تِعلَمُ ». وقرأ يحيى بن وثّاب: « ولا تِرْكنوا الى الذين ظلموا » بكسر التاء. ومثلهُ: « مَا لَكَ لا تِئْمَنَّا على يوسف ». وكذلك « فتِمَسَّكمُ النارُ »... وقال ابو النجم:

اقبلتُ من عند زيادٍ كالخَرِفْ تخطُّ رِجلايَ بخطٍّ مختلِفْ
وتِكتبان في الطريق لامَ ألِفْ

هكذا بكسر التاء. اهـ

٧ً (التَمَعْدُد) هو الرَسْوُ. ولم ينبّه على وجودها احد من اللغَويين لا من المحدثين ولا من الاقدمين

٨ً (التِيسيَّة) يُقال: فلان يتكلَّم بالتِيسيَّة: اي بكلام اهل ذلك الجبل وهو جبل باليمن (عن الميداني في شرح « تِيسي جَعَارِ » ١ : ٩٣) وقد ضبط صاحب فرائد اللآل كلمة تِيس (اسم الجبل) بكسر التاء. كما فعل الميداني. واما ابو محمَّد الحسن الهَمْدَانيُّ فقد ضبطها في كتابهِ « صفة جزيرة العرب » بالفتح بلفظ واحد من التُيُوس (ص ٦٨ , ٧٢ , ١١٢ , ١١٣ , ١٢٥) وكذا فعل ياقوت الحموي في كتابهِ مراصد الاطلاع (ص ١٠٢ من الطبعة الهنديَّة الحجرية). والتاج في مادة ت ي س

٩ً (الخَزْم) « هو زيادة حرف في الكلام لا الذي في العروض كقولهِ: ولا لِلِما بِهِمْ ابدًا دواء. وقولهِ: وصَالياتٍ كَكَمَا يُؤَثْفَيْنْ. قال: وهذا قبيح لا يزيد الكلام قوةً بل يقبحهُ » (عن المزهر ١ : ١١٠)

١٠ً (الرُتّة) قال في التاج: « عجلة في الكلام وقلّة اناءةٍ. وقيل: هو ان يقلب اللام ياء »... اهـ

١١ً (الرَسْوُ) « روى القاضي التنوخيُّ عن ابي صالح. قال: انشدني ابن الكلبي لحاتم:

إلهُهُمُ رَبِّي وَرَبِّي إلهُهُمْ فأَقْسَمْتُ لا أَرْسُو وَلا أَتَمَعْدَدُ

الرَسْوُ: ان يقال للصقر: زَقْر ولسَقَر زَقَر. وللصراط: زُراط . وللصعقب زَعْقَب. (وبنو الصعقب من نهد حلفاء بني جناب من كلب). وسمعتُ ابا اسماء وغير واحدٍ من طيّ يقول: « اللهمَّ نعوذ بكَ من شرِ زَقَر ». وهذا كلام معد فلذلك قال: لا أتمّدُ ». اه بحرفهِ عن كتاب مجموع خمسة دواوين (ص ١٠٧) وقد ورد هذا النصّ ايضاً في شعراء النصرانيَّة ١: ١١٧)

١٢ً (الزُغزُغيَّة) « يقال: كلّمتُهُ بالزغزغيَّة. بالضمّ. وهي لغة لبعض العجم كما في اللسان والعباب. وقال ابن فارس الزاي والغين ليس بشيء. » (التاج)

١٣ً (الشَنْشَنَة) في لغة اليمن: تجعل الكاف شيناً مطلقاً كلَبَّيْشَ اللهمَّ لبَّيشَ. اي لبَّيكَ (المزهر ١: ١٠٩). ولم يذكر احد اللغويين هذه اللفظة بهذا المعنى فهي من المُستَدْرَكات. وقال المسعودي في مروج الذهب (في حاشية نفح الطيب ١: ١٨٣): واهل الشحر اناسٌ من قُضاعة وغيرهم من العرب وهم مهرة ولغتهم بخلاف لغة العرب وذلك انهم يجعلون الشين بدلًا من الكاف. مثال ذلك ان يقولوا: هل« لِش » فيما قلتِ لي وقلتُ « لِش » ان تجعلي الذي معي في الذي « مَعِش ». يريد: هل لكِ فيما قلتِ لي وقلتُ لكِ ان تجعلي الذي معي في الذي معكِ. وغير ذلك من خطابهم ونوادر كلامهم. اه

١٤ً (الطَمْطَمَة) ان يكون الكلام شبيهاً بكلام العجم (عن التذكرة الحمدونيَّة والقالي في شرح اللباب) وهي بهذا المعنى من المستدركات على اصحاب دواوين اللغة

١٥ً (الطُمطُمانيَّة) تعرض في لغة حِمْيَر كقولهم: طابَ أمهواء اي طاب الهواء (المزهر ١: ١١٠) وقال في التاج: طُمطمانية حِمْيَر بالضمّ ما في لغتها من الكلمات المنكرة تشبيهاً لها بكلام العجم. هكذا فسَّرَهُ غير واحدٍ من ائمة اللغة وصرَّح بهِ المبرّد في الكامل والثعالبي في المضاف والمنسوب. وقيل: هو ابدال اللام ميماً. واشار الى توجيه ذلك الزمخشريّ في الفائق (٥١٠). واماً قول البستاني في محيط المحيط: « طمطمانية حِمْيَر ما في لغتها من الكلمات المنكرة كقولهم في طاب الهواء: طامِم هواء » (بهذا الضبط وهذا الحرف) فلم اقع عليهِ. وقد صحَّحَهُ الشرتونيُّ في اقرب الموارد فقال: طاب أم هواء » وكان الحقّ ان تكتب كلمة واحدة اي « أمهواء » كما فعلهُ سائر اللغويين. الّا انهُ اتَّبع فريقاً آخر يكتبها في كلمتين ومنهم صاحب شرح الطرَّة عن الغرَّة (ص ٤٤٩)

١٦ً (عَجرَفيَّةُ ضَبَّة) ذكرها في المزهر (١ : ١٠٤) ولم يفسرها. وهكذا فعل ايضاً صاحب خزانة الادب. واليك نصهما: «وفي امالي ثعلب: ارتفعت قريش في الفصاحة عن عنعنة تميم وكشكشة ربيعة وكسكسة هوازن وتضجُّع قيس (وفي المزهر: تضجُّع قُرَيش وهو غلط ظاهر كما نبَّهنا عليـه فُوَيق هذا) وعجرفيَّة ضبَّة». اه وقال السيد المرتضى: «قال ابن سيدة: وعجرفية ضبَّة: اراها تقعُّرهم في الكلام». اه

١٧ً (العَجْعَجَة) هي في لغة قضاعة يجعلون اليـاء المشدودة جيماً. يقولون في تميميّ تميمجّ (المزهر ١ : ١٠٩) وقال في التاج: «العجعجة في قضاعة كالعنعنة في تميم يحوّلون الياء جيماً. مع العين يقولون: هذا راعجٌ خرجَ مَعِج. اي: اي هذا راعيٌّ خرج معي. كما قال الراجز: خالي لقيط وابو علجْ . . . » اه. وقال السيوطيُّ في موطنٍ ثانٍ من المزهر (١ : ١١٠): ومن اللغات المذمومة: ابدال الياء جيماً في الاضافة نحو غُلامِج (اي غُلامي) وفي النسب نحو بصْرجّ وكُوفجّ (في بصريّ وكوفيّ) اه. قلتُ: ولعلهم استعملوا هذا الابدال في غير ما ذُكرت شروطهُ اي في غير الألفاظ المجاورة فيها الياء للعين او في غير الاضافة والنسب فقد قالوا مثلاً: الإجَّل في الإيَّل والشِّجَر في الشَّجَر

١٨ً (العَنْعَنَة) هي في كثير من العرب في لغة قيس وتميم. تجعل الهمزة المبدوءة عيناً يقولون في «أنَّكَ»: «عنَّكَ» وفي «أَسلَمَ»: «عَسلمَ». وفي «إذَنْ»: «عِذَنْ» (المزهر ١ : ١٠٩) قلتُ: وربَّما جعلوها كذلك وتصرَّفوا بهـا هذا التصرُّف في حشو الكلمة وعجزها ايضاً. فقد جاء عنهم الفاظ كثيرة تؤيد كلامنا هذا من ذلك: الخَبع في الخَبْء. وخَبَعْتُ الشيء في خَبأْتهُ. والخِباع في الخِباء. وكثأ اللبن وكثعَ. والكثأة والكثعة. والتُّمىْ لونُهُ والتُّمعَ. وتصدَّأ لهُ وتصدَّع لهُ. وموتٌ ذُعاف وزعاف في موت ذؤاف وزُعاف. والسعف في السـأف. والمعص في المأص ومعصة في مأصة الخ الخ الخ

١٩ً (الفَحْفَحَةُ) قال في المزهر (١ : ١٠٩): هي في لغة هُذَيل يجعلون الحاء عيناً. اه. قلتُ: وهي في لغة ثقيف ايضاً. قالهُ التاج في مادة ع ت و. واليك امثلة على ذلك: ضبحت الخيل وضبعت. وهو عفضاج وحفضاج (اذا تفتَّق وكثر لحمُهُ). وبحثَر الشيء وبعثَرهُ. وحنظى الرجلُ وعنظى (اي بذأ وأفحش في الكلام). وترل بِحَراهُ وَعَراهُ (اي قريباً منهُ) كل ذلك من المزهر (١ : ٢٢٤). وعَتَّى في حَتَّى (المزهر ١ : ٢٢٨) وجميع

اللغويين) ونحَمْ في نَعَمْ . وحَنْ في عَنْ . ولَحَسَ ولَعَسَ . وحوَّج بهِ الطريق تحويجًا وعوّج بهِ تعويجًا (التاج وسائر اللغويين) الخ

٢٠ (الفُراتيَّة) قال المبرّد في الكامل : . . . قال معاوية يومًا : مَن افصح الناس ؟ فقام رجلٌ من السماط فقال : قومٌ تباعدوا عن فُراتيَّة العراق . . . والفراتيَّة لُغة اهل الفرات الذي هو نهر الكوفة . (عن خزانة الادب ٤ : ٥٩٥ و٥٩٦) وقال الخفاجيُّ في شرح درة الغوّاص (ص ٢٣٥) : ورُوِي بدل قولهِ « فراتية العراق » : لخلخانية العراق . واللخلخانية اللُّكْنَةُ من قولهم لخَّ في كلامهِ . اذا جاء بهِ ملتبسًا . اه المقصود من نقلهِ

٢١ (القُطْعَة) لُثغةٌ (كذا والاصحّ لغة) في بني طيء . . . وهي ان يقول : يا ابا الحَكَا . يريد يا ابا الحَكَم . فيقطع كلامهُ . (التاج) وقال في محيط المحيط : والقُطْعَةُ ايضًا لُثغة (كذا ايضًا) في بني طيء كالعَنْعَنَة في بني تميم . ومنها قول بعضهم : يا ابا الحكا يريد يا ابا الحَكَم اه . قلتُ : والعنعنة ليست بلثغة بل هي لغة كما رأيت

٢٢ (كَسْرُ قَيس واسد) ذكرها صاحب المزهر ولم يفسرها (١ : ١٠٤) ولا شكَّ في انَّها التَلْتَلة او التَضَجُّع

٢٣ (الكَسْكَسَةُ) وهي في ربيعة ومُضَر يجعلون بعد الكاف او مكانها في المذكَّر سينًا على ما تقدَّم وقصدوا بذلك الفرق بينهما (المزهر ١ : ١٠٩) . وقال في التاج : والكسكسة لغة لتميم لا لبكرٍ كما زعمهُ ابن عبّاد وانَّما لها الكشكشة باعجام الشين . . . وبهِ فُسّرَ حديث معاوية رضه : تياسروا عن كسكسة بكر (كذا . فاذن هي لغة بكرٍ ايضًا) وقيل الكسكسة لهوازن . اه

٢٤ (الكَشْكَشَة) هي في ربيعة ومُضَر يجعلون بعد كاف الخطاب في المؤنَّث شينًا فيقولون : رَأَيْتُكِشْ وبِكِشْ وعَلَيْكِشْ [في رَأَيْتُكِ وبكِ وعَلَيْكِ] فنهم من يثبتها حالة الوقف فقط وهو الاشهر . ومنهم من يُثبتها في الاصل ايضًا . ومنهم من يجعلها مكان الكاف ويكسرها في الوصل ويسكنها في الوَقْف . فيقول : منش وعليش (المزهر ١ : ١٠٩) وقد اورد الزبيديّ شرح هذه المادة بتطويلٍ والمعنى لا يزيد على ما تقدَّم ذكرهُ

٢٥ (اللُّثغَة) ان تعدل بحرفٍ الى حرف (عن التذكرة الحمدونيَّة)

٢٦ً (اللَخلَخانِيَّةُ) تعرض في لغة اعراب الشحر وعُمان. كقولهم مشا الله اي مَا شاء الله (المزهر ١ : ١١٠)

٢٧ً (اللَغلَغَة) يُقال في كلامهِ لَغلَغَة اي عُجمة ولَخلخة. قالهُ ابن الاعرابي (التاج)

٢٨ً (اللَفف) ادخال حرفٍ بحرفٍ (التذكرة الحمدونيَّة)

٢٩ً (اللُكْنَةُ) من لَكَنَ [اذا كان] لا يُقيم العربيَّة لعجمة لسانهِ وقيل اللكنة في اللسان. وقال المبرَّد: هو ان تعترض على كلام المتكلّم اللغةُ الاعجميَّة يُقال: فُلان يرتضخ لُكْنَةً رومية (التاج). وقال في شفاء الغليل: هي ان يعرض على الكلام اللغةُ العجميَّة. اه

٣٠ً (النَغنَغَة) رتَّة في اللسان او كالرُتَّة وهو اذا اراد قول «لع» ذهب لسانهُ الى «نع» فتقول: سمعتُ نَغنَغَةً ترجع الى العين والنون (التاج)

٣١ً (الوَتم) في لغة اليمن تجعل السين تاء كالنات في الناس (المزهر ١ : ١٠٩) ولم يذكرها اصحاب دواوين اللغة

٣٢ً (الوَكْمُ) في لغة ربيعة وهم قوم من كَلْب يقولون: عَلَيكِمْ وبِكِمْ حيث كان قبل الكاف ياء او كسرة (المزهر ١ : ١٠٩). وقال في التاج: يُقال هم يَكِمونَ الكلام بكسر الكاف من يكِمُون. اي يقولون السلام عَلَيكِمْ بكسر الكاف. قلت: وهي لغة اهل الروم الآن. اه

٣٣ً (الوَهم) في لغة كلب يقولون: مِنهِمْ وعَنهِمْ وبَينِهِمْ وان لم يكن قبل الهاء ياء ولا كسرة (المزهر ١ : ١٠٩). ولم يذكرها احدٌ من اصحاب كتب مَتن اللغة

وهناك لغات ولثغات لم تُسَمَّ باسماء من ذلك ان منهم من كان يجعل الكاف جيماً كالجعبة يريد الكعبة (المزهر ١ : ١٩) ومرَّ يَرتَجُ ويرتكُ (اذا ترجرج) واخذهُ سجٌ في بطنهِ وسكٌ (اذا لان بطنهُ) وزِمجَّاء الطيرِ وزمكَّاؤهُ وريح سيهوج وسيهوك (شديدة) كل ذلك عن المزهر ١ : ٢٢٤) ودمجتْ الارنب ودمكتْ اي اسرعت في عدوها. وجِظٌّ وكظٌّ. وجَفجَفَ وكَفكَفَ. وجلت وكلت. وجدجد وكدكد. وجعدب وكعدب. وجعم وكعم. وجفأ وكفأ. وجضم وقَضَم. وكركر وجرجر. وجدَّ وقدَّ. وسجٌ وسكٌ. ورتق ورتج. (عن اللغويين)

ومن اللغات المذمومة: الحرف الذي بين القاف والكاف (اي الكاف الفارسيَّة المثلثة الفوقيَّة وهي الجيم المصريَّة الحاليَّة) في لغة تميم المزهر (١ : ١١٠)... والذي بين الجيم والكاف في لغة اليمن (اي الجيم المثلثة التحتيَّة وهي فارسيَّة الاصل) (المزهر ١ : ١١٠). وفي لغة مازن تُبدل الميم باء (موحدة التحتيَّة) والباء ميًا. يقولون: باتَ المعيرُ اي مات البعيرُ (التاج في اول باب الباء). ومن امثلة هذه اللغة الظأب والظأم (سِلف الرجل). يقال: تظاءبا وتظاءما (اذا تزوَّجا اختين) والرباء والرماء. وما أسمُك وبَسْمُكَ ويُقال للعجوز وكل مُسِنَّة: قحبة وقحمَة. والرجبة والرجمة (ما تُعمد بهِ النخلة لئلاَّ تقع). وسبد شعرهُ وسمدهُ (اي حلقهُ). والساسم والساسب (شجر). وما عليـهِ طحربة وطحرمة (اي خرقة). وضربة لازب ولازم. وهو يرمي من كثب ومن كثم (اي من قربٍ وتمكُّن). ووقع في بنات طمار وطبار (اي داهية) وعَجْب الذنب وعَجمهُ. واسود غيهب وغيهم. وازمة وازبة (وهي الشدة والضيق). والقرهب والقرهم (السيد). ويُقال مَهلًا وبَهلًا (في معنًى واحد). ويقال للظليم أزمد وأزبد (وهو لونٌ الى الغبرة) (عن المزهر ١ : ٢٢٣ و ٢٢٤)

وفي لغة طيء تُبدل التاء هاء في الوقف كقولهم: دَفْنُ البَناهْ من المكرُماه. اي دفن البنات من المكرمات (عن النُحاة). ومن العرب من يعكس هذا الابدال فيبدل هاء التأنيث تاء في الوقف. فيقول قامت العالمت (اي قامت العالمة) عن النحاة ولهم غير هذه اللغات مما يطول شرحهُ وذكرهُ (لهُ بقيَّة)

الكتب الليتورجيَّة في الكنيسة القبطيَّة

نظر للاب الكسيس مالون اليسوعيّ

لنصارى القبط في مصر طقوس خصوصيَّة يجرون عليها منذ القديم وهم يعزونها لرسولهم الاوَّل وهو القديس مرقس الانجيليّ تلميذ بطرس الهامة لمَّا قدم الاسكندريَّة في اواسط القرن الاوَّل للميلاد ونصب فيها كرسيهُ ونشر النصرانيَّة في كل وادي النيل

وكانت مصر اذ ذاك احدى ولايات رومية يدبّرها حاكم يختاره القيصر بنفسهِ. بيد انّها كانت تتبع في سياسة امورها الرسوم التي انشأها البطالسة سابقاً. امّا اللغة فكانت اليونانيّة في الاسكندريّة وضواحيها وكانت القبطيّة غالبةً على البلاد الواقعة ما وراء هذا النطاق الضيّق. فلمّا دعا القديس مرقس ورفقتهُ اهل الاسكندريّة الى الانجيل اتّخذ اليونانيّة كلغة البشارة المسيحيّة وبها كتب انجيلهُ كما لا يخفى. وكذلك لا نشكّ في ان رسول الاقباط اقام الاسرار المقدَّسة في اوّل الامر بلغة اليونان ولكن لمّا كان قسمٌ من الشعب لا يفهم اليونانيّة جرت العادة ان يفسَّر لهم بالقبطيّة بعض اجزاء الرتب واهمّ ما فيها لافادتهم كما يُقرأ اليوم الانجيل باللغة العربيّة بعد قراءتهِ بالقبطيّة

وقولنا هذا في اللغة الطقسيّة عند الاقباط انما هو على وجه الاجمال لاسيّما في بلاد مصر السفلى حيث كان لليونانيّة سيطرة وشيوع لا يُنكران. امّا بلاد الصعيد التي لم تتجاوز اللغة اليونانيّة فيها اصحاب الامر وعُمَّال الدولة فعندنا انَّ الرُتب الدينيّة نُقلت فيها من اليونانيّة الى القبطيّة منذ القرون الاولى وان لم نجد على ذلك ادلّة صريحة وانّما هذا اقرب الى العقل اذ تلك كانت عادة الرسل والمبشّرين الاوّلين الذين كانوا يقيمون الاسرار الالهيّة في كلّ بلد باللغة الشائعة عند اهلهِ

ويؤيّد رأينا ما ورد في مديح ماكاريوس اسقف ادكو الذي فاهَ بهِ ديوسقورس البطريرك الاسكندري زعيم اليعاقبة فيُروى في هذا الخطاب (١ ان ماكاريوس المذكور اجر وديوسقورس الى خلقيدونة ليحضرا معاً المجمع الذي عُقد في تلك المدينة سنة ٤٥١ فروى ديوسقورس عن رفيقهِ قال: «كان ماكاريوس لا يفهم اليونانيّة فالتجأت الى بطرس الشمَّاس الذي كان يتقن اليونانيّة والقبطيّة على حدّ سواء ليكون ترجماناً بيني وبينهُ» وقد اردف ذلك بقولهِ: «وقال لي ثاوفسطس الشماس: وماذا نصنع بهذا (الاسقف) الابكم الذي اجر معنا. ألعلَّ المراطقة هم مصريُّون ليجادلهم (بالقبطيّة)»

فترى ان هذا الاسقف كان يجهل اليونانية مطلقاً فلا غرو انهُ كان يصلّي بالقبطيّة وبها يقيم الليتورجيّة الالهيّة وقس عليهِ كثيرين من امثالهِ

---

١) راجع مخطوطات المكتبة الواتيكانيّة العدد ٦٨

ثم تكاثر شيئاً فشيئاً استعمال اللغة القبطيّة وزاد انتشارها بعد شيوع البدعة اليعقوبيّة في مصر الوسطى وفي الصعيد. فان اليعاقبة كانوا يؤثرون اتّخاذ اللغة القبطيّة في رتبهم بغضاً بالملكيين من مواطنيهم الذين كانوا في وادي النيل يقيمون المناسك الدينيّة باليونانيّة قبل العربيّة. ولم يزالوا كذلك حتى عمّ ذلك الاقباط جميعاً نحو القرن الثاني عشر

وقد قلنا سابقاً انّ الأقباط كانوا نقلوا الى لغتهم كتب الطقوس اليونانيّة فجروا عليها في لغتهم. الّا انّ هذا القول ليس بمطلق لانّ الأقباط وضعوا لذويهم كتباً غير الكتب اليونانيّة صنّفوها بالقبطيّة وادخلوها في مدار رتبهم السنويّ كما سترى

*

انّ مجموع طقوس الكنيسة القبطيّة في الكتب الآتية: كتاب القداس. ثم الفرض القانونيّ. ثم كتاب الرسامات ثم الافخولوجيون ثم خدمة الاسرار المقدّسة ثم الثاودوكيات وبعض الكتب المتضمّنة رتب جمعة الآلام والاعياد

١ كتاب القداس

قد سبق حضرة الاب لويس شيخو فوصف في المشرق (٢ : ٨١٧) كتاب قداس الكنيسة القبطيّة فلا نرى داعياً الى تكرار وصفهِ. ونكتفي بان نضيف الى ما اثبتهُ هناك بعض الافادات عن ترجمة هذا الكتاب ونقلهِ الى اللغات الاوربيّة

نُقل القدّاس القبطي لاوّل مرّةٍ في رومية الى اللاتينيّة بهمّة احد ادباء الموارنة منصور شلّاق العاقوريّ الّا ان ترجمتهُ لم تكن عن القبطيّة بل عن نسخة عربيّة وجدها مع النسخة القبطيّة عند بعض العلماء يُدعى يوسف سكاليجر. وقد نُشرت الترجمة المذكورة في أوسبرغ سنة ١٦٠٤ وكان المتولّي نشرها مرقس ڤِلسيريوس. وهذه الترجمة نفسها أُدرجت بعدئذٍ في جملة الليتورجيّات المطبوعة في المجموع المعروف بمكتبة الآباء. وهذه الترجمة لا يعيرها علماء زماننا بالًا لما فيها من الخلل وقلّة الضبط والتدقيق في النقل

وعقبَ هذا النقلَ الاوّل نقلٌ ثانٍ قام بهِ الكاهن العلّامة اوسابيوس رينودو الذائع الشهرة وذلك سنة ١٧١٦ فترجم عن القبطيّة الى اللاتينيّة الليتورجيّات الثلاث اعني قداس القديس باسيليوس والقديس غريغوريوس والقديس كيرلّس والحقها بثلاثة

نوافير اخرى مع الاصل اليونانيّ · وفي جملة هذه النوافير اليونانيَّة قداس القديس مرقس الذي احتفل بهِ غبطة البطريرك كيرلُّوس الثاني يوم ارتقائهِ الى السدَّة البطريركية

امَّا النافوران الآخران فلا يختلفان عن ليتورجيَّتي القديسَيْن باسيليوس وغريغوريوس

ومما نشرهُ بالطبع العلامة يوسف السمعاني في كتاب مجموع طقوس الكنيستين (المجلَّد السابع) ليتورجيةُ الكنيسة الاسكندريَّة · وترى هناك الاصل القبطي مكتوبًا بحروف يونانيَّة مع الترجمة اللاتينيَّة

وما خلا هذه التراجم اللاتينيَّة قد نُقلت الليتورجيَّة القبطيَّة مرارًا الى اللغة الانكليزيَّة منها ترجمة شركة الكنيسة الشرقية سنة ١٨٦٦ وترجمة الانكليزي مالان سنة ١٨٧٢ وترجمة حديثة لبرَيتمان (Brightman) سنة ١٨٩٦ لكن صاحبها اكتفى بنشر نافور القديس مرقس باليونانية وترجمة نافور القديس باسيليوس القبطيّ

وقد سعى مؤخرًا غبطة البطريرك الجليل كيرلوس مقار بنشر ترجمة افرنسية لليتورجية القبطيَّة طبعت في مجلَّة الشرق المسيحيّ (١٨٩٩)

٢ كتاب الفرض القانوني

ان الفرائض القانونية كما يتلوها الاقباط في ايَّامنا على غاية السذاجة فانهُ يُقتضى على الكاهن تلاوة الساعات السبع وكلُّها على طول واحد بالتقريب · وهي كما ترى :

١ صلوة باكر النهار ϯ ⲡⲣⲟⲥⲉⲩⲭⲏ ⲙ̀ⲡⲓϣⲱⲣⲡ ⲛ̀ⲉϩⲟⲟⲩ

٢ صلاة الساعة الثالثة ϯ ⲡⲣⲟⲥⲉⲩⲭⲏ ⲛ̀ⲧⲉ ⲁ̀ⲝⲡ ϣⲟⲙⲧ ϯ

٣ صلاة الساعة السادسة ϯ ⲡⲣⲟⲥⲉⲩⲭⲏ ⲛ̀ⲧⲉ ⲁ̀ⲝⲡ ⲥⲟⲟⲩ

٤ صلاة الساعة التاسعة ϯ ⲡⲣⲟⲥⲉⲩⲭⲏ ⲛ̀ⲧⲉ ⲁ̀ⲝⲡ ⲯⲓⲧ ϯ

٥ صلاة الغروب ϯ ⲡⲣⲟⲥⲉⲩⲭⲏ ⲛ̀ⲧⲉ ϩⲁⲛⲁⲣⲟⲩϩⲓ

٦ صلاة النوم ϯ ⲡⲣⲟⲥⲉⲩⲭⲏ ⲛ̀ⲧⲉ ⲡⲓϩⲓⲛⲓⲙ

٧ صلاة نصف الليل ϯ ⲡⲣⲟⲥⲉⲩⲭⲏ ⲛ̀ⲧⲉ ⲧⲫⲁϣⲓ ⲛ̀ⲧⲉ ⲡⲓⲉϫⲱⲣϩ

ويتحتَّم على الاسقف تلاوة ساعة ثامنة وهي ساعة الستار امَّا الصلوات فلا تختلف البتَّة على مدى السنة وفي كلّ اسبوع · وكلّ ساعة تبتدئ ببعض صلوات استعداديَّة كالصلاة الربية وسلام الملاك والمزمور « ارحمني يا الله » وصلاة الشكر (ⲙⲁⲣⲉⲛϣⲉⲡϩⲙⲟⲧ) · ثم يليهِ القسم الجوهري من الفرض وهو عبارة عن عدد

معلوم من المزامير يختلف بين ١٠ مزامير و ٢٠ مزمورًا ويعقب المزامير في كل ساعة قراءة بعض قطع من الانجيل مع تسابيح مختلفة فيها قسمٌ مخصوص بمديح البتول وتختم الصلاة بالحلّ من الخطايا (ⲙⲉⲧⲣⲉⲙϩⲉ) وهي صلاة تعمّ كل الرتب الدينية

والكتاب المتضمّن للصلوات القانونية لم يطبع سوى مرّةٍ واحدة تولى طبعهُ رافائيل طوخي في رومية سنة ١٧٥٠ . وعنوان الكتاب « كتاب الصلوات النهاريّة والليلية السبعة »

ⲟⲩϫⲱⲙ ⲛⲧⲉ ⲛⲓⲉⲩⲭⲏ ⲙⲡⲓϩⲟⲟⲩ ⲛⲉⲙ ⲡⲓⲉϫⲱⲣϩ ⲛϣⲁϣϥ

٣ كتاب الرسامات

هو الكتاب الحاوي للصلوات التي تُتلى في منح الدرجات الكنسيّة من رتبة القارئ الى الرتبة البطريركية على النظام التالي

١ً القارئ (ⲁⲛⲁⲅⲛⲱⲥⲧⲏⲥ) وهذه الرتبة اوّل الدرجات الاكليريكيّة وربّما مُنحت شرفًا لابناء العيال الكريمة التي امتازت بغيرتها في سبيل الدين

٢ً الشمّاس الرسائلي (ⲡⲓϩⲩⲡⲟⲇⲓⲁⲕⲱⲛ). صاحب هذه الرتبة لا يُقضى عليه تلاوة الفرض القانوني

٣ً الشمّاس الانجيلي (ⲡⲓⲇⲓⲁⲕⲱⲛ). يلزمهُ تلاوة الفرض

٤ً رئيس الشمامسة (ⲡⲓⲁⲣⲭⲓⲇⲓⲁⲕⲱⲛ) هي رتبة قليلة الشيوع في ايّامنا

٥ً الكاهن (ⲡⲣⲉⲥⲃⲩⲧⲉⲣⲟⲥ)

٦ً الهيغومانس (ϩⲏⲅⲟⲩⲙⲉⲛⲟⲥ) يتولى رئاسة الكهنة وينوب عن الاسقف في غيبتهِ. ولا يزال الأقباط حتى يومنا يعظّمون رتبة الهيغومانس. وهي شائعة ايضًا بين الكاثوليك منهم فان ابرشيّة ثيبة تُقسم الى ايالات متعدّدة ولكل ايالة كاهن من رتبة هيغومانس

٧ً الاسقف (ⲡⲓⲉⲡⲓⲥⲕⲟⲡⲟⲥ)

٨ً المطران (ⲡⲓⲙⲏⲧⲣⲟⲡⲟⲗⲓⲧⲏⲥ) يحكم على الاساقفة

٩ً رئيس اساقفة الاسكندريّة الذي هو البطريرك (ⲁⲣⲭⲓⲉⲡⲓⲥⲕⲟⲡⲟⲥ ⲛⲧⲉ ⲣⲁⲕⲟϯ ⲉⲧⲉ ⲫⲁⲓ ⲡⲉ ⲡⲓⲡⲁⲧⲣⲓⲁⲣⲭⲏⲥ)

والصلوات التي تُتلى اليوم في تنصيب البطريرك قد اثبتها ابو البركات منذ القرن الرابع عشر في كتابهِ المعنون « مصباح الظلمات وايضاح الخدمة ». وكذلك وصف ابن العسَّال في الفصل الثالث والخمسين من كتابهِ « مجموع اصول الدين ومسموع محصول اليقين » خواصّ الرتبة البطريركية تحت هذا العنوان : « في الامام الكبير والامامة وهو الكاهن الكبير والكهنوت وهو البطريرك »

ويلحق بهذه الرتب بعض احوال دينية لها علاقة مع الرتب الكهنوتية اخصُّها قسمة الرهبان (ⲡⲓϫⲓⲛⲫⲱϣ ⲛⲛⲓⲙⲟⲛⲁⲭⲟⲥ) وقسمة الراهبات (ⲡⲓϫⲓⲛⲫⲱϣ ⲛⲛⲓϩⲓⲟⲙⲓ ⲙⲙⲟⲛⲁⲭⲏ). وللرهبان في البيعة القبطية مقام رفيع وكانت القاعدة سابقًا ان البطريرك لا يُقام الّا من الرهبان او يلزمهُ على الاقلّ ان يكون لبس الاسكيم الرهباني قبل تنصيبهِ

وهذا كتاب الرسامات قام بطبعهِ رافائيل طوخي في رومية سنة ١٧٦١. وقد نشر منهُ الاب العازاري ارموني (Mr Ermoni) نبذًا بالقبطية والفرنسية في مجلّة الشرق المسيحيّ (١٨٩٨—١٩٠٠)

٤ الافخولوجيون

رُبَّما جُمع الافخولوجيون وكتاب الرسامات في كتاب واحد ذي قسمين. والافخولوجيون يشمل الصلوات التي تُتلى في مقامات شتَّى كتدشين الكنائس ونصب المذابح وتقديس الآنية الى غير ذلك كما هو شائع في جميع الطوائف النصرانية. وهذا الكتاب برز ايضًا في مطبعة انتشار الايمان بهمَّة رافائيل طوخي سنة ١٧٦٢

٥ كتاب خدمة الاسرار وتجانيز الموتي الخ

في هذا الكتاب مجموع الصلوات التي تقال في الاسرار المقدَّسة كالمعموديَّة والتثبيت وغير ذلك. ثم رُتَب تجنيز الموتى على اختلاف مراتبهم من عالميين او اكليريكيين من اطفال او نساء او عذارى الخ. وفيهِ « الهوسات » وهي تسابيح مقتطفة في الغالب من الاسرار المقدَّسة تقال في فصول السنة واعيادها. وفيهِ ايضًا « القطمارس » الشهريّ اعني الفصول التي تُتلى كل يوم (Καθ' ἡμέραν) من الكتب المقدَّسة

وكتاب خدمة الاسرار قد طُبع في رومية بسعي رافائل طوخي سنة ١٧٦٣. وقد ظهر منهُ ايضاً قطع صالحة في مجلّة الشرق المسيحي منقولةً الى الفرنسيَّة. والعلّامة السمعاني اثبت من هذا الكتاب ما يختصّ بسرَّي المعموديَّة والتثبيت في كتاب مجموع ليتورجيَّات الكنيستين بالقبطيَّة واللاتينيَّة

امَّا قراءات الكتاب المقدَّس فكثيرًا ما يُفرَد لها كتاب خصوصيّ والأقباط الاورثذكس قد نشروا آخرًا في مطبعتهم نسخةً جميلة من هذا الكتاب

٦ كتاب الثاودوكيَّات

لهذا الكتاب اسمٌ آخر شائع في النسخ المخطوطة منهُ وهو «كتاب ابصلمودية» وليس هو مجموع المزامير كما يتبادر الى ظنّ القارئ بل هو عبارة عن الالحان الكنسيَّة ويُدعى ثاودوكيًا على اصطلاح الكنيسة اليونانيَّة والثاودوكيًا لفظة استعارها القبط من اليونان (Θεοτοκιον) وفي الجمع (Θεοτοκια) ومعناها التسابيح لاكرام البتول الطاهرة امّ الله (Θεοτόκος) وليس الكتاب الّا مجموع صلوات كانت تُتلى سابقًا في كلّ ايَّام السنة ذكرًا للعذراء مريم وهي اليوم تُقال في شهر كيهك الموافق لكانون الاوَّل. وقد اختصَّ القبط هذا الشهر باكرام البتول يستعدُّون بذلك لعيد ميلاد المسيح. فهو لديهم بمثابة شهرنا المريميّ وفي صلوات الفرض ما يشعر بتعظيم البتول واطرائها والتماس شفاعتها وكان القبط يقبلون على مديح السيّدة بنشاط غريب في هذا الشهر والدليل على ذلك كثرة نسخ كتاب الثاودوكيَّات التي بلغت عهدنا

وفي مكتبة كليتنا الشرقيــة نسخة جميلة من هذا الكتاب خُطَّت في مصر ثم تناقلتها الايدي حتى وصلت الى حمص فارشدنا اليهــا حضرة الاب الفاضل الخوري اوجين دلَّال السرياني الكاثوليكيّ فاسرعنا الى ابتياعها ولمَّا كانت هذه النسخة فريدةً في بابها احببنا ان نصفها لقرَّائنا بوجيز الكلام

هذا الكتاب عبارة عن ٤٣٠ صفحة من قطع الثمن طولهُ ٢٢ سنتيمترًا في عرض ١٥ س. وفي كل صفحة ١٩ سطرًا. وهو مخطوط بخطّ حسن جليّ بالقبطيَّة وربَّما أُضيفت الى القبطية ترجمة عربية في جدول صغير بازاء الاصــل القبطيّ. وفي دائرة الكتاب اطار ذو ثلاثة خطوط ملوّنة احمرَين فازرق. والمتن بحبرين اسود واحمر. وفي



اول الفصول واواخرها نقوش بالوان مختلفة يكثر فيها الذهب. ومع هذه الحلى تصاوير متعددة منها صُلبان على هيئات شتَّى ومنها حيوانات رمزيَّة كالطاووس والسمك واعراض القربان الأقدس. وفي راس الفصول القبطية ترى طائرًا على شبه العقاب وهو يدلّ على حرف ϩ القبطيّ استعاروهُ من اصطلاحات قدماء المصريين

امَّا تاريخ هذا الكتاب فمجهول وانَّما يُستدلُّ على عهدهِ من مدادهِ وورقهِ فلا يبعد ان يكون خُطَّ منذ ١٥٠ سنة الَّا الورقة الاولى منهُ فانَّها حديثة. ويدعى ناسخهُ مرقس بن تادروس كما ورد في آخر بعض فصولهِ: « اذكر يا ربّ عبدك الحقير مرقس بن تادروس ناسخ هذا الكتاب المقدَّس في ملكوت السماوات »

والظاهر انَّ هذا الناسخ مع براعتهِ في الخطّ القبطيّ كان يجهل لغة اجدادهِ لما شحن بهِ نسختهُ من الاغلاط. وكان مع ذلك عارفًا بالعربية محبًّا لآدابها وتراهُ يحلّي اواخر الفصول بحكم عربية يزينها بالنقوش كقولهِ: « يا واهب العقل والادب اغفر لمن قرأ وسامح لمن كتب » او يدوّن حكمًا شائعة وآيات وامثالًا كقولهِ: « راس الحكمة مخافة الله » و « المجد لله في العلى » و « السلام للصليب شجرة الحياة ». والكتاب موقوف على كنيسة الاسكندريَّة سنة ١٥٥٠ للشهداء (١٨٣٣ م) كما يظهر من آخرهِ بعد ختم صرابامون اسقف الاسكندريَّة اليعقوبي كما يلي:

بسم الله الرؤوف الرحيم	صرابامون
المجد لله في العلو	الاسقف

✝

« وقفًا مُؤَبَّدًا وحبسًا مخلدًا على بيعة القديس ماري مرقص الانجيلي بثغر الاسكندريَّة لا يباع ولا يُرهَن ولا يخرج من البيعة المذكورة وكلمن خَرَّجَهُ يكون محروم ويكون نصيبه مع سيمون الساحر ويموذا الاسخريوطي ودقلا (؟) الكافر وكلمن قطع هذه الورقة الله يقطع يمينه بسيف من نار والذي يحفظه على وقفيته يكون محالل مبارك ولله الشكر دائمًا ابدًا سرمديًا في ٥ شهر بشنس سنة ١٥٥٠ قبطية

امَّا مضمون الكتاب فهو كما قلنا تسابيح واناشيد البعض منها لاكرام الثالوث وللسيد المسيح والقديسين واكثرها في مديح السيدة البتول افتتحهُ الناسخ بما حرفهُ: « نبتدئ بعون الله تعالى وحسن توفيقهِ بنسخ ابصلموديَّة حاويَة السبعة (تداكيات)

والاربعة (التسابيح) والطروحات والابصاليات وكل ما يحتاج اليـه في شهر كيهك المبارك »

وهذه التسابيح ليست منقسمةً الى ٣٠ قسمين لكل يوم من ايَّام الشهر بل الى سبعة اقسام تُعاد اربع مرَّات في الشهر اعني مرَّةً في كل اسبوع على ترتيب واحد

ودونك وصف الثاودوكيَّات وطريقة تلاوتهــا : يبتدئ المصلُّون ببعض الصلوات العموميَّة كألوف عادتهم في تلاوة الفرض القانونيّ اخصها الصــلاة الربيَّة والمزمور « ارحمني يا الله » الخ . ثم يباشرون بالثاودوكيَّة وفيها اربعة اقسام . فالقسم الاوَّل يدعونهُ ابصالية (ⲯⲁⲗⲓ) وهي كمقدَّمة للثاودوكية . والابصالية تكون عادةً بالسجع يحرّض فيها المؤمنون انفسهم على تمجيد البتول وتعظيمها

ثم تأتي الثاودوكيَّة او التسبحة وفيها ادوار متعدّدة موزونة ولكلّ دور اربعة ابيات . وتبلغ تسبحة الاحد ١٥٧ دورًا وهي اطول تسابيح الاسبوع . وهذه التسبحة تحتوي امجاد مريم البتول على اساليب متفنّنة كما وردت في الاسفار المقدَّسة وميامر الآباء واقوال القديسين . وكلّ معانيها حسنة بهجة تشير الى تقوى الاقباط وتعبُّدهم للعذراء الطاهرة

ويدعى القسم الثالث من الثاودكية لبشاً (ⲗⲱⲃϣ) ومعناهُ ختام البناء فانهُ يجمع نوافذ تقويَّة يجتنيها المصلّي كثمرة صلاتهِ وفي آخرها دعاء للبتول . وفي نسختنا المخطوطة قد ميّز الكاتب اللبش بعلامة خاصَّة

امَّا القسم الاخير فهو « الطرح » والطرح في اصطلاحهم تفسير للاقسام السابقة مع بعض ايضاحات لافادة السامعين . وهو دائمًا بالعربية يقرأَهُ احد الحضور ولا يُتغنَّى بهِ . وهذا الطرح ليس بمدوَّن في طبعــة رومية لرافائيل الطوخي ولعلَّهُ لم يوجد سابقًا في النسخ القديمة لمَّا كان الاقباط يفهمون اللغــة القبطية فلم يكن حاجة الى شرحٍ خصوصي بلغة أُخرى

وفي مجموعنا ترى ما عدا التسابيح في مديح امّ الله التسابيح الاربعة المنقولة من الكتاب الكريم وهي تسبحة موسى بعد ان قطع الاسرائيليُّون بحر القلزم (خروج ١٥) ثم التسبحة الواردة في المزمور ١٣٧ . ثم تسبحة الثلاثة الفتيــة في اتون النار ثم تسبحــة رابعة تتركَّب من المزامير ١٤٨ , ١٤٩ , ١٥٠ . وهذه التسابيح تعتــبر



مثال صفحة من كتاب الثاودوكيّات

المصون في المكتبة الشرقيَّة في كليَّة القديس يوسف

كالثاودكيّا لها مثلها مقدَّمة وختام وشرح

*

هذه هي اخصّ التآليف القبطية في الرتب الدينية وقد طُبعت كلُّها في رومية بهمّة رافائيل الطوخي اسقف أرسينويه في اواسط القرن الثامن عشر

قلنا « اخصّها » لانّ لنا دلائل عديدة على انّ الاقدمين اتّخذوا في طقوسهم رتبًا غيرها أُبطل استعمالها في كرور الادهار

ومن جملة هذه الرتب رتبة للفصح المجيد نشرها لاوّل مرّة غبطة السيّد كيرلوس مقار بطريرك القبط الكاثوليك حالًا عن نسخةٍ قديمة عنوانها «كتاب البصخة المقدَّسة» وهذا الكتاب يحتوي كلّ رتب جمعة الآلام واحد القيامة . وصلواتهُ في الغالب مقتطفة من آيات الكتاب الكريم

ويوجد كتب اخرى غير هذه التي لا تزال مخطوطة . والمستشرقون يهتمُّون بالبحث عنها لينشروها ويعرّفوا خواصّها . وقد سبق المشرق (٢ : ٢٢١) ووصف نافورًا قديمًا وضعهُ احد معاصري القديس اثناسيوس وهو الاسقف سيرابيون فوجدهُ منذ عهد قريب المعلِم ڤوبرمين في خزانة كتب جبل اثوس

هذا ونضرب صفحًا عن بعض كتب خطب ومواعظ بالعربيَّة تُقرأ في اعياد الاقباط . منها خُطب للشيخ الصفي ابن العسَّال طُبعت في المطبعة الوطنيَّة بمصر سنة ١٦١١ للشهداء (١٨٩٤ م) . وللاقباط الارثذكس مجموعان آخران في ذلك طبعوهما في المطبعة الاهليَّة القبطيَّة سنة ١٥٨٩ للشهداء (١٨٧٢ م) . وفي الختام نستلفت انظار اهل البحث الى طلب مثل هذه الكنوز الدفينة ليحيوها من رممها ويغنوا بها العلوم الدينية

بحث جغرافي

في سيرة القديس مارون الناسك

للاب هنري لامنس اليسوعي (تابع)

ورد ذكر « مارونية » في ترجمة الراهب مُلخس التي كتبها القديس ايرونيموس فقال عنها انها بلدة صغيرة (haud grandis viculus) على مسافة ثلاثين ميلًا شرقي

انطاكية (١ كانت ملكاً لصديقه ايفاغريوس الكاهن الذي ارتقى بعد ذلك الى اسقفيَّة انطاكية. وكان القديس ايرونيموس ايام اقامتـــه في انطاكية يتردَّد الى القرية المذكورة مع صديقهِ ايفاغريوس الموما اليهِ. وهذا برهان آخر على انها كانت قريبة من انطاكية لكن لا يسوغ ان تزيد عليهِ انَّها كانت في جوار مدينة قورس اذ كان بينها وبين هذه المدينة الاخيرة مسيرة يومين على الاقلّ

فالى اي شيء اذاً يستند قول من يقولون ان القديس مارون ولد في قرية مارونية؟ لا علم لنا بذلك لان توادوريطوس الذي هو المستند الوحيد لكل ما كتبهُ الكاتبون عن القديس مارون لا يذكر شيئاً عن مكان مولدهِ وكل المؤرخين الذين جاؤوا بعد اسقف قورس نقلوا عنهُ واذا كانوا قد اضافوا بعض زيادات الى كلامهِ فليس لهـــذه الزيادات عند اهل التحقيق الّا قيمة كاتبها. نعم انَّهم قصدوا قصداً حسناً فرغبوا في ان يوضحوا ما سكت عنهُ توادوريطوس غير انهُ لا غنى للمؤرخ المدقق في امور كثيرة عن الاقرار بالجهل والقصور. وزيادةً على ذلك ان التقليدات التي يتناقلهـــا الموارنة ساكتة ايضاً عن مكان ولادة ابيهم القديس مارون ولو كان شيء من ذلك لما تأخر البطريرك اسطفان الدويهي عن ايرادهِ. وعليهِ فانَّنا نعجب كيف يمكن في هذه المسألة بَسط الكلام اكثر من توادوريطوس والدويهي

ثم اردف صاحب تاريخ الكنيسة الانطاكية (ص ٨٤) قولهُ عن ولادة القديس مارون في مارونية » بقولهِ « انهُ درس العلوم في احدى مدارس انطاكية ». وهو ايضاً امرٌ لم يُفدنا عنهُ توادوريطوس وقد اسندهُ الكاتب الحديث الى المودَّة التي زعم انَّها نشأت بين القديس يوحنَّا فم الذهب والقديس مارون الناسك (٢ منذ كانا يدرسان معاً في انطاكية. على انَّنا نقرُّ بسذاجة انَّنا لا نفهم قوَّة هذه الحجة لا بل نظنُّ انَّ القديس مارون كبقيَّة نُسَّاك زمانهِ في القورسيَّة (٣ كان من اصل آرامي ويجهل اللغة اليونانيَّة ومن ثم انهُ لم يدرس في مدارس انطاكية. وخلاصة القول انَّ الاحرى بنا ان نقرَّ بجهلنـــا

١) وذكر الجغرافيّ بطلميوس ايضاً مكاناً آخر في سوريَّة يدعى « مارونيا » لكن يصعب القول انهُ عنى مارونية التي نحن بصددها ونرجح انهُ يريد بها مركزاً في اقليم قنسرين كما ذهب اليــه هرتمن ZDPV, XXIII, 145 راجع كذلك Ritter, XVII, 1569

٢) استناداً الى الرسالة ٣٦ من رسائل القديس يوحنا فم الذهب

٣) وسيأتي بيان ذلك قريباً

المكان المعيَّن الذي وُلد فيهِ القديس مارون

وان طلب منّا القارئ رأينا في ذلك رجّحنا كونهُ لم يولد في جوار انطاكية. وعلى كل حال لا نرى صوابًا في ما اثبتهُ حضرة الخوري غبريل (ص ٨٧) حيث قال: «انَّ البريَّة التي انحاز اليها القديس مارون قيل انَّها مجاورة لتلك التي رسمها القديس ايرونيموس عندما اعتزل اليها... وذكرها في جملة كتاباتهِ» لانَّ البريَّة التي اعتزل اليها هذا القديس معروفة محدَّدة الارجاء وهي ناحية متَّسعة الفناء موقعها جنوبي شرقي حلب كانت تدعى كلسيديَّة (Chalcidène) باسم عاصمتها كلسيس التي تُعرف اليوم باسم قنسرين وهي عبارة عن قفر قفِر احرقتهُ الشمس يجاور بريَّة الشام لا يسكنهُ الَّا بعض عرب البادية (١. ومن راجع وصف هذا المكان للقديس ايرونيموس لا يراهُ موافقًا لما قالهُ توادوريطوس عن البلاد التى عاش فيها القديس مارون وهي القورسيَّة كما سبق. فالرأي عندنا انَّ مولد رجل الله كان في الناحية التي فيها قضى اكبر قسم من حياتهِ كما سيأتي نقلًا عن توادوريطوس. ولو كان مولد القديس مارون في انطاكية او جوارها لكان اختار لزهدهِ احدى البراري العديدة الواقعة على مقربة من هذه الحاضرة والمقدَّسة بعيشة كثيرين من مشاهير العبَّاد وذلك ما يتَّضح من التواريخ البيعيَّة المكتوبة في ذلك العصر (٢ كفانا شاهدًا على قولنا مثال القديس يوحنَّا فم الذهب الذي وُلد في انطاكية ثم انقطع الى النسك في دير قريب من موطنهِ. وكذلك نظنّ انَّ القديس مارون الذي عاش ومات في القورسيَّة وُلد ايضًا فيها ما لم يأتنا احد ببرهان جليّ على خلاف هذا الرأي

امَّا ان القديس مارون صرف حياتهُ في القورسيَّة وقضى فيها نحبهُ فالامر واضح وضوحًا تامًّا بما ورد في تاريخ الرهبان لتوادوريطس. فانَّ هذا الكاتب العظيم بعد ذكرهِ من اشتهر من النسَّاك في انطاكية وجوارها يعلن جهارًا انهُ يباشر بتراجم المتنسكين في القورسيَّة (٣ ثم يذكر اعمال ميسياس واشبسياس ويتخلَّص الى ذكر القديس مارون

١) وكانت لغة هذه الناحية السريانيَّة. وكان القديس ايرونيموس يفهمها (راجع مجلَّة الشرق المسيحيّ المطبوعة في رومية « Oriens christianus » لسنة ١٩٠٢ ص ٢٠٢)

٢) راجع كتاب توادوريطس في تاريخ الرهبان

٣) راجع التاريخ ذاتهُ في مجموع مين (ص ١٣١٦)

فبيّن بذلك انّ هذا العابد الشهير كان في الناحية ذاتها. وقد زادنا ايضاحاً في اثناء كلامهِ عن القديس: « انهُ هو غارس الحديقة (يريد حديقة العيشة الرهبانيَّة) التي تزهو الآن في القورسيَّة (١ »

هذا ولا نجهل بانَّ توادوريطس قال في ترجمة ابراهيم الناسك التي الحقها بترجمة القديس مارون « انهُ هو ايضاً كان ثمرة نمت في بلاد قورس » ثم اردف قولهُ بهذه الفقرة قائلاً « وبها كان مولدهُ ». فلماذا يا ترى ضرب الصفح عن التصريح بوطن القديس مارون؟ فهل كان ذلك سهوًا منهُ او جهلًا؟ فهذه معضلات امكن توادوريطس ان يحلّها فلم يفعل. ولعلَّهُ اكتفى بقولهِ عن ابراهيم « انهُ هو ايضاً كان ثمرة نضجت في القورسيَّة » ليشير الى انّ اصل القديس مارون الذي سبق ذكرهُ كان ايضاً من القورسيَّة فليحكم القرّاء

هلمَّ بنا الآن ننظر في ايّ مكان من القورسيَّة تألَّهُ قديسنا الجليل. نجيب على ذلك انَّ غاية ما اعلمنا بهِ توادوريطس في هذا الصدد انهُ « تسلّق الى قمّة جبل كان اقام فيهِ سابقًا عبدةُ الاوثان هيكلًا للابالسة » (٢. والظاهر انَّ هذا الجبل كان على بعض المسافة من قورس كما يلوح من ترجمة القديس يعقوب تلميذ القديس مارون حيث قال عنهُ توادوريطس « انهُ بعد ما سكن مدَّةً مع معلّمهِ جاء فسكن على جبل يقرب من قورس ثلاثين غلوةً » اعني على مسافة ساعة ونصف من هذه المدينة (٣. ولكن في اي جهة كان موقع جبل القديس مارون أفي شمال قورس او جنوبها او جهة أُخرى والرأي عندنا انهُ سكن احد الجبال الواقعة على طريق حلب اعني جنوبي شرقيّ قورس. ليكون مقام القديس اقرب الى افامية في اقليم سوريَة الثانية حيث شُيّد بعد ذلك الدير الذي عُرف باسم دير القديس مارون كما سترى في فصلنا الخامس آنفًا

الّا انَّ تعريف الجبل بعينهِ الذي اوى اليهِ القديس مارون ليس بممكن ما لم يبحث عن ذلك اهل البحث في نواحي قورس. ومما يساعد على ذلك فحص اخربة الهيا كل الواقعة في قمم تلك الجبال والمقابلة بينها وبين ما يرويهِ اهل تلك النواحي بالتقليد مع

---

١) راجع الصفحة ١٢٢٣ منهُ

٢) فيهِ (الصفحة ١٢٢٤)

٣) فيهِ (الصفحة ١٢٢٦)

البحث الجغرافيّ عن مواقع تلك الاصقاع. فلا غرو انَّ من يتبع هذه الخطّة يَلقَ ما لم يكن في حسبانهِ من آثار الامكنة الداثرة في سوريَّة. وما ادراك انهُ لا يجد كتابة قديمة تميط السرّ عن عدَّة امور غامضة (١

ولم يُدفن القديس مارون في محبسهِ فان سكَّان القرى المجاورة تنازعوا ذخائرهُ المقدَّسة حتى فاز بها اهل بلدةٍ قريبة فنقلوها الى وطنهم واقاموا للناسك القديس هيكلًا جعلوها فيهِ. ويؤخذ من بعض نصوص توادوريطس انَّ الهيكل المذكور كان على مسافة من قورس. قال هذا الكاتب الشهير: «ومع انَّنا بعيدون عن القديس فانَّ بركتهُ تشملنا وذكرهُ يقوم لدينا مقام ذخائرهِ». فعنى بهذا بُعد مدينتهِ قورس عن هذا المقام. على انَّ المكان لم يكن خارجاً عن دائرة ابرشيَّتهِ قورس لانَّ مدفنهُ كان قريباً من محبستهِ وقد بيَّنا في ما سبق انَّ القديس عاش في القورسيَّة. ومن ثم صحَّ عندنا ان قبر القديس وهيكلهُ الاوَّلين انَّما كانا في شمالي سوريَّة جنوبيّ قورس في نحو نصف المسافة بينها وبين حلب

٥

هيَّا بنا الآن نبحث عن امرٍ آخر لا تفوت فائدتهُ كلَّ بصير اعني مقام دير القديس مارون الشهير. قد تكرَّر ذكر هذا الدير في اخبار سوريَّة واشتهر رهبانهُ بما ابدوا من البسالة في الدفاع عن الايمان. ولكن تُرى اين كان موقع الدير المذكور هل اقيم بجوار هيكل القديس «مارون العظيم» (كذا دعاهُ توادوريطس في تاريخ الرهبان ص ١٢٥٤) قريباً من ذخائرهِ المباركة كما تُرجّح ذلك التقاليد الشائعة او كان بالاحرى موقعهُ في غير مكان من سوريَّة

مهما كان من صحَّة احد الرأيين نرى الاجدر بنا ان نتصفَّح الآثار القديمة ونستضيء بنبراسها لتعريف موقع هذا المكان الذي في ظلّهِ نشأت الطائفة المارونية. ولا شكَّ انَّ نصوص القدماء تساعدنا على ازالة الشبهات التي تكاثفت بهذا الخصوص. وقد عددنا

---

١) كالكتابة المكتوبة بلغتين يونانية فآراميَّة التي وجدناها في كراد الداسنيَّة شمالي غربي حمص على ناووس قديس يُدعى توما لم يمكنَّا حتَّى الآن بيان احوالهِ (راجع المجلَّة البلجكيَّة موزيون (Musée belge, 1901). وقد نشر حضرة الاب س. رنزفال النص الآرامي في مجلَّة الشرق المسيحي (ROC, 1902)

ما كتبهُ المحدثون بهذا الصدد فوجدنا آراءهم متباينة متناقضة فمنهم من يجعل دير القديس عند انطاكية (١ ومنهم من يرجّح كونهُ في ضواحي حمص(٢ وبين البلدين كما لا يخفى مسافة ستّة ايّام بنيّف. وربّما رأيت الكاتب الواحد مضطربًا متحيرًا يجعل الدير تارةً في محل وتارةً في موقع آخر حتى انّنا عددنا لبعض كتبة زماننا خمسة آراء في هذا الشأن

وعندنا انّ درس الجغرافيّة المدقّق يُفضي بصاحبهِ الى الراي الصحيح ويرشدهُ الى الطريق المثلى. ولا بُدّ لنا لبيان الامر من تعريف الاقسام السياسيّة التي كانت عليها سوريّة الشماليّة وسوريّة الوسطى في عهد دير القديس مارون اعني في القرنين الخامس والسادس فاذا وقفنا عليها تبينًا على التقريب الايالة التي فيها كان موقع هذا الدير المشهور. ثم نضيف الى هذه الاعلامات العموميّة بعض نصوص جغرافيّة تزيد بحثنا ايضاحًا

كان الرومان على عهد تاودوريطس يدعون باسم سوريّة الرومانية كل البلاد المتّسعة الارجاء الواقعة في وسط التخوم الطبيعيّة التي يحدق بها البحر المتوسّط وجبل طورس وبادية الشام وبريّة طور سينا. وكانوا يقسمونها الى اربعة اقسام كبرى او اعمال اعني سوريّة وفينيقية واقليم العرب وفلسطين. ومن هذه الاعمال لا يهمّنا هنا سوى سوريّة وفينيقية فنقتصر كلامنا عليهما

وكان عمل سوريّة يُقسم الى ثلاثة اقسام او ولايات يسمّونها سوريّة الاولى او سوريّة المجوّفة ثم سوريّة الثانية او سوريّة الطيّبة ثم سوريّة الثالثة المدعوّة ايضًا سوريّة الفراتية

وكانت قاعدة سوريّة الاولى المعروفة بالمجوّفة انطاكية العظمى وهي تمتدّ من جبل امانوس (اللكّام) شمالًا الى مدينتي اللاذقيّة وجبلة جنوبًا ويحدّها شرقًا سوريّة الفراتيّة. فكانت سوريّة هذه تشمل القسم الغربيّ من ولاية حلب الحاليّة ومتصرفيّة اللاذقيّة من ولاية بيروت

وكانت سوريّة الثالثة اي الفراتية تضمّ كلّ البلاد المعروفة سابقًا باسم كوماجينة

---

١) راجع الدويهي (ص ٢٩ و ٦١)

٢) اعني في وسط الطريق بين افامية وحمص (راجع اصداء الشرق السنة الرابعة ص ٩٦)

(راجع خريطة سوريَّة في المشرق ٦ : ٣٥٢) وقد مرَّ وصفها فلا حاجة الى اعادة الكلام فيها. وكانت حاضرة سوريَّة المذكورة مدينة منبج (Hierapolis)

امَّا سوريَّة الثانية (١ المدعوة بالطيّبة (Syria Salutaris) فكانت حاضرتها افامية (قلعة المُضيق) وكان يدخل في حيّزها ابيفانيا او حماة. وكانت حدود هذه الولاية الجنوبية تنحدر الى جوار حمص فيلحق بها اراثوسة ومريمين ورفانية التي موقعها على مسافة ثماني ساعات الى عشر شماليَّ غربي حمص. وعليه فتكون هذه الولاية مطابقة لقسم من ولاية حلب في جنوبها الشرقي ولقائمقامية حماة المركزيَّة في ولاية دمشق. وكلامنا في هذه المقالة خصوصاً عن هذه سوريَّة الثانية فلا بُدَّ للقارئ ان يودعها ذاكرتهُ ليتبعنا في بحثنا

وكان عمل فينيقية وهو القسم الثاني من سوريَّة الرومانية ينقسم الى فينيقية لبنان وفينيقية الساحليَّة

ففينيقية لبنان التي مدار كلامنا عنها هنا كانت حاضرتها حمص على الاقلَّ مباشرةً لانَّ قسماً من سيطرتها بعد ذلك صار الى دمشق. وكفانا هنا علماً ان فينيقية لبنان كانت جنوبيَّ سوريَّة الثانية الطيّبة

فلنعودنَّ الآن الى دير القديس مارون لتعريف موقعهِ. وممَّا اتَّفق عليهِ في هذا الباب لفيف الكتبة ان هذا الدير كان على ضفَّة نهر العاصي. وكذلك لا خلاف بانَّ موقعهُ كان في سوريَّة الثانية. وهذا امرٌ يلوح كالشمس في رائعة النهار لمن طالع العريضة التي وجَّهها رهبان هذا الدير الى البابا القديس هرمزداس مع سائر الكتابات الرسمية التي ورد فيها ذكرهُ فانَّها كلّها بلا استثناء تجعل دير القديس مارون في سوريَّة الثانية

فان صحَّ ذلك بطل زعم الذين بحثوا عن دير القديس مارون خارجاً عن هذه الولاية. ومن ثم فلا صحَّة لقول من ذهب الى انَّ هذا الدير كان بجوار انطاكية (٢

١) وعليهِ فلا نرى مدقّقًا لتحديد بعض المحدثين لسوريَّة الثانية حيث قال : « سمَّاها الاقدمون سوريَّة الثانية لتتميَّز عن سوريَّة الاولى التي تعمَّ جميع ما هو من عريش مصر الى نهر دجلة »

٢) راجع تاريخ الكنيسة الانطاكيَّة (ص ١٠٩) وتاريخ الطائفة المارونية للدويهي (ص ٣٩)

او قريباً من حمص لانهُ لو كان في ضواحي انطاكيـة لكان من سوريَّة الاولى اي الجوَّفة ولو جاور حمص لعُدَّ من فينيقية لبنان

ولكن بقي ان نعيّن مكان هذا الدير ضمن تخوم سوريَّة الثانيـة في جوار نهر العاصي . ولبيان الامر نرى هنا ايضاً اصلاح بعض الاغلاط الجغرافيَّة التي شوَّشت هذه المسألة وجعلتها مرتبكةً مغلقة

فالغلط الاوَّل هو غلط الذين قرَّبوا موقع افامية من حمص فجعلوا المدينتين مجاورتين وهو غلط عظيم ورد في تاريخ سرياني لدير مار باسوس نذكرهُ آنفاً فقـال صاحبهُ: « ودير الشهيد مار باسوس في بلاد افامية على مقربةٍ (كذا) من مدينـة حمص الكبرى ». وقد شطَّ كاتب هذه الاسطر وسبب شطوطهِ انهُ وضع تاريخهُ في زمنٍ كانت حمص بلغت فيــهِ مقاماً سامياً فبهرهُ نور شهرتها. ومن ثم فانَّنا نعذر الذين استندوا الى هذا القول ليجعـلوا موقع دير القديس مارون في جوار حمص بدلًا من افامية لاسيَّما انَّ افامية كانت آنئذٍ خربت بعد ان احرقها كسرى الثاني فزادت حمص بخرابها عظماً

ومما يشهد لنا ايضاً على ارتقاء حمص ونفوذها في تلك الاعصار انَّ العرب بعد فتح الشام لمَّا قسموا سوريَّة الى اعمال متعدّدة دعوها اجنادًا جعلوا حمص جندًا وادخلوا تحت حكمها مدينتي حماة وافامية. وهذا دليل واضح على عظم شأن حمص عند دخول العرب بلاد الشام اذ انَّهــا كانت من اكبر مدن سوريَّة في شمالها الشرقيّ. فلا عجب اذن ان كان البعض اتَّخذوا حمص كقياس لتعريف المسافات كما انهم حسبوا افامية وحماة قريبتين منها لوقوعهما تحت حكمها

والغلط الثاني في هذا الباب انّ قوماً خلطوا بين افاميــة وحماة وجعلوهما مدينة واحدة وذلك لبعض التشابه بين اسم افامية وابيفانية (اسم حماة اليوناني). وهو زعم باطل غوي بهِ كتبة عديدون الى غاية القرن الثامن عشر منهم الكاتب دي لاروك في

وقد روى هذا العلّامة (ص ٦٥) نصاً قديماً في سروم ورد فيهِ ما نصُّهُ: « قرية سروم في جبل السويديَّة على مسـافة متساوية بين انطاكـية ودير القديس مارون ». قلنا ان كان المراد بسويديَّة القرية الحاليـة المعروفة بهذا الاسم اقتضى القول بان دير القديس مارون كان موقعهُ بين انطاكية والبحر. وهو زعم مردود

رحلتهِ الى سوريَّة (de la Roque: *Voyage en Syrie*. I,239) ولوكيان في الشرق المسيحيّ وغيرهما كثيرون بعدهما فسرى منهم الوهم الى بعض المحدثين من الكتبة الشرقيين

والصواب في ذلك انَّ افامية هي كما قلنا سابقاً قلعة المضيق شمالي شرقيّ حماة. وقد اماط القناع عن هذه الحقيقة للمرَّة الاولى العلَّامة بورخودت (Burckhardt) فتبعهُ العلماء المحقّقون في قولهِ بعد ذلك بنحو ربع القرن. وعليـهِ فلا تثريب على بعض كتبة الشرق العلماء ان ضلُّوا في ذلك سواء السبيل

ولعلَّ سبباً آخر دفع هؤلاء الكتبة الى ان يجعلوا دير القديس مارون في ضواحي حمص وهو موقع مغارة الراهب. فانَّ هذه المغارة او بالحريّ هذه سلسلة المغـاور التي وصفناها في مقالتنا تسريح الابصار (ص ١٠٧ وفي المشرق ٤: ٢٦٤) جنوبيَّ حمص عنـد راس العاصي. ولمَّا كان بعض العامَّة يعرفونهـا باسم دير القديس مارون ظنَّ قومٌ انَّ المراد بهذا المكان ذلك الدير الاوَّل الذي بُني على اسمهِ قريباً من افامية

فكل هذه المزاعم اوهام لا يجوز القول بها. ومن ثم لا نرى ما كتبهُ البعض في هذا الصدد مضبوطاً حيث جعلوا دير القديس مارون «على تخوم حمص» او «في بلاد حمص وحماة» او «بين حمص وحمـاة» (١ او «في حمص» كما ورد في تاريخ ابي الفداء (٢ وقد تبعهُ الاب ميشال جوليان اليسوعي (٣ او في وسط الطريق بين افامية وحمص على راي الاب ڤاليه الصعودي (٤

والقول الفصل عندنا في ذلك ان موقع دير القديس مارون فُوَيق هذه الامكنة شمالًا ما وراء افامية. وممَّن كادوا يصيبون الهدف في ذلك العلَّامة المسعودي من كتبة القرن العاشر للميلاد فانهُ عيَّن موقعهُ بقولهِ في كتاب التنبيه (ص ١٦٣): ان هذا الدير كان «شرقي شيزر... بقرب نهر الأُرُنط نهر حمص وحماة». وشيزر هذه تُعرف في عهدنا باسم شَيْجَر وهي في نصف الطريق بين حماة وافاميـة اي قلعة المضيق. وقد

١) راجع تاريخ الكنيسة الانطاكية (ص ١٠٩, ١٧٥, ٢٥٧, ٢٦٩)

٢) راجع تاريخ ابي الفداء (Hist. anteisl., ed. Fleischer. p. 112)

٣) في رحلتهِ الى سوريَّة وسينا (ص ١٧٨)

٤) راجع اصداء الشرق (الجزء ٤ ص ٩٠)

افادنا الكاتب عينهُ ان الموارنة كانوا كثيرين في معاملات شيزر ومعرّة النعمان وافامية يسكنون في وسط تلك البلدان. وعندنا ان سبب نموّ الموارنة ووفرتهم في تلك الجهات انما كان قربهم من هذا الدير العظيم فتألّبوا حولهُ ومنهُ قدموا وانتشروا في جهات البترون وجبيل كما بينّا ذلك في مقالة سابقة

واصدق ما ورد في ذلك انما جاء في الآثار المارونيّة التي نشرها الخوري نو الافرنسي (Opuscules Maronites, II,22) وقد ذُكر هنـاك ان دير القديس مارون كان « قريباً من افامية في وادي العاصي ». وقد آثرنا قولهُ على سواهُ لان كاتب هذا الاثر اقدم من سواهُ عهداً سبق غيرهُ الى ذكرهِ (١ وقد عرّف موقعهُ بدقّـة وضبط. فمن هذا النصّ مع ما يستفاد من مراجعة اقوال المؤرخين يتّضح لنا ليس فقط ان دير القديس مارون كان في سوريّة الثانية بل انهُ ايضاً كان في مركز هذه الولاية

وممّا يؤيد رأينا ما ورد في تاريخ رهبان القديس مارون المستشهدين. قال كاتب اخبارهم ان هؤلاء الرهبان بعدد ٣٥٠ خرجوا سنة ٥١٧ يريدون دير القديس سمعان العمودي اذ هجم عليهم المغتصبون فقتلوهم. فيؤخذ من هذه الرواية انهُ كان بين رهبان الديرين علاقات متواصلة وأنهما لم يكونا مبتعدين كثيرًا الواحد عن الآخر. على اننا نعلم ان دير القديس سمعان كان موقعهُ في جبل بركات على مسافة بعض ساعات من حلب غربيّها (٢. فلا بُدّ اذن من القول ان دير القديس مارون كان ايضاً من جهة قريباً من افامية كما سبق. وان اعترض علينـا احد ان المسافة بين الديرين لا تزال كبيرة اجبنا نعم لكن الامكنة التي يختارها غيرنا لموقع هذا الدير اذا جعلناهُ في حمص او حماة تزيد هذه المسافة زيادة بالغة بحيث لا يدرك القارئ سهولة هذه المخابرات بين الديرين لاسيّما كيف امكن نحو ٤٠٠ راهب (٣ ان يخرجوا في وقت واحد فينتقلوا

١) لا نجهل ان عريضة رهبان القديس مارون الى البـابا هرمزداس اقدم من كاتب هذه الآثار المارونية الّا ان تلك العريضة لا تفيدنا عن موقع الدير سوى كونه في سورية الثانية

٢) وليس كما زعم حضرة الخوري غبريل « حذاء انطاكية » (ص ١٧٥) كذلك لا يمكننا ان نسلّم بما جاء في ذيل هذه الصفحة نفسها

٣) قلنا ٤٠٠ راهب. ولعلّهم كانوا اكثر والثابت المقرّر انّ عدد القتلى المستشهدين منهم كانوا ٣٥٠ وقد فرّ منهم كثيرون هاربين. وسيأتي قريباً ذكر دير آخر قريب من دير مار مارون بلغ عدد رهبانهِ ستّة آلاف راهب بنيّف

الى الدير الآخر. ومن ثم لا بدَّ القول ان دير مار مارون كان ارقى شمالًا كما تشهد عليهِ الآثار التي استندنا اليها

وان كانت النتائج السابقة هي صحيحة فيبقى ان تنحصر ابحاث العلماء عن دير القديس مارون منذ الآن فصاعدًا في وادي العاصي قريبًا من قلعة المضيق. فينبغي على الاثريين ان يتجولوا في تلك الجهات ويفحصوا الاخربة ويجمعوا التقاليد الباقية بين اهل تلك النواحي ربما يطلعوا على موقع هذا الدير الجليل الذي احتلهُ مئون من الرهبان الصالحين فقدَّسوهُ باعمالهم وبرّ حياتهم ويشهد على ذلك المسعوديّ في كتاب التنبيه حيث قال (ص ١٩٣): «ودير مارون بنيان عظيم حولهُ اكثر من ثلاثمائة صومعة فيها رهبان وكان فيهِ من آلات الذهب والفضَّة والجوهر شيء عظيم فخرب هذا الدير وما حولهُ من الصوامع بتواتر الفتن». فلا شكَّ انَّ بناء عظيمًا كهذا لم يخرب دون ان يبقَ منهُ شيء من آثارهِ. وان قيل ان خرابهُ سبق القرن العاشر فيصعب وجود بقاياهُ. اجبنا انَّ هذا الدير كان موقعهُ بعيدًا عن البلاد الآهلة بالسكَّان كما ان قلعة المضيق اصبحت منذ اجيال متعدّدة معتزلةً عن الطرق اللاحبة فلم يكثر فيها الخراب والنهب فلا ريب ان تكون ايضًا آثار هذا الدير الذي عُرف باسم دير البلّور باقيةً بجوارها حتى اليوم (التتمَّة لعدد آخر)

رحلة حديثة الى صان الحجر والمنزلة

للاب الملفان الخوري لوسيان لوروا (تتمَّة لما سبق)

فبعد أن أجلنا الطرف في هذه الآثار القديمة جلسنا في مكان مشرف على القرية وأخربتها واعدنا النظر في ما وصلت اليهِ هذه المدينة من المنزلة السامية في القرون الغابرة

واوَّل ما خطر لبالنا ان الفراعنة احسنوا اختيار موقع طانيس ليجعلوها حاضرةً لملكتهم وذلك للطف هوائها اذ كانت بعيدةً عن البحر ورطوبتهِ المُضنكة من جانبٍ

وعن حرارة بلاد الصعيد المحرقة من جانب آخر وهي مع ذلك على ضفّة النهر تتّصل بها مرافق النيل ومحصولات بلاد الشام

امّا تاريخ انشاء طانيس فغاية في القدم وقد افادنا موسى كليم الله في سفر العدد (١٣ : ٢٣) انّ صوعن وهي طانيس كما سبق بُنيت سبع سنين بعد حبرون المعروفة بمدينة الخليل ونعلم انّ هذه المدينة من اقدم بلاد الله ورد ذكرها في سفر التكوين في جملة اخبار ابراهيم

امّا ترقّي طانيس في سُلَّم الحضارة فانّما كان اوّلًا على عهد السلالة الثانية عشرة الثيبيّة. فزيّنها الملكان أمنَمْحات واوسِرتيسين بالابنية الفخيمة. وفيها وجد العلّامة ماريت تمثالي هذين الملكين

ثم قامت الدولة الثالثة عشرة فجعل ملوكها طانيس كتخت مملكتهم وشيّدوا فيها المباني الفاخرة لاسيّما الملكين الغازيَيْن سوفخُتْپو خنوفري ونوفرهُتْپو. وقد اكتشف ايضًا ماريت تمثال الاوّل منهما في وسط اخربة صان الحجر (١

وزادت طانيس عظمًا وفخرًا على عهد الفراعنة الاسيويين المعروفين بالملوك الرعاة او الهِكْسُس. وقد استحبُّوا موقع طانيس لقربها من سواحل آسيَّة موطنهم الاصلي وكانت من ثمَّ يأتيهم المدد فيقوون على كبح جماح اعدائهم. وجعل منشيء دولتهم شلاتي جيوشهُ فوق اخربة هوارو او هواريس عند طرف البريَّة شرقًا. وقد رجَّح العلماء انَّ هوارو هذه كانت في موقع بلوزة القديمة. وكان عدد جيوشهِ في هذا المعسكر الحصين يبلغ ٢٤٠٠٠٠ جندي تمكَّن بهم شلاتي وخلفاؤهُ من بعده من فتح كلّ بلاد مصر وضبطها تحت حكمهم. امَّا طانيس فصارت مركز الدولة ومقامًا لدوائرها السياسيَّة وفيها كان يقيم الفرعون ايَّام السلم

وقد بلغت الصناعة والفنون في طانيس مبلغًا عظيمًا لا ترى في اعمال الدول المصريَّة الوطنيَّة ما يتجاوزها نفاسةً. والدليل على ذلك التماثيل والدُّمى وآباء الهول التي وجدها فيها العلّامة ماريت ونقلها الى متحف مصر. الَّا ان هيئة صور الاشخاص تدلُّ على

١) راجع Mariette: *Abydos* I. 2. *pl.* 28,30

سحنةٍ مختلفة عن سحنة المصريّين الاصليين فانَّ عيون اهل هذا العنصر الساميّ اصغر وانوفهم يغلب عليها الصلابة والقَنَى مع بعض الفرطحة وكذلك ترى وجناتهم اكثر لحماً واضخم عظاماً وذقونهم ناتئة واشداقهم متَّسعة. ويلوح على الوجه بعض الخشونة مع ما يعلوها من الشعور الكثَّة الشعثة (١

وكان دخول العبرانيين ارض مصر في عهد هذه الدولة الساميَّة. وزادهم نفوذًا عند هؤلاء الملوك وحدة الجنسيَّة وتشابه المهنة في رعاية المواشي فضلًا عمَّا اداهُ يوسف من الخدم الجليلة لمصر في سني المجاعة التي سبق وانبأ بقدومها. وكلُّ ما يُروى في الاسفار المقدَّسة يؤيد راي العلماء في انَّ هذه الحوادث المذكورة في سفرَي التكوين والخروج انَّما حدثت في طانيس.

ولمَّا رُقي يوسف الى رتبة وزير فرعون سعى في خدمة ولي نعمتهِ ومكَّنهُ من امتلاك الاراضي التي اقتناها من اهل مصر بما باعوهُ منهُ من الحنطة. وخدم ايضاً صوالح اسرتهِ لمَّا نال من فرعون ان يُنزل اخوتهُ في ارض جاسان لخصب تربتها وصلاحيتها لرعاية المواشي (راجع سفر التكوين ٤٧ : ٣ الخ)

على انَّ ملوك الهِكْسُس لم يلبثوا ان اثاروا عليهم حقد المصريين لِما رآهُ اهل مصر فيهم من العادات المستغربة والميل لاهل جلدتهم والاشتداد في الحكم على الوطنيين. مع انَّ السياسة كانت حملتهم على اتخاذ كثير من الاحوال المصريَّة وتعبُّدهم لآلهة المصريين وتكلُّمهم بلغتهم

لكنَّ الوطنيين لم يطيقوا حمل هذا النير الثقيل على عواتقهم وكانوا ينتهزون الفرصة لتمليك دولةٍ من جنسهم. ولمَّا قام الملك « ابوفي » او « ابابي » اراد ان يدفع المصريين الى عبادة آلهتِهِ الساميَّة فعاد ذلك عليهِ بالوبال

وقد وردت تفاصيل هذه الفتنة في شقَّة مخطوطة من البرديّ تُصان في المتحف البريطاني في لندن وهذا تعريبها :

« وكان تيا كن قَيْلًا في الصعيد . . . امَّا الاعداء فكانوا قد استولوا على هليو بوليس ويملك زعيمهم في هواريس. واختار ملكهم ابابي لهُ الاله سوتخو كسيّدٍ ولم يعبد سواهُ واقام لهُ هيكلًا محكماً متيناً . . . واحب ابابي ان يكرهُ تيا كن على ترك عبادة

(١ راجع رسالة ماريت الى الڤيكنت دي روجه بخصوص اكتشافات طانيس

عمّون ليعبد سوتخو فلم يرضَ ». ثم يفصّل صاحب الكتابة ما جرى من الحروب بعد ذلك بين تياكن بمساعدة الامراء الوطنيين والملك ابابي وكيف دامت هذه الحرب زمناً طويلاً بين الفريقين حتى اسعد الحظّ الملك احمس من العنصر الوطني ففتح هواريس حصن الملوك الرعاة

وقد جاء في صفيحة أخرى وُضعت على قبر ضابط يُدعى ايضاً احمس ما نصّهُ: « وكنتُ اجري انا احمس ماشياً امام جلالة الملك. ثم ركبتُ السفينة المدعوة « الجلوس في منف » وانتشبت حربٌ بحريَّة على المياه المعروفة بمياه طانيس. . . في جنوبيّ القلعة . . . وقد فتحنا حصن طانيس عنوةً واسرتُ انا رجلاً وامرأتين فجعلهم الملك لي عبيدًا »

ولمَّا دارت الدوائر على الملوك الرعاة خرجوا من ارض مصر ورحلوا الى فلسطين. وفي تاريخ يوسيفوس اليهوديّ انَّهم هم الذين بنوا مدينة اورشليم

وليست بحيرة المنزلة كما زعم البعض موقع الحرب التي ورد ذكرها آنفاً بين المصريين والملوك الرعاة لبعد هذه البحيرة عن طانيس. وزد على ذلك ان هذه البحيرة حديثة لا ترتقي الى ما وراء القرن الثاني للهجرة وكانت التربة التي تغمرها مياه البحيرة اليوم اخصب اراضي مصر. فبقي القول انَّ هذه البحيرة انَّما كانت جنوبيّ قلعة طانيس تكوَّنت هناك من مياه النيل. وهذا ينطبق مع وصف البلد في البابير المذكور. ولعلَّ الملوك الرعاة كانوا احتفروا هذه البحيرة ليردُّوا غارات اعدائهم من جهة الجنوب

وبقيت طانيس دهرًا وهي مهملةٌ خراب الى ايَّام رعمسيس الثاني الشهير (انظر صورتهُ ص ٥٥٩) فاراد ان يحييها من رممها فعاد وجدَّد ابنيتها وزيَّنها بالمباني الخطيرة والآثار الفخيمة كما يشهد عليهِ عدَّة كتابات منها الكتابة التي سبق لنا وصفها. واتَّخذها رعمسيس لهُ مقاماً في ايَّام سلمهِ لمَّا كانت الحروب والفتوحات لم تشغل عقلهُ. وكذلك صنع من بعدهِ خلفاؤهُ لما كانوا يعهدونهُ في طانيس من لطف الهواء واعتدال الجو

ولمَّا كان بنو اسرائيل ممَّن اصابوا في ايَّام الملوك الرعاة حظوى ونجاحاً فما تبدَّلت هيئة الحكومة وعاد الامر الى نصابهِ حتى تشدَّدوا على نسل يعقوب وكاشفوهم بالعداوة



صورة رعمسيس الثاني مأخوذة عن جثتهِ المحفوظة في متحف الجيزة

واثقلوا كاهلهم بالاشغال الشاقَّة واضطرُّوهم الى عمل اللبن لابتناء مدنهم. وقد اشتهر باضطهادهِ لهم ساتي الاوَّل ورعمسيس الثاني ومنفتاح

ولمَّا وُلد موسى وكان حُكم عليهِ بالموت كجميع ذكور اسرائيل عرضتهُ امهُ على المياه بين القصب. ولا شكَّ انَّ ذلك كان قريباً من بلاد جاسان حيث كانت منازل الاسرائيليين. ثمَّ نعلم من الكتاب الكريم انَّ الولد عُرض بين القصب وانَّ ابنة فرعون خرجت الى المكان للاستحمام وليس بمحتمل ان يكون خروجها الى مكان بعيد عن قصر والدها فكلُّ هذه الظروف لا توافق غير طانيس التي كانت تمرُّ عليها ترعةٌ من تُرع النيل. وكذلك بلاد جاسان فانَّها قريبة من طانيس اذ كانت تمتدُّ بين مدينتي الزقازيق والاسماعيليَّة الحاليَّتين فيكون موقع طانيس مجاوراً لهما. ولو قيل انَّ هذه

الحوادث جرت في عاصمة أخرى من عواصم الفراعنة كثيبة مثلاً او منف لتعددت المشاكل واستغلقت وقائع الكتاب بحيث لا يمكن فهمها. بخلاف طانيس فانَّ اخبار سفر الخروج توافقها اي موافقة بحيث لا يشك العاقل ان فيها انجز الله معجزاته لخلاص شعبه

ومن ثم انَّنا نظنّ ايضاً انَّ موسى وهارون انَّما دخلا على فرعون في طانيس وانَّ فيها جرت الضربات العشر التي عاقب بها الله عتوّ ملك مصر وفي رواية سفر الخروج ما يُشعر بقرب حاضرة الملك من ارض جاسان. الَّا انَّ المزمور السابع والسبعين (وهو الثامن والسبعون في الاصل العبرانيّ) لا يبقي شكًّا في الامر حيث يصرّح بذكر صوعن قائلًا مرّتين (في العددين ١٢ و٤٣) انَّ «الربَّ اظهر معجزاتهِ لشعبهِ في ارض مصر في صوعن» اعني طانيس القديمة وصان الحاليَّة

ففي هذه الامكنة اذن التي نطأها الآن بالأقدام ظهرت آياتهُ تعالى على يد عبده موسى. هنا انقلبت مياهُ النيل دماً. هنا ظهرت الضفادع وانتشر البعوض وضُربت البهائم بالموتان وبُردت الغلاَّت واكل الجرادُ الزروع والتحفت تخوم مصر بظلام مدلهمّ وقُتل ابكار المصريين من بكر فرعون وليّ عهدهِ الى بكر آخر عبيدهِ حتى اضطُرَّ مكرهًا الى ان يُطلق اسرائيل فخرج من ارضهِ بيدٍ قديرة ويمين مبسوطة. على انَّ قلب الملك عاد فتصلَّب فسار بخيلهِ ورجلهِ في اثر شعب الله فانتصر الله لعبيدهِ «ومراكب فرعون وجنودهُ طرحها في البحر ونخبة قوادهِ غرقوا في بحر القلزم» (خروج ١٥ : ٤)

امَّا زمن هذه الحوادث العجيبة فقد ظنَّ العلاَّمة مسپرو انَّها جرت في ايَّام ستي الثاني لاضطراب امور الدولة وانتقاض حبلها على عهدهِ. الَّا انَّ الراي المرجح الآن بين العلماء انَّ خروج بني اسرائيل حدث في ملك منفتاح وقد سبق المرحوم الاب يوسف اوتفاج اليسوعيّ فبيَّن ذلك في مقالة مستجادة أُثبتت في المشرق في سنتهِ الاولى (٨٨٠—٨٩٢) واستنادهُ فيها الى آثار متحف الجيزة وجُثث الفراعنة المكتشفة حديثاً

وبقيت طانيس في مقامها السامي زمنًا طويلًا. لانَّ الحركة السياسيَّة كانت لا تزال تخطو الى جهات الشمال ولذلك ضعفت ثيبة بعد عظمتها واتَّسعت اعمال مصر السُّفلى وزاد رونق مدنها كبوبسطة (تلّ بسطة) وسائيس الى ان فازت بالسبق مدينة الاسكندريَّة. وممَّن شرَّف طانيس ملوك الدولة الحادية والعشرين التي انشأها

پسيوخانو الاوَّل سنة ١١١٠ قبل تاريخ الميلاد وهو الذي فتح ثيبة وضمَّ نشر مملكة مصر فبسط حكمهُ على كل تخومها. ومن هذه الدولة كان پسيوخانو الثاني الذي اقترن سليمان الحكيم باحدى بناتهِ

واشتهرت ايضاً بطانيس الدولة الثالثة والعشرون التي ضبطت عنان الملك من سنة ٨١٠ الى ٧٢١ ق م. وفي عهد هذه الدولة تضعضعت الامور ووجَّه اشعيا النبيّ كلام نبوَّتهِ على طانيس وملكها فقال (١٩ : ١١—١٣) : لا جرم ان رؤساء صوعن سفهاء ومشورة مُشيري فرعون سخيفة. . . قد سَفِه رؤساء صوعن. . . واضلَّ مصرَ وجوهُ اسباطها » . فما لبثت اقوال النبيّ ان تمَّت وسقطت طانيس عن مرتبتها فتوالت عليها النكبات من جهة الجنوب لمَّا فتحها الملكان الحبشيَّان شباقو وطهارقو. وما فتئ ان استولى عليها ملك اشور اشوربنيبال فجعل عليها حاكماً ثم بلغهُ انَّ اعيانها حاولوا الغدر بنائبهِ ليفتحوا ابوابها للحبش فامر بان تُنهب المدينة ويُرسل شلوداري احد وجوهها المتمرّدين مثقلًا بالسلاسل الى نينوى

على انَّ هذه البلايا لم تكسر زهو طانيس فتنبَّأ عليها حزقيال بما هو اعظم وتهدَّدها بالحريق والدمار فصدق قولهُ بعد قليل بغزوة نبوكدنصَّر لمصر ثم في غضون فتوحات ملوك فارس وماداي. على انَّ طانيس احرزت لها بعض الشهرة على عهد نِكْتَانيبو ملك مصر لمَّا حاصرهُ فيها احد اعداء دولتهِ اسمهُ طاهو فردَّت المدينة غاراتهِ بمساعدة اجازيلاس احد ابطال مدينة سبَرْتة لكنَّ الملك لم يعرف لهُ هذه النعمة فهجر اجازيلاس خدمتهُ ومات بعد قليل على سواحل بلاد قيرينيَّة (Cyrénaïque)

ثم صارت الدولة الى الاسكندر فحوَّل عن طانيس وعن مُدن الدلتا الشرقيَّة حركة الاشغال وانتقلت السيادة الى الاسكندريَّة. الَّا ان طانيس لم تزل مدينة معتبرة. وجعلها الرومان رأساً لمقاطعة يدعونها نُوماً (nôme) وانتشرت فيها النصرانيَّة فكان فيها كرسي لاسقف ثم تقهقرت شيئاً فشيئاً حتى عُدَّت كقريةٍ في ايَّام الفتح الاسلاميّ لا يدلُّ على خطرها السابق سوى تلّ الاخربة التي كانت تعلوها منذ ذلك العهد. وقد شاهدها في هذه الحالة اندريوسي قائد نابوليون الكبير سنة ١٧٩٩ ووجد فيها آثار ساحة كبرى (forum) على شكل تربيع مستطيل وليست هذه الساحة سوى اثار الهيكل القديم الذي سبق وصفهُ. وذكر ايضاً ان فيها التمر الطيّب يتاجر بهِ اهلها مع عرب الصلاحيَّة يبدلونهُ بسمكهم المملَّح

اما اليوم فلا ترى في صان الحجر سوى اكواخ حقيرة لبعض الفلّاحين ابتنوها بلبن المدينة القديمة . وقد دعانا شيخهم الى منزلهِ لنشرب عندهُ القهوة. فاجتمع اهل القرية حولنا وكانوا يستغربون ازياءنا الّا انهم لم يُسمعونا كلمة شتمٍ او احتقار كما أَلِف امثالهم في غير هذه القرية

ثم ركبنا قاربنا وامرنا الملّاحَيْن بان يصعدا قليلًا النهر . ففعلا واذا بالنهر ينقسم قسمين قسمٌ منهُ يجاور اخربة صان الّا انهُ قليل المياه لا يمكن الخوض بهِ والقسم الآخر اوسع واعمق . فما ابتعدنا عن القرية ميلًا حتى رأينا منظرًا مهيبًا وهو منظر التلّ الذي كنّا نقدّر طولهُ من الف الى الفين متر فاذا هو سلسلة ربًى مستطيلة تُرى على مدى البصر الى مسافة بعيدة . فاخذنا العجب من عظم شأن هذه البقايا الضخمة التي كانت كلّها مباني فخيمة وعمائر فاخرة صارت الى خبر كان

وبينما كنّا نمتّع الالحاظ بهذه المشاهد اذ ظهر لنا منظر آخر على شمالنا عند طرف مزدرعات القرية وهي بحيرة جميلة صقيلة المياه في وسطها الجُزُر النضرة . وما كان الّا السراب غرَّ ثانيةً ابصارنا فأبهجها مدّةً . لكنَّ الحرَّ كان محتدمًا والشمس تتضرَّم علينا هواجرها فاسرعنا الى النزول في بقعةٍ هناك وعمدنا الى الاستحمام في النيل . غير ان مجرى النهر كان قويًّا في ذلك الوقت لطغيان المياه فكاد احد رفقتي المسيو ب . يغرق مع اتقانهِ فنّ السباحة لو لم يتمكّن بعد العناء من العود الى الساحل

وقضينا ذلك النهار كلّهُ في تلك البقعة لانهُ هبَّت ريحٌ شديدة في وجهنا كانت تمنعنا من السير . فتفقّدنا ذلك المكان واذا بهِ جزيرة غاية في الخصب ترى فيها القطن والذرة والدُّخن الى غير ذلك

وعند المساء سكنت الريح ولطفت وَقَدات الجوّ فركبنا القارب لنعود الى برت سعيد . فكان مجرى النهر يُزجنا زجًّا ليّنًا فصرفنا صلب ليلنا نازلين في ترعة المعزّ وكانت الليلة مقمرةً تكسو انوارها ضفّتي النيل بمحاسن طبيعيّة لا يشبع منها النظر . وكان بلوغنا مصبّ نهر المعزّ في غدٍ عند طلوع الشمس ثم قطعنا بحيرة المنزلة متوجّهين الى المطريّة وكانت غايتنا ان نركب منها القطار صباحًا الى بلدة المنزلة . بيد انَّ القطار كان سبقنا فسار قبل وصولنا بثلاثة ارباع الساعة . فاحبّ رفقتي ان يقطعوا الطريق ماشين الى المنزلة وهم يظنّون انّهم يدركونها بعد ساعةٍ . فسرتُ في صحبتهم في طريقٍ تَرينها

المزارع واصناف الاغراس على جانبيها ألَّا انَّ الشمس اشتدَّت علينا بعد حين وقاسينا من التَّعب والكلال ما لا يعلمهُ الَّا الله حتى ادركنا المنزلة ونحن على رَمَق

فلمَّا برَّدنا غليلنا واسترحنا من عنائنا المعنّي زرنا البلدة واسواقها وآثارها وقد لقينا أنَّها تشبهُ في بنائها وهندستها ومساجدها الحسنة ومنائرها العالية مدينة دمياط وان. كان نهرها المعروف بالبحر الصغير دون ترعة دمياط اتساعاً الَّا انَّها تغلب دمياط بنضارتها وبهجة حدائقها وبُسوق اشجارها

وممَّا تذكَّرنا من اخبارها ما جرى للجنرال بونبرت فيها لمَّا حاول فتحها فردَّهُ حسَن طوبار شيخُها البطل ولم يزل يدافع عن وطنهِ تارةً لهُ وتارةً عليهِ حتى قُبض عليهِ وأُسر في القاهرة ثم اطلق الجنرال كلابر سراحهُ فعاد الى المنزلة ومات فيها في حزيران من سنة ١٨٠٠

وكان وصولنا في مساء ذلك النهار الى برت سعيد شاكرين المولى على ما رأيناهُ في هذه الرحلة من مآثر الاقدمين. لكنَّنا اسفنا على انَّ الوقت لم يسمح لنا بزيارة جزيرتي طونة وتنِّيس فاجَّلنا زيارتهما لمرَّة اخرى

ذكر الابطال في حرب الترنسفال

للشاب الاديب اسكندر افندي طحيني

كنتُ عند ورودي الى جنوبي افريقية ولعاً بزيارة الاماكن التي جرت فيها المواقع بين الجنود الانكليزيَّة والبوير. وكنتُ اتردَّد على الجنود الانكليز واعجب بما ارى على صدورهم من القدد المتعدّدة الالوان دلالةً على ثباتهم في تلك الحرب العوان

وقصدت مرةً الذهاب الى كولسبرغ لزيارة المدينة وموقع القتال الذي انتشب ثمَّت بين الأُمتين فاتفق سفري مع احد الضباط الذي حضر المعركة المذكورة بصفة ضابط في المدفعيَّة فبعد ان ركبنا القطار واخذنا نتجاذب اطراف الاحاديث سألتهُ عن رأيه في القائد « دي وت » فقال: ان هذا القائد البويري يضارع اسكندر الكبير ونابليون وانيبال بدرايتهِ وحذقه ومهارتهِ في الامور الحربية ثمَّ اخذ يقصّ عليَّ هذا الخبر فقال:

بعد فتح جوهنسبور ودخول جنودنا اليها ،ظفرة أمرتُ بالذهاب اليها فدخلتها مع فرقتي واذ هي في اضطراب عظيم وقلق ليس لهُ مثيل والجنود من مدفعيين ومشاة ورماحة واكوسيين وايرلنديين ومستعمرين يتجولون في شوارعها. وبعد ان استرحت من مشقَّة الطريق دعاني احد اصحابي الى حانة لشرب كأس من الويسكي فاجبتُ دعوتهُ. وقد وجدنا في الحانة نحو عشرين ضابطاً كلهم بالبزَّات الرسمية وعلى الباب كثير من الخيل الملجمة يحرسها الغلمان. فما كدنا ندخل الّا وتقدَّم الينا احد الضباط وكان ذا لحية خفيفة فكلمنا بانكليزيَّة فصيحة قائلاً: « يقولون ان دي وت بالمدينة » فاخذ صاحبي يقهقه ويقول انني اول البارحة بعد معركة يسيرة تركت دي وت على مسافة الف ميل من هنا. فاجابهُ الضابط المذكور: « لقد اصبت لأنني انا كذلك اعهد انهُ في الجبال الغربية »

ثم سألنا ان نشرب قليلاً من الويسكي وامر الغلام ان يقدّم اقداحاً لبقية الضباط وبعد ما شربوا اخذوا يتجاذبون الحديث وطفق ذلك الضابط المجهول يتكلم عن معسكر دي وت ويستقصي كذلك القول عن العسكر الانكليزي وبعد ان اكمل رشف قدحهِ قال لصاحبي: « اذًا تؤكد ان دي وت ما قدر يدخل المدينة » فاجابهُ صاحبي على الفور: نعم اني على يقين من انهُ لم يدخلها. ثم انهُ ناول صاحب الحانة قطعة من الذهب عليها صورة الملكة وبعد ان سلم علينا السلام العسكري امتطى صهوة جواد اسود من اطايب الخيل واخذ ينهب بهِ الارض نهباً فخلناه ذاهباً الى فرقتهِ فتركناه وشأنه والتهينا عنهُ بالحديث

ولكن لم يمضِ علينا بضع دقائق حتى رأينا القبطان... قادماً مذعورًا ووجهه احمر كالدم والعرق ينضح من جبينه فدخل الحانة واخذ يتفقَّد كل جوانبها فضحك الضباط من هيئتهِ وقال لهُ احدهم: « كأني بك تطلب دي وت بيننا »

فاجابهُ: اجل او ما رأيتم ضابطاً اسمر اللون لابساً بزّة مُلازم وراكباً جوادًا اسود ضخماً

قالوا: نعم رأيناه وقد كان هنا من مدة وجيزة

— واين ذهب ؟

— مرَّ من هذا الشارع

— هذا هو دي وت بعينهِ

فحينئذٍ اخذ منَّا الاضطراب مأخذه وقام الحضور في الحانة المذكورة وخرج الكل الى خارج علَّهم يجدونه لكنَّنا طلبنا اثرًا بعد عين وعضضنا الانامل ندماً على فراره

قال الراوي : فخرجتُ من هناك وانا افكر في ذلك القائد البطل وقلت : هكذا تكون محبَّة الوطن وشهامة الفرسان والَّا فلا

ولنعد الآن الى سياق الحديث فلمَّا وصلنا كولسبرغ غادرنا القطار ومشينا قليلًا حتى اذا وصلنا الى محل الواقعة قال لي رفيقي : هذه ساحة الوغى فشخصتُ ببصري نحو المكان فاذا هو وهاد خضرة وسهل فسيح ووادٍ بعيد فيه بعض اشجار وكنت ارى غابات مقطوعة او محروقة وبيرتاً مهدومة وبنادق وسلاحاً مكسورة كما كنت اطالع في التواريخ عن مواقع القتال

وكانت مخيَّلتي تصوّر لي الواقعة كاني احضرها . وبقيتُ مليًا هذه التفكرات تجول في خاطري حتى جذبني رفيقي وقال : « هناك كنا واقفين » . واراني جُبَيلًا مكللًا ببعض اكياس مملوءة رملًا ثمَّ اردف : « نعم كنَّا هنا وراء هذه المتاريس وكانت البوير قرب الجهة الشمالية على هذا الجبل الذي توهم العين انهُ على بعد خمسمائة متر وهو في الحقيقة على بعد كيلومترين وكنَّا مختبئين وراء هذا الجبل نطلق المدافع فكانت الطلقات تذهب كلها خطأ لأننا كنَّا لا نحسن قياس المسافة وما درينا بذلك الَّا بعد خامس طلقة فصرنا نطلق المدافع على بعد الف وخمسمائة متر بدل الخمسمائة وذلك لعمري فرق يُذكر »

فسألتهُ حينئذٍ : وهل كان يخطئ البوير كذلك . قال : « كلَّا لأنهم معتادون طرق بلادهم . وبينما كنَّا نبذل الجهد لكي نحكم طلقاتنا كان رصاصهم يضرب الحجارة التي كنَّا وراءها وبعضها كانت تخرقهُ قوة الرصاص فتُطيرهُ شعاعاً علينا وكان احد الجاويشية بقربي وراء صخر فيهِ شقّ متطاول فدخلت رصاصة من الشقّ اليهِ فقتلتهُ لساعتهِ ورفع آخر رأسهُ من فوق المتاريس فوقع للحال مضرَّجاً بدمهِ واماَّ انا فان رصاصة اصابتني باعلى قبعتي فاطارتها » . وكان الضابط يحكي كل هذا برزانةٍ كأنهُ يروي لي سِفرًا من أساطير الاوَّلين

— وهل قُتل منكم خلق كثير ؟

— اكثر القتلى بين المدفعيين فانَّهم كانوا اذا اطلقوا طلقة واحدة جاءهم مطر من الرصاص يسقط على المحل الذي خرجت منهُ الطلقة . وبعد ان دفعنا البوير

امامنا من جبل الى جبل رأينا ان طلقاتهم تخفّ قليلاً قليلاً فما وصلنا الى محلّهم حتى رأيناه بلقعاً ليس فيهِ غير بعض اسلحة محطمة ألقاها البوير عنهم قبل فرارهم ولم نرَ لهم اثرًا في الجبال الموازية لنا ولكنهم خسروا كثيرين منهم . ألا ترى هذه الوهدة المغطى اكثرها بالحجارة الضخمة والتراب ؟ هناك دفنوا قتلاهم

— هلمَّ معي فاني ارغب في زيارة القبور

— نعم ولكن تعال اولاً وانظر قبور جنودنا

فذهبنا الى محل مُحاط باسلاك من الحديد وفي الوسط ثلاثة قبور كبار والى جانبها قبور صغار متلاصقة مصفوفة كالعسكر اوان الاستعراض

قال : « فالثلاثـة القبور الكبار هي قبور الجنود فانهم كانوا يجمعون جثثهم في حفرةٍ واحدة ويهيلون عليهم التراب واماً الرموس الصغار فهي رموس الضباط »

فجثوت حينئذٍ راكعاً وصليت لراحة تلك الانفس صلاة وجيزة واماً رفيقي فانهُ وقف وقفة الجندي بلا سلاح ورفع قبعتهُ واطرق في الارض

ثم بدون لفظ كلمة ذهبنا الى قبور البوير فاستدللنا من قلّة هندستها انَّها حُفرت على عجل . وهناك كذلك رفع الضابط الانكليزي قبعتهُ وقدمتُ لله صلاة حارّة لاجل اولئك الابطال الراقدين هناك وقفلنا راجعين الى حيث اتينا

يمين العليّ

رواية تاريخية للاب س . ت اليسوعيّ (تابع)

الفصل الثامن

خيبة الآمال

كانت الشمس كشفت جلبابها اذ دخلت الأمة العجوز دوروتيا مخدع سيّدتها وهي تطأ الارض همساً ثم عكمت السجوف وفتحت النوافذ فارسلت الغزالة بانوارهـا واضاءت المكان فسطعت آنية الحجرة وشعَّ فولاذ دمشق وبلّور صيداء وآبنوس الهند

وكانت يهوديت غائصة في بحر النوم في سرير بديع النقش تستر وجهها كلّةٌ

من الانسجة الرقيقة الشفّافة . فوقفت دوروتيا امامها شاخصةً اليها وهي تقول في نفسها : « يا ليت سيّدتي تنام نوماً غرقاً الى ساعة رجوع والدها فتقتصد بذلك على نفسها آلاماً ودموعاً مرّة » . ثم همّت بالخروج واذا بالفتاة تنفّست الصعداء ورأت بتوأمتيها فرأت عبدتها الامينة فقالت :

ما الخبر يا عزيزتي ؟ . . . ليس لديكِ من خبر ؟ . . . أوّاه ما اشقى حالي وانا في هذا الانتظار المُعَنّي

قالت هذا وعادت الى بكائها . امّا دوروتيا فلم تدرِ كيف تعزّي سيّدتها بعد ان منّتها مرارًا بالفرج القريب . لكنّها خرجت اسيفة تستدعي الاماء الموكولات بلبسها وهندامها فلمّا دخلنَ تجلّدت يهوديت واخفت دموعها عنهنّ ثم سلّمت نفسها الى ايديهنّ . فكنت ترى هذه تسخّن الماء على كانون لتغسل راسها وتلك تهيّئ الغسول واخرى تدوك الطيوب بالصلاءة او تحمي الحديد لتكوي خمارها وملاءتها . وبينما كانت الاماء الواحدة بعد الاخرى تقوم بمهام مهنتها كانت يهوديت جالسةً على ديوان وهي طوع حركاتهنّ لكنّ الهواجس كانت تزدحم عليها وتتناوب في عقلها كأنّها السهام تتعاورها

كيف لا وانّها كانت منذ شهر ونيفٍ تعدّ الساعات والدقائق فتحيي آمالها برجوع والدها . وكانت قضت في جبيل شهرًا تامًّا لتسلّي همومها وتخمد لظى قلبها الّا ان الشهر كان قد تفرّط كالسمط ولم يَلُح لها بارقة أمل . . . ثم عادت الى بيروت لعلّها تستقبل قريبًا اباها وهي تعلم ان حبّهُ الوالدي يدفعهُ الى العود السريع الى دارهِ لكنّ رجاءها بقي خائبًا . . . وها قد صار منتصف شهر آذار ولم تدرِ شيئًا من احوال والدها فانهُ لم يقفل راجعًا بل ولم يرسل الى ابنتهِ رسالة تطمّن بالها

وربّما كانت تصعد الى سطح دارها محدقةً بنظرها ساعات نحو البحر لعلّها ترى سفينةً تُقبل من جهة الجنوب وتأتيها بخبر من ابيها . . . الّا انّ آمالها خابت من جهة البحر كما عيل صبرُها من جهة البرّ

وكانت بخلاف ذلك فرقٌ من صعاليك اليهود تتوالى فارّةً من امام الرومان ملتجئةً الى بيروت وضواحيها لتسدّ جوعها وتفرخ روعها . وكان كثيرون من هؤلاء الهاربين ضربوا خيامهم حول المدينة يعيشون بالصدقات او يرتزقون ببعض الصنائع الخسيسة . وكانت يهوديت تتردّد عليهم لتخفّف اوجاعهم وتحسن اليهم بيد سخيّة الّا

انّها كانت اذا سألتهم عن ابيها لم يحيروا جوابًا وينكرون انّهم راوه او علموا بخبره

تلك كانت افكار يهوديت في ذلك الصباح عند قيامها من نومها بينما كان حشمها يتسارعون الى خدمتها ويسعون بجليها

ولمّا نجز العمل استدعت اثنين من عبيدها وارسلتهما ليتجسّسا لها الاخبار عن قومها فعادا بعد ساعةٍ من الزمن واخبراها بما سمعا اذ مرّا عند ثكنة العسكر فكان الجند مجتمعين يتكلّمون عن الحرب فقال الواحد منهم: « بئس حال اليهود في اورشليم وهم اعداء نفوسهم فانّهم منقسمون الى احزاب متباينة يأكل بعضهم بعضًا كالذئاب. ولا حاجة الى طيطوس ان يحاربهم فانّهم اذا داموا مدّةً على هذه الحالة سقطت المدينة بلا حرب بين يديهِ كغنيمة باردة »

*

وبينا العبدان يرويان ما سمعا اذ طرق سلوانوس باب الغرفة فدخل على سيّدتهِ كاسف الوجه قلق البال وقال:

« لهفي على سيّدي ! انّ اورشليم تتّقد اضطرامًا والحرب قائمة على ساق بين اهلها ! »

فالتمع لونُ يهوديت وعلا وجهها الاصفرار واحسّت باحشائها تتمزّق لهذا الكلام. ثم سألت سلوانوس بصوت يرتجف:

ومن بلّغكَ هذه الاخبار ؟

— هو رجل ورد في هذا الصباح من يافا وقد خرج من اورشليم منذ اسبوعين

— هلمَّ بهِ للحال

فدخل سلوانس بعد برهةٍ بشيخٍ ذي اسمال خلقة وسخة منتعل بحذاء متقطّع وقد تقحّل جلدُهُ. فلمّا رأتهُ يهوديت اقشعرّ بدنها ثمَّ حدجتهُ بالنظر وسألتهُ ما اسمهُ

قال: اسمي يوناثان

— واتيتَ من . . .

— من اورشليم. برحتُها منذ خمسة عشر يومًا وقد فررتُ هاربًا فقطعت ركضًا المسافة بينها وبين يافا ومنها ركبت السفينة « الخطّاف » التي اوصلتني اليوم مرفأ بيروت

— وهل تعرف التاجر صمويل ؟

— لست اعرفهُ

فوقع هذا الجواب كضربة سيف على قلب يهوديت فسكنت حيناً ثمَّ قالت: وماذا يجري في اورشليم

« كيف اصف ما يجري فيها ومجرَّد الفكر في احوالها يهدُّ رُكني ويطير الرقاد عن عيني. اعلمي أيتها السيّدة انهُ لم يحلّ بأمّتنا منذ بدء تاريخها حتى اليوم شدائد كالتي تدهمها الآن. فانَّ هذه البلايا قد أنست فتوح نبوكدنصَّر لمَّا احرق قدس الأقداس وجلا الشعب الى بابل. وكأنَّ لعنة يسوع الناصريّ التي لعن بها المدينة المقدَّسة قبل اربعين سنة قد حلَّت باهلها واذاقتهم الموت الواناً »

قال الشيخ هذا وسكت لسانهُ ونطقت عيونهُ حتى اخضلَّت لحيتهُ بالدموع وكان يلتوي في غضون ذلك ويعقد اصابعهُ متلهفاً يائساً فلمَّا سكن جأشهُ اردف قائلاً:

انَّ في اورشليم اليوم ثلاثة جيوش انقضَّت عليها انقضاض النسور على فريستها حتى قبل ان يحاصرها الرومان. فترينَ في وسط الهيكل العازر بن سمعان وذويه وهم قد تحصَّنوا هناك يدنسون قدس الأقداس بارجاسهم ويستبيحون تقاديم الربّ ويرمون اخوتهم بالنبال من اجنحة الهيكل حيث كان يسهر سابقاً ملائكة إله السلام. وفي ساحات الهيكل وسطوحهِ الدانية قد نصب حنَّاً من جسقالة (جشّ) كبوشهُ ومجانيقهُ ويصوّب اصحابُهُ سهامهم الى المقدس لا يهابون غضب ربّ الجنود. امَّا المدينة فقد صارت طعمةً لسمعان جيوراس وعصبتهِ فيعملون فيها السيف والنار ولم يُسمع في الشوارع والازقَّة غير عويل النساء وصراخ الصبيان وجلبة المحاربين... لقد قُضي الامر وعمَّا قليل لا يبقى من اورشليم غير اسمها مع آثار خرابها... ونحن بني العهد سوف نتيه في اقاصي المعمور وعلى جبهتنا آية اللعنة والقنوط »

قال هذا وعاد الى بكائهِ وزفراتهِ... امَّا يهوديت فعمل فيها قول الشيخ فاغرورقت عيناها بالدموع ووكفت معهُ عبراتها برهةً ثم جثت على ركبتيها وتلت بقلبٍ انعشهُ الايمان « مزمور الرجاء ». فما سمع المسكين اوَّل آياتهِ حتى صلَّى معها وامتزجت صلاة ابنة البطارقة والفقير الصعلوك اللذين تساويا بالتواضع والايمان

وكانت الصلاة لقلبيهما كرهم لطَّف اوجاعهما واعاد لهما الرجاء الذي لاح على محيَّاهما وقضت يهوديت ذلك النهار تتقسَّمها الهموم وتتنازعها الهواجس الَّا انَّ ثقتها

بالله كانت تسند قواها . وفي غد ذاك النهار اتاها سحرًا ساعٍ كان ابحر من يافا في مركب وجهتهُ صيداء فنزل فيها وقصد بيروت برًّا . وكان معهُ كتاب من صموئيل الى ابنتهِ يهوديت

فلمَّا استلمتهُ الفتاة من يدهِ وجب قلبها وترقرق الدمع في عينها فرحًا فاسرعت الى فضّ ختمه ومطالعة مضمونهِ . فاذا تاريخهُ ٢٧ شباط يقول فيهِ صموئيل « انهُ لم ينجز اشغالهُ بعد في اورشليم ولم يتقاضَ ديونهُ فلا يمكنهُ ان يبرح المدينة المقدَّسة قبل العشرين من اذار بعد الفصح . ثم انهُ في حاضرة اليهوديَّة مطمئن البال لا خوف عليهِ من اهل الشَّغَب »

فلمَّا قرأت يهوديت هذه الاسطر التي كانت تأمل منها خبر نجاة ابيها تراكمت عليها الاحزان وتوزَّعتها الاشجان فرأت نفسها كيتيمةٍ لم يبقَ لها في الدنيا صديق ولا سنَد . واخذت تلعن المال الذي اعمى حبُّهُ قلب ابيها فهوَّرهُ في تهلكة لا مناص لهُ منها . وكانت تتعجَّب كيف اهل اورشليم لم يدروا بعد بما يتهدَّدهم من المخاطر وكيف يجهلون ان جيوش الرومان كادت تبلغ ابواب المدينة المقدَّسة

*

وفي عصر ذلك اليوم كنتَ ترى بيروت في حركة غير مألوفة . فكان الاهلون يسيرون الى ساحة البلدة فيتناقلون خبرًا شاع منذ ثلاث ساعات جاء بهِ البريد وهو ان طيطس بلغ اورشليم قبل ان يدري اليهود بقدومهِ فاحدق الرومان بالمدينة وضغطوها بحلقةٍ من حديد . وكان بدء الحصار في سلخ شهر شباط ثاني يوم بعد تاريخ مكتوب صموئيل . وكان طيطس ساعة وصولهِ نصب آلات الحرب فوق جبل الزيتون

فوقع هذا الخبر في قلوب اهل بيروت وقعًا مختلفًا . فكان الرومان والسوريُّون يدعون لطيطس بالظفر ويتفاءلون بالفتح القريب . امَّا اليهود فانقضَّ عليهم الخبر كصاعقة فاقفلوا حوانيتهم وتواروا عن اعين القوم لئلَّا تحدث فتنةٌ بسببهم فيذهبوا ضحيَّة الثائرين كما قُتل منهم قبل ذلك العهد باربع سنوات عشرة آلاف نفس بدمشق

وكان حاكم المدينة امر فرقة من الرمَّاحة الراكبين بان يقتسموا بينهم حارة اليهود ليمنعوا عن اهلها كلّ سوء . فاثار منظرهم الخوف والرعبة بين بني اسرائيل . ولحتهم يهوديت من نافذة دارها وكانت تجهل الخبر الشائع في المدينة فارتجفت فرائصها وسألت

ما الامر فطمّن بالَها الخدم قائلين: « ليس هـــذا شيئاً انما الجنود يتبادلون الاحياء كمألوف عادتهم »

فسكتت ثم لحت بعد قليل بعض اشارات من عبيدها كأنهم يتغامزون ويهمس بعضهم الى بعض فاحسَّت انَّهم يريدون ان يخفوا عنها خبر فاجعة عظيمة فما تمالكت ان صرخت: « قد مات. . . أليس الامر كذلك. . . »

قالت هذا ولم تدع للحضور وقتاً للجواب فسقطت مغشياً عليهـــا. فتوارد العبيد واجتمعوا حولها وحملوها الى غرفة منامها فأَضجعوها على فراشها وانعشوا قواها ببعض المنعشات ففتحت عيونها بعد قليل وادارت الحاظها حولها. ثم اجهشت بالبكاء.

امَّا امتها دوروتيا التي كانت بقربها فانَّها ضمَّتها الى صدرها قائلةً: « كلَّا كلَّا يا حشاشة القلب. . . لم يمت والدكِ. . . انهُ حيٌّ وسترينهُ عمَّا قليـــل. وما الخبر الذي يتناقلهُ الناس سوى خبر حصار الرومان لاورشليم. ولعلَّهُ خبر مُبتسر وإن صحّ فليست المدينة على شفا الخراب ويمكنها الدفاع زمناً طويلاً. فلا يحسن بكِ ان تتوهمي الاوهام الكاذبة وما ادراك ان يكون ابوكِ علم بقرب الرومان فخرج من المدينة قبل الحصار »

وكانت يهوديت تسمع كلام أَمتها وتحاول احياء رجائها الَّا انَّ الخوف على حياة والدها غلب عليها فجعلت تذرف الدموع وهي تقول: كلَّا كلَّا انَّهُ لم يبقَ املٌ لخلاص المدينة. . . والويل لابي ان لم يخرج منها. . . ليت شعري كم يبرّح بهِ العذاب. . . وانا لا اعود انظر الى وجههِ. . .

وفيما هي تفوهُ بهذه الالفاظ اذ دخل الطبيب كتازياس وكانت دوروتيا اسرعت فارسلت تستدعيهِ. وكان كتازياس يعالج بيت صموئيل منـــذ زمن طويل ويحبُّ يهوديت محبَّة الاب لابنتهِ. فلمَّا رأى الفتاة اشربها دواء مسكّناً وجلس عند فراشها ينتظر مفعول الدواء. فما مرَّ عليهِ نصف الساعة حتى كلَّت اجفانها فنامت نوماً قلقاً كنوم المحموم الذي يتململ على فراشهِ فلا يذوق الراحة الَّا انهُ يسهو عمَّا يجري امامهُ

ثم قام كتازياس وقال لدوروتيا: لا تدَعوا الفتاة وحدها فان الليلة القادمة تكون سيئةً

وصدق الطبيب بما قال فانَّ حال المريضة كانت تنذر بالاهوال. . . فانَّ يهوديت كانت ترى في نومها الاحلام المريعة فتارةً تردّ بيدها عدوًّا غير منظور وحيناً تصرخ:

« لا تُلحقوا اذى بابي ». وكانت تحاول في بعض الاحيان ان تقوم من فراشها وتتخلّص من ايدي العبيد الذين يرّضونها فتقول: ألا ترون ابي في العذاب ما لكم تمنعوني عن مساعدته وانقاذه ». وبقيت كذلك الى منتصف الليل حيث خمدت حرارة الحمّى قليلًا عنها ثم تركتها عند الصباح فسقطت قواها وبقيت لا حراك بها . . . وكان الخطر قد زال الّا انّ عبيدها كانوا يخافون جزعها عند يقظتها (ستأتي البقيّة)

مطبوعات شرقية جديدة

LITTÉRATURE ARABE

par Cl. Huart, *Paris, Armand Colin*, 1902 IX - 470

فنون الادب عند العرب

ان تقدُّم الدروس العربيَّة في الاصقاع الاوربيَّة حمل كثيرين من المستشرقين على وضع كتبٍ في لغات شتى يبحثون فيها عن تاريخ آداب العرب منذ ايَّام الجاهليَّة الى عهدنا اشتهر منهم همّر برغشتال (Hammer-Purgstall) في النمسا وفيليب دي بردي (F. de Bardi) في ايطالية وكُركاس (V. Guirgass) في روسيَّة واربوثنوت (Arbuthnot) في انكلترَّة ومؤخرًا كرل بروكلمان (C. Brockelmann) في المانية. فلم يرضَ المستشرق الشهير كليمان هوارت ان تُحرَم فرنسة كتابًا يفيد ابناءها علمًا عمّا تحتويهِ اللغة العربيَّة من الكنوز الادبيَّة ويوقفهم على تاريخ ائمَّة كَتَبتها في كل عصر وقد ساعدت المؤلف على هذا العمل الجليل دروسهُ السابقة واسفارهُ المتعدّدة وصحبتهُ لعلماء الشرق فجاء كتابهُ سِفرًا نفيسًا جليل الفائدة منسجم الانشاء طليّ العبارة لا يستغني عنهُ اديب

على ان كثرة ما يقتضيهِ كتاب مثل هذا من المطالعات والابحاث يُمهد العذر لكاتبهِ في ما سها عنهُ او وهم فيهِ بعض الاحيان. فمن ذلك انّنا نرى فصلهُ في شعراء الجاهليَّة قصيرًا غير مستوفى ضرب فيهِ صفحًا عن كثيرين من الشعراء المجيدين كالمرقشين وسلامة بن جندل والمثقب العبدي وغيرهم. وقد فضَّل في هذا الفصل (ص ١٤) شعر طرفة على غيرهِ من الشعراء لما تتضمَّن قصائدهُ من الحكم مع انّ للنابغة الذبيانيّ ولزهير

ابن ابي سلمى حكماً مثلها وافضل منهـا. وفيهِ لم يميّز بين الخنساء بنت زهير التي لا يُعرَف لها سوى ثلاثة ابيات في رثاء ابيهـا (راجع كتابنا رياض الادب في مراثي شواعر العرب ١١٥) والخنساء السُّلَميَّة بنت عمرو راثية صخر ومعاوية التي نشرنا ديوانها مع شرحهِ. وقد انكر فيهِ ايضاً (ص ٢٩) نصرانيَّة اميَّة بن ابي الصلت التي اثبتناها في المشرق (٤: ٥٧٣) ردًّا على الهلال. وكذلك رددنا على بروكلمان (في المشرق ١: ٥٢٦) قولهُ بان النابغة الذبيانيّ وزهير والاعشى لم يدينوا بالنصرانيَّة وقد استنـدنا الى الصغاني وصاحب تاج العروس وبعض المستشرقين الحدثين كولهوزن

وفي الفصل الاخير امور عديدة لم يتثبَّتها صاحب الكتاب لو اردنا ذكرها بالتفصيل لاتَّسع بنا الكلام من ذلك انهُ لم يميّز (ص٤١٢) بين نيقولا ومارون نقَّاش. وكذلك (ص ٤٠٨) لا نعرف ديواناً للاديب الياس افندي باسيل وانّما لهُ مجموع من اقاويل الشعراء دعاهُ مجموعة الازهار — وكذلك لا نرى داعياً لنظم يوسف بك كرم في عداد الكتبة (ص ٤٢٥). وليس الدرّ المكنون (ص٤١٠) «كتاباً في اللغة» بل في الصنائع والفنون. ولا «محيط المحيط ذيلًا للقاموس» (ص ٤٠٩). وبخلاف ذلك كان حقُّهُ ان يذكر في جملة ادباء زماننا الشيخ محمَّد عبده والشيخ ابراهيم الاحدب والامير شكيب ارسلان ومن النصارى اولاد الشيخ ناصيف اليازجي والمطران جرمانوس الشماليّ وعبد الله البستاني وغيرهم ممَّن لهم اليد الطولى في تعزيز الآداب ورفع منار العربيَّة

CORPUS SCRIPTORUM ORIENTALIUM

Scriptores Syri - Chronica minora - Pars prior

edidit et interpretatus est, Ign. Guidi

مجموع تآليف كتبة النصارى الشرقيين

سبق لنا (في المشرق ٦: ٣٣٤) ذكر هـذا المجموع الذي باشر بنشرهِ قومٌ من نخبة العلماء (١. ويسرُّنا اليوم ان نبشّر القرَّاء بظهور باكورة هذا المشروع وهو جزء من القسم السريانيّ يحتوي تاريخين احدهما التاريخ الرهاوي السريانيّ الذي يرتقي عهدهُ الى القرن السادس للمسيح وهو يتضمَّن اخبار مدينة الرها الشهيرة وملوكها الاباجرة من سنة ١٨٠ قبل المسيح الى ٥٤٠ بعد الميلاد نقلًا عن نسخة قديمة في الخزانة الواتكانيَّة

١) من اراد الحصول على هذا المجموع فليطلبهُ من احد هذين الكتبيَّين: Leipsig: *Otto Harrassowitz* Luerstrosse, 14 = Paris: C. *Poussielgue* 15 rue Cassette

كان العلاّمة السمعاني نشرها في المكتبة الشرقية ببعض تصرُّف فاعاد الاستاذ المفضال غويدي طبعها وشرحها شرحًا جديدًا. والتاريخ الثاني هو تاريخ غفلٌ لا يُعرف صاحبهُ وجدهُ هذا الاستاذ الهمام في جملة السينودسات النسطوريَّة كُتب نحو السنة ٦٨٠ للمسيح يشتمل فوائد جمَّة عن اخبار الدولة الساسانيَّة وظهور العرب في العراق. وكان الاستاذ المومأ اليهِ نشرهُ اوَّلًا في ١٨٩١ ثم كرَّر طبعهُ الآن ونقلهُ الى اللاتينيَّة مستفيدًا من ملاحظات العلماء بهذا الخصوص ل. ش

شَذَرَاتٌ

انجيل مخطوط — افادنا من بزمار حضرة الاب الفاضل القسّ يوحنَّا قوزيان انهُ « عثر في ماردين على انجيل عربيّ مخطوط تاريخ كتابتهِ سنة ١٧٠١ وهو مكتوب على ورق لمَّاع صفيق على يد الفقير عيسى بن عازريه وهو الشمَّاس شكر الله ابن فرج الله الماروني الارثذكسيّ » ثمَّ نقل منهُ حضرة الكاتب فصلين نثبت منهما قسمًا بحرفهِ لتعريف الكتاب

« فلمَّا اتغدوا قال يسوع لسمعان بطرس: يا سمعان ابن يونا انحبني اكثر من هولاي. قال لهُ: نعم يا رب انت تعلم انني احبك. قال لهُ: ارعى غنمي. ثمَّ قال لهُ ثانيةً: يا سمعان ابن يونا تحبني. قال لهُ: نعم يا رب انت تعلم اني احبك. قال لهُ. ارعى خرافي. فقال لهُ دفعة ثالثة: يا سمعان ابن يونا تحبني. فحزن بطرس لانهُ قال لهُ تحبني ثلاث مرات. فقال لهُ: يا رب انت تعرف كل شيء وانت تعلم اني احبك. قال لهُ يسوع: ارعا نعاجي الحق الحق اقول لك انك اذ كنت شابًا كنت تزنّر ذاتك وتذهب حيث تشاء ولكن اذ شخت ستمد يديك واخرون يزنّرونك ويذهبون بك حيث لا تشاء وانما قال هذا ليريه باي موتة هو عتيد ان يمجد الله. ولما قال هذا قال لهُ: اتبعني (من يوحنا ٢١: ١٥—١٩)

وقد قابلنا بين هذه الترجمة وما لدينا من النسخ المختلفة التي ذكرناها سابقًا في المشرق فاذا هي ترجمة مستقلَّة ونظنُّها منقولة عن الترجمة السريانية. امَّا كاتبها فلا نعلم شيئًا من امرهِ وان وقف احد القرَّاء على شيء من اخبارهِ فافادنا بهِ شكرناهُ سلفًا كما نشكر حضرة الاب قوزيان على تعريفهِ هذا الأثر

الرَّكُوسيَّة — يستلفت حضرة الاب انستاس الكرملي مكاتبنا النقَّاد نظرَ القرَّاء الى نصّ ورد في تاج العروس للسيد المرتضى في مادَّة ر ك س وهو « الركوسيَّة

بالفتح قومٌ لهم دين بين النصارى والصابئين ورُوي عن ابن الاعرابيّ انهُ قال: هذا من نعت النصارى ولا يُعرب». فحضرتهُ يستدلُّ من هذا القول على انَّ في اللفظة تصحيفًا وانَّ المراد بالركوسيَّة نصارى كورس او قورس الذين تكلَّم عنهم حضرة الاب لامنس في بحثهِ الجغرافي عن سيرة القديس مارون الناسك (المشرق ٦: ٢٤٣ و٣٤٧) ثم يورد الكاتب البارع كلامًا لابن الاثير في تاريخ سنة ١٥ للهجرة وللبلاذري في كتاب فتوح البلدان جاء فيهِ ذكر قورس واهلها النصارى الذين صالحوا المسلمين على يد راهب من رهبانهم. وينهي كلامهُ طالبًا من القرَّاء ان يبحثوا عن الركوسيَّة في كتب العرب وغيرهم لعلَّهم يجدون ما فيهِ فائدة لتاريخ بلادنا

الطاعون في الهند نشرت الحكومة الانكليزيَّة احصاء رسميًّا للمطعونين في الهند منذ ظهور الوباء سنة ١٨٩٦ الى السنة الجارية يُستفاد منهُ انَّ العدوى لا تزال في فشوٍّ وانتشار. ففي سنة ١٨٩٦ كان عدد الموتى بالطاعون في كل الهند ١٧٠٠ نفس ثم بلغ السنة ١٨٩٧: ٥٦٠٠٠ ثم ١١٨٠٠٠ سنة ١٨٩٨ ثم ١٣٥٠٠٠ سنة ١٨٩٩. ثم نقصت معرَّتهُ سنة ١٩٠٠ فمات فقط ٩٣٠٠٠ لكنَّهُ في العام القابل ذهب بحياة ٢٧٤٠٠٠ نسمة وتضاعف هذا العدد في السنة ١٩٠٢ فبلغ ٥٧٢٠٠٠. ولعلَّهُ يتجاوز هذا العدد في السنة الجارية لانَّ ملاك الموت قطع اعمار ٣٠٠٠٠٠ من اهل الهند في الشهور الثلاثة الاولى منها. وقد مُنيت خصوصًا في الهند بهذا الداء المشؤوم مقاطعات بنجاب وبنغال وبمباي وصارت حاضرة بمباي تُدعى اليوم مدينة الموتان

ملعب مليطة اكتشفت بعثة علميَّة من الالمان في مدينة مليطة (Milet) من برّ الاناضول اثارًا قديمة معتبرة في جملتها كنيسة وسوق ذات طبقتين ومنها مرسح كبير ازالت عنهُ الردم فأُعيد الى هيئتهِ الاصليَّة. فاذا هو اثر جليل ينبئ بطول باع القدماء في الهندسة. وهو متسع الجوانب يبلغ وجههُ ١٤٠ مترًا على شكل نصف حلقة ذو درجات متعدّدة وفي اعلاهُ شرفات تكلّلهُ قيل انهُ اعظم ملعب يعرف لليونان في الشرق كان يستوعب من الحضور عشرين الف شخص

معرض هانوي قد نال الرهبان الدومينيكيون واليسوعيُّون في هذا المعرض امتيازات خُصُّوا بها لما عرضوهُ من التآليف العلميَّة خصوصًا في العلوم الطبيعيَّة والفلكيَّة. وقد منحت اللجنة المركولة بفحص المعروضات جزاء فخريًا لمرصد

اليسوعيين في الفيليبين واثنت على رسومهم وجداولهم الجيولوجيَّة وتصاوير حركات الافلاك وخصوصاً على مقياس الاعاصير الذي اخترعهُ الاب ألغه الذي نبذ بالانواء في كلّ بحور الشرق الأقصى يومين قبل حدوثها . وقد اشترت حكومة الولايات المتَّحدة بثلثمائة الف فرنك مجلَّدين ضخمين وضعهما اصحاب المرصد المذكور في الرصود الفلكيَّة وغيرها فنشرتهما على نفقتها واعطت موّلفيها الفي نسخة منهما

أسئلة وأجوبة

س سأل حضرة الخوري ف . ش: ١ً ما السبب الذي حمل الاب الاقدس على ان يضيف الى طلبة العذراء « يا امّ المشورة الصالحة » . ٢ً لاي سبب جُعل محلُّها بعد ذكر « الامّ العجيبة » . ٣ً هل يلزم لاستعمالها في الكنائس اجازة اسقف المحلّ

دعاء جديد في طلبة العذراء

نجيب على (الاوَّل) ان سبب اضافة الدعاء « يا ام المشورة الصالحة » هو انتشار التعبُّد لصورة عجائبيَّة للبتول معروفة بهذا الاسم في ايطالية نالت الكنيسة بواسطتها نعماً جزيلة يُقام لها عيد في ٢٦ نيسان . وعلى (الثاني) انَّ ذكر « امّ المشورة الصالحة » جعل بعد ذكر « الامّ العجيبة » لما بين الدعائين من ائتلاف اللفظ والمعنى . وعلى (الثالث) انهُ لا حاجة ان يُنتظَر امر خاص من الاسقف لاستعمال هذا الدعاء . وانَّما العادة المألوفة ان ينشر الاسقف اوامر المجمع المقدَّس حبًّا بالنظام ووحدة العمل

س وسأل من حدتون حضرة الخوري نعمة الله نصّار هل النباتات والعقاقير الموصوفة في كتاب برء الساعة (المشرق ٦ : ٢٩٨) تُعرف بغير هذه الاسماء وتوجد في الاجزائيَّات

وصفات كتاب برء الساعة

ج لهذه النباتات والعقاقير اسماء شائعة بين العلماء وضع لها الدكتور كيك فهرساً في آخر المقالة . فاذا طُلبت منهُ او من صيدلي ضليع احضرها . وللدكتور المذكور انتقاد على هذا الكتاب بالفرنسيَّة لتعريف غثّ الكتاب من سمينهِ

س وسأل اديب من كان الشاعر ديك الجن ومتى عاش

ديك الجن

ج هو ابو محمَّد عبد السلام بن رغبان ولد سنة ١٦١ هـ وتوفي سنة ٢٣٥ (٧٧٨ — ٨٥٠ م) . امَّا اخبارهُ فتجدها مفصَّلة في وفيات الاعيان لابن خلكان (١ : ٤٠٧ من طبعة باريس . وفي مطبعة بولاق لسنة ١٢٩٩ ج ١ : ٣٦٨) ل : ش

المشرق

الرئاسة البطرسيَّة في دياميس رومية

للاب لويس جلابرت اليسوعي

انَّ شهر حزيران ينتهي بذكر ذينك الرسولين المجيدين اللذين اسَّسا النصرانيَّة على أركان لا تتزعزع الواحد كزعيم الكنيسة ورأسها المنظور ونائب المسيح على الارض والآخر كرسول الامم ومبشر العالم. وهو العيد الذي يستعدُّ لهُ الشرقيُّون استعدادهم لاعظم المواسم الدينيَّة بالاصوام الطويلة والصلوات المتواترة لعلمهم انهُ بعد اعياد الربّ وامّهِ الطاهرة هو القطب الذي تدور عليهِ كنيسة المسيح

على انَّ نور الرسول الهامة يبهر في هذا النهار عيون المؤمنين فتراهم في الغالب يوجّهون الالحاظ اليهِ دون رصيفهِ واذا ذكروا بولس انَّما يكون ذلك عرضاً لوقوع استشهاد الرسولين في يوم واحد ولذلك يفردون لبولس تذكارًا خصوصيًّا لئلَّا يفوتهُ حقُّهُ من الاكرام. وكذا نفعل نحن ايضاً في هذه النبذة فنخصّصها بذكر الصفاة وتعريف مقامهِ الفريد في بيعة الله

على أنَّنا لا نقصد في هذه العجالة ان نبيّن رئاسة بطرس استنادًا الى اقوال الانجيل الصريحة او الى شواهد الآباء الاوّلين وملافنة الكنيستين الشرقيَّة والغربيَّة جيلًا بعد جيل كسلسلةٍ غير منفصمة ترقى الى عهد المسيح. فانَّ هذه الادلَّة شائعةٌ يجدها القرَّاء في كتب عديدة فضلًا عمَّا نشرتهُ هذه المجلة مرَّةً بعد اخرى

بيد ان الله عزَّ وجلَّ اذخر في كنوز عنايتـهِ الصمدانية للمدافعين عن كنيستهِ اسلحةً جديدة ليدافعوا عن تعاليمها ويبيّنوا صحّـة اقوالها بازاء اعدائها. نريد بذلك الآثار الجليلة التي كانت مطمورة قبل عصرنا المنصرم في بطن الارض فاثارها قومٌ من اهل العلم واكتشفوا بها عالمًا جديدًا نطق من الاعماق بصدق معتقدات الكنيسة الرومانيّة حتى انهُ امكن البعض ان يؤلفوا تعليمًا مسيحيًا اسندوهُ فقط الى هـذه الشواهد الاثريّة مع قطع النظر عمّا احتوتهُ الكتب الدينيّة (١

واذا قصرنا كلامنا هنا عن رئاسة القديس بطرس وجدنا في داميس رومية بينات لامعة تؤيد معتقد الكاثوليك في هـذا الخصوص وذلك في قرون النصرانيّة الاولى حيث لم يمكن ان يُنسب للاحبار الرومانيين حبُّ الترفُّع والطمع في الرئاسـة ما هو شاهد ساطع على انَّ النصارى الاوَّلين لم يخترعوا هذا الامر وانَّما تسلَّموه من اسلافهم كوديعةٍ ثمينة ائتُمنوا عليها ليجيزوها للخلف من بعدهم (٢ •

*

اذا ما تجوَّل الزائر في داميس رومية بعد ان ازال عنها ردومها العلاَّمة دي روسّي وتلامذتهُ من بعدهِ او اذا دخل متاحف الواتيكان واستقصى آثارها قضى منهُ العجب لكثرة ما يلقاهُ في اثناء تجوُّلهِ من التصاوير التي تمثِّل القديسين بطرس وبولس. فانَّ عددها ينيف على المئة صورة بحيث يصحُّ القول انهُ ليس من صورة اخرى كرَّر المصورون رَسمها كصورتي هذين القديسين. وربَّما صُوِّر بطرس وحدهُ او مع المسيح دون غيرهِ. فهذا التكرار في تصوير هامة الرسل ينطق بلسان حالهِ على ما كان لهُ في رومية من

---

١) راجع مقالة حضرة القس بطرس عزيز عن « سرّ الافخارستيا في العاديَّات المسيحية » (المشرق ٤: ٦٧٣)

٢) قد راجعنا لتسطير هذه المقالة الكتب الآتية: J-B. de Rossi: 1° *Roma sotterranea* — 2° *Bulletino di Archeologia cristiana* = Spencer Northcote et W. R, Brownlow: *Rome souterraine* (trad. de P. Allard) = Garrucci : *Storia dell'arte cristiana* (6 volumes in-fol.) = H. Marucchi : *Eléménts d'Archéologie chrétienne* (Desclée 1900 - 1903 = *Martigny* : *Diction. des Antiq. chrétiennes* (1889) = Peraté : *L'archéologie chrétienne.*

النفوذ والتقدم منذ اوائل الكنيسة ولولا ذلك لما ظهر الداعي لتوفير هذه الصورة على هذا المنوال . هذا مع ما اخذتهُ يد الضياع او لم يُكتشف حتى الآن ولا بدع انَّ المفقود اكثر من الموجود

ومن غريب امر صورة هذين الرسولين انَّها ليست كغيرها من صور الدياميس مبتكرةً مخترعةً كما تصوَّرتها مُخيلة المصوّرين يتصرَّفون فيها كيفما شاؤوا على مثال رسمهم لصور السيّد المسيح او العذراء الطاهرة اللذين صوَّرهما المصوّرون ولم يتَّبعوا في رسمهما صورةً مألوفة بل اتَّخذوا لذلك ما رأوهُ اقرب الى ما تخيّلهُ وهمهم فيهما (١ . والامر على عكس ذلك في صورة القديسين بطرس وبولس فانَّ التصاوير العديدة الباقية منهما تنبئ كلُّها بشخصَين عاشا بين اهل رومية فانطبعت



الشكل ٢ . تمثال القديس بطرس من القرن الخامس في كنيسة مار بطرس

١) قد ذكر قدماء الكتبة كاوسابيوس في تاريخهِ والقديس اوغسطينوس في اتّفاق الانجيليين

صورتهما في ذاكرتهم فرسموها كما عرفوها بالعيان

واقدم ما وجد من ذلك نوطٌ من الشَبَه مصون في المتحف الواتيكاني عثر عليهِ بُلدِتّي (Boldetti) في مدفن دوميتيلاً الشهير والعلماء مجمعون على انَّ هذا الاثر من القرن الثاني للمسيح لما بينهُ وبين طريقة ذلك العصر من التشابه في التصوير. ومن ثم تكون هذه الصورة قريبة العهد من تبشير الرسولين في رومية واستشهادهما في ايام نيرون

والنوط المذكور قطرهُ سبعة سنتيمترات ونصف حسن الضرب بيّن الهيئة. فيهِ رأسان متوازيان احدهما راس القديس بطرس كما يُرى في الآثار القديمة. اعني انَّ شعرهُ قصير جَعد وكذلك لحيتهُ قصيرة متلويّة في هيئتهِ بعض الخشونة. وبازائهِ راس بولس الرسول في سحنتهِ إباء وعزَّة وهو اصلع الراس طويل اللحية. لا يصعب على الناظر اذا رآهما وقابل بينهما وبين صور الرسولين ان يعرفهما وان لم يُكتب اسمهما على هذا النوط (انظر الشكل ١)

ويؤيد قولنا وصف قديم لهيئة القديسين الرسولين بطرس وبولس نقلهُ نيقيفورس كالستوس في القرن الرابع عشر (ك ٢ ع ٣٧). عن كتب قديمة وجدها في خزانة كتب القسطنطينيَّة الملكية الغنيَّة بالمخطوطات ووصفهُ اطبق شيء لصورة النوط المذكور. قال: انَّ بطرس كان كثَّ شعر الراس واللحية قصيرهما. وجههُ مستدير فيهِ بعض ابتذال وفي حاجبَيهِ تقوّسٌ وانفهُ طويل القصبة مفرطح في طرفهِ. امَّا بولس فهو اصلع الجبين لحيتهُ طويلة مستقيمة وجههُ بيضويّ الشكل حاجباهُ قريبان من عينيهِ انفهُ مستطيل في سواء وفي هيئتهِ دقَّة ورقَّة كما هو مألوف عادة القوم الوسط ذوي البنية الضعيفة (راجع رسالة بولس الثانية الى اهل قورنتس ١٠ : ١٠)»

فهذا الوصف لعمري ينطبق الانطباق التامّ مع الصورة التي نحن في صددها. ولا عجب فان القديس باسيليوس كان سبق وكتب في القرن الرابع (الرسالة ٣٦٠ الى

والقديس باسيليوس في رسالتهِ ٣٦٠ وترتليانوس المعلّم في كتاب العفَّة انهُ كانت تُعرف في زمانهم صورٌ قديمة للسيد المسيح وللرسل ولاسيَّما القديسين بطرس وبولس الَّا انَّ هذه الصور التي اشاروا اليها فُقدت كلّها

الشكل ٤



الشكل ٥



الشكل ٤ . رأس الرسولين بطرس وبولس (عن اثر من القرن الثاني للمسيح)
الشكل ٥ . بطرس الرسول على صورة موسى يضرب الصخرة (عن اثر من القرن الثالث)

بليانوس) « انَّ كلَّ الكنائس كانت مزَيَّنةً بصورة الرسولين بطرس وبولس وانَّ العادة في رسم صورتهما راقية الى زمن الرسل »

*

ولكن لا ترى فقط في تصاوير الديامِيس صورة بطرس الرسول متواترةً بل تراها في الغالب مع الرموز الدالَّة على السيادة والسيطرة وذلك سواء كان بطرس وحدهُ او مع غيرهِ من التلاميذ او الانبياء او المسيح نفسه

١ ـ بطرس وحدهُ ـ اذا مُثّل هامة الرسل منفردًا رأيت في يدهِ المفاتيح المؤذنة برتبتهِ السامية اشارةً الى قول الرب: « واعطيك مفاتيح ملكوت السماوات » . وفي بعض الاحوال ترى المسيح عينهُ مصوَّرًا وبيدهِ الالهيَّة يسلّم تلميذهُ المنحني امامهُ المفتاح الرمزيّ او يقلّدهُ مفتاحين او ثلاثة مفاتيح. والصور الممثّلة لذلك عديدة نكتفي بذكر واحدةٍ منها هي بمكان من القدم وجدها بَتاري الاثريّ الشهير على ناووس يرتقي عهدهُ الى القرن الثالث

ولنا من هذا القبيل مثال في ذاك التمثال البديع الذي يُرى في صحن كنيسة القديس بطرس في رومية تحت قبّتها الشاهقة وهو من الشبه (البرنز) يرقى عهدهُ الى القرن الخامس للميلاد ولبطرس صورتهُ التقليديَّة المألوفة وهو جالسٌ على كرسي السيادة وفي يدهِ المفاتيح كما ترى في الشكل الثاني (الصفحة ٥٧٩)

٢ ـ بطرس مع بولس ـ قلنا في ما تقدّم انَّ الصور التي فيها القديسان الرسولان لعديدة جدًّا. ومن جملتها الاقداح التي كان يشرب فيها المسيحيُّون الاوَّلون في حفلاتهم الدينيَّة ايَّام الاعياد. فان هذه الأقداح كلّها من الزجاج الملوَّن بالتصاوير . امَّا التصاوير فرُسمت على صفائح رقيقة من الذهب وجُعلت بين طبقتين من الزجاج وقايةً لها. والاب غاروشي اليسوعيّ قد نشر هذه التصاوير في كتابهِ الفريد عن العاديَّات النصرانيَّة وعددها لا يقل عن ٣٤٠ قدحًا منها ٨٠ تمثّل صورة الرسولين بطرس وبولس امَّا منتصبين وامَّا جالسين مع اسميهما (PETRVS, PAVLVS). ولئلاَّ يُخدع احد في مرتبة القديس بطرس بالنسبة الى بولس ترى المصوِّر يجعل لبطرس علامات تميّزهُ عن رفيقهِ . فاذا كانا منتصبين يُرى طرف ثوب بطرس مزيَّنًا بالدرر والحليّ دون بولس . واذا كانا جالسين ترى بطرس جالسًا على كرسيّ السلطة

مستندًا اليهِ كالسيّد امَّا بولس فهو جالس على مقعد لا سند لهُ. واذا مُثِلا متكلمين متباحثين ترى في الغالب بطرس يتكلَّم دون بولس وبولس ينصت اليهِ كالتلميذ الى معلمهِ ويؤمن على قولهِ او يقبل منهُ كتابًا يسلمهُ لهُ بطرس ليحتفظ عليهِ . وفي كل هذه الحالات كما ترى دلائل واضحة على رئاسة بطرس اقرَّ بها المسيحيون الاوَّلون في وقت الاضطهادات فدوَّنوها بالرسم لمَّا كانوا يحتجبون في هذه الدياميس

٣ ❁ بطرس مع بقيَّة التلاميذ ❁ بين الآثار المسيحيَّة القديمة المكتشفة في الدياميس وغيرها عدَّة نقوش وتصاوير تمثل بطرس مع الاثني عشر وفي كلّها لبطرس امتيازات شرفيَّة تدلُّ على تقدُّمهِ عليهم. فيُرى حينًا لابسًا شبه التاج بينما يكون بقيَّة الرسل مكشوفي الرأس كما في جرن العماد القديم المحفوظ في مدينة راڤنة. وحينًا ترى حول رأسهِ اكليلًا من النور وذلك حتى في حضور السيّد المسيح الممتاز بمثل هذه الدائرة النوريَّة

٤ ❁ بطرس والمسيح ❁ اذا مُثل المسيح في هذه العاديات حاضرًا



الشكل ٣. المسيح يسلّم للقديس بطرس ناموسهُ (عن اثر من القرن الثالث)

بين تلاميذهِ تراهُ يختصُّ بطرس ببعض الاختصاصات الدالَّة على رئاستهِ فتارةً يسلّمهُ المفاتيح كما سبق. وتارةً يعهد اليهِ بكتاب ناموسهِ كما كان يفعل ملوك رومية اذا قلَّدوا عمَّالهم عملًا ما فكانوا يسلّمونهم دستور الدولة. مثال ذلك ناووس جميل النقش يُحفظ في المتحف اللاتراني تاريخهُ من عهد قسطنطين الكبير. وفي احد وجوههِ المسيح وعلى جانبيهِ بطرس وبولس. فالربُّ يقدّم لهامة الرسل دَرْجًا يحتوي شريعتهُ فيقبلهُ بطرس منهُ تعالى على غطاء يستر يديهِ مشيرًا بذلك الى اجلالهِ للكتاب

وفي بعض العاديَّات قد كُتب على الدَّرْج هذه الالفاظ « DOMINVS DAT LEGEM » اي « يعطي الرب ناموسهُ » اشارةً الى ناموس الرب المعطى اوَّلًا لموسى على طور سينا ولبطرس كبير احبار العهد الجديد. ويُرى بطرس في بعض الآثار حاملًا صليبهُ على منكبيهِ كأنهُ بلسان حالهِ يجيب المسيح بانهُ مستعدٌّ ان يبذل نفسهُ للموت دون ربّهِ ليحفظ الوديعة التي استودعها وفي اعلى الصورة كلمتان يونانيَّتان كُتبتا باللاتينيَّة « PIE ZESES » اي « عِشْ بالتقى » هما كوصيَّة السيد المسيح لتلميذهِ ليكون قدوة لمرؤوسيهِ (انظر الشكل الثالث في الصفحة ٥٨٢)

وممَّا امتاز بهِ بطرس في بعض الصور التي تمثّل المسيح عصا الرعاية او صولجان الملك



الشكل ٦. بطرس وبيدهِ عصا الرعاية (عن اثر من القرن الرابع)

الذي يمسكهُ بيدهِ دلالةً على سلطتـهِ السامية . كما ورد في ناوُوس نُقش في القرن الرابع ويُحفظ في المتحف اللاترانيّ . وصورة بطرس في هذا الناوُوس مرَّتين المرَّة الاولى يُرى امام المسيح الذي يُعلم تلميذهُ بانهُ سيجحدهُ ثلاثاً وبطرس هناك واقف امام المسيح وبيدهِ عصا الرعاية وعند أقدامهِ الديك المشير الى جحودهِ . ثم بقرب هذه الصورة الاولى صورة ثانية يُرى فيها بطرس في وسط جنديين من جنود هيرودس اغريبـا وهما يقودانهِ الى السجن لكنَّ بطرس لا يزال حاملًا في يدهِ الصولجان كانهُ يريد بذلك انَّ ليس من قوَّة بشريَّة تنزع عنهُ السلطـة المعطاة لهُ من المسيـح (انظر الشكل ٤ في الصفحة ٥٨٣)

٥ (بطرس وموسى) لا يجهل احدٌ انَّ موسى كليم الله كان قُلّد امر اسرائيل ليقودهُ ويسوسهُ ويدخلهُ ارض الميعـاد ولمَّا كان شعب الله رمزًا عن كنيسة المسيح والمؤمنين بهِ اقتضى ان يكون بطرس بمثـابة موسى يقود المسيحيين الى ارض ميعاد الابرار وفردوس الصدّيقين . وهكذا اعتبرهُ النصارى الاوَّلون فجمعوا بينهُ وبين موسى النبي في صور الديامس وجعلوا في يدهِ عصا موسى التي غلبت سحر المصريين واجرت الميـاه من الصخرة المرموز بها عن المسيح (كما جاء في رسالة بولس الاولى الى اهل كورنتس ١٠ : ٤)

وقد تفنَّن مصوّرو الديامس في هذه المقابلة بين بطرس وموسى فتـارةً يمثلون في الصورة نفسها موسى النبي وبطرس الرسول . ولكلٍ منهما علامةٌ تدلُّ على رئاستهِ . ففي مدفن القديس كالستوس صورةٌ نُقشت في القرن الثاني للمسيـح يُرى فيها على احد طرفيها موسى الكليم وهو يضرب الصخرة بعصاهُ وفي الطرف الآخر بطرس جالس على صخرة وهو يصطاد السمك اشارة الى قول المسيح لهُ (لوقا ٥ : ١٠) : « لا تخف ها انذا جعلتك منذ الآن صيادًا للبشر »

وتارةً يمثلون موسى وحدهُ ضاربًا للصخرة . ولكن لئلاً يفوت احدًا انَّ ذلك لرمزٌ عن المسيـح الذي هو الصخرة وعن بطرس قائد الشعب المسيحي الذي يسيـل ينابيع النعم بعصاهُ اي بالسلطة المطلقة المعطاة لهُ من الربّ ترى موسى مصوَّرًا بهيئة بطرس المعروفة التي وصفناها سابقًا

وفي بعض هذه الصور ما هو اجلى بيانًا من ذلك فانَّ في احد نواويس المتحف

اللاتراني بعد ان صُور موسى ضاربًا للصخرة ترى بطرس الرسول يقيّدهُ جند هيرودس وهو يشير باصبعهِ الى الصخرة المضروبة والى المياه الجارية منها كانهُ يقول لهم انَّهُ هو موسى الذي يسقي شعب الله بمياه الحياة

وترى بعض الاحيان الواقع المذكور منسوبًا الى بطرس وحدهُ دون موسى. ففي احد الاقداح التي سبق ذكرها وهو في متحف الواتيكان صورةٌ تمثل القديس بطرس ضاربًا الصخرة بعصاهُ واسمهُ باللاتينيَّة عند رأسهِ لئلَّا تبقى شبهة في انَّ بطرس هو موسى العهد الجديد (انظر الشكل ٥)

فممَّا تقدَّم يرى القارئ ما لهـذه العاديات من القوَّة في تعريف رئاسة بطرس على الكنيسة جمعاء فان كان النصارى الاوَّلون في القرون التابعة للميلاد يعتبرون بطرس هذا الاعتبار ويكرمونهُ ليس فقط كرسول جليـــل بل كإمام عظيم خوَّلهُ الربّ ملء السلطة على كل اغنامهِ الناطقة وجعل في يدهِ صولجان الملك واقامهُ كموسى لقيادة شعبهِ المختار فمن يتجاسر ان ينكر هذه العقيدة او يجعل هذه الرئاسة شرفيَّة محضة او يعزو هذه السلطة لاختراع بشريّ مستحدث فيكذّب الكاثوليك في صحَّة ايمانهم؟ ولو لم يتقرَّر لدى القدماء من المصوّرين انَّ هذه السلطة إلهيَّة لا ينكرها احد وان المسيح نفسهُ اعطاها لرسولهِ لما اتّفقوا في نشر ذلك على وجوهٍ متنوّعة. فلا بُدَّ اذن من القول انَّ رئاسة بطرس على كل الكنيسة احدى المعتقدات التي اخذها المؤمنون من الرسل انفسهم وان الرسل تعلّموها من المسيح. ونزيد على قولنا ان الامر كان شائعًا حتى عند الوثنيين فضلًا عن النصارى فانَّ اوريجانس المعلّم في كتاب ردّهِ على كلسس (ك ٢ ع ١١) يخبر عن فلاغون (Phlegon) احد مشاهير كتبـة الرومان انهُ لمَّا كتب عن المسيح « اقرَّ معترفًا بأنَّهُ سبق وعرف امورًا قبل وقوعها الَّا انَّهُ وهم باسم المسيح ودعاهُ بطرس[١] » فبيَّن بنفس وهمهِ ما كان لبطرس من علوّ المقام حتى ان الوثنيين كانوا يجعلونهُ بدلًا من المسيح ويدعون المسيح باسمهِ. والسلام

---

١) وهذا قولهُ بحرفهِ « Rerum quarumdam futurarum præscientiam Christo tribuit, *quamvis erret in nomine, Petrum pro Jesu appellans* » (*Orig. contra Celsum* II, 14)

دخول بطرس الرسول الى رومية

بقلم الشاب الاديب محبوب الخوري الشرتوني من تلامذة مدرسة الحكمة الزاهرة

مجّدَ ٱللهَ اذ رآها بهيَّهْ تتهادى بحُلَّةٍ سُنْدُسيَّهْ
هيَ روما وليس يخفى عليكم حُسنُ تلك ٱلمدينة ٱلقيصريَّهْ
فٱلصفا حينَ عن بعيدٍ رآها وهي تزهو تحت ٱلسماء ٱلنقيَّهْ
قال أشتاقُ ان تكوني عروساً ليسوع ٱلمسيح فادي ٱلبريَّهْ
يا رسولَ ٱلأنام مهلًا فرُوما لا تني عن فروضها ٱلدينيَّهْ
كيف تُهدَى الى ٱلمسيح عروساً وهي تهوى ٱلديانة ٱلوثنيَّهْ
قد اتاها وليس يرضى مُعيناً فيهِ يقوى على ٱقتحام ٱلرزيَّهْ
لا حُسامٌ لا درهمٌ لا انيسٌ لا جليسٌ لا عاضدٌ لا مطيَّهْ
فهو مثل ٱلذين في ٱلقفر راموا من لموع ٱلسراب أرضاً نديَّهْ
هو شهمٌ ابيُّ نفسٍ ولكن ليسَ يكفي للنصر نفسٌ ابيَّهْ

*

بينما كان في ٱلطريق رآهُ رجلٌ كان من ذوي ٱلأريحيَّهْ
فدعاهُ لمَّا دراهُ وحيدًا آتياً من مدينةٍ اجنبيَّهْ
ثم دارَ ٱلحديثُ فٱستمعُوهُ وٱعجبوا يا ذوي العقول ٱلذكيَّهْ

الروماني: يا غريباً من اين انت وماذا تبتغي في ديارنا ٱلروميَّهْ ؟

الغريب: صاحِ اني من الجليل فوا شو قي الى حُسنِ داريَ ٱلوالديَّهْ
بنتُ عنهـا لاجل نشرِ امورٍ لم تزل في دياركم مطويَّهْ

ر فأفدْني عنهـا لاني ولوعٌ بتقصي ٱلحوادث الخارجيَّهْ

غ لم يحنْ بعدُ موقتٌ فيهِ أبدي ما حوى ٱلقلبُ من أمورٍ خفيَّهْ
من امورٍ لقد جرت نُصبَ عيني فهيَ بالصدق كٱلنهار جليَّهْ

من امورٍ لسوف تقلبُ وجهَ آلـ ... ـارضِ قلباً بسرعةٍ كليّـه
فستُجلَى عليك بعد قليـل ... وتُذاع الحقائقُ المخفيّه

ر لا تسوّف باللهِ سردَ امورٍ ... قد اثارت اشواقيَ القلبيّه

غ فاذا كان صاحِ لا بُدَّ منها ... فاصغَ واسمعْ لصدقِ هٰذي القضيّه
جئتُ حتى أُذيع مجدَ إلهٍ ... صنعَ الارضَ والسماءَ العليّه
هو حقٌّ وذاكَ لا ريبَ فيـهِ ... من اتاهُ يجدْ حياةً هنيّه
هو للارض قال كوني فكانت ... ولشمسٍ ضوني فأضحت مضيّه
ذاك ذاك المسيح من بدماهُ ... قد محا سيئاتنا البشريّه
هو ان شئتَ اصلهُ ناصريٌّ ... وهو من نسل أُسرةٍ ملكيّه
لم يغادرْ رَبعَ السماواتِ الّا ... ليَبُثَّ الهدى ويمحو الخطيّه
مات صلباً بُعيدَ ان ألّموهُ ... بضروب القساوةِ البربريّه

ر أيموتُ الإلهُ محيي البرايا؟ ... يا لها من فظيعةٍ كفريّه

غ مات لكن قد قام بعد ثلاثٍ ... وتراءى لمريم المجدليّـه

ر لا وحقِّ النجومِ لم تُبعثِ الامـ ... ـواتُ يوماً من القبور الدجيّه
كلُّ هذا خرافةٌ وحديثٌ ... ما سمعنا بمثلهِ في البريّه

غ سوف تدري اني مصيبٌ بقولي ... حين روما تصيرُ نصرانيّه
حين يعلو بها لواءُ إلهي ... ويُناجي الكواكبَ الدريّه

ر أبجيشٍ تودُّ تغييرَ روما ... أم بسلِّ المناصلِ الهنديّه؟
ام غنيٌّ يا صاحِ انت فتأتي ... جاذباً بالغنى قلوب الرعيّه؟
ام فصيح اللّسان تسطو على القلـ ... ـبِ بداعي اقوالك الحكميّه؟

غ أسيفٌ او فصاحةٌ او ثراءٌ ... انَّ نفسي عن كل هذا غنيّه
فإلهي الذي عليهِ اتكالي ... عاضدي في البوائق الزمنيّه
فالرزايا ما ساورتني الّا ... كنفتني أمدادهُ العلويّه

ر يا غريبَ الدّار اتّعظ بكلامي لا تصدّق أفكارك الوهميّهْ
انّ روما قويّةٌ لا تُبارى وهي تبقى طول الزمان قويّهْ
كيف تلقى نبالها صائباتٍ كيف تلقى رِماحها ٱلسمهريّهْ
كيف تلقى أُسودَها زائراتٍ كيف تلقى جيادَها الأعوجيّهْ

غ إن اتتني لقيتُها بفؤادٍ من حديدٍ وعزمةٍ صخريّهْ

ر انتَ لا شكّ في جنونٍ عظيمٍ سوف يُلقيك في وهاد ٱلبليّهْ
أبروما تروم انفاذَ امرٍ خارجٍ عن حدودنا ٱلعقليّهْ
أيها الابلهُ أرتحلْ عن بلادٍ طاولتْ بالعُلى النجومَ ٱلزهيّهْ
انتَ تبغي لها ٱنقلابًا ولكن دونَ نيل المرام نيلُ ٱلمنيّهْ

*

قال-هـذا وراح عنهُ حثيثًا ساخرًا من اموره ٱلمبغيّهْ
ما دَرَى انَّ في الزوايا خبايا ليس تبدو لأعينٍ عاليّهْ

*

يا رسولَ ٱلمسيح لا تخشَ وأقدمْ مُذكيًا في حشاك نارَ ٱلحميّهْ
لا تخف من غِرار روما مضاءٍ سرْ وكسّرْ اصنامها ٱلخزفيّهْ
ربِّ ساعِد هذا الغريب الذي قد جاء يعدو من ٱلبلاد ٱلقصيّهْ
ربِّ يسّر ولا تعسّر عليهِ ربِّ بلّغ رسولك ٱلأمنيّهْ
أيّهـا الناس ان شرعتم بامرٍ لا تقولوا يومًا ستأتي البقيّهْ
وأثبتوا كالرسول في الامر حتى ينتهي فالثبات خير سجيّهْ
فهو قد نال ما تمنّاهُ لكن بعد ان جدَّ بُكرةً وعشيّهْ
بثّ روح المسيح في جسم روما نازعًا من فؤادها ٱلهمجيّهْ
اين صارت ساداتها خبّروني اين صارت تيجانها الذهبيّهْ
اين تلك الاصنام وهي ضخامٌ أينَ اينَ ٱلهياكلُ الوثنيّهْ
ليسَ فيها الّا الكنيسةَ صرحٌ واقفٌ ثَمّ وقفةً سرمديّهْ
سائِلوها لِمْ لا تُهدُّ تُجبكم انني فوق صخرةٍ مبنيّـهْ

يا حمام الاراكِ طِرْ نحو روما وأحمل الشوقَ من قلوبٍ وفيَّهْ
حيِّ روما عنَّا بكلِّ احترامٍ مُظهرًا واجباتنا البنويَّهْ
حيِّ أقفًا ينيرها بسناهُ حيِّ تلك المرابع البابويَّهْ
حيِّ فيها ذاك اللواء المعلَّى حيِّ تلكَ الكنيسةَ الازليَّهْ
حيثُ خطَّ الالهُ سطرًا عليها وهو «دومي دومي الى الابديَّهْ»
يا ديار العُلى عليكِ سلامٌ في سلامٍ والفُ ألفُ تحيَّهْ
ليسَ ترضى الَّا لديكِ خضوعًا فاقبليهِ منَّا برسم هديَّهْ
ربِّ أيِّدْ روما وعزِّزْ بنيها ربِّ وطِّدْ آساسها البطرسيَّهْ

اللُّغات واللَّثَغات

لحضرة الكاتب العالم المحقّق والباحث المتفنّن المدقّق الاب انستاس الكرملي (تتمَّة)

هيَّا بنا الآن نذكر اللَّثَغات بعد تعديد اللغات وهي ايضًا كثيرة عندهم. وذلك لان العرب لمَّا خالطوا أممًا شتى في عُصور مختلفة اثرت تلك المجاورة على لغتهم. والحروف التي تدخلها اللثغة متعدّدة الَّا ان ابا عثمان ذكر منها خمسة على ما نقلهُ الجاحظ في كتابهِ البيان والتبيين (١: ١٦) إذ قال:

« قال ابو عثمان: وما يحضرني منهـا اربعة احرف: القاف والسين واللام والزاء فامَّا التي هي على الشين المعجمة فذلك شيء لا يصوّرهُ الخطُّ لانهُ ليس من الحروف المعروفة وانَّما هو مخرج والخارج لا تحصى ولا يُوقف عليها. وكذلك القول في حروف كثيرة من حروف لغات العجم. وليس ذلك في شيء اكثر منها في لغة الخُوز. وفي سواحل البحر من اسياف فارس ناس كثير كلامهم شبيه بالصفير فمن يستطيع ان يصوّر كثيرًا من حروف الزمزمة والحروف التي تظهر من فم المجوسي اذا ترك الافصاح عن معانيهِ واخذ في باب الكناية وهو على الطعام. فاللثغة التي تعرض للسين تكون ثاء كقولهِ لابي يكسوم: ابي يكثوم. وكما يقولون: بُثرة اذا ارادوا: بُسرة. وبثم الله. اذا ارادوا: بسم الله (قلت: ومن ذلك ما جاء ذكره في المزهر ١: ٢٦٥) قال: قال ابن السكيت في الابدال. يقال

اتيتهُ مَلَسَ الظلام وملثَ الظلام (اي عند اختلاط الظلام) . والوَطس والوطث . (الضرب الشديد بالخفّ) وناقة فاسج وفاثج (وهي الفتيَّة الحامل) . وفوهُ يجري سَعابيب وثعابيب (وهو ان يجري منهُ ماءٌ صافٍ فيهِ تمدُّدٌ) وساخت رجلهُ في الارض وثاخت (اذا دخلت) . . . الخ وهناك امثلة عديدة غير هذه فراجعها)

« والثانية اللثغة التي تعرض للقاف فان صاحبها يجعل القاف طاء . فاذا اراد ان يقول : « قلتُ لهُ » قال : « طُلتُ لهُ » واذا اراد ان يقول : « قال لي » . قال : « طال لي » (قلتُ : وقال في المزهر ١ : ٢٦٩) فاللثغة . . . في القاف [عند العرب] ان تبدل طاء ، وربَّما أُبدلت كافًا . اهـ . الّا اني لم اعثر الى الآن على الفاظ قد أُبدلت فيها القاف طاء ، وهي موجودة لا شكَّ في العربيَّة ويعثر عليها من ينعم النظر في تتبُّع الكلم . واما ابدال القاف كافًا فالشواهد كثيرة منها ما جاء ذكرها في الجمهرة : الحَرقلة : ضرب من المشي والحركلة ايضًا . ويقال القهدَ والكهدَ : اذا رعش من الضعف . وكلاكل وقلاقل : قصير مجتمع . ورجل مُكبَئنّ ومُقبئنّ : متقبِض . والقرشب والكرشب . المسنّ . وناقة هكمة وهقمة : اذا ارادت الفحل

(ومن اللثغة التي تعرض للقاف قلبها همزةً كما يفعلهُ طائفة عظيمة من اهل الشام (وراجع ما قالهُ حضرة الاب لامنس اليسوعيّ في المشرق ١ : ٨٣٦ و ٨٣٧) ثم قَلب هذه الهمزة عينًا بطريق العَنعَنة . فلقد قرأت في المقتطف غير مرَّة كلمة « أَظان » بمعنى المرجل . فان هذه الكلمة تركيَّة وهي فيها « قزغان » فقالوا بالحذف للتخفيف « قزان » وهي الشائعة ولمَّا كان المقتطف سوريَّ الاصل قال : « أزان » ثم فخَّم الزاء على الطريقة السوريَّة فقال : « أظان » وهو من الغرابة بمكان سحيق — وقد استنتج حضرة الاب لامنس في بحثهِ عن ابدال القاف همزة ما نصُّهُ : « فيمكن اذًا القول « قطعًا » ان لفظ القاف المستحدث في الشام لم يسبق القرن الثالث عشر . ولعلهُ احدث من ذلك العهد بكثير » اهـ

(قلنا : انَّنا نخالف راي حضرة الاب المذكور . فان لفظ القاف همزة كان معروفًا عند العرب قديمًا (١ وان كانت الامثلة عزيزة في هذا الباب . من ذلك انهُ : « كان باب العيد في القاهرة يُسمَّى خانكاه وكانت اولًا دارًا تُعرَف في الدولة القاطميَّة بدار سعيد السعداء وهو الاستاذ « قنبر » ويقال : عنبر (وهو تفخيم أنبر) ثم وُقفت على فقراء

١) انَّ كلامنا « عن الشام » ولم ننكر انَّ بعض العرب ابدلوا القاف بالهمزة (هـ . ل)

الصوفيَّة الواردين من بلاد شاسعة وذلك سنة ٥٦٩ هـ (١١٧٣ م) » عن دائرة المعارف في مادَّة خانكاه. فهذا شاهد اوَّل مأخوذ في بلدة القاهرة وقد وقع في القرن الثاني عشر — واماً الشواهد العربيَّة اللغويَّة القديمة فقد جاء في المزهر (١ : ٢٦٢) تَصَوَّقَ في حدَثِهِ كتَصَوَّأ. وقد ذكر اللغويون الأفز كالقفز زنةً ومعنى. واستنشأت الطيب واستنشقتهُ. ومُخْرَنْبِقٌ ومُخْرَنْبِئٌ (وفيها لثغتان قلب الحاء والقاف همزةً) الخ

(ولعلَّ كان اصل هذه اللثغة ان قوماً من العرب كانوا يجعلون القاف كافاً (والشواهد تُعدُّ بالمئات) ثم تناولها عرب آخرون ممَّن كانت لثغتهم ابدال الكاف همزة قال في المزهر (١ : ٢٦٩) : « . . فاللثغة . . . . في القاف ان تُبدل طاء وربَّما ابدلت كافاً وفي الكاف ان تُبدل همزة » . اهـ . فاختر من هذه الآراء ما بدا لك حسناً وعلى كلٍّ فان قلب القاف همزةً قديمٌ)

واماً اللثغة التي تقع في اللام فان من اهلها من يجعل اللام ياء فيقول بدل قولهِ: « اعتَلَلْتُ » : « اعتَيَيْتُ » وبدل « جمل » « جَمَي » . (وكذا قال في المزهر ١ : ٢٧٠) . وآخرون يجعلون اللام كافاً كالذي عرض لعُمَر أخي هلال فانهُ كان اذا اراد ان يقول: « ما العِلّة في هذا ؟ » قال: « ما أكِمَكَّة في هذا » ؟ (قلتُ: ومن الشواهد على ذلك في العربيَّة: رجل مُضْمئكٌ ومصمئل: اذا انتفخ من غضب. وفي ديوان الادب: زحك عنهُ وزحل: اذا تنحَّى. وفي المجمل لابن فارس: المأفوك الضعيف الراي. والمأفول باللام ايضاً الضعيف الراي (١ : ٢٦٤)

فاماً اللثغة التي تقع في الراء فان عددها يضعف على عدد لثغة اللام لان الذي يعرض لها اربعة احرف. فمنهم من اذا اراد ان يقول: « عمرٌو » قال: « عميٌ » فيجعل الراء ياء. ومنهم من اذا اراد ان يقول: « عمرٌو » قال: « عمغٌ » فيجعل الراء غيناً (قلتُ: ومن الشواهد اللغوية: غانت نفسُهُ تغين ورانت ترين: اذا غثَت. وفي الجمهرة: الرَّمَص في العين والغمص واحد. يقال: غمصت عينُهُ اذا كثر فيها الرمص من ادامة البكاء. وفيها: غاية الخمار رايتهُ. قال: وكان بعض اهل اللغة يقول: كل راية غاية. وفي الصحاح: الغاية الراية. وقال ابو عبيد في الغريب المصنَّف: غييت غايةً مثل رايةً. وأغيَيْتُها: نصبتُها. وفيه: الغادة المرأة الناعمة الليّنة. والرادة نحوهُ. وفي امالي ثعلب: رجل راد وغاد. وفي مختصر العين: الرمأزة الجارية الغمأزة (المزهر ١ : ٢٦٥)

ومنهم من اذا اراد ان يقول « عمرٌو » قال: « عمذٌ » فيجعل الراء ذالًا (قلتُ : ومن ذلك ذَمهَ الحرُّ ورَمِهَ : اشتدَّ) . ومنهم من يجعل الراء ظاء معجمةً فيقول اذا انشد هذا البيت :

واستبدَّت «مرّةً» واحدةً انما العاجز من لا يستبد

قال : واستبدت «مَظّةً» واحدة انما العاجز من لا يستبد

واما اللثغة الخامسة التي كانت تعرض لواصل بن عطاء وسليمان بن يزيد العدوي الشاعر فليس الى تصويرها سبيل . وكذلك اللثغة التي تعرض للشين كنحو ما كان لمحمّد ابن الحجّاج كاتب داود بن محمد كاتب امّ جعفر فان تلك ايضاً ليس لها صورة في الخطّ تُرى بالعين وانّما يصوّرها اللسان وتتأدّى الى السمع

وربّما اجتمعت في الواحد لثغتان في حرفين . كنحو لثغة شوشي صاحب عبد الله ابن خالد الاموي . فانهُ كان يجعل اللام ياء . والراء ياء . قال مرّةً : « مَوْيايَ وَيِيَّ ايِّيَّ » يريد : « مولايَ وليّ الرّيّ » واللثغة في الراء اذا كانت بالياء فهي احقرهنّ واوضعهنّ لذي المروءة . ثمّ التي على الطاء . ثم التي على الذال . فامّا التي على الغين فهي ايسرهنّ . ويقال ان صاحبها لو جهد نفسهُ جهدهُ واخذ لسانهُ وتكلّف مخرج الراء على حقّها والافصاح بها لم يكن بعيدًا من ان تجيبهُ الطبيعة ويؤثّر فيها ذلك التعهُّد اثرًا حسنًا . وقد كانت لثغة محمد بن شبيب المتكلّم بالغَين وكان اذا شاء ان يقول : « عمروٌ لعمري » وما اشبه ذلك على الصحة قالهُ . ولكنهُ كان يستثقل التكلّف والتهيُّؤ لذلك . فقلتُ : اذا لم يكن المانع الّا هذا العذر فلستُ اشكُّ انك لو احتملت هذا التكلّف والتتبّع شهرًا واحدًا لاستقام لسانك . اما مَن يعتريهِ اللثغ في الضاد ربّما اعتراهُ ايضاً في الصاد والراء حتى اذا اراد ان يقول « مُضَر » قال مُضَي » فهذا واشباههُ لاحقون بشوشي . . . واماّ اللثغة في الراء فتكون بالياء والذال والغين وهي اقلّها قبحاً واوجدها في ذوي الشرف وكبار الناس وبلغائهم واشرافهم وعلمائهم (قلتُ : وهي لثغة اهل باريس ومن نحا نحوهم من الفرنسيس . ولثغة اهل بغداد والموصل وخصوصاً في نصاراها لان المسلمين من البغاددة لا يبدلون الراء غيناً . والنصارى وان كانوا يفعلون ذلك الّا انهُ في طاقتهم ان يجتنبوها متى ارادوا) . وكانت لثغة محمّد بن شبيب المتكلّم بالغين فاذا حمل على نفسهِ وقوّم

لسانهُ اخرج الراء على الصحّة فتأتّى لهُ ذلك وكان يدع ذلك استثقالًا » . انتهى

هذا ولا تنتهي اللثغات الى هذا الحدّ بل هناك لثغات اخرى عديدة نضرب عن ذكرها توخيًا للايجاز وتنجيًا عن الاطناب المولد في النفس الاشمئزاز . ولله الحمد اولًا وآخرًا و باطنًا وظاهرًا

الاديار القديمة في كسروان

لحضرة الاب الفاضل ابراهيم حرفوش المرسل اللبناني (لاحق بسابق)

ما بقي في مكتبة دير مار شليطا من آثار العلاّمة الدويهي

بعد ان اتينا على ذكر بقايا هذا الدير لاق بنا ان ننتقل الى ما عثرنا عليهِ من مؤلفات العلاّمة الدويهي الخطيَّة في هذه المكتبة . وهذه المصنَّفات كتب المؤلف قسمًا منها والبعض الآخر قد علّقت عليهِ يده الكريمة بعض اصلاحات وحواشٍ فكانت من ثمَّ جديرة بالتفات الباحثين الذين سعوا بطبع بعض مؤلفاتهِ ويرغبون في طبع ما تبقى منها

ومن الغريب ان هذه الكتب لا تاريخ لنسخها ولا ذكر لاسم الناسخ واكثرها خُطَّ في عصر المؤلف بدليل اصلاح اغلاطها بخطّ يده . فيظهر من ثمَّ انهُ كان يكتب المسودَّة بخطّ يدهِ كما ترى في مسودَّة التكريسات الموجودة في عين ورقة والقسم الاوَّل من تاريخهِ (مارون والموارنة) في مكتبتنا دير الكريم ثم يدفع المسودَّة لكتّابهِ ثم يعيد النظر فيها ويصلحها ويزيد عليها بعض ايضاحات وشروح ثم يتهافت محبو الاطلاع على استنساخها في عصر لم تكن بعد دخلت فيهِ المطابع بلادنا

امَّا ما عثرنا عليهِ من كتابات الدويهي فهو دون ان يُذكر وقد نشرنا منها صورة كتاب انفذهُ لرئيس دير حراش والى القس حنَّا الرئيس الثالث على دير مار شليطا الذي سيم بعد اسقفًا كما سترى في ترجمتهِ (انظر المشرق ٥ : ٣٠٢) وبقي لدينا صورة حكمين لفصل خصومات رُفعت لديهِ والحكم الاوَّل ممهور بختم هذا البطريرك نقلناه بالرسم والآخر منقول عن الصورة الاصلية . ولنبدأ الآن بوصف حلى مؤلفات الدويهي الخطيَّة ثم نتبعها بالحكمين اللذين اشرنا اليهما :

ان هذه الكتب هي اوَّلًا كتاب الاحتجاج عن الموارنة . ثانيًا كتاب المنائر العشر .

ثالثًا كتاب في مؤلفي النوافير ܟܬܒܐ ܕܐܢܐܦܘܪ̈ܐ. رابعًا كتاب ܡܟܢܫܢܘܬܐ ܕܛܟܣ̈ܐ ܥܬܝ̈ܩܐ وهو مجموع رتبنا القديمة

الاوَّل كتاب الاحتجاج عن الموارنة. وهو الجزء الثالث من تاريخ علَّامتنا والضالَّة التي كان ينشدها طابع التاريخ الاستاذ الفاضل رشيد افندي الخوري الشرتوني (١ وقد توفق على ما بلغني الى الوقوف على نسخة منهُ (٢ ولعلّهُ يسعى بطبع هذا الكتاب فيكسب ثناء عاطرًا ويضيف ذلك الى حسناتهِ في نشر مؤلفات هذا العلّامة

الكتاب الثاني هو منارة الاقداس ولمَّا كان هذا الكتاب الفريد في بابهِ قد عمَّت افادته واطَّلع عليهِ الجميع بعد ان سعى بطبعهِ طابع تاريخ علَّامتنا الاستاذ العامل رشيد افندي الشرتوني فلا حاجة هنا الى الاسترسال بوصف حلاه سوى ان نسخة دير مار شليطا فيها ما يستحق الذكر فان المجلد الاوَّل من هذا الكتاب قد خطَّت يد المؤلف الطاهرة قسمًا منهُ

الكتاب الثالث كتاب النوافير بالسريانية (ܟܬܒܐ ܕܐܢܐܦܘܪ̈ܐ) هذا الكتاب اشار اليهِ علَّامتنا في كتابه الى الاب بطرس مبارك (٣ وقد عدَّد في مولفه « منارة الاقداس » النوافير السريانية المقبولة والغير المقبولة غير انهُ اراد ان يفرد لهذا الموضوع مؤلفًا خامسًا جمع فيهِ النوافير المشار اليها وصدَّرها بترجمة مؤلفيها واورد صور التقديس المختلفة في كلٍ من هذه النوافير انتصارًا لمجد الطقوس السريانيَّة وسلامتها ممَّا عابها بهِ بعض جهلة الطقوس واللغة. وضمَّ الى هذه النوافير نافور رسم الكاس وسينشر عن قِدَم استعمال هذا النافور الاخير العلّامة كدرنغتون (H. W. Codrington) الذي زار ديرنا في ٢٩ نيسان سنة ١٩٠٢ مقالةً وافية. والكتاب بقطع النصف مجلَّد تجليدًا متينًا وعدد صفحاته ٤٥٣ ولا تاريخ لنسخه وعليهِ حواشٍ بخطّ علَّامتنا مع بعض اصلاحات اعاد النظر فيها بعد تسليمهِ الكتاب للنساخ وفي جملتها مفكَّرة بخطّ المؤلف عثرنا عليها في هذا الكتاب عدَّد فيها بعض صور التقديس نقلًا عن النوافير المشار اليها وترى في اعلى هذه المفكرة خطًّا من يدهِ باللاتينيَّة. وعلى الصفحة الاولى

١) طالع تاريخ الطائفة المارونية (ص ٩)

٢) ومنهُ نسخة أُخرى في مكتبة الآباء اليسوعيين الشرقية بالكرشوني (ل. ش)

٣) طالع مقالتنا في المجلة (٥ : ٦٩٣)

من هذا الكتاب بخط عربي حديث « تأليف البطريرك اسطفان الدويهي » ثم يليه بالاحرف السريانيَّة بالحبر الاحمر « كتاب النوافير السريانية المقدَّسة » ثم فهرست هذه النوافير وهي: خمسة نوافير للرسل. سبعة للتلاميذ. ثلاثة للباباوات. ثلاثة لبطاركة القسطنطينيَّة. ثلاثة لبطاركة الاسكندريَّة. اربعة لبطاركة انطاكية. خمسة لرؤساء الكهنة (١. وقد اشار المجمع اللبناني المقدَّس الى هذه النوافير واوجب ان يعترفها السيد البطريرك ويعينها لتذكارات مختلفة (٢. فحبذا لو خرج ما تمنَّاهُ المجمع اللبناني الى حيز العمل والآن لم يعد علينا مشقَّة فقد كدَّ الدويهي العلَّامة وأغنانا عن عناء البحث وجمع لنا هذه الكنوز المقدَّسة ونسخها النساخ تحت نظره واعاد النظر فيها باحثًا فيكون الكتاب والحالة هذه تركة ثمينة من مؤلفات الدويهي الخطيَّة

الكتاب الرابع ܟܬܒܐ ܕܪܐܙܐ عدَّهُ الدويهي بين مؤلفاتهِ في كتابه للاب بطرس مبارك كما تقدَّم وقد جمع فيهِ رتبنا القديمة باللغة السريانية وممَّا نرجحهُ ان مؤلفه قسمهُ الى قسمين ضمَّن الاوَّل ما يتعلَّق بتوزيع الاسرار (٣ واودع الثاني شبه السرَّيَّات كتبريك الماء يوم عيد الدنح الى غير ذلك. وهذا القسم الاخير وقع بين ايدينا لا الاوَّل. وكان بودنا ان نأتي بهذه المناسبة على ذكر التقلبات التي جرت على رتبنا القديمة الى ان جمعها المطران يوسف اسطفان وطبعها المطران نقولا مراد في رومية الَّا اننا ارجأنا البحث في هذا الشأن الى مقدمة ضافية الذيول نعلقها على كتاب الرتب عند سنوح الفرصة بتجديد طبعه. وكتاب علَّامتنا الذي نحن بصدده باللغة السريانية وعدد صفحاته ٣٧٩ بقطع نصف بخط جميل وعلى هوامشه حواشٍ واصلاحات بقلم الدويهي. وعلى الصفحة الاولى منهُ بخط يده فهرست الرتب التي تضمَّنها المجلَّد. ويظهر ان الفهرس رقمهُ الدويهي بعد نسخ الكتاب بقصد اعادة نسخه ثانيةً طبقًا للترتيب والتنسيق الذي اتبعه في الفهرس لان سياق الرتب يختلف عن سياق الفهرس. مثال

١) طالع منارة الاقداس المجلد الثاني حيث يتكلم علَّامتنا مليًّا عن هذه النوافير وعن نسبتها واقسامها

٢) راجع الباب الثالث عشر (الصفحة ٣٠٩ عدد ٥ من طبعة سنة ١٩٠٠)

٣) وهذا الكتاب سمَّاهُ الدويهي اسرار البيعة (ܐܪ̈ܙܐ ܕܥܕܬܐ) واشار اليهِ في كتابه الى الاب بطرس مبارك (طالع مقالتنا في المجلة ٥ : ٦٩٣)

ذلك انهُ صدر الفهرس برتبة تكريس البيعة الذي كان يصير عندنا قديماً في الاحد الذي نحتفل فيهِ بتجديدها (ܒܪܝܫ ܥܕܬܐ ܕܗܘܐ ܚܕ ܒܫܒܐ ܘܩܘܕܫ ܥܕܬܐ) ثمَّ عيَّن بان هذه الرتبة هي محررة في الصفحة ܙܟܘ اي ٢٢٦ وكان حقها طبقًا للفهرس ان تكون في صدر الكتاب ثمَّ انك ترى على الصفحة الثانيــة عنوان الكتاب بالسريانيــة كما يلي : ܥܠ ܚܝܠܐ ܘܠܬܫܡܫܬܐ ܩܕܝܫܬܐ [ܣܘܡ ܠܫܘܡܠܝܐ ܕܚܕܐ ܫܢܬܐ] (١ ܡܫܪܝܢ ܒܒܪܟܐ ܘܡܩܪܒܢܐ ܘܒܟܘܪ ܥܡܬܐ : وفي الرتبة الاولى اي تبريك الماء يوم عيد الدنح مفكرة بخط علامتنا يختصر بهــا هذه الرتبة الطويلة جدًا ولمَّا كان المجمع اللبناني المقــدَّس حتم بالمحافظة على الاصل السرياني عند طبع الكتب الطقسيَّة وان تُطبع بحقلين يودع احدهما الاصل السرياني والآخر العربي فتكون هذه النسخة واسطة لتحقيق ما امر بهِ المجمع اذا جُدّد طبع كتاب الرتب

هذا ما توصلنا اليهِ من بقايا هذه المكتبة الشهيرة سواء كان من حيث الكتب التي أُودعت فيها واحضرها اليها علَّامتنا او بما اضافه اليها من مؤلفاتهِ العديدة ولمَّا كان غبطة ابينا المبجل السيد السند ماري ايلياس بطرس الحويك بطريرك انطاكية وسائر المشرق ممَّن يقدّرون العلم قدره وكان يخاف ان تغتال أيدي الضياع هذه المجلدات كما اغتالت غيرها فقد امر حارس المكتبة البطريركية حضرة الاب العالم العامل المشهور باطّلاعهِ وتدقيقه الخوري بطرس شبلي ان يأتي بهــا ويودعها المكتبة البطريركية في بكركي فيتسنَّى للباحثين الاطلاع على ما يوافق غرضهم منها اداهُ الله فخرًا للدين وللعلم



امَّا صورة الحكمين اللذين اشرنا اليهما فها كهما بحروفهما.

الحكم الاوَّل باحرف سريانية تاريخهُ سنة ١٦٨٣ (٢

---

١) ما تراهُ بين معكفين هو بخط يد الدويهي زيد عليهِ بعد النسخ

٢) هذا الحكم الوجيز البسيط قدمتهُ عائلة بيت مبارك في عداد الاوراق التي اثبتت فيهــا حقوق الولاية لها على دير مار سركيس ريفون اذ ورد فيهِ ذكر الخوري يوسف مبارك رئيس دير ريفون كما ترى وهذا الرئيس رقاه الدويهي درجة الاسقفية وانتخبهُ الاساقفــة بطريركًا لمَّا حكموا بتنزيل البطريرك عواد

ܐܣܛܦܢܘܣ ܦܛܪܝܪܟܐ ܕܐܢܛܝܘܟܝܐ ܡܫܟܢܐ

وجه تحرير الاحرف هو ان حضر قدامنا ابو سليمان عون من قرية جعيتا واندعى على الحوري سليمان خادم الضيعة بسبب الارض السليخ الذي (التي) تحت توت ابو حرفوش شقير انهُ بخششها لابنته زوجة حنا اخو الحوري وحضر ابراهيم ابن الحوري مخايل وشهد وتذمَّم انهُ هو تمَّن الارض المذكورة قبلما تُنصب بقرشين وان المبلغ المذكور وصل لابو سليمان عون من صهره حنا ومن اخوه الحوري بالتمام والكمال وانهما اشتركا في تعزيق ١) الارض المذكورة وفي نصبها ومنذ ثلاث سنين قسماها بينهما على رضى وقبول الفريقين في النصف. ثم حضر قدامنا ولدنا الحوري يوسف رئيس دير ريفون واستقرّ انهُ نزل الى الضيعة المذكورة وجمع الفلاحين وهم ابو عبد الله يوسف وابو مسعود واخيه وابو فرح سلامه وابو حرفوش شقير وشجعان القيم واولاد الشمري واولاد ابو خليفة وابو مطر سركيس وغيرهم من الحاضرين وسألهم عن الارض المذكورة فشهدوا وتذمَّموا انها انباعت بالثمن المذكور وعلى موجب التثمين والشهادة المذكورة تكون الارض منباعة ليس بخشيش وان القسمة بين الحوري وبين اخيه في النصف شركة لا غبن فيها ولا غدر والله اعلم بالصواب صح

حُرّر في دير مار شليطا في خامس يوم من شهر آب المبارك سنة الف وستماية وثلاثة وثمانين مسيحية

امَّا الحكم الثاني فخرج من ديوان هذا البطريرك سنة ١٦٨٥ لفصل خصام ايضاً وهاكهُ بالحرف وجدتهُ بين اوراق الدير ولكن منقولًا عن النسخة الممهورة بختم الدويهي بخلاف الحكم الاوَّل فاني نقلتهُ عن النسخة الممهورة بالختم:

ܐܣܛܦܢܘܣ ܦܛܪܝܪܟܐ ܕܐܢܛܝܘܟܝܐ ܡܫܟܢܐ

وجه تحرير الاحرف هو انهُ صارت الخصومة بسبب ماء المغيسل (٢ بين اصحاب الاراضي التي بقرجا. اولًا حضر رئيس دير مار شليطا الذي هو متصرف بالبستان وقولهُ ان الامير عساف (٣ منذ الزمان القديم كان يأخذ الماء المذكورة لذاك البستان. وكذلك حضر رئيس دير مار عبدا هرهريا وذكر لنا ان بعد خراب البستان كانت تجرّ الماء الى ارض البراهشة (٤ وهي يومئذ في تصرفهم وبرهان ذلك من البراك التي في الارض المذكورة. وحضروا كذلك رهبان دير مار يوحنا حراش وقصدوا ان الماء تكون لهم لان نبعها في ارضهم فعلى موجب ذلك حكمنا ان الماء

---

١) عزّق الارض في اللغة شقَّها وفي اصطلاح العامة نقَّاها من الحصى

٢) محل في قرية وطا الجوز في جرود كسروان

٣) من امراء غزير

٤) عائلة من المتاولة

تنقسم مثالثة وكل واحد يأخذ لهُ عدّان (١ في الاسوات (٢ من غير خصومة ويكون البدو من الارض الاقرب للماء والله اعلم بالصواب

تحريرًا في ١٥ من ايار سنة ١٦٨٥ مسيحية

فاعتــبر دقّة ضمير الدويهي وترويّهُ وطول اناتهِ ولا تعجب من تقريظ السلف والخلف لفضائلهِ . فانهُ مع اشغالهِ بالتآليف المهمة وسمو مداركه لم يكن ليأنف من التنازل الى اجابة طلب محكّميه وفصل امور ليست بذات بال عند كثيرين فقد صحّ بهِ ما قالهُ الكتاب: « انصفت البائس والمسكين » (البقيَّة لعدد آخر)

اصلاح بعض اغلاط طبعيَّــة وقعت في مقالتنا عن دير مار شليطا ننبّــه القرّاء اليها

(السنة الخامسة من المشرق) الصفحة ١٨٤ السطر ٩ « ١٧٠٣ » والصواب « ١٣٠٧ » — ١١ « مينا » ص « منيه » — س ٢٢ « فبيّنوا » ص « فبينّوا = ٢٦٩ س ٢٠ « زغير » ص « زغيب » — ٢١ « ابن غيروش » ص « ابن غبروش » = ٣٠٢ س ٥ « المفاوضة » ص « المقاوضة » — ٢٦ « الماروني » ص « الحقير » (راجع حاشية الصفحة ٥٥١) = ٣٠٣ س ٢٧ « الذي مضى على نيتهِ سنة » والصواب ان الفحلي الغليظ من القصب = ٥٥١ س ٤ « والشيخ ابو نوفل الخ » هذا السطر من المتن حقّهُ ان يكون في راس الصفحة تابعاً لقولهِ « في ايَّام سيدنا البطريرك الانطاكي » = ٥٥٣ س ١٨ « مجلّات » ص « مجلَّدات » = ٥٥٦ س ١٢ « الحويشي » ص « الحوشبي » = ٦٨٦ س ١٢ « البردوط سركيس محاسب » ص « المطران حنًا محاسب رئيسهُ الثالث » = ٦٨٩ س ٦ « ܚܕܐ » ص « ܚܕܐ̈ » = ٨٩٣ س ٢٦ « التنيبي » ص « الشنيبي » = ٨٩٥ س ٢٠—٢٤ وقع سهو من مرتب الحروف في هذه الحاشية بحيث لم يظهر التمييز بين فيلبُّس البكفاوي وفيلبوس البطريرك

التجارة الالمانية في بلاد الدولة العلية

للشاب الاديب ميشل افندي سماحة

لقد زاحمت تجارة الالمان في بلادنا كل تجارة اجنبيَّة وراج في اسواقنا ما يرد الينا

١) من السريانية معناها ميقات او وقت

٢) أُسوةً او بالمساواة

من بضائعهم ومصنوعاتهم وأخذت اعمالهم في بلادنا في المدة الاخيرة من الاهميَّة بمكان جليل حتى غدت اشغالهم تسابق اعظم الدول الاجنبيَّة

وقد زادت هذه الحركة التجاريَّة تقدُّماً ورواجاً بزيارة جلالة الامبراطور غليوم للذات الشاهانية وتجوُّلهِ في بلاد الدولة العليَّة لانَّ جلالتهُ لم يكتفِ بان يمكِّن بين الممالك المحروسة ومملكتهِ اواخيَّ الحب ويوثق عرى التحالف والاخاء بل سعى ايضاً بان يسهل بيننا وبين شعبهِ طرق الصلات والمعاملات التجاريَّة بما يعود على كلتا الدولتين بالمنافع العظيمة والفوائد العميمة

لمحة تاريخية

سعى الالمان من مدة مديدة في توسيع نطاق تجارتهم في بلادنا ونقل بضائعهم ومصنوعاتهم الى اسواقنا فكان يحول دونهم بُعدنا عنهم وصعوبة طرق الاتّصال بيننا وبينهم وكان نهر الدانوب في مدة العصور القديمة طريق التجارة الوحيد المشهور بين الشرق والغرب وكانت ترد بضائعهم الى مدينة ڤينة التي كانت تلتئم فيها سوق التجارة الشرقيَّة حتى سنة ١٨٣٧ حينما اخذت شركة بواخر استرياهونغريا « اللويد » في تريستا تخالط الثغور الشرقية فتوجَّهت عند ذلك انظار التجار الالمان الى ذلك المرفإ ولكن سير الخط الحديدي الممتدّ من تريستا الى داخلية البلاد اقتطع اتصالهُ الى سنة ١٨٥٧ فحطَّ الامر بركاب العمل وذهب باهميَّة التجارة الالمانية

فكان ذلك وكانت تردنا بعض الاحيان بضائع الالمان مع بواخر مختلفة من شركات افرنسيَّة وايطالية حتى أُنشئت سكة حديد ڤينة الى سالونيك في ١٩ ايار سنة ١٨٨٨ ثم اتت بعدها سكة حديد الشرق اعني خط ڤينة الى الاستانة العلية فتعلَّقت عندئذٍ امال الالمان برواج الاشغال وعدّوا ذلك تسهيلًا عظيماً للاعمال التجاريَّة بيننا وبينهم غير ان خطّ الشرق لم يحقق آمالهم ولم يقم بخدمة التجـارة حسب رغائبهم وذلك من جراء ارتفاع اجور النقل على البضائع فصار خطّ الشرق لا ينقل فى الغالب الَّا الركاب والبريد

وكأن الالمان قد تضايقوا من عسر الاحوال سيما وان تجارتهم في بلادنا اخذت بالنمو والاتساع فعرفوا ان لتسهيل طرق التجارة وانتظام المواصلات والاشغال بيننا

وبينهم لا بُدَّ لهم من تأليف مِلاحة بحرّيّة خصيصة بالنقل والتواصل المستمرّ بين بلادهم وثغورنا فانشأوا لذلك في سنة ١٨٩٠ شركة بحرّيّة تدعى (Deutsche Levante-Linie) تعدّدت بواخرها اخيرًا فاربت على العشرين صُنع اهمّها في معامل المانية ويبلغ محمولها ستين الفًا واربعمائة طنّ والباخرة منها تقوم من مرفإ همبورج الى بلادنا كل عشرين يومًا وتمرّ بنا باخرة أخرى كل اسبوع تقوم من مرفإ انفرس وهي ايضًا من بواخر هذه الشركة التي قد فازت بعضد وتساهل ادارة سكة حديد الحكومة الالمانية بتخفيف اجور النقل تخصيصًا لنجاحها وخدمة للتجارة فكان بذلك ما نراه الآن من الانتظام بالاشغال وانتعاش روح التجارة الالمانية في بلادنا وحصولها على تمام المأمول

الواردات والصادرات

(الوارد) لا تفتر دولتنا العلية لحظةً من الزمن من تعزيز قوتها الحربية وكل يوم نطالع في جرائدنا المحلية وجرائد الاستانة عن العُدَد والتجهيزات التي تستحضرها المعامل الحربية في الاستانة من الاسلحة وخلافها وما تستوردهُ الدولة العلية من الخارج من مصانع المانية خصوصًا من المعدَّات الحربية (نحو مئة مليون فرنك في السنة) ومن ادوات السكك الحديديّة وما تنفقهُ من الاموال لعمران البلاد سواء كان في احياء معالم الصناعة او تسهيلًا لاعمال التجارة

فبلغ ما دفعناهُ الى مصانع المانية في المدة الاخيرة عن ثمن ادوات سكك حديدية ما يوازي اربعة وعشرين مليون مارك ونصف تقريبًا وذلك عن الخطوط الآتية: ثمانية ملايين مارك ثمن ادوات سكة آسية الصغرى (Ismid - Angora) التي أُنشئت سنة ١٨٩٠ ومليونين ونصف مليون مارك عن سكة حديد مقدونية (خطّ سالونيك الى مونستير) التي أُنشئت سنة ١٨٩١ وثلاثة عشر مليونًا ونصف مليون مارك تقريبًا عن سكة حديد اسكيشهر الى قونية (Eskichehir - Konia) التي أُنشئت سنة ١٨٩٣ ونصف مليون مارك بنيّف عن ادوات خطّ سالونيك الى الاستانة

هذا ونستجلب كثيرًا من مصنوعات ومنسوجات الالمان على اختلاف انواعها فمن بضائعهم القطنية قد راج عمومًا في اسواقنا وكذلك الاصواف والطرابيش والخيوط والاقمشة بانواعها والحرائر والمنسوجات الحريريّة والاجواخ والبياضات باشكالها

ثم يلي ذلك المصنوعات الحديديَّة والخردوات بعمومها حتى ادقّها بصفاتها المجنسة كما ان عطارة المانية وادويتها ودهوناتها واصباغها قد حازت عندنا احسن اقبال وبلغ ما يرد الى بلادنا من بلاد الالمان منها ما ينيف عن نصف ما يرد من خلاف جهات العالم. واذا أُضيف الى ما تقدَّم الجلود والسختيان والكرتون والعطورات والجعة (البيرا) والورق والخزفيَّات والصينيّ واشياء كثيرة خلافها تحقَّقتَ ما للتجارة الالمانيَّة من النجاح والترقي في اصقاعنا

(الصادر) يهتمّ اغلب تجار بلادنا ان يصدروا الى الخارج من محاصيل ارضنا واغلالها فيرسلون الى جهات مختلفة ما لا وجود لهُ هنالك او ما يساعدهم عليهِ رواج الحال والاقبال وقد امَّ بلادنا تجّار المان واقاموا بيننا يسعون في ترويج تجارة بلادهم بيننا فيستجلبون من بضائعها الى هذه الانحاء. كما انَّهم يتوسَّطون ايضاً بيننا وبين مواطنيهم لنقل محصولات بلادنا الى المانية. وقد اصاب المتصدر من بلادنا الى بلاد الالمان نجاحاً عظيماً نراهُ اخذًا بالازدياد في المدة الاخيرة وذلك لما لاقوه من تسهيل اعمال النقل

فمن المتصدرات من عندنا الى المانية اشياء كثيرة متنوعة منها بعض مواد غذائيَّة ليست من حاصلات تلك الاصقاع او لقلَّة وجودها هنالك كالجوز والبندق والفستق والقار والصمغ البلدي والافيون والزبيب والتين والبلح والزيتون والزيت والنبيذ والتبغ ولفائف الدخان ونوى المشمش والقماردين والبرتقال والليمون الحامض ومحّ البيض وزلاله. ويتصدر ايضاً من المولود الحيواني جلود الخرفان والماعز وجلود الحيوانات البريَّة وصوف الغنم والعظام ومن انواع المعادن الخرُوم (chrôme) والسنباذج والحُمَر وملح الصباغ وخلافها ومن الحاصلات الزراعية السمسم وعرق السوس والشعير والشوفان والقمح والقنب الى غير ذلك مما لا يقع تحت الحصر

المشروعات وخلاصة ما يقال

ولم تقم صلاتنا مع الالمان على ما تقدَّم من نوعي الصناعة والتجارة فقد عُقدت بيننا وبينهم شركات مالية متنوعة مساهمة ذات رساميل عظيمة وهي تشترك معنا بما يعود لصوالح بلادنا اخصها الخطوط الحديديَّة وقد شاهدنا الماليين الالمان اخيرًا في

اولية المقبلين على المشترى من اسهم مشروعاتنا لما قد تحققوهُ من نجاح مستقبلهــا. ويؤخذ من تقرير رسمي صادر موخرًا من ادارة الخارجيَّة البحريَّة الالمانية أنهم يقدرون بمائتين وخمسة وعشرين مليون مارك قيمة ما يشاركنا فيهِ الالمان في مشروعاتنا خصوصاً باسهم اعمال سككنا الحديديَّة في تركية اوربَّة وآسية الصغرى. ومعلوم انَّ الشركة التي نالت امتياز خط بغداد الكبير انَّما هي شركة خطوط الاناضول وهي المانيَّة

وقد جاء تعيين بعض الضباط الالمان في خدمة الجيش العثماني مساعدًا لنمو التجارة الالمانية وكذا قل عن المهندسين بالخطوط الحديديَّة. وممَّا زاد في تحسين الصلات بين بلادنا والمانية البعثات العلمية التى قام بها نخبة من العلماء والسيَّاح فحضروا اوطاننا وتجوَّلوا بيننا ودرسوا اخلاقنا وعوائدنا وعرفوا حاجاتنا فنشروا عنها في بلادهم المقالات المستجادة فتنبَّه لها التجار الالمان وكان لها عندهم نتائج حسنة للتجارة . وأضف على ما تقدَّم انَّ لالمانية مستعمراتٍ زراعية في سواحل بلادنا كحيفا ويافا يسعى اصحـــابها في الفلاحة وزراعة الكروم والاشجار المثمرة أصابت محصولاتها نجاحاً كبيرًا . فانَّ مستعمرة يافا مثلًا تُصدر في السنـــة نحو ٧٠٠٠ هكتولتر من الخمر وقس عليهِ الباقي

وخلاصة ما يقال ان التجارة الالمانية على تقدُّم واتساع عظيمين ما بين صادرات من بلادنا الى بلادهم وواردات من بلادهم الى بلادنا. وكما نرى من ميل الالمان الينا كذلك رأيناهم سعوا سعياً حميدًا في التقرب من الدولة العلية لاحراز صداقتهـــا واكتساب مودَّتها. ولا تزال الامتـــان تسعيان لما يعود لصالح العباد وانتفاع البلاد وفقهما الله تعالى بمَنِهِ وكرمهِ

الضيافة عند العرب

رواية معرَّبة بقلم الاديب س. ص.

أطلعنا في العدد الاخير من النشرة التونسيَّة على خبر رواهُ احد وكلاء الدعاوي في تونس احببنا اثباتهُ هنا ليرى القرَّاء انَّ ما نُقل عن جود اهل البادية وعن تفانيهم في

اكرام الضيف وتأهيل الغريب في القرون الغابرة قد توارثهُ العرب المحدثون كخلفة شريفة يبذلون دونها نفسهم ونفيسهم ويتفاخرون بها مردّدين قول الشاعر:

الله يعلمُ انَّهُ ما سرَّني شيء كطارقة الضيوف النزَّلِ
ما زلتُ بالترحيب حتى خلتني ضيفًا لهُ والضيفَ ربَّ المنزلِ

*

قال الراوي: دعتني واجبات مهنتي في اوسط شهر آب سنة ١٨٩٣ الى بلدةٍ تُدعى زاوية المعيصرة شمالي «قُربة» في انحاء راس الدار (Cap-Bon). فعقدتُ فيها جلسة لاستنطاق بعض الجُناة ثمَّ اتَّخذتُ لي دليلًا من عرب الناحية نحو الساعة الثانية بعد الظهر ليسير بي الى «نابل» قبل ورود الليل. وما كنتُ لأُباشر سيرًا كهذا في فصل القيظ لولا اني رأيتُ اديم السماء قد غطَّتهُ السُّحب فاطَّفت ودائق الحرّ

فلمَّا صرنا على مسافة بعض اميـال من «قربة» اكفهرَّ الجوّ وومض البرق الخاطف للابصار وعصفت الريح فثار من الارض عجاج كحل العيون بذرَّاتهِ ولم يلبث قصيف الرعد أن دوى ومزَّق اديم الزرقاء واجرى الامطار كالسيل المدرار فصـارت ثيابي بعد قليل كعصير الماء الّا انَّ رفيقي صاح بي قائلًا:

«بارك الله فيك سيّدي فانَّ سفرك لَميمون. دونك المطر غسَّال البيدر. ولكن لا سبيل الى مواصلة السير فهيَّا بنا نحلُّ في هذا الدُّوَّار على شمالنا في جانب الطريق»

فاذعنتُ لقول دليلي وركضتُ جوادي الى حيث اشـار. فلمَّا اقتربنا من المكان هرَّت في وجهنا الكلاب وكادت تهجم علينا واذا برجلٍ من اهل الدوَّار خرج فتقدَّم الينا. فابتدرهُ رفيقي بالسلام وقال:

بشراك يا شيخ احمد هوذا السيّد ب. وعبدك اتيناك طالبـين ضيافتك فنسكن عندك ريثما يأذن الله في رُكود الريح وهدوّ العاصفة

— بارك الله فيك وفي السيّد القادم

منزلنا رحبٌ لمن زارهُ نحنُ سواء فيهِ والطارقُ

قال هذا وامسك المطايا لنترجَّل عنهـا ثم سلَّم الخيل لولدٍ وادخلنـا دارهُ وهم يدعون الدار جربةً (قربي gourbi) وكانت مفروشةً بحصير من الحلفاء. فاجلسنا في صحنها واكرم مثوانا ثم خرج بعد حين مستأذنًا بالذهاب طالبًا ان ننتظرهُ

مرّت علينا ساعة واذا بصاحب الدار عاد وبين يديهِ جَفنَةٌ من الكُسكس وفي اثرهِ غلمان يحملون القصاع فيها إدام من المرق الاحمر والبندورة والفلفل واللحم غير النضيج. وكان ينبعث من هذه الاطعمة رائحة كريهة من الزيت القَنِم والسَّمن السَّنِخ غثتْ منهما نفسي وجشأت فما استطعتُ ان اذوق منها لماظاً

فشقّ على ضيفي امتناعي عن الاكل وكان عدَّ ذلك اهانة لولا اعتذاري باني لم اعتد هذه المآكل فقام على الأثر واتاني بعد برهةٍ من الزمان بعددٍ من البيض النمبرشت

فبعد البسملة باشرتُ بنقف بيضةٍ لاتحسَّاها ثم فكَّرت في الملح فطلبت منهُ قبصةً وانا لا ادري ما تكمنهُ لي الاقدار فخرج الشيخ احمد الى مضارب الدوّار فلم يجد ملحاً عند اهلهِ. فعرفت فضولي وتندَّمتُ على طلبي. ثم طيَّبت قلب الشيخ قائلًا: انني عنهُ لفي غنًى. لكنَّهُ لم يُصغِ الى كلامي بل اومأ بيدهِ الى غلام هناك فاقترب منهُ شابٌ في مقتبل العمر رشيق القدّ جميل الهيئة حسن البزَّة وهو مشتملٌ باحرام فنظر اليهِ الشيخ نظرة مفتخر وقال لنا: « هذا عليّ ابني » ثم التفت الى الفتى قائلًا: « أبنيَّ عليّ كأني بالعاصفة قد سكنت ثائرتها فاركب مسرعاً مهرنا الخضراء واذهب الى اقرب دوّار منّا وائتنا بملح »

فتصدَّيتُ للشيخ ما امكنني وحلفتُ بأيمان محرّجة اني لا اذوق البيض اذا خطا عليّ ابنهُ خطوةً خارج الدوّار. لكنَّ الشيخ احمد لم يكترث لقولي فسار الغلام وبقيتُ في الجِرْبة وحدي مع الدليل وضيفي

فمضى علينا نصف ساعة ثم ساعةٌ ثمَّ ساعتان قبل ان نستبشر بعودة الغلام. فانفرط بيننا سمط الكلام ثم ساد سكوت اشبه بسكوت القبور وبدت على ملامح الشيخ احمد امارات الجزع والاضطراب. وكان الليل في اثناء ذلك ضرب على الارض اطنابهُ وهدأت كلّ الحركات فلم نكد نسمع ركزًا اللهمَّ الّا صوت قطرات من المطر كانت تكف فوق الأحساء.

وكانت اتعاب النهار مع قلّة الأكل قد هدَّت قواي فشعرتُ بالنعاس قد اثقل اجفاني وكاد يخدّر اعضائي وكذلك رفيقي اوشك النوم يكتحل عيونهُ... ونحن كذلك اذ سمعنا من كثب صوتًا منكرًا اطار النوم عن العيان واقشعرَّت لهُ الابدان

وكان الصوت صراخاً فاجعاً مستطيلاً طرحتهُ امرأةٌ في بطن الليل الداجي ثم اردفت الكلاب من بعده فصخبت صخباً شديداً وملأت الحيّ نبحاً

فوثبنا ثلاثتنا الى الجربة لنرى ما الخبر واذا باصوات البكاء والعويل تتوالى فتتقرَّب الينا وفي جملتها ولولة النساء لا تخمد من حين الى آخر حتى يسمع هتاف افظع من الصراخ الاوَّل كان يجمد لهُ الدم في العروق

وكنَّا نحن على باب الجربة ينظر بعضنا الى البعض نظر المتحيّر الدهش لا ندري ما الداعي لهذه اصوات الويل والثبور اذ تراءى لنا نور مشعلٍ ضئيل فميّزنا في ضوئهِ جنازةً يحملها نفرٌ وكان على الجنازة جثَّة هامدة لم نلبث ان عرفناها واذا هي جثَّة عليّ ذاك الشاب ذي البهاء والجمال الذي راقنا منظرهُ في اصيل النهار

وكانت علَّة موتهِ انهُ لمَّا عاد من الدوَّار حيث ارسلهُ ابوهُ لطلب الملح عثرت رجل فرسهِ في دجى الليل فوقع الراكب من ظهرها وصدم راسهُ بصخرة في الطريق فمات موتاً وحياً. فلمَّا استطال اهلهُ عودتهُ ارسلوا قوماً يستطلعون اخبارهُ فوجدوهُ صريعاً بين الصخور

وبينما كان حملة النعش يحطُّون بجسم الميت كان الشيخ احمد ينظر الى ابنهِ نظرة ابٍ فُجع بفلذة اكبادهِ ومظنَّة آمالهِ. وانا سبب موت الغلام على غير اختياري بل رغماً مني كنت بقربهِ واقفاً واجماً لا ابدي حراكاً كأنَّ صاقعة انقضَّت عليَّ ففلجت جسمي. امَّا الدليل رفيقي فكان يسرّح بصرهُ بين الوالد المسكين وبيني لا يدري ما يقول او يفعل

فمُدَّ الميت في زاوية من الجربة وكان فوهُ منفتحاً كانهُ يريد التكلُّم. فاشار الشيخ الى النسوة ان: اكففنَ عن العويل. فسكتنَ للحال وخرجنَ مطرقات صامتات

عندئذٍ دعانا ضيفُنا ودعا معنا كل الحضور لندخل المنزل. فجلسنا حولهُ لا ننبس بكلمةٍ. وكان كلٌّ منَّا يجيل في فكرهِ حوادث ذاك النهار المشئوم وكانت كلّ اصوات الخارج قد هدأت ثانيةً الَّا قطرات ماء المطر كانت تُسمَع بقبقتها عند سقوطها في اجران الماء تحسب صوتها في هدوّ الليل الدامس كصوت الموت

وبقينا كذلك مدَّةً غائصين في بحر الغمّ اذ لحنا الشيخ احمد فرأيناهُ مسح وجههُ ولحيتهُ بيديهِ قائلاً: « الله اكبر انَّهُ وحدهُ ازليّ لا يموت » ثم التفت الى احد الحضور

فسأله: وهل أتى بالملح. فقام رهط من الجلوس ودسّوا جثّة الميت فوجدوا لفافةً فيها الملح. فوجّه الشيخ الكلام نحوي قائلاً: «سيّدي انّ ولدي اتاك بالملح فقم بلا تكلّف وشرّفني بأكل طعامي». ثم اراد ان ينشّطنا على الاكل فاخذ دُبلةً من الكسكس وادخلها فاهُ وقال للجلوس: «هيّا باسم الله يا اسيادي كلوا»

فلمّا رأيتُ هذا الجَلَد وسمعت هذا الكلام عمل فيَّ منظر الشيخ عملاً لا يوصف فاندفعت ابكي وعلا صوت نحيبي. ثم خرجت من الدوّار وحدي رغماً عن العاصفة واهوال الليل وقفر المكان لا اعي. فقام الشيخ مع الحضور ليوقفوني ويردُّوني الى المنزل الّا انّي لم أُعِرْهم سمعي ولم انكص على الاعقاب لتوسُّلاتهم والحاحهم بل سرتُ هائماً في وجهي الى ما شاء الله

بحث جغرافي

في سيرة القديس مارون الناسك

للاب هنري لامنس اليسوعي (تتمّة)

٦

اثبتنا في ما سبق انّ القديس مارون عاش وتوفّي في القورسيَّة. وفيها دُفن ايضاً ليس بعيداً عن مكان وفاته. وذلك واضحٌ لمن اعتبر قول توادوريطس. وقد ادّى بنا من جهة أُخرى مجال البحث في الفصل السابق الى ان نجعل دير القديس مارون قريباً من افامية اعني على مسافة نحو مئة كيلومتر جنوبيّاً من قورس. وكأنّي بالقارئ يستغرب الامر ويجد في تعيين موقع هذا الدير خارجاً عن القورسيَّة بعض التناقض ويشك في صحّة النتائج التي استنتجناها

كلّا لا تناقض في ما قلنا. وان يكن في الامر مشكل. وانّما المشكل اعظم واقوى اذا ما جعلنا موقع دير القديس مارون في جهات حمص

اعلم انّهُ لا يُعرف نصٌّ واحد يذكر صريحاً انّ جسم القديس مارون دُفن في افامية. بل في قول توادوريطس ما هو عكس ذلك. وانّما يثبت التقليد انّ راس الناسك القديس بعد خراب ديرهِ القريب من افامية نُقل الى لبنان

امّا ذخائر القديس فلا نعلم أُنقلت ايضاً بعد وفاته ببضع سنوات الى جهات افامية ام لا وان كان الامر محتملًا ولعلّ الباحثين يجدون حلًّا لهذا المشكل في التفاصيل التاريخية النادرة التي كُتبت عن اديار افامية ونواحيها

وكانت هذه الاديار كثيرة قد ذكر منها توادوريطس في رسالته ال ١١٩ ديرًا « موقعهُ على ثلاثة اميال من افامية » طلب ان يعتزل فيهِ وهو يسميهِ ديرهُ كانهُ عاش فيهِ العيشة الرهبانيَّة (١

ونعرف فضلًا عن هذا الدير قرب افامية ديرًا آخر شهيرًا وهو دير مار بسُّوس (٢ الذي نشر عنهُ الخوري شابو كتابًا موسَّعًا (٣ وممَّا ورد في اثنائهِ انَّ عدد رهبانهِ بلغ ٦٣٠٠ راهب (ص ٦١) . الّا ان صاحب هذا الكتاب قد وهم بقولهِ انَّ هذا الدير كان في بلاد حمص او قريباً من هذه المدينة (٤ والصواب انَّ دير مار بسُّوس كان بجوار افامية . وفي ما سبق اشرنا الى هذا الغلط وسببهِ ولا نخال انَّ الكتبة خلطوا بين دير مار بسُّوس ودير مار مارون لوقوع كلا الديرين في جوار افامية . والدليل عليهِ انَّ للديرين اسماً مختلفاً فضلًا عن انَّ دير مار بسُّوس اضحى بعد قليل مركزًا للبدعة اليعقوبيَّة (٥

فوجود عدد وافر من الاديار في نواحي افامية برهان جديد على ما كان لتلك المناسك من المقام الرفيع والشهرة الذائعة ولا حَرَج بعد ذلك ان نسلّم بصحَّة ما رواه الرواة عن خطر دير القديس مارون وعظم شأنهِ

وممَّا اخبر بهِ توادوريطس ايضاً انَّ القديس الناسك مرقيان القورسيّ ارسل واحدًا من تلاميذهِ اسمهُ اغابيتس فوكل اليهِ بان يعمّر اديرة عديدة بقرب افامية وبالاخص عند نقيرتا (Νικερτα) « وهي بلدة واسعة كثيرة السكَّان ابتنى فيها اغابيتس معهدين

---

١) انَّ توادوريطس كان راهباً الى سنة كهنوتهِ فدخل في جملة اكليرس انطاكية

٢) راجع كتاب العلّامة روبنس دوڤال في الاداب السريانية (ص ٣٥٣) والمجلة الشرقيَّة الالمانيَّة ZDMG, XXX 217

٣) راجع J.-B. Chabot : *La légende de S^t Bassus et son couvent à Apamée*, 1893.

٤) قد جاء في مجلَّة الشرق المسيحي ذكر دير ثالث في افامية (ROC. p. 1902, 611.)

٥) راجع ايضاً مقدَّمة الخوري شابو (ص ٥ و ٩)

لتعليم الحكمة السموية دُعي الواحد باسمهِ. وجمع فيهما فوق المئتي راهب تجنّدوا للفضيلة ولازموا التُقى (١» . وقد ورد اسم نقيرتا هذه في كتابتين يونانيتين تراهما في مجموع الكتابات اليونانية (٢ تحت العددين ٩٨٥٥ و ٩٨٧٧ وفي جدول المخطوطات السريانية المصونة في المتحف البريطاني (Wright, *Cat.* 756. c. 2) اسم رئيس تولّى رئاسة دير نقيرتا. امّا نقيرتا المذكورة فليس لدينا نصٌّ صريح يفيدنا عن موقعها بالتدقيق في جوار افامية لقلّة ما نعلم من امور تلك الناحية (٣

ولعلّ سائلًا يطلب او ليس دير القديس مارون احد الاديار التي ابتناها القديس اغابيتوس في جوار افامية ؟ اجبنا انّ هذا لرأي سبقنا اليهِ حضرة الاب جوليان اليسوعيّ في كتابهِ عن « جبل سينا وسوريّة (٤ » ولا نرى داعيًا لانكارهِ اذ انّ درس الامكنة ومواقعها لا يخالف هذا المذهب ولهُ سندٌ في التاريخ لانّ وفاة القديس اغابيتوس وقعت بعد وفاة القديس مارون. على انّنا لا نوافق حضرة الاب جوليان في زعمهِ بان « دير القديس مارون كان بين افامية وحمص على ضفّة العاصي ليس بعيدًا عن حمص في المكان المعروف اليوم بالدير الكبير (٥ »

قد مضى علينا نحو ثلاث سنوات مذ زرنا قرية الدير الكبير الواقعة على مسافة ساعة ونصف من حمص في شمالها الغربيّ على ضفّة العاصي الغربيّة ووجدنا فيها آثارًا قديمة. بيد انّ نظرها لم يُعدل بنا عن راينا وفي حججنا السابقة ما هو كافٍ لبيانهِ. وعندنا انّ حضرة الاب جوليان خُدع بما كتبهُ المؤرخ الشهير صاحب حماة الملك المؤيد ابو الفداء وهو يجعل الدير في حمص نفسها. ثم غرّهُ ايضًا اسم « الدير الكبير » الّا انّ سالنامة ولاية سوريّة روت اسم هذه القرية على صورة اخرى فدعتها « الدار الكبير » ولعلّ الصواب « الظهر (الضهر) الكبير » كما سمعناهُ او فهمناهُ من اهل القرية. وهذا الاسم يوافق المسمّى لانّ القرية على ظهر ربوةٍ

---

١) راجع تاريخ الرهبان في مجموع مين (ج ٨٢ ص ١١٣٨)
٢) CIG, 9855 et 9877
٣) طالع ما كتبهُ في هذا الصدد الاستاذ هرتمان (ZDPV, XXIII, 145)
٤) Jullien: *Sinaï et Syrie*, p. 178
٥) فيهِ صفحة ١٧٨

وقد ذهب الاب مرتينوس اليسوعي في تاريخهِ المخطوط عن لبنـان الى راي آخر نستلفت اليهِ نظر القارئ. قال المؤلف المذكور الذي وقف كل حياتهِ على البحث عن لبنان وتاريخهِ: « لا يبعد ان القديس ماري (Marès) الراهب القسّ في ناحية افامية الذي وجّه اليهِ القديس يوحنّا فم الذهب رسالةً (١ هو القديس مارون عينهُ (٢. لان الاسمين ماري ومارون لا يختلفان عند كتبـة اليونان في سوريّة وليس ماري سوى مارون مع اختلاف حركة الاعراب في اليونانيّة فشاع هذا الاسم في الناحية. امّا تلقيبهُ بالقديس فقد جرى على ذلك رهبانهُ تبجيلًا لهُ فاقتدى بهم فم الذهب

« ومثالنا في ذلك مثال ديرين آخرين في جهات افامية عُرف الواحد منهما باسم القديس سمعان والآخر باسم القديس اغابيتوس (٣ وتؤيد هـذا الراي المخالف للراي العموميّ رواية توادوريطس في تاريخهِ (٤ الذي يفيدنا انّ جمهور الرهبـان الذين اتوا من القورسيّة الى بلاد افامية لينشئوا فيها الاديار كانوا تلامذة للقديس الناسك مارقيان ليس تلامذة القديس مارون لانّ المؤرخ المذكور افادنا انّهُ لم يخرج احد من رهبان القديس مارون من بلاد قورس (٥. ولا يبعد انّ تلاميـذ القديس مارقيان وكان اصلهم من بلاد قورس (٦ دعوا احد الاديرة التي شيّدوها في بلاد افامية باسم القديس مارون لاكرامهِ الّا انّ كلام توادوريطس صريح في القديس مارقيـان حيث قال: « ومارقيان الالهيّ هو الذي انشأ كلّ اديرة بلاد افامية (٧ » فلا يمكن اذن ان ينسب انشاء احد هذه الاديرة لتلامذة القديس مارون. . . ومن ثمّ لا نستغرب القول بان ماري الذي اوفد اليهِ القديس يوحنّا فم الذهب برسالتهِ كاحد رؤساء الدير مع القديس سمعان (٨ هو منشئ الدير وان عُرف باسمهِ اولًا دير القديس مارون. هذا ونقرّ انّ الافادات التاريخيّة في هذا الخصوص لخلّة جدًّا. ومن المحتمل انهم لم يميّزوا

١) هي الرسالة ٥٧ وهي غير رسالتهِ الى مارون الكاهن

٢) هذا زعم لا يمكننا التسليم بهِ اذ انّ فم الذهب يثبت في هذه الرسالة ان ماري عاش في مقاطعة افامية خلافًا لما نعرفهُ عن القديس مارون

٣) راجع توادوريطس في تاريخهِ المذكور (ج ٨٢ ص ١١٢٨)

٤) في الجلد والصفحة عينها ٥) راجع تاريخ الرهبان (ع ١٦ و ٢٥)

٦) او على الاقلّ كبارهم الذين شيّدوا الاديرة ٧) تاريخ الرهبان (ع ٣)

٨) راجع رسالة القديس يوحنّا فم الذهب الـ ٥٥

بين القديس مارون والقديس مارقيان الذي ورد مكتوبًا في بعض النسخ ماريان (١ »
هذا ما رواهُ الاب مرتينوس في تاريخهِ وهو زعم نوردهُ على علاتهِ دون ان نحكم فيهِ (٢. وما يزيدهُ بعض الرجوح شهرة القديس مارقيان فان اسم هذا القديس كان ذائعًا مستفيضًا حتى انَّ معاصريهِ شيَّدوا بيعةً على اسمهِ قبل وفاتهِ أفيستغرب احد ان يكون رهبانهُ حاولوا بعد مجيئهم من بلاد قورس الى انحاء افامية ان يخلّدوا ذكرهُ بابتناء دير على اسمهِ. وعلى كل حال لو صحَّ هذا الراي لفُضَّ المشكل الذي نحن بصددهِ ويظهر لكل العيان كيف دُعِي احد اديرة افامية باسم القديس مارون الذي توفّي في القورسيَّة. وما لا شبهة فيهِ انَّ في السنين الاولى من القرن السادس كان الدير المذكور لا يُنسب الى غير القديس مارون وان افترضنا انَّ رهبان الدير حصلوا على قسم من ذخائر القديس مارون او على جسمهِ الطاهر كلّهِ فلا عجب ان يكون التعبُّد للقديس امتدَّ الى كل جهات بلاد الشام

امَّا ما حدث بعد ذلك لدير القديس مارون فانَّ ابا الفداء يعلمنا في كتاب تقويم البلدان (ص ١١٤) انَّ الملك مرقيان وسَّعهُ في السنة الثانية لملكهِ اعني سنة ٤٥٢. ولمَّا تحامل اليعاقبة على ابنيتهِ فاخربوها (٣ في اوائل القرن السادس اعاد بناءهُ الملك يوسطنيان الكبير (٤ الذي ضبط زمام الملك من سنة ٥٢٧ الى ٥٦٥

وقد اخبر سعيد بن بطريق في تاريخهِ انَّ هرقل الملك تفقَّد هذا الدير سنة ٦٢٨ لمَّا رحل ظافرًا الى سوريَّة فاوقف عليهِ اوقافًا عديدة (٥. وفي عهد هذا الملك جرت بين اليعاقبة ورهبان دير مار مارون مخاصمات ذكرها ابن العبري في تاريخهِ الكنسي وقال ايضًا ان الموارنة اخذوا من اخصامهم عدَّة كنائس أبى هرقل ان تُردَّ الى اليعاقبة (٦. ولم يزل هذا الدير زاهرًا في سنة ٧٤٥ كما ورد في نصّ سريانيّ نشر الخوري نو ترجمتهُ بالفرنسيَّة (٧

١) راجع تاريخ الاب مرتينوس الصفحة ٢٢٢٨ و ٢٢٢٩ ٢) الَّا زعمهُ بان ماري ومارون اسم واحد فانَّنا لا نسلّم بهِ ٣) وقيل انهُ خرب بزلزال
٤) راجع كتاب بروكوبيوس في الابنية (ك ٤ ف ٩) ٥) راجع اعمال آباء اليونان لمين (PPGG, CXI, 1089) وراجع الصفحة ١٣٩ من نسخة تاريخ ابن بطريق الخطيَّة المصونة في مكتبتنا الشرقيَّة في ظهر الصفحة ٦) Chronicon Eccl. I, 270-274
٧) Bulletin de S. Louis des Maronites, Janvier 1903 p. 346

والمظنون انَّ خراب هـذا الدير تمَّ في القرن التاسع فاضطرَّ رهبانهُ ان يأتوا الى لبنان مع سكَّان الناحيــة المجاورة لهُ. وفي قول المسعوديّ الذي اوردناهُ سابقًا انَّ دير القديس مارون كانت اغتالتهُ في عهدهِ (اعني في اواسط القرن العاشر) يد الزمان فخرب. ثمَّ لا تعود ترى لهُ من بعد ذلك اثرًا في التاريخ حتى انَّ ياقوت الرومي لم يذكرهُ في معجم البلدان مع انهُ افاض في وصف اديرة كثيرة اشتهرت في بلاد الشام منهــا خربة ومنها مأهولة بالرهبان. وكذلك تصفَّحنا تآليف جغرافيي العرب المتعدّدة لعلَّنا نجد شيئًا عن دير القديس مارون فذهبت مساعينا سدًى ولم نقف على ضالَّتنا مع انَّ هؤلاء الكتبة كرَّروا مرارًا اسماء الاديار الشاميَّة ورووا من ابيات الشعراء ما ورد فيــهِ ذكرها

وهذا لعمري من الامور الغريبة انَّ ديرًا طار اسمهُ في البلاد مدَّة القرنين السادس والسابع فاصاب من الشهرة ما اصاب في تاريخ سوريَّة الديني يصبح بعد مجـدهِ نسيًا منسيًا لاسيَّما انَّ دير القديس مارون لم يكن ديرًا منقطعًا لا نفوذ لهُ بل كان يدخل تحت حكمهِ اديار أخرى تعرف لهُ حقوق السيادة كما كان شأن الاديرة في سوريَّة الشمالية وسوريَّة الوسطى فانَّ اديرتها الرهبانيَّة كانت ترتبط بين بعضها بروابط متينــة بحيث تكون السيطرة لدير اعظم تخضع لرئاستهِ بقيَّة الاديار المجاورة لهُ (١. وهو امرٌ يصدق في دير القديس مارون الذي امتدَّت رئاستهُ على سائر اديار سوريَّة الثانية. غير انَّهُ يعزُّ علينا ان نبيّن حدود هذه الرئاسة وسعة نطاقها. فلا نعلم أكانت هـذه الرئاسة شرفيَّة محضًا او كان لرئيس الدير الكبير بعض السلطة على بقيَّة الاديرة. كما انهُ يصعب علينا ان نبيّن اصل هذه السلطة فلا ندري أكانت ناتجة عن تفرّع دير من آخر او بارادة منشئ الاديرة او بخروج مستعمرة رهبانيَّة من الدير الاكبر فكل هـذه المباحث عويصةٌ لا يُستطاع حلُّها سهلًا

وعلى كل حال ان تقدّم دير مار مارون ورئاستهُ على بقيَّة الاديار لمن الامور الحريَّة بالاعتبار فانَّ ذلك يبيّن لنا كيف امتدَّت سريعًا الطائفــة المارونية ليس فقط في بلاد افامية لكن في الايالات الخارجة عنها ايضًا. وعلى رأينا انَّ كل دير من هذه الاديار

١) راجع ما كتبهُ في ذلك العلّامة نلدكه (ZDMG, 1875 p. 423, note)

المنوطة بدير القديس مارون اضحى بعد مدَّة مركزًا لفئة من المؤمنين الذين نموا عددًا بعد حين وانتسبوا الى القديس مارون. وفي مقالتنا السابقة عن انتشار الموارنة رأينا كيف خرج منهم فئات دخلوا لبنان واستعمروا الجهات الموافقة لنموّهم وازديادهم

فيرى القارئ انَّ هذا البحث الجغرافيّ عن سيرة القديس مارون يرتبط بالبحث السابق اعني اصل الطائفة المارونية وكيفيَّة انتشارها. وهـذا ما حملنا على التدقيق في تعريف الامكنة التي نشأ فيها القديس مارون كيف لا وهو ابو طائفة تُعَدّ من اعظم الامم اللبنانيَّة عطَّرها هذا الرجل العظيم بعيشتهِ وموتهِ

وفي الختام احببنا ان نلخّص للقرَّاء ما اتَّسعنا في بيانه في هذه المقالة لتبقى خلاصتها في ذاكرتهم :

١ً لا مراء انَّ القديس مارون عاش ومات في القورسيَّة

٢ً انَّ الرأي الاصوب في مولدهِ انهُ ولد ايضاً في القورسيَّة وليس في جوار انطاكية.

٣ً دُفن القديس مارون في حدود القورسيَّة الجنوبيَّة

٤ً كان موقع دير القديس مارون مَهد الطائفة المارونية بين نهر العاصي وافامية. وهذا ممَّا لا ريب فيهِ

٥ً امَّا كيف دُعي هذا الدير باسم القديس مارون وكيف نقلت اليهِ ذخائرهُ فامران لا يمكن القطع بهما فنتمنَّى ان يحكم غيرنا فيهما حكماً فصلًا فيصرّح الحقّ عن محضهِ (تمَّت)

عين العليّ

رواية تاريخية للاب س. ت اليسوعيّ (تابع)

كتاب لوقيليوس الى الضابط راسيوس

في ١٥ آذار

أُيها العزيز

قد اجبتُك سابقًا عن رقيمك الذي وجَّهتَـهُ اليَّ من قيسريَّة فيلبُّس. الَّا انَّ

بطاقتك التي ارسلتها اليَّ آخرًا تفيدني عن سير الجيوش الرومانيَّة الى اورشليم على جناح السرعة فاخاف ان يكون كتابي فُقد في الطريق فمن ثم اسرعتُ الى تسطير هذه العجالة التي يأتيك بها احد ضُبَّاط طابورك وهو صديقنا پرسكوس الذي قدم علينا في مهمَّة واكَّد لنا الاخبار الشائعة عن ورودكم الى اورشليم على فور قبل ان يشعر بكم العدوّ . . . وها هوذا الآن على وشك الرجوع اليكم فاسلّمهُ هذه البطاقة باسمك لتعلم اني لا انساك البتَّة

انَّ ما افدتني بخصوص النصارى الذين اجتمعتَ بهم في صيداء لبرهان جديد عندي على خبثهم ومكرهم اذ انهم تمكَّنوا من قلبك واستمالوا بعواطفك الّا انهُ يسرُّني انك لم تُخدَع بمداهنتهم وختلهم فتنحاز الى شيعتهم . ولو عرفتهم حقَّ المعرفة لَما لقوا عندك حظوةً واعتبارًا

وعلى كل حال اني ثابت على ودادك سواء سبَتْ قلبَك يهوديَّة او استغواك النصارى بغرورهم

وان سألتني عن اليهوديَّة صديقتك اجبتُك انَّهـا كاسفة البال تظهر على محيّاها علائم الحزن والهمّ . وقد التقيتُ بها يوم امس وهي ذاهبة الى كنيسها فلم أرَ فيها ما كنتُ اعهد من الزيّ الباهر والزهو العاطر بل كانت لابسة الحداد مكسورة الفؤاد كأنَّها ارملة ولعلَّها آسفة على فراقك فتسلَّبت حبًّا بك

ولكن طبْ قلبًا يا صاح اني اردتُ في كلامي مجرَّد التفكه . وما لا ريب فيهِ انَّ ابا الفتاة لا يزال في اورشليم فاضحى اذن اسيرَك وان احببتَ ان تنال جلَّ رغائبك فاقبض عليهِ يسرع الى تزويجك بابنتهِ صونًا لحياتهِ

استودعك الالهة . واني مُرسل اليك عوذةً اعطانيها احد سَحَرَة الكلدان وهي فعَّالة لردّ سهام العدوّ فالبسها وتذكَّر صديقك لوقيليوس

الفصل التاسع

بالنار والسيف البتَّار

بينا كان الرومان على قاب قوسٍ من اورشليم يتهدَّدون المدينة بجيوشهم الجرَّارة كان اليهود في القدس لا يكترثون للعدوّ وهو لهم بالمرصاد . بل كانوا يتابعون خطَّتهم

في محاربة اخوانهم فترى صباح مساء ذوي الاحزاب الثلاثة يهجمون على انحاء المدينة كالذئاب الخاطفة ينهبون ويسلبون ويقتلون ويحرقون فتلتهم النار بساعات قلائل مؤونة تكفي لقوت اشهر

وكان اليهود قضوا على هذا النمط شهر شباط وهم لا يرعوون عن غيهم اذ شاع في البلد اخبار قلقت لها الصدور واضطربت الاكباد فكانت الالسنة تتناقل خبر سير طيطس الى المدينة المقدَّسة ليحاصرها. الَّا انَّ قوماً آخرين كانوا يكذّبون هذه الاقوال ويزعمون انَّها طلائع الرومان يأتونهم حيناً بعد حين ليتنسَّموا الاخبار

وبقي اليهود على ريب منهم من يصدّق ومنهم من يكذّب. وكان الجند اصحاب المراقب التي حول المدينة رغماً عن كل هذه الاشاعات يتغافلون في مهنتهم وآل بهم الامر في مساء اليوم ٢٧ من شباط الى ان تركوا مراكزهم خوفاً من عاصفة ومض برقها وزجر رعدها فالتجأوا الى المدينة لينجوا من اهوالها

وكان طيطس ينتظر ليلة كهذه لينقضَّ على عدوّهِ في ساعةٍ لا يظنُّها. وكان قضى صلب يومهِ في جفنة على مسافة ٢٠ كيلومترًا من اورشليم متخفياً وراء الطلائع التي كانت سارت الى الامام بينما كان اليهود يحسبونهُ بعد في قيسريَّة

ولكن كيف يقطع جيشٌ عرمرم مسافة اربع ساعات دون ان يعلم بهم العدوّ فيتصدّون لهم ويسدّون في وجههم الطرق او يكمنون لهم في مضيق الجبال؟ ذلك ما كان يفكِر فيهِ طيطس عند نزولهِ في جفنة وهو لا يدري كيف العمل اذ ساعدتهُ الاقدار او بالحريّ ايدتهُ عين العليّ لينتقم من شعب اسرائيل بعد ان طفحت كأس آثامهم وحرّكت غضب الربّ. وذلك بانَّ عاصفةً قاصفة ثارت في مساء ذاك النهار فادلهمَّت لها الافاق وتكاثفت الظلمات وصعقت الصواعق وسالت الامطار كالسيول الجارفة

فرأى طيطس في ثورة هذه الانواء اتفاقاً عجيباً او قل عنايةً صمدانيَّةً فارسل الى الفئتين الخامسة والعاشرة اللتين عهد اليهما بتجسُّس اخبار العدوّ بان تسير الواحدة منهما على طريق عمواس والاخرى على طريق اريحا فتثبا في جوف الليل على المدينة من شرقيّها وغربيّها بينما هو يزحف بخيلهِ ورجلهِ من جهة الشمال. وكان بلغ طيطس بان الرُقباء برحوا مراقبهم خوفاً من العاصفة فزادهُ ذلك ثقة بالنجاح

فلما كانت الهجعة الاولى من الليل امر طيطس جيشهُ بالمسير. فقام الرومان

كرجلٍ واحد واسرعوا في لفّ المضارب وتحميل الاثقال ولبس بزّة الحرب ثم ساروا بكل نظام . وكان الرجّالة يمشون في مقدّمة الجيش ثم تتبعهم الاثقال . امّا الخيل فكانت في مؤخر الجيش يزمّها فرسانها ويضبطون عنانها لئلّا تخطف بصرها البروق فتخلع العذار وتركب رأسها فيجمح وتفضّ نظام العسكر

وكانت الامطار تجري كالقِرب والرياح تعصف فتعيق الجند في سيرهم الّا انّ للرومان عزيمةً لا تعرف الخَوَر والضعف فكانوا يجرون ساكتين وهزيم الرعد مع زمجرة الرياح يخفيان اصوات نعالهم التي تترجرج لها الاودية والآكام . وكان البرق حيناً بعد حين يضيء هذا الكتائب الململمة فيُرى لها منظر هائل ترتعد لهُ فرائص الكون

فمشى الجيش نحو خمس ساعات وهو لا يني في المسير حتى بلغ الرُّبى التي تحدق باورشليم قُبَيل الفجر فانتشرت سراياهُ كلمح البصر في مشارف جبل سكوبوس (Scopus) واسرع الجند فضربوا خيامهم واضرموا النيران من جهة الغرب وعند جبل الزيتون لتكون لاخوانهم كعلامات يستدلّون بها . والحقّ يقال انّ الفئتين الخامسة والعاشرة اتمّتا اوامر القائد بكل حذق دون ان يشعر بهما العدوّ واشرفتا عند السحر على المدينة من جهتيها الغربية والشرقيّة في ساعة وصول معظم الجيش لينازلها من الشمال

فلما تنفّس الصبح امر طيطس فدقّت الابواق من كل جهات المدينة . فانبعث اليهود من النوم وقاموا مذعورين كانّ ابواق يوم الحساب طرقت مسامعهم فدعتهم الى وادي الاموات فتراكضوا الى الاسوار والقلوب تخفق فرأوا شماليّ المدينة على جبل سكوبوس وعلى الربى المجاورة كتائب شعواء لا يُحصى عديدها . ثم وجّهوا الطرف الى الغرب فاذا بنيران الليل لم تزل مشبوبةً . امّا جبل الزيتون شرقيّ المدينة فكان اهل اورشليم يرون من علوّ اسوارهم بريق سيوفهم ويسمعون صلصلة اسلحتهم وصهيل خيلهم واوامر قوّادهم

فعمل هذا المنظر في اليهود عملًا استطارت لهُ قلوبهم فكنتَ تخالهم كانّ السماء صعقتهم وانسدّت امامهم ابواب النجاة فلم يبقَ لهم ملجأ من الخَطب الجسيم ولا عاصم من الموت الوحيّ

وكنتَ ترى الناس في اثناء ذلك يعجّون في شوارع ويضجّون والنساء يتجوّلنَ في

الساحات شعثات معولات لا يستطعن حيلة ولا يهتدين سبيلًا وكنّ يصرفن بالاسنان ويدعون بان تسقط عليهنّ الجبال وتغطيهنّ الآكام وكذلك الشيوخ فكانوا يهيمون على وجههم لا يرون حولهم الّا آيات الموت والهلاك

ثم تخوّف زعماء الاحزاب ان يخرج من المدينة فرسانها وكُماتها فاسرعوا الى الابواب واقفلوها وسدُّوها بالمتاريس وضبّبوها بضبب الحديد لئلاّ يفرُّ احد هاربًا

ولمّا صار ضُحى النهار اخذ الرومان يحفرون الخنادق ويهيئون آلات الحصار وينصبون المجانيق. بيد انّ بعضهم اذ رأوا ابواب المدينة مقفلةً ظنُّوا انّ اورشليم صارت في قبضتهم كالعصفور في يد الصياد فقال واحد لرفيقهِ: «ألا ترى اليهود سدُّوا في وجههم كل سبيل للخلاص وترى مدينتهم كأنها مسجَّاة بكفن الموت لا تسمع لاهلها ركزًا. فلا يبقى حاجة الى مواصلة حفر الخنادق

فاجابهُ رفيقهُ الذي كانت حنّكتهُ التجارب فشاب في الحروب اليهوديَّة: «ايّاك ان تنخدع بالظاهر فاني اعرف اليهوديّ حقّ المعرفة فهو كالافعى ان تأثّرتها تلبّدت في الارض وتحوَّت مختفيةً وان ابتعدتَ عنها نشبت ولدغتك في عقبك. وليس سكوتهم الّا مكرًا فلا يمضي علينا النهار قبل ان يضطرُّونا الى ترك المعاول واستبدالها بالحراب لردّ غاراتهم»

— انك تبالغ في وصف الاهوال... وعلى كلّ حال اذا خرجوا لمحاربتنا رأيناهم وتأهَّبنا لقتالهم

— اخالك وامثالك من الاغرار. وها انا ذا اراهنك بانك قبل الظهر تولّي الادبار امامهم ولولا قدماء الجنــد الذين لا ينكصون على الاعقاب لما يخلص منكم الّا نفر قليل

وبينا هو يتكلَّم اذ تقدَّم طيطس من عملة الخنادق لينشطهم ويقوّي عزيمتهم وكان مكشوف الراس لا درع عليــهِ وهو على جوادهِ مشتمل بثوبٍ من الارجوان وعلى جانبهِ سيف القوَّاد وكان يصحبهُ عددٌ من الضبَّاط و ٦٠٠ فارس من فرسان العرب

فلمَّا رآهُ الجند سلَّموا عليــهِ السلام العسكريّ وتحايدوا من امامهِ فمرَّ بينهم وهو يفحص العمــل ثمَّ دار في منعطف جبل سكوپوس فوجدهُ مزروعًا بشجر الزيتون المغروسة على شكل السطوح المدرَّجة التي من شأنها ان تعيق حركات جيشهِ

ثم نظر الى المدينة فرأى جوانبها قفرةً ليس فيها عريب ولا ينبس من اهلها نابس فقال لحاشيتهِ: « هلمَّ بنا نقترب من اسوار المدينة على مسافة مرمى سهم لنجسَّ اخبارها »

وما انتهى من كلامهِ حتى ركض جوادهُ نازلًا الى لحف الجبل وارتجَّ الفرسان فتبعوهُ من ورائهِ فكانت الحصى تتطاير تحت اقدام الخيل ويُسمع لمشيها جلبة عظيمة

فلمَّا رأى الجندي المتجذ بخبرة الحروب التفت الى رفقتهِ فقال لهم: « هيئوا الصوارم فاني اتوقَّع هولًا عظيماً » . قال ذلك وجرَّد سيفهُ وشرع يسنُّـهُ على مسنٍ من الصوَّان

فضحك منهُ بعض رصفائهِ وواصلوا العمل بالحفر. وكان طيطس مع شرذمتهِ تواروا عن العيان من جهة المدينة. ثم هدأت اصوات الخيل وبعد برهةٍ لم يُسمع غير اصوات المعاول تضرب في الارض الغليظة حتى تبلغ الكدية

وهم لكذلك واذا بصوت شبيه بزمجرة السباع بلغ مسامع العملة فنظروا في جهة الصوت وتحققوا بعد برهة انَّ اليهود ناجزوا طيطس وسريَّتهُ القتال. فاسرع الجند الى اسلحتهم وانتظموا في الصفوف لكنَّهم لم يبرحوا مكانهم ريثما يأتيهم الامر بالسير الى العدوّ

فمكثوا حيناً كذلك وهم يتقلَّبون على جمر القتاد حتى رأوا نفرًا ممَّن احجم عن العدوّ وولَّوهُ الادبار عُزلًا مطلقين العنان لخيلهم وهم يصرخون بملء فيهم: « الويل الويل قد قُضي على الرومان . . . قد مات القائد »

فما سَمع الجند الموكولون بالحفر هـذا القول حتى سرى في عروقهم هزَّة كاهتزاز الكهرباء وتقدَّمهم احد الضبَّاط الراجعين من الواقعة قائلًا: هيَّا بنا نموت مع قائدنا

فجروا ركضاً يتسابقون الى محلّ القتال ونظروا واذا بالوف من اليهود قد احاطوا بالرومان يتعاورونهم بالنبال ويعاركونهم عراك الليوث الكواسر الَّا انَّهم لحسن السعد تحقَّقوا انَّ طيطس لم يُقتل اذ ميَّزوا ثيابَهُ الارجوانيَّة فصرخوا صرخةَ رجل واحد وحاولوا ان يلقوا بنفوسهم في معمعة الوغى للدفاع عن زعيمهم اذ رأوا طيطس خارجاً من بين العدى ناجياً بنفسهِ مع فئة صغيرة من الفرسان الذين حاربوا معهُ محاربة الابطال. ولولا حزمهُ ورباطة جاشهِ لما تملَّص من ايديهم وكان يردُّ بسيفهِ حرابهم ويضربهم يميناً وشمالًا

الى ان شكَّ بمهمــازهِ فرسهُ فوثب على العدوّ وداسهم بقوائمهُ ونجّى فارسهُ من حلقتهم فتبع حرسهُ آثارهُ وخلصوا معهُ

ولمّا رأى طيطس الجند القادمين لنجدتهِ كرَّ على اليهود ثانيــة وضربهم ضربًا مبرّحًا فصرع منهم قومًا والجأ الباقين الى الفرار وعاد ظافرًا بعد ان فقد كثيرين من اصحابهِ

فلمّا تشتَّت شمل العدوّ التفت الجنديّ الخبير بآداب الحرب الى رفقتهِ قائلًا : « ألا ترونني صدقت في قولي ؟ الم أُصب اذ سننتُ صارمي وتهيَّأت للقتــال. فانظروا كيف يقطر غرارهُ دمًا »

ثم طلب ذاك الجنديَّ الحديث بالجنديَّة الذي كان واثقًا بالظفر لا يكترث لامر اليهود. فلم يجدهُ حيًّا وانَّما وجد جثَّتهُ مع جثَّة يهوديّ كان غرب حسامَهُ في فؤادهِ ثم وقع ميتًا من بعدهِ بنبلة خرقت اصداغهُ . فتحنَّن عليهِ وقال:

أسفي عليك يا صاح اذ وقعتَ في شرخ الشباب فثكلت أُمك وحيدها . . . ولو امكنني لفديتك بحياتي لكنَّ

الموت نقَّاد على كفّهِ جواهرٌ يختار منها الجيادْ

*

وكان بين جرحى ذلك النهار الذي اوشك ان يفجع الرومــان بموت قائدهم بطلٌ عرفهُ قرّاؤنا ألا وهو راسيوس الضابط الذي خاطر بنفسهِ وحارب على جانب قائدهِ فأُصيب دونهُ بطعنةٍ كادت تكون القاضية عليهِ. فكان سقط على الحضيض مضرَّجًا بدمهِ مغشيًّا عليهِ. فلمَّا هرب العدوّ اسرع طيطس وامر بنقــل الجريح الى خيمتهِ واضجعهُ على فراشهِ واستدعى لهُ على جناح السرعة بطبيب يُعنى بامرهِ

فوصل الطبيب ووجد الضابط في اسوإ حال لانَّ كتفــهُ كانت مخلوعة وفي صدرهُ جرحٌ بليغ يفور من فوهتهِ نجيع الدم. فاسرع الى ضماد الجرح وحبس الدم السائل ففتح الجنديُّ عينيهِ بعد حين ونظر الحضور حولهُ بدهش ثم تأوَّه وقال:

وماذا جرى لابن الامبراطور ؟

— اني نجوتُ بنفسي والفضل لشهامتك

قال طيطس هذا وامسك بيد ضابطهِ موذنًا بشكرهِ لهُ. فاردف راسيوس:

– فلا بأس الآن ان اموت وقد نجا وليّ نعمتي

– كلاَّ يا عزيزي بل اريد ان تحيا وستحيا ان شاءت الالهة . . .

– اظنُّ انَّهُ قد قُضي عليَّ . . . وانت يا لاونطيوس اين انت ؟

قال لاونطيوس: اني بقربك يا صاح

– اني اشكرك اذ انتزعتني من ايدي هؤلاء الهمج . فاسمع لي الآن بان اوصيك بوصيَّتي الاخيرة . اذا مررتَ ببيروت اذهب الى دار الورود وأخبر الفتاة التي طالما ذكرتها لك واعلمها باني متُّ موت الشجعان وانَّ اسمها حلَّى فمي في ساعة النزاع وانَّ قاتلي احد بني أمّتها . فلتحيَ من بعدي سعيدةً

فلمَّا انهى راسيوس كلامهُ احسَّ بان قواهُ خارت ثانيةً فاغمي عليهِ . فنظر طيطس الى الطبيب قلقاً كانهُ يتوسَّل اليهِ بان يخلّص هذا البطل الباسل من مخالب المنون

فهزَّ الطبيب برأسهِ حيناً ثم قال:

وان تكن حالتهُ مؤذنة بالخطر الَّا اني بقوَّة اسكولاب اله الطبِّ قد شفيتُ من كان اقرب منهُ الى المنيَّة

فسُرِّي عن طيطس واخذ يقصُّ على الضُبَّاط الذين اتوهُ ليهنئوهُ بالسلامة ما جرى لطليعتهِ قال:

لمَّا نزلنا من جبل سكوبوس وبلغنا اقصى الوادي حيث يُرى قبر هيلانة ملكة العراق اردنا ان نصعد الربوة التي تقرّبنا من اسوار المدينة . وكانت ابوابها محجوبةً عنَّا باكمةٍ هناك فامرتُ الفرسان بان يدوروا حول التل فلمَّا رآنا احد اليهود المراقبين من اعلى السور عند البرج المعروف ببرج النساء لمَّع بثوبهِ وصرخ صرخةً هائلة فاجاب الوفُّ من الجند بهتاف عظيم ثم انفتح الباب وهجم علينا قومٌ كعداد النمل . وكنَّا في قعر الوادي لا نستطيع حراكاً فامرتُ بالرجوع القهقرى وصرتُ في آخر السريَّة بعد ان كنتُ في رأسها . وكان بقربي الضابطان راسيوس ولاونطيوس مع شيخين من شيوخ العرب فحيل بيننا وبين فرساننا واضحينا هدفاً لسهام العدوّ التي كانت تتناوبنا من كل جانب وليس ترس ولا درع يقينا . وما لبث اليهود ان احاطوا بنا فجعلنا اتكالنا على آلهة السماء ثمَّ غمزنا جيادنا ونحن نضرب يميناً وشمالاً بالسيف متَّقين السهام برؤوس خيلنا . وبينما كنَّا نخوض غمرات الموت اذ تقدَّم مني علج ذو قامة كبيرة ورفع عليَّ جرزة

من الحديد ليهشم بها راسي · فاسرع راسيوس كالبرق ووقاني بجسمهِ فوقعت عليهِ الجرزة فسقط عن صهوة فرسهِ صريعاً · فلحق بهِ الاعداء ليجهزوا عليهِ فوثب لاونطيوس عليهم ولم يزل يقطع في اجسامهم حتى خلّص راسيوس واردفهُ على جوادهِ الّا انَّ سهماً كان اصاب صدرهُ في مطاوي القتال فجرحهُ الجرح الذي ترون · وكنّا اوشكنا على الهلاك اذ رأى العدوّ جنودنا مقبلين لمساعدتنا فولّى هارباً · وقد نظرتم بالعيان ما جرى بعد ذلك فلا حاجة الى وصفهِ (ستأتي البقيّة)

مطبوعات شرقية جديدة

TRIDTSATILÈTIE SPETSIALNYKH KLASSOW LAZAREWSKAVO INSTITUTA VOSTOTCHNYKX IAZYKOW. *Pamiatnaia Knijka.* Moscou, 1903. in-8º XXII-147

تاريخ مكتب لازاريف الشرقي واعمالهُ منذ ٣٠ سنة

ان في موسكو مكتباً انشأتهُ سنة ١٨١٧ اسرةٌ شريفة تدعى لازاريف وكانت غاية مُنشئيهِ الاولى ان يُخرَّج فيهِ بعض احداث الارمن الفقراء ثم يُجعل كمدرسة للدروس الشرقيَّة العمليَّة يتفرَّغ لها بعض نجباء الشبَّان قبل ان يخدموا وطنهم كعُمَّال في جهات المملكة الروسيَّة · ولمَّا كانت السنة ١٨٧٢ خُصص المكتب المذكور بدرس اللغات الشرقية وتواريخها وآدابها ليس الَّا فاضحى شبيهاً بالمكاتب العليا التي تُرى اليوم في حواضر اوربَّة · وفي الكتاب الذي أُرسل الينا تاريخ هذا المكتب منذ ثلاثين سنة وذكر اساتذته ومشاهير علمائهِ وتلامذتهِ الذين درسوا فيهِ مع المصنَّفات التي وضعوها في لغات شتى ونال البعض منها الجوائز الشرفيَّة · وقد عدَّد مدير المكتب الدكتور ف · مِلِر والاستاذ خاخانوف ما وجدهُ المكتب في طريقهِ من العقبات والمشاكل المتعدّدة في السنين الأُولى من انشائهِ الَّا انَّ ثبات اصحابهِ ونشاطهم غلب كلَّ العوائق بعد مدَّة فاحرز اليوم مكتب لازاريف من الشهرة ما يجعلهُ في عداد المكاتب الشرقيَّة المعتبرة التي تفتخر بها الدُّول الكبرى فنهنّئ مديري هذا المكتب واساتذتهُ ونتمنّى لهم أَلَّا يزالوا منائر للعلم واعلاماً للآداب · وفي الكتاب عدَّة صور جميلة الاب بطرس

Trois traités d'anatomie arabes
par M. Ibn Zakaryya al-Razi, Ali Ibn al-Abbas et Ali Ibn Sina
texte inédit de deux traités, traduction de P. de Koning.
Brill. Leide, 1903, p. 830

ثلاث مقالات عربية في الجراحة لابن زكريَّا الرازي وعلي بن العبَّاس وعلي بن سينا

لا تزال مدينة ليدن تغني العلوم بمطبوعاتها الشرقيَّة عموماً وبمنشوراتها العربيَّة خصوصاً. وقد اتاح لها الله قوماً من ذوي البراعة والنشاط يكسبونها فخرًا منذ ثلاثمائة سنة بنيّف

اذا سيّد منهم خلا قام سيّد هام لما قال الكرام فعولُ

وهاءنذا اليوم بشاهد جديد على هذه الهمّة البعيدة ألا وهو مجلَّد ضخمٌ يحتوي ثلاث مقالات عربيَّة في الجراحة اثنتان منهما نشرهما لاوَّل مرَّة الدكتور الفاضل ب. دي كوننغ وهما لمحمَّد بن زكريَّا الرازي من كتابهِ الشهير بالمنصوري ولعليّ بن عيسى نقلًا عن تأليفهِ الموسوم بالملكي (١ ثمَّ نقلهما الدكتور المومأ اليهِ الى الافرنسيَّة وذيَّلهما بحواشٍ علميَّة مفيدة. واضاف الى هاتين المقالتين ترجمة مقالة ثالثة لابن سينا نقلًا عن قانونهِ الشهير وختم الكتاب بمعجم للالفاظ الطبيَّة المشروحة فيهِ. فنثني على الدكتور كوننغ الثناء العاطر ونحضُّ كل الاطبَّاء الشرقيين على مطالعة كتابهِ النفيس

ديوان شعر النحلة المنظوم في خلال الرحلة

طبع في الاسكندريَّة سنة ١٩٠٢ (ص ٥٨٤)

اهدى صاحب السعادة الشهير ناظم هذا الديوان الفريد مكتبتنا الشرقيَّة نسخة منهُ فلم نجد ثناء اولى بهِ من نقل بعض شذرات نعدُّها كواسطة قلادتهِ الفاخرة. قال في نسبة يوبيل لاون الثالث عشر الكهنوتي:

أروضُ جواد الفكرِ في حلبة الثنا عليكَ ايا من في الانام تفرَّدا
لقد كنتَ في سنّ الشباب بغابةٍ تصيدُ وحوشًا او طيورًا تعمَّدا
فقد صرتَ صيَّادًا تصيدُ كبطرسٍ وتمتَ رئيسًا في الكنيسةِ مرشدا

---

١) قد حصلت في السنة المنصرمة مكتبتنا الشرقية على قسمٍ من هذا الكتاب الجليل خُطَّ سنة ١٠٨٣ ﻫ اوقفهُ على مكتبتنا حضرة القس الفاضل اوجين دلَّال الحلبي السرياني جازاهُ الله خيرًا. وهو يتضمَّن المقالة التاسعة في ١١١ بابًا

وكِلا لسمعانَ بن يونا ونائبًا | اقامك عيسى في البريَّة اوحدا
فاكملتَ في الكهنوت خدمةَ مذبحٍ | بخمسين عامًا كنت فيه ممجَّدا
وصرتَ لنا في الفضل خيرَ نموذجٍ | ونلتَ من الرحمان قدرًا وسؤددا
فيا لك من حبرٍ تحلُّ مقامهُ | ملوكٌ تحت ناديك طوعًا وسُجَّدا
واهدت اهالي الشرق والغرب جملة | لبانًا ومرًّا مستطابًا وعسجدا

وقال يوم عيد جلوس الحضرة السلطانيَّة الفضّي سنة ١٩٠٠ ونظمهُ بثماني لغات:

تبارك عيدٌ قد تكرَّر خمسةً | وعشرين عامًا بالسعود مجمَّلا
سألتُ الهي ان يديمَ بغبطةٍ | مليكًا على العرش استوى وتكلَّلا

وممَّا استطبناهُ قولهُ من قصيدةٍ في الوالدة:

رعى الله امًّا افتديها بمهجتي | تردَّت من الافضال اجملَ حلَّةِ
لقد زيَّنتها من صباها فضائلٌ | وفاقت نساء الارض طرًّا بعفَّةِ
حلاها ذكاءٌ والكمالُ جمالها | ومنحةُ عقلٍ زيَّنتها بحكمةِ
تولَّت غذانا والقيام بامرنا | وضحَّت نفيسَ العمر منها لفتيةِ
وكم من ليالٍ قد قضتها تسهُّدًا | تلازم مهدي في منامي ويقظتي
يُثقّل نومٌ جفنَ امٍّ حنونةٍ | فيظهر حبُّ الوالدات برقدة
تهزُّ سريري اذ يهزُّ فؤادها | سرورٌ بنومي واضطجاعي وغبطتي

وفي ختامها: سلامي على امٍّ اراها بمهجتي | وعقلي وفكري عندها كل لحظةِ
فدامت ودام المدح فيها مكرَّرًا | وعطر ثناها فائح في البريَّةِ

وقال نثرًا يصف صعوده الى جبل النار في نابولي في سنة ١٨٧٩:

«...... فتسلقت ذاتَ يوم ذروة الجبل العالية ، واخذت اطوف حول فوهته الهائلة ، وانا اقفز من صخر حارّ ، الى كتلةٍ من كبريتٍ ونار ، حتى احترقت في رجليَّ النعال ، وضايقت ابخرة الكبريت الكثيفة صدري بالسعال ، والحجارة المتقذفة في الهواء تهدّدني بالحتف والوبال ، وانا لا ابالي بتلك الحال ، ودليلي ورائي يحذرني من الاخطار ، وانا متعنّتٌ لا اكترث بذلك الانذار ، فلمَّا قطعتُ نحوًا من خمسمائة خطوة ، من محيط الفوهة ، وصرتُ منها الى الجهة القبلية ، هبَّت ريحٌ شمالية ، وساقت اليَّ من كثيف دخان الزفت والكبريت ما اعمى مني البصيرة والبصائر ، وادمى العيون وملأ الحناجر ، فغبتُ لساعتي عن الحواسّ ، وفقدتُ بالكلّيَّة الاحساس ، وسقطتُ على الارض لا اعي ، ولسان حالي يندبُ خيبة الاستقراء والسعي ، واوشكتُ ان اهوى في ذلك الفم المفغور ، وكدتُ اكون طعام ذلك اللهيب المسعور ، فانتشلني دليلي في الحال ، وهرول بي في استعجال الى حجرةٍ في تلك الجوار ، منقذًا ايَّاي من انياب غول النار ، ولولاهُ لجاورتُ بلينيوس الفيلسوف ، في قعر جبل فيسوف...» ل. ش

شذرات

المراكب الجويَّة عاد اصحاب المناطيد في هذه الاشهر الاخيرة فحلقوا في الجوّ بمراكب جديدة حسَّنوا ادواتها واستدركوا فيها خلل ما سبق منها. ومما يُذكر منها منطاد افرنسي يُدعى ايروكلوب نهض من باريس في ١٨ نيسان فقطع المسافة التي بين باريس ومرسيلية (٧٥٠ كيلومترًا) باثنتي عشرة ساعة ونصف وبلغ في العلوّ ٣١٠٠ متر فوق سطح البحر ثمَّ نزل راكبوهُ قريبًا من أرل بسرعة غريبة دون ان يصابوا بضرر — ومن المناطيد المشهورة مركب الماني ركبهُ الدكتوران هنك وامدون صعد الجوّ من مونيخ فبلغ ٧٢٠٠ متر علوًّا — ومنها البالون المنسوب الى ليبودي (Lebaudy) استفاد فيهِ صاحبهُ من كل الامتحانات التي سبقتهُ اليها رصفاؤهُ فجمع فيهِ الخفَّة والصلابة وجهَّزهُ بادوات لطيفة غايةً في المتانة. وفي جانبيهِ رفَّاسان ودفَّة لضبط حركاتهِ امَّا الآلة المولِدة للحركة فهي محرك من البترول قوَّتهُ ٤٠ حصانًا وقد جرَّب المسيو ليبودي منطادهُ تسع مرَّات بالنجاح التامّ وهو يقطع في الساعة ٤٠ كيلومترًا بنيّف

السَّماد الخشبيّ امتحن الدكتور جوناس الالماني تسميد الارض الزراعيَّة بقطع الخشب المدقوق المنعَّم فوجد انَّ هذا السماد افضل من سواه لأنهُ يصون نداوة التربة ويدفع عن النبات مضرَّات الصقيع في الليالي الباردة ويصلح للسماد الكيمويّ

الزبدة والحليب في نيويرك انَّ اهل نيويرك ياكلون في اليوم ١,٢٠٠,٠٠٠ لترًا من الزبدة او الحليب وتسعة اعشار هذه الكميَّة الوافرة تأتيهم بالسكك الحديديَّة من المعاملات القريبة وبعضها يأتي من بعيد بالعلب المجمَّدة فيقطع مسافة ٥٠٠ الى ٦٠٠ كيلومتر. ولئلَّا يختر اللبن وتسنخ الزبدة ترى في القطارات الحديديَّة اجهزةً خصوصيَّة مبرّدة تحفظ اللبن والزبدة في الدرجة الخامسة فوق الصفر

علاج الغرقى قد تمكَّن اخرًا في فرنسة بعض الاطباء من انعاش غريق بقي ثلاث ساعات في الماء وذلك بسحب لسانهِ سحبًا منظمًا مدَّة نحو ثماني ساعات فقام الغريق معافًى. وقد اختبر غيرهُ من الاطباء حُسن هذا العلاج في المخنوقين

باكسيد الكربون وفي المشنوقين. ومن ثم وضع الدكتور ميكالس آلة بلولب تدور بنفسها وتسحب لسان المصاب زمنًا طويلًا ريثما ينتبه

أسئلة وأجوبة

سأل احد تلامذة مدرسة الحكمة الادباء عن اصل المثل « اذكر الذيب وهيّئ القضيب »

اصل مثل

ج هذا من امثال العامَّة ولعلَّهُ حديث وهو يوافق المثل الافرنسي A parler du loup on en voit la queue والظاهر انَّ العامة لمَّا ارادوا الدلالة على كون الشرّ اقرب الى الانسان من طرفة العين اخرجوا هذا المعنى على صورة حسيَّة على لفظ الامر وخصُّوا الذئب لما يُعهد من خبثهِ ودعارتهِ

س وسأل احد الادباء: هل التثليث على قول النصارى حادث او قديم فان كان حادثًا لزم التغيّر في ذاتهِ تعالى وان كان قديمًا كيف جهلهُ الانبياء ولم يعلمهُ موسى شعب اسرائيل

الثالوث الاقدس

ج انَّ سرَّ الثالوث الاقدس قديمٌ بلا مراء اذ لا يحدث في الذات الالهيَّة تغيُّر البتَّة. أمَّا الانبياء فلم يجهلوهُ جهلًا تامًّا ولنا في ذلك عدَّة دلائل في التوراة ونبوَّات العهد القديم. وإنَّما اوحى الله بهِ اليهم وحيًا جزئيًّا كاسرار اخرى عديدة وكل الى ابنهِ الوحيد ان يميط عنها الحجاب اذا تجسَّد. هذا وان سلَّمنا بان الانبياء جهلوا سرَّ التثليث فلا ينتج عن ذلك الَّا امر واحد وهو انَّ الله يوحي باسرارهِ لمن يشاء ومتى يشاء

س وسئلنا لايّ سبب لا يعطى القربان للاطفال كما يعطى العماد أليس المسيح هو القائل: « ان لم تأكلوا جسد ابن البشر وتشربوا دمهُ فلا حياة لكم في انفسكم » كما قال: « ان لم يولد احد من الماء والروح فلا يقدر ان يدخل ملكوت السماوات »

توزيع القربان للاطفال

ج انهُ لفرقٌ عظيم بين سرّ العماد وسرّ القربان فانَّ سرّ العماد مبدأ الحياة الروحيَّة فلا يمكن احدًا ان يخلص دونهُ امَّا القربان الاقدس فانهُ قوتٌ للنفس ومن طبيعة القوت ان ينمي الحياة ويعوّض ما فُقد منها ولمَّا كان الاطفال في سنّ لا يفقدون فيهِ الحياة الروحية اي النعمة بالخطيَّة فلذلك ليسوا الى حاجةٍ ماسَّة الى هذا السرّ ريثما يبلغون سنَّ التمييز فيقتاتون بهِ ل. ش

المشرق

اكليل الغار

ان للغة العربيَّة في كليَّة القديس يوسف مكانًا رفيعًا ومنزلة عالية كما يتَّضح لكل من شاء ان يقف على ما بذلناهُ ولا نزال نبذلهُ من العناية والاهتمام في انجاح هذه اللغة الشريفة فان الرؤساء ما برحوا منذ نشأة الكليَّة ينتخبون افاضل المعلمين الذين لبعضهم شهرة وتآليف معروفة. وينتقون احسن الكتب التي تقرّب مجال فهم اللغة والاطلاع على اسرارها وخصائصها فضلًا عن حرصهم في كلّ وقتٍ على بيان فضائلها واهميتها للطلبة مرغبيهم في اتقانها والتبحُّر فيها وبين كل مدَّة واخرى تجري تمرينات مختلفة باللغة المذكورة منها علنيَّة ومنها خصوصيَّة بها يتعود التلامذة فصاحة الكتابة والكلام في المواضيع المختلفة وهما امران يجعلان منهم رجالًا بلغاء يحسنون الدفاع بالحجَّة عن صوالح الدين والوطن. ولقد قاموا بحفلات ادبية وروايات تمثيليَّة عديدة كانت مدعاة لتهانئ وثناء العقلاء والكبراء الذين نسألهم في هذه الفرصة ان يتكرموا بقبول فائق شكرنا

ولقد رغب الينا الكثيرون ان يطّلعوا على كتابة التلامذة كما تصدر من اقلامهم فارضاءً لرغبتهم انتخبنا من مسابقات الجوائز مسابقتين في صف الخطابة رأيناهما أفضل من غيرهما ومع اعترافنا بان سواهما ايضًا يستحق شرف النشر لم نشأ أن نتجاوز هذا الحدّ. والمسابقتان موضوعهما اكليل النجاح وغار الظفر وهما للتلميذين الاديبين ميشال بيطار والياس كيورك ولما كان الفرق بينهما قليلًا جعلناهما في منزلة واحدة وسيقرأ ميشال بيطار خطابه في حفلة توزيع الجوائز وننشرهُ هنا تنشيطًا لهُ. واما خطاب الياس كيورك فسننشرهُ في العدد القادم من البشير

ثمَّ انَّنا اخترنا من كتابات صفّي البيان والنحو كتابتَين احداهما معرَّبة نثرًا وشعرًا عن قدٍّ (Sonnet) للشاعر الافرنسي جوزفين سولاري (Joséphin Soulary) بقلم الشاب الذكي يوسف السودا . والثانية قصيدة للطالب المهذَّب ڤكتور شميّل موضوعها «وداع المرسل لامهِ» نظمها وقرأها في حفلة خصوصيَّة دبَّجتها اقلام التلامذة من اعضاء المحفلين العربيَّين جاعلين مدارها على حياة المكرَّم ابرهيم جرجس المارونيّ اليسوعي. فنغتنم هذه الفرصة لاهداء خالص تهانئنا للفائزين مع الثناء على اجتهادهم

ا. ر.

اكاليل الغار

للشاب الاديب ميشال بيطار تلميذ صفّ الخطابة

سادتي

لقد جمعنا اليوم هذا المحفل الحافل وكلنا وجوهٌ ضاحكة وقلوبٌ بالمسرّة خافقة. اجل اني ارى على وجوه الآباء والامهات ابتسامةً منشأها فرح القلب فالعيون تبرقُ بهجةً والثغور تبتسم حبورًا فيا لهُ من بريق ويا لها من ابتسامة!... أرى الوالداتِ منشرحات الصدور بفلاح ابنائهنَّ والوالدين يهتزُّون مثلهنَّ طربًا لنجاح اولادهم... امَّا انتم ايُّها الرفقاء بل يا فئة الابطال الذين لم تكلُّوا في طلب المعالي طول هذه السنة فلكم مني السلام!

انا اخاكم جئتُ اليوم يوم مجازاة المنتصرين فوقفتُ بكم خطيبًا على مسامع اهاليكم الكرام المبتهجين بانتصاراتكم والمستبشرين بفوزكم. اعيروني سمعكم اخوتي فان الموضوع الذي سأتكلم عنهُ لاسيَّما في يوم كهذا لمَّا ترقص لهُ القلوب فرحًا ألا وهو:

« اكاليلُ الغار »

ترون ايهـا الاحباب على هذه الدرجات ازاء الكتب الجميلة التي تسلب بحسنها الابصار اكاليل خضراء ضُفرت بورق الغار . فكلُّ تاميذٍ أو بالحري كلُّ بطـل كان السابق في ميدان العلوم دنا من هذه الكتب النفيسة فأُعطي منها جائزته وذهب الى أمه او ابيه أو احد معارفه حتى يكللهُ بتاج النصر باكليل الغار

لنتكلّم عن الغار ايها الرفقاء . لنتكلم عن الازهار فالغار جميلٌ والازهار جميلة لاسيما اليوم عندما أُخذت منها الاكاليل كي تزيّن جباه المنتصرين . — فاسمحوا لي اذن بالخوض هنيهةً في هذا الموضوع باحثًا عن كيفيّة استنبات الغار والازهار ودعوني اتطرق الى فائدتها وانواعها جاعلًا ذلك بمثابة امثولة نباتيّة شعريّة مازجًا تبعًا لنصيحة هوراس الشاعر « اللذيذَ بالنافع »

١

« استنبات الغار والازهار »

يا راكب الخيل يا قاطعًا ارضَ البقاع وسهلها البديع قِفْ معي قليلًا رعاك العليُّ وانظر . . . ألا ترى الارضَ تخدُّها سطور كأنَّ ولدًا راكبًا على جوادهِ القصبيّ خطَّط التراب بسيرهِ ؟ . . . — هو الفلّاح قد شقّ السهل بسكته الحديديّة فجعل الارض على ما تراها وهي الآن مزروعة ببذر غارٍ وازهار . بذل الزرّاع في سبيـل نجاحها كلّ عنايته فحوّل اليها الجداولَ لسَقيها وقلعَ الحشائش الرديّة النابتة فيهـا مع الزرع . . . أتت بعدئذٍ انداء السماء وحرارة الشمس فكمّلت صنيعَ الفـلّاح . . . انظروا الآن الى هذه الاوراق الخضرة والأغصان المتلوّية والازهار المتفتحة كيف ان النسيم يتلاعب بها ويعانقها ويثني قدودها . . . — هي اوراق الغار والازهار التي ترون مثلها ايهـا السادة في حدائقكم وجناتكم

امّا في حدائقنا وجناتنا . واريد طبعًا حدائقنا وجناتنا المدرسيّة . فهل نستنبتُ هكذا ورق الغار والازهار ؟ . . .

— كلّا ! تعرفون ان طرق الزراعة تختلف حسب الاصقاع وللآثار الجويّة مفاعيل جمّة في المزروعات . والظاهر ان الجوّ في صقعنا المدرسيّ له مفاعيل خصوصيّة لا توجد

في غيره. فدرستُ هذه المفاعيل على قدر الامكان وهاكم نتيجة درسي بالاختصار ابينها لكم في كيفيَّة زرعنا للغار والازهار:

ان الارض التي نفلحها ما هي سوى ارض عقلنا. فكلّ يوم تمشي في هذه الارض سكَّة تقتلع الاشواك والاعشاب المضرَّة وتفتح فيها اثلاماً حتى اذا اتينا المدرسة بذر الاستاذ في هذه الاثلام حبّاً وصار الينا من ثمَّ الاعتناء بهذا الحبّ. فكما أنَّا فلحنا الارض نسقيها ايضاً بمياه المطالعة وإعمال الذاكرة والفهم وتأتي اخيرًا اشعَّة شمس المعلّم فتجعل لها اوراقاً وتفتح لهذه الاوراق ازهارًا وتقرُّ العينُ. عينُ المعلّم وعين التلميذ برأى هذه الازهار الزاهية

٢

« فائدة اوراق الغار والازهار »

ولكن يا هل تُرى أتقف ههنا فائدة هذه البذور ? — اذا نبتَ الورقُ واخضرّ. اذا تفتَّح الزهرُ واحمرّ. سُلبت ابصارنا من هذا المشهد البديع. وسبحنا الباري في خليقته... ولكن عندما نرى من الزهرة بُرعماً يبتدئ صغيرًا مخضرًّا ويأخذ في الكبر يوماً فيوماً قلنا: هذا الثمر! وعلّلنا النفوس باقتطافهِ يوماً ما يانعاً

ايها الرفقاء

اذا كانت اوراق الاشجار وازهار الحقل هي الكافلة بطلوع الثمر فلاوراق الغار ايضاً في المدارس ثمر وثمرها شهيّ... ثمرها يانعٌ لذيذٌ يحلو في الفم وتنتعش بهِ الصدور ... ثمرها لهُ الالوان الزاهية الجميلة التي تخلب القلوب والابصار... ثمرها يهذب الفهم وينميه ويوسع نطاقه ويزينه بحلى المعارف... ثمرها يثقف الارادة والطبع ويعلم الطالب كيف يكون رجلاً حازماً كافلاً بعمل الواجب... ثمرها اخيرًا لهُ تلك المادّة المغذّية ولكن مادته تغذي النفس لا الجسد بل ربَّما أنحلت الجسد بانماء الروح. ولعمري ما يهمُّ نحولُ الجسد ان كان للنفس غذاء مقوٍ ?... أليس هذا النحول سبباً لمجدنا وافتخارنا ?...

رُبَّ مهزولٍ سمينٌ عرضهُ وسمين الجسم مهزولُ الحَسَبْ

ولكني ماذا أقول ?... لقد ارتجّ قلبُ الامّ الحنون على ولدها... لا تخافي يا سيدتي فعين الآباء ساهرة يقظة تمنع كلّ عمل يضرّ بصحة ابنك... أريحي فؤادكِ فولدكِ

يطلع من المدرسة (اذا اراد) متعلماً و . . . سميناً

٣

« انواع اكاليل الغار والازهار »

في الجنّات ايها الرفقاء الاحباء ما يخلب القلب والبصر من ورقٍ مخضرّ وزهر بديع وثمر يانع الى ما لا ينتهي من تعداده معدّد . . . قد طالما عاينتُ السيدة البيروتيّة تزيّن بهذه الازهار المختلفة غرف بيتها . امّا السيدة الدمشقيّة فتصرف كل عنايتها الى تنظيم هذه الازهار حول فسقية ماء صافٍ في صحن دارها . . . ومرجع الكلام الى ان الازهار اجناسٌ شتّى . ومعلومٌ انهُ اذا اختلفت الموادّ اختلفت ايضاً هيئاتها وتراكيبها فتتنوّع الاكاليل بوفرة اجناس الازهار

بناء عليهِ اقول : لسنا اقل حظّاً نحن طلبة المدارس فاكاليلنا أنواعٌ مختلفة لان الازهار التي منها تُضفَر مختلفة وكل هذه الازهار والاكاليل جميلة

جميلٌ يا نائل جائزة الشرف اكليلك ولعمري انظر كيف يلمع ويُبهج العيون بحسنه وجماله ! . . .

جميلةٌ يا نائلي جوائز حسن السلوك والاجتهاد اكاليلكم . او لا تنظرون كيف العيون شاخصة اليكم . . .

جميلٌ يا نائل جائزة الخطابة اكليلك . أوَ تستقلّ ان تجعل القلوبَ والأسماع رهينةً لكلامك ؟ . . .

ولكن لماذا اضيعُ الوقت سدًى بالتعداد ؟ . . . ان كانت الاكاليل جميلةً بالقول فلننظر جمالها بالفعل وهذا اولى :

إصعدْ ايها التلميذ المجتهد الى هنا . . . تعالَ يا أخي . تعالَ يا ايّها البطل الهمام لقد واصلتَ الجدّ وابديت الهمّة كل هذه السنة فحزتَ الفوز . . . تقدّم خذ جائزتك خُذ اكليلك واذهب الى امّك كي تضعهُ على رأسك

وانتِ يا امّهُ افرحي فولدكِ هو المنتصر على جميع اقرانه . . . فليكبر قلبكِ الوالدي وليفتخر بثمرة احشائك فانها ثمرة يانعة . . . ابكي فرحاً اذا شئتِ ايتها الوالدة الحنون . . . وانت يا اخي اذهب الى امّك كي تضع على راسك اكليل النصر .

عانقها ولتكن دمعة فرحها المتساقطة على خدها لؤلؤةً يتيمةً لهذا الاكليل :
« اكليل الغار وآية الانتصار » (تمّت)

الموكبانِ

للشاب الذكي يوسف السودا تلميذ صف البيان

تصادفَ موكبانِ في الكنيسة : موكبٌ كئيبٌ آسفٌ يشيّعُ نعشَ ولدٍ قُطفَ في زهرةِ العمر والامُّ تتبعهُ مذعورةً فاقدة الشعور وتُحاول عبثًا اخمادَ ما احتدمَ في صدرها من نار حزنٍ تهدُّ عزمها وتذيب جسمها

وموكبٌ فرحٌ متهللٌ : موكبُ عمادةٍ ترى فيهِ أُمًّا على ذراعيها رضيعٌ يُناغي بنغماتٍ متقطّعة وهي تُدلي اليهِ بثدي يمتصّهُ بشهوةٍ ولهفةٍ وتشمَلهُ بنظراتٍ تستعرُ حبًّا وعزّةً

وما عتَّم ان تمّتِ الصلاةُ على الميتِ وانتهت حفلةُ العماد فارفضَّ الحفلانِ . وبينما الناسُ خارجون اذ تلاقت المرأتانِ في حنيَّة الكنيسة فتبادلتا لحظاتٍ لم تبقَ غيرَ قليلٍ

ويا لهُ من تحوّلٍ عجيبٍ أوحت بهِ اليهما الصلاة . فها انَّ امَّ المعمَّد الفرحةَ المعتزَّة تبكي لرؤيتها تابوتَ الفقيد وامُّ المجتزِ المذعورةَ الثكلى تتبسَّمُ لرؤية المولودِ الجديد (ولقد هيّج في قلبي هذا المشهدُ عواملَ التأثُّر فقلت :)

تأمّل خليلي موكبَيْنِ فإنّما هما صورةُ الدنيا : بُكًا وتبسُّمُ

*

فذا موكبٌ وافى يقلُّ جنازةً لطفلٍ بهِ حلَّ القضاء المصمّمُ
تسيرُ وراهُ أمهُ ودموعها تحرّقُ خدّيها بنارٍ تضرَّمُ
تحاولُ إطفاء لنارٍ تسعَّرت بصدرٍ بهِ اللّوعاتُ تكوي وتكلمُ
تكادُ من التّحنانِ تفقدُ رشدها فشهدُها قلبَ الجمادِ يؤلمُ

*

وذا الموكبُ الثاني يرومُ عمادةً لطفلٍ كزهرِ الورد في خدّهِ الدّمُ
يُنـاغي كزغلولِ الحمامِ بمشيهِ ومن حولهِ طيرُ الصفاء يرنّمُ

تقـدّمُ ثديًا ناصعًا أمهُ لهُ فيمتصُّ من ثديٍ اليهِ يُقدّمُ
وتشملهُ باللحظِ حُبًّا وعزةً وفي قلبها نصرٌ أعزُّ وأعظمُ

*

واذ رُشَّ فوقَ الميتِ ماءٌ مباركٌ ورُشَّ على المعمود ماءٌ وبلسمُ
توارى كِلا الحفلَينِ بالحزن والهنا وكلٌّ لآياتِ القديرِ معظِّمُ
ولكنَّما الأمانِ حالًا تلاقتا برشقٍ لحاظٍ عن حُنوٍّ تُترجمُ

*

فيا لَانعكاسٍ للصلاةِ معادُهُ وسبحانَ مَن غورَ الضمائرِ يعلَمُ
فها انَّ أمَّ الحيِّ تبكي تأثرًا لرؤيةِ مفقودٍ مضى يتنعَّمُ
وها انَّ أمَّ الميتِ من ذاب قلبُها غدا ثغرها من رؤيةِ الطفل يبسمُ

وداع المرسل لأمهِ

للشاب الاديب فكتور شميّل تلميذ الصف الثالث

يا لها من ساعةٍ مرهوبةٍ إن جرى ذكراها تجري دمعتي
يا إلهي أسهامُ اللّوعةِ بفؤادي أمْ خمورُ الفرحةِ
ليتني ربّاهُ أدري دِخلتي

. . . .

ليت شعري ما لأمٍ ذرفت عينها دمعًا سخينًا وشكت
ليت شعري ما لها قد اصبحت في هزالٍ ومن الحزن اكتست
ثوبَ أسقامٍ دليل الحسرةِ
إبنها طفلًا غذتهُ باللبان وهي تصبو نحوهُ في كل آنْ
ارضعتهُ الطهرَ من ثدي الحنانْ ووقتهُ من تصاريف الزمانْ
فغدا بدرًا بهيَّ الطلعةِ
أنَّما رامَ ذهابًا لا معادْ بعـدهُ فهيَ بسقمٍ وسُهادْ
ودموع الحزن من هول البعادْ وحنين الأمِّ من حرِّ الفؤادْ

تشتكي جور الأسى بالوحشةِ

دمعُها بلَّ الثرى وهي تصيح واحبيبي فارحمنْ قلبي الجريحْ
لا تغادرْني بآلام المسيحْ تاركًا من بعدك الجفنَ قريحْ
يا إلهي ان هذي بلوتي

أعرضَ الشهمُ ونادى شاديا كفكفي أمَّاهُ دمعًا داميا
انَّ قلبي لإلهي لا لِيا فارفعي أمَّاهُ طرفًا ساميا
امرُ ربّي لستُ اعصى دعوتي

انَّ ربّي قد دعاني للسَّما وأراني في طريقي السُّلَّما
فتركتُ الارض مع اهل الحمى طالبًا إرضـاء ربٍّ أعظما
فتعزّي دائمًا عن فرقتي

أنكِ ان ترغبي في طلبي فالى العذراء دومًا أطلبي
أن ترَيني ثابتًا في الكُرَبِ سافكًا دمّي وهذا مأربي
ميتةُ المُشهَدِ أحلى ميتةِ

قبلةً أمَّاهُ منكِ زودي قلبَ نجلٍ ذابَ من ذا الكمدِ
فوداعًا من صميم الكبدِ غيرَ أنَّا سوفَ نلقى في غدِ
من يد الرحمانِ فَيضَ الرحمةِ

. . . .

ودَّعَ الأمَّ وولَّى في كدَرْ يذرف الدمعَ على ذاك الأثرْ
لكنِ القلبُ على الهجر صَبرْ وعلى صرف الليـالي والقدَرْ
لابسًا درع الرجا والنعمةِ

ودَّعَ الأهـل وخلَّى الوطنا راضيًا كلَّ شقاءٍ وعنا
بصليب اللهِ يرضى كفنا بل عذابًا ومـماتًا وفنا
موقنًا باللهِ ربِّ القـوَّةِ

ليس يخشى قلبهُ وقع السهام وهو يشدو عذّبوني بالحسامْ
انَّ ربّي مبدعي باري الأنامْ قبلنا قد ذاق كاسات الحمامْ
بثباتٍ فاقَ كلَّ القدرةِ

إنهُ مُقتحمٌ كلَّ عذابْ كاشفٌ عن اعينِ الجهل النقابْ
وغدًا في موقفِ الحشر المهابْ سيُجازى كلَّ باغٍ بالعقابْ
ويجازى مُرسلٌ بالنصرةِ

يا رسولَ اللهِ سرْ مبتهلًا وَدَعِ الجاهلَ إذْ قد عَذَلا
سوفَ تلقى في السماء البَدَلا من شقاء ذقتهُ بينَ الملا
فتعيشَ الدهرَ عيشَ الغبطةِ

ميمر في صحة الدين المسيحيّ

للاب الفاضل والفيلسوف الكامل ثاودورس ابي قرّة اسقف حرّان

عُني بنشرهِ حضرة الاب الخوري قسطنطين باشا الراهب الباسيلي المخلّصي

توطئة

❋ تعريف المؤلف ❋ انّ لثاودوروس ابي قرة (ويروى ابو قارة) مقامًا رفيعًا بين اللاهوتيين فيعتبرونهُ كاعظم الكتبة الكنسيين وابرعهم في المصنَّفات الجدلية والابحاث الدينية بحيث تراهم يتّخذونهُ كحجَّة في تفنيد مزاعم المبتدعين. ومع ما لهذا الكاتب من رفيع الشان لا نكاد نعرف شيئًا من ترجمتهِ والمرجَّح انهُ عاش في اواخر القرن الثامن للمسيح وفي اوائل التاسع والمرجَّح انهُ عرف القديس يوحنّا الدمشقيّ وما لا ريب فيهِ انّ ثاودوروس تأثّر اعقاب ذاك القديس المعظم والكاتب البارع وجاراهُ في محاربة البدع كالنسطورية واليعقوبية والمونثليتيَّة يردُّ عليها بالبراهين العقليَّة والادلَّة الوضعية ورُبَّما جعل تفنيدهُ على طريقة المباحثة بين الارثدكسيّ والمبتدع فيكون الجواب ارسخ في عقول المؤمنين. ويؤيد قولنا في زمن ابي قرَّة انهُ املى بعض مقالاتهِ على توما اسقف اورشليم الذي عاش في اواخر القرن الثامن وكان جالسًا على كرسيّ اورشليم سنة ٨٠٧. وعمَّر ابو قرَّة الى عهد المأمون الذي تولّى الامر من سنة ٨١٣ الى ٨٣٣ مسيحيّة والدليل على ذلك ان في مكتبة باريس وغيرها نسخًا من جدال دينيّ جرى لهُ في حضرة المأمون

ومما يستفاد من مقدّمة كتاباتهِ انهُ كان اسقفًا على حرّان المدينة الشهيرة المجاورة للرُّها. وقد نكر البعض ذلك وقالوا انهُ كان اسقفًا على «قارة» وهي مدينة في فلسطين في عبر الاردن وقيل انّ قارة هذه هي المدينة التي في حدود حمص ودمشق. والله اعلم

ومن الاوهام الشائعة في حقّ ثاودوروس ابي قرة انهُ كان اسقفاً على بلاد كارية من اعمال ثراقية. والصواب انّ ثاودوروس اسقف كارية كان بعد ثاودوروس ابي قرة بنحو مئة سنة وعاش على عهد فوطيوس بطريرك القسطنطينيّة وناقضهُ في عصيانه على الكرسيّ الرسوليّ

امّا تآليف ثاودوروس ابي قرة المعروفة سابقاً فعبارة عن ٤٣ مقالة بين قصيرة ومطوّلة أُدرجت في اعمال الاباء اليونان لمين في المجلّد الـ ٩٧ من الصفحة ١٤٦١ الى ١٦١٠ واوّل من نشر هذه الآثار الجليلة الاب اليسوعي الشهير يعقوب غرتسار وترجمها الى اللاتينية الابوان توريانوس اليسوعي وجِنِبرَرْد البندكتيّ

ولم يتفق الكتبة على اللغة التي صنّف بها ثاودوروس ابو قرة تآليفهُ أهي اليونانية ام العربية. والراي الارجح انهُ كتب في العربية والسريانيّة ثم نُقلت مصنّفاتهُ الى اليونانية كما يظهر من مقدّمة مقالتهِ الرابعة وفيها يقال انّ ثاودوروس أملاها بالعربية على توما اسقف اورشليم ('απαγορευθεῖσα 'Αραβιστί) ثم نقلها الى اليونانية ميخائيل الكاهن سنكلّوس اي قيّم كنيسة اورشليم. وعليهِ فتكون كتابات ثاودوروس من اقدم آثار النصرانيّة في اللغة العربية. امّا كونهُ كتب في السريانيّة فقد بيّنهُ في احدى مقالاتهِ غير المطبوعة

وقد قابلنا المقالة التي باشر حضرة الاب الخوري قسطنطين باشا نشرها في المشرق لعلّنا نجد لها اثرًا بين اعمال ثاودوروس باليونانية فلم نعثر على شيء منها. فتزيد بذلك قيمتها لدى العلماء. ولعلّ النسخة التي وصفها حضرة الاب هي المنقولة عن النسخة الاصليّة التي ذكرها السمعاني في المكتبة الشرقية (المجلّد الثاني ص ٢٩٣ في الحاشية) وقال انهُ اطلعهُ عليها في صيداء السيّد افتيميوس الصيفيّ اسقف الروم الملكيين الشهير ل. ش

※ تعريف الكتاب وناسخه ※ هذا الميمر من كتاب مخطوط وجدتهُ في مكتبة دير المخلص وقد علّق عليهِ ناسخهُ قبل هذا الميمر ما حرفهُ: «حاشية لكاتبه المطران باسيليوس. اعلم ان هذه نسخة ثانية من النسخة التي في دير مار سابا السيق بقرب اورشليم التي هي النسخة الاصلية للكتاب التي كُتبت عليها هذه النسخة». ثم: «وكان كتابته في شهر حزيران سنة ١٧٣٥ وذلك في دير المخلص من معاملة صيدا في جبل الدروز»

وجاء في آخر الكتاب: «وكان النجاز من نساخة هذه الميامر نهار الاثنين الثالث والعشرين من حزيران سنة ١٧٣٥ لتجسد المسيح ربنا». ثم: «كُتب بيد الحقير المطران باسيليوس فينان عن كتاب نُسختهُ قديمة منسوخة عن النسخة الاصلية التي في دير مار سابا السيق بعاملة القدس الشريف. ولذلك لمّا وجدنا فيهِ بعض كلمات ممحيّة من عتقهِ ابقينا موضعها بياضاً لعلنا نجد لهُ نسخة صحيحة كاملة فنكتب ما نقص وبالله التوفيق. وايضاً تاريخ النسخة التي نقلنا عنها هذا الكتاب سنة ٦٥٥٩ لابينا آدم (١٠٥١ للمسيح) وهو تعليق الراهب اغابي في دير مار الياس في جبل اللكام فيكون لها يوم نسخنا هذا الكتاب عنها ٦٨٤» ومن ثم يُعرف قدر هذا الكتاب وانهُ من الكتب القديمة العهد النادرة بالعربية بل من اقدمها عهدًا عند كتّاب النصارى وخصوصاً الملكيين منهم. واهمّ من ذلك عدم تداولهِ بايدي النسّاخ وسلامته من التحريف ولا حاجة الى التنبيه الى قوة براهينه اللاهوتيّة ورشاقة اساليبه العربية ومتانة تراكيبه مع الشواهد

الصريحة على رئاسة بطرس الرسول وخلفائهِ الاحبار الرومانيين . والكتاب المذكور جمع تسع مقالات طويلة «يدعوها» ميامر والميمر لفظة سريانيَّة (ܡܐܡܪܐ) معناها الكلام والرسالة المطوَّلة

(الاوَّل) يحقق للانسان ارادة حرَّة ثابتة من الله في خليقته وان حرية الانسان لا يدخل عليها القهر من وجهٍ من الوجوه البتة

(الثاني) يحقق انهُ لا يلزم النصارى ان يقولوا ثلاثة الهة اذ يقولون الاب اله والابن اله وروح القدس اله وان الاب والابن وروح القدس اله واحد ولو كان كل واحد منهم تاماً على حدتهِ

(الثالث) في موت المسيح . وانَّا اذا قلنا ان المسيح مات عنّا انما نقول ان الابن الازلي المولود من الاب قبل الدهور هو الذي مات عنَّا لا في طبيعته الالهية بل في طبيعته الانسانية . وكيف يعقل هذا الموت . وانهُ يحسن ان يقال على الابن الازلي في الجهة التي تقوله عليهِ الارثوذكسية

(الرابع) في تحقيق الانجيل وان كلّا لا يحققهُ الانجيل فهو باطل .

(الخامس) على سبيل معرفة الله وتحقيق الابن الازلي

(السادس) في انهُ لا يُغفر لاحد خطية الّا باوجاع المسيح التي حلَّت بهِ في شان الناس . وان من لا يؤمن بهذه الاوجاع ويقرّبها للاب عن ذنوبه فلا مغفرة لهُ ابدًا

(السابع) في الردّ على من ينكر لله التجسد والحلول فيما احب ان يحل فيهِ . (وهو متقطع لنقص النسخة الاصلية التي اكلها العث لقدم عهدها كما اشار الناسخ)

(الثامن) يحقق ان لله ابنًا هو عِدلهُ في الجوهر ولم يزل معهُ

وبعد هذا رسالة مطوّلة وهي « جواب مسألة كتبها الى صديق لهُ كان يعقوبيًّا فصار ارثوذكسيًّا عند رده عليهِ الجواب » ثم يلي هذا الميمر الذي نحن على وشك نشرهِ وهو الاخير

وقد وجدت نسخةً من المحاورة التي جرت بحضرة المأمون بين ابي قرة وبعض العلماء من العراق والشام لكنها ناقصة من اولها وفيها اغلاط كثيرة ادخلها النساخ لكثرة تداول الايدي بها . وفي مكتبة باريس يوجد منها اكثر من نسخة

كذلك وجدت نسخة من الميمر الثالث في مجموعة قديمة العهد ترتقي الى القرن الخامس والعشر في مكتبة دير المخلص لكنهُ ناقص من اولهِ اشار اليهِ جامعه بقوله : « . . . . من قول ثاودورس اسقف حران المعروف بابي قارة ثم وجدت في مجموعة للمطران افتيموس الصيفي كتبها بخط يده المباركة يدعو بها الاساقفة الشرقيين الى الاتحاد بايمان واحد وترك الانشقاق والانقسام قسماً كبيرًا من هذا الميمر نفسهِ يستشهد بهِ على عدم صحة دعوى الذين ينتحلون النصرانية ظاهرًا وهم لا يدينون باطنًا بحقيقة دين المسيح ويخالفون الخلكيدونيين اي الملكيين

واما الناسخ فقد وجدت عنهُ في سجل رهبانيتنا الباسيلية المخلصية في كلامه على تلاميذ المطران افتيموس الصيفي الذي انشأ ديرنا ورهبانيتنا ما يأتي : « الثاني والعشرون الخوري ميخائيل فينان من يافا نذر الرهبنة وارتسم كاهنًا من يد معلمهِ المطران المذكور سنة ١٧١٧ ثم ارتسم مطرانًا على كرسي بانياس من يد ابرهيم وَرَتَبت بطرك الارمن الكاثوليك والمطران الياس الماروني والمطران نعمة اسقف بيروت

الروم (١ باس الامير حيدر شهاب ودعي باسيليوس وذلك اوّل سنة ١٧٢٤ وتسلم رعية الجبل (لبنان) وبر صيدا عدا المدينة لانها بقيت الى المطران اغناطيوس المرتسم من البطريرك اثناسيوس المشاق. واذ شكك المطران باسيليوس في رسامته فيما بعد عرض ذلك الى رومية فاتاه الجواب بصحة واجازة رسامته مع البركة. وخدم الرعية بكل حرية وكان رجلاً شهماً بطلاً وماهرًا في صناعة الموسيقا اليونانية اي البسلطيكا. وربّى ثلاثة تلاميذ ماهرين جا وهم القس يواكيم ربع مدّ من قرية برته والقس نعمة فرحات منها والقس يوسف فرحات من مزرعة دير المخلص (وهذا الذي رسمهُ اسقفاً على زحلة البطريرك ثاوضوسيوس الدهان في ٢٩ ت ٢ سنة ١٧٧٣) وتوفي في دير المخلص ودفن في هيكل القديس انطونيوس البدواني امام المذبح تحت الدرجة التي يقف عليها الكاهن وقت القداس في ١٣ شباط سنة ١٧٧٢

ويؤخذ منهُ في غير هذا المحل انهُ كان من الاساقفة الوطنيين الذين انتخبوا للبطريركية الانطاكية القس سرافيم طاناس (٢ ورسموه في دمشق في الكنيسة المريمية في ٢٠ ايلول سنة ١٧٢٤ قبل ان رسم البطريرك القسطنطيني في ٢٨ في القسطنطينية الشماس سلفستروس القبرصي الاجنبي وارسلهُ الى دمشق بطريركاً بل قل اجيرًا ودخيلاً وكان مقيماً في دير المخلص مؤازرًا للبطريرك المذكور. وكان هو الراسم للرهبان. وكان في عداد الاساقفة في مجمع دير المخلص الاول الذي عقدهُ البطريرك المذكور في اتحاد الرهبانية المخلصية والشويرية سنة ١٧٣١ وكان كذلك في المجمع الثاني الذي عقدهُ البطريرك المذكور سنة ١٧٥١ ق ب

بسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد

ميمر في تحقيق ناموس موسى المقدس والانبياء الذين تنبأوا على المسيح والانجيل الطاهر الذي نقلهُ الى الامم تلاميذ المسيح المولود من مريم العذراء وتحقيق الارثوذكسية التي ينسبها الناس الى الخلكيدونية وإبطال كل ملة تنتحل النصرانية سوى هذه الملة وضعهُ المعلّم العامل والفيلسوف الكامل والاب الفاضل كير ثاودوروس اسقف حرّان

١

ان الله تراءى لموسى في طور سينا (سفر الخروج ف ٢ و ٣) فانتخبهُ ان يشترع ديناً لبني اسرائيل وامرهُ ان يشخص الى فرعون ملك مصر وان ينقذهم من

١) وسبب ذلك انَّ البطريرك اثناسيوس الدباس الذي كان قد رجع في ذلك العهد من القسطنطينية عن معتقده الكاثوليكي الذي كان قد اعلنهُ مرارًا لم يقبل منهُ الرسامة وفضل عليهِ الاساقفة المذكورين من الطوائف والطقوس المختلفة ممَّا جعلهُ بعد ذلك في شكّ من رسامتهِ

٢) من هنا يُعلم ان سرافيم طاناس كان قساً لمَّا انتُخب للبطريركيَّة لا مطرانًا كما روى ذلك القس ميخائيل بريك في حكاية خرافيَّة عن رسامته مطرانًا لقيسارية الكبادوك

يديهِ وان موسى استعفى الله من البعثة متعلّلا وتأتّى عليهِ الخوف استعظاماً للامر الذي اراد افرادَهُ لهُ. وقال لله: مَن انا حتى آتي فرعون واخلّص امّتك من يديهِ. فقال لهُ الله: انا اساعدك واشدّد كلامك. ولكن انطلقْ حتى تجمع مشيخة بني اسرائيل فتقول لهم: انَّ الرب اله ابائكم ارسلني. اله ابرهيم واله اسحق واله يعقوب بعثني اليكم. فقال موسى: لو قد اتيتُ بني اسرائيل فقلتُ لهم انَّ اله ابائكم ارسلني اليكم فقالوا لي ما اسمهُ ماذا اقول لهم؟ فقال لهُ الله: قل لهم الذي لم يزل بعثني اليكم. وقال الله: انا الذي لم ازل وانا اله ابرهيم واله اسحق واله يعقوب. ثم قال موسى لله: عُدَّ اني اتيتُهم فانبأتهم بهذا القول عنك فانهم يقولون لي انك مُبطل لم يترآى (كذا) الله لك فماذا اقول لهم؟ حينئذٍ قال لهُ: اي شيءٍ هذا الذي بيدك؟. فقال لهُ موسى: عصاً. فقال الله لهُ: ارمِ بها على الارض فرمى بها على الارض فتحوَّلت ثعباناً فراعت موسى وجعل يفرُّ منها. فقال الله لهُ: تناولهُ بذَنبهِ. فتناولهُ بالذنب فعاد الثعبان عصاً. ثم قال لهُ الله: أدخل يدك في رُدْنك. فأدخلها فاذا هي قد برصت برصاً يَقَقاً ناصعاً كالثلج. فقال لهُ الله: أعِدْها الى ردنك. فردَّها ثم اخرجها فاذا هي قد رجعت الى لون بَشرته. وقال لهُ الله: ان آمن بني اسرائيل بالآية الاولى كان بهِ والَّا آمنوا بالآية الثانية وان لم يؤْمنوا بالآية الثانية فانشف من ماء النهر(١ وأهرقهُ على الارض فانهُ سيتحوَّل دماً ليؤْمنوا ان الله اله ابائهم بعثك اليهم. فلمَّا اعطاه قوَّة الاعاجيب رضي بالعسر ان ينبعث الى مصر

فمن هنا يستدلُّ أُولو الالباب ان الدين لا ينبغي لمن كان محتاطاً في النظر فيهِ لن يقبلهُ من واضعهِ الَّا بالاعاجيب لان موسى قد كان يعلم انهُ لو ذهب يدَّعي ان الله بعثهُ ليشترع ديناً بلا برهان يأْتي بهِ على نفسه من اعاجيب يعملها لا يقدر احد ان يعمل مثلها الَّا مَن أيده الله قد كان سبيل لكل ذي عقل ان يزبره (٢ وان يردَّ عليهِ قوله ويحقره ويصدَّ عنهُ. لكنَّهُ علم انهُ اذا كان مُدلًى بقوَّة الاعاجيب فقد اتخذ اداة قويَّة يرمي بها من كان ذا نية يرتاد لنفسهِ خيرًا ويقوده الى الدخول فيما يضع لهُ من عبادة الله. وكذلك ينبغي لكل ذي لبٍ الَّا يقبل ديناً ليس اساسهُ على الاعاجيب الالهية التي هي برهان على تحقيق الآتي بهِ انهُ من الله. فمن قبل الدين على غير هذا

١) نشف الماء من الغدير استقاهُ

٢) زبرهُ باللغة انتهرهُ. و « قد » رابطة جواب لو. وهي كثيرة في كلامهِ

الاساس فقد فرَّط وترك الحزم في الامر الذي لم يُخلق الحزمُ في الانسان الّا له و بذل نفسهُ للتلف واسترخى لمن يجتذبهُ الى الهلاك ويختلجهُ عن السبيل المؤدي الى السعادة التي اليها وحدها تتوق العقول

فمن قبل الدين الذي اتى بهِ موسى فقد رُشد لانّ موسى انّما حقّق نبوتهُ ورسالتهُ من الله بعمل الاعاجيب التي لا تُصنع الّا بقوّة الله · وحيث اتى الذين قبلوه بالغيب وقصَّ عليهم كيف خلق الله السماء والارض وانبأهم بما كان قبلهم ممّا لم تكن تدركهُ عقولهم فقد احسنوا حيث الزموا نفوسهم القنوع بهِ وتصديقهُ · لانّ الله لن يقوّي على عمل الاعاجيب الّا من كان ساعياً في موافقتهِ ويدعو الى رشدهِ وهداه

وكذلك المسيح الهنا الحكمة الحقّ لم يبدأ بشيء من التعليم حتى اظهر قوّتهُ الالهية بالاعاجيب وقرّب اليهِ من كان مبتلًى في انواع الاسقام والامراض المؤلمة المعذّبة فشفاهم واسعدهم بالبرء الكامل · فلمّا كان ذلك منهُ دنت اليهِ الجموع من الجليل واورشليم وكُوَر الاردن · فلما رأى الجموع حولهُ دعا تلاميذه اليهِ ففتح فاه وعلمهم وقال: طوبى للمساكين بالروح فان ملكوت السماء لهم · ثم تلا عليهم تعليمهُ واشترع لهم ناموسه الاول فاول · واخذ بشكل موسى · ولم يزل يخلط عجباً بناموس وناموساً بعجب حتى قضى تدبيره كلهُ وصُلب ودُفن وقام لليوم الثالث · فمن اتبع المسيح لعجائبهِ التي لا تُحصى فقد رُشد وقويت حجّتهُ كما قويت حجة الذين قبلوا موسى لِمَا عمل من الاعاجيب

واذا قرنت الامرين كان هذا الآخر اقوى من الاول · وان كان كلاهما قويين لان اعاجيب المسيح لا تحصى ولا تُعدّ ولم يقتصر على ما هو عمل من الاعاجيب مباشرةً بل اعطى تلاميذهُ سلطاناً ان يعملوها باسمه · فامّا موسى فانهُ عمل اعاجيب معدودة وكان يعملها لا بقوّة نفسه ولكن بقوّة الله وامرهِ او بالابتهال لهُ ولم يدعُ موسى احدًا قط فقال لهُ: انطلقْ فاعمل الاعاجيب باسمي · وبحقّ كان كل ما قد كان من المسيح ومن موسى وذلك ان المسيح إله وابن إله وكان قادرًا ان يعمل بقوة نفسه الاعاجيب وان يقوّي من احب على ان يعمل مثلها باسمه · فامّا موسى فانما كان عبدًا مأمورًا وكانت قوته على عمل الاعاجيب ليست لنفسه وانما كانت لله · فلذلك لم يكن يعمل عجباً حتى يُوعَز اليهِ من الله ان يعملهُ او يبتهل اليهِ فيأذن لهُ في عمله · وكما ان

موسى كان يعمل الاعاجيب بقوة الله وامره والابتهال اليهِ كذلك كان تلاميذ المسيح يعملون الاعاجيب لا باسم الله لكن باسم المسيح وقوّتهِ وامرهِ والابتهال اليهِ. والتلاميذ في عمل الاعاجيب اقوى من موسى كثيرًا لانَّ موسى انَّما كان يوعز اليهِ او يبتهل قبل ان يعمل العجب امَّا التلاميذ فان اكثر اعاجيبهم كانت بلا تضرُّع. ولم يكن اكثر من ان يقولوا «باسم المسيح ليقُم هذا الميت» او «ليفتح هذا الاعمى عينيهِ» او «ليصحَّ هذا المقعد» فكان يكون كما يقولون. ولم يقفوا عند ذلك فقط حتى ان مار بطرس كان يمشي فكان حيثما بلغ ظلُّهُ لم يكن يسقط ظلهُ على مريض الَّا شفاهُ (اعمال ٥: ١٥) ومار بولس قد كان توخذ لفافتهُ فتوضع على المرضى فيأتيهم البرء

وبهؤلاء التلاميذ تحقق كلام داود حيث يقول: «ان الرب يعطي المبشرين كلمة بالقوَّة الكثيرة» (المزمور ٦٧: ١٢). فليس لليهود من الحجة في قبولهم موسى الَّا دون ما للامم في قبول المسيح لانَّ الامر هنا اعظم منهُ هناك كما ان ضوء الشمس اعظم من ضوء السراج. وقد كانت الامم تقتصر على ما عاينوا من الاعاجيب التي عملها تلاميذ المسيح باسم المسيح وكان ذلك حسبها داعية الى قبول المسيح والايمان بكل ما قال هو وتلاميذه عنهُ. هذا ولو لم يكن ناموس موسى والانبياء تنبأوا عليهِ لانهُ كما ان موسى حيث اتى بني اسرائيل صدقوه وقبلوا ما حكى لهم عن الله لِما صنع بين ايديهم من تلك الاعاجيب. وان كان لم يكُن احد ممَّن كان قبلُ موسى تنبأ على مجيء موسى ولم يلزمهُ بنو اسرائيل ان يحقق نفسهُ بعد الاعاجيب بنبوة من كان قبلهُ عليهِ كذلك الامم قد كان بسعيهم ان يؤمنوا بالمسيح ويصدقوه لما صنع من الاعاجيب التي لا تحصى التي عملها هو وتلاميذه ولو لم يكن موسى والانبياء تنبأوا عليهِ. فكم ينبغي ان نقبل المسيح اكثر ممَّا قُبل موسى لشرف ما قد سبق ايضًا من نبوة موسى والانبياء كلهم عليهِ وعلى تدبيره كلهِ من الصلب (اش ٦٥: ٢) والطعن (زك ١٢: ١٠) وتسمير اليدين والرجلين والاقتراع على ثيابه (مز ٢١: ١٧ — ١٩) والبصق في وجهه (اش ٥٠: ٦) وجلد ظهره (مز ٧٢: ١٤) وانهُ بجراحه يفدي الناس من خطاياهم ويداوي امراض ذنوبهم (اش ٥٣: ٥) وانهُ سُقي خلًّا وأُطعم مرًّا (مز ٦٨: ٢٢) ومواضع ما قد ذكرنا معروفة في الانبياء

والعجب منك يا مكابر حيث تكون قد قبلت موسى لاعاجيبهِ المعدودة ولا

تقبل المسيح باعاجيبه التي لا تُحصى ولا تُعدّ. وهذا لو انَّك عَدل قد كان واجباً عليك ان تقبلهُ ولو لم يكن موسى والانبياء تنباوا عليهِ كما قبلتَ موسى باعاجيبهِ ولم تكلفهُ ان يحقق نفسه مع ذلك بنبوة من كان قبلهُ عليهِ. ولو ان موسى كان امرك الَّا تقبل نبيًا بعدهُ كما امر المسيح النصارى قد كنتَ لعمري معذورًا حيث تشكك بالمسيح ولكن موسى لم يزل في ناموسهِ الطاهر يرجيك نبيًا يأتي من بعده (تث ١٨: ١٥و ١٨) ويأمرك عزيمة بالسمع والطاعة لهُ في كل ما امرك بهِ. وينذرك الموت ان انتَ عصيت هذا النبي ويقول ان هذا النبي مثلهُ واضع الناموس وعهدًا جديدًا. وقد كان ينبغي من هذا القول ان تبطل الانبياء كلهم ما خلا هذا الواحد الذي أُمِرْتَ بطاعتهِ كائنًا من كان. وقد اخبرك موسى ان يعقوب تنبأ لك انها لا تفنى منك النبوة حتى يأتيك المسيح الذي هو رجاء الامم (تك ٤٩: ١٠). وبهذا حقَّق الانبياء كلهم الذين قبل المسيح. ثم خصَّ هذا الواحد وامر بطاعتهِ مرارًا عن قول الله فكان ما سبق من اخبار موسى اياك بمجيء هذا النبي الذي هو واضع عهدًا ينبغي الَّا يحبسك طرفة عين عن قبول المسيح والايمان بهِ حيث عمل هذه الاعاجيب. وكان يحق عليك ان تتدبر بعقلك فتقول ان النبي الذي امرني موسى بطاعتهِ هو هذا اذ كان يعمل الاعاجيب التي لا تحصى ولم يعمل موسى مثالها التي لو ان موسى اوقف امرهُ فلم يأمر بطاعته ولم ينهَ عنها قد كانت توجب لهُ عليَّ من العدل ان اقبلهُ بها وحدها ولا اكلفهُ ان يحقق نفسهُ بنبوة من كان قبلهُ عليهِ كما قبلتَ موسى

كذلك اعلم ان هذا النبيّ هو واضع الناموس وعهدًا جديدًا ولذلك خصهُ بان اوعز اليك بطاعتهِ وردَّد ذلك عليك. فاسمع الى قول الله في ارميا النبي: انَّها ستأتي ايَّام يقول الرب اني اشترع لبني اسرائيل ولبيت يهوذا عهدًا جديدًا لا كالعهد الذي اشترعت لهم اذ اخرجتهم من ارض مصر (ار ٣١: ٣١). وقال داود للرب: أقِم لهم يا رب واضع ناموس لتعلم الامم انها اناس (مز ٩: ١١)

فان قلتَ: انَّ أسلافي الذين ظهر هذا الذي يسمونهُ المسيح فيهم وفي ايَّامهم قد تلفوا وانا لست اعلم انهُ عمل عجبًا. قلنا لك: انَّ بيان ذلك قريب منك اذا حسنت نيَّتُك في خلاص نفسك. وينبغي لك ان تعلم ان المسيح قد عمل هذه الاعاجيب التي ذكرنا من قبول الامم اياهُ وحملهِ ايَّاهم على كل ما يخالف عتوهم

واهواؤهم وشهواتهم ونقلهُ اياهم من رخاء الى شدّة ومن همل الى حصر ومن سعة الى ضيق ومن الرخص الى التشديد ومن الشهوات المباحة التي كانت لهم الى هجران الدنيا باسرها في شانه ورفض لذات الجسد وفخر الدنيا وان يُقدموا على القتل انفسهم بكل نوع من العذاب والمكاره على ألّا يكفروا بهِ. وقال لهم: من كفر بي بين ايدي الناس كفرت انا بهِ بين يدي ابي الذي في السموات. وقال: انظروا ما قلتهُ لكم في السرّ فأعلنوهُ انتم على الاجاجير ولا تخافوا من يقتل البدن ولا يستطيع ان يقتل النفس ولكن خافوا من يستطيع ان يقتل النفس والبدن جميعاً ويلقيهما في نار جهنم. وقال: من اهلك نفسه في شاني وجدها في حياة الابد. وقال: من اتبعني ولم يبغض اباهُ وامهُ واخوتهُ واخواتهِ وولدهُ وانسباءهُ فليس لي باهلٍ. وقال: اني مخليكم كالخراف بين الذئاب. وان الدنيا تكون في سرور وانتم في حزن. وانها ستأتي ايام من يقتلكم يرى انهُ يقرّب لله ذبيحة

واشترع عليهم ان يباشروا هم قتل انفسهم في المثل بقطع شهواتهم واستئصال اهوائهم. وقال. من لطمك على خدك فحوّل لهُ الآخر. ومن سلبك رداءك فزدهُ ثوبك. وان انت نظرت الى امرأة كي تشتهيها فقد زنيت بها في قلبك. وان قلت لصاحبك راقا او احمق فقد وجبت عليك نار جهنم. وقال: سمعتَ انهُ قيل للاوّلين احبب مُحبّك وابغض عدوّك فانا اقول احبوا اعداءكم واحسنوا الدعاء لهم. وما شاكل ذلك

فاخبرني يا هذا كيف تظن ان الامم قبلت المسيح على هذه الشدة والموت الذي قد اشترعهُ عليهم ولاسيما مع شنع ما نسبهُ الى نفسهِ من الصلب والاوجاع والفضيحة. وان اعداءهُ شتموه وسمّروا يديهِ ورجليهِ وعلّقوهُ على خشبة وسقوه خلّا واطعموه مرًّا حتى رشح منهُ عرق خاثر كالدم. وانهُ قال وهو على الصليب: الهي الهي لمَ خذلتني. فان هذا الامر ينبغي ان ينفّر السامعين كلّهم من اتباع المسيح ومن اتخاذهِ الاهًا كما قد اتخذتهُ الامم كلها. وهذا معروف انهُ لم يكن يُقبل ابدًا لولا ان هذه الاعاجيب المذكورة في الانجيل وفي كتب التلاميذ قد عملت حقًّا. وهي التي كانت تقهر العقول وتضطرها الى قبول المسيح والايمان بهِ لا محالة

ولو ان المسيح كانت همتهُ الغرور لكان ينبغي لهُ ولو كان لقي هذه الامور التي ذكرنا ان يامر تلاميذه بكتمانها الامم وان يعظموه عندهم ويجمّلوا امرهُ. وكان قولهُ

ان يطمعهم في الرخص والشهوات ليكون ذلك يدعوهم الى المسارعة اليهِ. ولكن لم يفعل هذا وحاشا لهُ ذلك. بل شنّع نفسه عند من دعاهم الى الايمان بهِ وكلّفهم القتل والموت في شانه

او ليس هــذا العجب. انَّ موسى دعا الله فعظَّم الله وقال: « ان الله خلق السماء والارض وانهُ فوق السموات » واتى ذلك من تمجيــد الله واجلالهِ في كل نحوٍ. وبدأَ يخلّص بني اسرائيــل بان فكَّهم من عبوديَّة فرعون وشقَّ لهم البحر واحدر لهم المنّ والسلوى. وفجر لهم الماء من الصخور. وقتل لهم الامم. وقال لهم ان الله سيقويكم فتقتلون امم الشام وتستحوذون على بلادهم وترثونها. واشترع ناموساً ممتلئاً رخصاً وفي كل ذلك لم يتَّبَعْهُ احد من الامم ولا قنع بنو اسرائيل بقوله ولا آمنوا بالههِ بل نزل على طور سينا فارتعد الجبل تحتــهُ ودخن وادخل الروع في قلوب بني اسرائيل من منظره فلم يلبثوا حتى عبدوا العجل وهم تحت طور سينا. وتلاميذ المسيح خرجوا فشنَّعوا عندهم على المسيح بهذه الاوجاع التي ذكرنا والصلب والكلام الذي يُظنّ انهُ وهنٌ وكلّفوهم هذه الشدة التي اشترعها المسيح عليهم فاجابهم الخلق. ومن لا يعلم ان هذا لم يكن الَّا من شرف الاعاجيب التي كانوا يعملونهــا باسم المسيح التي هي ارفع من اعاجيب موسى كما ان السماء ارفع من الارض

ولا تستطيع ان تقول يا هــذا ان الامم انما اتَّبعت المسيح تعصُّباً لقرابة كانت بينهم وبينه. فهذا عليك انت ولقد كان الانسان جديرًا ان يولج هــذه التهمة عليك بانك اتَّبعتَ موسى تعصُّباً لهُ لانهُ كان منك ولتَشرُف بدولتهِ وتعتزّ بملكهِ الذي اعطاه الله. فامَّا الامم فانهُ لا سبيل لشيء من هذه التهمة ان تدخل عليهم في اتباعهم المسيح لان التلاميذ الذين دعوهم كانوا من اليهود وانما دعوهم الى من كان في ظاهر امره من اليهود وكان ينبغي ان يدعوهم ذلك الى الاقشعرار والنفــار منهُ لان اليهود كانوا اعداء الامم كلها ولم يشوبوا في دعوتهم طمعاً ولا شرفاً ولا عزًّا بل خلاف ذلك كلهِ. اذًا اعلم يا يهودي ان هذه الامم كلها لم تتَّخــذ المسيح الاهاً ولم تدِنْ لهُ بهذه الطاعة التي تبلغ مهج النفوس في كل يوم الَّا بهذه الاعاجيب التي ذكرنا ان التلاميذ عملوها بين ايديهم باسم المسيح

ولعلك تقول ان هذه الامم اتَّبعت المسيح بالجهل. فان كان هذا كذلك عندك

فاحمل ان كنت صادقاً هذا الكلام الشنيع الذي يقال في المسيح وهذه الشرائع التي فرضها واذهب أَقنع بها ولو رجلاً واحداً من الجهَّال ولكن لست تقدر على هذا بل الجهال اشد نفاراً من قبول هذا الامر من غيرهم لان الجاهل انما همتهُ شهوتهُ كالبهيمة. واقرب الكلام الذي يشربه عقل الجاهل ما كان مموَّهاً سوقياً. ولقد كان دينك يا هذا اولى ان يقبلهُ الجاهل من دين النصارى لما في دينك مما ذكرنا من تعظيم الله واجلاله جهاراً والارعاب منهُ ولما فيهِ من الرخص والطمع في الملك والعزّ والعسل واللبن وترويج النساء الكثيرة والطلاق متى شئت واستذلال الامم وانك ستحمَل كما زعمتَ على رقابهم ويكونون لك عبيداً وبناتهم اماء وانك ستبني لك مدينةً وهيكلاً بالزمرُّد والياقوت. هذا الى مثاه يغرّ الجهَّال وفي مثله يطمعون. ولو خرج احد يدعو الى هذا ويضمنهُ للناس لما كان عجباً ان يتبعهُ الناس ولاسيَّما اذا هبَّت لهُ ادنى ريح من دولة يُعطاها كما قد رأيناه يكون

وان قلت يا صاح ان هذه الامم التي اتَّبعت المسيح انما كانوا حكماء فحكمتهم هي التي دعتهم الى اتباعه. فانهُ ينبغي الك ان تكون تبعاً لهم اذ نسبتهم الى الحكمة مع ان هذا الامر الشنيع الذي يوصف بهِ المسيح ويُنسب اليهِ لا يقبلهُ حكيم من حكماء الدنيا وقد يفوق عقول الناس كلهم حتى تفيض عليها نعمة روح القدس فتقنعها ان المسيح اله كما قال مار بولس انهُ ليس احد يقدر ان يقول ان المسيح رب الَّا بروح القدس. وان لم تصدّق بهذا فاحمل دعوة المسيح الى كل حكيم من حكماء الدنيا وأقنع بها ولو واحداً منهم. ولكن لا تستطيع لان حكمة الدنيا انما همتها فخر الدنيا وألَّا تصدّق ما خالف حدود الكيان التي غاصت عليها دون عقل العامة والتجمل بصفاقة الكلام والغرور بحلاوة الكلام. ودعوة المسيح خلاف لهذا كلهِ. ولكن الامر كما قال بولس انهُ بحكمة الله لم يعرف العالم الله بالحكمة فاحبَّ الله ان يجتبي من الذين يؤمنون بحمق الدعوة (١ كور ١ : ٢٨)

وان قلت ان الذين اتبعوا المسيح كانوا في عقولهم اوساطاً فقد تقول ما لا يكون لان اوساط العقول غايتها الحزم في امور الدنيا الظاهرة وألَّا يقبلوا الَّا شكيلاً لما قد اختبروه قديماً مما ادَّت اليهِ التجارب والحواسّ. ودعوة المسيح لا يمكن ان يُبشَّر بها هذه العقول بل هي تشمئز منها وتستجفيها جداً (البقيَّة للآتي)

التدريب على التعريب

لحضرة الكاتب العالم المحقّق والباحث المتفنّن المدقّق الاب انستاس الكرملي

لقد اصبحنا في زمان ضاق دونهُ نطاق اللغة العربيَّة. وغدا ابناؤها في حاجةٍ ماسَّةٍ الى إدخال الكلم الاعجميَّة. في مصطلحاتها العلميّة والصناعيَّة. اذ ليس اليوم من كاتبٍ يكتبُ عن شيء عصريّ. او يُنتدب لتأدية رسم فكريّ. او تصوير امرٍ فِطري. الّا ويتخذ لذلك قوالب غريبة. وصُوراً ألوانها جديدة قشيبة. وهذا ما تشهد بهِ الصُحف التي تجوب الأقطار. والكتب العربيَّة التي تؤلَّف في جميع الديار. الّا انهُ وان كان الجميع يشعر بهذا الخلل في اللسان. ووجوب ادخال الاعجمي فيهِ على تراخي الزمان. غير انهم لم يتفقوا في الكم والكيف لما يتصوَّرهُ كل حزبٍ من وراء ذلك على اللغة من الحَيف

امَّا من جهة « الكم » فان البعض منهم « افرطوا » في استعمال الدخيل ايَّ افراطٍ. حتى اثار في كثيرين الهياط والمياط. واشتدَّ فيهم الصخب والعياط. ومنهم من « فرَّط(١ » اي تفريط. حتى عُدَّ ممَّن ليس من هذا العصر الجديد النشيط. بل ممَّن اذا قيل لهُ تَتِمْ يقول « حتى يجيء نشيط ». ومنهم من ركب مَتناً « وسطاً » جامعاً بين الطرفين. ياخذ الزَّين. مماّ في الاثنين. ويدفع الشين. الى مطارح البَيْن والحَيْن. وهذا الراي يكاد يكون الراي الغالب في هذه الأيام. وعليهِ يعوّل العلماء الأعلام

امَّا من جهة « الكيف » فان منهم من ذهب الى وجوب ادخال اللفظة الاعجميَّة بهيئتها وصيغتها الاجنبيَّة. ومنهم من قال بان تفرغ الكلمة اوَّلاً بقالب عربي. ثم توزن بميزانٍ قُرَيشيّ. فان كان فيها ما يثقل الميزان. او يوقر الآذان. طُرحت تلك الزيادة. وان أضرَّت بالفائدة او الافادة. ثم يُسحَل مكانها. ويُزَلَّم صَوْغها وبُنيانها. وبعدئذٍ تُبرَزُ تلك الفرائد من وراء ذلك القناع. لترصَّع بها اصداف الاسماع. وان كان فيها ثَلم او نقصان. يُزاد عليها بعض الزَّيدان. لتلحق باحد الاوزان العربية. والصيغ

١) فرَّط في الشيء قصَّر فيهِ وعجز وهو ضدّ افرطَ

المسموعة عن ايمة اللغة المُضَرِيَّة . وامّا على ايّ وجهٍ تكون هذه الزيادة او هذا الطرح . فمّا يطول فيهِ الشرح . لانهم تركوه الى الاهواء والاذواق . او ما انعقد تحت هذا الباب او هذا النوع من الرواق

ومنهم من قال لا حاجة لنا الى ادخال كلمٍ اعجمية . في اللغة العربيَّة . بل يُوضع فيها ما يَعني معناها . فيغْني مَغناها . وذلك على الطريقة التي دخلت الكلمة العنصريَّة . في اللغة الاجنبيَّة . وفي كل هذه المذاهب من الآراء ما اثار بين اصحابها حربًا سجالًا . واستلزم لشرحها مقالاتٍ طوالًا . وبعد ان اجلنا النظر في ما كتب هؤلاء الادباء . ووقفنا على ما عثرنا عليهِ في كتب القدماء النجباء الالبّاء . لخَّصنا هذه المقالة . لعلّها تكون للعاثر اقالة . وللجائع عُجالة . هذا وقد اعتمدنا في كلّ ما حرَّرناهُ على اقوال الايمة . مؤيدين كل رايٍ بما لهُ من الاسانيد المهمَّة . مستخلصين من نصوصهم بعض قواعد ظواهر . تكاد تزري بالفرائد النوادر . لا بل بالخرائد النواضر

١ً دفع راي من يُفرط في ادخال الالفاظ الاعجمية في اللغة العربيَّة

اذا انعمتَ النظر في ما يكتبهُ هؤلاء الادباء ترى الفاظهم الاعجمية لا تخلو من احد هذه الامور الثلاثة وهي: كلِمٌ دخيلة لا مرادفات لها في العربيَّة . وكلم لها مرادفات فيها لكنهم يجهلونها . وكلم يمكن ان يوضع لها مرادفات من نفس اللغة . غير ان هؤلاء الكتبة لا يلتفتون الى هذه الفروق بل كثيرًا ما نراهم يدوّنون الالفاظ الاجنبيَّة حُبًّا بها وتشيُّعًا لاصحابها وافتخارًا بادخال الفاظ غريبة لا يفهمها جمهور القرَّاء تبجُّحًا بالتبحُّر في العلم والمعرفة وادّعاء بهتك حُجُب المجهولات . فاذا كان الامر كذلك فما احرى بهؤلاء الفضلاء العقلاء ان يكتبوا باللغة الاعجمية فيبرّدوا بذلك غليلهم ويُشفوا بهِ عليلهم ولا يُجهزوا على لغتنا الشريفة

هذا واَّننا نعترض عليهم بقولنا : اذا كنتم تُدخلون الكلمة الفلانية الاعجمية بدون علّةٍ او بعلة وهميَّة فلِمَ لا تدخلون الكلمة الثانية والثالثة والرابعة بل اللغة بجذافيرها . واذا كان الهوَى هو الحَكَمُ في هذه الدعوى فسدت كل حجَّة لانهُ ليس من قائد يقود الهوى ولا من رادع يردعهُ وهوى هذا غير هوى ذاك وما يرحّب بهِ زيدٌ يدفعهُ عمرٌو وعليهِ فما تلبث اللغة ان تُصبح أُلعوبةً بيد هؤلاء الاقوام المتباينين في المشارب والمذاهب

ولا تعتم ان تنقلب طُمْطمانية او رُطَيني او لغة مبلبلة لا يفهم فيها الواحد لغة الآخر

ومن الامور التي تُوجب علينا تسفيه راي مثل هؤلاء الكتَّاب ان للغة العربيَّة كما لسائر اللغات الفاظاً واوضاعاً خاصَّة بها فاذا كان يرذلها الكاتب لغاياتٍ في صدرهِ فلماذا ينسب لنفسهِ بعد ذلك معرفة العربيَّة ولماذا يدَّعي السلامة لعقلهِ مع انهُ اذا راى رجلًا يخبط خبط عشواء في كلامه وينتقل من موضوعٍ الى موضوعٍ آخر ومن فكر اول الى فكر ثانٍ بدون جامع يجمع بينهما وبدون رابطٍ يربط هذا بذاك يقول ان هـذا الرجل مصاب في عقلهِ . ولماذا لا يقول مثل هذا القول لنفسهِ وهو ينتقل من لغة الى لغة ومن لفظٍ الى لفظٍ بدون سبب يؤذن لهُ ذلك او يجيز لهُ هذا الانتقال

وهنا يعترض علينا اصحاب الراي المخالف بقولهم : ان اللغة ترجمان صادق عن حالة الأُمة ينطق بحياتها ان رآها حيَّةً ويفصح عن احتضارها ان الفاها قد أشفت على شفا البوار والزوال . فاذا كانت حيَّةً فلا بُدَّ لها من النمو وهذا يكون بالاضافة اليهـا من الخارج (اي من الدخيل) كما تنمو بالتوسُّع فيها من الداخل شأن الاجسام الحيَّة

قلنا : في هذا الكلام صحيح وفاسد . فصحيحهُ ان عنوان الحياة هو النموّ . وفاسدهُ ان يكون هذا النموّ من الداخل والخارج بوجه الاطلاق . اماَّ موطن فسادهِ فهو ان النموّ لا يكون الَّا اذا كانت تلك الدقائق الجديدة (داخليَّة كانت او خارجيَّة) تُوافق بناء الدقائق الجوهريَّة الاصليَّة . والَّا فان لم يتمّ هذا الشرط او ما ضـاهاهُ تدافعت الدقائق وامتنع النموّ واقبلت جيوش الانحلال والاضمحلال كما هو الامر في السموم وسائر الاجسام المحلّلة لغيرها اي اننا نرى هذه السُّنَّة في نفس الجماد والنبات والحيوان وعلى مثالها حياة اللغة . فان الالفاظ الاجنبيَّة التي لا يماثل جوهرُها جوهر الالفاظ العربيَّة او لعدم الحاجة اليها لا تزال تقاتل طائفة الالفاظ الاصليَّة حتى تُميت الواحدة الاخرى . فانظر مثلًا الى بعض الالفاظ مثل : جُرنال وغزتّة ونحوهما . فانها كانت كثيرة الاستعمال قبل ٥٠ سنة فما ظهرت كلمة جريدة وصحيفة حتى التحم القتـال بين هاتهِ وتلك ولم يَعُد يبقى للاولى أثرٌ في المصنَّفات الحديثة . مع ان الكلمتين الاوليين قد أُفرغتا في قالب عربيّ ووُزنتا بميزانٍ قُرَيشيّ

ويعترضون : ان العرب لمَّا نقلوا كتب الاعاجم الى لغتهم ادخلوا كثيرًا من الالفاظ العلميَّة والاصطلاحية من لغات الاجانب فلماذا يجب علينا ان نكون أغيرَ

على العربيّة من اصحابها الاوّلين عليها ؟ —قلنا : ان ناقلي كتب الاقدمين فريقان . فريق عارف بالعربيّة وطرقها واساليبها وشعابها الخ . وفريق لا يعرف منها الّا قواعدها العامّة الكافية لاصلاح كلامهِ وتخليصهِ من شوائب الخطأ والخطل . فالطائفة الاولى لم تُدخل في العربيّة الّا الشيء النزر الذي لا مندوحة عنهُ ومن هذا الفريق مترجمو كتب الحساب والهندسة والفلسفة والمنطق وعلم الفلك وعلم ما وراء الطبيعة والتوراة وعلم الآداب والاخلاق ونحوها . فانك لا تكاد ترى في جميع هذه العلوم الّا القليل من الدخيل . وامّا الفريق الآخر فلا يكاد يكلّف نفسهُ عناء في ايجاد الالفاظ العربيّة المقابلة للاعجمية ولذا اجترأوا بتدوين الالفاظ على ما هي في اصلها . ومن هؤلاء المعرّبين مترجمو علم الطب وعلم الطبيعيات وعلم المواليد اي الجماد والنبات والحيوان وما كان من هذا الباب . الّا انهُ لمّا وقعت تلك الترجمات بعد ذلك في ايدي الفصحاء من العرب طرحت كثيرًا من الالفاظ الدخيلة وابقت منها ما شاع وذاع وخفَّ على الاسماع اذ لم يَعُد سبيل الى إماتتها كما يتحققهُ كل امرئٍ خالٍ من الغرض

ويقولون ان منع دخول الالفاظ الغريبة الاصل في العربيّة تضرّ بغناها وتحول دون ثروتها . قلنا : ان مثل هذه الثروة لا تُجيزها الضرورة فمَثَل ذلك مَثَل من يُريد ان يتحوّل بسرقة مال الغير ونهبهِ وسلبهِ . نعم ان من ينظر الى مجرّد النموّ في الثروة يراهُ امرًا راهنًا لكن اذا فكّر في اسباب جمعها حكم بجرامها ولم يحلّ ابقاءها عند صاحبها

والخلاصة من هذا الفصل انهُ لا يجوز لنا ان نرحّب بكل غريب ونضيف كل دخيل ان لم يكن ثمَّ ما لا يُغنينا عنهُ او ضرورة تلجئنا اليهِ . وعليهِ فلا يحسن بنا ان نجاري الكتبة المُعجمين في كل ما يكتبونهُ او ينقلونهُ لنا بل علينا ان نتخذ من الألفاظ الاعجمية ما يفي بالمقصود او يصلح المفسود

٢ دفع راي من يُفرّط في ادخال الألفاظ الاعجمية في العربية

بين كتبة العربيّة في هذا العصر جماعة لا يقبل اصحابُها بل ولا يريدون ان يسمعوا بكلمةٍ اعجميّة تدخل لغتهم . غير ان معظم هؤلاء الافاضل اناس لا خبرة لهم باللغات الاجنبيّة او ان اردتَ فقُل ليس لهم خبرة تامّة او ليس لهم وقوف على ما يستحدثهُ كل يوم علماء البلاد الاجنبيّة وما يخترعونهُ من الآلات والادوات الصناعيّة

وما يستنبطونهُ من مجهولات الطبيعة واسرارها الخفيــة وما ينشئونهُ من المصنَّفات العلميَّة المشحونة من المعاني الدقيقة والأفكار الأنيقة والتصــاوير البديعة والأوصاف العجيبة التي لم تعنّ على بال السابقين ولم يطُفْ طَيْفها في مَطاف مخيَّلة الاوَّلين. — وقول البعض ان الكلمات الدخيلة تبلغ نحو مئة كلمة هو من المزاعم الصبيانيَّة تفنِّدها الحقيقة في كل زمن اذا ما احبَّ الباحث الصادق النيَّة الوقوف عليها بخلوص الطويَّة

هذا ولنا اسوة بسائر الأمم ولُغويِّيها وكتبتها ومصنِّفيها فانهم لا يدخلون كلمة غريبة في لسانهم الَّا اذا ارادوا ان يعبِّروا بها عن صورة معنويَّة جديدة او يتوخَّوا فائدة من اللفظ او غايةً لا يَصلون اليها اذا اتخذوا الفاظ لغتهم سبيلًا الى ذلك او اذا لم يجدوا لها مرادفًا في لغتهم او اذا كانت اللفظة في لسانهم تقصر عن تأدية المطلوب من الكلمة الدخيلة. وعليهِ فمجاراتنا اياهم في هذا الميدان. ممَّا يحمدهُ كل انسان . وينطق بالثناء عليــهِ كل لسان

وبدون ان نأتسي بالاجانب فَلْنقتفِ آثار من تقدَّمنا من العرب وكُتَّابها الضاعاء. فلقد رأيناهم لا يأنفون من اتخاذ الألفاظ الاعجميَّة كلَّما دعت الضرورة اليها. ولنا من الاعجمي الذي سبق ظهور الاسلام ودخل في ابان انتشارهِ او بعدهُ بقليل او كثير ما يضمن لنا جواز الاخذ عن الاعاجم كلما مسَّت اليهِ الحاجة او قصرت اللغة عن تأديتهِ او وضع مرادف لهُ

وربَّ معترض يقول: ان الاخذ عن الاعاجم اهانة بحق اللغة العربيَّة الواسعة كأنَّها ترميها بشائبة النقص. قلنا: لا اهانة في ذلك ولا منقصة لان هذا يكون اذا كانت اللغة قاصرة عن تأدية الامور العاديَّة او الطبيعيَّة او الحاجيَّة او ما شابهها. واما ما في عدا ذلك فلا

واما معرفة الالفاظ التي يجب علينا ادخالها اللغة العربيَّة وما هي الطُرق والقواعد لتعريبها وبايّ الصور نصفُّها في عداد الألفاظ العربيَّة فســوف يأتي الكلام على هذا الموضوع في موطنهِ ان شاء الله. — واما اذا سألتني: هل يجوز اتخاذ التعــابير الاجنبيَّة والتصاوير الاعجميَّة ممَّا لا عهد بهِ للعرب؟ — فقد اجبناك عن هذا في ما سبق من كلامنا في المشرق (٦: ٢١٧) بجوابٍ وافٍ شافٍ فراجعــهُ في محلّهِ واكتفِ بهذا التلميح عن التكرار فانهُ بهذا الصدد كافٍ

٣ً انتهاج نهجاً وسطاً في التعريب

هذا النهج يَنهج ممَّا تقدَّم القول في المقدَّمتين اي انك اذا ابتعدتَ عن النقيضتين الإفراط والتفريط لم يبقَ لك الَّا الوسط على حدّ القول المأثور: «خير الامور أوساطها» ولمَّا كان المشرق قد افاض في الشرح عن هذه النتيجة (٣: ٧٧٣) وما يليها لم يبقَ في النَّفس حاجة الى خوض غمار هذا البحث على غير جدوى

٤ً دفع راي من لا يُريد إدخال الدخيل في العربيَّة

لا حاجة في تخطئة هذا الراي وتسفيهِ فانهُ من ذاتهِ لا يقوم على قائمةٍ قويَّة اذ انَّ أوْدها وفسادها ظاهر لكل ذي عينين هذا وانك تعلم ان اصحاب هذا المذهب أفراد يُعَدُّون على الاصابع ومعظمهم غير واقفين على الحالة العلميَّة والصناعيَّة الحاضرة بل ولا على الحالة اللغويَّة السابقة لانهم لو رجعوا الى المعلّقات وسائر القصائد التي نُظمت بعدها لا بل لو وقفوا على ما سبق تلك المعلّقات لتحقَّقوا ان الدخيل قد تسرب الى كلامهم حتى لم يبقَ في ذلك أدنى رَيب فكيف يطابون بعد هذا بَيض الأنوق والأبلق العقوق

طرف

من كتاب تاريخ الوزراء لهلال بن المحسّن الصابئ

سألنا كثيرٌ من القرَّاء ان نزيدهم علماً عن تاريخ الوزراء الذي وصفناهُ في المشرق (٦: ٤٦٦–٤٧٥) وعن محلّ مبيعهِ مع نقل بعض طرف منهُ فاجبنا الى طلبتهم. هذا الكتاب عبارة عن ٥٨٠ صفحة وهو لا يزال تحت الطبع ويتمُّ نشرهُ بعد شهرين وانَّما يطلب من متولي طبعهِ المسيو اميدروس بهذا العنوان

H. J. Amedroz

7, New Square, W. C., London

ومن اراد ان يطلبهُ على يد مطبعتنا لبَّينا طلبتهُ وثمن الكتاب ١٥ فرنكاً. وهذه طرفٌ منهُ تبيّن محاسنهُ ل. ش

١ كرم نفس ابي العبّاس بن الفرات (ص ٧٢)

لمّا قدم عُبيد الله بن سليمان من الجبل في ايّام المعتضد بالله رحمةُ الله عليهِ صار اليهِ ابو العباس وابو الحسن ابنا الفرات في عشيّ يوم فوجداهُ يميّز اعمالًا وكُتبًا وبين يديهِ كانون عظيم يحرق ما لا يحتاج اليهِ فدفع الى ابي العباس إضبارةً ضخمة وقال لهُ: « يآبا العباس هذه الاضبارة وقائع وسعايات بك وباخيك من اسبابكما وثقاتكما وصنائعكما وردت عليّ بالجبل فخبأتُها لك لتعرف بها من ينبغي ان تحترس منهُ وتعامل كل واحدٍ بما يستحقهُ » فاكثر ابو العبّاس في شكرهِ والدعاء لهُ. وبدأ ابو الحسن يقرأ شيئًا من الاضبارة فانتهرهُ ابو العباس وقال: لا تقرأ شيئًا منهـا. واخذها فطرحها في الكانون وقال: ما كنتُ لاقابل نعمة الله على ما وهبهُ لي من تفضّل الوزير بما يُوجب الاساءة الى احدٍ ولا حاجةَ لي الى قراءة ما يوحشني من اسبابي ويجرُّ عليهم اساءةً منّي. فلمّا نهضنا قال عُبيد الله بن سليمان: اردتُ التفرُّد بمكرمةٍ فسبقني ابو العباس اليها وزاد عليّ فيها

٢ قصة الحجّام مع الحجّاج بن يوسف (ص ١٠٦)

اخبر ابو الحسين بن الفرات قال: بلغنا ان الحجّاج احتجم ذات يوم فلمّا ركّب (الحجّام) المحاجم على رقبته قال لهُ: احبّ ايهـا الامير ان تخبرني بخبرك مع ابن الاشعث وكيف عصا عليك. فقال لهُ: لهذا الحديث وقت آخر واذا فرغتَ من شأنك حدّثتُك. فاعاد مسألته وكرّرها والحجّاج يدفعهُ ويعـدهُ ويحلف لهُ على الوفاء لهُ. فلمّا فرغ ونزع المحاجم عنـهُ وغسل الدم احضر الحجّامَ وقال لهُ: انّا وعدناك بان نحدّثك حديث ابن الاشعث معنا وحلفنا لك ونحن محدّثوك: يا غلام السياطَ. فاتى بهـا. فامر الحجاج فجُرّد وعاتهُ السياط واقبل الحجّاج يقصّ عليهِ قصّة ابن الاشعث باطول حديث. فلمّا فرغ استوفى الحجّام خمس مائة سوط فكاد يتلف. ثم رفع الضرب وقال لهُ: قد وفينـا لك بالوعد وايَّ وقتٍ احببتَ ان تسأل خبرنا مع غير ابن الاشعث على هذا الشرط اجبناك

٣ رشّاش الحبر (ص ١٩٥)

قال ابو القسم بن زنجي حدّثني ابي قال: كان ابو الفضل بن الحجّام النحوي يُكثر

الجلوس الى جانبي في دار ابي العباس احمد بن محمد بن الفرات يحادثني فاتّفق ان جلس يوماً على رسمهِ واستمددتُ من الدواة فترشّش من ذلك المداد على ثيابهِ فاخذ قلماً من دواتي وقرطاساً من بين يديّ وكتب الى ابي العباس :

يا سيّدي ومؤمّلي في كلّ حادثةٍ وريْبِ
لك كاتبٌ شابَ الكتا بةَ بالبلاغةِ ايَّ شوْبِ
فاذا جلستُ بجنبهِ جعل اسمهُ صبغًا لثوْبي

يعني « زنجي ». فضحك ابن العباس ممّا كتب بهِ وامر فحُملت اليهِ عدّة أثواب من دبيقي وقصب وغير ذلك

٤ مطابخ الوزير ابي الحسن بن الفرات (ص ١٩٤)

قال ابو القسم : وكان لابي الحسن بن الفرات مطبخان في دارهِ . فامّا مطبخ الخاصّة الذي يُطبخ فيهِ فلا أُحصي ما كان يدخلهُ من الغنم والحيوان لكثرتهِ . وامّا مطبخ العامّة المرسوم بما تقدّم الى خلفاء الحجّاب المقيمين في الدار ويُعرَف منهُ للرجالة والبوّابين واصاغر الكتاب وغلمان اصحاب الدواوين فكان يُستعمل فيهِ في كل يوم تسعون راساً من الغنم وثلثون جديًا ومائتا قطعة دجاجاً سماناً وفراريج مُصدّرة ومائتا قطعةٍ درّاجاً ومائتا قطعةٍ فراخاً . وهناك خبّازون يخبزون الخبز السميذ ليلًا ونهارًا وقوم يعملون الحلواء عملًا متّصلًا ودارٌ كبيرةٌ للشراب وفيها ماذيانٌ يُجعل فيهِ الماء المبرّد ويطرح في الثلج كدرًا ويسقى منهُ جميع من يريد الشرب الرجالة والفرسان والاعوان والخزّان ومن يجري مجرى هذه الطبقة من الاتباع والغلمان ومُزمّلات فيها الماء الشديد البرد . وبرسم خزانة الشراب خَدَم نظاف عليهم الثياب الدبيقيّة التِّسيَريّة (وفي الاصل السريّة) وفي يد كلّ واحدٍ منهم قدحٌ فيهِ سكنجبين او جُلّاب ومخوض وكوز ماء ومنديل من مناديل الشراب نظيف فلا يتركون احدًا ممّن يحضر الدار من القوّاد والخدم السلطانيين والكتّاب والعمّال الّا عرضوا ذلك عليهِ . وفي جانب الدار ادراجٌ كثيرةٌ لاصحاب الحوائج والمتظلمين حتى لا يلتزم احدٌ منهم مؤونة لما يبتاعه من ذلك وانصاف قراطيس واثلاث

٥ جلساء بن الفرات وطعامهُ (ص ٢٤٠)

حدّث ابو القسم بن زنجي قال : رسم ابو الحسن علي بن محمد بن الفرات في وزارتهِ

الثانية ان يُدعى ابو الحسن موسى بن خلف وابو علي محمد بن علي بن مقلة وابو الطيب محمد بن احمد الكلوذاني وابو عبد الله والدي وابو بشر عبد الله بن الفرخان النصراني وابو الحسين سعيد بن ابرهيم التستري النصراني وابو منصور عبد الله بن جُبير النصراني وابو عمرو سعيد بن الفرخان النصراني في كل يوم الى طعامهِ . فكانوا يحضرون مجلسهُ في وقتهِ ويقعدون من جانبيهِ وبين يديهِ ويُقدَّم الى كلٍّ واحدٍ منهم طبق فيهِ اصناف الفاكهة الموجودة في الوقت من خير شيء . ثم يجعل في الوسط طبق كبير يشتمل على جميع الاصناف وكل طبق فيهِ سكِّين يقطع بها صاحبهُ ما يحتاج الى قطعهِ من سفرجل وخوخ وكُمثرى ومعهُ طست زجاج يرمي فيهِ الثفل فاذا بلغوا من ذلك حاجتهم واستوفوا كفايتهم شيلت الاطباق وقُدِّمت الطسوت والاباريق فغسلوا ايديهم وأُحضرت المائدة مُغشَّاة بدبيقي فوق مكبَّة خيازر ومن تحتها سفرة أَدَم فاضلة عليها وحواليها مناديل الغَمَر من الثياب المعصور . فاذا وُضعت رُفعت المكبَّة والاغشية واخذ القوم في الأكل وابو الحسن بن الفرات يُحدّثهم ويُباسطهم ويُؤانسهم . فلا يزال على ذلك والألوان تُوضع وتُرفع اكثر من ساعتين . ثم ينهضون الى مجلسٍ في جانب المجلس الذي كانوا فيهِ ويغسلون ايديهم والفرَّاشون قيامٌ يصبُّون الماء عليهم والخدم وقوفٌ على ايديهم المناديل الدبيقيَّة ورطليَّات ماء الورد لمسح ايديهم وصبّهِ على وجوههم فمَن كانت لهُ من الكتَّاب حاجة قام اليهِ وخاطبهُ فيها وسألهُ ايَّاها ومن اراد اطلاعهُ على سرٍّ يجب الانفراد معهُ فيهِ فعل مثل ذلك . ثم يُخرج وظائف الكتَّاب وغلمانهم والخزَّان ومن دونهم وسائر من جرت عادتهُ بالوظيفة على طبقاتهم واتبع ذلك بتفرقة وظائف الثلج على اصحاب الدواوين والكتَّاب والمقيمين في الدار

٦ نَمْ ما استطعتَ فرحاً (ص ١٩٦)

حدَّثني عمي أبو الطيِّب احمد بن اسماعيل قال: كان معنا في الديوان خازنٌ شيخ قد خزن في الدواوين في سرَّ من رأى يُعرف بجعفر الحرامي فكان يقول كثيرًا: «ما استطعتَ ان لا تبيت مغموماً فافعل» . فكنتُ اسمع هذا الكلام منهُ صَفحاً . فلمَّا كان بعد مُدَّةٍ وانا اكتب بين يدي ابي العباس احمد بن محمد بن الفرات واخفّف عنهُ جاءني رجلٌ من التُنَّاء بالسواد ومعهُ توقيعٌ بنقل مقاسَمة بيدرٍ لهُ من رسمٍ ثقيل

الى رسمٍ خفيف ذكر ان ابا القسم عبيد الله بن سليمان وقّع لهُ بهِ وتوقيع ابي العباس بن الفرات فيهِ بالعمل على موجبهِ. فاستربتُ بالتوقيع فشككتُ في صحّتهِ وبذل لي مائة دينار على امضائهِ وكَتْب الكتاب بمقتضاه. ففعلتُ واخذتُ المائة الدينار وتسلّم الكتاب. فلمّا كان الليل واويتُ الى فراشي اجتهدتُ في النوم فامتنع عليَّ وذكرتُ ما عملتهُ وتجوّزتُ فيهِ فضاق صدري وساء ظنّي وقلتُ: « هذا الذي كان يحذّرني منهُ جعفر الحرامي ». وندمت على ما كان منّي وتقلّبتُ على الفراش من غير ان يدخل النوم عيني وحدّثتُ نفسي بالركوب وقصد الرجل. وقد كان ذكر لي فيما جرى بيننا من الحديث ان منزلهُ في الجانب الغربي في سكّة كذا من سكك المدينة فلم يمكن ذلك لأنهُ كان اول الليل. ثم لم ازل على حالي في القلق طويلًا حتى اذا زاد ما بي تقدّمتُ الى غلماني بان يسرجوا لي وبالخروج الى الشارع والمسألة عمّن بتلك الطريق فخرجوا وعادوا يذكرون انهُ ما مرّ احدٌ. ثم امرتُهم بان يُسرجوا لي على كل حال واسرجوا وحملوا بين يديَّ شمعةً وركبتُ وسرت فاذا الشرائج ممدودة وابواب الدروب مغلقة فما تهيّأ لي فتح شيء منها الّا بِبِرّ الحرّاس

ولم ازل على ذلك حتى انتهينا الى راس الجسر من الجانب الشرقي فكان الباب مقفلًا فسأل الغلمان الموكَّل بهِ فتحهُ فابى وبذلوا لهُ دراهم عن ذلك فلم يقبلها. ووقفتُ الى ان وافى فُرانق من قبل بدر غلام المعتضد بالله بكتابٍ منهُ الى بعض اهل الدولة النازلين في الجانب الغربي ففتح لهُ الباب وجاز وجزتُ معهُ. ثم وصلتُ بعد اجتهادٍ الى دار الرجل وتقدّم غلماني الى بابهِ فدقّوهُ وطالعهم من السطح وسألهم عمّا يريدونهُ فاشعروه بحضوري فأمهل قليلًا ثم فتح الباب واذن في الدخول ورآني فانكر مجيئي في مثل ذلك الوقت وقال: لو كتبتَ اليَّ لجئتُك فما الذي تحبُّ الآن. فقلتُ: وقع عليَّ سهو في الكتاب الذي كتبتُهُ لك وخفتُ ان يقع عليهِ من يتتبّعني وتتطرّق من قولهِ قباحة عليَّ. فقال: هذا قول لا يجوز على مثلي ومن المحال ان يخرج عن يدك ما فيهِ لحنٌ وخطأ ولعلّك فكرتَ في شيء آخر من امر الكتاب نفسهِ. فقلتُ: لا بُدَّ من احضارهِ. فقال: توقّفْ قليلًا. ثم قام وغاب لحظةً وجاء معهُ صرّةٌ فيها خمسون دينارًا وقال: تلك مائة وهذه خمسون دينارًا وليس في كلّ وقت يعرض مثل ذلك وكم في الدواوين من توقيع يجري هذا المجرى ولا يُوبَهُ

لهُ ولا يُتنبَّه عليهِ. ورغَّبني فيها ترغيباً كدتُ معهُ ان آخذها. ثم ذكرتُ محلّي من ابي العبَّاس بن الفرات وموضعي من خدمتهِ ومكان اخي منهُ وانني اقدر ان أُفيد معهُ وفي جملته الفوائد الكثيرة. فتماسكتُ وامتنعتُ وعاودتهُ المطالبة بالكتاب ووضع غلامي بين يديهِ المائة الاولى. فقال: احبُّ ان تتوقَّف قليلاً. وقام ثم رجع ومعهُ الكتاب وخمسون ديناراً أُخرى وقال: هذه مائتا دينار وهذا الكتاب فاختَرْ ما تُريدهُ منهما وخذهُ. واعاد من تهوين القصَّة وتجديد القول الداعي الى الرغبة ما كادت بهِ يدي تمتد الى الدنانير. ثم راجعت الفكر واشفقت من ظهور الامر للاعداء وفساد الجاه

واخذت الكتاب ومزّقتهُ ونهضتُ وركبت. فلمَّا توسّطت الجسر رميتهُ مُخرَّقاً في الماء وعدت الى منزلي وكنت انزل بسوق العطش. وقد بقيتْ سُدفةٌ من الليل فطرحت نفسي على الفراش ونمت نوماً طيباً وزال ما كنت عليـهِ من سوء الفكر واستشعار الخوف واصبحت وسألت غلماني عمَّا عندهم من الطعـام وانفذت الى جماعةٍ كانوا يعاشرونني فحضروا واكلنا وحضر النبيذ وشربنا وجاءني غلامي وقال: غلام ابي العباس بن الفرات بالباب يستدعيك. فادخلتهُ واجلستهُ معنا فأكل وشرب وقلت لهُ: عرِّفهُ انني عند بعض اهلي بالجانب الغربي. فمضى ولم يبعد ان جاء غلام آخر يطلبني ففعلت بهِ كمثل فعلي بالاول فانصرف. وقلت في نفسي: لَأَنْ القى ابا العبَّاس مُعتذراً من تأخُّر يوم عن خدمتهِ اولى من ان القاه مُعتذراً من مثل ذلك الذنب الكبير

فاقمت على جملتي بقيَّة يومي وباكرتهُ من غدٍ فسألني عن سبب تأخُّري فاعلمتهُ كوني عند بعض اهلي بالجانب الغربي. ومضت ايَّام وورد كتاب العامل الذي تلك الضيعة في عملهِ وفي درجهِ حَزْر الغلَّة وقد نُسِبَ كل بيدر الى مقاسمتهِ وعلى مثـل هذا كانت الحزور تَرِدُ. فقرأهُ ابو العباس على رسمهِ حرفاً حرفاً ووجد قد حُكي تحت اسم بيدرٍ من البيادر ممَّا ورد الكتاب بنقلهِ من مقاسمة كذا الى مقاسمة كذا. فلمَّا قرأهُ اختلط وانكر ذلك وقال: ما اذكره ومتى امرنا بنقل المقاسمات الثقيلة الى المقاسمات الخفيفة ؟ واستدعى ابا عبد الله اخي وتقدّم اليهِ بان يكتب الى العامل بانكارهِ ما وقف عليهِ من الحكاية التي حكاها في الحزر وبردّ الكتاب الذي وصل اليهِ في هذا المعنى بعينهِ. فكتب ذلك ومضت ايَّام فلم اشعر وانا بحضرتهِ الَّا بكتاب العامل قد ورد جواباً عمَّا كوتب وفي درجهِ الكتاب الذي طُلب منهُ. وقرأهُ ابو العباس بن الفرات واقبل يدفعهُ

الى واحدٍ واحدٍ من الكتَّاب الذين في مجلسهِ ويسألهُ عن صاحب خطهِ. ثم دفعــهُ اليَّ فلمَّا قرأتهُ ذكرتُ اسم البيــدر وقلت في نفسي: ايُّ شيء كان اسوأ حالًا مني لو كان بخطِّي وقد ورد في مثل هذا المجلس الحافل. ولم يعرف احد من الحاضرين الخطَّ. وسلَّمهُ الى احمد بن يزيد المدبر وقال لهُ: امضِ بهِ الى الديوان وخُذ خطوط اصحاب المجالس وخلفائهم بما عندهم من العلم بهِ وجئني بنسخته اذا وجدتها من مواضعها

(قال) وسبق الخبر الى الكتَّاب وقد كان الرجل صاحب البيدر بَرَّهم بجملةٍ حتى اثبتوهُ عندهم فما منهم الَّا من قطعهُ واخرجهُ من شكّ الورق ورمى بهِ في المستراح او اعطاهُ غلامهُ حتى اخرجهُ من الديوان وخبأَهُ في خفّهِ او تحت الارض. ولمَّا دار عليهم ابن يزيد انكروا وجحدوا ما فيهِ من علاماتهم وخطوطهم فاخذ خطوطهم على ظهر الكتاب بما ذكروهُ وجاء بهِ الى ابي العباس. ونحن في تلك الحال اذ جاءت اليهِ رقعة من متنصحٍ يذكر فيهِ اسم الرجل الذي كتب الكتاب وموضع منزلهِ فدعا ابو العباس العباسَ الفرغاني حاجبهُ وامرهُ بكبس الدار وطلب الرجل فان وجدهُ احضرهُ وان لم يجدهُ انهب كل ما فيها. فمضى ومعهُ ثلثون راجلًا فكبس الدار ولم يظفر بالرجل فنهب الرجَّالة والاتباع ما كان فيها وعرف الرجل الخبر فاستــتر مدَّةً ثم خرج الى الموصل هاربًا ولم يزل مقيمًا بها الى ان مات ابو العباس. فحمدت الله وشكرتهُ على ما وفَّقني لهُ وخلَّصني منهُ وعلمت انهُ لا شيء انفع من الصحة ولا اجلّ من الامانة. انتهى

ونحن نقف عند هذا الحدّ مكتفين بنقل ما سبق من تاريخ الوزراء وفيهِ كفاية لتعريف فضلهِ ومقام صاحبهِ من الكتابة

قدمية الكلدان في حلب

بقلم حضرة الاب الفاضل الخوري بطرس عزيز نائب بطريرك الكلدان بحلب

كان يُظن ان الكلدان حديثو العهد في الشهباء وان كنيستهم الحاليَّة التي شيَّدها الطيب الذكر الخوري بطرس رسَّام بمحلة العزيزيَّة هي اوَّل كنيسة أُقيمت للكلدان في هذه المدينة حتى عثرتُ على شواهد اكدَّت لي الخلاف وظهر منها واضحًا انهُ كان للكلدان طائفة في حلب على الاقل منذ سنة ١٦٢٧ مسيحيَّة وكان لهم كنيسة خاصَّة بهم وكهنة يخدمونهم

واوّل ما هداني الى ذلك كتاب قديم مكتوب في اواسط القرن الثامن عشر وهو معجم كلداني عربي قد صار الآن في ملك المسيو پونيون قنصل دولة فرنسة في حلب مخطوط « بيد القس يعقوب الكلداني بحلب » كما يستدل من الحاشية التي في ذيلهِ — ففي اول الامر لدى اطلاعي على هذا الأثر ظننت ان احد قسوس الكلدان وُجد بطريق الصدفة في الشهباء وكتبهُ ثم باعهُ او فقدهُ او مات وتركهُ فيها حتى وصل ليد مالكه. الّا انهُ لمّا ظهر كتاب القس شمونيل جميـل المحترم (١ وجدت في عريضة رفعها البطريرك يوسف الثالث الى مجمع انتشار الايمان وهو في رومية يقول بانهُ في سنة ١٧٢٣ نال فرماناً موقعاً باسم السلطان (محمود) فيهِ يستعرف رئاسته ليس فقط على كلدان ديار بكر وماردين والموصل كما في فرمانٍ اوّل بل زاد فوقها ايضاً مدينة حلب واباح لهُ ان يتولّى على كل الكنائس التي فيهـا ويأمرهم بالطاعة لهُ (ص ٣٢٣) — وفي سنة ١٧٢٩ اذ كان محبوساً في الموصل بوشي خصمـه البطريرك النسطوري سعى اولادهُ الكاثوليك في ديار بكر فخلصوه من السجن بواسطة اوامر ثلاثة نالوها من لدن السلطان بتاريخ ١١٤٢ هجريّة (١٧٢٩ م) مضمونها الاتّفاق مع البطريرك النسطوري بحيث ان هذا يتولّى شؤون الكلدان في الموصل وحلب وتبقى ديار بكر وماردين للبطريرك يوسف الثالث (ص ٣٢٧)

فاستنتجت من ذلك ان القس يعقوب المذكور لم يكن في الشهباء على سبيل الاتفاق بل كان خادماً للكلدان المقيمين فيها فاخذتني الحميّة على ان ازيد في التنقيب لعلّي اقف على شيء من احوال هذه الطائفة في هذه المدينة فاسعدني الحظّ على ان اجد في سجلات حضرة الآباء الفرنسيسيّين وفي كتاب الكشف عن الاراضي المقدّسة للاب فرنسيس كوازوميوس الفرنسيسي ما هذا نصّهُ:

في مقدّمة المجلد الاول من كتاب الكشف المذكور (ص ١٠) قد سُطِرت ترجمة كوارزميوس الومى اليهِ وفيها يقول المؤلف: ثم ان البابا اوربانوس الثامن ارسلهُ (اي الاب فرنسيس كوارزميوس) قاصدًا رسوليًا الى الكلدان في سوريّة مع السلطة الخصوصيّة

---

١) اعني كتاب العلاقات الرسمية بين الكلدان والكرسي الرسولي (راجع المشرق ٥: ٩٥٦ و ١١١٥)

بان يعزل بطريرك الكلدان عن وظيفته. ثم تعيّن معتمدًا رسوليًا في ما بين النهرين للنساطرة واذ كان مقلّدًا بهذه الوظائف باشر اسفارًا طويلة صعبة وطاف نواحي سوريّة الواسعة . . . فمن رسالة كتبها الاب فرنسيس كوارزميوس المذكور من مدينة حلب في سوريّة الى مجمع انتشار الايمان في رومية نستدلّ على بعض ما عمله هنــاك في سبيل الايمان لاجل استئصال اضاليل الكلدان في ما يخص تقديس جسد المسيح وتوزيعــهُ ومباشرة سرّ المعمودية قال: « وجدتُ صورة تقديس جسد الرب المستعملة عند هؤلاء الكلدان ناقصة ومفسودة فانهم لا يهملون فقط لفظــة « لانهُ » (enim) وإنْ لم تكن ضروريّة لصحة السرّ بل ايضًا لفظــة « هذا » (hoc) (من قول الرب « هذا هو جسدي ») الجوهريّة (١ ولذلك فانا بيدي حذفتُ من كتاب رتبــة قداسهم تلك الصورة وسعيتُ بان تُكتب عوضها الصورة التي رسمها المسيح برمّتها حسب الترجمة الموجودة في رتبة قداس الموارنة المطبوعة والمنقحة في رومية والزمتهم بامرٍ خصوصي ان يستعملوها بلا تغيير. ولكي يُحفظ ذلك بكل تدقيق ندبتُ كاهنًا عالمًا وفطنًا من كهنة الموارنة لكي يحضر ذبائحهم في كنيسة الكلدان المذكورة آنفًا في حلب لكي التحقق أيستعملون الصورة القديــة واُلملغاة ام الجديدة والصحيحة . فاخبرني بانهم محافظون على الامر بكل امانة. ثم اطلعتُ على ان الكلدان المذكورين يمزجون الخبز المُعدّ للتقديس بزيت وملح وبنوع من التابل يسمونهُ بلغتهم (مَلْكَا) ولا يخبزونهُ بالتمام حتى انك تخالهُ عجينًا لا خبزًا

امّا ما يختص بتوزيع هذا السرّ الجليل فوجدت انهم يعطونهُ للاطفال ويناولون الشمامسة الانجيلية على الشكلين فاستئصالًا لهــذه العوائد الذميمة امرتُهم بصرامة استنادًا الى السلطان المعطى لي من الكرسي الرسولي ان لا يجسروا بعد ان يضعوا هذه الامتزاجات او غيرها من المواد في الخبز المهيّأ للتقديس وطلبت ان يحضروا امامي ما يسمونهُ « مَلْكَا » فاخذتهُ ورميتهُ في النار كما اني امرتهم ايضًا ان يخبزوا بنوع احسن القُرص لتكون مادة كفوءة للذبيحة غير الدمويّة وان لا يقبلوا الاطفــال على المائدة المقدّسة ولا تُعطى مناولة الكاس لغير الكاهن المقدِّس »

١) لا نقدر ان نفهم حقيقة ما يقوله هنا الاب كوارزميوس لاننا لم نر حتى الآن لا في الكتب ولا عند النساطرة الحاليين صورة التقديس محرّفة بهذا النوع الشنيع

وفي اسفل الوجه يضع المؤلف هذه الحاشية: « في الرسالة عينها تُذكر صورة المعمودية المشبوهة المستعملة عند الكلدان فانهم عوض كلمة « أُعمّذ » كانوا يستعملون الكلمة الكلدانية « عامذ » التي لها معنى الماضي اي قد تعمّذ ولها معنى الامر اي فليعتمذ. ففي هذا الخصوص يعرض الاب كوارزميوس على مجمع انتشار الايمان بان لا يُكرَه الكلدانُ على ان يغيّروا شيئاً فان ذلك ممّا يضجرهم بل ان يقنعوهم بأن يستعملوا لفظة (عامذ) بالمعنى الثاني ». انتهى

وفي الصفحة ٨٧ من المجلد عينه يقول الاب كوارزميوس: « كنت اقدر ان اورد اموراً كثيرة عن طقوس واعتقادات الكلدان بما اني قد تعبت مدة ثلاث سنين في ارتدادهم وخلاصهم الروحي في مدينة حلب وفي ما بين النهرين ولهـذا فبقدر ما سنحت لي الفرصة اجتهدت ان اطّلع على احوالهم لكني اكفُّ عن ذلك الآن فاني قد كتبت بحثاً كاملاً عنهم مفيداً لرجوعهم الى الاتحاد بالكنيسة المقدّسة بعونه تعالى » (١

ونتاكّد صحة ما يقولهُ الاب المذكور من شهادة وجدناها في سجل الآباء الفرنسيسيّين هنا يظهر منهـا ان الكلدان النساطرة في حلب قد رجعوا الى حضن الكنيسة الكاثوليكيَّة في زمان هذا الاب وعلى يده وهاك نصها: « في ١٧ آب ١٦٢٧ القس شمعون الآمدي خوري طائفة الكلدان قرَّر صورة ايمانه عن نفسه وعن طائفته القاطنة في حلب امامي انا الراهب فرنسيس كوارزميوس المعتمد الرسولي كما مرَّ في حضور رهبان هذا المحلّ وتجار وغيرهم كما يظهر من الكتابة المصنوعة في هذا الشان المحفوظة في خزانة هذا المحل المخصص لحبل مريم ام الله البريءْ من الدنس » انتهى

امَّا ما كان عليهِ هؤلاء الكلدان في حلب قبـل هذا العهد اعني قبل اتحادهم بالكثلكة فلا نعلم شيئاً كما نجهل اين كانت كنيستهم المنوَّه عنها وماذا صار فيهـا وكيف اندثرت هذه الطائفة في هذه المدينة قبل ان يُجمَع شتاتُها منذ زمن قريب

---

١) لسوء الحظ لم يصل الينا هذا البحث فربما كنَّا نستفيد منهُ شيئاً في ما نحن بصدده فاني قد فتشت مكتبة الآباء الفرنسيسيّين هنا في حلب حيث الّفهُ الاب كوارزميوس فلم اعثر لهُ على ذكر

عين العليّ

رواية تاريخية للاب س. ت اليسوعيّ (تابع الفصل التاسع)

وما انهى طيطس حديثهُ حتى جاءهُ بريد من متولّي الكتيبة العاشرة على جبل الزيتون يطلب اليهِ بان يُسرع الى خلاصهِ على جناح السرعة لانَّ العدوّ باغتهم فكادوا يولّون الادبار. فتطاير امير الجيش الى ساحة الوغى بعد ان اوصى الطبيب بالضابط راسيوس

وهو في طريقهِ اذ سمع صاصلة الاسلحة واصطكاك الصوارم وغمغمة الابطال ورأى الهاربين من جندهِ فردَّهم على وجوههم ثم حمل حملةً صادقة على العدوّ ففلَّ نظامهُ. واذ رأى الرومان قائدهم على جوادهِ ومعهُ فرسان صناديد بل أُسود قساور عادوا الى صفوفهم وابلوا البلاء الحسن حتى فرَّ المعادون من وجههم ورجعوا على اعقابهم ليتستَّروا وراء اسوارهم الحصينة بعد ان وقع منهم عدد غفير في حومة القتال عند لحف جبل الزيتون

فعرف الرومان بعد هاتين الواقعتين انَّ دون فتح اورشليم عقباتٍ لم تخطر لهم على بالٍ وانَّ العدوّ لن يرضى بالخروج عن وطنهِ الّا بعد اللتيّا والتي فتأهّبوا لحصار المدينة على طريقة نظاميَّة وهم مصمّمون النيَّة على فتحها عنوةً او قتل اهلها بالمجاعة. امَّا اهل اورشليم فانَّهم عدُّوا خروج جنودهم كنوز باهر وانتصار عظيم على الرومان وتحمَّسوا لردّ غاراتهم صارخين انَّ الله سيظفرهم برومية وملوكها

وفي صباح اليوم التالي قسم طيطس جيشهُ قسمين قسمٌ منهما وكل اليهِ اشغال الحصار امَّا القسم الآخر فكانوا الفرسان والجنود امرهم ان يبقوا شاكي السلاح في أُهبة المقاتلة او الدفاع

فما مرَّ على الرومان اربعة ايَّام حتى مهّدوا سبُل الحصار وازالوا السياج ووعّروا التربة وحطّموا الصخور الواقعة في وجه العدو. ولمَّا كان اليوم الخامس امر طيطس جيشهُ بان يضيّق على خناق البلدة فحوّل معسكرهُ الاوَّل الذي كان على جبل سكوبوس الى معسكرٍ ثانٍ لا يبعد موقعهُ عن المدينة سوى غلوتين (٣٧٠ مترًا) وجعلوا يحفرون هناك خندقًا جديدًا

امّا اليهود فكانوا ينظرون من علوّ اسوارهم الى الرومان نظر المحتقر المزدري فيضحكون منهم ويشتمونهم ويرون انّهم كأقزام بازاء الجبابرة فهيهات ان يقووا على فتح مدينةٍ اسوارها تعلو ٢٥ ذراعاً وتحميها ١٦٤ برجاً

الّا انَّ فرح اليهود لم يلبث ان ترنّقت كاسهُ وتكدَّر صفاؤهُ فلمَّا كان اليوم السابع من شهر آذار اعني الجمعة التابعة لبدء الحصار احتفلت اورشليم بعيد الفطير وهو الفصح. فكان يُسمع لاهاها ضوضاء وجلبة كأنّها الخليَّة تزدحم في اكوارها النحل. وكان الحرَّاس وحفظة الاسوار نسوا الرومان وعساكرهم وهم لا يكترثون لامرهم كي يرشفوا كاس الهناء مع اخوانهم. وكان اليعازر وقف نفسهُ لخدمة الجمهور ليقبل منهم الذبائح والتقادم فصارت الجموع تتقاطر اليهِ. فاستاء حنًا دي جسقالة (الجشي) لمَّا عاين نفوذ خصمهِ اليعازر فجمع فرقتهُ ودخل الهيكل وجعل يقاتلهُ ويقتل من يأتيهِ بالضحايا فصار القوم في هياط ومياط. لا يُسمع في ساحة الهيكل الّا صوت: اقتلوا! لا تعفوا عن احد!

وبلغ الرومان صَخَب اصوات اليهود وهم لا يدركوا سبب الثورة الّا انَّ بعض اهل اورشليم تمكّنوا من الفرار من المدينة فجاوزوا الى طيطس يطلبون منهُ الامان فأعلموهُ بما حلَّ في قومهم من الشَّغَب والفتنة. فعرف الرومان انَّ اعظم مساعدٍ لهم على فتح اورشليم ما يغلي في قلوب ذوي الاحزاب من مراجل الضغائن والاحقاد فما عليهم الّا ان يصبروا قليلاً فيأكل اليهود بعضهم بعضاً كذئاب خاطفة ثم تأتي المجاعة فتُفني ما نجا من السيف

*

وان عدنا بالنظر الى مضرب طيطس رأينا هناك مضطجعاً على فراش الاوجاع ذاك الضابط الشهم الذي خاطر بنفسهِ ليخلّص امير العسكر من المنون ألا وهو راسيوس فانهُ بعد ان افاق من اغماء حواسّهِ رأى الموت يرفُّ فوق رأسهِ وبيدهِ منجلهُ القاطع ليصرم خيط حياتهِ

فكنت تراهُ شاحب اللون مصفرّ الوجه غائر العينين يُسمع لهُ زفير اشبه بحشرجة الميت لا يشكُّ من يدخل عليهِ انهُ على قاب قوسٍ من الموت

فليت شعري أهذا هو الضابط الزاهي الجمال المتوقد العينين ذو البزَّة الفاخرة الذي،

كانت مياه الحياة تتدفّق من جبينهِ قبل يومين . . . ها هو ذا طريح جريح يتململ فوق فراش الاوجاع . . . كان يوم امس لا يفكّر الّا في المجد واكاليل الغار والفوز بفتاةٍ غنيَّة يقرن بها حياتهُ في الهناء والرغد . . . واليوم قد خيَّم فوق هامتهِ رواق المنيَّة يحتسي سكراتها . فطورًا تقوى عليهِ الحمَّى فتنهك قواهُ وطورًا يغلب على لسانهِ الهذيان فيذكر في لغطهِ رومة وابنة صموئيل ونصارى صيداء . وحينًا يطلب قليلًا من الماء يبرّد بهِ غليلهُ ثم يكرّر انينهُ كانهُ يُفيظ نفسهُ

وكان قرب فراش راسيوس صديقهُ لاونطيوس الضابط الذي مع رغبتهِ في مقاتلة العدوّ احبَّ ان يبذل نفسهُ في خدمة المريض فكان يهتمّ بشؤونهِ ويقوم بامرهِ كأنَّهُ امٌّ حنون تعطف على ولدها الوحيد

وكان لاونطيوس يفرغ كنانة جهدهِ في تخفيف آلام صديقهِ واذا أنس منهُ ساعة هدوّ وراحة وجّه اليهِ كلامًا اعذب من الشهد وخاطبهُ بما يقع لديهِ موقع الحظوى ثمَّ اخذ يذكرهُ بالاله الذي يجازي الانسان عن تضحية نفسهِ في سبيل الواجب . لكنَّ راسيوس كان يستدعي الموت وهو لا يبالي بما يلقى وراء القبر فكان يوصي صديقهُ اذا حان حَينهُ ان يجعل في ضريحهِ سيفهُ ويضع عند راسهِ حُقَّةً فيها غُصن من الزيتون على شقَّة من الحرير . فالسيف يؤنسهُ في لحدهِ وغصن الزيتون يبرّد لظى حبهِ نحو فتاةٍ لم يعرف منها غير ابتسامةٍ أَسرت قلبهُ . . . امَّا نفسهُ فما كان راسيوس ليفكّر في امر خلودها ولا يدري ما سيلحق بها . . .

الّا انَّ الاوجاع كانت في الغالب تضرب في دماغ راسيوس فتتراءى لهُ مناظر مخيفة وتحوم حولهُ اشباح مرهبة يطير لرؤيتها قلبهُ شعاعًا فيستغيث بالحضور : « ألا أجهزوا عليَّ لعلّني انجو من هؤلاء الأعلاج الذين اقتحموا عليّ » وربَّما كان ينتصب واقفًا وهو يطلب سيفهُ ليردّ كيدهم في نحرهم

وكان لاونطيوس يضمّ المريض بين ذراعيهِ ويخمد روعهُ ويبلّ جبينهُ بالماء البارد ريثما يسكن بلبالهُ ويهدأ جزعهُ . فكانت اذ ذاك تتغيّر افكار راسيوس وينظر حولهُ نظر متحيّر ثم يقول لصديقهِ : دَعني وحقِّ راسك ارجع الى بيروت فانَّها في انتظاري »

وبقي الضابط المسكين على هذه الحالة اسبوعًا كاملًا وهو على آخر رمق بين الحياة والموت . وكان الغالب على ظن الذين يعودونهُ انهُ لا يلبث ان يسترفي حظَّهُ من الحياة .

وكان قدماء الضبّاط يتعجبون انهُ لم يَقْضِ انفاسهُ بعد ما اصابهُ من الجراح وبعد انخلاع كتفهِ ودخول شفرةٍ بطول الاصبع في صدرهِ فيصرخون: « لا لعمري ولو مرَّضهُ اله الطب اسكولاب لما نجا من هذه البليّة... انما نأسف على غُصن شبابهِ تهتصرهُ المنيَّة وهو في نضارتهِ الزاهية يوم بلغ خبرهُ طيطس فاراد ان يكافئه بالمناصب الرفيعة والامتيازات الشرفيَّة ! »

امَّا الطبيب الذي كان وعد طيطس بالّا يدع وسيلةً لخلاص راسيوس دون ان يتوسَّل بها فانهُ كان يرجو على خلاف الرجاء وكان يؤيد أملهُ ما وجد في جسم الضابط بعد جسّهِ من شدَّة البنية وحسن المزاج وانفتال الاعضاء فكان يقول لمن يستعرف اخبار المريض: « انهُ سالم لا محالة لانَّ في دمهِ قوَّةً عجيبة لم تضعفها قطّ الخلاعة ولم تضعضعها العيشة المتهتّكة ومن لم يغلبهُ فساد القلب قوي على ما لم يقوَ عليهِ غيرهُ »

وكان لاونطيوس ايضاً لمَّا نظر لاوَّل وهلة ما جرى لراسيوس حسب انهُ تالفٌ ولا بدَّ من الاستسلام الى مشيئة الرحمان والرضى بفراق صديقهِ الحميم.. وممَّا كان يعزّيهِ في هذا المصاب انَّ الضابط المحتضر كان زكيَّ النفس طاهر الذيل لم يدنس عرضهُ بشيء من الآثام فلعلَّهُ ينال رحمةً بازاء منبر الديَّان الذي لا يرذل ذوي النيَّة الصالحة... لكنَّهُ اذ رأى الطبيب مملوءاً بالآمال الطيّبة انتعشت امانيُّهُ ايضاً واخذ يُصلّي لشفاء صديقهِ. وكان يحسُّ في قلبهِ انَّ راسيوس ذو نيَّة قويمة اذا ما رأى يوماً نور الحقيقة يتَّبعهُ ولا يأبى ان يهتدي الى ديانة المسيح على مثالهِ

وهذا ما حمل لاونطيوس ان يمرّض المريض ليلاً مع نهار ويؤدي لهُ كل الخدم. وكثيرًا ما كان يجثو على قدميهِ راكعاً عند فراش صديقهِ اذ يرى آلامهُ تشتدّ حتى تكاد تذهب بحياتهِ فيطلب الى الله ان يحنّ على هذا اللهيف المسكين ويصونهُ ممَّا المَّ بهِ من البلاء والمحن باستحقاقات ابنهِ الوحيد واحزان البتول الطاهرة سيّدة الاوجاع

فكانت الصلاة تزيد لاونطيوس رجاء وتسندهُ في ايثارهِ وتَفاني نفسهِ في خدمة صديقهِ مدَّة عشرة أيام بلا انقطاع. فلمَّا كان فجر اليوم العاشر لمح لاونطيوس انَّ اوجاع راسيوس تلطَّفت قليلاً وان الحمّى خمدت وخفَّ هذيان المريض. ثم نظر الى وجههِ واذا بحمرةٍ خفيفة لوَّنت وجناتهِ وكان يُسمع صوتُ نَفَسهِ منتظماً ليناً وما عتّم أن غفي فنام نوماً هادئاً لم تذقهُ عيناهُ منذ يوم جراحهِ

فاستبشر الممرّض بعلائم الخير وشكر الله على بارقة الامل الذي لاح لهُ في نجاة صديقهِ . وبينما هو كذلك اذ ازال الطبيب سجوف الخيمة فارتعش لاونطيوس واشار الى الداخل ان « على رسلك واياك ان تفيقهُ » . . فما رأى الطبيب النائم حتى صرخ مبتهجاً : « لقد نجا . . الم اصدقكم القول بانهُ لن يموت . . . فقد صحّت نبوّتي »

ثم اقترب من المريض ليفحصهُ عن كثبٍ . امَّا لاونطيوس فاثّر فيهِ قول الطبيب ايّ تأثيرٍ حتى شعر بالبكاء يخنقهُ من فرحهِ الّا انهُ اظهر الجلد واكتفى بان يقدّم للرب صلاةً حارَّة من صميم فؤادهِ اذ تنازل وابرأ صديقهُ كما كان يبرئ الاسقام عند اجتيازهِ في اصقاع الجليل

وبقي راسيوس في نومهِ ساعاتٍ ثم انتبه واجاز يدهُ على جبينهِ كانهُ يريد ينحي عنهُ كابوساً ضغط صدرهُ . وهمَّ بان يقوم من فراشه الّا انَّ هذه الحركة آذتهُ فصرخ : « آه . . . ويلي لم تشفَ بعد جراحي »

ثم اخذ يقصُّ على لاونطيوس انهُ تراءى لهُ في نومهِ طبيبٌ لم يعرفه وجعل يدهُ على جراحهِ فبرئت للحال . . . ولكن اذ افاق الآن عرف انَّ هذا حلمٌ لا صحَّة له

فقال له لاونطيوس : لا تقُل انهُ حلم . . . وهاك قد نجوتَ من موت اكيد بعد ان كنت في صباح هذا النهار تقرئني كلام الوداع . . . قد عادك الطبيب منذ ثلاث ساعات فبشَّ فرحاً واستبشر ببُرْئك . . . فعليك بالصبر اياماً قليلة وتشفى تماماً ان شاء الله فتعود الى العدوّ وتدرك منهُ ثأرك

فلمَّا سمع راسيوس باسم الحرب عبس وجهه فقال : اني كنتُ ذاهلًا عن امر الحرب فقُل لي يا صاح وماذا جرى لجنودنا مع اليهود

قال لاونطيوس : اني لا ادري من احوال الحرب الّا النزر القليل لاني لم اكد اخرج من هذه الخيمة منذ ادركتك سهام العدوّ . مع اني لا اشكُّ في انَّ المدينة على اسوإ حال وانَّ اهلها يذوقون الامرَّين

ثم لحظ لاونطيوس انَّ اخبار الحرب تزعج المريض فسكت وقام الى مدخل الخيمة فرفع السجوف الصفيقة التي كانت تحجب عنها النور واذا باشعَّة الشمس الطالعة نفذت في المضرب وبلغت فراش المريض . فبُهرت عيناهُ لدى هذا المنظر وهو لم يرَ الشمس منذ عشرٍ فغمَّض عينيهِ ثم فتحهما بعد هنيهةٍ وسُرَّ بهذه الانوار البهجة

التي كانت لهُ بمثابة حياةٍ جديدة دبَّت في اعضائهِ . ثم احسَّ ايضاً بنسيم عليل مرَّ على رأسهِ وهو معطَّر بشذا زهور الربيع فاستنشقهُ بملء فيهِ وشعر بانَّ قواهُ لا تلبث ان تنتعش ثانيةً في جسمهِ

☆

اما الجيش الرومانيّ فانَّ الحميَّة كانت استفزَّتهُ فلا يني ليلاً مع نهار في تضييق نطاق الحصار على اورشليم وكان طيطس ملأ قلوب جندهِ همَّةً ونشاطاً يتنقَّل من فئة الى أُخرى فيحمّس الجميع بمثاهِ ويشارك العملة في مهنتهم بحيث اضحوا لا يشكُّون في الفوز القريب رغماً عمَّا يحول دونهم من المصاعب الجمَّة

والحقُّ يقال انَّ قائدًا غير طيطس لم يكن ليقدم على مثل هذا العمل . اذ انَّ اورشليم كانت مدينة حصينة لا تُنال . فانَّها كانت مبنيَّة على صخر يمتدُّ كجبل منيع بين واديين عميقَين وادي هنُّوم ووادي قدرون فلا يقوى عدوٌّ على ثلاث من جهاتها اعني شرقها وغربها وجنوبها . فلم يبقَ سوى جهتها الشماليَّة على مسافة سبع او ثماني غلوات (نحو كيلومتر ونصف) يمكن الرومان ان يدخلوا منها الى تلك العاصمة

فترى من ثمَّ انَّ الحصار كان مقصورًا على الشمال الَّا انَّ اليهود كانوا جعلوا مدينتهم من تلك الجهة غايةً في الحرازة والمناعة فانَّ اسوارها كانت تبلغ ٢٥ ذراعاً علوًّا في سمك ١٢ ذراعاً يحميها تسعون برجاً فلو حاول الرومان ان يتسلَّقوا هذه الاسوار لما صعب على اليهود ان يردُّوهم خاسرين

ومن ثمَّ كان ينبغي على طيطس ان يضرب الاسوار بالكبوش والمجانيق ليفتح لجيشهِ مجازًا فيدخل الى حيّ «بزيتا»

وان فُرض ان الرومان تجاوزوا هذا السور لما قُضي الامر فانَّ اعداءهم كانوا اقاموا سورًا ثانياً من ورائهِ يلتجئ اليهِ اهل بزيتا فيباشرون دفاعاً جديدًا عن المدينة في حيّ «أكرا» في لحف التلّ المبني عليهِ الهيكل

وكان لا بُدَّ للرومان من بعد ذلك ان يحاربوا قلعة انطونيا الشديدة المبنيَّة شمالي شرقيّ الهيكل وهي عبارة عن مربَّع مُصمت علوّهُ اربعون ذراعاً بُني فوق صخر يعلو الحضيض خمسين ذراعاً . وكانت جوانب القلعة صقيلة كالمرآة فتنزَّهت حصانةً ان تُرام

ولو تمكَّن طيطس من هذه ثالثة الأثافي لما انتهى فتح اورشليم فانَّ هناك الهيكل

وهو حصن حصين مبنيّ فوق جبل موريا تُحدق بهِ الصخور العالية والجدران المتينة

وبعد فتح الهيكل ونصب العُقاب الرومانيَّة على اجنحتهِ كان يبقى للرومان مدينة أُخرى وهي جبل صهيون ومدينة داود غربيّ الهيكل ليس بينهما الّا وادي التيروبيون. وكانت صهيون قلعة بائنة الارتفاع محصَّنةً لا تستطاع امامها ثلاثة بروج هائلة لا يُطمع في مُداناتها

تلك كانت العَضَلات التي تنتظر الرومان في حصار اورشليم. الّا انَّ طيطس كان واثقًا بالظفر. فبَعد ان حفر الرومان خندقًا واسعًا يفصل بهِ جيشهُ عن العدوّ ويردُّ بهِ غاراتهم اذا ما حاولوا الخروج من المدينة شرعوا في توثير الارض وتهيئة اللوازم لمقاومة الاسوار فكانوا ينقلون جذور الشجر ويكوّمون الاغصان ويعبُّون اكياس التراب والرمل بعدد لا يُحصى

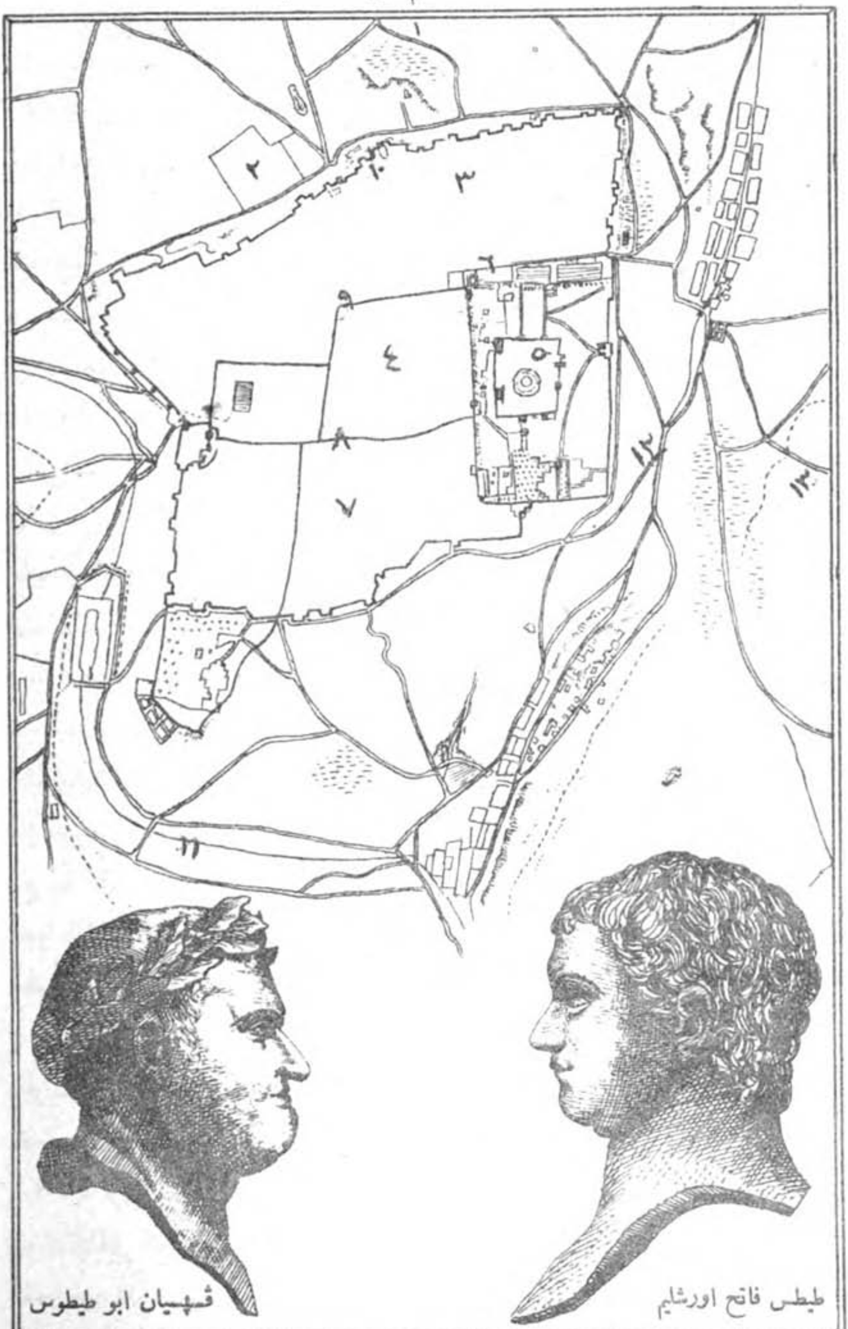
وكان اليهود من علوّ بروجهم يسخرون بالعملة وباعمالهم ويرصدونهم حتى اذا وجدوا منهم مضربًا رموهم بالسهام فقتلوهم. وربَّما كانوا يأخذوا قِدَدًا من الجلد فيكتبون عليها بحروف ضخمة شتائم وسبابًا تهيّج غضب المحاصرين

بيد انَّ الرومان كانوا يواصلون شغلهم بثبات لا يبالون بمُسابَّات اليهود حتى اذا مرَّ عليهم ثلاثة او اربعة ايَام كانت بازاء المدينة تلال مرصوصة جعلوا فوقها آلاتهم الحربيَّة. فادرك اليهود غاية الرومان واخذ الخوف يدبُّ في اجسامهم وكانوا يحاولون ان يمنعوا الشغل او يقتلوا العملة الّا انَّ طيطس كان اقام حرسًا للعملة يحمونهم بتروسهم الحديديَّة بحيث لا تنفذ فيها البتَّة قذائف اليهود

فلمَّا انجز الرومان هذه الاعمال الجليلة وركَّبوا فيها المجانيق والكبوش وسائر ادوات الحرب جعلوا يدكُّون الاسوار دكًّا بينما كان القوَّاسون يصوّبون سهامهم القتَّالة الى من يصعدون الى شرفاتها للمحاماة عنها

فلمَّا رأى العدوّ ما ينالهُ من شرّ هذه البروج الحربيَّة حاول اتلافها بالنار. ففي احدى الليالي فتح اليهود ابوابهم وهجموا عليها وصبُّوا على اسافلها القار والنفط واشعلوها بلمحة عين فما احسَّ بهم الرومان حتى انقضُّوا عليهم انقضاض العقبان ودحروهم وبدَّدوا شملهم ثم اسرعوا الى اطفاء الحريق فلم يجدوا المياه اللازمة لذلك فذهبت ادواتهم فريسة النيران

خارطة لحصار اورشليم على عهد طيطس



١) جهة جبل سكوپوس واوَّل معسكر طيطس = ٢) معسكر طيطس الثاني ٣) حيّ بزيتا
معسكر طيطس الثالث ٤) حيّ أكرا ٥) حرم الهيكل ٦) برج انطونيا ٧) جبل صهيون
٨ , ٩ , ١٠) الاسوار الثلاثة ١١) وادي هنوم ١٢) وادي قدرون ١٣) جبل زيتون

لكنَّ الرومان لم يقنطوا لذلك بل عادوا مذ صباح اليوم الثاني الى العمل وبعد ايّام قلائل اقاموا ادواتٍ اصلب وامتن وحصَّنوها بما لا تفعل فيهِ النار

فرأى اليهود طرائق اخرى لمعاكسة الرومان فانَّهم حفروا تحت الارض اسراباً ليدركوا ادوات المحاصرين من تحتها فيحرقوها واصحابها معها . غير انَّ الرومانَ سمعوا اصوات المعاول والفؤوس فلم ينتظروا مجيء العدوّ بل عمدوا ايضاً الى فتح الأنفاق لمقاتلة اليهود فتلاقى الفريقان تحت الارض وتضاربوا وتقاتلوا حتى الجأ الرومان اخصامهم الى الفرار

ودامت هذه اعمال الحصار الاعداديَّة شهرًا بنيف . وفي ١٣ نيسان اخذت الكبوش تنطح برؤوسها الحديديَّة اسوار المدينة فتخربها حتى فتحت منها ثلمة واسعة في سحر اليوم الرابع عشر فدُقَّت الابواق واندفعت كتائب الرومان كالسيل الجحاف الى حيّ بزيتا فوجدوهُ فارغاً وقد هرب منهُ اليهود فاحتلّوهُ وذلك سبعمائة وخمسين سنة بعد فتحهِ على يد سنحاريب ملك بابل

الّا انَّ الجنود الرومانيَّة لم ترضَ بهذا الفوز الاوَّل وانَّما باشرت في اليوم نفسهِ مساورة الخطّ الثاني وهو سور اكرا ليشتفوا من اعدائهم باقرب وقت ولئلّا يدعوا لليهود وقتاً فيزيدوا مدينتهم تحصيناً

وما مرَّ على ذلك خمسة ايّام حتى فتحت المجانيق ثلماً آخر فتسوَّر الرومان الحائط ودخلوا حيّ اكرا . الّا انَّ اصحابهُ كانوا تمنَّعوا في بيوتهم فجعلوا كلّ دار من أدؤرهم كقلعة فنشبت الحرب بينهم وبين الجنود فكان الرومان يتقدَّمون قدماً قدماً لكثرة ما يلقون في الشوارع من العوائق فاضطرُّوا الى ان ينصبوا في الطرقات الحواجز ويحاصروا البيوت بيتاً بيتاً بينما كان اهل اورشليم يرمونهم بالقذائف ويرجمونهم بالحجارة او يصبُّوا على هامهم الزيت المغلى فكاد الرومان ان يتلفوا لولا انَّ طيطس وضبَّاطهُ كانوا يسندون قواهم ويحرّضونهم بالمواعيد . فاحرق الجنود قسماً من حارات اكرا وتتبَّعوا بالنبال الهاربين من الحريق . ودامت هذه الحرب العوان اربعة ايّام كاملة دون ان يطلب اليهود الامان وهم يؤثرون الموت على الذلّ وعلى رؤية حاضرتهم في حالة الخراب . وبقي الحريق يلتهم المساكن ويُسمع من تحت الردم انين المنازعين واصوات الجرحى ايّاماً طويلة

ففاز الرومان فوزًا ثانياً بفتح حيّ اكرا الّا انَّ انتصارهم هذا ألحق بهم من الخسائر

ما كان بمثابة كسرةٍ اذ سقط من جنودهم عدد لا يُحصى. فلمّا رأى الباقون بازائهم السور الثالث وهو يناطح الجوّ بعلوّهِ وتذكّروا ما نالهم مدّة شهرين من البلوى اوشكوا على القنوط وكادوا ييأسون من فتح المدينة (ستأتي البقيَّة)

شذرات

المناجم المعدنيَّة في الدولة العليَّة — يذكر القرّاء فصلاً كتبناه في ذلك السنة الماضية (المشرق ٥ : ٧٦٩–٧٧٧) واليوم قد وقفنا على قائمة رسميَّة تفيدنا عن عدد هذه المعادن وما يُستثمر منها. قد منح الباب العالي ١٦٩ فرماناً لتعدين المناجم وانَّما يستثمر منها ٨٤ منجماً فقط في جملتها ٢٣ من الخروم (chrôme) و ١٧ من الرصاص المختلط بالفضَّة و ١٢ من السنباذج و ٧ من المنغنيسا و ٦ من النحاس و ٦ من الفحم الحجري و ٣ من الاثمد و ٣ من البورق الخ واغنى الولايات بالمعادن ولاية بروسه فيها الحجارة الكريمة والذهب والرخام باجناسهِ والحُمَر والنحاس والزنجفر وغير ذلك

اطول سلك تليفونيّ — قد تمّ آخرًا اطول سلك تليفونيّ وهو السلك الممتدّ بين رومية وباريس طولهُ ١٥٩٣ كيلومترًا. ويأتي بعدهُ سلك برلين الى باريس يبلغ طولهُ ١١١٨ كيلومترًا

وقاية آنية الحديد من الصدإ — اذا اردت ان تقي الآنية الحديديَّة من الصدإ فادهنها بزيت كتّان ثم اجعلها على النار في الهواء — ويجوز ان تُغمس في مزيج من كلورور الحديد ثم تُجعل في الماء الحارّ وبعد تجفيفها تُمسح بشمع او بزيت كتّان — ومنهم من يغمسها مدَّةً في مزيج من الزاج الازرق ثم في هيبوسلفات الصودا ممزوجاً بالحامض الكلوردريك فيغشاها طلاء ازرق واسود لا يعمل فيهِ الهواء ولا الماء

معامل الورق — تبلغ معامل الورق في العالم ٣٠٨٥ معملاً تصدر في السنة ١,٤٥٠,٠٠٠,٠٠٠ كيلوغرام من الورق ينفق منها اكثر من الربع (٣٨٥,٠٠٠,٠٠٠) في طبع الجرائد اعني ١١٠,٠٠٠,٠٠٠ بالزيادة عمّا كان ينفق

قبل عشر سنوات. والانكليز يسبقون الامم كلها في كثرة استعمال الورق ويليهم الاميركان ثم الالمان ثم الفرنسيون

الجمعيَّة الفلسطينيَّة الروسيَّة قرأنا في مجلة بساريون (١٩٠٣ ص ٤٤١) جدول اعمال الجمعيَّة الروسيَّة في فلسطين فاحببنا نقلها للقرَّاء. تتركَّب هذه الجمعيَّة من ٥١١٦ عضوًا يُقسمون الى ٤٣ دائرة. ومن اعمال الجمعيَّة نقل الزوَّار مجَّانًا من روسيَّة الى الاراضي المقدَّسة وقد بلغ عددهم في السنة المنصرمة ٩٢٧٩ زائرًا. وللجمعيَّة مستشفيات في اورشليم وبيت جالا والناصرة ودمشق لكلّها اطبَّاء عادوا نحو ١٠٠,٠٠٠ مريض. ولها ايضًا مآوٍ للغرباء وقد باشرت في اورشليم ابتناء منزل يأوي اليهِ ١,٢٠٠ زائر. وكذلك في حيفاء اخذت في تشييد مأوى عظيم لزوَّار بلاد الجليل يُدعى باسم سيبرنسكي الذي يقوم بنفقاتهِ. ومن اعمال الجمعيَّة الفلسطينيَّة ٦٧ مدرسة اربع منها في اليهوديَّة و١٨ في الجليل والباقي في سوريَّة ولبنان يدرس فيها نيّف و ١٠,٠٠٠ ولد يُنفق على كل طالب معدَّلًا عشرون روبلًا. وللجمعيَّة ارزاق تثمَّن بنحو ١,٧٦٤,٠٠٠ روبل. واوَّل اعضائها الشرَفيين غبطة السيِّد ملاطيوس بطريرك الروم الارثذكس على انطاكية

حلّ مشكل كتابيّ جاء في سفر الخروج (٥ : ٥) انَّ فرعون امر مسخري بني اسرائيل ألّا يعطوا لشعب اسرائيل تبنًا ليصنعوا اللّبن للبناء بل يدعونهم يذهبون هم ويجمعون لهم التبن لذلك » . فاستغرب احد العلماء اسمهُ اكسون (Acheson) هذا الامر واحبَّ ان يعرف ما هو مفعول التبن في اللبن وما هو الداعي لاستعمالهِ في جَبلهِ فاخذ كمّيَّة من التبن واغلاهُ في الماء زمنًا طويلًا فاذا الماء صار احمر غامقًا فجبل الطين بهذا الماء فتحقَّق انَّ اللبن يزيد مرونةً ولزوجةً بحيث يَصلح لعدَّة امور صناعيَّة لا يصلح لهُ لولا ذلك. فحلّل الماء المحمرّ بعد الغليان فاذا بالعامل في ذلك هو المادَّة الدِبغيَّة (tanin) الداخلة في تركيب التبن. وبعد الاختبارات الجمَّة استدلَّ على انَّ الدبغ المذكور يزيد اللبن صلابة بنحو الخمسين في المئة اذا أُنضج اللبن في النار ونحو ٣٥ في المئة اذا جُفّف في الشمس. وهذا الاكتشاف ممَّا يبيّن انَّ القدماء كانوا يعرفون عدَّة أشياء لا يزال المحدثون يجهلونها

الدكتور شيل ذكر المقتطف في عددهِ الخامس من السنة

الجارية (ص ٣٦١) الدكتور شيل وتفسيرهُ لشرائع حمورابي المكتشفة حديثاً في خرائب السوس (شوشن). وليس الدكتور شيل المذكور سوى حضرة الفاضل والعلاّمة الأثريّ الجليل الاب شيل الدومنيكيّ الذي اجتاز في بيروت في غرَّة الشهر الجاري وهو عائد من شوشن بعد ان اكتشف مع المسيو دي مورغان على آثار نفيسة يرتقي بعضها الى نحو خمسة آلاف سنة قبل المسيح. وقد انتدبت الحكومة الفرنسويَّة الاب شيل الى تدريس اللغة البابليَّة في مكتبها العلمي واثابتهُ على خدماتهِ المتعدّدة للعلم بوسام جوقة الشرف

❊ الله والعلم ❊ سرَّنا ان المقتطف اثبت في عددهِ السادس من السنة الحاليَّة (ص ٥٣٢) خطابًا «للورد كلفن اكبر علماء الانكليز حاضرًا» صرَّح فيهِ «ان العلم الصحيح يقضي بوجود الخالق ويضطرُّنا الى الايمان والثقة بقوَّة مدبّرة بفاعلٍ وراء القوى الطبيعيَّة والكهربائيَّة... وانَّ من لا يؤمن ايمانًا علميًّا راسخًا بوجود الخالق يضطرّ ان يؤمن بان الجواهر تجتمع من نفسها بالصدفة... مع استحالة ذلك» وختم خطابهُ بقولهِ: «انَّ من يُعمل فكرتهُ مليًّا يضطرُّهُ علمهُ الى الايمان بالله وهذا الايمان هو اساس الدين فيجد العلم عونًا للدين». وهذه لعمري شهادة جميلة على ما قرَّرناهُ مرارًا في المشرق ردًّا على المقتطف نفسهِ وعلى الهلال وغيرهما فبيَّنَّا انَّ الدين والعلم اخوان ليس مناقضة بينهما البتَّة كما يزعم الزاعمون

مطبوعات شرقية جديدة

بحث
في المردة والجراجمة

قد تعدّدت المقالات منذ يوم كتب المشرق في اثناء ابحاثهِ عن آثار لبنان فصولًا في المردة والجراجمة فجاراهُ قوم من كتبة الموارنة الافاضل وخاضوا هذا البحث البعض لهُ والبعض عليهِ. وممَّا كُتب من هذا القبيل كرَّاسة حديثة لم يُذكر اسم مؤلفها تحت عنوان «بحث في المردة والجراجمة والموارنة» فاطّلعنا عليها بتروٍّ وراعنا ما اظهرهُ صاحبها من دقَّة النظر في انتقاد ما كتبهُ حضرة الابوين ه. لامنس والعلاّمة انستاس

الكرملي· والمؤلف حفظــهُ الله يجري في بحثهِ مجرى العلماء من حيث آداب المناقشة وحسن الظنّ براي غيرهِ وطاب الحقّ ما يزيد القرّاء ثقةً بقولهِ· فنثني الثناء الطيّب على همّة الكاتب البارع وسعة علمــهِ رغماً عمّا بين الكاتبين وبينهُ من الاختلاف في الآراء عن الجراجمة وعن احتلال الموارنة في كسروان قبل القرن الخامس عشر اللهمَّ الّا مسألة الموارنة والمردة فانَّ حضرتهُ يتّفق مع حضرة الاب لامنس على التمييز بين الأمّتين ولولا نفورنا من تكرار البحث في هذه المسائل الجداليّــة لأبدينا الرأي في بعض حجج المؤلف وأدلّتهِ

Etudes sur les origines du christianisme

par l'abbé P. Poey, *Desclée et de Brouwer*, *Paris*, XI-640 pp.

ابحاث في اصول النصرانية

قد تكاثرت التآليف التي وضعهــا العلماء في اصول النصرانيَّة حتى بلغ مجموعها المئات بيد انَّ الطلبة لا يستطيعون مراجعة المصنَّفات المطوَّلة فلا ندحة لهم من كتاب مدرسيّ يجدون فيهِ خلاصة مكتشفات العلماء من هذا القبيل على اسلوب سهل وطريقة بيّنة يمكنهم الرجوع اليهِ في معضلاتهم. وهذا ما ارادهُ الابيل «پوِه» بوضعهِ هذا الكتاب وقد ضمَّنهُ جلَّ الابحاث التي يحتاج اليها الدارسون لمعرفة اصول النصرانيَّة كبيان انتشار النصرانيَّة على عهد الرسل وخلفائهم وتعريف نظام الكنيسة وآدابها وكتبتها مع وصف عادات النصارى الاوَّلين في دينهم ودنياهم وعيشتهم الخاصَّة ومعاملاتهم مع الوثنيين فضلًا عمَّا بقي الى يومنا من آثارهم في دياميس رومية والمخطوطات القديمــة وكتابات الوثنيين انفسهم· هذا ونثني على حسن تقسيم الكتاب وسلاسة انشائهِ· مع انَّنا نقرّ ان في اثنائهِ اموراً لا يسلّم بها العلماء كقولهِ مثلًا (ص ٣٩) ان قائد المئة قرنيليوس الذي عمَّدهُ القديس بطرس كان من أُسرة «كرنيليا» الشريفة· وكذلك وجدنا اغلاطاً عديدة في النصوص اليونانيَّة التي اثبتها في ذيل الكتاب الاب پترس

١ ابدالونيم ملك صيدون — رواية ذات خمسة فصول

٢ لويس دي غونزاغا — رواية تاريخيَّة شعريَّة

للاديب الفاضل يوسف شبلي ابي سليمان مدرّس البيان في كليَّة القديس يوسف

هما روايتان نفيستان يحسن تمثيلهما في مدارس الاحداث· والاولى منهما تاريخيَّة

نثريّة يتخلّلها شعر اقترحها على كاتبها احد الآباء اليسوعيين فمثّلت لأوّل مرّة في كليّة القديس يوسف بنجاح عظيم قبل سنتين ومدارها على تنصيب الاسكندر للملك شرعي على صيدون وهو ابدالونيم الذي كان نُزِع عنهُ حقُّ الملك بكيد الاشرار فتعاطى مهنة الفلاحة — امّا الرواية الثانية فتمثِّل احد اشراف ايطالية الذي آثر آخرتهُ على دنياه فنبذ الجاه العالميّ حبًّا بهِ تعالى. وفي كلتا الروايتين من العواطف الشريفة والشواعر السامية ما يزرع في قلوب الاحداث بذور الفضائل الدينيّة والمدنيّة معاً كخدمتهِ تعالى والوفاء للسلطان وايثار العدل والاستقامة مع تنزّههما عن كل كلمة تثلم الآداب او تخدش الآذان ل. ش

اسئلة واجوبة

س سئلنا من حمص ١ً لايّ سبب لا يتّفق يوم البدر المذكور في السنكسار الروماني مع يوم البدر الحقيقي. ٢ً كيف جرى انّ الكاثوليك عيّدوا الفصح هذه السنة مع اليهود والمجمع النيقويّ قد حرَّم ذلك

اتّفاق البدر الكنسي والبدر الحقيقيّ — عيد الفصح مع اليهود

ج نجيب على الاوّل انّ البدر الكنسيّ يختلف عن البدر الفلكيّ. فانّ البدر الفلكيّ يبتدئ دائمًا في عهد قران الشمس والبدر اعني عند وقوعهما من جهة الارض فيكونان على طول واحد. امّا البدر الكنسي فيبتدئ عند ظهور البدر للعيان وذلك نحو يومين بعد تاريخ البدر الفلكيّ والغاية منهُ تنظيم البدور لانّ البدر الفلكيّ لا يوافق عددًا تامًّا من الايام — ونجيب على الثاني انّ المجمع النيقوي حرَّم امرين اوّلا « ان يعيَّد الفصح مع اليهود قبل تساوي الليل مع النهار الربيعي » وثانيا « تعييد الفصح مع اليهود في اليوم الرابع عشر من الشهر في ايّ يوم اتّفق » والكنيسة الغربيّة تحيد عن كلا الامرين اذ تعيد عيد الفصح في الاحد بعد البدر الاوّل الواقع بعد الاعتدال الربيعي. بخلاف اصحاب التاريخ الشرقيّ الذين يعيّدون في بعض السنين بعد البدر الثاني من الاعتدال الربيعي. امّا توافق عيد الفصح في بعض السنين مع عيد اليهود فهو امر يجري على الحسابين الشرقيّ والغربيّ وقد شرح سببهُ الاب كولنجت في مقالة مطوّلة كتبها في المشرق. (٣:٣٢٦ و ٣٤٤) ل. ش

وفاة قداسة البابا

ايّتها النفس أجملي جزعا   انّ الذي تحذرينَ قد وقعا

لقد انتابنا وانّا لله الخطبُ الجسيم الذي كنّا نخشاهُ منذ ايّام متردّدين بين عاملي الرجاء والخوف فرُمينا بسهمهِ وكان السهم مصيبًا

مات لاون الثالث عشر

اعتاد النـاس اذا ما فُجعوا ببعض الاحباب او رزئوا بأعلام الوطن وكبار الرجال ان يعظّموا المصاب ويسترسلوا في صفات الفقيد ويفيضوا في ما اورث القلوب من الحسرات . ونحن في النكبة التي ألّمت بنا اليوم لفي غنًى عن ذلك فانّ في هاتين اللفظتين « مات لاون » ما يقوم مقام المراثي المطوّلة والاوصاف المسهبة

مات لاون ! وبموتهِ فقدت الكنيسة رأسها المنظور الذي ينوب لديها مناب السيّد المسيح ابن الله الحيّ فكان عميدها وسندها

يذبُّ عن حقوقها ويناضل عن حوزتها بازاء الملوك والقوَّات البشريَّة

مات لاون ! وبموتهِ خلا كرسيّ بطرس هامة الرسل الذي كان هو خلفه الثالث والستين بعد المائتين فجلس على عرشهِ بمجد باهر مدَّة نيف وربع قرن فشرَّف مقامه بفضائلهِ السامية واعمالهِ الممتازة ومآثرهِ العميمة

مات لاون ! وبموتهِ خسرت البابويَّة احد رجالها العظام وقلَّ ما ظهر مثلهُ في فلك البيعة الكاثوليكية . فكان احسن ختام لعصر دُعي بعصر النور وايمن فاتحة لقرن جديد

مات لاون ! وبموتهِ أُصيب الثلثمائة الف الف من المؤمنين المتبدّدين في اقاصي المعمور بأبٍ عرفوا حنوَّهُ واختبروا الطافهُ بادلّة لا يفي بها احصاء . كان واسطة قلادتهم وعروتهم الوثقى الجامعة لكلمتهم ومنارهم اللامع الذي يستضيئون بهِ في انواء هذا العالم وظلماتهِ

مات لاون ! وكان موتهُ رزءًا صُدع بهِ مفرق ملوك الارض وكانوا يجلُّونهُ جميعًا على اختلاف مذاهبهم ونِحَلهم ويوفدون اليهِ الوفود ويتواردون الى بلاطهِ ويفتخرون بصداقتهِ ويرونهُ مع ضعف قوَّتهِ الماديّة اعظم قوَّة ادبية تُعرَف في البسيطة كلها

مات لاون ! وثُلم بموتهِ رُكن الهيئة الاجتماعية التي عزَّز دعائمها برسائلهِ العجيبة وأيَّد نظامها الأُلفي وتصدَّى لكلّ من

حاول بتعاليمه الفاسدة ان ينقض اساسها المتين

مات لاون ! وادركت بموتهِ ضربةٌ اليمة العلومَ والآداب بعد ان احيا معالمها ونشر انوارها الساطعــة فلم يدعْ علمًا الّا ودعا الى دراستهِ بانشاء المكاتب العليــا والجمعيَّات العلميَّة والمعاهد الفنيَّة بحيث جارى سلفَهُ وسميَّهُ لاون العاشر واستحقَّ مثلهُ ان يُدعى بمعزّز الآداب وابي المعارف

مات لاون ! وافقدنا موتهُ نحن الشرقيين حبرًا كبيرًا وعاَمًا شهيرًا لم يألُ جهدَهُ في رفع منار الكنائس الشرقيَّة وإعادتها الى بهائها القديم فعرف لهُ الشرقيُّون جميل صنائعهِ ودعوهُ شكرًا منهم « بابا الشرق » فلا بدع اذا عدُّوا فقدهُ اليوم كاعظم نائبةٍ ألَّمت بهم فاستنزفت دموع عيونهم

*

مات لاون ! لكنهُ في موتهِ هو اعظم منهُ في حياتهِ . هو الشيخ الذي مُني بضروب النكبات مدَّة خمس وعشرين سنة وغالتهُ اغوال الزمن فتلقَّاها وهو رابط الجــأش دون أن تصرعهُ الشدائد او تضعضعهُ حوادث الدهر . وكان من آخر اقوالهِ التي تلفَّظ بها انهُ يريد ان يموت واقفًا كأني بهِ البطل الشجاع يتاقَّى الموت بيسالة ليريَهُ انهُ اشدَّ منهُ قوَّةً واعظَم نفسًا . ومصداقًا لهذا القول كان وهو على عتبة باب ابديّته ينظم الاشعار الاخيرة مستغيثًا

بالفادي وملتجئًا الى العذراء الطاهرة ومقرئًا الوداع لابنائهِ المسيحيين

مات لاون ! لكنهُ ذهب محفوفًا بالشرف والعزّ في ختام سنة يوبيلهِ الفضيّ الذي كان كانتصار عظيم لهُ وللدين الذي كان هو إمامهُ بعد أن رأى في بلاط الواتيكان ماكيْ دولتين فخيمتين غير كاثوليكيَّتين اديا لهُ كلّ شارات التجلّة والاكرام فضلًا عمَّا وردهُ من رئيس الولايات المتَّحدة وبقيَّة الدُّول من آيات الولاء والاحترام . وما شعر قداستهُ بمرضهِ الاخير حتى تواردت الرسائل البرقيَّة من كل خوافق العالم تستفحص عن صحتهِ الثمينة وقد بلغت هذه الرسائل ١٢٠٠٠ في اليوم

مات لاون ! لكن الموت لم يدركهُ كما قال في خطابهِ الاخير للفيف الكرادلة الَّا بعد ان اتمَّ المهمَّة التي عهد الله بها اليهِ . وترى ماذا كانت هذه المهمَّة ؟ اشرف المهمَّات واعظمها . وطَّد اركان الكنيسة بجمع كلمتها . ردَّ قلوب البنين الى ابيهم . وسَّع حظيرة المسيح فادخل فيها اممًا جديدة حتى زاد عدد المؤمنين في عهدهِ نحوًا من سبعة آلاف الف . جعل البابويَّة في مقام رفيع فاضطرَّ الامم جمعاء ان ترنو اليها بالحاظها وتعظِّم رتبتها في العالم . جذب الى سجنهِ ملوك الارض وسلاطينها فاقرُّوا لهُ بالسَّبق واعترفوا لهُ بالسيادة . وفي الاجمال حقَّق شعارهُ الذي خُصَّ بهِ فكان نورًا ساطعًا استضاءت بانوارهِ اقطار المسكونة فهداها الى سُبل الامن والخلاص . فلا غرو أن

ردَّد عند وفاتهِ كلمة مخلصهِ السيد المسيح على صليبهِ : ها هوذا قد تمَّ

فادخل أيُّها العبد الامين فرح سيدك . وبين يديك العشر الوزنات التي ربحتها في متاجرتك الصالحة

اذهب بثقةٍ وسلام الى ابديَّتك حيث يستقبلك الفادي الذي مجَّدتَ اسمهُ على رؤُوس الاشهاد واثبتَّ ملكهُ السامي على العالمين وكرَّست لقلبهِ المجيد قلوب البشر كلها . ترحّب بك العذراء التي نشرتَ عبادتها وكتبت عن ورديَّتها تلك الكتابات البليغة المُعربة عن تُقاك البنويّ . يتلقَّاك جمهور اولياء الله الذين نظمتهم في سلك القديسين ولفيف معلّمي الكنيسة الذين احييتَ اسماءهم الشريفة وناديتَ بفضلهم

اذهب ولا تدع الكنيسة التي قُلّدت تدبيرها زمنًا طويلًا مترمّلةً دون قائد يضبط زمام امرها . نَلْ لها من مراحم العليّ أن تُعطى راعيًا صالحًا يقفو آثارك ويكون على مثالك نورًا للامم ومجدًا لشعب اسرائيل

اقبل سلامًا اخيرًا من بنيك أيا راعي الرعاة وحبرَ الله لاوونُ
لئن نأيتَ عن الابصار مرتحلًا فانَّ حبَّك في الاحشاء مكنونُ



السّلَف والخَلَف

للاب لويس شيخو اليسوعي

كلُّ الالسنة تلهج هذه الأيَّام بموت الحبر الاعظم وبانتخاب خلفهِ الذي يجلس من بعدهِ على كرسيّ هامة الرسل. فرأينا ان نلخص في هذه النبذة العادات الجارية في رومية عند وفاة البابا وعند تنصيب خلفهِ ليكون القرَّاء على بصيرةٍ ولا يصدّقوا اخباراً كثيرة يشيّعها من ليس لهم دراية باحوال الكرسي الرسوليّ فنقول:

اذا ما قرب اجل امام الاحبار تُقام الادعية الحارَّة في كلّ كنائس رومية بامر نائب قداستهِ ويُعرَض القربان الاقدس لصيانة حياتهِ الثمينة. ثم يجتمع الكرادلة وكبار عمَّال البلاط الرسولي والحشم الخاصّ في قاعة المريض وفي خلال ذلك يساعدهُ في تطهير نفســهِ بسرّ الاعتراف معلم ذمّتهِ ويقف بجانبــهِ الكردينال الموكول اليــهِ حلّ العقابات الكنسيَّة (grand - pénitencier) ثمَّ يأتيهِ أُسقف مَوْفهــه (évêque-sacriste) بالقربان الطاهر ليزوّدهُ بهِ لآخرتهِ ويَمسحهُ المسحة الاخيرة. وبعد ذلك يتلو بين ايدي الحضور قانون الايمان الذي فرض بهِ المجمعان التريدنتيني والڤاتيكاني ويُحِلّ الحلَّة الاخيرة ويُمنَح الغفران العظيم المعطى للموشكين على الموت. وكذلك يشركهُ كبار رؤساء الرهبانيَّات بغفارين جمعيَّاتهم المخصوصة بهم

واذا امكن الاب الأقدس ان يوجّه الى الحضور بخطاب وجيز فعــل فيوصيهم بوصاياهُ الاخيرة كما صنع المسيح ليلة موتهِ ويزوّدهم ببركتهِ الرسوليَّة وربَّما عرَّفهم مضمون وصيَّتهِ السرّيَّة ودلَّ على المكان الذي اختارهُ لدفنهِ. وتُختَم هذه الحفلة المؤثرة بتلاوة الصلوات المفروضة قبل الوفاة وقراءة فصول من آلام المسيح

واذا دخل البابا في النزاع جثا الحضور عند فراشهِ واقاموا الادعيــة على نيَّتهِ بينما يجتمع الرهبان المأذونون بحلّ المحفوظات (pénitenciers) ويتلون سبعة مزامير التوبة. وهؤلاء من الرهبنة الفرنسيسيَّة وهم اثنا عشر واليهم عهد البابا اقليميس الرابع عشر حلّ الخطايا المحفوظة للحبر الاعظم في كنيسة مار بطرس. واذا توفي البــابا يقومون بتجهيز جثَّتهِ ويتناوبون عندها بالصلاة

وعند ما يلبّي البابا داعي بارئهِ يبلّغ كاتب دولتهِ بالخبر رسمياً الى الكردينال الحكمدار (camerlingue) الذي يقوم مقام الحبر الاعظم بكل مهمّات الامور الى يوم تعيين خلفٍ للمتوفّى. ورتبة الحكمدار من اعظم المراتب يخوّلها البابا نفسهُ لاحد كرادلتهِ بان يمنحهُ امام كلّ اهل بلاطهِ مخصرةً في اعلى طرفها تفّاحتان من ذهب تدلّ على سلطتهِ وهذا الكردينال يقدمها لاحد السادة الحاضرين فيجعلهُ نائباً عنهُ (vice - camerlingue) وللحكمدار بعد وفاة البابا الحق بتدبير الامور وجمع المجامع الكردينالية ونظارة الاوقاف والمالية ولهُ ان يضرب السكّة باسمهِ مع الدلالة على رتبتهِ ويتقدمهُ الحرس السويسري في خروجه ودخولهِ ويقدّم لهُ الاكرام من سجود وسلام كما يقدَّم للبابا نفسهِ طول فروغ الكرسي الرسولي الّا انهُ لا يستطيع ان يغيّر شيئاً في هيئة الدولة او يتعهَّد باسم البابا عهداً ما وكان لاون الثالث عشر حكمداراً لبيوس التاسع . امَّا الحكمدار الحاليّ فهو الكردينال لويجي اوريليا دي سان ستيفانو

فاذا أُنبئ الكردينال الكمرلنغ بوفاة الحبر الاعظم سار من وقتهِ الى البلاط البابويّ فجلس فيهِ كانهُ ربُّ البيت واخذ في مباشرة مهنتهِ فيعيّن اولًا احد الحجّاب البابويين ليصون غرفة الاب الأقدس ويسجّل كل ما تتضمّنهُ. ثمَّ يلبس لبس الحداد وهو الثوب البنفسجيّ البَحت فيسير الى حجرة الميت يتقدّمهُ القهرمان وبعض الخواصّ فبعد صلاة وجيزة على وسادة بنفسجيَّة يتقدَّم من الميت ليتثبَّت موتهُ فيضرب جبينهُ ضرباً خفيفاً بمطرقةٍ من فضة ثلاثاً وهو يدعوهُ باسم عمادهِ فاذا انتهى من ذلك اعلن بموتهِ قائلًا: « انَّ البابا قد مات حقّاً » ثم يتلو مع الحضور المزمور « من الاعماق » وصلاة الموتى ثم يرش الجثة بالماء المصلّى

فحينئذٍ ينتزع حاجبُ البابا من اصبع الميت خاتمهُ المعروف بخاتم الصيّاد ويسلّمهُ للحكمدار موذناً بذلك انَّ في يدهِ صارت سلطة الكنيسة موقّتاً. وهذا الخاتم يمثّل صورة القديس بطرس في سفينةٍ وعليهِ اسم البابا وبهِ يختم البراءات المكتوبة على الرقّ. وفي اوَّل مجمع يجتمع فيهِ الكرادلة يُكسر هذا الخاتم مع الخواتم الاخرى التي فيها اسم البابا المتوفّى دلالةً على فروغ الكرسي البابويّ

ثم يكتب احد الكتّاب قراراً يدوّن فيهِ صحّة موت البابا وتسليم الخاتم الى يد حكمدارهِ . ويخرج الحكمدار لينشر رسمياً خبر الوفاة. وكان اوَّل من يعلمهُ بذلك

لمَّا كانت رومية في حكم البابا رئيسَ البلدة فيدقّ ناقوسُ الكبيتول الكبير دقَّة الحزن فتجيبهُ نواقيس المدينة كلها . لكنَّ الآنَ يُعلن الامر بورقة ممضاة بختم الكردينال النائب تُنشر على ابواب الكنائس ويبتدئ ناقوس كنيسة مار بطرس بالدقّ الحزن

وكان السعاة يسيرون للحال ناقلين لكل الانحاء رسائل خاصَّة تنعي الى الكرادلة المتفرّقين موت عميدهم وتدعوهم الى انتخاب خلفهِ . واليوم صار التلغراف يقوم مقام السُّعاة والبريد الّا في الامور السرّيَّة فانها تُكتب برسائل مختومة ومضمونة بالتعهُّد . امَّا الدُّول فان كاتب سرّ البابا يوفد الى معتمديها في رومية كتباً رسميَّة يفيدهم بها مصاب الكنيسة ويعلمهم انَّ مهنتهُ تبطل مذ ذاك اليوم فلا يعود لهُ سلطة مطلقاً حتى انتصاب بابا جديد . ويلبس كل الكرادلة وحاشية الفقيد الحداد الى يوم دفن البابا . وكذلك اساقفة العالم الكاثوليكيّ اذا بلغهم منعى ابي المؤمنين يلبسون السواد ويفرضون بالصلوات على نفس المرحوم و باقامة جناز حافل

وفي اثناء ذلك يُجهّز الرهبان الفرنسيسيُّون مأذونو كنيسة القديس بطرس جثَّة الحبر الاعظم ويعرضونها على دكَّة مرتفعة تنصب في رواق الغرفة البابويَّة والميت مضجع بالثياب البابويَّة فوق فراشٍ مغطًى بحرير احمر وعلى طرفيهِ شمعدانان كبيران تسطع انوارهما . وعند مدخل الرواق حرسان من الحرس الشرفيّ واقفان وبايديهما سيفٌ مُشهَر طرفهُ الى الارض . ويبقى الجسم معروضاً عدَّة ساعات والرهبان على جانبيهِ يتلون فرض الموتى باصوات شجيَّة

وفي الليلة التالية يتولَّى الاطبَّاء تحنيط الجسم . فالاجزاء الداخليَّة منهُ بعد نزعها وغسلها تُودع في اناء من الرخام الابيض وتُنقل في عربة بين المشاعل الى كنيسة الشهيدين ڤنسان وانستاس حيث تُجعل في مدفن خاصّ ابتناهُ البابا بندكتس الرابع عشر بعد تلاوة صلوات الجنَّاز . هذا اذا مات البابا في بلاط الكورينال امَّا اذا كانت وفاتهُ في قصر الڤاتيكان فانَّ احشاءهُ تجعل في دهليز كنيسة مار بطرس

وبعد تحنيط الجسم يُعرض لاوَّل مرَّة لاكرام الجمهور مدَّة اربع وعشرين ساعة بالثياب العاديَّة اعني المدرعة والمنطقة البيضاويتين الحريريَّتين والكتُّونة البيضاء المطرَّزة بالتخاريم فوقها رداء قصير من الحرير الاحمر المحشَّى بجلد القاقم الابيض وعلى رأسهِ كمَّة من المخمل الاحمر على دائرتها جلد القاقم ويحذَّى بالاحذية الحمر

ثم تُنقل الجثة بكل اكرام الى المعبد السكستي. وكان هذا الموكب حافلًا خطيرًا اذا مات الحبر الاعظم في بلاط الكويرينال. فانَّهُ كان يوشَّح بثيابهِ الحبريَّة ويحمل على سُدَّة فخيمة فتُقلهُ ليلًا عجلتهُ الملوكية مكشوفًا تتقدَّمهُ فرق الجند ببزَزها المختلفة الرائقة منكِّسين الاسلحة والرايات يليهم الحرس الشرفي والحرس السويسريّ ورجال الدولة كلهم بشارات الحداد تضيئهم في طريقهم المشاعل والنفَّاطات وكان ينتهي الموكب بسبعة مدافع تُسيَّر من ورائهِ. وكان في خلال ذلك يدقُّ النفير وتُعزف المعازف الشجيَّة وتُسمع نواقيس رومية دقَّاتها المحزنة حتى يبلغ الحفل تمثال قسطنطين في ساحة الفاتيكان عند الدرج الملكيّ فكان الجسم ينزَّل هناك ويُحمل من ثمَّ على الاكتاف الى المعبد السكستي. وكان هذا المنظر مهيبًا جدًّا لا يُرى لهُ شبيه في سائر المعمور

وفي المعبد السكستيّ يُلبس الجسم اللابس المقدَّسة التي يلبسها البابا عند تقدمة الذبيحة الالهيَّة من بدلة ودرع الرئاسة وتاج وصليب وغير ذلك ثم يُعرَض هنـاك الى صباح اليوم الثالث وقومٌ من رجال الدين يحيون الليل عندهُ في الصلاة وتلاوة المزامير

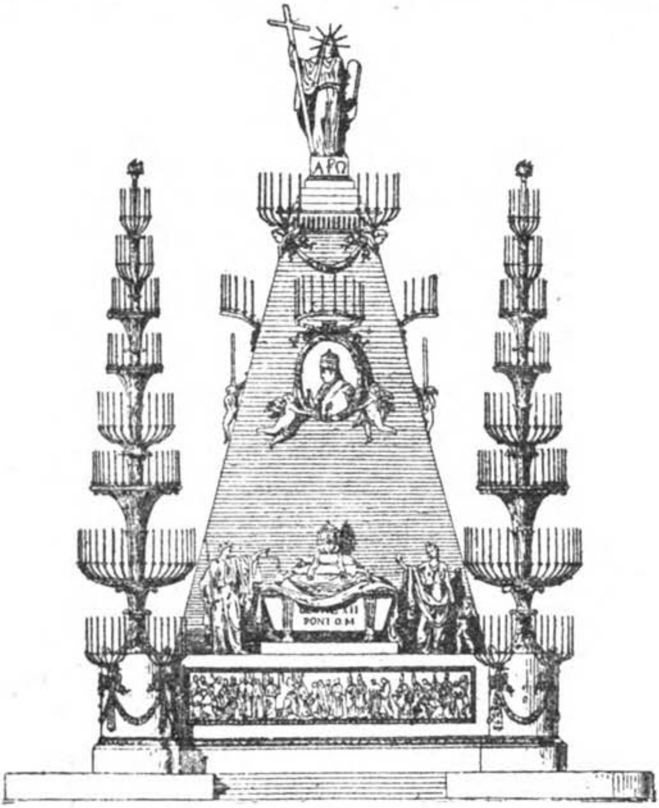
وفي ضُحى النهـار بعد جناز حافل يقوم بهِ متولُّو رعاية كنيسة القديس بطرس ينقل القانونيُّون جثَّة الحبر الاعظم من المعبد السكستي الى معبد القربان الأقدس داخل كنيسة مار بطرس بكلّ ابهَة مجتازين بردهات البلاط البابوي الواسعـة ويحضر الكرادلة هذه الحفلة ويجهرون بالصلوات والاناشيد الكنسيَّة.

وعند بلوغ الموكب الى كنيسة القديس بطرس يسير الجمع بنظـام وخشوع الى معبد القربان الأقدس ولهذا المعبد شعريَّة كبيرة من حديد فتقفل الشعريَّة لئلَّا يزدحم جمهور المؤمنين على جثَّة الاب الأقدس لكنَّ هذه الجثة تُصعد من وراء الشعريَّة على سُدَّة عالية بحيث تُرى من صحن الكنيسة من بعيد الَّا انَّ قدمي البـابا الطاهرتين تنفذان الى خارج الشعريَّة ليتمكَّن من لثمهما الزوَّار المتواردون الوفًا مؤلفةً

وهناك يُحتفل بجنَّاز ثانٍ يتولَّاهُ اقدم الكرادلة سنًّا. ثم يبقى الجسم معروضًا ثلاثة ايَّام لاكرام المؤمنين وحولهُ اثنا عشر شمعدانًا كبيرًا ويحرس الجسد اربعة من الحرس الشرفيّ اثنان منهما عند الراس واثنان عند القدمين. ويتناوب الاكليروس في الصلوات وتلاوة فرض الموتى

وفي غد ذلك اليوم وهو الرابع بعد وفاة البابا تبتدئ تساعيَّة لراحة نفس المتوفَّى.

وهذه التساعيَّة تُعقد كلَّ يوم مدَّة تسعة ايَّام فتُقام الحفلات المحزنة وتقدَّم الذبيحة الطاهرة برونق عظيم وتُختم بجنَّاز حافل. ويتولَّى هذه الحفلات قانونيُّو كنيسة القديس بطرس الَّا الثلاثة الايَّام الاخيرة منها فتكون احفل واعظم شأناً يقوم بها مجمع الكرادلة. ويشيَّد لذلك عادةً في كنيسة القديس بطرس نعشٌ صناعي وهو عبارة عن بناية جميلة تُجعل عليها شارات الحزن وصورة المتوفَّى مع شعارهِ وتُنصب حولها الاشباح والتماثيل مع نقوش بهيَّة رمزيَّة تدلُّ على اعمال الفقيد وتُضاء حولها الوف من الشمع



مثال الضريح الصناعيّ المُقام لذكر البابا لاون الثاني عشر سنة ١٨٢٩

ورُتب التساعيَّة تُقام عند هذا الضريح الصناعيّ في صحن كنيسة القديس بطرس ما لم تقضِ الظروف باقامتها في معبد آخر كما جرى لبيوس التاسع فانَّ الكرادلة اقاموا رُتب الثلاثة الأيَّام الاخيرة في المعبد السكستيّ

وفي اليوم الثالث من الرتب التساعيَّة يُدفن جسم البابا دفناً موقَّتاً في احد جدران كنيسة القديس بطرس. وهي حفلة مؤثرة لا يحضرها سوى الكرادلة وحاشية البابا المتوفَّى وحجَّابهُ مع قانونيّي كنيسة القديس بطرس في نحو مائة شخص

وهذه الحفلة تتمُّ عند المساء بعد ان تُقفل ابواب الكنيسة فلا يستضاء فيها الَّا بالمشاعل. فيخرج من الموقف موكبُ القانونيين وهم ينشدون المزمور « ارحمني يا الله » فيسيرون اثنين اثنين الى معبد القربان الأقدس حيث ينتظرهم الكرادلة وفي ايديهم الشمع الموقدة. فاذا بلغوا الى نعش البابا رفعوهُ على اكتافهم وطافوا بهِ منتظمين في صحن تلك الكنيسة العظمى يترنَّمون بصلوات الكنيسة الخاشعة فيمرُّون عند تمثال القديس بطرس ثم قريباً من قبرهِ المجيد الى ان يبلغوا معبد القانونيين فهناك يترنَّم المرتّلون بصلاة الدفن « الى الملكوت ». ثم يتقدَّم اكبر القانونيين رتبةً وهو لابس الثياب الحبريَّة فيبارك ثلاثة توابيت معدودةً هناك ثمَّ يرش بالماء المصلَّى جسم الميت ويبخرهُ. ثم تتلى بعض المزامير مع صلوات الجنَّاز

وعند ختامها يمسك القانونيُّون والحرس الشرفيّ اربعة اطراف كفن ثمين من القطيفة وُضع فوقهُ جسد الحبر الاعظم ويجعلونهُ بكل ثيابهِ الحبريَّة في التابوت الأوَّل وهو من خشب الارز. ثم يضع القهرمان في هذا التابوت ثلاثة اكياس فيها نقود من ذهب ومن فضَّة ومن شَبَه عليها صورة الفقيد على عدد سني ملكهِ. ويضع من بعدهِ اوَّل كردينال اقامهُ البابا المتوفَّى اسطوانةً من المعدن تتضمَّن رقاً من الغزال كُتبت فيهِ خلاصة اعمال المرحوم ويجعلها عند قدميهِ



التَّاووس الموقَّت الذي يجمل فيهِ تابوت الاحبار المتوفَّين

ثم يتقدَّم احد الكرادلة من قرابة الاب الأقدس او قهرمانهُ فيغطّي وجههُ ويديهِ بمنديلٍ من الحرير الابيض. وهي رتبة مؤثرة يُسمع في اثنائها عويل الحاضرين الذين لا يعودون ينظرون الى وجه عميدهم وسيّدهم. ثم يُمدّ على الجسم غطاء من الارجوان ويُسجّى بالكفن الثمين ويُمكَّن التابوت بالبراغي ثمَّ يقرأ كاتب قانوني كنيسة مار بطرس تقريرًا عمَّا جرى ويُثبت تسليم الجسم من الكرادلة الى مجمع القانونيين ويُختم هذا التابوت باربعة ختوم من الشمع الاحمر. ثم يُدخل في تابوت ثانٍ من الرصاص يختم باربعة ختوم أُخرى اوَّلها ختم الحكمدار الكردينال الكمرلنغ مع كتابة عليها اسم البابا وتاريخ ملكهِ ويُجعل هذا التابوت في تابوت ثالث من السنديان

وبعد هذا تُرفع بالبكرات التوابيت الثلاثة فتُجعل في ناووس موقَّت حُفر على جانب معبد القانونيين شمالًا في وسط بعض سواريهِ على علوّ نصف قامة (انظر الصورة ص ٦٨٣). وهذا الناووس يبقى فارغًا الى ان يموت احد الباباوات فيجعل فيهِ جسمهُ مدَّة قبل ان يُنقل الى ضريحهِ الاخير الذي يُعَدّ لهُ بعدئذٍ

وبعد دفن البابا تتوالى ايَّام التساعيَّة بالصلوات والرتب السابق ذكرها حتى تنتهي في اليوم الاخير بحفلة الختام وفيها يؤبن البابا المتوفَّى احدُ الخطباء الذي اتَّفق على تعيينهِ لفيف الكرادلة لهذه المهنة بحضور سفراء الدول واعيان رومية ورؤساء الجمعيَّات الرهبانيَّة والاساقفة والكرادلة وبذلك ينتهي جداد الكنيسة على رئيسها. وقد فرض البابا غريغوريوس العاشر انهُ لا يجوز ان تتجاوز النفقات على جنازة البابا عشرة آلاف دوكات او ريال رومانيّ (نحو ٥٤٠٠٠ فرنك)

هذا وان الصلوات التساعيَّة وجنازة البابا لا تمنع الكرادلة ان يجتمعوا كلَّ يوم لتدبير امور الكنيسة واعداد اللوازم لانتخاب البابا الجديد فانَّ الكمرلنغ يدعوهم كلَّ يوم في ساعات معلومة امَّا في موفه كنيسة القديس بطرس او في بعض نوادي قصر الفاتيكان فيتصدَّر بينهم ولكلّهم حقّ متساوٍ في سياسة الكنيسة وهم يجلسون بالترتيب حسب طبقاتهم الثلاث اعني الكرادلة الاساقفة ثم الكرادلة الكهنة وبعدهم الكرادلة الشمامسة بحسب زمن ارتقائهم الى الرتبة الكردينالية. ولكلّ منهم مظلَّة فوق راسهِ دلالةً على تساويهم في تدبير الامور وهذه المظلاَّت تُنزَع يوم انتخاب البابا فيبقى لهُ وحدهُ حقّ الجلوس تحتها

وتُفتتح هذه الاجتماعات بصـلاةٍ الى الروح القدس يطلبون منهُ بان يجمع كلمتهم الى الصواب ويلاهم بمواهبهِ لخير الكنيسة الاعظم

ثم يعرض الكمرانغ على اخوتهِ الاحكام التي لا بُدَّ من فصلها فيحكمون فيهـا على اغلبيَّة الاصوات.وعلى منضدة منفردة كاتب اسرار يدوّن ما اتّفق عليهِ الكرادلة. وفي هذه الاجتماعات يقرأ الحكمدار ما ورد على الكرسيّ الرسولي من الرسائل البرقيَّة بخصوص وفاة البابا ويستشيرهم في الجواب. وعند نهاية الاجتماع يدخل سفراء الدول فيقدّمون باسم حكومتهم التعازي لجمع الكرادلة واذا دخل السفير جثا ثلاثًا كأنَّ البابا حيّ ثم يفوه واقفًا بخطبةٍ شفاهيَّة وينبئ باملهِ انَّ خلف الميت يعزّي قريبًا الكنيسة المترملة ثم يقف الكرادلة اجمعون ويجيب باسمهم اقدمهم سنًّا على خطاب السفير ويكلّفهُ ان يبلّغ دولتهُ شكر الكرسيّ الرسولي على عبارات الولاء التي بُلّغوها مع ابداء الامل بان الدولتين لا تزالان في حبٍ (التتمة لعدد آخر)

شذرات في اصل القهوة

للدكتور بطرس كيك مدرس فنّ الصيدلي في مكتبنا الطبيّ

لو جُمع كلُّ ما صنفهُ الكتّاب في القهوة ووصفها لبلغ الأضابير المضـبَّرة فمن ثمَّ لستُ ادّعي باكتشاف شيء جديد في تعريف هذا النبات الثمين وانّما جمعتُ شذراتٍ في هذا المعنى احببتُ ان ادونها في هذه المجلة لافادة القرّاء.

انَّ للقهوة كما لسائر المحصولات التي تُعـدّ الآن من قوت الانسان الضروريّ احاديث غريبة واقاصيص عجيبة يتناقلها الجمهور. فمن قائل انَّ داود النبي هو اول من وقف على خواصها وربّ زاعمٍ روى انّها اقدم منهُ عهدًا. ومما يُخبَر انَّ رئيس دير في جزيرة العرب خرج يومًا الى الصحراء فرأى قطيعًا من المعزى كان يرعى بعضها اغصان شجرة فتنشط باكلها وتمرح وكانت الشجرة شجرة القهوة فاستدلَّ بذلك على ما لحبوبها من القوّة. وقد ذهب مرهج بن نمرون المارونيّ في كتابٍ طبعهُ باللاتينيَّة في رومية العظمى (١ سنة ١٦٦١ الى انَّ اوّل من اطّلع على خواصّ القهوة راهبان نصرانيّان

(١ F. Naironi : *de salubri potione* « Cahve » *seu* « Cafe » *nuncupata discursus*, Romæ, 1661, p. 8.

يدعوهما «Sciadli» و«Aïdrus» يريد الشاذلي وحيدر . الّا انَّ هذا الكاتب قد وهم في قولهِ انهما راهبان لانَّ الشاذلي هو ابو الحسن عليّ الشاذلي صاحب الطريقة الشاذليَّة المتوفى سنة ٦٥٦ للهجرة (١٢٥٨ م) وحيدر هو شيخ الشيوخ حيدر الصوفي صاحب الطريقة الحيدريَّة الذي اشاع استعمال نبات القنَّب اي الحشيشة بين الفقراء.

فان عُدْنا الى التاريخ الصحيح بعد ذكر هذه الروايات الضعيفة وجدنا ان القهوة حديثة الاستعمال وانَّها دخلت في الاصقاع الاوربيَّة زمنًا قليلًا بعد شيوعها بين العرب. ومن ثم لا صحَّة لما ورد في معجم ميرات ودي لنس (Mérat et de Lens) اذ قال ان بني اسرائيل واليونان عرفوا خواصها



شجرة بنّ نبتت في البستان اللاحق بكليّة القديس يوسف في بيروت

وما لا ريب فيهِ ان اطبَّاء العرب الاوّلين لم يعرفوا نبات القهوة فانَّ ابا بكر محمَّد الرازي المتوفى سنة ٣٢٠ ﻫ (٩٣٢ م) يريد بالقهوة الخمر وهو احد اسمائها (راجع المشرق

٥:١٠٩٧ و ١٠٩٨) وقد نظمها في فصل الخمور في كتابهِ « منافع الأغذية » فقال بعد ذكرهِ الخمر القابضة: « القهوة وهو نوع من الشراب اوفق للمحرورين غير انهُ يسقط الشهوة ». ويردف قولهُ بذكر الحمرة التي تُعرض في الشمس

وكذلك جاء في اقراباذين سرابيون (من اطبَّاء القرن التاسع) ان القهوة خمر بيضاء خفيفة » (١

امَّا ابن سينا († ٤٢٨—١٠٣٧) فانهُ لم يذكر القهوة في جملة النباتات الطبيَّة لا باسمها ولا باسم البنّ وانَّما ذكر « البان » و « البُنْك » فقال في القانون عن البان (طبعة مصر ١: ٢٦٤): « البان (الماهيَّة) حبُّهُ اكبر من الحمّص الى البياض ما هو ولهُ لبٌّ ليّن دهنيٌّ ». وقال عن البنك: (١: ٢٧٠) « البنك (الماهية) هو شيء يُحمل من الهند ومن اليمن. قال بعضهم انهُ امُّ غيلان اذا نُجِر (ويروى نُجز) فتساقط ». فترى من هذين الوصفين انهما لا يطابقان قهوة البنّ والعلماء يدعون البان باسم « Mimosa aptera L. » امَّا امُّ غيلان فيدعونها « Mimosa nilotica L. » وانَّما ذكر اسمها في باب الشراب فظنَّ العلاَّمة سپرنغل (Sprengel) انَّهُ اراد بالقهوة شجرة البنّ وكذلك غرَّ فريتاغ بهذا الاسم في معجمهِ والصواب انَّ ابن سينا عنى بالقهوة الخمر كالرازي ودونك ما كتبهُ عن الشراب قال (١: ٤٤٢): « الشراب (الماهية) اعني بهِ القهوة. (الخواصّ) يعدّل الفضول التي من جنس المرار والنبيذ الطريّ والغليظ الكدر يجمعان في العروق امتلاء واخلاطانيَّة (كذا). (الاختيار) اجودهُ العتيق الرقيق الصافي العنبيّ ويختلف تناولهُ بحسب الامزجة اماَّ للشباب فالقدر القليل منهُ... » فيظهر من هذا الوصف انَّ ابن سينا يريد الخمر لا البنّ. وقد صرَّح بذلك في باب الخمر حيث قال (١: ٤٦٥): الخمر (الماهيَّة) هو القهوة وقد ذكرناها في فصل الشين الخ. »

وكذلك عبد اللطيف († ٦٢٩—١٢٣١) لم يذكر القهوة في كتابهِ المعنون « الافادة والاعتبار في الامور المعاينة في ارض مصر » فلو عرفها لما فاتهُ ذكرها وهو قد ذكر اللوبياء وغير ذلك من الاغذية

وفي القرن العشر اشتهر كتاب المفردات لابن البيطار ومع كثرة ما جمعهُ صاحبهُ من العقاقير والنباتات لم يذكر القهوة البتَّة. وكذلك ضرب صفحاً عن القهوة معاصرهُ

(١) راجع Synonima Serapionis, *trad. de Gérard de Crémone*

الكاهن العطّار مؤلف اوسع كتاب وضعهُ العرب في الموادّ الطبيّة

وعلى راي لوكلار (Leclerc) في تاريخ الطبّ العربيّ ان اول من ذكر قهوة البنّ داود الانطاكي من اطباء القرن السادس عشر للمسيح ووصفها وصفاً بيّناً فقال (١ : ١٢١) :

« البن ثمر شجر باليمن يُغرَس حبّهُ في آذار وينمو ويُقطف في آب ويطول نحو ثلاثة اذرع على ساق في غلظ الابهام ويزهر ابيض يُخلف حبّاً كالبندق وربّما تنفرطح كالباقلاء واذا قُشر انقسم نصفين. واجودهُ الرزين الاصفر وارداُهُ الاسود وهو حارٌّ في الاولى يابس في الثانية وقد شاع بردهُ ويبسهُ وليس كذلك لانهُ مرّ وكلّ مرّ حارّ. ويمكن انّ القشر حار ونفس البنّ امّا معتدل او بارد في الاولى والذي يعضد بردَهُ عفوصتُهُ. وبالجملة فقد جُرب لتجفيف الرطوبات والسعال البلغمي والنزلات وفتح السُّدد وادرار البَول. وقد شاع الآن اسمهُ بالقهوة اذا حُمّص وطُبخ بالغا. وهو يسكّن غليان الدم وينفع من الجدري والحصبة والشِّبرى الدمويّ لكنّـهُ يجلب الصداع الدوري ويهزل جدًّا ويُورث السهر ويولّد البواسير ويقطع الشهوة وربما افضى الى الماليخوليا فمن اراد شربَهُ للنشاط ودَفع الكسل وما ذكرناهُ فليكثر معهُ من اكل الحلو ودهن الفستق والسمن. وقومٌ يشربونهُ باللّبن وهو خطأ يُخشى منهُ البرص »

وقد اثبت العلاّمة سلفستر دي ساسي امـام المستشرقين في مجموعهِ المعنون « بالانيس المفيد للطالب المستفيد » نصوصاً مختلفة في البنّ واصلـهِ ونشرَ للشيخ عبد القادر بن محمّد الانصاري الجزيري الحنبلي مقـالة حسنة في ذلك (١ تدعى « عمدة الصفوة في حلّ القهوة » وضعها سنة ٩٩٦ للهجرة (١٥٨٨م) وممّا ورد فيها انّ ظهور القهوة وانـتشارها في اليمن انما كان على يد الشيخ الامام جمال الدين ابي عبـد الله محمّد بن سعيد المعروف بالذّبحانيّ نسبةً الى ذبحـان بلدة باليمن. وكانت وفاة الشيخ المذكور سنة ٨٧٥ هـ (١٤٧٠ م). وقد اسند الشيخ عبد القادر هذه الرواية الى شهاب الدين بن عبد الغفّار وفخر الدين ابي بكر بن ابي يزيد ثمّ اردف الشيخ ابن عبد الغفّار قائلاً: « ويُحتمل ان يكون الذبحاني اوّل من ادخلها عدن كما هو المشهور ويُحتمل ان الذي ادخلها غيرهُ ولكنّها نُسبت اليهِ لكونهِ كان هو السبب في ظهورها وانتشارها »

وهذا القول لا يصحّ سوى في اليمن لانّ بلاداً غيرها عرفتهُ قبل ذلك. وممّا لا ينكر ان الحبش كانوا يستعملون البنّ قبل هذا العهد وكانوا يأكلون حبَّهُ نيّاً ويتنقّلون

١) راجع المشرق (٢ : ٦٦٨)

به. وكان انتشار القهوة في مصر بعد حدوثها في اليمن بقليل ادخلها مصر بعض فقراء اليمن كانوا يشربونها ليطيلوا السهر ويذهبوا الكسل. وروى دي ساسي عن جيهان نوما الجغرافيّ التركيّ انَّ احد الدمشقيين فتح في الاستانة العليَّـة حانوتاً سنة ٩٦٢ هـ (١٥٥٥ م) كان يجتمع فيهِ الاعيان والادباء ويشربون القهوة فدُعي ناديهم بمدرسة العلماء

هذا ولا اذكر هنا ما اصاب من المحن شُرَّاب القهوة. فمن اراد الوقوف على ذلك فعليهِ بكتاب عبد القادر. ولعلَّ السبب في ذلك انَّ بعض الائمة غرَّهم اسم القهوة الذي كان يدلُّ في اوَّل الامر على الخمر وهي محرَّمة على المسلمين كما لا يخفى فأفتوا بتحريم قهوة البنّ ايضاً لظنهم انَّها من الخمور والمشروبات الروحيَّة. والفرق بينهمـــا ظاهر. وكذلك لم يفرق البعض بين البنّ الذي نحن بصددهِ وحبوب البان والبُنْك التي وصفناها سابقاً نقلاً عن ابن سينا

*

بقي علينا ان نذكر تاريخ انتشار القهوة في الاصقاع الاوربيَّة تتمَّة للفائدة. فنقول انَّ سنة دخول القهوة في اوربَّة ليست معروفة الَّا انهُ يمكننا تعريف ذلك على التقريب فانَّ بطرس بلون (P. Belon) الذي طاف بلاد الدولة العليَّة ومصر وجزيرة سينا بين السنتين ١٥٤٦ و١٥٤٩ لم يذكر القهوة مع انَّهُ اتَّسع في وصف النباتات التي وجدها وافاض في اطعمة الاهلين الذين زارهم وذكر اصناف اغذيتهم وهذا دليل على انهُ لم يرَ البنّ وانَّ استعمالهُ وقتئذٍ كان قليلاً منحصراً. وعلى رأي لوكلار انَّ اول من ذكر القهوة في اوربَّة انما هو كلوزيوس (Clusius) في كتابٍ تولى نشرهُ كان وضعهُ الطبيب غرسية اورتا فسمَّاهُ: «تاريخ بعض الافاوية والعقاقير النابتة في الهند (١)» لكنَّهُ لم يأتِ بذكرها في الطبعة الاولى سنة ١٥٦٧ بل في الثانية فقط سنة ١٥٧٤ وفيها يقول: « انَّ الطبيب الفنس پنسيوس من اكادمية فرَّاري ارسل اليهِ حبوباً تُدعى بُنًّا او قهوة (Buna *ou* Elkaue) بحجم حبوب السذَّاب (Fagara, *Rutacées*) لكنَّها اعرض واطول منها لونها ارمد وقشرها رقيق في وسطها خطّ مستطيل يمتدّ بين طرفيها بحيث يمكن قسمها

(١) راجع Garcia Orta : *Aromatum et simplicium aliquot medicamentorum apud Indos nascentium historia.*

فلقين وفي كل منهما حبَّة مستطيلة سويَّة من احد جانبيها ضاربة الى الصفرة في طعمها عفوصة. ويقال انَّ اهل الاسكندريَّة يهيئون منها شرابًا مبرّدًا وقد اضاف الى هذا الوصف صورة الحبوب كما تراها



حبوب البنّ كما رسم شكلها ينسيوس

وفي سنة ١٥٩١ نشر پروسپر ألپين (Prosper Alpin) كتابهُ في طبّ المصريين وألحقهُ في السنة التالية بكتاب نباتات مصر وقد وصف في كليهما البنّ وصفًا مستوفيًا فقال في بعض مخاطباتهِ عن نباتات مصر (ص ٢٦) «قد رأيتَ في حديقة احد الاتراك اسمهُ حالي بك شجرة لا تُعرفُ صورتها تنبت حبوبًا يدعونها بنًّا (Bon *ou* Ban) يستحضر منها المصريون والعرب شرابًا معروفًا يسمَّى قهوة يشربونهُ بدلًا من الخمر واصل هذه الحبوب من اليمن. والشجرة التي عاينتُها تشبه البَجَلة (fusain) الّا انَّ ورقها اصفق واصلب وهي اشدّ منها خضرةً وتبقى خضراء ابدًا». فيجيبهُ مخاطبهُ غيلنديئوس انَّ ابن سينا ذكر اغراسهُ (وقد مرَّ بك ان ابن سينا لم يعرف البنّ). ثم يثبتُ في كتابهِ رسم شجرة البنّ كما تراها هنا



صورة شجرة البنّ كما رسمها پروسپر ألپين

وزاد في كتابهِ عن طب المصريين (١١٨ و ١٢٢) انَّ اهل مصر يطبخون القهوة ويشربونها صباحًا قبل الطعام وانَّ نساءهم يتَّخذنها لاستدرار الحيض

وكان انتشار القهوة في اوربَّة بطيئًا كما يظهر من قول بطرس

بومه (P. Pomet) سنة ١٦٩٤ : « ان القهوة او البنّ ثمر شجرة يشبه ساقها اللوبيا . روى ذلك كاتب محدث ولمَّا لم اثق بقولهِ آثرتُ نقل ما كتبهُ بوهين (Bauhin) الشهير من العلماء الأثبات وهو يسند كلامهُ الى ذوي الخبرة قال : ان البنّ ثمر شجرة اصل حبوبها من اليمن والشجرة شبيهة بالبجلة ورقها صفيق اخضر ابدًا . وقد رسمتُ صورة الشجرة بثمرها (انظر الشكل في هذه الصفحة) ثم يذكر بومه خواصّ البن الجيد. ويحذر من وَضع اكياس البن في ماء البحر لئلاً يتلف



شجرة البنّ بثمرها كما رسمها بومه

قد سبق ان الحبش اكلوا البنّ نيًّا منذ زمن مديد وان استعمالهُ كشراب بعد تحميص الحبوب لا يرتقي الى ما وراء القرن السادس عشر . وتريد هنا نقلًا عن عبد القادر الجزيري طريقة استحضار القهوة : « يكون وذلك على نوعين امَّا ان تُعَدّ بوضع القشر وحدهُ فتدعى القشريَّة وامَّا ان يتَّخذ البن المحمَّص المدقوق وهي البُنِّيَّة في ماء ثم يُغلى عليهِ حتى يُخرج خلصيَّتهُ » . واول من اشار الى اتخاذ الماء البارد مع القهوة هو قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهَّاب بن يعقوب المكي وكان يزعم » ان

الماء البـــارد مما يفيدها رطوبة المزاج ويقلّ يُبسها ولا يكون السهر حينئذٍ شديدًا »

امّا اشتقاق اسم القهوة فقد عرفهُ الاوربيون منــذ نحو ٢٠٠ سنة قال لامري (Lémery) سنة ١٧١٤ في معجمهِ ما تعريبهُ: ان اصل القهوة من فعل عربي معناهُ اذهب الشهوة. وهذا نفس ما يقولهُ العرب قالوا سُمّيت بالقهوة لأنهـــا تُقهي شاربها عن الطعام والخمر اي تُذهب بشهوتهِ. وفي هذه الشذرات كفاية لغرضنا. ولله الحمد

Bibliographie

Abd-allatif : *Relation de l'Egypte, trad. de Sacy, in* 4° *Paris,* 1810 .= Abou-l-Mana *dit* Cohen al -'Attar : منهاج الدكان *texte arabe, in*-4° *Caire,* 1319 *H.*= Alpin Prosper : *De Medicina Aegyptiorum, in*-4° *Venise,* 1591. = idem : *De plantis Aegypti, in*-4° *Venise,* 1592. = Avicenne : قانون ابن سينا *texte arabe, in-fol. Rome,* 1593; et *Boulak,* 1294 *H.* = Belon (Pierre du Mans) : *Les observations de plusieurs singularités etc. in*-4°, *Paris,* 1553. = Daoud al Antaki : تذكرة أولي الالباب *texte arabe,* 3 *vol. in*-4°, *Caire,* 1281 *H.* = Freitag : *Lexicon arabico-latinum,* 4 *vol. in*-4° *Halis Saxonum,* 1830. = Garcia ab Horto : *Aromatum et simplicium aliquot medicamentorum apud Indos nascentium historia, trad. latine de C. Clusius. Anvers* 1574. = Ibn el Beithar : كتاب المفردات *trad. Leclerc,* 3 *vol. in*-4° *Paris,* 1877-1883. = Lémery : *Dictionnaire des drogues simples, in*-4° *Paris,* 1714. = Mérat *et* Lens : *Dictionnaire universel de matière médicale,* 7 *vol. in*-8° *Paris* 1820-1846. = Pomet (Pierre) : *Histoire générale des drogues, in-fol. Paris,* 1694. = Razès : منافع الاغذية *texte arabe, in*-4° *Caire,* 1305 *H,* = de Sacy : *Chrestomathie arabe,* 3 *vol. in*-8° *Paris* 1826-27. = Serapion : *Practica, Synonima, in-fol. Venise,* 1497. = Sprengel : *Historia rei herbariae,* 2 *vol. in*-8° *Amsterdam,* 1807-08.

صحة الدين المسيحيّ

للاب الفاضل والفيلسوف الكامل ثاودورس ابي قرَّة اسقف حرّان

عُني بنشرهِ حضرة الاب الخوري قسطنطين باشا الراهب الباسيلي المخلّصي (تابع لما سبق)

فمن حيث قبلتَ الاشياء التي ذكرنا كنت مضطرًّا ان تعرف لا محالة ان المسيح لم تقبلهُ هذه الامم التي هي خمسة اسداس الناس(١ الّا بما رأوا من هذه الاعاجيب المذكورة في الانجيل وكتب التلاميذ وبقوة الروح القدس التي دبَّت في عقولهم خفيًا فاقنعتها ان المسيح اله وابن اله كما قال عن نفسه وان كان قد لقي من الاوجاع والصلب ما يقال فيـهِ. وانهُ لم يلقَ هذه الاوجاع عجزًا ولا عبثًا بل لسبب مستقيم وان كان ذلك يخفى عن من لم يلمع قلبهُ بروح القدس. وهذا الامر الذي ذكرنا يحقق لا محالة ان الامم لم تقبل المسيح الّا بهذه الاعاجيب المذكورة في الانجيل وفي كتب التلاميذ. وذلك يضطرّ عقلك الى ان تؤمن وتقرّ بهذه الاعاجيب كانك قد رأيتها وعاينتها. وهذه الاعاجيب اقنعت ان المسيح اله وابن اله كما قال عن نفسه. والمسيح والتلاميذ شهدوا على موسى والانبياء كلهم انهم انبياء وحققوهم. وبشهادة المسيح وتلاميذه يحقق موسى والانبياء اليوم عند ذي العقل انّهم كانوا مرسلين من الله.

واماً انت يا يهودي فانك لو كُلّفت اليوم ان تاتي بسبيل عقل يحقق بهِ عند احد الناس موسى او واحدًا من الانبياء لما قدرت على ذلك. ولقد مكث ناموس موسى والانبياء نحو اكثر من الف وخمسمائة سنة لم يقدر ان يُقنع بذلك احدًا من الامم انهُ من الله. ولا اباؤك اقاموا على الناموس او على عبادة الله. ولمّا جاء المسيح اقنع الامم كلها باعاجيبهِ وحقّق عندهم موسى والانبياء وصار المسيح في وجهِ كاروزَ اولئك. وبحقّ فعل ذلك المسيح وما كان اولاه بهِ. لانهُ هو الذي بعثهم وامرهم ان يتنبأوا عليهِ وان يصوّروهُ لئلا تنكرهُ العقول اذا ظهر ماشيًا على الارض. ولذلك قدم ميخا النبي فتنبأ عليهِ فقال: « اسمعوا يا جميع الامم وانصتوا يا كلّ الشعوب وليكن الرب عليكم شهيدًا فان الرب يخرج من موضعهِ وينزل حتى يطأ على الارض. هذا في شان خطيئة يعقوب وفي

١) هذا شاهد جميل على امتداد النصرانيَّة في القرن التاسع على عهد ابي قرَّة

سبب ذنوب اسرائيل» (ميخا ١ : ٢—٥) . وارميا قال فيهِ ايضاً : «هذا الهنا لا يُعَدّ معهُ اخر الذي وجد طريق المعرفة واعطاها يعقوب حبيبهُ واسرائيل خليلهُ . ومن بعد ذلك تراءى وبين الناس تقلّب (باروك ٣ : ٣٧—٣٨) . وموسى انما قال لهُ الله ان يجعل هرون كاهنًا ويقرب الذبائح على حذو ما اراه الله في الجبل (خروج ٢٥ : ٤٠) . ومن ههنا اعلمك ان هنا كاهنًا اخر غير هرون هرونُ صورتُهُ . وذبيحة اخرى غير تلك الذبائح تلك الذبائح صورتُها . فجاء داود وفسّر لك ذلك الكاهن الذي هرون صورتهُ واخبرك انهُ ربّ جلس على الكرسي عن يمين الله وانهُ ابن مولود من الله قبل كل الدهور حيث قال : قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى اجعل اعداءك تحت قدميك . وقال الله : لهذا اني من البطن قبل النور ولدتك . وقال لهُ : انت الكاهن الى الابد على شكل ملكسدق (مز ١٠٩ : ١—٤) . وقال اشعيا وفسّر لك تلك الذبيحة التي ذبيحتك صورة لها وقال ان المسيح يقول عن نفسه : اني لست اعصى وامتري . اعطيتُ ظهري للسياط وخدي للّطم ولم اردّ وجهي عن فضيحة البصاق (اش ٥٠ : ٦) . وقال فيهِ اشعيا : انهُ ليس لهُ منظر ولا جمال . فرأيناه فلم يكن لهُ منظر ولا جمال بل منظرهُ حقير منظرهُ دون مناظر الناس . هو انسان مجروح يعرف ان يحتمل الامراض . كان حقيرًا لا يُعَدّ فهو يحتمل امراضنا وفي شأننا توجّع ونحن حسبناه في نَصَب مجروحاً من الله مبتلًى وهو انما جُرح في شان معاصينا وعرضت لهُ المصائب في شان خطايانا . ادب سلامنا عليهِ وبجراحهِ تداوينا . ضلَّ كلُّنا كالمواشي وضلَّ كل واحد منّا سبيله . والرب اسلمه في شان خطايانا . لم يفتح فاه اذ ابتُلي . كالشاة للذبيحة ساقوه وكالخروف امام الجزّاز كان ساكتًا كذلك لم يفتح فاه بتواضعهِ (اش ٥٣ : ١—٧)

هذا يا يهودي يدلُّك ان كان لك عقل ان هرون كاهنك كان صورةً لهذا الكاهن وذبيحتك كانت صورة لهذه الذبيحة . لانهُ لو كان كاهنك هو الذي كان يستغفر الذنوب للناس وذبيحتك كانت بها تُغفر الذنوب لقد كان هذا الكاهن الذي ذكرهُ داود وهذه الذبيحة التي ذكرها اشعيا عبثًا جعلهما الله وكان موسى باطلًا اخبرك ان الذي في يدك صورة . وجاء داود واشعيا وفسّرا لك تلك الصورة . لكنك لم تعقلها في زمانها كما قال لك موسى : انك قد رأيت ما صنع الله بين يديك فلم يُعطِكم الله عيونًا تبصرون بها ولا اذانًا تسمعون بها ولا قلوبًا تفهمون بهـا (تث

٢٩ : ٤). فلو ان الاشياء التي رأيت يا هذا لم تكن صورة لغيرها ولم تكن تعني بها غيرها كيف كان يجوز لموسى ان يقول لك انك قد رأيت ما صنع الله بين يديك فلم يعطكم الله عيونًا تبصرون بها ولا آذانًا تسمعون بها ولا قلوبًا تفهمون بها. ولكن هذا الامر يدلُّك انهُ انما كانت بيدك صورةً وامرًا يُعنَى بهِ غيرهُ. وقال داود محققًا ذلك لك: ان آباءنا لم يفهموا بمصر اعاجيبك (مز ١٠٥ : ٧). فحسبك هذا يا يهودي ان كنت ذا لبٍّ او تلتمس اكتساب الخير لنفسك فقد اتاك الشفاء وكان اتاك من قبل لو قبلتهُ من معلمي النصرانية الذين نطقوا بروح القدس واوضحوا امر المسيح كلهُ من العقل والكتاب جميعًا. فهذا تثبيت النصرانيَّة بالاضطرار الذي لا محيص عنهُ لكل ذي عقل ونية. فالعقل يقود الى المسيح لا محالة والمسيح يحقق موسى والانبياء. فلنا العتيقة والحديثة كما قال سليمان بن داود في تسبحة التسابيح (٧ : ١٣): ان على ابوابنا كل الثمرات العتيقة والحديثة

٢

لكن اي شيء ننتفع بهِ معشر النصارى ألَّا ملّة الخلكيدونيين دون النسطوريين واليعقوبيين واليوليانيين (١) والمنوثليين) وغيرهم من الاراسيس الذين ينتحلون النصرانيَّة لان كل واحد من هؤلاء الذين ذكرنا يرى ان سعينا في تثبيت النصرانيَّة انما هو لهُ لانهُ زعم انهُ النصرانيّ الحقّ

وقد يحق علينا كما اثبتنا النصرانيَّة من كل دينٍ وحقَّقنا أنَّها هي الدين الحقّ وحدها ان نفصل الارثوذكسيَّة من هذه الاراسيس ونحقق انها هي النصرانيَّة وحدها وان كل تلك الاراسيس باطل. وقد اثبتنا هذا بعون روح القدس قديمًا (٢ في سبيل الدراس اللطيف عند كل من كان لطيف العقل يقدر ان يغوص على الامور الغامضة التي تغيب عن العوام ولكن سبيل الدراس اللطيف ليس فيهِ قنوع للعامَّة من السوقيين والاكّارين واشباههم. وقليلًا ما يصل اليهم الشفاء بذلك الوجه. من اجل ذلك ينبغي ان نشترع منهاجًا آخر نيّرًا ومحجة واضحة يقدر ان يسلكها الفقيه والعرّض من الناس والفيلسوف والسوقي فنحقّق بذلك الارثوذكسيَّة ونبدي نورها كنور الشمس لا يخفى على صغير ولا

١) اليوليانيون قومٌ تابعوا يوليان الاسقف الذي مرق من الايمان متحزّبًا لبدعة بيلاجيوس في القرن الخامس ٢) في الميامر المذكورة سابقًا (راجع الصفحة ٦٣٥)

كبيرٍ حتى لا يكون لاحدٍ علة في التخلُّف عنها. وتكون الحجة لازمة لمن اغتبط بالطغيان الذي هو عليهِ من الاراسيس ويكون ذلك سرورًا لاهل الارثوذكسيَّة في توفيق روح القدس ايَّاهم لصواب الايمان واستقامة الدين ونشحذهم على ان يجمعوا مع الايمان البر وحسن العمل لكيلا يخيبوا من منفعتهِ فتكون كينونتهُ بايديهم وبالًا عليهم ان عطَّلوا ما ينوبهم من العمل بطاعة المسيح

فما هذا الطريق الواضح ليت شعري الذي تُحقِّقهُ الارثوذكسيَّة ؟ امَّا نحن يا هؤلاء معشر كل من ينتحل دين النصرانيَّة فقد اتَّفقنا على لزوم كتب العتيقة والحديثة والتصديق بها وانما جعل الفرقة بيننا ما قد اختلفنا فيهِ من معاني هذه الكتب. وهذا الامر هو الذي افرز كلّ فريق منَّا في كنيسة وعلى حدةٍ. وحرَّم علينا ان يصلي بعضنا مع بعض. فلزم احد امرين امَّا ان نقول ان كلَّنا مقبول عند المسيح اذ كنَّا مقيمين على نُسخ العتيقة والحديثة التي كتبها لنا روح القدس وان المسيح لا يحاسبنا على ما سقط عنهُ ظنّ احدِنا من معاني الكلام الذي في هذه الكتب. وامَّا ان نقول انهُ لا يقبل منَّا التمسُّك بنسخ هذه الكتب دون السقرط على حقيقة معاني كلامها الذي ايَّاه عنى روح القدس فيما لا يتمُّ الدين الَّا بهِ

فان قال قائل ان المسيح يرضى منك بالتمسُّك بنسخ هذه الكتب دون المعرفة بحقيقة معانيها فقد صيَّر النصرانيَّة يهوديَّةً وجعل غايتهُ باللفظ لا بالعقل وامر النصارى ان يجتمعوا في كنيسة واحدة وصلاة واحدة في احتشادهم وان يتفرقوا في ارواحهم ووعظهم وان يعبدوا في ظاهرهم الاهًا واحدًا وفي باطنهم آلهة مختلفة وزيَّن عندهم ان يتسمَّوا باسم مسيح واحد في ألسنتهم ويتوهَّمون مسيحين كثيرين في قلوبهم. وهذه عبادة ليس يرضى بها المسيح حاشا لهُ كما قال: اني لست مدخلًا الحرب محلَّ الدعة(١. فلا بد لكل نصراني ان كان على حقيقةٍ ما ينتحل من ان يعبد المسيح والاب والروح بخالص المعنى الذي في كتب العتيقة والحديثة. والَّا كان يهوديًا لا يحتسب الَّا ان يقول: امَّا ان الله تغيَّر من حال الى حال وامَّا ان يكون آلهة كثيرة. لانهُ حيث يسمع من موسى (تث ٤ : ٢٤): « ان الله نار آكلة » فيكون مجوسيًا لانهُ انما يسقط ذهنهُ على النار التي تعبدها المجوس. واذا سمع من دانيال النبي (٧ : ٩): « انهُ عتيق الايَّام

١) ليس في الانجيل آية على هذا اللفظ وانما يشير الكاتب الى معنى اقوال الرب

شعرهُ كالصوف النقي » يتوهَّم الله شيخاً كبيراً. واذا سمع من حزقيال (١ : ٢٧): انهُ من خصرهِ الى فوق نار وانهُ مثل اللازورد ومن خصره الى اسفل نار » فانهُ يتوهم الله امّا قد تغيَّر ممّا كان فيهِ او انَّ هذا الاله غير الذي رأى دانيال وغير الذي ذكر موسى. وهذا اسمج ما يكون ان تضطرب هذه الثلاثة في عقل المؤمن. واذا سمع المسيح يقول عن نفسه (يو ١٠ : ٩): « انهُ باب » توهَّم باباً واذا سمعهُ يقول (يو ١٥ : ١): « انهُ كرمة » ظنهُ قد تغيَّر او ظنَّ ان هذا مسيح غير ذاك وما شاكل هذا كثيرٌ. اذاً لا محالة انهُ لا بد من أن يلزم معنى الكتاب على حقيقته فيما هو اصل الدين والّا فلا عبادة

فاذا كان هذا كذلك فليست الكنيسة التي يسكنها المسيح الّا واحدة من هذه الكنائس المختلفة التي كل واحدة منها تدّعي انّها هي المقيمة على حقيقة النصرانيَّة

ولكن كيف يصنع السوقيون والاكّارون وكل الناس الّا القليل منهم اذ عقولهم لا تغوص على حقيقة هذه المعاني. والمسيح لا يقبل منهم غير هذه الحقيقة. افيحسن ان نقول ان المسيح كلّفهم ما لا يطيقون ؟ حاشا لهُ. والّا فقد صيَّر هبوطهُ من السماء في شانهم وسفكهُ دمهُ عنهم وبالّا عليهم. وان كان يكلّفهم هذا. فهو لا يكلّفهم ما لا يطيقون. ونحن نعلم ان اكثرهم الّا الطائفة اليسيرة منهم لا تغوص عقولهم على ما قد كُلِفوا. فكيف بمعرفة السبيل التي تبلغهُ عقولهم اذا سلكوه وصلوا الى حقيقة هذه المعاني. وهذا السبيل ليس احد من الهراطيقيين يعرفهُ ولا يهتدي لهُ واليهِ بل ليس من الحياة للهرتيق الّا كلام يجري في ظلمة بهِ يتمكن من غرور الاغرّاء ويعوّج شفتيهِ ويظن من يسمعهُ من الجهّال انهُ خزانة الحكمة. ويقودهم بذلك الى اتباعه اذا نطق بالكلام الذي يغمض عليهم. وهو ايضاً لا يعرف ذلك الكلام بل كما قال بولس الرسول (١ كور ١٤ : ٢—٦): « لا يدري ما يتكلم بهِ ولا اي شيء يحقّق ». ولكن هذا السبيل الواضح هو عند الارثوذكسيَّة وبهِ اهتدوا الى حياة الابد. ونحن نعلم ان المسيح لم يكن يعطل هذا الامر ولا كان يترك هذه العامّة بغير طريق واضح تعرفهُ عقولهم يؤديهم الى حقيقة هذه المعاني التي يكلّفهم ايّاها. ولاسيّما اذ قد كان يعرف هو والتلاميذ ان هذه الاراسيس ستكون وان الشيطان سيغربل الكنيسة بها حتى تحصل على قمحها الحقّ (لوقا ٢٢ : ٣١)

واماً هذا السبيل فقد اوضحهُ روح القدس على يدي موسى راس الانبياء في الناموس وذلك ان الله انزل عليهِ الاحكام التي امرهُ ان يحكم بها على اسرائيل. وان موسى رمى بهذه الاحكام الى قضاة احبارهم فولّاهم ان يقضوا بين بني اسرائيل وجعل منهم راس عشرة وراس خمسين وراس مائة وراس الف وامرهم ان ينفذوا الحكومة بين بني اسرائيل بالعدل. وقال لهم: انظروا ما وضح لكم من هذه الاحكام فأنفذوه على اخوتكم. ومهما غمض عليكم منها وشككتم فيهِ فارفعوه اليَّ حتى ارفعهُ الى الله واتيكم فيهِ بالحق (تث ١: ١٠ — ١٧). فكانوا يفعلون ذلك ما دام موسى بين اظهرهم

فلمّا اراد الله ان يتوفى موسى خلف الاردن علم موسى بروح القدس ان لو قد فقدهُ بنو اسرائيل وقعوا في اضطراب من الشك وتشتّت امرهم ووقع الصّدع بينهم. فوضع لهم الناموس الثاني بروح القدس وترك لهم خلفاً منهُ لا يزول الى الدهر. وقال لهم (تث ١٧: ٨): «يا بني اسرائيل اذا تعذّر عليكم شيء شككتم فيهِ من القضاء بين الدم والدم وبين الحكومة والحكومة وبين النجسة والنجسة وبين التشاجر والتشاجر فكان كلام اختلاف في مدائنكم فعليكم بالموضع الذي يختار الرب الهك ان يُدعى باسمه فيهِ. فافزعْ الى هناك في تلك الأيام وائتِ الكهنة واللاويين والديّان الذي يكون هناك في تلك الأيام فينظرون في ذلك وينبئونك بحقيقة الحكم فتتبع القضيّة التي يخبرونك بها من ذلك الموضع الذي يختار الرب الاهك ان يُدعى باسمه فيهِ. وتحفّظ جدًّا ان تنتهي الى ما اشترعوه لك وتعمل بالناموس والقضيّة التي يقولون لك. ولا تحيدنَّ عن الامر الذي يوعزون بهِ اليك يميناً ولا شمالًا. والانسان الذي يتعظّم ولا يسمع للكاهن الذي يخدم باسم الرب الهك او القاضي الذي يكون هناك في تلك الأيام فليُقتل ذلك الانسان وابيدوا العداة من بني اسرائيل لكي تسمع الأمّة كلها فينكل ذلك بها وتنتهي عن العدوان»

ألا ترى ان موسى لم يجعل النظر في الاحكام التي يختلف فيها وفصلها الى احد من العامّة ممّن يدّعي العلم او ممّن لا يدّعيه بل اراه روح القدس فاسند ذلك الى جمع الكهنة والى الديّان الذي يكون في المكان الذي يختار الله ان يُدعى هناك باسمهِ. ولم يجعل لمن دون اولئك معهم نظرًا البتة. ولكنهُ امر العامّة كائناً من كان ممّن يرى

انهُ عالم وممَّن يرى انَّهُ ليس بعالم ان ينتهوا عزيمةً الى القضاء الذي يخرج لهم من ذلك الجمع كان على احدهم او لهُ . وقضى بالموت على من نفختهُ العظمة ولم يذلّ قلبهُ لقبول ما قضوا بهِ عليهِ وظنَّ انَّ رأيهُ افضل من رأيهم . وانما قضى موسى بالموت على من لا يقبل قضيتهم لأنهُ علم ان روح القدس اذ قد اسند امر هذه الشكوك وهذا الاختلاف اليهم فهو يوفق عقولهم للصواب فيهِ لا محالة ولا يخذلهم كائنين في عقولهم وحالاتهم من كانوا ولا يدع ان يخرج منهم الّا الصواب

فان قال قائل ان روح القدس امر العامة بطاعة هذا الجمع الذي في هذا الموضع في احكامهم الغامضة وزعم انهُ يخذلهم ان يخرج منهم الباطل فقد صيَّر صاحب هذا القول روح القدس هو الذي يُضلّ الأمة . وقائل هذا القول هو الذي يجدّف على روح القدس حقًّا حيث يكون روح القدس شمس الهدى ومعدن النور يجعلهُ هو سبب الضلال ولكن حاشا لله ان يكون الامر كذلك . بل نحن واثقون مطمئنَّة قلوبنا ان روح القدس لا يترك هذا الجمع ان يخرج منهُ قضية الّا في موضعها

والحديثة المقدسة التي انما كانت العتيقة صورةً لها دبَّر فيها كذلك روح القدس كما دبَّر في العتيقة وجعل كلّما اختلف فيهِ النصارى من الدين ان يُرفع الى مجمع السليحيين وجعل للسليحيين راساً واحدًا يكون منتهى الاحكام العامية كلها اليهِ والى مجمعهِ وان يقضوا فيها بما اراهم روح القدس (١ . ومعرفتهُ في البركسيس (ف ١٤و١٥) وذلك ان بولس و برنابا انتُخبا من روح القدس وهما بانطاكية ان يجولا في البلدان فيكرزا انجيل المسيح وانهما خرجا فانجزا ما أفرزا لهُ من ذلك ثم رجعا الى انطاكية . فبينما هما هناك اذ نزل رجال من بيت المقدس الى انطاكية وكانوا يعلّمون الاخوة ويقولون لهم انكم ان لم تختتنوا كسنَّة موسى لا تستطيعون ان تحيوا . وان بولس وبرنابا خالفاهم في ذلك وخاصماهم فيهِ . فاتفق القوم جميعًا ان يطلع بولس و برنابا ونفر من اولئك الى السليحيين والقسيسين باورشليم في شان هذا التشاجر . فلمّا وصلوا الى اورشليم اذا ثمَّ اناسٌ كانوا من هوى الفريسيين كانوا قد تنصَّروا . فنهض هؤلاء فقالوا للسليحيين انهُ ينبغي ان تختتنوا من آمن من الامم وان تتقدَّموا اليهم في حفظ ناموس موسى . فاجتمع السليحيون عند ذلك والقسيسون لينظروا في هذا الامر . وكانت هناك مباحثة كثيرة

١) انَّ كلَّ ما يقولهُ هنا ابو قرّة عن رئاسة القديس بطرس وخلفائهِ حريٌّ بالاعتبار

ثم نهض بطرس وقال لهم: « ايها الرجال اخوتي قد علمتم ان الله في الأيام العادية انما اختار ان يسمع الامم كلمة الانجيل من فيَّ وان يؤمنوا. والله الذي يعرف القلوب زكّاهم واعطاهم روح القدس كما اعطانا. ولم يجعل بيننا وبينهم فصلًا لأنهُ طهّر قلوبهم. فانتم يا هؤلاء لِمَ تخالفون الله فتضعون على اعناق التلاميذ النير الذي لم نُطِق نحن ولا آباؤنا ان نحتملهُ. وانما نوقن ان نحيا بنعمة ربنا يسوع كما يحيا اولئك

فاجاب يعقوب عند ذلك وقال: « ايها الرجال اسمعوا ان سمعان قد قضى عليكم كيف رضي الله ان يتخذ من الامم أُمةً لاسمهِ وهذا يوافق كلام الانبياء كما هو مكتوب: اني من بعد ذلك اعود فابني مسكن داود المتهتّك واجدّد ما خرب منهُ واقيمهُ لكي يبتغي سائر الناس وجه الرب. وكل الامم الذين يدعى اسم الرب عليهم. قال الرب ذلك الفاعل ذلك فانا اقضي ألَّا يؤذى من يرجع الى الله من الامم. ولكن ارى ان يؤمَروا باجتناب ادناس الاوثان والزنا والميتة والدم »

فرأى عند ذلك السليحيون والقسيسون مع جماعة الكنيسة واختاروا منهم رجلين بعثوهما الى انطاكية مع بولس وبرنابا وهما يهوذا الذي يقال لهُ برسابا وسلوان رجلين شريفين في الاخوة وكتبوا معهما بهذا: «من السليحيين والقسيسين والاخوة الى الكنيسة التي بانطاكية وسوريا والاخوة الذين هم من الامم افرحوا. قد بلغنا ان اناسًا منّا خرجوا فعكروكم بالكلام وقلبوا نفوسكم وقالوا انهُ ينبغي لكم ان تختتنوا وان تحفظوا ناموس موسى ما لم نأمرهم بهِ. فرأينا عامّةً ان نختار رجلين ونسرحهما اليكم مع اخينا برنابا وبولس اللذين بذلا انفسهما للمسيح فبعثنا يهوذا وسلوان وتقدّمنا اليهما ان يوصلا كلامنا من افواههما. ألا فقد رأى الروح القدس ورأينا ألَّا يوضع عليكم ثقل فوق ما لا بُدَّ منهُ ان تجتنبوا ضحايا الاوثان والدم والميتة والزنا. فاذا انتهيتم عن ذلك فنعم ما تصنعون ». ثم ان يهوذا وسلوان ودّعا الجماعة ونزلا الى انطاكية وجمعا الكنيسة واعطياهم الصحيفة فلمّا قرأوا الصحيفة فرحوا بالعزاء الذي ورد عليهم. وكان يهوذا وسلوان نبيين فعزّيا الاخوة بكلام كثير وثبّتاهم

ألا ترى ان الذين نزلوا الى انطاكية يأمرون بالختان وحفظ الناموس انما كانوا من جماعة الاخوة الذين كانوا باورشليم. وبولس وبرنابا اللذين خالفا هؤلاء قد كانا من علية السليحيين فحيث تشاجر الفريقان بانطاكية فيما اختلفوا فيهِ لم تقبل الكنيسة لا من

بولس و برنابا ولا من اولئك. ولكنهم ارتفعوا كلهم الى مجمع السليحيين الذي كان فيهِ مار بطرس رئيساً واماماً. فحيث توافى مجمع السليحيين ونظروا في الامر قضوا بما رأوا ونسبوا قضيتهم الى روح القدس. وقالوا انهُ رأي روح القدس ورأينا. الا ترى ان هذا المجمع الذي فوَّض اليهِ المسيح النظر في امور الاراسيس لا يرى الّاما يرى روح القدس وانهُ واجب ان يُوفع كلُّ ما يُختلف فيهِ من امور الدين الى هذا المجمع. وليس لاحدٍ كائناً من كان كبيرًا ولا صغيرًا ان يتفرَّد برايه دون هذا المجمع وان يوعز الى الكنيسة ان تقبل منهُ وحدهُ. فلعمري لهذا لم تقبل الكنيسة من مار بولس وبرنابا اللذين كانا شمس العالم دون الجماعة. فليس لاحدٍ اسقفاً كان او بطركاً او غيره ان يقول للكنيسة: « أنْ إقبلي مني ما اقول دون جميع السليحيين »

واعلم ان السليحيين راسهم مار بطرس الذي قال لهُ المسيح (متى ١٦ : ١٨) : « انت الصخرة وعلى هذه الصخرة ابني كنيستي وابواب الجحيم لا تغلبها ». وقال لهُ ايضاً ثلث مرار بعد قيامته على بحر طبرية (يو ٢١ : ١٥—١٧) : « ياسمعان أتحبني ارعَ خرافي وكباشي ونعاجي ». وقال لهُ في موضع آخر (لو ٢٢ : ٣١) : « يا سمعان ان الشيطان يسأل ان يغربلكم كالقمح وانا طلبت فيك الّا تخسر ايمانك. ولكن انت في الحين اعطف على اخوتك وثبتهم. ألا ترى ان مار بطرس هو أساس الكنيسة المخصوص بالرعية ومن آمن ابدًا لا يخسر ايمانهُ. وهو المأمور ان يعطف على اخوته ويثبتهم

وقول المسيح « اني طلبت لاجلك الّا تخسر ايمانك ولكن اعطف على اخوتك في الحين وثبتهم » لا نرى انما عنى بهِ مار بطرس نفسه والسليحيين باعيانهم بل انما عنى بذلك وُلاة مرتبة مار بطرس التي هي رومية وولاة مراتب السليحيين. وكما انهُ قال للسليحيين « اني معكم الايام كلها الى آخر الدهر» ولم يعنِ بهذا القول السليحيين باعيانهم فقط بل عنى ايضاً اصحاب مراتبهم ورعيتهم. وكذلك القول الآخر الذي قالهُ لمار بطرس « ان اعطف في الحين وثبت اخوتك وانهُ لا يُخسر ايمانك » انما عنى بذلك ولاة مرتبته. والدليل على ذلك ان مار بطرس نفسه هو الذي خسر ايمانه من بين السليحيين و كفر بالمسيح. ولعل المسيح انما خذلهُ لهذا ليحقق عندنا انهُ ليس اياه عنى بذلك القول. ولم نرَ احدًا من السليحيين وقع ولا احتاج احد الى مار بطرس ان يثبته

فان قال قائل انهُ انما عنى المسيح بهذا القول مار بطرس نفسه والسليحيين

باعيانهم فقد جعل الكنيسة لا مثبت لها بعد موت مار بطرس. وكيف يكون هـذا ونحن نرى الغربلة كلها انما كانت من الشيطان للكنيسة بعد موت السليحيين. وهـذا يدل على انهُ ليس اياهم عنى المسيح بهـذا القول. فلعمري ان كل واحد ليعلم ان الاراتيقين انما ثاروا في الكنيسة بعـد موت السليحيين بولس السميساطي واريوس ومقذانيوس واوناميوس وسباليس وابلّيناريوس واورجنوس وغيرهم. ولو كان هذا القول الذي في الانجيل انما عنى بهِ مار بطرس والسليحين باعيـانهم اذًا قد كانت الكنيسة بعدهم معطَّلة من العزاء ولا كان احد ينقـذها من هؤلاء الاراتيقين الذين اراسيسهم حقًا هي ابواب الجحيم التي قال المسيح انها لا تغلب الكنيسة (متى ١٦ : ١٨). اذًا لا محالة ان هذا القول انما عنى بهِ ولاة مرتبة مار بطرس الذين لم يزالوا يثبّتون اخوتهم ولن يزالون ما بقي الدهر

او ما تعلمون ان آريوس حيث خرج انما اجتمع الجمع عليـهِ بامر اسقف رومية فطرحهُ الجمع القديس وابطل اراسيسهُ وقبلت الكنيسة هذا الجمع ودفعت اريوس كما قبلت كنيسة انطاكية اذ ذاك صحيفة السليحيين ورمحت هؤلاء الاراتيقين الذين كانوا يعلمونها ان تختتن وتقبل الناموس. وحيث خرج مقذانيوس وقال في روح القدس ما قال: كذلك اجتمع عليهِ جمع بالقسطنطينيَّة بامر اسقف رومية فطرحهُ الجمع القديس وقبلت الكنيسة ذلك الجمع كما الجمع الاول وأقصت مقدانيوس كما اقصت آريوس وتعلمت من هذين الجمعين ان تقول ان الابن والروح من جوهر الاب. وان كل واحد منهما اله لم يزل مع الاب ومن الاب. وقبلت الكنيسة هذين الجمعين على مثل ما قبلت كنيسة انطاكية اذ ذاك مجمع السليحيين. وكما لم يكن لكنيسة انطاكية نظر مع رأي السليحيين كذلك لم يكن لاحد نظر مع راي هـذين الجمعين. وكما ان ما كتب بهِ السليحيون اذ ذاك الى كنيسة انطاكية انما كان راي روح القدس كذلك لا تشك الكنيسة ان راي هذين الجمعين هو راي روح القدس. وكما لم تقبل كنيسة انطاكية اذ ذاك لا من بولس وبرنابا ولا من الآخرين حتى رفعَتهم الى مجمع السليحيين فتوقعت رأي ذلك الجمع فلمَّا اتاها تعزَّت بهِ كذلك لم تقبل الكنيسة لا من اريوس ومقذانيوس ولا ممَّن كان يخاصمهم في زمانهم من الآباء القديسين حتى رفعت ذلك الى الجمع المقدس فتوقعت رايه. فلمَّا اتاها قبلتهُ فتعزت بهِ وسُرَّت (التتمَّة للآتي)

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعيّ (تابع لما سبق)

في لغات لبنان القديمة

قد استدلَّ القارئ من الابحاث السابقة (١ ان لبنان مع ما طرأ عليهِ من تقلُّبات الاحوال وتعاقُب الامم في سكناه لم يزل مقاماً لشعب اصليّ كان سامياً يغلب عليهِ العُنصر الكنعانيّ والآرامي. ولنا في درس اللغات المستعملة في لبنان ما يؤيد هذه النتيجة فانَّ التاريخ والبحث اللغويّ يثبتان صريحًا انَّ اللغة الشائعة في لبنان كانت ابدًا لهجةً ساميَّة

ولنا في اكتشاف مراسلات تلّ العمارنة التي وصفناها سابقًا (٢ ما يرقي حجّتنا من هذا القبيل الى القرن الخامس عشر قبل المسيح. فانَّ في هذه المكاتبات عدَّة تقارير ارسلها ولاة صيداء وجبيل وبيروت الذين كان لبنان تحت حكمهم الى فراعنة مصر وكلها باللغة البابليَّة التي كان ينطق بها هؤلاء الامراء وعمَّالهم اجمعون. وهو لعمري امرٌ ذو بال يؤخذ منهُ انَّ اللغة الاشوريَّة كانت شائعة بين اهل لبنان ان لم تكن لغتهم الوحيدة. فيسوغ اذن القول بانَّ اوَّل لغةٍ شهد التاريخ على وجودها في لبنان انَّما كانت لغةً ساميَّة اعني البابليَّة. وقد حاول المقتطف (١٩٠٣، ص ١٧٥) في وصفهِ لكتاب تاريخ بيروت ان ينكر ذلك حيث قال: « انَّ استعمال اللغة الاشوريَّة في المكاتبات السياسيَّة والتجاريَّة لا يكفي دليلًا... على انَّ اللسان الاشوريّ كان شائعًا في ظهراني الأمَّة الفينيقيَّة » الَّا انَّ في قولهِ لشططًا ولو تحقَّق نفوذ الأمَّة البابليَّة في بلاد الشام منذ ثلاثة آلاف سنة قبل المسيح لما جحد ذلك (٣ والآثار

١) راجع الفصل المعنون « الامم البائدة في لبنان » وفصل « انتشار الأمَّة المارونية » الخ

٢) راجع مقالتنا « احوال لبنان ومراسلات تلّ العمارنة » في المشرق (٣: ٧٨٥)

٣) راجع المقالات الحسنة التي كتبها في هذا الصدد حضرة الاب دي لانر اليسوعي (P. Delattre : *Le pays de Chanaan, province de l'ancien empire égyptien*)

المنبئة على مكان البابليين وكلمتهم الراجحة في هذه البلاد لعديدة حتى انَّ كثيرين من العلماء المبرّزين كفنكلر (١ وغيره يزعمون انَّ ملوك بابل استولوا على الشام في ذلك العهد العهيد وانَّ القبائل البابليَّة التي كانت على ضفَّة نهري الفرات ودجلة امتدَّت وانتشرت الى سواحل البحر المتوسّط. وهو رأي راجح كان يجيز لنا بان ننظم البابليين بين امم لبنان البائدة لولا رغبتنا في اقتصار الابحاث. وما لا يُنكر من آثار المعاملات بين بابل ولبنان الموادُّ البنائيَّة التي وجدت في اخربة بابل ممَّا نُقل من لبنان كالارز والرخام الابيض والحجارة. أفيُستغرب بعد ذلك كون اللغة البابليَّة انتشرت في ضواحي لبنان

والظاهر ان ملك البابليين في الشام امتدَّ الى نحو القرن الرابع عشر قبل المسيح ومن تبصَّر في مكاتبات تلّ العمارنة وجد فيها الفاظًا وتعابير من اللغة الكنعانيَّة وهذا دليل على انَّ مستعمرات من الفينيقيين والكنعانيين استوطنوا قبل ذاك العهد سواحل الشام ولا يلبث الاراميُّون أن يتعقَّبوا آثارهم و يجتمعوا بهم (٢

واعلم ان اللغة الكنعانيَّة (التي تشمل العبرانيَّة والفينيقيَّة) واللغة الآراميَّة متجاورتان حتى تغلَّبت الآراميَّة وصار لها السَّبق فكادت تكون هي اللغة الوحيدة بعد جلاء بابل على ان بعض معاملات لبنان لا سيَّما ما كان منها مجاورًا للمراكز الفينيقيَّة الكبرى ثبتت مدَّة بعد ذلك على استعمال اللغة الفينيقيَّة

فمن ثم لا نشطُّ اذا قلنا انَّ اللغة الآراميَّة ملكت دون منازع في لبنان مدَّة نيِّف والف سنة. قال المؤرخ مُمسن الشهير في تاريخ الشام على عهد الفتح الرومانيّ « انَّ لبنان بحصر الكلام لم يغيّر قطّ عنصرهُ (٣ » اعني انهُ بقي آراميًا جنسًا ولغةً الى نحو القرن الرابع عشر من تاريخ الميلاد

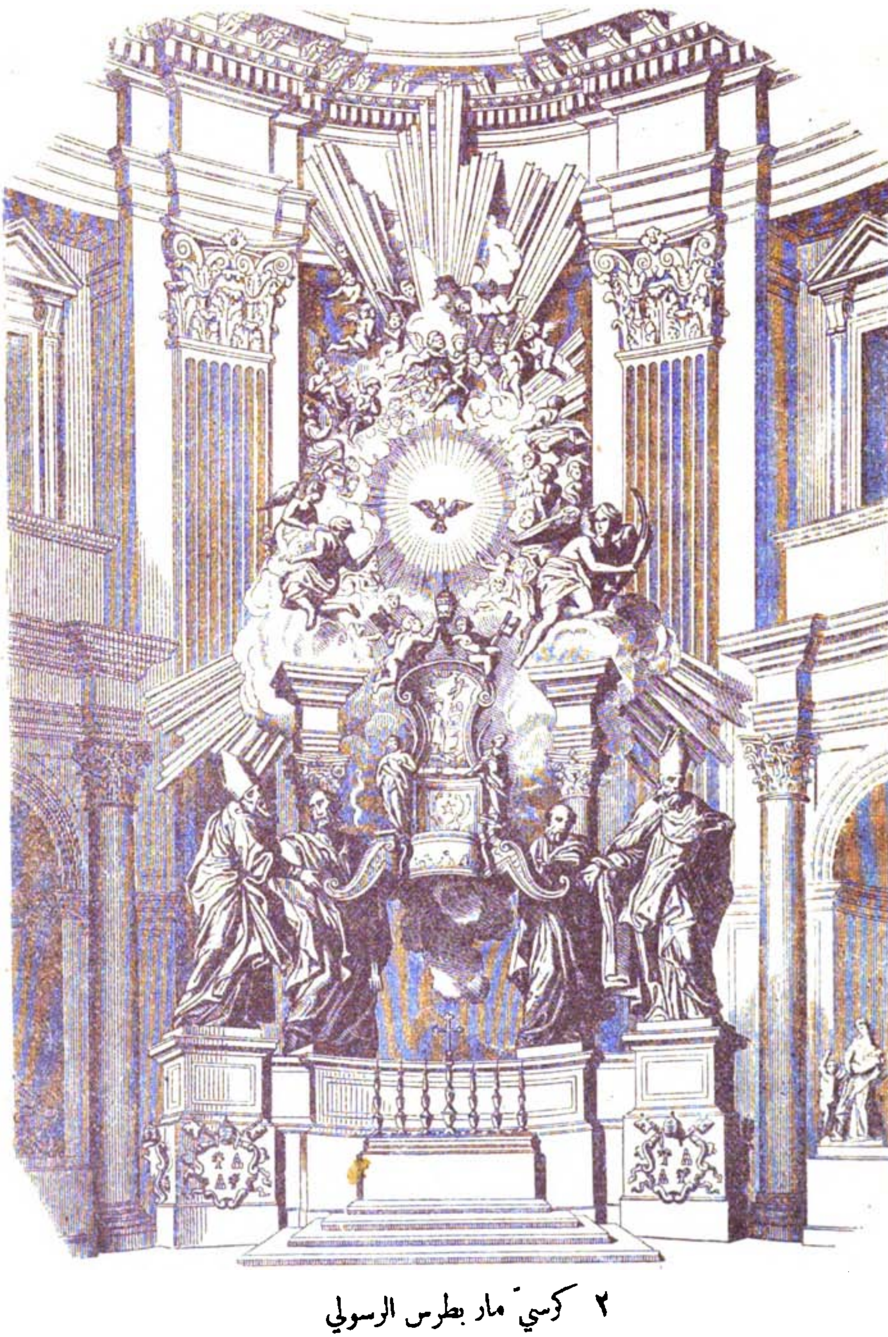
ولمَّا صار الامر الى الفرس بعد البابليين بقيت السيطرة للُّغة الاراميَّة وكان ملوكها يتَّخذون هذه اللغة كاللغة الرسميَّة ليس فقط في بلادهم لكن ايضًا في الاقطار الخاضعة

---

١) راجع كتابهُ الاخير H. Winckler : *Kleinschriften und das alte Testament*, 1903

٢) راجع فنكلر Winckler : *Die Völker Vorderasiens*

٣) راجع تاريخه (Röm. Gesch., V, *418*)



٢ كرسيّ مار بطرس الرسولي

لهم كمصر وآسية الصغرى. والاكتشافات الأثريَّة في مصر تؤيد ذلك فانَّ العلماء وجدوا عدَّة كتابات اصدرها ولاة الفرس باللغة الآرامية. وكذا فعل من بعدهم ملوك بني ساسان فانَّ رسائلهم كانت مكتوبة باللغة السريانيَّة (١

امَّا السلوقيُّون فانَّ نفوذهم في لبنان كان ضعيفًا لاسيَّما من حيث اللغة فان اللبنانيين داوموا على استعمال اللغة الآرامية ممزوجةً باللهجة الفينيقيَّة. ومن عجيب الامور انَّ انتشار لغة الآراميين بلغ على عهد السلوقيين مبلغًا عظيمًا فاضحت اللغة السائدة في كل آسيَّة الساميَّة اعني في سوريَّة وما بين النهرين وبلاد الكلدان والعراق وجزيرة العرب (٢ الَّا انَّ اللغة الرسميَّة بين عمَّال الدولة ولغة العلماء كانت اليونانيَّة في كثير من تلك البلاد دون ان تشيع في عامَّتها (٣

ثم تولَّى الايطوريُّون على لبنان (٤ فلم يغيِّروا شيئًا من لغته وكان الايطوريُّون عربًا واصلهم من حوران من الجهات المجاورة لجبل حرمون. ومع كون المؤرخين لم يصرّحوا بايَّة لغةٍ تكلَّمت قبائلهم لا نشكُّ في انَّ العربيَّة او الآراميَّة كانت لغتهم الخاصَّة كما يُستدل على ذلك من اسمائهم وهي عربيَّة او آراميَّة

وان سلَّمنا انهم تكلَّموا بالعربيَّة لا نرى بُدًّا من القول بانَّهم اتَّخذوا الآراميَّة كلغة معاملاتهم. وذلك لانَّ الطرق التجاريَّة بسبب الحروب التي وقعت بين الملوك السلوقيين وملوك مصر اللاغيّين كانت تحوَّلت الى جهات جزيرة العرب بعد مرورها سابقًا في سوريَّة الشماليَّة وسوريَّة الوسطى فصار العرب وسَطًا لهذه التجارة الواسعة. ولمَّا لم يكن للعرب وقتئذٍ كتابة خاصَّة اضطرَّهم الامر ان يتَّخذوا اللغة والكتابة الآراميَّة الشائعة في حدود بلادهم بين مجاوريهم الآراميين

امَّا النَّبط وهم من اقارب الايطوريين وجيرتهم فانَّ لغتهم النبطيَّة لم تكن سوى لهجة آرامية. وامتدَّت اللغة الآراميَّة في شمالي جزيرة العرب الى حدود الحجاز وذلك في القرون الاولى من تاريخ الميلاد الى القرن السابع منهُ. والادلَّة على ذلك كثيرة فان

١) راجع مقالة دي كاترمار عن النبط Quatremère : *Nabatéens, 137.*

٢) راجع المجلة الاسيويَّة الالمانيَّة ZDMG, *1855* p. *333.*

٣) راجع مقالة الدكتور سندا عن الارامين Sanda : *Die Aramäer 1, 23 etc.*

٤) راجع المشرق (٥ : ٨٢٤)

الكتابات التي وجدت في كل تلك الانحاء انما هي بالآراميَّة ليست بالعربيَّة (١

وما قلناهُ عن الشام وجزيرة العرب يصحُّ ايضاً عن شبه جزيرة سينا وفيها كتابات آراميَّة لا تُحصى ابقاها لنا عرب تلك الجهات

فمن ثم نصادق تماماً على قول العلاَّمة نلدكه وقولهُ حجَّة في زماننا عند العلماء: « قد تناوبت في لبنان هذه اللغات الثلاث اعني الكنعانيَّة ثم الآراميَّة ثم العربيَّة ». وكان يمكن هذا المستشرق الشهير ان يقدّم على هذه اللغات اللغة البابليَّة الَّا انهُ لمَّا كتب هذه العبارة لم تُكتشف بعدُ مراسلات تلّ العمارنة. امَّا اللغــة الفينيقيَّة فانَّ الآراميَّة قامت مقامها في لبنان كما في سوريَة كلها في قرون النصرانيَّة الاولى (٢

امَّا اللغات الاخرى غير الساميَّة فانها لم تَفُز قطّ بالسيطرة في لبنان. واذا خصصنا بالنظر اللغة اليونانيَّة وجدنا انَّ اللبنانيين لم يتكلموا بها مطلقاً. وقد بيَّنَّا في ما سبق ما معنى الكتابات اليونانيَّة التي وُجدت في لبنان (راجع المشرق ٥:٥٠٨) واثبتنـــا ان وجودها ليس بدليل على شيوع هذه اللغة بين العامَّة كما انَّ وجود الكتابات اللاتينيَّة المتعدّدة فيهِ لا يدلُّ على انَّ اهل لبنان تكلَّموا بهذه اللغة. وعندنا انَّ هذه الكتابات لم يفهمها غير العمَّال الذين آمروا بصنعها. ولا نستثني من هذا الحكم الصنَّاع الذين حفروها فانَّهم كانوا ينقلونها نقلاً ويصوّرونها دون ان يقفوا على فحواها

وقد زادت اللغة الآرامية شأناً بدخول الموارنة في لبنان فاضحت في أظهرهم اللغة الوحيدة مدَّة اجيال متوالية. وتشهد على ذلك اعلام قرى لبنـــان التي هي في الغالب مشتقَّة من اصل سرياني كما بيَّنَّا ذلك سابقاً وسيأتي بيانهُ بنوع اجلى

ولمَّا ظهر المسلمون واستولوا على سواحل الشام اخذت العربيَّة تنتشر شيئاً فشيئاً

١) راجع مقالة دي كاتر مار في النبط (١٢٣ و١٢٤) . وقال المسعوديّ في كتاب التنبيه (ص ٧٩): « وكانت بلاد العرب اليوم وبرّها ومدرها اليمن وتهامة والحجاز واليمامة والعروض والبحرين والشحر وحضرموت وعمان وبرّها الذي يلي العراق وبرّها الذي يلي الشـــام. وهذه الجزيرة كلها. . . لساناً واحد سريانيّ ». راجع ايضاً مقالات نلدكه ZDMG, 1881, 122 ومقالات فنكلر (H. Winckler: *Mitteil. vorderas. Gesch. 1901;* 130) وكرَّاسة فيليب برجه (L'Arabie avant Mahomet, 8 p. 9)

٢) راجع Ad. Harnack: *Mission u. Ausbreit d. Christentums*, p 730

في جهات لبنان. وساعد على انتشارها ايضاً دخول الايطوريين كما سبق (المشرق ٥ : ٨٢٤) ثم دخول المتاولة والنصيريين من بعدهم (١ ألّا ان اللغة الآراميّة دافعت عن حقوقها مدافعة جيّدة حتى ان ابا الفرج ابن العبري (٢ كان يعتبر في القرن الثالث عشر السريانيّة كافة اهل لبنان. ألّا ان لغة العرب لم تزل في نموّ وانتشار حتى غلبت السريانيّة شقيقتها في القرن الخامس عشر لكنْ هذه لم تتوارَ بالتمام الّا تدريجاً وكان اهل بعض القرى الداخليّة كبشراي وحصرون وجيرتهما يتكلّمون بها حتى في القرن السابع عشر (٣

وبقي من آثار السريانيّة بعد خمولها انّ كثيرين اتّخذوها لكتابة المؤلّفات العربيّة كما يظهر من كثرة الكتب المخطوطة بالكرشوني. هذا فضلًا عن عدّة الفاظ وتعابير سريانيّة باقية في لهجة اللبنانيين (٤ تنبئْ بما كان من السيطرة للغة الآراميين في لبنان بل قُل في اكثر اقطار المعمور. كيف لا ومن اقدم لهجاتها اللغة الاشوريّة التي وُجد من آثارها كتابات راقية الى ٤٠٠٠ سنة قبل المسيح في اكثر اقطار آسيّة الغربيّة واضحت هي مدّة اعصار عديدة حتى بعد القرون المتوسّطة لغة علماء الشرق كما كانت اللاتينيّة لغة علماء الغرب وكان المسلمون ايضاً يدرسونها لكثرة فوائدها (٥. وقد كتب بها الارمن مدّةً قبل انتشار الارمنيّة وحروفها. وقد بلغ امتداد هذه اللغة الى اقاصي الشرق في الصين شمالًا وفي الاقطار الهنديّة جنوباً كما انّها بلغت جنادل النيل. فلا نظنّ انّ لغةً أخرى حتى ولا اليونانيّة جارت السريانيّة في اتساعها اللهمّ الّا الانكليزيّة في عهدنا

فترى شطوط القائلين بانّ اللغة الآراميّة كانت لغةً خاملة بربريّة. وقد فنّد المشرق زعم الذين نسبوا الى اوريجانس مثل هذا القول. والارجح ان اوريجانس نفسهُ كان يعرف هذه اللغة ويقتبس من انوارها. وكذلك اولئك الرجال العظام الذين شرّفوا الشرق بعلومهم كاوسابيوس القيصري وتوادوريطس ويوحنّا الدمشقي وغيرهم. وفي ما سبق كفاية لتعريف شرف السريانيّة واتساع نطاقها في العالم (ستأتي البقيّة)

---

١) راجع مقالتنا الافرنسيّة عن النصيريّة في لبنان (ROC, 1902)

٢) راجع تاريخ مختصر الدول (ص ١٨)

٣) راجع مقالتنا « فرا غريفون » في السنة الاولى من المشرق

٤) راجع مقالة الاب باريزو في المجلّة الاسيويّة الباريسيّة (١٨٩٨ ص ٢٨٦)

٥) فيها (ص ٢٤١)

يمين العليّ

رواية تاريخية للاب س. ت اليسوعيّ

الفصل العاشر

مريم

كانت الايّام تتوالى وتتعاقب الاسابيع ويهوديت لا تعرف لابيها خبرًا. فانّها مدّة زمن طويل كانت تعلّل نفسها بالاماني وترجو رغمًا عمّا يشغل قلبهـا من الهواجس بان والدها لا يدعها في عزلتها كئيبةً اسيفةً ويعود بعد قليـل الى دارهِ فينعش بحضورهِ قواها او بالحريّ يفتح قبرها ويحيي رمسها

الّا انّها لمّا رأت كرور الايّام وتتابع السّبات دون ان تتحقّق آمالهـا اظلمت الدنيا في اعينها وانصرم حبل رجائها واحسّت بان الحرب الاورشليميّة ألحقت بابيهـا الويلات فلا يبعد ان تكون اضحت يتيمةً لا سند لهـا في العالم ولا ملجأ. فكنت تراها تقضي في غرفتها الساعات الطويلة واجمةً صامتة لا تدري ما تقول او ما تفعل. وكان خدمها يخشون ان يزيدوا حزنها اذا فاوضوها في امرها او حاولوا ان يعزّوها في بلبالها. وما كانت لتجد حتّى في نومها راحةً اذ تتوارد عليها الخيالات المزعجة التي تطير النوم من اجفانها

ومن ثم لو كان احد اصحاب يهوديت رآها بعد غيبةٍ وقابل بين حالها اليوم وبهائها قبل شهرين لمّا عرفها. فكانت عيونها غائرةً ووجهها مصفرًّا ولونها ساهمًا وشفاهها ذابلةً كأنّها الزهرة النضرة اصابها السموم فأذواها بريحهِ اللافحة. فليت شعري تُرى ماذا يحلّ بها لو بقيت مدّةً على هذه الحـالة ألا تصبح فريسةً للمنون او تذوق من اوجاع النكبات ما هو امرُّ من الموت

على انّ هذه البلايا التي كانت تنهك قوى يهوديت وكادت تتهدّدهـا بالموت العاجل راضت نفسَها ومرّنتهـا على احتمال الشدائد وسبكتها كما يُسبك الذهب في النار. فانّها كانت في الامس مطبوعةً على حبّ ملذّات العالم وبذخ العيش تقضي ايّامها في الزينة ولبس الحليّ تأنس بمديح الناس وتمليقهم لا تُطيق اعتراضًا على اعمالها وبجملة

القول ترى نفسها كدُمية يقتضى على الجميع تكريمُها بل السجود لبهائها . امّا اليوم اذ ضعضعت الرزايا قواها وشحذ آراءها مِسَنُّ التجارب فانّها كانت اصبحت رزينةً فطنةً متواضعةً ليّنة العريكة ترضى بالقليل . ونما حبُّها لابيها الذي عرفت آنئذٍ فضلَهُ عليها وكانت تودُّ لو امكنها ان تفدي حياتهُ بدمها

وهكذا مرَّ على يهوديت في الاحزان والاوجاع شهران كاملان اعني شهري اذار ونيسان . وكان دخل عليها ايّار وابهج الكون بمواهبِهِ الغرَّاء التي تكسو الطبيعة بهجةً وجمالًا . وكانت حديقة بيت صمونيل كلّها زاهيةً بالورود واصناف الزهور تعطّر الجوّ باريجها . وكانت الاشجار تميس باغصانها ويتلاعب النسيم بافنانها وفي اوراقها تغرّد الطيور وتصدح بانغامها فيسبّح المستظلّ بفيئها خالق البريَّة اذ يلقى من الراحة والبهجة ما يُنسيهِ كرب الاوجاع ووقر الاتعاب

على انَّ هذه المشاهد الفتّانة لم تكن لتخفّف احزان يهوديت بل كانت تزيدها غمًّا لما بين اشجانها وسرور الطبيعة من البون

وكانت الاخبار تتوالى يومًا بعد آخر من اورشليم وكلّها تنفذ في قلبها كسهامٍ بحيث امكنها ان تقول مع الشاعر

رماني الدهرُ بالارزاء حتى فؤادي في غشاء من نبالِ
فصرتُ اذا اصابتني سهامٌ تكسّرتِ النصالُ على النصالِ

فكان البريد يخبر حينًا بهجوم الرومان على الاسوار ودخولهم في حيّ بزيتا وحينًا ينبئهم بحريق « اكرا » وقتل اهلها . وتارةً يبلغهم ما يثور بين احزاب اليهود من الضغائن والملاحم الدمويَّة بازاء اعدائهم ويومًا كان يفيدهم انَّ المجاعة بلغت في اهل اورشليم مبلغها الى غير ذلك من الاخبار المفجعة التي تتفتَّت لها الاكباد ويتصدَّع لها الجلمود

فثبت لدى يهوديت ان كل امل في نجاة المدينة قد خاب وانّها لا تعود ترى اباها وعلّة حياتها . لأنّها كل ما كانت تفكر في صمونيل كانت تجد اباها في أحد طرفي نقيض امّا انّـهُ مات في الحرب او انهُ لا يزال في المدينة . فان مات كانت يتيمةً لم يبقَ لها على الارض من يُعنى بها ويرثي لحالها . وان كان حيًّا في المدينة فلا ريب انهُ يقاسي الاهوال ويكابد من الآلام ما لا يعلمهُ الّا الله . والمدينة قد وقعت الآن في حيص

بيص تتنازعها دواعي الخراب والمجاعة والسيف والنـار فكيف ينجو منها ناجٍ ما لم يخلّصهُ الله بآية باهرة

فكانت يهوديت تتقلّب على جمر القتاد تتعقّبها افكارها المقلقة ليلًا مع نهار. وكثيرًا ما كانت ترى والدها اذا ضغط عليها النوم فاثقل جفونها يحضر امامها بحالةٍ يُرثى لها فتراهُ شاحب اللون مضرَّجًا بالدماء بحيث لا تكاد تعرفهُ لولا حبُّها البنوي. وكان يخال لها انّهُ يناديها عن بعد باسمهـا ويمدُّ اليها ذراعيهِ مستغيثًا... امّا هي فكانت تسعى بان تعدو اليهِ وتضمّد جروحهُ لكنّها كانت تحس باعضائهـا تتخدَّر فلا تستطيع حراكًا... فتصرخ طالبةً المعونة من الحضور وبصراخها كانت تنتبه مذعورةً والعرَق البارد يسيل من جسمها فيتوارى عن عيانها هذا الشبح الهائل

ولم يكُ نهارها ابهج من ليلها فان دارها كانت اصبحت لها كسجن لا تذوق فيهِ راحةً. وقد سبق انَّ حاشيتها كانوا يأنفون من مقاربتها لئلّا يجددوا احزانهـا. امّا الاقارب والاصحاب فكانوا قد انسحبوا عنها البعض منهم لما اصابهم مثلها من النكبات بحلول الويلات على اورشليم مدينتهم المقدّسة والبعض لأنهم لم يعودوا يجدون في بيت الورود من الاجتماعات السارّة والمآدب الفاخرة والليلات الراقصة

وكان اوّل من تباعد عن يهوديت كبيرُ ارباب اليهود وابنهُ يعقوب الذي كان يطلب الاقتران بابنة صموئيل. الّا انهُ كان بلغهما انَّ يهوديت لا يصيبها من وراثة ابيها الّا حصّة صغيرة فاخمد ذلك لظى حبّ يعقوب وابنهِ فلم يعودا يسألان عنها. وكذا ابتعد عنها غيرهما من الاصدقاء والاحباب

الّا انهُ كان بقي لها رجاء في اخيها يوسف فكانت تظن انهُ اذا عرف ما دهمها من مضض الاوجاع يحنُّ لها ويعود الى بيتهِ ويعيش مع اختـهِ بالسكينة والسلام. وبناء عليـهِ اخذت تستخبر عن مكانهِ فعلمت انهُ كان يتنقّل في جهات البقاع من مكان الى آخر ويقضي ايّامهُ بالبسط والكيف مع بعض الشبّان فكتبت اليـهِ كتابًا مملوًا لطفًا وحنوًا قالت لهُ في اثنائهِ انّها قد نسيت كلَّ ما جرى بينهُ وبينها سابقًا وان كانت آذتهُ بشيء. فانها تطلب اليهِ ان يغفر لها ويعود الى دار والده فيعيش كلاهما بالمحبّة والهناء. الّا انَّ يوسف كان رجلًا يعميهِ الصَّلَف ويستفزُّهُ العُجب والخيلاء يحبُّ نفسهُ ولا يرى في اختهِ غير آلةٍ يفخر بها ويتباهي بمحاسنها ولكن يريدها طوع ارادتهِ

وعبدةً لمطامعهِ . ومن ثمَّ آثر العيشة بعيدًا عنها ليركب راسهُ في اهوائهِ ويجمح في جهالاتهِ

ولمَّا بلغهُ كتاب اختهِ مزَّقهُ ولم يجب عليهِ حرفًا الَّا انهُ كتب بطاقةً وجَّهها الى سلوانس قيِّم دار الورود كان يقول لهُ فيها انَّهُ سيرسل عمَّا قليل وكيلًا ينوب عنهُ في امر وراثة ابيهِ اذا ما تحقَّق موتهُ . وكان يعرض عليهِ بان يجمع كل الحجج والصكوك المتعلقة بذلك فينهي الامر باقرب وقت

وقد مرَّ ان سلوانس كان عبدًا امينًا يحبُّ سيّدتهُ يهوديت ويتفانى في خدمة مصالحها : فأنف ان يخبرها بامر الكتاب الذي ورد عليهِ من اخيها يوسف لئلَّا يمضَّ كتابهُ قلبها اذا علمت بسوء صنيع اخيها وشراسة طباعهِ

الَّا انَّ الامر لم يبقَ مكتومًا زمنًا طويلًا . فبعد هذه الرسالة بأيَّام قليلة طرق على باب دار الورود عبدٌ طلب ان يواجه السيّدة يهوديت قائلًا ان لديهِ كتابًا من اخيها

فلمَّا ادخلوهُ امامها استنكفت يهوديت من منظرهِ نافرةً اذ رأتهُ لابسًا ثوبًا وسخًا وهو قبيح المنظر احوص العينين طويل الاذنين احدب تضطرب كل اعصابهِ كلَّما فتح فاه . فتعجبت يهوديت من اخيها كيف اوفد اليها كتابًا مع رجلٍ بهذه الصفة كانهُ يريد ان يزعجها بمنظرهِ . وزاد قلقها لمَّا شعرت بخبث الوافد ومكرهِ بعد ان وقف امامها برهةً وتلمَّحتهُ . فسألتهُ يهوديت قائلةً :

ما اسمك ؟

فانحنى العبد الى الارض تملُّقًا وقال : اسمي اروس احد عبيد اخي سموِّكِ

— وهل تأتيني برسالة ؟

— كلَّا ايَّتها السيّدة الشريفة وانَّما ارسلني السيّد يوسف لاهتمَّ بمصالحهِ

— ولم يوصك بشيء لي ؟

— كلَّا يا سيّدتي المعظَّمة

قال هذا بصوتٍ مملوءٍ كيدًا وهو يعلم انَّ كلامهُ يرشق قلب الفتاة ويسقيها كأسًا امرَّ من العلقم

— فان لم يوصكَ اخي بشيء . فلا حاجة ان تعود فتحضر امامي . وهاك سلوانس يفيدك ما تريد ان تعلم

فخرج عبد السوء بعد ان كرَّر امام يهوديت سلامهُ بتقبيل الارض . امَّا ابنة صموئيل

فتأكدت ان بينها وبين اخيها هوّةً عميقةً لا تُملأ الى الابد وانَّ قلب يوسف اقسى من الصخر الاصمّ. وعليهِ فقد ضاع املها الاخير ولم يبقَ لها غير الله سند المتروكين وعضد الملهوفين

والحقُّ يقال انَّ يهوديت التي كانت وطَّنت نفسها منذ بضع اسابيع على كلّ المرائر والاوجاع احتملت هذه الاهانة من اخيها بصبر عجيب. فرفعت بنظرها الى الله وطلبت منهُ الَّا يهملها بينما الجميع يحزنونها ويبتعدون عنها

وممَّا كان يزيدها قوَّةً وثقة بهِ عزَّ وجلَّ انَّها كانت تطالع الاسفار المقدَّسة فتجد فيها لنفسها قوتًا وسلوانًا. وجعلت كلَّ يوم صباح مساء تتردَّد وحدها لابسةً لبس الحداد الى الكنيس المشيَّد في وسط حي اليهود على مسافة ربع ميل من دارها. وكان القوم اذا رأوها مارَّةً في شوارعهم كفُّوا عن ضجيجهم ونظروا بهيبة ووقار الى ابنة الاشراف التي كسفت انوارها ظلمة الحزن. وكان يعرفها الفقراء لكثرة صدقاتها. وكانت اختصَّت منهم بالرحمة رجلًا كسيحًا كان يستعطي على باب الكنيس فلا تمرُّ بقربهِ دون ان تُحسن عليهِ بصدقةٍ وافرة قائلةً: «صلِّ من اجل والدي» فيجيبها الشيخ شاكرًا: «جازاكِ الله خيرًا فانَّ اجر عملة الخير لا يضيع لديهِ» فكانت الفتاة تتعزَّى بهذه الكلمة وتضاعف اليهِ حسناتها

كلَّا لا يضيع اجر عملة الخير! وقد شعرت يهوديت بصدق هذا القول بعد ايَّام قليلة. فانَّها دخلت يومًا على جري عادتها كنيس قومها وكان الكنيس خلوًّا ليس فيهِ احد فبعد ان صلَّت الى الله طويلًا قامت الى مِقرأة هناك عليها التوراة واسفار الانبياء ففتحت الكتاب واذا عينها وقعت على فصل اشعيا (٧: ١٤) حيث سبق وتنبَّأ النبيّ «بان عذراء تحبل وتلد ابنًا يُدعى عمَّانويل» فاثَّرت فيها هذه الآية تأثيرًا عظيمًا لم تعهدهُ سابقًا لمَّا كانت تقرأ هذا الفصل او تسمع تفسيرهُ من علماء قومها فتحرَّكت حينئذٍ كل شواعرها واحسَّت بعامل الهيّ يستولي على قلبها و يجتذب كل عواطفها ألا وهو ذاك المسيح المنتظر رجاء الامم الذي يبني عليهِ قومُها قصارى الآمال لينقذهم من اعدائهم. فظهر لها في تلك الساعة بعزّهِ وجلالهِ كانسان والهٍ معًا فبُهر نظرها لهذا المشهد السامي وقامت من ثمَّ وهي معتقدةٌ بان هذا المسيح قد حان وقتهُ وانهُ قد

نزل على الارض كما تنبأ الانبياء وانَّ قومها لم يعرفوهُ او بالحري تعاموا وتسكَّعوا في ضلالهم لئلَّا يتبعوا تعاليمهُ

فخرجت يهوديت من الكنيس وعادت الى دار الورود وهي تردّد في فكرها آية الكتاب وتقابلها بآيات أُخرى من الانبياء تجلي معانيها وتزيدها ايضاحاً. وكان يخطر على بالها كل ما سمعتهُ او رأتهُ بالعيان من امر المسيحيين وتذكَّرت ما قصّتهُ عليها لانيش ظئرها في جُبَيل عن المسيح واخبارهِ العجيبة كميلادهِ الغريب في مذود حيث سجد لهُ رُعاةٌ وملوك وكعيشتهِ الساذجة في الناصرة كاحد العملة ليعلّم البشر التواضع والقناعة وكبشارتهِ للانجيل مدَّة ثلاث سنوات وهو يعمل الخوارق من احياء الموتى وشفاء العميان وتطهير البرص الى ان مات على خشبةٍ محكوماً عليهِ بالموت الّا انَّ موتهُ كان مبدأً لعظمتهِ ومجدهِ اذ قام من قبرهِ حيًّا ظافرًا واثبت قيامته بالمعجزات المتعدّدة حتى ارتفع آخرًا الى اعالي السماء بقوَّتهِ وجذب اليهِ العالم باجمعهِ شاء ام ابى

وكلُّ هذه الافكار كانت تمتزج في قلب يهوديت امتزاج الماء بالراح حتى ثبت لديها انَّ عمانويل الذي ذكرهُ اشعيا هو هو يسوع الناصريّ الذي تراءى على الارض وحقَّق في شخصهِ كل نبوَّات الانبياء من موسى كليم الله الى ملاخيا آخر انبياء اسرائيل. وانَّ العذراء امهُ انَّما هي تلك التي عملت في قلبها صورتها المملوءة حناناً وعذوبةً يوم رأتها في مصلَّى النصارى في جُبَيل

وكلما كانت هذه الافكار تخالج ذهن يهوديت كانت تزيد ايضاً في قلبها عواطف الحبّ ليسوع الناصري. وهي التي كانت سابقاً تأنف من إلهٍ يكابد الموت والآلام المرَّة لم تَعُد تجد في صليب المسيح الّا تعزيةً وسرورًا. وذلك ان الاوجاع كانت خامرت نفسها وطأمنت زَهوها وعتوَّها فصارت تُدرك محبَّة المصلوب للبشر بل ظهر لها المسيح في آلامهِ وعذاباتهِ الطف واحبَّ منهُ في مجدهِ ورفعتهِ اذ تنازل كطبيب نطاسي أن يقبل عليهِ علَّاتنا ليشفيها ويعلّمنا ان نقدّسها بالصبر والاتّكال على الرحمان

فلمَّا دخلت غُرفتها دعت أَمتها قائلةً: « هيَّا يا دوروتيا انبئيني بقصَّة مسيحكِ الذي تعبدينهُ . . . فانّي اريد انا ايضاً ان احبَّهُ واسجد لهُ »

— أهذا حقٌّ او منام يا سيّدتي ؟

فاهت دوروتيا بهاتين الكلمتين واهتزَّ كلُّ شخصها لهذا الكلام طربًا واغرورقت عيناها بدموع الفرح والسعادة فضاء وجهها بضياء فائق العادة جمَّل صورتها الخشنة الخشيبة (ستأتي البقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

Exegesis Psalmorum apud Syros Nestorianos
auctore B. Vandenhoff, *Reine*, 1899, pp. 60+70

ܡܢ ܟܬܒܐ ܕܦܘܫܩܐ ܕܡܙܡܘܪܐ ܠܡܪܝ ܐܚܘܒ ܩܛܪܝܐ

تفسير المزامير لمار احوب القطري

من جملة كتبة النساطرة الذين ذكرهم عبد يشوع الصوباوي في قائمة التآليف السريانيَّة احوب (ويروى أيوب) القطري من مؤلفي القرن العاشر للميلاد. وقد اشتهر بتفسير الاسفار الالهيَّة بالكلدانيَّة الَّا انَّ كتبهُ كانت مفقودة حتى وجد منها المنسنيور صمونيل جميل نائب بطرك الكلدان سابقًا في رومية قسمًا يحتوي تفسير المزامير وجدهُ في مكتبة دير السيِّدة في ألقوش. وهو عبارة عن ١٨٠ صفحة تولَّى نشر معظمها لاسيَّما شرح المزامير المختصَّة بالمسيح في منستر من اعمال المانية الاستاذ برنهرد ڤادن هوف وصدَّرها بمقدَّمة لاتينيَّة لتعريف الكتاب وخواصهِ ثم الحق هذه الفاتحة بترجمة الشروح مع تذييلها بحواشٍ في هامش الكتاب. ومن جملة المزامير التي ورد شرحها المزمور الذي يُنسب الى داود عند قتلهِ جلياد رويناهُ بالسريانيَّة والعربيَّة في المشرق (٣ : ٢٥٤). وهذا الكتاب مفيد لدرس الاسفار المقدَّسة ولتعريف طريقة الكلدان في تفسيرها

O PRIMEIRO PASSO NA LINGUA PORTUGUEZA
por Chucri Khury, *São Paolo*, 1903, p. 104

كتاب الخطوة الاوَّلية في اللغة البرتغالية لجامعهِ شكري الخوري

يحتوي هذا الكتاب ١٣٣ درسًا ضمَّنها صاحبها خلاصة اللغة البرتغاليَّة ليتمكَّن ابناء العرب ان يتعلَّموا بوقت قصير ما يحتاجون اليهِ من الألفاظ والتعابير في البرازيل

وهذه الدروس على طريقة سهلة تُصدَّر بمعجم صغير فيهِ بعض المفردات ثم يليهِ تمارين عربيَّة وبرتغاليَّة فنثني على همَّة الكاتب ونتمنَّى لكتابهِ رواجاً

HALIL GHANEM : **Le Christ.**

Paris, *Ch. Bouniol*, 27 *rue de Tournon* 1903, p. 276

نظم المرحوم خليل غانم في السيد المسيح

بلغ هذا الكتاب ادارة المشرق يومين قبل ان نُعي الينا صاحبهُ وقد نجز طبعهُ في احد شهور هذه السنة الحاليَّة وهو يتضمَّن عدَّة قصائد عن السيِّد المسيح واعمالهِ وتعاليمهِ قسمها المؤلف الى ثمانية فصول. ومن اطَّلع عليها تحقَّق ما للشرقيين من السهولة في اتقان اللغات الاجنبيَّة فضلاً عمَّا يجد في هذا الكتاب من المعاني الرائقة والشواعر الدينيَّة رحم الله صاحبهُ رحمةً واسعة واثابهُ على عملهِ

LES VIEUX ARABES (L'Art et l'Ame)

par Paul Radiot, *Paris*, *E. Leroux*, 1903 pp. 263

تفسير قلوب العرب القدام (كذا)

كثرت في هذه السنين الاخيرة تآليف الفرنج عن العرب و بلادهم وتفسير احوالهم فبعض هذه المصنَّفات تدلُّ على علم كبير ومطالعات غزيرة ودروس واسعة تذهلنا نحن الشرقيين مع قربنا من جزيرة العرب وكثرة ما لدينا من الوسائط للوقوف على اخبارها وتاريخ اهلها. لكنَّ بين كتبة الفرنج قوماً يتَّخذون التخيُّل كرائد والتعقُّل كدليل كأنَّهم لا يرومون سوى تفكيه قرَّائهم وتحريك كمين شهواتهم سواء طابق قولهم الحقيقة او لم يطابقها. والكتاب المعنون هنا من جملة هذه المصنَّفات فانهُ يمزج بين التاريخ الصحيح والروايات الخرافيَّة. وربَّما روى الامر الواقعي فكساهُ بثوب صفيق من المبالغة حتى ينكرهُ من عرفهُ. والظاهر انَّ مؤلف هذا الكتاب لم يعرف من امر العرب الَّا النزر القليل فطبخهُ في مخيَّلتهِ واخرجهُ على هيئة غريبة فشبَّهنا تأليفهُ بمسخ فيهِ بعض لوائح الصورة الاصليَّة التي طمس محاسنها

١ ܡܣܩܬܐ ܕܕܪܘܓܐ (كذا) ܒܦܘܫܩܐ ܕܡܕܪ̈ܫܐ

مرقاة الدارج في تفسير المدارج للقس يوسف حبيقه

٢ ܗܘܕܝܐ ܠܐܘܪܚܐ ܕܡܡܠܠܐ (كذا) ܒܠܫܢܐ ܣܘܪܝܝܐ

دليل التكلُّم في اللغة السريانية للخوري بطرس حبيقه

طُبع هذان الكتيّبان حديثاً في المطبعة اللبنانيَّة في بعبدا. وهما لاخوين فاضلين محبّين لآداب اللغة السريانيَّة. والاوَّل منهما (صفحاتهُ ١٥٠) يحتوي قسماً من مدارج القديس افرام عظيم ملافنة الكنيسة السريانيَّة انتقاها ممَّا ورد في فروض وطقوس الكنيسة المارونيَّة حضرة القس يوسف حبيقه البسكنتاوي اللبناني فطبعها ونقلها الى العربيَّة. امَّا الكتيّب الثاني فعبارة عن ٦٤ صفحة وهو الجزء الاوَّل من دليل التكلُّم باللغة السريانيَّة ضمَّنهُ حضرة موْلفهِ الخوري بطرس حبيقه اثني عشر فصلًا في مواضيع شتى على طريق التباحث والتكلُّم وذلك بثلاث لغات وهي السريانيَّة والعربيَّة والفرنسويَّة. وفي كلا المصنَّفين شوائب طبعيَّة عديدة مع عدم اتقان طبعهما امَّا ما تُرجم منهما الى الافرنسيَّة فسقيم الترجمة مشحون بالاغلاط. وعلى كل حال يسرُّنا ان نرى بين اهل بلادنا نهضةً جديدة لدرس السريانيَّة وإحكام قوانينها والتكلُّم بها ل. ش

شذرات

مدينة عظيمة اصبحت غابًا جاء في جريدة المحيط الاميركية انَّ الاستاذ ماندسلي احد جيولجيي لندن اكتشف خرابات عظيمة وهياكل مهدومة وابنية لا تزال جدرانها قائمة فوق اسسها في مقاطعة شياباس مكسيكو وتمتدّ الخرابات المذكورة مسافة ٢٢ ميلًا في الطول ومثلها في العرض. وهي خرابات وبقايا اعظم من مدينة نيويرك في الحالة الراهنة وربَّما تضاهي لندن اكبر مدن العالم المعروف. وقصورها وهياكلها ومنازلها تدلّ على انها مدينة عظيمة وتظهر عظمة اهلها القدماء. وغناهم وما كانوا عليهِ من القدرة والشهرة التي طمستها الايام وجعلتها في عالم الخفايا

وقد بحث الاستاذ عن المدينة المذكورة واصل بنائها فحكم انها مدينة بالنكي

التي بنيت منذ ١٦٠٠ سنة قبل اكتشاف امركة وهُدمت بعد ذلك بـ ٥٠٠ سنة ولم يُعرف الشعب الذي بنى تلك المدينة والذي كان يقطنها وعلى تمادي الأيام ومرور السنين نبتت الاشجار فوق الخرابات المذكورة وانهالت آكام التراب فغطّتها. وتحوّلت تلك القصور الجميلة الى غابة غضّاء ينعق فيها البوم والغراب وتأوي اليها الوحوش والجوارح من الطيور فهي اشبه ببابل غير انّها لا تزال خرابتها معروفة وهذه كانت في طي الخفاء مدة مديدة

ووجد المذكور على جدران منازلها رسوماً بديعة الشكل تشخص هيئات الافاعي والحيات والطيور مرسومة بالوان ارجوانية وخضراء وسوداء وبيضاء لا تزال زاهيــة تلمع كأنّها رُسمت في هذا الحين ووجد برجاً عظيماً مرسومة على جدرانهِ رسوم اشجار مختلفة منها شجر الكوكاو الذي يُستخرج منهُ الشوكلات وبعض اوراقه في افواه الأفاعي علامة ان القوم في ذلك الحين كانوا يستعملون الورق المذكور دواء ناجعاً لسمّ الأفاعي. وحجارة البرج كباقي حجارة المدينة وقصورها ناصعة البياض كلسيّة الجنس هائلة الحجم. وفي الهيكل المذكور اصنام كثيرة للعبادة. وفي داخله احجار عديدة عليها رسوم بعض السكان وهم طائفة الهنود القدماء. بشرتهم نحاسيَّة اللون وعلى رؤوسهم الريش مختلف الألوان يتموج في الهواء كأنهُ طبيعي. امّا تاريخ وجودهم على وجه الارض وانقراضهم منها فلم يُعرف حتى الآن ولا يزال المكتشف يبحث ويدقق ولكنَّهُ لم يهتدِ الى الحقيقة حتى الساعة (البشير)

التجارة الالمانيَّة في بلاد الدولة العثمانيَّة قد استحسنت رصيفتنا جريدة المعلومات مقالة جناب الاديب ميشل افندي سماحه الواردة تحت هذا الاسم في المشرق (٦ : ٥٩٨) فشرَّفتنا بنقلها عنّا

الرسم الفوتوغرافي على الجلد قد تمكَّن احد ارباب الفوتوغراف في نيويرك من رسم الصور الفوتوغرافيَّة على الجلد. ويمكنهُ ان يزيل هـذه الصور اذا احبَّ بواسطة مزيج كيموي يُغسل بهِ الجلد فتتلاشى الصورة

قياس سرعة النور انَّ مدير مرصـد نيس في فرنسة العلاَّمة الشهير پيروتين (Perrotin) اراد ان يقيس سرعة النور قياساً اضبط ممَّا سبقهُ اليهِ الفلكيُّون وهم يقدّرون عادة سرعة النور بنحو ٣٠٨,٠٠٠ كيلومتر في الثانيــة فكرر

الأقيسة بالآلات الرصديَّة الجديدة فوجد بعد ١١٠٠ قياس انَّ سرعة شعاع النور ٢٩٩,٩٠٠ كيلومتر مع غلطٍ صغير لا يتجاوز ٨٠ كيلومترًا زيادةً او نقصاً

مصل لذات الرئة اكتشف الدكتور تيزوني (Tizzoni) مصلًا لشفاء داء ذات الرئة فعرضهُ على مجمع علماء بولونيا فاستحسنوهُ

الحبر الشرقي اخذ الانكليز يستحضرون الحبر كما كان يستحضرهُ اباؤنا تقريبًا فربحوا بهِ ربحًا طائلًا يأخذون لذلك ٥٠٠ غرام من العفص المدقوق و٨٠ غراماً من الصمغ العربي الناعم و ٣٦ غراماً من الشبّ المسحوق و ١٢٠ غراماً من الزاج الاخضر مع ٤٨ غراماً من خشب البقَّم (Campêche) فيجعلونها في اربع كيلوغرامات من الماء ويضيفون اليها ٣٦ غراماً من الغليسرين ويغلونها كلّها مدَّة ثلاثة ارباع الساعة ثمَّ يصفُّونها ويجعلونها في القناني. وهذا الحبر شديد السواد ثابتهُ وهو افضل من حبر الانيلين

كتاب بلا غلط اراد طبَّاع من غلاسكو في سكوسية ان يطبع كتابًا بلا غلط طَبْع فعهد الى اشهر المصلحين مراجعتهُ وتنقيحهُ. فلمَّا اتمَّهُ وعد ١٢٥٠ فرنكًا لكل من يجد غلطة في مسودَّة الطبع فلم ينل احد الجائزة. ثمَّ عُرض الكتاب للبيع فوُجد فيهِ خمسة اغلاط

اقدم جريدة في العالم هي جريدة صينيَّة تُدعى «كين پان» عمرها الف سنة بنيف. وكانت في اوَّل امرها شهريَّة لا تدوّن الَّا اعمال الملك وبلاطهِ. وفي سنة ١٣٠١ صارت اسبوعيَّة وبقيت على ذلك الى سنة ١٨٣٠ فاضحت يوميَّة ثم صارت تُطبع ثلاث طبعات في اليوم فالطبعة الاولى تظهر صباحًا على ورق اصفر والثانية ساعة الظهر على ورق ابيض ثمَّ عند المساء بورق رماديّ

عنصر اليود في الحمَّى لا يعرف اليوم الحكماء دواءً فاعلًا للوقاية من الحمَّى كالكينا . الَّا انَّ فعلها قليل وقت الدَّوْر. وقد لحظ الدكتور رينيو (Regnault) انَّ لليود مفعولًا قويًّا في زمن نوبات الحمَّى ولذلك قد اصطنع دواءً جرَّبهُ في نفسهِ وفي كثيرين من المحمومين لاسيَّما في بلاد التونكين هذا تركيبهُ : اربعة غرامات من صبغة اليود مع يودور البوطاسا تُمزج في مئة غرام من الماء المصفى فيشرب المحموم ملعقةً صغيرة من هذا المزيج. فاذا ما تحسَّنت حالتهُ يشرب ملعقة أُخرى بعد ربع الساعة. فللحال تبطل رجفة الحمَّى ويتوارى

الداء . وان كان المريض يتقيأ بطل القيء ويبتل الجسم بالعرق

ثقاب الكبريت والتبغ في فرنسة بلغ عدد ما بيع في فرنسة السنة الماضية من ثقاب الكبريت ٣٨,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ربحت منها الدولة ربحاً صرفاً بعد وفاء كل النفقات ٢٣,٧١٣,٢٤٧ فرنكاً . اما المواد التي دخلت في عمل الثقاب فهي التسابعة ٥١٤٢ متر مربع من الخشب و ٨٣٩,٠٥٩ كيلوغراماً من الكبريت و ٢٣٠٠٠ كيلو من سِسكويسولفور الفسفور و ١٧٦,٧١٩ كيلو من كلورات البوطاسا و ٥٣,٥٨٠ كيلو من الغرى و ٢٧,٠٠٠ كيلو من صمغ السنيغال — اما التبغ فبيع منهُ بمبلغ ٤١٥ مليوناً كان الربح الخالص للدولة ٣٣٢ مليوناً ونصف . ومعدل ما ينفق كل فرنسوي من التبغ سنوياً ٩٨٠ غراماً ثمنها ١١ فرنكاً . اما معدل نفقة الباريسي فتبلغ ١٩ فرنكاً و ٢٦ سنتيماً

التدخين هذا معدل التبغ الذي يفنيهِ مدخنو بلاد مختلفة يشرب كلُّ هولندي في السنة ٣٤٠٠ غرام من التبغ والامركي ٢١١٠ غ والبلجكي ١٥٥٢ غ والالماني ١٤٨٥ غ والاسترالي ١٤٠٠ غ والنمساوي ١٣٥٠ غ والفرنساوي ٩٨٠ غ والنروجي ٩٤٠ غ والمسكوبي ٩١٠ غ والانكليزي ٦٨٠ غ والايطالي ٦٣٥ غ والسويسري ٦١٠ غ والاسباني ٥٥٠ غ

الكهرباء في الفلاحة أجاز المهندس هِلبَرج الالماني في مونيخ عاصمة باقاريا اسلاكاً كهربائية في تربة الفلاحة فزادت التربة بذلك قوةً والزرع نمواً . ومما لحظ بتجاربهِ هذه ان الحشرات المضرة كالدود والحلزون وغير ذلك تتلف على هذا المنوال او تهجر المكان

أسئلة واجوبة

س سألنا احد اساتذة بيروت : متى عاش الشاعران الحُطَيئة والنجاشي

الحُطَيئة والنجاشيّ

ج الحُطَيئة من الشعراء المخضرمين عاش في الجاهلية وادرك الاسلام وكانت وفاتهُ على عهد امير المؤمنين عمر بن الخطّاب (راجع ترجمتهُ في الجزء السادس من مجاني الادب ص ٢٩٤) . اما النجاشيّ فهو قيس بن عمرو بن مالك الحارثي كان ايضاً

في ايّام الخلفاء الراشدين . ولهُ شعر في هجو الكوفة لمّا استحدثها عُمَر

س وسأل جناب المعلم افرام ستراك كيورك : ١ً كيف تُعرب لفظة « beau » الافرنسية في قولهم : « il a beau dire » . ٢ً هل العبارة الآتية صحيحة « La joie s'accuse sur son front »

عبارتان افرنسيَّتان

ج نجيب على (الاوَّل) انَّ لفظة « beau » تُعرب في الجملة المذكورة كظرف (locution adverbiale) ومعناها (bellement) قال دَرْمِسْتِتِر (Darmesteter) في شرح هذه العبارة "*Il a beau dire, il a beau faire,* je ne l'écoute pas, signifie : il a son dire, son faire *(aussi)* beau *(que possible),* et *(néanmoins)* je ne l'écoute pas »

وعلى (الثاني) انَّ « s'accuser » بالفرنسيَّة لا تأتي في مثل هذا التعبير وانَّما معناها « اعترف واقرَّ بذنبٍ » امَّا في الجملة المذكورة فالأَوْلى استعمال se manifester او ما شاكل ذلك

وسأَل حضرة الخوري نعمة الله نصَّار من حدثون لماذا دُعيت ايَّام الاسبوع باسماء العدد من الاوَّل الى الخامس ثم دعي السادس جمعة او عروبة والسابع سبتاً . وفي السريانيــة قد لازمت الخمسة الاولى لفظة ܕܚܕ امَّا السادس والسابع فلا . . . وما معنى ذلك وهل هذه الاسماء قديمة ام لا ؟

اسماء الاسبوع

ج اصل تسمية ايَّام الاسبوع بالعدد من العبرانيين فانَّهم لمَّا جعلوا ايَّام الخليقة سبعةً واتَّخذوا الاسبوع كتذكار لها جعلوا كلَّ يوم منهُ بمثابة يوم من ايَّام الخليقة . وسمَّوا السابع سبتاً اي راحةً لانَّ الله كفَّ فيهِ عن العمل . وامَّا السادس فسمَّوهُ عروبةً وهي كلمة عبرانيَّة معناها الغروب لانَّ اوَّل السبت يبتدئ في غروبهِ . والعرب قد سمَّوا اليوم السادس جمعةً لانَّ فيهِ يجتمعون للصلاة وكانوا يدعونهُ سابقاً عروبةً كبني اسرائيل . امَّا زيادة ܕܚܕ عند السريان بعد ذكر الخمسة الأَيَّام الاولى من الاسبوع فللبيان والايضاح لئلَّا يظنَّ احد انَّ المعدود غير ايَّام السبَّة — وللاسبوع اسماء غير اسماء العدد عند بعض الامم فان الرومان مثلًا خصَّصوا كلَّ يوم منهُ لالهٍ : الاحد للشمس والاثنين للقمر والثلاثاء للمريخ والاربعاء لعطارد والخميس للمشتري والجمعة للزهرة والسبت لزحل وفي اسماء الاسبوع عندهم ما يشعر بذلك ل . ش



قداسة الحبر الاعظم

بيوس العاشر



قداسة البابا بيوس العاشر

ابشركم بفرح عظيم (لوقا ٢ : ١٠)

لمّا تراءى ملاك الربّ قبل عشرين قرنًا فوق رُبى اليهوديَّة ليبشّر رُعاة بيت لحم بمولد ابن الله الكلمة المتجسِّد خاطبهم بهذه الكلمات السارَّة: « ابشركم بفرح عظيم ». فما قرع مسامع الرعاة ذاك النَّبأُ حتَّى افعم قلوبهم مسرَّةً وحبورًا فتسارعوا الى مذود المسيح وسجدوا لهُ « ورجعوا وهم يمجِّدون الله ويسبحونهُ على كلّ ما سمعوا وعاينوا كما قيل لهم »

فتذكارًا لهذه البشرى الاولى اعتادت الكنيسة عنـد انتخاب احبارها الاجلَّاء وجلوسهم على الكرسي الروماني السامي ان تبشّر المؤمنين بتنصيبهم مكرّرةً آية الانجيل الطاهر التي وردت على لسان الملاك . وقد راعى هذه العادة في اليوم ٤ من آب الجاري الكردينال لويس ماكيّ اقدم الكرادلة الشمامسة اذ اشرف على طنف فوق ساحة القديس بطرس مسبوقًا بالصليب البابويّ ذي العوارض المثلَّثـة ثمَّ أَعلَن بصوت جهور خبر الانتخاب قائلًا : اني ابشركم بفرح عظيم انَّ حبرنا الاعظم هو نيافة الكردينـال يوسف سَرْتو بطريرك البندقيَّة وقد شاء ان يدعى باسم :

بيُّوس العاشر

اجل انَّهُ لفَرَحٌ عظيم شملنا اليوم نحن الكاثوليك فرحٌ يشبه فرح رعاة بيت لحم اذ انَّ قيـامة حبر جديد في كنيسة الله كمواصلة لذلك السرّ العجيب سرّ تجسُّد الكلمة الذي بشَّر بهِ الملاك . كيف لا وقد انبأَ جبرئيل يوم البشـارة بالمسيح للبتول الطاهرة « ان ملكهُ لا يكون لهُ انقضاء » . وهـذا الوعد انَّما يصدق بارتقاء الحبر الروماني متولّي الرئاسة على الكنيسة التي

هي ملك المسيح المؤبَّد . لان المسيح يحيا في بطرس . وبطرس حيٌّ في خلفائهِ

كان الفرنسيس في عهد ملوكهم اذا بلغهم منعى الملك يهتفون قائلين : مات الملك ! فليحيَ الملك ! اشارةً الى تعلُّقهم بالعرش الملكيّ بعد موت صاحبهِ وأملًا منهم بانَّ الابن يخلف والدهُ فلا تنقطع السُّلالة بموت بعض افرادها . وما احرانا نحن ابناء الايمان ان نكرّر هذا القول بنوع اصدق ومنوال احقّ عند وفاة احد احبارنا العظام فنهتف : مات البابا ! فليحيَ البابا !

والحقُّ يقال انَّ في الارض دولةً روحيَّـة وعدها الربُّ بالخلود اذ بناها على كلامهِ الحيّ وعلى مواعيـدهِ الثابتة التي يزول السماء والارض قبل زوال حرف منها (لوقا ٢١ : ٣٣)

وإنْ هذه الدولة الَّا كنيسة المسيح اقامها الرب في وسط الزمان كمنارةٍ وجعل اساسها على الجبال المقدَّسة ووعدهـا انهُ يكون معها الى منتهى الاجيال . وقد عهد بقيادتهـا الى رجالٍ ينوبون عنهُ يوئتيهم قوَّة من العُلى فيشهدون لاسمهِ الى اقاصي الارض . تراهم يتعاقبون واحدًا بعد آخر وهم يختلفون اسمًا وسنًّا وعقلًا وحكمةً الَّا ان فعل الله فيهم ظاهر لا يختلف البتَّـة فتعضدهم يمينهُ عزَّ وجلّ وتلوح في أعمالهم اصبعهُ تعالى

مذ سمعوا في شخص رئيسهم الاوَّل : « انت الصخرة »

صارت الصخرة تمثّل ثباتهم فان ناواهم الملوك او ثارت عليهم الفتن او هاجت الشعوب ازدروا بصدمات الدّهر كالصخرة تلاطمها الامواج وتساورها الأَنواء وراسها يعلو الغمر شامخًا. قام الجحيم وزحف عليها بكل قوّاتهِ فنطح الصخرة وارتدَّ خاسرًا واختبر صدق القائل: « لن تقوى عليها ابواب الجحيم »

كناطحٍ صخرةً يومًا ليفلقها فلم يَضِرْها واوهى قرنهُ الوَعلُ

عرف الاحبار الرومانيون الدسائس. قاسوا الشدائد. عانوا المحن. ذاقوا الموت الوانًا دون ان يحيدوا عن طريق الاستقامة او يعلّموا غير تعليم الصواب. تصدّوا لمطامع البشر كلّما حاول البشر ان يتعدّوا حقوق الله فأَسمعوهم كلمة بطرس لمجمع اليهود: « خير لنا ان نطيع الله من ان نطيع البشر » فكانت هذه الكلمة اقوى من كل جيش جرّار واقطع من كل سيف بتّار نسفت اعداءَهم نسفًا فتضعضع الاعداء وهم على صخرتهم الصمّاء تمرُّ عند اقدامهم دول الارض وهمُ هم يثبتون ولا يصيبهم الغبار

وقد كان ضابط سكّان السفينة البطرسيَّة امس يُدعى لاون الثالث عشر اقرَّ لهُ الشعوب بالدراية والحكمة. واليوم ندعوه « بيوس العاشر » فان سألتني: من هو البابا الجديد؟ اجبتك مع القديس برنردوس في كتابهِ الى اوجانيوس الثالث: هذا امام الاحبار. هذا وريث الحواريين. هو في تقدُّمهِ وسَبقهِ

هابيل . وفي قيادته نوح . وفي أبوَّته ابراهيم . وفي رتبته ملكيصادق . وفي شرفهِ هارون . وفي سلطتهِ موسى الكليم . وفي قضائهِ صموئيل . وفي رئاستهِ بطرس . وفي مسحتهِ المسيح عينه

فهذا هو بيوس العاشر وكذا كان لاون قبلهُ وهكذا يكون آخر حبر يجلس من بعده عند منتهى الاجيال . فمن ثمَّ سيَّان عندنا ان يتبوّأ عرش البابويَّة هذا او ذاك لأنَّنا نستشفّ ما وراء الاشخاص بطرس الصفا أو بالحري المسيح نفسهُ ولهُ وحدهُ نؤدي اكرامنا وخضوعنا طالبين الى الله مع الملك والنبيّ داود (مز ٤٠) : ان يحفظهُ الربّ ويحييهُ ويُسعدهُ في الارض ولا يسلِّمهُ الى نفوس اعدائهِ

فاقبل اذن أيها الاب الأقدس اوَّل تحيَّة ابنائك الشرقيين . الى مقامك الرفيع نوجّه الألحاظ في بدء ملكك ونحن متأكدون انَّنا سنلقى في شخصك الأثيل ما لقينا في اسلافك من حسن الالتفات والحنوّ الأبويّ

فاعطف على هذه الكنائس الشرقيَّة لتزدهر كما كانت في سالف الازمان ويزيد بهاؤها يومًا بعد يوم باتحادها الرّوحيّ غير المنفصم مع الكرسي الرسولي مصدر كل قوَّة وينبوع كلّ حياة ويا ليت قلبك يسرُّ قريبًا برجوع ما بقي من

الخراف الى الحظيرة المقدَّسة حتى تصير رعيَّة واحدة وراعٍ واحد

عِشْ سالمًا وأهنأ بعرشٍ شاهقٍ ضِمنَ المسيحُ خلودَهُ بيُوسُ
انتَ الصَّفا بُنيت عليك كنيسةٌ هيهاتَ ان يغتالَها ابليسُ
إرْعَ الشعوب وكُنْ بربّك واثقًا يَعضُدك دومًا روحهُ القدُّوسُ

شعار البابا الجديد

هو على شكل بيضويّ يُقسم قسمين ازرق في اسفلهِ واحمر في اعلاه وفي القسم الازرق الذي يمثِّل البحر مرساة فضيّة ذات ثلاث شُعب وفوق رأس المرساة كوكب فضيّ مُخمَس الاشعَّة (انظر الصفحة ٧٢١)

ولمَّا كان البابا سابقًا بطريركًا على البندقيَّة اضاف الى شعارهِ الموصوف شعار مدينة البندقيَّة الذي يمثّل اسدًا ذا اجنحة ذهبيَّة رابضًا على انجيل فضيّ وقد ألغى اليوم شعار البندقية

السَّلَف والخَلَف

للاب لويس شيخو اليسوعي (تتمَّة لما سبق)

في مقالة اولى بيَّنَّا ما يجري من الحفلات بعد وفاة الاحبار الرومانيين الى ان تتمَّ التساعيَّة المقامة لراحة نفسهِ الطاهرة. فبقي علينا في هذه النبذه الثانية ان نصف العادات المألوفة في الكنيسة الرومانيَّة عند انتخاب خلفٍ للبابا المتوفَّى

واعلم ان هذه العادات قد اختلفت في كرور الاعصار اختلافاً عظيماً لانَّ السيِّد المسيح عهد بامور كثيرة الى كنيستهِ تتصرَّف بها على مقتضى الاحوال. والمرجَّح بين العلماء انَّ القديس بطرس قبل استشهادهِ عيَّن ثلاثة من تلامذتهِ يخلفونهُ في كرسيِّهِ بعد موتهِ على نظامٍ معلوم وهم لينوس وكايتوس واقليميس واسماؤهم مثبتة على هذا الترتيب في ليتورجيَّة الكنيسة الرومانيَّة وفي اقدم جداول الاحبار العظماء فضلًا عن تقليد يرتقي الى القديس ايريناوس والى المعلّم ترتوليانوس في القرن الثاني للميلاد

ألَّا انَّ هذا النوع من الانتخاب قد خُصَّ بهِ الحواريُّون دون خلفائهم لقلَّة عدد النصارى في اوَّل الكنيسة قبل انتظام الرتب الكنسيَّة (١. ولكن لم تلبث بيعة الله ان نمت بعد قليل وتوفَّر عدد رجال الدين واتَّسق نظامهم فصار اليهم انتخاب اسقفهم بالاتفاق مع الاساقفة المجاورين. وكان يحقّ لجمهور المؤمنين في اقطار عديدة ان يضيفوا اصواتهم الى اصوات الاكليروس فيشهدوا بالاهليَّة للمرشَّحين كما يُذكر في اعمال الرسل (٦ : ٢ — ٦) عن انتخاب الشمامسة. وقد الفت الكنيسة الرومانيَّة هذه العادة فانتخب رؤساءها اهلُ الدين والشعب معاً وفي المثل الجاري « صوت الشعب صوت الله » اشارةٌ الى تداخل الشعب في هذه الانتخابات. على انَّ المؤمنين بعد مدَّة بلغوا عدداً وافرًا فكان ينوب عنهم في اختيار الاساقفة عموماً والاحبار الرومانيين خصوصاً وجوهُ القوم واعيان المدينة لاسيَّما عُمَّال الملوك النصارى من الروم والقوط وغيرهم

---

١) وقد جرى على ذلك بعض الاساقفة ردحاً من الدهر فعيَّنوا خلفاءهم من بعدهم الى ان أبطلت القوانين البيعيَّة هذه العادة نخصّ منها بالذكر القانون الثالث والعشرين من مجمع انطاكية سنة ١٤١

ألا انَّ الاهواء الفاسدة وكثرة الاحزاب وتغلُّب المطامع الشخصيَّة عرَّضت انتخاب الاحبار الرومانيين الى مخاطر عديدة لعـدم اتّفاق المندوبين لهذه المهمَّة فربَّما كان يبقى الكرسيّ فارغًا او يجلس عليهِ من ليس هو اهلًا بهِ

وتفاقم الشرّ بعد ذلك لمَّا منح الباباوات لبعض الملوك ولخلفـائهم من بعدهم ان يشاركوا ارباب الدين في تنصيب راعي الكنيسة الاعظم. فانَّ بعضًا منهم حاولوا بذلك استعبـاد الكنيسة وضبط زمام تدبيرها حتى قام في القرن الحادي عشر القديسان لاون التاسع وغريغوريوس السابع محرَّرا الكنيسة من ربق العوامّ واختصَّا الكرادلة بانتخاب اسقف رومية. وكان اسم الكردينال ومعنـاهُ القطب يُطلَق على كبار المنصَّبين في الكنيسة الرومانيَّة. وفي الزمن عينهِ اصدر البابا نقولا الثاني قرارًا في ذلك اثبتـهُ المجمع الروماني المنعقد سنة ١٠٥٩

على انَّ هذا المشروع الجليـل لاقى مدَّة نحو مئتي سنة من العوائق والمناصبات ما يطول شرحهُ. وممَّن ذبُّوا عن حقوق الكرسيّ الرسوليّ وساعدوا على ابعاد العوامّ من انتخاب الباباوات اسكندر الثالث في براءةٍ صادق عليها آباء المجمع اللاترانيّ الثالث سنة ١١٨٠. وفي هذا المنشور يقضي الحبر الاعظم بان حقّ انتخاب رؤساء الكرسيّ البطرسيّ للكرادلة وحدهم من اي رتبةٍ كانوا وأنَّهم في الكنيسة بمثابة الامراء في الدول ينصّبهم الحبر الاعظم ويختـارهم من كلّ البلاد الكاثوليكيَّة حتى اذا خلا الكرسي الروماني اجتمعوا وعيَّنوا واحدًا منهم او من سواهم لرئاسة الكنيسة. واذا لم تتفق الاصوات كانت البابويَّة للذي يجمع ثلثي الاصوات. وكان عدد الكرادلة في اوَّل الامر بين عشرة وعشرين الى القرن الخامس عشر ثمَّ زيد في عددهم في عهـد لاون العاشر وخلفـائهِ حتى قرَّر سكستوس الخامس سنة ١٥٨٥ بان يكون عددهم سبعين كردينالًا ذِكرًا للسبعين شيخًا الذين افرزهم موسى للقضاء في بني اسرائيل

ثم قام الاحبار الرومانيُّون بعد اسكندرَ الثالث فلم يزالوا يثبّتون براءتهُ في انتخاب الباباوات ويصلحون ما يجدون فيها من الخلل ويفصّلون التفاصيل المدقَّقـة لئلَّا يبقى في الامر شبهة ولا ريب. وقد انشأ غريغوريوس الخامس عشر قرارًا يحتوي سبعـة وعشرين بندًا بخصوص انتخاب الحبر الرومـانيّ ضمَّنهُ خلاصة احكام سلفائهِ وزاد عليهِ ما رآهُ ملائمًا لهذه الغاية وجعل احكامهُ كدستور دائم يُرجَع اليهِ في تنصيب

رئيس الكنيسة . ومنهُ نقتبس الفوائد الآتية التي ندونها في هذه النبذة مع ذكر القرارات التي ابرزها الاحبار الرومانيون منذ اذٍ حتى يومنا

يُدعى اجتماع الكرادلة للتفاوض في امر الرئاسة البابوية المجلس المُقفل (conclave) لانَّ المنتخبين يعقدون جلساتهم في مكان مُقفل لا يدخلهُ غيرهم

وحقّ هذا الاجتماع ان يبتدئ اليوم الثالث عشر بعد وفاة البابا الّا ان بيوس التاسع قبل وفاتهِ رخَّص للكرادلة في ان يقصروا هذه المدَّة اذا رأوا داعياً للامر فاقتصروا منها يومين وذلك ان جثَّة البابا لم تُعرض في المعبد السكستيّ بل نُقلت توًّا الى كنيسة مار بطرس خوفاً من ازدحام الشعب داخل قصر الواتيكان لئلّا يحصل من ذلك مشاغب تقضي بتداخل رجال الدولة الايطاليَّة حفظاً للنظام . وبوشرت تساعيَّة الجنازات لراحة نفسهِ في اليوم الثاني بعد الوفاة بدلًا من الثالث . وهكذا جرى مؤخرًا عند وفاة لاون الثالث عشر فان دخول الكرادلة في المجمع ابتدأ في اليوم الحادي عشر من وفاة البابا اعني في ٣١ تموز

امَّا مكان الاجتماع فليس بمقرَّر . فاذا مات البابا خارجاً عن رومية امكن الحكمدار مع متقدّمي الكرادلة ان يعقدوا المجمع في مكان وفاة البابا ان وجدوا المكان موافقاً لذلك او يعيّنوا لاجتماعهم مقاماً آخر مجاورًا لهُ . وذلك جائز ايضاً ان تهدَّد الكرادلة خطرٌ ما يمنعهم من القيام بمهنتهم او يفقدهم ملء حرّيتهم بشرط ان يصادق اكثر الكرادلة على نقل المجمع من رومية . وقد حدَّد بيوس التاسع شروط الانتخاب خارجاً عن رومية في ثلاث براءات اصدرها قبل وفاتهِ بزمن قليل اخصُّها براءتهُ التي بدؤها « Consulturi » وتاريخها في ١٠ تشرين الاول سنة ١٨٧٧

امَّا اذا صار الانتخاب في رومية نفسها كمألوف العادة فيكون اجتماع الكرادلة في قصر الواتيكان في المعبد السكستيّ (١ وتُهيَّأ القاعات والنوادي التي حولهُ بحيث تصلح لسكنى الكرادلة طول ايَّام اجتماعهم الى يوم انتخاب الحبر الجديد . وتُجعل هذه القاعات الكبرى حُجَرًا صغيرة تفصل بينها حواجز خشبيَّة فيُعطى منها كلُّ كردينال

١) وكان الكرادلة يجتمعون قبل وفاة بيوس التاسع في قصر الكويرينال وقد انتخبوا هناك اربعة باباوات وهم لاون الثاني عشر وبيوس الثامن وغريغوريوس السادس عشر وبيوس التاسع

اربع حُجرٍ الواحدة لمنامهِ والاخرى لشغلهِ وحجرتان لخادمهِ وكاتب اسرارهِ. وهذه الحجر تُعطى بالقرعة. ويدخل مع الكرادلة في مجلسهم المُقفل كاتب اسرار المجمع وكاهن مأذون لحلّ الخطايا مع اصحاب التشريفات وعدد معلوم من العُمَّال كطبيب وجرَّاح ومزيّنين وقين وبنَّاء وغيرهم من متولّي بعض الخدم المادّيّة الّا انَّ هؤلاء كلّهم يختارهم الكرادلة في الجلسات التي تُعقد بعد وفاة البابا بعد الفحص عن اهليّتهم. وكذلك لا يُقبل احد من خدم الكرادلة وكتبة اسرارهم الّا بعد مصادقة الجميع على حُسن سلوكهم وحيادتهم عن الدسائس واذا دخلوا معهم مكان المجمع لا يجوز لهم الخروج مطلقًا الّا لواقع يحكم بصوابهِ آباء المجمع وكذلك الكرادلة فانَّهم يقعون تحت الحرم والعقابات الكنسيَّة اذا خرجوا دون رخصة الآباء وتفاوضوا سرًّا مع الغرباء او كاتبوهم ويلزمهم ذلك الى يوم يتمّ الانتخاب. واذا استوجبوا الحرم لا يحلّهم منهُ احد الّا البابا وحدهُ بعد انتخابهِ

*

واذا حان وقت الاجتماع والدخول في المكان المقفل المعدّ للجلسات التأم كلّ الكرادلة دون انتظار من تأخر منهم عن الحضور لسبب بُعدهِ عن رومية او المدينة المعيَّنة بدلًا منها فان كانوا في رومية العظمى اجتمعوا في كنيسة القديس بطرس او في المعبد البولسي فيقيم اقدمهم في رتبة الكرادلة الذبيحة الطاهرة لالتماس انوار الروح القدس وفي اثر القداس يخطب احد السادة ليحضّ المنتخبين على ان يتجرَّدوا عن كلّ الغايات الشخصيَّة ويختاروا امام الله من يعرفونهُ اهلًا لرئاسة الكنيسة وفقًا لرسوم الاحبار الرومانيين. وهذه الخطبة يتلوها عادةً احد مصاقيع الخطباء يتّفق عليهِ الكرادلة في اجتماعاتهم السابقة ويرقى منبرًا عاليًا مزدانًا بمخمل احمر ويخطب باللاتينيَّة بعد انحنائهِ امام الكرادلة وان كان الخطيب اسقفًا تردَّى بالثياب الحبريَّة ولبس الغفَّارة وجعل التاج على رأسهِ

وفي نهاية الخطبة يتقدَّم احد متولي الرتب ويمسك بيدهِ الصليب البابوي ذا الشُّعَب المثلَّثة فيمشي امامهُ حاشية الكرادلة الذين تعيَّنوا لخدمتهم وتتبعهم جوقة المغنّين وهم ينشدون تسبحة الروح القدس « هلمَّ أيُّها الروح الخالق » ويسير وراء الصليب لفيف الكرادلة في موكب بهيّ وكلٌّ منهم لابسٌ غفَّارتهُ وعلى صدرهِ الصليب

الكرديناليّ الذي يُحجَب عادةً بحضور الحبر الاعظم . فاذا بلغوا المعبد السكستي الذي فيهِ تصير الانتخابات جلس كلٌّ منهم حسب رتبتهِ تحت المظلّة المعدَّة لهُ . ثم تُتلى على مسامعهم رسوم الاحبار الرومانيين بخصوص هـذا الانتخاب وعلى اثر ذلك يقومون بالترتيب ويقسم كل واحد على الانجيل المقدَّس مستشهداً لله الذي يدينهُ بانهُ يختار لرئاسة الكنيسة ذاك الذي يعرفهُ اجدر بهذا المنصب الجليل . وفي بعض الاحيان يُتلى القداس صباحاً امَّا الموكب ورتبة القسم فيؤَجلان الى مساء ذلك اليوم

وبعد ذلك يخرج من المعبد السكستيّ ومن المكان المُعدّ لاقامة الكرادلة كلُّ من ليس لهُ عمل في المجمع امَّا لانتخاب واما لخدمة ثم يسطِم البنَّاؤون كلَّ الابواب بجدران من الحجارة الَّا باب السلَّم الملكيّ فيُقفل باربعة اقفال منها قفلان في الخارج يُقفلان بحضور الشهود واحد عُمَّال البلاط البابويّ وقفلان في الداخل يقفلهما ايضاً بحضور الشهود الكردينال الكمرلنغ . وهذا الباب لا يُفتح الَّا بعد انتخاب البـابا الجديد او عند حضور احد الكرادلة المتأخرين عن الاجتماع او لاسباب أُخرى معلومة تُعرَض على مجموع الآباء فيصوّبونها او يحكمون بابطالها

وبعد ان يُقفل هذا الباب يقوم على حراستهِ نفرٌ من الجند يتقدَّمهم احد اشراف رومية يُدعى محافظ المجمع لئلَّا ينتهك احد حرمتهُ . وكذلك يدور الكردينال الكمدار بصحبة ثلاثة من الكرادلة ويزور كلَّ الحجر ليتحقَّق انهُ ليس ثَمَّ غريبٌ وانَّ الاحكام البابويَّة رُوعيت تماماً

ويُصطنع بين المحجوزين والخارج اربعة منـافذ او دواليب كما ترى في اديار الراهبات يُجعل فيها ما يحتاج اليهِ الداخلون من مآكل ولوازم غيرها . ويحرس هذه المنافذ قومٌ ثقات يفحصون كلَّ ما يوضع فيها لئلَّا ينفذ منهـا مكاتيب وما شاكل ذلك . واذا طلب احد من الخارج كالسُّفراء وغيرهم ان يواجه احـدًا من الكرادلة استدعاهُ الى الدولاب وفاوضهُ بحضور الحرس

وكان أكل الكرادلة يُطبخ سابقاً في مطابخ خارجيَّة فيُرسل الى كل منهم والى حاشيتهِ فيُجعل في الدواليب . وكان غريغوريوس العاشر حتم بان اكلهم يُقتصر على شكل واحد من الاطعمة بعد ثلاثة ايَّام اذا لم يتَّفقوا على انتخاب خافٍ للبابا المتوفَّى . وبعد ثمانية ايَّام لا يُطعَمون الَّا الخبز والماء فقط . وقد حوَّر البابوات هذا البند قليلًا .

وفي انتخاب المثلث الرحمات البابا لاون الثالث عشر جُعلت المطابخ في داخل سُكنى المنتخبين وكلُّ كردينال يأكل وحدهُ . اما الخدم والحاشية فيأكلون في مطعم عمومي

فترى مما سبق ان الداخلين في دائرة المجمع المقفل قسمان : فئة الكرادلة من ذوي الرتب الثلاث اي الاساقفة والكهنة والشمامسة وهم في المجمع الحالي ٦٥ شخصاً وفئة المساعدين والخدم على اختلاف وظائفهم وهم نحو المئتين منهم اكليريكيُّون ومنهم عالميُّون يتولى امرهم بعض العُمَّال باسم الكمدار ويديرهم في شؤُونهم الدينيَّة احد الكهنة مساعد للوافه (sous-sacriste)

امَّا الكرادلة فيرأسهم الكمرلنغ مع ثلاثة كرادلة آخرين من الرُّتب الثلث . لكنَّ الكمرلنغ لا يتغيَّر بخلاف هؤلاء الكرادلة الذين لا يبقون في مهنتهم الَّا ثلاثة ايَّام فينوب منابهم ثلاثة آخرون بالتوالي مباشرةً باقدمهم في الكردينالية

*

وفي اليوم الاوَّل بعد دخول الكرادلة في مقام الانتخاب المُفرز لهم عند الساعة الثامنة يدعوهم مدبر التشريفات بدقّ الجرس ثلاثًا وهو يقول : سادتي الى المعبد ! فاذا اجتمعوا حضروا قدَّاس اقدم الكرادلة وتناولوا القربان الأقدس من يده . امَّا الايَّام التالية فيقيم كلٌّ منهم الذبيحة الالهيَّة في الساعة التي توافقهُ إمَّا في المعبد الكبير وامَّا في حجرته الخاصَّة وهم يحضرون مع ذلك قدَّاساً عموميًّا يتلوهُ اسقف الموفه ـ évêque) sacriste) وكان للكرادلة في زمن اجتماعهم لانتخاب البابا ثياب معلومة لا يلبسونها الَّا في هذا الوقت اخصُّها رداء واسع من الصوف بنفسجي اللون على شكل الغفَّارة سابغ الذيل طويل الذنب يُناط بابزيم في اعلى الصدر . ويلبسون الدرع الابيض المطرَّز في اعلاهُ أُربةٌ تنثنَّى من العنق الى الاكتاف يدعونها كروشيا (crocea) وقد أُبطل استعمال هذه الملابس منذ عهد قريب

امَّا اجتماع الكرادلة لانتخاب البابا فيصير كل يوم صباحَ مساء الى ان يتَّفق المنتخبون على تعيين الحبر الاعظم . فيجتمعون صباحًا عند الساعة العاشرة بعد القدَّاس العموميّ امَّا المساء فعند الساعة الثالثة وذلك في المعبد السكستيّ الذي تزين جدرانَهُ النقوشُ البديعة لابرع المصوّرين من جملتها صورة الدينونة العموميّة لميكال انجلو الشهير

ففي صدر هذا المعبد قد نُصب هيكل في اعلاهُ صورة الروح القدس عند حلوله على التلاميذ في عليَّة صهيون ويظلل الهيكل مظلَّة من المخمل البنفسجيّ. ويكون العرش البابويّ عادةً منصوبًا على جانب هذا الهيكل الايمن لكنَّهُ يُرفع ايَّام الانتخاب ويُبدل بكرسيّ عالٍ يُعدُّ للبابا الجديد فيجلس عليهِ موقَّتًا.

فاذا قُرع الناقوس توارد الكرادلة يتقدَّم كلاًّ منهم خدمُهُ حاملين مكتبهُ ومحفظتهُ حتى اذا دخلوا المعبد تلا اسقف الموفه الصلوات مبتهلًا الى الروح القدس طالبًا انوارهُ ثم يشير وكيل التشريفات الى الجميع بان يخرجوا فيبقى الكرادلة وحدهم في المعبد ويُقفل المعبد من داخلهِ

ثم يجلس الكرادلة على مقاعد منتظمة على شكل تربيع حول الهيكل وفوق رؤوسهم مظلَّات غير مثبتة تُنزَع عند انتخاب الحبر الجديد. وامام كلّ مقعد منضدة للكتابة مغطَّاة بطنفسة نُسج عليها شعار الكردينال الجالس بقربها. وفي وسط التربيع ستُّ مناضد أُخرى عموميَّة عليها ادوات الكتابة لمن احبَّ ان يعتزل بكتابتهِ عن غيرهِ. وبازاء الهيكل منضدة كبيرة عليها كاس من فضَّة تُجعل فيهِ اوراق الانتخاب وفي احدى الزوايا بورة ومدخنة تُحرق فيهِ اوراق القرعة. وفي بدء كل جلسةٍ يقترع متقدِّم الكرادلة الشمامسة على ستَّة اسماء ثلاثة لمن يتولَّون نظارة التصويت (scrutateurs) وثلاثة لمن يتحقَّقون صحَّتهُ (réviseurs)

امَّا طرائق الانتخاب فقد روى منهــا التاريخ عددًا وافرًا فكانت تجري تارةً بالصوت الحيّ وتارةً بأداء السجــود والاكرام للمنتخَب وحينًا بان يُفوَّض الى احد الكرادلة بان يصطفي باسم الجمع من يراهُ اجدر بالرئاسة العليــا وطورًا بالكتابات العلنيَّة. وكل هذه الطرق كادت تبطل اليوم لانَّ حرَّيَّة المنتخبين لا تظهر فيها بالتمام. والغالب في زماننا منذ نحو ثلاثمائة سنة ان يُختار البابا بالاصوات السرّيَّة

وتُتَّخذ لذلك اوراق مطبوعة طولها ٢٠ سنتيمترًا في عرض ١٦ س يُقسم وجهها الداخلي خمسة اقسام فيُكتب على القسم الاعلى: انا الكردينال (فلان) ويُطوى هذا القسم ويُختم بختمين. ويكتب على القسم الاسفل آية كتابيَّة او شعارٌ يَصطلح عليهِ الكردينال مثلًا « المجد لله في العلى » ويطوى ايضًا ويختم بختمين. وفي القسم الاوسط يكتب اسم المُنتخَب « اني اختار نيافة الكردينال (فلان) كحبر اعظم » ويبقى

هذا القسم الاوسط ظاهرًا والعبارة نفسها تُعاد على الوجه الخارجيّ بين نقشتين احداهما تنطبق على الاسم والاخرى على الشعار

فاذا كُتبت هذه الاوراق وخُتمت قام كلّ كردينال على حسب قدميّتهِ فيتقدَّم الى الهيكل ثم يُصلّي صلاةً وجيزة راكعًا امام الصليب ثم ينتصب واقفًا ويُعيد القسم السابق ذكرهُ بانهُ ينتخب امام الله من يراهُ احقّ بالسدَّة البطرسيَّة ثم يلقي الورقة في الكاس ويعود الى مكانهِ بعد الانحناء امام الصليب. واذا كان احد الكرادلة مريضًا

انا الكردينال (فلان)

ختم ختم

اختار كحبر اعظم نيافة الكردينال (فلان)

ختم ختم

(شعار) المجد لله في العلى (عدد الغرفة) ٥٠

الوجه الداخلي من ورقة الانتخاب

الاسم

اختار كحبر اعظم نيافة الكردينال (فلان)

الشعار

الوجه الخارجي من ورقة الانتخاب

يعيّن المجمع ثلاثة من الكرادلة ليذهبوا الى غرفتهِ ويأخذوا ورقتهُ التي يجعلها في شقّ علبةٍ مقفلة يبقى مفتاحها على الهيكل فاذا عادوا من عند المريض فُتحت العلبة علانيةً وجُعلت ورقة المريض في الكأس الفضيّ

ثم يخلط احدُ الفاحصين الاوراق في بعضها ويعدُّها من بعدهِ فاحصٌ آخر فيجعلها في كاسٍ فارغ فاذا نقص عددها عن اصحاب الاصوات بطل الانتخاب وأُحرقت في بورة المَوقدة. واذا طابقت الاوراق عدد المصوّتين قرنت اسماء المُنتخَبين وعُدَّت الاصوات التي اصابها كلٌّ منهم. فان حصل احدهم على الثُلثين فهو الحبر الاعظم والّا أُعيد الانتخاب ثانيةً لعلَّ بعض الكرادلة اذ يرون انَّ الذي انتخبوهُ لا امل لهُ في الجلوس على العرش البابويّ ينقلون قرعتهم الى غيرهِ ممَّن اصابوا عددًا اوفر من الاصوات وبذلك تحقُّ البابويَّة لاحدهم. واذا كان هذا التصويت الثاني لم يأتِ بنتيجة ارفضَّ المجلس وتأجَّل الانتخاب الى المساء. واوراق الانتخاب تُقرأ واحدةً واحدةً ثم تُنتظم بمسلّة في سلكٍ من الحرير دون ان تُفتح او يُعرف اسم كاتبها اللهمَّ الّا لداعٍ واحدٍ وذلك

اذا نال احد الكرادلة ثلثي الاصوات تماماً فتُفتح الاوراق ليتحقق الفاحصون انَّ الكردينال المرشَّح للبابويَّة لم يخصَّ نفسهُ بصوتهِ. فاذا كان ذلك بطل الانتخاب

وما وصفناهُ آنفاً يُكرَّر كلَّ يوم صباحَ مساء حتى تتمّ شروط الانتخاب وينال احد الكرادلة ثلثي الاصوات. قلنا «احد الكرادلة» وهو الامر الجاري عادةً انَّ يكون المرشَّح للبابويَّة من سلك الكرادلة. وليس هذا حتماً اذ لم تُسَنّ في ذلك شريعة ثابتة. وفي القرون السابقة وقع الانتخاب لرئاسة الكنيسة الرومانيَّة على غير الكرادلة وقد نال في هذه الاجيال الاخيرة بعض مشاهير الرجال غير الكرادلة اصواتاً للبابويَّة كالقديس فرنسيس برجيا والاب ليْنس اليسوعيَين وغيرهما. وكذلك يُمكن ان يرشَّح للسُدَّة البطرسيَّة رجال من كل الامم الكاثوليكيَّة على اختلاف اجناسها. وفي سلسلة الباباوات عدَّة احبار شرقيّين اشتهروا بفضلهم وحسن سياستهم

*

واذا اتى الانتخاب بنتيجة مُرضية ونال المنتخب الاصوات اللازمة أُحرقت اوراق التصويت دون تبنٍ فيُرى لنارها شعلة بلا دخان فيستدلُّ الواقفون في ساحة القديس بطرس ان الانتخاب قد تمَّ ويُفتح باب المعبد السكستيّ

فحينئذٍ يتقدَّم شيخ الكرادلة مع صاحب التشريفات والثلاثة الكرادلة الموكول اليهم في ذلك اليوم ترتيب المجمع فيطلبون من المنتخب بصوتٍ جهورٍ: «أترضى بانتخابك القانوني لرتبة عظيم الاحبار». فان لم يرضَ انتخب الكرادلةُ غيره على الطريقة نفسها. وان كان جوابهُ موجباً اعان صاحب التشريفات برضاهُ للفيف الكرادلة المجتمعين. فللحال يحيد عنهُ الكردينالان الجالسان على يمينهِ ويسارهِ اجلالاً لرتبتهِ الجليلة وتُنزع كلُّ المظلات الّا مظلّتهُ وحدهُ إشعارًا بمقامهِ. ثم يسألهُ كبير الكرادلة ثانيةً: وباي اسمٍ تُريد ان تُدعى؟ (١). فبعد جوابهِ يُعلن باسمهِ جهارًا. وللحال يكتب كاتب الكرسيّ الرسوليّ قرارًا في ما جرى. وفي اثناء ذلك يقود كردينالان من رتبة الشمامسة المنتخَب الى الهيكل وبعد نزعهِ ملابس الكرادلة يُردَّى

(١) لم يبدل الباباوات الى القرن العاشر اسمهم عند انتخابهم لرعاية الكنيسة. واوَّل من فعل ذلك البابا يوحنا الثاني عشر سنة ٩٥٦ وكان اسمهُ سابقاً بطرس فغيّر اسمهُ تواضعاً لئلّا يوافق اسمهُ اسم هامة الرسل. ثم جرت عادة تغيير الاسم من ذلك العهد

بالثياب الحبرَيَّة التي وصفناها في بعض اعداد المشرق من سنته الجارية (ص ١٩٧) ويجلس على كرسيٍ بازاء المذبح وجهه الى الحضور. فيتقدَّم اليهِ كلُّ الكرادلة ويجثون امامهُ ويلثمون يدهُ ثم يقبلهم بقُبلة السلام. وفي اثر ذلك يقدّم الكردينال الكمرلنغ للحبر الجديد خاتم الصيَّاد فيجعلهُ في اصبعهِ لكنَّهُ بعد التختّم بهِ يردُّهُ لهُ ليحفر عليهِ اسمهُ. وفي جلستهِ هذه الاولى يثبِت الكمرلنغ في رتبتهِ او يعيّن غيرهُ وكذلك يختار بعض الكرادلة لمهامّ الامور كوزير الدولة وكاتب الاسرار اذا اضطرَّت الاحوال الى تعجيل ذلك

وفي اليوم عينهِ يُعلَن رسميًّا بانتخاب الحبر الاعظم. وذلك انَّ البنَّائين يسرعون الى فتح النوافذ المسطوحة وتُفتح الابواب فيسير اقدم الكرادلة من رتبة الشمامسة وامامهُ الصليب البابويّ فيخرج الى شُرفة فوق كنيسة القديس بطرس تُطِلّ على الساحة الكبرى فيخبر الشعب بالانتخاب قائلًا: « اني ابشركم بفرح عظيم فانَّ حبرنا الجديد هو نيافة الكردينال (فلان) وقد دُعي باسم (كذا) » ويلقي من الشرفة ورقةً تتضمَّن هذه البشرى فترى أُلوفًا من الايدي تتسارع اليها لتلتقفها فينتشر الخبر في المدينة انتشار البرق. وللحال تدقُّ نواقيس كنيسة القديس بطرس فتجيبها نواقيس المدينة كلّها

ولمَّا كانت رومية في ملك البابوات كانت تُطلق المدافع من قلعة « سنت انجلو » وتُدقُّ الطبول وينفر النفير. ولا يلبث امام الاحبار ان يظهر امام الجمهور ليزوّدهُ بباكورة بركاتهِ. وهذه البركة تُمنح لرومية وللعالم المسيحي باجمعهِ (Urbi et Orbi) وكان البابا يمنحهـا سابقًا من طنف خارجيّ (loggia) يُشرف على ساحة مار بطرس وهو فوق رتاج الكنيسة الكبير ولهُ منفذ مطلّ على الكنيسة من داخلها. فالبابا المتوفَّى منح بركتهُ من الجهة الداخليَّة للجمهور المجتمع في الكنيسـة ولم يظهر في الطَنَف الخارجيّ. وكان الحضور نيِّفًا وخمسين الفًا جثوا امام الاب الأقدس فتيمَّنوا بطلعتـهِ المنيرة وببركتهِ الحبريَّة. ومثلهُ فعل بيُّوس العاشر آخرًا

وفي غد اليوم التالي تصير حفلات غاية في العظمة والأُبهـة. فانَّ الحبر الاعظم يستولي على القصر الواتيكاني وعلى كنيسة مار بطرس دلالةً على سُلطتَيهِ الروحيَّة والزمنيَّة وكان سابقًا يُعقَد لذلك موكبٌ بهيٌّ يسير من قصر الكويرينال الى بلاط الواتيكان فتظهر البابويَّة في كل رونقها وعزّها. وكان يركب في عَجَلةٍ ملكيَّة بديعة تجرُّها الخيل

المطهّمة وكان يتقدّمهُ الكرادلة كل منهم في مركبتهِ لابسين درع الحرير الاحمر والبُرْدة الارجوانيّة السابغة المحشّاة بالقاقم. واذا بلغوا الواتيكان ألبسوا الحبر الاعظم في احدى ردهاتهِ السُّفلى ملابسهُ الحبريّة ثم قادوهُ الى المعبد السكستيّ فبعد صلاة وجيزة كان يجلس على سواء المذبح فيتقدّم اليهِ كل الكرادلة ويقبّلون قدمهُ ويدهُ اليمنى. وكذلك كان يأتي والي رومية ويضع بين يدي البابا صولجانهُ وعلامة سلطتهِ فيردّها البابا اليهِ او يقلّدهُ رتبة أخرى. وكذا كان يفعل عُمَّال رومية وقُضاتها. ثم كان يُحمل الاب الأقدس في محفّتهِ (sedia gestatoria) فيقاد برونق عظيم من المعبد السكستيّ الى كنيسة القديس بطرس يتقدّمهُ الصليب البابوي ثم فئة الكرادلة وجمهور الاشراف. وكان يمشي بين يديهِ حاجبان يحملان مراوح من ريش الطاوُوس والجميع يترنّمون بالتسبحة التي بدوُها: « هوذا الكاهن العظيم ». واذا وصل الحبر الاعظم الى باب الكنيسة كان يأتيهِ قانونيُّو كنيسة مار بطرس فيسلمونهُ مفاتيحها ايذاناً بسلطتهِ عليها ثم يدخل الموكب في سوق الكنيسة الاوسط وجوق المغنّين يرتل آية الانجيل: « انت الصفاة وعلى هذه الصفاة ابني كنيستي الخ ». وعند بلوغ الموكب معبد القربان الأقدس كان ينزل الاب الأقدس فيُصلّي مدّةً ثم يُحمل الى المذبح المقام فوق ضريح القديس بطرس وبعد الصلاة يجلس على المذبح فيقدّم لهُ ثانية جميع الكرادلة الاكرام بتقبيل قدمهِ ويدهِ فيعانقهم الحبر الأعظم معانقة الاب المحبّ ثم تُتلى تسبحة الشكر ويمنح ابُ المؤمنين بركتهُ لجميع الحضور بالصليب البابويّ

واغلب هذه الرتب تتمُّ اليوم في المجمع السكستيّ داخل الواتيكان منذ دخول الايطاليين في رومية

وفي اليوم عينهِ يعقد الحبر الاعظم مجلساً لسفراء الدول في صاعة من صاعات الواتيكان فيهنئون قداستهُ باسم حكومتهم وذلك بعد ان يكون بلّغهم كاتب الدولة البابويّة خبر ارتقاء الحبر الاعظم الجديد. والبابا نفسهُ يعلم رسمياً بترقيتهِ الملوك وروُساء الجمهوريّات ويكتب لهم بيدهِ

واعلم انَّ للحبر الرومانيّ ملء السلطة في الكنيسة منذ ساعة انتخابهِ سواء كان حاصلًا على الدرجة الاسقفيّة او لا. واذا كان عند انتخابهِ للسُّدّة البطرسيّة كاهناً فقط فتُتام لهُ حفلةٌ حافلة يُرقّى بها الى منصب الاساقفة. وهذا الامر كان شائعاً في انتخابات

القرون الاولى. وهو اليوم نادرٌ لانَّ الاختيار يقع حاضرًا على احد الكرادلة والكرادلة في الغالب اساقفة ولو كانوا من رتبة الكهنة كالبابا الجديد بيوس العاشر او من رتبة الشمامسة لانَّ هذه الرتب شرفيَّة لا تدلُّ على كون الكردينال كاهنًا او شماسًا فقط. وآخر بابا انتُخب وهو كاهن غريغوريوس السادس عشر سنة ١٨٣١

وعلى كل حال ان كان البابا المُنتخَب كاهنًا فلا بُدَّ من تكريسهِ اسقفًا ويتمُّ ذلك على يد رئيس اساقفة مدينة اوستيا على مألوف عادة قديمة جدًّا شهد عليها القديس اوغسطينوس منذ السنة ٤١١ في كتاب مجادلاتهِ مع الدوناتيين. ويكون تكريس البابا اسقفًا كتكريس غيرهِ من الاساقفة مع مراعاة بعض الامور التي تشير الى سموّ مقامهِ وعظم سلطتهِ والتي يطول هنا شرحها. وكذلك اذا كان البابا المنتخب شماسًا فقط فينبغي ان يقبل تكريس الكهنوت ثم الاسقفيَّة وهكذا جرى للاون العاشر البابا الشهير فانهُ لمَّا انتُخب كان شمَّاسًا فكُهّن وسُقّف بعد ايَّام. هذا ماخَّصٌ جمعنا فيهِ ما يستحبُّ القرَّاء معرفتهُ عند انتخاب الباباوات وتنصيبهم. ويبقى التتويج ولهُ حفلة خاصَّة يقيمها الاحبار الرومانيُّون بعد انتخابهم بمدَّةٍ

تتويج الاحبار الرومانيين

(لهُ)

افدنا القرَّاء في المقالتين السابقتين عن العادات الجارية في عاصمة الكثلكة عند وفاة الحبر الرومانيّ وعند انتخاب خلفهِ. بيد انَّ لهذه الرتب الجليلة خاتمةً بهيَّة لا تولي البابا الجديد سلطةً او تمنحهُ رتبة لكنَّها تزيدهُ في اعين الشعوب رفعةً وتكسبهُ اعتبارًا نريد تتويج الحبر الاعظم

*

واعلم ان هذه حفلة التتويج لا يرتقي عهدها الى ما وراء القرن الثامن. واوَّل مرَّة ورد ذكر التتويج في التاريخ انَّما كان على عهد البابا لاون الثالث سنة ٧٩٥ وذلك ان ملوك فرنسة كانوا اوقفوا على الكرسي الرسولي املاكًا متَّسعة ومدنًا عامرة

عهدوا امرها الى الباباوات فكان الاحبار الرومانيون ملوكاً عليها يدبرون شؤونها الزمنيَّة فضلًا عن احوالها الروحيَّة فاتخذوا حفلة التتويج كدليل على ملء سلطانهم الروحي والزمني معاً

امَّا القرون السابقة فكان ينوب عن تتويج الباباوات جلوسهم على كرسي هامة الرسل الذي اهداهُ الى بطرس الرسول احد اشراف رومية من المتنصرين الاولين يدعى كورنيليوس پودنس وهو الى اليوم مصون في كنيسة مار بطرس. ولهذا الكرسي عيدٌ حافل في الكنيسة يُدعى عيد كرسي بطرس الروماني واقع في ١٨ ك ٢. فجلوسهُ المذكور كان يعتبر كضبطهِ لزمام السلطة واستيلائهِ على عنان التدبير

ومن العادات المرعيَّة ايضاً في القرون الاولى دخول البابا الى كنيسة القديس يوحنا اللاتراني التي تُعدُّ كبيعة الاحبار الرومانيين الكاتدرائيَّة. فكان رئيس الكنيسة يدخلها بجلال وابَّهة كما يدخل الملك مملكتهُ وصاحب الامر مركز اعمالهِ

وقد اطرأ على كل هذه الرتب في كرور الادهار تقلُّبات عديدة لا يسعنا ذكرها وانَّما نكتفي بوصف التتويج كما يجري في الغالب على عهدنا فنقول:

ليس لتكليل الباباوات يوم معلوم ومن ثمَّ يمكن تأخير ميعاد هذا الاحتفال على حسب راي الحبر الجديد. ولمَّا كان ذلك يقتضي عادةً استعدادات طويلة ربَّما أُجّل موعدهُ الى عدَّة ايَّام بل الى بعض الاسابيع فانَّ المثلَّث الرحمات البابا لاون الثالث عشر لم يتوَّج الَّا في ٣ آذار وكان انتخابهُ جرى في ٢٠ شباط. امَّا بيوس العاشر فانَّهُ تُوّج في الاحد الاوَّل بعد انتخابهِ في ٩ آب الجاري لخمسة ايَّام مضت على تنصيبهِ حبرًا اعظم.

وقد اعتاد الاحبار الرومانيون ان يؤرخوا براءاتهم ومناشيرهم من يوم تتويجهم لا من يوم انتخابهم. واذا دعا الامر الى ان يُوسل البابا مرسوماً قبل تتويجهِ لا يختمهُ بخاتم الصيَّاد بل يتَّخذ لذلك خاتماً من الرصاص عليهِ صورتا القديسين بطرس وبولس دون اسمهِ وسنة حبريتهِ وانما يذكر في التاريخ انهُ صدر في اليوم كذا لمباشرتهِ الرئاسة الرسولية

واذا اظلَّ صباح العيد حُمل الحبر الاعظم في محفَّتهِ من قصر الڤاتيكان الى كنيسة مار بطرس يتقدَّمهُ كلُّ الكرادلة وعمَّال بلاطهِ بالبزَّات الرسمية وعلى جانبيهِ حاجبان يحملان المراوح الطاووسية. فينزل الموكب مارًّا بالدرج الملكيّ ويسير الى مدخل الكنيسة فيجلس الحبر الاعظم تحت رواقها الفخيم على عرش يُنصب امام الباب

المعروف بالباب المقدَّس الذي لا يُفتح الَّا في اوَّل سنة اليوبيل. واذا استوى على عرشهِ جلس حولهُ لفيف الكرادلة ثم يقوم اقدمهم من ذوي رتبة الكهنة ويخطب مرحبًا بقدوم كبير الاحبار الى كنيسة هامة الرسل ثمَّ يقدّم لقداستهِ كل عُمَّال الكنيسة من قانونيين واكليريكيين ومرشَّحين للكهنوت فيقبّلون اقدامهُ بالتوالي

ثم يعود الموكب الى سيرهِ ويدخل الاب الأقدس الى الكنيسة فاذا تجاوز العتبة نفر الحرسُ الشرَفي بالابواق من شرفة عالية في وسط الكنيسة. وعند ما يبلغ الموكب معبد القربان الأقدس ينزل الحبر الاعظم من محفَّتهِ فيسجد لهُ ويواصل المسير الى المعبد المعروف باسم القديس غريغوريوس الكبير. وهناك عرشٌ يجلس عليهِ البابا فيأتيهِ الحضور من كرادلة وبطاركة واساقفة فيقدّمون لهُ آيات الخضوع

وفي اثر ذلك يلبس الكرادلة حُلَلهم الدينيَّة بينما يتلو القانونيُّون صلوات الساعة الثالثة. حتى اذا انتهت يعاود الموكب سيرهُ مارًّا بسوق الكنيسة الاوسط امام تمثال هامة الرسل الذي رسمنا صورتهُ في المشرق (ص ٥٧٩) حتى يبلغ الهيكل البابوي (راجع رسمهُ في الصفحة ١٩٦) وفي اثناء مسيرهِ يقترب رئيس التشريفات امام محفَّة البابا وفي يدهِ قضيبٌ فضي على طرفهِ مُشاقةٌ يُحرقها امامهُ قائلًا: «أيُّها الاب الأقدس هكذا يزول مجد العالم». ويكرّر ذلك ثلاث مرَّات ليذكّر ابا المؤمنين بانَّ كلَّ شيء زائل في هذه الدنيا

واذا بلغ البابا الهيكل ابتدأ بالذبيحة المقدَّسة وبعد تلاوة صلاة الاعتراف يعود الى عرشهِ فيجلس عليهِ. واذ ذاك يأتي ثلاثة من اقدم الكرادلة الاساقفة فيصلُّون عليهِ ثلاث صلوات ويوشّحهُ اقدم الكرادلة الشمامسة بدرع الرئاسة (pallium) ويثبّتهُ بثلاثة دبابيس في راسها حجارة كريمة ذكرًا لمسامير صليب المسيح. ثم تغني جوقة المغنّين طلبة القديسين تليها قراءة الرسائل ثم الانجيل يتلوهما شمامسة غربيون باللاتينيَّة وشرقيُّون باليونانيَّة

ثم يقام القداس الحبري كمألوف عادة الكنيسة الغربيَّة لا يختلف في شيء الَّا في تناول القربان فانَّ الحبر الاعظم لا يتناولهُ عند المذبح بل في عرشهِ وهو واقف فيأتيهِ الشمَّاس الرسائلي بالجوهرة المقدَّسة فيأخذها من يده وينزع عنها قطعتين يناولهما شمَّاسَيهِ ثمَّ يقدّم لهُ الشمَّاس الانجيلي كأس التقديس فيشربها

وبعد القدّاس يأتي اقدم الكرادلة من رتبة الكهنة محفوفاً بقانونيّي كنيسة مار بطرس فيتقدّم للبابا كيساً من المخمل الابيض فيه ٢٥ قطعة من الفضّة تساوي كل قطعة نصف فرنك فيهديها الاب الأقدس كحسنة قدّاسه

ثم يُجعل التاج الاسقفي على راس البابا ويرقى الحفّة ويخرج من الكنيسة ثم يصعد مارًّا بالسُّلّم الملكي الى الطَّنَف الواسع المشرف على ساحة مار بطرس الخارجيّة . وفي وسط هذا الطنف عرش عالٍ يُرى من بعيد فيستوي عليهِ الحبر الاعظم ويرتّل المرتلون آية النبيّ : « وعلى راسهِ اكليل من الذهب » ثم يتلو الكردينال اسقف أُستيا الصلاة الربية مع الدعاء الى الله « كي يهب الحبر الاعظم النعم اللازمة لتدبير الكنيسة فيكون اباً للملوك ومرشدًا للمؤمنين »

وبعد الصلاة ينزع ثاني الكرادلة الشمامسة التاج الاسقفي عن راس البابا ويجعل عليهِ التاج المثلّث الاكاليل المختصّ بالاحبار الرومانيين وهذه الاكاليل الثلاثة تدلُّ على السلطة المثلثة المعطاة من المسيح لروَساء الكنيسة في شخص القديس بطرس وهي : اوّلًا سلطة التعليم المعصوم من الغلط (magisterium) . وثانياً سلطة الاسرار المقدَّسة والتصرُّف بها (ministerium) . وثالثًا سلطة التدبير والرئاسة (regimen) وهكذا ينوب البابا مناب السيد المسيح في رُتبهِ الثلاث الممنوحة لهُ من ابيهِ السماوي كنبيّ وكاهن اعظم وراعي النفوس

وبعد التتويج يقوم البابا بكل جلالهِ ويرفع ذراعيهِ الى السماء ثم يصلِّب ثلاثًا ويمنح البركة للالوف المؤلفة من الشعب المتزاحم في ساحة القديس بطرس وللمؤمنين المنبثين في العالم كلِّهِ . ففي الساعة عينها كان يُسمع دويّ المدافع من حصن صَنْت انجلو وتدقُّ كل اجراس رومية ويهتف الشعف هتاف الفرح فتنتهي حفلة التتويج بهذه الرتبة الجليلة الآخذة بمجامع القلوب والابصار . وفي مساء النهار كانت المدينة تُنوَّر وتجري الألعاب الناريّة البديعة التي قلّما يصير مثلها في المسكونة كلّها

وكلُّ هذه الرتب تُقام اليوم سرًّا في المعبد السكستيّ وردهات الڤاتيكان منذ دخول الايطاليين في عاصمة الكثلكة واغتصابهم حقوق الكرسيّ الرسوليّ

*

وليس تتويج الباباوات آخر المظاهرات الحافلة التي كانت تجري بعد انتخابهم

وانَّما يلي ذلك رتبة أُخرى غاية في الأبَّهة والرونق وهي دخولهم في كنيسة قديس يوحنا اللاتراني حيث الكرسي البابوي اجلّ واعظم الكراسي البطريركية في العالم المسيحي

وهذه الرتبة كانت تتمُّ سابقاً في يوم تتويج الباباوات ثم فصلت عنهُ منذ سنة ١٥٠٣ لطول الرتبتين معاً . وربَّما تأخرت من بعدهِ عدَّة أيَّام او اسابيع . وكان الباباوات يخرجون في ذلك اليوم من بلاط الفاتيكان بموكب الفخر من مواكب الملوك بعظمتهِ ورونقهِ يتقدَّمهم الصليب المثلَّث الشُّعَب فيركب الحبر الاعظم جواداً كريماً ويمشي بين يديهِ الكرادلة والامراء والاشراف وكلّهم راكبون الخيل ولابسون الحلل الغالية الثمن . وفي القرون الاخيرة استبدل الباباوات الخيل بالعجلات الملكيَّة كما فعل بيُوس التاسع . وكان هذا الموكب الوسيم يمرُّ في الشوارع وكلُّها مزدانة بالزهور والطنافس او يجتاز تحت اقواس النصر البهيَّة . وكان عمَّال الحبر الاعظم يحملون صُرَر الدراهم فيفرّقها البابا في طريقهِ على الفقراء ثم أُبطلت هذه العادة فأُعطيت الدراهم سرًّا للمساكين يوم تتويج امام الاحبار

ولمَّا كان الموكب يبلغ الطريق القريبة من حصن صَنْت أنجلو كان يخرج حاخام اليهود من الحيّ المختصّ بقومهِ فيسجد امام البابا شاكرًا لهُ على حمايتهِ لاهل جلدتهِ في رومية ثم يقدم لهُ نسخة مخطوطة من توراة موسى قائلًا : « ايها الاب الأقدس نطلب اليك ان تُثبت السنَّة المعطاة لموسى الكليم وتؤيدها » فيجيب الحبر الاعظم انَّ الكنيسة تقبل التوراة كوحي الله عزّ وجلّ وتحفظها ككنز ثمين لما تجدهُ فيها من النبوَّات الواضحة عن المسيح الاله

وكان البابا اذا وصل الى كنيسة مار يوحنا اللاترانيّ ينزل فيجلس على عرش من الذهب يُنصب امام رتاج الكنيسة ثمَّ يلبس الثياب الحبريَّة ويجلس حولهُ الكرادلة على مقاعد كما فعلوا قبل دخولهِ في كنيسة القديس بطرس فيتقدم اليهِ الكردينال الموكولة الى ادارتهِ هذه الكنيسة فيخطب خطبة وجيزة ثم يقدّم لابي المؤمنين صينيَّة من الفضَّة المطليَّة بالذهب عليها الزهور العطرة وبين الزهور مفتاحا الكنيسة احدهما من ذهب والآخر من فضَّةٍ ثمَّ يجثو امامهُ كلُّ القانونيين وعمَّال الكنيسة فيلثمون قدميهِ

وفي اثناء ذلك يلبس الكرادلة حُللهم وتُفتح ابواب الكنيسة فيدخل البابا على

محفّتهِ من المدخل الاكبر مع كل حاشيتـهِ وعند دخولهِ يغنّي المغنّون تسبحة الشكر (Te Deum) ويسير الموكب مارًّا امام هيكل القربان فينزل البابا مرّةً اولى ليسجد لهُ ثم ينزل ثانيةً عند بلوغهِ مذبح الرسولين بطرس وبولس حيث تكرّم هامتاهما في صوانين من الذهب مرصّعين بالحجارة الكريمة. وينزل آخرًا عند حنيّة الكنيسة وفي وسطها الكرسيّ البطريركيّ فيجلس عليهِ وهو لابس تاجهُ ويأتيـهِ الكرادلة خاضعين فيقبلون يدهُ وهو يعطي كل واحد نوطين جميلين من ذهب وفضّة عليهما صورتهُ الكريمة

ومن العادات القديمة التي أُلغيت بعد ذلك انَّ البابا كان اذا بلغ كنيسة مار يوحنَّا اللاترانيّ يجلس بالتوالي على كرسيين قديمين مرصَّعين بالعاج ثم يأتي احد كبار الاساقفة فيمنطقهُ بمنطقة رمزيّة يُناط بها سبعة مفاتيح وسبعة ختوم اشارةً الى مواهب الروح القدس السبعة. ثم يجعل في يدهِ عصاة الرعاية المدلول بهـا على سلطتهِ. وكان المرتلون يغنُّون في اثنـاء ذلك قول النبيّ داود (مز ١١٢: ٧): « الرب ينهض المسكين عن التراب ويقيم البائس من المزبلة ليجلسهُ مع العظماء عظماء شعبهِ » ثم كان يقوم البـابا ويرمي فوق رؤوس الشعب ثلاث قبضات من الدراهم يأخذها من كيس يحملهُ الكمرلنغ ثم كان يدخل الكنيسة فيمنطقهُ قيّمها بمنطقة أُخرى من الحرير عُلّق عليها هميان فيهِ اثنا عشر حجرًا كريمًا اشارة الى الرسل الأثني عشر الخاضعين لبطرس الهامة. وكانوا يجعلون مع الحجارة الكريمة طيبًا وعطورًا دلالةً على الفضائل التي ينبغي للبابا ان يمارسها ليكون نفحـة المسيح الطيّبة كما يقول القديس بولس (٢ كور: ١٥) وكان البابا يفرّق بعد هذا ثانيـةً قطعًا من الدراهم على البائسين وهو يقول آية داود (مز ١١١: ٩): « بدّد واعطى المساكين فبرّهُ يدوم الى الابد »

وقد كان البابا يصعد بعد هذا الى الشرفة المتّسعة التي فوق باب كنيسة لاتران ويمنح البركة ثانيةً للمدينة وللعالم (Urbi et Orbi) كما يفعل في كنيسة القديس بطرس. وفي ختام هذه الرتب كان الحبر الاعظم يدعو الكرادلة وكبار المنصّبين وسفراء الدول الى مأدبةٍ عظيمة. ثم أُبطلت هذه الدعوة وأُعطي حقّ المأدبة للفقراء.

فترى ما كان لهذا المشهد المهيب من العظمة والفخامة وقد اضطرّ لاون الثالث عشر وبيوس العاشر الكفّ عن هذه الزيارة للكنيسة اللاترانية منذ صـار قصر

القاتيكان سجناً اختيارياً للاحبار الرومانيين لا يخرجون منـهُ حتَّى تُرَدَّ لهم مملكتهم فيقومون بملءْ الحرّيَة بما عهد الله اليهم من الشؤون الخطيرة لخير الكنيسة بل لصالح الانسانية

الفاكهة عموماً والعنب خصوصاً

بقلم الاديب شحاته خزام احد طلبة مكتبنا الطبي

اذا ادَّت بك نسمات الصبح الى جنينةٍ فيحاء . او روضةٍ أُنف غنَّاء . وكان فصل الخريف قد عقد اللواء . اذهلك بها عدا ابتسام الازهار . وتغريد الاطيار . مرأى خمائل من وارف الاشجار . غُرست على مجاري المياه وضفاف الانهـار . تميس بقدودها اللدنة واغصانها الرَّطيبة كالخرائد الحسان . في معاطف تزري بدوحات الجنان

واذا سرَّحت جياد الطرف بين ظلالها انتعش فؤادك جذلًا . وقد هزَّك السرور فاصبحت بهِ ثملًا . عند رؤية ما ازدان بهِ جيد تلك الافنان من قلائد الثمار . مما يشرح صدر العليل وتقرّ بهِ الابصار . فمن عناقيد كرمةٍ نثرت عليها قطرات الندى دررا . وأقناء نخلةٍ لاح سناها في سماء الروض غررا . وكُرات رمَّان طلعت بين الاغصان خلتها انجما زُهرا

اجل فهي الفاكهة الحسناء . السائغة الرائقة السمحاء . أُوثرت منذ القدم بهجةً لعين الناظر ولذة شهية لذوق الآكل . فسبحان مبدعها وباريها . ومزيّن جمالها ومؤلف معانيها

فلمَّا كانت الثمار اليانعة ابهى حليةٍ في صدور الموائد لاسيَّما بجلاء هذا الفصل وقد غصَّت بها الحدائق والبساتين فعمَّ انتشارها وكثر اكلها وطلَّابها الى حدٍ يكاد يُخشى معهُ تجاوز خطَّة الاعتدال في استعمالها سواء كان من قبيل النوع او الكميَّة او ما شاكل ذلك مما يؤدّي تناولها الى مخالفة بعض الشروط الصحيَّة احببنا ولو على سبيل التفكهة ان نكتب في هذا الصدد فصلًا وجيزًا علَّهُ لا يخلو من الفائدة العموميَّة المأثورة وهو جلُّ ما نتوخَّاه ونتوق اليهِ من صميم الفؤاد . فعليهِ نقول وبالله نستعين

١ الفاكهة عموماً

انَّ ما يجعل الفاكهة حرِيَّةً بالاعتبار انَّما هو رتبتها في مقام الغذاء. وهي تختلف في ذلك اختلافاً بيّناً بالنسبة الى انواعها وتعدُّد موادّها. فمنها ما تغلب على لبّها المائيَّة كالبطيخ وهو اولى ان ينظم في سلك التوابل ليس لهُ في حيّز الغذاء منزلة تُذكر. ومنها ما هو زيتيّ او نشائي تكثر فيهِ الموادّ الغذائيَّة وفائدة هذه الثمار لقوت الانسان ظاهرة لا ريب فيها لأنَّها تحتوي من الحوامض والاملاح ما يجعلها بمثابة اطعمة مُغذية مقوّية فضلًا عن لذَّة طعمها . فبعضها مثلًا غنيٌّ باملاح الحديد كالكرز والتوت الفرنجي والمشمش. ويَغلب على بعضها الاملاح الفصفوريَّة كالعنب والتين والتفاح. ويدخل في غيرها عنصر اليود او المادَّة الدبغيَّة (tanin) وما اشبه ذلك من العناصر المقوّية للبنية. وهذا ما يحذو بالاطباء الى استعمالها في بعض الامراض الهزاليَّة كالسُّهام وفقر الدم (الانيميا) ونحوهما. والحقُّ يقال انَّها تفضل في عدَّة ظروف على كثير من الاطعمة الحيوانيَّة ولاسيَّما في الاقاليم الحارَّة. فضلًا عن كون هذه الفواكه لخلوّها من الجهاز العضوي لا ينشأ فيها جراثيم سامَّة ووبائيَّة بقدر ما يحصل في الاطعمة الحيوانيَّة عند فسادها

امَّا من حيث تركيب الفواكه كيمويًا فيجوز تقسيمها الى خمسة اقسام:

(اوَّلًا) الفواكه السكَّريَّة — وهي على ضروب مختلفة ومن فصائل شتَّى وكلُّها يحتوي على كميَّة وافرة من المادَّة السكَّريَّة تختلف بين خمسة اجزاء الى عشرين جزءا في المئة. والجسم يجد فيها اذ ذاك من الجواهر الهدروكربونيَّة مقدارًا صالحًا يجعلها حرِيَّة بمزيد الاعتبار من حيث الغذاء

(ثانيًا) الفواكهُ الحامضة — وليست هي اقلَّ عددًا من الاولى. وممَّا يغلب عليها من الحوامض الحامض التفَّاحي يُستخلص من التفَّاح والاجَّاص وغيرهما. والحامض الطرطيري يُوجد في البرتقال. والحامض الليمونيّ في الليمون الى غير ذلك من الحوامض التي يمتزج بها جميعًا الكلس والبوطاس فتتحوَّل في الجسم الى كربونات قلويَّة يغنى بها الدم

(ثالثاً) الفواكه المائيَّة — وهي كثيرة ايضاً وتكون لينَّةً كالبطيخ وما شاكلهُ . وهذه الفواكه عسرة الهضم

(رابعاً) الفواكه الزيتيَّة — كالجوز واللوز والبندق . واكثر ما يؤكل منها ما صلب وجفَّ . وفي هذه الفواكه مقدار يُذكر من المواد الزلاليَّة والدهنيَّة الحسنة الغذاء ويعسر ايضاً هضمها على المبتلين بضعف المعدة

(خامساً) الفواكه النشويَّة — كالكستنة وما جانسها . وهي تتضمَّن كميَّة وافرة من النشا تجعلها طعاماً مغذياً بل قوتاً جيّداً يتَّخذهُ الناس في بعض المواطن كقوتهم اليوميّ فيقوم لهم مقام الخبز . وما من احدٍ يجهل انَّ الكستنة مثلًا تؤكل في عدَّة اقاليم جبليَّة في اوربَّة واميركة حيث لا وجود للحبوب كما انَّ كثيرًا من اعراب البادية لاسيَّما القاطنين في الواحات النخليَّة قلَّما يقتاتون بغير التمر او يعتاضون بسواه

واعلم ان الفواكه السكّريَّة والفواكه الحامضة تترك بعد اكلها في القناة الهضميَّة فضلاتٍ تسبّب اسهالًا خفيفًا نافعًا للصحَّة لاسيَّما في الاشخاص الذين يعرض لهم القبض والامساك . غير انَّ الافراط في اكلها واتخاذها قبل نضجها يعرّض بآكليها لاضطرابات هضميّة تستوجب النظر كما انَّهُ اذا بُولغ في استوائها سلقاً بالماء الوافر او طبخاً في كثيرٍ من السمن والسكَّر يجعلها اثقل وطأةً على المعدة لبطء تحليلها

امَّا اذا اعتبرنا الفاكهة من حيث قوّتها الغذائيَّة المحضة وجدناها تختلف اختلافاً عظيماً على قدر ما يدخل فيها من الموادّ الازوتيَّة التي يتضمَّنها الزُّلال النباتيّ الداخل في تركيبها . فانَّ فيها ما لا يزيد زُلالهُ على رُبع جزء الى جزء ونصف فقط في المئة مثال ذلك الفواكه اللبيَّة كالموز مثلًا . وفي بعضها على خلاف ذلك يتوفَّر الزُّلال وفرةً عظيمة حتى يبلغ كميَّة تتراوح بين الخمسة العشر جزءا الى عشرين في المئة كالفاكهة اللوزيَّة وخصوصاً عند جفافها

وممَّا يدخل في الفاكهة الموادُّ الدهنيَّة غير انَّ نسبتها فيها عادةً اقلّ من نسبة الموادّ الازوتيَّة المارّ ذكرها . ويُستثنى من هذا الحكم الزيتون وبعض الثمار الجافَّة كالجوز والبندق حيث يبلغ معدل الزيت فيها من ثمانية وخمسين الى ثمانية وستين في المائة

واذا اضفتَ الى الموادّ السابقة السُّكَّر والنشا والصمغ والدِكسترين والحوامض الآليَّة فضلًا عن الماء عرفت ما تتركَّب منهُ اغلب الفواكه مع الخواصّ التي تُعزى اليها

٢ العنب

وبعد كلامنا الاجمالي عن الفاكهة احببنا ان نختصّ بالذكر العنب لوفرتهِ في بلادنا وكثرة خواصهِ الصحيَّة

(اصلهُ) هو ثمر الكرمة وهي شُجَيرة من الفصيلة الجفنيَّـــة (ampellidées) منشأُها تركيَّة آسيا وبلاد فارس ثم غُرست في جهات كثيرة فتعدَّدت ضروبهـــا على حسب اختلاف التربة والاصقاع فصارت انواعاً شتَّى يتباين بعضها عن بعض كل التباين فمنها ما يختلف شجرها في القوام ومنها في هيئة الورق وغيرها في لون الثمر وحجمـــهِ وطعمهِ وخواصّهِ وهلمَّ جرًّا. وجُلُّ ما يقال عن الكرمة انهـــا تألف الروابي والتلال لاسيَّما ما انتصب منهـــا للشمس وعُرض لارياح الجنوب. وينمو غرسها في الاماكن المعتدلة الهواء ذات الاديم الجافّ والتربة الرمليَّة او السيليسيَّة وشاع انتشار الكرمة في عهدنا حتى كاد يعمّ كلَّ انحاء العالم. وحياة الجفنة تختلف على اختلاف انواعهـــا ومزارعها الَّا انَّ معدَّل حياتها في بلادنا بين العشرين والثلاثين سنة. وكذلك لا ضابط لمقدار ما تحمل الكرمة من الثمر وقد يوجد من شجرها ما يذكّرنا حملها بعهد بني اسرائيل وعناقيد ارض الميعاد

(صفاتهُ) العنب حبَّات كرويَّة الشكل او بيضويَّة ناعمة ملساء يختلف حجمها بين حدود الصغر الى ما فوق بيض الحمام. اماَّ لونها فهو تارةً ناصع وتارةً اشقر مائل الى الصفرة واحياناً احمر قانئ او اسود فاحم كل ذلك على حسب اصناف الكروم. ولكل حبَّة غلاف رقيق شفَّاف تحتهُ غشاء دونهُ رقَّةً معظمهُ من مادَّة سكَّريَّة تدعى غلوكوز (glucose) تكون على شكل بلُّورات بارزة وضمن هـــذا الغشاء ماء الثمر وجوهرهُ الغزير وقد يكون حامضاً اذا لم ينضج وحلواً سكَّريًّا اذا ينع وفيهِ تكون البزور بعددٍ يختلف بين الواحد والخمسة. وبانتساق الحبَّات وانضمام بعضها الى بعض تتكوَّن العناقيد فمنها الشُعَب والخصال والعذوق وربَّما بلغ وزنها زهاء ثلاثين او اربعين رطلًا مصريًّا

(تركيبهُ) يحتوي العنب الناضج على كثير من الماء بين ٥٠ و ٧٥ جزءًا في المئة ثم على مادَّة سكريَّة (الغلوكوز) بين ١٥ الى ٢٠ جزءًا في المئة وعلى زبدة الطرطير بمقادير مختلفة وهي تبدو فيهِ على اشكال بلُّوريَّة او حُبَيبات ناعمة وعلى موادّ زلاليَّة من

الالبومين وهلاميَّة من الجلاتين من جزئين الى ٣ اجزاء في المئة ثم يشتمل ايضاً على مادَّة دبغيَّة (tanin) تُرى خصوصاً في العنب الاسود وعلى عدَّة املاح جلّها بيطرطرات البوطاس وطرطرات الكلس وفوسفات المغنيسيا والحديد ومركَّبات الصودا وكبريتات البوطاس. وكذلك يدخل في تركيب العنب بعض الحوامض يُشاهَد معظمها في العنب غير الناضج وهي حامض الطرطير وحامض الليمون وحامض التفَّاح والحامض التنِّيك

امَّا بزور العنب فانَّها تتضمَّن مادَّةً دهنيَّة خاصَّة بها يقال لها زيت العنب بمعدَّل ١٥ او ٢٠ جزءًا في المئة وهذا الزيت حلوٌ لا رائحة لهُ يجمد في الدرجة ١٥ تحت الصفر ويبلغ ثقلهُ النوعي ٩٢٧,٠ وهو يصلح للاستصباح ونورهُ جيّدٌ لا دخان لهُ ولا رائحة

(خواصُّهُ واستعمالهُ) لا ينكر احد انَّ العنب احسن الفواكه منظرًا واسهلها سواغًا والذُّها مطعماً فهو عذبٌ مرطِّب جيّد للصدر مُفيدٌ للتغذية وبالاجمال هو اشهى الثمار وانفعها في سائر الاماكن والبلدان. والعنب يظهر في ثلاث حالات طبيعيَّة اي حصرماً ويانعاً وزبيباً

١ (الحصرم) هو العنب في اوَّل اطوارهِ اي قبل نضجهِ اذ يكون جاسياً شديد الحموضة يأباهُ الذوق السليم. ويحبُّ بعض الاشخاص اكلهُ على هذه الصورة فيُهزل اجسامهم ويُضعف معدتهم. وقد لحظ الاطبَّاء ان الفتيات اللواتي يفرطن في اكلهِ في بعض البلاد يمتقع لونهنَّ بالاصفرار ويُصبنَ بفقر الدم والتباك المعدة وما يعقب ذلك من الامراض الصدريَّة واخصّها السلّ الرئوي

وخيرُ ما يستعمل لهُ الحصرم تحميض الامراق وأدمْ الاطعمة ويُصطنع منهُ شراب مرطِّب. واذا استُخرجت عصارتهُ وروِّقت وصُفّيت كانت دواءً قابضاً منبّهاً مدرًّا للبول يوصف لتضمير السِّمَن الزائد ولإنعاش الذين فقدوا الحسّ والحركة لكنَّ شربهُ يضرُّ بالاشخاص ذوي الصدور النحيفة والمعدة الضعيفة. وكان القدماء يتغرغرون بهذا العصير لشفاء امراض الحلق والحنجرة ويدهنون بهِ الجروح المستعصية

٢ (العنب اليانع) وهو البالغ حدَّ النَّضج الجيِّد الصفات الطيب الذوق. والاسود منهُ اوفر سكَّريَّة ممَّا سواه لكنَّهُ قابضٌ لغناهُ بالمادَّة التنِّينيَّة ولذلك يُفضَّل لعمل الخمر

(العلاج بالعنب). لقد شاعت في هذه الأيَّام طريقة العلاج بالعنب اليانع في بلاد كثيرة وجعل الاطبَّاء يصفونهُ لمرضاهم لما وجدوا في جوهر هذه الفاكهة من

العناصر المفيدة المقوّية. وذلك ما حمل في المانية والنمسة وفرنسة وسويسرة قوماً من اصحاب الاملاك الى ان يبتنوا في وسط الكروم على الروابي النضرة منازل يسكنها المرضى في فصل الصيف ليتداووا بالعنب. امَّا الامراض التي يعالجها الاطبَّاء باكل العنب فهي الآتية: ١ً علل الجهاز الهضميّ المزمنة وخصوصاً امراض المعدة والامعاء سواء صَحبها الإمساك ام الاسهال. وقد لحظ الاطبَّاء ان هذه الامراض تخفُّ كثيرًا ان لم تشفَ تماماً. ٢ً علل الجهاز التنفسي كالالتهابات الشُّعَبيَّة. المزمنة والسلّ الرئويّ نفسهِ. ٣ً الامراض العصبيَّة على اختلافها والحمّيات الحارَّة وفقر الدم وداء الملوك وحصى المثانة وامراض الجلد لاسيَّما في البلاد الحارَّة واوان القيظ

واكثر ما يوافق العنب اصحاب الامزجة العصبيَّة والصفراويَّة والحارَّة المعرَّضة للالتهابات وتريف الدم. وقد اصاب الاطبَّاء الذين داووا بهِ احتقانات الدماغ والاحشاء وضروب الاستسقاء نجاحاً عظيماً لكنَّهم لحظوا ايضاً انَّ الافراط منهُ يسبّب الاسهال والزحير والبول السُّكَّري بل ظهرت ايضاً في بعض الاحيان اعراض الكزاز في المفرطين في اكلهِ الّا ان ذلك نادر (١

امَّا كيفيَّة المعالجة بالعنب فهذه قوانينها:

اوَّلاً: يجب ان يُبدأ بالعلاج في خلال فصلَي الصيف والخريف دون ان يُتعدَّى مطلقاً غاية الخريف

ثانياً: اقلُّ مدَّة العلاج عشرون يوماً واكثرها شهر ونصف. ويشترط استعمال العنب متوالياً على طريقة نظامية

ثالثاً: تستحبُّ في اثناء ذلك الاقامة في الاماكن المرتفعة الجيّدة الهواء الطيّبة الماء والافضل ان تكون السكنى في جبال كثيرة الغياض والاشجار يكون علوّها بين سبعمائة متر الى تسعماية فوق سطح البحر

رابعاً: افضل زمنٍ للعلاج بالعنب وقت الصبح غلساً فتُقطف العناقيد من اغصانها وهي مكلَّلة بقطرات الندى

خامساً: الانواع المناسبة من العنب الابيضُ والاسود. امَّا تفضيل بعض الاصناف على غيرها

---

١) ان بعض الكروم تُسمَّد باتربة مختلفة رُبَّما دخل في تركيب بعضها شيء من سولفات النحاس الذي هو من الموادّ السامّة فاذا سُمّدت بهِ الكرمة تسرَّى منهُ شيء اليها والى عنبها فيضرّ بالآكل منهُ لاسيَّما الاحداث. فان سلفات منهُ يؤثر في الصحَّة. وهو يكون جيئة مسحوق اخضر ذي طعم معدنيّ يخبرُ بهِ العنب اليانع ولاسيَّما المجفَّف منهُ اي الزبيب

فيختلف على حسب اختلاف تربة الارض واحوال المريض التي لا يقرّرها الّا الطبيب

سادساً : تكون الكميَّة التي يجب اتخاذها بالتدريج فيبدأ المريض بكمية معتدلة بين الخمسمائة غرام الى الالف يأكلها صباحاً . ثم يزيد في هذه الكميَّة شيئاً فشيئاً الى ان تبلغ ثلاثة كيلوغرامات او اربعة في اليوم يتداوى به على دفعتين او اكثر

سابعاً : ولا بُدَّ من غسل العنب قبل اكلهِ بالماء البارد ويوكل في الحال بقشرهِ وحبوبهِ لانَّ في القشرة والحبوب خواصّ تصلح لتنبيه الحركات الفيزيولوجيَّة في الامعاء تنبيهاً لطيفاً صحياً

ثامناً : يؤخذ مع العنب او بعدهُ مقدار من الماء القراح يختلف بحسب حالة المريض ونوع مرضهِ . ويجوز استبدال الماء بعصارة العنب ايضاً

تاسعاً : يستحبّ مدَّة العلاج استعمال الحمَّامات الباردة مرَّةً في اليوم ما لم يجد الطبيب داعياً لمنعها

عاشراً : امَّا بقيَّة التفاصيل والقوانين الصحيَّة الواجب مراعاتها في اتّباع هذه الطريقة فتستفاد من الطبيب المنوط به امر العليل

هذه هي الخطَّة المعتدلة للعلاج بالعنب . فاذا تبعها المريض وراعى شروطها وجد من التحسُّن في صحَّتهِ فوق ما يؤمّل واخصّ الادلَّة اقبالهُ على النوم براحة ولذَّة مع النموّ في قواهُ ويزيد وزن جسمهِ في الشهر الواحد بين كيلوغرامين الى ستَّة كيلوغرامات وذلك فضلًا عن خفَّة المرض الخاصّ بكل عليل

٣ (الزبيب) هو العنب المجفَّف . وكيفيَّة استحضارهِ عادةً بان يجعل العنب التامّ النضوج في ماء مغليّ قليلًا ثم يُشمَّس مدَّةً الى ان تتمّ يبوستهُ فيُخزن في المطامير او يُعرض للمتجر . وفي هذه الحالة تكثرُ فيهِ المادَّة السكريَّة لما يطرأ على موادّهِ الحامضة من التغيير الكيمويّ في اثناء تجفيفهِ . وتتَّخذ منهُ مشروبات مسكِّنة يُعالج بها الجهاز التنفُّسي . ويدخل الزبيب في معظم الاشربة والمغليَّات الملطِّفة النافعة للصدر وهو يُخلط بالسكَّر والعسل والصمغ والنباتات المضادَّة للسُّعال ولذلك عُدَّ الزبيب كاخصّ الأثمار الاربعة المعروفة بالصدريَّة (pectoraux) وهي الزبيب والتين والتمر والعنَّاب

هذا ما رأينا ايرادهُ في وقت اقبال العنب ولقد ضربنا الصفح عمداً عن المباحث النباتيَّة المحضة والكيمويَّة الصرفة التي يجوز الحاقها بهذا الباب كما أنَّنا عرضنا عن البحث في ادواء الكرمة (راجع مقالة الاديب سليم اصفر عن الفيلوكسيرة . المشرق ١ : ٢٩٥) وفي تخمير العنب ودرس مستخرجاتهِ كالنبيذ والخلّ والدردي والثفل وخواصّ

كل منها . لئلَّا يطول بنا الكلام ونخرج عن نطاق موضوعنا الذي توخَّيناه في هذا المقام

عيد انتقال العذراء
في الكنيسة الارمنيَّة

لحضرة الاب دير نرسيس صائغيان الارمني البغدادي

انَّ تقليد الكنيسة الارمنيَّة بخصوص انتقال البتول الى السماء كتقليد سائر الكنائس الغربيَّة والشرقيَّة . فانَّ الارمن يعتقدون انَّ العذراء والدة الله بعد ان توفَّاها عزَّ وجلَّ وبقي جسمها الطاهر ثلاثة ايَّام في القبر كجسم ابنها الالهيّ نالت بنعمةٍ خصوصيَّة من الله ان يحيا جسمها ويُمجَّد ويشارك نفسها المقدَّسة برؤيتهِ تعالى في دار الخلود . وهذا التقليد يرتقي في الكنيسة الارمنيَّة الى اوَّل عهدها . والدليل على ذلك انَّ موسى الخوريني كاتب القرن الخامس اثبت هذا المعتقد في تاريخهِ

غير انَّ الكنيسة الارمنيَّة مع موافقتها بقيَّة الكنائس في جوهر العقيدة قد تفرَّدت ببعض الامور احببنا ان نرويها لقرَّاء المشرق في صباح هذا العيد الجليل الذي تجلّهُ النصارى على اختلاف مذاهبها فنقول :

يروي الكتبة الكنسيُّون عمومًا انَّ رسل المسيح حضروا جميعًا وفاة البتول مريم الَّا واحدًا منهم وهو القديس توما تأجَّل لبعد مقامهِ . امَّا الكنيسة الارمنيَّة فترجّح كون الرسول الذي لم يحظَ بمشاهدة العذراء عند وفاتها انَّما هو القديس برتلماوس . وقد ورد في تاريخ موسى الخوريني المعروف بابي التاريخ الارمنيّ انَّ هذا الرسول لمَّا بلغ اورشليم وعلم بوفاة امّ الربّ في غيبتهِ أمضَّهُ الامر واكتأبَ لهُ اكتئابًا شديدًا فرقَّ الحواريون لحزنهِ وارادوا تلطيف أساهُ بان اهدوهُ صورة بديعة على خشب السرو عُني بتصويرها القديس يوحنَّا الحبيب نفسهُ وكانت هذه الصورة تمثّل العذراء مع ابنها الالهيّ وجعلتها البتول في غرفتها الخاصَّة مدَّة حياتها فاضحت آلةً لعدَّة خوارق ومعجزات باهرة

فسرَّ برتلماوس بهذه الطرفة سرورًا ليس فوقهُ مزيد وشكر اخوتهُ الرسل على ما

خصُّوهُ بهِ ثمَّ سار الى بلاد قاصية ليبشِّر فيها بالمسيح ونصَّر شعوبًا كثيرين من عبدة الاوثان حتى ادَّى بهِ المسير الى جهــات ارمينية فاقام هناك معبدًا ونصب فيهِ صورة البتول وانشأ بقربهِ ديرًا لرواهب عهد اليهنَّ بصيانة هــذا الكنز فضلًا عن اكرام والدة الله والتعبُّد لها وقد عُرف هذا الدير بدير النفوس « Հոգեաց վանք » وقد رمَّمهُ بعد ذلك القديس غريغوريوس المنوّر ووسَّع بناءهُ

هذه خلاصة الخبر الذي نقلــهُ كتَبَة الارمن عن الأقدمين. ومن المحدثين من يدافع عن صحَّتهِ لا يرى فيهــا ريبًا ومنهم من يرجّح الامر او يحسبهُ محتملًا. وما لا يختلف فيهِ اثنان ان دير النفوس اشتهر في القرن الرابع للمسيح وانَّ النصــارى كانوا يحجُّون اليهِ من كلّ فجّ وأوب لكثرة ما كان يجري فيــهِ من العجائب على يد السيدة البتول حتى انهُ يسوغ لنا ان ندعو ذلك المقام « مزار لورد الارمن »

وكان يُحتفل ثمَّت قبل ذلك العهد بعيد عظيم ذكرًا للصورة العجائبيَّة التي سبق وصفها وكان تاريخ هذا العيد في ١٧ من آب وقيل في ٢٠ منــهُ. وقد نسب البعض هذه الحفلة الى القديس برتلماوس نفسهِ. ولم يزل الارمن يقيمون هذا العيد برونق وجاه حتى بطل منذ نحو مئتي سنة ولعلَّ الاصحّ ان يُقال انهُ ضُمَّ الى عيد انتقال السيدة

وكان للارمن عيد آخر يُنسب لرسولهم القديس غريغوريوس قيل انهُ انشأهُ لينفي بهِ عيدًا كان يعظّمهُ الوثنيُّون في ٢٥ آب ويذكرون فيهِ إلاهتهم « أناهيد » وهي ارطاميس. على انَّ اصحاب العاديَّات لم يتَّفقوا في تعريف هذا العيد والسرّ الذي أُشير اليهِ بهِ وانما دعوهُ فقط عيد الكنيسة وعيد أمّ الله فظنَّ البعض انهُ أُنشئ لذكر عيد البشارة. وعندي انَّ هذا العيد هو هو عيد انتقال العذراء وما يحملني على ترجيح هذا الراي ان التقليد الوطني يعزو انشاءهُ الى القديس برتلماوس الرسول والى القديس غريغوريوس المنوّر معًا. وممَّا يؤيد ذلك انَّ القديس اسحاق بطريرك الارمن الجليل ذكر هذا العيد في قوانينهِ الشهيرة بعد وفاة القديس غريغوريوس بمئة سنة ودعاهُ باسم عيد والدة الله ثمَّ ذكرهُ من بعدهِ تلميذهُ موسى الخوريني وسمَّاهُ عيد السيدة « Տօն Խափուհեոյ » وهو الذي ألَّف النشيد البديع الذي يُتلى الآن في اليوم الاوَّل من هذا العيد

*

وممَّا امتاز بهِ الارمن في تعييد انتقال السيّدة انَّهم لم يحتفلوا بهــذا العيد في ١٥

آب كبقيَّة الكنائس . وانَّما كانوا يقيمون لهُ حفلةً حافلة في الاحد الواقع بين ١٢ و ١٨ آب . وانَّما جعلوهُ يوم الاحد لتقليدٍ قديم عندهم انَّ البتول انتقلت الى السماء في اليوم الذي قام فيهِ ابنها من بين الاموات . غير انَّ هذا الامر لم يشمل كل جهات الارمن وقد اختلفوا فيهِ بعض الاختلاف . قيل انَّهم كانوا يقيمون العيد قبل القرن العاشر او الحادي عشر في ١٥ آب ثم عدلوا الى اقامتهِ في الاحد كما سبق الخبر . ولمَّا عُقد مجمع سيس سنة ١٣٠٩ ومجمع آدنة سنة ١٣١٦ حتم الآباء بان يُقام عيد السيدة في ١٥ آب كما كان سابقاً غير ان هذا القانون لم يعمّ الطائفة كلها . واليوم لا يجري على هذه العادة غير الارمن الكاثوليك مجاراةً لبقيَّة الطوائف الكاثوليكيَّة

ومن مميّزات الكنيسة الارمنيَّة انَّها خصَّت بهذا العيد تسعة ايَّام متوالية . وكانت قبلًا تعيّدهُ يوماً او يومين فلمَّا قام البطريرك نرسيس المعروف بالانيس (١١٦٥—١١٧٣) امر بان يُحتفل بهِ تسعة ايَّام ذكرًا لتسع طغمات الملائكة الذين يكرّمون سلطانتهم في السماء . وهو البطريرك الذي وضع لليومين الثاني والثالث منهُ التسابيح والاناشيد الطقسيَّة وغير ذلك من الرتب الشائعة اليوم الَّا التسبحة التي بدؤها « الشرق المنير » արեւելք գերարփին فانَّ مؤلفها قرياقوس من ازنيغ نظمها في القرن الخامس ولهذا العيد قطاعة تسبقهُ في كلّ الكنائس الشرقيَّة . امَّا الارمن فانَّ قطاعتهم تدوم جمعةً . وقد خصُّوا يوم السبت الواقع قبل هذه القطاعة بذكر مجمع افسس الذي اسقط نسطوريوس ودافع عن اميَّة البتول وشرف لقبها بوالدة الله

وفي بيرامون عيد انتقال العذراء عيدٌ ندعوهُ ظهور النور وفي اللغة « շողակաթ » وذلك اشارةً الى نور بهيّ نظرهُ رسولنا القديس غريغوريوس اذ كان يُعنى بتشييد كنيسةٍ كاتدرائيَّة فسطع فيها نورٌ عجيب يُذكر في هذا النهار مع ذكر تدشين هذه البيعة الذي عُرفت بعدئذٍ باسم اجميازين էջմիածին ومعناها حلول الابن الوحيد . واناشيد هذا العيد من تأليف البطريرك اسحاق الثالث (٦٧٧—٧٠٣)

ثم عند الارمن لا يجري احتفال بعيد عظيم دون اختصاص يوم لذكر الموتى المؤمنين . وعليهِ فانَّ لعيد انتقال العذراء يوماً يذكرون فيهِ المتنيحين ويصلُّون لراحة نفوسهم ويتصدّقون على نيّتهم . قيل ان الكنيسة الارمنيَّة ألِفت هذه العادة لتُبطل عيدًا وثنيًا كان يُقيمهُ المشركون من الارمن ثاني يوم عيدهم فينحرون لآلهتهم ويضحُّون الضحايا

ومن العادات المألوفة عند الارمن في عيد السيّدة انَّ في هـذا اليوم بعد القدّاس الكبير يبارَك العنب. وقد ذكر المشرق في سنتهِ الثانية (ص٨٩١) شيوع هذه البركة في كنائس الشرق مع الصلوات الجارية فيها. والبعض ينسبون انشاء رتبة هذه البركة للبطريرك نرسيس الانيس غير انَّ الاب باريزو بيَّن في المقالة المثبتة في المشرق قدم هذه البركة وشيوعها في الكنيسة شرقاً وغرباً فنحيل القرّاء اليها. والحقُّ يقال انَّ بركة العنب في هذا النهار عادة جليلة اذ منهُ يُعصر الخمر الذي نباركهُ في الذبيحة الطاهرة فيستحيل الى دم الحمل الالهيّ وقد اشبه في ذلك احشاء السيّدة البتول التي منها تكوَّن دم المسيح المُهراق على خشبة الصليب لفـداء البشر. وفي الصلاة التي تُتلى عندنا اشارة الى ذلك حيث يقال: «باركِ اللهمَّ هذه بواكير العنب بشفاعة امّ الله التي من احشائها صدر المسيح ثمرة الحياة والخلود». ولا يزال الارمن حتى اليوم يخرجون في عيد انتقال العذراء الى الكروم ليبارك عليها الكهنة والبعض منهم لا يذوقون العنب قبل هذه البركة

وممّا سبق ترى عظم الاكرام الذي تؤدّيهِ كنيستنا الارمنيّة المقدّسة للسيّدة البتول وكم نالت بشفاعتها من النعم والمواهب. فشكراً لها ولابنها الآن وعلى الدوام والى دهر الدهور

من دريداوا الى هرر

رحلة لجناب الصيدلي القانوني عبد الله افندي مخائيل رعد المتخرّج في مكتبنا الطبي

وعدت القرّاء الكرام في احد الاعداد الماضية ان آتيهم على وصف هرر وضواحيها وها انا اليوم انجز الوعد فاقول:

يخرج المسافر من دريداوا نحو الساعة الثالثة مساء (بعد الظهر) قاصداً هرر فيجتاز على مسافة ١٥ كيلو متراً غابة كبيرة تغطي الوادي القائم بين جبال التشرْشِر وهـذه الغابة مؤلفة من انواع اشجار كثيرة اخصّهـا الميموزا والاكاسيا المُشوكتين والروبينيا الصفراء والاوفوربيا الشمعدانيّة (euphorbia candelabra) والعرعر والغـار وغير ذلك

ثمَّ بعد قليل يأخذ الطريق بالصعود على جبـل دنكاكو حتى يصل المسافر الى قمته فيشعر هناك ببرد لم يشعر بمثله على قمم لبنـان وتكون الشمس قد غربت فيبيت ليلته في احدى قرى الكالا (Gallas) الى الصباح ولا تسلْ عمَّا يقاسيه من البرد القارس بالرغم عن ان نقطة هذا المحل تقرب من الدرجة ٩ ٫٧ من العرض الشمالي غير انَّها تعلو عن سطح البحر ٢١٠٠ متر وهذا ما يفسر سبب شدَّة القرّ

ثمَّ ينهض الراحل في الصباح ويجيل نظرهُ يمينًا وشمالًا فيرى السهول الواسعة الخضراء المزروعة ذرةً وشعيرًا وهي السهول الهررِيَّة الخصبة الكثيرة الماء يتخلَّلهـا روابي مكللة بالعشب والمراعي فيجتازها ببطءٍ ليمتّع نظرهُ برؤْيَة ما يشبه بالتمام اراضي البقاع (قرب زحلة) من حيث التربة وتقسيم الحقول ونحو ذلك. ويمرّ بطريقـه على بحيرتين كبيرتين وهما بحيرة أَدلي وبحيرة هراماياً وبالقرب من هذه الاخيرة دير صغير للآباء الكبوشيين يُعرف بدير أَوَّاله بهِ بستان جميل يحتوي على كل انواع الفواكه والبقول. واخبرني حضرة الاب لاون رئيس هذا الدير ان الاشجار حتى الكرمة في بستانه تعطي اثمارها مرتين في السنة في شهري شباط وايلول. ثم يجتاز المسافر بقيـة طريقه بين شجيرات البنّ التي يكثر عددها بقدر ما يقترب من المدينة تجري بينها سواقي المياه والاعين الرائقة التي ينبع ماؤُها بالقرب من هرر. ثم يصعد رابية أخيرةً واذا بهرر تنقشع لهُ عن بُعـد كبقعة كبيرة حمراء ترابية وسط اكليل اخضر من الحقول والبساتين

هرر

مدينة موقعها في الدرجة ٩ ٫٧ تقريباً من العرض الشمالي وتعلو عن سطح البحر ١٨٨٠ مترًا مبنية على رابية من الرخام المحبَّب مستنـدة الى جبل حكين (mont Haquine) الذي يعلو عنها نحو ٢٥٠ مترًا ينبع في سفحه ينابيع عديدة تتجمع وتسير سواقي فتسقي بساتين وحقول هرر. امَّا البيوت فكلها مبنيَّة بحجارة وتراب احمر كبنايات قرى حوران وملتصقة ببعضها على الطرز العربي القديم كبيوت دمشق القديمة وعددها نحو عشرة آلاف لا تغطي غير مسافة ٤٨ هكتارًا من الارض فقط وهي محاطة بمنطقة من السور لها خمسة ابواب تُغلق من غروب الشمس الى شروقها. وقد بنى بعض الاحباش خارج السور بيوتاً لسكناهم من جهـة واحدة فاصبحت المدينة اجاصيـة الشكل. امَّا عدد سكان هرر فيقدرونهم بخمسين الف نفس فقط

وهناك ثلاثة ابنية كبيرة مغطاة بالكلس يظهر بياضها لاول وهلة وتجاب نظر الغريب بين بقية البيوت الحمراء وهذه الابنية الثلاثة هي قصر الراس مكونين المبني قرب ساحة المدينة بمحل عالٍ والكنيسة الحبشيَّة وجامع المسلمين

امَّا مناخ المدينة فغاية في الاعتدال لان اوطى درجة الحرارة في الشتاء ١٥ فوق السفر واعلاها في الصيف ٢٥ بمقياس سنتغراد . وهرَر اكبر مدن الحبشة كلها وهي ببنائها الحجري تُعدّ اعظم مدينة بين البلاد الممتدة من الخرطوم الى الزنجباز اذ ان بقية المدن كلها (ما عدا بعض المستعمرات الاوربيَّة) مصنوعة من الهشيم والعشب وذلك فضلًا عن عدد سكانها وحسن موقعها وكبر مركزها

(تجارتها) تُعد هرر اهم بلدة بين بلاد هذه الأقطار الافريقية الشرقية من حيث التجارة

(احياء المدينة) احياء هرر كلها ضيقة ومعوجَّة وغير سهلة تشبه تمامًا احياء صيدنايا يُرى في جدرانها ابواب ونوافذ صغيرة جدًّا لان هذه المدينة عريقة في القدم وقد قاست حصارات كثيرة. بها الاقذار في كل ناحية وصوب وقيل ان الضباع تأتيها في الليل لتقتات بأقذارها وهي في مأمن من شرّ الاهلين لان الحكومة الحبشيَّة تحذر على الوطنيين الخروج الى الشوارع بعد الساعة العاشرة افرنجيَّة امَّا الاوربيون فتسمح لهم ذلك بشرط ان يتقدمهم خادم يحمل قنديلًا

(سكانها) ما عدا الهررين الاصليين يسكن هرر كثير من الاحباش والكالّا والصومال والهنود وهؤلاء (اي الهنود) هم القوم الذين يسدون طرق التجارة في وجه الاوربيين بكل الاقطار المجاورة لسواحل البحر الاحمر والاوقيانوس الهندي لكثرتهم وغناهم وقلة ما يلزمهم من المصاريف للقيام باودهم واود عائلاتهم واولادهم ولقبضهم على تجارة جميع الاصناف التي يتجر بها الافرنج فهم اكبر تجار الذهب والبنّ والجلود والعاج والشمع والحبوب والاقمشة ويمتاز بين الهنود قومٌ يدعون بنيانا (Banians) وهم وثنيون تحظر عليهم ديانتهم اكل اللحوم والسمن والبيض وكل المواد الحيوانية بنوع الاجمال ولا تجيز لهم بان يتردَّوا بشيء من الثياب غير القميص والمئزر. امَّا البيض بهرر فهم نحو من مائة رجل بين ارمن (وهم العدد الاكبر) واروام وافرنسيين وايطاليين وثلاثة من السوريين تاجر حابي وتاجر لبناني وكاتب هذه العجالة

(خارج المدينة) اذا خرجت الى ظاهر المدينة ترى الجنات الواسعة والرياض والحقول الكبيرة مزروعة كلها بنًا وموزًا وذرة بيضاء وشعيرًا وقليلًا من البقول والكرمة وبعضًا من شجيرات الليمون والپاپاي (carica papaya) ويهتم الهرريون كثيرًا بزراعة الكات (catta edulis *ou* celastrus edulis) وهي شجيرة تشبه الغار البرتغالي يمضغ العرب والهرريون ورقها فتفعل بهم فعل المسكر او الافيون وهذا النبات يباع باسعار غالية جدًّا ويرسل منهُ الى جيبوتي وعدن وبعض سواحل شبه جزيرة العرب. امَّا بقية الاشجار المثمرة والمزروعات الصناعية والقمح وغير ذلك فلا يهتم الاهالي بها لا لان الارض والمناخ لا يصلحان لذلك فان بستان الرسالة الكاثوليكيَّة ممتلئٌ من كل انواع الفواكه والبقول الاوربيَّة بل لان الجهل مستولٍ على الاهلين فلا يعملون الَّا ما كان يعملهُ آباؤهم واجدادهم في الاعصر السالفة غير ان الآمال منعقدة على التقدم بفضل دخول الشركات الاوربيَّة التي اخذت بالاهتمام في مسائل الزراعة في بعض المقاطعات الحبشيَّة ولا بدَّ ان يتعلم منهم الهرريون فينهضون قريبًا من رقادهم وينفضون عنهم غبار الجهل ويتحقَّقون ان الزراعة روح البلاد في كل آن ومكان

يمين العليّ

رواية تاريخية للاب س. ت اليسوعيّ

الفصل العاشر

مريم (تتمَّة الفصل)

— صلّي يا ابنتي فانَّ المسيح غدًا يستولي على قلبكِ

— زوّدني أيها الاب ببركتك

— اني اباركك من صميم الفؤاد باسم الربّ فادي الانام

هو الخطاب كان جاريًا على عتبة بيتٍ حقير موقعهُ في بعض احياء الفعلة في بيروت بين شيخٍ وقور وفتاة في مقتبل العمر كانت تصحبها امرأة مسنَّة

وكان الذي ينظر الى العجوز لا يشكّ في انَّها من صعاليك القوم وفقرائهم او

بالحري من إمائهم وعبيدهم . اما الفتاة فكان حسنُ منظرها ورشاقة قدّها ورزانتها في حركاتها تدلّ على شريف اصلها وطيب ارومتها

ولكن تُرى ما معنى وقار تلك الآنسة وتذلُّلها امام شيخ وضيع الاصل وما سبب ذاك التعطُّف والحنوّ الذي اظهرهُ لها الشيخ اذ باركها وتبعها بالنظر حتى توارت عن عيانهِ من جهة حيّ اليهود ؟

وكأني بالقارئ قد سبق وعرف تلك الفتاة ودعاها باسمها يهوديت ابنة صموئيل اليهوديّ المثري الشهير في بيروت ولعلّهُ عرف ايضاً العجوز التي كانت تصحبها انَّها أمتها الامينة دوروتيا

وان سألت عن الشيخ الجليل الذي وقفت يهوديت بحضرتهِ اجبتُكَ انهُ كوارتوس اوَّل اسقف تولّى في بيروت رعاية النصارى

*

كان بطرس الصفا ثلاثين سنة قبل ذلك العهد نزل من اورشليم وهو يطلب انطاكية ولمَّا كانت طريقهُ على بيروت لم يشأ ان يجتاز هذه المدينة الشهيرة دون ان يزرع فيها بذر الخلاص ويبشّر اهلها بالانجيل . فرمى فيها شبكتهُ وهو صيَّاد الرجال كما قال عنهُ المسيح فاجاب الى دعوتهِ نفرٌ قليلون كانوا كالخميرة في تلك الحاضرة بين قوم لم يكن همُّهم سوى احراز الغنى وارتشاف كاس الملذَّات

ولمَّا حان وقت رحيل الرسول الى انطاكية اختار بين تلامذتهِ رجلًا ذا فطنةٍ وغيرة يدعى كوارتوس وكل اليهِ امر المتنصّرين وجعلهُ اسقفاً اوَّل على بيروت ليبثَّ فيها الدين . فلبّى كوارتوس امر هامة الرسل واختار لسكناهُ حانوتاً صغيراً باعهُ من بعض العملة واتَّخذهُ معملًا للحياكة وهي المهنة التي كان يزاولها . فما لبث القوم ان رأوا اجتهادهُ وحسن شغلهِ فصاروا يتواردون اليهِ ويفضلون انسجتهُ على غيرهِ وكانوا يلقون من لطفهِ ورقَّة طباعهِ ما يأسرهم بحبهِ

وكان كوارتوس مع مثابرتهِ على شغل الحياكة يقابل جميع الزائرين بوجه بشوش ويتحقَّى بالسؤال عن احوالهم ويساعدهم بمشورتهِ بل بعملهِ ان امكنهُ . وكان اذا وجد بينهم بائساً افقر منهُ تحسَّن عليهِ بمالهِ . فكانت العامَّة تنتاب اليهِ ولاسيَّما اليهود الذين وجدوا فيهِ مثال الفضائل الموصوفة في اسفار موسى وكتب الانبياء على انَّهم كانوا

يتعجّبون منهُ ومن اعتزالهِ عن قومهم في الصلاة. وبقي كوارتوس على هذه الحالة بينهم ردحاً من الدهر حتى اذا كان يوماً في حلقةٍ من اصحابهِ المتردّدين عليهِ قال لهُ احدهم وكان من باعة السمك وهو يهوديّ النحلة :

ارالكَ رجلًا ذا دينٍ ومع هذا لم نعاينك قطّ في كنيسنا

قال هذا فاردف حمّال فينيقيّ كان هناك : « وكذلك نحن لم نركَ يا كوارتوس في معابد آلهتنا السوريّين »

فما ألقيا هذا السؤال حتى اصغى الكل الى الحائك كوارتوس واعاروهُ انتبههم ليروا ما هي افكارهُ من جهة الدين

امّا كوارتوس الذي كان يجيب عادةً على اسئلة زائريهِ دون ان يكفّ عن الشغل فانّهُ اسكت هذه الدفعة « مكّوكهُ » ورفع رجلهُ عن « دوّاستـهِ » وقام عن سداهُ فجلس في بهرة القوم وكانوا قد ازدحموا حولهُ لعلّهم يسمعون من فيـهِ شيئاً جديداً . ثمّ أطرق ساعة الى الارض كانهُ يصلّي الى الله في قلبـهِ ورفع راسهُ الى الرهط المتجمّع حولهُ قائلًا :

« لا تتعجّبوا من حيادتي عن كنيس اليهود وعن هياكل الاصنام لأنّ معبودي هو السيّد الاله يسوع المسيح »

قال كوارتوس هذه الكلمات بصوت جهور ورزانة عجيبة. لكنّهُ ما كاد ينتهي منها حتى قام ثلاثة او اربعـة من اليهود الحضور وخرجوا يهزّون برؤوسهم ويلعنون معبود كوارتوس لأنهم كانوا أُشربوا بغضهُ منذ حداثتهم

امّا الباقون فانّهم مع ما اصابهم من الاندهال لم يُحيروا جواباً ولِما طُبعوا عليهِ من السذاجة وحسن الطويّة احبّوا ان يعرفوا ما يقولهُ كوارتوس في معبودهِ

فواصل الحائك كلامهُ بعد ان توارى الخارجون عن العيان واخذ يقصّ على سامعيهِ خبر يسوع الناصريّ مباشرةً من مولدهِ العجيب الى موتهِ وقيامتهِ. وكان على قدر ما يخوض في مجال الكلام يزيد صوتهُ قوّةً ويتّسم وجههُ بسمة العزّ والوقار فيخال للحضور انّهم يسمعون ملاكاً لا بشراً. وكان قولهُ يحوك في صدرهم ويفعل فيهم فعـل الماء الزُلال في الناهل العطشان يُروي حرّتهُ ويشفي حرقتهُ

وكان ممّا اثّر فيهم ما رواهُ كوارتوس عن مسيحهِ انّهُ عاش ثلاثين سنة مثلهم في

الضَّعة وشغل الايدي والأتعاب الشاقّة فنهج لهم بمثلهِ طريق الخلاص وطوّب الفقراء والمساكين والحزانى والباكين دون الاغنياء والمنهمكين في اللذّات . فخرجوا من امام كوارتوس وقلوبهم مأسورة بحبّ الهٍ جواد احبَّ نفوسهم حبًّا لا يوصف ادّى بهِ الى ان يموت فداءً عنهم

وكانت هـذه اوّل كرازة كوارتوس بالمسيح الرب فلم تذهب كلمتهُ سدًى بل وقعت في تربةٍ طيّبة واتت بعد قليل بزرع جيّد نما وزكا في قلوب اهل بيروت وخصوصاً في قلوب الوضعاء والمساكين

على انَّ الجحيم لم يكن ليرضى بخراب ملكهِ دون ان يقاوم انصـار الحقّ ودُعاة الدين فثارت على المتنصرين في بيروت الثوائر الجمّة وناصبهم كهنة الاصنام وكان اشدّ الناس عداوة عليهم اليهود اذ يرونهم يعظّمون ذاك الذي صلبهُ زعماؤهم وكبار احبارهم ومن ثم كانوا يدسّون لهم الدسائس ويحرّكون عليهم الضغائن بل رفعوا امرهم الى عُمّال الرومانيين ليحاكموهم كاعداء المملكة ويقضوا عليهم بالموت او بالنفي . لكنَّ الرومان بعد الفحص والتنقير لم يجدوا لشكايات اليهود سندًا فتركوهم وشأنهم يعبدون معبودهم المصلوب كما يعبد الفينيقيون تمّوز وعشتاروت او كما يكرّم اليونـان المشتري والمرّيخ . امّا تعليمهم الدينيّ فلم يجدوه اسوأ من تعليم غيرهم بل رأوا انّهم يكرّمون القيصر ويعطون ما لله لله

*

فهكذا مرَّت على كوارتوس ثلثون سنة وهو يجاهد في سبيل الحقّ متقلّبًا في السرّاء والضرّاء تارةً تساعدهُ الرياح فيجري بسفينتهِ الى الامـام وتارةً يساور مركبهُ تيّارُ البحر فيكاد يحطّمهُ الّا انَّ الله امدّهُ بمعونتهِ وذلّل لهُ المصـاعب حتى بلغ عدد قطيعهِ في اليوم الذي نحن بصددهِ الفي نفس ٍ اكثرهم من السوقة ومن العملة

وقد شاء الله ان يعزّي في هذا النهار قلب هذا الراعي الغيور بان ساق اليهِ احدى بنات اسرائيل ليرشدها الى طريق الخلاص فتكون كباكورة قومها الذين لم يستطع كورتوس حتى ذاك اليوم ان يلين صلابة قلوبهم وينير عقولهم بنبراس الايمان

ومن ثم لمّا رأى الاسقف اوّل مرّة يهوديت داخلةً الى منزلهِ الحقير مع أمتهـا دوروتيا رحّب بهما واظهر للفتاة الشريفة من الانس والحنـان ما افرخ روعها وسكّن

جأشها . ثم اجلسها بقربهِ ولمَّا تحقَّق برغبتها في التنصُّر اخذ يوضح لها حقيقة النصرانيَّة وما ورد في اسفار العهد العتيق من النبوَّات عن المسيح وحياتهِ وموتهِ وبطلان سنَّة موسى بشريعتهِ الفُضلى

وكانت يهوديت تسمع كلام كوارتوس لا يفوتها منهُ حرفٌ الَّا انَّهـا كانت سبقتهُ ودرست من قبل دخولها عليهِ تاريخ النصرانيَّة وراجعت الاناجيل المقدَّسة وقابلت بين نصوصها وآيات التوراة واحاطت بدين المسيح علماً . ولمَّا سألها كوارتوس اتؤمن بالعقائد التي فسَّرها لها رأى من حكمتها وصواب عقلها وسعة فهمها ما لم يجد في من نصَّرهم قبلها

لكنَّهُ خاف من ان تضعف امام الشدائد وتخور عزيمتها اذا ما عرف ابناء جلدتها بخروجها عن دين آبائها . وعليهِ اخذ الاسقف يبيّن لها انَّ المؤمن لا بُدَّ لهُ من الصبر على المحن والبلايا وانَّ ايمانهُ يضطرُّهُ على مقاساة الآلام حتى اذا اقتضى الامر ذلك يهرق بطيب القلب دمهُ في سبيل دينهِ كما فعل اسطفانوس الشهيـد ويعقوب اخو الربّ ويعقوب بن زبدى وكلُّهم آثروا الموت على الكفر وذهبوا ضحايا بُغض اخوتهم اليهود لدين المسيح

بيد انَّ يهوديت كانت مستعدَّة لكل الاوجاع بل للموت نفسهِ اذا ما دعاها الله يوماً الى الاستشهاد فاكتفت بان تقول لكوارتوس عند وصفهِ الشدائد المعـدَّة للمتنصرين : « انَّ المحبة اقوى من الموت » تريد انَّ محبة الله قد استولت على قلبها فلا تخاف العذابات بل لا تهاب الموت نفسهُ لحفظ وديعة الايمان

فلمَّا رأى كوارتوس شدَّة نفسها وقوَّة عزمها لم يرَ داعياً لتأجيل عمادها فبشَّرها بذلك وعيَّن لها يوماً تعدّ نفسها لقبول هذه النعمة الالهيَّة والمنَّة السمويَّة وزوَّدها ببركتهِ كما رأينا فخرجت وأمتها وقلبهما يطفح سروراً (ستأتي البقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

قانون الدعاوي الزواجيَّة (الجزء الاوَّل)

تأليف الخوري بولس عويس

طبع في الاسكندريَّة سنة ١٩٠٣ ص ١٦٧

انَّ الدعاوي الزواجيَّة في الشرق منوطة عند المسيحيين بالديوان الاسقفي ولمَّا كان لهذه الدعاوي مشاكل عديدة يصعب حلُّها لولا العلم السابق بالقوانين المرعية في الكنيسة احبَّ حضرة الباحث العالم الخوري بولس عويس ان يجمع في كتاب منفرد كلَّ ما ورد بهذا الخصوص في الحقّ القانونيّ من مبادئ لاهوتية ثابتة واجوبة اصدرتها الاحبار الاعظمون ومجمع التفتيش لتكون كدستور يُرجع اليهِ في معضلات سرّ الزواج. ويتضمَّن هذا الجزء الاوَّل الينابيع التي يستقي منها قانون الدعاوي الزواجيَّة ثم سياق الاعمال القضائية في هذه الدعاوي. فنثني على همَّة المؤلف ونحضّ الكهنة على مطالعة ما يحتويه الكتاب

PHILIPPINE WEATHER BUREAU

Report of the Director - Meteorogical service 1865-1902

الآثار الجويَّة في جزائر الفيليبين من سنة ١٨٦٥ الى ١٩٠٢

مذ استولى الاميركان على جزائر الفيليبين ادركوا ما يؤدّيهِ مرصد اليسوعيين في مانيليا من الخدم الجليلة للبحارة الوطنيَّة ولتجارة الولايات المتَّحدة مع هذه الجزائر. ومن ثم اخذوا ينشطون مديري هذا المرصد ويقدّمون لهم كل المساعدات التي كانوا اليها في حاجة ليوسّعوا نطاق اشغالهم ويزيدوها نماء ونجاحاً. وللمرصد منذ سنتين مجلَّة شهريَّة تُطبع على نفقات الحكومة بالانكليزيَّة ينشرها الاب ألغه (J. Algué) فيبحث فيها عن كل احوال المرصد ويضمّنها الجداول الرصديَّة والتصاوير الفلكيَّة على غاية ما يمكن من الاتقان. وكان الآباء صنَّفوا منذ سنين عديدة تآليف شتَّى جديرة بالطبع في العلوم الفلكيَّة والآثار الجويَّة في جزائر الفيليبين لم يسعهم نشرها وهي اليوم تطبع بهمَّة الحكومة ظهر منها اربعة مجلَّدات ضخمة. وقد طُبع مؤخرًا كتاب للاب

مرسيال صولا (M. Solá) في الآثار الجويّة في الفيلبيين من سنة ١٨٦٥ الى ١٩٠٢ ذكر فيهِ تاريخ رصد المظاهر الجويّة في هذه الجزائر مدّة نحو اربعين سنة منذ انشأهُ الفلكيّ الشهير الاب فورا (F. Faura) الى يومنا. ومن اطّلع على هذا التأليف اخذهُ العجب ممّا يصنعهُ المرسلون الكاثوليكيّون في العالم ليس فقط لخلاص النفوس بل ايضاً في سبيل التمدُّن وخدمةً للعلوم. وفي فهرست هذا الكتاب ما يدهش العقل فكيف بنا لو اردنا وصف الآلات التي اخترعها الآباء وتفصيل اشغالهم وتعريف مصنّفاتهم التي يعتبرها العلماء كاجلّ المآثر الفلكيّة. فيحقُّ للكنيسة الكاثوليكيّة ان تفتخر بعلمائها كما تفتخر باوليائها. وقد اقرَّ بذلك كاتب المنار المصري في عددهِ الاخير (ص ٣٥١) حيث ورد: «علموا (اي الكاثوليك) على انَّ بقاء الدين محال ما لم تُجعل علوم العمران نصيرة لهُ فعكفوا على العلوم حتى برعوا في جميع فنونها فمدارسهم جامعة تفوق غيرها نظاماً واحكاماً وعلماؤها من القسيسين وغير القسيسين مستعدُّون لكل عمل يرتقي فيهِ العمران»

LE CARDINAL BESSARION (1403-1472)
par H. Vast, *Paris, Hachette*, pp. 472

ترجمة الكردينال بساريون واعمالهُ

قد مرَّ على هذا الكتاب زمنٌ منذ نشرهُ مؤلفهُ الاديب المسيو ڤاست. لكنّهُ من التآليف التي لا يسع الشرقيين جهلها فانَّ الكردينال بسّاريون احد مشاهير الرجال الذين شرَّفوا الشرق المسيحيّ بعلومهم واعمالهم. فانهُ هو الذي صالح ملوك الروم والملوك المجاورين وهو الذي سعى باتحاد الكنائس الشرقية مع كنيسة رومية في المجمع الفلورنتيني ودافع عن حرّيّة وطنهِ ثم صار من انصار العلوم والآداب في ايطالية لمّا اضطرَّ الى مزايلة مسقط رأسهِ وقد عرف لهُ الاحبار الرومانيّون فضلهُ اذ رقوهُ الى منصب الكرادلة وقلّدوهُ المهامّ الخطيرة وكانوا لا يفصلون امرًا الّا برأيهِ وحكمتهِ وقد بيّن كلَّ ذلك مؤلف هذا الكتاب واثنى على بسّاريون بما يستحقّهُ من الثناء الطيّب. ولم يكتب كتابهُ الّا بعد مراجعة التآليف العديدة والمطالعات الوافرة وقد اسعدهُ الحظّ على وجود آثار جليلة كانت من قبلهِ مخفيّةً في زوايا النسيان. هذا وانّنا نأخذ على المسيو ڤاست امورًا لا نسلّم لهُ بها منها بعض آرائهِ في التعاليم اللاهوتيّة التي

يجهلها وكذلك قد حملهُ حبّـهُ لبسّاريون على ان يسوم خسفًا بعض معاصريهِ منهم باباوات وكرادلة شهد لهم المؤرخون بالفضل الى غير ذلك من الشوائب التي لا يمكننا هنا تفصيلها

Instructions sur les mesures à prendre contre les maladies endémiques, épidémiques, et contagieuses.

Paris, Imprimerie Nationale, 1903 pp. 92

لائحة في الامراض الفاشية في المستعمرات الفرنسويَّة ومداواتها

كانت الحكومة الفرنسويَّة ارسلت وفدًا من نطاسيّي الاطبَّاء الى مستعمراتها في الشرق الاقصى وفي افريقية ليبحثوا عن الامراض الفاشية بين اهلها سواء كانت معدية ام غير معدية . فبعد البحث المدقَّق اصدر وزير المستعمرات هذه اللائحة وهي تتضمَّن اخصّ الامراض الشائعة بين المستعمرين كحُمَّى المستنقعات والحمَّى الصفراويَّة والتيفوس والهواء الاصفر والجدري والطاعون والبرص مع بيان اعراضها واسبابها وطرائق علاجها وقد جعل هذه اللائحة كدستورٍ سَهل يرجع اليـهِ المرَضون في المستعمرات . وهي تصلح ايضًا لكل البلاد التي تتفشَّى فيها هذه الادواء فنحضُّ العموم وخصوصًا اطبَّاء بلادنا على اقتنائها لكثرة فوائدها مع صغر حجمها ل . ش

شَذَرَاتٌ

الاجنحة الصناعية والطيران كثيرًا ما قرأتُ في الكتب والمجلَّات العلميَّة من عربية وافرنجية تاريخ الاجنحة الصناعية والطيران في الجوّ فلم ارَ احدًا ذكر لهُ تاريخًا اقدم من سنة ١٧٨٣ التي حلَّق فيهـا الاخوة مُنكُلفيار بواسطة مُطَيَّرتهم التي اخترعوها الّا اني عثرتُ في مطـاوي مطالعتي معجم البلدان لياقوت الحموي على ذكر الاجنحة الصناعية وذلك في القرن الثالث للمسيح فاحببتُ ان اورد هنا الخبر افادةً لمحبّي التاريخ :

ذكر ياقوت في كلامهِ عن « منارة الحوافر » (معجم البلدان ٤ : ٦٤٥-٦٤٨) ان سابور بن اردشير (وقد ملك سنة ٢٣٨ ب م) من بعد ان تنكَّر وآجرَ نفسهُ من عظيم احدى القرى مدة اعوام كثيرة ورجع بعد ذلك الى عرش المملكة سألهُ احد وزرائهِ : « ايها الملك المظفَّر . ما اشدّ شيءٍ مرَّ عليك واصعبهُ [يوم كنت اجيرًا] قال : طَرْد الوحش بالليـل عن الزرع فانها كانت تُعييني وتُسهرني وتبلغ مني فمن اراد سروري فليصطد لي منها ما قدر لأَبني من حوافرها بنيـةً يبقى

ذكرها على ممرّ الدهر. فتفرّق القوم في صيدها فصادوا منها ما لا يبلغهُ العدد فكان يأمر بقطع حوافرها اوّلًا فاوّلًا حتى اجتمع من ذلك تلٌّ عظيم. فاحضر البنّائين وامرهم ان يبنوا من ذلك منارة عظيمة يكون ارتفاعها خمسين ذراعًا في استدارة ثلاثين ذراعًا وان يجعلوها مُصمتةً بالكلس والحجارة ثم تُركّب الحوافر حولها منظمًا من اسفلها الى اعلاها مسمَّرة بمسامير من الحديد. ففعل ذلك فصارت كأنها منارة من حوافر. فلمّا فرغ صانعها من بنائها مرَّ بها سابور يتأمّلها فاستحسنها. فقال للذي بناها وهو على راسها لم ينزل بعد: هل كنت تستطيع ان تبني احسن منها؟ قال: نعم. قال: فهل بنيت لاحد مثلها؟ فقال: لا. قال: والله لأتركنّك بحيث لا يمكنك بناء خير منها لاحدٍ بعدي. وامر ان لا يُمكّن من النزول. فقال: ايها الملك قد كنت ارجو منك الحباء والكرامة واذ فاتني ذلك فلي قبل الملك حاجةٌ ما عليك فيها مشقّة. قال وما هي؟ قال: تأمر ان أُعطى خشبًا لاصنع لنفسي مكانًا آوي اليهِ لا تُمزّقني النسور اذا مُتُّ. قال: اعطوهُ ما يسأل. فأُعطي خشبًا وكان معهُ آلة النجارة فعمل لنفسهِ أجنحةً من خشبٍ جمّاها مثل الريش وضم بعضها الى بعض وكانت العمارة في قفر ليس بالقرب منهُ عمائر وانما بُنيت القرية بقربها بعد ذلك. فلمّا جاء الليل واشتدّ الهواء ربط تلك الاجنحة على نفسهِ وبسطها حتى دخل فيها الريح والقى نفسهُ في الهواء حتى القتهُ الى الارض صحيحًا ولم يخدش منهُ خدشٌ ونجا بنفسهِ

قال [أحمد بن محمّد بن اسحق الهمذانيّ]: والمنارة قائمة في هذه المدّة الى ايّامنا هذه مطمورة المكان ولشعراء همذان فيها اشعار متداولة اهـ (الاب انستاس الكرملي)

المطبوعات في العالم ــ بلغ في السنة المنصرمة عدد المطبوعات الجديدة التي نُشرت في العالم ٣,٢٠٠,٠٠٠ كتاب وللولايات المتّحدة السَّبق في هذه المنشورات فانّها طبعت منها ٧٠٠,٠٠٠ كتاب ونشرت المانية ٢٥,٠٠٠ تأليف جديد ثم فرنسة ١٣,٠٠٠ ثم ايطالية ١٠,٠٠٠ ثم انكلترّة ٧,٠٠٠ الخ. امّا النُّسخ التي طُبعت من كلّ هذه المصنَّفات فيبلغ عددها ٧٥,٠٠٠,٠٠٠

اكبر المكاتب ــ اكبر مكتبة تُعرف في العالم مكتبة باريس فيها ٩,٠٠٠,٠٠٠ كتاب ثم تليها مكتبة لندن وكتبها ٢,٠٠٠,٠٠٠ ثم بطرسبرج وكتبها ١,٥٠٠,٠٠٠ ثم برلين وكتبها ١,٠٠٠,٠٠٠ ثم ستراسبورغ وكتبها ٧٠٠,٠٠٠ ثم ڤينّة ٦٠٠,٠٠٠

الطباعة في لندن ــ في لندن ١٣٣٠ مطبعة يشتغل فيها ٤٢,١٨١ عاملًا و ١٣٠ من هذه المطابع لا تنشر سوى الجرائد. ذلك فضلًا عن ٢٨٩ مطبعة للطباعة الحجريّة او الطباعة على النحاس عُمّالها ٦,٤٨٧ امّا معامل التجليد فعددها ٥٠٤ وعملتها ٦,٣٠٩

اسمق الاشجار في اوستراليا بين ملبورن وسيدني غابة من الاوكالبتوس فيها شجرتان ليس في العالم اسمق منهما فطول الواحدة ١٢٨ مترًا ودائرتها ١٧ مترًا والاخرى طولها ١٢٢ مترًا ودائرتها ١٢ مترًا ونصف

حيوان مفقود بين الحيوانات التي تُرى صورها في كتابات المصريين الهروغليفيّة حيوان يشبه الزرافة كانوا يصوّرون الاله سيت اخا اوزيريس وقاتلهُ على صورتهِ. وهذا الحيوان كان يظنّهُ الطبيعيُّون مفقودًا وقد اكتشف بعض السيَّاح الانكليز نفرًا منهُ وجدوها في مجاهل افريقية ويدعوهُ اهل الكونغو الاوكابي (Okapi) وصورتهُ لا تختلف عن صورة الكتابات المصريّة

اسئلة واجوبة

س سأل الاديب ن. م من معلقة زحلة: هل يسوغ لايّ مدرسة كانت ان تُدعى بالكليَّة وما هي الشروط الواجبة لتسمَّى المدرسة كليَّة

المدارس الكليَّة

ج لا يُطلق اسم الكليَّة على المدارس الَّا بشرطين اوَّلًا ان لا يقتصر اصحابها على تدريس مبادئ العلوم واللغات بل تُعلَّم فيها العلوم العليا كاللاهوت والفلسفة والفقه والطبّ والفنون الادبيَّة. وثانيًا ان يُرخَّص لاصحابها بان يتَّخذوا اسم الكليَّة. وهذه الرخصة انَّما تعطيها السلطة الكنسيَّة او السلطة المدنيَّة. ويجوز لمن نالها ان يمنح الشهادات المؤذنة بنجاح التلامذة في هذه العلوم منها شهادة الملفنة (الدكتوريَّة) وشهادة المأذون (licencié) وشهادة البكالوريوس (bachelier)

س وسئلنا من صيدا وبيروت ولبنان: ١ انَّ البابا الجديد كان قبل ارتقائهِ الى رئاسة الكنيسة من رتبة الكرادلة الكهنة فهل يراد بذلك انهُ كان كاهنًا فقط. ٢ هل وجد في زماننا كرادلة كهنة او شمامسة فقط

الرتب الكردينالية

ج قد اجبنا على هذين السؤالين في مقالتنا عن تتويج الاحبار الرومانيين فقلنا هناك انَّ الرُّتب الكردينالية رُتب شرفيَّة يمكن اصحابها ان يكونوا اساقفة ولو كانت رتبهم من رُتب الكهنة او الشمامسة. فانَّ البابا الجديد مثلًا كان بطريركًا على البندقيَّة وكان من ذلك من رتبة الكرادلة الكهنة. وكذلك قلنا انهُ وجد كرادلة كهنة فقط

كغريغوريوس السادس عشر او شمامسة فقط كالكردينال انطونلّي على عهد بيوس التاسع ولاون العاشر قبل جلوسهِ على العرش البابويّ. وبين الكرادلة الحاليين خمسة او ستَّة من الرهبان ليسوا باساقفة

س وسئلنا من صيداء ما هو الترتيب المعوَّل عليهِ بين البطاركة الشرقيين او الغربيين

الترتيب الدينيّ بين البطاركة

ج اذا اجتمع البطاركة الكاثوليك كان التقدُّم للبطريرك القسطنطينيّ اللاتينيّ ثم للبطاركة الانطاكيين الشرقيين والغربيين كلٌّ حسب قدميَّتهِ. ثم البطريرك الاورشليميّ. ثم لبطريرك لشبونة في البرتغال. ثم لبطريرك غوا في الهند الشرقية. ثم لبطريرك البندقية. ثم لبطريرك الهند الغربية. ثم لبطريرك الارمن على قيليقية. ثم لبطريرك بابل على الكلدان. وهذا الترتيب قد ورد على هذه الصورة في كتاب النظام الكنسيّ (Gerarchia cattolica) الذي يُطبع كلَّ سنة في رومية

س وسأل من الكُنَيْسة حضرة الخوري نعمة الله الاسمر من هو القديس الذي تنبأ عن البابوات وفي اي جيل عاش وهل كانت نبواته صادقة في من مضى من الاحبار وبموجب هذه النبوة كم بابا يكون باقيًا لنهاية العالم

النبوَّات عن البابوات

ج ينسب البعض هذه النبوَّات لاحد اساقفة ارلندة القديسين اسمهُ ملاخيا عاش في القرن الثاني عشر والصحيح انَّ هذه النبوَّات مستحدثة ظهرت لاوَّل مرَّة في القرن السادس عشر امَّا صاحبها فمجهول وكثير منها لم ينطبق على البابوات الذين قيلت فيهم او يُقتضى لها تأويلات التعسُّف فيها ظاهر. ومن ثم قد اتَّفق اليوم العلماء على انَّها موضوعة مخترعة. ومن الادلَّة على كذبها انَّها لم تذكر لآخر العالم سوى اربعة بابوات بعد البابا الجديد

س وسألنا مستفيد قال: قد مُنح بعض كهنة بلادنا رتبة حاجب (كامريار) بابويّ فما هي امتيازات هذه الرتبة

امتيازات رتبة الحاجب البابويّ

ج الحاجب البابويّ يُعدُّ من حاشية الحبر الاعظم ولهُ امتيازات معلومة في الحفلات البابويَّة وكذلك يرخَّص لهُ بلبس خاصّ برتبتهِ. وكلُّ هذه الامتيازات مشروحة في قرار مكتوب باللغة الايطالية يُرسل للحاجب عند تقليده. ومن بنود هذا القرار انَّ امتيازات الحاجب البابويّ تبطل بموت البابا الذي منحها ل. ش

المشرق

الخوري بطرس التُّولَوي الفيلسوف الشهير

لحضرة الكاتب الفاضل القس جرجس منش الماروني

بلغ هذا الفيلسوف من ترامي الذكر وبُعد الشهرة في العلم والفضل ما يبلغهُ اربابهما من الطبقة الاولى. ورُزق من الحظّ والاقبال ما لم يُرْزَقهُ غيرهُ من الرجال المشاهير في اواخر القرن السابع عشر واوائل الثامن عشر

ولم يكن من الوطنيين بل من المستوطنين فاذا كانت الوطنيَّة تُكتسب بمدّةٍ متعارفةٍ بين اربابها فانهُ قد قضى ما يربو على نصف قرن في حلب الشهباء فلا بأس ان يُعدَّ حلبيَّ التِجار متابعةً لصاحب تاريخ المقاطعة الكسروانيَّة

ولمَّا كان ممَّن خدم الوطن العزيز الخدمة الجليلة التي لا ينقطع برُّها ولا ينقضي فخرها رأيتُ ان اجيبَ ملتمَس البعض واقومَ بالواجب المفروض فانشر ما وقع اليَّ من ترجمة حالهِ اذاعةً لمحامدهِ واشهارًا لفضائلهِ وتعريفًا بمنزلتهِ من العلم والفضل فاقول:

*

هو عبد الله بن بطرس بن اسحق التولَويّ البتروني الماروني الشهير (١ ولد في قرية تولا من عمل البترون في اواسط الدهر السابع عشر من والدين تقيَّين اعتنيا بتربيتهِ احسن عناية على ما اشتهر بهِ سكَنة لبنان من التقى وحسن التديُّن

ومذ ميطت عنهُ التمائم أُجلس للتعليم عند خوري القرية وعُني والدهُ بتثقيفهِ فأيَّد العنايةَ بهِ قوَّةٌ في فطرتهِ واشراق في قريحتهِ وذكاء في مداركهِ فاخذ في قراءة اللغة

١) ورد نسبهُ في مقدمة تأملاتهِ هكذا: «الخوري عبد الله بطرس بن بطرس بن اسحق الماروني نجارهُ التولاوي وجارهُ نزيل حلب ونذير رعيتها واب المِلَّة المارونية وايكونومُس بيعتها الخ». فعلمتُ انهُ سُمّي في المعمودية (عبد الله) وفي الكهنوت (بطرس) فتبصَّر

السريانية التي كان اللبنانيُّون في انصباب على تحصيلهـا دون ما سواها حتى تلك الاعصر الاخيرة



سمعان التولويّ الراهب الانطونيانيّ تلميذ مدرسة رومية في القرن السابع عشر(١

ولما تبيّن للمثلث الرحمة البطريرك جرجس البسبعلي ما كان عليهِ الفتى من سمو المدارك ارسلهُ سنة ١٦٦٨ الى المدرسة المارونيـــة التي كان يديرها الآباء اليسوعيين بروما العظمى غير متجاوز الحادية عشرة من العمر فاخذ من بدايات العلوم ولم يقف دون نهاياتها فدرس اللغات السريانية والايطالية واللاتينيَّة والعبرانيَّة واليونانية الى غيرها من العلوم اللسانيـــة والبيانية وتلقى المنطق والفصاحة والخطابة والفلسفة والطبيعيات والالهيات والحق القانوني واللاهوت النظري والادبي والتاريخ الخاصّ والعام وما ماثلها من العلوم العقلية العالية فاظهر من الحذق والنجابة والبراعة ما حبَّبهُ الى كل اساتذتهِ

١) اخذنا هذا الرسم عن كتاب اليوبيل المئويّ لانشاء المدرسة المارونية طُبع في رومية سنة ١٦٨٥ . فيكون من ثمَّ سمعان التولويّ وهو ايضاً يدعى بطرس معاصرًا لصاحب الترجمة وسميَّهُ ولعلَّهُ هو او يكون احد انسبائهِ درس معهُ في المدرسة المارونية ثمَّ ترهَّب لكنَّنا لم نطَّلع على شيء من اخبارهِ في تواريخ الموارنة وقد اثبتنا صورتهُ صونًا لها من الضياع (المشرق)

فاعترفوا لهُ بالمزية والاسبقية ثم قفل بعد اربع عشرة سنة عائدًا الى لبنان محرزًا شهادة الملفنة في الفلسفة واللاهوت

وما كاد ينتهي الى موطنهِ لبنان في عام ١٦٨٢ حتى رقّاه العلاّمة الطيّب الذكر البطريرك اسطفانُس الدويهي الشهير الى مقام الكهنوت على دير قنّوبين مركز بطاركة الموارنة المغبوطين فظهر الكاهن الجديد كاملًا في صفاتهِ فاضلًا في اعمالهِ غيورًا على خلاص النفوس فازداد اعتبارًا في اعين مسوّديهِ واصحابهِ

وفي سنة ١٦٨٥ بعث بهِ البطريرك الآنف الذكر الى حلب الشهباء لخدمة شعبها الماروني وقلّدهُ وظيفة الوعظ والارشاد والتعليم والتثقيف فاقبل على خدمة النفوس بغيرة لا تعرف الملل وسعى وراء مهامّ وظيفتهِ بنهضة لا تدري الكلل فاجمع الجميع على ولائهِ واجلالهِ

فكافأهُ المثلث الرحمة السيد جبرائيل البلوزاوي مطران حلب (١ بان سامهُ في عام ١٦٩٨ خوريًا بردوطًا (٢ وعهد اليهِ بالرئاسة على الكهنة والشعب فضاعفت الوظيفة فيهِ العناية بامر الكنيسة والاهتمام بشؤون الشعب والمراقبة لذنوب المؤمنين وتقييدهم بالقانون والنظام والضبط للاكليرس قيد واجباتهم

*

ما كاد الخوري بطرس يتولّى منصبهُ الجديد حتى جعل يفرغ اقصى ما لديهِ من الغيرة في سبيل خير الرعيّة فقال فيهِ بعض معاصريهِ: «كان الخوري بطرس التولاوي في حلب نائبًا عن مطرانها ورئيسًا على كهنتها الذين كان مطراننا المذكور يرسلهم لخدمة الرعية او الرعية تختارهم... واما الخوري فتقدّم لهُ الاعتبار من كل الطوائف حتى لُقّب بكوكب الشرق لاجل علمهِ وعملهِ (٣». وحسبك بها شهادة تنبئك عما صرفهُ من الهمّة الناهضة الى ما يعود على الخلق بالمنافع العميمة. والحقّ يقال انهُ نهض باعباء وظيفتهِ السامية نيفًا وعشرين سنة باذلًا ما لا مزيد عليهِ من الهمّة والنشاط في اصلاح شؤون ملّتهِ المادّية والادبيّة

١) أُقيم مطرانًا على حلب سنة ١٦٦٣ وارتقى الى مقام البطريركية سنة ١٧٠٤ وقضى نحبهُ سنة ١٧٠٥ (انظر ص ٣٦٣ من سنة المشرق الاولى)

٢) راجع ما ورد عن الخوري البردوط وحقوقهِ في ص ٣٣٥ وما يليها من المجمع اللبناني

٣) انتهى بتصرفٍ عن التاريخ الكنائسي الذي مرّ وصفهُ في المشرق (٤: ٧٨٦ – ٧٨٧)

وفي سنة ١٧١٧ نازع البعض كهنةَ الموارنة في توزيع الاسرار المقدَّسة على الطوائف المسيحية كالافرنج والسريان والملكية والارمن والكلدان (١ مدَّعين بان هذا الامر منوط بالمرسلين فقط. فرفع الخوري بطرس الدعوى الى المجمع المقدس فحكم بعد التروّي بالحقّ للموارنة وكتب الى منازعيهم بالّا يتعرضوا لكهنة الموارنة في ذلك اصلًا (٢

ولمَّا كانت سنة ١٧٢٠ ارتدَّ الارمن في حلب الى الايمان الكاثوليكيّ (٣ بهمَّة الورتبيت ابريهام اوَّل بطاركتهم الكاثوليكيين (٤ فوقف الخوري بطرس في كنيسة الارمن ورفع الادعية الحـارّة في رفع شأن بيعة الله الكاثوليكيَّة وسائر رؤسائها العظام.... (انتهى بحرفهِ الواحد عن التاريخ الكنسيّ)

وفي عام ١٧٢٤ قدم الشهباء المطران جبرائيل حوّاء القاصـد الرسولي ترويحًا للنفس ومشاهدةً لآلهِ (٥ فاخذ يتعاطى بعض الشؤون الطائفيَّة كجمع العشور ومنع الاعتراف بالبيوت الى غير ذلك ممَّا ليس من شأنهِ تعاطيهِ بل من شأن اسقف الابرشية (٦

١) راجع ما ورد عن كلدان حلب في ص ٦٥٥ من سنة المشرق الجارية

٢) انظر ايضاً رسالة القس اسطفان ورد الحلبيّ ص ٨٤٣ من تاريخ الكنيسة المارونية الانطاكية للخوري الفاضل ميخائيل غبريل الشبابي

٣) يستفاد من المشرق الاغر (٣: ٥٣) ان هؤلاء الارمن كانوا قبل ذلك العهد كاثوليكيين. والصحيح ما اوردناه قال صاحب التاريخ: «ان رؤساء الارمن والسريان كانوا اراطقة (في مطلع القرن الثامن عشر) وكانوا يثيرون الاضطهاد على طائفتنا وطائفة الروم» وقال في محل آخر: «ان ابرجام الورتبيت ابتدأ في اول سنة ١٧٢٠ يتعب حتى يردَّ الارمن الى الاعتقاد القويم. فوفَّقهُ الله الى نيل مناهُ في شهر نيسان من السنة المذكورة فكان لذلك احتفال عظيم لم يسبق لهُ مثيل في الشهباء». وكاتب التاريخ ثقة لانهُ معاصر

(قلنا): انَّ حضرة الاب منش ليس بمصيب في هذا الامر لانَّ لدينا عدَّة رسائل كتبها المرسلون من حلب قبل سنة ١٧٢٠ بزمن طويل تبيّن صريحًا رجوع قوم من الارمن الى حجر الكنيسة. فانَّ ارتداد الروم واليعاقبة والارمن في الشهباء كان ابتدأ منذ القرن السابع عشر بيد انهم ترددوا في ايمانهم (المشرق)

٤) طالع ما جاء من ترجمتهِ في المشرق (٣: ٥٣)

٥) روينا ذلك ايضاً في المشرق (٥: ٧٨٨)

٦) هذا ما قالهُ صاحب الترجمة في مجموعة دعوى السيد حوّاء

فعارضهُ في الصحيح الخوري بطرس مبيّنًا لهُ عدم صلاحيتهِ لمثل تلك الامور واسند معارضتهُ الى المجمع التريدنتي القائل: "بان ليس لمطران ان يتصرّف في رعيّة مطران آخر (١)" فكان هذا القيل والقال مجلبةً لشغبٍ ممتدّ الصدى

وزاد ابو موسان احد الوجهاء المفسدين في طين الامر بلّة بان عاكس المطران المذكور اشدّ المعاكسة حتى حملهُ في سنة ١٧٢٥ على ان يزايل الشهباء مهانًا فازداد الشغب احتداماً حتى انشطرت الطائفة شطرين متباينين يدافع الواحد ما يريدهُ الآخر ولم يستطع احد من اصلاح الفاسد سوى السيد العلّامة جرمانُس فرحات الذي ارتقى اذ ذاك الى اسقفيّة الشهباء

وقد قامت قيامة خصوم الخوري عليهِ مدَّعين انهُ كان يعضد ابا موسان السابق في ابعاد ابن الحوّاء في حين ان الدلائل متظاهرة متضافرة على انهُ لم يشايعهُ في ذلك العمل الفظيع . منها ان المرسلين أيّدوا جانب الخوري ولم يذمّوهُ بتةً . ومنها ان البطريرك لمّا طلبهُ الى لبنان لتحقيق الامر هبّت وجوه الطائفة للدفاع عنهُ واقناع البطريرك بانهُ لم يكن لهُ ضلع في ابعاد المطران اصلًا

بيد ان خصماء الخوري ما برحوا يقلقون حتى تمكنوا من ان يحطّوهُ عن الرئاسة في ١١ أيّار سنة ١٧٢٥ باوامر البطريرك يعقوب عواد الذي استدعاهُ اليهِ ليبرّر نفسهُ ممّا أُتهم بهِ في الدعوى السابق ذكرها ونأسف لاننا لم نقف على وقت عودهِ الى الشهباء وما كان من امرهِ في لبنان . (انتهى عن التاريخ الكنسيّ بتصرفٍ وتصحيح وزيادة عليهِ)

وعندما قدم حلب استفها الجديد السيد جرمانُس فرحات اعاد الى استاذهِ التولوي الرئاسة على الكهنة واعاد عليهِ ما افقدهُ حسّادهُ من الكرامة والجلالة في اعين الشعب فزاد الخوري بطرس همّة في اخلاص الخدمة وضاعف اجتهادهُ في مواصلة اعمالهِ الخطيرة بكل اقبال . ولا شك ان هذا من الادلّة المبرنة ساحتهُ حيث لو كان مدّعى خصومهِ

---

١) انظر مثلًا ج ٦ ب ٥ في الاصلاح . (قلنا) قد فات صاحب الترجمة ان السيد حوّاء مسندٌ معاطياتهِ الى قصادتهِ الرسولية المصادق عليها من البطريرك يعقوب عوّاد واساقفتهِ في اصلاح احوال الطائفة على ما قال صاحب التاريخ الكنسيّ والله اعلم

لما كان السيد المذكور جدّد لهُ الكرامة لِما هو مشهور عنهُ من انهُ لا يتغاضى عن مثل هذه الامور العظيمة

*

مذ قدم الخوري بطرس الى حلب الشهباء رُزِقَ من الاقبال عليهِ ما زاد فيهِ الهمَّة والعناية في اتيان الاعمال الباهرة وابداء الفضائل السامية واظهار العلوم الواسعة حتى لم يتخلَّف كبير او صغير من سائر المذاهب والطبقات عن اعتبارهِ واجلالهِ فسار ذكرهُ مع الركبان واصبح ممَّن يشار اليهم بالبنان

فتولَّى تدريس اللغتين الايطالية واللاتينيَّة في الكتَّاب المارونيّ فاحسن فيهِ التعليم والتوقيف واجاد في الالقاء والتثقيف فاصاب بعض تلاميذهِ السهم الفائز بهاتين اللغتين وعُرِفوا في زمانهم بمعرفة آدابهما الجميلة

وتتلمذ لهُ جماعة في العلوم العالية سادوا وافادوا منهم المطران جرمانس فرحات والمطران عبد الله قرألي والمطران جبرائيل حوّاء والقس عبد المسيح لبيان والقس عطا الله زنده (١ والخوري نيقولاوس الصائغ والشماس عبد الله زاخر والشماس مكرديج الكسيح وغيرهم كثيرون من كبار العلماء ومشاهير الرجال الذين تركوا بعدهم التآليف العديدة النفيسة في الدين والدنيا

ثم جعلهُ السيد جرمانس من اعضاء مجلسهِ العلمي فنشط الى التأليف في المنطق والخطابة والفلسفة واللاهوت والطبيعيات والالهيات وما شاكلها من العلوم العالية التي انالتهُ من بُعدِ الشهرة ما انزلتهُ منزلة جهابذة العلماء من الطبقة الاولى

وحسبك من افتتان الناس بهِ على اختلاف طوائفهم وطبقاتهم انهم تواصفوهُ بالاوصاف العديدة وتناعتوهُ بالنعوت السامية ولقّبوهُ بالألقاب الفخيمة « كالفيلسوف الكامل والعلاَّمة الفاضل وامام الخطباء وقدوة العلماء وكوكب الشرق وقبَّة الحكمة وقطب الفلاسفة وعمدة اللاهوتيين ومعدن البراهين المنطقيَّة وكنز العلوم اللاهوتية وشمس الامصار الشرقية وشهاب الملّة المارونية » الى غير ذلك ممَّا انفرد بهِ عن النظراء

١) في مكتبتنا الشرقية كتاب في المنطق كتبهُ الشمَّاس بطرس بن جبرائيل زنده في حلب سنة ١٧١٠ يقول في آخرهِ انهُ « تعلَّمهُ على يد المعلّم اللاهوتي الفيلسوف الشهير في علمهِ الاب الفاضل الخوري بطرس الكاروز (التولويّ) » (المشرق)

والاشباه. وكل هذه الألقاب او النعوت تراها في التاريخ الكنسي[١] وفي مختصر تاريخ لبنان وفي نسخةٍ من تعريب المجمع التريدنتي وغيرها

اما تركتهُ العلميَّة الجليلة فهي عبارة عن سلسلة تآليف متتابعة متناسقة تحوي اوابد العلوم العالية وشواردها. قال العالم الفاضل الخوري جرجس شلحت الحلبي[٢]: « ان العلَّامة الخوري بطرس التولوي المارونيّ قد ألَّف كُتبًا متتابعة في كل ابواب الفلسفة واللاهوت » ولا غرو فانَّ من تتبَّع الفيلسوف التولوي يراهُ في تآليفهِ يأتي على الإيساغوجي فالمنطق فالفلسفة الادبية فاللاهوت النظري فعلم الطبيعيات فعلم الالهيات وكل ذلك في كتبٍ منطويةٍ على ابحاث مفصَّلةٍ الى فصولٍ عديدة

وهاك اسماء تآليفهِ كما رأيناها: ١ً غراماطيق سرياني = ٢ً مجموع المجامع المارونية القديمة = ٣ً مجموعة دعوى المرسلين = ٤ً مجموع دعوى السيد حوّاء = ٥ً سيرة ماري توما الكمبيسي = ٦ً خبرية المجمع التريدنتي = ٧ً رسالة في عبادة الوردية = ٨ً ردٌّ على قضايا الروم الخمسة = ٩ً ترجمة تأملات ماري توما الكمبيسي = ١٠ً تعريب المجمع التريدنتي = ١١ً مرآة النفس في الرياضة الروحية = ١٢ً تأملات على مدار ايام الاسبوع = ١٣ً تأملات على مدار ايام الشهر = ١٤ً كتاب علم ما بعد الطبيعة = ١٥ً كتاب الفلسفة الادبية = ١٦ً كتاب الالهيات في ثماني مقالات = ١٧ً كتاب مواعظهِ في جزئين = ١٨ً كتاب المنطق في جزئين = ١٩ً كتاب الفلسفة في مجلدين = ٢٠ً كتاب الطبيعيات في ثلاث مجلدات = ٢١ً كتاب اللاهوت في خمس مجلدات (١. هذا ما وقفنا عليهِ من تآليف العلَّامة التولوي فاوردناها كما رأيناها متفرقة لا اجزاء متتابعة كما ألَّفها لأننا لم نرَ نسخة كاملة من بعض تآليفهِ المجزَّأة مع كل البحث الذي تحرَّيناهُ. ولعلَّهُ يوجد لهُ غيرها من التآليف التي حجبها عنَّا قدم الزمان

*

امَّا غيرتهُ على الدين فعظيمة بذل جهد الطاقة في نشر الايمان الكاثوليكي في حلب الشهباء فهدى اليهِ الكثيرين وقد ذكر احد معاصريه وهو الخوري يوسف مارون الدويهي ان من جملة الذين هداهم الخوري نيقولاوس الصائغ والشماس عبد

١) غالب هذه التآليف مصحح بقلم السيد جرمانس فرحات

٢) راجعنا كثير من تآليفهِ في مكتبة الخوري العلَّامة جرجس شلحت السابق الذكر

الله زاخر (١ وهو كذلك الذي ردَّ الشماس مكرديج الكسيح وغيرهم

وامّا تواضعهُ فكان عميقاً جدًّا وممَّا ينقل عنهُ بالتواتر ان المطران فرحات كان حرَّم على الكهنة التدخين بالغاليون تحت طائلة الربط لاسباب مشروعة فاذ كان الخوري في زيارة احد الوجهاء حملهُ على التدخين بالرغم عن مقاومتهِ الشديدة فما كان غير قليل حتى نمى الخبر الى المطران وكان اشترع ان يتولى الشمَّاس تهيئة معدَّات التقديس فايّ كاهن لم يَرَها يُعدّ مربوطاً. فلمَّا قدم الخوري الشيخ في صباح اليوم التالي الى الكنيسة ليقيم الذبيحة الالهية لم يرَ لوازم التقديس معدَّةً حسب العادة فدرى اذ ذاك بالامر فتريَّث الى ان خرج المطران بعد التقديس ينظر في امور الفقراء ويلطِّف ويلاتهم ويجبر انكسارهم ويعينهم في حاجاتهم حسب عادتهِ المحمودة فخرج اليهِ الخوري وترامى عليهِ وهو يتمثل بقول داود النبي (مز ١٨ : ١٧) :« قد لصقت بالتراب نفسي فأحيني حسب كلمتك » فانحنى عليهِ المطران بكل احترام وانهضهُ بكل حنان ابويّ وهو يردد قول احشورش الملك (استير ١٥ : ١٣) :« ما لك يا استير . . . انما الشريعة ليست عليك ولكن على العامة ». فاكبر الناسُ تواضع الشيخ واعظموا حلم المطران وحنانهُ فأخلقْ بالمرؤوسين ان يقتدوا بهذه القدوة الصالحة وأحرِ بالرؤساء ان يتمثلوا بهذا المثال الجليل

امَّا منزلته من العلم وغزارة المعارف فجلية كل موضوع يُلقى اليهِ يدخل للبحث فيهِ كانهُ صنعُ يديهِ فيأتي على اطرافهِ ويحيط بجميع اكنافهِ ويكشف ستر الغموض عنهُ فيظهر المستور منهُ واذا تكلّم في فنٍ من الفنون حكم فيهِ حكم الواضعين. وبالجملة ان ما آتاهُ الله من قوة الذهن وسعة العقل ونفوذ البصيرة هو اقصى ما قُدّر لغير مشاهير الرجال وليس في الامر مبالغة وذلك من فضلهِ تعالى يفيضهُ على عبادهِ كما يشاء.

واما اخلاقهُ فحلمهُ عظيم يسع ما شاء الله ان يسع وسلامة القلب سائدة في صفاتهِ وهو كريم يبذل ما بيدهِ قوي الاعتماد على الله لا يبالي بما تأتي بهِ صروف الدهر وهو قليل الحرص على الدنيا وحطامها بعيد من الغرور بزخارفها ولوع بعظائم الامور عزوف عن صغارها وبالجملة فضلهُ كعلمهِ والكمال لله وحدهُ

١) راجع حاشية ص ٩١٥ من سنة المشرق الثالثة

واما خلقهُ فالذي ذكرهُ عنهُ معاصروهُ انهُ طويل في قامته وسط في بنيتهِ اسمر في لونهِ عصبي في مزاجهِ جليل في المنظر بشوش عند اللقاء. والذي عرفناهُ من تآليفهِ انهُ كان متوقد الذكاء قوي الحجة فصيح اللسان حسن المحاضرة رحب الصدر ثبت الجنان صبورًا وقورًا مهيبًا فاضلًا عالمًا عاملًا فيلسوفًا كاملًا قد وافاهُ الله من كمال خَلقــهِ ما ينطبق على كمال خُلقهِ فسبحان الله الخلّاق الحكيم

وقد لقي ربهُ سنة ١٧٤٥ (لا سنة ١٧٤٦ كما ورد في تنبيه فصل الخطاب المطبوع في مطبعة طاميش) تغمّدهُ الله برحمتهِ ومتّعهُ بنعيم جنّتهِ

شيعة الركوسيَّة

نبذة للاب هنري لامنس اليسوعي

كلُّ من يطّلع على مجلّة المشرق يمكنهُ ان يتحقّق ما لحضرة الاب انستاس الكرملي من سعة العلم في تعقُّب المسائل العويصة المنوطة بتاريخ الشرق وأُممهِ ولغاتهِ. فانهُ لا يكاد عدد من اعداد نشرتنا يخلو من شاهد جديد على المعيّتهِ وتوقُّد ذهنه

وممّا ورد لهُ في العدد ١٥ من المجلة (ص ٥٧٤) شذرةٌ عن الرَّكُوسيَّة عرَّفهم صاحب تاج العروس بقولهِ انَّهم «قومٌ لهم دين بين النصارى والصابئة» فأرتأى حضرتهُ انَّ اصحاب هذه الشيعة انَّما هم نصــارى بلاد كورس او قورس الذين ذكرناهم في مقالتنا المعنونة بجغرافيَّة سيرة القديس مارون. ثم ختم حضرة الكاتب المبرّز مستنهضًا همَّة الباحثين ليواصلوا البحث في هذا الشأن. فتلبيةً لدعوتهِ تولّينا تسطير هذه النبذة الوجيزة ليس لنفصل الامر فصلًا باتًّا بل حبًّا بمجاراة الباحثين لعلّنــا نساعد على حلّ المشكل بعض المساعدة

١

واوّل ما يعنُّ لخاطرنا انَّ الركوسيَّة غير نصارى قورس او رهبــان تلك المقاطعة. وذلك ليس فقط لِما بين لفظتَي الركوسيَّة والقورسيَّة من التباين اللغويّ بل لعدم وجود حججٍ كافية لاثبات هذا الامر ولنا بالاحرى ما ينقضهُ

قلنا ليس من دليل يثبت راي حضرة الاب انستاس . لا دليل جغرافيّ ولا دليل

تاريخي فانَّ غاية ما يؤخذ من النصّ المنقول عن تاج العروس انَّ الركوسيَّة شيعة نصرانيَّة غير مستقيمة الايمان لكنَّ تعريف التاج لا يدلُّ على بلاد معلومة ويجوز اطلاقهُ على بلاد قورس كما يسوغ اختصاص غيرها بهِ. وليس التشابه بين القورسيَّة والركوسيَّة بيّنةً كافية على ذلك كما سبق القول. وكذلك التاريخ واخبار الهرطقات فانَّنا لم نجد فيها ما يهدينا الى ترجيح راي حضرة الاب اذ نجهـل تمامًا احوال الركوسيَّة وتعاليمهم ومنشئ شيعتهم. نعم انَّ سكوت الكتبة الأقدمين عنهم ليس بحجَّـة تنقض قول حضرتهِ ولكنَّهُ ايضًا لا يؤيّد في شيء زعمهُ

قلنا انَّ لدينا بالحري دليلًا ينفي هذا المذهب. انَّ الركوسيَّة قومٌ في دينهم شيء من اضاليل الصابئة وهذا لا يصحُّ في نصارى بلاد قورس الذين وصفهم تاودوريطس باستقامة الرأي فليس اذن توافق بين الفريقين

وان قيل ان تاودوريطس ذكر في مصنَّفـاتهِ بعض المبتدعين كانوا في الايالة التي سُقّف عليها اجبنا انَّ هذا المؤرخ البارع افادنا عن ذلك وروى ايضًا انهُ اعاد الضالّين الى وحدة الايمان (١

ولعلَّك تقول نعم انَّ الركوسية كانوا على الدين اليقين على عهد تاودوريطس وما ادراك انَّهم لم يزيغوا بعد ذلك ؟ نسلِّم بأن بعضهم زاغوا ولكن تمذهبوا بمذهب اليعاقبة لأنَّنا نعلم انَّ اليعقوبيَّة فشت في بلاد قورس فشوَّ العدوى ولم تزل في انتشار الى ظهور الاسلام وكان لليعاقبة في القورسية اسقف يدبّر امورهم في عهد عبد الملك من خلفاء بني اميَّة ولعلَّ هذا الكرسيَّ الاسقفي بقي مدَّةً بعد ذلك (٢. الَّا انَّ بـين اليعقوبيَّة وبين شيعة صابئة بونًا عظيمًا فضلًا عن أنَّ كتبة العرب اعلم باليعاقبة من ان يخلطوهم بشيعة من الصابئة كالركوسيَّة

فثبت اذن قولنا بانَّ الركوسية ليسوا بنصارى بلاد قورس

٢

فمن يكون رعاك الله هؤلاء الركوسية ؟ ما اصلهم ؟ في ايّ شيعةٍ ننظمهم من الشيع الغابرة او الباقية ؟

---

١) راجع المشرق ٦ : ٣٤٣ و٣٤٧

٢) راجع المجلة الاسيويَّة الالمانية (ZDMG, LI, 580)

نقول انهُ لمن المحال ان نأتي بجواب مستوفٍ على هــذا السوءال لولا ان نخوض ميدان الحدس والتخمين مع حضرة الاب انستاس. فالأوفق ان نعرض للقرّاء ما نراهُ اقرب الى الصواب دون الجزم برأينا

الركوسيَّة احدى الشيع النصرانية. ذلك امرٌ لا ريب فيهِ يشهــد على صحّتهِ قول الزبيديّ في التــاج يسندهُ الى لغويين سبقوهُ منهم ابن الاعرابيّ من مشاهير القرن الثاني والثالث للهجرة. ولكن ما هي هذه الشيعة ؟ نجيب انّنا فكَّرنا في بادىء ذي بدء باحدى الفرق المتعدّدة التي ظهرت في اوائل الكنيسة من الادريّة (gnostiques) وبين الادريّة والصابئين وجوهٌ من الشبه لا تُخفى. لكنّنا لم نقف على اسم شيعــة من شيع الادريين يهدينا الى اسم الركوسيَّة

فعدلنا الى الصابئة او المندائيَّة لعلّنــا نحظى بالمرغوب فوجدنا في مروج الذهب للمسعودي (طبعة باريس ٢ : ١١٢و ٤ : ٦٨) انَّ الصابئــين كانوا يُعرَفون ايضًا باسم « كماريون » وهو لفظ غريب غاب عليهِ التصحيف فقيل انَّ الصواب « كتباريون » وقيل « كسكريون » وهو الراي المرجَّح نسبةً الى معاملة كسكر التي تدخل فيهــا واسط. وواسط احد مراكز الصابئين كما هو معلوم (ZDMG,XXII,556) لكنّنا بعد الفحص وجدنا ايضًا هذا الراي ضعيفًا لانَّ التشابه بين الكسكريين والركوسيين بعيد

فبحثنا عن شيعة ثالثة تقرّب رأينا الى الحقيقة ففكَّرنا بالمرقيونيين. الذين يصدق فيهم التعريف الوارد في تاج العروس بانهم « قوم لهم دين بين النصارى والصابئة » لاسيَّما انَّ كتبة العرب لم يدقّقوا في مثل هذه الامور فتركوهــا مشبوهةً ملتبسة (١. وقد ذكرنا في مقالتنا عن جغرافيَّة القديس مارون انَّ تبعة مرقيون كانوا كثيرين على عهــد توادوريطس في بلاد قورس وانهُ ردَّ منهم الى الايمــان نحو عشرة آلاف شخص (٢. وكان العرب يعرفون المرقيونيين فان المسعودي في كتابهِ المعنون بالاشراف والتنبيه (٣

١) راجع تاريخ اللاادريين (Matter : *Hist. du Gnosticisme* I,339)

٢) راجع المشرق في المجل المذكور

٣) الصفحة ١٤٥ و ١٧٩ و ١٨٨

وفي مروج الذهب(١ اسهب الكلام في بدعتهم واضاليلهم. فلم لا يكون المرقيونيَّة (٢ هم الركوسية ؟ هذا ممكن لولا انَّ تباين الألفاظ بينهما ظاهر لا يسمح بالتوحيد بينهما

لكنَّنا نجد هنا ما يقرّب رأينا ويجعلهُ شبيهاً بالحقّ. اعلم ان بين اشياع المرقيونيين كان رجل يُدعى مرقوس من اكبر زعمائهم. فافترق هذا عن مرقيون سيّدهِ وابتدع لهُ بدعةً اشتقَّها من المرقيونية كانت قائمة بذاتهــا (٣. ومرقوس المذكور كان يعيش في الغالب في بلاد الشــام وادخل في تعليمهِ « اخصّ آراء الادريين السوريين » كما قال مَتّر في تاريخ الادريَّة. وامتدَّت شيعتهُ حتى بلغت الشام والبلاد المجاورة للاصقاع الشرقية ففنَّد اضاليلَــهُ آباء الكنيسة لاسيَّما السوريّين او اشاروا الى تعاليمهِ

وكذلك اشتهر بين اهل البــدع مرقس آخر ولد في فلسطين وسبق الاوَّل شهرةً وكانت بدعتهُ اقرب الى اضاليل والنِتيان منهــا الى بدعة مرقيون وعُرف اصحابهُ بالمرقوسيين (٤ فاذا قابلنا كلَّ هذه الاعلامات وعرضناها على قول العرب في الركوسية وجدنا بينها اتّفاقاً كما انَّ بين الإسمين تشابهاً ظاهرًا فامكن العرب ان يصحفوا المرقوسيَّة بالركوسية ويكون المراد بالركوسية هؤلاء المرقيونيين وخصوصاً اشياع مرقس منهم

ولا ننكر انَّ هذا الشرح لا ينفي كلَّ الشُّبَه الّا انهُ لا ينافي التاريخ الصحيح في شيء.. وهذا الراي يزيد رجحانًا لو تيسَّر لأحد ان يجد في كتب العرب بين بدع النصرانيَّة بدعةً تُنسب الى رجل باسم مرقس. فان ذكرهُ في تآليفهم يكون دليلًا على شهرتهِ وخمولهِ معًا ومع ثبوت ذلك يثبت ايضاً تصحيف اسمهِ لتشابه اسم المرقوسية والركوسية. وليس الامر محالًا مع كثرة ما بقي من تآليف العرب مطمورًا في زوايا النسيان. وعلى كلّ حال انَّ مقالتنا هذه تفتح بابًا جديدًا للمباحثة فضلًا عن انَّها تبطل رأيًا لا نحسبهُ صحيحًا اعني القول بانَّ الركوسية هم نصارى القورسية

---

١) الجزء الاوَّل من طبعة باريس ص ٣٠٠ ثمَّ ج ٦ ص ٣٨٥ ج ٨ ص ٢٩٣

٢) والشهرستاني (١ : ١٩٥) يدعوهم في الملل والنحل « مرقونية »

٣) راجع تاريخ الادريَّة (١ : ٤٠٨ الخ)

٤) راجع تاريخ البدع للقديس ابيفانيوس (في مجموع الآباء اليونان لمين ج ٤١ ص ٥٨٣ ثم توادوريطس ج ٨٣ ص ٣٥٩ وتاريخ مَتّر المذكور ج ٢ ص ١٦٥ واعمــال القديس يوحنا الدمشقي في مجموع مين ج ٩٤ ص ٧٠٠)

وفي الختام نشكر لحضرة الاب انستاس همّتهُ في البحث عن آثار الأقدمين لاسيَّما الآثار الشرقيَّة. ولولاهُ لفاتنا وفات كثيرين من قرّائنا الكرام ذكر الركوسية فاستلفت اليهم انظارنا ولعلَّهُ يزيدنا قريبًا عن امرهم ايضاحًا بما يأتينا من الافادات المستقبلة

الاديار القديمة في كسروان

لحضرة الاب الفاضل ابراهيم حرفوش المرسل اللبناني (لاحق بسابق)

تتمّة تاريخ رؤساء دير مار شليطا

كنَّا قطعنا مدة عن سياق الكلام في من خلف البردوط سركيس محاسب الرئيس الثاني على دير مار شليطا الذي توفي سنة ١٦٨١ كما رأيت ووجَّهنا الابصار نحو شخص كريم حلَّ في ربوع هذا الدير ايَّام رئاسة البردوط المذكور فتطرَّقنا الى ذكر ترجمتـه ومآثرهِ وسردنا بقدر الامكان تاريخ المكتبة وما تبقَّى فيهـا من الكتب ثم الحقنا ما تقدَّم بلمحة وجيزة في بقايا مؤلفات علاَّمتنا الدويهي الخطية والآن لاق بنا ان نعود الى الخطة التي التزمناها في مفتتح مقالتنا فنواصل تاريخ هذا الدير مذ ترأَّس عليهِ المطران يوحنا محاسب خلف البردوط سركيس حتى ايَّامنا هذه ونقسم الكلام ثلاثة اقسام : الحقبة الاولى وهي تمتد من سنة ١٦٨١ الى ١٧٨٧ . والحقبة الثانية من ١٧٨٧ الى ١٨٤٦ . والثالثة من سنة ١٨٤٦ الى السنة الحالية

الحقبة الاولى

ترجمة رؤساء مار شليطا من سنة ١٦٨١ الى ١٧٨٧

الرئيس الثالث المطران يوحنا محاسب (١

من ١٦٨١ الى ١٧١٢

هو يوحنا ابن الشدياق ايلياس محاسب ابن القس حنا محاسب باني الدير ورئيسه

١) انَّ جلَّ ما نكتبهُ عن هذا الرئيس اخذناه عن حواش كُتبت على هوامش بعض كتب المكتبة وعن كتاب حرره بيده وكتب على هامشه خلاصة حياته والكتاب هو العهد القديم بدأ بنسخه من سفر التكوين وما يتبعه الى تثنية الاشتراع وانتهى من نسخه سنة ١٦٧٥

الاول كدنَّ نفسه بنير الرهبانية سنة ١٦٧٠ ايام رئاسة عمه البردوط سركيس محاسب. ولا نعرف شيئًا من ترجمته الّا ما عثرنا عليهِ محررًا بخط يده على هامش الكتاب المقدَّس نسخهُ سنة ١٦٧٥ وهاكه بالحرف:

«في تاريخ ܐܠܦ ١٦٧٣ سامنا سيدنا البطرك اسطفان شدياق شمداني وكان في ܡܢ ١٨ نيسان. سامنا المولى المذكور شدياق انجيلي (١ وكانت الرسامة في ٢٢ نيسان. وايضاً سنة ١٦٧٥ رسمنا قساً في ٣ شباط. وسنة ١٦٨٠ رسمنا بردوطاً وسنة ١٦٨٩ في ١٧ ايلول رسمنا مطراناً»

امَّا سنة رئاستهِ على الدير فكانت في حيوة عمه البردوط وهذا ما اشــار اليهِ الدويهي في تاريخهِ (٢ غير انهُ لم يعيّن السنة بالحصر وقد عثرنا على هذه السنة بناء على ما رأيناه محررًا على هامش الكتاب المقدس الذي نسخهُ الرئيس المذكور كما تقدَّم فبعد ان ذكر كاتب هذه الحادثة تاريخ ولادة رزق بن انطون بن ايلياس المحاسب في ١٥ آب سنة ١٦٧٨ كتب ما يلي:

«وكذلك في هذا الشهر والسنة انعطت وكالة دير مار شليطا الى القس يوحنا ابن ايلياس ابن الخوري يوحنا المحاسب من الخوري سركيس رئيس هذا الدير المبارك وكان ذلك في رضاه واختيــاره لانهُ كان انطعن في السن وكان في زمان البطرك اسطفانوس الانطاكي الذي يُعرف بابن الدويهي من اهدن وفي زمان الشيخ ابو نوفل واولاده الشيخ قانصوه والشيخ ابو ناصيف المكرمين يديمهم الرب على النصاره (النصارى)» انتهى

وتوفي المطران يوحنا محاسب سنة ١٧١٢ فتكون مدة رئاسته ٣٠ سنة وهــاك تاريخ وفاته المنقوش على جدار الكنيسة الغربي ننقلهُ بالحرف وهو بالقلم السرياني:

«ܒܫܡ ܡܪܝܐ ܐܠܦ (٣. درج بالوفاة الى رحمة مولاه منشي هذا الدير المقدس مار شليطا المطران يوحنا المحاسب في ٦ ك ١ ܓ ܗ (٤ واستمرَّ مطراناً ١٢ سنة ودفن ܕ ܘ (٥ بهذا المكان وكلّ قداس يصير يوم الاربعاء من كهنة المقام لاجل نفسه تغمده الله بالرحمة والرضوان امين» انتهى

والمراد من عبارة التاريخ «منشي هذا الدير المقدَّس» ان المطران يوحنا بنى جهته

---

١) الاصح شماساً

٢) طالع تاريخ الطائفة المارونية صفحة ٢٤٩ في حوادث سنة ١٦٨١

٣) اي بسم الله سنة ١٧١٢

٤) اي نهار الثلاثه

٥) اي الاربعاء

الشماليَّة فالقناطر والرواق القائمان حتى يومنا هما من بناء هذا الرئيس . ومن المقرَّر ان الدير تقدَّم في ايامهِ وكثر عدد سكانه فزاد في بنائهِ واوقف كثيرون على يد هذا الاسقف املاكاً خصُّوها بالدير وقد حفظ لنـــا السجل بعض صكوك نقتصر على ايراد واحد منها بياناً لطريقة الكتابة في ذاك الزمان وبساطة اهله ولا شك ان فقهـــاء عصرنا لا يسلمون بمثل هذه الصورة . وهاك صورة الصك :

[illegible]

[illegible]

[illegible]

« وجه تحريره وموجب تسطيره هو انهُ اوقف بو صادر ابن المقوم من قرية درعون الدوارة التوت التي اتصلت اليـــهِ من فرح المقوم جيرة سليمان ثابت كما هو بالتحديد وقفاً للقديس مار شليطا وقفاً ثابتاً لا ينباع ولا يشترى وكان بخاطره ورضاه بصحة عقل وجسد وكتب هذه تكون بيد رئيس الدير بعد ممات المذكور لا بقا (١ فيهِ مراد ولا معاد (٢ حرر ذالك سنة ١٧١١ ربانية

شهـــود الحـــــــــــــــــــــــــــــال

كاتب بو عماد	جرجس ابن الخوري	سليمان ثابت واخوه شمعون	مدلج قرياقوس الخوري سليمان الشمالي

الرئيس الرابع المطران ايلياس محاسب (٣

من سنة ١٧١٢ الى سنة ١٧٤٨

هو ايلياس بن فرنسيس بن ايليـــاس محاسب ولد سنة ١٦٨٨ في ٢٨ ت ١ احضرهُ عمه المطران يوحنا الى الدير وعلَّمة القراءة ولمَّا بلغ الـ ١٦ من عمره رقاه البطريرك يعقوب عواد درجة الشدياق وأُلقيت اليهِ ادارة شؤون الدير في سنة ١٧٠٦ (٤

١) لم يبقَ ٢) ليس لهُ ان يرجع

٣) اخذنا ترجمته نقــلًا عمَّا كتبهُ القس عمنوئيل محاسب احد رؤساء الدير ومن حواشٍ حُرِرت على هوامش كتب في المكتبة وعن اوراق مختلفة

٤) نقلنا ذلك عن هامش كتاب عنوانه « شرح الاعتراف » وهاك العبارة بالحرف كتبها احد المطالعين في هذا الكتاب : « لمَّا كان تاريخ ســنة ١٦٠٧ انعطت وكالة دير ملر شليطا الى الشدياق ايلياس ابن المحاسب من يد حضرة عمه المطران يوحنــا محاسب المكرم الذي نشا (انشأ) الدير وكان المذكور ابن ١٥ سنة ولم كان (ولم يكن) لهُ حملة الدير ولا كان في نضر عمه

ثم سيم شماساً من يد المطران جرجس خير الله اسطفان ثم قسّاً ومطراناً من يد البطريرك يعقوب عوّاد وعيّنه نائباً بطريركيًا واعطاهُ لقب « رئيس اساقفة عرقا » وتوفي المطران ايلياس سنة ١٧٤٨ ودفن داخل الكنيسة امام جرن العماد في القبر الذي دفن فيهِ عمه المطران يوحنا (ما تقدم عن القس عمنوئل). وهاك تاريخ وفاته المنقوش على جدار الكنيسة العربي باحرف عربيَّة :

« انتقل الى فسيح رحمة الله السيد المطران ايلياس محاسب ذو الذكر الصالح تغمدهُ الله برحمته واسكنهُ في مخادع جنته امين. وكانت وفاته يوم الثلاثة لست وعشرين يوماً خلت من شهر ك ١ ثمان واربعين وسبعمائة بعد الالف للتجسد الالهي سنة ١٧٤٨ » انتهى

وجلُّ ما نعلمهُ عن هذا الاسقف من مصادر مختلفة : اولًا اننا نرى توقيعه بين تواقيع آباء مجمعنا اللبناني. ثانياً ان البعض من الاساقفة انتخبوه بطريركاً بعد وفاة البطريرك يوسف ضرغام الخازن بيد ان البعض الآخرين انتخبوا المطران طوبيًا الخازن لكن الكرسي الرسولي حسم المشكل وابطل الانتخابين وعيَّن المطران سمعان عواد بطريركاً. وذلك نعرفهُ من البراءة التي انفذها البابا بناديكتوس الرابع عشر الى يعقوب دي لوكا رئيس الاديار المقدَّسة في اورشليم مؤرخة في سنة ١٧٤٣ وفي يدنا صورة هذه البراءة بترجمتها العربيَّة وهي مصدرة بما يلي :

البابا بناديكتوس الرابع عشر

« الى ولدنا المحبوب بالرب البادري يعقوب الناشي من مدينة لوكا الراهب النـاذر العلّام من رهبان ماري فرنسيس الاصغرين المعروفين بالرهبان المتمسكين بالقانون الرهباني قاصد رسولي وزائر ديرهم الكائن بالقدس الشريف وباقي اديرتهم الأخرى بتلك الاطراف (١) »

هذا جل ما نعلمهُ من ترجمة هذا الاسقف والرئيس الرابع على الدير

وفي ايّام رئاسته حلَّ في هذا الدير البطريرك يعقوب عواد وتوفي ودُفن فيهِ سنة ١٧٣٣ وهاك التاريخ المنقوش بالقرب من ضريحه على جدار الكنيسة الغربي :

« انتقل بالوفاة لرحمة مولاه البطريرك يعقوب الانطاكي الحصروني في ١٢ من شباط سنة

وشطارته (اي لم يكن مضارعاً عمه في اصالة الراي وحسن التدبير) تسلم الدير ودخل على الجميع والله الحمد» انتهى

١) طالع تاريخ المقاطعة الكسروانية صفحة ١٥٤

١٧٣٣ مسيحية واستمرَّ بالرئاسة ٢٧ سنة وثلاثة اشهر وجمعــه في دار مار شليطا كسروان وانوجد مطارين وكهنة وروٴسا والمشايخ الحوازنة وجمع غفير في غاية الاكرام والشان تغمده الله برضوان النعمة . أرّخ لغاية آب للرحمة . كتب قيس الخازن »

الرئيس الخامس المطران انطون محاسب

من سنة ١٧٤٨ الى ١٧٨٠

لا نعرف من ترجمتهِ الّا ما عثرنا عليهِ محررًا على ضريحهِ وهو بالحرف :

« بحكم الله الباري انتقل ذو الذكر الصالح السيد الجليل المطران انطون المحاسب وكانت وفاته في ١٣ ايلول مساء الاربعا ليلة عيد الصليب احد ١٧٨٠ مسيحية غمّد نفسه يا رب واضيفه (واضفهُ) مع قديسيك . وكل سنة يتحرر في اليوم المذكور القداس يتقــدم عن نفسه بجمهور كهنة البلاد بما انهُ كان ذا غيرة على املاك القديس مار شليطا يلزم لهُ الاسعاف من الرئيس الموجود . تمَّ سنة ١٧٨٠ »

الرئيس السادس الخوري انطون محاسب

من سنة ١٧٨٠ الى ١٧٨٦

ننقل ترجمته عمَّا كتبه القس عمنوئل محاسب في سجلّ الدير وها كها بالحرف :

« الخوري انطون محاسب ولد في ١٥ نيسان سنة ١٧٥٧ ارتسم قسًّا من يد المطران جبرائيل مبارك في ٢٥ ايلول سنة ١٧٨٠ وتسلم رئاسة الدير في تلك السنة وفي سنة ١٧٨٦ قُتل ودفن في الكنيسة مع اجداده . » انتهى

ان قاتل الخوري انطون هو القس عبد الله محاسب ابن عمه ونحيــل القرَّاء الى ما كتبهُ صاحب المقاطعة الكسروانيَّة حيث اورد بواعث وتفاصيل هذه الفعلة الشنعاء (١ التي ارتعشت لها رفات المؤسسين الافاضل في اجداثها ومذ ذاك اليوم اخذ الدير يتقهقر وجدَّ الروٴساء في قطع دابر المزاحمة الوخيمة بان عهدوا بادارة الدير الى روٴساء يقلّدونهم هذه المهمَّة خارجًا عن عائلة بيت محاسب وعقلاء هذه العائلة انفسهم رأوا من الصواب ومنعًا للخصام ان يخضعوا لامر الروٴساء كما سترى . وهذه هي الحقبة الثانية في تاريخ هذا الدير وفيها نتكلم عن الروٴساء الذين تولوا شوٴون الدير من غير عائلة بيت محاسب الى ان قام من هذه العائلة القس عمنوئل محاسب سنة ١٨٤٦ كما سترى :

١) تاريخ المقاطعة الكسروانية (ص ٢٠٠)

الحقبة الثانية

رؤساء مار شليطا من سنة ١٧٨٧ الى ١٨٤٦

الرئيس السابع المطران يوسف التيان

من سنة ١٧٨٧ الى ١٧٩٨

عرفنا ذلك من صكوك مشترى الدير ممضاة باسم هذا البطريرك لمَّا كان مطرانًا ولمَّا ان تولَّى رئاسة الكرسي الانطاكي رأس المطران جرمانوس ثابت كما ترى من الكتابات الآتية

الرئيس السابع المطران جرمانس ثابت

هو جرجس بن يوحنا ثابت(١ سُمي جرمانوس بعد رسامته كاهنًا ولمَّا دخل الرهبانيَّة في دير مار شليطا في سنة ١٧٩٨ طلب رهبان الدير باتفـاق الراي مع عائلة بيت محاسب ان يوليهُ السيد البطريرك يوسف التيان على الدير. وهاك العريضة المرفوعة بهذا الشأن (٢ بالحرف

سبب تحريره

انهُ حيث وجد ديرنا ماري شليطا مقبس بلا رئيس يلازم تدابيره الروحية والزمنية لزم اننا نترامى على مراحم قدس سيدنا ماري يوسف تيان البطريرك الكلي الغبطة في ان يتنازل الى طلبتنا في رسامة احدنا الشدياق جرجس ثابت كاهنًا ورئيسًا شرعيًا على ديرنا المذكور لكونه كفوءًا للتدبير بجميع ما يلزم روحاني وجسداني ومن ثمَّ سلمناه هذا الدير بخاطرنا وتمام رضـانا يدبره بموجب فطنته وديانته من دون معارضة البتة منَّا او من يتخلَّف بعدنا من عيلتنـا تسليمًا شرعيًا بجميع ارزاقه واملاكه وما يُعرف من كلّي وجزئي ما زاله موجودًا في قيد الحياة لم احد لهُ معهُ تصرف ولا تعلق ولا معارضة بوجه من الوجوه ولاجل البيان وايضاح ارادتنا حررنا هذا السند لحوته تحريرًا صح في ١٥ شباط سنة ١٧٩٨ الف وسبعمائة وثمانية وتسعين مسيحية صح صح صح

قابلينه على انفسهم
عيلة بيت محاسب عموم

---

١) عن صك توليته على دير مار شليطا كما سترى ومن الشائع انهُ كان اخًا للبطريرك يوسف التيان من امه

٢) هذه الكتابة تكرَّم عليَّ بها حضرة الاب الجليل الخوري يوحنـا مارون السبعلي المرسل اللبناني استنسخها في قرية مشمش عن اضابير الخوري يوسف نون الذي كان كاتبًا اسرار المطران جرمانوس ثابت بعد تحويله دير مار مارون كفرحي الى مدرسة سنة ١٨١١ وهذا الكاهن رأس المدرسة بعد وفاة الاسقف المذكور

ويليه كتابة من رهبان الدير وراهباته كما يلي بالحرف :

الداعي لتحريره

انَّنا نحن المدونين اسمائنا ادناه رهبان وراهبات دير مار شليطا مقبس اذ رأينا ذواتنا مهملين من التدابير الروحية والزمنية ومن ثم قد انتخبنا حضرة ولدنا واخينا الشدياق جرجس ثابت ان يكون كاهنًا ورئيسًا علينا شرعيًّا لكوننا مختبرين سلوكه ومناقبه الحميدة ولهذا قد انتخبناه بخاطرنا وتمام رضانا وجميعنا نكون تحت طاعته وتدبيره ومنقادين الى ارشاداته الروحية الراجعة لخلاص نفوسنا ولاجل ايضاح ارادتنا قد حررنا ذلك صحَّ تحريرًا في ١٥ شباط سنة ١٧٩٨ م

محررينه

كهنة الدير

رهبان وراهبات

وبعد تقديم الكتابات الموردة اعلاه كتب السيد البطريرك صكًّا سلَّم بهِ الدير لجرمانوس ثابت وهاكهُ بالحرف :

ܒܗ̄ ܡܪܝܐ

ܝܘܣܦ ܦܛܪܝܪܟܐ ܕܐܢܛܝܘܟܝܐ

ܘܕܟܠܗ ܡܕܢܚܐ ܀

(مكان الختم)

اعلام لكل ناظر اليهِ وواقف عليهِ

هو انهُ من حيث انَّنا وجدنا احوال ديرنا دير مار شليطا مقبس مهملة من التدابير المنجحة ومحتاج لمن يقوم بهِ ويهتمّ بنظامه وسياسته الروحية من زيادة المهمَّات المتعلقة بنا وبكرسينا البطريركي (١ وبما ان ولدنا الشدياق جرجس ابن حنا ثابت ظهر لدينا ذو معرفة وكفاية ونحن مختبرون سلوكه الحسن وذمته العامرة فانتخبناه ورقيناه لدرجة الكهنوت على الدير المذكور وعينا اسمهُ جرمانس. وقد سلمناه ونسلمهُ دير القديس مار شليطا المشار اليهِ تسليمًا شرعيًّا مطلقًا وصار هو رئيسًا على هـذا الدير ومختصة بهِ تدابيره واشغاله وتنظيمه وتحصينه وجميع مهماته متعلقة به لكونه هو الرئيس الشرعي عليهِ فلهُ ان يأمر وينهي ويقلع ويغرس ويهدم ويبني حسبما يرى مناسبًا بالرب واذا وقع في الموضع عطل من قبل اهماله فينطلب من ذمته ويلتزم يعطي عنهُ جوابًا لله ولا يكون لاحد اعتراض عليهِ لا من قبل اخوتنا المطارنة المحترمين ولا من قبل غيرهم ولا من سائر الناس اجمعين ولان الدير المذكور صار متعلقًا بولدنا الخوري المشار اليهِ دون غيره من سائر الناس فقد صار جميع ما بيد الخوري من مال وما له دين في الذمم ودينه على الدير بموجب القائمة والدفتر

---

١) من هذه العبارة يظهر ان البطريرك يوسف التيان استمرَّ يزاول وظيفة الرئاسة على الدير حتى بعد ارتقائه الى الكرسي البطريركي الى ان عهد بالرئاسة الى المطران جرمانوس ثابت

المسجلين منّاً ومن حضرة اخونا المطران يوحنا الحلو وكيلنا المحترم مختصاً بالدير المذكور وهذه الدراهم المشار اليها بالقائمة والدفتر المسجلين منا ومن حضرة اخينا المطران المذكور قد تسلمناها نحن من ولدنا المشار اليهِ قبل ارتقائه لدرجة الكهنوت لمَّا كان عامياً لاجل لوازم كرسينا ثم ان سائر املاك الدير صارت تحت ضبط وتدبير ولدنا المشار اليهِ وصار هو ملتزماً بتدبيرها من ثابت ومنتقل. واما اذا ترك تسليم الدير والرئاسة عليهِ من تلقاء نفسه ام لغير اسباب فله حق ان يدَّعي على الدير بما لهُ عليهِ بموجب القائمة المسجَّلة منّاً ومن حضرة اخينا المطران يوحنّا ويأخذ دراهمه تماماً كونها لا تخص الدير بل قبضناها منهُ وان تعسَّر الدير عن دفع المبلغ يأخذ بها رزق حيث يشا بقيمة التخمين وبعده يجري حساب عن سنين تسليمه عن مدخول ومصروف وان تبقَّى لهُ شي مكسور على الدير يأخذه مع جملة حسابه ولإثبات هذا التسلط ورفع كل علة وايضاح هذا التسليم الشرعي حررنا بيده هذه الحجة الممضية منّاً والمسجلة بختمنا في اليوم العشرين من شباط سنة ١٧٩٨ صح ان الدفتر المسجل منّاً ومن حضرة اخينا المطران يوحنّا وكيلنا المحترم اي الباقي لنا على الدير حين تسليمنا اياه بموجب الدفتر المذكور فيبقى مختصاً بالدير مع بقيَّة حسابات ولدنا الخوري ما دام مستقيماً بالدير واذا خرج منهُ باي نوع كان قهرًا ام طوعاً يحق لهُ طلب ذلك كما هو مذكور بباطنه لان حسابنا المذكور وصل لنا منهُ حين طلبناه صح

جرى ذلك بحضورنا وعن يدنا ونحن نشهد بصحة ذلك كما هو محرر في باطنها صح

الحقير	الحقير
يوحنا الحلو	يوسف بطرس
مطران عكا والوكيل البطريركي	البطريرك الانطاكي

وبعد ان رُقي جرمانس ثابت الى الدرجة الاسقفيَّة على بلاد جبيل والبترون استمرَّ يدير شؤون الدير الى سنة ١٨٣٢ اي سنة قبل وفاته لانهُ توفي سنة ١٨٣٣ كما يُستدل من صكوك مشترى ارزاق للدير لكن من الغريب اننا نرى ايضاً المطران جبرائيل الناصري. اشترى ارزاقاً للدير سنة ١٨٢٨ باسمه فلعلَّهُ فعل ذلك بطريق الوكالة عن جرمانوس ثابت. ولمَّا ان حوَّل جرمانوس ثابت دير ماري مارون كفرحي الى مدرسة سنة ١٨١١ وقعت بينهُ وبين السيد البطريرك ماري يوحنا الحلو مناقشات بداعي تولّيهِ على دير مار شليطا فكان من راي السيد البطريرك ان يستقر المطران جرمانوس ثابت في كرسيه في مدرسة مار يوحنا مارون وان يتخلى عن دير مار شليطا ليكون كرسيًّا للسيد البطريرك في كسروان فلم يرُقْ هذا الامر في اعين السيد جرمانوس وهذا عرفناه من صورة كتابة بعث بها هذا الاسقف لرئيس المجمع نورد منها ما يناسب غرضنا بالحرف:

فمن جهة دير مار شليطا اول ما تعمَّر في كسروان ومن حين انجدد الى الان قاطنين فيهِ

راهبات لانهُ مضبوط للغاية وقابل كل نظام وترتيب ومنذ خمسة وعشرين سنة قاطنين بهذا الدير وارتسمنا عليهِ كاهنًا من غير استحقاق بموجب حجاج (صكوك) بيدنا من اصحاب الدير مؤسسيه وحجة من قدس السيد البطريرك يوسف التيان ومن قدسه (١ وحجة من حضرة الاب غوندلفي القاصد الرسولي في تولّينا وتوطيد رئاستنا على الدير المذكور (٢ ولهذا قدمنا مبلغًا من الدراهم لاجل العمار ومشترى ارزاق تفوق على الخمسين كيس فالان زعم قدسه نترك حقوقنا جميعها وهو يتسلم الدير ويعملهُ كرسي بطركية...... واما قيام كرسي في رعيتنا واجب علينا تتميمه ولكن الامر الذي لم يتم بالف سنة لا يمكننا تتميمه في زمان قصير ولكن معتمدين مع معونة الله على تدبير كرسي لنا ولمن يتخلف بعدنا وذلك حسب الامكان بحيث يستمر حق تولينا على ديرنا في تنظيمه وتدبير احواله الروحية والزمنية... الخ »

ولا تاريخ لهذا التحرير غير انهُ يرجَّح انهُ قبل سنة ١٨١٨ اي قبل عقد مجمع اللويزه الذي حكم بتعيين دير مار شليطا للراهبات مع الاديار الآتية في البند الاوَّل: « فلتعيَّن للراهبات فقط السبعة الاديار الآتية: ١ً سيدة الحقله. ٢ً مار شليطا مقبس. ٣ً مار عبدا هرهريا. ٤ً سيدة بقلوش. ٥ً مار جرجس علما. ٦ً مار الياس بلوني. ٧ً مار جرجس بجردق الجديد ويستثنى مرقتًا من هذا الحكم دير سيدة بقلوش ومار الياس بلوني بينما يجري الفحص عن حقوق اصحاب الولاية... » الخ (١

وحكم هذا المجمع ايضًا في البند ١٤ ان يستمرَّ الكرسي البطريركي في قنوبين وفي البند ١٦ ان يكون كرسي مطران جبيل والبترون في مدرسة مار يوحنا مارون. لكن لم تكن بعد تعينت جبيل والبترون رعية خاصة بالسيد البطريرك اذ ذاك ولهذا الحكم رضخ السيد البطريرك والمطران جرمانوس كما هو مشهور ابدًا في رؤساء طائفتنا المبجلين .

ومن المعروف انهُ سنة ١٧٧٩ تعين دير بكركي مقرًّا للسيد البطريرك في كسروان وقد عثرنا بين اوراق المرحوم المطران ميخايل حرب الخازن الوكيل البطريركي ابَّان ابعاد السيد يوسف اسطفان البطريرك الى دير الكرمل على ورقة من الامير يوسف شهاب بهذا الصدد نوردها بالحرف:

---

١) اي البطريرك يوحنا الحلو

٢) بيدنا صورة هذا الصك بتاريخ ٢٩ حزيران سنة ١٨٠٩

٣) اعمال المجامع الحديثة باللاتينية المعنونة « Collectio Lacensis » طالع مجمع اللويزة المعقود سنة ١٨١٨ صفحة ٥٧٨ من هذه الطبعة

وجه تحريره

وهو اننا صرفنا حضرة عزيزنا المطران مخايل الخازن الوكيل البطريركي وحضرة اعزازنا مطارنة الموارنة جميعاً في دير بكركي وان يكون كرسي البطريرك وملكناهم اياه ملك دهري ابدي مخلد للطائفة المارونية جميعها ما يحواه من عامر وداثر وماء وهوا جميع ما يُعرف فيهِ ملك البطريرك الذي يقوم على الطائفة مطابق لاوامر رومية وكل من تعارضهم كائناً من يكون هذا رده علينا والان صرفنا حضرة عزيزنا الوكيل المذكور يقيم في الدير متصرفاً فيهِ داخل وخارج روحاني وجسداني من غير معارض الى حينما يركز امر البطركية وحررنا لهم هذا السند يدوم لاجل رفع الملل والمنازعة في شهر ذي القعدة سنة ١١٩٣

يوسف
شهاب

ولكن لم يسكن بكركي السيد البطريرك يوسف اسطفان بعد عودته من الكرمل ولا خلفاؤه واول من حلَّ في بكركي البطريرك يوسف حبيش كما هو معروف ومما نعلمهُ انهُ قبل حلول الحبيشي في بكركي عُقد مجمع فيها سنة ١٧٩٠ برئاسة البطريرك يوسف اسطفان

الرئيس الثامن القس انطون اصفر

١٨٤٦–١٨٣٣

ادركت الوفاة المطران جرمانوس ثابت سنة ١٨٣٣ ودُفن في مدرسة ماري يوحنا مارون لكن لم نعلم بالتأكيد اذا كان استمرَّ متولياً شؤون الدير الى سنة وفاته وقد اثبتنا فيما تقدَّم اننا عثرنا على صكّ مشترى باسمه للدير سنة ١٨٣٢ اي قبل وفاته بسنة وعثرنا على صكوك مشترى من سنة ١٨١٨ الى سنة ١٨٣٣ باسماء اشخاص آخرين كالمطران جبرائيل الناصري والخوري فرنسيس شلالا والقس جراسيموس الراهب اللبناني الدرعوني ولكن يمضي كل هؤلاء « وكيل دير مار شليطا » وعليهِ فنظن بانهم لم يكونوا رؤساء حقيقيين بل ربَّما كانوا بصفة وكلاء او مرشدين في الدير الَّا اننا نعلم بان القس انطون اصفر البيروتي ترأس على الدير من سنة ١٨٣٣ الى سنة ١٨٤٦ وخلفهُ القس عمنوئيل محاسب وهو اول رئيس قام منهم بعد انقطاع الرئاسة عنهم بعد مقتل الخوري انطون محاسب كما رأيت وهذه هي الحقبة الثالثة والاخيرة من تاريخ هذا الدير

الحقبة الثالثة

رؤساء دير مار شليطا من سنة ١٨٤٦ الى السنة الحاليَّة

الرئيس التاسع القس عمنوئيل محاسب

١٨٧٧-١٨٤٦

ولد القس عمنوئيل محاسب سنة ١٨١٩ في ٥ ك ١ وزهد في العالم ولبس الاسكيم الرهباني في دير مار سركيس قرطبا سنة ١٨٣٨ ورقي درجة الكهنوت. في دير سيدة مشموشة سنة ١٨٤١ في ٣ تموز من يد المطران عبد الله البستاني ثم رأس دير مار يوسف البرج ودير مار عبدا معاد ثم دير مار سركيس قرطبا (١

ولمَّا كان مجمع اللويزه الذي عُقد سنة ١٨١٨ للنظر في امر تعيين الاديار للرهبان والراهبات وكراسي لاساقفة الطائفة وحقوق اصحاب الولايات على الاديرة قد حكم بحق الولاية لعائلة بيت محاسب على دير مار شليطا مقبس (٢ وكان القس عمنوئيل ممَّن

---

١) عن سجل مار شليطا الذي كتبه هذا الاب بيده وضمَّنهُ شجرة عائلته

٢) هاك صورة هذا الحكم بحروفه نقلناه عن صورة لهُ وجدت بين اوراق مؤسسنا السعيد الاثر المطران يوحنا الحبيب وها كما بحروفها:

صورة الحكم المبرز من مجمع اللويزه بخصوص حق التولي على دير مار شليطا مقبس المختص بعائلة بيت محاسب

اعلام بالرب لكل واقف على اسطرنا هذه

انهُ اذ كان قدس قداسة الحبر الاعظم سيدنا البابا بيوس السابع ادام رئاسته قد حتم بانفصال الديورة المضاعفة بين الرهبان والراهبات الكائنة في طائفتنا المارونية. رسم ايضاً ان تقام الحقوق التي لكل من اصحاب الديورة الغير مضادة للانفصال المذكور بناء على ذلك المجمع الذي التأم بامر الكرسي الرسولي في دير سيدة لويزه قد انتخبنا نحن المدونة اسماؤنا بذيلهِ باننا نسمع دعاوي اصحاب الديورة ونحكم بموجب النواميس البيعية وتبعاً لهذه المراسيم قد حضر امامنا اولاد الياس جدعون محاسب واخوه فرنسيس بالاصالة عن نفسهم ونواباً عن باقي عيلتهم وادَّعوا بان لهم بيت محاسب دون غيرهم حق الولاية الشرعية مع كل ظروفها على دير مار شليطا مقبس الكائن بحد قرية غوسطا لكونه منقام من ارزاقهم ومنشأ من سعيهم وتعبهم فنحن قد فحصنا مدققاً هذا الادعاء وتحقق عندنا من الحجج والبينات التي تقدمت ومن المعرفة العامة ومن استعمالهم الولاية الغير منقطعة على الدير المذكور من حين تأسيسهِ الى الان وان رزق الدير هو من رزقهم وان عماره منهم ومن سعيهم ومن ثم حكمنا بان الولاية الشرعية مع كل ما يتبعها تحق وتختص بعائلة بيت محاسب دون غيرهم وذلك بموجب الناموس الكنائسي كما في الراس ٢٥ والراس ٣١ والراس ٣٢ والراس ٣٣ كما رسم المجمع التريدنتي المقدس في الجلسة ٢٤ والجلسة ٢١

جمع في شخصه صفات زهد وغيرة تذكّر بمزايا اجداده المؤسسين اجمعت عائلته على انتخابه وتقديمه للسيد البطريرك ولسيادة مطران الابرشية المطران انطون الخازن فاثبتا انتخابه ورأس الدير في ٢٥ ك ١ سنة ١٨٤٥ فاحسن ادارة شؤونه وادركته الوفاة سنة ١٨٧٧ ودُفن في الكنيسة وقد نظم احد الشعراء تاريخ وفاته بهذا التاريخ المنقوش على ضريحه « قد نال خمساً من المولى محاسبه »

الرئيس العاشر الخوري يوسف محاسب

١٨٩٣—١٨٧٧

هو اخو القس عمنوئيل ولد سنة ١٨٢٧ في ٢ اذار وسامهُ المطران فيلبس حبيش كاهناً ورأس الدير بعد وفاة اخيه سنة ١٨٧٧ وتوفي سنة ١٨٩٣ وبعد وفاة الخوري يوسف

فتبعاً لهذا الحق نحكم بان يحق لبيت محاسب (اولًا) بان دير مار شليطا المذكور لا يتغير من حال الى حال ولو كان لزيادة خير اعظم الَّا برضاهم حيث لا يكون رضاهم ام عدم رضاهم مضادّ للمراسيم الرسولية كاشتراك الرهبان والراهبات وما يشبه ذلك كما بالراس ٢٥. (ثانياً) بان يحق لهم وحدهم يقدموا الاشخاص التي تكون موافقة لتسليم الدير الى مطران الابرشية سالة بموجب رسوم الجمع اللبناني كما في الراس ٢٨. (ثالثاً) بان لهم الاكرام والملاحظة الخصوصية ممن يتسلم كما بالراس ٢٦. (رابعاً) بان اذا افتقر احدهم وما عاد يمكنهُ يحصل على معاشه الضروري فالدير المذكور يقدم لهُ المعاش الكافي من بعد المصروف اللازم لسكان الدير وخدمة كنيسته كما بالراس ٢٥. (خامساً) بان يحق لهم ويلتزموا ذمةً وشرعاً يحاموا على الدير وارزاقه وسكانه ويناظروا عليهم ويناضلوا عنهم لئلَّا يصير عليهم تعدي كمناضلتهم ومناظرتهم على ارزاقهم الخصوصية من غير ان يكون لهم حق في انهم يخصصوا لذواتهم شيئاً ما من الارزاق امر اثمارها لان ذلك ممَّا ينافي الحقّ الالهي المتملك الارزاق الموقوفة ويعدم حق الولاية ويسقط فاعله بالحرم المحفوظ حله كما رسم الجمع التريدنتي في الجلسة ٢٢ هذا ما حكمنا بهِ تحريراً في ١٤ تشرين اول سنة ١٨١٨ الف وثمانمائة وثمانية عشر مسيحية

الحقير	الحقير	الحقير
المطران يوحنا	المطران	البطريرك
(مكان الختم) مارون	(مكان الختم) يوسف	(مكان الختم) يوسف تيان
وكيل بطريركي	لويس غندولفي	

صح قد قبلنا ذلك ونرسم بان يكون العمل بموجبه

الحقير	الحقير
انطون الخازن	يوحنا بطرس
(مكان الختم) مطران بعلبك	(مكان الختم) البطريرك الانطاكي

وكل سيادة مطران الابرشية السيد يوحنا مراد الى القس نعمة الله دلبتاوي ادارة الدير ثم الى القس يوسف غبالي ٠ والآن يوجد في هذا الدير نحواً من ١٨ راهبة ناسكات يحافظنَ جهدهنَّ على القانون الذي وضعهُ المطران عبــد الله قراألي الحلبيّ تحت نظر سيادة مطران الابرشية المشهور بدقتهِ وسهرهِ على رعاية القوانين المقدسة اطال الله بعمر سيادتهِ لتحقيق رغائب قلبهِ ونوايا المؤسسين الافاضل الذين يحق بهم ما قالهُ ابن سيراخ في مدحه الآباء الاولين: « عظامهم دُفنت بالسلام وتخبر الجماعة بمدحهم من حقب الى حقب » انتهى تاريخ دير مار شلّيطا

غرابة كنائس الاحباش

نبذة لجناب الصيدلي القانوني عبد الله افندي مخائيل رعد المتخرّج في مكتبنا الطبي

يبني الاحباش كنائسهم على هندسة غريبة في بابها لم يألف المسيحيون في كل اقطار المعمورة نظر معابد على شكلها وقد اتاحت لي الظروف ان نظرت بعض الكنائس المختصة بهذه الطائفة من المسيحيين في هرر وضواحيها وان دخلت الى اثنتين منهـــا وهما كنيسة هرر والكنيسة المختصة بالراس مكونين بالقرب من هذه المدينة فآثرت ان اقف القرّاء الكرام على غرابة ما شاهدتهُ تفكهةً لهم فاقول:

كنيسة الاحباش عبارة عن برج كبير مستدير الشكل كلهُ ابواب ونوافذ متلاصقة لمَّا داخلها فينقسم الى ثلاثة اقسام: القسم الأوَّل الداخلي وهو عبارة عن دائرة تقدَّر بربع مساحة الكنيسة وفي منتصفها مائدة التقديس. ويفصل بينها وبين القسم الثـــاني حائط مستدير لهُ اربعـــة ابواب متقابلة وهو مغشّى من السقف الى الارض بالنقوش والصور الحبشية (والاحباش يصورون السيد المسيح والقديسة العذراء وبقية القديسين سود الوجوه) وهـــذا القسم يُدعى قدس الاقداس ولا يجيزون دخوله الّا للكهنة ومن تجرَّأ على اجتيازه من العامّة تقطع الحكومة رجليه. والقسم الثاني دائرة أخرى تقدر ايضاً بربع مساحة الكنيسة ارضها مفروشة بالسجَّاد النفيس ويفصلها عن القسم الثالث حائط مستدير لهُ اربعة ابواب تقابل ابواب حائط القسم الاول وبين الابواب نوافـــذ

متلاصقة مختلفة العدد على حسب اتساع الكنيسة وهذا القسم الثاني لا يدخلهُ الَّا المرتلون والقرَّاء ويسمح دخوله للعامّة خارج اوقات الصلاة قصد التبرك بالايقونات ولمن اراد تناول الاسرار. واماَّ القسم الثالث وهو دائرة أخرى كبيرة تعــدّل بنصف مساحة الكنيسة كلها فهو معدٌّ لعموم الشعب ولهذا القسم ابواب ونوافذ متلاصقة يختلف عددها بحسب كبر الدائرة

فاذا حان وقت الصلاة تردّى الكاهن بالحلة البيعيَّة ودخل القسم الاول واخذ يدور حول المائدة المستديرة وبيدهِ مبخرة لا يقلّ وزنها عن ١٠ كيلوغرامات بها اجراس كبيرة ثم يأتي المرتلون الى القسم الثــاني وبايديهم الطبول والصنوج وبعض الآلات الموسيقيَّة القصبيَّة فيصطفُّون حلقة ويستندون الى الحائط ويأخذون بالترتيل والضرب على آلاتهم والاغرب ان كلاً منهم يترنم بترتيلة مختلفة عمَّا يرتل الآخر ويضرب لحنًا غير ما يضربه غيره ومن استطاع ان يرفع صوته ويضرب على آلته ضربًا يفوق الآخرين ضجيجهُ فهذا يُدعى مرتلًا اول. اماَّ الشعب المجتمع في القسم الثالث فمنهم من يأكل ومنهم من يتكلم ومنهم من يجلس ومنهم من يسجد ومنهم من يتخاصم مع رفيقــة ومنهم من يقرأ بصوت عالٍ ومنهم من يرتّـل بصوت مرتفع مع المرتلين حتى يخال للغريب المارّ بجانب الكنيسة ان هناك عرسَ بدويٍ او قامت القيامة. ولقــد ايقظني ضجيج صلاة الاحباش مذعورًا صباح اول يوم احدٍ قضيته في هرر ومسكني يبعــد عن الكنيسة مسافة مائتي متر فسألت ما هذا الضجيج الغير المعتاد فقيل لي ان هي صلاة الاحباش فضحكت ثم ترديت باثوابي واتيت المعبد المذكور فرأيت ما ذكرت وقلت في نفسي هذه قصَّة تفكِّه القرَّاء الكرام والسلام

قواعد التعريب

لحضرة الكاتب الفاضل الاب انستاس الكرملي

في مقالة سابقة قد اوضحنا وجوب التعريب عند الضرورة فلا بُدَّ اذن من وضع قواعد تُتَّبع وسُنن تُشترع يتمكّن بها الاديب من الجري على احكامهــا. والاهتداء

باعلامها. وها نحن موردون ذلك نقلًا عن الائمة العظماء والكتبة البلغاء

وعليك ان تعلم قبل كل شيء ان المعرَّب من جهـة الزمان على ثلاثة اقسام: الاول تعريب عصر الجاهلية. والثاني تعريب عصر صدر الحَضـارة. والثالث تعريب عصر أَوج الحضارة

١ً فاماً « تعريب عصر الجاهليَّة » فلا يخلو من غرابةٍ لانك اذا تفقَّدت طوائف الكلم المعربة في ذلك العهد تراها كلها « محوَّلة عن اصلها » اي انَّها لا توافق الاصل المعرَّب عنهُ تمام الموافقة فهي لا تخلو من زيادة او نقصان او تحريف او تصحيف حتى الأَلفاظ التي تُناسب اوزان لغتهم وحركاتها وحروفها واصولها واوضاعها. واسبابهُ جمَّة منها انَّهم اذا رأَوا الكلمة طويلة زائدة على قالب اوزانهم عمدوا الى التمثيل بها من قطع تلك الزوائد او حذف بعض حروف الاصول وكل ذلك لكي يسهـل إفراغها في قالبهم فانهم قالوا مثلًا: « الاسقف والفطرك والبطريق والإنجيل » ولم يقولوا « الافسقفوس والفطريركا او الفطريركيس والبِطْرِيقيوس والإِوَنجيليون ». — ومنها انَّهم اذا رأَوا ان الكلمة ناقصة عن الاصل الثلاثي ضعَّفوا فيها حرفًا ليلحق بهِ. فان العرب الذين كانوا في العراق والجزيرة عرفوا مثلًا قبل الاسلام: اللُرْ (بضم اللام واسكان الراء الخفيفة) وهم مع ذلك يقولون اللُور او اللُرّ (بتشديد الراء) وقالوا: « اللغة الدَرِّيَّة (بتشديد الراء والياء) وحقُّها اللغة الدَرِيَّة (بتخفيف الراء) نسبةً الى « دَرْ » قال في التاج في درر ما نصُّهُ: الفارسيَّة الدَرِّيَّة بتشديد الراء والياء اللغـة الفُصحى من لغات الفرس منسوبةً الى « دَرْ » بفتح فسكونٍ: اسم ارض في شيراز او بمعنى الباب وأُريد بهِ باب بهمن بن اسفنديار وقيل بهرام بن يزدجرد وقيل كسرى انوشروان. . . » — ومنها انهم اذا سمعوا لفظة غريبة لم تأْلف آذانهم صيغتها او اصولها او معناها توهَّموا فيها صيغة او اصولًا او معاني عربيَّة محضة. من ذلك انَّهم لمَّا سمعوا بكلمـة « إستَرْوَه » او « إِسْتَبْرَه » توهموا فيها اصلًا عربيًا وهو « البرق » بمعنى اللمع فقالوا: « إِسْتَبْرَق » وهو ضربٌ من الديباج الغليظ. — ولمَّا طرقت مسامعهم كلمة « سْتراط » s [t] rata أَو s [t] ratum بمعنى الطريق توهموا فيهـا « السرط » فقالوا: « لانَّ الذاهب في السبيل يغيب فيهِ غيبـة الطعام المسترط » (!!! لله دَرُّهم من اصوليين لغويين) ولمَّا ولجت آذانهم للمرَّة الأُولى كلمة « پَرْدَه سَرَادَر » تركوا صدر الكلمـة المركبة ولم

يتركوا عجزها يفلت منهم فتمسَّكوا بهِ تمسُّك من يحاول مفاجأةً مسك طائر وَ « أفلت والخصَّ الذَنَبُ » وهذا الذنب هو « سَرادر » فقالوا في تعريبها « سُرادق » ولعلهم توهموا فيها « السَّرْد » و « الدقّ ». وليس العرب وحدهم يتربّون الألفاظ الغريبة من ألفاظ مألوفة على اسمائهم لاشتهار معانيها بل الافرنج يفعلون هذا كثيرًا ايضًا. فمن ذلك قولهم « Il ressemble à l'anguille de Melun, il crie avant qu'on l'écorche » واغا الاصل ان يقال: « Languille, de Melun » وهو اسم رجل من مُلُون فصحّفوها ومن ذلك ايضًا ألفاظ جمّة اوردها حضرة الاب لامنس اليسوعي في كتابهِ المعنون: « Les mots français dérivés de l'arabe » فان اغلبها قد صُحفت لتصوُّر الافرنج فيها شيئًا من اصول لغتهم

٢ واما تعريب عصر صَدْر حضارة العرب فانهُ ينقسم الى طائفتين: طائفة منها قد صُحّفت ألفاظها بعض التصحيف وطائفة نُقلت الى العربية على حالها واوضاعها الاعجميَّة. ثم ان التي افرغوها في قالب عربي لم تبتعد عن اصولها في هذا العصر كما ابتعدت اخواتها في عهد الجاهليَّة بل اتَّبعوا فيها سُنَّة هي سُنَّة القواعد فنقلوا الحرف الغريب الى حرف عربي يشابههُ كما سيأتي الكلام على ذلك في محلّهِ وألحقوا الأوزان الغريبة بالاوزان العربيَّة. من ذلك مثلًا: « السِنجاب والدَّلَق والفيْرُوزَج والجَرْدق » فان اصلها: « سِنْكَاب ودَلَه وفَيْرُوزه وكِرْدَه ». واما الطائفة الثانية فقد نقلوها بدون تغيير صيغتها او لغتها او وزنها وان خلَت اللغة العربيَّة من هذه كلها. من ذلك مثلًا « القاقُم والآجرّ والدارَصيني والخَيدِيقون والرَّساطون والدَوْغباج والإِسبيذباج » الخ. فان هذه الألفاظ كلها وغيرها تُعدُّ بالمئات لا اوزان لها في اللغة العربيَّة ومع ذلك أبقوها على حالتها حرصًا على أصلها وطلبًا لمعناها عند التكلم بها مع اصحابها

٣ واما تعريب عصر أوج الحضارة فانهم اطلقوا فيهِ العنان للاوزان والصيغ الاعجميَّة ولم يعودوا يلتفتون الى قواعد من تقدَّمهم بل ولم يبتعدوا من سلامة الألفاظ ولو قليلًا ولذا أفرغوا كل وسعهم في حفظ صحة الكلم الدخيلة والذي دفعهم الى ذلك توغُّلهم في الحضارة والمدنيَّة وكثرة مخالطتهم للاجانب وائتلاف آذانهم لسماع حركاتٍ وحروف واوزان وكلم اعجميَّة لم يكن لهم عهد بها. ولانهم رأوا انَّهم في حاجة ماسَّة الى حفظ سلامة الألفاظ على حالتها وصيغتها بدون ان يكسروها لكي لا

يشوّه هذا الكسر سبكَ اللفظة الاصليّ فتذهب سدًى ويضيع معناها عليهم وعلى الاجانب. وعليهِ فلمّا حرصوا على حفظ معانيها حرصوا ايضاً على اللّفظ بها على حدّ ما كان يفعلهُ الاعاجم

ولمّا نظر النحاة ما فعل الاوّلون والتالون وكيف تصرّفوا بالألفاظ الدخيلة وضعوا القواعد التالية بغضّ النظر عن عصر تلك الألفاظ. قال سيبويه امام النحاة (ثم اورد نصّهُ كثيرون آخرون او ارتأوا رايهُ بدون ايراد النص بحرفهِ) ما حرفهُ (اطلب كتاب سيبويه ٢: ٣٤٢ من الطبعة المصريّة):

« اعلم انهم ممّا يغيّرون من الحروف الاعجمية ما ليس من حروفهم البتّة فربما الحقوهُ ببناء كلامهم وربّما لم يُلحقوهُ. فامّا ما الحقوهُ ببناء كلامهم فدِرهَم الحقوهُ ببناء هِجْرَع. وبَهْرَج الحقوهُ بسَلْهَب. ودِينار الحقوهُ بدِيماس. وديباج الحقوهُ كذلك. وقالوا إسْحق فالحقوهُ بإعصار. ويعقوب فالحقوهُ بيربوع. وجَوْرَب فالحقوهُ بفَوْعَل. وقالوا: آجُور فالحقوهُ بعاقول. وقالوا: شُبارِق فالحقوهُ بعُذافِر. ورُسْتاق فالحقوهُ بقُرطاس لمّا ارادوا ان يُعرّبوهُ الحقوهُ ببناء كلامهم كما يُلحقون الحروف بالحروف العربية. وربّما غيّروا حالهُ عن حالهِ في الاعجميّة مع الحاقهم بالعربيّة غير الحروف العربيّة فابدلوا مكان الحرف الذي هو للعرب عربيّاً غيرهُ. وغيّروا الحركة وابدلوا مكان الزيادة ولا يبلغون بهِ بناء كلامهم لانهُ اعجميّ الاصل فلا تبلغ قوّتهُ عندهم الى ان يبلغ بناءهم وانما دعاهم الى ذلك ان الاعجميّة يغيرها دخولها العربيّة بابدال حروفها فحملهم هذا التغيير على ان ابدلوا وغيّروا الحركة كما يغيّرون في الاضافة اذا قالوا هنيٌّ. نحو: زَبانيّ وثَقَفيّ. وربما حذفوا كما يحذفون في الاضافة ويزيدون كما يزيدون فيما يبلغون بهِ البناء وما لا يبلغون بهِ بناءهم وذلك نحو: آجُرّ وإبريسم وإسْمَعِيل وسَراوِيل وفَيرُوز والقَهرمان. وقد فعلوا ذا بما أُلحق ببنائهم وما لم يُلحَق من التغيير والابدال والزيادة والحذف لما يلزمهُ من التغيير. وربما تركوا الاسم على حالهِ اذا كانت حروفهُ من حروفهم كان على بنائهم او لم يكن نحو: خراسان وخُرَّم والكُركُم. وربما غيروا الحرف الذي ليس من حروفهم ولم يغيروهُ عن بنائهِ في الفارسية نحو فِرِنْد وبَقَّم وآجرّ وجُرْبُز. انتهى

وقد لخّص هذا الكلام واوجز فيهِ ابو حيّان اذ قال (المزهر ١: ١٣١):

الاسماء الاعجمية (علماً كانت او نكرةً) على ثلاثة اقسام: قسمٌ غيّرتهُ العرب والحقتهُ بكلامها فحكمُ ابنيتهِ في اعتبار الاصلي والزائد والوزن حكم ابنية الاسماء العربيّة الوضع نحو: دِرْهم وبَهرج. وقسمٌ غيّرتهُ ولم تلحقهُ بابنية كلامها فلا يُعتبر في القسم الذي قبلهُ نحو: آجُرّ وسِيسَنْبَر. وقسم تركوهُ غير مغيّر فما لم يُلحقوهُ بابنية كلامهم لم يُعدّ منها وما الحقوهُ بها عُدّ منها مثال الاول: خراسان لا يثبت بهِ فُعالان. ومثال الثاني خُرَّم أُلحِق بسُلَّم. وكُركُم أُلحِق بقُمقُم. اه

فقد اتضح ممَّا تقدَّم ايرادهُ من كلام هذين الإمامين (وتبعهما جمهور اللغويين والنحاة) ان الكلام المعرَّب يُقسم الى قسمين عظيمين وهما: قسم غُيّر بناؤهُ. وقسم لم يُغيَّر. وعليهِ فان دعتك الحاجة الآن الى تعريب الفاظٍ فايَّ الطريقتين تتبع؟ — قلتُ: انك مخيَّر في ذلك الَّا انك ان الححتَ عليَّ بابداء رأيي الخصوصي قلتُ لك: ان كنت تريد تعريب اسماء علَميَّة فلا مندوحة لك من ان تُفرغ كل ما في كنانة وسعك لتُصوّر الاسم الاعجمي على حدِّ ما ينطق بهِ اصحابهُ الاعاجم فتسعى في ايجاد حروف تؤدّي النطق بها على احسن وجهٍ وتتقيّد بعض الحركات المعروفة عندهم بحيث لا تبتعد عن تأدية الاصل الاعجمي حقَّ التأدية. وهذا ما اشار بهِ احد الائمة الأعلام من كُتَّاب العربيَّة وكبير منتقديهم وامير جهابذتهم وهو ابن خلدون الطائر الصيت اذ قال في مُقدَّمتهِ (ص ٣٠ من الطبعة البيروتية الاولى)

«ليست الامم كلها متساوية في النطق بالحروف فقد يكون لأمَّةٍ من الحروف ما ليس لامَّة اخرى. والحروف التي نطقت بها العرب هي ٢٨ حرفًا كما عرفت. ونجد للعبرانيين حروفًا ليست في لغتنا. وفي لغتنا ايضًا حروف ليست في لغتهم وكذلك الافرنج والترك والبربر وغير هؤلاء من العجم. ثمَّ ان اهل الكتاب من العرب اصطلحوا في الدلالة على حروفهم المسموعة باوضاع حروف مكتوبة متميّزة باشخاصها كوضع للف وباء وجيم وراء وطاء الى آخر الثمانية والعشرين. واذا عرض لهم الحرف الذي ليس من حروف لغتهم بقي مهملًا عن الدلالة الكتابيَّة مغفلًا عن البيان. وربَّما يرسمهُ بعض الكتَّاب بشكل الحرف الذي يكتنفهُ من لغتنا قبلهُ او بعدهُ. وليس ذلك بكافٍ في الدلالة بل هو تغيير للحرف من اصلهِ. ولمَّا كان كتابنا مشتملًا على اخبار البربر وبعض العجم وكانت تعرض لنا في اسمائهم او بعض كلماتهم حروف ليست من لغة كتابتنا ولا اصطلاح اوضاعنا اضطررنا الى بيانهِ ولم نكتفِ برسم الحرف الذي يليه كما قلناهُ لانهُ عندنا غير وافٍ بالدلالة عليهِ. فاصطلحتُ في كتابي هذا على ان اضع ذلك الحرف العجميَّ بما يدل على الحرفين اللذين يكتنفانهِ ليتوسَّط القارئ بالنطق بهِ بين مخرجي ذينك الحرفين فتحصل تأديتهُ. وانما اقتبستُ ذلك من رسم اهل المُصحف حروفَ الإشمام كالصراط في قراءة خلَف فان النطق بصادهِ فيها معجم متوسّط بين الصاد والزاي فوضعوا الصاد ورسموا في داخلها شكل الزاي. ودلَّ ذلك عندهم على التوسُّط بين الحرفين. فكذلك رسمتُ انا كل حرف يتوسّط بين حرفين من حروفنا كالكاف المتوسطة عند البربر بين الكاف الصريحة عندنا والجيم او القاف مثل اسم بُلُكّين فاضعها كافًا وانقطها بنقطة الجيم واحدة من اسفل او بنقطة القاف واحدة من فوق او اثنتين فيدل ذلك على انهُ متوسّط بين الكاف والجيم او القاف. وهذا الحرف اكثر ما يجيء في لغة البربر (١. وما جاء من غيره فعلى هذا القياس اضع الحرف المتوسّط بين حرفين من لغتنا بالحرفين

---

١) قلنا: وقد اتفق اليوم الكتَّاب من فرس وترك وعرب على ان يصوّروا الكاف المتوسطة

معًا ليعلم القارئ انهُ متوسّط فينطق بهِ كذلك. فيكون قد دللنا عليهِ. ولو وضعناهُ برسم الحرف عن جانبهِ لكنّا قد صرفناهُ من مخرجهِ الى مخرج الحرف الذي من لغتنا « وغيّرنا لغة القوم. فاعلم ذلك (١)». اه

هذا وقد علمت ممّا مرَّ بك من كلام العلاّمة المذكور عند قوله: «ولو وضعناهُ برسم الحرف الواحد عن جانبهِ لكنّا قد صرفناهُ من مخرجهِ الى مخرج الحرف الذي من لغتنا وغيّرنا لغة القوم» انهُ لا يسوغ للكاتب ان يُغيّر الاعلام الاعجميّة اذ بذلك يُغيّر لغة القوم وهو ممّا يجب ان يتحاشاهُ ويتنكّب عنهُ لانَّ من الاعلام ما اذا غيّرت منها شيئًا طفيفًا زهيدًا انتقل اللفظ الى مسمًّى آخر مثلًا هذه الألفاظ الآتية: Pologne Bologne, Boulogne, Boullogne فلا تمتاز الواحدة عن الاخرى الّا بشيء يسير. ومثل قولك ايضًا في نعوتهم ومنسوباتهم: romain, roumain, roman واشباه هذه الألفاظ كثيرة في اللغات الافرنجية وعليهِ فلا مندحة لك عن اتخاذ حروفٍ وحركاتٍ واصطلاحات كتابية تنجيك عن مزلق الابهام والايهام. وتبوّئك من صدق التأدية أحسن مُبوإٍ ومقام

الّا انهُ بقي لك من هذا البحث امرٌ واحدٌ وهو: انهُ اذا اشتهر العلَمُ الاعجميّ بعلمٍ آخر يقابلهُ عند العرب ويسدُّ مسدَّهُ جاز لك ان تترجمهُ بمقابلهِ العربيّ لاشتهارهِ عند القومين بصورتين قديمتين معلومتين. مثلًا انك ان سمّيت پيير Pierre وپول Paul وجاكوب Jacob وجوزيف Joseph وماري Marie بالاسماء العربيّة: «بطرس وبولس ويعقوب ويوسف ومريم» فهمنا الاسم الاصلي في تلك اللغة الاعجميّة الّا انك

بينها وبين الجيم والقاف جهذا الرسم « ڭ » او « گ » اي بكاف منقّطة بثلاث نقط من فوق او بكاف عليها خط طويل موازٍ لمضد الكاف. وفي عهد ابن خلدون لم تكن هذه الطريقة شائعة عند الكُتّاب لبُعد الكاتب عن ديار الفرس والترك. وعليهِ فلا حاجة اليوم الى التنقيط على ما اشار اليهِ ولا الى رسم حرف دقيق في داخل الحرف الكبير او خارجًا عنهُ لان الناس اذا تواطؤوا على شيء فازوا بالمطلوب ولم يعُد هناك حاجة الى اخراجهم من دائرة ذلك الاتفاق لتقييدهم بقيودٍ توثقهم بوثُق الشقاق وتبعدهم عن الغاية المطلوبة في مثل هذا الاصطلاح

١) قلنا: وقد صوّر الكُتّاب سائر الحروف الموجودة عند العجم والتي لا وجود لها عندنا فاتّفقوا على ذلك بحيث اننا قد اصبحنا في غنًى عن التذرُّع بالواسطة التي ألمع اليها المؤلف الجهبذ. وسوف نذكر تلك الحروف مع صورها ورسوها بل مع ذكر وجودها عند بعض قبائل العرب في عهد الجاهلية وبعده وموعدنا في ذلك في عهدٍ قريب ان شاء الله تعالى

اذا عدلت عن هــذه الجادَّة الى نهج المنهج اللاحب الذى يؤدّيك الى تادية الأعلام بحكاية اصلها ولفظها كان ذلك احسن وادلَّ على اصحاب الاسماء وجنسياتهم لانك اذا ذكرتَ امامي واحدًا باسم پيتَر Peter عرفت انهُ انكليزي الاصل . واذا سميت والدًا باسم پيير Pierre فهمت انهُ فرنسيّ الوطن . واذا قلت پدرو Pedro تصوَّرت للحال انهُ اسپانيولي المحتد وهكذا الى آخر ما هناك من الاعلام . وانت تعلم بان الغاية من تلك الاسماء تعريف الشخص في جميع احوالهِ ان امكن . وان توصَّلت الى ان تصوّرهُ لنا احسن تصوير بلفظة واحدة كأنَّك تُمثِّلهُ امامنا أبدع تمثيل عُدَّ ذلك من احسن انواع البديع والبيان والبلاغة (لهُ بقيَّة)

ميمر ثاودوروس ابي قرَّة في النصرانيَّة

ردّ على الاراسيس القديمة (تتمَّة)

عُني بنشره حضرة الاب الخوري قسطنطين باشا الراهب الباسيلي المخلّصي

وحيث خرج نسطوريوس فقال في المسيح ما قال وأنكرت الكنيسة قولهُ رفعتهُ الى المجمع المقدس كعادتها . فاجتمع بافسس جمعٌ عليهِ بامر اسقف رومية فطرحهُ المجمع المقدَّس وابطل قولهُ . وقبلت الكنيسة المقدسة ذلك المجمع ونفت نسطوريوس وجحدت قولهُ وعلمت انهُ ليس لها نظر مع ذلك المجمع بل قد فُرض عليها من الروح القدس ان تتبعهُ على نحو ما بيَّنَّا

فانت ايهـا النسطوري اعلم انك في خطإٍ وانك زللتَ عن الصخرة التي بُنيت عليها الكنيسة ونُفيتَ من المسيح وبرئتَ من سكانتهِ اذ لم تقبل رأي المجمع المقدَّس الذي فرض روح القدس قبولهُ وهو رأي روح القدس . والعجب منـك انك اتَّبعت نسطوريوس وانت لم تُؤْمَر باتباعهِ وفضَّلتهُ على مار بولس وبرنابا جميعًا حيث ترى الكنيسة لم تقبل هذين وهما نور البشر فقبلتَ انت نسطوريوس وتركت المجمع المقدس الذي اتباعه لازم لك واتخذتَ لنفسك سندًا واهيًا ووثقت بعقل انسيٍّ وتركت توفيق روح القدس . واعلم انهُ لا عذر لك حيث قبلت رأي المجمعين الاوَّلين مسترسلًا اليهما بلا تفتيش كما امرك روح القدس ونبَتْ نفسك عن هــذا الثالث الذي قد أُمرتَ من روح القدس

بقبولهِ كما أُمرتَ بقبول ذينك واشركت عقلك مع رأيه ولم تطمئننَّ الى روح القدس الموفّق لهُ والناطق بهِ. وان انت تجنّيت العلل على هذا الجمع فاعلم ان اريوس واصحابه يتجنّون على الجمع الاول ويلحقون بهِ العيوب بجهدهم. ومقذانيوس واصحابه يتجنّون على الجمع الثاني ويعيبونهُ ولا يبالون. وكما انهُ ليس لهما ولا عندك عذر في تجنّيهم على هذين الجمعين كذلك يلزمك ان تعلم انهُ لا عذر لك عند المسيح في تجنيك على هذا الجمع الثالث

وحيث خرج اوطيخيوس وديسقوروس وقالا في المسيح ما قالا فانكرتِ الكنيسة قولهما فنهض من الآباء القديسين من يخاصمهما فلم تقبل الكنيسة لا منهما ولا ممّن يخاصمهما ولكنها رفعتهما الى الجمع المقدّس كعادتها. فاجتمع عليهما الجمع الرابع بخلكيدونية بامر اسقف رومية فطرحهما وابطل قولهما فقبلت الكنيسة قول هذا الجمع كما قبلت الثلاثة الجامع واقصت اوطيخيوس وديسقوروس ولفظت قولهما. وعلمت انهُ ليس لها نظر مع هذا الجمع وأيقنت ان الراي الذي خرج منهُ هو راي روح القدس لا محالة

وانت يا يعقوبي ما بالك قبلت الثلاثة الجامع مسترسلًا اليها من غير ان تجعل لنفسك نظرًا مع رأيهم ولم تقبل هذا الجمع الرابع ؟ ولكنك آثرتَ عليهِ اوطيخيوس وديسقوروس وتركت ان تعتمد على عمود الحقّ الذي جعلهُ لك روح القدس واعتمدتَ على قصبةٍ مرضوضة وامكنتَ من لحمك ان يشرّح ويسيل دم نفسك وتموت موتًا روحانيًا لحاجةٍ في اتباع من لم يُفترَض اتباعهُ بل قد نُهيتَ عنهُ كما نُهيت عن الحيَّة التي صارت اداةَ الطغيان. ثم لم تزل تنتقل من رأي رجل الى راي غيره يغيّرون دينك ويمسخونهُ حتى استوجبتَ ان تسمَّى كثير الرؤوس ومن لا راس لهُ(١) واشبهت حجرًا يزول عن الاساس فهو لا يزال يتدحرج حتى يهبط الى اسفل السافلين. كذلك دحرجك اوطيخيوس وديسقوروس وثيادسيس وسواريوس ويعقوب وغيرهم وادخل عليك كل واحد منهم في دينك الغشّ الذي وافق رايه وخالف كل واحد منهم صاحبه وخالف الحق

١) اشارة الى شيعة منهم دُعيت « acéphales » اي من لا رأس لهم

٢) كلّ من هؤلاء زعيم لشيعةٍ خاصة من اصحاب الطبيعة الواحدة نسبت اليهِ وعرفت باسمهِ تختلف كل واحدة منها عن الاخرى وتخالف كلّها تعليم الكنيسة في شأن اتحادّ المسيح ولم يزل الى اليوم هذا الاختلاف بين هذه الشيع باقيًا عند اليعاقبة والسريان والأقباط والارمن من غير الكاثوليك

فان تجنَّيت على هذا المجمع المقدَّس فلا ترى انك سبقت مَن قصَبَ (١ المجامعَ المقدَّسة الى ما قد تخلَّف عنهُ من كان قبلك. فلعمري ان اريوس ومقذانيوس ونسطوريوس واصحابهم ليقصب كلُّ فريق منهم المجمع الذي طرحهُ قَصْباً لا يترك فيهِ جهدًا. ولست تتقول في هذا المجمع الرابع الَّا دون ما يقول كل واحد من اولئك في المجمع الذي اقصاه. فان حسَّنتَ لاولئك مذمَّة المجامع المقدسة الماضية قبل هــذا المجمع فألحق برايهم وقُلْ بقولهم واخلع عنقك من نير روح القدس جهارًا. وان كنت تعيب على هؤلاء تجنّيهم على تلك المجامع المقدسة وتقضي عليهم بالضلالة في مخالفتهم اياها فعِبْ على نفسك تجنّيك على هذا المجمع الرابع المقدس واقضِ على نفسك بالضلال في مخالفتك اياه

امَّا المجمع الخامس فليس احد يحامي عن الاراسيس التي حرمها حتى نحاوره بمثل ما حاورنا بهِ اصحابه ونلحق بهِ مثل ما الحقنا بهم

ثم خرج مقاريوس وقورش وسرجيوس وقالوا ايضاً في المسيح ما قالوا. فأنكرت الكنيسة قولهم وبارزهم ناس من الآباء يجادلونهم و يردعون قولهم. فلم تقبل الكنيسة منهم قبولًا صارماً لا منهم ولا ممَّن كان يجادلهم بل رفعتهم كعادتهــا الى المجمع. فاجتمع المجمع السادس المقدس بالقسطنطينيَّة بامر اسقف رومية (٢ فطرحهم وابطل قولهم فقبلت الكنيسة المقدسة هذا المجمع كما قبلت المجامع التي كانت قبله وهجرت مقاريوس واصحابهُ وبصقت قولهم

فما بالك يا (منوثلي) قبلتَ المجمع الاوَّل والثاني والثالث مسترسلًا منبسطاً ولم ترَ ان لك مع رايهم رأياً كما امرك روح القدس. فلمَّا بلغتَ المجمع السادس كانك قد نسيتَ تعليم روح القدس وسكرتَ سكرًا لم تصحَ بعدهُ فاقبلتَ على ابائك الذين يستحقون منك الكرامة وقد أُمرت من روح القدس ان تقيم على حدّهم وجعلتَ تشتمهم كالكلب الكَلِب وتزيل حدَّهم وهتكتَ السياج الذي كان يحفظك من الشيطان فخرجت تمكّن من نفسك الذئاب. فهذا منك تفريط يؤديك الى الهلاك. فان تجنَّيت على هذا المجمع المقدس فاعلم انهُ قد سبقك من كان قبلك من الاراسيس

١) يُقال قصبهُ اذا عابهُ ولامهُ

٢) ترى ان ابا قرَّة يذكر دائماً رئاسة الاحبار الرومانيين على المجامع كما يقول الكاثوليك

الى تجنّي كل فريق منهم على المجمع الذي طرحهُ ولم يثنهِ شيء عن ان يلحق بهِ كلّ ما ادبّ الشيطان في قلبه. فان كنت تعيب على اولئك تجنّيهم على تلك المجامع فعاجلْ نفسك بالعيب في تجنيك على هذا المجمع السادس وارتدَّ عن تيهك وادخل في رشدك. وان كنت لا تعيب على اولئك قضبهم تلك المجامع المقدسة فاخلع العذار من راسك اصلًا والحق باصحابك وقُلْ بقول كلّ اراسيس كانت منذ ذلك

ولكن ما عسى ان يبلغ من تجنّيكم يا معشر الهراطقيين عامة على هذه المجامع. انما ينقم احدكم على هــذه المجامع المقدسة لاحد ثلاثة اشياء: امّا ان يقول ان المجمع الذي ينقم عليهِ بئس ما قضى بهِ من جهل او جَوْر. واماً ان يقول ان هذا المجمع انّما جمعهُ احد الملوك فلذلك ينبغي الّا يُقبل. واماً ان يقول ان المجمع الذي كان قبــل هذا المجمع الذي ينقم عليهِ كان قد جزم الّا يُزاد على ما قد وُضع ولا يُنقص منهُ فلذلك لا ينبغي ان يُقبل هذا المجمع الذي بعده

فان قال احدكم في هذه المجامع انهُ بئس ما قضى بهِ من قبل جهلٍ او جور فقد ادخل قائل هذا القول رأيهُ فيما لم يجعل اليهِ روح القدس ان ينظر فيــهِ ولا الى غيره. وتداخلَتْهُ العظمة ومنعتْهُ من ان يذلَّ لقضية المجمع. واستوجب الموت الروحاني لا محالة كما تسمعون ناموس موسى المقدس لا يأذن لاحدٍ من الناس ان يكون لهُ نظر مع المجمع او ان يستبدَّ براي نفسه دون قضيَّة المجمع. والّا فقد لحقهُ القتل عزيمةً لا محيص لهُ منهُ

وان قلت يا هرطيق في المجمع الذي تنقم عليهِ انهُ انّما جمعهُ الملوك فلذلك لا ينبغي ان تقبل مَن ذكر المجمعين الاولين حيث كل مجمع يقبلهُ احد ممَّن ينتحل النصرانيَّة اليوم انهُ انّما جمع كلَّ واحد منها ملكٌ من الملوك. وقد يعرف هذا كل احدٍ ان مجمع نيقية انما جمعهُ قسطنطين الملك الكبير. والمجمع الثاني جمعهُ بالقسطنطينيَّة ثاودوسيوس الملك الكبير. والمجمع الثالث جمعهُ بافسس ثاودوسيوس الملك الصغير. والمجمع الرابع جمعهُ بخلكيدونية مرقيانوس الملك. والمجمع الخامس جمعــهُ بالقسطنطينيَّة يسطينيانوس الملك الكبير. والمجمع السادس جمعهُ بالقسطنطينيَّة قسطنطين الملك ابن هرقل. فانت يا (منوثلي) ان نقمتَ على المجمع الخامس والسادس بان الملوك جمعتْهما وقد استحقّا ألّا يُقبلا لانَّ الملوك قهرت فيهما الناس ولهما فبئس ما صنعت حيث قبلت المجمع الرابع

والمجامع التي قبله. لان كل واحد من المجامع انما جمعهُ ملك كما قد بيّنَّا. وكل هرطيق طُرح في احد هذه المجامع قد يعتلُّ مثل علّتِك ويقول ان الملك الذي جمع ذلك المجمع هو الذي قهر الناس ان يطرحوه وبقهره اجتمع ذلك المجمع عليه. فان اجزتَ لنفسك الّا تنفى من قضية هذين المجمعين لان الملوك جمعتهما فأَجِزْ لليعقوبيين والنسطوريين ولمقذانيوس واريوس واصحابهم انتفاء كل فريق منهم من قضيــة المجمع الذي طرحهُ لانهُ انما جمعهُ ملك. وان كنت لا تجيز لاولئك ان ينتفوا من قضايا تلك المجامع لجمع الملك اياها فلا تجيزنَّ لنفسك الانتفاء من قضية هذين المجمعين لجمع الملوك اياهما

وانت يا يعقوبي ان نقمت على المجمع الرابع الذي طرحك بان الملك جمعهُ ولذلك يستحق ان لا تقبل قضيته لانَّ الملك كلَّف الناس فيــهِ ولهُ. فبئس ما صنعت حيث قبلت المجمع الثالث والمجمعين اللذين كانا قبلهُ اذ كان جمع كلٌّ واحد منهما ملكٌ من الملوك. وأوسِع نسطوريوس ومقذانيوس واريوس عذرًا حيث لم يقبل كلٌّ واحد منهم القضيَّة التي جرت عليهِ من المجمع الذي طرحهُ. فقد يعتلّ كل واحدٍ من اولئك بمثــل علّتِك ويقول ان الملك قهر المجمع الذي طرحهُ ان يجتمع عليــهِ وقهر الناس ان يقبلوا قضية ذلك المجمع. فان اجزتَ لنفسك دفع قضية هذا المجمع الرابع لجمع الملك ايَّاه فأجز لكل واحد من اولئك دفع قضية المجمع الذي طرحهُ. وان كنت لا تجيز لكل واحد من اولئك دفع قضيَّة المجمع الذي طرحهُ فلا تجيزنَّ لنفسك دفع قضيــة ذلك المجمع الرابع ولا تكن ظالمًا عاديًا او مجنونًا

وانت يا نسطوري كذلك نبدّي عليك هذه الحجَّــة كما قد لزمتْ اليعقوبيين (والمنوثليين) فليس لك ان تنقم على المجمع الذي طرحك لجمع الملك ايَّاه وتدفع لذلك قضيَّته والَّا فقد اوسعت مقذانيوس وآريوس عذرًا بدفع كل واحد منهما قضية المجمع الذي طرحهُ فقد لعمري يعتلُّون بمثل علّتك. وان انت فعلت هذا فقد هدمتَ كلَّ ما تؤمن بهِ مِمَّا قبلتهُ من ذينك المجمعين. وهــذا سبيل ليس يوصل بهِ الى عيب احد من تلك المجامع بل ينبغي للكنيسة ان تحمد المسيح حيث ذلَّل الملوك لها ان يخدموا اياهــا ومعلميها لان كل ملك اجتمع مجمعٌ من هذه المجامع في زمانهِ انما كان من ابرّ الجميع اذ كان يرفده بضيفانه ويكفّ الشعب فيــهِ لتمكين الآباء من النظر في الدين على هدوّ ودعة وتنفيذ قضيتهِ. فامَّا الملك فانهُ لم يكن اليهِ من النظر في امر الدين ولا

من اثبات القضيــة في شيء . وانما كان خادمًا للآباء سامعًا لهم مطيعًا قابلًا لكل ما قضوا بهِ في امر الدين من غير ان يشركهم في شيء من النظر . وان احـدٌ منكم يا معشر الاراتقة الذين ينتحلون دين النصرانيَّة اليوم عاب معونة الملوك لهذه المجامع وحضورهم اياها فقد ابطل من قبلهِ كلَّ ما في ايدي النصارى واعادنا الى ان نتمسَّك بنسخ كتب العتيقة والحديثة . فلا يبالي احدنا ان قال مثل آريوس ان الابن مخلوق او ان قال مثل مقذانيوس ان روح القدس مخلوق وان قال مثلما قال وثلم حائط الكنيسة الحافظ للرعية من كل ذئب خاطف طُرد منهـا وافسد الدين كله وصيَّر النصرانيَّة يهوديَّة

وان قلت يا هرطيق كائنًا مَنْ كنتَ من الهراطقة في المجمع الذي طرحك « ان المجمع الذي كان قبله حتم أَلَّا يُزاد ولا يُنقص ممَّا وضع هو وكذلك لا ينبغي لهـذا المجمع الذي كان بعدهُ ان يُقبل » . فاعلم انك تتقول ما لا تعقلهُ ولا تدري ما غايتهُ . لان قضيَّة كل مجمع من هذه المجامع المقدَّسة انَّما هي دواء يهيئهُ روح القدس تدفع بهِ عن جسد الكنيسة داء تلك الاراسيس التي حرمها ذلك المجمع . وحيث يقول ذلك المجمع انَّهُ ليس لاحدٍ ان يزيد على ما قد وضع ولا ينقص منهُ انما يعني ليس لاحدٍ ان ينقض علينا ولا يجعل لداء هذه الاراسيس التي حرمناها دواء غير هذا الذي هيئناه بروح القدس . لان روح القدس لا ينقض على نفسهِ وليس يقول هـذا المجمع للكنيسة ان هاج فيها مرض اراسيس اخرى بعد مرض تلك الاراسيس التي هو طرحها فليس للآباء الذين هم اطباؤها ان يجتمعوا ويُقصوا عنها ذلك المرض كما اقصى هو المرض الذي هاج في زمانه . ولو فعل ذلك المجمع وحاشا لهُ لكان قد خلَّى الكنيسة ان يستحكم عليها مرض كل اراسيس يحدث من بعده ومنع الآباء من مداواتها . وهذا خلاف روح القدس الذي جعل هذه المجامع عوضًا عن السليحيين لا تزول الى الدهر كما قد جعـل موسى تلك المجامع التي امر بطاعتها خلفًا منهُ لا يزول في كل ما حدث من الاختلاف من اهل الناموس

وان كنت يا هرطيق تلجّ وتقول « ان المجمع الذي تقبلهُ انما حرَّم أَلَّا يُزاد على قضيتهِ ولا يُنقص منها ملتمسًا أَلَّا يكون بعدهُ مجمع آخر » فقد حان لك ان تبطل المجامع كلها الاوَّل منها والآخر . لان مار بولس قد قال للكنيسة انهُ ان اتاها هو نفسه او ملاك

من السماء يعلّمها غير ما علّمها فهو محروم. وقد اتسع من هذا القول بقدر قولك يا هرطيق لآريوس ان يقول لجمع نيقية: اني لست اقبل تعليمك لان مار بولس قد حرم ألّا يعلّم احد الكنيسة غير ما قد علمهــا هو. ولمقذانيوس ان يقول للمجمع الثاني اني لا اقبل منكم تعليمكم لان مار بولس قد حرَّم ألّا يعلّم احد الكنيسة غير ما قد علمهُ هو وان الجمع الذي كان قبلكم فد حرَّم ايضاً مثل ذلك لا يزاد على قضيتهِ ولا ينقص منها. وان حسن هذا عندك يا هرطيق فقد رددتنا الى ان نتمسك بنسخ كتب العتيقــة والحديثة ولا يبالي احدنا ان يقول كما قال اريوس ان الابن مخلوق. ولا يضرهُ ان يقول كما قال مقذانيوس ان روح القدس مخلوق. ولا يعاب على احد ان يقول بقول مَن احبَّ من الهراطيقيين. وقد صيَّرت من قبلك النصرانيَّة يهوديَّةً كما قد قلنا بدءًا

ولكن ليس الامر على ما تذكرون يا معشر الهراطقة وبئسما فهمتم قول الآباء بل انما تشبه الكنيسة المقدسة ابنَ الملــك وتشبه الآباء اطباء قد وكّلهم الملك بابنه ان يحفظوا جسده وان يدفعوا عنهُ كل داء وسقم. وتشبه الاراسيس الامراض والاسقام. وهؤلاء الاطبَّاء الموكَّلون بهذا الجسد ليس يخطأُ احدهم البتة ان نظر جسد ابن هذا الملك قد اعتراه مرض فدفع المرض عن جسده بدواء هيَّأهُ لهُ ثم قال: انهُ ليس لاحد سلطان ان يغير شيئاً من هذا الدواء الذي هيَّأتهُ انا. فنقول ان هذا الطبيب انما يريد بهِ ان ليس بمأذون لاحد ان يعالج ذلك المرض الذي هيَّأ لهُ ذلك الدواء بغير ذلك الدواء الذي عالجهُ بهِ هو. وليس يقول هذا الطبيب لمن بعده من الاطبَّاء: « انهُ ان عرض لجسد ابن الملك مرض آخر بعد هذا المرض فليس لكم سلطان ان تعالجوه » والّا فقد اسلم ابن الملك للتهلكة وصار غاشّاً للملك عدوّاً لهُ

كذلك كل مجمع من هذه المجامع المقدسة انما هيَّأ دواء الاراسيس التي ثارت في زمانه واعلم الناس ان دواءهُ بالغ ملائم لمرض تلك الاراسيس. وانهُ ليس لاحدٍ سلطان ان يعالج تلك الاراسيس ويقاتلها بخلاف ما قد عالجها بهِ هو وقاتلها. ولم يأمر اطبَّاء الروح الذين بعدهُ ان ثارت اراسيس في زمانهم ألّا يهيئوا لها دواء يدفعونهــا بهِ والّا كان غاشّاً للمسيح وعدوّاً لهُ. وحاشا لمجمع يجمعهُ روح القدس ان يكون كذلك. وبئسما فهمتم يا معشر الاراطقة قول الآباء. ولقد سخر بكم الشيطان عدوّ ذريَّة آدم فزيَّن لكم ان تجدّفوا على روح القدس بذمّتكم قضايا المجمع التي هي قضــايا روح

القدس كما قد اخبرتُكم ان السليحيين انفسهم قالوا حيث اخرجوا القضية على الهراسيس التي ثارت في زمانهم انهُ رأي روح القدس ورأْينا. واعلموا الناسَ كلهم ان رأْيهم رأي روح القدس. فمن جدَّف على قضية احد المجامع فانهُ انما يجدّف على روح القدس

ولعلَّك تقول يا هرطيق ان هذا المجمع الذي طرحك قد نقض على المجمع الذي كان قبله اذا ذهب الانسان ان يفتش معاني كلامه. فلذلك زعمت قد تعلم انهُ ليس من روح القدس لان روح القدس لا ينقض على نفسه. فنقول لك يا هرطيق انك غليظ العقل وليس يضيء لك روح القدس لاعوجاج نيتك. لذلك تظن ان هذا المجمع الذي طردك من الكنيسة قد نقض على الذي قبله. ولكن ليس لك ان تشرك نظرك مع نظر المجمع ان كنت تعقل ما قد امرك روح القدس في الناموس على يد موسى راس الانبياء. بل عليك ان تقبل قضيــة المجمع عزيمةً والَّا لحقك الموت الروحاني. وروح القدس لم يخذل مجمع الرسل ان يخرج منهُ الخطا في احد الوجوه اذ قد اسند النظر فيما يختلف فيهِ من امر الدين اليهِ كما قد اوضحنا لك مرارًا. والَّا كان روح القدس الذي فرض على الناس ان يطيعوه هو الذي يقود الناس الى الضلالة التي تخرج لهم منهُ وحاشا لروح القدس ان يفعل ذلك. فان اجزت لنفسك يا هرطيق ان تنظر في قضية المجمع الذي طرحك وتفتِّش قوله وتقول انهُ قد خالف المجمع الذي كان قبله فسوّغ لآريوس ان ينظر في قضية مجمع نيقية الذي طرحهُ ويقول ان قولهم خلاف لما في انجيل السليحيين. وأجزْ لمقذانيوس ان ينظر في قضيــة المجمع الثاني الذي طرحهُ ويقول ان قولهم خلاف قضية المجمع الاولْ. ولكن اظنك لستَ تفعل هذا اذ تشرك نظرك مع قضية المجمع الذي طرحك

فمن حيث قلتم الكلام يا معشر الهراطقيين عامة فليس بمأذون لكم من روح القدس ولا لغيركم ان تتجنَّوا بالعلل على هذه المجامع المقدسة او تخالفوا قضيَّتهــا باحد الاسباب. والَّا فباطلًا امر روح القدس على يدي موسى راس الانبياء ان يُقتَل كل من لا يقبل قضيَّة المجمع فقد كان لعمري الفسحة لكل واحد من الناس اذا خرجت عليهِ قضيَّة من المجمع ان يتجنَّى على ذلك المجمع. ولا يستطيع ان يرفض قضيَّتهُ بسبب ذلك التجني ويسلم من الموت. ولكن لم يخلِ روح القدس احدًا زاهدًا بل ألزم الموت عزيمةً كلَّ من خالف قضيَّة المجمع كائنًا من كان. ولم يجعل في ذلك استثناء ولم يكن لاحد

منهُ فرجة يحيد اليها عن الموت في التجنيّ على المجمع او غير ذلك من الاسباب. كذلك يلزمكم يا كافة الهراطقة عامةً فاعلموا ذلك. وكل من خالف هذه المجامع المقدَّسة فان المسيح يميته الموت الروحاني ويعطِّل قلوبكم من سكانة روح القدس فانظروا من الذي يسكنكم

واعلموا كلكم ايها المخالفون لروح القدس ان من كان منكم لا يدَّعي علماً فقد وضح لهُ طريق الرشد. ولا عذر لهُ في ترك المجامع المقدسة التي افضى عقله الى المعرفة بانهُ يجب عليــهِ اتباعها لا محالة. وليس شيء يحبس احدكم عن ان يغرب عن ملكوت الله ويخرج مأسورًا عن عرس المسيح ان لم يتبع هــذه المجامع المقدسة. واما من يدَّعي منكم العلم فانهُ انما يشبه احبار اليهود والفريسيين الذين صرفوا مسامعهم عن تعليم روح القدس وغرفوا لهم من خثرة عكر عقولهم فاسكرهم سكرًا اختلجهم عن قبول المسيح الذي اليهِ كان الناموس يسوقهم وزيَّنوا لهم الافتراء عليهِ. كذلك انتم غررتم هؤلاء المساكين فصرفتم قلوبهم عن طاعة روح القدس الذي ينطق على افواه المجامع المقدسة. وغرفتم لهم من فضاضة عقولكم وظلمة اذهانكم وما تلتمسونهُ بعمى قلوبكم وحملتموهم ان يجدّفوا على روح القدس. قاتلكم الله كيف هلكتم واهلكتم. اوهقتم من اتَّبعكم الى قعر الجحيم واوهق الشيطان كلكم واستصحبكم الى نار جهنم المعدَّة لهُ وللملائكته. وصرتم لهُ في هلاكهِ انساً وعزاء

فهل يريد الانسان منكم ان يعتزل ناحيــة ويقوم المجمع ناحية اخرى فينادي احدكم النــاس ويقول: ألا ايها الناس عامة اتَّهموا هذا المجمع وصدّقوني فاني أعلم وانصح لكم من هذا المجمع. فكيف استحققت ويحك ان تكون قد فزت بالحكمة الروحانية بل بالعمى الشيطاني دون الناس كلهم وصرتَ انظرَ الناس للناس بل اغشَّهم لنفسك ولهم. وقد كان ينبغي لروح القدس لو كنت كما قد تظن بنفسك بجهلك ان يدلَّ الناس عليك قديماً حتى يعرفوا موضعك ويصفك لهم في كتبه المقدسة كما قد وصف هذا المجمع الذي ذكرنا ويجعل لك في الكتب المقدسة علامات يومئ اليك بها كما قد اومأ الى هذا المجمع المقدس ويجهد الناس على اتباعك كما اجهدهم على اتباع المجمع ولكن ليس ذلك اعجب ايها الاعمى الذي لست تدري ما تقول وماذا تحقق كما قال مار بولس على مثلك. وقد استحكم الجهل فيك واكتنفك التيه من كل ناحية ولا

تحس بذلك غلطاً وبلاهة . ولكن العجب من هوُلاء الاشقياء الذين يتركون المجامع المقدسة ان ينقادوا لها كما امرهم روح القدس وقد امكنوك من أرسانهم ان تقودهم كالاعمى الذي قال ربنا في الانجيل: ان اعمى يقود اعمى وكلاهما في الهوتة يسقطان. واكثروا ان يتخذوا لانفسهم معلم الضلالة مثلك وبدغدغة مسامعهم كما قال مار بولس (٢ تيم ٤ : ٣) . فاماّ نحن معشر الارثوذكسيَّة وابناء الكنيسة المقدسة فاننا نمجد ونشكر المسيح الهنا الذي اعطانا الحزم وطاعة المجامع المقدَّسة التي نطق على لسانها روح القدس فصرنا الى محلته وأوينا الى صير غنمهِ وسلمنا بحفظه من الشيطان الذئب الخاطف الذي يرصد انفسنا ان يعترض من احدنا شرود عن الكنيسة فيأخذهُ فريسة لهُ وصيدًا. فنسأل ربنا والهنا يسوع المسيح ان يثبّتنا على صخرة كنيسته المقدسة ابدًا ويسقينا من كاس تعليمها حتى نسكر بحبه سكرًا يملأ عقولنا ويبسط قلوبنا لطاعته وحفظ وصاياه التي بها نحيا ونرث ملكوت السموات المعدة لكل من كان مبنيًا على اساس مار بطرس الذي من روح القدس. فيا روح القدس ألهمنا معرفة المسيح الابن الازلي الاله ابن الاله الذي تجسد من روح القدس ومن مريم العذراء في شان خلاصنا لهُ المجد والجلال والعزّ والكرامة مع الاب والروح القدس الآن ودائماً والى دهر الداهرين امين

يمين العليّ

روايةٌ تاريخية للاب س. ت اليسوعيّ

الفصل العاشر

مريم (تتمَّة الفصل)

لما قرب اليوم الموعود اتت يهوديت بغتةً ودخلت في حانوت كوارتوس في مساء النهار المعيَّن لميادها وهي كئيبة كاسفة البال فسألها الشيخ الجليل ما الامر وما سبب حزنها أيكون بلغها خبرٌ مشئوم عن ابيها او أُصيبت بنكبة. فاشارت الى ان لحزنها سبباً آخر واندفعت تبكي

فعمل نظرُها في قلب الشيخ واستلهم اللهَ الرشاد ليعزّيها ويكشف كربها. فرفع عينيهِ واذا على الجدار صورة خشبية تمثل امرأةً وعلى ذراعيها طفلٌ صغير فجثا راكعاً وقال للفتاة: هلمَّ يا ابنتي نُصلّي الى الله ليردّ لكِ السلام

فجثت يهوديت واستحرّ كلاهما بالصلاة زمناً. فلمّا عاد الى الفتاة هدوّ قلبها قامت وجلست عند اقدام الشيخ واقرّت لهُ بمحبّتها لضابط رومانيّ يُدعى راسيوس فاخبرتهُ بما جرى لها معهُ وكيف اسر قلبها بحبهِ. ثم قصّت عليهِ ما تنازع نفسها من العوامل المتباينة لمّا رأت الضابط يسير الى محاربة قومها وبني جلدتها ولعلّ دم ابيها يسيل في هذه الحرب العوان على يد هذا الجنديّ. ومن جانب آخر كانت تشعر بعواطف قلبها لا تزال تجنح الى راسيوس. فهو النزاع بين هذه الاميال المختلفة الذي سبّب لها هذا الحزن والكآبة وكانت يهوديت لبساطة قلبها تظنّ انّها ما دامت على هذه الحال لا تستحق نعمة العماد

فبعد ان كشفت الفتاة مكنونات صدرها عادت الى بكائها كأنّها باءت باثمٍ عظيم او بمنكر ثقيل. الّا انّ الاسقف الصالح خمّد روعها وطيّب خاطرها وحملها على ان تضع آمالها في والدة الله معزّية الحزانى ولا تتريّث في قبول العماد فانّ هذا السرّ ينهج لها طرقاً جديدة ويطهّر قلبها عن الامور الزائلة ليضرمهُ بمحبّة اشرف واسمى من محبّة كل المخلوقات

*

طلع صباح ذاك النهار السعيد الذي كانت يهوديت تائقةً اليهِ فاذا هو صباح منير من ايّام نوّار البهيج فكان النبت اخذ زخارفهُ والازهار قد زهت واضحى الورد متنفعماً واديم السماء صافياً والطير يصدح على الافنان او يمرّ في الجوّ مرّ السهام. وكانت ريحٌ عليلةٌ تهبّ في سعف النّخل فتتلاعب برؤسها بينما كان يُسمع عن بُعد صوت حداء الجمّالة القادمين بعيرهم الى البلدة

وكانت يهوديت سبقت الفجر فنهضت من فراشها وفتحت نافذة حجرتها لتمتّع ابصارها بهذه المشاهد الطبيعيّة فاتكأت على مشبّك النافذة واطلقت العنان لافكارها. فيا ما ابعدَ امسها من يومها ! وشتّان بين احزانها المدبرة وافراحها المقبلة ! منذ عرفت المسيح وادركت اسرار حياتهِ صار قلبها حليف الدعة وجدت في صليبهِ ما لم تجدهُ في ملذّات العالم وافراحهِ الباطلة. وها قد قدم اليوم الذي فيهِ يتمّ نعيمها لا يمرّ عليها مساء النهار دون ان تُدفن مع المسيح فتخرج من جرن العماد لابسة ثوب النعمة ومنتعشة بحياة جديدة. فكانت هذه الافكار تفعم قلبها سروراً وتهتزّ بها اضلاعها طرباً

أجل بعد بضع ساعات تُنتظم ابنـة البطارقة ووريثة كبار بني اسرائيل في سلك شيعةٍ يُبغضها قومها فتُعدّ بين تلامذة الناصريّ الذي لم تسمع في حقّهِ منذ حداثتها غير الشتم واللعن . فترى ماذا يجري لها اذا ما عرف اخوها يوسف بارتدادهـا عن دين الاجداد ؟ ماذا يحلّ بها من البلايا والمحن اذا نما الخبر الى اهلها وقرابتها أفلا ينفونها الى الابد من جماعتهم ويعدّونهـا كالأئمة والعشّارين او بالحري ألّا ينصبون لها المكايد ليوقعوها في اشراك الذلّ والهوان

تعلم يهوديت بكل ذلك لكنّها لا تنكص الى الوراء لأنها عرفت انّ العبء الذي تولّت حملهُ على مناكبها ليس بثقيل وان النير الذي حنت تحتهُ عنقها ليّن هو . فلا تكترث لبُغض العالم واضطهادهِ ما دام الله يرشدها ويسند قواها

فقضت يهوديت يومها ذلك وهي تستمطر غيث النعم السمويّة وتُعدّ نفسها للسرّ الجليل الذي كان ينتظرها في مساء ذلك النهار وكان سلام قلبها وبهجة صدرها يزدادان كلّما تقرب الساعة الميمونة التي تُوحدها بالمسيح وتجعلها في عداد بني الله

فلمّا ادنفت الشمس ومال قرصها الى المغيب اخذت يهوديت معها أمتها دوروتيا الامينة وبعض امائها وعبيدها المتنصرين ثم سارت معهم الى الحيّ الذي يسكن فيهِ كوارتوس . فكان العبيد يفتحون لها الطريق بين الجموع المتزاحمـة امّا هي فكانت مطرقة الى الارض كأنّها تسير في بريّة قفراء لا يشغلها شاغل سوى فرحهـا القريب وكانت تلوح على وجهها امائر النعيم السماويّ الذي استولى على قلبها

فلمّا وصلت الى سوق الحاكة كان كوارتوس في انتظارها عند باب الدهليز الذي كان اتّخذهُ لهُ كحانوت حياكتهِ وكان جعل قسمهُ الداخليّ كمعبد يقيم فيه صلاتهُ وكان ذلك المساء لبس رداءً طويلًا لم يتردَّ بهِ الّا في الاعياد العظيمة امّا وجههُ فكان متّسماً بسمة من الوقار والبهاء كانت تجعلهُ بالملاك اشبه منهُ بالبشر

واذ نظرت يهوديت الاسقف الجليل ترامت على يدهِ لتقبلها فبشَّ لها الشيخ وادخلها في معبدهِ وهو في ذلك اليوم مزدان بزينةٍ غير معهودة فكنت ترى في احدى جهاتهِ مائدة من خشب عليها آنية التقديس من الزجاج او النحاس في وسطها خبزة وقليل من الخمر . ومن الجانب الآخر شبه مذبح عليهِ مشعلان من الراتينج يسطع منهما الدخان وبقربهِ اناء مملوء ماءً . والمكان عبارة عن سربٍ طولهُ سبعة او ثمانيـة امتار في عرض

خمسة قد عُلق في سقفهِ قنديلان. ولم يكن ثمَّ من الحضور الَّا بعض النساء الأُميَّات التقيَّات فلمَّا دخلت يهوديت اسرعت النساء فحيَّتها بالسلام ورحَّبنَ بها فأَنِست بهنَّ ابنة صمونيل وشعرت بان حبَّهنَّ لها خالصٌ ليس بودٍّ ممذوق. ثم انفردنَ بها الى زاوية بينما كان كوارتوس يصلّي فجرَّدنهـا عن ثيابها الفاخرة وحليّها العاليَّة وأَلبَسنها درعاً طويلًا ابيض ارسلنَ شعرها الاشقر فوقهُ كأَنهُ الذهب فوق اللجين. ثم اتينَ بها امام الاسقف

فلمَّا رأَت دوروتيا والاماء رفيقاتهـا سيّدتهنَّ في ذلك المنظر البهيّ اغرورقت عيونهنَّ بدموع الفرح. امَّا كوارتوس فقام منتصباً بازاء المذبح تجلّلهُ هيبة عظيمة فلاح للفتاة انَّهُ ظلُّ العليّ او ملاكهُ فخشعت عند نظرهِ وخرَّت عند اقدامهِ. فسأَلها الشيخ:

ماذا تريدين يا ابنتي ? ماذا اتيتِ تطلبين ?

فاجابت يهوديت باليونانيَّة بصوت رخيم وعزيمة لا يشوبهـا مراء: اني اريد العماد واطلب المسيح يسوع

— وهل تعلمين من هو الذي تطلبينهُ وما يقضي عليكِ دينهُ من الفرائض

— اني عالمةٌ بانهُ هو المسيح ابن الله المتجسد حبًّا بالبشر ولاجل خلاصي. امَّا ما يقضيهِ عليَّ دينهُ فاني أَفي بهِ على قدر استطاعتي لاني احبُّهُ ولا مشقَّة حيث يملك الحبُّ

— فكرّري اذن معي قولي: يا يسوع مخلصي اني اؤمن بك اني اجعل فيك رجاني اني اسجد لعزّك واحبُّك من صميم القلب فانك حيـاتي وغاية منيتي اليوم. وفي غدٍ ومدَّة حياتي بل بعد الممات حيث اجتمع بجلالك الى منتهى الادهار

فردَّدت يهوديت هذه الأَلفاظ واحدةً واحدةً بصوتٍ يدلُّ على ايمان ثابت وحبّ مضطرم فحاكَ هـذا المشهد في الحضور حتى علا صوت بكائهم فكان لعويلهم رجعُ صدًى في قلب يهوديت فسالت دموعها مدرارًا حتى كادت العبرات تخنقها. فلمَّا سكن جأشها قال لها الاسقف: « قومي ايتها الابنة العزيزة وتقرَّبي الى الربّ »

فقامت يهوديت وعلى جانبيها اخواتها بالايمان وهنَّ يسندنها وتقدَّمت ثلاث خطوات. فغرف كوارتوس ماء من جرن العماد في صدَفة بحريَّة كبيرة ثم باركهُ وصبَّهُ على رأس الفتاة قائلًا: « اني أُعمدكِ يا مريم باسم الاب والابن والروح القدس ». فأَمَّن الحضور بصوت واحد

ها قد تمَّ السرّ العظيم! ها قد حلَّ المسيح في قلب ابنة اسرائيل وبدخولهِ انقشعت

ظلمات الخطيئة ! خلعت يهوديت ثياب الاثم لتلبس مريم ثوب البرّ ! ظهرت نفسها في اعين ملائكة الله ابهى من النور وازهى من السوسن !

الّا انّ هذا السرّ لم يكن سوى مقدّمة الاسرار التي اعدّها الرب لمختارتهِ . فانّ كوارتوس بعد ان قدّس نفس يهوديت بالعماد بسط اكفّ الضراعة الى الله وطلب ان يحلّ فيها روحهُ الأقدس ليثبتها في الصلاح ويسكب عليها مواهبهُ السبع ويعضدها بيمينهِ القادرة في وسط التجارب والآفات . فكاد قلب المتنصرة ينفطر لمزيد الفرح الذي غمرها

ثم تقدّم الشيخ وامسكها بيدها المرتجفة واجلسها على المائدة المعدّة هناك حيث الخبز والخمر وجلس هو مع النساء التقيّات فأخذ الخبز ثم شكر وباركهُ قائلاً : « هذا هو جسدي » وأعطى منهُ قسماً لمريم ثم فرّقهُ على الحضور . وكذا فعل بكأس الخمر

فخُيّل لمريم انّها لم تَعُد على الارض بل انتقلت روحها الى مقرّ السعادة بين العلويّين اذ ان الحائك المسكين برز لاعينها لابساً صورة المسيح فتكلّم عن لسانهِ ومثّل لديها كلّ حركاته

فبعد هذا العشاء السرّي سكت كوارتوس ولم يَعُد احد يسمع في المعبد الّا تنهّدات الحضور واصوات الصلاة فهجعوا ليلتهم في مناجاة الله ولسان حالهم يقول : « انّ يوماً في هيكل الرب لأشهى من ألف سنة في قصور الملوك » . امّا مريم فكانت تفوق الجميع بحرارة صلاتها وسعادة نفسها . فانّ عينيها كانت شاخصةً الى العلاء كأنّها ترى رؤيا سماويّة أنستها الارض واباطيلها وكان يُسمع لقلبها وجيبٌ كأنّهُ اوشك ان يتطاير من صدرها ليبرح الدُّنى وينتقل الى مساكن الخلد

فترى ماذا جرى بينها وبين خالقها في تلك الساعة . ذلك سرٌّ لم تَبُح بهِ وانّما يجوز القول بانها اختُطفت كرسول الامم الى الفردوس فسمعت ما لا يحلّ لانسان ان ينطق بهِ . ولمّا عادت الى نفسها التفتت الى أمتها دوروتيا قائلةً : « انّهُ يردُّ لي ابي ثم . . . » قالت هذا وانقطعت عن الكلام كأنّها خافت ان تفشي بالاسرار العلويّة الّا انّ منظرها كان يدلّ على بهجة قلبها فلم تشأ دوروتيا ان تسترق خفايا قلبها لكنّها شعرت بصوتٍ ينبئها بانّ سيدتها اضحت كثمرةٍ جنيّة حان وقت قطافها لتُنقل الى حديقة اخرى اهلة بها فملأ هذا الفكر قلبها روعاً وجزعاً

وكانت قناديل المعبد في تلك الاثناء اخذت تنطفئ رويدًا رويدًا وضوء الصبح يلوح من نوافذ الحانوت. وبعد برهة وجيزة سُمع في دار العسكر صوت النفير موقظًا للجند ومبشرًا بطلوع الفجر بينما كان الفعلة يخرجون من منازلهم ليبكروا الى اشغالهم الشاقّة . امّا يهوديت فاسرعت بعد وداع الشيخ الحائك وعادت الى دار الورود قبل ان يحسّ بها قومها (البقيّة للآتي)

مطبوعات شرقية جديدة

المردة والجراجمة هم الموارنة

لسيادة الحبر الجليل يوسف الدبس مطران بيروت

يذكر القرّاء نبذةً لسيادة المطران العلّامة النبيل يوسف الدبس دبّجها قلمهُ السيّال في المشرق من السنة الجارية (ص ٤٠٤) كان عنوانها « ليس الجراجمة المردة » ردّ فيها على حضرة الابوين الفاضلين هنري لامنس اليسوعي وانستاس الكرمليّ. الّا انّ سيادتهُ بعد ظهور المقالة التي سبق وصفها في المشرق تحت عنوان « بحث في المردة » ارتأى رأيًا جديدًا يوفق بين كلّ الاقوال المتضاربة في هذا الشان وهو (ص ٨) « ان الجراجمة شركاء المردة في غزواتهم ونصراءهم واخوانهم معتقدًا ونزعةً وجامعة الفريقين المارونية فذلك على حدّ قولنا مثلًا انّ الكسروانيين ليسوا الجبيليين بل اخوانهم والفريقين موارنة » ثم يصادق سيادتهُ على قول الاب لامنس في ختام مقالتهِ عن الجراجمة (ص ١٣) وهو « انّ المردة والموارنة ان لم يكونوا شعبًا واحدًا فقد كانت على الأقلّ بينهم علاقات متينة وكذا قل عن الجراجمة » فيرى القرّاء من هذه النتيجة انّ البحث في اصل المردة والجراجمة خطا خطوةً عظيمة وعسى الحقّ ان ينجلي تمامًا بهمّة اهل النقد

نوبار باشا وما تمّ على يدهِ

تأليف الاديب نجيب افندي مخلوف

طُبع في المطبعة العمومية في مصر (سنة ١٩٠٣ ص ٢٢٢)

نوبار باشا احد الرجال الذين اشتهروا في مصر وخدموا الخدم الجليلة التي يدوّن ذكرها في بطون التاريخ فيشكرها كلُّ من كان صائب الحكم منزّهًا عن الغايات الشخصيّة. فشغف جناب الاديب نجيب افندي مخلوف احد نجباء المتخرّجين في مدرستنا الكليّة

سابقاً بذلك الرجل الشهير وهزَّتهُ الحميَّة الى ان يسطر اعمالهُ الممتازة وقد جاء كتابهُ جامعاً شاملًا يتضمَّن من الحوادث التاريخيَّة ما تروق مطالعتهُ وهو مكتوب بعبارة سهلة منسجمة لا اثر فيها للتصنُّع · وفي خلاله صور عديدة لبعض مشاهير الرجال او الآثار التي لها دخلٌ مع ترجمة الفقيد فضلًا عن خلاصة تاريخيَّة أُلحقت بآخر الكتاب تسهِل على القرَّاء ادراك احوال مصر منذ نحو مئة سنة · فنثني على همَّة المؤلف الذي جعل باكورة مصنَّفاتهِ كتاباً يفتخر بهِ المتضلعون من الكتبة ل · ش

شذرات

المتروبليتان هي السكَّة الحديديَّة التي تمرُّ في اسراب تحت باريس حيث جرى مؤخرًا ذلك الحادث المشئوم الذي ذهب بحياة مئة شخص · وعدد المسافرين في قطارات هذه السكة يزداد فيها يوماً بعد يوم · ففي الثلث الاوَّل من السنة الحالية بلغ عدد الركاب ٣٥,١٢٧,٤٥٦ وقد كان في السنة لمنصرمة في الوقت عينهِ ١٩,٤٣٤,٤٢٢ بزيادة ١٥,٦٩٣,٣٣٤ عن العام الماضي

اثر جديد للقديس مارون الناسك ذكر حضرة الخوري ميخائيل غبريل في جريدة الروضة في تاريخ ٢٢ آب (العمود الاوَّل من الصفحة الثالثة) انَّ القديس يوحنا فم الذهب « وجَّه رسالتهُ المعروفة بالعدد ١٢٦ الى روفينوس الكاهن وفيها يحثُّهُ على دوام الاستمساك بمثل غيرة القديس مارون» فتعجَّبنا عند قراءة هذه الاسطر كيف سهونا عن اثبات شهادة ثمينة مثل هذه في مقالتنا عن جغرافيَّة سيرة القديس مارون · وفي هذا النصّ (لو ثبتت صحتهُ) دليل على انَّ القديس مارون لم يعش فقط عيشة النسَّاك بل تفرَّغ للرسالة الدينيَّة · وينتج علاوةً عن ذلك ان القديس مارون كان مرسلًا في سواحل فينيقية حيث كان روفينيوس الكاهن بل يصحّ القول انَّ القديس مارون بشَّر بالايمان في لبنان الحالي لانَّ المرسلين الذين كتب اليهم القديس يوحنا فم الذهب انَّما كانوا غالباً يبشرون بالايمان في مشارف لبنان · وعليهِ فلا حرج ان نقول ان القديس مارون اشتغل حيث كانت الطائفة المنتمية اليهِ سوف تقوم يوماً زاهيةً زاهرة

فاسفنا اذن كان بليغاً لسهونا عن هذا النص · ولكن اسرعنا للحال وراجعنا الاصل الذي نُقلت عنهُ هذه الرسالة لننقلهُ بحرفهِ فما كان اخيبَ املنا لمَّا تصفحنا الطبعات

الثلاث المحتوية على جميع اعمال القديس يوحنا فم الذهب التي في مكتبتنا (Gaume, Bareille et Migne) مع ترجمتي هذه الاعمال الفرنسيَّة واللاتينيَّة فقرأنا الرسالة المذكورة بكل تروٍ فلم نجد فيها ذكرًا سوى لثلاثة رجال وهم الاسقف اوتريوس والكاهنان ثاودوتوس وتيرنسيوس وكذلك نظرنا الروايات التي على هذه الرسالة لعلَّنا نجد اسم مارون فلم نعثر على ذلك. فان كان حضرة الخوري الفاضل اورد هذه الرسالة سهوًا فنرجوهُ ان يدلنا على الرسالة الصحيحة والمصدر الذي اخذ عنهُ ونحن نسلف لهُ شكرنا كما يشكرهُ كل من يبحث عن آثار الطائفة المارونية كيف لا وهو يطلعنا على امر جهلهُ توادوريطس المؤرخ وغيرهُ من العلماء

اسئلة واجوبة

س سألنا ن. ص من ادباء البلدة اين هو اكبر الاجراس

اكبر الاجراس

ج اكبر الاجراس جرس الكرملين في موسكو صبَّهُ ميشال مونتارين سنة ١٧٣٣ يبلغ وزنهُ ١٩٦,٤٦٤ كيلوغراماً وقطرهُ سبعة امتار و ٤٧ س وعلوهُ ستَّة امتار و٧٢س. الَّا انهُ لكبرهِ لم يكن احدًا قرعهُ فبقي في محلهِ الى سنة ١٨٣٦ حيث اقيم فجعل على دكَّةٍ عالية كأثر مهمل. واكبر جرس بعدهُ جرس كنيسة قلب يسوع في باريس فوق ربوة مونمَرْتر يدعى سافوايرد (Savoyarde) وهو من عجائب المصنوعات الَّا انَّ ثقلهُ لا يتجاوز ٢٠,٠٠٠ كيلوغرام ولهُ رنَّة عظيمة تُسمع في كل جهات باريس

س وسأل ع. س لماذا ترجمنا في سفر التكوين قول الرب للحيَّة: « وهو يسحق رأسكِ » بدلًا من « وهي تسحق رأسكِ » وبهذه الترجمة دلالة على الحبل بالعذرا مريم بلا خطيئة اصليَّة اذ سحقت رأس الحية الجهنميَّة وانتصرت على قوَّات الجحيم

قول الرب للحيَّة: وهو يسحق رأسكِ

ج ترجمتنا موافقة للاصل العبرانيّ وقد جاء فيهِ الضمير مذكَّرًا « هو » لا « هي » يعود على « الزرع » المذكور قبلهُ. على انَّ كلا الترجمتين يجوز اطلاقهما على العذراء. فان قيل « هي » كان المدلول المرأة بعينها اي البتول الطاهرة. وان قيل « هو » اريد بهِ زرع المرأة ومولودها الذي هو المسيح فيكون المعنى انَّ المرأة تسحق رأس الحيَّة الجهنَّمية بواسطة زرعها اي ابنها الالهيّ

ل. ش

المشرق

ترقّي التواصل بسرعة التراسل

لجناب الاديب ميشال افندي الياس سماحه

خُلق الانسان ألوفًا محبًّا لبني جنسهِ لا يستغني عنهم في اشغالهِ وحاجاتهِ. وانَّما كانت عيشة الألفة قريبة الاسباب سهلة الموارد لمَّا كان البشر قليلين تضمُّهم بلاد واحدة ويجمع كلمتهم سيّد هو رأسهم وعضدهم

ثمَّ انَّ بني آدم ما لبثوا ان نموا بعد حينٍ وتزايد عددهم حتى اضطرَّهم الامر الى ان يضربوا في البلاد ويسكنوا اقطارًا قاصية وجهات نازحة ثم توفَّرت اسباب العمران على قدر نموّ الشعوب وحسن تدبير ملوكها وعقول اصحابها واحوال البلاد التي حلُّوا في ربوعها وكثرت حاجات الانسان المادّيَّة والادبيَّة فكان لا يرى بُدًّا من سدّها فلا يمكنهُ ذلك الَّا بمساعدة اخوانهِ ممَّن نزحت بهم الدار وشطَّ بينهم المزار. فكان ذلك داعيًا ليجد البشر طرقًا للتواصل ووسائل للتراسل تروج بها اشغالهم وتنتظم احوالهم

وهذه اسباب الالفة والتواصل لم تزل منذ الاعصار الغابرة من اهمّ عوامل الترقي وقد زاد خطرها في الاجيال الاخيرة وعليهِ قد عُني اصحاب البحث والتنقيب بتحسين طرائقها وايجاد اختراعات جديدة لتيسير فوائدها حتى بلغت مبلغًا كاد ينفي المسافات

وها نحن نتتبَّع تاريخ التراسل البشري ليرى القرَّاء بنظرةٍ واحدة وفي صفحات قليلة ايَّ شأوٍ ادركهُ المرء بعقلهِ وكيف توصَّل الى ان يجمع شتات الشعوب ويوفر بينهم

اسباب الوداد والأُلفة . وزيادةً بالايضاح نذكر اوّلًا التراسل البرّيّ ثم التراسل المائي ثم التراسل الهوائي ونفرد من بعد ذلك فصلًا للتراسل الكهربائي

التراسل البرّيّ

١ السعاة والبريد

اوّل ما فطن اليهِ عقل البشر اتّخاذ الرُسل لينقلوا من أُسرةٍ الى أُخرى ومن بلدٍ الى آخر الامور التي ارادوا تبليغها فكان السُّعاة ينقلون الاخبار امّا شفاهًا قبل شيوع الكتابة وامّا خطًّا بعد ذلك . ثم قُسم السُّعاة قسمين قسم منهم مشاة وقسم خيَّالة

فكان المشاة يعتادون المشي منذ نعومة اظفارهم فيقطعون المسافات البعيدة عدوًا وقد اشتهر بذلك الصينيون ثم المشاة المصريُون وكان منهم من يجاري الخيل ركضًا . وقد اتّخذ العرب السعاة لنقل رسائلهم فكان عُداتهم ينهبون الارض نهبًا بقوّة عدوهم وسرعة انتقالهم . وكان قدماء السعاة يحملون الرسائل في خرائط من جلد يعلقونها في أكتافهم فاذا وصلوا بلدةً نادوا القوم باعلى صوتهم او دقُّوا النفير تنبيهًا لاهلها على ورود البريد

على انَّ السعاة مع سرعة عَدْوهم لا يبلغون في الغالب ما تبلغهُ الخيل . وعليهِ فقد استعاض الناس بالرُسل الخيَّالة لنقل اخبارهم فاتّخذوا لذلك قومًا من الفرسان يحسنون ركوب الخيل وجعلوا لهم مراكز يبدلون فيها جيادهم فلا يزالون ينتقلون من مكان الى آخر بخفَّة غريبة وذلك هو اصل البريد المعروف في ايَّامنا بالبوسطة وهي كلمة لاتينيَّة معناها المركز او المقام . ويُقصد من البريد خدمة الحكومة رسميًّا لنقل الرسالات المتداولة بين الناس

وقد ذهب ديودورس المؤرخ انَّ البريد كان منظَّمًا منذ عهد الاشوريين والبابليين وقد عرفهُ الفرس واليونان والرومان . وكان امرهُ مشهورًا عند العرب . قيل ان اوَّل من اتّخذهُ عندهم معاوية بن سفيان . قال ابن الطقطقي : « ابتكر معاوية اشياء لم يسبقهُ احد اليها منها انهُ وضع البريد لوصول الاخبار بسرعة » . وسار الخلفاء على ذلك . وفي قصَّة رواها الأتليدي (مجاني الادب ٢ : ١٨٩) انَّ بريد الرشيد كان يقطع المسافة بين دمشق وبغداد بستَّة ايَّام . وكذلك كان البريد يسير بين مصر ودمشق على طريق غزّة

فيقطع هذه المسافة في مدَّة لا تتجاوز الستين ساعة . وكان التراسل بين الحاضرتين في أيَّام الملك الظاهر بيبرس مرَّتين في الاسبوع والخيَّالة تبدل خيلها في نقط معلومة تبعد الواحدة عن الاخرى اربعة فراسخ

ولم تزل اعمال البريد تزيد انتظاماً وتحسُّناً حتى ايَّامنا هذه حيث بلغت في البلاد المتمدّنة كمالها . وكثيرًا ما تعقد الدول الكبرى مؤتمرات لسدّ ما يطرأ من الخلل على البريد . اشهرها مؤتمر بَرْن سنة ١٨٧٤ وفيهِ أُعلن بالاتحاد العام للبريد بين الدول فانضمَّت اغلب الحكومات الى معاهدة هذا المؤتمر حتى حكومتا العجم والهند . ومنذ ذاك الحين ترى اعمال البريد تترقَّى عاماً بعد عام فتزداد اتساعاً وانتظاماً وتسهيلاً لاسيَّما لنقل المراسلات التجاريَّة التي عليها الآن قوام النجاح وركن الترقي الحاضر في العالم المعمور

٢ القوافل

ومن اقدم اسباب التواصل البرّيَّة القوافل تُتَّخذ لنقل الغلأت والسلع ومرافق البلاد . واذا تصفَّحت تواريخ الشرق وجدت القوافل تتنقَّل بين اقاصي الامصار واطراف البلاد منذ بدء التمدُّن البشريّ لانَّ قوام التجارة انَّما كان منوطاً بهذه القوافل التي كانت تحمل محصولات الشرق الأقصى والهند وتركستان الى العجم فالعراق فالجزيرة فالشام فمصر لاسيَّما قبل ترقي فنّ الملاحة اذ لم يقوَ البشر على خوض البحار فانَّ القوافل كانت الواسطة الكبرى للمعاملات التجاريَّة تقطع البراري ذهاباً واياباً لا تني مع ما يتصدَّى لها من العوائق

وكان يترأس في الغالب هذه القوافل رجال اشدَّاء محنَّكون على الاسفار عارفون بالبلاد وطباع اهلها ولغاتهم ذوو مالٍ واسع يملكون عددًا وافرًا من النوق والبعران . وقد اشتهر في قيادة القوافل عرب البادية وبالخصوص الاسماعيليُّون كما يظهر من قصَّة يوسف الذي باعهُ اخوتهُ لقافلة منهم كانوا سائرين الى مصر بجمالهم المحمَّلة نكعةً وبلساناً ولاذناً (تكوين ٣٧ : ٢٥) . ويذكر سفر الملوك الثالث قوافل سليمان التي كانت تأتي الى اورشليم بمعادن اليمن ومرافق الجزيرة . وكان لهذه القوافل مراكز يحتلُّونها كانت لها بمثابة محطَّات تجاريَّة كقرقيسيا وحلب وتدمر (راجع مقالة الاب رنزفال في زينب او الزبَّاء ملكة تدمر . في المشرق ١ : ٤٩٨)

والقوافل لا تزال حتى يومنا هذا تؤدي للمجتمع الانساني الخدم الجمّة في البلاد التي لم تُمدّ فيها بعد الاسلاك الحديديّة كمجاهل افريقية وصحاري المغرب ومفازات ما بين النهرين واقفار جزيرة العرب وبوادي الشام والاناضول وذلك ريثما يقوم البخار مقام الجمال والدوابّ فيغلبها بسرعتهِ ورخص اسعار نقلهِ

٣ العَجلات والدرّاجات

لمّا ترقّى الانسان في معارج المدنيّة ورأى ما في التواصل من الفوائد العظمى بحث لهُ عن وسائل أُخرى لتسهيل معاملاتهِ وسرعة انتقالهِ من بلدٍ الى آخر فدلّهُ عقلهُ الوقّاد على الدواليب وحركتها السريعة اذا ما دارت على ارضٍ سويّة فوثّر لذلك الطرق واجال عليها العجلات تجري بها الخيل المطهّمة. وقد جاء ذكر العجلات واوصافها وتصاويرها بين آثار المصريّين التي ترتقي الى نحو اربعة آلاف سنة قبل المسيح. وكذلك عرفها البابليّون وكانوا يتّخذونها لحروبهم. وفي سفر التكوين انّ يعقوب نزل الى مصر راكباً على العَجَل التي بعث بها فرعون لتحملهُ هو ونسلهُ (تكوين ٤٦ : ٦). وكان للعجلات في كل آن مقام عظيم بين الشعوب المتمدّنة لمنافعها الوافرة التي لم تفقدها حتى يومنا مع كثرة الاختراعات التي زاحمتها. ومن هذه العجلات ما يجرّهُ الدوابّ المعروفة ومنها ما يسيّرهُ الكلاب وفي البلاد الشماليّة اشكال تربّى لهذه الغاية وبالخصوص لسحب المزالج فوق الجليد. وكذلك ايائل الشمال المعروفة بالران (rennes)

وممّا يلحق بهذا الباب اختراع جديد فاز بنجاح كبير منذ بضعة اعوام وهو الدرّاجات التي يركبها الراكب فيحرّكها بقدميهِ ويجري بها جريًا سريعاً حتى انهُ يباري البخار نفسهُ. وقد انتبه ارباب الجيش الى منافع الدرّاجات فاتّخذوا لها قوماً من الجنود يركبونها في اوان الحرب فيجسّون اخبار العدوّ ويؤدون لجيشهم خدماً لا يقوم بها غيرهم الّا بالمشقّة كنقل الانباء البرقيّة ومساعدة الجرحى وغير ذلك

٤ القطار الحديدي

هو ابن اليوم وملك الغد لم يمضِ على اختراعهِ قرنٌ تامّ وتراهُ الآن يسير في اكثر البلدان تطنّ لصفيرهِ الآذان ويطرب لمنظرهِ الجنان اذ انّ استنباطهُ من اخطر الاعمال الانسانيّة وانفع الاختراعات العصريّة كيف لا وقد مهّد طرق المواصلات وقرّب الأقطار

النازحة ورفع عن كاهل الانسان وعاتق الحيوان ما كانا يكابدان في نقل الاحمال من شدَّة الأتعاب وطول الاسفار وضنك الاحوال وذلك بسرعة غريبة حتى انَّ البعض قدَّروا بانَّ السكَّة الحديديَّة يمكنها ان تطوف حول كرتنا الارضيَّة باحد وعشرين يوماً ولو اقتضى لساعٍ ان يقوم بذلك ماشياً على قدميهِ مشياً متواصلاً لَما قطع هذه المسافة باقل من احد عشر شهراً

وقد انتشرت خطوط السكك الحديديَّة في العالم انتشاراً عظيماً ويؤخذ من تقويم سنة ١٩٠٠ انَّ مجموع الخطوط المنتشرة على الارض بلغ ٧٩٤,٠٠٠ كيلومتر. وأملنا وطيد بانَّ بلادنا تنال منها حظًا وافيًا بامتداد الخطّ البغدادي الذي بوشر بهِ مؤخرًا وبالخطَّين الحجازي والحيفوي اللذين يُعدَّان من اعظم آثار الذات الشاهانيَّة أيدها الله

والى السكك الحديديَّة تُعهد اليوم منقولات البريد وسلع التجارة لا يُخاف عليها نيران الشمس الحارقة ولا ثلوج الجبال الشاهقة فضلًا عن كونها في مأمن من اللصوص وكثيرٍ من آفات الدهر

ويلحق بالقطار الحديديّ مراكب الاوتوموبيل التي افرد لها المشرق مقالةً خصوصيَّة فعليك بها (المشرق ٣:٢٣ — ٢٧)

التراسل المائي

١ النارجيل وجلد الحيوان والصناديق

ما عتم الانسان ان وجد في الماء مساعدًا على نقل اخبارهِ واسباب تواصلهِ بني جنسهِ. قيل ان الهنود كانوا اذا ارادوا ان يرسلوا خبرًا الى بلد يعمدون الى النارجيل (الجوز الهندي) فيجعلون ضمنهُ كتبهم ويسدُّونهُ سدًّا محكمًا ثم يلقونهُ في الانهار فيسير بهِ الماء حتى يدرك حواجز مرصودة لهُ فهناك يلتقطهُ مراقبوهُ فيأخذونهُ ويبلّغونهُ اربابهُ بختمهِ. يُحكى عن الاسكندر انهُ وجد على انهار الهند شيئًا من هذه الرسائل فلم يدرك سرَّها حتى اطلعهُ على مضمونها احد قوادهِ المشهورين بالذكاء فكسر نارجيلةً منها امامهُ بحضرة جنودهِ فاراهُ ما تحتوي من الرسائل

وكان التراسل المائي شائعًا عند القرطجنيين الَّا انهم كانوا يتخذون لذلك جلود

الحيوان فينفخونها ويجعلون في جوفها رسائلهم ويلقونها في الانهر فتطوف على وجه الماء وتسير مدفوعةً بالتيّار

وحكى بلينيوس المؤرخ انَّ الرومان ايضاً اخترعوا طرقاً شتّى للتراسل المائي فاستغنوا بذلك عن البريد. وكان غيرهم من الشعوب يتخذون صناديق محكمة القفل ويثقلونها باثقال معلومة بحيث لا ترسب فتُفقد ولا تطوف على وجه الماء فتقع في ايدي الغرباء. فكانت هذه الصناديق تسير في مجرى الانهار حتى تُدرك السدود فينقلها المراقبون الى اصحابها

٢ الأطواف

ثم حاول الانسان ان يركب هو متن العباب لينتقل محمولًا فوقهُ من بلدٍ الى آخر. والمرجَّح انَّهُ باشر اوَّلًا الامر بالاطواف (الكلك) وهي عبارة عن قِرَب يُنفخ فيها ويُشدّ بعضُها الى بعض فتصير على هيئة السطح وكثيرًا ما يُجعل فوقها الخشب وتُعبّى عليها الأثقال فتجري المياه بها وبمن عليها من الركاب وربَّما استعانوا بالمقاذيف لتعجيل سيرها وتنظيمهِ. وفي تصاوير خرساباذ ترى قوماً من العرب ينفخون القِرَب ليطوفوا عليها وهذه الصور يتجاوز عهدها ثلاثة آلاف سنة وفي ذلك دليل على قدم استعمالها. وهي اليوم تُتَّخذ كما في سابق الزمان فينحدر اهل العراق راكبين الطوف من دياربكر الى الموصل الى بغداد الى البصرة واذا بلغوا حيث شاؤوا فكُّوا الاطواف وباعوا الاخشاب واخذوا القِرَب فحمَّلوها الجمال ورجعوا بها الى بلدهم

٣ المراكب

غير انَّ بني آدم لم يكتفوا بالاطواف وهي لا تفي بحاجتهم الَّا في بعض الاحوال ولذلك اصطنعوا لهم الزوارق والقوارب وجعلوا لها المقاذيف وانتقلوا من مدينة الى اخرى تابعين سواحل المدن البحريَّة. ثم زادت ثقتهم بنفسهم فكبَّروا القوارب واتَّخذوا المراكب الشراعيَّة فساروا الى البلاد المجاورة ثمَّ خاضوا معامع اليمّ واستعانوا في سيرهم بنواميس الكواكب الى ان ارشدهم الله الى سرّ الابرة المغناطيسيَّة فلم يخافوا ان يوسّعوا نطاق اسفارهم حتى بلغوا اقاصي المعمور واكتشفوا عالماً جديدًا على يد خريستوف كولمبوس الاسباني سنة ١٤٩٢

وكان للفينيقيين ومواطنيهم في ترقي الملاحة اليد الطولى وقد جاء ذكر سفنهم في كتابات يرتقي عهدها الى الفي سنة قبل المسيح وفي المشرق (١: ٢١٧) نبذة طيّبة للاب دي كوپيه اليسوعي في تاريخ الملاحة الشرقية نحيل اليها القرّاء اظهر فيها الكاتب البارع ما كان لشعوب الشرق عموماً وللفينيقيين خصوصاً من الفضل في فنّ الملاحة وكان لهم عمائر بحريّة يلتجئ اليها فراعنة مصر لمحاربة اعدائهم ورد ذكرها في رسائل تل العمارنة في القرن الخامس عشر قبل المسيح

ثم جاء اليونان والرومان والعرب ثم اهل البرتغال والاسبانيّون ثم الهولنديّون والفرنسيّون والانكليز وكان كلٌّ منهم يخطو خطوةً في تحسين السفن الشراعيّة حتى امكن ماجيلان ان يطوف حول الكرة الارضيّة بمركبهِ سنة ١٥١٩. وفي سنة ١٧٨٣ اخذوا يصفّحون المراكب بالنحاس بدلًا من الرصاص فزادت المراكب خفّةً ومتانةً

وكان ملّاحو السفن يقومون بحاجات العامّة فينقلون بلاغاتهم ورسائلهم وذلك جزاء اجور باهظة كانوا يتقاضونها كما يشاؤون وكثيرًا ما كانت مدّة اسفارهم تطول شهورًا بل سنين من جرّاء الانواء ومعاكسة الرياح حتى تضيع الفائدة المقصودة من التراسل

ولمّا كانت سنة ١٨٠٧ دخلت الملاحة في طور جديد باكتشاف جمس واط السكوتلندي الآلةَ البخاريّة فسارت السفن يدفعها البخار الى اقاصي البلاد تسير سيرًا منتظمًا بسرعة تزيد يومًا بعد يوم حتى صارت المراكب البخاريّة تقطع حالًا المسافة بين ليڤربول ونيويرك باقل من خمسة ايّام

وخدمة السفن التجاريّة للتواصل والتراسل مشهورة فانّها لا تنقل فقط البضائع ومحصولات البلاد بل تنقل البريد والرسائل بانتظام عجيب لاسيّما بعد معاهدة البريد بين الدول سنة ١٨٧٤ كما مرَّ خبر ذلك سابقًا فاتّفقت الحكومات مع الشركات الخصوصيّة وعهدت اليها نقل المراسلات وكلَّ اعمال البريد

التراسل الهوائي

١ الاصوات والابواق والطبول

انَّ البرّ والماء من اسباب التواصل العظيمة الّا انّهما لا يُقطعان الّا بالمشقّة

والتعب فينبغي لمن كان وصلةً بين المتراسلين ان ينتقــل من محلٍّ الى آخر. وقد سعى البشر بان يسدُّوا هــذا الخلل بالتراسل الهوائي. واوَّل ما فكَّروا فيهِ لذلك الاصوات البشريَّة فكانوا يقيمون رجالًا على قمم الجبال يلقون بالاصوات الصارخة فيتلقَّاها الواحد من الآخر حتى ينتهي الامر المقصود الى اصحاب المركز الاخير. وقد شاع ذلك في قرانا على مشارف لبنان فان اهلهُ يتناقلون الاخبار من قرية الى أُخرى بوقت قريب اذا ارادوا

وقد اتَّخذ بعض الشعوب النفير والابواق لاعلان الامور وحشد القوم. وهكذا كان يفعل بنو اسرائيل فانَّ موسى النبي عهد الى فئة منهم بان يدقُّوا الابواق ليؤذنوا ببعض الامور الخطيرة كالاعياد واليوبيل والحرب الى غير ذلك. ولا يزال النفير يستعمل حتى يومنــا بين الجنود وعلى السُّفن الحربيَّة. وكذا قل عن الطبول فانَّها كانت من ادوات الإنذار لاسيَّما في الامكنة القريبة

ومن الاصوات المستحدثة لنشر بعض الاخبار والاشارة الى امور معهودة اطلاق المدافع كما يجري في عرض البحار عند اليأس الشديد وطلب النجدة. ومثلهُ قرع الاجراس في المدن الكبرى عند الحريق او الانذار بخطر. وكذلك الصفير البخاري كما في القطارات الحديديَّة والسفن

٢ الرايات والاعلام

ومن العلامات الهوائيَّــة للتراسل وتبليغ الأنباء الرايات والأعلام تُنصب في الامكنة العالية بحيث يطَّلع عليها من يرصدها فهذه الرايات تدلُّ بالوانها الناصعة على امور اصطلح عليها القوم فاذا نُشرت ادرك النــاس معناها فتنبَّهوا لاسرارها. وقد أَلِف ارباب السُّفن هذه العادة فتراهم يعلنون لمن بَعُــد عنهم امورًا كثيرة بواسطة هذه الرايات والوانها وكيفيَّة وضعها

وقد استعاض غيرهم عن الرايات باعلام خشبيَّة فيهــا شبه اليدَين تتحرَّكان بسرعة بواسطة مفتاح وتدلّان بحركاتهما على امور شتَّى وربَّما تعدَّدت هذه الاشارات حتى امكن الدلالة بها على حروف الهجاء وتركيب الجمل. ويُرى مثــل هذه الاعلام حتى يومنا في بعض جبال فرنسة وانكلترة وسويسرة. وهي تقام عند محطَّات السكك الحديديَّة وفي البوارج الحربيَّة وغيرها

٣ النيران

ان الرايات السابق ذكرها لا تصلح الّا للنهار اما الليــل فقد عمد القدماء الى النار فكانوا اذا شاؤوا ابلاغ حادثٍ من بلد الى آخر يضرمون النيران على الروابي واعالي الجبال وكان الاهلون يقابلونهم بالمثل من الجهة الموازية فتحصل بذلك الفائدة المقصودة وتُعرف الاخبار بزمن قريب بين المسافات البعيــدة. وهذه النيران قد كثر استعمالها عند الامم القديمة كالاشوريين والفرس واليونان والرومان. وكان للعرب نيران مثل هذه يتراسلون بها منها نار الأُهبة كانوا يوقدونها على جبالهم اذا ارادوا حربًا او توقَّعوا امرًا فيبلّغون الخبر بذلك. ومنها نار القرى او الضيافة توقد على رؤوس الآكام ليراها الضيوف عن بُعد فيقدمون الى بيوت الكرماء. ومما اخبر بهِ صاحب تاريخ بيروت (ص ٦٠) انَّ في ايَّام السلاطين العظام كانوا « قرَّروا اعلامًا ناريَّة تصل الى دمشق في ليلة فكانوا يشعلونها من ظاهر بيروت فتجاوبها نار في رأس بيروت العتيقة ومنهُ الى جبل بوارش ومنهُ الى جبل يبوس ومنهُ الى جبل الصالحيَّة ومنهُ الى قلعة دمشق »

٤ حمام الزاجل

حمام الزاجل او الزجَّال هو حمام البطاقة وحمام الرسائل من قولهم زجلهُ اذا ارسلهُ على بُعد وهو من الوسائل التي شاع استعمالها في الشرق للتراسل بين البلاد البعيــدة. وذلك من عهــد قديم. وقد اخبرت التوراة انَّ نوحًا اطلق الحمامة من فلكهِ دفعتين فعادت اليــهِ وفي فيها غصن الزيتون استدلَّ بهِ على انتهاء الطوفان

وقيل انَّ الرومان اوَّل من سبق واتَّخذ الحمام الزاجل لنقل الرسائل فكانوا يأتون بهِ الى رومة عند مجيئهم لحضور حفلات سباق العجلات ثم يصبغونهُ بالوان تشير الى الاحزاب الرابحة او الخاسرة في الرهان ويطلقونهُ فيعود بسرعة عجيبة الى ابراجهِ حيث كان القوم ينتظرونهُ ليقفوا بذلك على الرابحين

وجاء في تاريخ الرومان انَّ القائد انطونيوس سنة ٤٣ قبل الميلاد في اثناء حصار مدينة مودينه ارسل الى واليها رسالةً علّقها في عنق حمامةٍ فاعادها الوالي وحمّلها رسالة الجواب

ويؤخذ من اقوال بلينيوس المؤرخ انَّ الحمام كان يُتَّخذ منــذ زمن قديم لنقل الرسائل . وجاء ذكرهُ ايضاً عند اليونان في العابهم المعروفة بالاولمبيَّة

ولم يُعنَ احد بحمام الزاجل عناية العرب بهِ فانهم طالما استعملوهُ في حروبهم منذ ايَّام بني اميَّة ثم استخدمهُ الخلفاء من بني العبَّاس ثم السلاطين العظام منهم السلطان سليمان خان الغازي فانهُ كان مولعاً بهِ وقد نظَّمهُ لنقل الرسائل بين دار السلطنة واطراف دولته

وممَّن اشتهر باتخاذ حمائم الرسائل السلطان نور الدين الشهير . اخبر ابن كثير في تاريخهِ انهُ لمَّا رأى امتداد مملكتهِ واتساعها من حدّ النوبة الى همدان اتَّخذ سنة ٥٦٧ (١١٧٢) قلعــةً وحبس الحمام . فشاع مذ ذاك الحين عن حمام الزاجل من حسن الترتيب بنقل التراسل والسير على خطَّة الانتظام بين مصر والشام ما اكثر من وصفهِ الكتَّاب . واتُّخذت لهذا الحمام ابراج خصوصيَّة يبعد كلٌّ برج عن الآخر اثنا عشر ميلاً وعيّن لهُ عمَّالاً وحرَّاساً يراقبون حركاتهِ وطرق سيرهِ وكان التراسل يتمُّ بغاية الضبط والدقة بين الاسكندريَّة والقاهرة ودمياط وغزَّة والكرك والقدس ودمشق وبيروت (راجع تاريخ بيروت ص ٦٠) وحلب حتى الفرات وقد جاء في كتاب حسن المحاضرة للسيوطي (٢ : ١٦٩) فصل في هذا الشأن آثرنا نقلهُ لما فيهِ من الفوائد قال :

وفي سنة ٥٩١ (١١٩٥) اعتنى الخليفة الناصر لدين الله بحمام البطاقة اعتنــاء زائداً حتى صار يكتب بانساب الطير الحاضر انهُ من ولد الطير الفلاني وقيل انهُ بيع بالف دينار . وقد الف القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر في امور هذه الحمام كتاباً سمَّاه تمام الحمام (ويروى تمائم الحمائم) وذكر فيهِ فصلًا فيما ينبغي ان يفعلهُ المنطِّق وما جرت العادة بهِ في ذلك فقال : كان الجاري به العادة انها لا تحمل البطاقة الَّا في جناحها لامور منها حفظها من المطر ولقوَّة الجناح والواجب انهُ اذا انطلق من مصر لا يُطلق الَّا من امكنة معلومة فاذا سُرّحت الى الاسكندريَّة فلا تُسرَّح الَّا من منية عقبة بالجيزة والى الشرقية . فمن مسجد التبن ظاهر القاهرة . والى دمياط فمن بيسُوس بشط بحر منجى . والذي استقرت قواعد الملك عليهِ ان طائر البطاقة لا يلهو الملك عنهُ ولا يغفل ولا يمهل لحظة واحدة فيفوت مهمَّات لا تستدرك امَّا من واصلٍ وامَّا من هاربٍ وامَّا من متجدد في الثغور . ولا يقطع البطــاقة من الحمام الَّا السلطان بيده من غير واسطة احد فان كان يأكل لا يمهل حتى يفرغ وان كان نائماً لا يمهل حتى يستيقظ بل ينبَّه . وينبغي ان يكتب البطائق في ورق الطير المعروف بذلك . (قال) ورأيت الاوائل لا يكتبون في اوائلها بسملة . (قال) وانا ما كتبتها قط الَّا بسملة للبركة . وتؤرخ بالساعة واليوم لا بالسنين وينبغي ان لا يكثر في نعوت المخاطب فيها ولا يذكر في البطائق حشو الالفاظ ولا يكتب الَّا لبّ الكلام وزبدته ولا بد ان يكتب شرح الطائر ورفيقه ان كانا طائرين قد سُرّحا حتى ان تأخر الواحد رقب حضوره او بطلق لئــلَّا يكون قد وقع في

برج من ابراج المدينة. ولا يعمل للبطائق هامش وجرت العادة بان يُكتب في آخرها «وحسبنا ونعم الوكيل» . . . وذلك حفظ لها. (قال) وانَّ عدد الحمام المستعمل للرسائل بلغ في اخر جمادى الآخرة من سنة ٦٨٧ (١٢٨٩) الفًا وتسعمائة طائر وكان بالقلعة في مصر عدَّة من المقدمين لكل مقدم منهم جزء معلوم وكانت الطيور المذكورة لا تبرح في الابراج بالقلعة ما عدا طائفة منها فانَّها في برجٍ بالبرقية خارج القاهرة يُعرف ببرج الفيوم رتَّبهُ الامير فخر الدين عثمان بن قزل استادار الملك الكامل محمَّد ابن الملك العادل بن بكر بن ايُّوب وكانت البطائق ترد اليهِ من الفيوم ويبعثها من القاهرة الى الفيوم من هذا البرج وكان في كل مركز حمام في سائر نواحي المملكة مصرًا وشامًا . . . وفيها يقول ابو محمد احمد بن علوي بن ابي المقال القيرواني :

خضرٌ تفوت الريح في طيرانها يا بُعد بين غدوّها ورواحها
تاتي باخبار الغدوّ عشيَّةً لمسير شهرٍ تحت ريش جناحها
وكانّما الروح الامين بوحيهِ نفث الهداية منهُ في ارواحها

وقال الدميري (١ : ٢٩١) في وصفهِ :

ومن طبع هذا الحمام انهُ يطلب وكرهُ ولو أُرسل من الف فرسخ و يحمل الاخبار ويأتي بها من البلاد البعيدة في المدة القريبة. ومنهُ ما يقطع ثلاثة الاف فرسخ في يوم واحد وربَّما اصطيد وغاب عن وطنهِ عشر حججٍ فاكثر فيبقى على ثبات عقلهِ وقوَّة حفظهِ ونزوعهِ الى وطنهِ حتى يجد فرصةً فيطير اليهِ

امَّا الفرنج فانَّهم لم يعرفوا فضل الحمام الزاجل قبل دخولهم البلاد الشرقية في القرن الحادي عشر وكانت حمامة بطاقيَّة وقعت في خيامهم صدفةً فرأوا معها كتبًا الى العدوّ. ولم يشع بينهم استعمالها الّا في القرن السابق فانَّ في سنة ١٨٤٠ انشأت شركة هافاس بين لندن وبروكسل وباريس ابراجًا لحمام الرسائل فكان الحمام يقطع المسافة بين لندن وباريس في ٦ ساعات وقد ادَّى الحمام خدمات جليلة للصحافة ولم يُهمل الّا عند انتشار التلغراف

وقد استعملت الحكومة الفرنسويَّة حمام البطاق في حربها مع بروسية كما ورد ذلك في المشرق (٥ : ١٠٢٧). وكذلك قد استخدمتهُ المانية واعتنت بتربيتهِ وانشأت لهُ ابراجًا على حدودها في قلاع متس وسترسبورغ وغيرهما وعلى دوارعها الحربيَّة. قيل انَّ مجموع ما انفقت الحربيَّة الالمانيَّة لذلك الى غاية سنة ١٨٨٩ خمسة واربعين الف فرنك. وفرنسة تهتمّ اليوم في انشاء ابراج للحمام الساعي لنقل الاخبار بين الجزائر وطولون وكذلك بين وهران واملاكها في داخل افريقية



صورة حمامة من افضل اجناس حمام الزاجل (مصوَّرة عن الاصل)

واشهر الحمام المستعمل عند العرب للرسائل الحمام المطوَّق العراقي الابيض العنق ومنهُ اشكال أُخرى ايضاً. وربَّما استُعمل الحمام للسباق والرهان في بعض البلاد. وفي بلجكا يُقام سنويًّا معرض لهذا السباق والحكومة تكافئ اصحاب الحمام السابق بجائزة سنيَّة. وفي بلادنا ايضاً قوم مولعون بتربية الحمام نخصّ منهم بالذكر اهل حلب ولهم في ذلك شهرة. وهم يبتاعون الحمام من كلّتين وفيها صنفٌ جيّد من الحمام قيل انهُ من نسل الحمام المصريّ الغالي الثمن الذي كان في ايَّام الخلفاء والله اعلم

٥ المنطاد

هو المركبة الجويَّة او البالون وقد وصف المشرق غير مرَّة تاريخهُ ومخترعيهِ وترقيهُ وانواعهُ فنكتفي هنا بالاشارة (راجع المشرق ١: ٣١٨ و ٦٠٤ ثم ٢: ٣٨١ و ٨٧٩ ثم ٤: ١٠٩ و ٩٥٧ ثم ٦: ٦٢٣) وما يسعنا هنا قولهُ انَّ المنطاد لا يلبث ان يدخل قريباً في سلك الوسائل النظاميَّة لنقل الاخبار بين بلد وبلد ولا غرو انهُ يزاحم بعد قليل القطارات الحديديَّة والمراكب البحريَّة ويغلبها بسرعتهِ وقلَّة نفقاتهِ وكل آتٍ قريب

هذا نظر عموميّ في اخصّ وسائل التراسل والمواصلات التي استعملها البشر منذ

الزمن القديم الى عهدنا . وقد بقي علينا ان نذكر التراسل الكهربائي وطرائقهُ الَّا انَّ هذا يقتضي فصلًا مطوَّلًا نؤجلهُ الى فرصة اخرى

الحلواء

نبذة للدكتور بطرس كيك مدرس فنّ الصيدلي في مكتبنا الطبيّ وللاب لويس شيخو اليسوعيّ

قرأنا في احد اعداد مجلّة الطبيعة الفرنسويَّة (La Nature, 23 Mai 1903, p.398) فصلًا لبعض منشئي هذه المجلّة تحت عنوان « طعام عربيّ » مدارهُ على الحلواء وقد زعم الكاتب « انَّ هذا الطعام قد تفرَّد بهِ اهل جزيرة العرب وخصوصاً اهل الجنوب منها واهل عمان وجهات مسقط فيصنعونهُ دون غيرهم ويقتاتون بهِ » وهو لعمري قول شطط رماهُ صاحبهُ على عواهنهِ دون ان يتحقَّق صوابهُ . فان كل من سكنوا الشرق يعلمون بان الحلواء قوتٌ شائع في معظم البلاد الشرقيَّة كالعجم والعراق والجزيرة والشام ومصر واليمن . وقد انتهزنا هذه الفرصة لنبحث عن تاريخ الحلواء وتركيبها وخواصّها

❁ اسمها ❁ الحلواء لغةً كل طعام حلوٍ تدخل في تركيبهِ الصنعة . وقد ورد ذكر الحلواء بهذا المعنى الواسع في كتب العرب الراقية الى زمن الخلفاء الاوَّلين . فيريدون بهِ مصنوعات السكَّر او العسل مع السَّمن والاقط والسميذ كالفالوذج والقطائف وما شاكلها (راجع فقه اللغة ص ٣١٧) . وقد تصرَّفوا باسم الحلواء فقالوا حَلوا وحَلوى بالقصر وجمعوها على حَلاوى . وقالوا حُلوى على وزن فُعلى مع جمعها على حُلوَيات . وقالت العامَّة حَلاوة فشاع هذا الاسم حتى ورد على هذه الصورة في كتب الائمة واصحاب اللغة وجمعوهُ على حلاوات قال الادريسي في وصف دمشق (راجع مجاني الادب ١ : ٢٠٠) : امَّا الحلاوات فبها منها ما لا يوجد بغيرها ولا يوصف كثرةً وطيبًا وجودةً

على انَّ هذا الاسم الجنسيّ كثيرًا ما يُطلق على طعام خاصّ قائم بذاتهِ يركَّب على طريقة معلومة مع اختلاف في الكم والكيف . وقد وردت بهذا المعنى في اخبار العرب عن ملوك الفرس اذ يعدّدون مآكلهم فيجعلون الحلواء بينها مع اللوزينج والفالوذج

وما شاكلهما فبذكرهم الحلواء مع هذه الأقوات دلّوا على انّهم يعنون بهِ مأكلًا خصوصيًّا. وهكذا جاءت بهذا المعنى الخاص في المسعوديّ (طبعة باريس ٥ :١٠٢) في جملة اخبار سليمان بن عبد الملك احد خلفاء بني امية. وفي اخبار الرشيد (٦ :٣٠٦) وروى عن المكتفي (٨ :٢٢٦) انّ « وظيفتهُ كانت عشرة الوان في كلّ يوم وجَدي في كل جمعة وثلاث جامات حلواء »

﴿ تعريفها ﴾ ولكن ان ثبت ان الحلواء طعام خصوصيّ ترى ما هو هذا الطعام. فان طلبنا في معاجم اللغة لفظة الحلواء لا نجد في شرح مادّتها سوى انها « فاكهة حلوة » وهو تعريف لا يشفي غليلًا. وقد ورد ذكر الحلواء في الحديث قال المحدّثون انّما يراد بها الخبيص وهو التمر يُلبَك باللبن. وجاء عن ابي عُبيدة انّ العرب تقول: « كلُّ طعام لا حلواء فيهِ فهو خداج اي ناقص غير تامّ ». وذكر الصابئ في تاريخ الوزراء (راجع المشرق ٦ :٦٥١) انّ في مطابخ الوزير ابي الحسن بن الفرات « قومًا كانوا يعملون الحلواء عملًا متّصلًا ». وجاء في قانون ابن سينا في كلامهِ عن حصاة المثانة « انّ الحلواء ممّا يولّد هذه الحصاة »

وكل هذه الأقوال لا تدلُّ على كُنه الحلواء مع دلالتها على انّها طعام معروف مستقل بنفسهِ. وجاء في الفصل السابع عشر من كتاب منافع الاغذية ودفع مضارّها للرازي (ص ٥٠) انّ من الحلواء « ما يُتّخذ من النشا ودقيق الحوارى ». ثم خصّص الفصل الثامن عشر من كتابهِ بالحلواء. وقسم الفصل قسمين ذكر في الاوّل الحلواء مجملًا ثم وصف ضروبها تفصيلًا في الثاني. وقد جعل في عداد الحلواء الفالوذج والخبيص والعصيدة واللوزينج والقطائف والزلابيّة والخشكانك والشاهدانك والناطف وغير ذلك من الاطعمة المختلفة التركيب. وفي الجزء الثاني من مطالع البدور في منازل السرور لعلاء الدين علي الغرولي فصل في الحلواء (ص ٧٩) يجعلها مرادفًا للفالوذج وقد عرّف الفالوذج بقولهِ انهُ لباب البرّ يلبك مع العسل ثم يذكر ان العرب في الجاهليّة اخذوها عن الفرس. وفي تاريخ الفخري لابن طقطقى في اخبار الوزير مؤيد الدين القُمّي (راجع مجاني الادب ٢ :٧٣) ذكر « الحلاوة » واضافها الى النبات فقال ان هذا الوزير امر بان يُحمل منها صحون كثيرة للفقراء ليذخرها لهُ الى يوم القيامة

فهذه كلها شواهد لا تعرّف الحلاوى وتركيبها كما هي معروفة اليوم. وعندنا ان

اوَّل من بيَّن خواصّها وانواعها نجم الدين محمود بن ضيـاء الدين الياس الشيرازي من اطبَّاء القرن الثالث عشر للميلاد في المقالة الخامسة من كتاب الحاوي (١ حيث قال في الباب التاسع والاربعين: « الحلاوى كلُّها حارّ يابس واعدلها ما اتُّخذ بالسكَّر واشدُّها حرارة ما عُمل بالعسل. والمتَّخذ بالنشا اغاظ واسرع واكثر تولدًا للسـدد وابطأ انهضامًا والمعمول بالسكَّر والعسل اصلح خاصّية اذا لم يقع فيهِ لبوب دسمة واجود اللبوب للحلو اللوز لجلائهِ وتفتيحهِ للسُّدَد ولانهُ لا يسخّن كثيرًا »

ثم الحق قولهُ هذا بثماني وصفات لعمل الحلواء سبعٌ منها بالسكَّر نثبتها هنا للافادة:

١ * حلواء يابسة سكريَّة * يقوّي الدماغ وينفع الناقهين ويسمن بسرعة. (وصفتهُ) يؤخذ من السكَّر منّ ويصبّ عليهِ ماء ربع رطل (٢ ويُحلّ ويوقد تحتهُ نار هادية حتى يصير منعقدًا بحيث اذا أُخذ منهُ شيء في الفم او في الماء كان علكًا ثم يُرفع ويُطرح على حجر ويُعجن معهُ اللوز المقشر المرضوض قدر اوقيتين ويبسط فاذا جفَّ يُرفع

٢ * حلواء أُخرى * يقوي الكلية ويغذو كثيرًا. (وصفتهُ) يؤخذ رطلان من الشيرج او السمن الطري الطيب الرائحة ويغلى ثم يلقى عليهِ رطل ونصف من دقيق السميذ ويُغلى فيهِ ويصبّ عليهِ رطل من الماء ودرهم من الزعفران ويداف بماء من ماء ورد وثلاثة ارطال من العسل الشهد في موضع واحد ويحرَّك باسطام نظيف الى ان يطلق الدهن ثم يلقى عليهِ في هـذا الوقت كفّ من الخشخاش المنقَّى وعشرون درهمًا من لبّ الفستق المقشر ثم يحرّك ويغرف على جام قد نُثر عليـهِ سكر وينثر على وجهه ايضًا

٣ * حاوا أُخرى * يسمّن البدن ويقوّي الدماغ والكلى. (وصفتهُ) يؤخذ لبّ الخبز السميذ ويُفرك كالفتيت ويُلقى في طنجير ويصب عليهِ دهن الحلّ ويحرك على النـار باسطام ولتكن النار هادية كالسراج ثم يُطرح فيهِ من السكر الابيض المنخول مثـل الخبز ويحرَّك وينزَّل عن النار بطنثهِ قبل ان ينعقد ويغرف

٤ * حلوا أُخرى * ينذو كثيرًا ويقوي الكلية. (وصفتهُ) يؤخذ طنجير نظيفة فيُصب فيها ثلاثة ارطال من الماء وعشرة دراهم من ماء الورد ورطل من دهن الحلّ ويُغلى ويُذرّ عليهِ دقيق السميذ رطلان ويحرّك حتى يجمد ثم يُلقى عليهِ اربعة ارطال من السكر الابيض المسحوق ويحرَّك حتى ينضج وينعقد ثم يُنزل عن النار ويُغرف

---

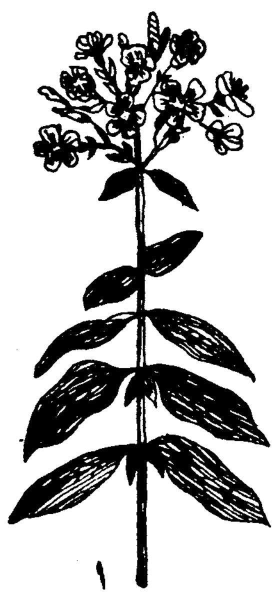
١) راجع الصفحة ٢٢٤ من هذه المقـالة التي نشرها حديثًا في بيروت الدكتور كُيك مع الترجمة الفرنسية نقلًا عن النسخة المخطوطة المصونة في مكتبة القديس يوسف الشرقية

٢) المنّ كان يساوي قديمًا ٧٩٤ غرامًا و٥٢ سنتيغرامًا. وكان وزن الرطـل ٣٩٧ غ و٢٦ س. امَّا الاوقيَّة فكانت ٣٣ غ بنيف قليل

٥ * حلواء لا دقيق لها * وهي نافعة لاصحاب الامزجة الباردة . (وصفتهُ) يؤْخذ من اللوز المقشَّر بعد ان يُذاق لئلَّا يقع فيهِ لوز مرّ ويُدقّ ناعماً وينخل ويفرك ويؤْخذ طنجير نظيف ويلقى عليهِ من السكر الابيض ثلثة ارطال ومن ماء الورد ثلث اواق ويحرَّك حتى ينضج ويغرف وينثر عليهِ سكر مسحوق مقدار رطل

٦ * حلواء اخرى * يقوّي المعدة ويغذو كثيراً . (وصفتهُ) يؤْخذ نشا رطل ويداف في الماء ويصفّى بالمنخل ويذاب السكر بالماء ورد ويصب عليهِ في الطنجير ويحرَّك حتى ينعقد ويسقى بالدهن قليلًا وينبغي ان تكون النار هادية لئلَّا يحمرّ ويذهب بياضه

٧ * حلواء الحَلَق * (وصفتهُ) يُدقّ اللوز والسكر ناعماً ويطيب بالمسك وشيء يسير من الكافور فيعمل منهُ حَلَق حتى يجتمع ثم يُطرح في عجين الزُّلابية ويغرف حتى يلبس منهُ قميصاً ثم يطرح في المِقْلى ويُقلى في الدهن الكثير الذي يغمره حتى يحمر ويقلب فيهِ ثم يخرج ويلقى في العسل





الشكل ١ . شجرة شلش الحلاوة . الشكل ٢ . شجرة السمسم

﴿ الحلواء الشائعة في عهدنا واصطناعها ﴾ تبيَّن لك من الوصفات السابقة انَّ الحلواء الشائعة في ايَّامنا كانت معروفةً على عهد نجم الدين الشيرازيّ وان تعددت طرق

تهيئتها ومركّباتها · على انّ الحلواء في عهدنا ليست على طريقة واحدة فتراها تختلف على اختلاف البلاد فان حلواء اليمن (١ ليست كحلواء العراق وليست حلواء العراق كحلواء الجزيرة او بلاد الشام بل ترى في القطر الواحد تعدُّد الطرائق في استحضار الحلواء · فان حلواء الشام تختلف عن حلواء حلب وحلواء بيروت · وربّما استُحضرت الحلواء على اشكال مختلفة في البلد الواحد فيتخذونها من الجزر او اليقطين ويخلطونها بالجوز او اللوز او السمسم الى غير ذلك فتتعدَّد انواعها

وانّنا نكتفي هنا بوصف الحلواء السكَّريّة التي يغلب عليها اسم الحلواء ويدعونها ايضاً بين العامة «حلاوة بالطحينة» فنقول:

انَّ من يدخل احدى حوانيت باعة الحلاوة يجد اولًا في واجهة الدكان الواحاً من الرخام يُجعل عليها اقراص الحلاوة فتُقطَّع على حسب طلب المشترين · وهذه الاقراص صفراء اللون ضاربة الى الرمدة يسهل تقسيمها الى طبقات غير متساوية ليفيّة الشكل ترى بينها عروق السكر بعد دوفهِ على شبه خيوط مستطيلة · وتكون الحلاوة في الشتاء جامدة صلبةً · امّا وقت الصيف فتكون لزجةً تتقطَّر منها دهنيَّة الطحينة · وطعم الحلاوة حلوٌ فيهِ شيء من طعم الزيت · والفرنج يستغربون طعمها اذا ذاقوها لاوَّل دفعةٍ لكنَّهم لا يلبثون ان يستطعموا اكلها ويستطيبوها

دعنا الآن ندخل الى داخل المكان حيث تُصطنع الحلواء لنقف على طريقة استحضارها فترى على الجانب الايمن معصرة وهي عبارة عن حجارة رحى قطرها من متر و٨٠ سنتيمترًا الى مترين يديرها فرس افقيًا على حجر اخر ثابت تحتهُ فيهِ جدول وفي وسط الحجر الاعلى ثقب يُجعل فيهِ السمسم بعد نقعهِ وتقشيرهِ وتحميصهِ فينعَم بالطَّحن ويصير على شكل مائع يُدعى بالطحينة وهذه الطحينة تصلح لمآكل عديدة منها الطعام المعروف «بالحمّص بالطحينة» · ثم يسيل المائع من الجدول الى اوعية فيُتَّخذ للحلاوة على حالتهِ ومن هذا المائع يُستخلص زيت الشيرج

وعلى جانب الشمال مِرجَل كبير من النحاس يدعى حَلّة وهو مَشيد ومثبت في

---

١) قد وصف صاحب النبذة التي اشرنا اليها في اوّل مقالتنا حلواء عُمان ومسقط وجزيرة العرب قال انّها تُركّب من ثلاثة او اربعة اقسام من السكّر ومن نصف قسمٍ الى قسم من السمن يضاف اليهما رُبع قسم من النشا وقليل من حبّ الكبل (?) الطيّب الرائحة

الحائط فوق مستوقد وفيهِ يُجعل السكر مع الماء فوق نار خفيفة فيذوب السكّر ويُساط بسواطٍ زمنًا طويلًا الى ان ينعقد. ويجعل مع القطر جذر نباتٍ يُدعى شلش الحلاوة الذي من جملة خواصهِ انهُ يزبد ويرغو واذا ديف مع القطر جملهُ يتنفّش ويتمدّد

وهذا الشلش هو نفسهُ الذي يتّخذهُ الغسّالون لقصر الثياب فانّ رغوتهُ كغسولٍ وقلي تزيل الادران والاوساخ كالصابون ولذلك يدعوهُ الفرنج النبات الصابوني (saponaire) ومنهُ اخذ عرب الاندلس اسمهُ شبنيرة كما جاء في مفردات ابن بيطار (وقد صُحّف بالطبعة المصرية بالستيرة) وهو يدعوهُ بشجرة ابي مالك. (قال) ويعرف في دمشق باسم صابون القاق. وقد ذكرهُ ايضًا باسم العجماء (راجع كتاب المفردات ٣ : ٥٤ و ١١٧ ثم ٤ : ٣٣). وهذا النبات انواعٌ منهُ الشرقي الذي ترى صورتهُ (ص ٨٣٢) وهو المستعمل مع الحلاوة

وقد حلّلنا قطعةً من الحلاوة تحليلًا كيمويًا فكانت نتيجة تحليلنا انّهُ يدخل في مئة جزء منها ٤١ جزءًا من السكّر و ٥٥ من زيت السمسم اي الطحينة وجزء وثلثان من الماء (١,٧٣) وجزءان وثلث من الموادّ المستخرجة من شلش الحلاوة. وربّما يضاف الى السكر وشلش الحلاوة قليل من حامض الليمون

والشرقيّون يأدمون بالحلاوة خبزهم فيكفيهم منها نحو مئتي غرام (والكيلوغرام منها يباع بفرنك) فيكون مصروف نهارهم لا يتجاوز قرشًا او قرشين

قلنا انّ الحلاوة انواع لا يمكننا تعدادها. ومن اصنافها الشائعة الحلاوة بسمسم تكون على صورة اوراق رقيقة سمك الورقة منها ٣ او ٤ ملّمترات يُجعل السمسم المحمّص على وجهها وهذا الصنف اكثر سكّرًا من حلاوة الطحينة وهو اجمد يشبه الناطف الاوربي (nougat)

وفي ايّام الصيف يتّخذ باعة الحلاوة صنفًا آخر يدعونهُ الحلاوة الشرانقيّة لأنهم يصطنعونها في موسم شرانق الحرير وتكون بيضاء صلبةً اكثر ما يدخل في تركيبها السكر مع شيء من معجون اللوز او الطحينة وتُزاد كميّة شلش الحلاوة وقد وجدنا في تحليلهِ كميّة السكر تبلغ ٦٧ جزءًا ونصف في المئة وهو اقرب الى الصنف الذي وصفهُ نجم الدين (ص ٨٣١ في العدد ٢)

وفي الصيف ايضًا تباع في بيروت حلاوة اليقطين لأنّهم يتخذون في تركيبها

اليقطين ويضيفون اليهِ لوزًا وجوزًا وبندقًا . ولونها يكون ضاربًا الى الحمرة وهي صلبةٌ جامدة والحلاوة على اختلاف اجناسها كما ترى غذاء طيّب يتركّب من موادّ نباتيّـة موافقة الصحّة مقويّة للجسم وهو يصلح لكل فصول السنة ألَّا انهُ اوفق لفصلي الشتاء والربيع لتوليدهِ الحرارة في الجسم وهو من افضل مآكل الصوم . والسلام

قواعد التعريب

لحضرة الكاتب الفاضل الاب انستاس الكرملي (لاحق بسابق)

وامّا اذا كان ما تُريد تعريبهُ هو من الألفاظ الدالّة على جنسٍ اي من الألفاظ الاصطلاحيّة من علمية وصناعية فلك في ذلك طريقان امّا تغييرها وامّا ابقاؤها على صبغتها الاعجميّة

الطريق الاول في تعريب الالفاظ الجنسيّة : تغييرها

انك اذا ادخلت اللفظة العجمية لغتك العربيّة ورأيت في تركيب اللفظة الاصليّة حروفًا وحركاتٍ لا تُوجد في لغتك فأجرِ على القاعدة التي استخلصها الائمة الاولون من تتبّع الالفاظ الدخيلة التي نقلها العرب الى لغتهم . واليك ما قالهُ سيبويه إمام النحاة بهـذا الصدد الجليل الاهمية (٢ : ٣٤٢ من الطبعة المصريّة)

« يُبدلون من الحرف الذي بين الكاف والجيم (اي الكْيم الفارسية) الجيمَ لقربها منهـا . ولم يكن من ابدالها بُدٌّ لانها ليست من حروفهم . وذلك نحو الجُرْبُز والآجرّ والجَورَب . وربما ابدلوا القاف لانها قريبة ايضًا . قال بعضهم : قُربُز . وقالوا : كُربَق وقُربَق . ويُبدلون مكان آخر الحرف الذي لا يثبت في كلامهم اذا وصلوا الجيمَ . وذلك نحو : كُوسَهْ ومُوزَهْ . لانّ هذه الحروف تُبدل وتحذف في كلام الفُرس همزة مرّةً وياء مرّةً أُخرى . فلمّا كان هـذا الآخر لا يُشبه اواخر كلامهم صار بمنزلة حرفٍ ليس من حروفهم وابدلوا الجيم لان الجيم قريبة من الياء . وهي من حروف البدل . والهاء قد تُشبه الياء . ولانّ الياء ايضًا قد تقع اخرةً فلمّا كان كذلك ابدلوها منهـا كما ابدلوها من الكاف وجعلوا الجيم أَولى لانها قد أُبدلت من الحرف الاعجمي الذي بين الكاف والجيم فكانوا عليها أمضى . ورُبَّما أُدخلت القاف عليهِ كما أُدخلت عليها في الاول فأُشرِكَ بينهمـا . وقال بعضهم : كَوسَق . وقالوا : كُربَق . وقالوا : قُربَق . . . وقالوا : كَيلَقَة (١ ويُبدلون من الحرف الذي بين الباء والفاء (اي الپاء المنقطة بثلاث نقط تحتيّة) الفـاء نحو : الفِرِند والفُندُق . وربما

١) قلتُ : هكذا علّل سيبويه سبب ابدال الهاء الموجودة في اواخر الكلم الفارسيـة من الجيم او القاف العربيّة الّا ان التكلّف في كل ذلك ظاهر . والذي عنـدي ان سبب هذا الابدال

ابدلوا الباء لانها قريبتان جميعاً . قال بعضهم : البِرِنْد . فالبدل « مُطَّرِدٌ » في كل حرف ليس من حروفهم يُبدل منهُ ما قَرُب منهُ من حروف الاعجمية . ومثل ذلك تغييرهم الحركة التي في زُورْ وآشُوب (zôr et achoûb) فيقولون : زُور وأَشُوب (١ وهو التخليط لانَّ هذا ليس من كلامهم واماً ما لا يُطَّرد فيهِ البدل فالحرف الذي هو من حروف العرب نحو سين سراويل . وعين اسمْعيل . أبدلوا للتغيير الذي قد لزم فغيَّروهُ لما ذكرتُ من التشبيه بالاضافة فأبدلوا من السين نحوها في الهمس والانسلال من بين الثنايا وأبدلوا من الهمزة العين لانها اشبهُ الحروف بالهمزة (٢. وقالوا قَفْشليل فأتبعوا الآخرَ الاولَ لقربهِ في العدد لا في المخرج . فهذه حال الاعجمية فعلى هذا فوَجِّهْها اه

ومما جاء في هذا الصدد ايضاً قول الخفاجيّ في شفاء الغليل (ص ٤) :

اعلم انهم قد يغيّرون الكلمة الاعجمية كما سياتي والتغيير اكثر من عدمهِ (٣ فيبدلون الحروف التي ليست من حروفهم الى اقربها مخرجاً . وربما ابدلوا الابدال في مثل هذه الحروف وهو لازم لئلّا يدخل في كلامهم ما ليس منهُ فيبدلون حرفاً بآخر ويغيّرون حركتهُ ويسكّنونهُ ويحركونهُ وينقصون ويزيدون . . . والحروف المُبدلة عشرة خمسة يطّرد ابدالها وهي المخلوطة . وخمسة لا تُطّرد وهي السين والشين والعين واللام والراء (٤ وكل حرف وافق الحروف العربية

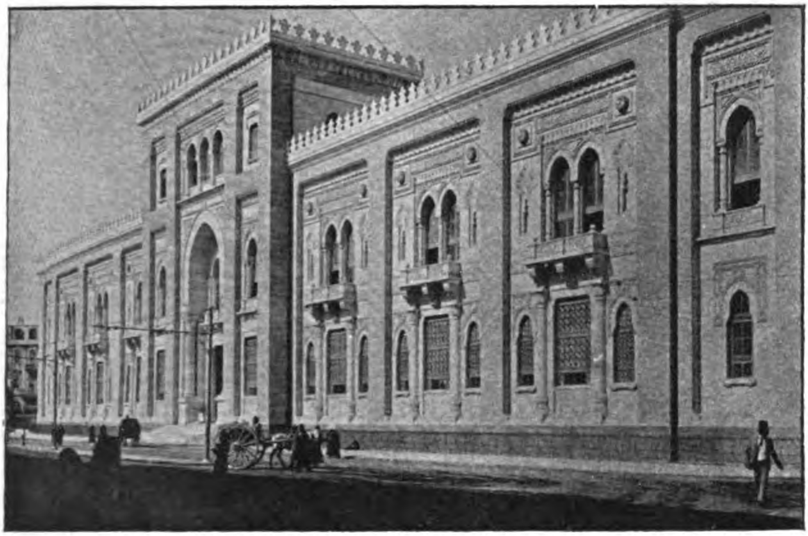
هو ان الفُرس الاقدمين كانوا يلفظون تلك الهاء بقوة اشدَّ من القوَّة التي يلفظونها بها اليوم وكان ذلك اللفظ يَقرُبُ من الكَيم اي على حدّ ما يلفظ اليوم اهل بغداد كلمة « بَابُونكْ » التي اصلها « بابونَه » بهاء فارسية في الآخر . فهي عندهم بمنزلة الحرف الصحيح لا بمنزلة تاء او هاء زائدة ولمَّا كانت الكَيم (وهي الكاف ايضاً) تكتب تارةً بالقاف وطوراً بالجيم لا بل وقد كتبها البعض كافاً عربية محضة جاز نقلها الى جميع تلك الحروف

١) قلتُ : في هذه الكلمة الثانية لم تُبدل فيها المدة من الهمزة فقط بل ان المدَّة في الاصل تلفظ بتفخيم كما في خُذْ . وقد اصطلحنا على ذلك بالف صغيرة تُوضع على الحرف كما ذكرنا ذلك في المشرق غير مرَّة

٢) قد ذهب سيبويه وتبعهُ جمهور اللغويين من العرب الى ان عين كلمة اسماعيل غير اصلية في اللغة التي نقلت عنها اي في العبرانية . او في السريانية على رايٍ آخر ضعيف . وقالوا انهُ تعريب « اشمائيل » والحال ان اللفظة تعريب ישמעאל (يشماعيل) العبرية وهي منحوتة من كلمتين من « يشماع » اي يسمع و « وإيل » اي الله ومحصَّلها : سمع الله [دعائي] (راجع سفر الخلق ١٦ : ١١)

٣) قلتُ : قد مرَّ بك ان هذا الكلام يصدق على الكلم التي عرّبت في الجاهليَّة وفي صدر الاسلام واماً في ايَّام عزّ الدولة العربية وأوج مَدَنها فقد جروا على خلاف ذلك

٤) وفي المزهر والزاي وهو غلط . وقد اصلح احد الكتاب ما قالهُ الخفاجي والسيوطيّ فقال : « ولعلَّ الصواب والذال » . قلتُ : وليس ذلك بصواب



دار العاديَّات العربيَّة الجديدة في مصر



قبور الخلفاء في مصر

والحاء قد تُبدل من الحاء كما في حبّ وخبّ. وهذا كلهُ اغلبي. اه المقصود ايرادهُ

وقد نُقل عن بعضهم عبارات او ألفاظٌ اعجميَّة لم يُغيَّر منها شيءٌ وهم يفعلون ذلك امَّا حرصاً على عبارة الاعجميّ التي تكلَّم بها فينقلونها عنهُ بحرفها وامَّا للمزاح والفكاهة والتلطُّف قال في شفاء الغليل (ص ٧):

وهم يلعبون بهِ (اي الاعجمي) كثيرًا. وربَّما استعملوهُ على سبيل التلطُّف... كقول عديّ: « انا العربيّ الهاك » اي النقيّ (كذا في النسخة المطبوعة التي بيدنا. وهو غلط والاصح انا العربي الپاك بپاء مثلثة تحتية فارسية) وانشد ابن المعتز لابي اسحق الموصليّ:

اذا ما كنت يوماً في شجاها فقل للعبد يسقي القوم پُرًّا
فان السقي مكرمة ومجدٌ ومدفأة اذا ما خفتَ قرًّا

قال: « پُر » بالفارسية: « ملآن » اه

وممَّا ينعقد تحت هذا الباب معرفة المُعرَّب من النظر الى شروط ادخالهِ. قال في شفاء الغليل: « وممَّا يُعرف بهِ المعرَّب. ١ً اجتماع الجيم والقاف فانهما لم يجتمعا في كلمةٍ واحدةٍ من كلام العرب الَّا ان تكون معرَّبة او حكاية صوتٍ. فالاوَّل نحو الجَرْدقة للرغيف. والجَرْموق والجرامقة لقوم بالموصل. وجوسق. وجلّق. وجوالق للوعاء. وجُلاهق لقوس البندق. واصلهُ بالفارسيَّة « كله » وهي كُبَّة الغزل. والكثير. « كلها » وبهِ سمّي الحائك (كذا في الاصل والاصح ان جلاهق تعريب گروهه). ومنجنيق وهو معروف. والثاني كجَلَنْبَلَقْ لصوت الباب

٢ً لا تجتمع الصاد والجيم في كلام العرب فالجصّ والصنجة والصولجان وعربيتهُ المحجن معرَّبة. ولذا قال الجوهريّ: الاجَّاص دخيل في كلام العرب. وقيل: لم يجتمعا في كلمةٍ عربيَّة الَّا في صَمَج وهو القنديل (كذا. الَّا انهُ جاء في كتاب المعرَّب: الصمج القناديل روميّ معرَّب. قلتُ واصلهُ بالروميَّة (sebaceus) ومعناهُ الشمعة المتخذة من الشحم)

٣ً لا نون بعدها راء. فنرجس ونَوْرَج معربتان

٤ً لا زاي بعد دال. فمهندز وهنداز معرَّبة ولذا ابدلوها سيناً. وهو معرب اندازه

٥ً لا يركَّب لفظ عربي من باء وسين وتاء. وبُست (لبلدة). اعجمي

٦ً لم يجتمع في العربية سين وزاي. ولا سين وذال معجمة الَّا في كلمة معرَّبة كساذج معرَّب ساده بمهملةٍ وسَذاب لاسم بقلةٍ معرَّب سداب

٧ً ليس في كلامهم وزن فُعالان فخُراسان اعجميَّة

٨ً لا فاعيل . ولذا قيل : آمين عبرانيّ

٩ً لا فِعْلَل بكسر الفاء وفتح اللام الّا دِرْهم (كذا . وهو معرَّب ايضًا) وهِبلَع وبِلعَم وضِفدَع في لغةٍ ضعيفةٍ

١٠ً لا يجتمع الطاء والجيم في كلمة . فطاجن معرَّبة كما في الجوهريّ

١١ً وفي المحكم : ليس في كلام العرب شين بعد لام في كلمة عربيّة

١٢ً وقال بعضهم : ممَّا يُعرف بهِ تعريب العَلَم عدم دخول الالف واللام واخطأ من قال المسيح معرَّب وسيأتي في الاسكندر ما ينافيهِ (قلتُ : وقد تدخل ال على الاعلام المعرَّبة كما في الاسكندريَّة والقسطنطينيَّة وغيرهما . والمسيح معرَّبة لا شك فيها على خلاف بعضهم)

١٣ً وفي شرح ابنية كتاب سيبويه : اعلم انهم يعرّبون الاسماء الاعجمية فيلحقونها بأبنيتهم وربما لم يلحقوها بابنيتهم وربما تركوها على حالها اذ كانت حروفها كحروفهم . اه . وهو الحقّ . وقد غفل عن هذا بعضهم

١٤ً وقال الخفاجيّ في شفائهِ (ص ٩) : اذا وردت كلمة رباعية او خماسيَّة ليس فيها شيء من حروف الذلاقة فاعلم انها غير اصيلة في العربيَّة . . . الّا عسجد لشبه السين في الصفير بالنون في الغُنَّة (اه بتصرُّف في التقديم والتأخير فقط . قلتُ : وعندي ان العسجد ايضًا معرَّب وهو مأخوذ من اليونانية « ἀχάτης » ثم أُقحمت السين بين العين والجيم لانها من حروف الزيادة ومعنى العسجد في الاصل العقيق ثم أُطلق على الجوهر كلهِ كالدرّ والياقوت والعقيق ثم خُصص بالذهب)

١٥ً ولا تجتمع الصاد والطاء في كلمة عربيَّة فالاصطفيلينة وهي شيء كالجزر معرَّبة . وكذا الاصطبَّة وهي المشاقة معرَّبة استبي . واهملهُ في القاموس . واما الصراط فصادهُ بدلٌ من السين وليستا لُغَتَين كما ظُنَّ (قلتُ : وعلى كل حال فانهُ معرَّب عن s[t]rata او s[t]ratum بحذف التاء الاولى كما اشرنا اليهِ في اوّل هذه المقالة ليلحق ببناء العرب)

١٦ً وندر اجتماع الراء مع اللام الّا في الفاظٍ محصورة . ولذا قيل الصرلى معرَّب (كذا في الاصل المطبوع الذي بيدنا وليس لهذه الكلمة وجود في كُتب العرب فضلًا

عن اسفار العجم ونظنُّها مُصحّفة والاصل سِدِلّى كرِمكّى وهو في الفارسية سه دله كانهُ ثلاثة بيوت)

١٧ً وليس في كلامهم إفعِيلِل بكسر اللام لكن بفتحها كإهليلَج وابريسَم ولو سَمّيْتَ بهِ انصرف الّا انهُ لمّا عُرّب نكرةً أُجري مجرى اصول كلامهم معرفتهُ ونكرتهُ فاذا نُقل الى العَلَمية كان منقولًا من عربيٍّ بخلاف اسحاق. اه

هذا كلهُ نقلناهُ عن شفاء الغليل وقد جاء في المزهر (١ : ١٣١) ما يزيد في هذه الشروط قال:

١٨ً ان يَنقل ذلك (اي عجمة اللفظة) احد ائمة العربية...

١٩ً الجيم والتاء لا تجتمع (كذا في الاصل ويريد: «لا تجتمعان») في كلمةٍ من غير حرفٍ ذولقيٍّ (وحروف الذلاقة ستة وهي: الباء والفاء والراء واللام والميم والنون) ولهذا ليس «الجبت» من محض العربية...

٢٠ً وقال البطليوسيّ في شرح الفصيح: لا يوجد في كلام العرب دال (مهملة) بعدها ذال (معجمة) الّا قليل. ولذلك ابى البصريون ان يقولوا «بَغْداذ» باهمال الدال الاولى واعجام الثانية. فامّا الداذيُّ ففارسيّ لاحُجّة فيهِ. اه

قلت: وقد تكون اللفظة اعجميّة الاصل وليس فيها شرط من هذه الشروط العديدة. وحسبُك دليلًا مطالعة الالفاظ اليونانية التي دخلت العربية وقد ذكرنا بعضاً منها في المشرق فراجعها. وليس في اغلبها علامة الدخيل

وممّا يليق ذكرهُ في هذا الفصل ما قالهُ صاحب كتاب شفاء الغليل في باب تغيير المعرَّب (ص ٩): «انهُ لا يضرّ المعرّب كونهُ موافقاً للفظٍ عربيٍّ كسُكَّر فانهُ معرَّب وان كان عربيَّ المادة بمعنى غلق قال تعالى: «سكِّرت ابصارنا» وللورّاق في كثير الحُجّاب:

بوّابهُ مُرُّ المذاق وبابهُ ابدًا مُسكَّرْ

وكذا إسحق يوافق أَسْحق بمعنى ابعد. وضحّاك اسم ملك معرَّب ده آك اي فيهِ عشرة عيوب. ذكرهُ السهيليُّ. ومادّة ضحك عربيّة. وكذا لا يضرّ ما صحّت عربيتهُ موافقتهُ لفظًا فارسيًّا او قربهُ منهُ كضَنك وتنَك وجناح وكُناه. فلذا وهم من ظنّهُ معرَّبا (قلت: والحقق انهما معرّبان) وامّا زوْر بمعنى القوة فمعرَّب. نصَّ عليهِ سيبويه. وظنّهُ صاحب القاموس من التوافق... وقد يُنقل من مركّبٍ ويُجعل مفردًا كسِجّيل

فانهُ معرَّب سنكُ وكُل. وقد يترك على تركيبهِ مثل شهنشاه. وفي المثل السائر: "جمَل معرب «كُوميل» بالعبرانية. وهو غريب. (قلتُ بل هو من توافق اللغات السامية لخروجها من أمّ واحدة) وقيل «رحمن رحيم» معرَّب. وردَّهُ ارباب التفسير» اه

الطريق الثاني في تعريب الالفاظ الجنسية: ابقاؤُها على بنائها وصيغتها الاعجمية

قد مرَّ بك انهُ يجوز لك في تعريب الالفاظ الاعجمية ان تُغيّرها في نقلك اياها وقد بيَّنَّا لك ان هذا التغيير يكون تارةً بزيادةٍ وطورًا بنقصان وأُخرى بكليهما وآونةً بابدال الحروف الاعجميّة من حروف تقابلها في العربية او تقاربها فيها. واحيانًا بهذه كلها مجموعة. فامَّا قاعدة الابدال فتكاد تكون ضابطًا عامًا لا اختلاف فيهِ. لما فيها من صحَّة الجري على الاحكام المبنيّة على حقائق راهنة وليس في اتباع هذه القاعدة من ضررٍ على الكتَّاب المحدثين لانهم في ذلك يُقلّدون الاوَّلين

وامَّا سُنَّة الزيادة والنقصان فان العرب الأقدمين لم يجروا فيها على سَنَنٍ واحدٍ ليتمكَّن الخلف من تأثُّر السلف بل انهم اتبعوا في ذلك اهواءهم واذواقهم فزادوا ونقَّصوا بدون ان يعرفوا سبب تصرُّفهم هذا. فان قلت لي: انهم طلبوا في فعلهم هذا إلحاق اللفظة الدخيلة باوزانهم وابنيتهم قلتُ: نعم ان هذا الكلام يَصدق على بعض الكلم وامَّا في ما بقي منها فلا يصدق عليها. فاننا نراهم يزيدون وينقصون حتى في الكلم التي توافق اوزانهم. فلو كانت غايتهم ما تقول لَما فعلوا ذلك ولو كانوا ابقوها على حالتها بدون زيادة او نقصان لاهتدوا بسهولةٍ الى الاصول المعرَّبة عنها ولَما خبطوا في تحقيق معانيها ذلك الخبط الشنيع الذي لا تجهلهُ. هذا فضلًا عن ان محاسن اوزانهم كانت تبقى على حالها بدون ان ينالها تشويهٌ او ضررٌ فهذه الملاحظات كلها مع غيرها تمنعك وايَّايَ من ان نُجاريهم في هذا الميدان. قل لي ناشدتك الله لماذا زادوا حروفًا على هذه الألفاظ مثلًا: بُوته وجوَال وزُمُرد وسِرب او أُسرب وأُستون وصَرنج أو صَرنيج وسِندي وتَباهه ورَنده فقالوا فيها: بُوتقة وجوالق وزُمُرُّد وأُسرُبّ او أُسرُفّ وأُسطوانة وصِهريج وسنديان وطباهجة وأرندج. ولماذا حذفوا حروفًا من هذه الكلم مثلًا: بياده وديدبان فقالوا: بيذق وديذَب مع ان فِعالة وفَيعلان من اوزانهم. ولماذا ابدلوا حروف هذه الكلم مثلًا: بَبر وبَرذون وبيكار وبنكان وخُب وتُنبان وتيريز ودالِيز أو داليج فقالوا

فيها : : بَبْر و بِرْذَوْن و بِرْكار وبنكام وحُبّ و تُبَّان ودِخْريص ودهليز مع انهُ كان يُمكن ابقاؤها على حروفها الاصليّة او إبدالها من حروف تقاربهـــا فأبدلوها بغيرها . أفلو ابقوا الاصل على اصلهِ أضرَّهم هـــذا العمل ؟ الّا انهم ارادوا ان يفهمونا انهم لم يتبعوا في ذلك سُنَّةً مسنونةً وعليهِ فان اردت ان تنحو مناحيَهم أو ان تنهج مناهجهم ففي اي امرٍ تتبعهم أفي الزيادة او في النقصان ؟ وهم لم يقولوا لك متى تزيد ومتى تنقص ولا اي شيءٍ تزيدهُ واي شيء تحذفهُ ولا في اي وزن او بناء او مكان تكون هذه الزيادة او يكون هذا الحذف

ولنفرض انَّهم تصرَّفوا هذا التصرُّف طلباً لاوزانهم . أفذكروا لك قواعد هـــذا التصرُّف . وانت اذا تتبَّعتَ طائفةً من الألفاظ التي تصرَّفوا فيها لا ترى عشرةً منها تمري على سَنَنٍ واحدٍ او قاعدةٍ مُطَّردة . او لَمْ ترَ ان الائمة الذين وضعوا قواعد لابدال بعض الحروف الاعجميَّة من حروف عربيَّة لم يسنُّوا لك قاعدةً للحذف وللزيادة . أفليس هذا كافٍ ليدلَّك على انهُ ليس لهم في ذلك قاعدة تُتَّبع ولا سُنَّة تُشترع ولا صوت يُستمع ؟ فهذا كافٍ في هذا الموضوع

ومن ثم فلم يبقَ لك من كل ما قرَّروهُ في هذا الصدد الّا ابدال الحروف الاعجميَّة من الحروف العربيَّة التي تُقاربُها . وهو ما أيدناهُ بالشواهد والقواعد . واماَّ ما في عدا ذلك فليس لك طريق آخر الّا تعنو صاغرًا وتدخل اللفظة الاعجميَّة ببنائهـــا وهيئتها وصيغتها بدون ان تمسَّها بشيءٍ . اي بدون ان تحذف منها شيئاً او تزيد على أصولها حرفاً واحدًا لانَّ عصر التصرُّف بالألفاظ قد مضى مع أصحابهِ كما ألمعنا اليهِ غير مرَّة في هذه النبذة ولم يبقَ لك الّا عصر المحافظة على سلامة الاوضاع الاجنبيَّة والابنية الاعجميَّة . وبالخصوص ان العرب قد اباحوا لك ذلك اذ قالوا : « وربَّما تركوا الاسم على حالهِ اذا كانت حروفهُ من حروفهم ' كان على بنائهم او لم يَكن ' نحو خُراسان وخُرَّم والكُرْكُم » وربَّما غيَّروا الحرف الذي ليس من حروفهم « ولم يُغيّروهُ عن بنائهِ نحو فِرِند وبَقَّم وآجرّ وجُرْبُز » (كلام سيبويه وقد تقدم الاستشهاد بهِ سابقاً)

ولعلَّك تتعجَّب من كلامي هذا وتقول :

« ليس في وسع الكاتب نقل تلك الالفاظ بصورتها الى لُغتهِ لشدَّة التبايُن بين طبيعة هذه اللغة ولغات اولئك الاقوام لان الالفاظ فيها محصورة الاوضاع محدودة الصيغ لا تقبل الزيادة عليها

الّا منها ولا يُمكن ان تُدَسَّ اللفظة الاجنبيَّة بينها الّا بعد ان تجانسها وتواخيها ». (ثم تقول).
« واذا لم نُبادر الى سنّ طريقةٍ يُمكن بها وضع الفاظ لهذه المستحدثات او سبك الفاظها في قالب عربيّ لا تتشوَّهُ بهِ هيئة اللغة لم نَلبَث ان نرى الاقلام قد تقيَّدت عن الكتابة في هذه الامور بَتّةً او اصبح اكثر اللغة اعجمياً الّا اذا طبنا نفساً عن علوم العصر ومصنوعاتهِ ورجعنا بحضارتنا الى الحدّ الذي كُنَّا عليهِ منذ خمسين سنة او فوقها وهي المنزلة التي يُحاول بعض القوم ان يردُّونا اليها ونِعْم المصير » اه

قلتُ: علي رِسلك لا تتسرَّع في الاحكام ولا تتـدفَّق في الكلام فارجوك ان تمهلني قليلًا لأقول ما في خاطري ثم تـكلَّم بما يبدو لك. فأجيب: اما قولك: « ليس في وسع الكاتب نقل تلك الألفاظ بصورتها الى لغتهِ لشدّة التباين بين طبيعة هذه اللغة ولغات اولئك الأقوام » فليس بمحكم البرهان ولا بمتـين الاركان. نعم ان بين مزيد لغتنا ولغة اولئك الأقوام بوناً عظيماً الّا انّنا في نقـل تلك الألفاظ الى لغتنا لا نتعرَّض لشيء من هدم مزية لغتنا لانَّ « مزيَّة او طبيعة كل لغة قائمة في مكوّنات جوهرها اي عناصرها واصولها ». واماً نقل لفظةٍ او الفاظٍ من لغةٍ الى لغـةٍ أُخرى فهي من « الأعراض » والحال مهما تكن تلك الاعراض عديدةً او عظيمة فانها لا تفعل شيئاً ابدًا في الجوهر. أجلْ لو كسرنا مثـلًا صيغ الأفعال العربيَّة وصَبَبْنا من كِسَرها قوالب جديدة تماثل مَصوغات الاعاجم وحوَّلنـا اوزاننا الى اوزانهم وغيَّرنا أبنية اسماء لغتنا بابنية اسماء لغتهم وقلبنا قواعد اللغة وضوابطها ظهرًا لبطنٍ لحقَّ لك ان تنهض هذا النهوض ولَكاتفناك في مثل العمل الخطير. أمَّا وان الامر متوقّف على ادخال الفاظ بدون تغيير شيء من العناصر والأصول المقوّمة للغة فنحن لا نتابعك ولا نُشايعك. ألا ترى مثلًا كيف ان الفرنسيس والانكليز والايطاليان وغيرهم من الامم المتمدّنة قد ادخلوا لغتهم شيئاً كثيرًا من الفاظ لغات اخوانهم او جيرانهم او اعاديهم في اللغة والعنصر والاصل واللغة مع ذلك باقية على حالتها الاصليَّة متميّزةً عن أُختها او ضرَّتها او عدوَّتها بجوهرها المقوِّم لها. فكذلك الامر في لغتنا الشريفة

واماً قولك: « ان الالفاظ فيها (اي في لغتنا العربيَّة) محصورة الاوضاع محدودة الصيغ لا تقبل الزيادة عليها الّا منها ولا يمكن ان تُدَسَّ اللفظة الاجنبيَّة بينها الّا بعد أن تجانسها وتواخيها » فصدر هذا الكلام يَصدُق على الكلم العربيَّة النشأة والصيغة والبناء. واماً عجزهُ فليس لهُ ذلك الحظّ من الحقّ والصدق. لاني قد عُنيتُ بجمع الكلام

الدخيلة التي وردت في دواوين اللغة العربيَّة وفي كتُب العرب العلميَّة والصناعيـة فكان مجمل ما جاء في الأولى: ثلاثة آلاف كلمةٍ . وعددُ ما جاء في الثانية اربعة آلافٍ وخمسمائة كلمة فتكون الجملة ٧,٥٠٠ كلمة اعجمية وردت في مُصنَّفات العرب. وقد جمعتها واحدة واحدة مع ذكر اسم الكتاب الذي وجدتُها فيهِ واسم مؤلفهِ والصفحة التي وردتْ فيها تلك اللفظة. ولم اتعرَّض ابدًا لجمع الكلم الاعجميَّة التي وردت في كتب مؤلفي القرن المنصرم. وبعد ان رتبتُها نسَّقتُها نَسَقَين: سِماطٌ منها يوافق بناؤها البنـاء العربيّ . والسماط الآخر لا يوافقهُ ولا يوازنهُ . فجاءت فذلكةُ ما في الطائفة الاولى ما يُربي على الفي لفظةٍ بقليل. وما في الطائفة الثانية ما يزيد على « خمسة آلاف كلمة دخيلةٍ لا توافق اوزانها أبنية العرب ولا تجانسها ولا تؤاخيها » وقد دسَّها مع ذلك العرب انفسهم في كتبُهم ومصنَّفاتهم ومعرَّباتهم. فشتَّان اذن بين منطوق الاوهام ومنطوق الارقام. فذاك اضغاث احلام. وهذا يتمسَّك بادِلَّتهِ ذوو الاحلام. فاذا علمت كل هذا لا تَعُد تُناقي الكلام على عواهنهِ. بل تبصَّر قبل ذلك في ظواهرهِ وكوامنهِ

ومما تقدَّم اجبناكَ ايضًا عن قولك: « واذا لم نبادر الى سنّ طريقةٍ يُمكن بهـا وضع الفاظٍ لهذه المستحدثات او سبك الفاظها في قالب عربيّ لا تتشوَّهُ هيئة اللغة » فقد علمتَ ان لا تشويه هناك اذ لا غشَّ جوهر اللغة بشيء. بل تلك الألفاظ الدخيلة التي لا يمكننا ان نستغني عنها والتي ليس في وسعنا ان نضع لها في لغتنا مقابلًا لها هي بمنزلة الحُلي النفيسة تزيد في غناها. ولا تسلبها محاسنها وجلاء سناها

واما قولك: « لم نلبث ان نرى الأقلام قد تقيَّدت عن الكتابة في هذه الامور بتَّةً او اصبح اكثر اللغة اعجميًا » قلنا: اننا لم نرَ للعرب عهدًا اندفعت فيه جياد الأقلام في ميدان الكتابة والانشاء في « العلميَّات والصناعيَّات » مثلما اندفعت فيـهِ في هذا العصر النيّر. نعم لقد حدث في العصر العبَّاسيّ مثلما حدث ويحدث في هذه الأيام الّا انك اذا قابلت مدة تلك النهضة بعدة هذه النهضة ثم وازنت بين نتاج هذه المدة وتلك بعد ان تكون قد تدبَّرتَ نعم التدبُّر ما صحبهما من الامور المهيِّئة لها والمشدِّدة للهِمَم والباعثة الى الاندفاع وراء هذه الغاية السامية او الضـالَّة المنشودة لرأيت نتيجة هذا العصر تفوق اكثر بكثير نتيجة العصر العبَّاسيّ. وما ذلك الّا لتجوُّز الكتَّاب في متابعة الافرنج في نقل الفاظ مصطلحاتهم ومواضعاتهم بصورها ومبانيها. والَّا فلو

كانوا ينتظرون نفس ما تمنيهم بهِ انت اليوم لبقوا في موطنهم ساكنين ساكتين. بل متقهقرين بين المتمدّنين المُحبّين. فانظر بعد هذا حرمك الله المتعال. كيف ان كلامك لا يصوّر حقيقة الحال. ولا يُرى فيهِ مثقال ذرّةٍ من صدق المقال

واما ما بقي من كلامك المذكور فالشواهد الحاضرة تُفنّد احسن تفنيدٍ ما تقول. وهي اصدق لسانٍ ناطقٍ بهذا الموضوع الجليل الفروع والاصول

مار سهدونا : ترجمتهُ وتآليفهُ

بقلم حضرة الاب الفاضل الخوري بطرس عزيز نائب بطريرك الكلدان في حلب

لم نكن نعرف قبل الآن الّا النزر القليل عن هــذا الاب القديس سهدونا او مرطوريس (١ الذي ظهر كالكوكب اللامع في ظلمات الهرطقة النسطوريّة ببلادنا في مبادئ الجيل السابع حتى وُجدت تآليفهُ في هــذه الأيّام ونُشرت بالطبع لاول مرّة على يد الكاهن الغيور العالم ذي الايادي البيضاء على آداب اللغــة الكلدانية بولس بيجان الكلداني الفارسي سليل الرهبنة العازاريّة المحترم (٢. فمن تآليفهِ هذه ومّا وصل الينا عنهُ من المؤرخين النساطرة كتوما المرجي في كتاب الرؤساء ويشوعدناح في كتاب العفّة ورسائل يشوعياب الحزي امكن الكاهن المذكور ان يسطّر في فاتحة كتابه ترجمة حياته ويكسبنا ابًا جديدًا وقديسًا جليلًا وكاتبًا نحريرًا كانت الاغراض النسطوريّة قد بخست حقّهُ وطمست محاسنهُ والبستهُ ثوب الخيانة لكونهِ نبذ هرطقتهم وتديّن بالايمان الكاثوليكي الاغرّ. فاحببنا ان نتحف قرّاء المشرق بلمعة من سيرته وتآليفه لما فيهــا من الامور الغريبة

ولد سهدونا في هامون قرية من ابرشية بيت نوهدرا وهي اليوم ابرشيــة دهوك

١) سهدونا بالكلدانيّة الشهيد الصغير. يوافقهُ باليونانيّة مرتيريوس او مرطوريس

٢) ܡܫܬܟܚܢܘܬܐ ܕܟܬܒܐ ܕܡܪܛܘܪܝܘܣ ܐܘ ܣܗܕܘܢܐ

S. Martyrii qui et Sahdona quae supersunt omnia: edidit Paulus Bedjan Congr. Miss., Parisiis, via dicta de Sèvres, 95, Otto Harrasowitz, Lipsiae 1902.

وزاخو. ودهوك تبعد مرحلتين عن الموصل في غربيها. وكانت امهُ اليفة لامرأةٍ قديسة اسمها شيرين يذكرها صاحب الترجمة ويكثر من الثناء على تقواها ونسكها وفضائلها فكانت امُ سهدونا تتردّد عليها وتأخذ عنها. فترعرع الفتى مجبولًا على حب التقوى ووالدتهُ تبجن في قلبه منذ نعومة اظفاره رغبة العيشة الرهبانية وهي تكرر عليهِ مرارًا: يا بنيَّ ان الموت احب اليَّ من ان اراك مستأسرًا لحب العالم كباقي الناس »

وكانت مدرسة نصيبين يومئذٍ زاهرةً فقصدها سهدونا واكبَّ فيها على درس العلوم باجتهاد. ولا يبعد ان يكون هناك قد بدا فيهِ الميل الى الايمان الكاثوليكي في اثناء النهضة التي احدثها فيها حنَّانا الحديابي معلم تلك المدرسة في اواخر الجيل السادس عندما نبذ تفاسير ثيودورس المصيصي النسطوريَّة واعتمد على يوحنا فم الذهب في شرح الكتب المقدسة مجهرًا بالقول بالاقنوم الواحد. وتبعهُ في ذلك زمرة من علماء النساطرة منهم يوسف الحزي واسحق النينوي واشعيا الطحالي ويوحنا سابا الدلياتي وغيرهم (١ وقيل انَّ منهم ايضًا البطريرك يشوعياب الجدالي الذي كان سهدونا قد رافقهُ في سفارته الى الملك هرقل فان النساطرة ادّعوا عليهِ بانهُ لو لم يحرم نسطور لَما اجاز لهُ الروم ان يقدس الاسرار الالهية في كنيستهم (٢

---

١) الَّا ان هؤلاء كلهم ماتوا في الكنيسة النسطوريَّة ولم يحذوا حذو سهدونا الذي صار كاثوليكيًّا بالقول والفعل كما سترى

٢) ويوافق هذا الادعاء ما يقصهُ عمرو بن متى (او هو القس صليبا الموصلي) في ترجمة هذا البطريرك قال: لمَّا حضر يشوعياب لدى هرقل اعجبهُ فضلهُ وحسن ديانته فرغب اليهِ ان يكتب لهُ الامانة بحسب ما يعتقد هو والمشارقة اهل مذهبهِ فكتب لهُ الامانة: « نؤمن بالثالوث الواحد المقدس المتساوي في الجوهر . . . فلمَّا كان في منتهى الزمان من اجلنا معشر البشريين ومن اجل خلاصنا واحدٌ من الاقانيم المقدسة ابن الله الله الكلمة . . . نزل من السماء وتجسّم وتانّس من روح القدس ومن مريم البتول القديسة حيث لم يتغيّر عن طبعه ولم ينقص عن مجده بل اتخذ لهُ طبيعة بشريَّة لظهور لاهوته لبس انسان شحيم (بسيط) كما يقول المراطقة حاشا وكلَّا. ولا نقول ايضاً الاه بلا جسد كما يقول الهراسيس حاشا وكلَّا. بل هو الاه كامل ابن طبع ابيهِ بلاهوته وهو انسان كامل ابن طبيعتنا بناسوته شخصانية واحدة رب واحد باتحاد عجيب غير مدرك الذي لا يقبل تبلبلًا ولا تقسمًا وهو بلا امتزاج ولا انفصال من الابد الى الابد بالطبيعتين الحقيقيتين لاهوتية وناسوتية رب واحد ايشوع المسيح ابن الله اختار وتألم بالجسد فامَّا بلاهوته فلم يدخل عليهِ تألم

فلمَّا أكمل سهدونا دروسه ترك نصيبين وجاء وانضوى الى مار يعقوب الذي كان قد هجر دير ابراهام على جبل الإزل وشيَّد دير بيت عابي الشهير في ابرشية المرج فقبلهُ ربَّان يعقوب والبسهُ الثوب الرهباني وعيَّنهُ معاونًا لقاميشوع المتوكل على عمارة الدير. ومن هناك استدعاه يشوعياب الجذالي البطريرك ليرافقهُ في بعثتهِ الى الملك هرقل سنة ٦٣٠ — قال توما المرجي(١: لمَّا قام بالمُلك شيروي (او شيرويه) احب ان تستتبَّ الراحة في ملكه وان يبعد السجس والفتن والنهب وما احدثهُ ابوه كسرى من الاضرار. فاوعز الملك الى الجاثاليق (يشوعياب الجذالي) ان ينتخب من بلاد المشرق رجالًا مطارين واساقفة ويصعدوا الى بلاد الروم على نفقة الملك وباكرامه مع رسائل وسلام من الملك ليزيلوا النفور والعداوة الكائنة بين الفرس والروم ويزرعوا بفطنتهم السلام بين الناحيتين. فجمع يشوعياب طاعةً لامر الملك شيروي قرياقوسَ مطران نصيبين وبولس مطران حذياب وجبرائيل مطران كرخ بيت سلوخ (كركوك) واساقفةً رجالًا محنكين ذوي خبرة وفطنة وسافروا برفقة البطريرك ومعهم القديس يشوعياب اسقف نينوى وسهدونا. وهكذا بتوفيق المسيح الاهنا والاه العالمين ومدبّر الناحيتين والعالم اجمع نال هؤلاء الرعاة رحمةً في اعين الروم فاستقبلوهم ولبّوا طلبهم كانهم ملائكة الله ورجعوا بسلام لهذه البلاد كل واحد الى كرسيه». ورجع سهدونا الى ديره وهو كاثوليكي

وحدث انهم في رجوعهم عرَّجوا على مدينة افامية واقاموا فيها مدةً ليستريحوا من تعب الطريق وكان ثمَّة دير لرهبان ملكيين عليهم رئيس شيخ وقور فطلب سهدونا ان يراهُ ويتبرَّك منهُ فادخلوه عنده فوضع الشيخ يمينه على راس سهدونا فشاع عند النساطرة ان هذا الشيخ اذ كان ساحرًا قلب عقل سهدونا واجتذبه الى الهرطقة يريدون بذلك الكثلكة. والصحيح ان سهدونا لم يواجه ذاك الشيخ ويطلب التبرك منهُ الَّا لموافقتهِ معهُ في الايمان الكاثوليكي الذي كان قد ارتدَّ اليهِ من قبل

وهذا الواحد الرب ايشوع المسيح هكذا يُسجد ويمجد بالكمال والتمام مع ابيهِ وروح القدس الخ» فلمَّا طالعها (هرقل) استحسنها وسأَلهُ ان يقدس فدخل المذبح ثلث دفعات وقدس وعاد الى كرسيه باكرام

١) كتاب الرؤساء طبعة بيجان (ص ٦٢)

وبعد رجوعه من تلك البعثة صنّف سهدونا كتابه في كمال العيشة النسكيّة واعرب فيهِ عن اعتقاده الكاثوليكي بصريح العبارة وكان عمرهُ اذ ذاك ثاني وعشرين سنة ألّا ان هذا الكتاب بقي مخفيًّا ولم يُعرف الّا بعد ارتقاء سهدونا الى اسقفيّة ماحوزة اريوان مدينة في مقاطعة باجرمي. ولا تحدّث عمّا سبّب هذا الكتاب من الحقد على مؤلفه بين الاكليروس النسطوري حيث كان سهدونا في مكان عالٍ من الاعتبار لعلمهِ وفصاحتهِ وتقواهُ فان يشوعياب الحزّي صديقهُ الذي سعى بترقيته الى الاسقفيّة لم يدع وسيلةً الّا اتخذها ليرده الى المذهب النسطوري ولو اصغينا الى زعمهِ لَقُلنا أنّ سهدونا قد تزعزع مرارًا كثيرة وجحد رأيهُ ثماني مرات في الجمع. والمرجّح انهُ وعد فقط بعدم نشر كتابهِ وسمح مجاراةً لطلاب اخصامه ان تُقطع منهُ الفصول الستة عشر الاولى وهكذا وصل الينا. الّا ان هذه الفصول المقطوعة التي يختصرها المؤلف في فاتحة القسم الثاني من كتابه ليس فيها شيء يدلّ على الكثلكة فلا نعلم ما كان الداعي لحذفها فلعلّ الغاية من ذلك تشويه الكتاب ومنع نشرهِ او يكون سهدونا تطرّق في تلك الفصول الى مدح الآباء الذين حرموا نسطور والله اعلم

ومنذ ذلك الحين ثار الاضطهاد على سهدونا من اصدقائه انفسهم فاضطرّ ان يترك كرسيه الاسقفي الذي انزلهُ عنهُ مار اماًّ البطريرك وانفرد في جبل وعاش فيهِ متوحدًا. الّا ان الخلوة لم توافق ما كان مفطورًا عليهِ من الغيرة الرسولية فتركها وسعى لدى الملك هرقل ان يُقام اسقفًا على الرها معلنًا بصحة ايمانه الكاثوليكي. غير ان الرهاويين الذين كانوا بمراقبة لم يكونوا ليقبلوا عليهم اسقفًا يعتقد بالطبيعتين فوشوا بسهدونا لدى الملك بانهُ نسطوري ونالوا عزلهُ فاعتزل في تلّ بقرب الرها وعاش هناك في مغارة حتى قضى فيها نحبهُ ولا نعلم سنة وفاتهِ . وربما حاول اصدقاؤه النساطرة ان يردّوه الى حظيرة الكنيسة النسطوريّة فلم ينجحوا. وقد اخبر جبرائيل التوريتي رئيس دير بيت عابي انهُ ذهب اليهِ في مغارته لكنهُ لم يقدر ان ينتصر على ثباته وان ادعى انهُ جادلهُ وغلبهُ

قال توما المرجي (ص ٥٣): « بعد ما تفقّه سهدونا بتعاليم الكتب الالهيّة مليًّا في نصيبين وتنوّر بها و برع كثيرًا اقتبل اسكيم الرهبنة في هذا الدير من ايدي ربّان يعقوب وخضع كما ينبغي لاعمال العيشة النسكيّة بالصوم والسهر والصلوة تحت ارشاد

معلمنا (يعقوب). ويُستدل من معاني تصانيفه التي وضعها في العيشة الرهبانية بانهُ شعر بعذوبة الممارسات التقوية التي لا تذوقها الّا النفس المقتنعة . فانهُ كتب عن جميع مصاعب الحياة الرهبانية في مجلدين ولهُ ايضاً تعزيات ومقالات في شؤون شتى. وكتب ايضاً ترجمة معلمنا (ربّان يعقوب) ومناقب الرهبان في بلاد المشرق وألف تأبيناً لمعلمنا يعقوب يوم دفنه الذي بدؤهُ: « لقد سقط منّا اليوم بالموت رئيس عظيم يا احباني» (قال): وكل من تصفح هذا الرثاء تحقّق ما لسهدونا من متانة الكلام وبلاغة المعاني واتضح لهُ انهُ كان جبّاراً بين المؤلفين لولا انهُ في الآخر ذل وخرج من عقله» يريد انهُ صار كاثوليكياً

فمن هذه التآليف لم يصل الينا سوى كتابه في العيشة النسكيَّة وخمس رسالات وقليل من الحكم الدينيَّة في كتاب مخطوط بالخطّ السطرنجيلي يقرب ان يكون معاصراً لمؤلفه والكتاب وحيد لا يُعرف لهُ ثانٍ وقد وجد في جبل سينا واليوم دخل في مكتبة سترسبورج وهو ناقص من اوله ومن آخره

امّا كتاب العيشة النسكيَّة فيقسم الى جزئين ويحتوي الجزء الاوَّل ٢٢ فصلاً لم يبقَ منها لنا سوى ستة والجزء الثاني كامل وفيه ١٤ فصلاً . ففي الجزء الاوَّل يتكلم سهدونا عن ماهية العيشة الرهبانيَّة وعن التجرد عن العالم والعيشة الاجتماعية والانفراديَّة وتجاريبها . وفي الجزء الثاني يتكلم عن الايمان والرجاء والمحبة والفقر والعفة والبتولية والصوم والاماتة والصلوة والفرض الالهي والقداس والشكر بعد المناولة والقراءة الروحية والسهر والتوبة والتواضع والطاعة والصبر وحضور الله وما شاكل ذلك

وافضل الرسالات الخمس الرسالة الرابعة وهي اطولها وجَّهها سهدونا الى راهب كان قد نبذ نذوره ودخل العالم ففي هذا البحث العجيب يوضح سهدونا جمال الدعوة الالهيَّة وقبح السقوط وفاعلية التوبة المكفرة عن كل ذنب والثقة بالله وخطر مقاومة النعمة وشيءٌ كثيرٌ من النصائح النفيسة العمليَّة

ومن يقرأ هذا الكتاب يرَ ما كان عليهِ هذا الانسان من غزارة العلم والفصاحة فضلاً عن التقوى ولا نعرف لهُ شبيهاً بين الآباء في رشاقة الافكار وسبك العبارة سوى يوحنا فم الذهب. وتعاليمه صحيحة مستقيمة يستحق الذكر منها ١° : الفصل الثاني من الجزء الثاني وهو احكم واجمل بحث جاء في الآداب السريانية عن سرّي الثالوث

والتجسد الأقدسين. — ٢ً رايهُ الصريح في الدينونة الخصوصيَّة وسعادة الابرار وهلاك الاشرار حالًا بعد انفصالهم عن الجسد. — ٣ً التمييز بين الخطية المميتة والعرضية. — ٤ً شرحهُ لذبيحة القداس. — ٥ً اعتقاده برئاسة بطرس الرسول. — ٦ً رايهُ في الزواج المعقود بعد النذور الرهبانيَّة وانهُ لا يصح. وبالاجمال براهينه قويَّة وكلامه سديد موسوم بطلاوةٍ من شأنها ان تقنع القارئ على ممارسة الفضيلة التي يشرحها. فجزى الله خيرًا ناشر هذا الكتاب واجزل ثوابه على ما يتكبده من الأتعاب فانهُ لم يملّ منذ سبع عشرة سنة من ان يتحف بني جلدته بنفائس كهذه خدمةً للدين واللغة والتاريخ

الصومال والدِكْدِك

نبذة لجناب الصيدلي القانوني عبد الله افندي مخائيل رعد المتخرّج في مكتبنا الطبي

١ الصومال

من خليج تَجُرَّه وقسم من ساحل البحر الهندي الى الجبال الشامخة القائمة عليها سهول هرر والحبشة تمتدّ صحاري واسعة فسيحة تُعرف ببلاد الصومال يستوي جزء صغير منها وسطح البحر علوًّا ثم ترتفع دفعةً واحدة تقريبًا الى علوّ ٦٠٠ مترٍ تتدرَّج بعدها بالارتفاع فتختلف نقطها بين ٦٠٠ و ١١٠٠ متر ويختلف حرّها على نحو اختلاف ارتفاعها. هذه الصحاري تُقسم الى اقسام وكل قسم منها يدعى باسم القبيلة التي تسكنهُ من ذلك صومال العيسى وصومال الهَبَرَوَل وصومال الكدابورسي وغير ذلك واهمّها الثلاثة المذكورة. امّا هذه البلاد واخصّها العيسى فهي عبارة عن اكمات بركانيَّة الاصل سوداء قحطة محزنة يتخللها سهول رمليّة محرقة يغطيها في فصل الامطار بساط من العشب الاخضر فيجعلها مراعي خصبة للمواشي وينبت فيها هنا وهناك شجيرات من نوعي الاكاسيا والميموزا الشوكيتين يتعلّق على اغصانها كثير من النباتات المعترشة. امّا في بعض النقط العالية فترى هذه الاشجار متلاصقة ببعضها والنبات المعرّش مشتبك من شجرة الى اخرى بحيث يصعب على الصيّاد ان ينفذ بين هذه الادغال. وفي مثل هذه الغابات الافريقيَّة يعيش كثير من الوحوش الضارية والسباع

والقرود والضباع والحيّات وغير ذلك. امّا في السهول القليلة الاشجار والادغال فيرعى بنوع اخصّ الغزال والارنب وطرائد غيرهـا ترى قطعانًا سارحةً كالغنم لا يعكّر صفاءها ضجيج الصومال اذ لا حركة لهم ولا هم مسلحون باسلحة ناريّة

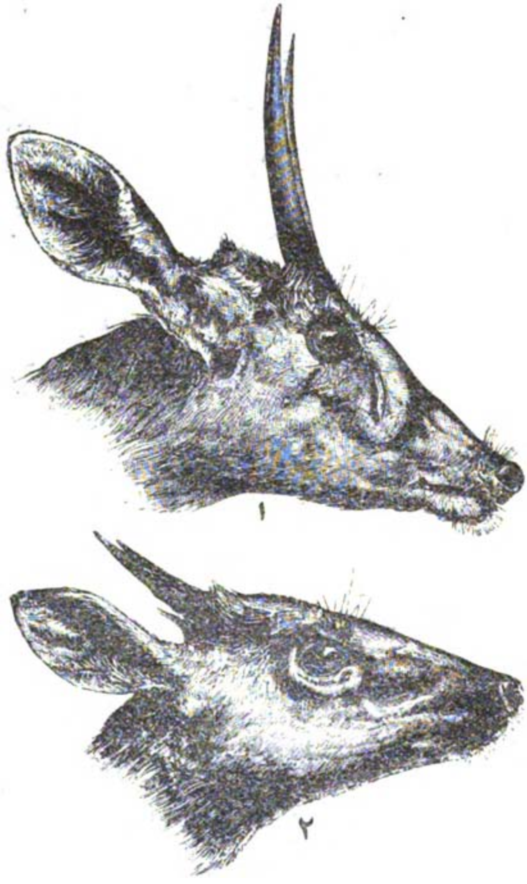
٢ الدِكدِك

من اجمل غزلان هذه الارض حيوان صغير جميل يعرف بلسان الصومال بالدِكدِك ويدعوهُ العرب هناك « بني اسرائيل ». درس هذا الغزال كثير من علماء الحيوان وكل منهم اعطاهُ اسمًا يختلف عمَّا سمَّاهُ الآخر. من ذلك ان العالم الفرنسويّ دي بلانڤيل (de Blainville) دعاهُ *neotragus saltianus* والعالم بلوفرد (Blaufard) سمَّاهُ *antilope hemprichiana* وقد حذا حذوهُ بهذه التسمية العالم روپل (Rüppel) الالماني كذلك المسيو براهم (Brehm) دعاهُ *cephalophus hemprichii* والمسيو (R. Ward) سمَّاهُ *madoqua saltiana* وغيرهم دعاهُ غير ذلك. وكل من هؤلاء العلماء اعتمدَ لتسميته على اشارات طبيعيّة غير ما استند اليهِ الآخر لذلك لم استطع تفضيل اسم على آخر وقد اثرت ان اسرد اهمّ اسماء هذا الحيوان

(تعريفه) اتاحت لي الفرصة ان طاردت هذا الحيوان في الصحراء مرّات على مقربة من محطات الخطّ الحديدي فلم اكتفِ بلذة الحنجرة عند اكل لحمهِ الطري اللذيذ وخصوصًا الفخذ منهُ والاضلاع بل رأيت ان انال منهُ لذَّة علميّة ايضًا فدرستهُ درسًا زوولوجيًا واثرت ان آتي القرّاء الكرام على نتيجة ما لاحظتهُ

قياس الدكدك من مقدَّم فمه الى طرف ذنبه يتراوح بين ٦٠ و ٧٠ سانتيمترًا. ذنبه قصير لا يتجاوز ٥ س واذانه طويلة يختلف قياسها من ٥ الى ٩ س ومتوسطها غالبًا ٨ س. ولهُ عنق طويل كبقيّة انواع الغزال ومحيط هذا العنق من ١٠ الى ١٢ س. علوّهُ من ٤٠ الى ٤٣ س. قوائمهُ الاربعة رفيعة. شعرهُ اشقر يخالطهُ رمدة قليلة. وهذا الحيوان سريع الركض خفيف الحركة يقفز بين الادغال فيغيب عن الصياد بلمح البصر ويترك على الرمل نقش ارجلهِ على شكل قلب مستطيل يتراوح قياسه من ٢ الى ٣ س ويعلو رأسه قرنان صغيران بينهما قنبرة شعر لطيفة وهو كبقيّة بني جنسهِ من الحيوانات المعروفة بعلم الحيوان من فصيلة الحيوانات المجترّة خالٍ من الاضراس في الفكّ الاعلى

امَّا فكُّهُ الادنى ففيهِ ثمانية اضراس احدها عريض مركزه متوسط بينها . والسبعة الباقية كلها رفيعة



غزالان من غزلان الحبش: ١ المادوك ٢ الديلو

لا قرون الَّا على رأس الذكر من الدكدك وطول هذه القرون يتراوح بين ٧ و ٩س وهي مستقيمة تقريباً جزؤها الاسفل اشقر مثلث الزوايا واعلاها املس ناعم مستدير ينتهي برأس رفيع شبه الشوكة وهذا الطرف من القرن منحرف قليلًا الى الامام او الى احد الجانبين . امَّا الانثى فهي خالية من القرون لها اربعة اثداء كل واحد منها بحلمة واحدة . وهي لا تحمل في الغالب الَّا صغيرًا واحدًا كما ظهر لي من تشريح اناث كثيرة حوامل من جنس هذا الحيوان

لا يرعى الدكدك قطعاً تا كبقيَّة انواع الطريدة في هذه الصحراء انَّما يرى منفردًا او ازواجاً وندر مشاهدة زوجين يرعيان سويَّةً وقد روى لي بعض الاهلين انهُ نظر مرة واحدة ثلاثة ازواج من هــذا الحيوان تمشي سوية وقد قصّ ذلك على ذويهِ فلم يصدقوهُ لمعرفتهم بقلّة تآلف هذا الحيوان . امَّا الاماكن التي يعزز فيها وجود الدكدك فهي صحراء الصومال العيسى واخصّ منها بذكر سهولَ لسحرات وآداكا لا وآرثو حيث يجد الصيَّاد الدكدك يقفز بين الادغال وعلى حافة الانهار الناشفة . وقد رام بعض الافرنج ان يدجنوا هــذا الحيوان كالغزال المعروف فلم يصيبوا الى اليوم المرمى وقد أُتي حاكم مستعمرة جيبوتي برضيـع منهُ فعمل ما بوسعه لتربيته وكانت هناك عنزة ترضعهُ لبنهـا فعاش اشهرًا قليلة ومات وما ذلك الّا لان جنسه معتاد على كثرة الحرّ والحريَّة

يمين العليّ

رواية تاريخية للاب س . ت اليسوعيّ

الفصل الحادي عشر

نهاية عالم

رسالة راسيوس الى صديقهِ لوسيليوس في بيروت

من معسكر اورشليم في ١٣ يونيو

كأنّي بك يا صاح ظننتني ميتاً ولولا حراسة العلويين ونظر الآلهة لما كنتَ كذبت في ظنك . وهاءنذا اليوم قد ابرمتُ عهدًا جديدًا مع الحياة بل قُلْ مع الصحة والعافية . ولا إخال صديقنا العزيز لاونطيوس سها عن مكاتبتك كما كنتُ اوصيتـهُ في ذلك اذ كنتُ مضَّجعاً وانا بين حيٍّ ومَيت وكتفي مخلوعة وصدري مفتوح بطعنة جائفة . فترى اني بلغت الى حافة القبر وانَّ رجلي كادت تصعد سفينة الموتى التي يقودها كارون

فهذا كلهُ قد اعلمك بهِ لاونطيوس لكنَّ هذا الصديق الصدوق سكت ولا مراء عمَّا بذلهُ في سبيل شفائي من الوسائل الفعَّالة فان انا الآن جالس بالدعة والهنـاء على

مدخل خيمة طيطس فان الفضل في ذلك لهـذا الخلّ الوفيّ الذي نفعني على قدر اسكولاب اله الطبّ. وان كنت تعدّني في عداد خلاّنك فاشكر لهذا الضابط الذي لم يحرمك صداقتي. فانهُ مع كونهِ نصرانيًا (او بالحريّ لانهُ نصرانيّ) قد انقـذني من سهام العـدوّ اذ كادت تذيقني سكرات الموت ثم تولّى امر تمريضي كالامّ الحنون فلم يبرح خيمتي ساهرًا عليّ ليلاً مع نهـار الى ان اعلن الطبيب بزوال الخطر وقرب شفائي. فتأكّد ايها العزيز انّ فعل لاونطيوس لمن افعال الشهماء التي لا يأتي بمثلها بشر فلله درّهُ ما اعظم نفسهُ واشرف همّتهُ

انّ مودّتي لك حملتني على تسطير هذا الرقيم وان لم ابرأ تمـامًا من جراحي. فانّ يدي الشمال لا تزال خدرةً مخبولةً لا احرّكها الّا بألمٍ فلا اعلم أيمكنني بعد هذا ان اركب جوادي واضبط عنانهُ في السير. اما جرح صدري فانهُ قد اندمل بعد الجهد الجهيد

وان سألت عن مسكني فاعلم اني في مضرب قائدنا العظيم طيطس نفسهِ. وقد قيل لي اني أُصبتُ بجراحي وانا ساعٍ في انقـاذهِ من ايدي اليهود. فاراد ان يظهر لي شكرهُ بان جعلني في خيمتهِ وكان يتاطّف صباح مساء فيمرّ عليّ ليستخبر عن صحّتي. وفي هذه الأيّام احوجتهُ الحرب على ان يقلّل من عيادتي لأنّهُ قد فتح قسمًا من المدينة وهو لا يغيب ساعةً عن جنودهِ لئلّا يبغتهم العدوّ فيستنهض همّتهم. على اني عارف حقّ المعرفة انّ ابن فسبسيانوس لم يَنسني وانّ جراحي قد مهّدت لي سُبُل المعالي اكثر من عشرين موقعةً أُبلي فيها البلاء الحسن. ومن ثم سواء عليّ اخوض معامع الحرب ام لا

ولعلّك تتعجّب من امري فتقول: أهذا راسيوس الضابط الذي كان يتشوّق الى الحرب العوان؟ أفيُسَرّ بجراحهِ لينجو من اهوال الحرب؟ كلّا لا تروّعني الحرب ولا تهدّ عزيمتي ويلاتها وانّما أُسرّ لكوني وقعتُ كريمًا دون ان أُهرق شيئًا من دم قومٍ شاركتُهم في الجنسيّة فتاةٌ من بيروت تميل اليهـا عواطفي. فكيف يا تُرى ترضى بان تقترن بجندي تلطّخت يداهُ بدماء شعبها. فناشدتك الالهة بان تبلّغهـا ان الضابط المأسور بحبّها بريءٌ من دم اليهود مع كونهِ لم يقصّر في واجباتهِ الجنديّة وخاطر بنفسهِ كحرّ لا يهاب الموت

هذا ولو كانت قواي تسمح لي بالعودة الى بيروت لطلبتُ من قائدنا رُخصةً اقضيها في جواركم فابلّ من سقامي قرب الاحبابَ. لكنّ الاحوال تقضي عليّ بان ابقى هنا الى آخر الحرب

ويا لها من حرب مشئومة فانّنا لم نَعُد نقاتل عدوًّا يحاربنا فنحاربهُ بل نحضر مجزرة قومٍ حلفوا بان يموتوا في مدينتهم ولا يطلبوا اماناً. ومنذ ايّامٍ رأى قائد الجيش مع اركان الحرب انّ الأَولى بنا ان نكفّ عن مقاتلة رجالٍ يئسوا من الخلاص فاستقتلوا فنجتزئ بتشديد الحصار وتضييق نطاقهِ ونحن نعلمُ ان الجوع قد برّح باهل اورشليم واجهدهم فيفتك بهم فتكاً ذريعاً. هذا فضلًا عمّا في قلوب زعمائهم من الحزازات التي تحمل بهم على شهر السلاح على اقرانهم

والحقُّ يقال انّ حالة هذه المدينة التي كانت من امّهات المدن وحواضرها لمّا يفتّت الاكباد. فاعلم يا صاح انّنا لمّا باشرنا الحصار منذ ثلاثة اشهر كان فيها عدد اليهود نيّفًا والف الفٍ اتوا مدينتهم المقدّسة لعيد الفصح واليوم قد مات منهم بالحرب والجوع اكثر من نصفهم. امّا حالة الاحياء فهي اسوأ من حالة الموتى. فترى هؤلاء المساكين بين رجال ونساء وصبيان يهيمون في وجههم يلتمسون شيئًا يسدّون بهِ رمقهم فلا يكادون يجدون. امّا حامية البلد فانّهم يحافظون على الطعام الباقي بحرصٍ لا شبيه بهِ مدّعين انهُ لهم فقط ليتمكّنوا من الدفاع عن اورشليم. بل رُبّما يطوفون البلد وهم مدّججون بالسلاح فيدخلون البيوت عنوةً وينهبون ما بقي فيها من القوت

وكثيرون من الاهلين صونًا على حياتهم يخرجون ليلًا تحت جنح الظلام من ابواب المدينة فيطوفون حول الاسوار لعلّهم يجدون شيئًا من نفاية طعامنا يتقوّتون بهِ. فيراهم العسس كاشباح موتى خرجوا من قبورهم وجلودُهم لاصقة بعظامهم وعيونهم غائرة في حجاجها وفي اوّل الامر كانت تأخذ جنودنا الشفقة عليهم الّا انّ طيطس امر بقتلهم لئلّا يطول الحصار بذلك

ومع ما صار اليهِ القوم من سوء الحال وشرّ الدمار لم نسمع حتى الآن انّهم ينوون فتح ابوابهم بل كلهم مصرّون على مناصبتنا يحتملون بصبر جميل كل هذه الخطوب حبًّا بمدينة ملوكهم. ومنهم من يقضي ايّاماً لا يأكل غير اعشاب يابسة كالحيوان او جلودًا ينقعونها بالماء فيأكلونها. وغيرهم يعمد الى العظام او قرون البقر

فيدقّونها ويتّخذونها طعاماً . ومن وجد منهم حيوانات قذرة كالفئران والجرذان يعدّ نفسهُ سعيداً . امّا البُرّ فقد اضحى المدّ منهُ يباع بوزنة من الفضة (٦٠٠٠ فرنك) على انهُ صار اليوم اعزّ من الغراب الاعصم

وقد اخبرني بعض من فرّ منهم طالبين الامان خبرًا ما كنتُ لاصدّقهُ لولا انهُ اكّدهُ لي بايمانٍ محرّجة . وهو انّ صوت الطبيعة لم يعد مسموعاً في قلوب كثير من الوالدين فترى الآباء والأمهات يحرمون اولادهم قوتهم ليضنّوا بهِ على نفوسهم وربّما قتل بعضهم بعضاً على بيتة ليلة . ومنذ نحو اسبوع مرّ بعض جنود حنأ الجشي في حيّ من احياء المدينة فشمّوا قتار شويّ فما كان منهم الّا ان كسروا الباب ودخلوا فاذا بامرأة قطعت طفلها شطرين كانت تشوي قسماً منهُ لتسدّ بهِ جوعها الكَلِب . فلمّا رأتهم قدّمت لهم من شوائها . واذ رأتهم يستغربون فعلها قالت : « هيّاً كلوا ولا تكن قلوبكم على ولدي احنّ من قلب امّ عليهِ »

هذا برضٌ من عدّ ووشل من بحر ولو اردتُ ان اصف لك كلّ ما بلغني عن حالة اليهود لطال بي الكلام . وحسبك ان تعلم انّ كثيرين من جنودنا الذين لا يعرفون الرحمة قد اخذهم السأم من قتل هؤلاء الصعاليك فيقولون جهارًا : « انّهم جنود وليسوا بجزّارين » وهم يطلبون ان يهجموا على المدينة هجمةً اخيرة لئلاَّ يروا اعداءهم في هذه الحالة من الضنك والمجاعة

على انّ بعضاً من اصحابنا وهم المسيحيّون يسعون طاقة جهدهم في مساعدة هؤلاء المنكوبين . اخصّ منهم بالذكر صديقي لاونطيوس الذي يحارب في ساحة القتال كالاسد القسور الّا انهُ بعد الوقائع اعطف من امّ على ولدها . فاذا رأى احدًا من غرثى اليهود مهاجرًا الى معسكرنا دافع عنهُ لئلَّا يصيبهُ اذًى وسدّ رمقهُ . وقد عاينتهُ يوم امس وهو يعطي رجلًا منهم اكبر شطر من طعامهِ . وقد تعجّبت من ذلك غاية العجب مع علمي بان اليهود يعدّون النصارى كألدّ اعدائهم . فلعمري اني لا ادرك كيف يكافئهم تَبَعة المسيح بالحُسنى عن بغضهم

ويزيد عجبي لصنيع هؤلاء النصارى اذا ما قابلتهُ مع فظاظة جنودنا مع اليهود بل ترى طيطس نفسهُ الذي ضُرب المثل بحلمهِ يتشدّد على الذين يفرّون من المدينة ويلتجئون اليهِ فلا يرثي لحالهم . فانهُ منذ خمسة عشر يوماً اخذ منهم ٥٠٠ فعلّقهم على

صلبان ومثّل بهم ليكونوا عبرةً لاخوانهم ولكنّ الامر كان على خلاف ظنّهِ . لانَّ الذين رأوهم من داخل المدينة زادوا تحمّساً وآثروا الموت كماء تحت ردم مدينتهم على الاستسلام . واخذوا يشتمون يوسيفوس المؤرخ الذي جاءهم وسيطاً ليستدعيهم الى طلب الامان

ومن غريب الاتفاق الذي استلفت اليهِ انظاري صديقي لاونطيوس انَّ هؤلاء المنكوبين الذين صلبهم طيطس انّما صُلبوا فوق اكمةٍ تُعرف بالجلجلة وهي التي عليها صلب اليهود منذ نحو اربعين سنة يسوع المعروف بالمسيح الذي يعبدهُ النصارى . فكان هذا الاتفاق كآية علوية يحسبها جنودنا النصارى كعقابٍ لما عاملوا بهِ ذاك البارّ اذ طلبوا انَّ دمهُ يجري عليهم وعلى اولادهم واكرهوا بيلاطوس الحاكم على صلبهِ

اني أُسرع الى ختام كتابي هذا لئلا تفوتني فرصة ساعٍ يرسلهُ طيطس اليكم ولعلَّ هذه آخر مرَّة اكتب اليك من اورشليم لانَّ اعمال البريد لم تعُد تجري بنظام والمدينة على وشك السقوط . وان شاءت الآلهة نكن عندكم قريباً فنتجاذب عياناً اطراف الحديث

ولكن ارجوك ألّا تنسى تلك الفتاة التي تحنُّ اليها اضلاعي . . . فان امكنك ان تبلّغها اخباري وتعلمها باحوالي فلا تتأخر . . . كما اني انتظر منك ان تفيدني عن امورها ما يحيط بهِ علمك . . . أتُراها سهتْ عني او بالحريّ ألم يستولِ على قلبها البغض اذ تراني مشغولًا في حرب قومها . فبالله عليك قُلْ لها اني قائم على وفاء العهود واني وددتُ لو أُنقذ قومها ممّا يحيق بهِ من التهلكة . وعلى كلّ حال فلتعلم انَّ يديَّ لم ترقّا نقطة من دم شعبها . فليُخطِني السعدُ بها قريباً . . . اراني تائهاً في افكاري فاقبل عذري واعتبرني كصديقك المخلص   الضابط راسيوس

*

كلاً ساء ظنّ راسيوس اذ حسب انَّ شدَّة الجماعة كادت تلقي الى الرومان بمقاليد مدينة اورشليم . نعم انَّ الجوع كان يذيق اليهود اوجاعاً أمرَّ من الموت الّا انَّ عنادهم كان يزداد مع الأيام على قدر ما كان الرومان يأخذون بمخانقهم

على ان طيطس لم يشأ ان تبقى جنودهُ فارغةً بلا عمل بل امرهم ان يملأوا الخنادق التي تحيط بقلعة انطونيا (راجع خارطة اورشليم ص ٦٦٦) فشيَّدوا اربعة

جسور ضخمة توصــل بينهم وبين ذاك الحصن الحريز ٠ وكان اليهود لما تالهم من خور القوى وانحطاط العزيمة يرونهم دون أن يتصدّوا لهم وهم يأملون انّ الله لا يهمل شعبهُ بل يصنع لخلاص مدينة قدسهِ عجائب خوارق كما فعل ايّام حزقيّا اذ ضرب ملاك الله معسكر البابليين واباد قوّاتهم .

ولمّا كان الثلاثون من شهر حزيران دقّ النفير في وسط الليل فهجم الرومان من كل جانب على قلعة انطونيا على نور المشاعل والنفّاطات ٠ فسمع اليهود هذه الجلبة ولم يستطيعوا ان يدافعوا عن هذا المعقــل المنيع الذي كان كفوءا لردّ كلّ غارات العــدوّ لولا حالة المدافعين من الهزال والضنك ٠ وغاية ما امكنهم فعلهُ انّهم قاموا يتراكضون الى جهة الهيكل ليلوذوا بحَرَمهِ ٠ على انّ الرومان ادركوهم وقتلوا منهم عددًا لا يُحصى طول ليلهم ولم يكفّوا الّا عند طلوع الفجر اذ رأوا اكداساً من جثث القتلى وجداول من دمائهم تجري فرويت سيوفهم وكلّت ايديهم

على انّ الحرب لم تضع اوزارها بفتح قلعة انطونيا فانّ الرومان لمّا دخلوا عنوةً في هذا الحصن هالهم منظر الهيكل الاورشليميّ وهو اشبه بمدينة حريزة منهُ بمعبد دينيّ فرأوهُ اذ ذاك لاوّل مرّة واذا هو عبارة عن جبل تُحدق بهِ الابنية كالسوار بالمعصم وكان امامهُ ثلاثة ارصفة منظّمة على شكل درج ٠ فالرصيف الاوّل كان طولهُ عشرة امتار وكلّهُ مبني بنحيت الحجارة الضخمة وفوقهُ رواق اعمدة من رخام لا يحرّكها الوفٌ من البشر (راجع انجيل مرقس ١٣ : ١-٢)

ومن خلال هذه العواميد كان النظر يرى ساحة متّسعة مفروشة بالفسيفساء تدعى ساحة الامم التي لم يسمح اليهود للوثنيين ان يتعدّوها ٠ وكان الرومان يرون فوق هذه الساحة ساحةً أخرى تُعرف بساحة النساء كنّ يصعدن اليها باربع عشرة درجة ويدخلن في باب مصفّح بالفضّة والذهب علوّهُ عشرون ذراعاً

ووراء هذه الساحة في وسط الحرم كانت درجات أُخر مع باب من نحاس قورنتس يسمّى باب نيكانور كان يفتحهُ ويقفلهُ عشرون من عمّال الهيكل وكان ينفذ منهُ اليهود الى رواق يبلّغهم ساحة بني اسرائيل وهي تنتهي بدرجة واحدة تفصلهم عن ساحة بني لاوي التي فيها كان مذبح التقادم منصوبًا لا تزال تسيل فوقهُ دماء الذبائح ويُحرق البخور العطر ٠ وهذا المذبح كان مربّعاً طول الجانب منهُ في اسفلهِ ٣٢ ذراعاً وعلوّهُ ١٥ ذراعاً

وكان الرومان يرون من وراء هذا المذبح واجهة الهيكل عرضُهـا مئة ذراع في مثلها علوًّا . وكلُّها من الرخام الغالي الثمن عليهـا صفائح الذهب . فذاك الباب كان لا يدخلهُ غير الكهنة . وكان لهذه الواجهة باب بلا رتاج عرضهُ ٧٠ ذراعاً في علوّ ٢٥ ذراعاً يجتاز منهُ الكهنة الى رواق الهيكل . وكانوا يدخلون من الرواق الى المقدس بمدخل ثانٍ عرضهُ ٣٠ ذراعاً في ١٦ علوًّا كانت تزينهُ اغصان جفنةٍ من الذهب تتدلَّى منهـا عناقيد مثلها على طول قامة الانسان

امَّا المقدس ففيهِ كانت مائدة « خبز الوجوه » الذي يُعرض كلَّ يوم امام الربّ . وهناك كانت المنارة ذات السَّبع الشُّعَب من الذهب المصمت . ووراء المقدس كان ستر منسوج من الذهب والارجوان وهو الحجاب الذي كانت تتجلَّى من ورائهِ عظمة الله وفيهِ قدس الاقداس

فذاك كان الهيكل الاورشليميّ الذي راءهُ الرومان منتصباً بازائهم كانهُ يسخر من قوَّتهم وجبروتهم . فان كانوا لا يتجاوزون حدودهُ وينتهكون حرمهُ فلا يمكنهم ان يعللوا نفوسهم بالانتصار التامّ

وكانوا يودُّون لو ابقوا هذا الاثر على هيئتهِ ومحاسنهِ لولا اضطرارهم الى محاربة اليهود . وكان زعماء اليهود اوَّل من انتهك حمى الهيكل وجعلوهُ مغارةً للصوص بدلًا من مقام للصلاة . فانَّ العازر بن سمعان كان جعل الهيكل كثكنةٍ لجنودهِ . وبعد ذلك لمَّا كان يوم الفصح اضحى الهيكل كساحة حرب فانَّ جنود يوحنَّا الجيشي باغتوا اليعازر وذويهِ وخالطوا دماءهم بدماء الذبائح الشرعيَّة وفي مساء بعض الايَّام التالية سمع اليهود في قدس الاقداس جلبةً ثمَّ اصواتًا تصرخ : « هلمَّ نخرج من هنا » ومنذ تلك الساعة تثاقلت عليهم يمين العلي (ستأتي البقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

تاريخ التمدُّن الاسلامي

تأليف جرجي زيدان منشئ الهلال (الجزء الثاني ١٩٠٣ ص ١٩٣

سبق لنا وصف الجزء الاوَّل من هذا التاليف المهمّ والثناء على صاحبهِ الاديب

(المشرق ٥ : ٩١٠) وهذا القسم الثاني مدارهُ على ثروة الدولة الاسلاميَّة في القرن الثالث للهجرة . وقد وجدنا ان المؤلف استند في هذا القسم على اصدق الرواة واوثق المصادر التي يحيل اليها في ذيل الكتاب كتواريخ الطبري وابن الاثير والمسعودي وابن عبد ربهِ وابن خلكان والمقريزيّ وغيرهم ممَّن اجمع العلماء على طول باعهم وصدق نقلهم . وقد سبك جناب الكاتب البارع كلامهم سبكًا محكمًا واخرجهُ مخرجًا حسنًا يروق المطالع درسهُ . وبالاجمال نرى انَّ هذا القسم افضل من الجزء السابق يدلُّ على بحث ادقّ وتنقيب اعظم وان كان لا يخلو من بعض الشوائب التي اشرنا اليها . فنثني على مساعي منشئ الهلال ونتمنَّى انهُ لا يذخر وسعهُ في تحسين ما بقي لهُ من الاجزاء ليكون تأليفهُ دستورًا يرجع اليهِ العلماء في درس التمدُّن الاسلامي

السّحر الحلال في شعر الدلّال

بقلم جناب الاديب قسطاكي افندي الحمصي (١٩٠٣ ص٤٤)

من جملة أُدباء الشهباء الذين اسعدنا الحظّ على الاجتماع بناديهم في حلب قبل سبع عشرة سنة الشاعر الفاضل والكاتب البارع جبرائيل الدلّال الذي اغتالتهُ المنيَّة سنة ١٨٩٢ . وكان المرحوم من اسرةٍ معروفة في الشهباء بشرفها وكرم اخلاقها نشأ منذ صغرهِ في حبّ الآداب والعلوم واتقن كثيرًا منها وتنقَّل في كثير من البلاد وتقلَّب في عدَّة مناصب . وكان لهُ في الانشاء اليد الطولى وفي الشعر السهم الأعلى . وقد احبّ جناب صديقهِ ووطنيهِ الاديب قسطاكي افندي الحمصي بان يجمع في كرّاسةٍ مع فصولٍ من ترجمتهِ نبذًا حسنة من نظمهِ يلوح منها ما طُبع عليهِ الفقيد من توقُّد الذهن وغزارة المادَّة وملكة الشعر نثبت منها هنا بعض الشذرات ليعرف القرّاء سموّ فضلهِ . لا زالت الشهباء تجود علينا بمثلهِ . فمن ذلك قصيدة مطوَّلة قالها في الحضرة السلطانية اوَّلها :

دام سعد السلطان عبد الحميد مستجدًّا بالنصر والتأييدِ
صاحب الشوكة القويّة والعزِّ م الذي ليس فوقهُ من مزيدِ
ذو الجلال التي بها افتخر المد ح لصدق التعظيم والتمجيدِ
مسبغ الانعمُ التي قد توالت وغدت كالاطواق في كلّ جيدِ
خلّد الله ملكهُ وغدت حُسّادُ نعمائهِ بجهدٍ جهيدِ

وحباهُ نصرًا عزيزًا وكان ال   نجح منهُ بقرب حبل الوريدِ

ولهُ من قصيدةٍ يرثي شقيقتهُ التي قضت نحبها دون الثلاثين فنُعيت اليهِ في الغربة:

يا ليت شعري والبلاد بعيدةٌ   هل تسمعين شقيقتي فاناديِ
أغريبة الاوطان هل من عودةٍ   تُرجى فذكركِ لم يزل في النادي
حقٌّ الطبيعة ان اكون مقدَّمًا   فعلامَ قد اخلفتُ في الميعادِ
ما كان قطُّ البَيْن جال بخاطري   ابدًا وبُعدكِ لم يكن بمرادي
يا ليتهُ ابقاكِ لي واحلَّ بي   كيد العدى وشماتة الحسَّادِ

الى ان قال: شطَّ المزارُ واصبح الاخوان بال   شهباء ذاك وذا بغرب بلادِ

لو كان يسمح ان يساومنا القضا   او يرتضي الكِ فدية من فادي
لفداكِ كلٌّ والنفوس نفائس   بالروح ليس بطارفٍ وتلادِ
اسفت قلوب اقاربٍ واباعدٍ   وبكت عيون احبَّةٍ واعادي
يا حسرتي ومصابنا تاريخهُ   عند الفراق تفتتُ الاكبادِ (١٨٨٥)

ومن فكاهاتهِ قولهُ في مزيّن:

يا ربِّ حلّاقٍ بَلَوني بهِ   اذاقني مُرَّ العذاب الاليمْ
شمالهُ كالطور ثقلًا وفي   يمينهِ موسى وخدّي الكليمْ

Un séjour à l'Ambassade de France à Constantinople

par la Baronne Durand de Fontmagne

Paris, Plon, in-8,1902, pp. 315

اقامتي في سفارة فرنسة في الاستانة العلية

لمَّا كان المسيو توفنيل (M^r Thouvenel) متوليًا شؤون السفارة الفرنسيَّة في الاستانة العلية من سنة ١٨٥٥ الى سنة ١٨٦٠ زارت عاصمة الممالك المحروسة احدى نسيباتهِ من اشراف فرنسة تُدعى البارونة دوران دي فونماني واقامت سنتين في جوار السفير. فانتهزت تلك الفرصة لتصف حاضرة دولتنا العليَّة وآثارها القديمة والحديثة ورجالها العظام واحوال اهلها على اختلاف نِحَلهم في دينهم ودنياهم وافاضت في ذكر الصلات الولائية التي كانت تجمع بين فرنسة والباب العالي بعد ان كانت الدولتان اتَّحدتا في حرب القريم. وقد اثنت ايضًا على الاعمال الخيريَّة التي يقوم بها الرهبان والراهبات في دار السلام فيكسبون شكر كلّ البانسين. ومجمل القول انَّ هذا الكتاب كشاهد صادق على احوال الاستانة في ذلك العهد يمثّل امورها للعيان

Notice sur un Papyrus égypto-araméen
par M. J. Euting, *Paris, Klincksieck* 1903.

بابير مصريّ باللغة الآرامية

في مكتبة ستراسبورغ الامبراطوريَّة كتابة آراميَّة على البرديّ وجدت في الاقصر مع مخطوطات اخرى في سنتي ١٨٩٨ و ١٨٩٩. ولهذه الكتابة خطر كبير ليس فقط لقلَّة ما يُعرف من الخطوطات الاراميَّة المكتوبة على البرديّ بل ايضاً لأنها تتضمَّن تاريخاً يعرّف زمانها. الَّا انَّ هذه الكتابة يصعب قراءتها لعتقها وتلف بعض اقسامها فحاول المستشرق الشهير الاستاذ اوتنغ حلّ رموزها فبيَّن انَّ كاتبها احد عُمَّال الفرس ارسلها الى المرزبان الحاكم على مصر باسم الملك داريوس الثاني المعروف بداريوس نوثوس وذلك سنة ٤١٠ او ٤١١ قبل المسيح. وقد الحق المؤلِّف بمقالتهِ هذه المستحسنة صورة الكتابة التي طولها في الاصل ٦٣ سنتيمترًا في ٧ س عرضاً. وممَّا يستحقُّ الذكر انَّ لغة هذه الكتابة تشبه كثيرًا آراميَّة بعض الكتب المقدَّسة كاسفار دانيال وطوبيا ويهوديت وتساعد على درس لغة ذلك العصر

ميمر

في تحقيق ناموس موسى والانجيل الطاهر وتحقيق الارثذكسيَّة

للمعلم العامل والاب الفاضل كيرثاودورس اسقف حرَّان

هو الميمر الذي عُني بنشرهِ حضرة الخوري الفاضل قسطنطين باشا احد رهبان دير المخلِّص الباسيليين في اعداد المشرق السابقة وقد احبَّ حضرتهُ طبعهُ على حدةٍ لتعمَّ بهِ الفائدة. ولمَّا كان القرَّاء قد عرفوا ما لهذا الميمر من عظم الشأن فضلًا عن كونهِ من اجلّ الآثار المسيحيَّة القديمة لا نطيل الشرح في وصفهِ. وانَّما نحضُّ الجمهور على اقتنائهِ والاقتباس من فوائدهِ

هدايا أُرسلت الى ادارة مجلَّة المشرق

١ الدين والعلم والمال: المدن الثلاث تأليف فرح افندي انطون منشئ مجلَّة الجامعة

٢ برنامج الجمعيَّة الخيريَّة للارمن الكاثوليك لسنة ١٩٠٢ – ١٩٠٣

٣ طريق الهند المستقبلة مقالة افرنسية لحضرة الاب هنري لامنس

LA FUTURE ROUTE DES INDES, *par le P. H. Lammens S. J.*

٤ روايتان عامّيتان لامم آسية الوسطى نشرها بالالمانية الاستاذ البارع مارتين هرتمان

M. Hartmann : MESREB DER WEISE NARR UND FROMME KETZER.

شَذَرَاتٌ

دير القديس مارون في جريدة الروضة (١٩ ايلول) نظر في بحثنا الجغرافي عن موقع دير القديس مارون الذي ادرجناهُ في المشرق وقد وجدنا هذا النظر قاصرًا في عدَّة امور لا يسلّم بصحّتها اصحاب النقد . مثال ذلك قول صاحبهِ (في الصفحة الثانية العمود السادس) ان « انسطاس الملك كان حمويّ الاصل ». مع انَّ المؤرّخين قد اجمعوا على انَّهُ ولد في ديراكيوم شمالي غربيّ بلاد اليونان . ومنها قولهُ (فيها) ان دير القديس سمعان الذي ذهب اليهِ رهبان القديس مارون يوم استشهادهم كان « في الجبل العجيب » والصواب انَّ هذا الدير كان في جبل سمعان غربي حلب قريبًا منها . امَّا جبل عجيب فهو جبل آخر بعيد عنهُ من جهة الاسكندرونة وهو الذي يدعوهُ العرب جبل اللكّام ويعرف عند القدماء باسم « امانوس » . ومنها ايضًا قولهُ (فيها) انَّ دير القديس مارون « كان اقرب الى انطاكية من حماة » . فانّنا ولو سلّمنا بقول حضرة الكاتب انَّ هذا الدير كان بين حمص وحماة (وهو زعم ينافي صحّة الواقع) لَما استفاد شيئًا لبيان قولهِ لانَّ المسافة بين حمص وحماة قريبة تُقطع بيوم واحد امَّا المسافة بينهما وبين انطاكية فلا تقلّ عن خمسة او ستَّة ايَّام . ولنا ملاحظات اخرى لكنَّنا نكتفي بهذه ليرى القرَّاء ما في حجج الكاتب من القوَّة ه . ل

قرَّاء المكتبة العموميَّة في باريس دخل في السنة ١٩٠٢ مكتبة باريس لمطالعة مطبوعاتها ١٥٥,٥٣٣ قارئًا طالعوا ٥٤٠,٤١٦ تأليفًا . امَّا المخطوطات فقد طالع القراء منها ٥٧,٠١٤ هذا فضلًا عن غرفة السجلّات والختوم حيث اشتغل ٧١٥٨ رجلًا بموادّ تبلغ ٥٤,٥٣١ عددًا

اغزر البلاد مطرًا قد تحقّق اصحاب الآثار الجويَّة انَّ اوفر البلاد مطرًا اميركة الجنوبيَّة فان مقياس مطرها يبلغ مترًا و ٦٧٠ ملمترًا ويليها افريقية فان معدّل الامطار فيها ٨٢٥ ملمترًا . ثم اميركة الشماليَّة ومطرها ٧٣٠ ملمترًا .

ثم اوربَّة ٧٢٠ ملمتراً. ثم آسيَّة ٥٥٣م. ثم استرالية ٥٦٠ م. ويعلم القرَّاء انَّ معدَّل المطر في بيروت ٩١٠ ملَّمترات. ومجمل ما يهطل من المطر في العالم باجمعهِ ١٢٢,٠٠٠,٠٠٠ متر مكعَّب يجري منها الى البحور ٥٢,٠٠٠,٠٠٠ فقط

التجليد بجلد الضفادع يتَّخذ بعض المجلدين في الهند جلد الضفادع لتجليد الكتب وهم يستحضرونها لذلك استحضاراً خصوصيًّا ويصبغونها باصباغ جميلة ثم يجلدون بها الكتب النفيسة

الكَلَب في باريس وضواحيها منذ أُنشئ مكتب باستور في باريس قد خفَّ الكَلَب في تلك العاصمة وضواحيها سنة بعد سنة حتى يؤمل تلاشي هذا الداء العياء قريباً. فان في ايالة السين التي ضمنها باريس كان عدد المصابين بداء الكلب سنة ١٩٠١ : ١٣٢١ شخصاً مات منهم بعد العلاج ١٢ شخصاً وكان عدد الكلاب الكلبة ٨٤٦. امَّا السنة المنصرمة فسقط عدد الكلبى الى ١٠١٦ مات منهم ثلاثة فقط وكذلك الكلاب الكلبة فانَّ عددها قلَّ فلم يتجاوز ٤٧٤

جثَّة صحيحة للمموث وجدت في ولاية يركوسك من اعمال سيبريا جثة صحيحة من الممُوث وهو حيوان مفقود منذ اعصار قديمة والجثة كانت غائصة في الثلج المتجلّد فنُزعت بعد تعب عظيم ونُقلت الى بطرسبرج حيث عُرضت في متحف العلوم الطبيعيَّة. والممُوث حيوان على شكل الفيل الَّا انهُ اكبر منهُ. والحيوان المكتشف طولهُ ثلاثة امتار في علوّ مترين وثقلهُ زهاء الف كيلوغرام

التمساح في فلسطين روت جميَّة المجلّة الفلسطينيَّة الالمانيَّة انَّ العرب المخيِّمين في الزور قريباً من قيساريَّة قتلوا في نهر الزرقاء تمساحاً باعوا جلدهُ المقيمين في حيفا ليصبّروهُ. وهو اكتشاف مهمّ لتاريخ الحيوان في فلسطين

أسئلة وأجوبة

س سألنا حضرة الاخ بيوزيت فالنتان من الاسكندريَّة ما قولنا في مقالة كتبها المقطَّم تحت عنوان « قديس روسي جديد »

قديس روسيّ جديد

ج قد اطلعنا على هذه المقالة وعلى ما كتبتهُ الصحف الاوربيَّة في هذا الصدد

الّا انّنا لم نجد ديوانًا شرعيًّا عُقد لفحص المعجزات المنقولة عن هذا القديس كما تفعل الكنيسة الرومانيَّة في تثبيت قديسيها . ومن ثمَّ لا نرى سندًا كافيًا لتصديق ما تناقلتهُ الالسنة

س وسألنا احد كهنة الروم الكاثوليك الافاضل عن اصل صورة العذراء التي تُكرَّم في كنيسة القديس الفنس دي ليغوري في رومية العظمى

صورة العذراء المصونة في كنيسة القديس الفنس دي ليغوري في رومية العظمى

ج هذه الصورة تمثّل العذراء مريم مع ابنها الالهي في حجرها وعلى رأس البتول نجمة ومن على جانبيها ملاكان وتُعرف الصورة بسيّدة المعونة الدائمة تشبه بعض الشبه الصورة المنسوبة الى القديس لوقا . امَّا اصلها فالمظنون انها صورة قديمة نقلت من القسطنطينيَّة في اواسط القرن الخامس عشر وجُعلت في كنيسة على جبل اسكيلين حيث يتوارد المؤمنون لاكرامها والتبرّك بشفاعتها وقد تعدَّدت المعجزات التي جرت على يدها . وفي سنة ١٨٦٧ امر البابا بيوس التاسع بتتويجها وقد انشأ رهبان القديس المعروفون بالفدائيّين شركة على اسمها اغناها الاحبار الرومانيّون بغفارين عديدة

س وكتب جناب الفاضل اغوب فرحيان مثنيًا على كتاب سيادة المطران الجليل جرمانوس معقّد المعنون برحلة الفيلسوف الروماني . ثمَّ سألنا عن امر اشتبه عليهِ في هذا الكتاب وهو ما قال سيادة المؤلف في الصفحة ٢٧٦ عن مريم العذراء انَّها خرجت مع اخوة يسوع (اي انسبائهِ) وذويهِ ليمسكوهُ مدَّعين انَّهُ شارد العقل . قال السائل : « كيف امكن العذراء ان ترافق هؤلاء في فعلهم الذميم وهي تعرف مقام ابنها »

مشكل كتابي

ج اشار سيادتهُ الى قول مرقس في العدد ٢١ من الفصل الثالث ثم الى العدد ٣٢ منهُ فجمع بين آيات العددين كأنَّ الكلام الوارد في العدد ٣٢ تتمَّة للرواية التي وردت في العدد ٢١ . ومفسّرو الاناجيل المقدّسة يرتأون خلاف ذلك وهو أنَّ الكلام على واقعتين مختلفين زمنًا فالاوَّل يشمل « ذويه » وفي اليونانيَّة (οἱ παρ' αὐτοῦ) يراد بهم بعض معارفهِ واقربائهِ الذين كما قال يوحنَّا « لم يكونوا بعد يؤمنون بهِ » . امَّا الواقع الثاني الذي ورد ذكرهُ في مرقس (١٣ : ٣٢) وفي متّى (١٢ : ٤٦) ولوقا (٨ : ١٩) فانَّهُ جرى بعد ذلك بمدَّةٍ وقد ورد فيهِ لا في الاوَّل ذكر « امّهِ واخوتهِ » الذين جاؤوا لينظروهُ فقط لا ليمسكوهُ كما اراد الاولون . ومن ثم لا حرج على البتول الطاهرة ل . ش

المشرق

الأَلماس

تاريخهُ ومعادنهُ الأَفريقيَّة

نظر للشاب الاديب اسكندر افندي طحيني

انَّ للالماس شأنًا لم يُصبهُ بين الحجارة الكريمة والمعادن الثمينة غيرهُ ولذلك كان يتباهى بهِ الملوك عمومًا وامراء الشرق خصوصًا ويعدُّونهُ في مقدَّمة كنوزهم ويرصّعون بهِ تيجانهم. هذا مع انهُ لا يزال منذ قديم الزمن كافخر حليّ النساء يتبرّجن بهِ ويتسابقن الى اقتنائهِ. ولمَّا كان هذا الجوهر الكريم قد دخل في طور جديد من تاريخهِ باكتشاف معادن افريقية الألماسيَّة رأيتُ ان اتحف قرَّاء المشرق بنبذةٍ عنهُ مع لمعة في تاريخهِ ومعادنهِ الترنسفاليَّة

❁ اسمهُ ❁ الأَلماس كلمة يونانيَّة (ἀδάμας) مركَّبة من لفظتين من حرف نفيٍ (ἀ) ثم من فعلٍ (δαμάω) معناهُ كسرَ وقهرَ كأنَّهم ارادوا الدلالة على خاصَّتهِ العظمى اي انهُ الحجر الذي لا يُقهر. وقد اشتقَّ العرب من الاصل اليونانيّ لفظة الالماس بابدال حرف الدال باللام وعليهِ فتكون الالف واللام فيهِ اصليَّتين كما جاء في قاموس الفيروزباديّ. وزاد قولهُ: « ولا تقل ألماس (اي بقطع الهمزة الاصليَّة) فانهُ من لحن العامَّة. على انَّ كثيرين من كتبة العرب لم يوافقوا صاحب القاموس في قولهِ وكتبوا « ماس » كأنَّهم حسبوا الالف واللام للتعريف. ولذلك قد اورد التيفاشي والقزوينيّ وابن بيطار ذكر الألماس في حرف الميم لا في الهمزة. ومن ثمَّ يجوز « ماس » و « ألماس » على حدٍ سواء

﴿ وصفهُ ﴾ الماس جوهر شفّاف مُشِعٌ يتلألأ بريقًا وهو ذو صلابة غريبة يحزُّ كلَّ الاجسام وليس في المعادن شيء يسحقهُ. وجاء في كتاب ازهار الافكار في جواهر الاحجار للتيفاشيّ: «ومن خواصّ الماس انهُ يقطع كلّ ما يمرُّ عليهِ وهو في نفسهِ عسر الانكسار ولو وُضع على سندان ودُقّ بمطرقة من الفولاذ لا ينكسر بل يدخل في وجه السندان او المطرقة ولا يكسرهُ شيء غير الرصاص الاسود». والالماس لا يُرى الَّا متبلورًا على اشكال هندسيَّة ذات ثماني زوايا بسيطة او مركَّبة ترجع كلّها الى صورة المكعَّب وربَّما بلغ ٢٤ و ٤٨ وجهًا. قال التيفاشيّ: «ومن خواصّ الماس في ذاتهِ انَّ جميعهُ ذو زوايا قائمة واذا كُسر لا يُكسر الَّا مثلَّثًا ولو كُسر على اقلّ الاجزاء». وكثافتهُ تختلف بين ٣،٥٠ و ٣،٦٠

﴿ اشكالهُ ﴾ الالماس في الغالب صافي اللون نقيُّهُ كالماء الزُّلال ذو رونق خاصّ بهِ يُدعى لذلك بالرونق الماسيّ. وهو اغلى اشكالهِ ثمنًا يزيد قيمةً على قدر صفائهِ. ومنهُ ما يكون اصفر او ضاربًا الى الصفرة. وقد يوجد منهُ اخضر وارمد. ومنهُ ازرق لكنَّهُ عزيز الوجود. وكذلك الاسود منهُ وهو اصلب من سواهُ لكنَّهُ اقلّ ثمنًا يُستعمل لقطع الماسات الثمينة. وفي مفردات ابن البيطار (٤: ١٢٧) انَّ انواعهُ اربعة: الاوَّل الهندي ولونهُ الى البياض وعظمهُ في قدر باقلَّاة وفي قدر بزر الخيار والسمسم وربَّما كان في قدر الجوزة الَّا انَّ هذا قليل الوجود ولونهُ قريب من لون جيّد النوشادر الصافي. والثاني هو الماقدوني لونهُ شبيه بالذي قبلهُ واما عظمهُ فانهُ اكبر منهُ عظمًا وقدرًا. والثالث المعروف بالحديديّ الَّا انَّ لونهُ شبيه بلون الحديد وهو اثقل يوجد في بلاد اليمن في بلاد سوقة... والرابع القبرسيّ.. وهو ابيض كالفضَّة الَّا انَّ سوطافس لا يرى نوعهُ من انواع الماس لانَّ النار تنالهُ...»

﴿ قيمتهُ ﴾ الماس من اغلى الحجارة الكريمة اثمانًا وذلك لاسبابٍ منها ندرتهُ وحسنهُ ومنها ايضًا صعوبة استخراجهِ وما يقتضي استخلاصهُ من النفقات الطائلة. وللماس وزنٌ خاصّ بهِ لغلاء اثمانهِ وصغر حجمهِ. ومقياس وزنهِ القيراط (carat). والقيراط في الاصل حبَّة فول كان اهل الهند يتَّخذونها لوزن الألماس فاضحت وحدة مقياسهِ ومقدار القيراط خُمس الغرام بنيفٍ قليل اي مئتان وخمس ملغرامات وهو يساوي ٥٠ فرنكًا متفردًا غير مصوغ واما اذا كان قِطَعًا فيزيد ثمن القيراط على قدر

حجم الماسة حتى انهُ يبلغ القيراط الواحد ٢٠٠ فرنك الى ٣٠٠. قال التيفاشيّ : « الماس زنة قيراطٍ منهُ بدينارين. وذكر يعقوب بن اسحق الكنديّ انّ قدر ما عاين من هذا الحجر ما بين الخردلة الى الجوزة فانهُ لم يرَ منهُ اعظم من ذلك. واذا وُجد منهُ قطعة كبيرة تصلح للفصّ قَدْر نصف مثقال تضاعفَ ثمنُها على قدر الحجر الذي بقدر الخردلة او قدر الفافلة تضاعُفَ ثمنهِ عليهِ اربعة اضعاف »

وهذه الاسعار الغالية ربَّما حملت المشتغلين بتنجيمهِ على اختلاسهِ ولذلك كان اصحاب مناجم الالماس لا يدعون عاملًا يخرج الّا بعد تفتيشهِ بكلّ تدقيق. على انّ العملة وجدوا لاختلاسهِ طرائق عديدة فنهم من كان يبلعهُ ثمّ يقيئهُ بعد خروجهِ. ومنهم من كان يخفيهِ في شعرهِ او تضاعيف جلدهِ. واخبر الرحَّالة تافرنيه انهُ بينما كان يزور معادن الالماس في الهند رأى احد العبيد الارقّاء المشتغلين هناك يختبئ حجرًا كبيرًا من الالماس في احدى زاويَتَيْ عينيهِ ليختاسها. وكم يحدث مثل هذه الحوادث في اطرافنا في افريقية الجنوبيَّة. ولذلك وضعت الحكومة سننًا صارمةً لعقاب من يتجاسر على اختلاس شيء من هذه الجواهر

❁ تاريخهُ ❁ عُرف الالماس قبل المسيح بزمن طويل. فانهُ قد ثبت اليوم لدى علماء العاديَّات ان الفينيقيين واهل قرطجنَّة كانوا يتاجرون بهِ. وقد شاعت معادنهُ في الهند قبل عهد الاسكندر وذكرهُ ارسطو في كتاب المعادن وبيَّن بعض خواصهِ. وكان ملوك الهند والفرس والشام يزينون بهِ تيجانهم وعمائمهم ويحلّون بهِ معابدهم واصنامهم. وقد عرفهُ ايضًا الرومان وقيل انَّهم تمكَّنوا من تنعيمهِ ودقّهِ فاتَّخذوا سحوقهُ لصقل المعادن الصلبة وبري الحجارة الكريمة. وجاء في التاريخ الرومانيّ انّ الملك نرفا لمَّا تبنَّى تراجان وجعلهُ رصيفهُ في الملك قدَّم لهُ الماسةً نفيسة فصانها عندهُ حتى وهبها لادريان مكافأةً لهُ عن خدماتهِ في حرب الداقيين واعترف لهُ بذلك بحقّ وراثة الملك من بعدهِ

وممَّن حصل على جواهر فاخرة من الماس الخلفاء لاسيَّما بعد ان فتح العرب بلاد الهند واستولى المسلمون على كنوزها ونفائس ملوكها. وجاء في تاريخ هرون الرشيد وابنهِ المأمون انَّهما حصلا على بعض قطع الالماس الكبيرة الحجم الجميلة المنظر التي كانت تقدَّر بالوف الوف من الدراهم

﴿ معادنهُ ﴾ وكان مصدر هذه الحجارة الكريمة بلاد الهند لا يعرف سابقاً غيرها لاستخراج الالماس. وكانت مناجمها في مملكتي دقان وبنغالي اشتهرت فيهما مناجم غلقُند بعظم حجم ماسها وقد بلغ المدّنون في هذا المعدن ٣٠،٠٠٠ الف عامل. وقد صارت اليوم مناجم الهند فقيرةً بالماس. الّا انّ الاسبانيين اكتشفوا في البرازيل مناجم غيرها سنة ١٧٢٨ وكذلك الهولنديون وجدوا مناجم الماسيَّة في جزيرة بورنيو. ثم وقف الروسيُّون على مناجم اخرى في المنعطف الغربي من جبال اورال سنة ١٨٢١. وهناك معدن « ادولف » الشهير. ثمَّ جاء اكتشاف معادن الالماس في جنوبيّ افريقية سنة ١٨٧٠ وقد كاد ينسي كل المعادن السابقة كما سترى

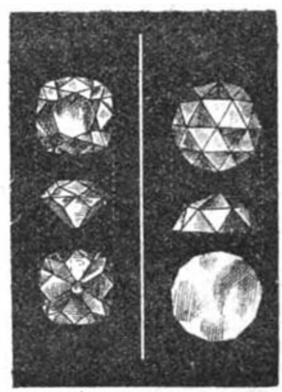
واكثر ما يوجد الالماس في طبقات من التربة التي سحت بها الانهار او يكون في رملها. وتعدينهُ بان تُلقى التربة الالماسيَّة في الماء فتطفو الاجسام الغريبة ويرسب الالماس مع بعض الاجسام الصلبة فتنشَّف وينقَّى الالماس باليد. ويوجد منهُ اركزة في قاب الارض تُستخرج بالحفر. ومنها ما هو في عمق ٥٠٠ متر ونيّف

﴿ قطع الماس وصقلهُ ﴾ وممَّا زاد الماس قيمةً واعتبارًا في هذه القرون الاخيرة اكتشاف طريقةٍ لقطع الماس وصقلهِ. وهو اختراع سبق اليهِ احد الفرنسيين اسمهُ لويس دي بركام قيل انهُ توفَّق الى ذلك صدفةً سنة ١٤٧٢ اذ لحظ انَّ الماسة اذا حُكَّت باختها تفتَّتت كلتاهما وصارتا على شبه برادةٍ ناعمةٍ. فهذا المسحوق الناعم هو الذي يُتَّخذ اليوم لصقل الالماس وقطعهِ

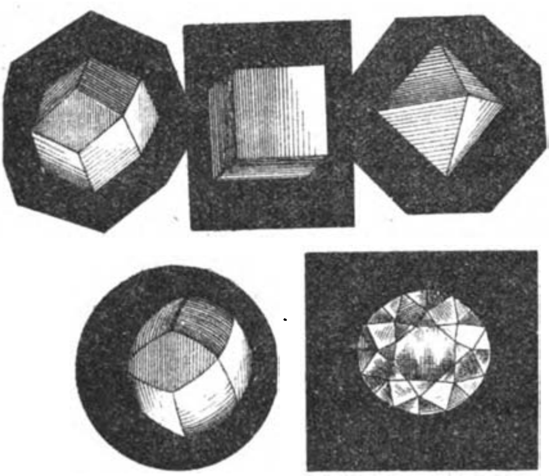
ومعلوم انَّ الماس اذا استُخرج من منجمهِ كان كثير الزوايا حادّها فلا يصلح للزينة الّا اذا قُطع وصُقل. وكذلك يكون في الغالب على وجه الماس شبه قشرة خشبية تحول دون بهائهِ ولمعانهِ فلولا الصقل لَما امكن ازالة هذا الغشاء. ولذلك كان لاكتشاف دي بركام خطر عظيم واضحت الماسات المصوغة تفوق على غيرها ثمنًا فتباع باسعار فاحشة. امَّا في الازمنة الغابرة فكانت هذه الحجارة تبقى بقشرتها يكتفون بصقلها صقلًا خفيفًا وكانوا يزينون بها المعابد والكؤوس والتيجان. والهنود لا يزالون حتى عهدنا هذا يفضّلونها على المصقولة وقد وهبوا منها عددًا وافرًا للملك ادوار السابع حين تطوافهِ في الهند قبل ان يتبوأ تخت الملك

امَّا صقل الالماس وقطعهُ فعلى طريقتين: طريقة تدعى طريقة الورد لانَّ الماسة

تكون على شبه وردة او بالحري على شكل هرم صغير ذي وجوه مثلثة واسفلهُ يكون سطحاً ساوياً يُجعل في الخاتم وهذا القطع يجري على الماسات الصغيرة الحجم المتوسطة الثمن. والطريقة الثانية تدعى طريقة الإشعاع. فيجعل اعلى الماسة على شكل تربيع يحدق بها وجوه مثلثة يدعونها عدسات ووجوهٌ اخرى ذات مثلثات مزدوجة وفي اسفله هرمٌ مقطوع. وهذه الطريقة مفضَّلة تزيد في ثمن الجواهر. والماسات المقطوعة على هذا النمط تشعُّ من كلّ جهاتها فيكون منظرها غاية في الحسن وهي لا تركَّب في صفائح بل تجعل في اسلاك ذهبيَّة تضبطها دون ان تعيق نظرها



الالماس المصوغ
١ على طريقة الورد
٢ على طريقة السطوع والإشعاع



الالماس الاصلي قبل قطعهِ

﴿ عنصر الماس ﴾ ولعلَّ سائلًا يسألنا قائلًا: وهل يُعرف عنصر الماس أهو جسمٌ بسيط او مركَّب؟ قلنا انَّ الأقدمين لم يتوصَّلوا الى معرفة الماس وعنصرهِ وكانوا يظنُّون انَّ النار لا تعمل فيهِ البتَّة ولذلك دعوا الالماس المعدن غير المقهور. على ان هذا الزعم ابطلهُ الاختبار واوَّل من بيَّن ذلك علماء فلورنسة سنة ١٦٩٤ اذ جعلوا قطعة صغيرة من الالماس في مستوقد مرايا محرقة ففني الالماس ولم يُبقِ من بعدهِ اثرًا. وهذه التجربة أُعيدت بعد ذلك مرارًا فثبتت الامر بالتكرار. ولمَّا قام الكيمويّ الفرنسيّ لافوازيه في اواخر القرن الثامن عشر لحظ انَّ الالماس اذا أُحرق انبعث منهُ غازٌ ففحص

الغاز واستدلَّ على انهُ الحامض الكربونيك فعرف انَّ هذا المعدن انما هو ذات الكربون الذي يتركَّب منهُ الفحم فباحتراقهِ يمتزج باوكسجين الهواء ويستحيل الى حامض كربونيك. وقد بيَّن باختبارات أُخرى انَّ الالماس اذا أُحمي خارجاً عن الهواء لا يحترق ولا يفنى لأَنهُ لا يجد اوكسجين الهواء الذي يحوّلهُ الى حامض كربونيك. وعلى عكس ذلك قد اثبت بعض المحدثين انهُ يمكن اصطناع الالماس بواسطة الفحم وذلك ان يُحمى الفحم الى درجة بالغة من الحرارة فيتبلور ويصير الماساً. على انَّ هذا الماس الصناعيّ غاية في الصغر. ولا يبعد ان يُصطنع منهُ بعد مدَّةٍ قِطَع اكبر حجماً

﴿ قِطَع الالماس الشهيرة ﴾ ونذكر هنا قبل ذكر مناجم افريقية ما كان يُعرَف من قطع الماس النادرة لدى الملوك واهل الثروة مباشرةً بالأكبر منها

١ ﴿ براغنزا ﴾ هذه الجوهرة في حجمها اكبر كلّ ما يعرف من جواهر الماس تخصُّ ملوك البرتغال ووزنها ١٦٨٠ قيراطاً وهي على حجم بيضة الدجاجة وقد ثمَّنها جفري (Jeffries) بمبلغ ٥,٦٤٤,٨٠٠ ليرة انكليزيَّة. على انَّ البعض يشكّون في امر هذه الجوهرة أهي جوهرة كريمة من الماس او حجر آخر غيره. وما حملهم على الشكّ ان هذه اليتيمة ليست بمصقولة ليُطَّلع على حقيقة امرها. وهي تُصان بكل حرص في خزانة ملوك البرتغال. وقد روى مرّي (Murray) انَّ يوحنَّا السادس ملك البرتغال امر بثقبها فكان يعلقها في عنقهِ في حفلاته العظيمة

امَّا تاريخ هذه الجوهرة فقد رواهُ الرحَّالة ماوي (Mawe) في رحلتهِ الى البرازيل قال: انَّ ثلاثةً من البرازيليين وهم انطونيوس سوزا وفيلكس غوماز وتوما دي سوزا اقترفوا اثماً كبيرًا اوجب نفيهم الى اقفار البرازيل حيث الغابات الكثيفة والوحوش الضارية ومُنعوا منعاً قطعياً من مخالطة بني جلدتهم. فاخذوا يهيمون على وجههم ليطلبوا لهم قوتاً ومأوى في تلك الاحراج. فوصلوا يوماً الى ضفَّة نهر اباتي وكانت حينئذٍ مياههُ قليلةً فبينما كانوا يحفرون في الرمل لعلَّهم يجدون فيهِ شذرات من الذهب واذا بهذه الماسة تتلألأ كالنور مع كبر حجمها. فاخذتهم الدهشة عند نظرها وكادوا لم يصدّقوا ما شاهدتهُ عيونهم. ثم حملوا تلك الجوهرة وأروها احد كهنة المزارع المتجوّلين في تلك الارياف فاشار اليهم ان يقدّموا تلك اليتيمة الى وليّ امرهم لعلَّهُ يتجاوز عن ذنبهم ويرجعهم الى ما كانوا عليهِ من العزّ والنعمة بين اهلهم. ثم رافقهم الكاهن الى ڤلَّاريكا

حيث عرض الامر على الحاكم فبُهت الحاكم من امر الماسة واستدعى من لهُ خبرة في الجواهر فأكدوا انها من الالماس وانها اكبر جوهرة تعرف في المعمور فأرسلت الى ريو دي جانيرو وركب الكاهن احد السُّفن المبحرة الى لشبونة فأعجب الملك بذلك الحجر الكريم وامر بان يُصفح عن المجرمين واهدى الكاهن هديَّة فاخرة وارجعهُ مكرَّماً الى البرازيل

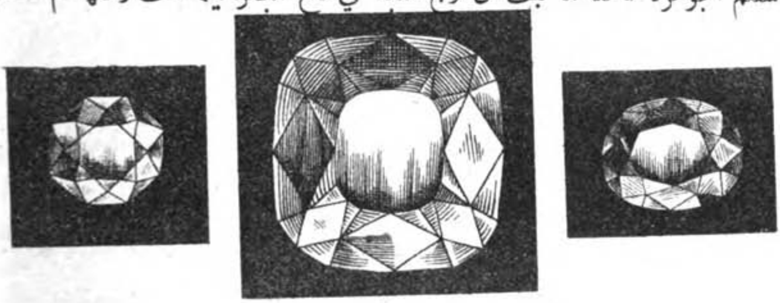
٢ ﴿ ماسة سلطان بورنيو ﴾ وزنها ٣٠٠ قيراط اي نحو ٦٤ غراماً. تخصُّ السلطان «ماتان» من ملوك جزيرة بورنيو. وهي باقية الى الآن بلا صقل. والموكولون بامرها حريصون جدًّا على حفظها حتى قيل انهم لا يُرونها الذين يطلبون مشاهدتها وانَّما يُرونهم بلورةً على شكلها. وكان حاكم باتافيا الهولندي دفع في حقّها ٣١,٠٠٠ الف جنيه مع سفينتين مجهَّزتين بادواتها وعُددهما فلم يرضَ السلطان ببيعها. والمثمنون من ذوي الخبرة يقدّرون ثمنهـا في ايَّامنا بمبلغ ٢٦٩,٣٧٨ جنيه

٣ ﴿ الماسة اورلوف ﴾ الماسة الثالثة في حجمها الماسـة اورلوف تُرى في رأس صولجان امبراطور روسيَّة. وهـذه الجوهرة كانت اولًا تزين احدى عيني صنم للهنود يدعى «سري رنجـا» كان يُعبد في مدينة شرنغام من جزائر ميسور. وكان للاله معبد فخيم البنيان يقصدهُ الزوَّار من كل انحاء الهند. فعرف بامر الجوهرة احد الجنود الفرنسويين ممن نفتهم حكومتهم لسوء اعمالهم فتظاهر بالتعبُّد للاله واخذ يتقرَّب الى سَدَنة المعبد حتى وثقوا بهِ وسلَّموهُ مقاليد الهيكل وجعلوهُ حارساً على الصنم. فلمَّا كانت بعض ايَّام الشتاء والامطار تجري كالسيول والرياح تعصف والرعد يدوي توصَّل الجندي الى اقتلاع عين الصنم وفرَّ بغنيمتهِ هاربًا الى مدرس حيث عرض الماسة على رجل انكليزي ربَّان سفينة فباعها منهُ بالف ليرة انكليزيَّة وباعها من الربَّان رجلٌ من العجم يُدعى كهوجاه ودفع في حقها ١٢,٠٠٠ ليرة. ومنهُ اتَّصلت الى البرنس اورلوف الذي اشتراها بثمن ٩٠,٠٠٠ ليرة باسم الملكة كاترينا الثانية ليصيب لديهـا حظوى لكنَّ الملكة استغلت قيمتها. وهذه الماسة تثمَّن اليوم بمبلغ ٣٦٩,٨٠٠ ليرة انكليزيَّة ووزنها ١٩٤ قيراطاً. وهي من اكبر حجارة اوربَّة الالماسيَّة ومن اجملها لا يفوقها في الحسن الَّا الحجر المعروف باسم راجان الوارد ذكرهُ وهي تشبه كوهي نور في قطعها (اطلب ص ٨٧٣)

هذا وفي تيجان قياصرة روسيَّة عدد لا يُحصى من الماس الصغير فضلًا عمَّا يوجد من ذلك في بعض خزائن الدولة المحفوظة في المتحف الامبراطوري. قيل انَّ في تاج ايڤان

الكسيوفيتش ٨٨١ حجرًا من الماس. وفي تاج بطرس الاكبر ٨٤٧ ماسة. وتاج الامبراطورة كاترينا الثانية مزدان بـ ١٥٣٦ ماسة. ومما يزين اليوم تاج قياصرة الروس الماسةُ غاية في البهاء. تدعى باسم «الشاه» اهداها ملك العجم خسرو ابن الشاه عبَّاس ميرزا للدولة الروسيَّة

٤ ﴿ الماسة راجان ﴾ ليست ماسة تبلغ مبلغ هذه الجوهرة في رونقها وبهائها. فانَّها فريدة في بابها من حيث تلألؤها وانكسار اشعَّتها عليها. واليك تاريخها: اصل هذا الحجر من معادن غُلقند في الهند وجدهُ احد العبيد الارقَّاء سنة ١٧٠١ فسلخ جلدةً في فخذهِ واخفى فيها الماسة وفرَّ بها هاربًا وادرك في هربهِ سفينة انكليزيَّة فطلب الى ربَّانها ان يمكّنهُ من الهرب على ظهر مركبهِ ويطلق سراحهُ فيدفع لهُ يتيمتهُ. فاجاب الربَّان الى طلبتهِ واستلم الجوهرة لكنَّهُ ما لبث ان زجَّ العبد في قاع البحر حيثما القت رحلَها امُّ قشعم

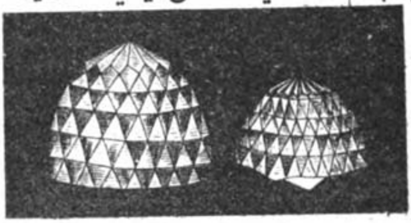


١ باشا مصر ٢ راجان ٣ نجم الجنوب

ثم انَّ الربَّان باع كنزهُ الى بعض تجَّار الالماس بالف ليرة انكليزيَّة لكنَّهُ ندم على فعلهِ بالعبد ولات وقت ندم. ثم عرض الربَّان الماسة على حاكم قلعة القديس جرجس المدعو پيت وهو جدّ وليم پيت السياسي الشهير فاخذها بعشرين الف ليرة. وكان وزنها اذ ذاك ٤١٠ قراريط فتكلَّف على صقلها في لندن ٥٠٠٠ ليرة ولم يبقَ منها الَّا ١٣٦ قيراطًا. وقد اشتغل الجوهريون بصقلها سنتين. وعلم اعداء هذا الحاكم بامر الجوهرة فاقاموا عليهِ الدعوى واتَّهموهُ باختلاسها او اغتصابها لكنَّ پيت تمكَّن من تزكية نفسهِ وردَّ كيد اعدائهِ في نحرهم. ثمَّ ساورتهُ الهموم وخامرهُ الوسواس في امر شراء ذلك الحجر الكريم فخاف ان يكون سرقهُ بائعهُ او حصل عليهِ بطريقة اثيمة. وبلغ منهُ القلق مبلغًا عظيمًا حتى كاد يذهب بروحهِ وكان لا ينام لخوفهِ على الحجر ليلتين في غرفةٍ واحدة. ثمَّ حاول الخروج من انكلترَّة فتنكَّر وقطع البحر قاصدًا باريس وهناك باع

الماسة للدوق فيليب دي اورليان وهو حينئذٍ وصيُّ الملك في ايَّام حداثة لويس الخامس عشر فدُعيت الجوهرة لذلك باسمهِ «راجان» (régent) وكان الدوق دفع في ثمنها ١٣٥,٠٠٠ ليرة . ولم تزل هذه الماسة تتداولها الحكومات حتى اختلسها في ايَّام الثورة الفرنسيَّة بعض الأَئمَّة مع جواهر اخرى فبقيت مطمورةً في مكان يقال لهُ «منتزه الارامل» فتوصَّلت الحكومة لاسترجاعها وحكمت بالموت على المختلسين . وفي عهد نابوليون الكبير رهنها الامبراطور لدى الحكومة الهولنديَّة بدلًا من قرضٍ ماليٍّ اقترضهُ لحروبهِ ويقال انَّ فرنسة استرجعتها بعدئذٍ بحدِّ السيف . والحجر «راجان» يُصان اليوم في مَتحف اللوفر وثمنهُ يساوي على الاقلّ ١٢,٠٠٠,٠٠٠ فرنك . وكانت هذه الماسة في تاج ملوك فرنسة تُعَدّ من اجمل جواهرهِ

وكان في التاج عينهِ جواهر وماسات أُخرى جليلة القدر حتى قيل انهُ اغنى تاج زان بهِ ملكٌ هامتهُ . منها ماسة تُعرف باسم سَنْسي وهو اسم احد سفراء الدولة الفرنسيَّة في الاستانة اشتراها بمبلغ عظيم واعارها الملك هنريكوس الثالث فجعلها مدةً في قبعتهِ . ولمَّا قام بعدهُ هنريكوس الرابع ارسل الى سنسي يستعيرها منهُ فسلَّمها السفير لاحد اصحابهِ الذين يثق بهم كنفسهِ . لكن اللصوص خرجوا عليهِ في غابة فأثخنوهُ بالجراح وقتلوه . فسمع سنسي بامرهِ وكان يعهد الامانة من صديقهِ فسار الى الغابة المذكورة واطَّلع على جثَّة الميت ففتح بطنهُ واذا بالماسة فيهِ . وكان الرسول لمَّا رأى ان لا مناص لهُ من اللصوص اسرع فابتلع الماسة لينقذها من ايدي السارقين . ثم باع ملوك انكلترة هذه الماسة من صاحبها فبقيت عندهم دهرًا في خزائنهم وكانت تُصان في جملة جواهر برج لندن الى ان باعها يعقوب الثاني للملك فرنسة لويس الرابع عشر بمبلغ ٢٥٠٠٠ ليرة .



١ اورلوف ٢ كوهي نور

ثم سُرقت هذه الجوهرة مع الماسة «راجان» ووجدت مثلها . وقد تنقَّلت بعدئذٍ بطريقة البيع الى امراء الهند . ولمَّا زار البرنس دي غال تلك البلاد وجدها على رأس الامير مهارجا بوتيالا . وهي اليوم تخصّ

المستر اسطور (Astor) الانكليزيّ وكانت زوجتهُ تتحلّى بهـا اذا زارت الملكة ڤيكتوريا

٥ ﴿ كوهي نور ﴾ اي جبل النور هذه الالماسة احدى آيات الخالق في جمالها. وزنها من القراريط ١٠٢/١/٢ . يزعم الهنود انَّها اكتُشفت في نهر كُوداڤري منذ ٥٠٠٠ سنة وانَّ اليها كانت تطمح رغائب ملوك الهند في الاعصار الغابرة. وكانوا ينزلونهـا منزلة الطلاسم فيرتأُون انَّ الذي يملكها يملك السعادة والحياة . وهم يروون عن احد ابطالهم انَّهُ ظفر بهذا الكنز الثمين يريدون البطل كَرْنا الذي وردت اخبارهُ العجيبة في رواياتهم الشعريَّة المعروفة بمَهاباراتا. ولعلَّ هذه الماسة هي التي ذكرها السلطان بابر في تاريخهِ وقال انَّها كانت في خزانة السلطان علاء الدين الضابط لزمام السلطنة في هندستان من سنة ١٢٨٨ الى ١٣٠١ . وروى الرحَّالة تاڤرنيه انَّ هذه الجوهرة كانت في جملة الحجارة الكريمة التي عُرضت امامهُ في رحلتـهِ سنة ١٦٦٥ . وبعد تقلُّبات عديدة وُجدت هذه الماسة في خزانة ملوك لاهور واستولت عليها الحكومة الانكليزيَّة سنة ١٨٤٩ في جملة ما ضبطت من تلك البلاد وخزائنها . فقدَّمتها الشركة الانكليزيَّة الهنديَّة كهديَّة للملكة ڤيكتوريا فاستلمها اللورد دَلْهوزي باسم الملكة وارسلها الى لندن في صحبة ضابطين من قبلهِ فقدَّماها للملكة في ٣٠ حزيران سنة ١٨٥٠ ثمَّ عُرضت في المعرض الذي جرى في لندن السنة التالية . وكان وزن هذه الجوهرة ١٨٦/١/١٦ قيراطاً الَّا انَّها لم يُحسن صقلها . فاخذها البرنس البرت زوج الملكة وتكلَّف على صقلها ٨٠٠٠ جنيه ففقدت من وزنها ٨٤ قيراطاً بالقطع والصقل الَّا انَّها اضحت غاية في البهـاء والجمال . وهي اليوم مصونة في قصر وِندسور وهي تساوي على ما يقال ١٤٠,٠٠٠ ليرة

٦ ﴿ ماسة امبراطور النمسة ﴾ هذه الجوهرة وزنهـا ١٣٩ قيراطاً ونصف قيراط تُقدَّر بثمن ٢,٨٦٠,٣٣٥ فرنكاً . ولا نعرف تاريخها . الَّا ان هيئتها غير مرضية وهي تضرب الى الصفرة

﴿ نجم الجنوب ﴾ من اشهر الحجارة الكريمة وهي ماسةٌ اكتشفتها عبدةٌ سنة ١٨٥٣ في البرازيل فاعطتها سيّدها . فاطلق هذا الحرّيَّة للأمة وباع الحجر بثمن ٣٠٠٠ جنيه . وكان وزن هذا الحجر ٢٥٤/١/٢ قيراطاً فصُقل وصار وزنهُ ١٢٥ قيراطاً وبيع بثمن فاحش في باريس ثم صارت في يد بعض المثرين يُدعى ألفن (M. Alphen)

وهي اليوم في جملة ماسات التاج البريطاني (اطلب الصفحة ٨٧٦)

٨ ﴿ البيكوت ﴾ كان من اثمن الحجارة الالماسيَّة الموجودة وقد صار اليوم في خبر كان . قيل انَّ بعض امراء الهند اهدوا هذا الحجر اللورد پيكوت فأتى بهِ من مدرس الى بلاد الانكليز سنة ١٧٣٥ . وتناقلتهُ الايدي حتى ابتاعهُ سنة ١٨١٨ علي باشا والي الارناووت . ولمَّا عصى هذا على الدولة العليَّة سنة ١٨٢٢ ارسل السلطان محمود خرشيد باشا لمحاربتهِ فدارت الدورة على عليّ باشا وجُرح جرحاً بليغاً فلمَّا اشرف على الموت اسقى السمَّ زوجتهُ ڤاسيليكا ثم امر بسحق الحجر الكريم فسُحق سحقاً ناعماً وذهبت الماسة مع آخر انفاسهِ

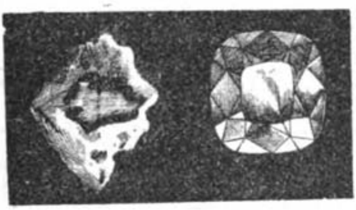
هذا ويوجد ماسات اخرى عظيمة القدر الَّا انَّها دون السابق ذكرها ثمناً وحسناً . منها ماسة الدوق دي توسكانا كانت اوَّلًا لدوق دي برغندية ثمَّ ملكها امراء توسكانا وهي اليوم في تاج ملوك انكلترة . ومنها الماسة المعروفة « بالنسَّاك » ثمنها بين ٧٠٠,٠٠٠ الى ٨٠٠,٠٠٠ فرنك . ومنها حجر « باشا مصر » ابتاعهُ اسماعيل باشا بثمن ٧٦٠,٠٠٠ ف وهو لا يزيد على ٤٩ قيراطاً (ص٨٧٢) . وماسة « ليوبلد » (ص٨٧٦) الى غير ذلك

وممَّا هو حريٌّ بالذكر الآن ما كان عليهِ تاج ملوك البرازيل من الغنى فان ثمن الحجارة الالماسيَّة التي كانت عليهِ كان يُربي على ٤,٠٠٠,٠٠٠ ليرة انكليزيَّة وكان اكبر حجارهِ بقيمة ٣٤,٠٠٠ ليرة وقد استولى عليهِ العصاة . ومن البرازيل قد استُخرجت الحجار العشرون التي صيغت ازراراً للبزَّة الرسميَّة التي كان يلبسها الامبراطور جوزاف الاوَّل وثمن كلّ حجر يساوي ٥٠٠٠ ليرة

وامَّا ما هو مشهور من الحجارة الالماسيَّة الملوَّنة منهُ حجر يدعى «هوپ» (Hope) وهو ازرق اللون . وحجر آخر اخضر يخصّ ملك الساكس يضعهُ الملك على قبعته الرسميَّة وهذان الحجران فريدان في بابهما . وفي متحف ڤينا مجموع حجار الماسيَّة مختلفة الالوان غاية في الجمال وهي مصنوعة على هيئة ضمَّة زهور فتمثِّل كل ألماسة زهرةً على لونها وهي تُعَدّ من بدائع الزمان وهي التي استحضرها ڤرجيل ڤان هلر تجر احد التيروليين من البرازيل حيث قضى هناك زمناً طويلًا بين معادن الالماس

﴿ معادن الالماس الافريقيَّة ﴾ بقي علينا ان نذكر هنا شيئاً عن هذه المعادن التي صار امرها اشهر من نار على علم فنقول :

انَّ هذه المعادن وجدت شمالي مستعمرة الكاب في بلاد قبائل اصلها من جنوبي نهر الاورانج تُدعى قبائل البَسُتزْد او الغريكوا. وبهذا الاسم الاخير عُرفت بلادهم باسم غريكوالند وكان المجاورون منهم لنهر الاورنج يلقون حيناً بعد حين حجارة ثمينة لكنَّهم لم يعرفوا قدرها الَّا في سنة ١٨٦٧. وذلك ان المستر اوريلي (O' Reilly) كان راجعاً في تلك السنة من داخليَّة البلاد فمرَّ في مدينة كولسبورغ. فاستدعاهُ المستر ڤان نيكِرْك (Niekirk) البويري ليبيت عندهُ فقبل المستر اورلي شاكرًا واذ كان يقضي المساء في دار ضيفه رأى احد اولادهِ يلعب على الحضيض بحجارة لامعة كان الاهلون يستجلبونها من نهر قال القريب منهم. فحدَّد بنظرهِ الى الحجر فرآهُ يشعُّ بشعاعٍ قويّ ثمَّ اخذهُ وفحصهُ فقال في نفسهُ: سيكون من امر هذا الحجر شأن عظيم. والتفت الى المستر نيكرك فطاب اليهِ ان يبيعهُ ايَّاهُ. فتعجَّب المستر نيكرك وقال: اني اهديتك ايَّاهُ ولكنَّ ما هو سبب كلَفك بهِ؟ قال: اظنُّهُ من حجر الماس وارى انَّ ثمنهُ بالغ فلا اشاء ان آخذهُ مجَّاناً. فاجاب المستر نيكرك اذا كان الحجر كما تزعم الماسًا فخذهُ وانظر بامره وبعهُ وما هو ربحٌ فلي ولك. فاخذ اورلي الحجر ولمَّا اتى كولسبورغ بحث عن الحجر بنفسهِ واختبرهُ بان حفر بهِ اسمهُ على زجاج نافذة المنزل الذي كان محتلًا فيهِ وحزَّ بهِ احدى الزجاجات المعدَّة للشرب فاخذ اصحابهُ والحاضرون يضحكون منهُ لخفَّة عقلهِ ويسخرون كما سخر الجهلة من اكبر المكتشفين قبلهُ وبلغت من احدهم القحَة بانهُ اخذ ذلك الحجر ورماهُ من النافذة الى الشارع قائلًا لهُ: اذهب واطلب سعادتك. فخرج اورلي المسكين وبعد الجهد الجهيد



ليوپلد قبل الصقل وبعدهُ

وجد الحجر في قناة الطريق بعد ان يئس من وجدانهِ فاخذهُ وسار بهِ الى كراهمستون واراهُ للدكتور اترستون (Atherston) لكي يحكم بامره والدكتور المذكور عرضهُ على السيد ريشارد اسقف الكاثوليك هناك واكبر رجل علمي في جنوبي افريقية وبعد التدقيق الكلّي اثبتا بان الحجر هو الماس عينهُ وان وزنهُ يبلغ زنتهُ ٢٢ ١/٢ قيراطاً ثم أُرسل الحجر من هناك الى حاكم مستعمرة الكاب السير ريشارد سوثي

(Southey) الذي امر بفحصه فحصاً مدققاً من اشهر العلماء ففحص وتقرَّر انهُ الماس وثُمِّنَ بمبلغ خمسمائة ليرة

فما كاد قوم الجنوب يسمعون بهذا الخبر حتى اخذ الكل يهبُّون من منازلهم ويطوفون البراري لايجاد الماس جديد . فوجد بعض الاهالي قسماً منهُ ولكن حجمه كان صغيرًا ثم شاع بان احد الاهالي وجد الماسة تزن ثلاثة وثمانين قيراطاً . واليك تفصيل الامر: ان المستر نيكرك الذي جرى الحديث عنهُ سابقاً لمَّا علم بان الحجر الذي اخذهُ اورللي هو الماس قصد احد العبيد الذي كان يعهد ان لديهِ حجرًا مثلهُ فوهبهُ كلَّ ما يملك من خيل ودواب وماشية وطلب منهُ الحجر فاعطاهُ اياهُ فاخذهُ المستر نيكرك وارسلهُ الى مدينة الراس الى ليلينفيلد اخوان فابتاعوهُ منهُ بمبلغ ١١٢٠٠ ليرة وعمَّدوا الحجر باسم « نجمة جنوبي افريقية » وارسلوهُ الى بلاد الانكليز فابتاعتهُ الكونتس دردلي وعُنيت بصقالهِ فصار ستة واربعين قيراطاً



الماسة في جنوبي افريقية في معدنها

فما شاع خبر هذه الجواهر حتى توارد عدد لا يُحصى من طالبي الثروة ففحصوا ارمال نهر الاورنج الى مصبِّ الفال . وصعدوا نحو ١٦٠ كيلومترًا حيث وجدوا المناجم وكانت تلك الجهات قفرًا فلم تلبث ان صارت مدناً كبيرة يسكنها الوف من العملة اتوهـا من كل بلاد الله . الَّا انَّ تعب السفر والضنك والامراض والحيوانات الضارية ذهبت باعمار كثيرين . فحفر السالمون حُفَرًا متعدّدة وتشكَّلت الشركات وضُمِنت الاراضي واستُعمل الوفٌ من العملة فاستخرجوا في مدَّة عشرين سنةً من الالماس ما لم يُستخرج من كل معادنهِ المعروفة قبلًا في الهند والبرازيل وقد بلغ مجموع ما وجد من الماس نحو خمسة عشر طنًا يبلغ ثمنها نحو مليارين وخمسمائة مليون فرنك

والمعادن المشهورة هناك اربعة: كمبرلي وهي اكبرها استُخرج منها في سنة ١٨٨١ ما يساوي قدرهُ ١٠٤,٠٠٠,٠٠٠ فرنك وربَّما استخرج في اليوم الواحد كيلوغرامان

يباعان بنحو ٣٠,٠٠٠ فرنك. ثم دي بير. ثم بُلتفُنتين. ثم يان. وهذه المعادن صارت اليوم ملك جمعيَّة غفلة (انونيم) تتألَّف من اهل الثروة في باريس ولندن

وقد عادت الاشغال بعد حرب الترنسفاليَّة الى حالتها الاولى بل لا تزال كلَّ يوم يتَّسع نطاقها وسيرينا الزمن ما هناك من الجواهر الثمينة التي اودعها الخالق في بطن الارض لخدمة عبادهِ. هداهم الله الى كنوز أُخرى لا تفنى

الحَرَّة

او بقعة من بادية الشام

للاب هنري لامنس اليسوعيّ

وصفنا في بعض اعداد سنتنا المنصرمة (راجع المشرق ١٩٠١ ص ٣٢٥–٣٣١) بلاد الصفا البركانيَّة مسندين قولنا الى ما رواهُ الرحَّالة الشهير المسيو دوسو في رحلتهِ الأثريَّة الى جهات الصفا وجبل الدروز (١ على انَّ صاحب هذا الكتاب الفريد لم يكتفِ بما ادَّاهُ لتاريخ سوريَّة وجغرافيَّتها القديمة من الخدم المشكورة حتى اضاف اليها خدمةً جديدة في ربيع سنة ١٩٠١ اذ ضرب ثانيةً في تلك القفار المجهولة ليستخرج دفائنها العلميَّة

وكانت غايتهُ هذه الدفعة ان يتوغَّل في تلك الانحاء و يزور البادية الواقعة ما وراء الصفا وجبل حوران. واليوم قد اودع نتائج هذه الرحلة في بطن كتاب نفيس وسمهُ بهذا العنوان « بعثة الى بوادي الشام الوسطى (٢ » . وليس في خاطرنا ان نفيض في وصف الاكتشافات الاثريَّة المهمَّة التي توفَّق اليها الرحَّالة الفاضل كما اننا لا نحاول

(١ واسم الكتاب بالفرنسيَّة Voyage arschéologique au Ṣafa et dans le Djebel ed-Drûz, *Paris*, 1903

(٢ وبالفرنسيَّة Mission dans les régions désertiques de la Syrie moyenne, *Paris*, 1901 وصفحات هذا الكتاب ٣٤١ مع خريطة ورسوم

وصف الكتابات العديدة التي وجدها هذه المرَّة كما في رحلته السابقة في لغات شتَّى كاليونانيَّة واللاتينيَّة والنبطيَّة والعربيَّة وخصوصاً في اللغة الصفَويَّة (راجع ما كتبنا عنها في المشرق ١٩٠١ ص ٣٢٥ الخ) وفي كلّهــا من الفوائد ما يُطلق أَلسنة كلّ المستشرقين في الثناء على مكتشفها . الّا انّنا نجيل الطَرْف في هــذه التحفة البديعة فنستقي من مناهلها العذبة لنفيــد قرَّاء المشرق علماً باحدى نواحي الشام التي يجهلها الأكثرون مع قرب موقعها من بلادنا . نريد الحرَّة وما دخل في حيّزها

*

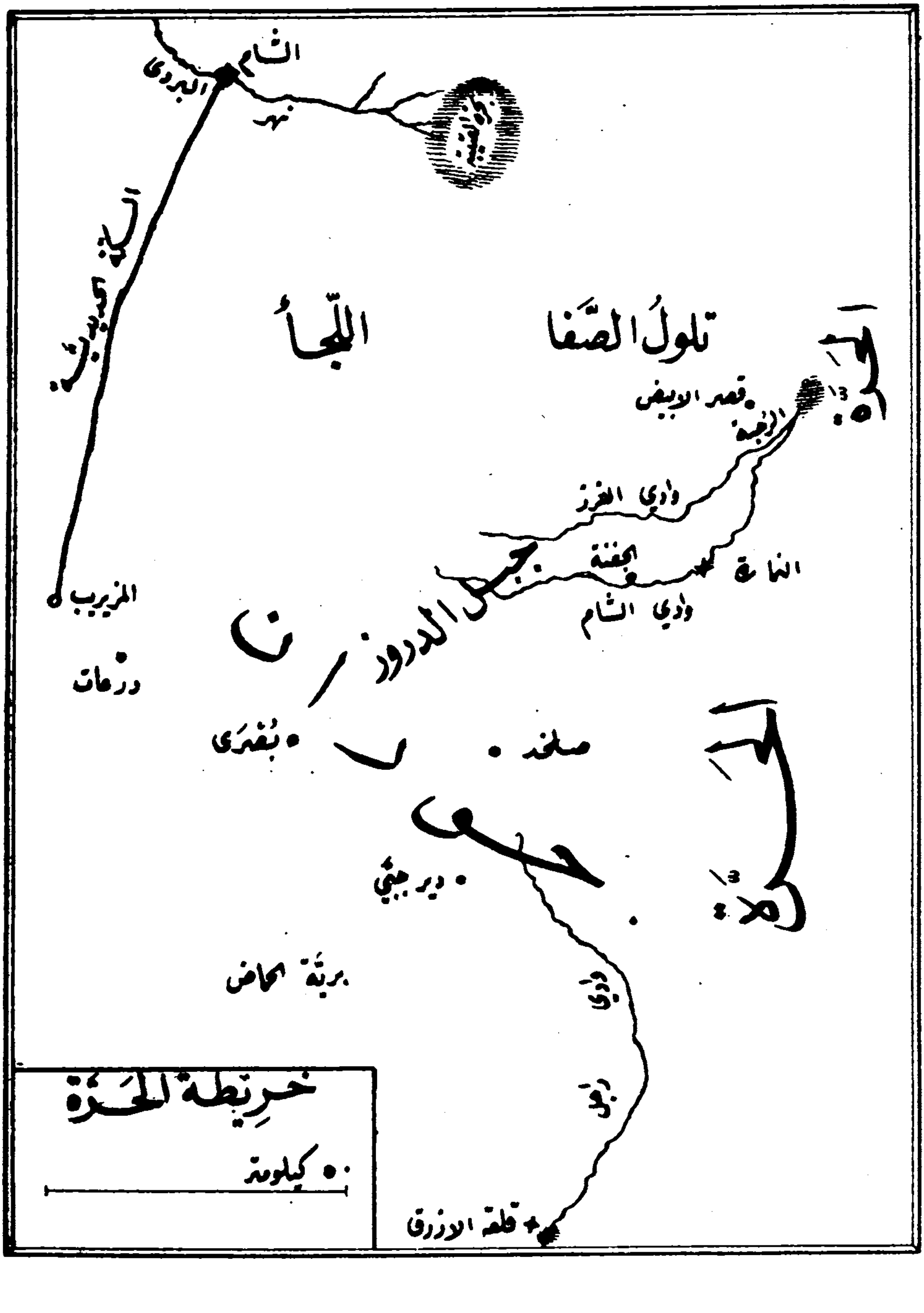
اثبتنا سابقًا ما لبراكين جبــل حوران من العمل في هيئة تلك البلاد فانَّ من حُمَمها قد تكوَّنت ناحيتا اللَّجا والصفا فتمتدُّ الاولى شمالي غربي ذلك الجبل والثانية على شمالهِ الشرقيّ وكليهما حجارة بركانيَّة سوداء تبرزهمــا على صورة غريبة تأخذ بمجامع العيون

واذا ملتَ الى جنوب الصَّفا وشرقيّ جبــل حوران رأيت سهولًا تتَّسع امامك على مدى البصر لا تعرف حدودها شرقًا ولا جنوبًا . فتلك السهول هي الحرَّة

والحرَّة في اللغة الحجارة السوداء . قال ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٢٤٧) : « الحرَّة ارض ذات حجارة سود نخرة كأنها أُحرقت بالنار والجمع الحرَّات والأَحرُّون والحِرار والحرُّون » . والحرَّات بين دمشق والمدينة كثيرة قد عدَّ منها ياقوت ثماني وعشرين بهذا الاسم اعظمها شأنًا حرَّة الشام التي نحن في صددها . وكانت تدعى « حرَّة راجل » لوقوع وادي راجل في وسطها . وهي معروفة من قبل الاسلام . قال النابغة

يومٌ بربْعيٍّ كأنَّ عــدادَهُ اذا هبط الصحراء حرَّة راجلِ

هذا اصلها من حيث اللغة . ودونك وصفها من حيث تركيب طبقات ارضهــا وجغرافيَّتها . الحرَّة تتركَّب من موادَّ بركانيَّة قذفها في سالف الزمان جبــل حوران . وقد ظهرت مفاعيل البركان خصوصاً في جهتي هذا الجبــل اعني شمالهُ الغربي وشمالهُ الشرقيّ حيث تكوَّن اللجأ والصفا امَّا شرقًا وجنوبًا تمتدُّ للحرّة فكانت قوَّتهُ اضعف وعلى غير تواصل الَّا انَّ فعلهُ مع ذلك ظاهر للعيان بما يوجد في تلك الانحاء من ركام الحجارة السوداء التي دفعتها مجاري البركان المصهورة الى مسافات بعيدة . وهذه الصخور قد تشقَّقت وتخدَّدت على كرور الأيَّام لاسيَّما بتسلُّط عامل البَرْد عليها فسقط بعضهــا


الشام
البردى
نهر
تلول الصفا
اللجا
قصر الابيض
وادي الغرز
جبل الدروز
وادي الشام
المزيريب
درعات
بصرى
صلخد
قلعة الازرق
خريطة الحرة
٥٠ كيلومتر

وتدهور الى ان عملت فيهِ العوامل الطبيعيَّة فتطَّعتهُ. واثَّر في هذه الصخور الهواء الجوّي فسوَّدها كما عملت فيهــا سيول المياه فدحرجتها ودَمْلكتها

وبين هذه الصخور البركانيَّة بُقَعٌ من الحجارة الوعرة لا تكاد تُرى في خلالهــا التربة فيكابد الفارس عناء عظيماً اذا ما سار في تلك الجهات. امَّا اصل هذه البُقَع الحجرة فمن رِضام اي صخور ضخمة يدعوها عرب البادية رجوماً واحدهــا الرِجْم. وفي مُنهبط هذه الصحاري تجتمع المياه في فصل الشتاء وتتكوَّن هناك اراض صفراء تجرف بها السيول فترسب في تلك البطائح وتُرى في الشمس متلألئةً مشعَّة. والعرب يدعون تلك البقع قيعاناً واحدها القاع

ويسقي الحرَّة وادي الراجل الذي ينحدر اليها من منعطف جبل الدروز الجنوبي الشرقي ويجري كذلك الى الجنوب الشرقيّ فيمتدُّ على طول الحرَّة واليهِ تنسب الحرَّة حتى ينتهي الى وادي سرحان قريباً من قلعة ازرق. وفي هذه الصحاري واديان آخران يخترقانها من الغرب الى الشرق على خلاف وادي الراجل وهما وادي الغرز ووادي الشام وكلاهما ينحدر من منعطف جبل حوران الشمالي الشرقيّ. وكلُّ هذه الوديان تنشف بعد الامطار وتنضب مياهها منذ شهر نيسان فتجري في قلب الارض ويُرى منها بقايا في بعض الامكنة. واذا طلب اهل البادية ماء يحفرون لهم في هذه الوديان آباراً غير عميقة فيستقون منها في كلّ حين

وتنتهي مياه وادي الغرز ووادي الشام الى لحف الصفا في بطحاء تدعى الرُّحبة فتغمرها في فصل الشتاء حتَّى تصير اشبه شيء بالبحيرة. امَّا وقت الربيع فتكون الرحبة بقعة مُخصبة كثيرة الغلاَّت (راجع المشرق ٤: ٣٢٩)

هذا وترى ممَّا سبق انَّ ارض الحرَّة لا تصلح للزراعة وانَّ النبات فيها قليل. على انَّ في فصل الشتاء تنبت في خلال الحجارة بعض الاعشاب التي تستطيبها الغنم. امَّا في الصيف فيستولي القحط التامّ على تلك الانحاء. ولا يُرى فيهــا الماء الَّا في بعض نخاريب الصخور التي تنشف بعد زمنٍ فيبقى لاهلها مياه الآبار التي مرَّ ذكرها

وفي هذه الصحراء القفرة الكمدة اللون لا يستلفت النظر سوى بناء واحد وهو قلعة الازرق يلوح للعين كواحات مصر لِما حولها من اشجار النخل التي يميس سعفها في الجوّ على هيئة بديعة وهي تنتصب في وسط نبات كثيف. وفي شرقيّ القلعة مستنقع

من المياه التي تجري في الاودية المجاورة ومن عين صافية تُدعى عين العوراء. مياهها عذبة لكنَّها ثقيلة وليس ثمَّت عين أخرى. امَّا الآبار المحفورة في اودية الحرَّة الثلاثة فعندها يضرب العرب خيامهم لحاجتهم الى المياه. وهذا دأْبهم منذ الزمن القديم. ولذلك ترى في تلك المواقع على الصخور كتابات من اللغة الصفويَّة بينها بعض آثار عربيَّة

وفي فصل القيظ ينتقل عرب الحرَّة وهم الغياث والشتاية مع قطعانهم الى جبل الدروز فيحتلُّون منعطفهُ الشرقيّ. وقد جاء في الكتابات المكتشفة في تلك الانحاء ما يبيّن انَّ العرب ألفوا هذه العادة منذ الزمن القديم. فان في كتابة صفويَّة منها « انَّ العرب قضوا صيفهم في بعض السنوات في الحرَّة » فدوَّنوا ذلك كأمر خارق العادة (١

ويُستدل من الرسوم التي تُرى على صفائح الحجارة بين المخطوطات الصفويَّة انَّ عدَّة حيوانات كانت تسرح هائمة في جهات الحرَّة لا تكاد اليوم ترى لها اثرًا منها ضروب من الاوعال كالوعل الطويل القرنين المنتصبهما (oryx leucoryx) والوعل المعقَّف القرنين. والوعل الابيض والغزال وكلاهما معروف الى عهدنا. ومنها الاسد الذي تعدَّدت صورهُ في هذه الصخور وذلك دليل على كثرتهِ في الأيَّام السالفة

امَّا سكَّان الحرَّة فهم اليوم قليلون. وكانوا في غابر الزمن اكثر عددًا ولنا شواهد على قولنا منها بعض الامكنة المأهولة سابقًا وهي اليوم قفرة. ومنها آثار بعض المعاقل كان يُجعل فيها الخفير لأمن البلاد. ومنها ايضًا انَّ طريقًا رومانيَّة كانت تنفذ في الحرَّة فتخترقها سائرةً الى جهات الخليج العجمي. ومنها اخيرًا العدد الوافر من الكتابات الصفويَّة التي تزيّن صخورها وكلُّ ذلك دليل ناطق على انَّ الحرَّة كانت في قديم الأيَّام بلادًا اعمر منها اليوم في السكَّان فنالت رغمًا عمَّا ضنَّت بهِ الطبيعة على تلك القفار قسمًا من العمران والترقّي الذي شمل انحاء الشام على عهد الرومانيين بحيث يصدق فيهم قول القائل انَّهم جعلوا القفر زاهيًا

*

في مقالتنا السابقة عن بلاد الصفا (المشرق ٤ : ٣٢٥) بيَّنَّا بوجيز الكلام ما خُصَّت بهِ لغة تلك البلاد وآثارها الكتابيَّة مستندين الى المخطوطات النادرة والقصيرة التي

---

١) راجع كتاب العلَّامة دوسو Inscriptions Safaïtiques, n° 198

وُجدت هناك واكثرها عبارة عن بعض اعلام شخصيَّة . ولذلك كنَّا اردفنا قولنا بهذه الملاحظة (ص ٣٣٠) وهو انَّ تلك الكتابات لا تفيدنا شيئاً ذا خطر ولا بُدَّ للحكم عن مضمونها « ان يجمع منها العلماء قسماً اوفر يشتمل على غير الاعلام ليمكن التحرّي والبحث عنها »

وقد تحقَّقت آمالنا وصدق ظنَّنا بهمَّة العلاَّمة المقدام المسيو دوسو الذي عاد راجعاً من الحرَّة ولديهِ مئون من الكتابات العاديَّة المنسوبة الى اهل الصفا . وبعض هذه الآثار عبارة عن اسطر عديدة تحتوي عدَّة تفاصيل عن لغة الاهلين القديمة وآدابهم ودينهم في تلك الصحاري القفرة (١ . وقد توفَّق احد العلماء الالمانيين اسمهُ أُنوليتمان في تلك الاثناء الى اكتشاف كتابات اخرى من هذه اللغة الصفويَّة التي انكبَّ على درس حروفها فتمكَّن من حلّ رموزها وتعريف بعض حروف الهجاء التي اعتاصت قبلهُ على العلماء (٢

فالان قد تيسَّر اذن النظر في اللغة الصفويَّة وتعريف خواصّها بالاجمال وتدوين الفاظٍ عديدة منها . وهذا ما ارادهُ المسيو دوسو في بعض فصول كتابهِ حيث ألَّف معجماً لهذه اللغة نقلًا عن الكتابات المكتشفة التي شرحها فمن شاء الاطّلاع على اسرارها فعليهِ بالكتاب (من ص ٢٠٦ الى ٢٣٧) وهو بلا شكّ يتحقَّق ما بين العربيَّة وهذه اللغة الصفويَّة من الروابط العديدة . ولو كان لدينا شيء من بقايا لغات عرب الجاهليَّة لوجدنا بينها وبين لغة الصفا تشابهاً ادقّ واعظم لاسيَّما لو كانت هذه الآثار العربيَّة ترتقي الى عهد كتابات الصفا التي يتراوح تاريخها بين القرن الثاني والرابع للمسيح لانَّ آثار عرب الجاهليَّة الباقية اليوم في اشعارهم ودواوينهم لا تتجاوز في الغالب القرن السادس واكثرها جمعهُ الأئمَّة بعد الهجرة بزمن طويل ولا غرو انَّهم تصرَّفوا في روايتها

ولكي يتمكَّن الادباء من مقابلة لغة اهل الصفا القديمة مع العربيَّة احببنا ان نثبت

---

١) راجع ملخص هذه الكتابات الصفويَّة في رحلة المسيو دوسو من الصفحة ٤٩ الى الصفحة ٨٠ وهو يبين ما يستفاد من مضمونها ومعانيها

١) راجع كتابهُ المعنون *Zur* Entzifferung der Safa - Inschriften, *Leipzig*, 1901

هنا بعض امثلة من الكتابات التي وقف عليها المسيو دوسو ومَّما يجب التنبيه عليهِ اوَّلًا انَّ ال التعريف هي الهاء كما في العبرانيَّة وانَّ حروف المدّ ا و ي لم تُكتب

فدونك الكتابة الموسومة بالعدد ٩٩ نرسمها هنا بحروفٍ عربيَّة بدلًا من الصفويَّة

« لجرمال (ا بن حمي بن كن ورعي همز وولد شاهه وسلم اجدل من سقم »

يوافقهُ في العربيَّة : [هذه الكتابة] لجرمأل بن حميّ بن كون رعى المعز وولدت الشاء وسلم اجدل (اسم علم) من السَّقَم

والكتابة المرقومة بالعدد ٢٤٢ حرفها :

« لانعم بن سعد بن ادعجت وهله سلم ورضو عور ذ يعور هسفر »

اعني : لأنْعم بن سَعْد بن ادعَجَتْ والله سلْمهُ . وَرُضو (اسم اله) عوَّر الذي عوَّر السِفر (اي الذي يمحو هذه الكتابة . والكتابة الواردة تحت الرقم ٤٠٦ :

« لخلص بن قدم بن مق بن قدم بن ذ النشكر هعرج وعور لذ يعور هسفر وحلل هدر »

اي : لخـالص بن قدم بن متّي بن قدم بن انعم من [قبيلة] نشكر العَرَجُ والعَوَرُ للذي يعوِّر (يمحو) السِفر (الكتابة) . حلَّ [في] الدار . اي حلَّ خالصٌ في هذا المكان (دوار)

وهذه خاتمة كتابة العدد ٨٨١ :

« وهلت وهبت شناه بن يده »

اعني : واللات (إلهة العرب) وهبَتْ شانئهُ (عدوَّهُ) بين يديهِ

وهذه كتابة اخيرة وردت تحت العدد ٣٤٦

« لبنت بن ضهد ذ وجد اثر اخه »

اي : لبنت (؟) بن ضاهد الذي وجد اثر اخيهِ . اي الذي وجد كتابةً سابقةً لاخيهِ وفي هذه الامثلة كفاية ليطّلع القرَّاء على فحوى هذه الآثار وخواصّ لغتها . وهي رغمًا عن جهل العلماء ببعض دقائقها توقفنا على احوال العرب في هذه الجهـات . وعلى كلّ حال فان للمسيو دوسو فضلًا كبيرًا في اكتشاف هذه الآثار فانَّهُ لم يبالِ بالاخطار

---

١) كلّ هذه الكتابات تبتدئ على هـذه الصورة : « لفلان بن فلان » يريدون انهُ هو كاتب هذه الكتابة . . .

بل عرض نفسهُ لاهوال الاسفار ليتوسّع نطاق معارف العلماء ببادية الشام (١. فجزاهُ الله خيرًا عن همّتهِ ونفعنا زمنًا طويلًا بتآليفـهِ التي لا تزال تتوارد حينًا بعد حين متتابعة فتذهل بحسنها وكثرتها المستشرقين. فلا نشكّ ان العلماء ينظمونهُ في جملة اولئك المشاهير من ابناء وطنهِ الذين احرزوا لهم شهرة كبيرة في عالم العلم كدي ڤوكويه ووادنغتون وغيرين وكارمون غانو وكلهم تفانوا في درس آثار سوريَّة واستجلاء دفائنها

صناعة السجاد في عكار وازمير

بقلم حضرة الخوري بولس طعمه

لا يعلم الناس هنا بالتدقيق تاريخ السنة التي دخلت فيها هذه الصناعة بلادهم إلّا انَّهُ امر اكيد لا يشوبهُ ريب كون الذين ادخلوها هم التركمان وعنهم اخذهـا المسيحيُّون وقد بقي التركمان مدَّة غير يسيرة مستقلّين بعمل السجَّاد وحدهم يحصّلون من ذلك ارباحًا وافرة لرواج سوقه في الايام الماضية ولكن قد كسدت سوقهُ وقلّت ارباحهُ مذ دخل السجّاد الاجنبي بلادنا فهذا وان كان لا يعادل السجَّاد الوطني في احكام الصنعة والمتانة فقد فضَّلهُ الناس لبخس اثمانه وقد اشتهر في القديم السجَّاد العيدموني الذي يرى منهُ كثير في لبنان وخاصَّةً لدى الرهبان فقلّما تجد راهبًا الّا وعندهُ سجادة او خُرج منهُ. وهو مع توالي الأيّام والسنين عليهِ لم يفقد شيئًا من رونقه ومتانته بل ما زال لونهُ حتى الآن يضاهي المخمل. فوهمٌ اذًا من فضَّل السجَّاد الاجنبي وحسب ذلك اقتصادًا لأنَّهُ لا يدوم الّا سنين قلائل

وما لبث المسيحيُّون ان تعلّموا هذه الصنعة من التركمان واتقنوها اتقان التركمان لها فاصبح الآن قوم كثيرون من الموارنة والروم يجيـدون صنع السجاد ولم يعد شغلهُ محصورًا في قرية عيدمون فقط بل ترى كل سكّان المغراقة والجـديدة والنهرية والرماح

(١) ومن احسن هـذه الاكتشافات قبر امرئ القيس الذي ورد ذكرهُ في المشرق في احد الاعداد السابقة وهو اقدم اثر لغة العرب

يتعاطون هذا الشغل وامّا باقي المحلات المجاورة كعندقت وممجز وغيرها فيوجد فيها بعض العملة وهم افراد

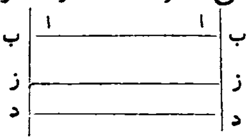
وبيع السجاد يصير خاصّة في طرابلس وحمص في دير مار جرجس حصن الأكراد في عيدي الصليب ومار جرجس. وامّا اسعاره فتختلف باختلاف انواعه والوانه وكان الغالب قديمًا صنع السجادات وهي عادةً اقمشة مربَّعة او قلّما يزيد طولها عرضها فهذا النوع بطل او كاد يبطل الآن فاستعاضوا عنهُ بما يسمُّونهُ قياسًا وهو بعرض ذراع ونصف او ذراع وثلث او ربع وطولهُ حسب الطلب

امّا اللون فمنهُ القديم والحديث. فالقديم قائم بصباغ ازرق نيلي واحمر قرمزي دودي لا يتغيّر البتَّة ولم يعد احد الان يستعمل هذا اللون الّا عند الطلب. واللون الحديث هو الذي لجأ اليهِ اصحاب هذه الصنعة بعد ان رأوا مسابقة السجاد الاجنبي ويسمُّونهُ صباغ الكرخانة وهو قائم بلون احمر زاهر بوّاخ يشترون مادّتهُ من طرابلس في علب (ولم اجد من هذه العلب مع كتابتها الّا واحدة باقٍ عليها هاتان اللفظتان (Ponceau brillant) والاسود هو كحلي غامق لا يبوخ ويُستحضَر من ترابة مخصوصة. والنوع الثاني من الاحمر كثير اللمعان في جدّته الّا انَّهُ سريع التغيّر فلو لحقهُ رطوبة او تعرَّض للشمس او طالت المدَّة عليهِ باخ وزال تمامًا بخلاف اللون الاوَّل فانَّهُ كلّما توالت عليهِ الأيام زاد رونقهُ. والنوع الثاني من الاسود لا يبوخ الّا انَّهُ لا يضاهي الاوَّل رونقًا ولهذا ترى الفرق بين ثمن الاثنين فالاوَّل لا ينقص ثمنهُ عن الاحد عشر فرنكًا او عشر فرنكات ان كان اسودهُ قليلًا امّا الثاني فيباع ذراعهُ لحد ستة فرنكات

وامّا كيفيَّة استحضار الالوان وشغل السجّاد فهو على المنوال الآتي: ففي شهر نيسان تُجزّ الغنم فيؤخذ الصوف ويُغسل جيّدًا ثم يمشط بمشط حديد خصوصي يبلغ طولهُ مترًا وبعد ذلك يُغزل. والغزل نوعان منهُ للمدَّة وينبغي ان يكون مبرومًا ومتناسبًا ومنهُ اللحمة ولا يبرم كالاوَّل. وبعد هذا يُعمد الى الصباغ. فلاستحضار الاحمر يؤخذ الصوف ويُغلى بالقلى ثم يغسل ثم يُغلى بالشبَّة ويغسل ثم تذوّب الدودة بالماء ويوضع بها الصوف مدَّة. والاسود النيلي يستحضرهُ الصبّاغون وهذا اللون الاصلي القديم. وامّا اللون الجديد البوّاخ فيستحضر هكذا: يؤخذ صباغ «الكرخانة» ويُغلى قليلًا مع الصوف فيُعطى اللون الاحمر المطلوب. ولاستحضار اللون الاسود الفحمي يُغلى الصوف مع قشر الرمان

او زهره ثم يُغلى ثانيةً مع ترابة سوداء تؤخذ من المستنقعات ثم بعد غليانه يغسل

و بعد عمل كلّ ما تقدَّم ذكرهُ يسدّى الغزل ولذلك يغرز في الارض عودان يبعد الواحد عن الآخر مقدار الطول المطلوب . ثم يوضع السدى على النول واما النول فهو في غاية البساطة فيركز عامودان هما ا ا ويدخل بهما عودان ب ب د د يقال لهما باطية واحدة بالاسفل وواحدة اخرى بأعلى العامودين (انظر الشكل) فيمد الصوف من



باطية الى اخرى وينوب عن المشط عودٌ آخر يسمى كوجيَّة وهو تحت شكل ز ز ولفرق خيوط السدى عن بعضها توضع قصبة يقال لها الوركلانة . واماَّ كيفيَّة الشغل فهي ايضاً في غاية البساطة فيؤخذ خيطان من السدى ويربطان بخيط لحمة ثم يقصّ هذا الخيط وهكذا الى نهاية العرض . فيعمد حينئذٍ الى مشط خشب سنانهُ حديد وتدق الحياكة ثم تقصّ اللحمة من جديد حتى يكون قصُّها مناسباً

*

وقد طالعنا في مجلّة (الطبيعة) الافرنسيَّة فصلًا عن صناعة السجّاد في ازمير احببنا اثباته هنا لما لهُ من العلاقة مع كلامنا السابق . قالت المجلّة المذكورة :

« كل يعلم الشهرة البعيدة التي اكتسبتها صناعة السجّاد في بلاد الدولة العليَّة سواء كان بنقوشها والوانها الجميلة او بمتانتها العجيبة . ولهذا رغماً عن تقدُّم هذه الصناعة ونجاحها في اوربة لا يمكننا الّا الاقرار بافضليَّة السجّاد الشرقي ومحافظتهِ على المقام الاوَّل تشهد بذلك الطلبات والارساليَّات العديدة التي ما برحت تزداد يوماً بعد يوم . وقولنا المار ذكرهُ يصدق بنوع خاصّ على سجاد ازمير الشهير ولا يكون من ثمَّ بحثنا فيهِ خالياً من الفائدة اذا بيَّنَّا نوعيَّة صنعهِ الحاضرة وكميَّة ما يرد منهُ لاوربَّة . فعلى رأينا ان ما يجعل الافضليَّة لسجّاد ازمير هو طريقة شغله فكلّه يُصنع باليد . وقد اصبحت هذه المهنة عموميَّة في الناحية الّا انَّها تكاد تنحصر في النساء اللواتي يتمرَّنَّ عليها منذ نعومة الاظفار فيمسين عزيزات المثيل وقط لا يتميَّز شغلهنَّ إلّا بتمييز المقاطعات التي يسكنَّها لان لكل مقاطعة طرزًا خاصًا بها فمن السجاد ما يبلغ وزن مترهِ المربَّع ثلاثة كيلوغرامات ونصف بيد ان غيره يكون رقيقًا خفيفًا وهذا النوع الاخير يفوق الاول بطلاوة لونه ولمعانه وجمال نقوشه وظرافتها

واماً أهمّ اماكن الشغل فهي : اوزهاك وقواله وجيوردس وديميرجي وقوطية وسبرته واهمّ الجميع اوزهاك ففيها تصنع السجادات البديعة المنقطعة النظير ولا يقلّ شغلها السنوي عن ١٩٠,٠٠٠ متر مربَّع يبلغ ثمنها ثلاثة ملايين فرنك

وسجّاد اوزهاك قسمان فالاوّل يسمّى إيلان وهو كثير الالوان مختلفها والثاني يبرق وهو ذو لونين فقط . ثم هذان النوعان يقسمان الى ثلاثة اخر يميزها عن بعضها ثمنها وجودة صوفها وشكل لونها

و يوجد في قواله ٩٠٠ منسج والف عاملة تجهز سنويًا ستين الف متر مربَّع وفي جيوردس الف ومئة منسج تعطي في السنة مئة الف متر مربَّع وديميرجي ٤٥٠ وقوطية ٢٥٠ وفي سبرته ٣٠٠ و يشبه سجاد هذه الاخيرة السجاد العجمي كل الشبه

وثمن السجاد يختلف باختلاف انواعه فاغلاه يباع متره المربَّع بخمسة وعشرين فرنكاً . والنتيجة ان الحاصل السنوي من مبيع هذه السجادات لا يقلّ عن الستّة ملايين من الفرنكات وكلها تقريباً تباع في لندرة ومن هناك ترسل فتباع في سائر الجهات

مجمع دير حراش والمجامع المارونية

لحضرة الاب الفاضل ابراهيم حرفوش المرسل اللبناني

قد كنت بحثت طويلاً عن صورة المجمع الذي عقدهُ البطريرك يوسف حليب في دير حراش في الخامس من كانون الاوّل سنة ١٦٤٤ فلم افز بمبتغاي فاهتدى اخيرًا اليهِ حضرة الاب الفاضل القس اغسطين البستاني النائب العام على الرهبانيَّة الحلبيَّة المارونيَّة بينما كان يبحث في كتب هذا الدير الخطيَّة وتكرَّم عليَّ بنسخة منقولة عن الذي عُلّق على آخر صفحات كتاب كرشوني لكنَّهُ لسوء الحظّ ناقص اذ فُقد منهُ صفحتان تضمَّنتا بعض القوانين كما سترى ولمَّا كانت نسخ هذا المجمع نادرة آثرنا اثبات صورته هذه وان فُقد قسم منها لعلَّ الحظّ يسعد البعض الى الاهتداء على باقيها ونرى باديء بدء ان نأتي بالتلخيص على ذكر ما نعلمهُ من امر تاريخ المجامع التي عقدتها الطائفة المارونيَّة ممَّا يتبادر اليهِ الفهم ان الطائفة كبيرة لم تلبث من سنة ٦٨٥ الى سنة ١٥٩٦

دون عقد مجامع طائفيّة بهـا تداول الرؤساء بشأن التهذيبات الكنائسيّة وغيرها فمن المقرر انهُ من سنة ارتقاء ابينا القديس يوحنا مارون كرسي انطاكية الى سنة ارتقـاء البطريرك سركيس الرزي الذي عقد في ايامهِ مجمعاً بحضور الاب دنديني اليسوعي القاصد الرسولي قد تخلّل عقـد مجامع ذهبت بنسخها غِيَر الأيام لاسيّما وكلٌ يعلم ان مكتبة قنوبين التهمتها النار اكثر من مرّة ولذا لم يبقَ بيدنا الّا صور المجامع التي عقدت من سنة ١٥٩٦ فما دون وهـاك فهرست هذه المجامع (١ حسب ميقات انعقادها وهي عبارة عن ١٤ مجمعاً أُثبت منها اربعة بصورة رسميّة كما سترى

(المجمع ١) في ١٨ ايلول سنة ١٥٩٦ عقدهُ البطريرك سركيس الرزي بحضور الاب ايرونيموس دنديني اليسوعي القاصـد الرسولي وقد طُبع في ذيل المجمع اللبناني سنة ١٩٠٠

(٢) في ٣ ت ٢ سنة ١٥٦٦ عقده البطريرك يوسف الرزي خليفة سركيس فكان تتمة المجمع الاوَّل السابق وهذا ايضاً طبع في ذيل المجمع اللبناني

(٣) في ١٥ ك ١ سنة ١٦٤٤ عقده البطريرك يوسف حليب العاقوري في دير مار يوحنا حراش (وهذا هو المجمع الذي سنثبت صورتهُ في مقالتنا) وان لم يثبتهُ الكرسي الرسولي

(٤) في اواخر الجيل السابع عشر عقده علّامتنا الدويهي ضد سلفستروس بطريرك الملكيين المشاقين الانطاكي الذي كان ابرز منشوراً يتضمن ما كان عليهِ من الاعتقادات المخالفة للايمان القويم. قال العلّامة بولس مسعد في الخطبة التي افتتح بها مجمع بكركي الذي عقدهُ سنة ١٨٥٦: «في اواخر الجيل السابع عشر عقد العلّامة الدويهي مجمعاً ضد سلفستروس... الخ». ومن هذه العبارة يظهر انهُ لم يهتدِ الى نسخة منهُ والآن كثيرون ينشدون هذه الضالّة فلعلّهم يهتدون اليها

(٥) في ٣٠ ت ١ سنة ١٧٣٦ عُقد المجمع اللبناني الشهير دستور طائفتنا المثبت بصورة خاصة من الاب الأقدس

---

١) انَّ العلّامة الدويهي في تاريخهِ صفحة ١٦٦ يخبرنا ان البطريرك موسى العكاري عقد مجمعاً سنة ١٥٥٧ لكن لم ينبئنا بما جرى في هذا المجمع ولذا لم ندرجهُ في تلك المجامع هنا

(٦) في ١٢ ايلول سنة ١٧٤٤ عقده البطريرك سمعان عوَّاد ولهُ صورة في الكرسي البطريركي ولم يثبَّت

(٧) في ٣٠ ت ٢ سنة ١٧٥٥ عقده البطريرك سمعان عوَّاد ايضاً ولهُ صورة في الكرسي البطريركي ولم يثبَّت

(٨) في ٢٥ آب سنة ١٧٥٦ عقدهُ البطريرك طوبيَّا الخازن في دير مار انطونيوس بقعاتة كنعان في كسروان وفي يدنا نسخة منهُ (وهذا ايضاً لم يثبَّت)

(٩) في ١٦ ايلول سنة ١٧٦٨ عقده البطريرك يوسف اسطفان في دير الحصن بقرية غوسطا وفي يدنا نسخة لهذا المجمع نقلناها عن النسخة الاصليَّة الممهورة بمهر آباء هذا المجمع عثرنا عليها في غوسطا عند ورثة بيوس الشنيعي (١ (طالع ما كتبناهُ في المجلّة بشأن مكتبة البطريرك يوسف اسطفان وانتقال قسم منها الى بيت الشنيعي

(١٠) في شهر تموز سنة ١٧٨٠ عقد في ميفوق أيَّام وكالة المطران مخائيل حرب الخازن عند البطريرك يوسف اسطفان غير ان البطريرك بولس مسعد لم يذكره مع باقي

١) وقع عندنا ريب فيما اذا كان هذا المجمع تثبَّت من رومية ام لا ومبنى هذا الريب ١ً ان الذي سعى بطبع المجامع الشرقية في المجموعة الشهيرة التي نشرها الآباء اليسوعيون الالمانيون (Collectio Lacensis) لم يثبت هذا المجمع في عداد مجامع طائفتنا ولم يشر اليهِ ادنى اشارة . ٢ً نرى ما يحملنا على النزوع الى التسليم بانهُ تثبت وذلك من كتابه عثرنا عليها بين اوراق البطريرك يوسف اسطفان نفسه نسخ صورتها بخط يده والكتابة هي من الامير احمد شهاب الى الامير اسمعيل وها كما:

« الى جناب حضرة الاخ العزيز الامير اسمعيل المكرم حفظهُ الله تعالى . اولّا مزيد الاشواق الى مشاهدة وجه خوتكم في كل خير وعافية والثاني نخبر خوتكم بلغنا ان صاير اختلاف بين حضرة عزيزنا البطرك يوسف والبعض من المطارين وعاملين جميه ومرادهم يغيّروا المجمع الذي عقده البطرك في غوسطا بامر رومية وحضور قاصد البابا (هو الاب لويس رئيس عام الاراضي المقدسة كما يستدل من عنوان هذا المجمع) وكانوا المطارين كلهم حاضرين واصطفوا عليهِ ورضوا وكتبوا بخط اياديهم وحطوا ختوماتهم وهو على موجب شروط دينهم ونظام الى رعاياهم « واعطوا صورة المجمع الى القاصد واخذه الى رومية وتسجل في ختم البابا ومجمع روميـة » والآن ما عاد يمكنهُ البطرك التغيير فيهِ ولا في حرف واحد كذلك سعادته عاطيه قول بحجـة انهُ لا يدع احدًا يعارضه في امور دينه الخ » . اثبتنا من هذا الكتاب ما يشعر بغرضنا وهو ارتيابنا بتثبيت هذا المجمع او عدمهِ والارجح انهُ لم يثبت بصورة رسمية فتدبر

مجامع الطائفة في خطبته التي اشرنا اليها (١ . وهذا لم يثبَت

(١١) في ١٦ ايلول سنة ١٧٨٦ عقد البطريرك يوسف اسطفان مجمعاً ثانياً في وطا الجوز في كنيسة عين شقيق وبين ايدينا نسخة لهذا المجمع نقلناها عن النسخة الاصليَّة . وهذا المجمع لم يثبت كذلك

(١٢) في ١٣ ك ١ سنة ١٧٩٠ عقد البطريرك يوسف اسطفان مجمعاً ثالثاً في دير بكركي بامر البابا بيوس السادس وكان المطران جرمانوس ادم قاصدًا رسوليًا ولم يثبت

(١٣) في ١٣ نيسان سنة ١٨١٨ عقد البطريرك يوحنا الحلو مجمعاً في اللويزة وكان القاصد الرسولي بهذا المجمع السيد لويس غندولفي وتثبت بموجب براءة من الحبر الاعظم في ٤ نيسان سنة ١٨١٩ وبمنشور من المجمع المقدس في ١٥ اذار سنة ١٨١٩ وقد طبعت صورة هذا المجمع في مجموعة المجامع (Collectio Lacensis)

(١٤) عقده البطريرك بولس مسعد في دير بكركي في ١١ نيسان سنة ١٨٥٦ وهو الاخير ولم يثبَت

ولنعد الآن الى ما كنَّا بصدده فنثبت صورة مجمع دير حراش بحروفهِ :

صورة مجمع دير حراش

بسم الاب والابن والروح القدس نكتب قوانين المجمع الذي صار في جبل لبنان بكسروان

سرّ العماد

اوَّل ذلك في العماد . العماد هو اوَّل سرّ من سبعة اسرار البيعة ويجب ان يكون

---

١) عثرنا بين اوراق المطران مخائيل حرب الخازن على صورة كتابة من الامير يوسف شهاب جا يستنهض همَّة النائب المذكور والسادة المطارنة الى الاسراع بعقد هذا المجمع وها كها بالحرف : « الى حضرة اعزازنا مطارين الموارنة النائب وبقية المطارين عموم المكرمين سلمهم الله تعالى . اولًا مزيد الاشواق الى رؤياكم في كل خير وعافية وبعده وصل لنا مكتوب من حضرة عزيزنا البادري بطرس القاصد ان يلزمهُ يكل مأموريته تحسن عندنا تمتثلوا رأيه وتتوجهوا جميكم الى دير ميفوق وتعقدوا مجمعاً وتمشوا باوامر رومية واياكم احد منكم يتخلف او يظهر في باله المعارضة فيكون خرج من خاطرنا ونحن عرَّفنا خاطرنا « لحضرة عزيزنا المذكور انهُ يمشي حسب مأموريته وكلمن اعترض لومه على نفسه المراد تتوجهوا جميكم لدير ميفوق تعقدوا الجمع وتكونوا قلباً واحداً ويدًا واحدة لتجري اوامر رومية » يوسف (ولا تاريخ لهذه الكتابة)
شهاب

العماد في ثامن يوم وعن ضرورة الى الاربعين يوم. والغسيل يكون لساعته

٢ً لا احد يؤخر العماد لاجل غيبان العراريب ام لاجل محفل ام هدايا

٣ً لا يصير اشابين هراطقة ابدًا قطّ

٤ً لا يصير رشامة الّا على خطر الموت. واذا ما وجد كاهن ولا شمّاس الّا رجل ام امرأة الذين يعرفوا الكلام الجوهري يرش الماء على الطفل قائلًا: انا اعمدك فلان بسم الآب والابن والروح القدس آمين. والمرشوم لم ينعاد عليهِ كلام الجوهري بل يحضر الى المعموديّة وتنقري عليهِ باقية رتبة العماد و يندهن بالميرون والزيت المقدّس و يغتسل لوقته. وان كان في رشامته شكّ يعني ان ما انقال عليهِ كلام الجوهري حينئذٍ يقول ان كنت ما انت معمود والّا انا اعمّدك فلان بسم الآب والابن والروح القدس آمين

٥ً لا يكون العماد الّا في ماء طبيعي سادج بارد ام سخن حلو او مالح صافي ام عاكر و بغير هؤلاي لم يصير عماد

٦ً الكهنة لمّا يعمّدوا المعمود يؤرّخوا الزمان يكتبوا اسم العراريب واسمه واسم الاب والامّ في كتاب مختصّ لجميع المعمودين

في سرّ التثبيت

التثبيت هو سرّ من سبعة اسرار البيعة وخادمه هو الاسقف ويصير من الخمس سنين وطالع. و ينكتبوا الاسامي والتاريخ كمثل ما يصير في العماد

في الاعتراف والقربان

القانون الاوّل. الاعتراف هو سر من سبعة اسرار البيعة واذا سقط الانسان في الخطيئة من بعد العماد ...

(هنا مفقود ورقة اي صفحتان الى قوله ما يلي):

(من) سرّ الزيجة

... تلك الرعيّة. والثمان اقانيم التي هي اربع اوجاه تتصلى بغير مشورة

٦ً اختين لأخين وقطريب لقطريبه لا يتصلّوا الّا بشور البطرك (١

١) هذا كان محظورًا في الكنيسة الشرقيّة امّا المجمع اللبناني فلم يحظرهُ فلا مانع من ان يتزوج اب وابنه بام وبنتها او اخوان باختين (انظر المجمع اللبناني الباب ١١ ص ١٢٤)

٧ً كل من تعدّى على خطيبة غيره ام تجاسر ان يتزوجها في حكّام ام برطاهم أم يأذن ام يوكّل ام يرتضي بهذا الامر من قرايبهــا ام من الغير يكون محروم والكاهن الذي يصلّيها ايضاً يكون محروم

٨ً كل من يطلب او يأخذ برطيل من اهل العروس وقرايبها يكون محروم

٩ً لا يروح العريس وراء العروس بل العروس تتصلّى عند العريس

١٠ً كل من تزوّج بغير وجوه الحلال المعينين يعني اخذ بنت عمه بنت عمته بنت خاله بنت خالته أمْ امرأة ابيهِ أمْ امرأة عمه وما يشبه ذلك يتطلّقوا بامر البطرك

١١ً الرجل الذي اذا تزوّج امرأة وماتت فما بقي يحلّ لهُ انّهُ يأخذ بنت عمها او بنت خالتها

١٢ً ان كان احد من المتزوجين يخرج عن دينهِ ام الامرأة تنكشف في زناء ام يتقلعط ام يجن ام يعرض عليهِ مرض من سائر الامراض لم يصير بينهم طلاق للمات

١٣ً الزيجــة تمتنع في هؤلاءِ الازمنة اعني من اول يوم من كانون الاوّل الى الغطاس ومن الاحد الاول من الصوم المقدّس الى احد الجديد وما يصير زيجة الّا من الاثنين وطالع (١

١٥ً قرابة الميرون لا تمنع الّا بوجه الاول. اعني بين القــابل والمقبول و بين ابو المعمَّد وامه و بين الذي يعمد

١٦ً في العماد يصير عرّاب وعرّابة

١٧ً فليونتي لابني لا يصير بينهم زيجة (٢

١٨ً العامد او الراشم ما يعود يقدر يتزوّج امّ المعمود امّ المعمودة

١٩ً المعمود ما يقدر يتزوج امرأة العامد او الراشم (٣

٢٠ً ابو المعمود ما يعود يقدر يتزوج امرأة العامد ام الراشم (٤

---

١) طالع المجمع اللبناني الباب (١١ ص ١٣٠ عد ٩)

٢) حصر المجمع اللبناني (ب ١١ ص ١٢٢) القرابة الروحيّة بين العرّاب والمعمود ووالديه و بين المعمِّد والمعمَّد وابويه لا غير في سر العماد و بين المثبِّت والمثبَّت ووالديه وعرّابه فقط في سرّ التثبيت وعليهِ فكان هذا القانون مخالفاً للمجمع اللبناني

٣) هذا غلط بناءً على ما تقدم اعلاه ٤) غلط ايضاً

٢١ً ما يعود يقدر العـــامد يتزوج البنت الذي عمدها. والذي يتزوج بهؤلاء القوانين المذكورة يفسخ بعد الزواج

في درجة الكهنوت

١ً ان الكهنوت هو سرّ من سبعة اسرار البيعة كل من يضرب ام يبهـــدل كاهن ام شدياق ام راهب يصير محروم ولا يعطيه حلّة الّا ان كان البطرك

٢ً الكهنة اذا كانوا مجتمعين في قداس ميت. وكل احد منهم الذي يأخذ صدقة الميت يكون اصلح ان يبدل ويقدّس ليوفي قداس الميت

٣ً الكاهن ليس معهُ اجازة ان يصير جابي ام رئيس ضيعة ام يتقلّد احدًا في فريضة ولا احدًا من العامية معهُ اجازة ان يغصبا بذلك وان خالف يتأدّب من اسقفه

٤ً الرؤساء والكهنة يتجتزوا بعـــدّة كامله ولا ينقبر بشيء من العدّة غير بالكيتونة فقط

٥ً كل من يكون مزوج بنتين الواحدة بعد الاخرى ام مزوج ارملة لا يصير كاهن ولا كل من كان اعور ام افلج والذي يقع في الهلّة ولا القاتل متعمّدًا اعني قصدًا

٦ً وكيل كرسي قنوبين يكون دائم الدهر يضبط رزق قنوبين ولا يقدر البطرك يشيلهُ الّا بشور المطارين

٧ً كل من يصير مطران ام بطرك لا يعود يقدر يترفّو (١

في مسحة المرضى

١ً مسحة المرضى هي سرّ من سبعة اسرار البيعة وتعطى للمريض عند خطر الموت

٢ً لا احد من الكهنة يستهتر في المشحة المريض المشرف على الموت لأنّهُ سرّ ضروري لحماية روح الميت ضد محاربة الشيطان

١) يظهر من رسالة البابا بولس الخامس الصادرة في ٩ اذار سنـــة ١٦١٠ الى يوحنا مخلوف المثبتة في ذيل المجمع اللبناني ان سلف هذا البطريرك يوسف الرزي كان بدأ يأذن للاساقفة باكل اللحم كالعوام خلافًا للعادة القديمة فلم يستصوب صاحب الكرسي الروماني العدول عن تلك العادة ولذا حضّ البطريرك على العود اليها (انظر الرسالة في ذيل المجمع اللبناني صفحة ٣٦). وقد ذكر علّامتنا الدويهي هذا الحادث وتعقبه بقوله ان ما تطرّق من العوائد يصعب العدول عنهُ لا سيّما في الامور الواسعة (انظر تاريخ الطائفة المارونية صفحة ١٨٨ السطر الثاني فما دونهُ)

٣ً كل من مات محروم معاند امور البيعة بغير اعتراف لا احد من الكهنة يجنّزهُ ويقبرهُ في تراب مكرَّس

في الميراث

١ً الميراث لا يصير الا بعد وفاء الدين والقداديس وما يجب لدفن الميت

٢ً الرجل اذا مات عن امرأة وورات يُعطى اولًا للمرأة نقدها وثمنهـا من مخلفاته اعني ثلاثة قراريط من اربعة

وايضاً قانونين اخر من غير ذلك

كل كاهن افرنجي ام غيره يعرّف ويقرّب جماعتنا الموارنة بغير امر البطرك يكون محروم. وكل انسان من جماعتنا الموارنة عند الفرنج وغيرهم يكون محروم. (١ لا احد من الرهبان ينتقل من موضعـه الى آخر بغير امر البطرك: لا احد من الكهنة يتعدّى على رعيَّة غيره في قضيان شغل كنائسي ام يعرف احد بغـير امر كاهن الرعيَّة عند ساعة الموت اي اعتماد طفل ام حلّ مريض عند ساعة الموت

في وصايا الكنيسة

١ً لا احد يتزفّر الاربعاء والجمعة ما خلا من عيد الميلاد الى الغطاس ومن عيد القيامة الى الصعود لاغير

٢ً عيد التجلّي وعيد الرسل بطرس وبولس وعيد نياحة العذراء اذا حكموا الاربعاء والجمعة يؤكل فيهم زفر أمّا باقية الاعيـاد جميعهم اذا حكموا الاربعاء والجمعة لا يؤكل فيهم زفر (٢

٣ً الصوم الكبير يصام لوقت التاسعة كالعادة ويسمع القداس اذا وجد والّا يصلّي صلاة (٣

٤ً صوم الميلاد يبدأ من خامس يوم من كانون الاول ويصام فيهِ الى الظهر (٤ واذا جاء اوله يوم الاحد لا يصام بل يصام من يوم الاثنين

---

١) يعلم القرَّاء انَّ للمرسلين سلطاناً في منح الاسرار لكل ذوي الطقوس الشرقية الَّا منح القربان لمن يتناول على الشكلين

٢) طالع المجمع اللبناني (ب ٤ عد٣) ٣) طالع م. ل ب ١٣ عد ١٦

٤) طالع م. ل. باب ٤ عدد ٣ وقوله للظهر يستدل منهُ ان الصائم كان ينقطع عن الافطار الى الظهر ولا يقتصر على الامساك عن الزفر كما في عرفنا الآن

٥ً قطاعة الرسل تبتدئ من ١٥ حزيران وقطاعة السيدة تبتدى من اوَّل شهر آب واذا حكم اولهم الاحد لا يصام. كل نصراني ملزوم ان يحضر القداس في ايَّام الحدود والاعياد المأمورة في البطالة والذي ما يحضر القداس يخطي خطيَّة ميتيَّة من رجال ونساء. وهؤلاي الاعياد الواجبة بطالتهم (١

(تشرين الاوَّل) في ٢٨ عيد مار سمعان القاناني ويهوذا المرسل

(تشرين الثاني) في اوله يوم عيد جميع القديسين — و٣٠ عيد مار اندراوس الرسول

(كانون الاوَّل) في ٢١ عيد مار توما الرسول — و٢٥ عيد ميلاد سيدنا بالجسد — ٢٦ عيد السيدة — مار اسطفانوس — ٢٧ عيد مار يوحنا الانجيلي

(كانون الثاني) في ١ عيد ختان المسيح — ٦ عيد الغطاس

(شباط) في ٢ عيد دخول المسيح للهيكل — ٩ عيد مار مارون البطرك

(وهنا محروق بالحبر الى آخر السطر) الى قوله عيد مار ماتيا الرسول

(اذار) في ١٩ عيد مار يوسف خطيب العذراء مريم — ٢٥ عيد بشارة العذراء

(ايار) اوله عيد مار فيلبوس ويعقوب الرسول

(حزيران) في ٢٤ ميلاد يوحنا المعمدان — ٢٩ عيد مار بطرس وبولس

(تموز) ٢٥ عيد مار يعقوب زبدى

(آب) في ٦ عيد التجلي — ١٥ عيد نياحة العذراء — ٢٤ عيد مار برتلماوس الرسول

(ايلول) في ٨ عيد ميلاد العذراء — ١٤ عيد الصليب — ٢١ عيد مار متى الرسول — ٢٩ عيد مار ميخائيل رئيس الملائكة

الاعياد المتحركة

عيد القيامة وثانيه. عيد الصعود. عيد العنصرة وثانيه. عيد الثالوث الأقدس الاحد الذي بعد العنصرة. عيد جسد المسيح ثاني خميس بعد العنصرة. عيد كنيسة الموضع

هؤلاي الاعياد جميعهم توجب بطالتهم ويحضروا الى القداس فيهم والكهنة تنادي في رعيتهم انَّهم بطالة ويجتهدوا على بطالتهم

١) طالع المجمع اللبناني (ب ٤ عدد ٦) حيث ابطل بعض هذه الاعياد واوجب غيرها الخ

تمَّ المجمع الذي صار على يد البهي المعظم البطرك يوسف حليب العاقوري ابن بطرس في بلاد كسروان في دير مار يوحنا حراش في ٥ يوم كانون الاول سنة ١٦٤٤ مسيحيَّة والمطارين كل من عاود الى كرسيه ورعيته والكهنة الذين كانون مع الرهابين

اواخر الاقوال

لمشاهير الرجال

نبذة للشاب الاديب نجيب صبَّاغ وللاب لويس شيخو اليسوعي

تُعرَف طباعُ المرء واميالهُ اذا ما حانت منيَّتهُ. ففي تلك الساعة الرهيبة التي يشيب لها رأس الوليد تنقشع كلُّ الاوهام عن قلب الانسان فينتظر صدور حكم ديَّانه عليهِ إن ثوابًا او عقابًا فينطق اللسان بما يكنُّهُ الجنان. وليس مرادنا في هذه النبذة ان نصف سكرات الموت او ساعة الدينونة وانَّما نريد ان نذكر بعض اقوال تفوَّه بها قومٌ من مشاهير الرجال عند ساعة وفاتهم لانَّ آخر الفاظ الانسان كمختصر سيرتهِ ومرآة حياتهِ. وزيادةً للايضاح نقسم هذه النبذة الى اربعة اقسام نذكر فيها اقوال بعض الانبياء واولياء الله. ثمَّ ما فاه بهِ السلاطين والملوك. ثمَّ الفلاسفة والعلماء. ثمَّ مشاهير الرجال

١ اقاويل الانبياء واولياء الله

آخر كلمةٍ نطق بها السيّد المسيح على صليبهِ قبل ان يسلم الروح مشيرًا الى تتمَّة النبوات فيهِ: «قد تمَّ»

قال النبي داود لابنهِ سليمان عند وفاتهِ (+١٠١٦ ق م): «انا منصرفٌ في سبيل اهل الارض فتشدَّد وكُن رجلًا واسلك في طريق الرب الهك واحفظ رسومهُ ووصاياهُ»

قيل آن آخر كلمة قالها سليمان الحكيم عند موتهِ ما جاء في آخر كتاب الجامعة: «اتَّقِ الله واحفظ وصاياهُ فانَّ هذا هو الانسان كلُّهُ»

قال العازر الكاهن لمَّا عرض عليهِ اصحابهُ ان يتظاهر باكل اللحوم المحرَّمة لينجو من الموت (+ ١٦٩ ق م): «لا يليق بسنّنا الرثاء... فأجاب على شيخوختي الرجس والفضيحة فاني ولو نجوتُ الآن من نكال البشر لا افرُّ من ايدي القدير لا في الحياة ولا بعد الممات»

كان الروح القدس وعد سمعان الشيخ ان لا يذوق الموت قبل رؤيتهِ المسيح. فلمّا رآهُ ودَّع الحياة بقولهِ: « الآن تطلق يا ربّ عبدك بسلام فانَّ عينيَّ قد ابصرتا خلاصك »

قال اسطفانُس الشهيد لمّا كان يرجمهُ اليهود (+ ٣٤): « يا رب لا تُقم عليهم هذه الخطيئة »

لمّا حُكم على القديس اندراوس الرسول بالصلب قبَّل صليبهُ (+ ٨٧) قائلًا: « رعاك الله أيها الصليب ما اشهاك منذ رقيك المسيح ربّي.. فليقبل عليك حياتي مَن عليك مات فداءً عني »

لمّا سأل المغتصب الشهيدة پرپاتوا (ومعنى اسمها خالدة) الافريقيّة (+ ٢٠٢) أتُريد تجحد دينها اجابت: « أنا كاسمي خالدة لا اتغيَّر » — امَّا اخوها ساتورس فانَّهُ قبل موتهِ قال للحاكم: « انظر الينا وتحقَّق صورتنا لكي تعرفنا في يوم الدين »

قال القديس غريغوريوس السابع الحبر الاعظم اذ اكرههُ اعداؤهُ على الخروج من رومية فمات في النفي (+ ١٠٨٥): « اني احببتُ العدل وبغضتُ الجور فلذلك اموت في المنفى »

قال القديس بطرس القنطري مُصلح رهبانيّة مار فرنسيس عند موتهِ (+ ١٥٨٠): « بارك الله في اعمال التوبة التي اهَّلتني لمجد هكذا عظيم »

٢ اقوال الملوك والسلاطين

لمَّا اصيب پيركلس بالطاعون (+ ٤٢٦ ق.م) قال لاصحابهِ الذين اتوا ليعودوهُ: « اتعرفون اكبر خير صنعتهُ في حياتي؟ هو انني لم ادع احدًا من شعبي يحزن على قريب »

قال اوغسطس الكبير على سرير الموت (+ ١٤ م): « هل احسنتُ تشخيص روايتي؟... فان سرَّكم لَعبُ دوري فصفّقوا... »

قال نيرون لمَّا اضطرَّ على قتل نفسهِ (+ ٦٧) وكان يُعدُّ ذاتهُ ماهرًا بالفنون الجميلة لاسيَّما الموسيقى: « ايَّ رجلٍ حاذقٍ بالفنون سوف يخسرهُ العالم بموتي »

قال فسپسيان (+ ٩٠) وهو يطلب ان يوقفوهُ على سريرهِ عند موتهِ: « يجب على الامبراطور ان يموت واقفًا ». وهذا ما قالهُ آخرًا البابا لاون الثالث عشر قبل وفاتهِ

قال مرقس اوريليوس قبل موتهِ (+ ١٨٠): « هيَّا على الشغل »

قال سپتيميوس ساويرس لمَّا شعر بقدوم الموت (+ ٢١٤) : « قد كُنتُ كلَّ شيء وأرى كل شيء باطلًا »

يُنسَب ليوليانس الجاحد لَمَّا رُشق بسهم في حرب الفرس (+٣٦٣) قولهُ : « قد غلبتَ أيها الناصري »

ومما روى كتبة العرب عن الخليفة عمر بن عبد العزيز انَّهُ لمَّا حضرتهُ الوفاة (+ ٧٢٠) قال: « اللهمَّ انَّك امرتني فقصَّرتُ ونهيتني فعصيتُ وانعمتَ عليَّ فافضلتَ فان عفوتَ فقد مننت وان عاقبتَ فما ظلمت »

ولما حضرت هشام بن عبد الملك الوفاة (+ ٧٤٣) نظر الى اهلهِ يبكون حولهُ فقال: « جاد لكم هشام بالدنيا وجُدتم لهُ بالبكاء. وترك لكم ما جمع وتركتم عليهِ ما حمل. ما اعظم منقلبَ هشام ان لم يغفر الله لهُ »

ولمَّا حانت ساعة الرشيد (+ ٨٠٩) وهو في طوس قد خرج لمحاربة بعض الخوارج قال : « انَّ كلَّ حيٍّ مَيت وكلَّ جديد بالٍ وقد نزل بي ما ترون. وانا اوصيكم بثلاث : الحفظ لامانتكم والنصيحة لأئمتكم واجتماع كلمتكم »

وقال المأمون وهو سائر الى محاربة ملك الروم فمات قريباً من طرسوس(+٨٣٣):
« يا من لا يزول ملكهُ ارحم من يزول ملكهُ. يا من لا يموت ارحم من يموت »

وانشد الخليفة المعتضد قبل وفاتهِ (+٨٩٢):

ولا تأمننَّ الدهرَ اني امتنتُهُ فلم يُبقِ لي خلًّا ولم يرعَ لي حقًّا
ولمَّا بلغتُ النجمَ عزًّا ورفعةً وصارت رقابُ الخلقِ اجمع لي رقًّا
رماني الردى سهماً فاخمد جمرتي فها انا ذا في حفرتي عاجلًا أُلقى

وقال كلوتير الأوَّل ملك فرنسة (+٥٦١) : « ما عسى ان يكون ملك السماء الجبَّار الذي يميت هكذا اعظم ملوك الارض»

وكان آخر كلام قالهُ كرلس الكبير ملك فرنسة (+٨١٤) : « الهي اني استودع نفسي بين يديك »

واوصى هوغ كابيت ملك فرنسة ابنهُ روبرت قبل وفاتهِ (+٩٩٧): « اوصيك فوق كلّ شيء بألّا تحيد مطلقاً عن ايمان الحبر الرومـاني. فانَّهُ وحدهُ يقودك الى ذاك الذي يدين الاقوياء والضعفاء معًا ويبلّغك مرفأ الخلاص »

ولما شعر بالموت هنريكس الرابع ملك المانية (+١١٠٦) ارسل سيفهُ الى ابنهِ الذي كان قد انزلهُ من تخت الملك قائلًا: « هذا كلُّ ما ابقيتهُ لي »

ولمّا أُصيب القديس لويس التاسع ملك فرنسة بالطاعون قريبًا من تونس (+ ١٢٧٠) جعل يردّد: « اورشليم سنذهب الى اورشليم . . . يا ربّ ادخل في مقدسك واسجد لك في هيكلك واعترف لاسمك القدُّوس »

وآخر ما فاه بهِ هنريكوس الثاني ملك فرنسة وكان قُتل في لُعب المصارعة (+١٥٥٩): « يا ابني اني اوصيك بالكنيسة و بشعبي »

ولمّا ضرب الاثيم جاك كليمان الملك هنريكوس الثالث ملك فرنسة (+١٥٨٩) صرخ الملك: « فليُقتل القاتل »

وقال كرلوس الاوّل ملك انكترة لمّا حُكم عليهِ بقطع الرأس (+١٦٤٩): « ها اني اترك تاجًا يفسد و يفنى لأنال تاجًا لا يفنى »

وقال لويس الرابع عشر المعروف بالكبير (+١٧١٥): « ما كنتُ لأظنّ انّ الموت عذبٌ هكذا » . ثم قال للحضور الذين كانوا يبكون على فراقهِ: « ما لكم تبكون اتظنُّون باني خالد ليس خالد الّا الله تعالى »

وآخر ما تلفَّظ بهِ لويس السادس عشر قبل قتلهِ (+١٧٩٣) : « اني اموت بريئًا من كل الآثام التي نُسبت اليَّ زورًا واغفر لكل من سعى بقتلي و يا ليت دمي لا يعود ابدًا على فرنسة »

ممّا قال نابوليون الكبير قبل موتهِ (+١٨٢١) : « اني اموت في حجر الكنيسة الكاثوليكيَّة الرسوليَّة الرومانيَّة . كما اني في حجرها ولدت قبل خمسين سنة . . . » وقال لطبيبهِ انطوماركي: « انتم معشر الاطبّاء تعوَّدتم معالجة اللحم فلا ترون ما وراء اللحم . امّا انا فاعترف بخلود النفس » . . ولما فقد رشدهُ قبل موتهِ بقليل اخذ يصرخ كأنهُ في ساحة الحرب « يا بنيَّ . . . فرنسة ! فرنسة ! الجيش . . امام . . . » ثمَّ مات

٣ الفلاسفة والعلماء

شيشرون الخطيب الروماني (+ ١٠٦ ق . م) قال قبل ان يُقطع رأسهُ : « يا علّة العلل ارحمني »

كان ابن سينا يدبّر نفسهُ فلمّا قوي عليهِ المرض الاخير (+١٠٣٦) اهمل مداواة

نفسهِ فقال: «انَّ المدبّر الذي كان يدبّرني قد عجز عن التدبير والآن لا تنفع المعالجة»

قال غوث الشاعر الالماني الشهير على سرير موتهِ: (+ ١٨٣٢) «النور؟ النور؟ دائمًا بلا نور»

ويروى عن هوبس الفيلسوف الانكليزي انهُ قال للذين كانوا محدقين بسرير موتهِ (١٦٧٩): «آه ايُّها الاصحاب ايّ قفزةٍ ساقفزها من الدنيا الى الابديَّة»

وآخر ما قالهُ ذو الرمَّة الشاعر (+٧٣٦):

يا مُخرج الروح من جسمي اذا احتُضرت وفارجَ الكربِ زَحْزِحني من النارِ

ودخل غانم الورَّاق على ابي نواس ساعة وفاتهِ (+ ٨١٤) فقال لهُ: اكتب:

دبَّ فيَّ السقامُ سُفلًا وعُلوا واراني اموتُ عضوًا فعُضْوا
لهفَ نفسي على ليالٍ وايّا مٍ تجاوزتهنَّ لعبًا ولهوا
قد اسأنا كلَّ الاساءة فاللهمَّ صفحًا عنَّا وغفرًا وعفوا

ولمَّا احسَّ ابو العتاهية بالموت (+٨٢٧) اخذ يكرّر قولهُ:

الهي لا تعذّبني فاني مقرٌّ بالذي قد كان مني
فكم من زلَّةٍ لي في الخطايا وانت عليَّ ذو فضلٍ ومنِّ

٤ اقوال لبعض مشاهير الرجال

قال انيبال كبير القرطجنيين وعدوّ الرومان لمَّا شرب السمّ لينجو من الرومانيين (+ ١٧٣ ق.م): فلنخلصنَّ الرومان من الخوف الذي استحوذ عليهم من شيخٍ مثلي

قال يوليوس قيصر لما تألَّب عليهِ اعداؤهُ ليغتالوهُ (+ ٤٤ ق.م) ورأى بينهم بروتوس: «وانت ايضًا يا بروتوس» وسقط ميتًا

قال غوستاف ادولف لمَّا مات في لُتزن (+ ١٦٣٢) بعد انتصارهِ على النمسويين: «لغيري الدنيا»

قال الوزير كولبر عند وفاتهِ (+ ١٦٨٣): «لو كنت صنعت في خدمة ربّي نصف ما صنعتهُ للملكي ما كنتُ مرتابًا في خلاص نفسي. امَّا الآن فلا اعلم الى اين مصيري»

قال الماريشال دي لكسمبورغ لمَّا حضرتهُ الوفاة وسألهُ لويس الرابع عشر: قُلْ لي ماذا تريد؟ قال: «ساعة حياةٍ»

وقال الفارس البطل بيَّار وهو ينازع للامير دي بوربون الذي خان وطنهُ وكان

يتأسف على موته (+١٥٢٤) : « لا ترثِ لحالي لاني اموت بفعل البرّ ولكن ارثِ لحالك اذ حنثتَ بعهودك وخنت وطنك ومَلِكك»

قال ڤولتير (+١٧٧٨) الكاتب الشهير والكافر العظيم (نقلًا عن رواية طبيبهِ): « اني اموت مهملًا من الله والناس »

لّما سيقت المادم رولان الى الموت (+١٧٩٣) قالت صارخة .« ايتها الحريَّة كم من اثمٍ يقترفهُ البشر باسمكِ»

لما ضرب احد اعداء الهيئة الاجتماعيَّة غرسيا مورينو رئيس جمهوريَّة خط الاستواء بمدية صرخ قبل موتهِ (+١٨٧٥) :« انَّ الله لا يموت »

وكانت الكلمة الاخيرة التي فاه بها البابا لاون الثالث عشر قبل وفاتهِ السعيدة (+١٩٠٣) :« قد اتممتُ المهمَّة التي عهدها الله اليَّ»

يمين العلي

رواية تاريخية للاب س. ت اليسوعيّ

الفصل الحادي عشر

غاية عالم (تابع)

فبعد ان استولى الرومان على قلعة انطونيا اخذوا يستعدُّون لمحاربة الملجإ الاخير الذي بقي لليهود في اورشليم ألَا وهو هيكلهم الفخيم المعدود من احدى آيات العالم السبعـــة

فوجَّهوا همَّتهم الى سطوح الهيكل ليدمّروها تدميرًا الواحد بعد الآخر . فعادوا الى ابتناء مصاطب تمكّنهم من نصب المجانيق عليها . وبعد ايَّام قليلة اصطنعوا منها ثلاثًا على ثلاث جهات من المدينة غربيّها ثم شمالها ثمَّ على الزاوية الجامعة بين هذين الجانبين فركّبوا عليها ادوات الحصار من كبوش ودبَّابات ومجانيق كانت تنطح الاسوار وتقذف بالحجارة على من يحاول المدافعة عنها او لم يتَّق بنفسهِ من شرّها

وكانت المجاعة في مطاوي ذلك تعمل عملها فتنهك قواهم وتقتلهم أذرع قتل . وفي ١٢ تموز لم يَعُد الكهنة يجدون الذبائح المسنونة بالشريعة فبطلت الذبيحة الدائمة التي لم تبطل منذ عهــد سليمان الّا في ايَّام جلاء اليهود الى بابل وفي ايَّام انطيوخس

المغتصب. فتمّت نبوءة دانيال حيث قال: (٩ : ٢٥)« انَّ بعد قَتل المسيح الرئيس تبطل الذبيحة والتقدمة وفي جناح الهيكل تقوم رجاسة الخراب »

وكان طيطس كلّما ينظر الى هذا الهيكل البديع ذي الجمال الفريد يتأسَّف على خرابهِ ويسعى بان يصونهُ من الدمار. فارسل يوسيفوس اليهودي كسفير الى حنَّا الجشيّ يهدي لهُ الامان ويخلّص الباقين من بني يهوذا الّا انَّ هذا لم يُنصت الى قولهِ واكتفى بان يردّد عليهِ هذه الكلمات: « اورشليم مدينةُ العليّ فلن يقوى عليها عدوٌّ». كأنهُ نسي ما تنبَّأ بهِ اشعيا على المدينة المقدَّسة اذ قال(١ :٦و٧) : « لا تعودوا تأتوني بتقدمةٍ باطلة. انَّما بخوركم رجسٌ اليَّ . . . فحين تبسطون ايديكم احجب عينيَّ عنكم وان اكثرتم من الصلاة لا استمع لكم لانَّ ايديكم مملوءة من الدماء »

أجَلْ انَّ ايدي حنَّا من جشَ كانت مصبوغة بدماء اخوتهِ فابتعد عنهُ الله. ولذلك لمَّا حاول بعد ايَّام ان يطارد الرومان رجع خاسئًا خاسرًا فلم يبقَ لهُ سوى الموت تحت ردم الهيكل. . ما لم يفتح الله لهُ ابواب الرحمة الّا انَّها بقيت مغلقةً الى المنتهى . . .

ولمَّا كان اليوم١٨من تموز رأى اليهود انَّهم لم يعودوا يستطيعون المدافعة عن الاروقة فاحرقوا في مدَّة ستَّة ايَّام الرواق الشمالي والرواق الغربي. وكان بقي رواقٌ واحد بهيّ الجمال ذو نقوش عجيبة فافرغ الرومان كنانة جهدهم ليستولوا عليهِ سالمًا. فهجموا عليهِ كرجل واحد تقودهم مقدَّمة طيطس ونخبة عساكرهِ. فما كاد قدمهم ان يستقرَّ فيهِ حتى احرقهُ اليهود وسقطت كل اعمدتهِ بضوضاء تذكّر بقيام الساعة. فمات تحت الرواق من ابطال الرومان قومٌ بكى عليهم طيطس لكنَّ ساعة الانتقام كانت ازفت وانفتح بموت هؤلاء حرم الهيكل

ثمَّ تقدَّم الجيش وحاولوا فتح الساحة الثانية وهي ساحة النساء وكانت المجانيق ترسل قطعًا ضخمة من الحجارة على اسوار الهيكل بلا انقطاع فيُسمع لها دويٌّ عظيم في كل الجبال المجاورة. الّا انَّ هذه الاسوار كانت اصلب من الحديد لم يقوَ عليها الّا النار. فبعد ان امتنع طيطس مدَّةً عن ذلك ليصون هذا الاثر الجليل سمح اخيرًا لجنودهِ بان يحرقوا هذه الساحة واسوارها بالنار . وبعد ساعات قلائل كنت ترى الاعمدة متداعيةً وسقوفها المبنيَّة بخشب الارز مضطرمةً وما عتم باب الفضَّة ان ذاب فجرت فضَّتهُ في الحرَم. وبقيت النار مدَّة اربع وعشرين ساعة تلتهم اعمال سنوات عديدة

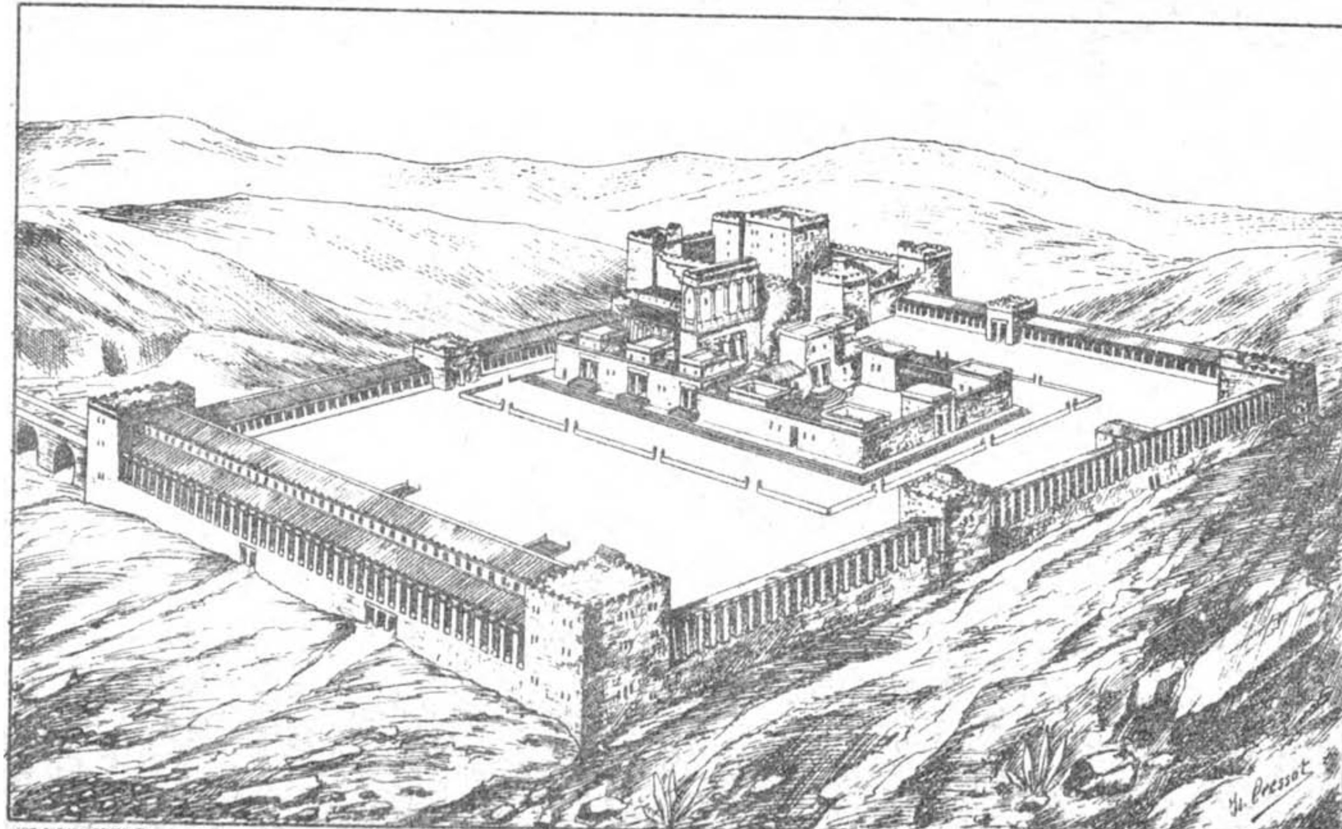
وفي اليوم الثالث من آب ازال الجند كلَّ الردم واستعدُّوا للقتال الاخير وفتح المقدس الذي كان تحصَّن فيهِ اليهود. وفي صباح اليوم الرابع منهُ اراد هؤلاء ان يغيروا على الرومان فردَّهم طيطس خاسرين

ثمَّ امر طيطس جندهُ بان يفتحوا الهيكل عنوةً دون حرقهِ . وفيما هم على وشك العمل واذا بجندي على غير علم القائد رمى بنفَّاطة مستعرة من احدى النوافذ فوقعت على حجرة لاصقة بالهيكل. وبعد برهة من الزمن كنت ترى لسان النار مندلعاً يسطع لهيبها من نوافذ الهيكل فوثب الرومان من كل جانب لينهبوا الهيكل ويسلبوهُ قبل ان يذهب الحريق بكنوزهِ

امَّا طيطس فاستاء من هذا المنظر واراد ان يكفَّ جنودهُ لكن صوتهُ بات ضائعاً في هذه الجلبة العظيمة فاضطرَّ الى ان يبقى ساكتاً واجماً يحرّق الأُرَّم اذ هو ينظر الى خراب اجمل اثر كان اقامهُ البشر لعبادة اله العالمين. ولذلك ذهبت اوامرهُ ادراج الرياح لمَّا اراد ان يمنع قتل اليهود المحتشدين في المقدس

فكنت ترى نحو ٢٠,٠٠٠ رجلٍ سئمت نفسهم من مشقَّات حصارٍ دام نيفًا وخمسة اشهر ذاقوا فيهِ انواع البلايا والنكبات فتحاملوا على اعدائهم ليشفوا منهم غليلهم فزحفوا عليهم كالسيل الجارف واخذوا يصطلمونهم بالسيوف ويحسُّونهم بها حسًّا فيوردونهم موارد لا صدر لها . وكان اليهود يحاولون الفرار من مناهل الموت فهذا يصرخ وذاك يولول ولات حين مناص . فان الرومان كان يسبحون في دماء القتلى ولا يزيدهم منظر الدم الَّا فظاظةً وغيظاً كالنمر يسكرهُ دم فريستهِ فلا يرعوي حتى لا يبقي ولا يذر

وبعد هذه المذابح البشريَّة وهذا الحريق الذي جعل جبل موريا كشعلة نار سكن غضب الجنود واخذوا يتوقَّعون فتحاً اخيرًا ألا وهو فتح قلعة صهيون . وكان اليهود المدافعون عنها لم يتَّعظوا بعبرة اخوتهم بل ارادوا ان يموتوا مثلهم كرماء . ودام هذا الحصار الاخير شهرًا ونصف وكان اليهود مع ما نالهم من الضنك واصناف البلاء يدافعون عن قلعة داود ملكهم دفاع الاسد عن اشبالهِ وتجدَّدت هناك مساعي الرومان وبلاؤهم الحسن وفوزهم كما جرى في الهيكل حتى فتحوا عنوةً ذاك الحصن الحصين



هيكل اورشليم الذي اخربهُ الرومان على عهد طيطس (نقلًا عن المسيو دي فوكويه)

وجعلوا اليهود لسيوفهم جزرًا ولرماحهم دريئةً . ثمَّ اعلنوا فوق تلك الردوم بطيطس قائدهم امبراطورًا في ١٥ ايلول سنة ٧٠ م . و بذلك تمَّ الفتح الاورشليمي

الفصل الثاني عشر

بارقة امل

وكانت اخبار حصار اورشليم تبلغ الى بيروت متواصلةً تَترى تفيد اهلها عمَّا يصيب الرومان من النصر المبين وما يلحق باليهود من المحن المتوالية جزاء لعنادهم . وكانت هذه الانباء تُنزل الويلات بالاسرائيليين المنبثّين في جهات الشام وفلسطين فكنت تراهم يسرعون الى المهاجرة لئلاَّ ينالهم شيء من غضب جنود طيطس واعداء قومهم . وكان اكثرهم يقصدون مصر لينضمُّوا الى جماعاتهم القويَّة التي هنالك

امَّا البيروتيُّون واكثرهم من اولاد الرومانيين المستعمرين فكانت هذه الاخبار تفعم قلوبهم بالفرح فيتلقُّون بفروغ الصبر كلَّ جريدة حربيَّة يرسلها القائد من بيت المقدس و يتباحثون في معانيها و يتأوَّلون لها التآويل المتعدِّدة . وكان بعض قدماء الجنود الذين سكنوا قامة اورشليم على عهد بيلاطوس وخلفائه يرسمون صورة المدينة والهيكل و يشرحون لاصدقائهم كلَّ حركات الجيش الروماني . وكان غيرهم ينيرون البيوت بالمشاعل ليلًا اشارةً الى فرحهم امَّا الاتقياء من الشعب فكانوا يكثرون من زيارة المعابد ليشكروا الالهة وبالاخص المشتري والمرِّيخ اله الحرب على انتصار العساكر الرومانيَّة

وفي بعض ايَّام الخريف كان اهل بيروت قد اجتمعوا في ملعب اغريبا ليحضروا الالعاب التي اقامها المجلس البلدي . وكان احد وجوه بيروت اسمهُ سترو بيلوس من اهل الثروة دفع نحو مئة الف درهم ليحظى عند العامَّة واستجلب على نفقتهِ قومًا من المصارعين فتصارعت مئة منهم مع وحوش ضارية كانوا اصطادوها في بادية الشام بينها نمورة وذئاب واسدٌ عظيم الجثَّة . فطرب الشعب لهذا المنظر الوحشيّ مع انَّ اثنين من المصارعين ذهبا فريسة الضواري . ثمَّ عقب هذه المصارعة صراعٌ آخر اشدّ تأثيرًا اذ نزل الميدان غيرهم من المصارعين فتجالدوا بالسيوف وتضاربوا بالرماح ولم يكفُّوا حتى وقع منهم سبعةٌ في ساحة الميدان مطعونين بالحراب

وهذه الالعاب البربريَّة كان يحضرها الاهلون و يسرُّون بها دون شفقة على المصارعين كأنَّهم ليسوا من بني جلدتهم . وكان سترو بيلوس تأنَّق في ذلك اليوم في

انواع الالعاب واكثر من المناظر الفاجعة. فمن جملة ما سعى بهِ انهُ امر جوقة من المشخصين ان يمثلوا رواية فكاهيَّة للشاعر بلوتوس الروماني. وفي بعض محاضر هذه الرواية يُرى عبد مصلوب يفترسهُ دبٌّ. فاراد ستروبيلوس ان يكون هذا المشهد حقيقيًّا لا في الصورة فقط فاشترى عبدًا من احد النخَّاسين واصطاد دبًّا من دببة لبنان جوَّعهُ مدَّة ثلاثة ايَّام ليطلقهُ وقت الرواية على العبد بعد صلبهِ وتسميرهِ بالمسامير

وكان الشعب يحضر تفاصيل هذه الرواية وكلُّهُ عيون وهو ينتظر بفروغ الصبر ظهور الدبّ اذ تقدَّم بغتةً في وسط الملعب ساعٍ واعلن للحضور بصوتٍ جهور «انَّ اورشليم صارت في قبضة الرومانيين وان هيكلها العظيم ذهب فريسة النار»

فما طرق هذا الخبر مسامع القوم حتى نسوا الألعاب واطلقوا العنان لفرحهم فكان بعضهم يصرخون وبعضهم ينشدون الاغاني الحماسيَّة. وكانت النساء تلمع بمناديلهنَّ او يتهلّلنَ باصوات الطرب والبعض منهنَّ كنَّ يقطعنَ اسوارهنَّ او قلائدهنَّ فيرمينها للبشير

وكان اليهود في تلك الاثناء قد بلغ الخوف منهم كلَّ مبلغ فاسرعوا الى اسراب بيوتهم وتحصَّنوا فيها. ومنهم من كان توارى تحت بواليع المدينة او في المداخن ينتظرون من دقيقة الى أُخرى منتهى اجلهم. ولمَّا قضوا على ذلك ساعات عديدة واحسّوا بان الخطر الذي يتهدَّدهم قد زال اساغوا ريقهم وسكن جأشهم

الَّا انَّ الخبر المشؤوم بسقوط مدينة قدسهم اثَّر فيهم فوق الخطر الذي نجوا منهُ. فكنت تراهم يبكون البكاء المرّ ويردّدون اقوال ارميا النبيّ ومراثيهُ على اورشليم بعد ان احرقها نبوكدنصَّر بالنار. وكانوا يتمنَّون لو أُتيح لهم ان يموتوا مع اخوانهم تحت ردوم الهيكل. فتُرى ماذا تفيدهم الحياة اذ لم يبقَ لهم عاصمة ولا ملك ولا ذبيحة او ليس الموت الاحمر احلى من العيشة بعد ان خابت آمالهم واهملهم ربّ اسرائيل وسلَّمهم الى اعدائهم

تلك كانت الهواجس التي تخالج عقول اليهود وتكاد ترميهم في اليأس والقنوط.
امَّا صاحبة دار الورود يهوديت فانَّ خبر سقوط اورشليم مع ما سبَّب لها من الحزن لم يذهلها اذ كانت قرأت في الانجيل منذ يوم اطَّلعت على كتب النصارى ما قالهُ المسيح عن تلك المدينة الاثيمة وكيف بكى عليها وتنبَّأ بما سيحلُّ بها وبهيكلها حيث لا

يبقى منهُ حجر على حجر . فكانت اقوال الانجيل كرهمٍ لوجعها بل زادتها ايمانًا اذ رأت كيف انّها صدقت بالحرف

ولكن ان كانت يهوديت قد وجدت في ايمانها الجديد تعزيةً عن مصائب شعبها و بلايا اورشليم المدينة المقدَّسة كان لها حزن آخر اخمدهُ مدَّةً فرح المعموديَّة . الَّا انَّهُ عاد ثانيةً واستولى على قلبها وامضّ عيشتها . نزيد امر والدها فانَّ تنصُّر يهوديت زاد في حبّها لعلّة وجودها فكانت تودّ ان ترى اباها ليس فقط ليكون سندًا لحياتها بل ايضًا ليحظى مثلها بانوار الدين القويم

وكانت الاخبار السيئة التي تأتيها مرَّةً بعد أُخرى من المدينة المقدَّسة تزيدها قلقًا وخوفًا على حياة ابيها الثمينة وتُقِضّ مضجعها وتكحل عينيها بالسهاد . الَّا انَّها لم تقطع الامل بالله . فكانت تعلّل نفسها بالاماني . . . فيظهر لها تارةً انّ اباها فرَّ في جملة من نجوا من اهوال الحرب وعدد القتلى فلحقوا بالديار المصريَّة . وتارةً انهُ وقع سالمًا في يد الرومان فصار في جملة سبيهم ولعلَّهُ يفدي نفسهُ بمبلغ من المال . فكانت هذه الافكار تشغل قلب يهوديت ليلًا مع نهار وهي مع ذلك تستحرُّ بالصلاة الى الربّ القدير وتطلب من المسيح ان لا يخيب آمالها و يردّ صلاتها

فبقيت الفتاة على هذه الحالة ايَّامًا يتنازعها عاملا الخوف والرجاء وهي لا تجد راحةً لقلبها و يزيد حزنها على قدر انقطاع الاخبار عن ابيها حتى عيل آخرًا صبرها فلم تُطق البقاء على هذه الحالة فاستدعت وكيلها سلوانس وامرتهُ بان يطلب لها جوازًا من حاكم بيروت ويعدّ لها محفَّة تركبها فتذهب وايَّاهُ الى ملاقاة عسكر الرومان المظفَّرين لتبحث عن والدها او تخلّصهُ من رقّ العبوديَّة ان كان في ايدي طيطس

على انَّ دورتيا أمتها توسَّلت اليها بألَّا تباشر هذا السَّفر الشاقّ مع ما هي عليهِ من نحافة الجسم وانتهاك القوى بعد ما قاستهُ من الاوجاع منذ خمسة اشهر . فلا غرو انَّها تسقط في طريقها فتخور قواها وتخاطر بحياتها

فانصتت يهوديت الى قول أمتها لكنَّها تقدَّمت الى سلوانس بان يسافر على جناح السرعة فيتحرَّى الاخبار و يتحقَّق ما جرى لابيها فاذا كان حيًا لا يدَّخر وسعًا في نجاته حتى انَّهُ اذا لزم الامر يدخل على طيطس نفسهِ و يطلب منهُ خلاص اسيرهِ

فقام العبد الامين من ساعتهِ واصلًا سيرهُ بسراهُ وهو يفكّر في طريقهِ ما يصنع في

سبيل نجاة سيّدهِ وارضاء سيدتهِ. فوصل الى قيسارية بعد يومين

فحاول ان يدخل في معسكر الرومان الّا انّ الحرس لم يسمحوا لاحد ان يقارب الجند او يختلط بالاسرى الذين كانوا مربوطين في ساحة كبيرة كالغنم المهيّأ للذبح. وكان عددهم الوفاً مؤلفة بين نساء وصبيان وكهول وشيوخ

فعرف سلوانس انهُ لا يقدر ان يجتمع بالاسرى فيستعلم عن امر صمونيل سيّدهِ لكنهُ أُخبر انّ في غدٍ تقام سوقٌ لبعضهم فمن شاء ان يشتري منهم احدًا دفع ثمنهُ

فخفق قلب سلوانس لهذا الخبر ولاحت لهُ بارقة أمل لعلّهُ يتوصّل الى فكّ اغلال سيّده. فقضى ليلتهُ كأنهُ قد افترش القتاد ولمّا كان الصباح تسارع الى الساحة المعدّة لبيع الرقيق فوجد المكان خلوًا ليس فيهِ احد فانتظر بفروغ الصبر الأجل الموعود. فما مرَّ عليهِ ساعة حتى جاءت فرقة من الجند ونصبوا هناك خياماً على شكل العريش يستظلّ تحتها الباعة من اشعَّة الشمس

ولمّا اتت الساعة رأى سلوانس قوماً من التجّار و بايديهم اكياس الفضّة قصدوا المكان وعلى وجوههم تلوح ملامح الطمع بالربح. ثمَّ نظر الجند يقدمون بالاسرى مكبّلين اثنين اثنين وهم يرسفون بقيودهم. فلمّا مرّوا امامه جعل يحدجهم بالنظر لعلّهُ يرى صمونيل سيّده المنكود الحظّ. فكان الاسرى يتوالون متتابعين وهم على اسوإ حالهم وجوههم مصفرّة وعيونهم غائرة يمشون حيارى سكارى لا يكادون يَعُون لنفوسهم لكثرة ما اصابهم من الاذى والاوجاع

ولكن خاب امل سلوانس فانَّ هؤلاء الاسرى كانوا كلُّهم من الشبّان لا يتجاوز عمر الاسنّ بينهم ثلاثين سنةً. فخامرهُ الحزن وتولّاهُ الكآب اذ لم يرَ سيّدهُ. فترى كيف يعود الى بيروت وهو صفر اليدين. أفما تموت يهوديت كدرًا من هذا الخبر

ثم افتكر سلوانس في نفسهِ قائلًا: لعلَّ عيوني خدعتني وانّ صمونيل كان من المأسورين لكنّني لم اعرفهُ لما نالهُ من سُهام اللون وكثرة الاوجاع التي تكون اضنكت قواهُ فغيّرت هيئتهُ. وعليهِ اتبع الاسرى واجلس بين التجّار لأرى الاسرى واحدًا واحدًا

فجعل الجند يأخذون الاسير ويجرّدونهُ من ثيابهِ و يعرضونهُ على مصطبةٍ هناك فيقوم التجّار و يجسّون اعضاءهُ ويفحصون كلَّ عضلات جسمهِ كما يفعلون بالحيوان ثمَّ يثمّنهُ المثمّن ثمَّ يساومهُ التجّار و يبيّنون نقائصهُ: هذا ضعيف البنية . . . وذاك مصاب

بداء دفين . . . حتى يتّفق البائع والمشتري على ثمن هذه السلعة البشريّة فيدفع المشتري حقّها ويجعلها ملكه يتصرّف فيها كيفما يشاء حتى يجوز لهُ قتل عبدهِ دون ان يسائلهُ احد عن فعلهِ

وقد شاهد سلوانس في هذا المعرض ما يفتّت الاكباد ويلين لهُ الجلمود فكان يرى الوالد مفصولًا من ولدهِ والامّ من ابنها وكلّهم يذرفون الدموع السخينة وليس من يرثي لحالهم . ورأى اخوين عمر الاكبر منهما عشرون سنة والاصغر اثنتا عشرة سنة فتقدّم احد تجّار صور فساوم الاكبر بثمانمئة درهم امّا الاصغر فلم يرضَ بهِ لصغر سنّهِ . ولمّا اراد ان يفصل بينهما القى الصغير نفسهُ بين ذراعي اخيهِ يناشدهُ الله بألّا يفصلهما ثمّ علا بكاؤهما وتصاعدت زفراتهما دون ان يرقّ لهما قلب المشتري فضرب الصغير ليأخذ مالهُ ويذهب بهِ الّا ان سلوانس لم يتمالك عند هذا المشهد فتقدّم وصرخ: انا آخذ الزوج بالف وخمسمائة درهم . فأنفذ المثمّن البيع لسلوانس وخلّص الاخوين من ايدي التاجر اللئيم ليجعلهما في خدمة سيّدتهِ يهوديت

ولمّا انتهى بيع العبيد ولم يجد سلوانس ضالّتهُ اخذ ينشدها في محلّ آخر . وفيما هو سائر رأى اعلانًا كان يحملهُ احد المارّة وينادي بهِ في الازقّة . وكان مُفاد الاعلان « انّ في غد ذلك النهار تقام ألعاب يتصارع فيها بعض اسرى اليهود او يُلقَون للوحوش

(ستأتي البقيّة)

مطبوعات شرقية جديدة

ارشاد الالبّاء الى طريق تعليم الف باء

للعلّامة المحقّق الشيخ طاهر الجزائري

طُبع في بيروت سنة ١٣٢١ ص ١٤٤

لا يزال جناب الشيخ العالم العامل طاهر افندي الجزائري يُغني العلوم الشرقيّة بتآليف حسنة ينهج فيها مناهج جديدة كان قرّرها سابقًا أئمّة اللغة العربيّة وواضعو

قواعد العلوم الادبيَّة الَّا انَّها درست بكرور الازمان وعوادي الحدثان. وكتاب ارشاد الالبَّاء من جملة هذه المصنَّفات الفريدة. فانَّ مؤلفهُ الفاضل قد ضمَّنهُ من المباحث اللغويَّة عن حروف الهجاء وترتيبها ورسمها وعن الحركات والضوابط وعن المفردات وعن الاعداد مع فوائد جمة في النطق والكتابة والتعليم ما يمهّد للمعلّمين في الدرس والتدريس طرائق اسهل مسلكًا واقرب مدركًا واوفر عائدةً. فنثني على همَّة صاحب هذا الكتاب النفيس ونودّ لو اطَّلع على مضمونهِ كلُّ ارباب المدارس ليوقفوا على لُبابهِ نجباء الطلبة

A travers l' Arménie Russe

par M^me^ B. Chantre, *Paris*, *Hachette*, pp. 368

رحلة الى روسية القفقازيَّة

قد أَلَّفت هذا الكتاب امرأةٌ شهيرة بآدابها وتآليفها. فرحلت الى بلاد روسيَّة وتجوَّلت خصوصاً في القاطعات التي يسكنها الارمن في جهات بحر قزوين والبلاد الواقعة في جنوبهِ. فذكرت ما لقيتهُ في طريقها من البلاد والمدن العامرة مع وصف احوال اهلها في دينهم وآدابهم وصناعاتهم ومتاجراتهم وممَّا اتَّسعت في وصفهِ الآثار القديمة التي وجدَتها في طريقها منها دير تاتيف المبني في القرن التاسع ودير اجمیازين احد مراكز بطاركة الارمن. وقد اضافت الى هذه الاوصاف مئة وخمسين صورة مع خارطتين فزاد بذلك كتابها حسنًا وفائدة

كتاب زجر النفس لهرمس الحكيم

نظر فيهِ وصحَّحهُ وعلَّق حواشيهُ الخوري فيليمون الكاتب (ب م)

طبع في بيروت ١٩٠٣ (صفحاته ٧٢)

كتاب زجر النفس من اجلّ الكتب الادبيَّة التي تداولتها ايدي الشرقيين. وهم قد نسبوهُ الى هرمس الحكيم الذي جعلهُ اليونان في اساطيرهم بمنزلة سليمان الحكيم عند العبرانيين ولقمان عند العرب. وممَّا ثبت الآن عند العلماء انَّ هذا الكتاب لبعض تلامذة افلاطون ضمَّنوهُ آراء استاذهم الفلسفيَّة في النفس وقواها واميالها. وقد نقلهُ العرب منذ القرن العاشر او الحادي عشر فتصرَّفوا بهِ. ومنهُ نسخٌ عديدة في خزائن الكتب الشرقيَّة والغربيَّة. وفي مكتبة مدرستنا الكليَّة منهُ نسختان. وكان احد علماء

المانية اسمهُ فَلَيْشر سعى بنشرهِ وترجمتهِ الى الالمانيَّة سنة ١٨٧٠ ثمَّ اعاد طبعهُ العلاَّمة بَرْدِنْهَور في بونه سنة ١٨٧٣ على سبع نسخ ونقلهُ الى اللاتينيَّة وذيَّلهُ بعدَّة ملاحظات مفيدة· واليوم قد احبَّ حضرة الاب الفاضل الخوري فيليمون الكاتب بان يتحف بلادنا بطبعة جديدة من هذا السفر الجليل فطبعهُ على نسخ قديمة وجدها فصحَّح اغلاطاً وقعت في الطبعات السابقة وعلَّق عليهِ تعاليق مفيدة فجاء من انفس الكتب التي تزدان بها مكاتب الادباء ل·ش

شَذَرَات

الدروس الشرقيَّة في مكتب كليَّتنا — قرأنا في مرآة الغرب ما حرفهُ:

اعلن الاب لامنس اليسوعي مدرّس الجغرافية الشرقيَّة في كليَّة الاباء اليسوعيين في بيروت عزمه على جعل جغرافية لبنان وتاريخه وجيولوجيته موضوعاً للتدريس اثناء السنة المدرسيَّة القابلة وهذا يدلُّنا على اهتمام جديد تولد في نفس الاستاذ المومأ اليهِ لجلاء غامض تاريخ ذلك الجبل الاشمّ لطالبي العلم في تلك الكليَّة الزاهرة وغالبهم فيما نعلم من اللبنانيين الذين يجدر بهم الوقوف على جغرافية وطنهم وطبيعة ارضه وتاريخها. ونحن نثني على همَّة حضرة الاب لامنس ثناءً جميلًا ونتمنى لو حذت الكليَّات والمدارس الاخرى حذوه في جعل لبنان موضوعاً لدرس خاص فيها فان الخدمة جليلة والمطلب شريف والطلبة في حاجة ماسة للوقوف على تاريخ لبنان وجغرافيته اذ يؤهلون انفسهم بذلك لخدمة وطنهم حق الخدمة المفروضة عليهم فالتاريخ مدرسة الدهر وسجل الحوادث والعبر ودليل الماضي الى المستقبل

رسالة القديس يوحنَّا فم الذهب الى مارون الكاهن — كتب لنا من سلزبورغ حضرة الاب كايتان ڤِندهوفر انهُ وقف على هذه الرسالة بين اعمال القديس يوحنا فم الذهب ودلَّنا على الطبعة والصفحة. (قلنا) انَّ هذه الرسالة معروفة منذ زمن طويل امَّا ما لم نجد لهُ ذكرًا فهو اسم القديس مارون في رسالة اخرى لفم الذهب كتبها الى روفينوس الكاهن كما زعم حضرة الخوري غبريل (راجع الصفحة ٨١٥)

الماسة البرنس ادوار — بهذا الاسم دُعيت الماسةُ ثمينة وُجدت سنة ١٨٩٤ في كمبرلي وصيغت في امستردام فصار وزنها بعد صياغتها ٦٠ ¼ قيراطاً. وكان انكليز الكاب عوَّلوا على شرائها لتجعل في تاج الملك ادوار السابع يوم تتويجهِ

الّا انَّ شركةً اميريكيّة من نيويورك بالغت في ثمنها فحصَّلتها بمبلغ ٥٠٠,٠٠٠ فرنك لاحد المثرين الاميريكيين اسمهُ مرغان

اطول تيليفون مُدَّ آخرًا في شهر تموز بين بروكسل ولندن طولهُ ٣٣٨ كيلو مترًا منها ١٣٤ ك في البحر و ١٢٩ في بلجكة و٧٥ في انكلترة

سمُّ الافعى في نفسها طالما ظنَّ العلماء انَّ سمّ الافعى لا يؤثر في نفسها. الّا ان المسيو فيزليكس (Phisalix) اثبت بامتحانات شتّى انَّ سمّ الافعى يقتلها اذا نُفث في جمجمتها. امَّا في دورة دمها فلا تأثير لهُ فيها

زهور بلا تربة اذا احببتَ ان تزيّن غرفتك بزهور غضَّة دون تربة خُذ لك اسفنجةً وبلّها بمزيج من ملح البوطاسا وكربونات الكلس واجعل النبات الذي تريدهُ فيها فينمو ويزهر كأنَّهُ في التربة

اسئلة واجوبة

س سأل من عجلتون حضرة الخوري الفاضل نيقولا صفير. هل للقمر تأثير في قطع الشجر

القمر وقطع الشجر

ج انَّ العامَّة تنسب للقمر عدَّة مفاعيل في قطع الشجر ونحوهِ كما يزعمون انَّ لهُ مفعولًا في تقليم الاظفار وقصّ الشعر وقلع الاسنان الّا انَّ العلماء لم يتحقّقوا هذه الامور بالاختبار الاكيد فيثبتوها بوجه علمي

س وسأل الاديب ن. ص: ما سبب برودة مياه بعض العيون في فصل الصيف وحرارتها في الفصل الشتاء

حرارة بعض العيون وبرودها

ج سبب ذلك ان لهذه العيون درجةً متساوية من البرودة لا تختلف شتاء ولا صيفًا الّا ان الشارب منها يجدها حارَّة في الشتاء لبرودة الجوّ وباردةً في الصيف لحرارتهِ وكذا قُل عن الآبار

س سألنا حضرة الفاضل ل. ه كيف يُضبط اسم «الغزالي» الامام الشهير ابتشديد الزاي ام لا

الغزالي

ج ضبطها ابن خلّكان بتشديد الزاي وهو نسبة الى فعّال من الغَزل وهذا هو المشهور. وقيل انهُ نسبة الى غزَالة قرية من طوس ل. ش

المشرق

طرفة
في تاريخ الكنيسة بالحبشة

لجناب الصيدلي القانوني عبد الله افندي مخائيل رعد المتخرّج في مكتبنا الطبي

المقدّمة واهداء العمل

فليسمح لي قرّاء المشرق الاجلاء ان آتيهم بطرفة من تاريخ الحبشة ودخول النصرانيّة لهذه البلاد المجهولة وان اطلعهم على خلاصة ما قاساه المرسلون الكاثوليكيّون اساقفة وكهنة من انواع العذابات وما لاقوه ويلاقونهُ كلَّ يوم من المصاعب الجمّة في سبيل البشارة بالانجيل الطاهر وتعليم هاته الأقوام المتوحشة مبادي الدين القويم قاعدة الفضيلة وشرف النفس واساس التمدّن والعمران. راجياً ان يروق ذلك في اعين محبي التاريخ الكنسي. واقراراً بفضل هؤلاء الافاضل المطوّبي الذكر والاسم الذين غادروا ويغادرون بلادهم وذويهم وطيب معيشتهم واقبلوا ويقبلون على تجشّم المتاعب والاخطار ومقاساة الجوع والحرّ والعذاب والاستشهاد ولا مقصد لهم ولا مرمى الّا اتمام وصيّة معلمهم الالهي الذي قال لهم بشخص الرسل سلفائهم: «اذهبوا وتلمذوا الامم»

خدم المرسلون ويخدمون الدين والعلم في كل آن ومكان وينسب اليهم اليوم البغاة عدم النفع للهيئة الاجتماعيّة. مهّدوا طريق التمدّن والعمران بصبرهم وشجاعتهم وعلمهم حتى باراقة دمائهم الزكيّة ويرميهم اليوم الناس بحب الذات والجبن والجهل. بفضلهم

فتحت البلاد المجهولة والمنسية وانتفع منها الحاكم والعالم والتاجر والعامل واليوم يطردهم ناكرو الجميل من بلادهم وبيوتهم. عملوا ويعملون افعال الرحمة الروحيَّة والجسديَّة فقام نحوهم اليوم عديمو الرحمة بانواع الاهانة وعدم الشفقة. ولكن تمرّ قريباً ان شاء الله هذه الاضطهادات مرور السحاب الخُلَّب ولا تُنقِص شيئاً من شجاعتهم وصبرهم ومحبتهم القريب فهم هم على ما عُهد بهم من البسالة الدينيَّة وسيجاهرون فرحين اينما حلّوا وحيثما رحلوا بكلمة الانجيل وبعمل الرحمة معتمدين على ما قالهُ لهم المسيح مرسلهم: « انا معكم الى انقضاء الدهور » وراجين الطوبى التي سبق فوعدهم بها قائلًا: « طوباكم اذا طردوكم وعيّروكم وقالوا عنكم كل كلمة سوء من اجل ابن الانسان »

اعتمدتُ لسرد حوادث هذه اللمحة على كتب ومخطوطات المرسلين والرحالين من كهنة اجلاء وعلمانيين كرام وجدتُها مجموعةً في هرر وأوائلِه في اديرة حضرات الآباء الافرنسيين المنتسبين للقديس افرنسيس السروفي المعروفين بالرهبان الكبوشيين الذين فتحوا لي لطفاً وكرماً باب مكتبتهم لاقضي بها اوقات الفراغ بالبحث والتنقيب عن هذا الموضوع ولم يبخلوا عليَّ بايضاحاتهم وانارتي بضياء علمهم وسعة معارفهم فلحضراتهم مني عاطفة الشكر والثناء

على انّي مع اعترافي بقصر باعي وعدم كفاءتي ان أفي المقصود حقّه من الاتمام مع الايجاز تجرأت وان اعرجَ بين فوارس ميدان الكتابة والتاريخ ان اهدي هذا العمل الصغير لحضرة مولاي ورئيسي بحر العلم واللطف والكرم وقدوة الطهر والفضيلة الاب كاتين رئيس الرسالة اليسوعية في سوريّة ومدير المكتب الطبي الافرنسيّ في كليّة القديس يوسف في بيروت اقرارًا بما لهُ عليَّ من الفضل والمنّة راجياً ان يلمحهُ بعين الرضى وسائلًا لهُ بالختام ان تكثر سنو عمره ليتمم اعماله الجيدة في وطننا هذا العزيز الذي احبه وخصّص لخدمتهِ حياته قصد رفع منار الدين واحياء العلم والفضيلة لمجد الله الاعظم

الحبشة

هي البلاد التي ذكرتها نسخة التوراة العبرانيّة تحت اسم « كوش » او « كوشيم » (כושים) ثم دُعيت بعد ذلك « ايثيوبيا » (Ethiopia) واخيرًا « ابيسينيا » او

« حبشة ». والعلماء يشتقّون غالباً كلمــة " ايثيوبيا » من كلمتين يونانيتين وهمـا (αἴθω) « أُحرق » و (ὤψ) « الوجه » لسواد وجوه قاطنيها. وقال غيرهم ان هذا الاسم اقدم من عهد اليونانيين ولا علاقة لهُ بهذا الاصل البتّة والله اعلم. امّا كلمة ابيسينيا فقد اجمع الاكثرون على انّها مشتقة من العربيّة فالعرب اول من دعا قاطن هذه البلاد حبشيًا (اي مختلط الجنس) ثم حرّف البرتغاليون هذه الكلمة فقالوا (Abexim) ثم (Abessin) فظنّوها من اللاتينيّــة « abyssus » قالوا لكثرة ما في الحبشة من الوديان والهاويات. ومنها قال الافرنسيون (Abyssin). هذا وان الاحباش يفتخرون باسم ايثيوبيين (وفي لغتهم ايثيوبيافان) لكنهم يعتبرون كلمة حبشي اهانة لهم. هؤلاء هم الامم الذين بشرهم القديس متاوس الرسول بالانجيل ومنهم خصيّ الملكة كنداكة الذي عمّــدهُ احد تلامذة المسيح السبعين القديس فيلبُّس

الحبشة قبل المسيح

كان يقسم الاقدمون الحبشة الى ثلاثة اقسام وهي : الحبشة الافريقية والحبشة العربيّة وحبشة آسيا الجنوبيّة. وكانت هذه المملكة تمتدُّ من جنوبي مصر الى الدرجة السادســة من العرض الجنوبي محتوية تحت سيطرتها صحراء عَدَل (Adal) وبلاد السودان والنوبة والكالّا والكوركورا والصومال والكافّا والكونكو وهرر واليمن وبرّ العرب وجزءا من الهند وغير ذلك. وقاعدة هذه البلاد كانت مدينة سبا. لذلك كان يدعى البحر الاحمر بالبحر او الخليج الحبشي لانحصاره داخل مملكة الحبشة. واليوم لا يُطلق هذا الاسم الّا على حبشة افريقية

وممّا جاء في تقاليد الاحباش ان قد حدثت حرب اهليّة في المملكة فتتغلّب فيها سكان جهة آسيا على قاطني جهة افريقية وطردوا ميكادي ماكة سبا التي هاجرت الى اورشليم على عهد الحكيم سليمان بن داود النبي واحتمت بهذا الملك الذي اتخذها زوجة لهُ بالسرّ ثم عرف ذلك اليهود فاضطرّ الملك الى طردها وعادت الى الحبشة الافريقيّة فسكنت مدينة اكسوم حيث ولدت ابنًا وهو منليــك الاول ومن سليلته قام منليك الثاني وهو النجاشي الحالي الذي يفاخر بكونه من دم سليمان الحكيم وأَسد سبط يهوذا

فلمّا شبّ منليك الاوّل وكانت والدته قد اتخذت الاكسوميين من حزبها ارسلت ابنها هذا الى ابيهِ في اورشليم ليتقن العلوم ثم يعود ويستولي على الملك. وعند عودته ارسل

معهُ ابوه عددًا عظيماً من اليهود فملك وادخل الدين اليهودي وكانت الديانة الشائعة في تلك الأيام بالحبشة عبادة الاوثان والاصنام وخصوصاً عبادة الحية. ومن ذاك العهد اخذ كثير من اليهود بالمهاجرة الى الحبشة. اه

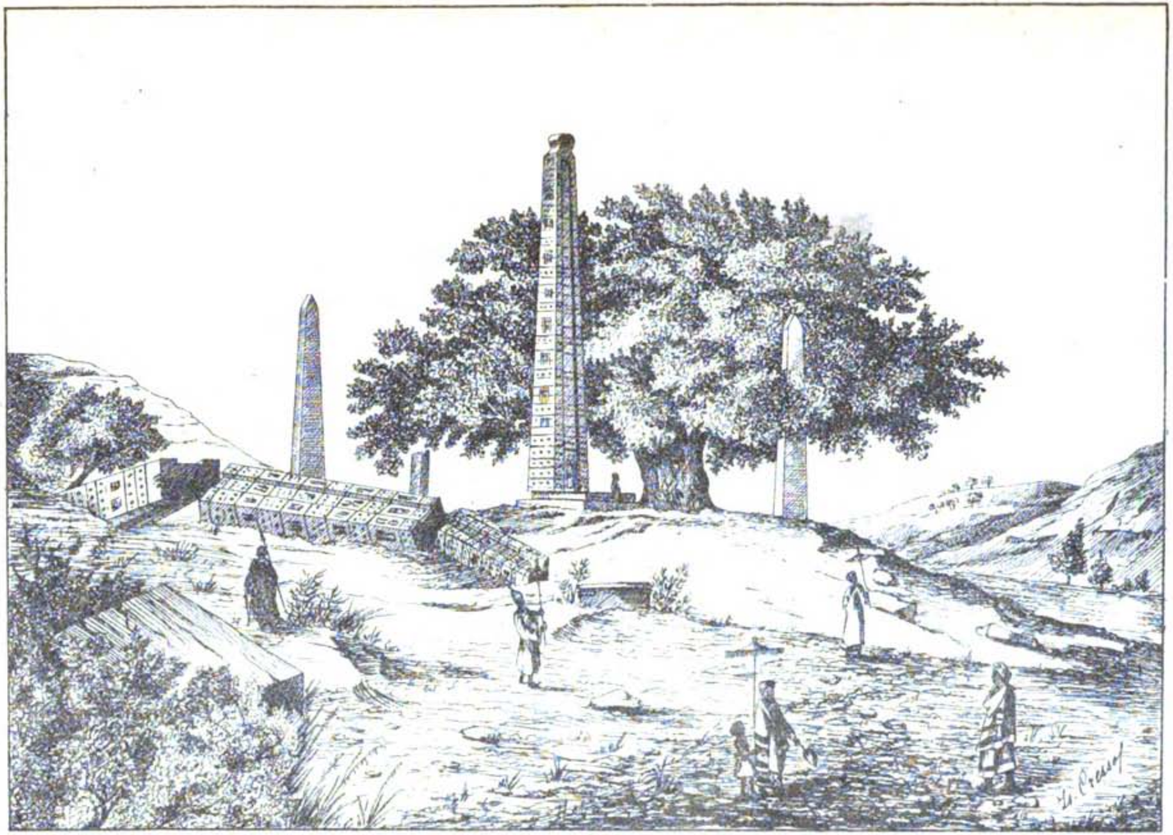
هذه تقاليد ليست من الصحة بمكان انما الاحباش يقتنعون بها كل الاقتناع وينزّلونها مكان الصحة التي لا ريب فيها. وما هي الّا حكاية لفّقها قدماء الاحباش مبنيَّة على مهاجرة اليهود الى البلاد الحبشيَّة في ايّام نوائبهم التي يذكرها لنا التاريخ على عهد الإسر البابلي وخراب اورشليم وفتوحات الخليفة عمر ونحو ذلك. امّا هؤلاء اليهود فلم يزل منهم الى يومنا هذا نحو من ثمانين الف رجل متفرقين في هذه المملكة ويُعرفون باسم «فلاشا». وما عدا اليهود قد هاجر الى الحبشة كثيرٌ من الساميين على عهد الاسكندر الكبير وبعض من المسيحيين المصريين في عهد الاضطهاد الذي حدث في القرنين التاسع والعاشر وغيرهم في غير آن فصارت الحبشة مختلطة من اجناس كثيرة لذلك دعاها العرب بهذا الاسم

الحبشة بعد المسيح

تنقطع بعد منليك الاوّل تقاليد الاحباش (١ ولا يُعرف الّا شذرات بغير رابط على تقلب المملكة وحروبها واسماء الملوك الذين ساسوها حتى السنة ٣٤٠ بعد المسيح التي بها سطع نور الانجيل في العاصمة اكسوم وذلك على عهد مُلك الاخوين أبراها وأتبِاها اذ بشّر الاحباشَ بالايمان شابّان من الفينيقيين اسمهما فرومنس واديز (Frumence et Edèse) كانا ابني اخ الفيلسوف الصوري ميروبيوس الشهير واليك ترجمة الخبر بالاختصار

رحل هذا الفيلسوف مع ابني اخيه رحلة علميَّة الى الهند وعند عودتهم رست بهم السفينة على احد شواطي الحبشة ونزل من فيها الى الارض ليبتاعوا لهم مؤونة ففاجأهم

١) هذه التقاليد محررة باللغة الحبشية الامحرية على رقّ غزال جمع شتاتها احد الاحباش الكاثوليك واهداها لرئيس الرسالة الكاثوليكية في هرر فترجمها الى الافرنسية احد الآباء الكبوشيين المتضلّع باللغة الحبشية ترجمة مضبوطة وهي تحتوي على اشياء كثيرة بخصوص سفر منليك الاول الى اورشليم وعودته وكيف استرجع المُلك الى غير ذلك وليس المقصد من اطالة الكلام عن ذلك في هذا المقام



آثار قديمة في اكسوم عاصمة الحبش سابقاً

قوم من الاحباش البرابرة وذبحوهم ولم يستبقوا منهم الّا الولدين المذكورين لصغر سنهما وجمال خلقتهما وساقوهما الى ملكهم المدعو سامارا فاقتبلهما هذا الملك بحنوّ وأعتقهما من العبوديّة وسلّم اليهمـا اولاده ليعلماهم العلم والادب. فانتهز هذان الشابان الفرصة وعلّماهم الديانة المسيحية وكذلك بشّرا كثيرًا من اهالي المدينـة الى ان مات الملك المذكور وخلفـهُ اثنان من اولادهِ كانا تخرّجا على يد الاخوين فرفعا منـار الدين المسيحي وانتشر بهما نور الانجيل في ذاك الاقليم. ثم بعد ذلك عاد اديز الى وطنه مدينة صور وذهب فرومنس الى القديس اثناسيوس بطريرك الاسكندريّة حاملًا اليهِ خبر انتشار الديانة المسيحية في شمالي الحبشة فانتعش قلب البطريرك القديس من هذه البشرى ولم يشأ الّا ترقية فرومنس الى درجة اسقف وارساله الى اكسوم ليتمّم عمله الجيـد في كرم الرب الذي غرسهُ. فقام هذا الحبر باعباء وظيفته حقّ القيـام وطوّبتهُ الكنيسة المقدسة بعد وفاته. وكذلك الكنيسة الحبشية تكرمهُ الى اليوم تحت اسم « قدّوس فراماناتوس »

مكثت هكذا الحبشة مدة من الزمن وهي بنجاح متواصل في الديانة المسيحيّة رغمًا عن الصعوبات والاضطهادات التي لاقتها من اليهود والوثنيين وامتدّت النصرانيّة في كل انحاء المملكة وقام الاحباش انفسهم ببشارة الانجيل فبلغوا جنوبي افريقية. وقد اخبر الرحّالة الشهير فاسكو دي كاما (Vasco de Gama) انهُ شاهـد عددًا كبيرًا من المسيحيين في جهات الموزمبيك يُدعون هنـاك احباشًا. وجاء وقت اوشك المسيحيّون الاحباش ان يبشروا بالانجيل في جميع انحاء افريقية كلها. وفي الجيل الرابع قام الملك الحسن العبادة « خالب الاصبهان » وتعدّى البحر الاحمر مع عساكره اجابةً لالحاح البابا والقيصر يوستينيوس الاوّل وذلك ليخلّص المسيحيين اخوته في اليمن من مخالب اليهودي ذو نوّاس الذي كان يضطهدهم ويذيقهم انواع العذابات (١. وقد أُحصي بعد وفاته هذا الملك في عداد القديسين في السجلّ الروماني تحت اسم القديس الاصبهان وتقيم الكنيسة الرومانيّة تذكاره في اليوم السابع والعشرين من شهر تشرين الاوّل (٢. ولتتم البشارة في افريقية كان يجب على الكنيسة الحبشيّة ان تبقى محافظة على الامانة مع

١) راجع مجاني الادب (الجزء الثالث ص ٣٠١)

٢) من كتاب السيد ماسايّا الكردينال وعنوانهُ « خمسة وثلاثون سنة من رسالتي في الحبشة »

شركة الكنيسة الرومانيَّة ولكن لسوءِ حظها حادت عن هذه الشركة المقدسة ووقعت في الهرطقة في الجيل السابع اذ قد ضغط عليها بنيامين بطريرك الاسكندريَّة الاراتيكي واسقطها معهُ في بدعة اوطيخا فامتدت هذه الهرطقة في الحبشة وتأصلت جذوعها فيها ولم تزل الكنيسة الحبشيَّة الى يومنا هذا متسكعةً وسط هذا الظلام الحالك ما خلا بعضاً من الذين حافظوا على الامانة الكاثوليكيَّة ولم يقبلوا الهرطقة ويدعوهم الاحباش « سوستلاديث » وهم قوم متشتتون في انحاء الحبشة واكثرهم في ناحية التِكره لهم بعض كنائس وهم اليوم على طقسهم خاضعون للاسقف اللاتيني النائب الرسولي

ثم قام في الجيل الثالث عشر (سنة ١٢٠٠) اسقف صالح يدعى « تقلاهيمانوت » وتقلَّد عصا رئاسة الاساقفة وخضع للكرسي الروماني وبشَّر الهراطقة والوثنيين ورمم الاديرة واحدث قبل وفاته قانوناً حافظت عليهِ الكنيسة الحبشيَّة الى يومنا هذا وهو ان الاساقفة يجب ان يؤخذوا دائماً من الكهنة الذين تُعهد بهم اللياقة لهذه الدرجة في البطريركية الاسكندريَّة . ولكن عُقب وفاته عاد الحبشة الى بدعتهم الاولى لان الاساقفة بعده أُخذوا كلهم من الاقباط الهراطقة في مصر الذين لا يزالون الى يومنا هذا يعمهون في ضلالهم . وفي نهاية الجيل الثالث عشر واوائل القرن الرابع عشر استولى على المُلك رجل صالح يُدعى لاليبلا واعتنق الديانة الكاثوليكيَّة ويدعوه الاحباش باسم القديس لويس الحبشي ولكن ما لبث الحبش ان عادوا الى ضلالهم . وفي نهاية ذاك الجيل اتى الى هذه الديار اثنا عشر من الرهبان الدومنيكيين وبثُّوا نور الكثلكة في عدة اماكن حتَّى فازوا باكليل الاستشهاد في مقاطعة التكره . وقام الفلاشا على اثر ذلك بانواع الاضطهاد ضد الكاثوليكيين فقتلوا منهم جزءًا والجزء الآخر اختبأ في مغاور جبال الشومازينا فسدّوا عليهم افواه الغيران حتى ماتوا جوعاً وهؤلاء يكرمهم اليوم الاحباش تحت اسم « تسادقان نيومان » اي الصدّيقين الراقدين

ثمَّ تعاقب بعد ذلك كثير من الملوك على السدة الحبشيَّة وعدد قليل من الاساقفة الاوطيخيين وادخلوا هرطقات اخرى فوق هرطقتهم : من ذلك انهم ابطلوا سرَّ المعمودية وجعلوه اغتسالًا سنويًا بالنهر يوم عيد الظهور والغوا الزواج الكنسي واعتاضوا عنهُ بالزواج الوقتي واجازوا الطلاق على انواعه وترويج الرجل ما شاء من النساء الواحدة بعد

طلاق الاخرى وزادوا على ذلك الفسق وسمحوا للملوك والوزراء باتخاذ اكثر من امرأة واحدة في وقت واحد. واصبح الاساقفة طوع بنان الملوك والامراء في كل ما يخص الدين فزاد ظلام الكنيسة الحبشيّة ظلاماً وانغمس الشعب باجمعه في الرذائل والهى الفسق الملوك والامراء عن الاهتمام بامر المملكة وحدث اثر ذلك اضطرابات داخل الحبشة وعلى كثير من حدودها. ففي اوائل القرن الرابع عشر استولى البرابرة المجاورون لهم على سواحل البحر الاحمر الغربيّة وجعلوها مملكة تحت اسم مملكة عدل بعد ان حاربوا زمناً طويلًا الحبشة وخرّبوا فيها ما خرّبوا واتوها باضرار جمّة. وكذلك قام قبائل الصومال والافار واستولوا على زيلع وعلى جزء آخر من المملكة ثم تقوّوا بالبنادق والاسلحة الناريّة وهاجموا الحبشة ايضاً واخذوا منهم هرر وضواحيها. وقامت ايضاً الدنا كل في اواسط الجيل الخامس عشر واستولوا على جهات تَجْرِه وسواكن وشمالي التكره. وهكذا صغرت المملكة الحبشيّة بعد عظمتها الاولى وكان ذلك على عهد الملك داود الثالث وبمساعدة اليهود الاحباش (الفلاشا) الذين سعوا ايضاً باحراق الكنائس وهدم الاديرة وذبح الكهنة والرهبان في طريقهم

فعند ذلك استنجد الملك داود بدولة البرتغال التي كانت في ذلك الزمان امّ الاستعمار فيما بين الدول الاوربيّة فلبّت هذه الدولة نجدته وارسلت الجنرال خريستوف دي گاما (Christophe de Gama) مع ٤٥٠ مقاتلًا من البرتغاليين وعددٍ من العساكر الاستعماريّة الذين نزلوا في مصوّع وهاجموا القبائل المتعدّية بقوة المدافع والكتل الناريّة واعادوا هذه الجهة الى المملكة الحبشيّة. وعلى اثر ذلك جاء الى الحبشة عدد من الرهبان الفرنسيسكانيين واخذوا بالبشارة في جهات التكره وفي هذا العهد توفي الملك داود الثالث وخلفهُ على المُلك ابنهُ كلوديوس الذي اعتنق الكثلكة. ولكن بعد سنة واحدة عادت تلك القبائل فتقوّت وهاجمت البرتغال وكسرتهم في موقعة جرت في جنوبي عدوى سنة ١٥٤٢ ووقع الجنرال دي گاما في يد الامم ومات استشهاداً في حفلة اقامها گران (Gragne) رئيس هذه القبائل في نشوة انتصاره. لكنَّ هذا الجبّار قُتل بعد ذلك في موقعة وينادیكا وخلفهُ على سرير هرر ابنه نور. ثم هدأت عقب ذلك الاضطرابات بين الحبشة وهذه القبائل. فاغتنم فرصة هذه الهدنة السيد البطريرك

اوفييدو (Oviédo) الراهب اليسوعي مع عدد من المرسلين اليسوعيين والمحافظين والكبوشيين واتوا الى الحبشة وجاهروا فيها بتعليم الديانة الكاثوليكية فاستمالوا اليهم عددًا كبيرًا من الوطنيين واميرًا من العائلة الملكيّة يدعى « سلاح خريستوس » على عهد الملك « ملاك سِكّاد » غير انّهم بعد ذلك ذاقوا اهانات كثيرة هم والامير والكاثوليكيون تلامذتهم فطُرد البعض ونُفي البعض وقُتل البعض. وعلى اثر ذلك سنة ١٥٧٧ بعث البابا يوليوس الثالث الى السيد اوفييدو الذي كان تائهًا في براري الحبشة وقفارها ان يغادر هذه البلاد ويذهب في البشارة الى نواحي الصين واليابان لكنَّ رجل الله هذا فضّل ان يموت جوعًا وعريًا في بلاد سقاها من اعراقه وشربت دماء المسيحيين

ثم اتى في الجيل السادس عشر عدد من المرسلين اليسوعيين البرتغاليين والاسبانيين وكرزوا وتلمذوا واستمالوا قلب الملك سوسينيوس الذي اعتنق الكثلكة وامر وزراءه وعموم الشعب بطرد نسائهم غير الشرعيات وثابر على امانته الى نهاية عمره سنة ١٦٣٢ . لكن بعد وفاته هاج الامراء والمثرون اذ وجدوا نير الزواج المسيحي ثقيلًا على اعناقهم ودفعوا للهياج النساء غير الشرعيات اللواتي تركهنَّ ازواجهنَّ فتجمهر الشعب وطلب الى الملك « باسيليدِس » ان يلغي شرائع سالفهِ ويعيد السُّنَن القديمة. فاجابهم هذا الملك الى طلبهم وعادت الحبشة الى فظائعها السالفة

وفي ٧ آب سنة ١٦٣٨ جاء بلاد الحبش اثنان من المرسلين الكبوشيين وهما الاب اكاتنج الفاندومي (P. Agathange de Vandôme) والاب كاسيان النانتي (P. Cassien de Nantes) غير انهما استشهدا شنقًا في كَوندَر (Gondar) وقد ذكر تاريخهما ان المراطقة نسوا باستعجالهم الحبال المعدّة لهذه الذبيحة والتزموا ان يؤخروا العمل بضع ساعات لكن الابوين المذكورين اذ نظرا ارتباك هؤلاء البرابرة خافا لئلّا ينزع عنهما هذا الوقت اكليل الاستشهاد واشارا بسذاجة الى منطقة الرهبنة التي يمنطقون بها حقويهما وهكذا استُعملت هذه المناطق كآلة لعذابهما. وزدْ على ذلك ان البرابرة اذ رأوهما لم يموتا سريعًا اخذوا يرجمونهما بالحجارة الى ان فاضت نفساهما البارَّتان . فالكنيسة المقدسة اليوم تهتم بامر تطويبهما وكذلك بامر تطويب الاب بايز (P. Paez) ورفقته اليسوعيين الذين ذبحهم

الملك باسيليدِس نفسه في جهة أخرى من الحبشة (١

وباشارة هذا الملك ايضاً قطع امير سواكن رؤوس ثلاثة مرسلين كبوشيين كانوا آتين الى الحبشة وارسل لهُ رؤوسهم حيث عرضها الملك للشعب في حفلة مدنية. وهكذا باسيليدِس وخلفاؤهُ جاهروا في اضطهاد الكاثوليكيين وذبحهم ولم يخجلوا بان يدعوا انفسهم « بني بطرس وبولس بنعمة الله » . وقد حملهم نكران جميلهم حتى على قتل من تبقّى في بلادهم من البرتغاليين الذين خلّصوهم من نكباتهم في السالف. ثمَّ قام بينهم مدةً ملك صالح يدعى « ياسوس الاول » لكنْ اوامره ووصاياه ذهبت ادراج الرياح لتعصُّب عموم الشعب والاكليروس الحبشيّ ضدّه فمات ولم يأتِ بنتيجة تذكر. ومن ذلك العهد اخذت الحبشة ان تضعف قوتها ومن جهة أخرى جعلت قبائل الكالّا المجاورة لها تهاجر اليها قوماً بعد قوم والاحباش غير قادرين على ردعهم فامتلأت منهم جبال الحبشة في كل نواحيها واخذوا بالنموّ والاكثار حتى صاروا من الاهميَّة بمكان لِما طُبعوا عليهِ من النشاط وتعاطي الحراثة والزراعة وتربية المواشي ونحو ذلك فضلًا عن ائتلاف كلمتهم وتكلمهم جميعاً بلغة واحدة (بينما يتكلم الاحباش لغات متعدّدة على حسب المقاطعات ولا يفهم احدهم لغة الآخر). فتقوّى الكالّا وتقدموا بالوظائف العسكريَّة على زمن الملك داود الرابع حتى جاء وقت فيهِ اختلسوا المُلك من الاحباش وذلك بعد عهد الملك « ياسوس الثاني » في الجيل السابع عشر فان الملك المذكور تزوج بامرأة من الكالّا . ولمّا مات جلس ابنه « يواش الاوّل » وكان صغير السنّ فتولت امه امر المملكة وعملت الدسائس مع بني جلدتها وتوصّلت بذلك الى تنزيل ابنها عن المُلك الذي علا سدّته واحد من الكالا وهكذا بقي المُلك يتراوح مدة طويلة من الزمن تارةً بايدي الكالّا وتارةً بايدي الاحباش والكنيسة الحبشيَّة مصرَّةٌ على ما هي بهِ من الهرطقة لا بل ان عدد الهراطقة انفسهم نقص كثيرًا لانَّ الملوك الكالا كانوا وثنيين واضطهدوا المسيحيين من ايّ طائفةٍ كانوا . وممَّن اشتهروا بالقساوة والظلم على المسيحيين يُعدّ الملك كوكسا وابنه ماريَه وسبكاديس ووتادِر ودُوري وغيرهم . وبقيت هكذا الحبشة الى ان تبوّأ سدّة الملك

١) من كتابات الاب مارسيال دي سلفياك الكبوشي وعنوانها Les Galla وهي مخطوطات جميلة محفوظة في دير أوّاله

في الجيل الثامن عشر الراس علي الذي كان رجلًا شجاعًا متواضعًا ميَّالًا الى التمدن ومحبًّا للخير . وهذا عزَّز في ايامه المرسلين الكاثوليكيين واعطاهم ملء الحريَّة في نشر دينهم وسمح للاوروبيين ان يتعاطوا الرحلات العلميَّة في بلاده (البقيَّة للآتي)

التمثال المكتشف حديثًا في جبيل

نظر للاب لويس جلابرت اليسوعيّ

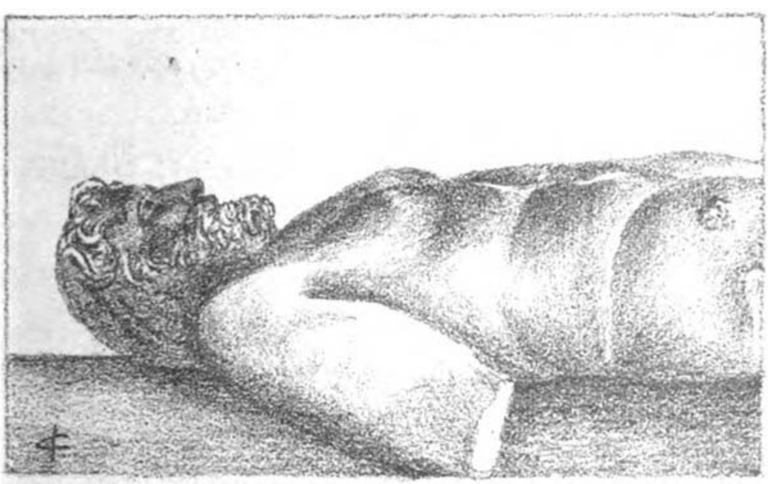
قد انبأت حديثًا الجرائد المحليَّة بما اكتُشف في جبيل من العاديَّات في اواخر ايلول الماضي . وقد رأينا بهذه النسبة ان نكتب هذه الاسطر الوجيزة لاستدراك بعض المزاعم الباطلة التي اشاعها اوَّل مكاتبي الجرائد ولإعمال نظر الانتقاد في حقيقة هذا الاكتشاف ومعناهُ

اوَّل من افادنا عن الامر حضرة الكافليار الشيخ يوسف حبيش مدير ناحية جُبيل الذي عُرف بهمَّتهِ في البحث عن العاديَّات وبنزاهتهِ في خدمة العلم فانهُ اعزَّهُ الله لا يكاد يقف على اثر جديد حتى يسرع فيطلع عليهِ من يرى لهم عناية بذلك . فبادرنا الى اجابة دعوتهِ وانتقلنا الى جُبيل حيث اتخذنا كل الاعلامات عن الاكتشاف وظروفهِ من وضعهِ ومكانهِ . فهدانا الدليل الى موقع الحفر فاذا هو في رأس البلدة من جهة بيروت . فتذكَّرنا انَّ هناك وُجدت سابقًا على بُعد بضعة امتار من الحفر الجديد قطعة من كتابة شهيرة فينيقيَّة كانت منقورة على حجر فيهِ بقيَّة من اثر هيروغليفيّ يحتوي على اسم احد فراعنة مصر اسمهُ شيشق (Sezac) ورد ذكرهُ في التوراة . وهذا الأثر قد كتب عنهُ العلاَّمة كارمون غانو بحثًا مهمًّا نشرهُ منذ اشهر قليلة في مجلة الكتابات والفنون الادبيَّة

امَّا الأثر الجديد فقد اكتشفهُ البُناة في ارضٍ من ملك رهبان الموارنة البلديين بينما كانوا يسبرون المكان ليستدلُّوا على بُعد غورهِ قبل وضع الاساس فوجدوا التمثال في وسط ردوم تتركَّب كلها من حطام آجرّ يرتقي الى عهد الرومانيين . فوسَّع البنَّاؤون الحفرة واخرجوا منها دون عناء التمثال الذي كان ملقىً على الحضيض

فاخذ الرهبان ذلك التمثال وجعلوهُ في مأمن عند بعض اهل جُبيل الذي ضمنهُ على ما قيل لنا بستمائة غرش فكان لا يدع احدًا يتفقَّدهُ الَّا بعد ان يدفع بشلكاً. فقُضي علينا ما قضي على غيرنا كأَننا اتينا جبيل للفرجة من تلقاء نفسنا ولم يستدعنا حضرة المدير لنفيدهُ عن التمثال وحقيقة امرهِ

فدخلنا اذن مكان معرض التمثال بعد أداء الأُجرة المفروضة وجعلنا في غيبة حضرة المدير نفحص الأثر فحصاً مدقَّقاً كما يفعل الاثريون. واذا بالوكيل تصدَّى لنا وخاف على اثرهِ من فحصنا كأَننا حاولنا استلابَهُ. ولمَّا اردنا تصويرهُ بالآلة الشمسيَّة منعنا من ذلك منعاً قطعيًّا. فكيف لا يعلم اثارهُ الله انَّ هذه الآثار اذا نُشرت صورها عُرفت حقيقتها وزاد بذلك ثمنها وربح صاحبها ما لا يربحهُ دون ذلك لانَّ العلماء اذا وقفوا على صورة العاديَّات تفاوضوا في شأنها وعظَّموا قدرها. وخلاصة القول انَّ هذا الوكيل كاد يسلبنا ثمرة اتعابنا لولا انَّ حضرة المدير قدم في تلك الساعة فكفانا جفاء هذا الناظر



رأس تمثال نبتون المكتشف حديثاً في جبيل

هذا ولمَّا كان التمثال موضوعاً في قبو ضيّق زهيد السعة قليل النور ملقىً على ظهرهِ لم يمكنّا اتقان صورتهِ التي نجتزئ باثبات رأسها فقط (في الصفحة ٩٢٤)

☆

ودونك الآن ما استفدناهُ من درسنا لهذا الأثر ليعلم الوكيل انَّ غايتنا كانت غاية علميَّةً بحتةً

انَّ هذا التمثال من الرخام الابيض الناعم الحبوب وهو اكبر من الجسم الطبيعي في الغالب اذ يبلغ طولهُ مترَين تماماً. وقد حُفظ شاوهُ ورأسهُ حفظاً جيدًا امَّا طرفا قدميهِ فقد تلفا وذراعاهُ مقطوعتان فوق مرفقيهِ. وذلك تشويهٌ يؤسف لهُ لانهُ لا يمكننا القطع بصورة يديهِ وهيئتهما وما كان يمسكهُ الاله فيهما من الادوات المشيرة الى عظمتهِ



هيكل جبيل الكبير على عهد الرومان

ومن المرجَّح انَّ هذا الاله كان قابضاً بيدهِ اليمنى حربة مثلَّثة الاسنَّة وممَّا يشهد على ذلك انَّ في فخذهِ آثارًا تدلُّ على انَّ هذه الحربة كانت تستند اليهِ. وكانت الحربة منحوتة في الحجر

امَّا الاله الذي قُصد رسمهُ فهو اله البحر نِبتون يُرى واقفاً وقفة رجل يستريح من العمل ويستند بِثقَل جسمهِ الى ساقهِ اليُمنى امَّا الساق اليُسرى فانَّها منحنية بعض الانحناء. وتلك هيئة طبيعيَّة كثر رسمها في تماثيل الأقدمين. والاله معرًّى من ثيابهِ لا يُرى على جسدهِ سوى شملة مثبتة على كتفهِ الشمال كانت يسراهُ تسند طيَّاتها الثقيلة

وعلى طول ساقهِ اليمنى دلفينٌ كما تحقَّق ذلك حضرة مدير جُبيل واصلح ما كتبتهُ جريدة الارز في انهُ تمساح. وفي فم الدلفين سمكةٌ صغيرة. والدلفين كما لا يخفى من شارات الاله نبتون ومن مميِّزاتهِ الخاصَّة

امَّا صناعة التمثال فمحكمة تدلُّ على حذاقة ناحتهِ وان وُجد تماثيل اخرى شتَّى احكم منهُ صنعاً. ومن دقَّق النظر في هذا الأثر وقابلهُ مع التماثيل العديدة المجانسة لهُ تحقَّق ان النحَّات كان رومانيًّا بلا مراء فانَّ مجرَّد النظر الى هذا الأثر وهيئتهِ وتصوير سحنتهِ وتقاطيع وجههِ يدلُّ على انَّ الصانع كان يعرف الرومان حقَّ المعرفة. والراس خصوصاً غاية في الاتقان فانَّهُ يُشبه في بهائهِ وعزَّتهِ الصورة التي يخصُّ بها الأقدمون المشتري ابا الآلهة. امَّا صورة نبتون فهي عادةً تدلُّ على صرامةٍ وعبوس فتسامح النحَّات واخرجها هذه المرَّة على شكل المشتري (١. وفي القائمة التي اصطنعها العلامة سليمان ريناخ لتماثيل اليونان والرومان ٣١ تمثالًا من صنف تمثال جُبيل (راجع كتابهُ المجلَّد ٢ الجزء الاوَّل ص ٢٧ — ٣١). واشبه تمثال بهِ تمثال نبتون

---

١) من اراد الوقوف على اكتشافات جبيل الحديثة فليراجع ما كتبهُ منذ عهد قريب المسيو دوسو في المجلة الأثريَّة في مقالة ضمَّنها خبر رحلتهِ الى سوريَّة (السنة ١٨٩٦ ج ١). وكذلك قد كتب حضرة الاب رنزفال عن هذه الاكتشافات مقالة نشرها في المجلَّة الكتابية (بدؤها في تموز ١٩٠٣). هذا مع مراجعة كتاب بعثة فينيقية لرينان

الذي وُجد في الجزائر في مدينة شرشل وهو اليوم في متحف مدينة الجزائر (ص ٣٠ ع ٣)

ولكن ما نستحبُّهُ خصوصاً في هذا التمثال انَّ الدهر لم يؤثر فيهِ فبقي على حسنه اللهمَّ الَّا ما تكسَّر منهُ . الَّا انَّ اصحاب هذا التمثال يبالغون في وصفهِ ليربحوا منهُ ارباحاً فاحشة . ولعلَّ طمعهم اذا غالوا في ثمنهِ يصدُّ المتاحف العاميَّة عن اقتنائهِ بالقيمة الواجبة

وفي ختام نبذتنا هذه نجيب على سؤالٍ ألقاهُ علينا بعض الادباء حيث قال: تُرى ما هو مقام هذا التمثال ونسبتهُ الى آثار جبيل القديمة ؟

(قلنا) انَّ جبيل كانت قديماً مركزًا دينيًّا للفينيقيين تحجُّ اليهِ الجماهير المجمهرة لزيارة مناسكهِ . ولمَّا صار الامر الى الرومان شيَّدوا في هذه المدينة هياكل عديدة منها الهيكل الكبير الذي ترى صورتهُ في الصفحة ٩٢٥ . وحضرة الاب رنڤال يرتأي انَّ مقام هذا الهيكل كان قريبًا من المكان الذي وجد فيهِ تمثال نبتون حديثًا (١ . والظاهر انَّ هذا الأثر كان يزين ذلك الهيكل ولم ينجُ من الخراب والدمار الذي ألحقهُ النصارى بمعابد جبيل الوثنيَّة الَّا لانَّ سَدَنة الهيكل اسرعوا واخفوهُ لئلاَّ يصيبهُ ما اصابها . ولعلَّ النصارى ايضاً وجدوا التمثال مكسور اليدين فظنُّوا انهُ لم يعد يصلح لعبادة الجبيليين فلا بأس من ابقائهِ على حالتهِ

فمن ثمَّ ترى لايّ سببٍ لم يجد العلماء حتى الآن في جُبيل الَّا آثارًا قليلة منها بعض كتابات ليس تحتها كبير امر او قِطَع محطَّمة من تماثيل وصور قديمة نُحتت على عهد الرومان او اليونان فانَّ النصارى عند فوز قسطنطين وانتصار ثاودوسيوس الكبير تحاملوا على كل آثار الوثنيين فكسَّروها لئلاَّ يعود عبدة الاصنام الى دينهم الباطل . ولذلك نعدّ وجود التمثال الحديث اكتشافاً مهمًّا لعظمهِ وحسن بقائهِ ونتمنّى ان يواصل

---

١) وقد وجدنا نحن ايضاً بعض اثار من هذا الهيكل الكبير في ملك احد ادباء المسلمين في جبيل فلم يضنّ علينا بفحصها وتصويرها واكثرها مشوَّه بالكسر

الفعلة حفرهم تحت نظارة حضرة المدير الذي يعرف لهـذه الآثار قدرها جازاهُ الله خيرًا وابقاهُ لخدمة العلم والوطن

الركوسيَّة

لحضرة الكاتب الفاضل الاب انستاس الكرملي

قد تفضَّل حضرة الاب لامنس اليسوعي فزاد بعض تفاصيل على ما استلفتنا اليهِ افكار القرَّاء من امر الركوسيَّة وهذا ملخَّص ما جاء في افاداتهِ المتنوّعة:

١ً بين لفظتي الركوسيَّة والقورسيَّة تباين لغوي

٢ً ان الركوسيَّة شيعة نصرانيَّة غير مستقيمة الايمان وهو امرٌ لا ريب فيهِ يشهد على صحتهِ قول الزبيدي في التاج

٣ً في دينهم شيء من اضاليل الصابئة وهذا لا يصحّ في نصـارى بلاد قورس المستقيمي الراي

٤ً ان الصابئين كانوا يعرفون ايضًا باسم «كماريون» وهو لفظ غريب غلب عليهِ التصحيف. فقيل ان الصواب «كتباريون» وقيـل «كسكريون» وهو الراي المرجح نسبة الى معاملة كسكر التي تدخل فيهـا واسط. وبعد الفحص وجد ان التشابه بين الكسكريين والركوسيين بعيد فهؤلاء ليسوا باولئك

٥ً ان الكاتب الفاضل يُرجّح ان الركوسيَّة فرقة من المرقيونيين وهذه الفرقة هي المعروفة باسم المرقوسيين ولا يبعد من ان العرب صحّفوا المرقوسيَّة بالركوسيَّة

٦ً قال حضرة المنتقد ان مقالته «على كلّ حالٍ... تُبطل رأيًا لا يحسبهُ صحيحًا اعني القول بان الركوسيَّة هم نصارى القورسيَّة»

فلننظر الآن في اقوال الكاتب الكريم ولنعرضها على محكّ الانتقاد لنتحقَّق اذا كانت آراؤهُ هذه صائبة. فاجيب على الترتيب السابق ذكرهُ قائلًا:

١ً ليس بين لفظتَي الركوسيَّة والكورسيَّة او القورسيَّة تبايُن لغوي يُذكر بل هو من قبيل التبايُن المعروف عندهم بالقلب لا غير. وهو شائع في لغتهم ولهُ امثلة كثيرة وبدون ان نبحث عن الفاظ جمَّة وقع فيها القلب لنأخذنَّ مادّتي « ك ر س » و « ر ك س » ولننظرنَّ اذا لم يقع فيها شيء من القلب — والحال مما نراهُ فيهما معاً: « الرِكس » وهو شبيه المعنى بالرجيع. ومثلهُ « الكِرس » وهو البعر والبول المتلبّد بعضهُ على بعض. والمعنى واحد تقريباً. ومن ذلك ايضاً « الرِكس » من الناس وهو الكثير وقيل الجماعة من الناس. ويقرب من معناهُ « السِكرس » وهو ابيات من الناس مجتمعة اه. وعليهِ فلا نرى تبايناً بين الركوسيَّة والكورسيَّة

٢ً ان حضرة الاب قد صرَّح بان الركوسيَّة شيعــة غير مستقيمة الراي ثم بنى على ذلك ما بنى استناداً على قول صاحب التاج ونصّــهُ: « انهم قوم لهم دين بين النصارى والصابئين ». واما نحن فقد استندنا الى قول ابن الاعرابيّ القائل انَّ الركوسيَّة من نعت النصارى وقد اطلق كلامهُ هذا ولم يحصرهُ في فرقةٍ منهم فاستنتجنا انَّهم من اهل الدين القويم ولم نعتدّ بكلام السيد المرتضى او المجد في قولها: « دين بين النصـارى والصابئين »: اولًا لان ذلك كلام مجمل لا يتحصَّل منهُ امرٌ مقرَّر — ثانياً لان العرب في تكلُّمهم عن فرق النصارى لم يُحسنوا التمييز بين ما يتقاسم هذه الفرق من الآراء والاختلافات المذهبيَّة لانهم غير مكلَّفين بذلك... الخ. ولنا شواهد على هذا تملأ عدداً من المشرق. ولعلَّك تقول ولِمَ اعتمدتَ اذن على كلام ابن الاعرابي لتكتب ما كتبت. قُل لهُ: انما فعلنا ذلك لما كان بيدنا من شاهد اللغة فازددنا ثقةً بما صرَّحنا بهِ. — ثالثاً لان الصابئة جاء في كلام العرب بمعانٍ مختلفة فان فريقاً منهم جعلوهم من عبدة الكواكب (الفيوميّ والبيضاويّ وغيرهما) وجماعةً حسبتهم بين عداد عبــدة الملائكة (الكشاف ١: ٦٠) وقوماً اعتبروهم فرقة من النصارى (المصباح والكشاف ايضاً اذ يقول في ٢: ٥٨ عن الصابئين « انَّهم نوع منهم » اي النصـارى) واحلَّهم المسعوديّ وغيره محلّ الفلاسفة (مروج الذهب المطبوع على حاشية نفح الطيب ٢: ١٥٠) وقال ابو الفداء وغيره ان دين الصابئين هو دين السريان (١: ٨٦) وصفَ الآمديُ فرقةً من الصابئة في مصفِ المسلمين. وجعلهم بقيَّة كتَّاب العرب من

عبدة الاوثان فاي معنى يُريد ان يُعيّن حضرة الاب للفظـة « صابئين » حينما يقول المجد ان الركوسية هم « قوم لهم دين بين النصارى والصـابئين ». فانت ترى انهُ لا يحقّ لهُ ان يتمسَّك بمعنى دون ان يتمسَّك بمعنى آخر . واماً تخصيصهُ اياها بمعنى « المندائيَّة » فهو محض تحكُّم غير مبني على اساسٍ وطيد

٣ً لا نُسلّم كل التسليم بانهُ كان في الركوسيَّة اضاليل كاضاليـل الصابئة المعروفين بالمندائيَّة لاسباب تطَّلع عليها في ما بعد

٤ً ان ترجيحهُ لكلمة « كسكريين » على كلمة « كتباريين » او « كماريّين » لفرقة من الصابئة مُتبعاً في ذلك راي الافرنج لا نوافقهُ عليها ونعدُّهُ من جملة أوهامهم. بل الرواية الصحيحة في ذلك هي « كتباريون » او « قطباريّون » على طريق التفخيم كما رواها ابن خلدون (راجع المشرق ٤ : ٤٠٤) وكتبار هذا هو عنـدهم احد وُلد ارْفَكْشاد واسمهُ عندهم ايضاً قينان وهو غير قينان بن آنوش (١٠١لا انَّ الكتاب الكريم لم يذكر جميع اولاد ارفكشاد فيحتمـل ان يكون واحد منهم تسمّى بهذا الاسم ولم تصرّح بهِ التوراة

٥ً ان الركوسيَّة لم تكن فرقةً من المرقيونيين لان هؤلاء لم يدخلوا بلاد العرب (٢ واماً الركوسيَّة فكانت معروفة عندهم واليك الدليل . قال في اللسان في مادَّة « ركس » انهُ قيل لعدي بن حاتم الطائي لمَّا اراد الاسلام : « انت من اهل دين يقال لهُ الركوسيَّة ». والحال اننا نعلم ان عديًا هذا بعد ان كان وثنيًا يعبد الاصنام

---

١) هذه الملاحظة اظنّها صوابًا ه . ل

٢) لعلَّ حضرة الاب انستاس مبالغ في قولهِ هذا. لأنَّنا نعلم ان اكثر الشيع المرتبطـة باللاادريين بعض الارتبـاط كالابيونيين والناصريين والكسائيين والمخالفين لبتوليـة العذراء (Antidicomarianites) والمغالين في عبادتهـا (Collyridiens) تكاثروا في بلاد العرب التي كان يحكم فيهـا الرومان كحوران والبلاد الواقعـة ما وراء الاردن وبحيرة لوط الى بحر القلزم . اماَّ المرقيونيُّون فان لنا شاهدًا على وجودهم في تلك البلاد وهي الكتابة التي اثبتهـا وادنغتون في مجموعهِ (تحت العدد ٢٥٥٨) حيث جاء ذكر جامع للمرقيونيين في دير عليّ سنة ٣١٨ للمسيح . ثم ان النصوص التي اوردناها في مقالتنا تبين ان العرب كانوا يعرفون المرقيونيين ه . ل

تنصَّر ثم ادرك الاسلام فاسلم هو واختهُ سفانة . ففي قولهِ ان عديًا من اهل دين يُقال لهُ الركوسيَّة اشارة الى مذهبهِ في نصرانيتهِ (١ . والحال ان الطائيين كانوا قد انتحلوا اليعقوبيَّة فالركوسيَّة اذن فرقة منها . — وكما ان اهل كورس وقعوا في اليعقوبيَّة (٢ بعد وفاة ثيودوريطوس بزمان اصبحت الركوسيَّة بمعنى اليعقوبيَّة الخاصَّة بكورس اي المونوثليَّة . ومن هذه النتيجة نستلُّ امرًا تاريخيًا مهمًا وهو ان الذين نصَّروا الطائيين كانوا من نصارى كورُس الموحِّدي المشيئة . وان لم يُسلِّم حضرة المنتقد الفاضل بمونوثليَّة اهل كورس بعد وفاة ثيودوريطس بل باستقامة دينهم فحينئذٍ نقول : ان الطائيين كانوا من المستقيمي الدين وهذا الامر غير بعيد . اولًا لان العرب كانت على ثلاث فرق من النصرانيَّة وهي : الكاثوليكيَّة (٣ واليعقوبيَّة والنسطوريَّة . ثانيًا لان كلمة ركوسيَّة كانت معروفة في ايَّام عديّ بن حاتم اي في اوائل القرن السابع للميلاد . وحينئذٍ لم يكن بين وفاة ثيودوريطوس وانتشار اللفظة الَّا بعض القرن ولعلَّ استقامة الدين كانت بعد سائدة في الكورسيَّة . فلا بدع من ان يكون الطائيُّون من القيِّمي الدين

الَّا انَّنا مع ذلك لا نقول باستقامة مذهب بني طيّ في الجاهليَّة بل باوَدهِ واعوجاجهِ ومونوثوليتهِ . والذي يدفعنا الى هذا الراي انَّ امرأة حاتم الطائيّ في وقت الجاهليَّة كانت نصرانيَّة ومع ذلك فقد طلَّقت زوجها على الطريقة المعروفة عند الجاهليَّة في ذلك العهد (راجع الاغاني ١٦ : ١٠٦) فلو كانت نصرانيَّة مستقيمة الرأي لِما فعلت ذلك . اللهمَّ الَّا ان يُقال ان نصارى العرب يومئذٍ لم يعرفوا ديانتهم الَّا معرفة من ينتف العلم نتفًا بدون استقصاء فتكون ماويَّة امرأة حاتم فعلت ما فعلت عن جهلٍ لا عن درايةٍ

---

١) لا نرى هذه النتيجة لازمة وكذلك لا نلزم الحجج الواردة بعدها حيث اراد حضرة الكاتب ان يبيِّن ان الركوسية قوم من اليعاقبة . ه . ل

٢) غاية ما نعلم عن يعاقبة قورس ان هذه المدينة كانت من كراسيِّهم ولكن ليس ذلك داعيًا كافيًا للقول بان اهل المدينة كلَّها كانوا يعاقبة . بل الارجح ان الامر على خلاف ذلك ه . ل

٣) ممَّا يتَّفق عليهِ العلماء في يومنا ان نصارى العرب الَّا القليل منهم كانوا يتمذهبون باحد مذهبي اليعاقبة او النساطرة . وليس لدينا شاهد على انَّ قبيلةً باجمعها كانت كاثوليكية (راجع ما كتبناهُ في هذا الصدد في كتابنا عن شاعر بني امية ص ٣٦ الخ) حيث انَّمنا في هذا المبحث ه . ل

وان اصرَّ حضرة الاب الفاضل في رفض نسبة الركوسيَّة الى كورُس البلاد الشهيرة فامكننا ان ننسبها الى واحدٍ من مشاهير موحّدي المشيئة يعني الى كورُس بطركِ الاسكندريَّة وكان اسمهُ قد فشا في جنوبي بلاد الشام وشمال غربيّ بلاد العرب في عهد ظهور راية الاسلام فلا يبعد من ان تكون الركوسيَّة منسوبة الى لفظة « كورس »(١ على كل حالٍ وبَعنى ان اصحاب هذا المذهب كانوا من مُوحّدي المشيئة زائدين على ما تقدَّم وقوع القلب اللغويّ في الركوسيَّة وناكرين كل النكير كونهم من المرقيونيين

٦ً ممَّا تقدَّم ترى ان قولنا الاوَّل (الذي نعدل عنهُ اليوم بفضل ما كتبهُ حضرة الاب لامنس) كان يقرب من قولنا هذا الثاني نتمسَّك بهِ الآن. واماَّ انهُ كيف ساغ لبعض العرب ان يقولوا ان الركوسيَّة دين بين النصارى والصابئين فلعلَّ السبب هو لان بعض اليعاقبة وهم من موحدي الطبيعة يُشبهون المندائيَّة بعض الشبه في اصوامهم ومآكلهم وايضاً في بعض اعتقادهم بالمسيح اذ انهم يقولون ان جسد المسيح في ذاتهِ كان غير فاسدٍ وغير متألم. والمندائيَّة تقول كذلك الَّا انها تزيد على ذلك ان المسيح من الارواح النجسة تعالى الله عن ذلك

(الخاتمة) هذا ما اردنا تبيانهُ بخصوص الركوسيَّة ولعلَّ المسألة زادت وضوحاً بفضل النصّ الذي اوردناهُ نقلًا عن لسان العرب (٢ والله الموفّق الى سبيل الصواب. واليهِ المرجع في الاول وفي المآب

---

١) هذا راي يصعب تأييدهُ بالبرهان. لانَّ ذلك يستلزم ان يثبت حضرة الكاتب. اولًا ان قورس هذا انشأ شيعة منفردة. ثانياً انهُ زاد على آراء ذوي المشيئة الواحد ما اوجب نسبتها اليهِ. وثالثًا ان بدعة ذوي المشيئة الواحدة شاعت بين العرب الى غير ذلك ممَّا ينقض هذا الرأي ه. ل

٢) وهو ايضاً رأينا ويسرُّنا كون حضرة الكاتب الضليع انتهز فرصة انتقادنا لايراد هذا النصّ المهمّ ه. ل

مشكل كتابي

نظر للاب لويس شيخو اليسوعي

ورد علينا هذا الكتاب فاسرعنا الى نشرهِ بالحرف :

حضرة الاب الفاضل مدير المشرق الاغر

عجبت كثيرًا من جوابكم على سؤال الفاضل اغوب فرحيان (المدرج في العدد ١٨ ص ٨٦٤ من مشرق هذه السنة) لمخالفتهِ الصواب ونسبتهِ الى مفسري الاناجيل ما هم برآءٌ منهُ فقد خطَّأتم جمعي بين الآية ٢١ و ٣١ من الفصل الثالث من انجيل مرقس كأَن الكلام فيهما عن حادث واحد (كما ورد في كتابي رحلة الفيلسوف الروماني ص ٢٧٦) بقولكم ان « مفسري الاناجيل المقدسة يرتأون خلاف ذلك وهو ان الكلام على واقعين مختلفين زمنًا فالاوَّل يشمل ذويه والمراد بهم بعض معارفهِ واقربائهِ . . . امَّا الواقع الثاني فقد جرى بعد ذلك بعدةٍ الخ » وذلك بالحقيقة محل الاستغراب فمن اين اتيتم بهذا الرأي وكيف ساغ لكم ان تنسبوهُ الى جميع المفسرين فلدينا عدة تآليف من جلَّة المفسرين ككفيليون والحجري ودبهو وغيرهم ممَّن يشهد لهم بسداد الرأي ويعتمد على رأيهم وقد راجعنا اقوالهم فلم نرَ ولا واحدًا منهم قد ذهب مذهبكم وفصل الحادث الواحد الى حادثين ولا اشاروا الى وجود راي كهذا بين المفسرين . فكان اولاكم اذن ان تحيلوا السائل على كتابي نفسه قائلين لهُ « طالع الصفحة نفسها ترَ سؤالك والجواب عليهِ » بدلًا من ان تأتوا بهذا الحل المخالف لاقوال مشاهير المفسرين وقد نسبتموهُ غلطًا لجمهورهم

فالمرجو من حضرتكم ان تبادروا الى نشر جوابي هذا في اول عدد من مشرقكم الزاهر ولكم الفضل

في حريصا ٣ ت ١ سنة ١٩٠٣

الحقير
جرمانوس معقد
مطران اللاذقية

(نقول) أنَّنا نشكر سيادة المطران الجليل راقم هذه الاسطر اذ فسح لنا المجال لنخوض في مسألة كتابية هي من الشأن بمكان وذلك انَّ ضيق المجلَّة احوجنا على ان نكتفي بخلاصتها فاجبنا الجناب السائل اغوب افندي فرحيان بوجيز الكلام على مألوف عادتنا في باب الاسئلة والاجوبة . وعلى كل حال نؤكد لسيادتهِ اننا لم نكتب ما كتبنا حبًّا بالانتقاد بل مراعاةً لما رأيناهُ اقرب الى الصواب كما سيلوح وزيادةً في الايضاح نعرض هنا للقرَّاء نقطة المشكل ليكونوا على بيّنة من حلّهِ

جاء في الفصل الثالث من انجيل القديس مرقس في الآيتين ٢٠-٢١ منهُ انّ الرب بعد دعوة الرسل الاثني عشر اتى واياهم الى بيت فاجتمع « عليهِ جمعٌ حتى لم يقدروا ولا ان يأكلوا خبزًا. وسمع ذووهُ فخرجوا ليمسكوهُ لأنهم قالوا انهُ شارد العقل ». ويلي هاتين الآيتين ذكر ما دار من الحديث بين السيد المسيح والكتبة الذين بكّتوهُ وادّعوا انهُ يطرد الشياطين بقوَّة بعل زبوب رئيس الشياطين. فيردُّ المسيح على مزاعمهم الباطلة ويضرب لهم امثالًا بقولهِ انّ الخطايا كلّها تُغفر الّا التجديف على الروح القدس. وفي نهاية الحديث بين الربّ والفريسيين يروي مرقس البشير مجيْ العذراء مريم واخوتهِ (والمراد بهم انسباؤهُ اولاد حلفا اخي القديس يوسف وابي المسيح بالذخيرة او اولاد خالة العذراء) قائلًا في الآية ٣١: « حينئذٍ جاءت امُّهُ واخوتهُ ووقفوا خارجًا وارسلوا اليهِ يدعونهُ... فقال الربُّ: من امّي واخوتي... من يعمل مشيئة الله ذاك اخي واختي وامّي »

فمن هم رعاك الله هؤلاء الذين ذكرهم الانجيليّ مرقس في الآية ٢١ من فصلهِ الثالث ودعاهم باسم « ذويهِ » وقال عنهم انهم خرجوا ليمسكوا يسوع مدَّعين انهُ شارد العقل أَهم اولئك الذين ورد ذكرهم في الآية ٣١ فدعاهم « امّهُ واخوتهُ » وقال عنهم انهم دعوهُ لينظروهُ

قد اجاب بعض المحدثين من الكاثوليك ممَّن لا يُعدُّون من ائمَّة المفسرين كفيليون (Filion) وفوار (Fouard) وشكّ (Schegg) انّ المراد « بذويهِ » في الآية ٢١ هو نفس المراد « بامهِ واخوتهِ » في الآية ٣١ ولمَّح الى ذلك الحجريّ في شرح الفصل ١٢ لمتّى وهؤلاء قد اتَّبعوا في تفسيرهم الاب اليسوعي ملدونات (Maldonat) الشهير الذي زعم ان كل ما اتى بين آيتي مرقس من العدد ٢٢ الى ٣٠ انّما هو كاستطراد وخبر اعتراضي. وهو مع ذلك يقرّ بان هذا الحل من المسائل العويصة التي يصعب حلّها

ولمَّا كان هؤلاء من الكاثوليك المستقيمي الاراء وكلّهم يعرفون سموّ مقام العذراء مريم وبرارتها واعتبارها لابنها الالهيّ شعروا انّ في الجمع بين الآيتين ما يخلُّ بشرف البتول فكيف اعزّك الله يمكن القول بلا كفر انّ امّ الله الكليّة القداسة خرجت

لتمسك ابنها مع الذين حاولوا ذلك او كيف استطاعت ان تعدّ ابنها الحكمة بالذات كشارد العقل ؟

فبحث هؤلاء المفسرون على شرح يفكّون بهِ هذا المعضل. فقال بعضهم انَّ ذويهِ الذين خرجوا ليمسكوهُ ونسبوا اليهِ شرود العقل انَّما فعلوا ذلك شفقـةً بالسيد المسيح ورغبةً في نجاتهِ من اعدائهِ. وهو قولٌ لا يجوز في السيّدة البتول فحاشـاها ان تتظاهر بالمراء لخلاص ابنها. وقال آخرون والى قولهم يستند في الغالب اصحاب هذا الرأي ان العذراء لذكرها المجد خرجت مع اقرباء المسيح وهي لم تعرف غايتهم. قال سيادة المطران الجليل جرمانوس معقّد الذي اتّبع هؤلاء الشـارحين في توحيدهم بين الآيتين ووافقهم في حلّ المشكل على هذه الطريقة (ص ٢٧٧):

« امّا امهُ فحاشا لها ان تكون قد شاركتهم (اي ذويهِ) في شيء من اوهامهم ونيّاتهم الموما اليهـا ومعاذ وجه الله ان تكون قد عرفتها ووافقتهم عليها. فمن قال بذلك فهو مجدّف. فقد كتموا عنها ما ينوون وعاذوا بها ان تجيء معهم ليتمكّنوا بواسطتهـا من مشاهدتهِ ومخاطبتهِ وهو محفوف بالجموع الغفـيرة لعلمهم بما لها عندهُ من علوّ المنزلة. فخرجت من بيتها وخلوتها وجاءت معهم مسرورةً بان تشاهد ابنها الحبيب ولا بدع ان يكونوا قد اخبروها بانهُ محاط باسباب الضنـك فهرعت معهم »

اجل انَّ هذا الشرح يزكّي العذراء مريم من عمـل فظيع كعمل هؤلاء الاغبياء الذين خرجوا ليمسكوهُ الّا انهُ لا يخلو من بعض الخلل بشرف امّ الله التي نُنشيـد بذكرها وندعوها بكرسيّ الحكمة وبالبتول الحكيمة. فكيف ناشدتك الله خدعهـا هؤلاء فاتّخذوها كواسطة لادراك نيّاتهم القبيحة. أيليق بتلك البتول العجيبة ان تقع في اشراكهم وهي لا تعلم؟ وهذا ما اثّر في جناب اغوب افندي فرحيان الذي كتب لنا كتابًا مطوّلًا في هذا الصدد لم يمكنّا نشرهُ لطولهِ ومن جملة ما كتب قولهُ:

« وهَبْ انَّ ام المسيح الطاهرة لم تشاركهم بقصدهم ونواياهم بيد انها رافقتهم « ليتمكّنوا من مشاهدتهِ » وعليهِ لا نقدر ان نقول بانها لم تُستعمل ولو عن غير معرفة كواسطة لترويج مقاصد سيئة ضد ابنها الحبيب فهل هذا يا ترى يليق بمثل امّ الله الطاهرة » اه بالحرف

ولكن ماذا حمل الاب ملدونات والمحدثين الذين تبعوهُ على ان يوحّدوا بين آيتي مرقس فيقولوا انَّ « ذويهِ » هم « امهُ واخوتهُ » فهل لقولهم سندٌ في الانجيل المقدّس او في تقليد المفسّرين

١ ليس في الانجيل ما يضطرُّنا الى القول بانَّ المراد بذوي يسوع هم امهُ واخوتهُ

سواء اعتبرنا فصل مرقس منفردًا او عارضناهُ باقوال غيره من الانجيليين لا نجد موجبًا للقول بانَّ اخوة يسوع ولاسيَّما امَّهُ كانوا في جملة ذويهِ الذين خرجوا ليمسكوهُ

١ في فصل مرقس الذي نحن في صددهِ عدَّة امور لا يظهر بينها علاقة لا من حيث الزمان ولا من حيث المكان. فان هـذا البشير يذكر اوَّلًا دخول المسيح الى المجمع وابراءهُ للرجل اليابس اليد (عدد ١ — ٥) ثم مؤامرة الفريسيين والهيرودسيين على يسوع (٦) ثمَّ انصراف يسوع الى البحر ومعجزاتهُ وطردهُ للارواح النجسة (٧—١٢) ثم صعودهُ الى الجبل ودعوتهُ للرسل الاثني عشر (١٣—١٩) ثم مجيئهم الى البيت وازدحام الشعب عليهِ (٢٠) ثم خروج ذويهِ ليمسكوهُ (٢١) ثم نزول الكتبة من اورشليم وتعييرهم للمسيح بكونهِ يخرج الشياطين ببعل زبوب (٢٢) امَّا يسوع فيبرِّئ نفسهُ من تُهمهم (٢٣—٣٠) ويليهِ قولهُ: «وحينئـذٍ جاءت امهُ واخوتهُ... وارسلوا اليهِ يدعونهُ. أفلا يظهر لاوَّل وهلةٍ انَّ هذه الامور المتعدِّدة جرت في امكنة ودفعات مختلفة

لا بل يظهر ذلك من نفس المقابلة بين الآية ٢١ والآية ٣١ = ١ً لانَّ في الآية ٢١ الكلام عن «ذويهِ» وهي كلمة تُطلق ليس فقط على الاقارب لكن على كل من لهُ علاقةٌ ما مع الآخر. كقولك «ذوو ارسطو» اي تلامذتهُ واشياعهُ «وذوو الملك» اي رعيَّتهُ «وذوو البلد» اي اهلهُ. وكذلك «ذوو يسوع» يمكنها ان تُطلق على اهل وطنهِ وعلى اقاربهِ الابعدين كما انهُ يمكن اطلاقهـا على انسبائهِ الاقربين اذا دلَّ على ذلك دليل. وما يقال عن «ذويه» على لفظهـا العربيّ هو اصرح وأبين في اصلها اليوناني οἱ παρ' αὐτοῦ. امَّا في الآية ٣١ وما يليها فانَّ الكلام عن اشخاص معيَّنين وهم «امهُ واخوتهُ» اعني انسباءهُ الاقربين = ٢ً ان ما يريدهُ ذووهُ في العدد ٢١ غير ما تريد امُّهُ واخوتهُ في العـدد ٣١ فانَّ اولئك يريدون امساكهُ وهؤلاء لا يطلبون الَّا النظر اليهِ = ٣ً لو كان ذووهُ هم امّهُ واخوتهُ والكلام عودًا على بدء لظهر في الحروف العاطفة. ولا ترى شيئًا من ذلك لانَّ اغلب النسخ المخطوطة باليونانيَّة واللاتينيَّة تباشر خبر مجيء امهِ واخوتهِ بحرف καὶ. وهو الحرف الذي يستعملهُ الانجيليُّون

عند انتقالهم من خبر الى آخر. ولذلك قد عُرّب هـذا الحرف « بحينئذٍ » دلالةً على انهُ خبر جديد ليس لهُ علاقة مع ما قبلهُ = ٤ً انَّ ما ورد من الكلام بين الآيتين ٢١ و ٣١ اعني مخاصمة الفريسيين للمسيح وتفنيد المسيح لاقوالهم دليـل كافٍ على انَّ خروج ذوي المسيح لامساكهِ غير مجيء امهِ واخوتهِ لمشاهدتهِ ولذلك فصل مرقس بينهما

٢ ولكنَّ الامر يزيد وضوحاً وجلاء اذا قابلنـا رواية مرقس برواية الانجيليَّيْن متَّى ولوقا. فانَّ مرقس كما لا يخفى اقصر من انجيلَيْ متى ولوقا وان زاد عليهما بعض تفاصيل لم يثبتاها. فتراهُ يحصر في فصل واحد ما ورد عندهما متفرّقاً في فصول عديدة او يجتزئ باقسامٍ من الفصل الواحد ويدع غيرها جرت في اثنائها. ولبيان الامر دونك جدولًا فيهِ سياق الكلام كما ورد في الفصل الثالث من مرقس ومقابلتـهُ بانجيلي متى ولوقا وفصولهما المختلفة فيتَّضح لك ما نقولهُ :

	مرقس	متَّى	لوقا
دخول يسوع الى الجمع وشفاء اليابس اليد	٣: ١-٥	١٢: ٩-١٣	٦: ٦-١٠
مؤامرة اعداء يسوع عليهِ	٣: ٦	١٢: ١٤	٦: ١١
مجيء يسوع الى بحر الجليل ومعجزاتهُ	٣: ٧-١٢	١٢: ١٥-١٦	٦: ١٧-١٩
دعوة الرسل	٣: ١٣-١٩	١٠: ١-٤	٦: ٨-١٦
ازدحام الشعوب لاستماع يسوع	٣: ٢٠	٤: ٢٤-٢٥	٦: ١٧
خروج ذويهِ ليمسكوهُ	٣: ٢١	(لم يُذكر)	(لم يُذكر)
تفنيد يسوع لقول كتبة اورشليم انهُ يخرج الشياطين ببعل زبوب	٣: ٢٢-٢٧	١٢: ٢٤-٣٠	١١: ١٥-٢٣
الخطيئة ضد الروح القدس	٣: ٢٨-٣٠	١٢: ٣١-٣٢	١٢: ١٠
مجيء امّ يسوع واخوتهُ لزيارتهِ	٣: ٣١-٣٥	١٢: ٤٦-٥٠	٨: ١٩-٢١

فهذا الجدول يبيّن انَّ فصل مرقس يوافق ثلاثة فصول لمتَّى واربعة فصول للوقا ويوجد في كل هذه الفصول امور جمَّة لم يذكرها مرقس او رواها على غير ترتيب. فكيف يمكن ان يقـال انَّ ما رواهُ مرقس في وسط فصلهِ الثالث هو نفس ما رواهُ في آخر هذا الفصل ونحن نراهُ يجمع امورًا متباينة زمناً تُرى متفرّقة في انجيلي لوقا ومتى

واذا مزجنا الاناجيل الاربعة فسردناها سردًا متواصلًا بحيث يخرج منهـا رواية واحدة لسيرة المسيح اضطرَّنا الامر ان نفصل بين آيتي مرقس ٢١ و ٣١ فصـلًا اعظم

لندخل بينهما عدّة حوادث وردت في اناجيل متى ولوقا ويوحنا ضرب مرقس عن ذكرها بل تضطرنا الموافقة بين الاربعة الاناجيل الى ان نقدّم ونؤخر ونقطع ونجمع حتى نزيد الفصل بين تينك الآيتين زيادة مهمّة

وان قال قائل انّ القديس مرقس يسرد الروايات سردًا تاريخيًا فهو احقّ من غيرهِ بان يُتَّبع في سياق كلامهِ · اجبنا مع القديس ايرونيموس انّ في مرقس كما في غيرهِ امورًا كثيرة تصرّف في زمن وقوعها فقدّم واخّر على مقتضى الغاية التي توخاها

٢ ليس سندٌ في تفاسير الآباء او المفسّرين للتوحيد بين آيتي مرقس ٢١ و ٣١

هلمّ بنا نبحث الآن عن اقوال للآباء المفسّرين لنقف على رأيهم في هاتين الآيتين والتوحيد بينهما فنقول: انّنا اذا استثنينا بعض المحدثين الذين ذكرناهم والذين ارتأوا رأي ملدونات فجعلوا علاقة بين « ذوي يسوع » الذين خرجوا ليمسكوهُ وبين « امهِ واخوتهِ » نرى اغلب المفسرين يفرقون بين الواقعين. وهؤلاء المفسرون على ثلاثة اقسام

١ القسم الاول منهم بمجرَّد سكوتهِ يقرّ بوجود واقعين مختلفين فانّ هذه المسئلة لم تخطر على بالهم ولذلك تراهم يفسّرون الآيتين دون ان يذكروا بينهما علاقةً. وسكوتهم هذا دليل على انّهم لم يعتبروا آية مرقس في العدد ٣١ كتتمّة للآية ٢١. وهؤلاء كثيرون منهم القديس بيـدا في القرن السابع في شرحهِ على مرقس ومنهم مينوكيوس وكاريار وغيرهم ايضاً قبل ملدونات وبعدهُ · وترى فيليون نفسهُ في كتابهِ عن الاناجيل المقدّسة المطبوع سنة ١٨٩٦ يشرح آيتي مرقس في الصفحة ١١٣ والصفحة ١١٥ دون ان يذكر العلاقة بينهما · وكذا فعل كرامپون في التوفيق بين الاناجيل وجَنْسِن الشهير فلو عرف هؤلاء علاقة بين الآيتين لما سكتوا عنها

٢ والقسم الثاني من المفسرين يفصل بين الواقعين صريحًا الّا انّهم يجعلون بينهما وقتاً قريباً فمنهم القديس توما شمس المدارس في كتابهِ المعروف بالسلسلة الذهبيّة (ج ١٦ ص ٥٢٩) · ومنهم تاوفيلاكتوس وهو يقول (مجموع الآباء اليونان لمين ج ١٢٣ ص ٥٢٧) انّ امهُ واخوتهُ لمّا سمعوا بانّ ذويهِ خرجوا ليمسكوهُ خافوا عليهِ واتوا طالبين ان ينظروهُ · فبمقابلتهِ بين فعل ذويهِ وفعل امهِ بيّن صريحًا انهُ يميّز بين الامرين مع كونهِ جعلهما في وقت واحد · وهذا الراي قد غلب على كثيرين من المفسرين المحدثين الذين

عُرفوا بحصافة العقل وسداد الراي ويُركن اليهم في شرح الكتاب نخصُّ منهم بالذكر جماعة الآباء اليسوعيين الالمانيين الذين باشروا بنشر اعظم تفسير ظهر في زماننا للكتاب الكريم وقد نجز من عملهم ٢٨ مجلدًا فانَّهم في شرح الفصل الذي نحن بصدده يردُّون على مدونات والمحدثين الذين تقفَّوا آثارهُ في هذا الامر فيبيّنون بوجه صريح عند شرحهم لفصل مرقس الثالث انَّ ذوي المسيح مختلفون عن امهِ واخوتهِ ويرتأُون مع ذلك انَّ زمن الواقعين كان قريبًا . وهو الراي الذي دافع عنهُ إدِنسَيم الالماني في مباحثهِ الكتابيَّة ويجنح اليهِ كثيرون ممَّن قابلوا بين الاناجيل الاربعة فمزجوا رواياتها كما ترى في المعجم الكتابيّ الذي ينشرهُ العلَّامة ڤيكورو . وفيليون نفسهُ قد سرد هذه الروايات وجعل لها قائمة في مقدَّمة شروحهِ للاناجيل (ص ١٢٥) فتراهُ يجعل بين آية مرقس ٢١ وآيتهِ ٣١ امورًا تفصل بينها فدلَّ بذلك على انهُ يفرق بينها زمنًا ويعتبرهما كواقعين مختلفين فضلًا عن انَّهُ ذكر الآيتَين بحرف مختلف دلالةً على شكّهِ فيهما

٣ والقسم الثالث من المفسرين ونظنُّ قولهم ارجح وعددهم كثير وهم ليس فقط يفرقون بين آيتي مرقس ويعدُّونهما كواقعين مختلفين لكن يجعلون هذين الواقعين في ازمنة متباينة . وممَّن ذهب الى هذا الرأي طاتيانس تلميذ القديس يوستينوس من كتبة القرن الثاني في كتابهِ الشهير الذي اكتُشفت حديثًا ترجمتهُ العربيَّة فنشرها بالطبع السيّد تشياسكا في ام المدائن سنة ١٨٨٨ . فانهُ ذكر ذوي يسوع الذين خرجوا ليمسكوهُ في الاصحاح السابع (ص ٢٩) امَّا مجيء أُمهِ لتزورهُ فذكرهُ في الاصحاح السادس عشر الصفحة ٦٢ وذكر بين الواقعين امورًا تستغرق نحو سنةٍ من حياة المسيح . وهذا الرأي لكثيرين من مشاهير المفسرين المحدثين نخصُّ منهم بالذكر امام المفسرين في عصرنا الاب بتريزي اليسوعيّ فانهُ في كتابهِ الشهير عن الاناجيل (ص ٧٢) لا يرضى بتوحيد آيتي مرقس الستَّة بل يفرق بين الواقع الاوَّل الثاني فيجعل خروج ذوي يسوع عليهِ في اوَّل حياتهِ الرسوليَّة وقدوم امهِ واخوتهِ المذكور في الآية ٣١ قرب ختام حياتهِ (١ . وقد وافقهُ حضرة الاب يوحنَّا باو في كتابهِ « القلادة الدريَّة » فتجد آية

١) وللاب بتريزي رأيٌ لا يخلو من بعض الرجحان وهو انَّ امَّ يسوع واخوتهُ قدموا عليهِ مرَّتين المرَّة الاولى هي المذكورة في لوقا ٨ : ١٩ والثانية ذكرها متى ١٢ : ٤٦

مرقس عن ذويهِ في الصفحة ٦٣ من هذا الكتاب . امَّا روايتهُ في مجيء امهِ فواردة في الصفحـــة ١٥٣ .

ومن مشاهير الذين يفرقون بين المدَّتين الاب كرنيلي من عظام المفسرين الذين اصابوا السبق في شرح الكتاب المقدَّس في عهدنا . وهو في كتابهِ النفيس المعنون بالمقدمة لدرس الكتاب المقدَّس في الجزء الثالث الصفحة ٢٨٩ و ٢٩٣ يجعل بين الحادثين سنةً تامة . وكذلك فرق بينها بالزمن الطويل الاب دي ليني (de Ligny) في كتابهِ الشهير عن حيـاة السيد المسيح في الفصلين ٢٠ و ٢١ . وقد وجدنا كثيرين كالخوري لاباتو (Labatut) في التوفيق بين الانجيليين والخوري باكويز (Bacuez) في الجزء الثالث من الكتاب الذي ألَّفهُ مع الخوري ڤيكوردو عن مقدمة الكتب المقدَّسة يفصلون بين مجيء ذويهِ ليمسكوهُ وبين زيارة امهِ بكلّ هذه الوقائع الآتية : شفاء الاعمى والاخرس (متى ١٢ : ٢٢ ومرقس ٣ : ٢٢ ولوقا ١١ : ١٤) ثم كلام الرب عن الخطيئة ضدّ الروح القدس (متى ١٢ : ٣٠ الخ) ثم آية يونان النبي (متى ١٢ : ٣٩) ثم مثل نينوى وملكة سابا (متى ١٢ : ٤٢ ولوقا ١١ : ٣١) ثم طرد الروح النجس (متى ١٢ : ٤٣) ثم تطويب المرأة للبطن الذي حملهُ (لوقا ١١ : ٢٧) ثم نزول المسيح عند سمعان الفرّيسيّ (لوقا ٧ : ٣٥) . أفلا ترى اكرمك الله انَّ هؤلاء يعتبرون ذوي المسيح في مرقس (٣ : ٢١) غير امهِ واخوتهِ (٣ : ٣١) ويحسبون الواقعين مختلفين زمناً ولولا ذلك كيف يسوغ لهم ان يفصلوا بين الآيتين كل هذا الفصل

فيلوح مما سبق انَّنا لم نبالغ في القول لمَّا ارتأينا ان المفسرين (ولم نقل جميع المفسرين) يفصلون بين الحادثين وكان بوسعنـا ان نزيد على الشهادات التي اوردناها الّا انَّنا نكتفي بما ذكرنا فانَّنا نظنُّ ان كلّ من يمعن النظر في اقوالنا يستصوب رأينا ويفضِّلهُ على الرأي الآخر الذي ذهب اليهِ ملدونات ومن تبعهُ من المحدثين دون سند وطيد لا في الانجيل ولا في تقليد الشارحين الأثبات فضلًا عن انَّ هـــذا الفصل بين امرين متباينين يبرّئ العذراء مريم تبرئة تامة ويستأصل المشكل من اصلهِ

وان اعترض علينا احدٌ في الختام بقولهِ كيف تقول « انَّ امهُ واخوتهُ لم يخرجوا

ومرقس ٣ : ٢١) وهو يجعـل هذه الزيارة الثانية زمناً طويلًا بعد الزيارة الاولى . وقد تبعهُ في ذلك الاب يوحنَّا بلو

عليهِ ليمسكوهُ » أَفلم يَروِ القديس يوحنا « انَّ اخوتهُ لم يكونوا يؤمنون بهِ » فلا يبعد اذن القول انَّ اخوتهُ كانوا ايضاً في جملة الذين خرجوا ليمسكوه وانَّ ذويه هم اخوتهُ

لنا على هذا الاعتراض عدَّة اجوبة : اوَّلًا انهُ ممكن ان يكون اخوتهُ لم يؤمنوا بهِ دون ان يخرجوا لامساكهِ مع ذويهِ. ثانياً يحتمل ان يكون اخوتهُ آمنوا بعد شكوكهم فلم يكونوا في جملة الخارجين عليهِ والمدَّعين بشرود عقلهِ. ثالثاً وان سلَّمنا بانَّ اخوتهُ كانوا في جملة ذويهِ الَّا انَّ هؤلاء الاخوة كانوا كثيرين ونريد بالاخوة كما سبق ابناء العمّ اعني اولاد كلاوفا اخي يوسف واولاد اخت القديسة حنَّة امّ العذراء الطاهرة وبني اخوة القديس يواكيم والدها. ونِعمَ ما قال سيادة المطران جرمانوس في هذا الصدد (ص ٢٧٧) : « ولا شكَّ انَّ هؤلاء ليسوا اخوتهُ اجمعين فانَّ يعقوب ويهوذا وهما منهم لم يكونوا معهم (اي مع ذويهِ الذين خرجوا ليمسكوهُ) لأنهما كانا قد آمنا بهِ وانخرطا في سلك تلاميذهِ » والسلام

الخطّ العربي

نخبة من كتاب صُبح الاعشى في كتابة الانشاء للقلقشندي

عني بنشرها الاب ل. شيخو اليسوعي (تابع لما سبق في المشرق ٥ : ٧٤٦)

الفصل الرابع عشر

في معرفة ما يقع بهِ ابتداء الحروف وانتهاؤها من نقطةٍ او شظيَّة او غير ذلك

امَّا الابتداء فعلى ثلثة اضرب :

(الضرب الاوَّل) ما يُبتدأ بنقطة وهو تسع صور: صورة الالف وصورة الباء واختيها (اي التاء والثاء) وصورة الدال واختها (الذال) وصورة الراء واختها (الزاي) وصورة السين واختها (الشين) وصورة اللام وصورة النون وصورة العين واختها (الغين) وصورة الهاء. وقد جمعها السُّرَّمَرّي في ارجوزته في اوائل كلمات بيت واحد وهو قولهُ :

اذا بدتْ دَعدُ رقا سناها لعاشق ناح على هواهـا

على ان الشيخ شرف الدين بن عبد السلام قد وهم فعدَّ منها الفاء وليس كذلك بل هي ممّا يُبتدأ بجلفة على ما سيأتي ذكرهُ

(الضرب الثاني) ما يُبتدأ بشظيَّة وهو صور خمسة احرف: الحاء (او الخاء) والطاء والياء والصاد والكاف وقد جمعها السُّرَّمَرّي في قولهُ: « خطُّ يصكُ ». وجعل ابن عبـد السلام الخمسة العين (او الغين) والطاء والحاء (او الخـاء) والكاف والصاد وجمعها في قولهُ: « غط خصَّك »

(الضرب الثالث) ما يبتدأ بجلفـة وهو صور اربعة احرف: القاف والميم والواو والفاء وقد جمعها السرمري في قولهُ: « قم وفِ »

وامَّا الاختتام فعلى ثلاثة اضرب ايضاً:

(الضرب الاوّل) ما يُختتم بقطة القلم وهو صور ستة احرف: الطاء والفاء والباء واللام والدال والكاف. وجمعها ابن عبد السلام في قولهُ: « دبَّ طفلُكَ » ولا يخفى ان اخواتها في معناها

(الضرب الثاني) يُختتم بشظيَّة وهو صورة واحدة وهي الالف

(الضرب الثالث) ما يُرسل في ختمهِ ارسالًا وهو صورة احد عشر حرفاً وهي: السين والراء والحاء والميم والنون والياء والعين والواو والقاف والصاد والهاء يجمعها قولك: « صرحٌ منيعٌ وقصهُ »

الفصل الخامس عشر

في مقدَّمات تتعلَّق باوضاع الخطّ وقوانين الكتابة

الجملة الاولى

في كيفية امساك القلم عند الكتابة ووضعه على الورق

قال الوزير ابو عليّ بن مقلة رحمهُ الله: يجب ان تكون اطراف الاصـابع الثلاث الوسطى والسبَّابة والابهـام على القلم والى ذلك يشير ابو تمَّام الطائي بقولهِ: « وسددت ثلاث نواحيهِ الثلاث الانامل ». امَّا قول القائل في وصف القلم ايضاً:

وذي عفافٍ راكعٍ ساجد اخو صلاح دمعهُ جاري

ملازمُ الخمس لاوقاتهـا مجتهد في طاعة الباري

يريد بالخمس الاصابع الخمس فانهُ على سبيل المجاز من باب مجاز المجاورة. قال الشيخ عماد الدين ابن العفيف تكون الاصابع مبسوطة غير مقبوضة لانَّ بسط الاصابع يتمكَّن الكاتب معهُ من ادارة القلم ولا يتّكئْ على القلم الاتكاء الشديد المُضعف لهُ ولا يمسكهُ الإمساك الضعيف فيضعف اقتدارهُ في الخطّ لكن يجعل اعتمادهُ في ذلك معتدلًا. وقال حيُّون: اذا اراد الكاتب ان يكتب فانهُ يأخذ القلم فيتّكئْ على الخنصر ويعتمد بسائر اصابعهِ على القلم ويعتمد بالوسطى على البنصر ويرفع السبّابة على القلم ويعمل الإبهام في دورانهِ وتحريكهِ. قال ابن مقلة: ويكون امساك القلم قرين الفتحة بمقدار عرض شعرتين او ثلاث ويكون اطراف الاصابع متساوية حول القلم لا يفضل احداهنَّ عن الاخرى. قال صاحب الحلية: وتكون الاصابع على القلم منبسطة غير منقبضة ليتمكَّن من ادارة القلم ولا يدار حالة الاستمداد. قال ابن العفيف: وعلى حسب تمكن الكاتب من ادارة قلمهِ وسرعة يده في الدوران يكون صفاء جوهر حروفهِ

الجملة الثانية

في كيفية الاستمداد ووضع القلم على الدرج

امَّا الاستمداد فهو اصلٌ عظيم من اصول الكتابة. وقد قال المقرّ العلائيّ بن فضل الله: من لم يُحسن الاستمداد وبَري القلم فليس من الكتابة في شيء. قال الشيخ عماد الدين بن العفيف: واذا مدَّ الكاتب فليكن القلم بين اصابعهِ على صورة امساكهِ لهُ حين الكتابة ولا يديرهُ للاستمداد لانَّ احسن المذاهب فيهِ ان يكون في يد الكاتب على صورة وضعهِ في الكتاب. ويحرّك رأس القلم من باطن يده الى خارجها فانهُ يمكن معهُ مقام القلم على نصبته من الاصابع ومتى عدل عن هذا لحقَتْهُ المشقَّة في ثقل نصبهِ الاصابع في كل مدَّة. (قال) وهذا من اكبر ما يحتاج اليهِ الكاتب لان هذا هو الذي عليهِ مدار جودة الخطّ. ثم قال: وقلّما يدرك علم هذا الفصل الّا العالم الحاذق بهندسة الخطّ مع ما يكون معهُ من الاناءة وحسن التأدية ومن كلام المقرّ العلائي بن فضل الله: ينبغي ان لا يكثر الاستمداد بل يمدّ مدًّا مُعتدلًا ولا يحرّك الليقة من مكانها ولا يعتر بالقلم فان ذلك عيبٌ عند الكتَّاب. ولا يرد القلم الى الليقة حتى يستوعب ما فيهِ من المداد ولا يُدخل منهُ الدواة كثيرًا بل الى حدّ شقهِ ولا يجاوز ذلك الى آخر الفتحة

ليأمن تسويد اناملهِ وليس ذلك من خصال الكتّاب

واماً وضع القلم على الدرج فقال ابو علي بن مقلة: ويجب ان يكون اوّل ما يوضع على الدرج موضع القَطّة منكباً

الفصل السادس عشر

في ذكر قوانين يعتمدها الكاتب في الخطّ وفيه ستّ جمل

الجملة الاولى

في كيفية حركة اليد بالقلم في الكتابة وما يجب ان يُراعى في كل حرفٍ

قال السَّرمَرّي وابن عبد السلام وغيرهما: كل خطٍ منتصب ينبغي ان يكون الاعتماد فيهِ من القلم على سِنَّيهِ معاً وكل خطٍ من يمنة الى يُسرةٍ ينبغي ان يُمال القلم فيهِ نحو اليسرة قليلًا وكل خط من يُسرة الى يمنة ينبغي ان يُمال راس القلم فيهِ الى اليمنة قليلًا. وكلّ شظيَّة ينبغي ان تكون بالسنّ اليُمنى من القلم وكل نقطة ينبغي ان تكون بسنَّي القلم. وكل تقعيرٍ كما في النون وتعريقة الصاد يجب ان تكون بالسن الايمن وكل ارسالةٍ يجب ان تكون بسنّ القلم اليُمنى. وكل تعريج كما في عراقة الجيم والعين يجب ان يكون بسنّ القلم اليسرى. وكلّ ما أُخذ فيهِ من يمنةٍ الى يسرةٍ كاللام ونحوها ينبغي ان يُمال فيهِ راس القلم الى اليسرة قليلًا. وكل ما كان اخذ فيهِ من يسرة الى اليمنة كراس الجيم ينبغي ان يُمال راس القلم فيهِ الى اليمنة قليلًا. وكل خطّ منتصب فيجب ان يكون انتهاؤُهُ ارسالة وطول كل سنَّة من السين ونحوها مثل سدس الف خطّها وقيل مثل سُبعهِ. وكل شظيَّة في اوّل او آخر مثل سُبع خطها

قال الشيخ عماد الدين بن العفيف: وللسنّ الايمن من القلم الالف واللام ورفعة الطاء والنون والباء والكاف اذا كانت قائمة مبتدأة واواخر التعريقات والمدّات وطبقة الصاد والضاد ومدَّة السين والشين. وللايسر الجيم واختاها والردّات وتدوير رؤُوس الفاءات والقافات والهاءات والواوات والكافات المشقوقة. (قال) وكلّ ردّة اليسار الى اليمين تكون بصدر القلم. (قال) ويجب ان تكون المطَّات الطويلة بسنّ القلم اليمنى مشظَّأة ممالة فتكون المطّة من راس شظيّتها وان تكتب المدّات القصيرة بحرف القلم واذا ابتدأ بالمدة وجب ان يدار القلم على سنه مثل مطّة الطاء واذا وصلت المطة بحرف

مثلها كُتبت بوجه القلم مثل مطَّة الفاء المفردة (ثم قال): وهذا من اعظم اسرار الكتابة (لها بقيَّة)

المقتطف والبابويّة

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعي

قد حيَّت الجامعة المصريَّة في احد اعدادها مجلَّة المقتطف ودعتها باسم «شيخ المجلّات العربيَّة» أجل الّا انَّ هذا الشيخ رُبَّما شرد عن صوابهِ فاحتاج الى من يقرع لهُ العصا كالحارث بن ظرب الذي وكل الى ابنتهِ ان تقرع امامهُ العصا ليرجع الى رشدهِ

وفي العدد الاخير الذي صدر في ايلول من السنة الجارية (ص ٧٤٧) فصلٌ عن البابويَّة ممضًى باسم ن. ب وجدنا فيهِ مثل هذا الشرود فاتينا نقرع لهُ العصا ليصيب صاحبهُ في حكمهِ مرَّةً أخرى

قال اثارهُ الله في مُفتتح مقالته: «كان النصارى في اوَّل نشأتهم كالاشتراكيين في هذا العصر لا رؤساء لهم» فلله درهُ مؤرخًا عارفًا باحوال النصارى ومدقّقًا في اخبارهم القديمة. فاين يا ترى وجدتَ انَّ النصارى كانوا في اوَّل نشأتهم كالاشتراكيين لا رؤساء لهم؟ هل وقفتَ على ذلك في اسفارنا المقدَّسة؟ او في تاريخ اهل الاعصار الاولى؟

فانَّ الاسفار المقدَّسة تُعلمنا انَّ المسيح لمَّا اراد انشاء جماعة دينيَّة لم يشأْ على مثال كلّ المشترعين واصحاب الاديان ان يترك امَّتهُ دون رأس يتولَّى امرها ويحيد باصحابها عن تفرُّق الكلمة والاضاليل. أفلم تقرأ وانت نصرانيّ ما ورد في الانجيل الطاهر انَّ المسيح جعل سمعان تلميذهُ هامةً للرسل وغيَّر اسمهُ فدعاهُ صفاةً وجعل على هذه الصفاة بيعتهُ ووعدهُ بان ابواب الجحيم لن تقوى عليها واعطاهُ مقاليد ملكوت السماوات فلهُ الحلّ والربط والامر والنهي ووكل اليهِ رعاية خرافهِ ونعاجهِ وتثبيت اخوتهِ. افكان يمكن المسيح ان يبيّن بنوع اوضح انَّهُ لا يريد ان تكون جماعتهُ بلا رأس؟

وكذلك تُعلمنا اخبار النصارى الاوَّلين في كتاب اعمال الرُّسل انَّ بطرس ادرك غاية سيّدهِ فما صعد الرب الى السماء حتى اخذ يسوس المئة والعشرين في عليَّة صهيون

وتولى أمر انتخاب متيّاس بدلًا من يهوذا الاسخريوطي وقام اوَّل خطيب يوم حلول الروح القدس بين التلاميذ وسبق الكلَّ في المدافعة عن حوزتهم امام الجموع وامام رؤساء الكهنة . هو المتقدّم في بشارة السامرة وفي انذار الوثنيين وتعميدهم . هو الذي يرأس اوَّل مجامع الكنيسة في اورشليم ويحكم الحكم الفصل فيه . هو الذي يطلب قتلهُ هيرودس لعلمهِ بانهُ رأس الكنيسة والكنيسة كلّها تستحرُّ بالصلاة لنجاتهِ . ايّاهُ يزور بولس رسول الامم ليصادق على دعوتهِ . هو الذي يبشر عواصم العالم الروماني الثلث امَّا بنفسهِ كما فعل في انطاكية وروميه وامَّا بتلميذه مرقس الذي ارسلهُ الى الاسكندريَّة فصارت من ثمَّ هذه الكراسيّ الثلثة كراسيّ بطريركيَّة دون غيرها (راجع مقالات الاب تاميزيه في السنة الخامسة من المشرق عن اصول البطريركيَّات وحقوقها)

وان استفتينا الكتبة الذين ذكروا النصارى في القرون الاولى للميلاد وجدناهم كلّهم على اختلاف مذاهبهم يعتبرون النصرانيَّة كجمعيَّة لها رأس يتقلَّد تدبيرها فلا يجري شيء في الكنيسة الّا عن امرهِ وذلك في الشرق والغرب معًا دون ان يعترض احدٌ على هذا الرأس فيخلع طاعتهُ بدعوى انَّهُ لا سلطة لهُ عليهِ (راجع مقالات الاب راي عن سلطة الباباوات في القرن الاوَّل والثاني والثالث على كنائس الشرق في المشرق السنة الثالثة والرابعة)

لا بل نجد في قول المقتطف «بانَّ النصارى كانوا كالاشتراكيين» ما يردُّ زعمهُ. فانهُ جعل الاشتراكيين بلا رأس . والكلُّ يعلمون ان قوَّة الاشتراكيين تأتيهم من اجتماع كلمتهم ولا اجتماع لهذه الكلمة لولا زعماؤهم . وحيث الزعيم هناك الراس . فلا صحَّة اذن لقولهِ بان الاشتراكيين لا رأس لهم . قال الربُّ في الانجيل: «كلُّ مملكةٍ تنقسم على نفسها تخرب . وان انقسم الشيطان على نفسهِ فكيف تثبت مملكتهُ» . والحقُّ يقال ان البدع نفسها والديانات الباطلة لا تقوم بلا رأس يشدُّ بأزرها

ثم قال كاتب المقتطف هداهُ الله : وكان النصارى «يجتمعون لعبادة الله وإمامهم اشدُّهم ورعًا واقدرهم على الوعظ والارشاد تركوا الرئاسة المدنيَّة للامم الذين يسودونهم قائلين لتخضع كلُّ نفس للسلاطين الخ»

افترى كيف هذا الكاتب ناقض نفسهُ ؟ فبعد انكارهِ انهُ كان للنصارى رئيس ها هوذا يجعل لهم إمامًا . فمن هو ناشدتك الله الإمام الّا الرئيس الدينيّ فكان اذن

للنصارى رؤساء يدبّرونهم ويرشدونهم لكنهُ اخطأ بقولهِ انّ امامهم كان « اشدَّهم ورعاً واقدرهم على الوعظ ». لانَّ قداسة الحياة والبلاغة في الخطابة مستحبَّان في الرئيس الّا ان الرئاسة لا تتوقَّف عليهما. ماذا يقول جنابهُ عن رجلٍ يعصى سيّدهُ وينكر سلطانهُ بدعوى انهُ ليس رجلاً بارًّا فاضلاً او لكونهِ عيًّا عاجزًا عن الكلام ؟ وهل يا تُرى لا يملك الّا الافاضل والبلغاء ؟ او لم يقل موسى للربّ لمَّا ارسلهُ ليسوس شعبهُ: اني لا أُحسن التكلُّم

امَّا قولهُ « تركوا الرئاسة الدنيَّة للامم » فهو صحيح لانَّ النصارى كانوا يخضعون للملوك والقياصرة في امور دنياهم. لكنَّ ذلك لا يمنع كونهم يخضعون لله ولمن اختارهُ الله ليرشدهم في امور آخرتهم كما انهُ لا يمنع انّ الملوك والشعوب يوقفون الاوقاف على رئيس الكنيسة فيكون هذا الرئيس كبقيَّة المتملكين لهُ الحقّ المدنيّ على اوقافهِ وعلى المملكة المعطاة لهُ شرعيًّا

ثم قال اصلحهُ الله « ثم لمَّا كثر عددهم (اي النصارى) وقوي شأنهم خصُّوا الرئاسة الدينيَّة باربعة من اساقفتهم سمّوهم بطاركة وهم بطاركة رومية والقسطنطينيَّة وانطاكية والاسكندريَّة وجعلوا لاسقف اورشليم رتبة بطريرك شرف »

في هذا القول عدَّة امور لا صحَّة لها. منها قول الكاتب « النصارى خصُّوا الرئاسة الدينيَّة باربعة ». ومن المعلوم انَّ الرئاسة الدينيَّة ليس اصلها من النصارى بل من المسيح كما سبق. وكذلك ليس بالصواب قولهُ انَّهم خصُّوها باربعة. لانَّ الكراسيّ الكبرى ذات السيادة انَّما كانت لثلاثة اساقفة لبطريرك رومية وهو نائب المسيح ثم للاسكندريَّة ولانطاكية لاكرام بطرس الهامة كما بيَّن ذلك المشرق (٥: ٤٣٥—٤٣٨) امَّا كرسيّ القسطنطينيَّة فلم يكن من الكراسيّ الرسوليَّة وانَّما أُضيف اليها بعد ذلك بقرون متعدّدة راجع تاريخهُ في المشرق (٥: ٥٩١—٥٩٦) وكذا قل عن كرسيّ اورشليم (المشرق ٥: ٥٨٩—٥٩١)

ثم اردف الكاتب قائلاً: « وكان البطاركة اصلاً متساوين في الرتبة والمقام الّا ان بطاركة رومية حاولوا من اوَّل الامر السيادة على غيرهم بدعوى انَّهم خلفاء بطرس الرسول. ولم يأتِ القرن الخامس للميلاد حتى كانوا فازوا بمطلبهم واعترف الامبراطور الرومانيّ بالاسقف انوسنتس الاوَّل رئيساً عامًّا للكنيسة »

هذا كلهُ مخالف للتاريخ فانَّ البطاركة لم يكونوا اصلاً متساوين في الرتبة والدليل على ذلك الشهادات المتعدّدة التي اوردها حضرة الاب راي في مقالاته الثلاث عن رئاسة بطاركة رومية في القرن الاوَّل (المشرق ٣ : ٢) والثاني (المشرق ٣ : ٤٤٢) والثالث (المشرق ٤ : ٨٠٧) فما نقض احدٌ حتى الآن هذه الشهادات. فإذن وهمَ صاحبنا في قولهِ: «انَّ بطاركة رومية حاولوا السيادة» فانَّ المحاولة طلب الشيء بالاحتيال. وليس احتيال حيث الحقوق راهنة. ولم يحتج البابا انوسنتس الاوَّل للامبراطور الروماني ليعترف برئاستهِ على الكنيسة فانَّ الملوك والشعوب كانت اعترفت لهُ بهذه الرئاسة منذ القرون الاولى. لا بل نعرف انَّ القيصر الوثني اوريليانوس على ما ورد في تاريخ اوسابيوس قد اعترف بسلطة بابا رومية منذ القرن الثالث لمَّا حكم في انطاكية بين اسقفين متخاصمين فقال: انَّ الحقَّ للاسقف الخاضع لاسقف رومية. فبطل اذن مزعم كاتب المقتطف انَّ بطاركة رومية حاولوا السيادة. وليس دعواهم بكونهم خلفاء بطرس الرسول دعوى باطلة. ولو اراد حججاً على ذلك لاتيناه باقوال النساطرة واليعاقبة وغيرهم من المبتدعين الذين شُحنت كتبهم الطقسيَّة بالشهادات على رئاسة بطرس وخلفائهِ وهم مع ذلك قد انفصلوا عن الكنيسة منذ القرن الخامس (راجع مقالة حضرة الاب الفاضل القس بطرس عزيز عن الطائفة الكلدانيَّة والكنيسة الرومانيَّة في المشرق ٦ : ٤٩٣). ثم لنا في اقرار المقتطف نفسهِ ما يفنِّد زعمهُ فانهُ في بقيَّة مقالتهِ يدعو البابا «خلفاً لمار بطرس» (ص ٧٥٠) وانَّ الاحبار الرومانيين «اصبحوا حكماً عاماً تتقاضى اليهم الممالك وتجري على احكامهم» (ص ٧٤٧) وانَّ «البابويَّة مبنيَّة على ما للبابا من حقِّ المداخلة في احوال بقيَّة الممالك واجراء المراقبة والتأديب»

ويلي قولهُ السابق نتفةٌ عن ترقّي السلطة البابويَّة ونفوذ الباباوات لا نحاجُّ كاتب المقتطف عنها الَّا في عبارات منها تُشعر بقلَّة احترام لاساقفة رومية. وممَّا لا يمكن السكوت عنهُ قولهُ (في الصفحة ٧٤٨): «وبقي بابا رومية رئيساً عامّاً للنصرانيَّة الى ان وقع الخلاف الشهير بين النصارى في مسألة وضع الايقونات في الكنائس فاتَّخذت كنيسة رومية والكنائس التابعة لها الوجهة المخالفة لقرار المجمع القسطنطيني الذي عُقد سنة ٧٥٤ والذي اتبعتهُ الكنائس الشرقيَّة»

فبالله عليك أيها الكاتب الضليع قُل لنا ايُّ خلافٍ وقع بين كنائس الشرق

وكنيسة رومية بخصوص الايقونات ومتى كان ذلك واين رأيت ان مجمعاً عُقد في هذا الشأن سنة ٧٥٤ في القسطنطينيَّة (١. وغاية ما نعلم وما يعلمهُ حتى احداث مدارسنا انَّ المجمع الذي عُقد بخصوص الايقونات انَّما عُقد بامر البابا ادريان الاوَّل على عهد ايريني الملكة سنة ٧٨٧ ولم يكن فيـه خلاف البتَّة بين كنائس الشرق وكنيسة رومية. بل اتَّفقت الكنائس كلّها شرقاً وغرباً في صحّة اكرام الايقونات. وهـذا المجمع هو السابع من المجامع المسكونيَّة التي صادق عليها الباباوات والثاني من المجامع التي عُقدت في نيقية. فان كان لدى المقتطف تاريخ آخر اكتشفهُ فليتكرَّم علينا بهِ لنطَّلع على ما لم تَروهِ تواريخنا الكنسيَّة بل جميع التواريخ المدنية

ولنا في بقيَّة مقالة الكاتب ملاحظات أُخرى لاسيَّما في ما كتبهُ عن سلطة البابا الزمنيَّة الَّا ان ذلك يؤدي بنا الى اطالة الكلام ويستدعي شروحاً ليست من هـذا المقام. وفي ما سبق كفاية ليرى القرَّاء بايّ خفَّـة يخوض المقتطف في المسائل الدينيَّة التي لا يعرف منها الَّا قشرتها فعساهُ ان ينتبه الى اوهامهِ بعد ان قرعنا لهُ العصا ولا يعود الى مثالها دفعة أُخرى. هدانا الله واياهُ الى كلّ صواب

يمين العليّ

رواية تاريخية للاب س. ت اليسوعيّ

الفصل الثاني عشر

بارقة املٍ (تابع)

فتوجَّه سلوانس من ساعتهِ الى المعسكر قريباً من منزل الاسرى حيث كانوا يزدحمون كالغنم في الزريبة ثم اختلط ببعض الجند في حانوت هناك كانوا اجتمعوا فيهِ لمعاقرة الخمرة فسلَّم عليهم وسكب لهم قدحاً من خمر لبنان كان اتى بها معهُ لسفرهِ فرحَّبوا بهِ وجاذبوهُ اطراف الحديث

١) ما لم يُشِر الكاتب الى مجمع غير قانونيّ جمعهُ الملك قسطنطين الزبليّ لمحاربة الصور ورذلتهُ الكنيستان معاً

وكان سلوانس يمدح ثباتهم وظفرهم بالعدو وفتحهم لبيت المقدس فاسترسلوا معهُ بالكلام واخبروهُ بتفاصيل الوقائع. ومما استفاد منهم انّ بعض الاسرى يُعرَضون في غدٍ للوحوش في ميدان قيساريَّة لكنّ اكثرهم شيوخ لا يستطيعون ان يمشوا مع العسكر امَّا العدد الاوفر من الاسرى فانَّ طيطس يصونهم للعب بيروت حيث تجري ألعاب حافلة واعياد غاية في البهاء

فلمَّا سمع سلوانس هذا الكلام شعر بقلبهِ انهُ كاد ينفطر وانَّهُ لمن المحتمل ان يكون سيّده الشيخ في جملة هؤلاء العجزة الذين يُلقَون في غدٍ للضواري. لكنَّهُ تجلّد امام القوم ولم يبدِ من شواعرهِ شيئاً. ثمّ ملأ الاقداح ثانيةً من خمرهِ اللبنانيَّة التي استطابها الجند. و بينما كانوا يرشفون الكؤوس تفرّد بضابطٍ كان بينهم يعرف اليونانيَّة دون رفقتهِ فاستخبرهُ عن وطنهِ واهلهِ حتى أنس بهِ فسألهُ في آخر الامر: وهل تعرف الاسرى الذين يُقتَلون في غدٍ

قال: لا اعرفهم. الّا انّ واحدًا منهم يُدعى صموئيل اصلهُ من بيروت كان وعدني بمبلغ عظيم من المال اذا شئتُ ان اخلّصهُ من الموت. لكنَّني لم أُقدم على الامر فاعرّض بنفسي للتهلكة اذا ما أُعلم طيطس بذلك لاسيَّما ان هذا الشيخ مسنٌّ لا يمكنهُ الهرب وهو في حالة...

قال هذا ثم تلعثم في كلامهِ وسكت وكانت الخمرة اللبنانيَّـة لعبت في رأسهِ ورؤوس اصحابهِ فتثاقلت اجفانهم وما لبثوا ان غابوا عن الرشد

فقام سلوانس وخرج من الحانوت شاكرًا لله على انَّهُ علم بمكان صموئيل و ببقائهِ في قيد الحياة طالباً اليهِ تعالى ان يرشدهُ الى الطريقة المثلى لخلاص سيّده

وكان سلوانس لم يشك انهُ وجد ضالَّتهُ فانسلَّ من ساعتهِ من بين الجنود السكارى وعاد مسرعاً الى النزل الذي احتلَّهُ واخذ كيساً من الدراهم وحمَّلهُ العبدين اللذين ابتاعهما وامرهما بان يتبعاهُ ليساعداهُ على فكّ اغلال سيّدهِ

ثم تطايروا ركضاً الى ملعب المدينة وطلب سلوانس ان يواجه رئيس الحرس. وكان هذا رجلًا مسنًّا قصيرًا اقنى الانف شثن الاصابع يطرف بعينيهِ دوبًا وتلوح في وجههِ ملامح الطمع. فخاف سلوانس ان تفوتهُ الفرصة اذا اطال الحديث ومن ثمَّ عرض عليهِ بديهاً ان يبيعهُ احد العبيد الذين تحت نظارتهِ ممَّن أُعدُّوا للوحوش في غدٍ

فما سمع الحارس هذا الكلام حتى اقشعرَّ بدنهُ وارتجف. كانهُ صُفِع بصفعةٍ على أمّ رأسهِ. فاخذ يتبرّم ويدافع ويحاول ويعتذر بما ينتظرهُ من العقاب لو نقص واحد من الاسرى الذين تحت امرهِ. الّا انَّ سلوانس ادرك مرام الحارس فقال لهُ دون تلبُّثٍ:

قل لي صريحاً كم تطلب بدلًا من اسيرك ؟

فعاد الحارث ثانيةً الى رجفتهِ واخذ ينظر حواليهِ ليرى أيكون احد سمع كلام سلوانس فيسعى بهِ لدى القوّاد. واجاب بصوتٍ ضعيف انهُ لا يرضى برشوةٍ

فتظاهر سلوانس بانهُ يريد الخروج وادبر قائلًا: فان لم تشأ فالامر اليك

الّا ان شيطان المال وسوس الى قلب الحارس فهرول الى سلوانس وامسكهُ بطرف ثوبهِ قائلًا: « قف لعلَّهُ يمكننا ان نتفق ». فعرف سلوانس انَّ الحارس في قبضتهِ فقال: « دَعني اخرج فاني لا اريد ان تُخاطر بنفسك وتعرّض بحياتك الى التهلكة »

فقال الحارس: « نعم الّا اني حبًّا بك لا اضنُّ عليك بسلامتي. وكم تريد تنفق من المال في خلاص الاسير »

قال سلوانس: لك الحكم في اسيرك

قال الحارس: اطلب عشرة آلاف درهم

— هذا كثير ولكن هي لك فائتني باسيري

فلمَّا رأى الحارس تسارُع سلوانس في الدفع ندم على اكتفائهِ بالقليــل واراد ان يزيد في ثمن سلعتهِ. لكنَّ سلوانس افحمهُ بقولهِ انهُ لا يعطي فلسًا زائدًا شاء الحارس أم أبى. فرضي الحارس وتصافقا على البيع

فاشعل الحارس فانوسًا خفيف الضوء ومشى امــام سلوانس ليقودهُ الى الاسرى فيختار الذي يريدهُ. فبعد ان قطعا سربًا مظلمًا وصلا الى باب من حديدٍ على جانبيهِ جنديّان بالسيوف المشهرة. فلمَّا رأيا رئيسهما لم يفوها ببنت شفة وفتحا لهُ الباب بعــد انحنائهما امامهُ

فصر البــاب ودار على رِزازهِ ثم دخل الحارس وسلوانس الى دهليز متسع كان ينبعث منهُ رائحــة كريهة وهو وطيءُ السقف قليل النور والهواء. وكان هناك نحوٌ من خمسين اسيرًا يقضون فيهِ ليلتهم الاخيرة قبل وداع الحياة ومنهم من يبكي ومنهم من يتنهّد الصعداء. واكثرهم حيارى سكارى ممَّا ذاقوهُ من ضروب الاوجاع لم يكد ذكر

الموت يعمل فيهم بل يعدّونهُ كنهاية عذابهم

فقال الحارس: هوذا الاسرى فعليك بمرغوبك. وكان سلوانس لظلمة المحلّ لا يكاد يميّز احدًا فاخذ ينتقل من اسير الى آخر فيقرّب الفانوس الى وجهِ كلّ منهم ليتعرَّف سيّدهُ وكان منظر هؤلاء الشيوخ العَجَزَة تتفطَّر لهُ القلوب وكلّهم في حالةٍ من ضعف القوى واصفرار اللون وغؤور العيون وتقلّص الجلد يرقّ لها الجلمود. فكاد سلوانس يغشى عليهِ عند رؤية هؤلاء المنكودي الحظّ. الّا انهُ تجلّد رغبةً في وجود ضالّتهِ

فدار والحارس في السجن يفحص الاسرى واحدًا واحدًا فحصًا مدقّقًا وهو ينتظر بفروغ الصبر رؤية سيدهِ بينما كان الحارس يزاحمهُ ويستطيل فحصهُ. وكاد سلوانس ينتهي من فحص الجميع وهو لم يشاهد مطلوبهُ. فساءهُ ذلك جدًّا والتفت الحارس قائلًا: « او ليس بين اسراك رجل يُدعى صموئيل »

— لعلّهُ يوجد لكني لا اعلم باسماء كل ماشيتي

ثم صرخ الحارس: « من منكم يدعى صموئيل » واذا بصوت ضعيف سُمع من بعض زوايا الدهليز « انا اسمي صموئيل ماذا تريد مني »

فوثب سلوانس اليهِ وقلبهُ يجب فرحًا. فرأى على قليل من الحشيش شيخًا انتصب مذعورًا على فراشهِ لمّا سمع باسمهِ. فحدج اليهِ سلوانس بالنظر ليتحقّقهُ فلم يعرفهُ فسألهُ عن اسمهِ فقال: « صموئيل من باروت » وباروت هذه قريةٌ من قرى فلسطين فكان اسمها اشتبه على الجنديّ فظنّها بيروت الفينيقية

فعرف سلوانس انهُ خُدع بالاسم وانّ صموئيل هذا ليس بسيّدهِ فبقي واجمًا كانّ السماء اصعقتهُ فهدّت قواهُ. الّا ان الحارس انتهرهُ واضطرّهُ الى ان يخرج مسرعًا. فخرج وقلبهُ مكسور لانّ آخر بارقةٍ من الامل كانت توارت عنهُ فيئس من وجود سيّده

ثم ألقى ببعض دريهمات للحارس الذي كاد يتميّز غيظًا لمّا رأى انهُ خسر المبلغ الموعود وحاول ان يستقضي من سلوانس أجرة اوفر لكنّ هذا نظر اليهِ شزرًا واراهُ مديةً كان يواريها تحت ثيابهِ. فخاف الحارس على نفسهِ وتركهُ يرحل في سبيلهِ

ولمّا خرج سلوانس من ذاك المكان انتعشت قواهُ باستنشاق الهواء وسار في طرق المدينة بينما كان البدر التام يرسل باشعَّتهِ الفضيَّة على بيوتها. فمرّ عند ساحة الملعب فرأى فئة من العبيد يهيئون عددًا من الصلبان ليُصلب عليها اسرى اليهود في غد ذاك النهار

فأثّر فيهِ هذا المنظر وفكّر في الآلام التي سيقاسيها اولئك البائسون على هذه آلات العذاب. فمال بنظرهِ عن هذا المرأى الفجيع. واتصل بعبدَيهِ اللذين كانا في انتظارهِ عند رواق المدينة خارجاً

ولمّا رأى انّ آمالهُ قد خابت في وجدان سيّدهِ رأى انّ الاجدر بهِ ان يعود الى بيروت فينتظر قدوم بقيّة الاسرى وكان قد تحقّق انّ هؤلاء لا يُعرَضون ثانيــةً في طريقهم للوحوش الّا في ملعب بيروت. فان كان سيّدهُ حيًّا فلا بُدَّ ان يلقاهُ هناك. وامّا اذا كان ميتاً . . . ولكن كيف يخبر سيّدتهُ بموتهِ افلا تكون هذه الضربة لازبةً فتقتل الابنة وتلحقها بابيها ؟ . . .

الفصل الثالث عشر

سكرَات الموت

من لنا ان نصف ما لحق بيهوديت المدعوة الآن باسم مريم من الحزن والكآبة اذ عاد اليها وكيلها الامين سلوانس من قيسارِيّة صفر اليدين لم يعثر لابيهــا وعلّة وجودها على اثرٍ. فانّ سفر وكيلها كان آخر حبلٍ اعتصمت بهِ آمالها فرأتهُ منتقضاً فشعرت مذ ذاك كأنّها وقعت في لجّةٍ من الاكدار والآلام وغاصت فيها بلا خلاص ولا مناص

نعم ان الايمان الجديد الذي كانت لاذت بهِ كان يلطّف نوعاً اوجاعها ويعزّيها من اليأس والقنوط الّا انّ هذا الايمان نفسهُ كان من جانب آخر يزيد كأس احزانها مرارةً فيذيقها العلقم. وذلك انّها لمّا كانت تحبُّ والدهــا من صميم الفؤاد كانت تؤمل ان تراهُ قبل وفاتهِ لتجذبَهُ الى دينهــا وتبيّن لهُ انّ يسوع الناصريّ هو هو مسيح الله ومنتظر الامم الذي وُعد بهِ بنو اسرائيل منذ عهــد موسى والانبياء امّا الآن وقد تحقّق عندها موتهُ فكيف ترجو خلاصهُ بعد ان سمعتهُ مرارًا يجدّف على هذا المخلّص في حياتهِ. أفيمكن ان يجمعها في الآخرة فردوس واحد بعــد ان اختلفا ايمانًا ! فهذا الفكر كان يفعم قلب ابنة صموئيل كدرًا ولا يدع لها راحةً البتّة. فكنت تراها تدور في انحاء دارها وهي كالمصابة بعقلها فتصرخ: « اواه مات ابي . . . هلك ! هلك . . . الى الابد ! »

وكان اذا ثاب اليها رشدها تحاول الصلاة لعلّها تلقى فيها تعزيةً وسلوانًا . الّا انّ نفسها كانت تأبى ان تتعزّى فتكرّر هذه الالفاظ المفجعة : . . هلك ! . . . الى الابد !

وبينما كانت مغمورةً في بحر اوجاعها ليس لها نصيرٌ ولا معين اذ خطر على بالها ذكر الاسقف الشيخ الذي نصَّرها ونجَّاها ممَّا احاق بها من الشدائد والضيقات. ولمَّا لم تَقوَ على الخروج اليهِ لضعفها وانحلال جسمها ارسلت الى حانوتهِ احد عبيدها يدعوهُ الى دارها

فقام الشيخ لساعتهِ واخذ هراوتهُ ليتوكّأ عليها. وكان يصحبهُ فتًى صغيرٌ يقودهُ لانَّ نظرهُ كان قد ضعف وكلَّ فلا يكاد يجد طريقهُ في ازقَّة بيروت الملتوية وشوارعها المتعدّدة لاسيَّما انَّ افكارهُ كانت كلّها متَّجهةً الى العلويَّات وقلبهُ يناجي بلا انقطاع خالقهُ الذي كان يؤمل مشاهدتهُ عمَّا قليل. فلمَّا تجاوز كوارتوس عتبة الدار سلَّم قائلًا: ليحلَّ سلام يسوع على هذه الدار وقاطنيها

قال هذا ووجَّه نظرهُ الى يهوديت فاراها محيَّاهُ الذي كان متنوّرًا بانوار السماء لا ينظر اليهِ احد دون ان يمتلئ قلبهُ مهابةً ووقارًا ثمَّ اردف:

ما لكِ تبكين يا ابنتي ? فاين ايمانكِ ? اتظنّين ان المسيح لا يقوم بوعدهِ الذي وعدكِ بهِ يوم احصاكِ في عداد خرافهِ ?

ثم صار رجل الله يلاطف الفتاة ويسكّن جأشها ويرفع بنظرها الى العلوّ حيث يجب ان تُلقي برساة رجائها وتحمل ثقتها. ثم ذكَّرها بسميّتها البتول التي كانت واقفة عند صليب يسوع ثابتةً في وسط الاوجاع لم تهدّ ركنها آلام ابنها وفقد وحيدها فقاست من النكال ما لم يقاسهِ الشهداء وصبرت على نكالها الصبر الجميل حافظة في قلبها الرجاء الوطيد بقيامة ابنها

فكذلك مريم الجديدة ينبغي عليها ان تتجلَّد فتحتمل على مثال سلطانة الشهداء اوجاعها ريثما يأتيها الله بالفرج الموعود. وكيف تشكّ بخلاص والدها بعد المواعيد الالهيَّة التي ثبتت لديها يوم عمادها. أفليس احرى بها ان ترجو رغمًا عن كلّ خيبة رجاء

فكان لهذا الكلام احسن وقع في قلب يهوديت فنزل عليه كنزول الندى على العشب وبرَّد نفسها واثلج صدرها. ولمَّا قام الشيخ ليعود الى حانوتهِ احسَّت ابنة صمونيل بان دموعها قد نشفت وآبت اليها قوَّتها فودَّعتهُ وقبَّلت يدهُ شاكرةً وطلبت بركتهُ جاثيةً عند قدميهِ. فوضع كوارتوس يدهُ على رأسها طالبًا الى الله ان يبدّد غياهب حزنها ويقوّيها بروحهِ القدُّوس لئلَّا تقوى عليها بلايا هذه الدنيا

*

كانت بيروت تنتظر بفروغ الصبر قدوم طيطس وجنوده المظفَّرة فمنذ بلغ اهلها ان مدينة اورشليم صارت في حوزة الرومان لم يلهج الجمهور الّا بهذا الانتصار الباهر وهم يترصَّدون كلّ حركات الجيش القادم الى بيروت حيث أُعدَّت الحفلات البديعة لاستقبال ابن فسبسيان الظافر

فلمَّا كان اليوم العاشر من شهر تشرين الاوَّل خرج اهل بيروت زرافاتٍ ووحداناً لملاقاة الظافرين فدخلوا المدينة بعد ساعة بابهة يندر لها مثيل. فكانت الموسيقى العسكريَّة تتقدَّم الجنود فيُسمع لآلات طربها اصوات تبعث الموتى من قبورها بينما كان الاهلون يحيُّون الجيش بتحيات ارتجَّت لها الارض وردَّدت اصداءها الجبال

امَّا العسكر المنتصر فكان ماشياً على نظام مهيب في صدره الفرسان الرومانيُّون وفرقتهم التي ابلت البلاء الحسن فذهب منهـا نحو نصفها الزمهم اعداؤهم العفر. ثم كان يليهم فرسان افريقية وهم يُعرفون بسواد جلدهم ثم فرسان غالية واكثرهم من جبابرة الرجال ثم فرسان العرب وشيوخ الصحارى الممتدَّة بين الفرات ودمشق ثم قوّاسو تدمر ذوو الشهرة في الرمي. وكانت تلوح على وجوه كلّ هؤلاء امـائر الكدّ والنَّصَب وكثيرون منهم قد أُصيبوا بجروحٍ بليغة تراهم معصَّبين بالضمادات واللفائف قُطع لهذا ساقهُ ولذاك ذراعهُ

امَّا الخيل المطهَّمة فكنت تراها كاشباحٍ كادت جلودها تلصق بعظامهـا لما نالها من الجهد في الحرب. الّا انَّها كانت تمشي على رنَّات الموسيقى كأنهـا تشعر بما ادَّتهُ من الخدم او تشاطر اصحابها مجدهم

وكنت ترى بعد الخيـل فئات من المُشاة يسيرون ثُلاث ورُباع وفي رأس كل فرقة الراية التي تميّزها. ولهذه الفِرَق اعداد تُعرف بها وكل فرقة تتركَّب من ٦٠٠ جنديّ الّا انَّ بعض هذه الفرق لم يرجع منها الّا نصفها او ربعهـا فسقط الباقون صرعى في حومة القتال. امَّا الباقون فكانوا على حالةٍ يُرثى لهـا قد ذاقوا من اهوال الحرب ما تشهد لهُ وجوههم الكالحة وجراحهم المتعدّدة. وكان هـذا يوم انتصارهم اعاد لهم قواهم فكانوا يمشون ورؤوسهم عالية وثغورهم باسمة. امَّا الفرقة العاشرة فكانت

بقيت في اورشليم لتتأثر اعقاب اليهود وتقتل من اختفى منهم في اسراب المدينة ومغاور الجبال لئلاَّ يعودوا الى الثورة

وفي آخر هذا الموكب الجليل كان طيطس وهو مكلَّل بالغار راكب على جواده يسير بهيبة وجلال ويسلّم على الجموع المزدحمة حولهُ وكلُّها تحيّيه باصوات البهجة والظفر. وكان هذا القائد في مدَّة هذه الشهور الثمانية التي قضاها في اورشليم قاسى من الهموم والاتعاب ما لا يفي بوصفهِ قلم. فكان الذي يراهُ يظنُّهُ وهو بعدُ في عزّ شبابهِ انهُ جاوز الخمسين من عمرهِ. ولذلك كانت جلبة القوم لا تؤثّر فيهِ كأنهُ لا يعدُّ انتصارهُ شيئًا بالنسبة الى ما لحق بالرومان من ضروب النكبات

امَّا وراء القائد الظافر فكنت ترى عددًا لا يُحصى من الاسرى المشدودين بالحبال يسيرون سيرًا رويدًا كأنهم الغنم يُقادون الى المجزرة وعلى جانبيهم صفَّان من الجند وبايديهم السيوف المسلولة والقسيّ الموتورة والسياط الممدودة لضرب المتأخرين. وكان الذي ينظر الى هؤلاء المنكودين وهم مكشوفو الرؤوس ارجلهم دامية بلا احذية يرسفون بقيودهم ويسترون عريهم بأخلاق من الثياب لا يتمالك من عواطف التحنُّن عليهم والرقَّة لهم لاسيَّما اذ كان يعرف ما ينتظرهم في ملعب بيروت من العذابات المرَّة

فأثَّر هذا النظر في الشعب المقبل للتحيَّة على الظافرين وكاد يلعن الحرب الاورشليميَّة. وبلغت الرحمة في قلوب بعض الحاضرين مبلغًا جعلهم يحسنون الى الاسرى فيأتونهم بالماء ليرووا غليلهم ويغسلوا دماء ارجلهم (ستأتي البقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

L'HABITATION BYZANTINE
par le Général L. de Beylié
Paris, E. Leroux, 1902-3, *pp.* 217 — *Supplément*, *pp.* 39

المسكن البوزنطي للجنرال ل. دي بيلي

من شاء ان يعرف ما يتكلَّفهُ العلماء في سبيل الآثار الشرقيَّة فعليهِ بهذا الكتاب الذي يجمع بين غزارة المادَّة وسعة العلوم الهندسيَّة والفنّيَّة مع نفاسة الطبع وحسن التصوير. وصاحبهُ احد القوَّاد الفرنسيين المشهورين خصَّص اوقات فراغهِ لدرس المنازل التي كان يبتنيها اهل القسطنطينيَّة مع وصفها وتعريف هندستها وخواصّها وما كان

لهذه الابنية من التأثير في البناء الاوربي · والمؤلف فضلٌ عظيم في ذلك لانَّ اكثر ما صبر على الدهر من آثار البوزنطيين انما هي المباني الدينيَّة امَّا بقايا المنازل والبيوت فنادرة جدًّا لا تكاد تتجاوز عدد الانامل · ففحص حضرة الجنرال بيايي كلَّ هذه الابنية فحصاً مدقَّقاً ورسم صورها وتقصَّى في كل المباحث اللاحقة بموضوعه كحنايا البيوت وطبقاتها وسطوحها واثاثها وتنسيق ابوابها · فتوصَّل الى هذه النتيجة انَّ البيت كان يجمع بين هندسة المساكن الرومانيَّة التي اقتفى بها البوزنطيُّون في ايَّام قسطنطين والمساكن الشرقيَّة الحاليَّة التي تُرى في مدن البحر المتوسّط · ولعلَّ حضرتهُ لو اطلع على رحلة الاب ميشال جوليان الى سوريَّة الشماليَّة لوجد في وصفهِ الآثار البوزنطيَّة المدنيَّة الباقية حتى اليوم ما يؤيد قولهُ في امور عديدة · وعلى كلّ حال انَّنا نثني على همَّة الجنرال الكاتب ودقَّة نظرهِ في الابحاث العويصة ونحضُّ المهندسين على مطالعة تأليفهِ لاتقان اصول الهندسة الشرقيَّة القديمة

The Quatrains of Abu'l-Ala

Selected and translated by A. F. Rihani, *New-York* 1903 pp. 144

رباعيَّات ابي العلاء المعرّي

كان المسيو نيقولا احد قناصل فرنسة في العجم نقل الى الفرنسيَّة رباعيَّات الشاعر العجميّ عُمَر الخيّامي منذ نحو نصف قرن ثم نُقلت الى اللغة الانكليزيَّة فشاعت في اوربَّة · واليوم قد اهتمَّ احد السوريين المهاجرين الى نيويرك الاديب امين ريحاني بنقل ابيات اخرى مثلها الى الانكليزيَّة انتقاها من ابي العلاء المعرّي من كتابَيهِ لزوم ما لا يلزم وسقط الزند ويعتبرها كرباعيَّاتٍ سبق فيها ابو العلاء عمرَ الخيّاميّ فسار عمر على منوالهِ آخذًا عنهُ والفضل للسابق · على انَّ المترجم ينسب الى كلا الشاعرين الزندقة والكفر وتلك وصمةٌ برَّأنا منها ساحة ابي العلاء المعرّي في المشرق (٤ : ١٠٦٨) بمقالة استحسنها عموم القرَّاء وشكرنا عليها ادباء المسلمين · وعليهِ فلا نرضى بما كتبهُ جناب المترجم في هذا الصدد لكنَّنا نُثني عليهِ لحسن نقلهِ الشعر العربيّ الى الشعر الانكليزي مع اتقان طبع كتابهِ

تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر

تأليف الاديب جرجي افندي زيدان (جزءان ص ٣٥٩ و ٣٤٤ مصر ١٩٠٢–١٩٠٣

لصاحب مجلَّة الهلال نشاط عظيم في نشر التآليف الادبيَّة التي يُقبل عليها القرَّاء

لسهولة عبارتها وتفنُّن مواضيعها وتوفر فوائدها . ومن مصنَّفاتهِ الحديثة من هذا القبيل كتابٌ حسن ضمَّنهُ تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر وقسمهُ الى جزئين يحتوي الاوَّل منهما تراجم من نبغ في الشرق من ملوك وامراء وقوَّاد ورجال الادارة والسياسة مصدّرًا تأليفهُ بتراجم امراء العائلة الخديويَّة . امَّا الجزء الثاني فقد خصَّه بتراجم اركان النهضة العلميَّة والمنشئين وكتَّاب الجرائد وسائر رجال الاقلام والشعراء الذين شرَّفوا القرن المنصرم . ونحن مع ثنائنا على همَّة مؤلف هذا الكتاب نراهُ مقصرًا في امور جمَّة او مبالغًا فيها . فمن جانب المبالغة جَعْلهُ بين المشاهير بعض الخواص الذين لم يلعبوا في عالم السياسة ادوارًا تستحقُّ الذكر كامبراطورة الصين تسي هسي (ص ١٥٤) والمملوك المصري (ص ١٩٢) وكذلك نظمهُ لبعض الغربيين في سلك مشاهير الشرق كماريت بك الفرنسوي وعمر باشا النمسويّ وان احتجَّ بانهم اشتهروا في الشرق عددنا لهُ مئين من الاوربيين غيرهم اشتهروا ايضًا في بلادنا ولم يذكرهم كدي ليسبس وشمپوليون وبروغش وستانلي . وكذلك قد بالغ في ترجمة بعض هؤلاء الخواص مبالغة لا نسبة بينها وبين بقيَّة التراجم كترجمة متمهدي السودان وخلفهِ عبد الله التعايشي . امَّا من جانب النقص فيبوسة بعض التراجم كترجمة المعلِم بطرس كرامه والشيخ يوسف الاسير . وكذلك اغفالهُ تراجم كثيرين من الادباء الذين هم اولى بالذكر من بعض الذين سرد اخبارهم نخصُّ منهم الشاعر والمؤرخ نيقولا الترك والقانونيّ نيقولا النقَّاش وصاحب الروايات مارون النقاش والكاتب ميخائيل البحري والسياسيَّان جرجس باز وعبُّود بك والمنشئ الكونت رشيد الدحداح وغيرهم من المشاهير . وان شاء الله يسدُّ مؤلف الكتاب هذا الخلل في طبعةٍ ثانية فينقّح ويزيد وينقص حتى يُصبح كتابهُ كدستور يُرجع اليهِ في تراجم ائمَّة الشرق في القرن التاسع عشر ل . ش

شذرات

اليسوعيُّون في معرض سنت لويس كان اليسوعيُّون الاميركيُّون منذ اربع سنوات اشتركوا في معرض التعليم والتهذيب الذي اقامتهُ الولايات المتَّحدة فنالت اعمالهم من الشهرة ما حمل الحكومة على ان تدعوهم اليوم للاشتراك في المعرض الجليل الذي يُعد في سنت لويس . وقد قرأنا في المهاجر في عددها العاشر للسنة الحاليَّة ما حرفهُ :

« اذن حضرة الاب لويس مارتين الرئيس العام للرهبنة اليسوعية بان تشترك هذه الرهبنة في معرض سنت لويس في العام المقبل وقد شرع المتولجون هذا الامر يرسمون الخرائط والتواريخ لاوائل اعمال اليسوعيين الذين قادم الاب ماركيت الى نواحي الغرب الشمالي والجنوبي في هذه الديار وقد طلبت حكومة الجمهوريّة الاميركية من هذه الرهبنة ان تعرض للعموم ما تشاء من نتائج اعمالها. فستنقسم معروضاتها التي تكون كلها علمية تاريخية دينية ادبية الى اقسام كثيرة فالاول تشترك فيهِ كل من المعاهد السبع اليسوعية في مقاطعة سنت لويس ويحتوي على خلاصة اعمال المعلمين والمرسلين اليسوعيين منذ عام ١٨٢٣ حتى اليوم والثاني يشمل خلاصة اعمال الكليات الاربع والعشرين المنتشرة في الولايات المتحدة لليسوعيين وتقوم بهِ كلية مار فرنسيس كسافاريوس اليسوعية في مدينة نيويورك والثالث يشمل اعمال كلية سنت لويس وتوابعها في ملواكي وشيكاغو وسنسيناتي واوماها ودترويت وسانت ماري كنس

« وسيعرض اليسوعيون تماثيل ملونة لاشهر مشاهير العالم الذين تعلموا في مدارسهم ومنهم الشعراء طاسو وكلديرون وموليار وكورنايل. والعلماء غليليو وديكارت وفيكو وموراتوري. والقادة الحربيون كوندي وتيلي وڤالنستين. واحبار رومانيون منهم المثلث الرحمات لاون الثالث عشر وقد قال ناظر المعروضات الدينية المستر كابن « ان قسم اليسوعيين سيكون من اعجب المناظر المفيدة في المعرض ولا شك انهُ يزرع في العقول هذه الامثولة: « ان هذه العصابة من الرجال الفضلاء قد كانت عاملًا كبيرًا في عمران هذه الجمهوريّة الكبرى »

المعمَّرون في سيلان جزيرة سيلان مشهورة بكثرة الشيوخ الذين يربي فيها عمرهم على المئة. وفي الاحصاء الاخير وجد عدد هؤلاء ١٤٥ نفساً منهم ٧١ رجلًا و ٥٤ امرأة

نومٌ اشبه بموت ماتت في هذه السنة امرأة اسمها مرغريت بوينقال أُصيبت قبل عشرين سنة بخوفٍ عظيم اثَّر فيها فالقاها على الحضيض كالميتة وبقيت في سباتها عشرين عاماً. وكان اهلها يغذونها بغذاء صناعي. وفي نيسان من السنة الحاليَّة أفاقت من سباتها الَّا انَّها مُنيت بدمَّلتين في ذراعها وساقها ذهبتا بحياتها في ٢٧ أيار المنصرم

الآلات الكتابيَّة في اميركة الشماليَّة قد بلغ عدد المعامل التي تستحضر الآلات الكتابيَّة خمسين معملًا يشتغل فيها ٤٥٠٠ عامل ولأصحابها راس مال لا يقلّ عن مئتي مليون فرنك

داء السرطان وشفاؤهُ اثبت الدكتور فِنسِن من كوپنهاغ انَّ النور من انجع الوسائل لشفاء داء السرطان والدماميل (Lupus) وهو يجمع

بعدسيَّات من البلَّور اشعَّة الشمس فيفرز بينها الاشعَّة البنفسجيَّة ويجرّدها عن حرارتها بان يجيزها في ماء مقطَّر. فاذا وقعت هذه الاشعَّة على الجلد المصاب بهذا الداء قتل جراثيمهُ الميكروبية. وقد عالج الدكتور ڤنسِن ٨٠٤ اصابة فشفي ٤١٢ من المصابين الشفاء التامّ وكان الداء قد استعصى في بعضهم على الاطبَّاء منذ سنين

اسئلة واجوبة

س سأل من الناصرة حضرة الخوري ي. الهاروني هل يجب على الكهنة ان يداوموا تلاوة الصلوات المفروضة من لاون الثالث عشر في آخر القداس

ج يقتضي مداومتها بامر مجمع الطقوس في ١١ ايلول وبمصادقة الحبر الاعظم بيوس العاشر

س وسأل من زحلة جناب سعيد افندي امين: ١ً ما معنى قولهم في الجرائد « بلا امتنان » في الادعية بعد قولهم « سيدنا ومولانا ». ٢ً ما هو معنى اسماء الشهور المسيحيــة المستعملة حتى يومنا مثل كانون وشباط الخ

ج نجيب (على الاوَّل) يراد بقولهم في الدعاء « سلطاننا او مولانا بلا امتنان » انَّ وجود ذلك المولى او السلطان نعمة منهُ تعالى اعطاها لرعيَّتهِ دون فضــل سابق اوجب منحها. ونجيب (على الثاني) انَّ اسماء الشهور المسيحيَّة « كانون شباط نيسان » اسماء قديمة جدًّا استعملها الآراميُّون والعبرانيُّون واخذوها عن البابليين. امَّا معناها فقد اختلفوا فيهِ كل الاختلاف فمنهم من يجعلهــا نعوتًا دالَّة على فصول السنة ومنهم من يدَّعي انَّها اعلام لآلهة الى غير ذلك ممَّا لا يمكن القطع بهِ

س وسأل بعض ادباء البلدة: ١ً ما معنى المثل كأن على رؤوسهم الطير ». ٢ً من هو بكر ابن النطَّاح الذي قال البيتين الواردين في تقويم المشرق في ١٦ تشرين الاوَّل:

ارانا معشر الشعراء قوماً بألسنا تنعَّمت القلوبُ
اذا انبعثت قرائحنا اتينا بالفاظٍ تُشَقُّ لها الجيوبُ

ج نجيب (على الاوَّل) انهُ يراد بقولهم « كانَّ على رؤوسهم الطير » اي انَّهم في سكونٍ وهدوٍّ حتى لو كان الطائر مع نفوره على هامتهم لما فرَّ طائرًا. وقيل انَّ اصل ذلك انَّ الغراب يحطّ على رأس البعير فيلتقط منــهُ القراد وينجيهِ من اذاهُ فلا يتحرَّك البعير لئــلَّا ينفر الغراب. ونجيب (على الثاني) انَّ بكر بن النطَّاح كان في عهد المأمون وخلفائهِ واشتهر بشعرهِ وببلائهِ في الحروب واسمـهُ ابو وائل الحنفي. وقد مدح ابا دلف ومالك بن علي الخزاعيّ (راجع شروح مجاني الادب ص٥٤٠) ل. ش

المشرق

الفلكيُّ اليسوعيّ انجلو سِكّي

للاب بطرس دي ڤراجيل اليسوعيّ مدرس الطبيعيات في مكتبنا الطبيّ

عُقدت في ٢٦ شباط المنصرم حفلةٌ حافلة في رومية العظمى لذكر السنة الخامسة والعشرين من وفاة الاب انجلو سكّي سليل الرهبانيَّة اليسوعيَّة واحد ائمَّة العلوم الفلكيَّة في القرن التاسع عشر. وكانت اللجنة القائمة بهذه المظاهرة اختارت لهذا الشأن الردهة الكبرى التي تزين قصر الحجابة الرسوليَّة وكان صدر هذا المجلس البهيّ مجمَّلًا بسجوف المخمل والارجوان وفي وسطهِ تمثال ذاك الراهب الوضيع يكتنفهُ كَرَب النخل وسَعفهُ. وقد حضر هذه الحفلة عدد وافر من كرادلة واساقفة وجهابذة العلماء ونخبة المدينة يتقدَّمهم نيافة الكردينال ڤانوتلي. وقد تُليت في هذه النسبة خطبٌ عديدة افاض فيها اصحابُها في سعة علوم الاب سكّي وفضائلهِ السامية بحيث انهُ اصبح مثالًا حيًّا لتوافُق العلم والدين

وفي مدار السنة الجارية تسارعت المجلاَّت العلميَّة على اختلاف نزعاتها الى كتابة فصول منها القصيرة ومنها المطوَّلة اطرأت فيها الاب سكي واشادت بذكر اعمالهِ الخطيرة. فرأينا نحن ايضًا ان نسطّر بوجيز الكلام ترجمة ذاك العلاَّمة المفضال ونعرّف للشرقيين ما اداهُ من الخدم لِعالَم العلم والآداب فنقول وعلى الله التكلان:

*

ولد انجلو سكّي في راجيو احدى مدن إميلية من اعمال ايطالية في ١٨ حزيران سنة

١٨١٨ من اسرة وجيهة عريقة في الدين. فلمَّا نشأ جملهُ والداهُ في مدرسة وطنهِ التي كان يديرها الآباء اليسوعيون وامتاز فيها مدَّة دروسهِ باجتهادهِ وحصافة عقلهِ وتوقد فهمــهِ وكان مع ذلك على جانبٍ عظيم من التُّقى. ولمَّا بلغ الخامســة عشرة من سنِهِ اسمعهُ الله صوتهُ فدعاهُ الى خدمتــهِ في الرهبانيَّة. فلم يتأخر الشابُّ الورع عن تلبية دعوتهِ تعالى بل اقنع والدَيهِ على ان لا يحولا دونهُ ودون اتمام رغبتهِ

وكان دخول الشاب سكي في الرهبانيَّة اليسوعيَّة في ٣ تشرين الثــاني من سنة ١٨٣٣. وانتظم في سلك المبتدئين في رومية العظمى. وبعد ان أسَّس في قلبهِ الفضائل الرهبانيَّة مدَّة سنتين انكبَّ على تحصيل العلوم مباشرةً بالآداب اليونانيَّة واللاتينيَّة ثم انقطع لدرس الفلسفة والعلوم اللاحقة بها كالرياضيَّات والطبيعيَّات وبرز مذ ذاك العهد في معرفة الفلكيَّات كما لاح لرؤسائهِ في اثناء جلسةٍ ادبيَّة عقدها امام اعيان رومية فبيَّن فيها امورًا دقيقة كان العلماء يعدُّونها من مغلقات علم الفلك

فلمَّا علم الرؤساء ما خصَّ الله بهِ عقل الشاب الذكي نشَّطوهُ على مواصلة دروسهِ. بيد انَّ سكي لم يلبث ان ادرك انَّ للدروس الفلكيَّة فروعًا لا تحصى وانْ بوسعــهِ ان ينال فيها جميعًا بعض الشهرة فيؤلف التآليف المتنوّعة كما عمل فلكيُّ عصرنا فاي (Faye). وعليهِ رأى ان الاولى بهِ ان يتفرَّد بقسمٍ من هذه العلوم فيتعمَّق في درسها بحيث يدرك كلَّ وجوهها. فاختار بين هذه الفروع طبيعيَّات علم الهيئة اي تركيب الاجرام السماويَّة والاختلافات الطارئة عليها وخصَّ بها نظرهُ دون الفلكيَّات الآليَّة. ونعم ما فعل فانهُ لولا تفرُّدهُ بهذا القسم لما بلغ المبلغ الذي نالهُ ولما اكتشف الاكتشافات العجيبة التي احرز لهُ فيها اسمًا مخلَّدًا

ولمَّا اتمَّ الاب سكي درس الفلسفة احبَّ ان يجعل بناء علومهِ راكزًا على اساس متين فتتلمذ للاب بيانشاني الذي كان نسيج وحدهِ في زمانهِ فدرس عليهِ افضــل الاساليب الرياضيَّة وهو مع ذلك يساعدهُ في تدريس الطبيعيَّات في مدرسة الاشراف. فلمَّا تضلَّع من معارف استاذهِ أُرسل الى مدرسة لوريتو ليتولَّى فيها تدريس علم الطبيعة فعلَّمهُ اربع سنوات بنجاح عظيم. وكان الاب سكي في اثناء ذلك يتجرَّد في اوقات الفراغ لدروسهِ الخصوصيَّة وقد خلَّف من بعدهِ كتابًا ضخمًا كتبهُ في ذلك الوقت ودوَّن فيهِ

فقرات جثة التقطها من اشهر المؤلفين في علم تحريك الاثقال والكيميا والطبيعيات والفلك والمعادن

وفي سنة ١٨٤٥ لبّى داعي رؤسائهِ فعاد الى رومية لدرس اللاهوت فلمَّا اتقنهُ رُقي الى درجة الكهنوت في ١٢ ايلول سنة ١٨٤٧ فقدَّم الذبيحة الاولى بعبادة عظيمة أثَّرت في كل الحضور بحيث كانوا يردّدون قولهم: «ما احسن العلم والتقوى اذا اجتمعا». على انَّ الاب سكّي لم يبقَ طويلًا في رومية فانَّ الثورة الايطاليَّة هاجت في خلال ذلك واضطرَّت اليسوعيين ان يخرجوا من امّ المدائن ويسيروا الى المنفى. فتفرَّق الرهبان ايدي سبا. وسار الاب سكّي مع طائفةٍ من اخوتهِ الى انكلترَّة الى مدرسة ستونيهُرست الشهيرة فنزلوا فيها عند اليسوعيين الانكليز ضيوفًا كرماء. وكان لمدرسة ستونيهُرست مرصد فلكي فانتهز الاب سكّي تلك الفرصة لدرس آلات ذلك المعهد الشهير مدَّة الاشهر التي قضاها في انكلترَّة

وفي السنة التالية أُرسل الاب المذكور الى اميركة الشماليَّة الى مدرسة جورجتون الواقعة قريبًا من واشنكتون. وكان لهذه المدرسة ايضًا مرصد عظيم يديرهُ الاب كورلي (Curley) اليسوعيّ. فلمَّا تعرَّف المدير بالراهب الايطالي وما طُبع عليهِ من ثقوب الذهن وسرعة الفهم وشجت بينهما عروق الصداقة والوداد وصار الاب كورلي يتَّخذ سكّي كمساعد لهُ في كل ارصادهِ. واجتمع ايضًا الراهب المهاجر باحد أعلام عصره وهو العلّامة موري (Maury) مدير مرصد الحكومة في واشنكتون فاخذ عنهُ علمًا مستحدثًا كان موري سبق اليهِ اهل زمانهِ وهو علم الآثار الجويَّة. وكان سكّي يشكر الله على انَّ منفاهُ قرَّب اليهِ الوسائط لمعرفة هذين الرجلين الشهيرين ويُعدّ ذلك نعمةً من العناية الصمدانيَّة اهّلتهُ لتوسيع نطاق علومهِ

وفي مطاوي هذه الامور فقد العلم احد انصارهِ المبرّزين ألا وهو الاب دي ڤيكو (de Vico) مدير مرصد المدرسة الرومانيَّة من عظام الفلكيين في القرن التاسع عشر مات بغتةً في لندن بعد جلاء اليسوعيين من رومية سنة ١٨٤٨ وهو في منتصف عمره لم يتجاوز الثالثة والاربعين منهُ فبقي مرصد رومية في حاجة الى رأس يدير اشغالهُ الخطيرةَ

فلمَّا عاد بيوس التاسع من غاييت الى رومية بعد اشهر قليلة رجع اليسوعيون ايضًا الى اديارهم. ففكَّر رئيس الرهبانيَّة في الاب سكّي واستقدمهُ من اميركة ليتولى

في المدرسة الرومانيَّة تدريس القسم الفلكيّ ويُعنى مع ذلك بادارة المرصد البابويّ. فاستبشر الكلّ بتنصيبهِ واعدُّوهُ خير خلفٍ لافضل سلَف

وفي واقعة الحال ما لبث التلميذ ان جارى معلمهُ فقام منذ باشر الامر احسن قيام بهمَّتهِ حتى ظنَّ العمَّال الذين تحت نظارتهِ انَّ مدير المرصد الجديد احيا معالم سلفهِ لا بل انهُ فاقهُ بعداركهِ وحسن تدبيرهِ. وكان مع ارصادهِ الفلكيَّة يؤلف التآليف العديدة ويكتب المقالات المستوفية في المجلَّات العلميَّة فلم تمرّ عليهِ سنة واحدة دون ان يدبّج فيها بقلمهِ عدَّة مصنَّفات فلكيَّة كان يبادر العلماء الى مطالعتها وتدوين فوائدها

ولمَّا كانت العلوم في ذلك العهد تترقَّى يوماً بعد يوم لم يشأ الاب سكي ان يتأخر المرصد الروماني عن المراصد الكبرى الدوليَّة ولذلك سعى باقتناء الادوات الرصديَّة الجديدة وبتوسيع معاهد المرصد

لكنَّهُ لحظ انَّ برج الرصود المُبتنى فوق احدى زوايا المدرسة الرومانيَّة ليس بمتين وانهُ لا يقوى على حمل الادوات اللازمة للاقيسة الفلكيَّة فعرض على رؤسائهِ في سنة ١٨٥٢ ان ينقلوا المرصد فيجعلوهُ حول قبَّة كنيسة القديس اغناطيوس. وذلك ان مهندسي هذه الكنيسة لمَّا ارادوا ابتناء القبَّة اقاموا لها اساطين مربَّعة غاية في المتانة متَّسعة جدًّا جعلوا القبة على اطرافها فبقيت حول القبة مسافات كبيرة تصلح لمعاهد رصديَّة. فبعد الفحص المدقَّق استحسن الرؤساء هذا الراي فجُعلت على احدى السواري نظَّارة كبيرة للعبور (équatorial) كان اتحف بها المرصد سنة ١٨٤٣ حضرة الاب رووتان الرئيس العام على الرهبانيَّة اليسوعيَّة. وبُنيت على سارية أُخرى قبَّة واسعة يمكن تحريكها حسب حركات النجوم وأُودعت فيها آلة رصديَّة لمراقبة الافلاك طولها اربعة امتار ونصف. وخُصَّت الآلة الرصديَّة القديمة برصد الشمس وحدها وزادها الاب سكي تحسيناً بان اضاف اليها آلة مركس (Merx) المحرّقة للاشعة النوريَّة

ومع هذه الآلات الرصديَّة اتَّخذ ادوات عديدة لتدوين المظاهر الجويَّة. وكان اجمل هذه الادوات واعظمها شأناً الميتيوروغراف اي راقم الآثار الجويَّة كان اخترعهُ سكي بنفسهِ وهو عبارة عن عدَّة ادوات متَّصلة بعضها ترقم بحركتها الخاصَّة على ورقة ذات ترابيع خطوطاً تعرّف الاختلافات الطارئة على الضغط الجوّي وعلى درجات

الحرارة والرطوبة وعلى قوّة الرياح ووجهتها وعلى المطر ومدّة هطلانهِ. وكل هذه الفوائد يقوم بها ادوات مختلفة كالبارومتر والانيمومتر والترمومتر يمكن وضعها في الامكنة المناسبة لها مع الاستدلال على رصودها في مركز واحد بواسطة مجاري كهربائيَّة تبلّغها نقطة معلومة فيقابل الراصد كلّ حركاتها بنظرة واحدة. وهذه الآلة ترى اليوم في كل المراصد الدوليَّة لا يستغني عنها مرصد الّا انَّ اشكالها تختلف بعض الاختلاف حسب الامكنة

وفي سنة ١٨٥٨ رأى الاب سكي انَّ مرصدهُ في حاجةٍ الى فرعٍ آخر يؤدي للعلم خدماً جليلة نريد فرع المراقبات المغناطيسيَّة فأعلم بذلك الطيب الذكر البابا بيُوس التاسع الذي بكرمٍ حاتمي دفع لهُ مبلغاً وافراً ليستحضر من انكلترة اجود الآلات التي يحتاج اليها لهذه الارصاد

فشيَّد الاب سكي لهذه الآلات المغناطيسيَّة ردهةً والحق بها برجاً ضمَّنهُ الآلات للاقيسة الكهربائيَّة التي هي كتتمَّة للقياسات المغناطيسيَّة. وممَّا يجدر بنا ذكرهُ انَّ مرصد المدرسة الرومانيَّة سبق كلَّ المراصد الدوليَّة في رصد مجاري المغناطيس في قلب الارض بطريقةٍ نظاميَّة. وتبعهُ في ذلك بعد قليل مرصد غرينويش الطائر الشهرة

*

فلمَّا حصل سكي على محلّ مناسب للارصاد الفلكيَّة وجهَّزهُ باجود الآلات وادقّها وهو هو في المعارف الفلكيَّة وسموّ الهمَّة لم يَعُد يعرف الراحة في ترقية علم السماء وتعريف الاجرام العلويَّة فانهُ في مدَّة نيّف وربع قرن وجَّه لهذه الغاية الشريفة كل قوى بصيرتهِ الوقَّادة

ولو اردنا ان نحصي هنا كلَّ الاكتشافات التي توصَّل اليها هذا الراهب النابغة والتآليف التي وضعها في العلوم الفلكيَّة وهي تنيف على الثلثمائة لطال بنا تعدادها فمنها المقالات الجليلة التي كانت تتسابق الى نشرها اكبر المجلاَّت العلميَّة ومنها الكتب الضخمة التي نُقلت الى لغات شتى كتآليفهِ المعنون « بوحدة القوى الطبيعيَّة » وكتابهِ عن « الشمس » وهو مجلَّدان ضخمان من ابدع ما كتبهُ العلماء في عهدنا. وكتابهِ عن « النجوم ». هذا فضلًا عن التقارير والنشرات التي كان يرسلها لكتب العلوم في باريس ولسائر المراصد الكبرى ودور المعارف الدوليَّة. الّا انَّنا لافادة القرَّاء

نذكر هنا اخصَّ مشروعات الاب سكي في الأقسام الفلكيَّة الثلاثة التي صرف اليها نظرهُ على وجه خاصّ نريد اولًا اعمالهُ في السيَّارات. وثانيًا اعمالهُ في الشمس وتحليل النور الشمسي. وثالثًا اعمالهُ المتيورولوجيَّة وما يلحق بها

١ اوَّل ما باشر بهِ الاب سكي في اعمالهِ الفلكيَّة الكبرى انهُ عمد الى نظَّارة العبور التي كان ركَّبها في مرصدهِ فقاس بها اوضاع نحو ١٤٠٠ نجم من النجوم المزدوجة وهي التي تراها العين مفردة مع كونها في الحقيقة عبارة عن نجمين مختلفين او اكثر. وكانت غاية الاب سكي بهذه الأقيسة ان يتمم الجداول التي صنَّفها العلَّامة ستروف (Struve) قبلهُ بخمس وعشرين سنة في كتابهِ الذي دعاهُ بالأقيسة الميكرومتريَّة (Mensuræ micrometricæ) ثمَّ يقف على ما طرأ من الاختلافات في سير هذه النجوم منذ ذاك العهد فنشر قائمةً اولى لهذه النجوم سنة ١٨٥٩ واتبعها بقائمة اخرى للنجوم الملوَّنة

ثم وجَّه عنايتهُ الى السيَّارة زُحل ودرسها بنظَّارتهِ العجيبة فاكتشف انَّ ظلَّ زُحل الواقع على الحلقة المزدوجة التي تطوّقهُ يختلف عن ظلّ كرة على جسم سطحيّ. فاستدلَّ بذلك على انَّ هذه الحلقة ليست مسطَّحة بل محدَّبة نوعًا. ثم واصل مراقباتهِ لهذا السيَّار فوجد لهُ حلقةً ثالثة لم يعرفها العلماء وتمكَّن بعد مدَّة من تعريف تسطيح قطبَيْهِ ثم قاس اهليلجيَّة حلقة زُحل وخروج مركز هذه الحلقة الخفيف عن مركز سيَّارها مع بيان مدَّة دورانها. وكلُّ هذه الاكتشافات المبنيَّة على ارصاد مدقَّقة نُشرت في عالم العلم وتأيَّدت بعد قليل بالحسابات النظريَّة التي اجراها الفلكيُّون

ثم انتقل الاب سكي الى رصد المشتري والاقمار الدائرة حولهُ فداوم على دراستها زمنًا طويلًا حتى توصَّل الى ان قاس قُطرها قياسًا غاية في الضبط — ثم رصد المرّيخ ورسم لهُ خريطةً حسنةً وخصَّ نظرهُ بدرس الترَع الغريبة التي يُشاهدها الفلكيُّون في سطحهِ — ثم شخص بنظَّارتهِ الى القمر فرسم بالتصوير الشمسي احدى فوهات براكينهِ رسمًا يُعدُّ حتى اليوم آيةً في بابهِ ويحفظهُ العلماء ليقابلوا بينهُ وبين الرسوم المقبلة لعلَّهم يطَّلعون على طوارئ تطرأ عليهِ. وكان آخر ما فحصهُ الاب سكي من السيَّارات سيَّارتي اورانوس ونبتون فدلَّتهُ نظَّارتهُ على بعض خصائصهما رغمًا عن بُعدهما في فضاء العالم الشمسي

٢ وكان يقتضي على الاب سكي مدة رصده لهذه السيَّارات ان يراقبها بوشور الطيف فدعت بهِ هذه المراقبات الى ان يعمل نظرهُ في كوكبنا العظيم ويحلّل نورهُ بالطيف الشمسيّ. وقد بحث في الشمس ابحاثاً جليلة واكتشف اكتشافات عديدة يكفي الواحد منها لتخليد ذكر عالم. وهذه الابحاث المبتكرة والاكتشافات النفيسة قد ضمّنها الاب سكي في كتابهِ عن الشمس الذي ظهر اوّلاً باللغة الفرنسيَّة سنة ١٨٧٠ والعلماء لسان واحد في اطراء صاحبهِ والاقرار بفضلهِ على اهل زمانهِ. ولهذا الكتاب صور عجيبة ورسوم دقيقة للغاية

وكل هذه المصنَّفات والمساعي الجميلة جعلت اسم الاب سكي مستفيضاً شائعاً في كل الاقطار المتمدّنة. وكانت الدول تدعوهُ دعوةً رسميَّة لكل مجامعها العلميَّة وتهديهِ الامتيازات والاوسمة التي تضنُّ بها عادةً على الرهبان لاسيَّما اليسوعيين منهم. ولمَّا قرب وقوع كسوف الشمس العظيم في ١٨ تمُّوز سنة ١٨٦٠ اتَّفق الجميع على تعيين الاب سكي ليرصدهُ في اسبانية حيث كان هذا المظهر تامًّا لا يشوبهُ نقص ولا يحجز عنهُ حاجز. فكان دخول الاب سكي في اسبانية كيوم عيدٍ رحَّب بهِ كل العلماء. وفي مقدمتهم مدير المرصد في مجريط دون انطون اغويلاس. وكان سكي يبني على هذا الرصد آمالاً طيِّبة فلم يخب رجاؤهُ لانهُ استنتج منهُ النتائج الخطيرة التي اتَّخذها العلماء كوصلةٍ لاكتشافات أُخرى. فمن ذلك انهُ حكم حكماً فصلاً في صحَّة وجود نتوءات مادّيَّة في الشمس. وكان العلماء قبلهُ يتباحثون في ذلك فمنهم من يؤكّد ومنهم من ينكر. وكان اكثرهم يظنُّون انَّ هذه النتوءات انَّما هي انعكاسات نوريَّة او اعراض تطرأ على الشمس فتحقَّق الاب سكي انها في جرم الشمس وانَّها ناتجة عن لهب او ألسنة ناريَّة تتصاعد منها وربَّما بلغ ارتفاعها أُلوفاً من الكيلومترات وهي هي التي تغيّر هيئة جرم الشمس الكرويّ

وممَّا ساعد الاب سكي في ابحاثهِ الشمسيَّة آلةٌ اخترعها تعرف حتى اليوم باسمهِ عند مجهزي الآلات الرصديَّة وتدعى « سبكتروسكوب سكي » اتَّخذها لتحليل الطيف الشمسيّ ودرس خواصّ نور الشمس فامكنهُ بهذه الاداة ان يستوعب البحث في الكُلَف الشمسيَّة وحقيقتها وان يعرّف جرم الشمس وطبقاتها الثلاث اي نواة الشمس الوسطى والطبقة المنيرة او الفوتوسفير (photosphère) والكرة الغازيَّة

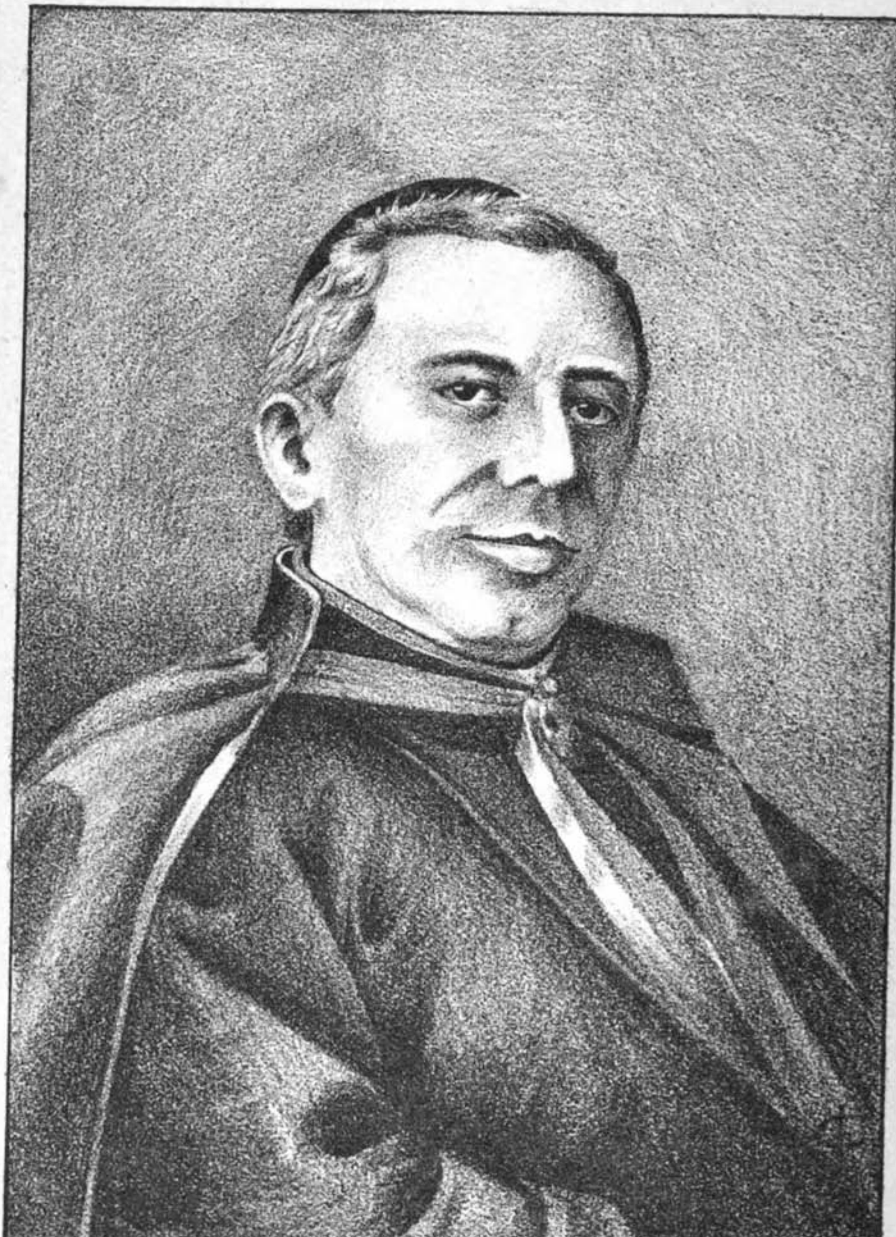
المعروفة بكروموسفير (chromosphère) وقد بيّن ما في هذه الطبقات من المجاري الناتجة عن الإشعاع وتكاثف الغازات كما انهُ اعلن بما لكُلَف الشمس واطوارها في انفجار لهيبها او خمودهِ من العلاقة بالمجاري المغناطيسيَّة الارضيَّة

وهذه الاعمال الخطيرة في تعريف شمسنا لوفرتها وسعة نطاقها تذهل العلماء. الّا انها لم تكن سوى قسم من اشغال الاب سكي الذي اضاف اليها عددًا عديدًا من المباحث في طيوف النجوم وفي اصل الرجوم وكنه النيازك وفي حركات ذوات الذنب وغير ذلك مما يطول شرحهُ

٣ ولعلَّ الاب سكي مع تفرُّدهِ في علم الهيئة وكثرة تآليفهِ الفلكيَّة التي سبق وصفها اصاب مجدًا اعظم باعمالهِ واكتشافاتهِ في عالم الآثار الجويَّة . ومما لا مُندحة عن ذكرهِ من هذا القبيل النشرة الميتيورولوجيَّة التي كان ينشرها في اوقات محدودة . ولهُ يعود الفضل في تعريف مظاهر الجوّ في رومية وانحائها المجاورة التي لم تُعرف قبلهُ معرفةً صحيحة

وكان الاب سكي لم يزل يكاتب مدير مرصد واشنكتون موري (Maury) المذكور سابقًا . ثمَّ قدم هذا الى اوربَّة ليتَّفق مع اهل مراصدها فيتواطأوا كلهم على تدوين نشرات عموميَّة في احوال الجوّ وطوارئهِ في اوربَّة واميركة ليستطيع العلماء بذلك ان يقابلوا هذه الرصود بعضها ببعض ويستخلصوا منها قواعد راهنة تصحُّ في البلاد كافَّة . فلمَّا اراد اخراج هذا المشروع لحيز الوجود كان الاب سكي من اعظم انصارهِ لتحقيقهِ . وابتدأ هو الاوَّل منذ ١٨٥٦ ان يجمع في كل ممالك البابا الاعلامات اليوميَّة عن الجوّ وآثارهِ واخذ ينشرها في مجلَّتهِ

وعلاوةً على ذلك سعى الاب سكي في مشروع آخر يعرف اليوم فوائدهُ الفلكيُّون قاطبةً وذلك انهُ حمل علماء باريس على ان يرسموا كل يوم خارطة اوربَّة الجويَّة ترى عليها كل الافادات عن الامطار والرياح والحرارة وثقل الهواء . وهذه الافادات تبلغ الى باريس تلغرافيًا من كل بلاد اوربَّة فتُرسم في عاصمة فرنسة من ساعتها وتُرسل الى المدن الكبرى والى المرافئ البحريَّة . فهذه لعمري خدمةٌ حقيقة بشكر ابديّ يؤدّيه العلماء لصاحبها لكثرة ما ينتج عنها من الفوائد للتجارة وللبحارة وغير ذلك . وقد سبق ان الاب سكي وضع لرصد الحركات الجويَّة آلة نفيسة دعاها بالميتيوروغراف وهي الآلة التي



الاب انجلو سكّي الفلكيّ اليسوعيّ

عُرضت في معرض باريس سنة ١٨٦٧ فجازى نابوليون الثالث صاحبها بنوط ذهبي وبصليب جوقة الشرف

وفي سنة ١٨٧٢ عُقدت لجنة دوليّة لضبط قياس الميتر وتعيين جماعة من العلماء لدرس هذا المطلب الّا ان مبعوثي ايطالية لمّا احسّوا بان الاب سكي يكون في مقدمة هؤلاء العلماء طلبوا ان يُستثنى من عداد المنتخَبين وتهدّدوا بجيادة دولتهم اذا وقع عليهِ الاختيار. لكنَّ اعضاء اللجنة لم يُعيروا سمعًا مبعوثي ايطالية قائلين انهُ ليس ثمَّة مسألة سياسيَّة او دينيَّة لكن مسألة علميَّة بحتة. فكان انتخاب الاب سكي دليلًا جديدًا على اعتبار الدول لهذا اليسوعيّ رغمًا عن ثوبهِ الرهبانيّ

وللاب سكي اعمال غير هذه نضرب عنها صفحًا ونكتفي في الختام عن اكتشافهِ لقياس ثابت مقرَّر تقاس بهِ قاعدة مساحة المثلثات فانَّهُ هو الذي صحّح هذا القياس سنة ١٨٥٤ على الطريق المعروفة باسم أپيوس (Appius). وكان البابا بيُوس يحبُّ ان يعهد الى الاب سكي باشغال ذات شأن منها انَّهُ انتدبهُ لاستجلاب المياه الى رومية ومدن المملكة البابويّة عن مسافة بعيدة فنجح بذلك نجاحًا تامًّا. وكلَّفهُ ايضًا البابا المذكور بان يتمّم مساحة الاملاك البابويَّة التي كان ابتدأ بها سنة ١٧٥١ الاب بوسكوفيش اليسوعي. فأدَّى بهِ ذلك الى ان يهتمّ سنة ١٨٦٨ بقياسات دقيقة وضعها للَّجنة الدوليَّة الموكولة برسم خطّ لهاجرة اوربَّة الوسطى وكان الاب سكي ناظرًا على فرع من هذا العمل الخطير وتحت نظارتهِ عدَّة من ضُباط الهندسة الحربيَّة. ولمَّا فتحت الدولة الايطاليَّة في تلك الاثناء رومية اضطرَّ الاب سكي ان يترك هذه النظارة الّا انّ اقيستهُ كانت كقاعدة رجع اليها العلماء دون نظر ولا اصلاح لعلمهم بصحَّتها

والحقُّ يقال ان دخول الايطاليين الى رومية سبَّب للاب سكي مشاكل عديدة واكدارًا لا تحصى. الّا انّ هذه الظروف نفسها بيَّنت ما كان لهُ من المقام حتى في قلوب اعدائهِ. ولمَّا نُهبت المدرسة الرومانيَّة سمحت الحكومة الجديدة للاب سكي ان يبقى في مرصدهِ الموسوم بالمرصد البابويّ. ثم حاول الايطاليُّون ان يفصلوا الاب سكي عن اخوتهِ اليسوعيين ومنَّوهُ بالمواعيد الحسنة والألقاب الشريفة الّا انّ ذاك الراهب

التقي لم يكن لينخدع بالدنيا واباطيلها فأبى هذه المواعيد (١ وآثر ان يعيش مجهولًا كاخوتهِ فقضى بقيَّة حياتهِ معتزلًا في مرصدهِ كالراهب في قلّايتهِ

وكانت الأيام مع ذلك تتثاقل على كاهلهِ وتهدُّ ركن قواه. وفي كانون الأوَّل من سنة ١٨٧٧ ارسلهُ الاب بكس رئيس الرهبانيَّة اليسوعيَّة العامّ الى حدائق فيازولي ليأخذ فيها نصيباً من الراحة. لكنَّ مقامهُ فيها لم ينفعهُ وتحقَّق الاطبَّاء انهُ مصاب بقرحٍ في معدتهِ لا تنجع فيهِ ادويتهم. فعرف الاب سكي بدنوّ اجلهِ ولم يرهب الموت اذ كان كالعبد الامين الذي ينتظر سيّدهُ ليفتح لهُ. وغاية ما كان يتحصَّر عليهِ قبل وفاتهِ انَّ اشغالهُ العلميَّة لم تسمح لهُ بخدمة النفوس بالوعظ وتوزيع الاسرار لكنَّهُ كان يتعزَّى لدى تفكرهِ بانهُ لم يطلب في اعمالهِ العلميَّة سوى مجد الله وخير الكنيسة

واسلم روحهُ الطاهرة ليد خالقهِ الذي مجَّدهُ بتعريف اعمالهِ في عشاء اليوم ٢٦ من شهر شباط من سنة ١٨٧٨ وذلك في الشهر نفسهِ الذي توفي فيهِ البابا بيوس التاسع الذي نشَّط دروسهُ وساعدهُ في توسيع نطاق مرصدهِ

وعُدَّ موتهُ كمُصاب عمومي واسفَ لفقدهِ ليس اخوتهُ فقط الذين اختبروا فضائلهُ الرهبانيَّة لكن العالم العلميّ باجمعهِ. واقيم لراحة نفسهِ في امكنة عديدة حفلات دينيَّة كانت كلها كانتصار لإخاء العلم والدين

وكانت ابهى هذه الحفلات حفلةٌ عُقدت في ١٣ نيسان حضرها كثير من ائمَّة الدين ورجال العلم ووجوه رومية وكان جُعل حول ضريحهِ الشارات العلميَّة المشيرة الى اعمالهِ. وكان في وسطها هذا الشعار الذي هو كملخَّص اعمالهِ: « انَّ الطريق المؤدّية من منظر السماء الى الله لقريبةٌ » اجل انَّ الاب سكي توغَّل في درس العلويَّات الَّا انَّ الاجرام الفلكيَّة كانت لهُ كسلَّم ادَّت بهِ الى الخالق سبحانهُ وتعالى فرأى الله في اعمالهِ حتى في هذه الارض قبل ان يشاهدهُ في دار خلدهِ مدى الدهور

---

١) وعليهِ فلا صحَّة لما كتبهُ المقتطف في سنتهِ الثالثة اذ قال (ص ٢٨٥): « ان الحكومة قدمت للاب سكي اموالًا جزيلة لتوسيع اعمالهِ فقبل ذلك اوّلًا ولكن رئيس الجمعية اليسوعية امره بالاستعفاء فاستعفى ». ولدينا كتاب من الاب سكي نفسهِ ينقض هذا القول

الطوائف الشرقيَّة وبدعة الكلوينيين

في الجيل السابع عشر (لاحق بسابق)

للاب انطون رَبَّاط اليسوعي

ذكرنا في مقالة اولى نص شهادتين لبطريرك الاقباط ينكر فيهما على الهراطقة الكلوينيين مزاعمهم ويناضل عن معتقد طائفته مقرًّا بالاسرار السبعة وعلى الخصوص بسرّ القربان الأقدس ومشاركًا الكنيسة الكاثوليكيَّة في عقائدها جمعاء خلا مسألة الطبيعتين على زعمه وان اقرّ بها معنًى لا لفظًا

بقي علينا الآن ان نتتبَّع جلّ ما بعث بهِ مسيحيو سوريَّة من الشهادات مكتفين بايراد بعض فقرات من اقوالهم. واول من عني بهذه المعاريض وشهد بصحَّة ايمان المعاصرين من الشرقيين المسيو فرنسيس پيكات (Fr. Picquet) الشهير فان الموما اليهِ لمَّا كان قنصلًا لدولة فرنسة في مدينة حلب سنين طوالًا قرَّبتهُ وظيفته من الاكليروس والشعب المسيحي فعرف احوالهم حق المعرفة وبعد ان خدم وطنهُ والدين الكاثوليكي خدمًا جليلة زهد في الدنيا وعاد الى بلاده ثمَّ أُرسل بصفة قاصد رسولي الى بلاد العجم حيث توفاه الله في همدان في ٢٥ اب سنة ١٦٨٥

فلمَّا كان پيكات في ليون سنة ١٦٦٧ بلغهُ ما ينسبهُ البعض كذبًا الى الشرقيين بخصوص القربان الأقدس فكتب الى متولي طبع كتاب « دوام اعتقاد الكنيسة » ما تعريبه :

« قد اقمتُ في الشرق ثمانية او تسعة اعوام وخالطتُ كثيرًا مسيحيي الشرق وحضرت احتفالاتهم في كنائسهم فرأيتهم يكرّمون ويعبدون السر المقدس تحت الاعراض. . . وان اراد المخالفون برهانًا فاستطيع ان آتيهم بشهادات بطاركة الروم والارمن والسريان واليعاقبة والنساطرة حتى الاقباط والاحباش. . . ان ايمان الشرقيين في سر الوجود الافخارستي والاستحالة امر لا ينكره الّا المعاند حتى ان المسيحيين هناك اذا ارادوا ان يعيبوا الهراطقة من الفرنسيين ويبكتوهم يقولون لهم : انتم من الذين لا تؤمنون بالافخارستيا »

ولمَّا لم يرضَ الكلوينيون بكلام پيكات توصل هذا بعد اشهر الى الحصول على بعض شهادات بواسطة خلفه في حلب القنصل فرنسيس بارون وهي رسائل من بطريرك الارمن وبطريرك السريان ومن النائب البطريركي على الروم فحُفظت النصوص الاصليَّة في مكتبة دير القديس جرمانوس للرهبان البندكتيين في باريس وهــذا ملخَّص هذه الرسائل نكتفي بالتلميح اليها تباعاً حسب تاريخ صدورها نقلًا عن ترجمتها الاصليَّــة المطبوعة في كتاب « دوام اعتقاد الـكنيسة » معلِّلين النفس بالعود الى ذكر اصحابها في فرص اخرى ان مكنتنا الظروف

﴿ شهادة الطائفة السريانيَّة ﴾ تاريخها ٢٩ شباط ١٦٦٨ تحتوي ثمانية بنود ملخصها صدق عقيدة الوجود الافخارستي والاستحالة وحقيقة الذبيحة في القداس واكرام القديسين وصحَّة الكهنوت وسلطة الكنيسة في الامر بالقطاعة والصوم وحرم من عاند الحقّ . وهذا الاقرار موقع باسم اندراوس بطريرك السريان والمطران بهنام وعشرة كهنة من السريان . ويليهِ كتابة لفرنسيس بارون قنصل فرنسة وهولنــدة في حلب يشهد ان التواقيع المذكورة قد كتبت بمرأى منهُ في حلب

﴿ شهادة الطائفة الارمنيَّة ﴾ تاريخها اول اذار ١٦٦٨ (سنة ١١١٧ للارمن) في مدينة حلب ومضمونها كما في الشهادة السابقة سرّ الاستحالة والقداس وتكريم القديسين والكهنوت والصوم وحرم الهراطقــة الكلوينيين . امَّا التواقيع فهي للاساقفة عازاريا ويوحنَّا وغريغوريوس وستة كهنة مع اثبات حقيقة التواقيع للقنصل بارون

﴿ شهادة طائفة الروم ﴾ تاريخها ٤ حزيران ١٦٦٨ في حلب فيهــا يذكرون « ان بعض الكهنة المرسلين الافرنسيين الاجلاء جاؤوا الينــا يسألونا ان نبيّن لهم علناً ايماننا بشان سرّ القربان والاستحالة . . . الخ » . ويلي قولهم الاقرار بهذه العقائد . والشهادة موقعة بامضاء الخوري نيوفيتوس وكيل البطريرك الانطاكي مكاريوس وخمسة كهنة من الروم المقيمين بحلب

هذه هي الرسائل الاولى التي بلغت پيكات وهو عندئذٍ في ليون فبعث بها حالًا الى مؤلفي الكتاب الذي سبق ذكرهُ ثم ألحقها بعد مدة برسالة تاريخها ١٧ آب ١٦٦٨ قال فيها :

« ان اصحاب الشهادات بعضهم قد دخلوا منــذ امد قريب في حضن الكنيسة الكاثوليكية

وبعضهم لا يزالون على حالهم ترأف الله عليهم بنعمتهِ . لكني اوكد امرًا واحدًا وهو انهم متفقون اتفاقًا تامًا في ما شهدوا بهِ وكل احد منهم مستعد ان يشهد بهذه العقائد ويثبتها ولو كان مخالفًا للكنيسة الرومانيَّة او مبتعدًا عنها . وان ادَّعى احد ان اصحاب الرسائل كلهم خاضعون للكرسي الرسولي وجب عليهِ ان يقول ان المسيحيين في حلب او على الاقل كلّ الاساقفة والكهنة في هذه المدينة هم كاثوليكيون — وهذا جلُّ رغبتي الَّا انهُ ليس بصحيح — فان المرسلين رغمًا عن تعبهم وكدّهم الدائم منذ زمن طويل في هذه البلاد لم يكتسبوا الى الكثلكة الَّا القليلين من الروم والارمن . وكذلك بطريرك السريان فانهُ كاثوليكي مع نحو نصف طائفتهِ . وساحصل على شهادة من بطريرك الروم الانطاكي الذي يقيم تارةً في حلب وتارةً في دمشق امَّا الان فهو في بلاد المسكوب . وكذلك بطريرك الاسكندريَّة . . . »

ولم يكتفِ پيكات بهذه الرسائل لكنهُ سعى بواسطة خلفهِ القنصل بارون والمرسلين فتمكن من الحصول على شهادات جمَّة . وفي اثناء ذلك امر ملك فرنسة سفيره في الاستانة ان يطلب الى رؤساء الكنائس الشرقيَّة المقيمين في العاصمة ومن غيرهم شهادة ايمانهم في العقائد الجاري عليها الجدال . فبعث السفير الى ملكه بعدد منها كلها صوت واحد في صحَّة الايمان الكاثوليكي وفي نبذ البدع الجديدة ومنها رسائل عديدة لبطركي الروم القسطنطيني والاورشليمي والاساقفة اللاحقين بهما وتاريخ هذه الرسائل سنة ١٦٧١ و١٦٧٢ نكتفي بالتلميح اليها

❁ شهادة الطائفة المارونيَّة ❁ في ١٢ حزيران ١٦٧٣ بعث البطريرك اسطفان الدويهي بشهادة ايمان طائفته وهي طويلة لكنَّا نأسف لعدم حصولنا على نصها العربي الاصلي فنكتفي بتلخيصها نقلًا عن الترجمة الافرنسيَّة

فقد استهلَّ كلامهُ بآيةٍ بطرس هامة الرسل حيث قال: كونوا مستعدين دائمًا للاحتجاج لكل من يسألكم حجج الرجاء الذي فيكم (١ بطرس ٣: ١٥) . ثم ذكر افتراء الكلوينيين على كنائس الشرق وان السفير دي نوانتيل ارسل اليهِ المرسل اليسوعي الاب ميخائيل [نو Nau] للحصول على شهادة ايمانهم

وبعد هذه المقدمة فصلٌ ذكر فيهِ البطريرك العلَّامة ان الطائفة المارونيَّة كانت بلا انقطاع ولا تزال حافظة الايمان الصادق خاضعة للكنيسة الرومانيَّة امّ الكنائس . ثم ذكر في ١٥ بندًا ايمان الموارنة والطوائف الشرقيَّة خلافًا لمزاعم المبتدعين في شان الافخارستيا والذبيحة الخلاصيَّة (وهنا يذكر الدويهي انهُ عازم على نشر كتاب في القداس واظنهُ منارة الأقداس الذي نشرهُ

في مطبعتنا جناب الكاتب البارع رشيد افندي الشرتوني) والمناولة والكنيسة والصوم والايقونات وسرّ الاعتراف والكهنوت وتكريم القديسين وفضل العيشة الرهبانيَّة وختم هذا الشرح باقراره « انهُ وجميع الموارنة يقبلون ما تقبله الكنيسة الرومانيَّة ويرفضون ما ترفضهُ » . الى ان قال : « امّا الامم المسيحية المتفرقة في انحاء الشرق فانَّها تختلف في بعض الامور عنا وعن الكنيسة الله الجامعة الرسوليَّة لكنها تؤمن ايمانًا ثابتًا بالبنود الخمسة عشر التي سبق لنا ذكرها وذلك عن صدق سريرة وثبات جنان »

أُعطيت في قنوبين ١٢ حزيران ١٣٨٤ للاسكندر الموافقة لسنة ١٦٧٣ مسيحية

يلي ذلك توقيع البطريرك وتواقيع مطران العاقورة ومطران جبيل ومطران صيدا وتسعة من الكهنة . وبعد ذلك شهادة للشيخ نادر ابي نوفل الخازن قنصل فرنسة في بيروت ولفياض بن نادر الخازن وهما يقرّان بالتعليم عينه

﴿ شهادة البطريرك مكاريوس ﴾ ذكر بيكات رغبته في الحصول على شهادة هذا البطريرك الشهير وقد اسعدنا الحظ بالوقوف عليها في مكتبة باريس ولمَّا كانت الشهادة طويلة تملأ ٢٢ صفحة في الاصل وكان لها شأن لتبيان بعض المسائل الدينيَّة والتاريخيَّة آثرنا نشرها بالحرف في فرصةٍ أُخرى ان شاء الله

طرفة

في تاريخ الكنيسة بالحبشة

لجناب الصيدلي القانوني عبد الله افندي مخائيل رعد المتخرّج في مكتبنا الطبي (تتمَّة)

النيابة الرسولية في الحبشة والكالا

وحل الى الحبشة سنة ١٨٣٦ رحلةً علميَّة شابان افرنسيَّان من عائلة شريفة يدعيان « انطوان وارنو دي ابادي » وكانا اخوين غير ان العناية الالهيَّة اعدَّت احدهما انطوان الذي كان تقيًا ليكون مبشرًا متلمذًا ويسعى في امتداد ملك المسيح . وكان الاحباش

وخصوصاً الكالّا الوثنيون يجلّونهُ ويعتبرونهُ بالنظر لفضائلهِ واعمال الرحمة التي كان يجريها بينهم وطارت شهرته حتى الى بلاد الكافّا وكان الجميع يظنونهُ كاهناً فيأتونهُ زرافات طالبين اليهِ ان يباركهم وكانوا يدعونهُ « أبا ديّا » اي كاهن الاله

فلمَّا رأى انطوان اقبال الجمهور الوثني على اعتناق الديانة المسيحية عمد على ان يستدعي لهم المرسلين الكاثوليك فقال هذا الرسول العالميّ لرؤساء الكالّا : اذا اتيتُ بكهنة اجلّاء من البيض يعامونكم ويرشدونكم ويباركونكم كيف تعاملونهم ؟ فاجابوه كلهم : « نسكنهم بيوتنا ونذبُّ عنهم برماحنا ونعطيهم اراضي وعبيداً ومواشي ولكن بشرط ان يعرفوا القراءة والكتابة وان يعبدوا إلهاً واحداً » . فلبّى المرسلون دعوة انطوان الصدّيق واتوا اليهِ باسرع ما امكنهم وقام رؤساء الكالّا بوعدهم لانطوان

واوَّل من كان لبّى دعوة المسيو دي اَبادي لتبشير الحبشة المرسلون العزاريُّون الايطاليُّون . وكانوا ثلاثة رئيسهم الاب جوستين دي جاكوبيس وتزلوا في مصوَّع سنة ١٨٣٩ . ثمَّ اقتسموا بينهم العمل فرحل الواحد الى كوندر واحتلَّ الاب دي جاكوبيس (١ مدينة عدوى فقام ببشارة الانجيل احسن قيام وكان هذا الاب جليل الفضل سامي البرارة متلهباً غيرة للنفوس وكان الحبش يدعونهُ بالقديس وقد استمال اليهِ قلوب الاهلين فاعاد منهم الى حضن الكنيسة الكاثوليكية عدداً ليس بيسير وكان ملك تكره المدعو اوبيا ممَّن يُسَرُّون بتعاليمهِ ويعضدونهُ في عملهِ

وفي تلك الاثناء رقى قداسة البابا غريغوريوس السادس عشر الاب الفاضل غايوم ماسايّا (Massaïa) من رهبنة الكبوشيين الى درجة اسقف وسماهُ نائباً رسوليًّا على بلاد الكالّا وذلك في شهر نيسان سنة ١٨٤٦ وكان هذا الاسقف الصالح اوَّل نائب في الحبشة لممثل المسيح على الارض وكان ممتازًا بفضائلهِ وعُرف خصوصاً بدَعَتِهِ وحكمته وبساطته وصبرهِ ومثابرتهِ على العمل فجاء كفاتح عظيم لقلوب البرابرة . وبما ان منشئ هذه الرسالة المسيو دي اَبادي كان افرنسيًّا ومحبًّا جدًّا لدولتــه قامت فرنسة بنفقات الرسالة وقدمت للسيّد ماسايّا كل مطاليبه واحتياجاته امَّا الرهبان المساعدون لهُ فكانوا

١) وكان الاحباش يدعونهُ « يعقوب » كما انهم كانوا يدعون ايضاً السيـد ماساياً « ابونا ماسيًّا » . اما كلمة ابونا فهي لقب الاساقفـة في الحبشة وكذلك لقب أبًّا يُعطى في هذه البلاد للكهنة

في اوَّل الامر ايطاليّين وهم الآباء فاليشيشيمو وسيزاريو وجوستو ثمَّ من دول مختلفة حتى غلب عليهم العنصر الفرنسويّ وفي سنة ١٨٦٣ صدر بتاريخ ٧ كانون الثاني رقيم بابوي يقضي بان تكون الرسالة في بلاد الكالّا مؤلّفة من الفرنساويين فقط وهي كذلك الى يومنا هذا ودخل السيد ماساَيا مع المرسلين الجهة الغربيَّة من الكالّا والكافا وعلّموا وتلمذوا ومكثوا هناك مدة ثلاثين سنة بين ظهراني هاته الامم المرتشدة وبنوا كنيسة وسط الحقول وهكذا قضوا حياتهم بين جهاد وبشارة حتى توفاهم الله الواحد بعد الآخر فدفنوا في الكنيسة التي بنوها

ولم يزل الاب دي جاكوبيس ساعياً في التبشير مجدًّا في فلاحة كرم الربّ الى سنة ١٨٤٥. وكان في تلك الاثناء عاد الى اوربَّة ليوسّع نطاق الرسالة ثمَّ يجلب معهُ عَمَلةً جددًا فما كاد يرجع الى رسالتهِ حتى ثار على الكاثوليك اضطهاد عظيم وذلك انَّ بطريرك الاقباط كان ارسل الى الحبشة خلفًا لاسقفهم المتوفَّى معاديًا للمرسلين يدعى « ابونا سلامة الثاني » فأخذ يناصب الكاثوليك والمرسلين العزاريين حتى ألزمهم بالخروج من ديار الحبشة وشتَّت شمل المرتدّين

فبقي المرسلون يتنقَّلون من بلد الى بلد وهم ينتظرون الفرصة المناسبة لجمع رعيَّتهم. وفي اثناء ذلك رُقّي الاب جاكوبيس الى درجة الاسقفيَّة بامر الحبر الروماني. وسقَّفهُ سنة ١٨٤٨ السيد ماساَيا الذي كان اتى منذ زمن قليل الى بلاد الحبشة كما مرَّ. ومذ ذاك الحين قسم مجمع انتشار الايمان رسالة الحبشة الى قسمين او نيابتين رسوليَّتين: نيابة الكالّا وبلاد شوا تولّى ادارتها السيّد ماساَيا مع الكبوشيين ونيابة بقيَّة الحبشة عُني بهِ العزاريون

ثمَّ خمدت مدَّة ثائرة الاضطهاد بغيبة « ابونا سلامة » فانتهز المرسلون الفرصة الى ان يعودوا الى عدوى واخذوا يهتمّون بشؤون الكاثوليك اذ رجع ثانيةً ابونا سلامة ونصب للسيّد دي جاكوبيس المكايد حتى توصَّل الى ان يصدر عليهِ حكمٌ بالسجن وامَّا الكهنة اتباعهُ فضُربوا بالسياط وطُردوا قسوةً من كوندر. وفي هذا المقام يجدر بنا ان نقول كلمةً عن ابونا سلامة المذكور

كان هذا الانسان يرتزق في اسواق مصر ثمَّ ذهب والتجأ الى الانكليكان وبقي عندهم نحو سنتين في خلالها اراد هؤلاء ان يرسلوه كمبشر الى

الحبشة ولكن بالنظر لكثرة الصعوبات التي حالت دون اتمام رغبتهم توسطوا لهُ اولًا بالرجوع الى طائفته حتى قبلهُ البطريرك وسامه كاهنًا ثم بعد ذلك انتُخب على يدهم اسقفًا على الحبشة فسافر اليها مصحوبًا باموال كثيرة منهم وهدايا جزيلة للملك وقد اتفق معهم بان يكرز هناك بشيعتهم وهكذا حدث. واذ لم يرَ هناك من يعوقهُ سوى الاسقف الكاثوليكي المار ذكره والكهنة الكاثوليكيين فناصبهم واجتهد بابعادهم . ثم خلا لهُ الجوّ فاخذ يبث تعاليمه التي اتى لاجلها فهاج عليهِ الحبشة وملكهم ثيودوروس لمّا سمعوهُ يجاهر بالكلام ضدّ السيّدة العذراء وبعض القديسين. وقبضوا عليهِ وكبّلوه بالحديد وسجنوهُ في قلعة مكدلا حيث بقي الى نهاية حياته وأُطلق سراح السيد دي جاكوبيس

غير ان الاسقف سلامه لم يخلُ في ايام سجنه من انصار كانوا يأتون اليهِ سرًّا ويتشربون من كلامه بغضًا وحنقًا على الكاثوليكيين فعملوا مكايد للسيد ماسايا حتى انهم اوشكوا يومًا ان يقتلوه بينما كان صاعدًا للبشارة في احد جبال التكرِه لكنَّ ارفاق هذا السيد علموا بالفخ المنصوب فربطوا حقويه بحبل وانزلوه سريعًا وخفيةً الى الوادي فاختبأ ومن هناك جاهد ومشى اياماً وليالي حتى وصل مصوَّع حيث ركب البحر واتى عدن فاستقبلهُ فيها القنصل الفرنساوي المسيو دكوتين (Mr Dégoutin) وطيب خاطره وابقاه عنده

واهتمَّ السيد ماسايا ابّان اقامتهِ في عدن في توسيع نطاق الرسالة الكاثوليكيَّة هناك وساعدتهُ على ذلك الحكومة الانكليزيَّة اجابةً لرغائب عسكرها الارلنديين الكاثوليكيين وبنت كنيسة جميلة ومدرسة للرسالة حيث يعلِّم المرسلون اولاد المالطيين والهنود والوطنيين الغوانيين وغيرهم المقيمين في هذه البلدة وضُمّت رسالة عدن الى النيابة الرسوليَّة الحبشيَّة حتى سنة ١٨٨٢ . لكنَّ السيد المشار اليهِ لم يبرح مع ذلك ذكر اولاده في الحبشة نصب عينيهِ وعانى مرات عديدة الأتعاب والاخطار في العودة الى الحبشة فلم يتمكّن من ذلك لانَّ اعين انصار سلامه كانت لهُ بالمرصاد. واخيرًا تزيّا بزي التجار واتى متخفيًا حاملًا بعض الاقمشة الى التكره محفوفًا بالمشقات وقد اضنكهُ المشي وكان ذلك سنة ١٨٥٢ وسمّى نفسهُ جورج باروترلي وهكذا توصل الى الرجوع فيما بين ارفاقه في جهات الكالّا وكان قد عام بذلك المرسلون فاوفدوا الاب جوست

ليفتش عنهُ قبل وصولهِ فتعرَّض انصار سلامه لهذا الاب على الطريق وارسلوه مكبَّلا الى السودان حيث اعترتـهُ الحمَّى الحبيثة وتوفَّاه الله على اثر هذا المرض في مدينة الخرطوم. ولهذا المُرسل قاموس فرنساوي حبشي لم تزل نسختهُ الخطيَّة محفوظة في مكتبة مجمع انتشار الايمان برومية العظمى



السيّد دي جاكوبيس العازاريّ رسول الحبش

وفي هذه الاثناء جاء الى الحبشة مُرسل فرنساوي من رهبنـة العازريين لكنهُ قتل قبل وصوله الى بلاد الكالا ومات شهيـدًا وذلك في بلدة ماتاما سنة ١٨٥٤. وكذلك الاب لاون الساڤوازي بقي تسع سنين تائهًا من مكان الى مكان على شواطيء البحر الاحمر والبحر الهندي ولم تنجع لهُ وسيلة لقطع القفار الصومالية القائمة بين المرافئ والحبشة فاضطرَّ اخيرًا الى ان يُبحر الى جزائر السيشل والى الزنجبار حيث أسس الرسالة

الكاثوليكيَّة هناك وسلّمها لآباء رهبنة الروح القدس ثمَّ تمكَّن من الرجوع الى الكالا وقضى بقيَّة ايَّامه في رسالة الحبشة التي كانت قد ازهرت واتت بثمار شهيَّة لان نور التعاليم الحقيقيَّة كان قد سطع في جهة الكالا



الكردينال ماسايا رسول الكالا

وذلك انَّ المرسلين بعد ان زرعوا مدَّة طويلة بالنَّصَب والكدّ جعلوا يحصدون بالفرح واصبح السيد ماسايا ورفقتهُ ليس فقط معلمين ومعمدين بل ايضاً كقضاة لفكّ مشاكل الشعب وكان الكل يرضون بحكم السيد المشار اليهِ الممتلئ من الحكمة. حتى انهُ في بلدة ساكا من مقاطعة الكالا حيث كان مقر النيابة الرسوليَّة كانت الحكومة نفسها تضرب على الطبول في كل يوم صباحاً قبل وقت القداس الالهي لكي تنبِه المسيحيين ان قد حان وقت الصلاة (لعدم وجود اجراس في هذه البلاد). ولمَّا فشا مرض الجدري في ذلك الاقاليم ارسل السيد ماسايا فاستحصل من

فرنسة على كمّية من انابيب المطعوم وقام بنفسه بتطعيم الاولاد والمرضى بعد ان ارسل كل رهبان الرسالة الى الجهات للخدمة نفسها فتقلّص هذا الداء سريعاً من الاقليم وزادت محبة هذا الطبيب الصالح في قلوب الاهالي حتى ان كثيرًا من الامراء والرؤساء جاؤوا الى السيد المذكور واعتمدوا من يده وكان قد رقّى ايضاً الى درجة القسوسيّة عددًا وافرًا من الاحباش والكالّا وارسلهم الى القرى ليقوموا بوظائف الكهنوت. واذ قد دعت هذا الحبر الجليل اشغال الرسالة للاتيان الى اوربّة قبض عليهِ في الطريق جماعة من مضطهدي الكثلكة وغلّاوهُ بالحديد واتوا بهِ الى الامبراطور ثيودوروس الذي عرفهُ وتعجب من دعتهِ وحكمة اجوبتهِ فاطلقهُ من الاسر واكرمهُ كثيرًا وارسل معهُ قافلةً مؤلفة من عساكر وخدام ليصحبوه الى المرفأ البحري (١. وقبل سفره طلب اليهِ الامبراطور المذكور ان يباركهُ ويبارك عائلته وجيشه ففعل ذلك هذا الحبر الصالح بكل سرور

وبعد سفر السيد ماسايًا الى اوربّة حدثت ثورة في الحبشة ساعد فيها الانكليز امراء الحبشة على الامبراطور ثيودوروس للآرب لهم فهلك هذا النجاشي وتبوّأ سرير المملكة الامبراطور « سلاح سلاسيّة » جد النجاشي الحالي من العائلة السليمانيّة وظهر حينئذٍ منليك ابن ابنه « هايلو ملكوت ». وكان هذا الشاب مختفياً من وجه ثيودوروس يعيش متنكرًا ويدعو نفسهُ « سلاح مريم ». فقلدهُ جدهُ ملك مقاطعة الشوا تحت سلطتهِ فاظهر فيها حلماً وحكمة وشجاعة وميلًا للمرسلين الكاثوليكيين. ومما يذكر عنهُ كتاب ارسلهُ الى السيد ماسايًا الذي كان وقتئذٍ بعرسيلية مشتغلًا بامور الرسالة واليك ترجمة الكتاب بالحرف الواحد

« كيف صحّتك؟ اتمنّى لك عافية جيدة. امّا انا فان صحتي حسنة وكذلك اهل بيتي. وصلني كتابك والبُرنس الذي ارسلتهُ لي. انا احبك بالمحبة نفسها التي انت تحبني لذلك اشاء ان تحضر الى مملكتي باسرع ما يمكنك. قد ارسلت رقيماً الى صديقي ابي بكر (١ لكي يهتمّ بامر

(١) قرأنا مطوّلًا في مخطوطات السيد ماسايا وارفاقه عن كيفية اسرهم والمذابات التي لاقوها من مضطهديهم ووصولهم الى حضرة الامبراطور وكذلك قد اطّلعنا على الاسئلة التي طرحها عليهم هذا الملك واجوبة السيد السديدة لهُ وكيف عرفهُ لما كان قائدًا على ايام سالفه الراس علي والامكنة التي اجتمعوا فيها سويةً الى غير ذلك من التفاصيل التي لا يسعنا المقام هنا على ذكرها مطوّلةً

سفرك باسرع ما يمكنهُ. ومتى اوصلك الرب سالمًا الى مملكتي فاننّـا نتحدث سوية عمّا نريده انا واياك. قد ارسلت الى المرفأ رجلًا اعتمد عليهِ (٢ فهو ينتظرك ويفيدك عن جميع ما تسألهُ اياهُ وكذلك يطمنك عن صحتي وصحة اهل بيتي. فليطل الله حياتك

(محل الختم)
اسد سبط يهوذا المنتصر
منليك (٣ ملك الشوا



النجاشي منليك الثاني ملك الاحباش

فاجابه السيد ماسايا حالًا الى طلبه وسافر برفقة عدد من المرسلين الكبوشيين الذين انتقاهم من اعلم الرهبان واجزلهم صبرًا على المشقات والينهم عريكةً ومنهم الاب تورين (P. Taurin) حتى اتوا زيلع ومنها سفّرهم ابو بكر الى ليشه عاصمة الشوا

١) ابو بكر كان امير زيلع وتجُرَّه وكان منليك ملتزمًا بصداقته كي لا يقطع عن الشوا طريق القوافل والمسافرين

٢) هذا الرجل هو من اتقى الاحباش الكاثوليك اسمهُ « أتُو مرشا » وهو اليوم حاكم دريداوا وقد عرفناه بنفسنا لمّا كنا في هذه البلدة

٣) تعريب كلمة منليك: « من هو مُعادلي »

التي وصلوها في ٦ اذار سنة ١٨٦٧ بعد ان قاسوا في طريقهم من الحرّ والظماء والأتعاب ما يطول شرحهُ فاستقبلهم منليك استقبالًا ملكيًا في بلاطه واعطاهم مؤونةً وقام بكلّ حاجاتهم ومن هناك ذهبوا الى الكالا . وبعد ذلك استدعى الملك السيد ماسايا واعطاه بالقرب منهُ في فنفيني (وهي اديس ابابا الحاليَّة (١) مركزًا جميلًا ليشيد هناك بيتًا للرسالة فقبل ذلك هذا الحبر الجليل بتشكر ورقّى الاب تورين المذكور الى درجة اسقف واقامه هناك ففلح بنشاط كرم الرب واستمال اليهِ القلوب حتى انهُ بمدّة وجيزة ضمّ الى الكنيسة الكاثوليكيَّة عددًا كبيرًا من السكان وكثيرًا من الاكليروس الحبشي الاوطيخي وكاد الملك نفسهُ ان يعتنق الديانة الكاثوليكيَّة لولا خوفهُ على مقامه في المملكة من ان يُطرد من الاحباش لكنهُ كان ميَّالًا جدًّا للمرسلين وكل الشعب الكاثوليكي وكان يجتهد بكل ما يمكنهُ من الوسائط لكي تعمّ الكثلكة في الشعب ولا يعود على احدٍ خوف من اعتناقها . وفي هذا العهد ذهب اثنان من الكهنة المرسلين وهما الاب داماسين والاب الكسيوس للرسالة في الجهات الحبشيَّة المجاورة للسودان غير انهما لاقيا من المتاعب وسوء المناخ ما اضرَّ بصحتهما فتوفيا بالحمّى في تلك السهول الموبوءة وكانت وفاة الاوَّل سنة ١٨٧٦ والثاني سنة ١٨٧٧

لم يجلس سلاح سلاسيه على عرش الامبراطوريَّة الحبشيَّة مدة قليلة حتى قام اهالي التكره وتحاملوا على اهالي الامحرا فغلبوهم واقاموا بدلًا من سلاح سلاسيه « أتي يوحنس » التكري امبراطورًا فخاف حينئذٍ منليك ملك الشوا وجمع تحت سلطته كلّ اهالي الكالا والشوا واراد ان يقاتل بهم الامبراطور الجديد ليأخذ بثأر جدّه غير ان الظروف لم تمكنهُ من ذلك . فطغى يوحنس وبغى واضطهد الكاثوليك والمرسلين والزم منليك بابعاد الرهبان من مقاطعته فاستدعى هذا الملك السيد تورين قائلًا لهُ : « ان الامبراطور قد عزم بان يرسلهُ ورهبانه الى اوربَّة مندوبين من قبله لمهامّ تخص المملكة ففهم هذا السيد قصد الملك وتأهب مع ذويه للرحيل من بين قطيع الرب الذي تعبوا بحراسته ووعدهُ منليك بانهُ يحافظ على الكاثوليك الوطنيين الى ان تسمح لهُ الظروف باعادة الرسالة الى حالها . واذ سافر كل رجال الرسالة بعث

---

(١) اديس ابابا اي الزهرة الجديدة

الامبراطور يوحنس رقيباً سرّيًا الى قائد حملتهم بان يأخذهم الى جهـات السودان من الطرقات الاكثر وعورةً واقل ماء وافسد هواء حتى يهلكوا تحت ثقل الاتعـاب والعطش وتميتهم الحمّى الصفراويّة الضاربة اطنابها في تلك المقاطعة . فلم يصلوا الى كسلا على ظهور الجمال حتى اضنكتهم الحمّى فاستقبلهم هناك في بيته رجل مثرٍ من السوريين الموارنة وادّى لهم بكرم ما يحتاجون اليـهِ من وسائل الراحة والعلاجات لاسترجاع صحتهم وقواهم . ولكن توفي منهم مع ذلك ثلاثة من الرهبان بالحمّى وكان اذ ذاك السيد ماساّيا قد تقدم في الشيخوخة اذ ان سنيه قد بلغت السبعـين وكانت قد هدّت قواهُ الأتعاب مدّة ٣٥ سنة من رسالتهِ . ولمّا جاء رومة (سنة ١٨٧٩) انعم عليهِ قداسة البابا لاون الثالث عشر المثلث الرحمات بارجوان الكردينال وهكذا قضى آخر سنيّ حياتهِ معتزلًا منصبًا على العبادة والاصوام كناسك حتى توفاه الله في عاصمة الكثلكة في ٦ آب سنة ١٨٨٩ . وقد زار ضريحهُ سعادة الراس مكونين عند زيارته هذه العاصمة موفدًا من قبل نسيبه النجاشي منليك الثاني

وبعد دعوة السيد ماساّيا الى رومة سمّي السيد تورين نائبًا رسوليًا على بلاد الكالا سنة ١٨٨٠ فعاد وصحبتهُ مرسلون جديدون ركب معهم متن البحار في مرسيلية الى عدن ومنها اتوا هرر عن طريق زيلع فوصلوهـا في ١٨ آب سنة ١٨٨١ وفُتحت لهم ابواب هذه المدينة بتوصية من خديوي مصر كان قد اعطاها للسيد تورين (لان هرر صارت تحت نظارة المصريين بعد موت اميرها نور) غير ان هذا القطيع الانجيلي بقي في هذه المدينة مدة ست سنوات في حالة الضنك المتواصل ولم يتمكن من انشاء بيت للرسالة لا بل في سنة ١٨٨٦ اصدر امير هرر(١ امرًا بقتل السيد تورين ارضاء لرئيس اساقفة الاحباش الاوطيخي وبنفي الكهنة اتباعه غير ان والدة الامير توسطت عند ابنها فألغى هذا الامر وابدلهُ بنفي الرسالة الكاثوليكيَّة فقبل الامير توسلات امهُ واضطرّ المرسلون بان يخرجوا من المدينة عائدين الى زيلع واميرها ابي بكر الذي مرّ ذكرهُ . ولكن بعد ذلك عاد ثلاثة من هؤلاء المرسلين وهم الاب لويس الغوتزاغي المعاون للسيد تورين

١) هذا الامير حي الى اليوم معتزل بهرر في دارِ بنتهُ عائلتهُ وقد نظرتهُ مرات يتنزه على سطح الدارة المجاور للمستشفى وحادثتهُ فالفيتهُ فقيهًا . واسمهُ عبد الله وهم يقولون عبد اللاهي (Abdullaï)

والاب يواكيم والاب فردينان متردّين باثواب العامّة فدخلوا الشوا حتى وصلوا الى الملك منليك. ولمّا علم برجوعهم الامبراطور يوحنس تهدّد منليك بان ينزع عنهُ الملك ان لم يطردهم فاطاع هذا الملك امر مولاه وارجعهم مرغوماً بتجلة واكرام الى حيث اتوا. ورقي بعد ذلك الاب لويس المذكور الى الدرجة الاسقفيَّة وعُيّن نائباً رسوليًا على عدن

ثم حدث ان في ٦ ك ٢ سنة ١٨٨٧ مشى منليك بعسكره ليسترجع مدينة هرر من يد عبد اللاهي فانتصر في موقعة تشالانكو على مسير يومين من المدينة التي استرجعها تحت حكمه وكان وقتئذٍ الراس مكونين قائدًا فرفعهُ الى درجة راس وسلّم اليهِ ولاية المدينة وكل المقاطعة اللاحقة بها ولم تزل تحت امرته الى اليوم. وفي تلك الاثناء هلك الامبراطور يوحنس في موقعة حصلت بينهُ وبين المهديين في جوار السودان وخلفهُ منليك ملك الشوا على السدة الامبراطوريّة تحت اسم منليك الثاني فانتهز هذه الفرصة السيد تورن وعاد الى هرر حيث استقبل على الرغد والراحة وأُعطي لهُ محلٌّ لائق لبناء دير الرسالة

وكان بودّ منليك لمّا علا السدة الامبراطوريّة ولم يعد عليهِ من رئيس اعلى ان يعتنق الديانة الكاثوليكيَّة ولكن حالت دونهُ عوائق شتَّى واكبرها تعصب امرأته الامبراطورة « تايتو » وبغضها للكاثوليك ولعموم جنس الابيض فبقي يعقوبيًّا غير انهُ اعطى الحرّيّة التامّة للمرسلين الكاثوليك في جميع انحاء مملكته وامر ببناء دير للراهبات في هرر فبني هذا البيت على احسن هندسة بالنسبة لبيوت هرر وأُتي من مدينة كالي من اعمال فرنسة براهبات فرنسيسكانيات فأسكنهنَّ البيت الذي أُعدّ لهنَّ واخذنَ بتعليم البنات وخدمة المرضى

وهكذا لم تزل الرسالة الكاثوليكيَّة الى اليوم تنمو وتزهو ولا معارض حتى ان عدد الكاثوليك في الحبشة كل يوم يكثر ويزيد. وقد اظهر السيد تورين النائب الرسولي همّة وغيرة عظيمتين. واذ بلغ سنة ١٨٩٨ في مدينة هرر السنة الخامسة والعشرين من اسقفيته عيّدت لهُ الرسالة مع الشعب الكاثوليكي عيدهُ الفضي وارسل لهُ الامبراطور منليك الثاني كتاب تهنئة بهذه المناسبة وكذلك انعى لهُ المسيو لاكارد الذي كان وقتئذٍ حاكمًا على مستعمرة أُبخ بنوط جوقة الشرف من درجة ضابط. وبعد هذا العيد دعتهُ دواعي الرسالة للمجئ الى فرنسة فتوفاه الله في دير الكبوشيين بمدينة كاسون في

اليوم الاول من شهر ايلول سنة ١٨٩٩ وخلفهُ على سدة النيابة الرسوليّــة في الحبشة السيد اندراوس جاروسّو فارسل الامبراطور منليك كتابًا الى الرسالة في هرر اعرب فيهِ عن اسفه على وفاة السيد تورين وكذلك ارسل رقيمًا الى السيد جاروسّو بفرنسة يهنئهُ بالمنصب ويؤكد لهُ محبته للكاثوليك ويعطيه ملء الحريَّة ليبشر ويتلمذ في كل انحاء الحبشة (١). والسيد المشار اليهِ محبوب جدًّا من الاحباش وصديق حميم لسعادة الراس مكونين . وقد زار مرارًا الامبراطور الذي استقبلهُ بكل بشاشة وانس واعطاه في كل مرَّة جوازات لهُ ولرهبان رسالته ليتجولوا ويبشروا حيث شاؤوا في انحاء الحبشة مع تواص لرؤساء الاحباش في كل محل تطأهُ ارجلهم

امَّا الرسالة فقد تقدمت كلَّ التقدم على ايَّام السيد جاروسو وقد أُسست الرهبنة بهرر في ايَّام رئاسته وتحت حماية الراس مكونين مدارس للصبيـــان والبنات وميتم للجنسين ومستوصف للبرص واحضرت اخوة من رهبنة القديس جبرائيل لتعليم الاحداث في هرر وجيبوتي التابعة للابرشيَّة . وكذلك أُسست محطات للرسالة في انحاء كثيرة . والآمال منعقدة على زيادة تقدّم الكنيسة الكاثوليكيَّة في الحبشة بغيرة وكفاءة هذا الحبر الجليل اطال الله ايام رئاسته

هذه خلاصة اعمال رسالة الآباء الكبوشيين في الگالا التي اضيفت اليها في سنة ١٨٩٥ النيابة الرسوليَّة في مستعمرة البحر الاحمر الايطاليَّة . امَّا رسالة العازاريين فانَّها تقلَّبت بين اطوار مختلفة فانَّ السيّد دي جاكوبيس بعد اتعاب وهموم لا تُحصى مات سنة ١٨٦٠ موت اولياء الله وكان رجَّع الى الايمان نحو ٥٠٠٠ من الحبشة : ثمَّ جاهد اخوتهُ من بعدهِ الجهاد الحسن في سبيل الخير وصــبروا على كلِّ البلايا والمحن وممَّن اشتهر بينهم باعمالهم الخطيرة السيد توڤيار (Touvier) من سنة ١٨٧٤ الى ١٨٨٩ . ومذ تملُّك منليك على الحبشــة عاد المرسلون بغيرة جديدة الى مشروعاتهم الخيريَّة في الاكروا والتكره يساعدهم فيها راهبات المحبَّــة اللواتي يجدّدن هناك عجائب اعمالهنَّ المبرورة من تربية اليتامى وتهذيب البنات والمدارس الصنـــاعيَّة الى غير ذلك . ويبلغ اليوم عدد الحبش الخاضعين للسدّة الرسوليَّة نيّفًا وخمسين الفًا زادهم الله عددًا وفضلًا

(١) وقد افادنا البريد الاخير انَّ منليك ارسل رقيمًا الى قداسة الحبر الاعظم بيُوس العاشر يهنئهُ بجلوسهِ على السدَّة البطرسيَّة خلفًا للبابا لاون الثالث عشر .

في التاريخ الشعري
وتواريخ المنسنيور يوسف العلم

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعي

اطّلعنا على جملة تواريخ شعريّة نظمها سيادة المنسنيور يوسف العلم فسبكها سبكاً حسناً بلا تعسُّف ولا تكلُّف واودعها معاني لطيفة مبتكرة فرأينا ان ننشرها لقرّائنا الكرام تفكيهاً لألبابهم وشحذاً لقرائحهم. ونقدّم عليها فصلاً وجيزاً في التاريخ واصلهِ وشروطهِ زيادةً في الافادة فنقول:

﴿ تعريف فن التاريخ الشعري ﴾ معلوم انَّ ترتيب حروف الهجاء كما هو اليوم في العربيَّة مستحدث امَّا ترتيبها الاصلي فباقٍ في اللغات الساميَّة القديمة كالفينيقيَّة والعبرانيَّة والسريانيَّة لا بل في اللغات الهندوجرمانيَّة كاليونانيَّة واللاتينيَّة. يوافقهُ في العربيَّة ترتيب الابجديَّة

ثم ان في تلك اللغات لا تفيد حروفُ الهجاء تركيبَ الألفاظ فقط بل تُتَّخذ ايضاً للارقام الحسابيَّة منها افراد « ابجد هوز حطّي » ومنها عقود « كلمن سعفص » ومنها مئات من المئة الواحدة الى المئة الرابعة « قرشت » . وكذلك الابجديَّة فانَّ العرب طالما استعملوها بصفة اعداد. ولمَّا كانت حروف لغتهم تزيد على لغات اولئك ستَّة حروف اردفوها بالابجد فركَّبوا منها كلمتين دعوها الروادف « ثخذ ضظغ » عدُّوا بهما المئات الى الألف وهذا الحساب يُدعى عندهم الجُمَّل اي حساب حروف الهجاء. وهو قديم جدًّا كما ترى في مخطوطات ترقى الى القرن الثالث للهجرة . وهذا الحساب كان شائعاً بين العرب في اوائل الاسلام الى ان استبدلوهُ بالارقام الهنديَّة

الَّا ان العرب لم يكتفوا باتخاذ حروف الهجاء كارقام حسابيَّة وانَّما ركَّبوا حروف الجُمَّل تركيباً دقيقاً يُستفاد منهُ معنًى فضلًا عن التاريخ الحسابيّ وقد دعوا ذلك بالتاريخ الحرفيّ وعرَّفوهُ بقولهم انهُ « هو ما دلَّ على ابتداء زمن بطريق جمل حروف معدودة او ما في معناها » . ثم ادخلوهُ في شعرهم فجعلوهُ فنًّا قائماً بذاتهِ دعوهُ التاريخ الشعري ونظموهُ في انواع البديع

﴿ اصلهُ ﴾ لم يعرف الزمان الذي جعـل فيهِ العرب يتّخذون الألفاظ كدلالة على تاريخ معلوم. قال الابياري في سعود المطالع (٢ : ٢٦٤) : « قد رأيتُ في بعض التواريخ ما يقتضي انهُ كان مستعملًا في الجاهليّة الاولى عند شعرائها » لكنّهُ لم يأتِ على ذلك بشاهدٍ يؤيد قولهُ. واقدم ما وجدنا في ذلك ابيات ذكرها عماد الكاتب في الخريدة لابي عبـد الله سعد الدين الحسين الشهير بابن شبيب قالها في المستنجد بالله لمّا تولّى الخلافة سنة ٥٥٤ (١١٥٩ م) وختمها بتاريخ. فقال

اصبحت « لبّ » بني العباس كلهم ِ ان عُدّلت بحروف الجُمَّل الخُلَفا

اراد انّ المستنجد هو الثاني والثلاثون من الخلفاء العبّاسيين وانّ هذا العـدد متضمّن في جُمّل « لبّ »

ثم انتشر هذا الفنّ وشاع بين الشعراء وتقرّرت شروطهُ وتعيّنت انواعهُ. حتى انهُ لم يَجْرِ في القرون المتأخرة امر ذو بال دون ان ينظم لهُ بعض الشعراء تاريخًا

واوّل من نظم التاريخ في انواع البديع الشيخ عبد الغني النابلسي فظنّ البعض انهُ هو مخترعهُ. وليس الامر كذلك لانّ للشعراء ابياتًا تاريخيّة عديدة قبل عهدهِ. وقد اقرّ هو بنفسهِ صريحًا انهُ ليس هو مخترعهُ حيث قال في شرح بديعيّتهِ المعروفة بنفحات الازهار (ص ٤٩٥) : « هو (اي التاريخ) نوعٌ اخترعهُ المتاخرون ولهم فيهِ العجب العجاب وقد ادرجتهُ في فنون البديع لعلوّ مراتبه وسموّ مناقبهِ ولطافة مسلكهِ وطلوع شمس البلاغة في اوج فلكهِ » ثم عرّفهُ بان قال : « هو عبارة عن ان يأتي الشاعر او المتكلم بكلمة او كلمات اذا حُسبت حروفها بحساب الجمّل بلغت عدد السنة التي يريد المكلّم من تاريخ الهجرة » وكذا قل عن تاريخ النصرانيّة وعرّفهُ آخر بقوله « هو ان يأتي بعبارة تشير الى جمع جمل حروف بطريق صحيحة الاوضاع مقبولة عند الطباع »

﴿ شروطهُ ﴾ قد اشترط اصحاب هذا الفنّ عدّة شروط لضبطهِ وحُسن وضعهِ. منها ان يتقدّم على الفاظـهِ لفظ « ارّخ » او « ارّخوا » او ما دلّ على التاريخ : واذا تصرّف الشاعر في تقديم او تأخير او زيادة بعد لفظة التاريخ اشار اليـهِ لئلّا يستغلق على القارئ. كقول بعضهم في تاريخ بستان :

بجنيك تاريخ اتى ضبطـهُ « بستان بسط باهرٌ زاهرُ »

فلم يحسب في التاريخ قولهُ « اتى ضبطهُ ». وقال الآخر وقد قدَّم كل كلمات التاريخ على لفظهِ:

فتحنا العراق وذا اللفظ من رشاقتهِ جاء تاريخهُ

ومن شروطهِ ان لا يكون في بيتين بل في بيت واحد وهو لا يتناول في الغالب سوى عجز البيت او قسماً منهُ. ومنها انَّ الحروف تحسب على صورتها دون مراعاة لفظها فتحسب مثلاً الف « فتى » ياء وتاء التأنيث المنقَّطة تاء وغير المنقَّطة هاء ولا يحسب المشدَّد الَّا حرفاً والهمزة التي لا كرسيّ لها لا تُحسب شيئاً ويحسبون الف الاطلاق وهلم جرًّا

﴿ خواصهُ ﴾ وللتاريخ خواصّ وصفات اهَّلتهُ لأن يُجعل في انواع البديع. وعليهِ فانَّ الذوق السليم يمجُّهُ اذا كان حشوًا بلا معنًى او كان متعقّدًا او لم يرتبط بما قبلهُ. واحسنهُ ما كان فيهِ فائدة تاريخيَّة كقول ابن المبلّط في جلوس السلطان الغازي سليم الثاني سنة ٩٧٤ هـ (١٥٦٦ م)

تولَّى مليك العصر وابنُ مليكهِ بعزّ وتأييدٍ ونصر وسلطانِ
ودولة ملك قلتُ فيها مؤرخاً « سليم تولَّى الملك بعد سليمان »

وربَّما دلَّ على صفات المؤرّخ او بعض احوالهِ كقول بعضهم في آخر ابيات وصف بها تجديد سور عكَّا على يد الشيخ ظاهر العمر

لمَّا بناهُ الشيخ ظاهر عَنْوةً اعناهُ تاريخي « بناهُ ظاهر »

ويستحبُّ فيهِ ان يدل على نكتة ادبيَّة او فكاهة او حكمة. وهو مع ذلك منسجم الألفاظ مؤتلف المعنى خالٍ من كلّ هجنة. وقد مرَّ في المشرق امثال من ذلك نحيل اليها القرَّاء في تراجم الشعراء الياس اده وميخائيل البحري ونصرالله الطرابلسي وارسانيوس الفاخوري. امَّا التواريخ التي نظمها سيادة المنسنيور يوسف العلم فهي جامعة كل هذه الخواص ويغني تدوينها عن وصفها ونذكرها على حسب زمن تاريخها

تاريخ للطيب الأثر المطران طوبيا عون مطران بيروت

ماتَ الرحومُ وعونُ الدهرِ وا أسفي فضُمَّ في الرمس ضمَّ الدُّرّ في الصدفِ
من سادَ في الدين والدنيا فاورثنا عينَ السعادةِ في أعلى ذُرى الشرف
مذ سار للمجد رافائيلُ ارَّخهُ « انا الخفيرُ لطوبيَّا فلم يخفِ » ١٨٧١

تاريخ للطيب الشهير الشيخ شيبان الخازن

نفذَ القضاء فيا عشيرةَ خازنٍ صبرًا وفي ايّ الورى لم ينفذِ

شيبانُ ماتَ فأرخوا بوفاته ماتَ المُداوي والمُداوَى والذي... ١٨٧٢

تاريخ المرحوم فرنقو باشا متصرف لبنان المدفون جسدهُ في مدفنه الخاص في الحازمية من لبنان

يا آلَ لبنانَ قد اودعتكم جسدي والحبُّ يودع في ترحالهِ أثرا
انا فرنقو وباشا كنتُ بينكمُ ومضجعي ههنا يُبقي لكم خبرا
فوتُ مَن سلفوا وعظٌ لمن خلفوا وعبرة تلك سعدًا للذي اعتبرا
تبايَن الناسُ في الدنيا وغايتُها ارخ تسوّي الورى في الرمس طيّ ثرى ١٨٧٣

تاريخ للمرحوم يعقوب ثابت الذي دُفن في مدفن والده يوسف ثابت في عين سعاده

سقاك الحيا يا رمسَ يعقوب كلّما بكى العصرُ ذا فضل بهِ كان يفخرُ
بني ثابت لا تندبوا فقد والدٍ بانجالهِ الاخيار ما زال يُنشَرُ
ثوى مع ابيهِ طيَّ رمسٍ حسدتهُ على دُررٍ في باطن الارض تُطمرُ
تضمُّهما عينُ السعادة ارّخوا وعهدَ لِقا يعقوبَ يوسف تذكرُ ١٨٨٠

تاريخ للمرحوم ارسانيوس كور الذي كان من القضاة الشهيرين بالعدل

قضى من كان قاضي العدل عمرًا لهُ في كل محكمةٍ شهودُ
توقّد في حشا البترون كورٌ وهبَّ بسائر الاحشا وقودُ
على ارسانيُسٍ رَحماتُ ربّي تجودُ فكان للمضنى يجودُ
عدانا تاركًا ذكرًا جميلًا ونجلًا ذكرَ والدهِ يُعيدُ
سألناهُ لحكم الموت فيهِ رددًا علَّ منها نستفيدُ
على شفة المؤرخ قال ويحٌ قضاء الموت ليس لهُ ردودُ ١٨٨٢

تاريخ كنيسة حيفا التي بناها على اسم القديس لويس الملك سليم وابرهيم نصرالله الخوري

لويسُ في الدين والدنيا مآثرهُ والبرُّ والبحرُ من احكامهِ انتفعا
للذكر من آل نصرالله هيكلهُ هذا سليمٌ وابرهيمُ قد رفعا
في ظل سلطاننا عبد الحميد نرى كلًّا بمعبدهِ لهُ يُقيمُ دُعا
قد صحَّ ما قيل والتاريخ شاهدهُ ما احسن الدين والدنيا اذا اجتمعا ١٨٨٩

تاريخ للمرحومة صابات اصفر امرأة ايوب ثابت والدة سليم بك ثابت

بكينا المكرمات على بُكاها كريمةَ اصلها كرمَ الفعالِ
لفجعةِ ثابتٍ شُقّت صخورٌ ولوعةُ اصفرٍ في كل بالِ

ففيها لم يجد أيوب صبرًا ولم يسلم سليمٌ من نصالِ
اليصابات اهداهــا سلامًا فمُ العذراء جامعة الكمالِ
ولو كلٌّ بذا التاريخ اهــلًا لفُضلتِ النساء على الرجالِ ١٨٩٤

تاريخ لكنيسة مار جرجس الكاتدرائية في بيروت

كنيسةَ الحقّ لا تخشَيْ مقاومةً من الجحيم فان الله بانيــكِ
وانت بيروت هل فاتتكِ مأثرةٌ من الاماني عهدَ الدبس راعيكِ
بنى سليمانُ للرحمــانِ هيكلهُ وحبرنا شادَ هذا في مبانيكِ
في ظل سلطاننا عبد الحميد نرى معاهد الدين تعلو في تعاليكِ
فسبِّـحي الله مولانا بمقدسـهِ
وهل سوى الدين في الاهوال واقيكِ
على فم الحوت ارَّخنا شواهدهُ لوذي بجرجس رب الرمح حاميكِ ١٨٩٥

تاريخ لراجي السعد بن فؤاد غندور بك السعد مع الاشارة الى عائلته

غندور عز اراكَ الحظُّ اربعةً من البــدور تردُّ الارض افلاكا
في طالع السعــد هيَّا الله مطلعهم والسعــد رافقَ مسعاهم ومسعاكا
فرّحْ فؤادكَ فيهم فالحبيب يرى من النجيب مرامًا مثل مرآكا
تمّت زوايا لبيت شدتَ مرتفعًا تدوم فيهِ مدى الاجيال ذكراكا
بني بنيكَ ترى عيناكَ مبتهجًا واليوم من بكرهم ذا النجل حيَّاكا
هبهُ دعاءك والتاريخ راجمهُ يا راجي السعد وفَّى الله مبغاكا ١٨٩٥

تاريخ للمرحوم حنا بك الاسعد

يا آل صعب بكيتم فرع اسعدكم شهمًا بكى من نواه العرب والعجمُ
شهمٌ للبنــان ابقى من نزاهتهِ آثار صدق رواها الخصم والحكمُ
كفُّوا مناحة مفقود بتربتــهِ ما كلُّ ميتٍ طواه الرمس والرممُ
يحيي بتاريخه باقٍ وشاهدهُ السيفُ والخيلُ والقرطاسُ والقلمُ ١٨٩٦

تاريخ لامين بك طربيه وقد مات وهو في مجلس الادارة عضو قضاء البترون

يا آل لبنان قد غالت امينكمُ سود الليالي وفي ذا السجن منطرحُ
من آل طربيه عين كان معتبرًا عينَ الوفاء وكم عينٍ لنا شبحُ

بكى اليتامى بُكا الابنـا وأُمهمُ وطالما اذكروا نعماهُ وامتدحوا
رعى الملائك مَن الفاهُ سيـدهُ عبدًا امينًا جزاهُ معهمُ الفرحُ
اسفارنا ارّخوها صاح شاهدهُ ان الامين لفي الدارين ممتدحُ ١٩٠٠

تاريخ للرحوم الخوري جبرائيل البيطار مع الاشارة الى اهله المدفونين
في كنيسة مار سمعان بقرية غوسطا

من آل بيطـار تساقطَ فارسٌ لا بالوغى لكن باحكام الردى
وبنوهُ سمعـانٌ ويوسفُ بعدهُ الياس يواكيمُ منصورُ العـدى
واليوم جبرائيلُ سار ويا لهُ عبـدًا امينًا كاهنًا متجرّدا
هذه سلالة فرع يعقوب الذي بابيهِ سمعان الشهير تمجّدا
ذاك الذي بكت المكارم فقدهُ وبذكره التاريخ فاه مغرّدا
شُهُبٌ تواروا في الثرى لكنّما يحييهم ذكرٌ يدورُ مخلّدا
سمعانُ من نجليكَ ربك مالئٌ ذا البيتَ قل يا ليت مني مشهدا
وكذا جزاء المتّقين لربّهم وهنا نرى خبرًا لذاك المبتدا
يا نخبة الفضل الصحيح وعصبة م ألشرف الصريح بني المروءة والندى
قد طالما قمنا حذاء مقامكم وبكاؤنا صعقات موسى جدّدا
ونداؤنا لاقى سميعًا عنـدهُ اذ رحمة المولى اجابت بالندا
حيّ الرضى تلك الوجوه تلطفًا ما غاب وجه للبدور وما بدا
هـذا سلامي ارخوه بآلكم فسلام جبرائيل اغنم موردا ١٩٠٢

تاريخ للرحوم حنا الدبس المدفون في كنيسة مار مخائيل بيروت

بيت الله قد احببت سكنى مدى الاجيال لا يومًا وشهرا
تشارك عابدين الله فيهِ عظامي بانتظاري اليوم نشرا
فيا وطني العزيز عليك مني سلامٌ فاحتفظ لي فيك ذكرا
أمطراني شقيقي دمت سلوى لاولادي واخواني وفخرا
ولمّا كان يوحنّا شفيعي رجوتُ بظلهِ ملجًا وسترا
هي الدنيا وخمرتهـا المنايا تدورُ بكأسها والكلُّ سكرى
ألا لا كان تاريخي بدهر امن دبس تذوق اليوم مرًّا ١٩٠٢

تاريخ للمرحوم الخوري بولس الملم الذي خدم رعية كنيسة مار الياس برأس بيروت ٢٥ سنة

يا رأس بيروتَ قد جازت بخدمتكم خمسٌ وعشرون من عمري بلا سأم
واليوم امضي ولكن لم يكن اسفي أوفى على رمقي منهُ على غنمي
بالله يا بولس المختارُ صُن كَرَماً عبدًا سميَّكَ والاسماء كالذمم
ها كُمْ ودَاعي وذا التاريخ جاء بهِ غمّي لهجرانكمُ نارٌ على العلمِ ١٩٠٢

تاريخ للمرحوم الخوري سمعان الملم الذي وقف املاكه لانشاء مدرسة خيريَّة ودفن في كنيسة هذه المدرسة

ألا زُرْ هيكلًا سمعان فيهِ توارى كهفَ اخباتٍ ونسكِ
ومن حوليهِ كل الشعب يبكي على علَمٍ يُدكُّ واي دكِ
قضى من عمرهِ تسعين عاماً بسلك فضائل أكرِمْ بسلكِ
لاجل البر خصَّص مقتناه وجاد بنفسهِ من دون ضنك
وفي تاريخه ناداهُ ربٌّ هلمَّ الان خذ ملكاً بملكِ ١٩٠٣

ومن مدة قريبة زار احدى المقابر ونظم فيها هذه الابيات الآتية عسى ان تكون تذكرة لبعض المسيحيين في تذكار موتاهم الذي ميقاته في ٢ ت ٢ من السنة الجارية

قد جزتُ يوماً بالمقابر زائرًا فيها لحجرة عيلتي المتعفرهْ
وجثوتُ في ذاك المكان مصلّيًا من اجلهم ومدامعي متحدّرهْ
وجلستُ انظرُ في التراب مردّدًا حكماً من الفردوس احرزَ مصدرهْ
إنَّا ترابٌ والترابُ مصيرُنا فبايّ وجهٍ نستحلُّ المفخرهْ
وكذا القصورُ الى القبور مسيرُها وعظائم الدنيا هنا مُستحقرهْ
أينَ المعارفُ والمحاسنُ والغنى اين المناصب والجيوش مظفرهْ
ذي بقعةٌ تطوي عوالم جمَّةً لو يرجعونَ تضيق عندهم الكرهْ
فاذا عددتَ رمال تربتها ترى اعداد موتاها تفوقُ مكرَّرهْ
تلكُمْ جسومٌ كالهباء حسبتُها لكن سيبعثها النشورُ مغيَّرهْ
وقيامةُ الاجسادِ تُظهر قدرها وزروعنا مثلٌ لتلك المقدرهْ
قُل تلك اسرارٌ لحكمة خالق كي لا تتيه نفوسنا متكبرهْ
اذ كنتُ في هذي الامور مفكرًا والنفسُ من تذكارها متأثرهْ

واذا بصوت من كهوف رموسهم يدوي بصدري والصدا قد كرَّره
هيًا ارحمونا يا احبّتنا الأُلى منًا حظيتم بالكنوز مذخَّرهْ
هلّا ذكرتم كيف كنّا عندكم في حق من سبقوا لهذي المقبره
ما حان ان تنسوا وشائج لحمكم ودماؤنا بعروقكم متديّره
هذي المنازلُ والرياش يزينها هذي الجنائن والرياض المثمره
هذي مكاسبنا ومن اتعابنا هذي لكم منّا كالف مذكِّره
كيف انقلبتم عن عهود جدودكم والمرء يعتبرُ العهودَ مطهَّره
لو كنتم في ذا العذاب مكاننا أرضيتمُ منّا بأيّة معذره
لا تنكروا هذا المكان وناره
في عُرف مَن عرف الصواب مقرَّره
هذا كتاب الله يقضي بيننا وبهِ ترى هذي الفروض مسطَّره
هذي معاملة الذين تقدَّموا في حق موتاهم لاجل المغفره
من كامل الاعصار تُسمع رحمةُ م الموتى فيا عجبًا لهذه الأثره
لا تبخسونا يا كرام حقوقنا انَّ الحقوق لدى الكرام موقَّره
ان تَرحمونا تُرحموا من غيرنا ولكم لديهِ رحمة متوفره
اليوم تذكارٌ لموتاكم فلا تنسوا فروضًا للجميع محرَّره
جدّوا وجودوا في سبيل نجاتهم من سجن مطهرهم ونارٍ مسعره
هذه نصائح من يؤرخُ آنها يا ربحَ من غسلوا النفوس مطهره ١٩٠٣

دفنة

حالتها الحاضرة وآثارها الغابرة

لجناب الشيخ منصور مسعود حبيش

دفنة هي مزرعة حقيرة على مسافة ساعة من شمال شرقي غزير فيها غاب كثيف الاشجار تأوي اليهِ الوحوش في فصل الشتاء بيوتها لا تتجاوز عدد الاصابع وجميع

سكانها يعتنون بتربية دود القز وزراعة الحقول وغرس الكروم واقتناء المواشي كقطعان الماعز وغيرها . وقد اتاح لي القدر ان ذهبت اليها في السنة المنصرمة وقضيت فيها بعض ايام من فصل الصيف لاشغال شخصيَّة . ففي احد تلك الأيام عند ما دانت الشمس من المغيب ذهبت لترويح الفكر وبمعيتي شيخ فلاَّح في السبعين من عمرهِ ذو بنيةٍ قويَّة كنتُ احبُّ معاشرتهُ لما طبع عليهِ من السذاجة وسلامة القلب وحسن الطويَّة . فكان يقصُّ عليَّ اموراً خفيت معرفتها وايضاح شأنها على اصحاب التواريخ الذين جرَّدوا اقلامهم وكتبوا عن مقاطعتنا الكسروانيَّة . وكنت صاغياً لقولهِ والصدر منشرحٌ من كلامهِ الى ان ادَّى بنا المسير الى بئر يرد اليها سكَّان القرية بمواشيهم ليستقوا من عذوبة مياهها . فاخذ الشيخ يروي لي عن كيفية استجلاب الماء الى هذه البئر في ايام الشتاء شارحاً لي بالاسهاب عن عظم اعتناء اهل تلك القرية في نظافة مياهها فتقدمت اليها قليلاً واخذت احدق النظر في بنيانها فبان لي ان اعظم مهندسي عصرنا في بلادنا السوريَّة لا يستطيعون اقداماً على عمل كهذا اذ هي منقورة في قلب صخر اصمّ . فبانت اذ ذاك امارات التعجب على وجهي فقرأها بسهولة الشيخ الفلاح ولذا بادرني بالسوءال قائلاً :

— لا مرية انك في انذهال عظيم لما شاهدت في هذه البئر من دقة الصناعة وحسن البنيان ها قد مضت عليَّ الاعوام المتوالية وحنى ظهري الدهر ولم ازل مع ذلك اتذكر اقوال والدي الشيخ الذي توفي ولهُ من العمر نيف وثمانون سنة اذ اجابني عن سوءال خالج لبي بشأن هذه البئر على الحالة التي تراها الآن ولا نعلم ايّ يدٍ انبطتها واحكمت صنعها هذا الاحكام

فأطرقتُ رأسي هنيهة ثم تباعدت قليلاً عن شيخنا الذي كان متشاغلاً بالحديث مع احد الرعاة الذي ورد الماء مع قطيع ماعزهِ واخذت التجول قرب البئر وامعن النظر فيها الى ان وجدت بعد الفحص انَّ طولها يبلغ عشرين متراً في عرض اربعة امتار ودائرة حلقتها متراً بنيف . فاحكمتُ النظر فيها لعلّي اقف على كتابة تجلي غوامض ما خفي عليَّ لكن املي ذهب ادراج الرياح فرجعتُ القهقرى كالح الجبين والقلب حزين . واخذت التجول هنا وهناك الى ان نظرت على بعد اربعة امتار من البئر احواضاً أُعدَّت للمواشي ومن جملتها حوض يبلغ طولهُ متراً وعشرين سنتيمتراً على هيئة ناووس وهو محفور

حفرًا محكمًا فزادني اكتشافي هذا رغبةً في البحث وشدَّة في التحقي . وأُخبرت ايضًا انهُ من بضع سنين بينما كان احد الفلاحين يحرث ارضهُ عثر على قفاز من حديد وخاتم حديد وسنان لكن الايدي تناقلت هذه الآثار ولا يعلم اي يد تملكها فتضنُّ بها . ولم تزل عوامل الشوق تعمل بي للوقوف على اصل هذه القرية الى ان نلت والحمد لله ببعض اشياء مهّدت لي طريق هذا البحث

*

دفنة هي ابنة نهر پاني (Pénée) المعبود في تسَّالية كالهِ ولعظم ما كانت عليهِ من الجمال كلف بها ابولون إله النور كلفًا شديدًا واخذ يتعقَّبها من ارض الى ارض ويقتصُّ آثارها حتى اوشك ان يظفر بها . فلمَّا شعرت بقصر باعها وانها اسيرة ذاك الإله العاتي استغاثت بابيها الاله ليسرع لمعونتها ويمدَّ لها يد الاسعاف . فلم يذهب طلبها سدًى بل لبَّى ابوها مقالها واستجاب طلبها ومسخها غارًا جميل المنظر . ودفنة هي كلمة اعجمية يونانيَّة معناها الغار ولعلَّ « الدفلى » في العربيَّة مشتقَّة منها

فانشد الشعراء القصائد في محاسن هذه الالهة وشُيِّدت لها المعابد ومن جملتها معبد بقي شيء قليل من اطلالهِ في القرية التي نحن بصددها وهي عبارة عن خمسة او ستَّة احجار ضخمة ثلاثة منها حُفرت بايدي سكان القرية وجعلوها احواضًا خلا الذي تكلَّمت عنهُ آنفًا وحجرين آخرين باقيين في مكانهما على مسافة سبعة امتار من البئر التي سبق كلامنا فيها فلا مرية ان سكَّان طبرجا ومدينة جبيل وما جاورها من المدن الساحليَّة التي كانت في ما مضى من الاعصار مأهولة بعَدد عظيم من السكان كانوا يأتون زرافات ووحدانًا الى ذلك المعبد للقيام باحتفال عيد الالهة دفنة كما هي عادتهم المألوفة مقدمين لها ما حلا لديهم من التقاديم النفيسة لكي يستمدوا منها نجاحًا وتوفيقًا ثم يذهبون بعد ذلك الى القنص في غابات هذه القرية المتكاثفة الآوي اليها عدد عظيم من الوحوش الضارية كالخنزير البري والضباع والذئاب الكثيرة حتى في ايَّامنا هذه

ولمَّا استُجلب ماء نبع المغارة الى مدينة طبرجا عُرِّج بهِ كما يزعمون الى دفنة حيث لم تزل باقية الى الآن خنادق لا يعمل فيها حديد ولا نار . امَّا استجلاب ماء نبع المغارة ومروره على القرية المذكورة فلا اظنّهُ حقيقيًا لما هي عليهِ من العلوّ عن مصدر ذاك الينبوع

وعلى مقربة ربع ساعة من القرية المذكورة توجد بئر ثانية بنيانهـا كبنيان البئر التي سبق وصفها والظاهر ان اليد التي حفرت بئر دفنة واتقنتها هي هي نفسها بنت البئر الاخرى وتأنَّقت بعملها لِما بينها وبين الاولى من التشابه وفي يومنا هـذا تدعى هذه البئر بئر الحلو وينسبون اليها عدة احاديث خرافيَّـة: منها ان مغربيًا اتى هذه البئر منذ اعوام عديدة واستخرج من قلبها كنزًا ثمينًا بواسطة سحرهِ ومكرهِ واصاب صاحب الملك من هذا الكنز قسمًا قليلًا امَّا النقود المكتشفة هناك فيخبرون أنها صُكَّت في أيام ملوك اليونانيين

هذا ما وقفتُ عليهِ بعونهِ تعـالى من تاريخ هذه القرية وكم خفيت امور على اصحاب التواريخ وطلاب العلم. والله سبحانهُ وحدهُ عليم

(المشرق) قد اصاب كاتب هذه المقالة الاديب بقولهِ انَّ دفنة من الامكنة القديمة. فان اسمها اليونانيّ يدلُّ على انَّ ثمَّت كان الوثنيون يكرمون الاله ابولون ولعل الفينيقيين كانوا يريدون بهِ الههم تمُّوز فعبدوهُ على صورة ابولُّون وكان الغار (δάφνη) من شارات هذا الاله خُصَّت بهِ شجرتهُ. وقد كثرت الامكنة المعروفة باسم دفنة اشهرها دفنة انطاكية وهو مكان في ضواحيها وكذلك اشتهر في سوريّة قريبًا من بانياس بلد يُعرف باسم تل دفنة. وممَّا يدل على قدم دفنة كسروان ما وجد ايضًا في كفر جزّين ابس بعيدًا منها من الآثار. فان المسيو لويتفاد قنصل دنيمرك سابقًا في الثغر اكتشف هناك تمثالًا للمشتري البعلبكيّ الذي وجد منهُ الاب رنزفال في دير القلعة تمثالًا آخر وصفهُ في الحلَّة الكتابيَّة

يمين العلي

رواية تاريخية للاب س. ت اليسوعيّ

الفصل الثالث عشر

سكرات الموت (تتمَّة)

وكان طيطس سبق وادرك ما سيبعثهُ منظر اسرى اليهود في قلوب اهل بيروت من الرحمة ولذلك جعل وراء صفوفهم الغنائم والاسلاب التي فاز بها الرومان في الحرب الاخيرة. فكنت ترى العجلات الموعبة من كنوز اورشليم وعقائل اموالها تتوالى تباعًا

وتبهر اعين الناظرين بينها الذهب والفضّة والاواني الثمينة والحجارة الكريمة وملابس الارجوان التي كانت تزين هيكل اورشليم . وكان قسمٌ من هذا المغنم قد خصّهُ طيطس بيروت فكتب عليهِ : « هديّة طيطس لاهل بيروت »

فسُرَّ الشعب لهذا المنظر ونسي الاسرى ثم صار يهتف هتاف النصر للامبراطور ولابنهِ الظافر . وزاد فرحهُ لمّا سمع مناديًا يتجوّل في وسط القوم وهو يبشّر الشعب بان طيطس سوف يحتفل في مدينتهم بالعاب جميلة شكرًا للالهة على انتصارهِ امّا الاعياد فانّهُ يباشر بها في مساء ذلك اليوم وقد امر بان توزَّع لكل الاهلين اقساط معلومة من البُرّ والزيت والخمر

فهذه البُشرى اسرت قلوب الجمهور بمحبّة طيطس فكان لا يُسمَع في كل انحاء المدينة الّا اصوات القوم يهتفون : فليحيَ طيطس ! فليحيَ الظافر باعداء الدولة ! ثم تفرّقوا شيئًا وشيئًا في انحاء المدينة وعادوا الى بيوتهم ينتظرون بفروغ الصبر الحفلات التي وُعدوا بها . وكثيرون منهم تواردوا الى حانات الخمّارين فعاقروا بنت الحان صاب نهارهم

امّا الجند فكان اخذ منهم التعب كلّ مأخذ بعد ذلك المعرض الحافل والدخول الباهر الى حاضرة بيروت . فما كاد يستقرّ بها قدمهم حتى اووا الى المنازل المعدّة لهم واحتلّوا الثكنات العسكريّة لينالوا فيها نصيبًا من الراحة

امّا اسرى اليهود فسلّمهم الجند لنظّار الألعاب فقادهم هؤلاء الى عنابر واسعة واسراب مظلمة وزجّوهم فيها كأنّهم المواشي العجماء ريثما تأزف الساعة فيلقونهم للسباع والوحوش الضارية . وكان المتولّون على هذه الألعاب أُمروا بان يصطادوا في غابات لبنان من النمورة والضباع والاسود عددًا وافرًا فيضوّرها ويقطعوا عنها كلّ مأكل لتزيد نهامةً وشراسة وتشبع من لحمان الاسرى وكأنَّ هذه الوحوش احسّت بما يُعَدُّ لها من الفرائس البشريّة وكانت في اقفاص قريبة من العنابر فلمّا أُتي بالاسرى جعلت تهمهم وتزأر وتهيج حتى كادت تكسر حواجزها

*

— لا بُدَّ لي ان اراها ولا يمكنني ان ابوح بسرّي لغيرها

— قد دجا الليل وسيّدتي معتزلة في حجرتها منذ ساعتين فضلًا عن انّها مهزولة

الجسم خائرة القوى فلا استطيع ان اوقظهـا

— فان كان الامر كما تقولين اني انتظرها الى غدٍ لكنني اخاف ان تفوت الفرصة

وكانت يهوديت ساهرةً لم تغمض جفناً وهي جاثيـةٌ تستجرُ بالصلاة الى الله في احدى زوايا حجرتها. فسمعت الصوت وقامت من ساعتها ففتحت الباب ورأت دوروتيا بازاء رجل من العامَّة وهي تصدُّهُ عن الدخول. فلمَّا رأت الامة سيّدتها التي كانت تظنُّها نائمة اخذها الدهش والذُّعر. امَّا الغريب فانهُ انحنى امام يهوديت مسلّماً

« من انت ؟ وما الذي حدا بك الى ان تأتينا في مثـل هذه الساعة فتقلقنا ؟ الملكَ في حاجةٍ ماسّة ؟ »

قالت يهوديت هذا اذ رأت ما كان عليهِ الوافد من سوء الحال. ثم بحثت عن كيس دراهمها لترضخ لهُ من مالها شيئاً لظنّها انهُ اتاها ليطلب منها صدقةً

امَّا الرجل وكان في مقتبل العمر لا تتجاوز سنُّهُ الثلاثين فانهُ قطع كلامها قائلًا: « لستُ اطلب شيئاً وانَّما جئتكِ فقط برسالةٍ. وما اتمَّ قولهُ حتى اخرج من جيبهِ قطعةً من الخزف ناولها يهوديت. فاسرعت الى قراءة ما كُتب عليها بفحمةٍ وقلبها يضطربُ اضطرابًا شديدًا وبينما هي تطالعها اصفرَّ وجهها وامتُقع لونها فمالت ساقطةً ويدهـا تشير الى قلبها. فانها قرأت على الخزفة ما حرفهُ: « اني محبوس في سرب ملعب بيروت وسألقى للسباع في اليوم الثالث فبدارِ بدارِ وخلّصي اباكِ »

وكانت دوروتيا لمَّا رأت سيّدتها هابطة الى الحضيض اسرعت الى ان تسندها بين ذراعيها وصرخت لتدعو الخدم فما كان منهم الَّا كطرفة العين حتى هبُّوا الى سيّدتهم وحملوها الى فراشها واخذ هذا ينضحها بماء بارد وذاك يفرك جبينها بخلّ او يُنشقها الروائح المنعشة حتى عاد اليها رشدها بعد قليل

وللحال قامت رغماً عن عبيدها وطلبت دواةً وقرطاساً. وكانت الرسالة التي وردت عليها اثَّرت فيها تأثيرًا عظيماً فلأتهـا فرحاً وحزناً معاً. امَّا الفرح فلعلمها ان والدها بعدُ في قيد الحياة امَّا الحزن فلوقوفها على حالتهِ. الَّا انَّ الفرح غلب على حزنها فكادت تنسى ما يُحدق بابيها من الاهوال وعلّلت نفسها بالامل انَّ نجاتهُ لمن الامور السهلة. فاخذت تبشّر اهل الدار بقدوم سيّدهم وتبتهج معهم بخلاصهِ كأنَّهُ نجا من اغلالهِ وصار بين ذراعي ابنتهِ وتربَّع في دست دارهِ الفخيمة

ولكن لمَّا أتت اليها دوروتيا أمتها بالدواة والقرطاس وارادت يهوديت ان تسطِر كتاباً لابيها لم تدرِ ما تكتبهُ وظهرت لها حالة والدها التعيسة التي لم تعتبرها بادئ بدء الَّا كمُعضل بسيط يسهل فكُّهُ. فكانت مخيّلتها تارةً تصوّر لها السباع الضارية وهي تهجم على والدها لتفترسهُ وتارةً تراهُ يُمثَّل بهِ بازاء الجمهور فيذوق مرائر الاوجاع. أفما كان الأولى بها ان تُخبَر بموتهِ بعيدًا عنها ؟ او لم يأتِ صمونيل الى وطنهِ الَّا لتقاسمهُ ابنتهُ آلامهُ وتموت بمشاهدتهِ موتَين ؟

هذه الافكار كانت تخالج قلب يهوديت والقلم بين يديها فاحسَّت برجفةٍ عظيمة واتروت وجهها وكادت تستسلم الى اليأس واذا بصوت كوارتس الاسقف الذي سمعتهُ قبل ايام عاد فطرق مسامع قلبها: «يا قليلة الايمان مالكِ تشكّين». فكان هذا الصوت الداخلي كنور لاح لها فقامت من وقتها وجثت تطلب من الله المعونة في كربها فبقيت ساعةً جامدة ثمَّ اخذت تصرخ: «ربّي والهي اني واثقة بك ان كان لا بد من معجزةٍ لخلاص والدي انك قادر على هذه المعجزة. يا يسوع فكَّ اغلال والدي»

وكانت دوروتيا التي دخلت وحدها الى حجرة سيّدتها تنظر اليها وتشعر بما يتنازعها من العوامل المتناقضة. فلمَّا رأتها تصلي جعلت هي ايضاً تردّد معها: «نعم يا فادي البشر لا تُخب دعاءها فانَّ عينك لم تقصر. هبها النعمة التي تطلبها. ردَّ لها والدها»

ولمَّا قامت يهوديت من صلاتها لاح لها بارقة امل فسألت عن الرجل الذي اتاها بالرسالة. واذا بهِ واقف يصلّي على الباب منتظرًا الجواب فقالت لهُ: «من انت وما اسمك ؟»

فصلَّب الغريب وقال: «انا احد اخوتكِ بالمسيح واسمي بولس»

— ومن اعطاك هذه الرسالة ؟

— هو شيخ مريضٌ اتى امس مع اسرى اليهود. وناشدني الله ان أسرع فابلّغكِ هذه الرسالة فلعلَّهُ لا يحيي طويلًا وهو مع ذلك لا يشاء ان يموت قبل ان يراكِ

فانهملت عبرات يهوديت لمَّا سمعت هذا الكلام. لكنَّها اسكتت صوت قلبها وارادت ان تتحقَّق بالسؤال لعلَّها تستطيع ان تجد وسيلةً لنجاة والدها. فسألت الغريب عن حالهِ وكيف توصَّل الى والدها. فاخبرها انَّهُ دخل في خدمة حارس الاسرى مجَّاناً ليجد بذلك طريقة الى مساعدة بعض المتنصّرين من يهود اورشليم كانوا

وقعوا في قبضة الرومان. وبينما كان يتجوَّل بين الاسرى يستعلم عن احوالهم وحاجاتهم واذا بشيخ اضناهُ المرض فاهتمَّ بامرهِ على قدر طاقتهِ ثم سألهُ قبل فراقهِ أتكون لهُ حاجة فاعطاهُ الشيخ تلك الخرقة ليوصلها الى دار الورود

فلمَّا سمعت يهوديت قولهُ عادت الى قراءة الرسالة ثمَّ اخذت تكرّرها: « لا بُدَّ من خلاصهِ لا بُدَّ... أسمعتَ »

— انَّ ذلك لَأمر صعب. لانَّ الاسرى في سربٍ عميق لا يُدخل اليهِ الَّا من باب واحد والباب موصد يحرسهُ جند فظاظ الطبع لا يدَعون احداً يخرج او يدخل دون تفتيشهِ حتى لو حاولَ ان يأتي رجل الى بعض الاسرى بسُمٍّ ليقتل نفسهُ وينجو من العذاب لما امكنهُ ذلك. وفي هذا الصباح اصاب واحداً منهم مسٌّ في عقلهِ فشجَّ رأسهُ على حائط السجن فخاف السجَّان على نفسهِ واستقدم طبيب البلديَّة ليُفتي في صحَّة موتهِ ويبرّئهُ من تهمة القتل...

— فكيف العمل اذن ؟ ألا يمكنك أن تُسعفني ؟ بالله عليك لا تضنّ بالوسائل التي تعلمها لنجاة علَّة وجودي

— بودّي ان اسعفكِ على قدر استطاعتي. امَّا عمل المعجزات فليس من امكاني وانَّما ذلك في يد المسيح الذي كان يحيي ويميت كما يشاء

— وارَباهُ ! عليكَ وحدك رجائي ! الهمني ما اصنع لخلاص نور عيني !

وكانت دوروتيا تسمع هذه التنهُّدات وتتلهَّف متحسرة على سيّدتها وتسعى في تخميد وجعها دون افادة

امَّا بولس فانهُ توجَّه الى الباب ليعود الى خدمتهِ في السجن. فودَّع يهوديت ووعدها انهُ يأتيها في غد ويخبرها بما يحدث بخصوص الاسرى. فاعطتهُ الفتاة بعض اشربة مقوّية وشيئاً من الزاد ليسند بذلك قوى والدها الشيخ عندما يجتمع بهِ في سجنه

مَن لنا ان نصف ما خامر لبَّ يهوديت من الهموم بقيَّة ليلتها. فانها باتت تتململ في فراشها كأنَّها تتقلَّب على جمر النار. أفلم ينجُ ابوها من اهوال الحرب الَّا ليقع في شدائد اعظم منها... كلَّا ان الله لا يريد موت ابيها فلا بُدَّ لها ان تنشلهُ من

غمرات الردى . . . ولكن ليت شعري ماذا تصنع لبلوغ أربها ؟ من يرشدها الى الطريقة المُثلى التي تحظيها بمرغوبها ؟

ثم اخذت تبحث عن الوسائل التي تُنيلها المرام فطورًا تفكّر في الاصحاب او المعارف الذين يمكنهم ان يشفعوا بابيها عند القيصر. ولكن ساء ظنُّها فانهُ ليس بين معارفها من يستطيع او يجسُر ان يدخل على القيصر ليعرض عليهِ ذلك. وطورًا تريد ان تكتب الى طيطس لعلّهُ يحنُّ عليها ويرثي لوجعها ولكن كيف تبلّغهُ كتابها. واذا الكتاب وصلهُ فهل يرضى بطلب فتاةٍ يعدّ قومها من اعداء مملكته

وفي آخر امرها فكرت في ان تذهب هي نفسها الى فاتح اورشليم فتنطرح على قدميهِ وتسمعهُ بكاء يلين لهُ الصخر الاصمّ

وبينما كانت تجول كل هذه الافكار متناوبةً في راسها اذ سمعت عن بُعد صوت فرسانٍ يجرون على خيلهم في الطريق المجاورة لدارها وهم يصرخون: فليحيَ الضابط! فليحيَ راسيوس! . . . فاعارت سمعها لهذه الاصوات التي تكرّرت مرارًا حتى خمدت في جوف الليل وهدأت تمامًا

فلمّا سمعت يهوديتُ وقدقة حوافر الخيل واسم راسيوس ارتعش بدنها وتمثّل لها شبح ذاك الضابط الذي مرَّ قبل تسعة اشهر امام دارها فحيّاها تحيةَ الوداع. وتذكّرت ما جلب عليها هذا النظر من الحنق والبغض من اخيها يوسف. على انَّ صورة ذاك الضابط لم تزل نصب عينيها شاغلةً لقلبها الى يوم تنصُّرها. فهذه الصورة نفسها لاحت لها في تلك الساعة كوسيلة الخلاص

فقامت اسرع من طرفة العين ودعت أمتها دوروتيا التي قضت ليلها مثل سيّدتها في القلق والانزعاج فقالت لها:

اذا ما اسفر الفجر ارسلي ساعيًا الى الضابط راسيوس — تلفّظت بهذا الاسم لاوَّل مرّة واحمرَّ جبينها حياء لولا ان الليل اخفى ذلك عن عبدتها — وليلتمس منهُ بالحاح ان يأتي الى دار الورود ليخلّص ابنة الصرّاف صموئيل التي هي على شفا الهلاك. فلا ريب انهُ يفهم ويلبّي دعوتي

قالت دوروتيا: نعم الفكر. لانَّ كثيرًا ما اتى الى باب دارنا احد اعيان بيروت يُدعى لوسيليوس فاستخبرني عن احوالكِ ولمّا كنت أُعلمهُ باحزانكِ كان يرقُّ لكِ وقد

افادني انَّ ضابطاً اسمهُ راسيوس من قوَّاد الجيش في اورشليم يرعى خاطركِ. وربَّما كان يجني من حديقة الدار طاقةً من الورد ليرسلها الى هذا الضابطِ تذكارًا منكِ. وقد سمعتُ انَّ راسيوس هذا قد عاد مع الجنود الظافرة وانهُ نازل في دار لوسيليوس. فلا غرو انهُ يجيب الى دعوتكِ و...

— اراكِ اليوم تهذرين كالعجائز. اذهبي وتمّمي اوامريَ على جناح السرعة

قالت هذا واقفلت باب حجرتها. وكان اوَّل نور الصبح اخذ يُسفر فيها. ثم جلست على ديوانها تنتظر بفروغ الصبر ما سيأتي بهِ ضحى النهار

واوَّل ما جال في فكرها قول أمتها: «راسيوس يرعى خاطركِ... وجنى طاقةً من الورد ليرسلها لهُ تذكارًا منكِ» فهيَّج هذا الكلام كامن عواطفها. الَّا انَّها كبحتها للحال ونسخ ذكرُ والدها كلَّ شاعرة بشريَّة عن بالها. ثم عادت الى صلاتها فغاصت فيها زمناً حتى اعتلى النهار وفتح العبيد رتاج الدار الحديديّ فسمعت صريرهُ وانتبهت الى نباح الكلب «اجاكس» لمَّا حاول البوَّاب ان يقيّدهُ ويعيدهُ الى مقرتهِ

الفصل الرابع عشر

انَّ الله يميت ويحيي

لم يرهب الضابط راسيوس الفُرسَ في حروبهِ السابقة اذ كانت تتعاورهُ سهامهم وتتناوبهُ نبالهم. وكذلك لم يعرف الجزع في حرب اليهود الاخيرة اذ كرَّ على العدى بقلب اثبت من الاسد القسور ليدافع عن قائدهِ وابن ملكهِ طيطس. امَّا الآن وهو سائر الى دار الورود ليلبّي دعوة صاحبتها فكان يشعر بقشعريرةٍ في كل اعضائهِ. ولمَّا نزل عند باب الدار عن جوادهِ احسَّ بثقل في لسانهِ حتى لم يكد يعرف كيف يطلب من البوَّاب صاحبة القصر في بيتها ام لا. ولمَّا أُدخل بهِ الى حديقة الدار زاد اضطرابهُ وبقي حيناً لا يعي حتى انَّ العبد الذي كان يرافقهُ كرَّر عليهِ مرارًا السؤَال عن اسمهِ ليُعلم بهِ سيّدتهُ

وكانت يهوديت في انتظار الضابط فلمَّا رأتهُ داخلاً الى دارها من وراء سجوف نوافذها تبلبلت افكارها ووجب قلبها. الَّا انَّها قضت على نفسها بان لا تطلب غير خلاص والدها. وقبل ان يأتيها العبد ليعلمها بالوافد الكريم نزلت هي الى الديوان حيث أُدخل الضابط

فلمّا انفتح باب الحجرة حانت التفاتة من راسيوس الى الفتاة الداخلة فلم يشعر بنفسهِ الّا وهو عند اقدامها وقد امسك يدها ليقبلها. امّا يهوديت فاقامتهُ مسرعةً وترعت يدها اللطيفة من يدهِ برفق وانحنت امامهُ مسلّمةً فتجلّد الضابط وسألها:

« انّ سيّدتي قد استدعتني اليها. فهل من عدوّ يتهدّدكم؟ قد قال لي العبد الموفد اليَّ انّ حياتكِ لفي خطر. فاعلميني الحقيقة لأنّي مستعدّ ان اتفانى في سبيل خلاصكِ واني اشكركِ على انكِ فكرتِ فيَّ دون غيري لامدَّ اليكِ يد المساعدة. قولي ما الامر؟ »

فلمّا هدأ الضابط روع يهوديت اخذت الفتاة تقصُّ عليهِ بكلام متقطّع ما اصابها منذ نحو سنة من الاوجاع والاكدار وكيف بقيت وحدها معتزلةً في دارها وهي تتلظّى على نار الهموم لما احاق اباها من الاخطار في المدينة المقدّسة. وها هو اليوم قد أُودع في سجن مظلم بين اسرى قومهِ ينتظر عذابات مرّة وموتًا قبيحًا. ولمّا كان ذرعها قد ضاق عن خلاصهِ ولم تعلم الى من توجّه الحاظها لتنجّي والدها وعلّة وجودها... عرض لفكرها ذكر ذاك الفارس الشهم الذي... رأتهُ يومًا على جوادهِ...

وهنا احمرّ وجه الفتاة وترقرقت عيناها بالدموع

امّا راسيوس فانّ صوت يهوديت كان يرنُّ في مسامعهِ كنغمةٍ عذبة وينفذ في احشائهِ كانهُ شهد العسل. لكنّهُ لما سمع ما نالها من الآلام التي قاستها في تلك السنة تفطّر لها قلبهُ. بل جعل يلعن تلك الحرب المشؤومة التي احلّت الويلات بشعبٍ كان سابقًا حليفًا لرومية. الى ان قال للفتاة:

« اني اشكر الآلهة على انّها لم تسمح بان تسكب يدي نقطةً من دم قومكِ »

ثم اخبرها بما جرى لهُ وكيف انهُ توسّط بين طيطس وطالبيّ قتلهِ ففداهُ بدمهِ ونجّاهُ من الموت. ثم اردف قولهُ:

« الّا اني اعتبر جراحي واوجاعي كلا شيء. اذ هي اهّلتني لان اسعفكِ واباكِ. وهاءنذا أُقسم لكِ ايمانًا محرّجة باني اسعى في نجاة والدكِ. وان اقتضى الامر ان اضحّي نفسي لاجلهِ لا اضنّ بحياتي... »

وسكت هنيهةً ثم قال: اني اذهب اليوم الى طيطس واطلب اليهِ خلاص الاسير فاني متأكّد انهُ ينيلني طلبتي. ولولا انهُ امر حجّابهُ بالّا يأذنوا لاحدٍ بالدخول عليهِ

لذهبت اليهِ في هذه الساعة عينها. لكني الآن اذهب الى السجن وابشِر اباكِ بقرب الخلاص
(ستأتي البقيَّة)

مطبوعات شرقيَّة جديدة

Al-Battani sive Albatenii Opus Astrononicum

Pars prima - Versio capitum cum animadversionibus

a Carolo Alph, Nallino, Mediolani, 1903 *pp.* LXXX-327

كتاب الزيج الصابي للبتَّاني – الجزء الاوَّل

افاد المشرق قرَّاءهُ في سنتهِ الثالثة (٣ : ٧١٧) عن الخدمة الجليلة التي خدم بها الآداب العربيَّة الدكتور كرلو نلّينو مدرّس اللغات الشرقيَّة في بالرمو بنشر كتاب الزيج الصابئ الذي الَّفهُ احد علماء العرب المعدودين في القرن العاشر وهو ابو عبد الله محمَّد بن سنان الحرَّاني الشهير بالبتَّاني. وقد وضع هذا الكاتب العظيم عدَّة كتب في العلوم الفلكيَّة منها كتاب مطالع البروج ورسالة في تحقيق اقدار الاتّصالات وشرح المقالات الاربع لبطلميوس الَّا انَّهـا كلّها اخذتها يد الضياع فلم يبقَ منها الَّا كتاب الزيج الصـابئ الذي نشرهُ الدكتور نلّينو في اصلهِ العربيّ لاوَّل مرَّة نقـلًا عن نسخة مكتبة الاسكوريال الفريدة الراقية الى القرن الحادي عشر. واليوم قد الحقهُ بترجمـة لاتينيَّة جديدة استدرك فيهـا عدَّة اغلاط كانت وقعت في الترجمة المطبوعة في نورنبرغ سنة ١٥٣٧ ثم في بولوني سنة ١٦٤٥. وقد نظرنا في هذه الترجمة فالفيناها غاية في الضبط مع انسجام عبارتها. وهذا لعمري امرٌ صعب المرام في كتاب يقتضي تدقيقًا عظيمًا في الحسابات ومعرفة واسعة بالانساب والمثلثات وقد ساعدهُ في ذلك الاب حنا شياپارلّي الشهير. على ان الدكتور نلّينو لم يكتفِ بذلك بل ذيَّل ترجمتهُ بحواشٍ تاريخيَّة وعلميَّة ولغويَّة تدلُّ على طول باعهِ في ضروب العلوم. فنشكرهُ على هذا العمل الجليل الذي يمكّن الفلكيّين الاوربيّين من تقـدير علماء العرب قدرهم اذ يوقفهم على الطرائق التي كان يستعملها سلفاؤهم في الرسوم الاورتغرافيَّة وفي تعريف انحراف منطقـة البروج والحساب السنويّ وبيان اوقات الكسوفات

والخسوفات الى غير ذلك مما يشهد على انَّ العرب لم يكتفوا بكتاب المجسطي لبطلميوس بل زادوا عليهِ ووسَّعوهُ واكتشفوا اموراً لم يُسبقوا اليها

الاب دي ڤراجيل

المقامات العشر لطلبة العصر

طبع في بيروت سنة ١٣٢١ (ص ١٢٨)

هي عشر من مقامات شيخ العربيَّة واماما ابي القاسم الحريريّ انتخبها فاحسن الانتخاب العلاَّمة الفاضل الشيخ محمَّد المبارك الجزائري وذيَّلها بشروح لألفاظها اللغويَّة فجاء كتاباً صغير الحجم كبير المنفعة يغني احداث المدارس عن مراجعة التفاسير المطوَّلة

ل٠ش

Dictionnaire des Antiquités Grecques et Romaines

par Daremberg et Saglio (fasc. 34, *Hachette* 1903)

معجم العاديّات اليونانيَّة والرومانيَّة (تابع)

لا حاجة الى تكرار الثناء على العالمين الجليلين دارنبرغ وسغليو بعد ما قلنا مراراً عن فوائد معجمهما. وهذا الجزء الرابع والثلثون (ص ١٦٠) تتمَّة لحرف الميم (M) فيهِ من الفصول الجليلة ما هو خلاصة كتب مسهبة نخصُّ منها بالذكر المواد الآتية: المعادن عند القدماء (Metalla) وتنظيم الجيوش (Militia) وتاريخ الهة الحكمة (Minerva) وآثارها. واله الفرس مثرا (Mithra)· ثم النقود اليونانيَّة واللاتينيَّة(Moneta) وغير ذلك من الفصول المضاة باسامي مشاهير الكتبة مثل اردليون (Ardaillon) وكلرك(Clerc) وكانيات (Cagnat) وبابلون (Babelon) وبوتيار (Potier) وكومون (Cumont) وكلّهم من الكتبة المبرّزين الذين لهم الكعب الاعلى في معرفة العاديَّات ولو لم ينشر العلماء الفرنسيُّون غير هذا المعجم لكفى لشهرتهم· فنشكر المطبعة هاشت التي تسعى بطبع هذا المعجم بكل اتقان وكل سرعة

الاب ف٠ جوليان

L'EGYPTE ET LE SOUDAN

par le P. Chaine, s. j., Le Caire 1903

مصر والسودان

هو مختصر حسن غاية في الوضوح لجغرافيَّتي مصر والسودان وضعهُ الاب شان

اليسوعي بالفرنسيَّة لافادة المدارس على طريقة السؤال والجواب. وقد ضمَّنهُ المؤلف كل ما يحتاج الاحداث الى معرفتهِ عن احوال هذين البلدين من حيث تركيبهما الطبيعيّ ودوائرهما السياسيَّة والاقتصاديَّة. ومع صغر حجم الكتاب تجد فيهِ فوائد جمَّة عن سكان مصر وعاداتهم وعن زراعة هذا القطر وتجارتهِ الداخليَّة والخارجيَّة وحركة سفنهِ كما انَّ واضعهُ اتسع في القسم المختصّ بالسودان. وقد افتتح هذا الجزء بملخص الحوادث التي جرت فيهِ من سنة ١٨٨١ الى ١٨٩٦ . وفي آخر الكتاب معجم للالفاظ الاصطلاحيَّة مع ملحق في الدين العمومي للاب ل. مالون

شذرات

كتاب مجهول للتولوي كان حضرة القس جرجس منش سرد في ترجمة الخوري بطرس التولوي (ص ٧٧٥) قائمة تآليف هذا الكاتب الشهير. وقد وقفنا آخرًا بين كتب مكتبتنا الشرقيَّة على تأليف لهُ لم نجد اسمهُ في هذه القائمة. وهو كتابٌ خطَّ منذ نحو ١٥٠ سنة بخط جليّ وورق صفيق ليس لهُ اسمٌ يعرف بهِ كنَّا اتينا بهِ من حلب فبرح عن بالنا. واوَّلهُ: « الحمد لله الذي افرغ شآبيب انعامهِ على انفس خدَّامهِ وشبَّ مشاهيب الهامهِ في افئدة خواصهِ وكرامهِ ». ويدعى صاحب الكتاب « الخوري عبد الله بطرس بن بطرس بن اسحق المارونيّ نجارهُ التولاني وجارهُ نزيل حلب ونذير رعيَّتها واب الملَّة المارونيَّة وايكونومس بيعتها » اما فحوى التأليف فالسيرة الرهبانيَّة وشروطها واعمالها. ولعلَّ تصنيفهُ في هذا الموضوع ممَّا يثبت انَّ التولوي كان راهبًا على الاقلّ مدَّةً من حياتهِ (راجع الصفحة ٧٧٠). وكتابهُ هذا يقسم الى خمسة اقسام فيحتوي القسم الاوَّل تأملات روحية لأيام الشهر. والقسم الثاني احد عشر تأملًا في الرهبانيَّة وشرفها ونذورها الثلاثة. والقسم الثالث اثني عشر تأملًا في الكهنوت وعظم مقامهِ وواجباتهِ. والقسم الرابع يشتمل على عشرة تأملات في الفضائل المفيدة لكل مسيحيّ. وفي القسم الاخير سبعة تأملات في الخطايا الرأسيَّة وعدد صفحات الكتاب ٢٨٨ صفحة وفي كل صفحة ١٧ سطرًا

مجاراة الدول لبعض مشاهير الرهبان روى البشير في احد اعدادهِ الاخيرة نقلًا عن اخبار البريد الحديثة انَّ حكومة فرنسة اتحفت الاب بيكر اليسوعي

بوسام جوقة الشرف وقد تسلمهُ المهدى اليهِ « في تشانغ كيا تشانغ » بمحضر من العساكر

وقد اهدت المانية في هذه الاثناء الى يسوعي آخر اسمهُ شيرر مقيم في الصين من عهد احدى وعشرين سنة نوط الحملة الصينيَّة التذكاري . ونُقش على احد جانبي النوط الحرفان الابتدائيان من اسم الامبراطور غليوم وعلى الثاني رسم النسر منقضًّا على التنين الصيني . وقد عُهد الى الاميرال دي بوريسين تسليم النوط الى المهدى اليهِ فسلمهُ ايَّاه في حفلة حافلة اثنى فيها على خدمهِ للجيش الالماني ومما قال في خطابهِ « انَّ الديانة هي عضد الجيش والهيأة والوطن فاذا انتفت فقل السلام على كل ما ذُكر » . كان لهذا الخبر وقعٌ حسن في مجلس النوَّاب في المانيــة حتى انَّ الدكتور سبان رئيس حزب الوسط اتَّخذ هذه الفرصة وسيلة للمطالبة بالغــاء السنَّة الموضوعة على اليسوعيين فقال : « ان يسوعيًّا يهدى اليهِ في الخارج وسام بسبب اتيانه ما هو محرَّم عليهِ في داخل البلاد برهان على ان القانون المسنون ضد اليسوعيين ليس بصالح ويجب الغاؤهُ »

ومن الجازيات الحديثة الممنوحة لعلماء اليسوعيين جائزة « لوجيروت » اتحفت بها الجمعيَّة الجغرافيَّة الاب شڤاليه مع نوط ذهبي . وكذلك اهداهُ المجمع العلميّ جائزةً أخرى مكافاةً لهُ على ما صنَّفهُ من التصانيف الجغرافيَّة اهمُّها خارطة نهر يانتسي

جواب مفحم ۞ طلبنا في المشرق (ع ١٧ ص ٨١٥) ان يدلّنا حضرة الخوري غبريل على الكتاب الذي وجد فيهِ الرسالة الموجَّهة من القديس يوحنا فم الذهب الى روفينوس الكاهن والتي اطرأ فيها الذهبيّ الفم فضائل القديس مارون . فاجابنا حضرتهُ انهُ نقل هذا الأَثر الفريد عن كتاب المحاماة من رسالة للقس ميخائيل فاضل تُدعى « الاجوبة السنيَّة » . فافحمنا هــذا الجواب . وفي هذه الرسالة آثار أجلّ واعظم . منها قولهُ (ص ٤٦٢ راجع ايضًا تاريخ الكنيسة الانطاكيَّة للخوري ميخائيل غبريل ص ٩١) :

« قال القديس اوغسطينوس في كتابهِ الاوَّل في عوائد الكنيسة في الباب ٣١ وباسيليوس في قانون الرهبان : قد كانت عادة اولئك الآباء الفضــلاء ان يختاروا أفضلهم واكملهم علمًا وعملًا ويمثلونهُ كاهنًا ليخدمهم في الاسرار الالهية ويرشدهم في الحياة النسكيَّة ولقد رقد كاهنهم بعــد ان جاءهم القديس مارون بقليل فاختاروه باتفاق الكلمة والزموهُ بامر الاسقف ان يقبل درجة الكهنوت فقبل امتثالًا للامر . . . » وجاء في الصفحة ٤٦٣ : « قال القديس ايرونيموس في ردهِ على تواريخ اوسابيوس (!) في كتابهِ السابع في الباب ٣٢ ان الملك والينوس (!) اضطهد النسَّاك . . . امَّا مارونيوس

الذي حفظهُ الله لاس بريدهُ فطفق ينشد تلاميذه المتشتتين مجتاباً القفار متنقلاً من بريّة الى أُخرى ولم يزل كذلك حتى جمع شمل من بقي من تلاميذه

فلله ما اجمل كل هذه الآثار التي طلبناها دون فائدة في مظانّها ! ! ! فكيف يزعم حضرة الاب لامنس انّ توادوريطس هو المصدر الوحيد لحياة القديس مارون ؟

اسئلة واجوبة

س سألنا بعض افاضل البلدة : ١ً هل وردت كلمة « فلّاح » بمعنى « ملّاح » و « مسكين » بمعنى « ابرص » كما زعم بعض المستشرقين — ٢ً لايّ سبب دعي بعض الخطّ ثلثاً وتعليقاً — ٣ً هل يُراد بالزوراء الفضّة كما زعم الاديب امين ظاهر خير الله في المقتطف (ص ٧٤٣) في شرحهِ لبيت النابغة :

وتُسقى اذا ما شئتَ غير مصرَّدٍ   بزوراء في حافاتها المسكُ كانعُ

او ليس الزوراء اسم مكانٍ بعينهِ كما ورد في معجم البلدان لياقوت

الفلّاح — المسكين — الثلث والتعليق — الزوراء

ج نجيب على (الاوّل) أنّنا لم نجد لا في المعاجم ولا في غيرها من الكتب انّ الفلّاح وردت بمعنى الملّاح اي البحريّ . واذا ورد شيء من ذلك فالاحرى ان يُعدّ تصحيفاً . امّا المسكين بمعنى الابرص فذلك من باب التوسّع ليس من وضع الكلمة . ونجيب على (الثاني) انّ شرح لفظتي الثلث والتعليق واردٌ قريباً في مقالة القلقشندي عن الخطّ العربيّ . ونجيب على (الثالث) ان جناب الاديب امين افنـدي خير الله بشرحهِ الزوراء في شعر النابغة بمعنى القدح من الفضّـة قد استند الى تاج العروس الذي ضرب هذا البيت كشاهد على قولهِ وهو رأي ابن الاعرابي . امّا جغرافيّو العرب ونظنّ قولهم اصحّ فقد اجمعوا على انّ زوراء هـذه دار لملوك الحيرة راجع معجم البلدان لياقوت (٢ : ٩٥٥) ومعجم ما استعجم للبكريّ (ص٤٤٢) والمشترك (ص ٢٣٥) وهو راي الاصمعيّ وكذا شرحهُ اقدم شارح لديوان النابغة (شعراء النصرانيّة ٦٩٤)

س وسأل حضرة الخوري نعمة الله الاسمر من الكنيسي : هل يكتسب الغفران الملّق على ثوب سيدة الكرمل ان لم يمتنع صاحبهُ عن الزفر يوم السبت

الشروط لاكتساب الغفارين الملّقة على ثوب سيده الكرمل

ج قد كتب في المشرق (٣ : ٦٣٣) حضرة الاب انستاس مقالة تبيّن باصرح عبارة الشروط لاكتساب الغفارين الممنوحة لحاملي ثوب سيّدة الكرمل فلتُراجع ل . ش

السنة السادسة　　العدد ٢٢　　١٥ ت ٢ سنة ١٩٠٣

المشرق



البركة الرسوليَّة

هو الجندي اذا ما سَمِعَ في حومة الوغى صوت قائدهِ منهضًا لهمَّتهِ وباعثًا لعزيمتهُ زاد نشاطًا واندفع في الميدان لا يرهب الموت ولا يكترث لاهوال الحرب . وان كان هذا القائد هو ابو المؤمنين ورأس الكنيسة جمعاء ونائب المسيح على الارض يخصُّ بنظرةٍ من سموّ عرشهِ بعض ابنائهِ فيزوّدهم ببركتهِ

الرسوليَّـــة فأحرِ بهؤلاء ان لا يدَّخروا وسعهم في الدفاع عن حوزة الدين وخدمة الكرسيّ الرسوليّ الذي جعلهُ الله كمنارة تستضيء باشعَّتها امم الارض وملوكها

واليوم قد بشَّرنا من رومية العظمى (في تاريخ ٩ ت ١) حضرة الاب لويس مرتين الرئيس العـــام على الرهبانيَّة اليسوعيَّة انَّهُ عرض على قداسة الحبر الاعظم بيوس العاشر العددين الخامس عشر والسادس عشر من مجلَّة المشرق حيث اوردنا مصاب العالم الكاثوليكيّ بموت البابا لاون الثالث عشر والحقناهُ بالبُشرى السارَّة عن قيام خلفٍ لهُ اهلٍ بهِ ليرعى كنيسة الله . فلم يكتفِ قداسة الحبر الاعظم بان يتقبَّل بما عُهد فيهِ من اللطف هذه الهديَّة الزهيدة بل احبَّ ايضًا ان يتعطَّف ببركة خصوصيَّة على المجلَّة وكتبتها وقرَّائها ناعتًا لها بمشروع رسوليّ وطالبًا لها الترقي والنموّ . فنلثم مواطئ اقدام راعي الرعاة شاكرين لقداستهِ من صميم الفؤاد على هذه المنَّة الفريدة باسطين اكف الدعاء الى ابي المواهب ليبلّغهُ أمانيهُ ويوطّد عرشهُ ويصونهُ بعينـــهِ الساهرة سنين طوالًا لمجد الله وخير الشعوب

ولا غرو ان يكون الالتفات الذي خصَّنا بهِ امام الاحبار اقوى باعث واعظَم منشّط لادراك الغاية التي توخَّيناها منذ ست سنين اعني تعزيز اركان الدين ونشر راية العـــلوم البشريَّة بحيث يتحقَّق الجميع انَّ الدين والعلم كفرسي رهان بل اخوان شقيقان لا يقوم الَّا بهما العمران ما اختلف الملَوان ولاح النيّران

اقدم المخطوطات النصرانيّة العربيّة

نظرٌ للاب لويس معلوف اليسوعيّ

المقدمة

في المتحف البريطاني في لندن مخطوط لم يُدرج حتى الآن في فهرست المخطوطات العربيّة المطبوع (Br. Museum: Two treatises on christian Theology, Or. 4950) ولذلك لم يزل يجهلهُ اكثر العلماء الذين يُعنَون بالآثار العربيّة ولاسيَّما النصرانيّة منها. ولهذا الكتاب شأن عظيم لقدمهِ ولم اعهد في مكاتب اوربّة ومتاحفها مخطوطاً يفوقهُ قدماً بين المخطوطات النصرانيَّة العربية

ومن تصفَّح هذا الكتاب استدلَّ بمجرَّد النظر اليهِ على قدم عهده فانهُ مخطوط على ورق صفيق بقلم يأخذ من الخطَّين الكوفي والنسخي ويقرب من السريانيّ وهو الخطّ الذي ألفهُ نصارى العرب في القرن التاسع والعاشر فما بعد كما يُرى في الرسوم الفوتوغرافيَّة التي رسمتها السيّدة الانكليزيّة جبسون (M. D. Gibson) عن مخطوطات دير طور سينا العربيَّة

وهذا الدليل مع قوَّتهِ يؤيدهُ دليل اوضح واقطع ألا وهو تاريخ الكتاب الذي يُرى في آخرهِ حيث ورد ما حرفهُ:

« تمَّ المصحف بعون الله وقوته ونعمته وكان كمال كتابه في اول يوم من ذقمبرس يكون من حساب سني الدنيا على ما يُقبل في كنيسة القيامة ببيت المقدس سنة ست آلاف وثلثماية وتسعة وستين ومن سني الاكسندروس سنة الف ومايه وثمنية وثمنين. ويكون من سني العرب في شهر ربيع الاوَّل من سنة اربع وستين ومايتين كتبهُ الخاطي المسكين الحقير اصطافني بن حكم يُعرف بالرملي في سيق ماري خريطن لمعلمه الاب الفاضل الطهر الروحاني انبا بسيل عمره الله. اذا انت قرات فاذكرني لا تنسا لا نسيك الله واقامك عن يمينه واسمعك ذلك الصوت البهي المحبوب المفرح اذ يقول تعالوا يا مباركي ابي رثوا الملك المعد لكم من قبل انشاء العالم. يكون لنا ذلك بشفاعة مرتمريم الطاهرة وماري يوحنا وصلوات جميع الآباء الابرار امين امين »

فيكون اذن تاريخ هذا المخطوط سنة ٨٧٧ للمسيح ولا نعرف كتاباً نصرانيًّا

خطّ قبل هذا العهد صبرةٌ على آفات الزمان اللهمَّ الّا بعض مقاطيع من التوراة والاناجيل

ولعلَّ القارئ يسألنا وانّى حصل المتحف البريطاني على هذا السفر الجليل ? قلنا : انَّ لفي ذلك سرًّا لم يمكنّا كشفه مع تحفّينا في السؤال. وغاية ما علمنا انَّ الكتاب دخل المتحف المذكور سنة ١٨٩٥ واصله من بلاد الشرق. ولو لم يُنتزع من اوّلهِ ورقتان لأطلعنا على فوائد أُخرى اغنتنا عن البحث

والمجلّد الذي نحن في صددهِ عبارة عن ٢٣٨ صحيفة وفي كل صفحة ٢١ سطرًا. وهو يتضمَّن تأليفين مختلفين احدهما في ٤٠ صفحة وهو الثاني لثاودورس ابي قرَّة اسقف حرَّان (راجع المشرق ٦ : ٦٣٣) في عبادة الصور نشرهُ بالطبع سنة ١٨٩٧ ارندزن في بونه (١. امّا التأليف الآخر فهو في صدر الكتاب وقسمه الاكبر يتضمَّن ملخَّص العقائد النصرانيَّة في خمسة وعشرين بابًا في وحدانيَّة الله وتثليث اقانيمهِ وحلول الكلمة في احشاء العذراء مريم وتأنُّس ابن الله ولاهوت المسيح وصحَّة الدين المسيحيّ وانتشارهِ بين الامم الى غير ذلك من المباحث الجليلة التي عرضها صاحبها باجلى بيان واقطع برهان مستندًا في حججهِ الى آيات الكتاب واقاويل الآباء والدلائل النظريَّة على طريقةٍ قريبة المنال جزيلة المنى لا يأباها في عهدنا ائمَّة اللاهوتيين وكبار الخطباء.

امّا مؤلف هذا الكتاب واسمهُ فسقطا بسقوط الورقتين الاوليين. على انَّنا لا نشكُّ في انَّ كاتب هذا التاليف انَّما هو ايضًا ثاودورس ابو قرَّة اسقف حران (٢. ولنا

---

١) وهذا اسم الكتاب Theodori Abu-Korra de cultu Imaginum libellus. Dissertatio philologica, Joannis Arendzen, *Bonnae* 1897

٢) بحثنا في المشرق (٦ : ٦٣٣) عن تاريخ ابي قرَّة المذكور ورجَّحنا انهُ كان اسقفًا على مدينة قارة وعاش في اواخر القرن الثامن للمسيح واوائل التاسع. ثمَّ وجدنا لهُ ذكرًا في بعض التآليف القديمة فنرويها هنا ليرى القرَّاء تضارب الاقوال في حقّ هذا الرجل الشهير. ١ً جاء في كتاب الاشراق في الاصول الدينيَّة لدانيال السرياني المارديني « انَّ الروم قالوا بمشيئة واحدة وفعل واحد الى زمان مكسيموس الراهب وتاودريقي الحرَّاني ويوحنَّا الدمشقي » فدعا ابا قرَّة تاودريقيَ (ونظنُّهُ تصحيف تاودوريق) ونسبهُ الى حرَّان وجعلهُ بين المناقضين لبدعة المشيئة الواحدة مع القديسين الجليلين مكسيموس ويوحنَّا الدمشقي. ٢ً وجاء في كتاب الشرق المسيحي للوكيان (٢ : ٨٤٩) نقلًا عن كتاب مخطوط قديمًا باليونانية انَّ ثاودورس هذا كان اسقفًا على مدينة حرَّان في سوريَّة المجوفة « ἐπίσκοπον γεγονότα χαῤῥαν τῆς κοιλῆς Σύριας θεόδωρον ». ٣ً وروي في كتاب مصباح الظلمة لابي بركات القبطي انَّ ابا قرَّة من كتبة النساطرة. ٤ً وفي قائمة

على ذلك بعض الادلَّة : الدليل الاوَّل ان هذا المجلَّد بقلم واحد وورق متشابه . فلا يبعد ان يكون التاليف الاوَّل لابي قرَّة كما ان الثاني لهُ بلا شك . الدليل الثاني التشابه في اللغة بين التأليفين يدلُّ على ان الكاتب واحد . الدليل الثالث ان عربيَّة هذا التأليف تُشبه شبهاً تامًّا في تراكيبها وخواصّها اللغويَّة عربيَّة الميمر الذي نشرهُ حضرة الاب قسطنطين باشا في صحَّة الديانة النصرانيَّة وهو لابي قرَّة كما بيَّنـا . الدليل الرابع طرق الكلام واساليبه ايضاً واحدة في هذا الكتاب وفي التآليف التي نعرفها لابي قرَّة منها اتساعهُ في البراهين العقليَّة واستعمالهُ للتشابيه الحسيَّة والامثال الى غير ذلك ممَّا امتازت بهِ تآليفهُ المحفوظة باليونانيَّة او العربيَّة لاسيَّما انَّنا لا نعرف قبل ابي قرَّة كاتباً عربيًّا توسَّع مثلهُ في العقائد النصرانيَّة وشرحها شرحهُ

وفي هذه النسخة بعض خواصّ تفرَّدت بها لا بُدَّ من الاشارة اليها . منهـا كتابة الألف في آخر الكلم على صورة ا طويلة كقولهِ « قضا ومعنـا » بدلًا من « قضى ومعنى » . ومنها اختصار بعض الألفاظ كقول « منجله » يريد « من اجله » . وكذلك يبقي الواو والياء حيث يجب حذفهمـا فيكتب « لم يكون » و « لم يبيع » وهذه الاغلاط اكتفينا بالتنبيه اليها وقد اصلحناها في المثال الذي نوردهُ هنا

وقد نقلنا هذا المثال من اربعة ابواب وهي الخامس والسادس والسابع والثامن

مخطوطات لندن السريانية لِرَيْت (Wright) في الجزء الثاني (ص ٩٠) « قصَّة مار شمعون من زيتا اسقف حرَّان ونصيبين المعروف عند العرب بابي قرَّة » ويقال هناك انهُ كان في بغداد سنة ١١٣٥ للاسكندر اي سنة ٨٢٤ للمسيح . ٥ً وبين مخطوطات مكتبة باريس جدال جرى في حضرة المأمون بين عبد يشوع جاثليق النساطرة وبين ابي قرَّة الملكيّ وابي رائطة اليعقوبي . فيؤخذ من هـذه الشهادات المتناقضة انهُ وجد كاتبان في زمن واحد عُرفا بابي قرَّة . احدهما نسطوري اسمهُ شمعون من زيتا كان اسقفاً على حرَّان (المجاورة للرها) ونصيبين . ولهذا تأليف جدليّ تناقلتهُ الايدي منهُ نسخ عديدة في مكاتب اوربَّة وخزائن الخاصَّـة في الشرق . والآخر ملكي اسمهُ ثاودوروس او تاودوريقي ناصب البدعة المنوثليَّة وهو صاحب الكتب اللاهوتيَّة العديدة التي طُبع منهـا قسمٌ في مجموع الآباء اليونان ووجد منها قسماً الاخوان الفاضلان القس قسطنطين باشا الباسيلي القـانوني ولويس معلوف اليسوعي . وكان هذا اسقفاً على حرَّان . ولكن حرَّان هذه غير حرَّان ما بـين النهرين . ولكن يصعب تعيين موقعها . ويوجد عدَّة امكنة في الشام بهذا الاسم منها حرَّان العواميد في اللجأ . وحرَّان في غوطة الشام . وحرَّان في ايالة حلب (راجع معجم البلدان لياقوت ٢ : ٢٣٢) . ولعلَّها قارة التي سبق لنا ذكرها فصُحِّفت بحرَّان . امَّا دخول ثوادورس ابي قرَّة بغداد فمحتمل لانَّ الملكيين كان لهم فيها مطران من ملَّتهم ل . ش

بيّن فيها المؤلف الاسباب التي حملت ابن الله على ان يتأنس ويلبس الطبيعة البشريّة

القول في تأنس الله الكلمة وهو لاربع خصال

الخصلة الاولى

الخصلة الاولى من خصال التأنس ارادة (الله) اكرامنا بالجزء الذي بهِ تأنس. ومَثَلُ اكرامهِ ايَّانا مثَل ملك اخطب لابنهِ من بيتٍ من بيوتات اهل مملكتهِ وجعل في نفسهِ ان ينقل اهل ذلك البيت اليهِ وينزلهم في جوارهِ ويخلطهم بنفسهِ ويدعوهم اهل بيتهِ ويشركهم مع ورثتهِ كذلك الخالق اكرمنا بتانسهِ وبتوحيد بشرهِ بلاهوته وباختلاطهِ بنا ومعاشرتهِ ايَّانا ما صلح لنا. ثم ارتفع ببشره الى السماء وهو عتيد ان يأتينا ثانيةً فينقلنا اليهِ و يورثنا خيره ويشركنا بغناه

ومن اكرامهِ ايَّانا ايضاً تسبُقهُ بخلقهِ الخليقةَ لِخلقِ آدم ابينا. والله السابق للخليقة والمسبّب لها وبسبقهِ للخليقة نستدلُّ على غناه عن كل ما خلق. وكما ان الماء سبب النبات وهو السابق لهُ وليس بالماء الى النبات من حاجةٍ وبغنى الماء عن النبات يُستدَلّ على ان النبات لغير الماء خُلق فكذلك يُستدلّ بسبق الخالق خلقهُ. على ان الخلق لغير خالقه خُلق والمخلوق لهُ الخَلق لانهُ بعد الخالق كان كونهُ

ومثَل صُنع الله الحكيم مُحكم الانسان ما يُستَدل بهِ على احكام الله. مثَل رجل امتلك لهُ امرأةً ثم يأخذ في تهيئة ما ينبغي للتبنّي بها فاحضرهُ بيته قبل دخول المرأة اليهِ. ثم انهُ اتى بالمرأة بعد فوجدتْ كل ما ينبغي لها معـدًّا. فكذلك الخالق لم يزل في علمه مزمعاً بالتأنس فاعدّ ما ينبغي لأنسيَّتهِ قبل التأنس ثم انهُ تأنس بعد إحكامهِ الخلق لكنَّهُ خلَق الجِبلّة التي منها تأنسَ خَلق ما هو عتيد ان يُخلق لانسيَّتهِ لتكون الجبـلَّة شاهدة على الخالق المتأنس عند معاشرتهِ الانس

ومن اكرامهِ ايَّانا ايضاً انهُ نادى في الخليقة: «لنخلق انساناً على صورتنا وشبهنا» وذلك هو ابونا آدم الترَّابانيّ. وكيف تكون صورةُ آدم المحسوسة بشبه من ليس لهُ مجسة؟. فليس قولهُ «نخلق على صورتنا» بان للّاهوت صورةً محسوسة ولكن لان ما لم يكن من المكوَّن عتيد لتكونهِ عند المكوِّن لهُ في علمه السابق فانهُ بمنزلة من قد كان. ولو نزل في علمه السابق التأنس فطبع الانسان الاول على ما هو عتيد لهُ ليكون الانسان نفسه

دليلًا على ما هو عتيد اذا ما جاءهُ في صورته. فالسماء والارض وما فيهما من متاع العاجل والآجل للجزء الموحَّد باللاهوت خُلق ومن اجلهِ وصف الله نفسهُ في الكتب انسانًا والالزام ما يلزم الانسان في جوهرهِ وهو الذي لا يزداد ولا ينتقص ولا يغيّرهُ الغيار. من السماء نزل وفي جوهرنا ظهر ودعانا اخوتهُ وابناء واخلَّاء وعاشرنا سنين صغيرًا وكبيرًا يمثّل لنا بنفسهِ شرائع كلّ خير: لين وتواضع وصفح عن المُسيء وانشاد الخير كلّهُ الى الناس جميعًا ودفع السوء كلّهُ عن الناس جميعًا. وان لا نكون نكافي مكان الشرّ شرًّا. وحب للبغيض ومصالحة للعدوّ وتركان البغي والحقد وان لا ننتصر. وصلاة وتضرّع وصوم ذات طيّ اربعين يومًا طواها مثال نقتدي بهِ. فتعالى وتقدّس ربُّنا مكرمنا

الخصلة الثانية من خصال التأنُّس

وتأنسهُ ايضًا ليعرفنا بتثليث وحدانيتهِ وكنه جوهرهِ. ومثَلُ الوجه الذي هدانا بهِ الى معرفة تثليث وحدانيّتهِ ومحبّتهِ في لطفهِ ولينهِ وانسهِ بقدر ضعفنا وقدر عزهِ مثَلُ رجل ناطق اراد بأصمّ اخرس ضعيف الحيلة خيرًا فأومأ اليهِ بيدهِ في حاجته ايماء فانتفع الاخرس ولم ينتقص الناطق. فكذلك الله اللطيف الحسن التدبير في عزّهِ وضُعف جوهرنا اذ ظهر فينا في صورة البشر كاحدنا وتقلب تقلّبنا وسعى مساعينا وكلّمنا بكلامنا وأومأ الينا كما يومئُ الناطق الى الاخرس فوصف نفسه بما ليس في جوهره. من ذلك قوله لاصحاب الصَرح بارض شنعر وهي التي سُميت بابل قال (تك ١١ : ٧) : نتزل ونفرّق الالسن. وقال ايضًا في اهل سدوم عند ابرهيم (تك ١٨ : ٢١) : نزلتُ لأتبيَّن جُرمهم. وفي خلاص بني اسرائيل قال لموسى من العُلّيقة (خر ٣ : ٨) : نزلتُ لأخلّصهم. والنزول والصعود فيهِ الغيبة والشهود. ومن قوله ايضًا لآدم (تك ٣ : ٩) : يا آدم اين انت لعلّك ان تكون تناولت من الشجرة التي نهيتُك عنها. وقال لقاين (تك ٤ : ٩) : اين اخوك هابِل. اذ لم يغبْ عنهُ صنيعهُ باخيهِ ولم يخفَ عنهُ مكان آدم. وقال ايضًا (تك ٦ : ٦) : ندم الله على خلقهِ (بني) آدم. وعلى تمليكه شاول (١ ملوك ١٥ : ١١). والندامة لا تكون الَّا على حال لم يكن صاحبها يرى سبيلها. فقد وصف الله نفسهُ بالجهل اذ هو نفيٌ من الجهل. وظهر لابرهيم في صورة بشر وناقلهُ الكلام في قوم سدوم طويلًا لا يخالفهُ ابرهيم في ظاهر خلقهِ بشيء ما خلا العزّ والقوة. وحزقيل وداود وشعيا رأوهُ في صورة البشر وناطقهم كما يناطق

البشرُ البشرَ ولم يكفّهم الظاهر منهُ الشبيه بهم عن الشهادة عليهِ انهُ الرب من قولهم رأينا رب الارباب في كذا وكذا وعلى كذا وكذا ». فكل ما رأت الانبياء جزءا من الخالق اقتراهُ جزءا من الخالق ؟ لا. ولكنهُ بالذي علم انها تطيق النظر اليهِ فبـهِ بهِ أعلن لها وظهر وبهِ كلّمهم وناطقهم لطفًا منهُ لهم وحسنَ تدبيرٍ. ولولا ذلك لم يحتمل الخالق عزّهُ ولا قويَ على كلامهِ. ومن النار فاقتاس (فاقتَبِسْ) آية المؤمن. كيف لولا انك تقتبسها بعود او بفتيل اذن لما قدرتَ عليها ولا انتفعت بها. فخالق النار اعزّ واعلى من النار وهو الطف واحكم من خلقهِ

ففي وجه الانس والطمأنينة ظهر ربّنا لاصحاب التوراة الاولى في وجه ما كان عتيد ان يظهر فيهِ للأمم فشبه ظهوره اذ ذلك شهادة منهُ واساسًا لما هو صانع. فمثل تقدّمهِ في صورتنا لاصحاب الناموس الاول في خيلاء بشرنا شِبْه ما هو عتيد لهُ حقيقة ما نحن ذاكريه. فنقول ان الحكمة لله وحدهُ ومنهُ تعلّم الخلقُ الحكم. ان الصياد اذا اراد صيد طير الماء احتال لها بحيلة وعمد الى قُرعةٍ عظيمة فقوّر فيها ثُقبين نافذَين ثم القاها في ذلك الماء الذي فيهِ الطير وتركها اياماً كثيرة تصفقها الرياح يمينًا وشمالًا حتى اذا اتى عليها حينٌ اطمأنت اليها الطير وأنست بها. فبعد ذلك يعمد الصيّاد المحتال الى وثاق وسكّين ثم يدخل الى الماء الذي فيهِ الطير والقُرعة فيُدخل رأسهُ في جوف القرعة ثم يمشي بها نحو الطير حيثما رآها من الثقبين اللذين كان ثقبهما فيهـا فيأخذ بارجل الطير فيغمسها في جوف الماء ويشدّها وثاقًا ويذبحها. فهذه حيلة من المخلوق. فالخالق أحكَم وأحيَل فبحكم الحكيم ولطفهِ كان ظهوره للانبياء بخيال بشر حيلةً منهُ ليصيد البشر وشهادة للمؤمنين اليوم على المكذّبين لهُ فبالتي اراد ان يظهر فيها للامم حقيقةً بشبهها للشهود الاولين ظهر. شهدوا وقالوا « رأينـا رب الارباب شبه بني البشر ». ففي وجه الانس والطمانينة اتانا ربنا بجوهرنا حقيقةً وليس بخيـال بشر فقط كالذي كان ظهر لاصحاب الناموس الاول بل ببشريّتنا وهي انسيّة اجتبلها من الطاهرة العذراء مريم واتانا ربّنـا فتولى دعوتنا وخلاصنا هو بنفسهِ ولم يولِهِ العبيد كالذي كان اولًا لمن كان قبلنا كقول النبي اشعيا اذ يقول (اش ٣٥ : ٤) : « لا ملاك ولا رسول ولكن الرب يأتينا بنفسهِ ويتولى خلاصنا » لهُ المجد والسجود الى دهر الداهرين امين

الخصلة الثالثة من خصال التانس

وتانسه ايضاً ليحرّرنا من العبوديّة ويفكّنا من اللعنة التي كنّا فيها اذ ذلك من عجزنا عن العمل الذي أُمرنا بهِ في ناموس موسى في قوله (تث٢٧ : ٤٦) ملعون كل من لا يعمل بكل ما أُمر بهِ وينتهي عن كل ما نُهي عنهُ . ومثَل تحريرهِ ايّانا وابطال اللعنة عنا مثَل رجل اجر نفسه من اخر يومهِ الى الليل فعمل العبد بعض النهار ثم عجز عن العمل . فلمّا ان رأى مولاه عجزهُ عمل عنهُ بقيّة نهارهِ فتمّم للعبد عند الليل اجرهُ لما عمل وما عُمل عنهُ . فكذلك المسيح ربّنا الرؤوف الرحيم بعباده عمل عنّا ما كنّا قد عجزنا عن عملهِ فحرّرنا بعملهِ من العبوديّة وفكّنا ايضاً من اللعنة الواجبة علينا بتقصيرنا عن تمام العمل بما أُمر بهِ بادخالهِ نفسهُ في حدّ اللعنة اعني صلبهُ بلا جُرم . وذلك انهُ مكتوب في ناموس موسى النبي (تث ٢١ : ٢٣) : ملعون كلُّ مصلوب . والمصلوب بجرمهِ استحقّ الصلب . وشهرته في الصلب هي التي صيّرتهُ في الناس لعنةً . والمسيح ربّنا صُلب بلا جرم فكان في منظر اللعين بادخاله نفسهُ فيما في المصلوب بجرمهِ من اللعنة في حدّ المصلوب . ولو كان ما عمل بهِ المسيح ربّنا من السُّنن واجب عليهِ كما يجب على البشر اذن لكان عملهُ ذلك عن نفسه ولم يكن يتحرّر بهِ احد من اللعنة . وكذلك صلبهُ لو كان استحقهُ اذن لكانت اللعنة لازمة كما هو مكتوب ولم يكن بالذي يُفكّ بصلبهِ احد من اللعنة . فليس بعبادة العبد حرّرنا من العبودية ولا بموت الميت اللازم لهُ الموت لا محالة نجونا من الموت . ولكن بتعبُّد ابن البشر الكلمة الحيّ وبصلبه المجيد وبموت المنتجب من الطاهرة العذراء مريم المحتمل للموت نجونا من اللعنة والموت . ويشهد على ذلك الرسول بولس اذ يقول (غلاطية ٤ : ٤) : ارسل الله ابنهُ فكان من المرأة وصار من دون السُّنَن ليفتدي بذلك الذين هم تحت السنن . وقال يوحنا فم الذهب في قوله على الصليب : « هو الله ابن الله وهو ابن البشر من المرأة . هو مقدِّر الجواهر كلّها وحدَّد لها الحدود وصيّر نفسهُ من دون السنن للحدود وما لم يجب عليهِ ان يعمله عملهُ وما لم يستحق عليهِ بليّةً احتملهُ . حرّر المؤمنين بلاهرتهِ وربوبيتهِ وبنوتهِ من الله الاب ممّا كانوا لهُ مستحقين ويبقى المكذبون بهِ من اليهود في العبودية واللعنة كقوله لهم (يو ٨ : ٣٦) : ان لم يحرّركم الابن تبقون عبيداً . وقولهُ ايضاً لهم (يو ٨ : ٢٤) : ان لم تقرُّوا باني

انا هو تموتون بخطيئتكم. ويقول (يو ٨ : ٥١) : والمؤمنون بي لا يذوقون الموت بل لهم حياة الخُلد ولا حساب عليهم. أفلعلّك أيها السامع تظن ان قوله « ان لم تقرّوا بأنّي انا هو » انّما اراد منهم على ان يقرّوا بهِ انهُ انسان؟ فلا تظن هذا بل اعلم ان الايمان انّما يجب على الغائب الخفي فامّا ما ظهر من الامور فانّهـا معروفة لانهُ مَن ظهر لهُ امر فابصره بعينهِ ثبت في صدره الى الابد فينشرهُ ويحدث بهِ ولا حمد لهُ. ولو انهُ أُعطي عطيّة أن يجهل ما عرفهُ عقلهُ لما وجد الى جهله سبيلاً. فالايمان الى الانسان ان شاء آمن وان شاء انكر وعليهِ الثواب والعقاب فنحن المقرّون انّهُ الله الاول معاشر بني اسرائيل وهو هو الآخر معاشر الحواريين والشاهد على ذلك هذا الرسول بولس اذ يقول (عب ١ : ١) : في وجوهٍ كثيرة وانواعٍ شتّى كلّم الله آباءنا في الانبياء اوّلاً وفي زماننا هذا كلّمنا بابنهِ » فباقرارنا بالله الظاهر بيننا ببشريّتنا صار لنا عملهُ وبطلت بهِ اللعنة عنّا وبقي المكذّبون بهِ من اليهود في اللعنة بجرمهم وكفرهم بنعم الله وبصلبهم ربّهم الذي بهِ تمّت خطاياهم وكمل جرمهم. فليس منهم احد خلص من اللعنـة لانهُ لم يتمم احد منهم ما أُمر بهِ ونُهي عنهُ في الناموس الاول من موسى كاتبهِ الى آخر من يبقى منهم على الارض. فليس احد منهم استوجب الملكوت بعمـل بل كلّهم عصوا وهلكوا بمعصيتهم وموسى اكبرهم واعزّهم لم يستأهل الدخول الى الارض التي أُوعدوها ويشهد هو على نفسه في التوراة فكلهم ميتون بمعصيتهم. وذلك لو ان الرجل منهم عمل بكل ما أُمر بهِ وتجنّب كل ما نُهي عنهُ بعد ان يكون نقص خصلة واحدة كان قد استوجب اللعنة. والملعون عاصٍ والعاصي ميت بمعصيتهِ الّا من انعم الله عليهِ وصفح عنـهُ واجاز عملَهُ وهم النبيون والصديقون والشهداء. وذلك انهُ مكتوب في ناموس موسى نبي الله (تث ٢٧ : ٢٦) : يعمل العامل كل ما أُمر بهِ ونُهي عنهُ في الناموس ومتى لم يعمل بكل ما أُمر بهِ ونُهي عنهُ يكون ملعوناً. فعمّت اللعنـة الناس اجمعين. وانّ العامل القوي الله الرب يسوع المسيح تأنّس وعمل العمل الذي من اجلهِ وجبت اللعنـة على العباد وكان عملهُ عن المؤمنين بهِ. فبعملهِ ابطل اللعنة عنّا وبايماننا حرّرنا من العبوديّة فاستوجبنا بذلك ملك السموات فنحن باعمالنا وهؤلاء باعمالهم نحن بايماننا بالله الكلمة الحيّ المتانس يسوع المسيح استوجبنا ملك السماء وطُلب من بني اسرائيل عمـل

يستوجبون بهِ رضا الله فوُجدوا ضعفاء ولم يكن لهم ايمان يستدركون بهِ تقوى الله فبقوا في مفازةٍ تقطع سالكها بالعطش . ولقد انطرد بين ظهرانيهم حجر الدين وجرت انهارًا فلم يستقوا (١ كور ١٠ : ٤) : ونحن آمنَّا بالذي دعا الى الايمان بهِ . فكان لنا في المفازة عين تطَّرد . فشربنا منها وفي استقائنا منها احتكرنا ونحن بها ريَّانون الى الابد لهُ المجد والقدرة والسجود الى دهر الداهرين امين

الخصلة الرابعة من خصال التانس

وتأنسهُ ايضاً ينبت في قلوبنا العلم اليقين بالحيوة من بعد الممات وينقذنا من الشيطان الغالب لآدم ابينا والمتجوّر على ولده . ومثل هدايتهِ ايَّانا الى علم البعث مثَل اعتبار انسان بمجِيَى دانقٍ واحد من ذهب ام فضَّة يُستدل بهِ على الف مثقال واكثر أُخذ منهُ الدانق . كذلك استدللنا ببعثة المسيح ربّنا من بين الموتى على بعثة الناس كلّهم

ومثَل غلبة الشيطان واستنقاذ رعيته من يديهِ مثَل رجل كانت لهُ غنم وكان الى جانبها ذئب عادي لا يزال يضرب فيختلس الغنم وان الرجل عمد الى جلد شاة من غنمهِ فلبسهُ ثم رقف وسط الغنم كاحدها ما يُنكَر منها حتى اذا اقبل الذئب كعادتهِ بادرتهُ الشاة المتنكِرة فطارَدَتهُ طويلًا وحالت بينهُ وبين الغنم . فلمَّا ان رأى الذيب ما قد جاءت بهِ الشاة من القوّة ومناصبتها ايَّاهُ ظنّ الذئب في نفسهِ ان الغنم قد تحولت فصارت في القوّة مثلها فولى الذئب هاربًا . فهذا حكم من المخلوق وحيلةٌ والله احكم واحيل . . . . .

ومن حكمتهِ وحسن تدبيرهِ انهُ قضى بالموت على آدم وولده في اكلهِ من ثمرة الشجرة فغصَّ بها آدم واستوجب بها الموت واورث ولدهُ بعدهُ الموت فمضى الدهر والازمان بمن مضى من الناس فصاروا رميمًا ولم يروا انَّ لشيء من الذاهبين رجعةً وظنوا ان الموت هلاك لا وجود لهُ . ثم قالوا ما اكلهُ السبع والطير ودوابُ البحر مع ما سحقهُ طول الدهر فصار ترابًا كيف يعود الى ما كان اوائله فوضعوا النوح واعلوا البكاء والتولول على موتاهم ولم يعتبروا فيما في ايديهم من الحكم فيقيسوا بها حكمة الله الاعلى . ومن تحكّمهم تمييز تربة الارض وتصنيفها من الجواهر ودود القز ايضًا بعد موته وذهاب الروح منهُ وتصيرهُ جلود يابسة يحيونهُ بحيلتهم . فان يكون من لم يبتدع خَلق

الدود اول مرّةً يحييه من بعد موته. فالمبتدع للشيء اولًا هو على احيائهِ بعد موته احكمُ وأقدر. فلن يعجز الصانع الحكيم على اصلاح ما انكسر من صنعته اذا كان هو المبتدع لهُ اولًا

ومن حكمته وحسن تدبيره انهُ رأى الرعيَّة قد غلب عليها الشيطان الغالب لآدم فاراد غلبته واستنقاذ الرعيَّة من يديهِ اذ لم يغالبهُ بالعزّ الذي لا يقام لهُ. ولكن تجلّل بأُنسيَّتنا من جبلّة آدم فقاتل بها قاتِل الانسان الاوَّل حتى انهزم واستنقذ رعيَّتهُ كما طارد الذئب صاحب الغنم في جلد شاة من غنمهِ حتى انهزم فكانت الغلبة عند الذئب للشاة. فكذلك الله الحكيم اخفى لاهوتهُ في آدم فقابل بها الشيطان الغالب لآدم حتى هرب وأعدت الغلبة لآدم. وذلك ان الشيطان اتى المسيح ربّنا في صيامهِ فقال لهُ (متى ٤: ٣): قل لهذه الحجارة تكون خبزًا. فماذا تقول في قول الشيطان هل كان واثقًا بقول المسيح ربّنا ان هو قال للحجارة «كوني خبزًا» تكون. فقد علم انَّ من قدر على ان يصيّر الحجارة خبزًا هو على ان لا يجوع اقدر. الّا ان المسيح ربّنا هو المهيّج للشيطان لما قال. ومانعهُ من ان يعلم الاخرى. وذلك ان المغلوب في الفردوس اوَّل مرةٍ في اكلهِ غُلب وبها رأى العزيز ان يغلب الغالب ليكون المغلوب للغالب لهُ قاهرًا. وذلك لو ان انسان مُنع حوائجه كلها حتى يبلغ مجهودَهُ من كلّها بالسواء اذن كانت حاجتهُ الى الطعام اول الحوائج كلها يُعنى بها. ولو عُرض على انسان من الحوائج كلّها واحدة بعد فقده ايَّاها الى ان استوى فيها في الحاجة لم يختر على الطعام شيئًا

ومن حكمتهِ وحسن تدبيره اذ اراد ان يجترَّ النـاس الى معرفة البعث واليقين بالرجعة لاهل القبور انَّهُ لم يأتِ الناس كبيرًا او غريبًا لا يُعرَف فيقع الشك فيهِ والامتراء. ويجد اهل الجحد والانكار لبعثته ما يحتجّون بهِ على إبطال انسيَّته وذلك انَّ الشيطان قد يتخيل بشرًا ويتراءى في صورة انسان غير انهُ لا يوجد لهُ ثبات ولا مجسَّة ولا بقاء لما يعاين الناس منهُ فلذلك لم يأتِ المسيح ربّنا خلقةً كبيرًا ام غريبًا ولكن حُبل به وولد من العذراء مريم وهي عذراء. ونشأ في مولده كما ينشأ الانسان. وسعى مساعي الانس وتقلّب تقلُّبهم في الأكل والشرب والنوم واليقظة والراحة والشخوص والسؤال عن الامر كالجاهل بهِ مع العبادة التي يعرفها الناس من الناس لله الرب من شرائع بني اسرائيل وسننهم. فلم يدع المسيح ربّنا نقطةً ممَّا أُمر بهِ ونُهي عنهُ في التوراة الّا احكمهُ عملًا

وكان عمله عن المؤمنين بهِ. فابطل بعمله عنهم اللعنة وحرّرهم بايمانهم بهِ فصاروا ابناء وإخلّاء واخوة ومحا عنهم اسم العبوديّة

ومن حسن تدبيره ايضًا جسُّ توما لجسدهِ عند جحوده بعثتهُ. وذلك انَّ توما قال لاخوته (يو ٢٠ : ٢٥) : لست بمصدّق ببعثة المسيح حتى اجسّهُ بيدي. وما الذي اراد بجسّهِ أما كان يكتفي بالنظر اليهِ فقط. لم يكن بالذي يكتفي بشيء من خصالهِ سوى الجسّة وذلك ان الشيطان قد يتخيل ويغر الناس في الخصال كلّها سوى الجسّة فانّها ليست في جوهره. والآيات قد تظهر للناس على وجه الارض بعضها حق من الله وبعضها من الشيطان ما يعرف الناس حقيقتها من باطلها في شيء من الخصال ما خلا الجسّة والبقاء. فلذلك اراد توما ان يجسَّ من قد رأى منهُ الآيات والجوائح وقال في نفسه: ان مَن قد رأيت منهُ الآيات والجوائح ذلك الشخص هو الله. فان كان هو المنبعث حقًّا فان لهُ مجسّة وان كان الذي رأوا هو خيال فان صاحبها كذلك. ولذلك قال لاخوته: لستُ بمصدّقكم بما تخبروني من بعثة المسيح حتى اجسّهُ. وكان قوله في علم ربّنا يسوع المسيح قبل ان يقولهُ. وان المسيح ربّنا عاد اليهم بعد ايّام الى العِليّة التي كانوا فيها فدخل على التلاميذ والباب مغلقٌ فقال لهم: السلام لكم. ثم دعا توما فقال لهُ: هات يدك فجسّني ولا تشكَّ فيَّ واعلم ان الخيال ليس لهُ لحم ولا عظام كالذي تراهُ لي. فلمّا ان حسَّ الشاب ربّهُ الدقيق في عقلهِ ذهب عنهُ ما كان رأى في نفسهِ لعلّهُ خيال ثم جرّهُ عقلهُ الى ان آمن بهِ انهُ ربّهُ والههُ. وكان هو اوّل المؤمنين بهِ بعد يوحنّا المعمدان في قولهِ ربّي والهي. فكان من ردّ المسيح ربّنا عليهِ: « الآن حيث ابصرتَ آمنت طوبى لمن لم يبصرني وآمن بي ». ونحن على ايمان توما وعلى اقرارهِ ان المجسوس في العليّة بيد توما هو ربّنا والهنا ولا اله لنا غيرهُ. وقد شهدت الرسل في الابركسيس على لسان يوحنّا بن زبدى كاتب الانجيل على ان المجسوس بايديهم هو الله الذي لم يزل اذ يقول يوحنّا في راس رسالته عن جميعهم (١ يو ١ : ١) : الذي لم يزل في البدء الذي رأيناه باعيننا وسمعناه باذاننا وجسسناهُ بايدينا. ومن قوله ايضًا في آخر رسالته هذه قال عن جميعهم (١ يو ٥ : ٢٠) : « نعلم حقًّا ان ابن الله جاءنا فاعطانا علمًا بهِ عرفنا الحقّ ونكون عليهِ بابنه يسوع المسيح وهو الله الحقّ وحياة الخلد » فليس ما كان من المسيح ربّنا من الخصال شبه ما في البشر من الحاجة والتوجع بغالب لهُ ولا قاهر ولا اتاه شيء قسرًا عليهِ ولا جبرًا لهُ

بل عن رضًى منهُ وقد كان قادرًا على ان لا يكون كل ما كان منهُ من ضعف وممّا نحن ذاكريهِ من تقلّبهِ. فاعتبرْ أيها المؤمن من قولنا ان المسيح ربّنا لم يلزمهُ شيء. من الضعف قط ولا جُبِر كما يلزم الانسان في جوهره. من ذلك صومه اربعين يومًا ولياليها لم يذكر انهُ حال فيها حتى اذا فرغ من صيامه عند ذلك قال (متى ٤ : ٢) : اخيرًا جاع. والصائم من الآدميين لم يأتهِ الجوع في ساعة ولا في يوم ولكنهُ يبدأ من اول صومه فيستنشق الهواء ويزداد في الجوع. وان المسيح ربّنا صام اربعين يومًا طواها. فلما ان انكروا ذلك منهُ اظهر الجوع ووصف نفسه بهِ لكيما لا تنكر انسيته. وقال الروح ايضًا (متى ٢٦ : ٣٩) : انهُ تنحّى عن تلاميذه فصلّى ودعا بصوتهِ: ابتاه أَجِزْ عني كاس الموت. ثم رجع الى تلاميــذه فوجدهم نيامًا. فقال لهم: ما تستطيعون تسهرون معي ساعةً واحدة. ثم عاد الى مكانه فدعا الثانية والثالثة ورجع الى تلاميذه فقال لهم: ناموا الآن واستريحوا فقد دنا ذاك الذي يسلّمني. فاقبل يهوذا ومعهُ الشُّرَط فقال لهم المسيح ربّنا: لمن تريدون فقالوا لهُ: نريد ليسوع. فقال لهم: انا هو فولّوا راجعين وخرّوا على وجوههم. ثم عاد فقال لهم المسيح ربّنا: من تريدون. فقالوا لهُ: نريد يسوع. قال لهم: قد اخبرتكم اني انا هو. وهو قبل ذلك في مثل طلقة المرأة من الجزع. وقال ايضًا (متى ٢٦ : ٣٨) : ان نفسي لحزينة الى الموت ». وقــال ايضًا (يو ١٠ : ١٨) : ليس لاحد الى أخذ نفسي سبيل انا الذي اضع نفسي وانا آخذها ايضًا وليس لاحد عليها سلطان ان يأخذها مني ». فمن كان لهُ سلطان على نفسه ان يحييها بعد موتها كان لهُ سلطان الى ان لا يوجع. وليس دفع الاوجاع بأعسر من احياء النفس. وقيل ايضًا انه اتاه الملاك لتقويته. وان من ايمان النصارى علامةً ما لا شك فيها ان لاهوت المسيح ربّنا منذ توحدت بانسيته لم تفترق ولم تغبْ ولكنها في البطن الطاهر وفي الصليب وفي القبر وهي الى الابد لا تفترق. فهل يُحتاج في بيت طلعت فيهِ الشمس الى ضوء المصباح. وما قد ذكرنا من المسيح ربّنا من الضعف وما لم نذكرهُ بمشيئتهِ كان وعن رضًا منهُ. ولولا ما ظهر منهُ ما هو للانسان لازم في جوهره من الجزع عند البلاء والجوع عند الصوم إذن لَقيل ما هذا ببشر. وكان ذلك ممّا يبطل بهِ بعثهُ ويبطل بابطال بعثهِ عند النّاس بعثة الموتى عامَّةً ولكن المسيح ربّنا بذل نفسه للموت المشتهر في اشهر الأيّام وأجمعهِ اهلًا. وكان صلبه يوم الجمعة بتوفيقهِ. وذلك ان المصلوب في بني اسرائيل لم يكن يُترك

ليلة السبت على الخشبة ولولا انهُ صُلب يوم الجمعة فاتزل من ليلتــه اذن لتَمسَّخ فوق الصليب ولم يُدفن. ولكن وفَق صلبه يوم الجمعة ثم وفَق لهُ رجلًا من النــاس فاستوهبهُ من الوالي فأحدرهُ ثم ادرجهُ في ثياب ووضعــهُ في قبر جديد لم يكن وُضع فيهِ احد من الناس وكان ذلك بتوفيق المسيح ربّنا وذلك ان القبور في ارض المغرب مغاور وبيوت من حجارة يلقى في البيت الواحد والمغارة الواحدة بشر كثير. فلو ان المسيح ربّنا وضع في تلك البيوت التي فيها الموتى اذن لما صدّق بَعْثــهُ احد من الناس. ولعلّ القائل يقول هو احد هؤلاء الصرح ولم يكن عليهِ من حجّة ولكن المسيح ربّنا وفَق لهُ قــبرًا جديدًا ووفق لهُ ايضًا اليهود الذين سعوا بهِ الى ان قالوا للوالي (متى ٢٧ : ٦٣) : انّا سمعناه يقول لاصحابهِ اني اقوم بعد ثلاثة ايّام ونحن نتخوّف ان يسرقه اصحابه. فامروا بحَرْسهِ لئلاَّ يكون لهم حجّة يعتلّون بها. حتى اذا كان صباح الاحد انبعث كما اخبر تلاميذه وبقي على الارض بعد قيامته اربعين يومًا ليصدّقوا ببعثتــه واكل وشرب وجُسَّ باليدين ليستقر عند الناس الايمان بانسيته. فلمَّا ان رآهُ من كان قد رآهُ على الارض وعلى الصليب وفي القبر ومنبعثًا ومقيمًا على الارض في حال ما كان اولًا اتخذوا قياسًا لبعثة الاموات كلّهم... لهُ المجد والقدرة والسجود ولابيهِ وروحه الى دهر الداهرين امين

التراسل الكهربائي

لجناب الاديب ميشال افنــدي الياس سماحه

اثبتنا في مقالة سابقة (المشرق ٨٦٧) الطرائق المتعدّدة التي سوّلها العقل للبشر في كرور الادهار للتراسل بين البلاد وترقية اسباب الأُلفة بين الشعوب. الَّا انَّ القرون الاخيرة قد بلغت من ذلك مبلغًا لم يَدُر على خلد الأقدمين وذلك باختراع احد عوامل الطبيعة المكنونة التي عرف العلماء السابقون اسمها ولم يقفوا على قواهــا العجيبة نريد الكهرباء.

قيل انَّ اوَّل من ذكر الكهرباء احد فلاسفة اليونان اسمهُ تاليس المليطي نحو ٦٠٠

سنة قبل المسيح . اختبر قوّتها في الكهرب الذي يدعوهُ اليونان إلكترون (ἤλεκτρον) ومنها اشتقّ المحدثون اسم الكهربائيَّة في لغتهم . على ان قدماء اليونان والعرب من بعدهم وقفوا عند هذا الحدّ ولم يبحثوا عن خواصّ هذه القوَّة السرّيّة ومفاعيلها في الاجسام حتى قام نحو سنة ١٦٥٠ احد العلماء الالمانيين اسمهُ اوتو دي غريك (Otto de Guericke) من مغدبورج فبيّن انَّ بعض الاجسام كالكهرب والزجاج واللكّ اذا دُلكت لا تجذب فقط الموادّ الخفيفة كما هو المشهور لكن تدفعها ايضاً

ثم اكتشف في اثر ذلك خاصيَّة أُخرى للكهرباء وهي ظواهرها النوريَّة واخترع لبيان الامر آلةً كهربائيَّة اتّخذها العلماء من بعدها كوصلةٍ لاكتشافاتٍ أُخرى مهمَّة اخصُّها اكتشافات دوفاي (Dufay) في اواسط القرن الثامن عشر واليهِ يعود الفضل في تعميم مبادئ سلفائهِ . فانَّهُ بيّن بالاختبار انَّ كل الاجسام قابلة التكهرُب اذا فصل بينها وبين الارض باداة عازلة كالزجاج والراتينج ثم استدلَّ على ان الاجسام المتكهربة تجذب الاجسام التي ليست بمتكهربة فاذا تكهربت دفعتها عنها . فاستنتج انَّ الكهربائيَّة على نوعين دعاهما بالكهربائيَّة الزجاجيَّة والكهربائيَّة الراتينجيَّة ثم أُهمل هذا التقسيم فدُعيت كهربائيَّة الاجسام المدلوكة بالحرير الكهربائيَّة الايجابيَّة امَّا المكهربة بالاجسام الراتينجيَّة فدُعيت بالسلبيَّة

ولم يزل رجال العلم يجدُّون وراء البحث والتنقيب في خصائل الكهرباء حتى قام الاستاذ غلڤاني من بولونيا واكتشف ما للسيَّال الكهربائي من التأثير في المعادن . وتعقَّبهُ الطبيعيُّ ڤولتا فتوصَّل الى اكتشاف اسرارٍ دفينة من الكهربائيَّة الكيمويَّة . وسعى غيرهُ من العلماء جهدهم وراء هذا العلم وكشف النقاب عن مكنوناتهِ حتى يومنا فابرزوا للعيان عالَمًا جديدًا لا يزال يتَّسع كلَّ يوم نطاق فوائدهِ

وفي مقدَّمة عوائد الكهرباء انَّها صارت الوسيلة الكبرى للمواصلات بين اقاصي المعمور مذ يوم عرف العلماء سرعة انتقالها التي تبلغ في الثانية ١٨٠,٠٠٠ متر عند مروها في اسلاك النحاس و ١٠٠,٠٠٠ متر في اسلاك الحديد . وليس التلغراف سوى نتيجة هذا الاختبار

التلغراف الهوائي

ظهر اوَّل تلغراف كهربائي في فرنسة سنة ١٧٩٢ بهمَّة احد كهنة هذه الدولة اسمهُ كلود شاپ (Chappe) اقام مناور كهربائيَّة بين ٢٩ مدينة من مدن بلادهِ جعل لها محطَّات وحرسًا كانوا يرصدون اشارات النور وصورهُ الاصطلاحيَّة فينقلونها من محطَّة الى أُخرى حتى تبلغ غايتها وتتمّ فائدتها وبقي التلغراف الهوائي مستعملًا نحو خمسين سنةً لنقل الاخبار. ويلتجئ اليوم اصحاب المناور البحريَّة اليهِ بدلًا من المصابيح الموقدة بالغاز او البترول فيرسلون الاشعَّة الكهربائيَّة الى مسافات بعيدة متقطّعةً فيأخذ ارباب السفن بروْياها حذرهم. ومن هذا الصنف منارة پانيه في مرسيلية فانَّ نورها يبلغ الى مسافة نيّف و ٢٠٠ كيلومتر (راجع المشرق ٤: ١٠٤٨)

التلغراف السلكيّ

هـذا وان التلغراف الهوائي مع فوائدهِ لم يكن ليفي بالمقصود في ظروف عديدة لاسيَّما في فصل الشتاء وعند انتشار الغيم فاخذ العلماء يبحثون عن طريقة أُخرى اثبت واصلح لنقل الاخبار. وكان الطبيعيّ اورستد (Œersted) وجد في تلك الاثناء مفعول المجرى الكهربائيّ في الابرة الممغنطة اذ ينحيها عن استوائها ففتح ذلك بابًا جديدًا لاختراع التلغراف ذي الاسلاك وجدَّ العلماء وكدُّوا ذهنهم الى ان فكُّوا المعضل وازالوا المشكل ونصبوا الاسلاك بين البلاد. فكان اذا جرى السيَّال الكهربائي من بطاريَّة عند الباعث في بلد وبلغ الى ابرة عند القابل في بلد آخر جذب مغناطيسٌ هناك تلك الابرة وقطع بذلك المجرى الكهربائي وبانقطاع المجرى بطل عمل المغناطيس فعادت الابرة الى مكانها فيعمل فيها ثانيةً مجرى السيَّال فتتمغنط ثانيةً وهلمَّ جرًّا. فهـذه الحركات اتخذها العلماء للدلالة على المعاني. امَّا بان ترسم الابرة حرفًا من حروف الهجاء او نقطًا وعلامات اصطلاحيَّـة يُستخرج منها معنًى. واوَّل سالك تلغرافي نُصب نصبهُ ويتستون (Wheatstone) الانكليزيّ في لندن ومورس (Morse) الاميركي في الولايات المتحدة ولم يزل ينتشر هذا الاكتشاف حتى صار لهُ السهم الأفوز في التراسل بين كلّ اقطار العالم وذلك بسرعة كسرعة البرق فاجاد من دعاهُ في بلادنا باسمهِ

وكما نُصبت الاسلاك التلغرافيَّة على قوائم خشبيَّة في البرّ كذلك اتخذت القلوس

التلغرافيَّة في البحر . وقد ازدادت هذه القلوس عددًا في البحار حتى انَّ اليوم قد بلغ عدد السفن التي تُعنى باصلاح الخطوط التلغرافيَّة في مياه الاوقيانوس اربعين سفينة (راجع مقالة موسعة في التليغراف للاب فابر اليسوعي في المشرق ٤ : ١٦٧—١٧٣)

التيلوتغراف

ومن نتائج الكهربائيَّة التيلوتغراف وهو نوع من التلغراف كان اختراعهُ سنة ١٨٦٤ ومن فوائدهِ نقل الرسائل الكتابيَّة من يد الكاتب الى المرسل اليهِ بغاية الضبط والسرعة وقد جاء في احد اعداد المشرق من السنة الرابعة (ص ٩٩٢) مقالة عن وصف جهاز هذا الاختراع وتحسُّنهُ

وممَّا ورد مؤخرًا في الجرائد وصف لاختراع آلة حديثة الصنع من نوع التلغراف تنقل فضلًا عن صورة الكتابة رسم الكاتب الى مكاتبهِ مع الرسالة الكتابيَّة على غاية المطابقة والاتقان والسرعة . وهذه الآلة لا تزال تحت التحسين والامتحان

التلغراف الأثيري

اكثرت جرائد العالم في المدة الاخيرة من ذكر التلغراف الأثيري الذي لا سلك لهُ وهو المعروف بتلغراف مركوني وذلك نسبة الى مخترعهِ العالم الايطالي مركوني الشهير وقد وصفت المجلات العلميَّة هذا الاختراع وفي المشرق (٢ : ٦٧٣) مقالة حسنة للاب كولنجت في بيان خواصهِ وما يؤمل ان يأتيه من الفوائد لاجل التراسل خصوصًا للملاحة البحريَّة التي تفتقر لهذا التلغراف غاية الافتقار وهي تمخر في عرض البحار . وقد اجروا لهُ تجارب عديدة في اميركة وانكلترة وفرنسة وغيرها بشَّرت كلُّها بنجاح هذا الاختراع الذي هو الآن مطلب رجال العلم في العالم . وقد ذكرت بعض جرائد مصر ان الحكومة هناك تسعى في تأليف مركز لهذا التلغراف في ثغر الاسكندريَّة . وقد انتشر استعمال التلغراف بدون سلك على السفن البحريَّة

وفي ٤ آب من السنة الجارية استدعت الحكومة الالمانيَّة الى برلين مندوبي الدول لحضور مؤتمر للتلغراف بدون سلك وتمَّ انعقادهُ تحت رئاسة وزير البريد الذي تداول مع ٤٠ مندوبًا بشأن تنظيم اعمال التلغراف الاثيريّ وتعميم المخابرات بواسطتهِ في البلاد الاوربيَّة

كذلك صارت المخابرات بواسطة تلغراف مركوني جارية في بلاد الانكليز على

غاية ما يرام من الدقّة والانتظام في الاعمال والكلّ هنالك يلهجون باهميَّة هذا الاكتشاف وجليل فوائدهِ للعالم اجمع غير انهُ يؤخذ من الاخبار الواردة اخيرًا انهُ قد تألفت شركة المانيَّة في مدينة بروكسل تسعى الآن ببيان مضارّ التلغراف بدون سلك وقد اصطنعت لذلك آلةً لمعاكسة تلغراف مركوني بحيث ان جهاز آلة هذا الاختراع يقوى على سرقة الرسائل البرقيَّة التي تصدرها شركة مركونيَّة

ومن الفكاهات التي روتها الجرائد ان الرئيس لوبه في اثنــاء رجوعهِ من زيارة الجزائر ارسل وهو على ظهر السفينة باشــارة تلغرافيَّة الى ذويه يطمنهم عن حالتهِ وكانت قد ثارت عاصفة شديدة والبحر في هياج عظيم فلاح بعد قليــل الجواب على المرآة فاسرع الركاب لتلاوة ارقامهِ فكان: « لا يهمّني امركم ».فاندهشوا واستغربوا ذلك وكانت احدى البواخر المارة قريبًا في البحر على خطّة مقابلة قد تلقت هذه الرســالة وارسلت هذا الجواب تفكُّهًا

التلفون

ولم تقف ابحاث العلماء وتجاربهم العلميَّة عنــد اختراع التلغراف كما انهُ لم يقعد عزمهم ما رأوهُ من انتشار اسلاكهِ واتّساع نطاقهِ وانتظام اعمالهِ في العالم مع دقة نقل الاخبار وسرعة سيرها فان مساعيهم وانظارهم كانت لا تزال تطمح الى غاية اعظم وخطَّة اسمى ولم يمضِ عشرون عامًا من انتظام التلغراف حتى تعدَّدت اشغال العلماء من افرنسيس والمان واميركان في استنباط التلفون (راجع في المشرق ٤: ١٩٤ و ٢٤٧ مقالة الاب دي انسلم في وصفهِ) واشتهر استعمالهُ اوَّلًا في اميركة . امَّا في اوربَّة فظلَّ ذاك الاختراع موضوع سخريَّة القوم حتى سنة ١٨٧٥ وكان اذ ذاك قد حصل على وفاء تامّ من انتظام العمل ودقّة الصنع أهّلاهُ بعد ذلك بالانتشار العظيم حتى انَّهُ بوقت وجيز قد فاقت اعمالهُ على التلغراف كثيرًا. واشتهر اليوم استعمالهُ للمخاطبة في اعظم ممالك اوربَّة خصوصًا في اسوج ونروج وسويسرة والمانيــة وانكلترة وروسيَّة وفرنسة وايطالية امَّا الولايات المتَّحدة في اميركة فلا تزال الى الآن صاحبة المقام الاول في العالم بكثرة خطوطها التلفونيَّة

واحصي اخيرًا في المانية ٢٣,٧٢٩ نقطة تلغرافيَّة مقابل ٢٢٩,٣٩١ محطة تلفونيَّة و٤٤,٥٠٠,٠٠٠ رسالة تلغرافيَّة مقابل ٦٢١,٥٠٠,٠٠٠ مخاطبة تلفونيَّة فتامل عظم

هذه المسابقة بالاعمال ويقال عن برلين انها اغنى مدينة في العالم بخطوطها التلفونيَّة وذلك بنسبة تعداد اهلها الى عدد مراكزها التلفونيَّة بحيث يحصل كل ٣٦ شخصاً على محطَّة تلفون هذا وقيل ان ستوكالم قد فاقت عليها بالازدياد فيوجد فيها ٣٠,٠٠٠ نقطة تلفون وتعداد سكَّانها ٣٠٠,٠٠٠ شخص وذهب بعضهم ان مجموع محطات التلفون في المانية وحدها يربي على مجموع محطات انكلترة وروسيَّة وفرنسة وايطالية معاً

ويؤخذ من الاخبار الاخيرة انهم انجزوا مدَّ السلك التلفوني ما بين رومية وباريس وهو اطول سلك معروف الى الآن ويبلغ طولهُ ١٥٩٣ كيلومتر ويأتي بعدهُ سلك برلين الى باريس ويبلغ طولهُ ١١١٨ كيلومتراً

امَّا في بلادنا فالى هذه الغاية لم يحصل التلفون على رواج واقبال رغماً عمَّا نراهُ من ضرورة الاحتياج اليهِ لاجل المراسلة وقد دخل القطر المصري منذ عهد قريب وتمَّ بهذا العام مد اسلاك التلفون ما بين مصر والاسكندريَّة فصار القوم يتخاطبون بهِ هنالك مقابل اجرة خفيفة

هذا ولنقف هنا عند هذه الاختراعات الاخيرة ونسرح الطرف الى الماضي من العصور الغابرة ونتأمل بحالة بني الانسان وما كانوا يكابدونهُ من المشاق والمتاعب وراء التواصل والتراسل وما كانوا عليهِ من صعوبة طرق الاتصال وقلة وسائط التراسل وما نحن عليهِ الآن بفضل الاختراعات الاخيرة من وسائط التسهيل المتراسل وسرعة الاتصال فللهُ تعالى الشكر على ما اولى عبادهُ من النعم للقيام بامور دنياهم والترقي في سلَّم الحضارة

دقائق التعريب

لحضرة الكاتب الفاضل الاب انستاس الكرملي

قد علمتَ ممَّا قرَّرناهُ في مقالتنا السابقة في قواعد التعريب استناداً على عصور المعرَّبات

١ً ان آخر ما انتهى اليهِ العرب انهم فضَّلوا ادخال الكلم الاعجميَّة بهيئتها الاصليَّة على مسخها او تشويهها عند نقلها الى العربيَّة فليس لاحد ان يصدَّنا عن تعقُّب آثارهم

٢ً ان ائمَّة كتَّاب العرب قد اجازوا ادخال البناء الاعجميّ في العربيَّة وقد سبق هذا القول عمل العرب نفسهم في صدر الاسلام بل وفي أوج حضارة العرب. فلماذا لا

يُريد بعض المحدثين ان يجيزوهُ لنا ؟ — أفلأنهم أعربُ من العرب أنفسهم ؟

٣ قد رأيتَ ان اغلب المعرَّب مخالف بناؤهُ للاوزان العربيَّة واوضاعها وصيغها. والعاقل يبني حكمهُ وقواعدهُ على الغالب فلمَ يُريد بعض الافراد ان يجبرونا على اتباع الراي الخاصّ الضعيف القليل الشواهد والمُثل. والعَدْل عن اتباع الراي العامّ المتين الاركان والكثير الأشباه والنظائر. أفمن العدل. عذل أتباع العدل ؟

٤ انك اذا تصرَّفت بالكلمة العجميَّة فزدتَ عليها او نقَّصت منها فرُبَّما ادَّى هذا التغيير الى اخراج الكلمة من صورةٍ الى صورةٍ أخرى. ومن ثم من معنًى الى معنًى آخر. وحينئذٍ يختلط عليك الحابل بالنابل. ولم تستطع بعد ذلك تمييز الحقّ من الباطل. فلقد سمعتُ احدهم يقول: « ان لفظة مِكرُسكوب » لا يشابهُ بناؤها بناء عربيًّا فيحسن بنا ان نتصرَّف بهذا البناء الغريب ولْنقُل « مِكروب ». وقال آخر هذا التصرُّف يوقعنا في الوهم بين المكرسكوب والمكروب والأنسب ان نقول « مُكَرْكَب » فهذا الوزن عربي محض ولا ضرر من اتخاذهِ فانهُ يبعدنا عن اللُّبس. فنهض ثالث وقال: والاحسن ان نقول كركوب لان الميم والسين من حروف الزيادة ولا ينتج من حذفها ضررٌ. وقال رابع غير ما قالهُ اصدقاؤهُ. وقال خامس. . . وقال سادس الى آخر ما يمكن هناك حذفهُ وتغييرهُ. ولمَّا لم يحصلوا على نتيجة اقدموا على تعريب لفظة « مكروب »

فقال الاوَّل: لا يمكننا ان نترك هذه اللفظة بكسر اولها لانهُ لم يرد وزنٌ عند العرب بهذه الصورة والاحسن ان نقول « مَكروب » فيكون مفعول بمعنى فاعل كما قالوا: « حجابٌ مستور » بمعنى ساتر و « وعد مأتيّ » اي آتٍ. وعليهِ فمعنى مَكروب « كارب » لانهُ يكرب الجسم. فناهضهُ ثانٍ وقال: العلَّك تظنّ ان المكروبات كلها « كوارب » مضرَّة بالجسم فان منها ما هي نافعة لهُ وواقية لسلامتهِ فلهذا أعرض أنا على الحضور ان يقولوا في تعريب مكروب « كَروب » حاذفين منها ميم الزيادة. فقام احدهم وقال: اذن جعلنا كروبي السماء كلَّهم من المكروب والعكس بالعكس. وهو امرٌ في منتهى السخافة. فأُشير عليكم ان تقولوا في تعريبها « رَوْب » فضحك الجلَّاس وقالوا: فان كان المكروب اصبح عندنا « رَوْبًا » فما اكثر الرَّوْب في كل مكانٍ وما ايسر الحصول عليهِ بدون مشترًى. وقال غير هذا كلامًا آخر حتى

اصبحت تلك الجلسة من اضحك المضحكات لان الكلمة الواحدة قد تُمسخ بصورٍ عديدة فتأتي بمعانٍ متضاربة مختلفة وكلها « مسبوكةٌ في قالبٍ عربيٍّ لا تتشوَّه بهِ هيئة اللغة » بل ولا خوف على ان تتشوَّه بهِ اذ هي في حِرْز حريز من ذلك الّا ان المعاني فقط تتشوَّه بهِ لا غير. وليس هذا بخطبٍ جلَل عندك. الّا انهُ عند الغير من اعظم الخطوب والبلايا. وما مثلك الّا مثَل من عمل قلنسوةً لآخر وبعد ان اتمَّها وجدها صغيرة بالنسبة الى راس صاحبهِ فقال لهُ : « الامر هيِّن دَعْني ان أُصغِر حجم راسك بهذه المطرقة لكي يدخل راسك القلنسوة » وما قال هذا حتى بدأَ بعملهِ على اسرع طريقةٍ وافيةٍ بالغرض ولمَّا اتى عليهِ ووضع القلنسوة على راسهِ وجدها على احسن ما يُرام إذ لا عيب فيها ولم يبقَ في رأس الرجل زيادة او نقصان سوى انهُ لا حياة فيهِ. وهو امرٌ زهيد بالنسبة الى هيئة القلنسوة وصورتها وحجمها لا الى حفظ الراس وصاحبهِ وحياتهِ. ومن ثمَّ فعلى رايك انك تُفضِل التصرُّف بهيئة الراس على التصرف بهيئة القلنسوة كما انك تفضّل تغيير المعنى (وهو الامر الجوهري من وضع الكلمة) على عدم مسّ هيئة هذه الكلمة (وهو الامر العرضي فيها) فتأمل بفكرٍ خالٍ من الغرض

٥ً ها قد رأيت انك اذا تصرَّفت بالكلمة على وجهٍ من الوجوه فقد يكون تصرُّفك هذا لا يُوافق تصرُّف صديقك بالكلمة نفسها كما تحقَّقت قُبيل هذا وكما تتحقَّقهُ الآن اذ قد شهدتُ روايةً مضحكةً مُثِلت بخصوص ثلاثة الفاظ عرَّبها احد الكتَّاب المحدثين فنقلها الى اوزان عربيَّة والتزم لذلك الى حذف ما فيها من الزوائد تطبيقاً لها على الابنية العربيَّة فمسخها كل المسخ فقال في القرد المعروف بالشِمْپاَنزي (chimpanzè) « شَبْنَزَى ». وفي مادَّة الكُتَّاپَرْخا (gutta-percha) « طَبَرْخى » ليلحقهما بوزن سفرجل. وفي القرد گُورِلّا (gorille) « غِرِلّ » ليلحقهُ بوزن سجلّ. ولعلَّك تُقرّع ناسجي بُرْدَة تلك الرواية وتوافق الواضع وتقول: ولماذا هذه السُخريَّة وواضع تلك الألفاظ بتلك القوالب العربيَّة نحا فيها مناحيَ العرب فجاءت كأنَّها من ألفاظ عرب الجاهليَّة

قلتُ: يُعترض عليهِ : ١ً انهُ كان يمكن ان تُسبك تلك الألفاظ بقوالب غير القوالب التي سبكها بها المعرِّب كما اشرنا اليهِ في موطنهِ. وقد تكون كلّها عربيَّة البناء محضة الوزان — ٢ً قد كان يمكن ان توزن باوزان اقرب الى الاصل من هذه اليها. مثلاً

ان يُقال في الشِنْباتري: « الشمباز او الشَنبَزَة » وان يُقال في الكتّابِرخا: « الكَتابِر او القُطّاء او البرخا » اي امّا بحذف صدر الكلمة وامّا بحذف عجزها وعلى ذلك شواهد كثيرة عند العرب. وان يُقال في كُورلا: « القَورَل او الجورَلى او الكورَلاء او السكِرلى او الجِرلَى » وعلى كل حالٍ فان الكاتب اخطأ في وضع الغين عوضاً من الجيم او القاف او الكاف لان العرب قد صرَّحوا كل التصريح بانهم يبدلون من الحرف الذي بين الكاف والجيم (اي الكاف الفارسيَّة) الجيم لقربها منها. وربَّما ابدلوها من القاف او الكاف لانهما قريبان ايضاً منها. وامّا إبدالها من الغين فلم يُصرّح بذلك احد بمنزلة قاعدة يُجرَى عليها. ومن ثم فالكاتب لم يَنحُ في ذلك مناحي العرب. نعم انّنا لا ننكر ان بعض الألفاظ الاعجميَّة التي وردت فيها الكاف الفارسيَّة قد أُبدلت فيها من الغين كما في جغرافية مثلاً الّا ان أغلب هذه الألفاظ من تعريب ضعفاء النَقَلة او التراجمة. أمّا العرب الخُلَّص او الأقدمون فلم يفعلوا ذلك او فعلوهُ قليلاً بحيث انهُ لا يُتَّخذ حجّة ولا يُبنى عليهِ حكمٌ عامٌّ — ٣ً لنفرض ايها القارئ الحكَم الحكيم انك قرأت تلك الألفاظ في كتاب من الكتب الحديثة فهل من طاقتك ان تهتدي من نفسك الى معناها عند اوَّل سماعك ايّاها. فلا غرو انك تبادر الى التنقير عنها في كتب العرب العلميَّة واللغويَّة لانك تجدها تُشابهُ اوضاعهم وأبنيتهم. فاذا رجعت بها وانتَ اخيبُ من حُنَين فلا مراء انك تطلبها حينئذٍ في المعاجم الافرنجيَّة واذ لم ترَ كتابة تهجئتها فتسعى كلّ السعي في التنقير عنها فربَّما تعثر بها وربَّما لم تعثر بها ايضاً. وانت قد صرفت مع ذلك جانباً عظيماً من الزمان وكل ذلك في طلب معنى لفظة واحدة. فما القول اذا كانت الكلم عشراتٍ او مئاتٍ او آلافاً ؟ ولعلّك تقول: قد تُلافى هذه الشائبة بان يقرن الكاتب اللفظة المعرَّبة الملحقة ببناء العرب باللفظة الاعجميَّة مكتوبة بحروف افرنجية او بحروف عربية تصوّر اللفظة الدخيلة على اصلها. وحينئذٍ اذا ما عرفنا معنى الكلمة المعرَّبة والاصل المأخوذة عنهُ لم نَعُد نحتاج بعد ذلك الى ردفها بالكلمة الاعجمية الاولى. فما الصعوبة اذن الّا في اول تعريبها. قلنا: اذا كان الامر كذلك فقد جعلنا المشقَّة مشقَّتين وعوضنا عن البليـة ببليَّتين. اذ ان الصعوبة بل وكل الصعوبة متوقّفة على مستهلّ الامر. او لا تعلم ان من شان المرء طلبهُ الراحة والسهولة في جميع امورهِ ولذا تراهُ يسعى في ان لا يجد عقبات في طريقهِ حتى ولا واحدة. افلعلّك

تجهل هذا وانت اخبر مني بهِ. اوَ لم تَقُل ان في ذلك صعوبةً وعلى الاقل في غرَّة الامر. والحال اني اوكد لك كل التاكيد ان لا صعوبة في اتخاذ اللفظة الدخيلة بهيئتها الاصليَّة لان العرب قد سوَّغت لك ذلك كما ألمعنا اليهِ. فلماذا تريد منّا بعد هذا ان نتبع الطريق الوعر الصعب. ولا تريد ان نمشي في السهل واللَحب. أجِبْنا

٦ً ساغ للاولين من عرب الجاهليَّة ومن كانوا في صدر الاسلام التصرُّف بتلك الاعجميات من زيادة ونقصان ومتابعتهم في ذلك لانهم كانوا في عصر يسهل فيهِ تقييد تلك الروايات حينما لم تكن وسائط اخذ اللفظة ونشرها مقيَّدة بقيود كقيود هذا اليوم. لان الكتابة لم تكن يومئذٍ منتشرة انتشارها في هذا الوقت والطباعة لم تكن معروفة عندهم في ذلك العهد. فكانت الكلمة اذا ما كتبها الكاتب بصورة من الصور او نطق بها الراوي بلغةٍ من اللغات او بصيغة من الصيغ وجاء الثاني وقرأها او سمعها أتبعهُ فيها وقلّدهُ في نقلها والتلفُّظ بها. وكل هذا قد يكون محصوراً في اناس قلائل او في عشيرة او في قبيلة او ان زدت على ذلك فقد تنتشر تلك الكلمة في بلاد العرب كلها في مواسم الاسواق او الحجّ ولا تزدْ على ذلك. واماً اليوم فشروط انتشار اللفظة الواحدة دفعةً في جميع البلاد التي يتكلَّم اصحابها بالعربيَّة متوفّرة كلَّ التوفُّر بواسطة المطبوعات إنْ في اخذها وان في نقلها. امَّا في نقلها فالامر ظاهر لا يحتاج الى اثباتٍ واماً في اخذها فلأنَّنا اذا ادخلنا الكلمة الاعجميَّة اخذناها عن حروف الافرنج في كتبهم ومطبوعاتهم لا عن حروف العرب. واذا نقلناها عن اولئك نقلناها بالصورة التي يتلفَّظ بها اهلها. ويكون ذلك بهيئة واحدة فحينئذٍ يكون نقلها على وتيرةٍ واحدة او تكاد واماً اذا اردنا نقلها الى العربيَّة والحاقها ببناء عربيّ محض فقد تختلف فيها الصور واللغات والروايات الى ما لا حدَّ لها وكلّ منَّا يحاول ان يُخالف صاحبهُ ويؤيد مدَّعاهُ بالبراهين المقنعة لينتصر عليهِ ويفتخر بغلبتهِ وفوزهِ. ومن ثم يجري كل واحدٍ على ما يهواهُ هواهُ والكلمة في تلك المطاوي عُرضة للتمثيل والتنكيل بها على ايدي الكتَّاب. أفليس الاحسن اذن ان تتَّفق اراؤنا مع آراء كتَّاب الاجانب الذين ناخذ عنهم ونترك الكلمة بالحالة التي وُجدت بها في عالم الكتابة والنطق

٧ً وقائل يقول: يُتلافى هذا الامر اي اختلاف التصرُّف باللفظة الواحدة على اوجهٍ

شتى بان يُعقد مجمع لغويّ يُوكل اليهِ النظر في هذه المسئلة بحيث لا تُقبلُ الكلمة بعد ذلك الّا على الوجه الذي اقرّهُ عليهِ المجمع — قلنا: ما عدا ان في عَقْد هذا المجمع صعوباتٍ جمّة لا يزيلها الّا ان يتألف بامر دولةٍ يمكنها ان تعضد اعضاءهُ في جميع شؤونهم ومشروعاتهم وتمدّهم بالمال. وتساعدهم على ترقية الحال. وتكثر لهم وسائل انهاض همم الرجال. فقد يجوز للكاتب ان يقول بعد هذا كلهِ: اني حرٌّ في نبذ راي هذا المجمع او مقالهِ او قرارهِ لانّ اصحابهُ لم يجروا او لا يجرون على ما سنّهُ العرب من ان اللفظة قد تُعرَّب بهيئتها وتبقى على غرّها

ثم انهُ لا يحقّ لهذا المجمع اللغويّ ان يتصرّف بالكلم العلميّة او الصناعيّة على ما يشاء لان المجامع اللغويّة التي أُقيمت في بلاد الافرنج لم يكن اصحابها في غنًى عنها في العهد الذي أُنشئت فيهِ اي في العصر الذي اخذت لغتها تنفصل عن أُمها شيئًا فشيئًا وتستقلّ بنفسها وتعيش بذاتها فتحتّم على شيوخ تلك الأُمة وفحولها وعقلائها وجهابذتها على ان يجتمعوا لكي يُربّوا هذا النوع من الفطيم بحيث يتدرَّج ويتخرَّج على طريقةٍ معقولة. ولكي لا يبقى فيهِ بعد ذلك اثر للطفولة. اذا ما بلغ الكهولة. كما يُرى على حدّ هذا القياس. في بعض الافراد من الناس. ولذلك سنّوا القواعد المتينة الاساس. والضوابط المكينة الاركان. والاحكام المحكمة البنيان. ولمّا فازوا بالمرام. اي بلغ هذا الولد الجديد حدّ الكمال والتمام. اماطوا عنهُ التمائم. ولاثوا لهُ العمائم. وتركوهُ وشأنهُ غير محتاجٍ الى عناية الشيوخ بهِ كما كان يحتاج اليها في اوان قصرهِ. ولذا ترى اليوم علماء مجامعهم اللغويّة لا يتعرّضون ابدًا لشيء مّما يضعهُ ارباب الفنون والمستنبطون والمكتشفون واهل الصنائع والشرائع بل وربّما خالف اصحاب العلم وغيرهِ ذلك المجمع اللغوي ولم يعتدّوا بمقالهِ الّا اذا شايعهم او وافقهم كما فعلوا في تأنيث وتذكير وجمع بعض الاسماء وفي اتخاذ كلم جمّة لم يقبلها المجمع اللغوي. وفي ضبط كتابة بعض الألفاظ على خلاف ما صرّح بهِ المجمع والخلاصة اصبحت ايدي تلك المجامع في هذا العهد مغلولة « من هذا القبيل » فهي لا تأتي حركة تقاوم بها ما يشيع بين ارباب الصنائع والفنون خوفًا من تعرّضهِ للهوان والاحتقار

وتتحقّق صدق كلامي من اعتبار اللغات التي لم تنشأ حديثًا مثل اليونانيّة واللاتينيّة والفارسيّة والارَميّة والارمنيّة فانها لم تحتج الى هذه المجامع اذ هي في غنًى عنها.

وكذلك قُل عن لغتنا الشريفة فانَّها في متَّسع عن مثل هذه الاندية لأنَّها من اللغات الكاملة او المتكاملة ولان المجامع اللغويَّة التي عُقدت فيها قامت بواجباتها ووضعت ما كان يجب عليها ان تضعهُ فأتمَّت مهمَّتها ولم يبقَ لنا اليها حاجة ان كانت الغاية من تلك المجامع هذه الغاية التي يدور عليها محور كلامنا . ولا تعارضني بقولك : ان هذه المجامع لم يأتِ ذكرها بالتاريخ . نعم انَّها ذُكرت فيهِ باسماء غير هذه الاسماء المتعارفة اليوم بيننا اذ انها ظهرت اولًا باسم « سوق عكاظ » ثمَّ باسم نحاة الكوفة والبصرة . فجماعتا علماء هذين البلدين اتتا من الفوائد في تمحيص اللغة وتخليصها من شوائب الجهل وتهذيبها على احسن وجهٍ بحيث انهُ لم يبقَ الخلَف الَّا تأثُّر السلف ليس الَّا . وهذا ما نتثبَّتهُ من مراجعة القواعد النحويَّة واللغويَّة التي وضعها الفريقان فقد ابدعا فيها حتى ان كافَّة مجامع اوربَّة اللغويَّة لم تبلغ هذا المبلغ بعد

وربَّما تقول : فعلى الاقل ان هذا المجمع نافع لترجمة بعض الألفاظ ووضع ما يناسبها او يؤدي معناها في العربيَّة امَّا اصطلاحًا وامَّا تواطؤًا وامَّا متابعة للاقدمين

قلنا : نِعمَ الرأي رأيك وحبَّذا العمل . الَّا انَّك ترى بعد هذا كلّهِ اقوامًا منَّا يُظاهرون دائمًا الاعاجم على اوضاعهم وألفاظهم فيستعملون ما استعملوهُ ويتَّخذون ما اتخذوهُ ولا يحقُّ لك ان تُعنّفهم او تشدّد عليهم بل ولا ان تقول لهم انهم لا يذودون عن حياض العربيَّة لانهم في كل ذلك يحذون حذو من تقدَّمهم من العرب إنْ في عهد الجاهليَّة وان في ما بعدهُ . ألا ترى حرسك الله ان كثيرين من آبائنا عرفوا أحسن المعرفة عربيَّة هذه الألفاظ مثلًا : المسك والجنبذ والهاون والاشنان والميزاب والسكرَّجة والجاسوس والتوت والاترج والكوسج والكبَر والياسمين واللوبياء والسكَّر والباذنجان والنرجس فكانوا يستطيعون ان يقولوا مثلًا : المشموم والورد والمنحاز والحرض والمثعب والثقوة والناطس والبصَّاص والفرصاد والمتك والأُتطّ واللَصف والسمسق والدُجر والبُرت والحدج والعَبهر الَّا انَّ اغلبهم لم يفعلوا بل فضَّلوا اللفظة الاعجميَّة على العربيَّة حتى قتلت هذه تلك . بل وربَّما اشتهرت اللفظة الاعجميَّة واضمحلَّ اثر الكلمة العربيَّة كاللجام مثلًا فان اغلب اللغويين يقولون انها تعريب لگام الفارسيَّة . ثم اشتقُّوا منها مشتقات جمَّة واظنُّهم مصيبين بقولهم انها اعجميَّة الاصل . وان قلت لي : « وهذه من غريب الدعاوي

لان العرب من اخصّ الامم بالخيل واطولها لها مراساً — قلنا: وهذا لا يمنع اخذهم اللفظة عن الاعاجم فان للسيف وللخمر مثلاً مئات من الاسماء. ومع ذلك ترى بينها اسماء اعجميَّة معرَّبة. وهل من شيءٍ اشهر من الشمس والقمر فقد وجد مع ذلك عرب استعملوا للدلالة عنهما كلماتٍ فارسيَّة كالسِّنِمَّار للقمر تعريب سِنْ ماه. وحُول للشمس وهي تعريب خور [شيد] المصحَّفة والمحذوفة العجز (قال في نثار الازهار لابن منظور اللغويّ المشهور ص ١٠٢: « للشمس اسماء وهي: ... حول مضمومة غير معجمة اهـ. وهي لفظة لم اعثر عليها في دواوين اللغة) — وكلمات ارميَّة كالساهور للقمر والإلاهة للشمس. ويونانيَّة كالسلني القمر (قال ابن منظور في الكتاب المذكور ص ٥٧ والسلتي. كذا في الاصل المطبوع الذي بيدَينا وهو من غلط الواقف على طبعهِ والاصحّ ما اوردناهُ وهو اسمهُ باليونانيَّة [σελήνη] » وقد تكلموا بهِ. اهـ) وايليوس للشمس [ἥλιος] (قال في نثار الازهار ص ١٠٢ واقليدرس « كذا في الاصل. والصواب ما اوردناهُ » وقد تكلَّموا بهِ ». هـ)

امَّا اسبابُ تعشُّقهم للالفاظ الاعجميَّة فكثيرة. منها ما ذكرناها في موطنها ومنها ايضاً تشيُّعًا للاجانب ومنها ان اغلب المسمَّيات المدلول عليها بالاعجميَّات قليلة الاستعمال في حاجات اليوم فلم تشتهر عربيَّتُها اشتهار عجمتها لان هذه سبقت تلك في عالم الوجود والاصطلاح فلم يَعُد من الممكن ان تقتل الفاظُنا الحديثة النشوْ الفاظهم القديمة العهد التي رسخت قدمها بيننا وذلك امَّا لانها دخلت على ايدي الاعاجم. وامَّا لو ان العرب نطقوا بعربيتها لأمتنع الفَهْمُ او على الاقلّ لتعسَّر الفَهْمُ وفات المطلوب من وضع الكلم اذ انَّها جُعلت لتفي بالمقصود والألفاظ العربيَّة تُقصر عن ادراك شأو الكلم الاعجميَّة من هذا القبيل. ومن هذه الاسباب دواعٍ أُخرى عديدة يطول عدُّها وسردُها

وقد امتدَّ بنا النفس في اثبات هذه الحقيقة وهو امرٌ لا بُدَّ منهُ في مثل هذا الموضوع الخَطِرِ وقد أيدنا في كل ما سبق:

(القاعدة الأولى) من قواعد التعريب وهي اثبات اللفظة الاعجميَّة بحروفها او بما يقاربها وبهيئتها وبنائها بدون تغيير

(القاعدة الثانية) قد تجيْ بعض الكلم الدخيلة بلفظ الحرف الممدود قبل

ساكنٍ صحيح كقولك « لوَرْد وكوَنت » فلا يجوز لك ان تسلّط على مثل هذه الألفاظ حكم هذه القاعدة العربيَّة وهي : اذا اجتمع ساكنان (ما لم يكن على مثال دابَّة ودُوَيبَّة) اولهما حرف علّةٍ حُذف فيقال اذن في مثل لورْدْ وكوَنت : « لُرْد وكُنْت ».

قلتُ : ألا تدري ان هذا الحكم لا يجري الّا على الألفاظ العربيَّة الاصل والاشتقاق. وانَّ امثال الكلمتين المذكورتين هي اعجميَّة ولا يحقُّ للعربيّ ان يُنفِذ أحكام قواعد لغته عليها فيحسُن به ان يترك اللفظة العجميَّة على حالتها الاصليَّة ولا يعبث بها . والذين يجرون اليوم على ابقاء اللفظة بصورتها الاصليَّة اي بساكنين اوّلهما حرفُ علّة هم اكثر من الذين يتصرَّفون بها التصرُّف الذي تُشير اليه . وهذا ما فعلهُ العرب انفسهم في الألفاظ العلَميَّة والعِلميَّـة والجنسيَّة . فمن اسماء الأعلام : فارْهْ وفيْرْهْ (هكذا صرَّح التاج بضبطها) اي بتشديد الراء وضمّها ثم هاء ساكنة . وأبو إسحاق القُوْنكيّ نسبة الى قُوْنكة مدينة الاندلس . ذكر هذا الضبط اي اسكان الواو والنون علماء البلدان واللغة . وأذْفُوْنش او أدفُوْنش . هكذا ضبطها المؤرخون . والمُولْتان وخارْزَنج . الى آخر ما هناك من الاعلام العديدة . وحسبُك ان تأخذ بيدك معجم البلدان وتتصفَّحهُ ترى العجب

ومن الألفاظ العِلميَّة التي حفظوا فيها لفظها الاصليّ آ ا لُوسن قال ابن البيطار (١ : ٣) : « اسم يوناني اولهُ ألِفان الأُولى منهما مهموزة ممدودة والثانية هوائيَّة . . . » ومثلها آ ا طِريلال وآ اكْثار وآ ارغِيس وفيهِ ثلاثة سواكن متتابعة وآ امِليس وآ افشروا الخ وذكر التاج الشَّاهدَانج بالفٍ بعدها هاء ساكنة وقال : « ويُقال لهُ الشَّاهْدانك والشاهْدانق » . وذكر ايضاً بهذا الضبط الرَّاهْنامج ولم يذكر الرَّهْنامج والشَّاهْترَّج والشَّاهْباز وفيهِ الفاظ غير هذه وكلها على ضبطها الاصليّ

ومن الاسماء الغير العلميَّة . الخانْكاه وقد ضبطها الكلّ بنون ساكنة بعد الألف . والقاان بألفَين هاويتين بمعنى القان بالفٍ واحدةٍ والأُولى اصحّ لفظاً لأنها توافق الاصل الّا انها اقلّ منها شيوعاً لكثرة تداول اللفظة على الألسن فخصّوا تعريبها

(القاعدة الثالثة) إبدال الحروف الافرنجيَّـة المتوسّطة بين حرفين من أحرفٍ عربيَّة وكذلك إبدال بعض حركات الفاظهم من حركاتنا . ولهذين البحثَين نعقد مقالتين مستقلتين ان شاء الله تعالى

(القاعدة الرابعة) قد تُختَم بعض الألفـاظ الاعجميَّة بأواخر لا تُشبِه اواخر كلمنا او يقلّ ورود مثلها عندنا. من ذلك انتهاء الكلمة بهـاء مرسومة (وهي غير هاء التخصيص) ومثل هذه الاسماء لا تأتينا الَّا من التركيَّة او الفارسيَّة وكان العرب الأقدمون يُبدلون هذه الهاء من الجيم والقاف او الكاف كما سبق الإلماع الى ذلك. الَّا انهُ لمَّا كان في لفظ الهاء الخاتمة للاسماء الفارسيَّة بعض الإشمام من الكاف الفارسيَّة في سابق الزمن واليوم قد تركهُ الفرس فما علينا الآن الَّا ان نجعل هذه الهاء تاء لا بل وقد سبقَنا الى هذا العمل العرب انفسهم فقالوا: بُوطَة في بُوتَهْ (وان قالوا ايضًا بوتقة وبودقة). وبالة في بَالهْ. وخوذَة في خُوذَهْ. ودَسْكَرَة في دَسْتَكَرَهْ. وطنبورة في دنبهْبره. وطنفسة في تنفسه. الخ الخ. وعليهِ فلنقل الآن بَفْتة واصلها بافته بالفارسيَّة وهي نوع من الثياب. وهكذا سائر الألفاظ الفارسيَّة او التركيَّة الاصل الحديثة الدخول في لغتنا

واماَّ الكلم الإفرنجيَّة التي نرسمها بهذه الهاء العربيَّة فهي التي تُختم بـ «et» أو «é» او «e» او «ie» وبعض البلاد او المدن او اسماء الاثاث المنتهية بحرف e الغير المتحرّك. فمثـال ما كان مختومًا بـ «et» brochet لنوعٍ من السمك فاذا عرَّبناهُ قلنا بروشة و buffet لمائدة مفتوحة للجميع فاذا عربناها قلنا بُفَّة و fouquet لنوعٍ من الطير فاذا عرَّبناه قلنا فُوكَة وهكذا الخ (التتمَّة لعدد آخر)

يمين العلي

رواية تاريخية للاب س. ت اليسوعيّ

الفصل الرابع عشر

ان الله يحيي ويميت (تابع)

فخرج راسيوس والقلب مفعم سرورًا وقبـل ان يتوارى دار الورود عن نظره التفت اليها مرَّة اخيرة كأنهُ يريد ان يطبع رسمها في خيالهِ ويصون في ذاكرتهِ ما ذاقهُ من السعد بمشاهدة ربَّة تلك الدار

امَّا يهوديت فانَّ الرجاء بقرب نجاة والدها انعش قواها فتبعت من وراء نافذة حجرتها الضابط عند خروجهِ وهي تودُّ لو امكنها ان تسير معهُ لملاقاة صموئيل والدها. ثم امرت الخدم والعبيد بان يفرغوا كنانة الجهد في تنظيف القصر وتهيئتهِ وتزيينهِ لاستقبال والدها. فكنتَ ترى الحشم والموالي في ذهاب واياب وطلوع ونزول لإعداد الغرف وتأثيثها بانفس الامتعة. وكان صغار العبيد من اليونان كأنهم النحل خرجت من خليَّتها للعمل في احد ايَّام الربيع يطوفون الجنينة وهم يتفنَّنون فيقطفون الزهور ويضفرون بها الاكاليل ويتَّخذون منها النقوش البديعة والقلائد البهيَّة فيجعلونها على باب الدار ويجدلونها على طرائق هندسيَّة ويفرشون بها ساحة البيت. وارسلت يهوديت قوماً يستدعون نطس الاطبَّاء من صيداء وطرابلس ليصرفوا الهمَّة في صحَّة والدها الذي اعلمها السجَّان بولس بتوعُّكها

وكانت الفتاة تتولَّى بنفسها تدبير البيت وزينتهُ تنشّط البعض على العمل وتبدي رأيها في احكام هندسة الدار وهندامها فتنتقل وتغيّر وتحسّن حتى صار كل شيء طبق مرامها. وكانت مع ذلك تترصَّد كل حركات الشارع المجاور لبيتها فتلقي المرَّة بعد المرَّة نظرها اليها لعلّها ترى الضابط قادماً مع ابيها. ولفروغ صبرها كانت تستطيل الساعات فتراها اطول من ايَّام الصوم. وكانت تحوم حول الساعة الرمليَّة التي في وسط حديقتها فتحركها بيدها كأنَّها تقرّب بذلك وقت عَوْد ابيها

وربَّما كانت تتَّبع بفكرها كلَّ حركات راسيوس فتراهُ تارةً داخلًا الى سجن صموئيل مبشِّرًا لهُ بالنجاة وتارةً عند طيطس ليشفع في السجين وحيناً ترى اباها خارجاً من سرب الاسرى شاكرًا لمخلّصهِ . . . الّا ان هذه الافكار التي كانت تشغل عقل يهوديت لم تورثها غير الهجس والانزعاج. وبقيت على ذلك الى رأد الضحى دون ان ترى لراسيوس اثرًا . . . فقلق بالها وزاد بلبالها ولم تدرِ سبب ذاك التأخير. وكانت تتعجَّب من الضابط كيف انهُ لم يرسل اليها احد جنودهِ ليعلمها عن علَّة ابطائهِ. ثم فكَّرت في نفسها انَّ راسيوس يكون دخل على طيطس فسُرَّ بهِ القائد وامسكهُ عندهُ. فخمَّد هذا الفكر لظى قلبها

ثم مرَّ ظهر النهار وعادت الافكار تساور قلب يهوديت فلا تدري معنى تأخُّر الضابط . . . أفيكون خدعها ؟ . . . كلّاً انَّ راسيوس اكرم محتدًا واشرف نفساً من

ذلك . . . او يكون حبط مسعاهُ فخجل ان يأتي ويقرّ بخيبة آمالهِ . . . لكن كيف يأبى طيطس شفاعة رجلٍ فداهُ بنفسهُ . . .

ثم ارادت يهوديت ان ترسل بعض عبيدها ليطلعها على صحّة الخبر لكنّها توقّفت عن ذلك خوفًا منها بان تزيد الامور ارتباكًا وتُلقي اباها في اهوالٍ جديدة فلم يبقَ لها الّا الاعتصام بحبل الله واللواذ بالصلاة بيد انّها كانت ترى قلبها يابسًا فلم يمكنها ان تكرّر شيئًا آخر غير قولها : اللهمَّ ارحم نفسي ! تحنَّن على ابي

وكانت وكلت الى عبيدها بان يصعدوا سطح الدار ويتجسّسوا لها الاخبار فيسرعوا الى إعلامها . لكنّ حيّ اليهود كان يومئذٍ اشبه بقفرٍ لا يُرى فيهِ نابسٌ وكلّ اهلهِ قد تحصّنوا في بيوتهم خوفًا من ان يحلّ بهم غضب القائد الظافر . فلمّا صار المساء وكاد قلب يهوديت يتفطّر شعاعًا اذا بصوت اقدام سُمع على باب دار الورود . فصرخ الراقب : اتى الضابط

الّا انّ الضابط كان وحدهُ فدخل على يهوديت التي كاد يُغمى عليها اذ لم ترَ معهُ اباها . فرقّ لحالها راسيوس واجهش بالبكاء ثم كبح حزنهُ واخذ يقصّ على يهوديت ما قاساهُ في سبيلها وسبيل والدها قال :

« لمّا خرجتُ من دار الورود في هذا الصباح سرتُ توًّا الى الملعب وأردت ان ادخل على السجناء في دهليزهم المظلم . ولم اشكّ في ان الشُرط اذا رأوا شارات رتبتي فتحوا لي دون عائق . لكني اذ حاولتُ الدخول اشهر الحرس سيوفهم صارخين : « قِفْ مكانك » . فسألتُ ما الامر فاجابوني انهُ لم يُسمح لاحد مطلقًا في الدخول ما لم يأتِ باجازة ممضاة بيد القائد الاكبر . وذلك انّ احد النصارى اسمهُ بولس كان دخل تلك الليلة بالحيلة الى سجن الاسرى واراد ان يساعد بعض اهل نحلتهِ على الفرار فقُبض عليهِ ثم امر طيطس بحجز ايّ كان عن الدخول دون رخصة منهُ

« فامضّني هذا القول لكني هممتُ من ساعتي بالذهاب الى منزل طيطس نفسهِ وانا على يقين انّ القائد لا يردّ طلبتي . فلمّا بلغتُ مقامهُ وجدت كل الابواب مقفلة فطلبتُ من الحجّاب ان يستأذنوا لي بالدخول فابوا واعلموني انّ طيطس مصاب بالحمّى وقد امر بان لا يرخصوا لاحد بالدخول عليهِ . فكتبتُ بطاقةً ليوصلوها للقائد فلم يرضَ احد بنقلها فالححتُ على رئيس الحجاب ووعدتهُ المواعيد الطيّبة فكانت غاية ما نلتهُ منهُ

انهُ يسلّم البطاقة الى القائد عند انتهاء نوبة الحمّى . ولعلَّ النوبة تطول الى يوم الالعاب

« فاردفتُ قائلًا : « واذا طبّق المرض على طيطس ألا يؤخرون الألعاب . فاجاب كبير الحجّاب : « كلّا لان ابن ڤسپسيانوس لا يريد الّا معاقبة هؤلاء العُصاة امكنهُ ان يحضر الألعاب او لم يحضرها »

وكانت يهوديت وهي تسمع هذا الكلام جامدةً حائرةً لا تدري أهي نائمة او يقظى . فلمّا انتهى الضابط من حديثهِ هطلت دموعها وتصاعدت زفراتها . فاخذ راسيوس يسلّيها وهو يمنّيها بالآمال الحسنة ويقسم بالآلهة وعلى شرفهِ انهُ لا يدع اباها يذهب فريسة الوحوش فيفديهُ بنفسهِ اذا دعا الامر الى ذلك

فكان يرتاح قلب يهوديت الى هذا الكلام لكنّها لم تعرف كيف راسيوس يمكنهُ ان يقوم بوعده وقد سُدّت في وجههِ كلّ المسالك . ولم يخطر على بالها انّ هذا الضابط الكريم والشهم البطل كان مستعدًّا على ان يأتي عملًا شريفًا حريًّا بان يُرقم على صفحات التاريخ فيخلّد لهُ ذكرًا ابديًّا

ولمّا مدّ الليل رواقهُ اعتذر الى يهوديت باشغالهِ العسكريّة وودّعها وهو يكرّر لها قسمهُ بانها ترى اباها في غد . ولمّا خرج اوصى دوروتيا بان تخمّد اوجاع سيّدتها وتسقيها الادوية المسكّنة ليعيد الليل لها قواها وتُعدّ كلّ شيء لرجوع صمونيل

*

خرج راسيوس وسرّهُ دفينٌ في قلبهِ دون ان يُعلم بهِ يهوديت . وانّما الحبُّ يقوى على الموت وربّما حمل بالانسان الى اوج الكرم والايثار . فعاد مسرعًا الى بيت لوسيليوس صديقهِ حيث كان محتلًّا كضيف امّا لوسيليوس فكان اذ ذاك غائبًا ذهب الى لبنان لبعض شؤونهِ . فاقفل راسيوس باب غرفتهِ وكتب ليهوديت هذه الاسطر :

« ان لم تعودي ترَيني فلا تبحثي عمّا جرى لي . فانّ قصوى بغيتي ان تعيشي واباكِ في الرغد والهناء . واعلمي انّ سعادتك احبُّ اليَّ من حياتي فبكل طيب قلب ابذل هذه الحياة دونك لتنالي السعد والطمانينة . وان كنتُ بعد ذلك لا ابرحُ من بالك فاعدُّ ذلك اعظم جزاء الملكِ الذي اؤمل من رحمتهِ وحنوهِ ان يجمعنا يومًا في دار البقاء حيث

لا اراكِ ثانيةً تذرفين الدموع. فالوداع اني اسبقكِ وفي قلبي مطبوع ذكركِ لا يمحوهُ الموت نفسهُ ...» راسيوس

وكان الضابط البطل ألحق باسمهِ ذكر حبّهِ لها فكتب اوّلًا «محبُّكِ راسيوس» ثم محا هذه الكلمة ليكون ايثارهُ خالصاً ولا يمتنّ على يهوديت بخدمتهِ لها ولابيها. وقبل ان يطوي الكتاب عاد الى مطالعتهِ فجرت عليهِ دمعة من عينيهِ فمسحها ولام نفسهُ على ضعفهِ ثم ختم الكتاب وسلّمهُ الى عبدهِ قائلًا:

ان لم ترني بعد يومين في مساء يوم الالعاب فبلّغ هذه الرسالة الى اصحاب دار الورود

وفي اثر ذلك قام راسيوس ودبّر حوائجهُ كأنّهُ يتأهّب لرحلة بعيدة وختم وصيّتهُ الاخيرة. وكان اوصى فيها ليهوديت بسهمَين من سهام الشرف كان حظي بهما في حرب الفرس واضاف اليهما غصناً يابساً من الزيتون. وهو الغصن الذي قدّمتهُ لهُ يهوديت يوم التقت بهِ اوّل مرّةٍ (راجع المشرق ٦ :٧٨) فاهدتهُ ايّاهُ لفروسيّتهِ قائلةً: «لو كان بيدي اكليل من الغار لوهبتهُ لك» وكان راسيوس اودع هذا الغصن في حُقّة وجعلهُ في جملة عقائلهِ الى ذاك العهد

ثم اوضح ايضاً عن كل نيّاتهِ. ولم يدع حتى دفنهُ دون ان يفصّل هيئتهُ. فاوصى بان ينقل جسمهُ الى رأس بيروت حيث مغارة الحمام ليدفن هناك قريباً من البحر وتُجعل على قبرهِ صفيحة بسيطة من الرخام تُرسم عليها صورة يدين متصافحتين تحتهما اسمهُ مع هذا الشعار: «انّ الحبّ لأقوى من المنون»

وكان راسيوس يدبّر كل شيء بربط جأش وهدوّ عجيبين كأنّهُ يُعنى بأمور غيره أجل انهُ كان يعلم انّ طيطس يحبّهُ ولا يرضى بموتهِ. لكنّهُ لم يعلم أيستطيع ان يواجه هذا القائد قبل الالعاب وهو محجوبٌ طريح الفراش. فمن ثم اعدّ نفسهُ ليموت موت العبيد مجهولًا خاملًا مع اسرى اليهود

ثم تردّى بردائهِ العسكريّ ولبس فوقهُ بردةً سوداء حجبتهُ بها وخرج في جوف الليل سائرًا الى الثكنة التي اختارها طيطس لمقامهِ. فاجتاز وسط الحرس دون يعترضهُ احد ثم طلب كبير الحجّاب فسأَلهُ عن حالة المحموم. فاخبره انّ الحمّى خفّت عند المساء فاشار الاطبّاء عليهِ بان يخرج الى حدائق بيروت ليروّح النفس. فخرج متنكّرًا

دون ان يُعلم احدًا اين يذهب لئلا يزعجهُ الثقلاء

— وهل سلّمتهُ بطاقتي

فتلجلج الحاجب ونظر راسيوس الى منضدةٍ هناك فرأى بطاقتهُ وفهم انهُ نسيها. فاحسَّ بالغضب قد كاد يأخذ منهُ ماخذهُ لكنَّهُ كبحهُ وتجلّد واخذ البطاقة فمزّقها ثم احرقها وخرج سائرًا الى جهة الملعب

وكان الليل دامسًا شديد الحلكة والشوارع صامتة لا يُسمع فيها غير صوت حذائهِ عند طرقهِ احجار البلاط. وما سار بعض خطوات حتى صادفهُ العسس فامسكوهُ ظنًّا منهم انهُ من روّاد الليل المتلصصين. لكنَّهُ ما كاد يقرّب احدهم من وجههِ مشعلًا ليتفرّس بهِ حتى عرفهُ واعتذر اليهِ

فواصل راسيوس سيرهُ وسمع الجند وراءهُ يضحكون من لبسهِ ذاك الرداء الاسود كأنهُ من العبيد. فاثّر ضحكهم فيهِ ولولا تسرّعهُ في سيرهِ لعاد اليهم ليؤدّبهم

وبعد هنيهةٍ وصل راسيوس الى السجن فوجد بازاء بابهِ قسمًا من الجند المتولين على حراستهِ محلّقين يلعبون بالكعوب وكان الباقون نائمين على الحضيض مشتملين بارديتهم لرطوبة الليل فمرَّ راسيوس قريبًا منهم حتى بلغ باب السجن. واذا بسيفٍ امامهُ معترضًا فاوقفهُ صاحبهُ قائلًا: لا يجوز المرور

فنحّى راسيوس رداءهُ وكشف عن ثوبهِ فرآهُ الحارس مُطرَّفًا بالارجوان فعرف انهُ من الضبّاط ثم حدجهُ بالنظر واذا بهِ قائد فرقتهِ السادسة عشرة التي كان هو احد جنودها. فهابهُ ورفع يدهُ الى خوذتهِ مسلّمًا ثم قال:

« سيّدي ليس لاحد ان يجوز ولكن لستُ اظنّ انَّ هذا الامر لمثلك وانت اعلم باوامر طيطس ومن اكبر اصدقائهِ »

قال هذا ثم تركهُ يدخل. وسألهُ: ومتى يخرج سيّدي ؟

— بعد برهة وجيزة. ولكن اذا خرجت مع ناظر السجن عليك بالصمت فلا تنبس بكلمةٍ

قال هذا آملًا ان يبدل ثيابهُ بثياب صموئيل فيخلّص الاسير ويفديهُ بحياتهِ

فانفتح الباب امام راسيوس وسُمع لصريرهِ صوت عظيم ثم أُطبق من ورائهِ. فسار بعض خطوات في الظلمة حتى لاح لهُ عن بعدٍ ضوءٌ ضعيف وراء باب من خشب فدفعهُ

واذا بناظر السجن اسرع ليوقفهُ عند حدّه . وكان هذا رجلًا قبيح المنظر ازرق العينين غليظ الكتفين كثّ اللحية يُدعى نوثوس فانتهر الداخل بصوت اجشّ: مَهِيم

قال راسيوس: انا ضابطٌ وآتيك بمالٍ يُغنيك. ولا اطلب منك سوى ان تدعني اقوم في سجنك مقام احد اسراك

– فقهقه نوثوس قائلًا: لا اظنّك تعرض عليَّ هذه الصفقة الّا لتربح منها. وما غايتك من ذلك ؟

– انّما اريد خلاص رجلٍ اصطنع اليَّ معروفًا فأُجازي الخير بالخير

– وما اسمهُ ؟

– صموئيل

– آه ! صموئيل ؟ وتريد خلاص هذا الرجل الذي كان سابقًا سيّدي فعاملني اسوأ معاملة. اعلم اني انا ايضًا كنت يهوديًا مثلهُ وكان اسمي يوناثان فكنت عبدًا لصموئيل وقد اختبرتُ فظاظتهُ وشراسة طباعهِ وبخلهُ ولذلك قد جحدت دينهُ وخدمتُ الرومان. واليوم يسرُّني اني أرى هذا الشيخ الظالم بين مخالبي ملقىً على حضيض السجن يكابد الاوجاع المرّة. وعمّا قليل سأفرحُ بموتهِ وعذابهِ على رأس الملا. وما يزيد سروري انهُ يموت وقومهُ معهُ بازاء ابناء جلدتهِ وخصوصًا بازاء ابنتهِ يهوديت لانَّ طيطس امر بان يحضر اليهود كلُّهم هذه الألعاب ليروا جزاء العصيان على الدولة

قال نوثوس ذلك بصوت يدلُّ على ما في قلبهِ من الحزازات على سيّده. امّا راسيوس فكاد يتميَّز غضبًا على هذا الجاحد لايمان آبائهِ المنتقم من ابناء جنسهِ ولولا خوفهُ من ان يعرّض بصموئيل للخطر لما تأخّر عن قتل ذاك العلج. وعليهِ فانهُ اظهر التبسُّم وقال لنوثوس:

– حياك الله أيُّها الناظر الامين. اعلم اني اتيتُ لاختبرك فأعلم صدق خدمتك لمولاي طيطس ولو اجبتَ الى طلبي لكنت نلتَ عقابًا عظيمًا بل لأمرتُ بالقائك للوحوش مع اسراك. والآن عشْ آمنًا

وما انتهى الضابط من كلامهِ حتى انثنى راجعًا وخرج مسرعًا لئلَّا يشيع امرهُ ويتّضح سرهُ

سار راسيوس وهو يعضُّ الأَرَم اذ رأى انَّ حيلتهُ لم تنجح. ولكثرة ما امضَّهُ

الامر احسَّ بقواهُ قد انحلَّت فجلس على دكَّة وجعل رأسهُ بين يديه يفكّر في ما قسم بهِ ليهوديت انَّهـا ترى في غدٍ اباها . فثارت ثوائرهُ وجرت عبراتهُ قنطاً وبقي كذلك ساعةً لا يدري ما العمل . الَّا انهُ عاد الى نفسهِ قائلًا : انَّ ساعة الالعاب لم تأتِ بعد فانَّ امامي فسحةَ يومٍ وبعض ساعات الليل فما لي لا اسعى في طلب القائد

وبينما كانت هذه الافكار تشغل بالهُ اذا بفلاَّحين من لبنـان سبقوا الصبح فاتوا بحملات من الحطب والعشب ليبيعوها في المدينة فعرض عليهم بأجرة طيِّبة ان يركبوا الخيل ويسيروا على جناح السرعة الى كلّ الجهات ليفتشوا على القـائد الاعظم بكل حرص حتى إذا ما وجدوهُ بلَّغوهُ رسالةً منهُ كان اوضح لهُ فيها حاجتـهُ الماسَّة الى مساعدتهِ في بلاء عظيم دهمهُ . ثم سيَّرهم ووعد لاوَّل من يفيدهُ بوصول الرسالة بمئـة دينار . واذا اتاهُ الجواب قبل ظهر النهار يؤدي ضعف هذا المبلغ للمبشِّر

تلك كانت الوسيلة الاخيرة التي التجأ اليها راسيوس فان نجحت خلص صموئيل وعاد ليهوديت هناء عيشها . فامَّا اذا حبطت . . . ولكن لا بُدَّ من الفوز برغبتهِ . وذلك ما حدا بهِ الى ان يرسل الى دار الورود بطاقةً كتب فيهـا هاتين الكلمتين : « ثقي فانَّ الخلاص قريب » امَّا هو فلم يرد ان يحضر امام ابنة صموئيل لئلَّا تقف على مساعيهِ الباطلة

(ستأتي البقيَّة)

العاديَّات العربية في القطر المصريّ

نظر للاب أَلِكسيس مالون اليسوعيّ مدرّس اللغة القبطيَّة في مكتبنا الشرقيّ

ان كان القطر المصري غنيًّا بالعاديَّات النفيسة الراقيـة الى ايَّام الفراعنة (راجع في المشرق ٥ : ١١٠٥ مقالة الاديب توفيق افنـدي قُزَح في دار العاديَّات المصريَّة) فانهُ ليس باقلَّ غنًى بالآثار العربيَّة . والحقّ يقال انَّ العرب منذ الفتح الاسلاميّ على عهد عمرو بن العاص لم يزالوا مدَّة نحو الف سنةٍ يزينون تلك البلاد بالابنيـة الفخيمة منها دينيَّة ومنها دنيويَّة يُربي عددها على المئين وهي تنبئ كلّها بمـا كان للعرب من الغيرة في مجاراة الدول الغابرة ومن طول الباع في الهندسة

١ لجنة العاديّات المصريّة العربيّة

على انّ كرور الادهار وآفات الزمان كانت أخنت على كثير من هذه الآثار النفيسة حتى كادت تذهب فريسة الضياع والتّلف لولا انّ الحميّة استفزّت بعض اصحاب الفضل فعرضوا على الحكومة المحليّة بان تُعقَد جمعيّة من ذوي الخبرة واصحاب الهمّة تكون غايتها صيانة العاديّات العربيّة واصلاحها وترميمها لئلّا يستولي عليها الخراب فتُفقد آثار جليلة تُعدّ كحلية للدين وكفخر للوطن

فلبّت الحكومة هذه الدعوة وامرت بتنظيم لجنة يترأسها وزير الاوقاف وتكون غايتها اوّلًا تدوين كل الآثار العربيّة التي لهـا في مصر شأنٌ ما سواء كان من حيث صناعتها او من حيث تاريخها. ثانيًا العناية بهذه الآثار لئلّا تخرب او تُفقد او يصيبها ضرر. ثالثًا تلافي ما خرب منها بترميمهِ او اصلاحهِ مع درس اقرب الوسائل الى ذلك. وقد صادق جلالة الخديوي محمّد توفيق على تشكيل هذه اللجنة بقرارٍ منهُ صدر في ٢٦ محرّم سنة ١٢٩٩ (١٨ ك ١ سنة ١٨٨١)

وكان اعضاء هذه اللجنة رجالًا من اهل الفضل يُعرفون بحبّهم للعلوم ويقدّرون الآثار العربيّة قدرها في مقدّمتهم دولة الوزيرين مصطفى فهمي باشا ومحمود سامي باشا ثم الفلكيان الشهيران محمود بك واسمعيل بك ثم فرنتس باشا وروجرس بك ودغران بك وعزّت بك ويعقوب افندي صبري والاثريّ بودري وعليّ افندي فهمي. وأُضيف اليهم في السنة المقبلة العالمان حُسَين فهمي باشا والمسيو بورجوان الفرنسي. وممّن اشتهروا بعد ذلك بصدق خدمهم المسيو مانسكالكو بك والمسيو هرتس بك

واوّل جلسة عُقدت للقيام بهذا المشروع الخطير كانت في مساء الاربعاء غرّة شباط من سنة ١٨٨٢ في دار وزارة الاوقاف تصدّر فيها سعادة محمّد زاكي باشا. تمّ فيها تنظيم اللجنة وتقسيم الاعمال على كلٍّ من اعضائها كصاحب السجلّات وكاتب الاسرار وضابط الصندوق والمهندسين والمثمّنين الى غير ذلك ممّا يقرّب الشغل ويسهّل الاعمال

واخذت الجمعيّة مذ ذاك الحين تعقد جلسات نظاميّة مرّة في الشهر الّا فصل الصيف اعني من حزيران الى تشرين الاوّل. ولها في كل سنة نشرةٌ افرنسيّة هي لسان حالها تفصّل فيها ما دار بين اعضائها من الامور الحريّة بالذكر وهي تُطبع على نفقات

الحكومة في مطبعة المكتب الافرنسي. وقد اهدتنا الجمعيّة هذه النشرة وهي عبارة عن عشرين جزءا لكلّ سنة جزء معدّل صفحاته ١٥٠ صفحة منها اقلّ واكثر حسب الظروف والموادّ. وفي صدر كل جزء اسم اللجنة Comité de conservation des Monu- ments de l'Art arabe) ثم ذكر الجلسات واوانها ومن حضرها والاعمال التي تقرّرت فيها. ثم المقالات التي تُليت فيها عن الآثار العربيّة واوصافها وتواريخها وما تحتاج اليهِ من الاصلاح وربّما أُلحقت هذه المقالات برسوم فوتوغرافيّة غاية في الاتقان تمثّلها ليطّلع ذوو الامر على عظم شأنها وما يُقتضى لها من النفقات لترميمها مع ضبط الحسابات السنويّة من خرج ودخل ورصيد الى غير ذلك ممّا يضمن حُسن ادارة الاعمال

وزيادةً في ترويج الامور قد قُسمت الاعمال دوائر تقوم كل دائرة بنظارة خاصّة او تُعنى بجهات مختلفة لتعمّ الفائدة كلّ انحاء القطر المصري فيقدّم ما يجب تقديمهُ او تُستلفت الانظار الى ما هو احرى بالاصلاح

امّا النفقات التي تحتاج اليهِ كلّ هذه الاعمال الشريفة فانّما تؤخذ من مدخولات الاوقاف. فخصّص منها بالعاديّات العربيّة في السنة اربعة آلاف جنيه مصريّة وذلك الى سنة ١٨٨٦. ثم زيد في ذلك فقرّرت الحكومة اذ ذاك ان يُنفق في سبيل هذه الآثار واصلاحها في السنة ٢٠,٠٠٠ جنيه مصريّة على شرط ان تصرف الجمعيّة عنايتها الى العاديّات القبطيّة ايضاً فضلًا عن العاديّات العربيّة. فيكون مجموع ما صُرف في صيانة هذه الآثار منذ عشرين السنة نحو ٢٠٠,٠٠٠ جنيه اي نيفًا عن ٤,٠٠٠,٠٠٠ فرنكات وهذا لعمري مبلغ وافر اعاد لمصر عددًا لا يُحصى من الابنية التي كان الدهر طحنها بكلكلهِ لولا همّة هذه الجمعيّة واريحيّة الحكومة

٢ المتحف العربي

وممّا يدخل في نظارة لجنة العاديّات المصريّة المتحف العربيّ. وذلك انّ الخديوي الاسبق اسمعيل باشا كان فكّر في انشائهِ منذ سنة ١٨٦٩ الّا انّ هذا الفكر لم يخرج الى حيز الوجود الّا سنة ١٨٨٠ على عهد الخديوي محمد توفيق باشا اذ تقدم الى ادارة الاوقاف بان تُجمع في مكان واحد كل الآثار العربية الصناعية من امتعة واواني ونقود وكتابات. وعُهد بالامر الى رجل ذي دراية وهو فرنتس باشا. وخصّص لهذا المتحف احد ايوانات جامع الحاكم في جهتهِ الشرقيّة

فقام فرنتس باشا بهذه المهمّة احسن قيام واستعان على ذلك برجلين شهيرين عُرفا بتوقُّد الذهن وسعة المعارف وهما سعادة يعقوب ارتين باشا وروجرس بك ولم يزل يفرغ في تنظيم هذا المتحف وتأثيثهِ غاية جهده حتى صار بعد قليل حافلًا بالآثار التي ضاق دونها المكان

وفي سنة ١٨٨٣ نُقلت هذه الآثار الى بنـاية واسعة كانت في صحن جامع الحاكم فأُودعت فيها . ولم تزل تتوفَّر وتتكاثر مدَّة عشر سنوات حتى تراكمت بعضها فوق البعض لضيق المكان ورأى اصحاب الامر انهُ لا بُدَّ لهذه الكنوز من قصر اهل بها يُبنى ويُهندس لهذه الغاية فعوَّلوا على انشاء متحف جديد تُنقل اليـهِ ايضًا المكتبة الخديويَّة وقد خصَّت الحكومة المصريَّة لهذا العمل الخطير ٥٠,٠٠٠ جنيه وكان نجازهُ في السنة الماضية ببناء قصر بديع شُيّد عند باب الخلق وهو ذو طابقين الطابق الاعلى جُعلت فيهِ المكتبة الخديويَّة . امَّا الطابق الاسفل فخصَّ بالعاديَّات التي نُقلت اليهِ آخرًا فنُظّمت على احسن هيئة (انظر صورة هذا المتحف ص ١٠٤٤)

وبقي فرنتس باشا على نظارة العاديَّات العربيَّة الى سنة ١٨٨٧ . فاستقلَّ ولم يخلفهُ احد الى سنة ١٨٩٢ حيث تولَّى ادارة هذا المتحف هرتس بك (Max Herz) واحسن التدبير فاستحقَّ ثناء كل من عرفهُ . وممَّا يعود اليهِ الفضل فيهِ قائمة هذه العاديَّات وضعها سنة ١٨٩٥ فوصف بهـا كل غرفة من غرف المتحف مع ما تتضمَّنهُ من الآثار بحيث يسهل الوقوف عليها ودرس خواصّها . وقد صدَّر هذه القائمة بمقدَّمة مفيدة عن آثار العرب في مصر وزيَّنها بعدَّة تصاوير بديعة تزيدها فائدةً

ومن تصفَّح هذه القائمة تعجَّب من غنى هـذا المتحف بصنوف الآثار وضروب الصناعات التي اشتغل بها العرب . فمن ذلك النقوش المصطنعة بالجصّ والشيد فانَّ فيها من التفنُّن بالاشكال البديعة ما يأخذ بمجامع النظر ومنها قطع الحجارة والرخام المنقورة بدقَّة عجيبة رُسمت فيها الصور الهندسيَّة والكتابات المزخرفة التي تزيّن الجوامع والمنابر والمحاريب وغيرها وربَّما اتَّخذ العرب لهذه الغاية ما وجدوهُ في مصر من اخربة هياكل المصريين والرومان

ومن نفائس هذا المتحف المصوغات والجواهر واصناف المعادن التي عُني بهـا القدماء فاصطنعوا منها الاواني الثمينة من ذهب وفضَّة ونحاس . ومن كل ذلك امثلة

زهيَّة في هذا المتحف منها المناور والثريَّات وآنية الطعام والاطباق والقناديل والأقداح والاسلحة والحليّ يرتقي عهد البعض منها الى دولة بني طولون والى الفاطميين والايوبيين فيها كلها نقوش جميلة محلاَّة بالجواهر ومرصَّعة على أفانين بهية

وقد خُصَّ قسمٌ من هذا المتحف لآنية الزجاج والبلّور والصينيَّات والقطع المحلاَّة بالمينا بينها القناديل والقماقم وقلائد الزجاج وعلى اكثرها الخطوط البديعة المنمَّقة بالالوان المختلفة فيها اشعار وحكم

ومنها ايضاً الاخشاب القديمة المعروفة بالمشربيَّات ومنها الخزفيَّات وجلود التجليد للكتب وقماطير المخطوطات وغير ذلك مما يرى هناك ويقتضي وصفهُ صفحات طويلة. وتكلَّفت لجنة العاديَّات على جميع هذه الآثار عشرين الف جنيه. وقد قرَّرت الحكومة منذ ثلاث سنوات بان يُخصَّص في كل عام لابتياع هذه العاديَّات مدخول غلاَّت ٥٣٥ فدَّانًا من الاموال الاميريَّة وذلك يساوي نحو ٢٠٠٠ جنيه

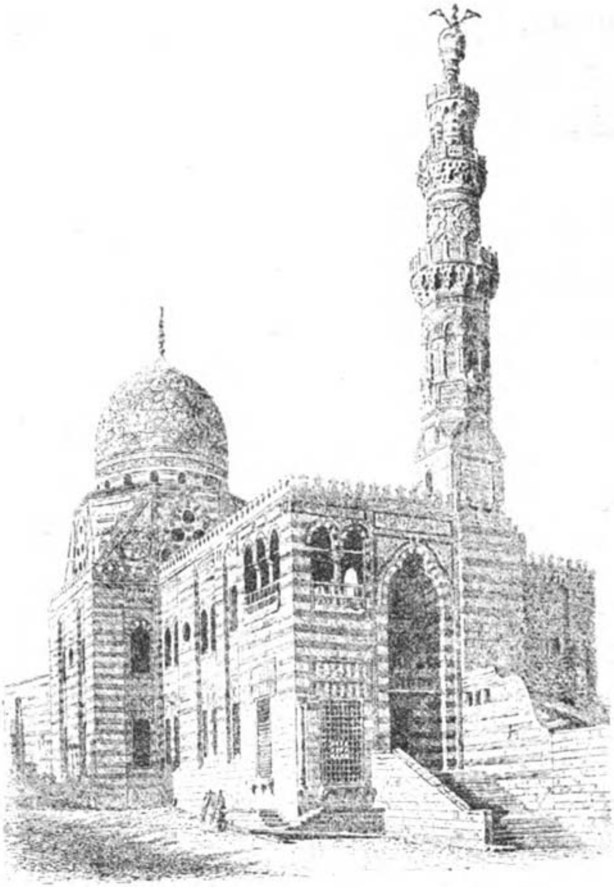
٣ اعمال لجنة العاديَّات العربية

فلنعودنَّ الى ما قامت بهِ لجنة العاديَّات ليرى القارئ ما ادَّتهُ من الخدم الجليلة للعلوم فنقول: انَّ اخصَّ الاعمال التي وجهت اليها جمعيَّة العاديَّات نظرها تعود الى ستَّة اقسام وهي الجوامع ثم المقابر ثم السُّبُل ثم الوكالات والرُّبط ثم الصهاريج ثم الابواب الاثريَّة

١ (الجوامع). ليس بين العاديَّات العربيَّة المصريَّة ما هو اخطر شأنًا من الجوامع فانَّ في مصر منها ما لا يوجد في غيرها من البلاد لاسيَّما من حيث قدمها. فباشرت اللجنة اوَّلًا في ترميم جامع عمرو بن العاص في مصر العتيقة وهو اقدم الجوامع واجلها اثرًا وهو عبارة عن بناء مستطيل في وسطهِ صحن واسع تحدق بهِ اروقة على ٣٦٦ عمودًا وفي هندستهِ شبه بهندسة هياكل قدماء المصريين

ثم اهتمَّت بالجامع المنسوب الى احمد بن طولون وهذا الجامع بُني سنة ٨٧٦ بالآجرّ على منوال جامع عمرو قريبًا من الفسطاط وهو اكبر منهُ قد اتخذهُ المهندسون كمثالٍ جروا عليهِ في بناء الجوامع المصريَّة. وقد تقلَّب الدهر على هذا الجامع فطمس محاسنهُ حتى اعادت لهُ رونقهُ جمعيَّة العاديَّات فرمَّمت ما خرب منهُ وحفرت حولهُ فازالت

ما تراكم من الردوم ثمَّ دعمت اساسهُ بدعائم متينةٍ وجدّدت زينة محرابهِ البديع وفيهِ عواميد بوزنطيَّة جميلة دقيقة الصنع وفسيفساء من الذهب وغير ذلك



جامع قايتباي

ثم عُنيت ايضاً باصلاحات مهمَّة في الجامع الازهر وجامع المهمندار في دار الاحمر وجامع الحاكم وجامع الاقمر وكلُّها مبنيَّة على عهد الدولة الفاطميَّة. وكذلك رمَّمت واصلحت جوامع عديدة بُنيت أيَّام المماليك كجامع الغوري وجامع برقوق وجامع قايتباي وجامع قجماس الاسحاقي وجامع امير آخور. وخصوصاً جامع السلطان حسن

الذي أُنفق عليهِ ٤٠,٠٠٠ جنيه مصريّة. هذا فضلًا عن بعض الجوامع الواقعة خارجاً عن القاهرة وفي خطط المقريزي اوصاف لكل هذه الابنية نستغني عن نقلها بالاشارة اليها

٢ (القبور) كان العرب في مصر يُحكمون بناء المقابر بعد ما رأوا في قدماء المصريين من الحرص على مدافنهم وتحنيط موتاهم. فتراهم تارةً يتّخذون الجامع فيدفنون في بعض اقسامها ملوكهم وكبارهم وتارةً يتيمون لهم المشاهد الخاصّة يبنون فوقها البنايات الجميلة ويجعلون فوقها القبب اللطيفة والمدافن المتقنة الصنع وقد اهتمّت لجنة العاديّات بهذه الآثار واصلاحها. واشهر هذه المدافن ما يُعرف بمصر بقبور الخلفاء وهي عبارة عن عدّة مساجد قُبر فيها بعض الخلفاء. فتداركتها جماعة الآثار العربيّة واصلحت قسماً كبيرًا منها وخصوصاً مدفني السلطان برقوق والسلطان قايتباي انظر صورتهُ في الصفحة ١٠٤٩). وكذلك رمّمت المدفنين العجيبين اللذين قُبر فيهما الامام الشافعي والسلطانة امّ خليل المعروفة بشجرة الدرّ

٣ (السُّبُل) هي الينابيع العموميّة التي يستقي منها الجمهور. وقد تأنّق في صنيعها عرب مصر. وهي عادة لاحقة بالجوامع تُقام فوق الصهاريج فيُجعل لها صوان من الحديد وكثيرًا ما يجعَل فوق هذا الصوان بناء يُصعَد اليهِ بسلّم ويظلّلهُ عريش مزخرف من الخشب ينتهي بنقوش غاية في الدقّة ويستند الى عمد لطيفة تُناط بها القناديل الملوّنة. وتلك الحجرة تُتّخذ كمكتب للاحداث. وقد اصلحت لجنة العاديّات العربيّة كثيرًا من هذه السُّبُل نخصّ منها بالذكر سبيل السلطان فرج بن برقوق وسبيل الامامين وسبيل عبد الرحمان كتخودا وسبيل الغوري وسبيل الملك الصالح نجم الدين أيوب وسبيل خسرو باشا وسبيل الامير شيخو

٤ (الوكالات والرُّبُط) يدعو المصريّون وكالةً الخان ينزلهُ الغرباء ويجعلون فيهِ بضائعهم. وفي مصر منها كثير يُدخل اليها بابواب فخيمة جميلة وفي وسطها صحن متّسع تنزل فيهِ القوافل وعلى دائرة الوكالة حُجَر واروقة يسكنها الغرباء وفوق هذه الاروقة طابق او اكثر. امّا الربط فهي مقامات الصالحين ينزلها الدراويش فيتفرّغون فيها للعبادة. وقد ذكر منها المقريزي اثني عشر رباطاً ثلاثة منها للنساء ولم يبقَ منها اليوم سوى بعضها

وممّا صرفت اليهِ لجنة العاديّات نظرها من هذا القبيل وكالة قايتباي المجاورة

للازهر يسكنها اليوم طلبة هذا الجامع فصرفت على اصلاحها مبلغًا وافرًا. وكذلك رُممت رباط السلطان اينال في حي خرنفش وهو اعظم هذه الرباطات شأنًا واجملها هندسةً وقد اعادت الكتابةَ الدائرة التي كانت على بابهِ يُستفاد منها اسم منشئ هذا الرباط وهو السلطان الملك الاشرف ابو نصر اينال

وقد اسعد الحظّ ناظر المتحف العربي العلّامة هرتس بك بان يجد اخربة رباط آخر ذكرهُ المقريزي وهو رباط الآثار كان الخراب استولى عليهِ فنسيهُ العلماء حتى اهتدى اليهِ هرتس بك سنة ١٩٠٠ استنادًا الى فقرةٍ قرأها في تاريخ الجبرتي وورد فيها تعريف موقع هذا الرباط على ضفّة النيل في مصر العتيقة

٥ (الابواب الفخيمة) هذه الابواب ثلاثة تُرى في مصر العتيقة وهي باب الفتوح وباب النصر وباب زُوَيلة بُنيت على عهد الفاطميين بناها ثلاثة اخوة مهندسين دعاهما البدر الجمالي وزير المستنصر. وليست هذه الابنية على الطرز العربي. لكنَّ جمعيّة العاديّات احبّت حفظها وانفقت الف جنيه مصريّة في ترميمها . وكذلك اصلحت باب المتولّي الذي موقعهُ على سور القاهرة القديم وباب خان الخليل

٦ (الصهاريج) وهي احواض للمياه بُنيت في مصر السفلى وخصوصاً في الاسكندريّة لتخزن فيها مياه النيل. وهذه الاحواض مبنيّة بناء جيلًا على اشكال هندسيّة غاية في الاتقان. وقد ذكر احد سيّاح الفرنج هذه الصهاريج وهو المسيو دي تفنه (de Thévenet) وكان زارها في اواخر القرن السابع عشر فنظمها في جملة الاعمال الشريفة العجيبة وقال انّها اشبه بمدينة بُنيت تحت مدينة الاسكندريّة لها ازقّتها وشوارعها وحوانيتها مع عدد لا يُحصى من العواميد

وهذه الصهاريج منقورة في الصخر او مبنيّة على اشكال هندسيّة عجيبة يرقى عهدها الى ايّام الاسكندر امر بابتنائها ليزوّد الاهلين بالمياه العذبة وكانت المياه تأتي هذه الصهاريج مارّة بقنيّ تتصل بالخليج المعروف اليوم بخليج محموديّة. ولجنة العاديات العربيّة قد خصّت هذا البناء بمبلغ من المال فرُممت ما رأتهُ بينها احسن هنداماً

وقد اتّخذ العرب صهاريج غيرها منها صهريج النبيه وصهريج مورو المعروف بصهريج البدوي وهي جميلة البناء لها القبب المرتفعة الّا انّها خربة لم ترمّم بعد

هذه بعض اعمال لجنة العاديّات المصريّة العربيّة تنبئ بما لاصحابها من الهمّة

القصاء في احياء الآثار الغابرة. ومُذ عُهد اليها امر العاديّات القبطيّة قد زادت على فضلها فضلًا بانّها اهتمّت بترميم بعض المعابد القديمة منها كنيسة انبا شنوده وكنيسة ابي سيفين وكنيسة ماري جرجس ولكل هذه الابنية خواصّ هندسيّة هي كشواهد حيّة على طرائق قدماء المصريين في صناعة البناء فهي حريّة بان تُصان. وكذلك يشكر العلما هذه اللجنة على اعتنائها باصلاح بعض بيوت الخاصّة لآثرها الجميلة او لفوائدها التاريخيّة نخصّ منها بالذكر دار جمال الدين في (خوش قدم) في مصر ودار صخر الدين ابراهيم بن لكمان التي انزل فيها الملكُ المعظّم توران شاه القديس لويس ملك فرنسة بعد موقعة المنصورة من تاريخ ٣ محرّم الى ٣ صفر عام ٦٤٨ هـ (١٢٥١م)

وفي الختام نكرّر شكرنا للجنة العاديّات العربيّة ونحضّ اهل بلادنا على تقفّي اعقابها بصيانة آثار اسلافنا والعناية بها وترميمها كذخائر علميّة ابقوها لنا تشهد على مداركهم وعلوّ هممهم وتبعث فينا الحميّة لنسير على مسالكهم

مطبوعات شرقية جديدة

SCHAUIA IN MAROCCO
eine historische Studie von G. Kampffmeyer

الشاويّة في مرّاكش

قد عرف قرّاؤنا الكرام ما للدكتور كمفماير من الضلاعة في الابحاث اللغويّة الشرقيّة كفانا شاهدًا على قولنا ما ابداهُ من دقّة النظر وسعة العلم في مقالته عن الباء العاميّة (المشرق ٣: ٩٨٧) والعجيب من ذلك انّ لصاحب هذه المطالب آراء غاية في الجود والصواب وهو لم يطأ ارضًا شرقيّة. على انّهُ عُهد اليهِ ببعثة علميّة في ربيع سنة ١٩٠١ الى مرّاكش فعاد منها الدكتور وفي يدهِ موادّ جديدة لدروسهِ فنشر آخرًا منها بحثًا في آثار بعض نواحي مرّاكش تُدعى بالشاوية. فوصف احياء اهلها وذكر تاريخهم واستدلّ بتقلّباتهم في السُكنى وبآثار لغتهم على ما لهم من العلاقة بقبائل عرب الجنوب ولهجاتهم. ولولا ما يقتضيهِ هذا البحث من التفاصيل الدقيقة لاتّسعنا في وصفهِ ليرى الشرقيون خطر هذه المباحث اللغويّة وفائدتها لدرس لهجات بلادنا العاميّة. ونكتفي بالاشارة شاكرين للدكتور كمفماير همّتهُ العالية في تعزيز الآداب الشرقيّة. ومهنّئين

لجنابهِ عمَّا نال من الامتيازات لدى المكتب الشرقي الالماني في برلين وهو قد جعلهُ ناظرًا لخزانة كتبهِ ومكاتبًا عاديًا لمجلتهِ المعدودة من اعظم المجلات الشرقيَّة في اوربَّة ه. ل

Te'ezâza Sanbat

Texte éthiopien, publié et traduit par J. Halévy,
Paris, E. Bouillon, 1902, XXXV-239

وصايا السبت

في بلاد الحبش قبائل يهوديَّة تُعرف بالفلاشة لم تختلط رغمًا عن كرور الادهار بالامم المتعدّدة التي تناوبت في ملك تلك البلاد. ولغتها اليوم احدى اللغات الافريقيَّة المعروفة بالاغاوُو (agaou) لكنها لا تزال تقيم مناسكها الدينيَّة بلغة الاحباش القديمة التي تُدعى بالغيز (gheez) وان لم تفهم منها شيئًا. ولهؤلاء القوم كتب مخطوطة كترجمة الاسفار المقدَّسة وصلوات وغير ذلك. وممَّا اكتشفهُ بينهم سنة ١٨٦٧ العلَّامة هالوي مجموع خُطَّ على رقّ الغزال فيهِ تسعة كتب دينيَّة اوَّلها وصايا السبت ومن تصفَّح هذه الآثار وجد فيها شيئًا من اقوال التوراة فضلًا عن حكم ووصايا ونبوَّات شتَّى ورؤيات عجيبة وحكايات خرافيَّة ينسب بعضها الى عزرا وباروك وغيرهما. ومع كثرة ما في هذا المجموع من الاغلاط احبَّ المسيو هالوي ان ينشرهُ لغرابتهِ وندرتهِ والحقهُ بترجمة افرنسيَّة مع عدَّة ملاحظات فجاء كتابًا مفيدًا لمحبّي الآثار القديمة

الطريق المستقيم الى حبّ يسوع القويم

تأليف القديس الفونس ليكوري عرَّبهُ عن الافرنسيَّة الاب ادوار سلزاني اليسوعي
طُبع بمطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩٠٣ (ص ٥٠٨)

القديس الفونس ليكوري من ائمَّة معلّمي السيرة الروحيَّة ولذلك أُولع الشرقيُّون بترجمة اعمالهِ فنقلوا منها الى العربيَّة قسمًا طيّبًا كاللاهوت والتأملات وواسطة الخلاص الكبرى وروضة الواعظ وامجاد مريم وغير ذلك ممَّا تهذَّ بمطالعتهِ النفوس التقيَّة. ودونك اليوم تأليفًا جديدًا من مصنَّفات هذا الملفان العظيم نقلهُ حضرة الاب سلزاني اليسوعيّ الى العربيَّة وهو سفرٌ جليل وضعهُ ذلك القديس في حبّ السيد المسيح وبيَّن فيهِ بيانًا واضحًا الاسباب التي تحمل المسيحيّ على محبَّة الربّ ثمَّ يرشد المؤمن الى الوسائل التي تمكّنهُ من هذه المحبَّة الخلاصية وهو يشفع كلَّ فصل بامثال تؤيد قولهُ وتقرّب منالهُ. فنثني على المترجم ونتمنَّى لكتابهِ رواجًا بين الطوائف الكاثوليكيَّة

الاخاء المتين بين العلم والدين

تأليف الخوري جرجس فرج صفير (طبع بالاسكندريَّة سنة ١٩٠٣ ص ٢٠٨)

قد هبَّت في مصر ريحٌ وخيمة هي اسوأ عاقبةً من الطاعون والهواء الاصفر. ولا غرو فانَّ هذه الاوبئة لا تذهب الَّا بالاجساد امَّا تلك فتصيب النفوس وتفسد الاخلاق وتقوّض اركان المجتمع الانسانيّ. نريد التعاليم الباطلة والمزاعم الكاذبة التي يبثُّها قومٌ من اهل الكفر على رؤوس الاشهاد. وممَّن نشروا لواء هذه الآراء الكفريَّة صاحب مجلَّة تُدعى الجامعة تعقَّب في مجلَّتهِ آثار الجاحد رنان ورشق الدين بسهام ظنَّها مصيبة. ويسرُّنا انَّنا نرى احد افاضل القطر المصريّ قد تصدَّى لهذه الترهَّات وزيَّف بهرجتها. ألا وهو حضرة الاب الفاضل والفيلسوف العامــل الخوري جرجس فرج صفير صاحب التآليف الفلسفيَّة الشهيرة. فاعمل النظر في اقوال الجامعة وبيَّن باقوى برهان انَّ كلام هذه المجلَّة سفسطيٌّ لا اساس لهُ وانَّ صاحبهُ يخوض ميداناً ليس هو من فرسانهِ. وقد اتَّخذ لبيان ذلك طريقة المحاورات التي يرتاح اليها القرَّاء فاظهر عدَّة حقائق نكرها مؤلف الجامعة لاسيَّما الموافقة بين العلم والدين والاخاء بين الايمان والعقل جعلهما الله كجناحين يرتفع بهما المخلوق الى خالقهِ. وزاد على ذلك ابحاثاً اخرى مفيدة شوَّهها كاتب الجامعة وامثالهُ فتكلَّم عن مجالس التفتيش والوحي والمعجزات والتساهل الديني وغير ذلك ممَّا تسرُّ مطالعتهُ كلَّ رجل راجح العقل محبّ للحقّ. فنثني على مصنِّف هذا الكتاب اطيب الثناء ونحضُّ كلَّ قرَّائنا على اقتناء تأليفهِ

تدبير الاطفال في الصحَّة والمرض

للدكتور اسكندر بك جريديني (مطبعة الهلال ص ٢٦٨)

هذا التأليف اوسع ما كُتب في بلادنا عن تدبير الاطفال والاحداث في الصحَّة ومداواتهم في المرض. فانَّ صاحبهُ الفاضل يتبع الطفل في اطوار حياتهِ الاولى منذ ولادتهِ الى اوَّل رشدهِ ويفرد لكلّ حالة من احوالهِ باباً واسعاً مستوفياً يضمّنهُ خلاصة ما سطَّرهُ نطس الاطبَّاء في عصرنا عن ذلك. ولهُ ابحاث مسهبة في دلائل صحَّــة الصغير ونموّهِ وغذائهِ ولبسهِ ونومهِ وسكناهُ وتربيتهِ الجسديَّة والعقلية والادبية. وقد خصَّ قسماً كبيراً من الكتاب بامراض الاطفال وتشخيص اعراضها وعلاجها الى فوائد اخرى عديدة تجعل هذا الكتاب كطبيب للعيال ودستور يرجع اليهِ ارباب البيوت عند الحاجة ل. ش

شذرات

عاديّات الديماميس الرومانية — منذ يومٍ ابرز الكافليار دي روسي كتابهُ الشهير المعروف بديماميس رومية لم يزل العلماء يصرفون جهدهم في استخراج الكنوز الدفينة التي لا تزال محجوبة عن العيان في اسراب رومية. ومن المطبوعات الجليلة التي أُنجزت في هذه السنة كتاب في مجلّدين ضخمين وضعهُ السيد ڤِلبِرت فوصف فيهِ العاديّات النصرانية التي وُجدت في ديماميس رومية في هذه السنين الاخيرة وهذه الآثار تقلّ عن ٦٠٠ قطعة رسمها المؤلف بالتصاوير الفوتوغرافية وحلّى بعضها بالالوان الزاهية. واكثرها يمثّل حياة السيد المسيح واسرارهُ وتعاليمهُ ومعتقدات كنيستهِ في العذراء مريم ورئاسة القديس بطرس والمطهر الى غير ذلك ممّا يشهد على ثبات الكنيسة الرومانية في عقائدها منذ عهد الرسل. وقد اهدى السيّد ڤلبِرت هذا الكتاب النفيس لقداسة الحبر الاعظم يوم تتويجهِ فتقبّلهُ بالشكر مثنياً على صاحبهِ احسن ثناء.

وقاية المزروعات من الدود — للمزروعات والبقول آفات عديدة منها الدود والحلزونات وما كان من جنسها. وقد لحظ الزراعي المسيو وُرْسْدِل (Worsdell) انّ هذه الدويبّات تحيد عن الزرائع التي يدخلها شيء من المادّة الدبغية المعروفة بالتانين (tanin) فاخذ محلولًا مزج فيهِ قليلًا منهُ بكميّة من الماء وسقى بهِ الزريعة فلم يعد يضرّها الدود مطلقاً. وقد كتب في ذلك مقالات استجادتها المجلّات العلمية

شكوى باطلة — قرأنا في العدد الاوّل من جريدة الذمار وفي غيرها شكوى لا يزال يردّدها البعض امّا جهلًا وامّا تحاملًا وهي انّ « الجزويت » لا يهتمّون بتعليم العربيّة. وقد فنّدنا هذا القول في المشرق بعدّة مقالات نحيل اليها القرّاء ليتحقّقوا بطلان هذا المزعم منها خطبة القيناها في درس العربيّة سنة ١٨٩٨ (المشرق ١ : ٦٩٩—٧٠٥) وكذلك في مقالتنا عن يوبيل كلّيتنا الفضي (٤ : ١—١١) ثم في ردّنا على المقتطف في مقالة عنوانها اللغة العربيّة في مدرستنا الكليّة (٥ : ٩٢٣—٩٣٢) حيث اوردنا اسماء تسعين مؤلفاً ممّن تخرّجوا في مدرستنا وضعوا نيّفاً وثلثمائة كتاب في علوم شتّى. وما نقولهُ عن مدرستنا في بيروت يصحّ ايضاً في مدارسنا في مصر وسنبيّنهُ ان شاء الله في فرصة أُخرى

اسئلة واجوبة

س ارسل الينا جناب عبدّ الله افندي حكيم رسالة ضمَّنها عدَّة اسئلة عن النفس وادراكها ومواهبها وعلاقتها مع الجسد واحوالها في النوم وعند اختلال الحواس وعلوها بعد الموت وعن الحيوان وتصويراته الخ الخ . ثم الحَّ علينا ان نسرع بالجواب

ج قلنا انَّ من يسأل مثل هذه السؤالات في دفعةٍ واحدة لا يدري ما يطلب فانَّ اموراً مثل هذه تقتضي مقالات مطوَّلة بل مجلَّدات ضخمة فلا يمكن الجواب عنها ببعض اسطر لاسيَّا انَّ المشرق نشر ابحاثاً عديدة في بعض هذه المباحث كردّنا على الهلال في وصف النفس البشريَّة (المشرق ١ : ١٥٤—١٥٧) ومقالة ابن العبريّ في النفس وجوهرها وخواصها وقواها وخلودها (١ : ٧٤٥ الخ) ومقالات الاب لويس رترقال في الحسّ والمخيَّلة والذاكرة (٤ : ٥٢٩ الخ) وغير ذلك ممَّا نحيل السائل الى مراجعتهِ لئلاَّ نعيد الاشياء ذاتها دون افادة

س وسأل من غزير جناب ر . س عن الدواء لداء يصيب اشجار الدرَّاق والليمون التي بعد نموّها ثلاث او اربع سنوات فاذا اقتُلعت وجد على عروقها زغب ابيض كالقطن المندوف

دواء لداء اشجار الدراق والليمون

ج هذا الداء عفونة تصيب الاشجار لرطوبة الارض وكثرة مائها . والدواء ان تجفَّف الارض امَّا بحفر سواقٍ للماء وامَّا بوضع شيء من الكلس في التربة

س وسأل من زحلة جناب الاديب منصور ابو طقا : ١ً هل يجوز لكاهن ماروني لبس البدلة وقت القداس مثل اللاتين وهل يجوز وضع المنصفة تحت القميص . ٢ً من اي شيء تشتق كلمة اقليم . ٣ً ما معنى قولهم : ابرد من عضرس . ومن هو عضرس . ٤ً ما هي الشروط الواجبة لربح غفران التبشير ؟

لبس البدلة — اشتقاق اقليم — ابرد من عضرس — شروط غفران التبشير

ج نجيب على (الاول) انَّ لكل طائفة عادات مرعيَّة لا يجوز الحيادة عنها الاَّ لداعٍ شرعيّ . ٢ً تشتقّ كلمة اقليم من اليونانيَّة « Κλίμα » ومعناها المَيل ثم البلاد الواقعة بين خطَّين متوازيين ثمَّ القَطر . ٣ً عضرس في هذا المثل معناها الماء الجامد . ٤ً غفران التبشير منهُ جزئي يكتسب بتلاوة هذه الصلاة كلَّ مرَّة عند قرع الجرس وبالجثو على الركبتين . امَّا الغفران الكامل فيكتسب مرَّةً في الشهر اذا صلَّى المؤمن هذه الصلاة كلَّ ايَّام الشهر واعترف وتناول وصلَّى على نيَّات الحبر الاعظم ل . ش

المشرق

الآداب العربيَّة في عهد الجاهلية

خطبة ألقاها الأب لويس شيخو اليسوعي مدرّس الآداب العربيَّة في المكتب الشرقيّ

أيها السادة

انَّ من يطرق سمعهُ لاوَّل مرَّة اسمُ الجاهليَّة يأخذهُ ضربٌ من الاستنكاف والنفور فيتخيَّل انَّ الاعصار التي سبقت النهضة العربيَّة انَّما كانت أيَّاماً طبَّق عليها الجهل وخيَّم فوقها رواق الهمجيَّة فلا يرى في العرب الَّا قوماً من شذَّاذ الآفاق او لصوص البراريّ. الغزو دأبهم والنهب ديدنهم. لا ينبعث من لغتهم سوى رائحة النوق والجمال

ذلك وهمٌ استولى على ذهن بعض الذين يرون من الامور غير صفوتها فيجتزئون عن لبابها بقشرتها ولو كانوا من المنصفين لجرَّدوا نظر العقل واعملوا رائد الفكر لتمحيص الحقائق فيَبرز لهم الصريح عن جانب المَتن

وكأنّي بالحضور يوقفوني هنا قبل خوضي في الميدان قائلين فما قولك اذن بالجاهليَّة ؟ أفيكون هذا الاسم بلا جسم ؟ او هو سمةٌ من العار وُسم بها قدماء العرب فلزمتهم ظلماً وقُرعت بها صفاتهم سفهاً وساحتهم مع ذلك بريئة منها ؟ كلَّا ليس الامر كذلك ولولا انَّ العرب قبل الاسلام استحقُّوا من بعض الوجوه بان يُنبذوا بهذا اللقب لما عُرفوا بهِ ولا عُرف بهم. وان سأل السائل عن هذا الوجه الذي استوجب لهم تقريعهم بالجاهليَّة اجبنا انهُ التوثُّن وعبادة الاصنام التي شاعت في قبائل العرب اذ لم يعرفوا

الله حقَّ معرفتهِ. ولنا على قولنا عدَّة شواهد تبيّن انَّ هذا الاسم انَّما يدلُّ على جهل الله تعالى فقط لا على همجيَّة فيكون نصيب العرب في ذلك كنصيب كلّ الامم المتمدّنة التي جارت عن سبيل الحقّ فعبدت الطواغيت. واذا استفتينا اهل اللغة عن معنى هذه الكلمة ايَّدوا قولنا فاجابوا ان الجاهليَّة أنْ يُظَنَّ بالله غير الحقّ وانَّها الكفر وانَّها الوثنيَّة وقسموها الى جاهلية أُولى والى جاهليَّة ثانية ارادوا بالاولى كفر البشر من آدم الى نوح وقيل من آدم الى المسيح وخصُّوا الثانية بالعرب. قال المطرّزيّ: «دُعي جيلُهم جيل الجاهليَّة لِما كان عليهِ العرب من الجهل بالله وشرائع الدين والكبر والتجبُّر». فثبت اذن انَّ اسم الجاهلية محصور في الشرك والكفر ولم يُطلَق باديء بدء الَّا على القبائل التي لم تعرف الحقّ سبحانه وتعالى. واذا توسَّع الكتبة بعدئذٍ فاطلقوهُ على كل العرب فما ذلك الَّا على سبيل المجاز والكناية كما يُطلق اسم الجزء على الكل لملازمتهِ لهُ. لا بل وردت هذه اللفظة ايضاً بعد الاسلام بمعنى الأَنفة والكِبْر وفي كتب اللغة: انَّ في فلانٍ لجاهليَّةً اي تجبُّرًا وخرقًا

فان قرَّ ذلك ورسخ في عقول الحضور تمهَّد لنا المجال فنقول ان العرب بلغوا قبل الهجرة مقاماً في الحضارة قلَّما بلغهُ الشعوب القديمة. وكأني ارى السامعين يأخذهم الاندهال فيحتجُّون هنا عليَّ ويلومونني على قلَّة معرفتي بالتاريخ. فاين يا ترى العرب من البابليين والمصريين واليونان والرومان والهند والصين. هب انَّهم ملكوا على شبه جزيرتهم او قُل بالاحرى على صحاريّهم الجرداء وبواديهم القاحلة أفيجوز ان تنسب لهم مجاراة الشعوب المتمدّنة. فاين الثريَّا من الثرى والدرُّ من الحَصَى

سادتي هلمُّوا بنا ننتقل على طائر الفكر الى مواطن العرب فنرى ما كانوا عليهِ في القرون الغابرة وما طرأ عليهم من الطوارئ لعلَّنا نقف على شيء من مفاخرهم ثم نعود الى ذكر آدابهم التي عليها مبنى كلامنا

جزيرة العرب مربَّع مستطيل موقعهُ بين الدرجة ١٢° و ٣٥° من العرض الشمالي وبين ٣٥° و ٥٩° من الطول الشرقي تمتدُّ شمالًا من بحر المتوسط الى خليج العجم وجنوبًا من آخر حدود بحر القلزم الى عمان فيبلغ معظم عرضها ١١٥٠ ميلًا من الاميال الجغرافيَّة ومعظم طولها ١٤٠٠ ميل ومساحتها ١,١٠٠,٠٠٠ ميل مربَّع وهي تجاور

الشام وما بين النهرين والعراق وفارس فيها البطون والحزون والصحارى والارياف. هناك اليَمَن الغنيَّة بمرافقها الشهيرة بمعادنها ذات الاراضي المخصبة والارزاق الدارَّة والحدائق الغنَّاء. قد ابتنى لها ملوكها سدًّا يخزن لهم مياه الامطار والعيون في وادٍ بين جبلين بحيث تنال كلُّ جهة حاجتها من المياه في ريّها

هناك تهامة تحظى من خيرات بحر القلزم باوفر سهم واوفى نصيب. هناك الحجاز القائم بجبالهِ في وجه العدوّ كأنهُ سور منيع لا تقوى على خرقهِ قوَّات الفاتحين حتى قال احد شعراء ذلك الزمان :

ونحن غلبنا بالجبال وعزّها ونحن ورثنا غَيْثًا وبُدَينا

هناك نجدٌ واراضيهِ العالية وتربتهُ الجيّدة وهواؤهُ الطيّب

سقى الله نجدًا والسلامُ على نجدِ ويا حبّذا نجدٌ على القرب والبعدِ

هناك اليامة او العَروض وسهولها المتَّسعة تتَّصل بها بلاد البحرين او الأحساء على طول الخليج الفارسي حيث مغاص اللؤلؤ الشهير

تلك هي اخصّ اقسام جزيرة العرب بيد أنَّ نفوذهم لم يقف عند هذه الحدود حتى أتصل بكل الانحاء المجاورة لبلادهم بل بلغ الجهات القاصية منها فصدق فيهم كلام الله الى هاجر لمَّا تراءى لها ملاك الرب فقال عن ابنها اسمعيل (تك ٢١ : ١٨) : « اني جاعلهُ امَّةً كبيرة ». فانَّ الامم العربيَّة انتشرت من جهات الشمال فملكت العراق وبلغت فارس وتولَّت مدَّةً على بابل حتى رجَّح علماء عصرنا ان اوَّل ملوكها كانوا من العرب. امتدَّت في ما بين النهرين فسكنت قبائلها على ضفَّات دجلة والفرات وتربَّعت بديار ربيعة وديار بكر الى الرها حيث ملك منهم الاباجرة. تطالَت الى الغرب فدخلت بلاد الشام وضربت خيامها في جوار حمص وحماة وحلب بل صارت هذه المدن مدَّةً تحت حوزتهم. وزحف قوم منهم الى لبنان وهم الايطوريّون فتوطَّنوا رأس الشقعة وجهات البترون وجبيل وتدفَّق سيلهم الى البقاع فاتَّخذوا لهم فيها المدن كعين جرّ التي غلبهم عليها بمبيوس القائد. وكان النَبط عربًا ملكوا على بادية الشام وبنوا المدن ومصَّروا الامصار ولا تزال آثارهم الجليلة حتى اليوم تحيّر العقول. منها الصروح والقلاع والقصور وصفها السيَّاح المحدثون الذين عاينوها. امَّا

تدمر فلا يجهل احد اسم زينب وبني اذينة الذين اتخذوا تلك المدينة كتخت لمملكة عظيمة الجاه واسعة الثروة

هذا وزاحم العربُ اليونان ثم الرومان في ملك دمشق ولم ينل قياصرة رومية منهم هدنةً حتى جعلوهم عُمَّالًا لهم في حدود الشام وفلسطين وجلس منهم على سُدّة القياصرة فيلبُّس العربي اوَّل الملوك المتنصّرين. امَّا جنوبي فلسطين فكثيرًا ما تعدَّى العرب ثغورَ بلادهم فاحتلُّوا شبه جزيرة سينـا وملكوا بريَّة فاران ولم تردّهم سطوة المصريين بل بلغت بهم جرأتهم الى ان ناووا مملكة الفراعنـة فدحروهم وجلسوا في دست سلطتهم كما دلَّت على ذلك الكتابات الهيروغليفيَّة فانبأت العلماء بعظمة دولة هؤلاء الملوك المعروفين بالرعاة الذين كانوا في أيام ابراهيم الخليـل الى عهد يوسف الحسن

وممَّا تفرَّد بهِ قدماء العرب انهم كانوا اذا فتح بلادهم فاتح كالبابليين واسكندر ذي القرنين والرومان استكانوا لهم قليلًا خاضعين ثمَّ عادوا الى عزّهم وترى تلك الدول قد انقرضت وماتت والعرب. لا يزالون في شدَّتهم لم يفقر دمهم وتضعف قواهم

وان حصرنا النظر في جزيرة العرب كما كانت قبل ظهور الاسلام وجدنا فيها الممالك الزاهرة والدُّول الفاخرة. ذات الشوكة والبأس والقوَّة والمراس. في جنوبها التبابعة من بني حمير رجحت كلمتهم واشتدَّت سلطتهم فجيَّشوا الجيوش ودوَّخوا الاقطار النازحة فخفقت فوقها رايتهم ولم يفنوا حتى ابقوا لنا من مآثرهم عنوانًا منها الابنية الفخيمـة التي لم تدرس حتى يومنا اطلالُها كقصر غمدان في ظاهر صنعاء كان عجيب البنيان ذا سبع طبقات حسان. ومنها كعبة نجران المعروفة بالقُلَّيس. ومنها أخربة مأرب العاديَّة. ومنها الكتابات العديدة بالخطّ الحميري او المسند التي استرق اسرارَها المستشرقون بما طُبعوا عليهِ من الجلد والثبات. وفي شمالها المناذرة الذين نشروا لواء سلطتهم في العراق واستولوا على السواد ما بين الحيرة والانبار وسائر الارياف المجاورة للبادية حيث السهول الباسقة النخل العجيبة الخصب. وبلغ مكانهم من ملوك العجم ما ادَّى بالاكاسرة ان يكلوا اليهم بتربية ولاة عهدهم. ولبني المنذر ايضًا المباني العظيمة كالاديرة والبيع وكذلك القصور الفخيمة التي عدَّدها المتلمّس :

ألكَ السديرُ وبارقٌ ومرابضٌ ولكَ الخورنَقْ
والقصرُ ذو الشرفاتِ من سِنْدادَ والنَّخلُ المبسَّقْ
والغَمْرُ والأحساءُ واللذّاتُ من صاعٍ ودَيسقْ
والثعلبيّةُ كلُّها والبدوُ من عانٍ ومُطلَقْ

وفي غربي الجزيرة الغساسنة بنو كهلان عملة الروم الذين امتدحهم النابغة حيث قال :

لا يبعدِ اللهُ جيرانًا تركتُهمُ مثلَ المصابيحِ تجلو ليلةَ الظُّلَمِ
همُ الملوكُ وابناءُ الملوكِ لهم فضلٌ على الناسِ في اللأْواءِ والنِّعَمِ
احلامُ عادٍ واجسادٌ مطهَّرةٌ من المعقَّةِ والآفاتِ والظُّلَمِ

أفترون ايُّها الكرام انَّ من رقي سلَّم الحضارة كهذه الدول يستحقُّ بان يُنعت بالهمجيّ . ولعلَّ معترضًا يقول : وما بالك تنسى اهل البادية وكيف تستطيع ان تنسبهم الى التمدُّن أفليس الأولى بان يوصفوا بوصف كسرى انوشروان لمَّا عارض النعمان بن المنذر واراد كسر زهوهِ قائلًا (العقد الفريد ١ : ١٢٤) : « لم ارَ للعرب شيئًا من الخير في امر دين ولا دُنيا ولا حزمٍ ولا قوَّة . . . قد خرجوا من مطاعم الدنيا وملابسها ومشاربها ولهوها ولذَّاتها »

ذلك هو اعتراض اخصام العرب فما قولنا ؟

نجيب انَّنا لا ننكر انَّ من العرب امَّةً راحلةً ناجعةً حصونُهم ظهورُ خيلهم ومهادهم الارض وسقوفهم السماء وجُنَّتهم السيوف يرعون الاغنام فيقتاتون من ألبانها ويتَّخذون الاثاث من اوبارها والخيام من اشعارها يتقلَّبون في المجالات انتجاعًا لمراعي غنمهم وارتيادًا لمصالح إبلهم الكفيلة بمعاشهم . الَّا انَّ في هذه العيشة ليس ما يُشعر بالتوحُّش وانَّما هي عيشة الآباء الاوَّلين كابراهيم الخليل واسحاق ويعقوب اذ كانوا يسكنون الخيام ويقومون على رعية المواشي مع ما في هذه العيشة من القناعة والعفاف والسذاجة والبعد عن الترفُّه وبذخ العيش. هذا الى ما عُرف بهِ عرب البادية من الكرم والقيام بأمر الضيوف والوفاء بالذمار وحقوق الجوار . ولو شاؤوا للبسوا افضل لباس من كفيَّات الحرير والبرود المزخرفة واحتذوا بنعال السِّبت وسكنوا الفساطيط الرحبة والسرادقات العامرة

ثم انَّ لعرب البادية فضلًا آخر لا ينكرهُ عليهم التاريخ وهو انَّ الله جعلهم كقوم وسط لتجارة الامم القديمة . فانَّ قوافلهم العديدة كانت تقطع البيد ذهابًا وايابًا وهي تنقل ثروة الهند وفارس والعراق الى الشام ومصر ومنهما الى العالم اليوناني او الروماني يشهد على ذلك سفر التكوين نفسهُ (٣٧ : ٢٥) اذ يذكر «الاسماعيليين المقبلين من جلعاد وجمالهم محمَّلة نكعةً وبلسانًا ولاذنًا وهم سائرون الى مصر» . فلولا العرب لبقيت تلك الخيرات مكنونةً في بلادها لم ينتفع بها الّا اصحابها . بل لولاهم لبقيت الشعوب المتباينة منزويةً منفردة مدَّة قرون متوالية

امّا اعتراض كسرى انوشروان على العرب في امر دينهم فذلك دعوى تعمّ العرب والعجم على حدّ سواء . فان كان عرب الجاهليَّة قد عبدوا الاصنام فان الفرس كانوا يدينون بالمجوسيَّة ويعبدون النار ويسجدون للشمس . وكذلك قُل عن بقيَّة الامم قبل ان تكتحل بنور الايمان القويم . بل عرف العرب الاله الحقّ اكثر من سواهم وذلك لان القبائل المنتمية الى عدنان كانت اخذت عن اسماعيل جدّها الاول عبادة الاله الواحد اله ابراهيم ونسلهِ من بعدهِ ثمَّ انَّ قربها من بلاد فلسطين وجوارها لشعب اسرائيل لمَّا ساعدها على حفظ التوحيد ونبذ عبادة الاصنام حتى انَّ كَتَبَة العرب كابن دريد والطبري والنويري يزعمون انَّ العرب كانوا في اوَّل امرهم على دين ابراهيم واسماعيل حتى قدم عمرو بن لحيّ بصنمٍ الى مكة فشاعت ديانة الاصنام بعد ذلك اعني في القرن الثالث او الرابع للمسيح . هذا فضلًا عن قبائل يهوديَّة دخلت بلاد العرب وتوطَّنتها منذ الزمن القديم لاسيَّما بعد جلاء بابل فمنها من سكن اليمن ومنها من نزل يثرب وتيماء . وزد على ذلك انَّ النصرانيَّة دخلت في الجزيرة منذ ايَّام الحواريّين فان صاحب اعمال الرسل يذكر العرب في جملة الذين سمعوا تلاميذ الرب يتكلّمون بلسانهم . وذكر ابن خلدون والمقريزيّ : انَّ متّى احد الاثني عشر دعا العرب الى النصرانيَّة . وذكر ابن الاثير وابو الفداء بين ملوك الحجاز الاوَّلين عبد المسيح بن بقيلة الجرهميّ . وكذلك ملوك اليمن قد دان منهم بالنصرانيَّة عبد كلال بن عمرو وواقية بن مرثد ذكرهما حمزة الاصفهاني والثعالبي في طبقات الملوك وابن خلدون . ثمَّ ان الكلَّ يعلمون تنصُّر اهل نجران واستشهاد الحارث وقومهِ على يد ذي نوّاس وتملُّك نصارى الحبش على اليمن

واذا اعتبرنا ملوك العراق وغسان رأينا الدين النصراني بينهم منتشرًا حتى كاد يشمل كلَّ رعاياهم. وكذا قل عن كندة وبعض قبائل نجد والحجاز كتغلب وبكر وتميم وتنوخ وقضاعة. وكان النصارى واليهود يحجّون الى الكعبة مع قبائل الجاهليَّة ذكرًا لابراهيم ويجدون بين اصنام العرب تماثيل الانبياء والملائكة والسيد المسيح والعذراء مريم كما ورد في تاريخ الازرقي اقدم مؤرخ لمكَّة. وترى شعراء النصارى في الجاهليَّة يقسمون معًا بمكَّة والصليب. قال عديّ بن زيد :

سعى الاعداء لا يألون شرًّا عليك وربّ مكَّة والصليبِ

كلُّ ذلك افادنا عنهُ كتبة العرب وهم يؤيدون رواياتهم بالاسانيد الصحيحة التي تُلطِف شكوى كسرى انوشروان وامثالهِ على قدماء العرب بقلَّة الدين

*

هذه لمحة في احوال العرب في دينهم ودنياهم. ولكن اين الشواهد على آدابهم؟ اين علومهم؟ اين معارفهم؟ وان لم يخلفوا شيئًا من آثار عقولهم فما بالك تطرى جيلًا عقيمًا مضى ولم يؤسف على هلاكهِ؟

على رسلك أيها العذول دعنا نتصفَّح التاريخ فانهُ مرآة الحقّ وشاهد الصدق

انَّ اقدم تاريخ تتداولهُ ايدي البشر هو بلا مراء الكتاب المقدَّس فانَّنا نجد بين اسفارهِ القديمة سفرًا جليلًا ينطق بآداب العرب وحكمتهم وسموّ مداركهم ومقدرتهم على المعاني البليغة والاوصاف الشعريَّة. ألا وهو سفر أيوب احد بني عوص من شيوخ عرب البثنيَّة. فسواء كُتب هذا السفر بالعربيَّة اصلًا او في لغة أُخرى ساميَّة فانهُ بلا ريب من اجمل آثار العرب التي تأخذ بمجامع القلوب وتسبي العقول بحسنها الفاتن وفي الفصول الاخيرة منهُ اوصاف يعدُّها اشعرُ الشعراء حتى يومنا كاملةً لم يبلغ الكتبة مبلغها كوصفهِ للنجوم والعقاب والتمساح. اسمعوا وصفهُ للفرس: «أأنت الذي تؤتي الفرس قوَّةً وتقلّد عنقهُ رعدًا وتوثبهُ كالجراد. انَّ نفخ نخيرهِ لهائل. يخدُّ في الوادي ويمرح نشاطًا ويقتحم للقاء السلاح. يضحك على الذُّعر ولا يرهب ولا ينهزم من السيف تُصلصل عليهِ الجعبة وسنان الرمح والمزراق. في هيجانهِ وفورتهِ يلتهم الارض. اذا نُفخ في البوق يقول ها ويستروح القتال عن بُعد ويتنسَّم صياح القوَّاد واللجب»

ولنا في سفر الملوك الثالث وفي اخبار الأيَّام ما يشهد للعرب بالعقول الراجحة

والبلاغة الفائقة وذلك في ملكة سبإ التي لم تقدم على سليمان الَّا لتختبر حكمتهُ وتعرض عليهِ احاجيّها والغازها. وكذلك يذكر سفر الملوك اسماء العرب الذين اشتهروا بحكمتهم على عهد سليمان الحكيم قال: « فاعطاهُ الله (اي سليمان) حكمةً فوق حكمة أيتان الازراحيّ وهيان وكلكول »

ثم انَّ في الآثار التي وجدها المحدثون في انحاء العرب ما يزيدها اعتبارًا لآدابهم. وعجبًا من ثقوب اذهانهم. منها كتابات اليمن باللغة الحميريَّة ومنها الكتابات النبطيَّة والكتابات الصفويَّة المكتشفة حديثًا والكتابات التدمريَّة مع ما وجد هناك من التماثيل والصور والابنية. وليست هذه الآثار سوى قسمٍ صغيرٍ بالنسبة الى ما هناك من البقايا النفيسة التي تحول دون ادراكها المخاطر وضروب المشقَّات

ولكن يقول قائل هذه الآثار وان جاز عَزْوها الى العرب لم تُكتَب في لغتهم والكلام هنا عن العربيَّة فهل يا ترى لعرب الجاهليَّة تاريخُ آدابٍ كما للشعوب المتمدنة يخرجهم من حيّز البداوة والتوحُّش كقولنا مثلًا آداب اليونان وآداب الرومان (Littérature grecque, Littérature romaine) هل يوجد مجموعٌ لهذه الاعمال نقف بهِ على ما كان للقوم من توقُّد الفهم وذكاء العقل. ويطلعنا على عاداتهم واخبارهم وافكارهم وما طبعوا عليهِ من الاخلاق الكريمة والسجايا الطيّبة والهمم الشريفة والمنازع البعيدة

قبل جوابنا على هذه الاسئلة لا بُدَّ من بعض المقدَّمات تنفي من العقول الاوهام الباطلة

اوَّلًا انهُ لا يجوز أن تُقاس آداب العرب على آداب الشعوب الآريَّة فانَّ للساميّين عمومًا وللعرب خصوصًا آدابًا عُرفوا بها دون سواهم. فها كم مثلًا العبرانيين فانهُ ما من احد ينكر انَّ الاسفار المقدَّسة هي مجموع آدابهم وانَّ فيها شاهدًا جليلًا على عقول ائمَّتهم ومدارك انبيائهم وعلى فنونهم الكتابيَّة نظمًا ونثرًا. مع انَّ هذه الآداب تختلف عن آداب الآريين بشعرهم ونثرهم اختلافًا عظيمًا

ثانيًا ان العرب مع ترقّيهم في الآداب لم يهتمُّوا بتدوين اخبارهم وجمع اشعارهم وكتابة مآثرهم الادبيَّة كغيرهم من الشعوب. فكانوا اشبه بمن ينثر اللآلئ ويلقي الدرر

ممَّن يُعنى بنظم القلائد وتاليفها في الاسلاك. وانّما مثلهم في ذلك كمثل اوميروس الشاعر الذي كان يطوف جهات اليونان فيقصِد القصائد ويشيد في شعرهِ باعمال قومهِ وهو مكفوف اعمى ولم يدوَّن شعرهُ الَّا بعدهُ بزمن طويل. وكذلك عند قدماء الفرنج الشعراء المعروفون بالبَرْد (bardes) وفي القرون المتوسّطة التروبادور (troubadour) والتروڤار (trouvère). وكذلك المطبوعون من شعراء العرب فانَّهم كانوا يقولون الشعر عفوًا لا يبالون في الغالب بصيانتهِ في القماطير بل يجتزئون بطبعهِ في قلوب بني جلدتهم

ثالثًا ان الكتابة العربيّة لم تكن شائعة شيوعًا كافيًا لتصون بين العرب هذه الكنوز الادبيَّة وتخلّصها من آفة النسيان. نعم انهُ امكن العرب ان يتّخذوا الكتابة السريانيّة او النبطيّة او الحميريَّة لتدوين آدابهم. ولعلَّهم فعلوا كما ظهر مؤخرًا في كتابة عربيّة وقف عليها الرحّالة رينه دوسو (راجع المشرق ٦ : ٩٣) يرقى عهدها الى سنة ٢٢٣ لبصرى التي توافق سنة ٣٢٨ للمسيح. وهي مخطوطة بالنبطيّة امّا منطوقها فعربيّ. لكنَّ الجاري عادةً بين الشعوب ان تنفرد الأمّة بخطها كما تنفرد بلسانها. والحال انَّ الخطَّ العربي لم يسبق الهجرة الَّا زمنًا يسيرًا. وغاية ما وُجد من ذلك كتابتان نصرانيّتان احداهما كُتبت سنة ٨٣٤ للاسكندر (٥١٢ للمسيح) في مدينة زَبَد قريبًا من الفرات. يستفاد منها اقامة معبد لذكر الشهيدين سرجيوس وباخوس. ووُجدت الاخرى في حرَّان من مدن اللجا مؤدَّاها ابتناء مشهد على ذكر القديس يوحنَّا المعمدان تاريخها سنة ٤٦٣ لبصرى اي ٥٦٨ للمسيح

فبعد هذه المقدّمات نقول انَّ لعرب الجاهليّة آدابًا في النثر والنظم استحقُّوا بها ان يُنظموا في سلك الأُمم المتمدّنة. فانَّ ما صبر منها على صروف الدهر اذا قوبل بآداب بقيَّة الشعوب الساميَّة كالبابليين والفينيقيين والعبرانيين لا يقلُّ عنها شأنًا ولعلَّهُ يفوقها

وان سأل السائل قبل ذكرنا هذه الذخائر الادبيّة وكيف بلغتنا وقد تقرَّر بان الكتابة لم تشِعْ عند العرب قبل الاسلام. أُجيب: ١ً انَّ العرب عُرفوا في كل آن بقوَّة ذاكرتهم لقلَّة حرصهم على امور العيش ولانصراف افكارهم الى شؤون محصورة فكانوا اذا فقهوا امرًا لا ينسوهُ ولقَّنوهُ اولادهم فحفظوهُ = ٢ً ثم انَّ هذه الآداب لم تكن تآليف مطوَّلة يصعب حفظها وانّما كانت اقوالًا وجيزة واسجاعًا منسجمة وحكمًا بليغة يسهل على السامعين حفظها في صدورهم فيردّدونها في مسامراتهم ويستشهدون بها في

كلامهم = ٣ُ وزد على ذلك انَّ كلّ قبيلة لم تهتمَّ في الغالب الّا بمفاخرها وآداب رجالها وحكم مشاهيرها وقصائد شعرائها . فتخفُّ عليها مؤونة الحفظ اذ تنحصر محفوظاتها في ذويها = ٤ً وكان ايضاً للشعراء رواةٌ يصحبونهم ويعيشون على نفقتهم فكانوا يكفلون بدرس شعر اساتذتهم فيستظهرونهُ ويسيرون في القبائل لينشدوهُ ويعرّفوا فضل صاحبهِ . فانَّ اعشى قيس مثلًا كان روايتهُ يحيى بن متّى . وكانوا ايضاً يلقّنون شعرهم الاماء والقيون فيتغنَّين بهِ . وفي اخبار النابغة شيء من ذلك . فنفهم بعد ذلك كيف حُفظت هذه الآثار الادبيَّة الى ان اخذ بتدوينها رجال من ذوي الفضل والهمّة في القرن الثاني بعد الهجرة كابي عبيد وابي عمرو الشيباني وابي عبيدة والاصمعيّ وغيرهم ممَّن طافوا احياء العرب فجمعوا ما امكنهم من هذه السبائك الذهبيَّة ولولاهم لبقيت كالدراري المصونة في اصدافها ولعلّها ضاعت ففُقدت كما فُقد الكثير منها ممَّا لم تبلغ اليهِ ايدي هؤلاء الايمَّة

فان ثبت ذلك بقي علينا ان نذكر هذه الآثار بالاجمال ونبيّن شيئاً من خواصّها فنقول : انَّ العرب يحصرون آدابهم اللسانيَّة باللغة والامثال والحكم والروايات والخطب والتاريخ والشعر ولقدماء العرب في كل هذه الفنون بقايا جليلة وتراث صالح

١ً فان باشرنا باللغة لا نظن انَّ احدًا يحاجُنا فينكر على العرب معرفتهم للغتهم وكفاهم فخرًا بذلك انَّ العلماء بعد الاسلام اذا شكّوا في فصاحة كلمةٍ عرضوها على محكّ عرب الجاهلية فسبروها على معيارهم . وبلغ بهم اعتبارهم للغة الجاهلية الى ان فضّلوا الذين عاشوا في ذلك العهد على غيرهم . وكان ابو عمرو يقول عن الاخطل الشاعر النصرانيّ الشهير : لو ادرك الاخطل يوماً واحدًا من الجاهليَّة ما فضَّلتُ عليهِ احدًا . وكان ابو عبيدة يقدّم ايضاً هذا الشاعر لزعمهِ انهُ اشبه بالجاهلية . فبهذه الاقوال دليل لامع على مقام الجاهليَّة عند هؤلاء الائمة من حيث العلوم اللسانيَّة واحكام اللغة . وان قيل لم يكتب العرب شيئًا في قواعد لغتهم قلنا انَّ اللغة كانت فيهم غريزةً فلم يحتاجوا الى تعلّمها . والطبيعة كما لا يخفى تسبق الصناعة . فلمَّا جاء الاسلام وخاف اهلهُ من ضياع اللغة وضعوا لها قوانين ثابتة بنوها على اقوال قدماء العرب

٢ً وممَّا اشتهر بهِ عرب الجاهليَّة الامثال فانهم رأوا فيها وشي الكلام وجوهر اللفظ وحلي المعاني قال بعضهم : « اجتمع في المثل اربعة لا تجتمع في غيرهِ من الكلام :

« ايجاز اللفظ واصابة المعنى وحسن التشبيه وجودة الكتابة » ولذلك اخرج العرب كثيرًا من كلامهم على صورة الامثال لأنّها اوضح للمنطق وآنق للسمع ولم يسرْ شيء سَيْرَها حتى قيل: أَسْيَرَ من مثل. والامثال العربيَّة التي ترتقي الى الجاهليَّة تتجاوز بضعة آلاف جمع منها قومٌ من الادباء شيئًا كثيرًا كالميداني في كتابهِ الشهير مجمع امثـال الذي نظمهُ بالرجز احد افاضل بلدتنا فطبعهُ اولادهُ طبعًا لم ينقصهُ شيء من وجوه الاتقان. وكالضبيّ في امثال العرب وكالعسكري في جمهرة الامثـال وكالزمخشري في المستقصى وغيرهم. ومن اُطّلع على هذه الامثال تحقَّق ما طُبع عليـهِ قدماء العرب من حُسن البديهة وحصافة العقل وبُعد مرامي الكلام فتارةً يخرجونها على صورة حكمةٍ كقولهم للصديق الصدوق: انَّ اخاكَ من اساكَ. وتارةً على صورة استعارة او تشبيه كقولهم للشيخ الهرم: اكل عليهِ الدهر وشرب. وقولهم لصاحب الامر: أعطِ القوس باريهـا. وطورًا على وجه تلميح الى رواية مشهورة كقولهم: اشأم من البسوس. وقولهم: كل الصيد في جوف الفرا. وربَّما جعلوهـا على لسان حيوان كقولهم: يا شاة اين تذهبين. قالت: أجزّ مع المجزوزين. ومثل هذا كثير عند قدماء العرب. وكثيرًا ما يصوغون هذه الامثال شعرًا فتزيد بالقريض حسنًا. قال امرؤ القيس:

البرُّ انجحُ ما طلبتَ بهِ والبرُّ خيرُ حقيبةِ الرَّجُلِ

وقال: اذا المرءُ لم يُخزَنَ عليهِ لسانهُ فليسَ على شيءٍ سواهُ بخزَّانِ

وكقول عبيد الابرص:

من يسالِ الناسَ يحرموهُ وسـائل الله لا يخيبُ

وقولهِ: الخير يبقى وان طال الزمان به والشرُّ اخبث ما اوعيتَ من زادِ

ويقول النابغة:

الرفقُ يمنٌ والاناةُ سعـادةٌ فاستأنِ في امرٍ تُلاقِ نجاحا

واليأسُ عمَّا فات يُعقب راحةً ولربَّ مطمعـةٍ تعودُ ذُباحا

وقول طرفة:

قد يبعثُ الامرُ الصغيرُ كبيرَهُ حتَّى تظلَّ لهُ الدماء تصبَّبُ

وقولهِ: وانَّ لسان المرء ما لم تكن لهُ حصاةٌ على عوراتهِ لدليـلُ

ولو شئنا لاوردنا من هذه الابيات المَثَليَّة الوفًا مؤلَّفةً وكلُّهـا جزيلة الالفاظ بليغة المعاني. وما قولنا بالامثال على السنة الحيوان فانَّ العرب اجادوا فيها وان لم يلحقوا شأو

بعض المحدثين من الاجانب. فمنها الامثال المنسوبة الى لقمان التي تشبه كلَّ الشبه الامثال التي يروونها لايزوب اليونانيّ. ومنها امثال اخرى لطيفة روى منها القدماء لُمَعًا بعضها بالشعر وبعضها بالنثر. فدونكم مثل الذئب والخروف كما رواهُ احدهمُ

وكُنتَ كذئب السوء اذ قال مرَّةً لعمروسةٍ والذئبُ غرثانُ مُرمِلُ
لأَنتِ التي في غير ذنبٍ شتمتِني فقالت متى ذا قال ذا عامُ اوَّلُ
فقالت ولدتُ العام بل رُمتَ غدرةً فدونكَ كُلني لا هنا لك مأ كلُ

وهاكم مثل الثعلب والعنب:

وثبَ الثعلبُ يومًا وثبةً شهوةً منهُ لعنقود عِنَب
ثمَّ لمَّا لم يَنَلْهُ قال ذا حامضٌ ليس لنا فيهِ أَرَبْ

وهذا مثلٌ بالنثر من امثالهم:

قالوا كانت افعى نائمةً فوق جُرْزة شوك فحملها السَّيل والافعى عليها. فنظر اليها ثعلبٌ فقال: هذه سفينةٌ لا يصلح لها الَّا مثل هذا الملَّاح

وقد ذكرنا في مجاميعنا امثالًا من هذا الصَّنف ابرز فيها اصحابها اجود الحكم في قالب الفكاهة واللطف

٣ امَّا الحكم فقد نال العرب فيها القسط الاوفى والزند الاورى. وقد اشتهر من حكمائهم قومٌ شاعت بين العرب اقوالهم وضُربت الامثال في حصافة رأيهم منهم اكثم بن صيفي وحاجب بن زرارة التميميّ وعامر بن ظرب العدوانيّ وغيرُهم كثيرون لا يسعهم الحصر. ولكل منهم حِكَم بالنثر والنظم في كل ابواب الآداب وسياسة النفس والزهد في الدنيا وطلب الامور السامية لو جُمع شتاتُها لكانت عبارةً عن مجلَّد بل مجلَّدات ضخمة. فمن منكم لا يعرف ابيات زهير الحكمية:

ومن لا يُصانع في امور كثيرةٍ يُضرَّس بانيابٍ ويوطأ بمنسمِ الخ

واسمعوا حكم الافوه الاوديّ:

البيتُ لا يُبتنى الَّا على عمدٍ ولا عمادَ اذا لم تُرسَ اوتادُ
لا يصلحُ الناسُ فوضى لا سراةَ لهم ولا سراةَ اذا جهَّالهم سادوا
اذا تولَّى سراةُ الناسِ امرَهُمُ نما على ذاك امرُ القوم فازدادوا
تُهدَى الامورُ باهل الرأي ما صلحتْ فان تولَّت فبالاشرار تنقادُ

٤ وما قولنا عن روايات الجاهليَّة؟ فانَّ ابا الفرج الاصفهاني قد ذكر منها عددًا وافيًا في كتابهِ الشهير المعروف بالاغاني الذي كان يُغني الصاحب بن عبَّاد الوزير عن

مئة حمل من الكتب. ومن فضل هذا المؤلف انَّهُ اورد هذه الروايات وقصص اهل الجاهليَّة بلفظها الاصليّ ولذلك تراهُ يكثر من الاسانيد الى ان يَصِلَ الى الراوي الاوَّل او الراوين الاولين. واذا وجد اختلافًا بين روايتين اثبتهما حرصًا على فائدةٍ او نكتةٍ تكون فاتت بعض الرواة. وقد انتخب منهُ احد آباء كليتنا جزئين اودعهما افضل هذه الروايات التي هي حريَّة بان تتَّخذ كدستور للكتابة وهي ترشد طلاب البلاغة الى الاجادة في التعبير عن المقصود والافصاح عن حركات النفس على اختلاف المقامات

٥ امَّا التاريخ فانَّ العرب قبل الاسلام قد حصروهُ في اخبارهم وانسابهم وايَّامهم. امَّا اخبارهم فهي تعمُّ كل جهات جزيرة العرب وبعضها يرتقي الى خمسمائة او ستمائة سنة قبل الهجرة. وان كانت الاحاديث الخرافيَّة قد تسرَّبت الى هذه الروايات في بعض الامور فانَّ الكتابات المكتشفة حديثًا قد ايَّدت جملةً من مزاعمهم. امَّا علمهم بالانساب فقد وصفهُ النعمان لكسرى بقولهِ: «ليس احد من العرب الَّا يسمّي آباءهُ ابًا فابًا احاطوا بذلك احسابهم وحفظوا بهِ انسابهم فلا يدخل رجلٌ في غير قومهِ ولا ينتسب الى غير نسبهِ». امَّا ايَّامهم اي وقائعهم وحروبهم فانهم كانوا يحفظونها مفصَّلةً لا يفوتهم منها شيء. كاسماء فرسانهم واسباب المنافرات ونتيجة كل واقعة وعدد القتلى ينشدون في ذلك الاشعار وتجري بينهم فيها المفاخرات ويُسيّرونها امثالًا لا تغيب مدى الدهر عن خزائن خواطرهم. وليس الروايات السائرة اليوم كقصَّة عنترة وقصَّة سيف بن ذي يزن الَّا صدى تلك الايَّام والاخبار. بل رُبَّما حفظ العرب في الجاهليَّة شيئًا من تواريخ الامم المجاورة لهم كالفرس والروم والعبرانيين ويشيرون اليها في اشعارهم وامثالهم

٦ امَّا الخطابة فكان لها عند عرب الجاهلية مقامٌ عالٍ ومنها ما كان للدين والزهد وهي المواعظ ومنها ما هو للسياسة والتدبير ومنها لبيان المقاصد الشريفة غير انَّ ما بلغنا منها مع جزالتهِ قصيرٌ جدًّا لم يتجاوز بضعة سطور كانَّ العرب لم يحفظوا منها الَّا لُبابَها. ولهم عدَّة خطباء مفوَّهين ضربوا فيهم المثل بذلاقة اللسان كقسّ بن ساعدة اسقف نجران وكسحبان وائل الباهلي وزهير بن جناب. وهذا مثال اوردهُ ابن دريد لاحد هؤلاء الخطباء اسمهُ مرثد الخير حاول ان يُصلح بين سيِّدين تنازعا الشرف:

« اعلما ان التحفُّظ وامتطاء الهَجاج واستحقاب اللّجاج سيقفكما على شفا هوَّةٍ في توردُّها

بوار الاصلية وانقطاع الوسيلة فتلافيا امركما قبل انتكاث العقد وانحلال العهد وتشتت الالفة وتباين الهمَّة وانتما في فسحة رافهة وقدَم واطدة والمودَّة مثريَّة والبُقيا معرَّضة. فقد عرفتم انباء من كان قبلكم من العرب ممَّن عصى النصيح وخالف الرُّشد واصغى الى التقاطيع ورأيتم ما آلت اليه عواقب سوء سعيهم وكيف كان صُيور امرهم فتلافوا القُرحة قبل تفاقم الثأي واستفحال الداء واعواز الدواء فانَّهُ اذا استحكمت الشحناء تفصَّمت عرى الابقاء وشمل البلاء»

وان شئتم خطبةً دينيَّة فاسمعوا ما رواهُ صاحب التذكرة الحمدونيَّة لقسّ بن ساعدة:

« ايُّها الناس الايَّام عِبَر والمرء منسوبٌ الى فعلهِ مأخوذ بعملهِ فاصطنعوا المعروف تكسبوا الحمد واستشعروا الجدّ تفوزوا بهِ. اتَّقوا الله يا عباد الله وانتم في مَهَل بادروا الاجلَ ولا يغرَّنكم الامل فكأنَّ بالموت وقد نزل فشغلت المرء شواغلهُ وتُركت عنهُ بواطلهُ وهيأت اكفانهُ وبكاهُ جيرانهُ وصار الى المنزل الخالي بجسدهِ البالي قد فارق الرفاهية واعتاض عنها الداهية فوجههُ في التراب عفير وهو الى ما قدَم فقير. اعلموا انَّ الماضي عظةٌ للباقي فلا تجعلوا الغرور سبيل العجز فتنقطع حجتكم في موقف الله سائلكم ومحاسبكم على ما اسلفتم فانَّ اعمالكم تُطلق ابدانكم »

ألّا انَّ كل هذه الآثار الادبيَّة كلا شيء اذا قسناها بما ابقاهُ لنا العرب من شعرهم وذلك انهم كانوا يرون في الشعر من المزايا ما يحملهم على تقديمهِ وتفضيلهِ لما فيهِ من الوزن وانتقاء الألفاظ وحُسن الوقع في القلوب. وكان من مذهبهم انهُ اذا نبغ فيهم شاعر اقاموا لهُ الافراح واولموا الولائم وتباشروا بهِ لانهم يعدُّونهُ حمايةً لاعراضهم وذبًّا عن احسابهم وتخليداً لمآثرهم. واشارةً لذكرهم. امَّا آثار شعراء الجاهلية فانَّها بالغةٌ لا يفي بها احصاء. اخبر صاحب الاغاني (٥ : ١٦٤) قال:

انَّ الخليفة الوليد بن يزيد سأل حماد الراوية كم مقدار ما تحفظ من الشعر. قال: كثير. ولكنّي أنشدك على كل حرفٍ من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطَّعات ومن شعراء الجاهليَّة دون شعر الاسلام. قال: سأمتحنك في هذا وامرهُ بالانشاد فانشد الوليد حتى ضجر ثم وكل بهِ من استحلفهُ ان يُصدقهُ عنهُ ويستوفي عليهِ فانشدهُ الفين وتسعمائة قصيدة للجاهليين واخبر الوليد فامر لهُ بمائة الف درهم »

ويخبر عن ابي بكر الخوارزميّ انهُ قصد الصاحب بن عبَّاد وقال لحاجبهِ: قل لسيّدك انَّ على الباب احدَ الادباء يستأذن في الدخول. فارسل اليهِ الصاحب يقول: قد الزمتُ نفسي ان لا يدخل عليَّ من الادباء الَّا من يحفظ عشرين الف بيت من شعر العرب. فخرج اليهِ الحاجب واعلمهُ بذلك فقال لهُ ابو بكر: ارجع اليهِ وقُل لهُ هذا القدر من شعر الرجال ام من شعر النساء ؟ . فدخل الحاجب واعاد

على الصاحب ما قال. فعرفهُ الصاحب وسُرَّ بهِ »

فقرون أيها الكرام كم كانت واسعةً تركة اهل الجاهليَّة. وقد بقي لنا من هذه الكنوز بعض أسفار جمعها قوم من ذوي النخوة والحميَّة منها جمهرة اشعار العرب لابي زيد القرشيّ ضمَّنها تسعاً واربعين قصيدةً جعلها سبعة اسماط أوَّلها المعلَّقات ثمَّ المجمهرات ثم المنتقيات ثمَّ المذهَّبات ثمَّ المراثي ثمَّ المشوبات ثمَّ الملحمات. ومنها المفضَّليات التي اختارها في القرن الثاني للهجرة ابو عبد الرحمان المفضَّل بن محمَّد الضبّي انتخبها للخليفة المهديّ بن المنصور العبَّاسي. فيها نيف و١٣٠ قصيدة لم يُنشر منها بالطبع الَّا قسم صغير ومنها الاصمعيَّات وهي ٧٢ قصيدة جمعها الاصمعي ففي خزانة كتب ڤيَنَّة نسخة منها. ومنها ايضاً حماسة ابي تمَّام الشهيرة في عشرة ابواب ونحو خمسمائة قصيدة او قطعة قيل في جامعها انهُ في مجموعهِ هذا هو اشعر منهُ في شعرهِ. وقد عارضهُ البحتري بحماسة تُعرف باسمهِ منها نسخة في خزانة كتب ليدن قسمها الى ١٧٤ بابًا ضمَّنها اشعارًا لنحو خمسمائة شاعر اكثرهم من الجاهليَّة. وعارضهما ابو الفرج البصريّ في حماستهِ المعروفة بحماسة البصريين ومنها نسخة في المكتبة الخديويَّة. وكذلك جمع السكَّري شعر الهذليين وقد نُشر مجموعهُ بالطبع في اوربَّة. وزد على ذلك قصائد اهل الجاهليَّة التي رواها صاحب الاغاني وهي تبلغ نحو ستمائة قصيدة. ثم انَّ لشعراء الجاهليَّة دواوين عديدة يُعرف منها فوق مائة ديوان برز منها بالطبع نحو نصفها. الَّا انَّ هذه البقايا مع كثرتها كلا شيء اذا قيست بما فُقد منها ولنا على ذلك دليل في الشواهد التي يستشهد بها الادباء واصحاب المعاجم وهي ابيات متفرّقة من قصائد عامرة الابيات اخذتها ايدي الضياع

امَّا معاني هذه القصائد ومبانيها ومواضيعها فانَّها تشمل كل اغراض الكتابة كالمدح والهجو والرثاء والاعتذار والفخر والحماسة والاغراء والزهد والاوصاف المتنوّعة ولو ذكرتُ من كلّ صنفٍ مثلًا لتحكموا عن بلاغتها التي لا يأنفها بلغاء عصرنا مع تقدُّمنا في اسباب الحضارة لطال بي الكلام الى حدّ السأم

فان طلبتم دينًا أحلتكم الى ديوان اميَّة ابي الصلت حيث جاء قولهُ :

مليكٌ على عرش السماء مهيمنٌ لعزَّتهِ تعنو الوجوهُ وتسجُدُ
عليهِ حجابُ النورِ والنور حولهُ وانهارُ نورٍ حولهُ تتوقَّدوا الخ

وان اردتم زهدًا ذكرتُ نبذًا من ديوان عديّ بن زيد كقوله:

أيّها النائمُ المغفَّلُ أبصِر أنْ تكون المبادرَ المبذورا
كم ترى اليومَ من صحيح معافًى وغدًا حشوَ ريطةٍ مقبورا
اينَ ابنَ الفرارُ ممّا سيأتي لا أرى طائرًا نجا أن يطيرا
لا ارى الموت يسبق الموتَ شيء نغّص الموت ذا الغنى والفقيرا

ولنا في المدح قصائد رنّانة للنابغة وطرفة. ومن يجهل اقوال زهير في هرم بن سنان

واسمع النابغة يمدح غسّان:

لهم شيمةٌ لم يُعطِها الله غيرَهم من الجودِ والاحلام غيرِ عوازبِ
مجلّتهم ذات الاله ودينهم قويمٌ فما يرجون غيرَ العواقبِ الخ

وما احسن اعتذارهُ الى النعمان

أُنبئتُ انَّ ابا قابوس اوعدني ولا قرار على زأرٍ من الاسد الخ

ومن احبَّ المراثي وجد في الخنساء ما يحرّك العواطف على فقد الاحباب (راجع ديوانها)

ومن شُغف بالاغراء وجد في خطبة ابي اذينة احسن مثال اذ اغرى الاسود على قتل اسرى غسان (راجع مجاني الادب ٦: ٥٦)

ما كلّ يومٍ ينال المرء ما طلبا ولا يسوّغهُ المقدارُ ما وهبا الخ

وكذلك ابيات عفيرة تغري قومها على الاخذ بثارها (راجع علم الادب ٢: ٦٣)

اما الفخر والحماسة فانّ كتب العرب مشحونة بها اطلب مثلًا شعر المتلمس يردّ على من عيّرهُ امّهُ (راجع المشرق ٦: ٢٨)

فما قولكم أيها السادة اترون انَّ هذه المعاني من سقط المتاع. أيُنكر فضل اهل الجاهليَّة. او ليس الاحرى بان نفتي بتقدُّمهم. وان قيل انَّ المتأخرين الطف صنعًا وارقّ نسجًا اجبنا مع بديع الزمان وحمّاد الراوية وابي عبيد انَّ المتقدّمين ماء الاشعار وطينتها وكنز القوافي ومدينتها يقولون الشعر عفوًا بلا تصنُّعٍ ويحيدون عن الحشو والهُجنة وهم مع ذلك اشرف لفظًا واكثر من المعاني حظًّا. وما مثَل المتقدّمين والمتأخرين الّا كما قال ابن الرشيق في كتاب العمدة: «وانّما مثَل القدماء والمحدثين كمثَل رجلين ابتدأ هذا بناء فاحكمهُ واتقنهُ ثم اتى الآخر فنقشهُ وزيَّنهُ فالكلفة على هذا ظاهرة وان حسُن والقدرة على ذلك ظاهرة وان خشُن» فنعم القول وبهِ نختمُ كلامنا لأنهُ يبيّن لاهل زماننا ما للمتقدّمين من الخصائص التي تفرَّدوا بها ويمكّن المحدثين الانتساء بها

فتشبَّهوا ان لم تكونوا مثلهم إنَّ التشبُّهَ بالكرام فلاح

الألماس الصناعيّ

للاب بطرس دي ڤراجيل اليسوعيّ مدرس الطبيعيات في مكتبنا الطبيّ

قد سبق في مقالة الاديب اسكندر افنـدي طحيني (المشرق ٨٦٥–٨٧٨) وصف واسع للالماس مع تعريف عنصرهِ وخواصهِ. ومما ورد هناك (ص ٨٧٠) ان بعض الكيمويين المحدثين توصلوا الى اصطناع قطع صغيرة من الالماس. وهو قول شاع في عالم الصحافة منذ نحو ثلاثين سنة وتناقلتهُ كتب الكيميا المدرسيَّة حتى جرى مجرى المعلومات الراهنة. الَّا انَّ في هـذا العام عاد قوم من أعلام الكيمويين فكرَّروا الاختبـارات لتحويل الكربون الى ماس فوجدوا انَّ الكربون المتبلور ليس هو ماساً بل جسماً آخر دونهُ وانكروا وجود ماسٍ اصطناعيّ

ولمَّا كان هذا المبحث ذا خطَر احببنا أن نلخّص هنا ما ورد في المجلَّات العلميَّات بهذا الشأن فنقول:

انَّ الكربون من العناصر الكثيرة الشيوع في الطبيعـة ويكون اماً بسيطاً واماً مركَّباً وهو يُدعى فحماً اذا ما قلَّ صفاؤهُ وانواعهُ كثيرة تختلف بدرجات صفائها وهي ترجع الى صنفين صنف طبيعيّ يوجد في الطبيعة وصنف صناعيّ هو نتيجة اعمال الفكرى البشريَّة

والكربون الطبيعيّ كثير الانواع منهُ الألماس. ومنهُ الغرافيت او البلمباجين الذي تُتَّخذ منهُ اقلام الرصاص. ومنهُ اشكال الفحم المعدنيّ المتركّب في قلب الارض بتحجّر الموادّ النباتيَّة القديمة واحتراقها منقطعةً عن الهواء الكرويّ

امَّا الكربون الصناعيّ فمنهُ فحم الحطب المعروف. ومنهُ الكوك المتكوّن في الخلاقين الكبار من الفحم الحجريّ بعد استقطارهِ لاصطناع غاز التنوير. ومنهُ الفحم الحيوانيّ المستحضر بتكليس عظام الحيوان وهو يستعمل لقصر السكَّر. ومنهُ النؤور الداخل في الصبوغ والادهان وحبر الطباعة

على انَّ الالماس قد امتاز بين كلّ هذه الاشكال لخصائصهِ الفريدة التي مرَّ وصفها

في الجلّة · وقد قيل هناك ان الماس هو الكربون المتبلور · لكنَّ تبلورهُ ليس دائماً بظاهر · فهو في الاصل على الشكل المكعَّب ويكون في بعض الاحيان على شكل كعوب ذات ٢٤ او ٤٨ وجهاً · ومما لم يتوصّل العلماء حتى الآن الى استجلاء اسراره انَّ اطرافهُ ليست مروَّسة في الغالب بل محدَّبة

ومما يُعْرَف ايضاً من خواصّ الالماس انهُ اصلب الاجسام يقطع الزجاج وينفذ في اصلد الصخور فيخرقها · الّا ان الكيمويّ الفرنسي المسيو مواسّان (Moissan) توصَّل الى تحليل جسمين قادرين على قطع الماس وهما بورور الكربون (borure de carbone) وسيليسيور البور (siliciure de bore)

والفضل في تعريف كنه الالماس يعود الى لاڤوزيار الكيموي الفرنسويّ الشهير اذ بيَّن أن الالماس نوع من الكربون وهو اذا أُحمي في اناء خالٍ من الهواء لا تعمل فيهِ النار امّا اذا أُحمي في الهواء فيتحوَّل الى مركَّب من الكربون واكسيجين الهواء · والاختبارات الحديثة بيَّنت انَّ الالماس المحمى في الفضاء يتحوَّل الى بلمباجين اذا كانت درجة الحرارة شديدةً جدًّا كنار القوس الكهربائي

وكان الناس قبل ذلك العهد قد سعوا في ايجاد طريقة لعمل ماسٍ صناعي · وقد شاع من ذلك نوعٌ من البلّور كانوا يدعونهُ ستراس (strass) وهو زجاج غني باكسيد الرصاص لا يدخلهُ الّا موادّ كيمويَّة غاية في الصفا · الّا انَّ التقليد في ذلك كان ظاهرًا ويمكن الاطلاع على حقيقة هذا التركيب بكثافتهِ النوعيَّة التي هي دون الالماس · وكذلك الالماس تنفذ فيهِ اشعَّة رنتجن بخلاف الستراس المذكور

ولكن منذ ثبت للعلَّامة لاڤوزيار انَّ الالماس صنفٌ من الكربون المتبلور اراد العلماء اصطناع ماس حقيقيّ لا يختلف جوهرهُ عن الالماس الطبيعيّ

ولكن كيف يا ترى العمل لبلوغ هذه الغاية واخراج هذا الفكر الى عالم الكون؟ فلحلّ هذا المشكل اخذ العلماء يدرسون طبقات الارض التي وُجد فيها الالماس لعلَّهم يهتدون الى طريقة استحضارهِ · فكانت نتيجة بحثهم انَّ الماس يُرى عادةً في بعض الاراضي الرمليَّة المتركبة من صخور عاديَّة او يكون في كثبان تتركَّب من حبوب الكوارتز المتحطّم من صخور غابرة · ولم يوجد البتَّة في موادّ تربةٍ خاصَّة بهِ · ولذلك يصعب تعيين الطور الجيولجيّ الذي فيهِ تركَّب الماس · وتزيد الصعوبة اذا لحظنا انَّ الماس بالتكليس

يستحيل الى عنصر آخر ليس فيهِ شيء من خواصّ الماس الطبيعيَّة

الَّا انَّ العلماء لم يقنطوا عن فكّ هذا المعضل وارتأَوا في الماس ما ارتأَوهُ في غيره من الاجسام المتبلورة وهو انَّ عوامل الضغط والحرارة عملت فيهِ في القرون السالفة فاخرجتهُ على هذه الهيئة. ومن ثم اخذوا يبحثون عن الوسائط لتحقيق الشروط الاوليَّة التي وُجد فيها الكربون لمَّا تحوَّل الى الماس اعني الضغط والحرارة

ففي ٢٦ شباط من السنة ١٨٨٠ اعلن الاستاذ هنَّاي (J. B. Hannay) امام الجمعيَّة الملكيَّة في لندن بانهُ تمكَّن من تركيب الماس صناعيّ وذلك انهُ عمد الى اجسام متركبة من الكربون والهيدروجين فجعلها مع مركَّب ثابت من الازوت واحماها الى درجة الحمرة فصار الكربون ماساً. فكان لهذا الخبر دويّ عظيم في عالم الصناعة.

بيد انَّ الاختبارات التالية لم تثبت مقالهُ فخابت الآمال في حقيقة هذا الاكتشاف

وبقي الامر على ذلك الى سنة ١٨٩٦ وفيها اكَّد الكيموي الفرنسوي الشهير مواسان انهُ فاز بالمرام واصطنع ماساً. وهاك الوسائط التي استعان بها لذلك فانهُ اخذ كربوناً غاية في الصفاء كان احماهُ في بوتقة مصطنعة من القَنْد اي السكَّر المصفَّى وقصرهُ في مجرًى من الهيدروجين. ثم جعل يحمي هذا الكربون في كور باقواس كهربائيَّة متعدّدة فيذيبهُ بكميَّة وافرة في الحديد المصهور ثم كان يبرّد هذا الحديد على بغتةٍ من الدرجة ١٣٠٠ الى الدرجة ٣٢٧ بأن يغمسهُ في محلول من الرصاص المذوَّب. وبذلك كان يجمد الحديد من خارجهِ وفي باطنهِ حديدٌ مذاب لا يمكنهُ ان يجمد الَّا بزيادة حجمهِ كما يزيد حجم الماء الجامد ولما كان محبوساً في قلب الحديد الجامد كان يزيد ضغطهُ الى غاية الحدّ. فكان الكربون الذي أُشبع بهِ الحديد يُحمى ويُضغط معاً فيتبلور بقوَّة الحرارة والضغط

ولما كانت القطعة المعدنيَّة الباقية حاويةً صنوفاً عديدة من الكربون كان يفردها صنفاً صنفاً باحمائها بالحوامض الكلوردريك ثمَّ الكبريتيك ثمَّ الفليوردريك. واخيراً كان يحلّل مزيج هذه اصناف الكربون الباقية بعد هذه التحليلات بمزيج من كلورات البوطاسا والحامض الازوتيك. فكان آخر ما يبقى قطعاً متبلورة لم تعمل فيها هذه العوامل الكيمويَّة

وكان المسيو مواسان يدَّعي انَّ هذه القطع المتبلورة هي الالماس لها كل خواصّ الماس الطبيعيّ كالصلابة والثقل والتركيب الكيمويّ. الَّا ان هذه القطع الماسيَّة قليلة جدًّا

وهي غاية في الصغر اذ ان اكبرها لا يتجاوز قطرهُ خمس الملمتر

وهذا الاكتشاف مع قلّة محصولاتهِ عُدَّ من اعظم الاكتشافات وصار لصاحبهِ بين العلماء مقامٌ رفيع ودُوّن اكتشافهُ في كتب الكيميا المدرسيَّة فضلًا عن جائزة ذات ١٢٠٠٠ فرنك نالتهُ اياها جمعيَّة التنشيط

ثم واصل المسيو مواسّان تجاريبهُ على كربور الكلسيوم فسلَّط عليهِ الماء واعمل الكلس في مركَّبهما فنتج عن عمليَّاتهِ عدَّة اجسام ككربور الكلسيوم وسيليسيوم الحديد وفسفور الكلسيوم والبلمباجين لكنَّهُ لم يجد ماساً البتَّة ونشر نتيجة عملهِ امام مكتب العلوم في ٣ تشرين الاول من سنة ١٨٩٨

ومن غريب الاتفاق انَّ احد الكيمويين المسيو شرل جيررد مدير المختبر البلدي في باريس كان استخرج في تلك الاثناء من البقايا الحديديَّة التي تفضل عن كربور الكلسيوم اكثر من كيلوغرام من مسحوقٍ دقيق متبلور ظهر لهُ شبيهاً بقطع الماس التي اكتشفها المسيو مواسان. فدعا رصيفهُ لفحصها بالجهر فاثبت هذا انَّها شبيهة بالجسم المتبلور الذي اعلن في مجلَّة الكيميا والطبيعيَّات انهُ هو الماس

فرأى العلماء تضاربًا في هذه الأقاويل وكتب بعضهم مقالات بيَّنوا فيها انَّ هذه الدقائق المتبلورة التي وجدها المسيو مواسَّان والمسيو شرل جيررد ليست هي ماساً ولكن نوعاً من الكربون المتبلور الشديد الصلابة يُدعى كربورندم (carborundum)

فاثَّر هذا القول في اعضاء المجمع العلميّ الذي فتح بابًا للجدال في المجلَّات العلميَّة لتحقيق الامر فكانت نتيجة الاختبارات انَّ الماس المسيو مواسان ليس هو الماسَ حقيقيًّا بل حجرًا غيرهُ ودونك خلاصة براهين اخصامهِ

وذلك ان المسيو جورج فريدل كتب في مجلَّة البشير العلميّ في تاريخ نيسان سنة ١٩٠١ مقالة فحص فيها اختبار المسيو مواسان في الحديد المذاب وبيَّن بعدَّة شواهد ان الحديد المذوَّب لا يزيد حجماً اذا برد كما زعم مواسان بل يتقلَّص نوعاً ومن ثمَّ لا يرى حجَّة تقنعهُ بوجود ضغطٍ زائد في وسط كتلة الحديد المذاب. وزاد المسيو فريدل على قولهِ هذا انهُ ولو سلَّم بزيادة حجم الحديد الذائب عند برودتهِ لا شيء يثبت وجود ضغطٍ في قلب الكتلة واستند في قولهِ الى اختبارات دقيقة وصفها احد ائمَّة الكيمويين المسيو دِني (E.Deny) في كتابهِ عن سبك الحديد المطبوع سنة ١٨٨٦

ثم قام بعد المسيو فريدل احد تلامذتهِ واعمل في هذه الماسات الموهومة مجرًى من الهيدروجين فاذا بها قد ابقت بعد احتراقها كميَّة من الرماد تبلغ ثلاثين في المئة . وذلك على خلاف الماس الصحيح الذي لا يترك رمادًا في هذه العمليَّة

وكانت مجلَّة المكتب العلمي الرومانيَّة المعروفة بلينشاي (Lincei) نشرت كذلك في سنة ١٩٠٠ تفاصيل اختبارات اجراها المسيو ماجورانا لتركيب الماس على طريقة مواسان فلم يحصل على نتيجة مرضية . وذلك انهُ كان عمد الى قطعتين من الفحم فاجاز عليهما مدَّة عشرة ايَّام وفي كل يوم خمس ساعات مجرًى كهربائيًا شديدًا يبلغ ٢٥٠٠ أمبار اعني حرارةً لا تقلُّ عن ٢٠٠٠ درجة من الميزان المئوي وذلك تحت ضغط ١١٠٠٠ جلَد . فغاية ما نالهُ انَّ الكربون تحوَّل الى الغرافيت او البلومباجين ليس فيهِ اثر للماس

وفي اثناء ذلك اراد احد تجَّار باريس ان يستغني عن شراء سحوق الالماس (égrisée) الذي كان يبتاعهُ كلَّ سنة بمبالغ عظيمة على يد احد تجار امستردام ليقطع بهِ الرحيَّ المستعملة في تهيئة قِطَع الالماس الكبرى فكتب الى المسيو مواسان يطلب قليلًا من دقائقهِ الماسيَّة ليجرّبها فما عتَّم بعد الامتحان ان تحقَّق انَّ هذا السحوق ليس لهُ صلابة الماس وانَّهُ ليس باصلب من الزجاج

وفي العدد الصادر في ايلول (ص ٧٠٤) من مجلَّة البشير العلميَّ كتاب من المسيو شرل كومب (Ch. Combes) يراهن فيهِ المسيو مواسان على خمسة آلاف فرنك اذا امكنهُ ان يصطنع قطعة من الالماس الصحيح امام لجنة من العلماء . وقد كرَّر المسيو كومب دعوتهُ الى السَّبَق مرَّة ثانية في عدد تشرين الاوَّل واثبت الخطَر وزاد على قولهِ انَّ طريقة المسيو مواسان عارية عن كل سندٍ علميّ . فترى ماذا يجيب المسيو مواسان ؟ أفيكون الماس الصناعيّ خرافةً ؟ سيعلمنا المستقبل صحَّة الامر

دقائق التعريب

لحضرة الكاتب الفاضل الاب انستاس الكرملي (تتمَّة لما سبق)

وكذلك تُرسم بالهاء ما خُتم بـ é كقولك كالة (galé) اسم نباتٍ ولارِدَة (laridé) اسم طائر شبيه بالنَوْرَس او زُمَّج الماء . وقد نقل الافرنج الكلم العربيَّة المختومة بهاء او تاء التخصيص الى é كقولهم في قهوة (café) وفي دُبَّه (doubhé) وفي دَرَجة (degré) الخ

وقد تُعرَّب هذه الكلم المختومة بـ é على انحاء أُخرى. وذلك اما بالهاء كما رأيت واماً بالياء المهملة او في بعض الأَحايين بالياء المثنّاة التحتية. واماً كتبتها بالالف القائمة. فاماً كتابتها بالهاء فلانَّ الافرنج لمَّا نقلوا بعض الأَلفاظ من لغتنا منتهيةً بالهاء كتبوها بـ é فما علينا الَّا ان نعكس الامر. وثانياً لان الهاء اذا تطرَّفت لُفظت لفظاً بين الالف والياء في بعض الاحيان. ولذا ترى كثيرين يعاقبون بين كتابة خواجا وخواجه وخوجا وخوجه. وترى ايضاً كثيرين من فصحاء العرب يعاقبون بين الالف والهاء في بعض الأَلفاظ فأمثال الاعزَّة والاعزَّاء والاحبَّة والاحبَّاء كثيرة في الجمع. وقد رايتُ بعض نوابغ الكتَّاب يكتبون « الكساوي » جمع كُسوة كانَّهم توهموا فيها لفظ كُسوى. فجمعوها جمع ذِفرى ذَفارٍ ودَعْوَى دَعاوٍ. — واماً كتابتها بالياء المهملة او بالمثنّاة التحتية فلأَن العرب فعلوا ذلك في الاسماء المنقولة عن اليونانيَّة المنتهية بالحرف η وهي تقارب é او é الفرنسيَّة فقالوا: موسيقى او موسيقي وسلينى او سليني وارثماطيقي ومجسطي واصلها μουσική و σελήνη و ἀριθμητική و μεγίστη ولنَقْل η الى هذه الياء المهملة سبب ثانٍ وهو انَّ هذه الياء كانت تُلفظ عند فصحائهم بين الياء والالف فاذا قالوا « إِستَرْمى » لفظوها (istarmè). ولذلك ايضاً قالوا « موسى » ولم يقولوا « موساي » لان اصل لفظها ُموشى اي (Mosé). ولهذا اذا جاءك علم من الاعلام الافرنجيَّة مختوماً بـ é فلك الخيار في ان تكتبهُ بالهاء (وهي كتابة يجري عليها المحدثون) او بالياء المهملة (وهي الكتابة الفصحى وعليها جرى الاقدمون من نوابغ الكتَّاب) فتقول مثلًا اندره والاحسن اندرى (André) ولِتْره والافصح لِترى (Littré) ولا تَقل ابدًا « أندراي ولِتراي » كما انك لم تَقُل « موساي » وانت بذلك تُركِّب من الحرفين حرفًا واحدًا فان العرب لم تفعلهُ ابدًا ولم يصلنا من ذلك امثلة او شواهد. لا بل وقد شدَّد ابن خلدون منع مثل هذه الكتابة إذ قال: « وربَّما يرسمهُ (اي يرسم الحرف الغير الموجود عندنا) بعض الكتَّاب بشكل الحرف الذي يليهِ [في اللفظ] من لغتنا قبلهُ اوْ بعدهُ وليس ذلك بكافٍ في الدلالة بل هو « تغيير للحرف من اصلهِ ». اه

واماً سبب كتابة الـ é بالالف فلانَّ هذه الالف في العربيَّة تنوب بعض الاحيان مناب الالف المُمالة وبالخصوص في الحشو فيُقال سام في (Sem) (ويلفظها الفرنسيون على اصلها العبري) ويُوحنّا في (Jouhanné)

واما شواهد الكلم المختومة بـ e فهي الكلم المؤنثة كبُكلة مثلاً : (boucle) ونظائرها والّا فان غلب على معناها التذكير تُركت الهاء نحو مَتر(mètre) ولِتر(litre) وامثالها

واذا خُتمت الكلمة الافرنجية بـ ie من اسماء البلاد عُرّبت بياء مخفّفة مردفةً بتاء او بالفٍ اذا كانت غير منسوبة الى بانيها او مؤسسها. والّا فالياء المشدَّدة والهاء لا غير فمثال الاول: ايطاليا وايطالية وجرمانيا وجرمانية. قال الهمداني في كتابهِ « صفة جزيرة العرب » (ص ٣٣): بلاد برطانيا وغالاطيا وجرمانيا... وقد تسمّى اكثر هذه الاسماء بالهاء فيقال غالاطية ويُهمس فيهِ ويقال: غالَطِيَة وايطالية...» ومثال الثاني: قيصريَّة والاسكندريَّة والقسطنطينيَّة

واما اسماء المدن المنتهية بـ e فتكتب بالعربيَّة بالهاء. من ذلك رومة (Rome) وسرَقُسطة (Saragosse) وطُلَيطلة (Tolède) وبرشلونة (Barcelone) والاولى معرَّبة عن الايطاليَّة والباقية عن الاسبانية لكن لمَّا كانت الـ a في هاتين اللغتين تقابل e في آخر اسماء البلدان عند الفرنسيين كانت النتيجة واحدة

وامَّا الالفاظ المنتهية بـ ée فاما ان تكتبها بالهاء مثل جنيه (guinée) لضربٍ من النقود. كما نقل الافرنج كلمة عالمة الى (almée) والحاجَّة (اسم نبات) الى (alhagée) فضلاً عن ان جميع الكتَّاب يكتبون « جنيه » بهذه الصورة التي صوَّرناها بها. اللهمَّ الّا من احبَّ مخالفة رأي الغير والّا فالغلط المشهور (على ما قالهُ احدهم) خيرٌ من الصحيح المهجور. — وامَّا ان تكتبها بالالف مثل إيدوما (Idumée) (الهمداني ص ٣٦) او بالياء والالف نحو سقمونيا (scammonée) او بالألف والهاء كاليهوديَّة (la Judée)

واصل هذه الالفاظ المختومة في الفرنسيَّة بـ ée فاغلبها تُختم باليونانية بـ α ان كانت للمؤنث وبـ ευς ان كانت للمذكَّر وتختم باللاتينيَّة بـ æa او بـ æus فعرَّبها العرب على الاوجه التي ذكرناها

وامَّا الكلم المختومة في الافرنجيَّة بـ ay او ey فتُنقل بالعربية مختومةً بالفٍ وياء فتقول في: (Bombay) و (La Haye) و (Bey) و (tramway) : بُمباي ولاهاي وباي وتراموا‌ي وانت بذلك تُصوّر الكتابة لا اللفظ ويجوز لك ان تجري على اللفظ

ايضاً وتقول: بُمبَيّ (كما يكتبها كتّاب الهند من العرب او المستعربين) وترامويّ كما يكتبها بعض الصُحُفيّين ولاهيّ وبَيّ الّا انَّ الباي هي الاشهر لكي لا تلتبس «بي» حرف الجرّ المضاف الى ياء المتكلم مع «الباي» المذكورة

وقد تختم الألفاظ الاجنبيّة بواوٍ او ياءٍ او بالفٍ فيها رائحة الواو او بالفٍ ممالةٍ الى الياء

فامّا المختومة بواوٍ صريحة اي بواوٍ ساكنةٍ قبلها ضمّة فلك في تعريبها امّا ان تثبتها مشدَّدة فتقول مثلًا «بَارْدَسُوّ» في (pardessus) فتُضاهي بذلك البَلَصوّ والعُلُوّ والعُلُوّ. وامّا ان تثبتها خفيفةً ملحقاً بها هاء التخصيص فتقول فيها حينئذٍ: «بَارْدَسُوَة» فتشبه حينئذٍ قَلَنسُوَة وتَرقُوَة لان هذه الهاء هي في معرض الزّوال. وامّا ان تثبتها على حالها مُخفَّفةً ساكنة اي تقول: «بَارْدَسُوْ» فتضارع بذلك بعض الألفاظ المُعرّبة. وامّا قول احد الكتّاب المحدثين: «وهناك امرٌ آخر (اي في التعريب) وهو مجيءٌ كثيرٍ من الألفاظ الاعجمية مختوماً بواوٍ بعد ضمّة وهو ما لا تجدهُ في اسمٍ عربيّ من الاسماء المتصرِّفة» فهو كلام لا يُعتَدّ بهِ فلو قال نادر الوجود لأذعنّا لهُ صاغرين والّا فقولهُ: «وهو ما لم تجدهُ في اسمٍ عربيّ من الاسماء المتصرِّفة» فينقض حَبلَ كلامهِ مجيءُ بعض الفاظٍ منها: «ذُو وذَوُو وأُولُو» من الاسماء الخمسة المتصرِّفة بالحروف وهي عربيّة محضة. ومنها «فُوْ» (١ و «الكُسْكُسُو» (٢ و «ونارَكيُو» وهذه اللفظة فارسية الاصل بمعنى رُمّان السعالي (ابن البيطار ٢: ١٧٥) وسُنُونُو (٣

ولعلك تقول: هذه كلها أسماء اعجميّة او تكاد وعليهِ فلا اعتداد بها. قلنا: ونحن

---

١) قال في التاج: والفُوْ ساكنة الواو: دواءٌ نافع من وجع داء الجنب وداء الثعلب

٢) قال الزبيديُّ: ويلحق بهذا الباب (اي بمادة ك س س) شيءٌ يتّخذهُ المغاربة من الدقيق ويسمّونهُ: «الكُسكُسُو» وبعضهم يُسمّيه الكسكاس. وقد ذكرهُ الحكيم داود في التذكرة وذكر خواصّهُ ولهُ وجهٌ في العربية بان يكون مشتقاً من الكَسّ وهو الدقّ الشديد. او من الكَسكَسَة على قول ابن دريد. اه

٣) قال الدميري في حياة الحيوان: السُنُونُو بضمّة السين والنونين: الواحدة سُنُونَة (كذا في الاصل المطبوع وهو غلط والاصحّ السُنُونُوَة) وهو نوع من الخطاطيف. اه. وقال في محيط المحيط: السُنُونُوَة والسُنُونِيَة واحدة السُنُونُو. والعامة تقول: سُنُونَة وتسميها الحُجَيجَة كانها تصغير الحاجّة اه

لا ننكر ذلك اذ قُلنا ولا نزال نقول: ان من المعرَّبات ألفاظًا جاءت على اوزان العرب والفاظًا لم تَرِد على أقيسَتِهم وقواعدهم في وجهٍ من الوجوه ومن بعضها هاتِهِ التي ذكرناها

وان سألتني: كيف كان يعرّب العرب الألفاظ الاعجميَّة المختومة بالواو ؟ — قلنا: منها ما كانوا يزيدون على آخرها جيمًا مثل: طَيهُوج في تِيهو. وكُندُوج في كُندُو. وطَـوج في تسُو. ومنها ما كانوا يُذيّلونها بقافٍ مثل: بُستُوقة في بُستُو. وستُوق في سه تُو او ستُو. وصارُوج في جارُو. ومنها ما لا تجري على قاعدة مطردة مثل طِيطَوَى في طِيطو. وكَذَبانُونة في كَذَبانُو. ونِهايَة في نَاهو وهي خشبة يُحمل عليها الاثقال (haquet). وزِلّيَّة في زِيلُو. ومكُّوك في ماكُو. وانت ترى من هـذا كلّه ان العرب لم تجرِ على سَنَنٍ واحدٍ ولا على سُنَّةٍ مسنونةٍ. بل كان مُعظم همّهم ان لا تجيء الكلمةُ مختومةً بواوٍ ساكنةٍ قبلها ضمَّة. واما اليوم فالجري على الاصـل اوفق. والّا فشدّد الآخرَ او أَلحِقْ بهِ هاء تقريبًا اياهُ من اصلهِ بقدر الامكان. ومّا حذف الواو فلم يجيْ منهُ الّا امثلة قليلة منها لفظة « عِيسُو » فقد قال فيهِ بَعضُهم: « العِيص » الّا ان هذا من تصرُّف الكتَّاب بالأعلام وهو لا يُعتَدُّ بهِ ولا يُقاس عليـهِ اذ ان كثيرين من مؤرخي العرب ولغوييهم يقولون: « عيصو » ومنهم يقولون: « عِيسو » فيتبعون الاصل

واما اذا كان آخر الكلمة ياء فتبقى على حالها عنـد المحدثين وهو الاحسن. واما الأقدمون فقد تصرَّفوا بها. فتارةً زادوا عليها هذه الجيم التى اتخذوها بمنزلة الملح للطعام فقالوا مثلًا في « دوني »: « دونيج » وفي « شبي »: « سَبيـج ». وطورًا زادوا عليهـا زيادةً اعتباطيَّة. كسنديان في سندي. وتِلِّيسة في تِلّي لمن قال انها فارسيَّة الاصل. ومرَّةً الحقوا بها هاء كما في صرناية واصلها « صُورْناي » وسراية واصلهـا سراي. وصُراحيَّة واصلها صُراحي. واخرى قلبوها هاء او همزةً كما في سُلَحفاة او سُلَحفَاء واصلها « سُلاخ پاي » وقالوا فيها ايضًا سُلَحفَى وسُلَحفِيَة ولُغاتٍ اخرى غير هذه. وحينًا حذفوها كما في طربال واصلها تربالي

واما اذا كان المتطرِّفُ واوًا غير صريحةٍ فان كان فيها إشمامٌ من الياء اثبتها واوًا. فتقول في تعريب (monsieur): « مِسيو ». وان كانت هذه الواو كمُفَخَّم الألف فان كانت زائدةً حذفتها كما حذفها العرب من الألفاظ الاعجميَّة فتقول إذن « كُنترَاة وشكولاة

ورابورط » اذا عرَّبتَها كما قال العرب : نُجران وجَبَرُوت وحانُوت وسليح وطاغوت وعماد. واصلها : ܢܓܪܢ و ܓܒܪܘܬܐ و ܚܢܘܬܐ و ܫܠܝܚܐ و ܛܥܘܬܐ و ܥܡܕܐ الخ ذلك من السريانية . وبَقْس وأُسطُول وإِسفَنْج وفلس وفيلسوف واصلها πύξος و στόλος و σπόγγος و ὀβολός و φιλόσοφος وذلك من اليونانيَّة . اما اذا كانت هذه الالف المفخَّمة بمنزلة الاصل او عومِلَت مُعاملَتَهُ فتبقى حينئذٍ على حالها فتقول : بالطو وآلطو وپيانو في paletot و Alto و piano الخ واماً اذا كانت هذه الألف تتِمَّة لنسبتهم فترجع الى الاصل الذي عرَّبتهُ ثم تنسبهُ نسبةً عربيَّة ثم تؤنثهُ ان كان في معناهُ تأنيث وتذكرهُ ان فيهِ تذكير . فتقول : « القُنصليَّة » وانت تريد بذلك « القُنصُلَاتو » اي دار القُنصل او الدار القُنصُليَّة

واماً اذا رأيت في آخر الاسم ألفاً تميل بها الى الياء فاماً تجعلها ياءً مُهمَلةً مُحاكاةً للاصل فتقول : دِفلى ومُصطَكَى وهيولى في δάφνη و μαστίχη و ὕλη واماً تقلبها ياءً كما تقدَّم الكلام على لفظة موسيقيّ وسلينيّ وارثماطيقيّ الخ . واماً تحذفها وهو الاكثر كما في بَيْرَامُون وبَاسيليق وتِرْيَاق ودِرْهم واصلها : παραμονή و βασιλική و θηριακή و δραχμή واماً تُصيِّرها هاءً كقولك : سفسطة σοφιστής

هذا كلُّهُ في الاسماء الدالَّة على جنس واماً الاعلام فلا تُغيِّر منها ذرَّةً (فان العرب قد قصَّروا في تصرُّفهم بالاعلام) الَّا اذا كنتَ بمأمنٍ من اللبس ويكون ذلك في الاعلام الكثيرة الدوران على الالسن فلا ضرر حينئذٍ اذا فضَّلت الصورة المعرَّبة المحرَّفة على الصورة الاصليَّة الخاليــة من التحريف والتصحيف كقولك : كسرى في خُسرو . وفرعون في پِرْعو . وسليمان في شْلوْمُوْ . والَّا فانَّ العرب لم تتعرَّض ابداً لتغييــر اواخر الاعلام القليلة الورود على الألسنة . وقد اخذتُ بيدي معجم البلدان وجمعتُ منهُ الاسماء المنتهية بواوٍ قبلها ضمَّة في بابَيِ الهمزة والباء فوقعتُ على هذه الأسماء وهي : آمو أَتفو . أَتكو . أَدفو . أَزكو . إِيسو وهي وِيسو . بَاتكرو . باجا خُسْرُو . بَرْخو . بَدِيشو . بَكابو . بيغُو . واذا طالعتَ كل ذلك وغيرها من المئات فما تحكم على هذا الكاتب القائل : « وندر تركهم الواو بدون تغيير كما في سمَنْدُو : اسم قلعةٍ ببلاد الروم . ومَقدشو : اسم بلدٍ بين الزنج والحبشة . ولا يكون هذا الَّا في الاعلام » فهذا الذي استطاع ان يجمعهُ في ما طالعهُ اي في ما « يزيد على عشرين الف صفحة من كتب

التاريخ والشعر والادب » فليحكم القارئ

(القاعدة الخامسة) اذا وردت اللفظة المعرَّبة في عهد الإسلام مخالفةً للاصل المعرَّبة عنهُ ولم يكن في الكلمة الاصليَّة حروف وحركات تخالف حروف وحركات العرب فيجوز لك ان ترجع الى الاصل بدون ان يكون في ذلك خطأٌ ألَّا أنَّهما تبقى دُون الاولى فصاحةً . وهذه النتيجة مُستلَّة من كلام بعض الأئمة . قال في التاج في كلمة الدُستور بضم الاوَّل ما نصُّهُ : « ... قال شيخنا : واصلهُ الفتح . وانَّما ضُمَّ لمَّا عُرّب ليلتحق باوزان العرب . فليس الفتح فيهِ خطأً محضًا كما زعمهُ الحريريُّ » . اه . وقال في شرح الطُرَّة (ص ٢٣٣) : « وقد قيل ان الدُستور في الاصل مفتوح وضُمَّ لمَّا عُرّب . وعليهِ لا يكون الفتحُ خطأً نظرًا لاصلهِ لان العرب لم تُعَرِّبهُ قديمًا حتى تنسخ اصلهُ بالكليَّة لاندراجهِ باستعمالهم في عداد الاسماء العربيَّة . وقال ابن بريّ : ظاهر كلام الحريريّ يقتضي ان جميع ما عرَّبتهُ العرب من كلام العجم لا بُدَّ من إلحاقهِ بكلامهم وليس كذلك » . اه

وقال في التاج في ترجمة الشِطْرَنج : « ... ثم ما نفاهُ المصنِّف (اي الفيروزباديّ) من فتحهِ (اي فتح اوَّلهِ) اثبتهُ غيرُهُ . وجزَم بهِ الحريريُّ وغيرُهُ وقالوا : الفتح لغة ثابتة ولا يضرُّها مخالفة اوزان العَرَب لانهُ عجميّ معرَّب فلا يجيُّ على قواعد العَرَب من كل وجهٍ » . اه المقصود من ايرادهِ . ولو اردنا ان نستشهد بمثل هذا الكلام لاوردنا لك ما جاء ايضًا في التاج في ترجمة مادة الكوسج وجبرائيل وغيرهما فنكتفي بالاشارة عن ذكر مطوَّل العبارة

واما ما عُرّب قبل عهد الاسلام فلا يجوز العود اليهِ لان العَرَب قد نسخت أَصلهُ باستعمالهم ايَّاهُ على وجهٍ دون آخر من عهدٍ عهيد . وعليهِ لا يجوز لك ان تقول في الفِصح الفَصح فانَّ العَرَب عرَّبتها بكسر أوَّلها مع انَّها في الاصل بفتح الاوَّل . وقد اشرنا الى هذه القاعدة في المشرق (٥ : ٥٣٩) فراجعها هُناك مُطوَّلةً

هذا اذا كان في اسماء الاجناس . واماً اذا كان في الاعلام او اشباه الاعلام كالالقاب مثلًا فالعود الى ذكر اللفظ الى اصلهِ احسن من ذكرهِ على لغة العَرَب المحرَّفة المصحَّفة المشوَّهة فانَّ الأَولى مثلًا ان يقال شاول بدلًا من طالوت وقاين بدلًا من قايبل الَّا ما شاع منها كعيسى ويحيى وغير ذلك

واما شواهد الألقاب فمنها «الكونتُ» واول عهد العَرَب بهذه اللفظة كان بصورة « قُومَس » وقد نقلوهـا من comes وقد وردت هذه الكلمة في دواوينهم اللغويَّة وكُتب اخبارهم. ثم لمَّا كثر اختلاطهم بالصَّليبيين اوردوها بصورة « الكند » ولم اجدها في معاجمهم اللغويَّة فقالوا مثلًا : الكند هنري او هَرّي (le comte Henri) وكند فلندر (comte de Flandre) وجمعوا الكُند على كنود. قال ابن الاثير (١٢ : ٢١) : « اتت أمدادٌ في البحر مع كُندٍ من الكنود البحريَّة يُقال الكندُ هرّي » اه وامَّا اليوم فاغلب الكتَّاب يعيدونهـا الى اصلها ونعم ما يفعلون ويقولون « الكونت » بواو ونون ساكنتين. وقد حاول بعضهم تصويرها بصورة « كُنْت » فلم يوافقهم الّا نفر قليل

ومن شواهد الألقاب ايضاً : « الأمبراطور » فان الأقدمين من العَرَب لم يعرفوا هذا اللقب الّا بصورة « الهَنباط او الهَيْباط » والاولى افصح لقربها من الاصل. قال في التاج في مادة ه ب ط : « الهَيباط بالفتح : ملك الروم (وفي الاصل المطبوع للروم وهو غلط طبع) نقلهُ الصاغاني هنا. والصواب انهُ الهَنباط بالنون » . اه. وقال في ه ن ب ط. « الهَنباط بالفتح : صاحب الجيش بالرومية (كذا. بعد ان قال في الاوّل : ملك الروم وهو الاصحّ) وقد جاء لحبيب بن مسلمة : اذا نَزَلَ الهَنباط » . اه وهو تعريبُ imp[er] at[or] بافراغ اللفظة في قالب عربي يوافق اوزانهم اي بحذف الزوائد وقلب الهمزة هاء. وذكر ابن خلدون هذا اللقب بصورة أُخرى اي « أَنبِرَذُور » (راجع في مقدّمته ص ٢٠٤ من الطبعة البيروتيَّة الغير المشكلة). وقد ذكر ابو الفداء هذه اللفظة على حدّ ما يكتبها الآن المحدثون اي « امبراطور » . ولذلك فاحسن هـذه اللغات : « الامبراطور » لانها من الألقاب والاحسن في الألقاب ان تبقى على حالهـا ولا تمسخ او تُشوَّه. وامَّا ابن العبري فقد ذكرها على هذا الوجه : أَمبِرُور (راجع في الصفحة ٤٢٧ من الطبعة الصالحانية). فهذه سبع لغات لكلمةٍ وافصحها الامبراطور فتمسَّك بها

إعراب اواخر الكلم الاعجميَّة وتصريفها

لا اشكال في اعراب اواخر الكلم الاعجميَّة الّا اذا كان الآخِرُ واوًا ساكنةً قبلها ضمَّة ففي حالة الرفع تختفي العلامة لاستثقالها وامَّا في حالتي النصب والجرّ فتظهر العلامتان. هذا اذا جعلت الواو طرفًا ساكنةً على حالها كما في الاصل والّا فان شدَّدتها

او أَلحقتَ بها هاء التخصيص الى آخر ما بيّناهُ في موطنهِ فلا اشكال بعدئذٍ كما لا يخفى
وامّا الاشكال وكل الاشكال فهو في تصريف تلك الاسماء من تثنيـةٍ وجمع وتصغيرٍ ونسبةٍ. واذا حللنا إحدى هذه المشاكل انحلّت عُرَى غيرها من ذاتها. لانّ الجمع هو أَدْوَر من سائر التصاريف على اقلام الكتّاب. ولهذا نُحكم كلامنا عليهِ في الاغلب فنقول:

امّا جمع ما كان على مثال: «كُنتَرَاة» فلمّا كانت الكلمة اعجميّـةً فتعتبر جميع حروفها اصليّةً وليس فيها شيء من احرف الزيادة. واذا كان الامر كذلك فما عليك الّا ان تزيد على آخرها الالف والتاء في جمعها فتقول: «كنتَرَاتات» واذا ثنّيتها قلت: «كنترَاتان» لا «كنتراتتان». وعلى هذا القياس ايضاً تزيد الالف والتاء على آخر ما كان على مثال بالطو و باردسو وبيانو فيقال فيها: «بالطوات وباردسوات وبيانوات» واذا ثنّيتها قلت: بالطوان و باردسوان و بيانوان. — وان سألتني: وعلى مَ تعتمـد في قولك: ان حروف الكلم الاعجميّة كلها اصول؟ — قلنا: على كلام الأَئمة فقد جاء في التاج في مادّة م س ت ق: «المُسْتُق... وقـد ذكرهُ المصنّف (اي الفيروزابادي) في س ت ق وهو غريب فانها كلمة اعجميّة وحروفها كلها اصليّة فكيف يذكرها في ستق والصواب ذِكرها هنا» اه. وبمثل هذا الكلام نطق ابن بريّ في حواشي الصحاح بخصوص لفظة الشطرنج. والجلال السيوطي في المزهر ايضاً. وقال الاصمعي بخصوص كلمة الإِسفَنْط: «... روميّ. والكلمة اذا لم تكن عربيّة جُعلت حروفها كلّها اصلًا...» اه

وامّا ما كان على مثال امبراطور فلك في جمعهِ ثلاثة اوجهٍ. الاول: تكسيرهُ وذلك بان تحذف الواو وتضع تاء في آخره للدلالة على العجمة فتقول فيهِ: «أَمبَرَاطِرَة». أَجل ان هذه اللفظة مجهولة الصيغة وليس لها وزان عربي لكن بما أَننا عرّبناها جَرَينا في جمعها على حدّ ما جرى العرب في تكسير الاعجمي العاقل. فقد جمعوا «الجرمقاني» (وفيـهِ ثمانية حروف كما في الأَمبراطور وان لم يكن على وزنهِ) على «جَرَامقة» و «الجُرْجُوميّ» على «جَرَاجِمَة» و «المُوبَذَان» على مَوَابِذة. قال في القاموس: «الموبذان... ج الموابذة والهاء للعجمة». وقال في التاج في ترجمة الصولجان «... ج صوالجة. الهاء لمكان العجمة. قال ابن سيدة: وهكذا وُجد اكثر هذا الضرب الاعجمي مكسّرًا بالهاء» اه. وعلى هذا المثال تكسّر «الكردنال» هكذا يجب كتابتها. اي بدون ياء بين الدال والنون لان

النَّبرة واقعة على الالف في الاصل والياء مختلسة فهي بازاء الحركة في العربيَّـة) على كَرادنة اي بنونٍ قبل الآخر كما كسَّروا المطران على المطارنة والمرزبان على المرازبة الَّا انَّهُ وقع ابدال بين النون واللام فقالوا الكرادلة

والوجه الثاني ان تجمعهُ بالواو والنون اي جمع السلامة وذلك للَمح الصفة الموجودة في أصلهِ لان معنى الامبراطور الآمر فاذا قلت الامبراطورون فكأنك تقول: الآمرون وهكذا فَعَل العرَب في بعض الالفاظ فجمعوا القسيس مثلاً على القسيسين وان كانوا قد جمعوهُ على قُسَّان وأقِسَّة وقَساوِسة. قال في محيط المحيط: « القسيس. ج قسيسون بالواو والنون تغليباً لجانب الوصفية على الاسمية لان ما يجمع هذا الجمع يختصّ بكونه علماً لمذكرٍ عاقلٍ او صفة لهُ. ولكنهم لمَّا تخيَّلوا فيهِ معنى العالِم بامر الدين غلَّبوا هذا الاعتبار الذي افاد الوصفيَّة على اعتبار الاسميَّة فجمعوهُ لذلك. ومنهُ في سورة المائدة: ذلك بان منهم قسيسين ورُهباناً وانهم لا يستكبرون. » اه. ولمثـل هذا السبب ايضاً جمعوا عَبدًا على عَبدين وكَهلًا على كَهلِين وغير ذلك من الالفاظ الكثيرة

والوجه الثالث ان تزيد على مفردهِ ياءً مشدَّدةً للاشارة الى الصفة التي في اصلهِ ثم هاءً للدلالة على العجمة فتقول في جمع « الامبراطور »: « الامبراطوريَّة » ايضاً. وقد جمع العرب من المولَّدين ونوابغ الكتَّاب من المؤرِّخين الفـاظاً جمَّة على الوجه الذي اشرنا اليهِ. فقد ذكر ابن الاثير وابن خلدون وابو الفداء وغيرهم: الطَشتَداريَّة والإسبِتاريَّة او الإستِباريَّة والبَيرَقداريَّة والدَوادَاريَّة والمُهرُداريَّة والسِلاَحداريَّة والبارونيَّة والأُستاداريَّة والجاشنكيريَّة وغيرها من الالفاظ الاعجميَّة التي تُعَدّ بالمئات فان مفردها: الطشتدار والاسبتار او الاستبار والبيرقدار والدوادار والمهردار والسلاحدار والبارون والأُستادار والجاشنكير الخ . وعليهِ فبهذا القالب ايضاً تسبك جمع لفظـة الجنرال والاميرال والكردينال الخ فتقول فيها: الجنراليَّة والاميراليَّة والكردناليَّة الخ

واما جمع المذكَّر العاقل بالالف والتاء المبسوطة فلا يجوز ابدًا فـلا يسوغ لك ان تقول: كَردِينالات واميرالات وجَنرَالات وأَمبرَاطورات إذْ لا مثـال لهذا الجمع الَّا بعض الفاظ قليلة لا تـتَّخذ شواهد بل شوارد لا يقاس عليها من ذلك خَوجات وباشوات واغوات وغيرها من الالفاظ التركيَّة وقد جمعها هذا الجمع القبيح الكتبة المتأخرون

في اللغة الافرنجيَّة التي يحسُن بنا ان نُعرِّب عنها الالفاظ الاعجميَّة

قد رأيت ان التعريب لا بُدَّ منهُ في هذا العصر وقد لاحظت ايضًا ان اغلب هذا المُعرَّب يؤخذ اليوم عن الافرنج إلَّا انَّهُ ليس لهؤلاء لغة واحدة ليسهل الاخذ عنهم وليست لغاتهم كلها تتشابه في المزيَّة وفي اللفظ لكي لا تنشأ عن ذلك عراقيل. ولهذا يَحسُن بنا انْ نعرف اي لغة من لغاتهم يحسن بنا ان نتَّخذها إمامًا فاقول:

يجب ١ً ان لا تكون الفاظ تلك اللغة مختومةً باحرف العلَّة كالواو والياء والالف لما ينشأ من ذلك ثِقَلٌ على اللفظ وعليهِ فلا تكون هذه اللغة ايطاليَّة أو اسبانيَّة أو برتوغاليَّة = ٢ً ان تُلفَظ حروفها الرومانيَّة قريبةً من اللفظ الشائع عند الاقدمين بحيث لا تُلفَظ الكلمة الواحدة إلَّا على منهج واحدٍ بقدر الامكان وعليهِ فلا تكون هذه اللغة انكليزيَّة او المانيَّة لامكان التلفُّظ بالكلمة الواحدة على اوجهٍ شتَّى بل ولإمكان جعل الحرف الواحد حرفين فان الانكليز يقولون مثلًا: «ألبيُومن وميوزيوم» واماَّ الفرنسيس فيقولون «ألبُومن ومُوزَه او موزيوم» وهي اخفُّ من تلك = ٣ً ان تكون هذه اللغة شائعة بين الاقوام حتى اذا جهل الكاتب معنى اللفظة وَجدَ حواليهِ من يرشدهُ اليهِ. ولا نرَى لغة استجمعت هذه الشروط ألَا اللغة الفرنسيَّة فهي اخفَّ اللغات لفظًا واسلمها ذوقًا وعليهِ لنتخذها امامًا لنا

ايّ الالفاظ تُعرَّب ومتى

هل يجوز لنا ان نُعرِّب جميع الالفاظ التي نجهل عربيَّتها او التي لا وجود لها عندنا؟ كلَّا. بل عليك ان تعلم اولًا ان الالفاظ تُقسَم الى طائفتين عظيمتين وهما: الالفاظ المُرتَجلَة والالفاظ المنقولة. وللالفاظ المرتجلة فرعٌ آخر وهو الالفاظ الشبيهة بالمرتجلة

فالاسم المرتجل على ما قالهُ صاحب الكليَّات: «هو ما لا معنى لهُ أوَّلًا». (ص ٦٣٣ من طبعة الاستانة) او على ما قالهُ اهل العربيَّة والميزان: هو لفظٌ نُقِل من معناهُ الموضوع لهُ الى معنًى آخر لا مناسبة بينهما وهو الذي اطلقنا عليهِ اسم الشبيه بالمرتجل وتلحق بهِ الاسماء الغامضة الاصل. واماَّ المنقول فهو على ما حدَّهُ صاحب الكليَّات (ص ٦٣٣): «ما كان مشتركا بين المعاني وتُرِك استعمالهُ في المعنى الاول سُمّي بهِ لنقلهِ من المعنى الاوَّل. والمنقول حقيقةٌ في الاول. مجازٌ في الثاني من حيث اللغة. ومجازٌ في الاول حقيقةٌ في الثاني من حيث النقل. ومجران المعنى الاول لا يشترط في

المنقول بل الغلبة في الثاني كافيـة . والناقل امّا الشرع فيكون منقولًا شرعيًا او غيره .
وهو امّا العُرف العامّ فالمنقول عُرفيّ ويُسمّى حقيقةً عُرفيّة . او العُرف الخاص ويسمّى
منقولًا اصطلاحيًا كاصطلاح النُحاة والنظّار » اه

فاذا عرفتَ هذا كلهُ اعلم انّهُ لا يجوز لك ان تعرّب الّا الاسماء المرتجلة او الشبيهة
بالمرتجلة . امّا الاسماء المنقولة فلا يجوز لك تعريبها بل ترجمتها الى الالفـاظ التي تقابل
الاصل المنقولة عنهُ مقابلة معنويّة او من قبيل المرادفة

فمثال الاسماء المرتجلة اسماء المعادن التي لم يعرفهـا العرب فلم يضعوا لها مرادفات
والتي لم تُنقل عن معنًى من المعاني البـديعيّة . ومثالها ايضًا اسماء الحيوانات والدبّابات
والطيور والاسماك والنبـاتات . ومنها الألقاب والرتب والأدواء والأدوية والادوات
الصناعيّة والعلميّة والفنيّة والبيتيّة والمستحدثات العصريّة من اطعمة واشربة والبسة ممّا
لا يرى في اصلهِ وجه لوضعهِ ولا اثر فيهِ من آثار النقـل او علاقة من علائقـهِ كالمجاز
والمشابهة ونحوهما . وإلّا فان كان في هذه الاسماء المرتجلة مرادفٌ او مقـابلٌ او سببٌ
دفع الواضعَ الى وضع الكلمة لعلاقةٍ بديعيّة لم يبقَ لك لتعريبهِ مساغٌ

وامّا الشبيهة بالمرتجلة فهي اما ان تكون غامضة الاصل كالوِسْتِيتي مثلًا (ouistiti)
لقردٍ صغير موطنهُ البرازيل فانهُ لا يُعرَف اصل تسميتهِ بهذا الاسم . وهكذا لفظـة
جِبّون (gibbon) لقردٍ آخر كبير الجثّة من قرود بلاد الهنـد . ولعلّ اللفظة مشتقّة من
العربيّة نفسها من « جبّار » المصحفة وهو اسمهُ الى اليوم عند العرب الموجودين في بلاد
الهند على ما ذكر لي

وامّا ان تكون هذه الشبيهة بالمرتجلة على وفق ما حدّها اهل العربيّة اي ان تكون
الفاظًا نُقِلَت من معناها الموضوع لها الى معنى اخر لا مناسبة بينهما بل أوجدهُ التواطؤ
والتعارُف ومجرَّد الاستعمال في الاصطلاح . ومن ذلك اغلب الالفاظ الافرنجيّة المنحوتة
من كلمتين يونانيّتين بل وكثير من الالفاظ الغير المنحوتة المأخوذة من لفظةٍ واحدةٍ من
لغة اجنبيّة قديمة كاللاتينيّة واليونانيّة . فمثل هذه ايضًا تُعَرَّب وقد تُترجم . واليك بعض
الشواهد من الالفاظ المنحوتة . « فالمكروفون » (microphone) مثـلًا مركّبة من
كلمتين يونانيّتين وهما μικρός (مكروس . اي صغـير) و φωνή (فوني اى صوت)
ومحصّلها الصغير الصوت او الدقيق الصوت مع انهم يريدون بهذه اللفظة المنحوتة آلة

كهربائيّة تُعَظِّم اصوات التلفون بنسب متفاوتة في العِظَم . وقولهم « فِلُوفور »-phyllo) phore) وهي مؤلفة من حرفين من φύλλον (فلّون اي ورقة) و φορός (فوروس اي حامل) فيكون معناها : حامل الورقة . وهم يريدون بذلك نوعاً من الخفّاش الاميركيّ المصّاص الدم او الحجّام . وهكذا في سائر الالفاظ المنحوتة على هذا الوجه . واما شواهد الالفاظ المفردة الغير المنحوتة المقتبسة من لغة قديمة بمعنى المصطلح عليها عند محدثيهم بمعنى آخر فكقولهم : « فلوكس » (phlox) فهذا الحرف يوناني الاصل مأخوذ من φλόξ اي « اللهبة » وهم مع ذلك يريدون بها نوعاً من النباتات الاميركيّة . وكقولهم «هادينا» (hadena) وهي لفظة يونانيّة الاصل من ᾅδης اي جهنّم وهم يريدون بذلك جنساً من الحشرات الليليّة . وامثلة هذه الالفاظ كثيرة عندهم تُعدّ بالمئات

فجميع هذه الاسماء المرتجلة والشبيهة بالمرتجلة تُعرَّب اغلب الاحايين وقد لا تعرَّب بل تترجم اذا امكنت ترجمتها كما ترجم العرب اسماء كثيرة من جميع المصطلحات التي عددناها كما انك تستطيع الآن ان تسمّي « الوِسْتيتي » « بالهبّار » من باب تقييد المطلق (والهبّار في اللغة القرد الكثير الشعر وهو يوافق الوستيتي لانهُ كذلك) والجِبّون بالجبّار والكورلّا بالطُّغْمُوس الخ

ولكي تعرَّب الكلمة لا يكفي هذا الشرط الوحيد أي ان يكون الاسم مرتجلاً او شبيهاً بالمرتجل بل ان يكون هذا احد الشروط الثلاثة اللازمة للتعريب . — واما الشرط الثاني فهو اذا لم يمكن وضع مرادف للّفظة الاعجميّة يؤدي معناها حقّ التأدية بكلمةٍ واحدة يُعمَد الى وضع كلمتين تقومان مقام الواحدة بشرط ان تُفيدا مفاد الكلمة الغريبة . وقد وضع العرب قديماً كثيراً من مثل هذه الالفاظ كقولك علم الهيئة وعلم الفلك وعلم المنطق الخ مع ان للاجانب لفظة واحدة بسيطة او منحوتة تؤدي هذه المعاني

واما الشرط الثالث فهو ان لا تُعرَّب اللفظة الاعجميّة إلّا اذا كانت قليلة الاستعمال او نادرتهُ . او لا يستعملها الّا طائفة من الناس وان كانت هذه الطائفة عديدة الافراد . وإلّا فان كان استعمالها عامّاً وقد دخل في حاجيات الكبير والصغير فينظر الى تلك الكلمة فان كانت كثيرة الحروف او ثقيلةً على اللسان فلا بُدّ حينئذٍ من وضع مرادف لها في العربيّة والّا فان لم تكن كذلك فلا بأس من اتخاذ الاعجميّة نفسها . واما اذا

لم يكن وضع مرادف لها فحينئذٍ فقط تُقلَّم زوائدها ليسهل النطق بها وليتمكن الخاص والعام من لفظها · واماً كيفيَّة تقليم هذه الزوائد فليس لهُ قاعدة مُطَّردة يُجرَى عليها

واماً الكلام عن الالفاظ الاعجميَّة المنقولة فنجعلهُ موضوع مقالة الترجمة وقواعدها وسوف نأتي بها ان وافقتنا الفُرَص ان شاء الله تعالى

رسم خرائط لبنان

للاب هنري لامنس اليسوعي

لا يجهل احد فائدة الخرائط في الدروس الجغرافيَّة · فلولاها لضرب المدرِّسُ الريح وكتب على صفحات الماء · فيكون مثَلهُ مثل استاذ الطبيعيَّات لا يُثبت تعليمهُ بالعمليَّات او مثل مدرِّس الرياضيَّات لا يقيِّد علمهُ بالتمرينات الحسابيَّة

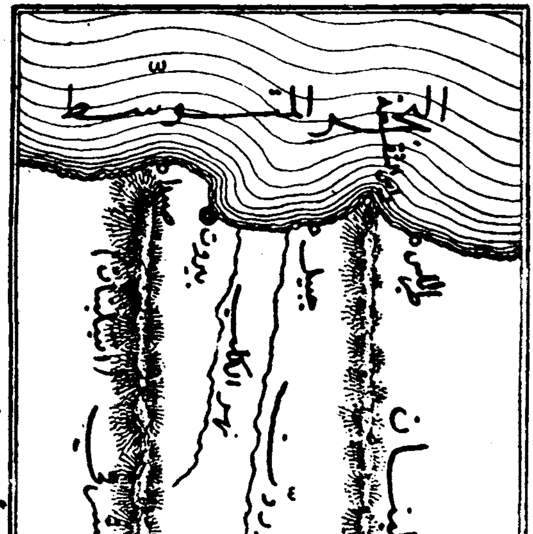
ولكن اين هذه الخرائط ؟ فانَّ لبنان الذي عليــهِ مدار دروسنا محصور الحدود وليس لهُ خرائط خاصَّة بهِ الَّا النزر القليل · اماً خرائط سوريَّة العامَّة فان مقياسها قصير حرجٌ فلا تجد فيها للُبنان مكاناً يُذكر مع انَّك لو اردت درس هذا الجبل لا ندحة لك من خرائط كبرى ذات مقياس واسع ومثل هذه الخرائط عزيزة الوجود

*

اوَّل من وصف لبنان سترابون الجغرافيّ العظيم الَّا انهُ اخطأ في هــذا الوصف وبخطائهِ كان سبباً لاوهام الذين اتوا بعدهُ · وقد اثبتنا عند ذكرنا لبنان ووجهة امتدادهِ وحدودهُ في كرور الاجيال (المشرق ٥ : ٣٦٤) ما ارتاءهُ هذا الكاتب الشهير في حقّ لبنان اذ بدل وِجهتهُ فظنَّ انَّ هذا الجبل والجبل الشرقي يمتدَّان من الغرب الى الشرق بدلًا من الجنوب الى الشمال · اعني انهُ كان يجعل احد طرفَي هذين الجبلين عنــد بحر الشام والطرف الآخر عند دمشق كما ترى في الرسم الذي نثبتهُ في الصفحة التالية

فلعمري انَّ مثل هذا الوهم كان من شأنهِ أن يشوِّه صورة لبنان كما تُشوَّهُ صورة الانسان لو جُعلت قدماهُ في رأسهِ ورأسهُ في قدميهِ · ومع سوء هذا التصوُّر للبنان نال راي سترابون الحظوى لدى كثيرين ولم يقدر بلينيوس الطبيعيّ وغيرهُ ممَّن اصابوا المرمى في تعريف موقع لبنان ان يبطلوا هذا المزعم

ثمَّ جاء العرب ووصف كتبتُهم البلدان وفي جملتها لبنان ولا تراهم يجورون عن طريق الصواب في رسم وجهته ِ الّا انَّهم لم يحسنوا بيان حدوده ِ فرُبَّما ادخلوا في لبنان جبالًا ليست منهُ . ثمَّ انَّ تآليفهم بقيت مجهولةً في اوربَّة الى القرن الثامن عشر فكان مصطنعو الخرائط يستندون الى اقوال سترابون فيرسمون لبنان كما تخيَّلهُ هذا الجغرافيّ . منهم العلّامة بوشارت في كتابهِ « الجغرافيَّة المقدَّسة » وشلّاريوس صاحب « العالم القديم » وكلاهما من مشاهير الكتَّاب ازهرا في القرن السابع عشر



موقع لبنان على رأي سترابون

صورة لبنان على زعم سترابون

ومن اوَّل الذين عاكسوا هذا الوهم الهولندي ادريان ريلند (Reland) في كتابهِ عن فلسطين (١ . وكان في اوَّل امرهِ يذهب في ذلك مذهب اسلافهِ الّا انهُ لحسن حظّهِ وقف على رحلةٍ كتبها الانكليزي هنري مَوْندرل (Maundrell) كان وصف فيها

(١ عنوانهُ Palæstina ex monumentis veteribus illustrata

سفرًا باشرهُ في اواخر القرن السابع عشر من حلب الى اورشليم واكثر فيهِ من التفاصيل الجغرافيَّة. فنبَّه هذا التأليف افكار ريلند واستفاد من خريطةٍ كان رسمها موندرل المذكور ولم ينشرها بعد

فكانت هذه اوَّل خريطة للبنان وهي بالنسبة الى معارفنا اليوم مخلَّة من وجوهٍ عديدة كأنَّها عمل تلميذٍ لا يُحسن الرسم فلا تكاد تجد فيها سوى بعض اسماء الامكنة الواقعة على ساحل البحر دون مراعاة للمسافات التي بين الانهار ومواقع المحلّات. امّا جهات لبنان الداخليَّة فهي خاوية ليس فيها اسم بلد اللهمَّ الّا بحيرة اليمّونة. ومع هذا ترى صاحبها قد اصاب في رسم وجهة لبنان والجبل الشرقيّ وجعل الجبلين موازيين مع الاشارة الى سهل البقاع المنبسط بينهما. وتلك نتائج حسنة بالنسبة الى ذلك الزمان لا سيَّما انَّ ريلند كان مهَّد بهذا العمل الطريق لمن يأتي بعدهُ وازال العقبات التي كانت تحول دون الترقي الجغرافي في درس لبنان

هكذا نشأت اوَّل خريطة لجبلنا فكانت مع نقصها اساسًا بنى عليهِ كتبة القرنين الثامن عشر والتاسع عشر فحسَّنوها وكمَّلوها. وقد اشتهر بينهم الجغرافيّ الجرماني كرل ريتر الذي افرد لوصف لبنان قسمًا كبيرًا من المجلد السابع عشر من تآليفهِ المعنون « الجغرافيَّة المقابلة » وهو اوسع وصفٍ يُعرَف لهذا الجبل لم يفقد شيئًا من محاسنهِ وفوائدهِ بعد نصف قرنٍ من عهد ظهوره

الّا انَّ الخرائط اللبنانيَّة في هذه المدَّة لم تخطُ كهذه الخطوات في سبيل التقدُّم بل بقيت على خللها. وانَّما كان اصحاب خرائط سوريَّة يخصّون لبنان بمكان صغير فيثبتون خريطة ريلند السابق وصفها مع شيء من التحسين في الدلالة على مصبّ الانهار ونتوءات الارض وقياس المسافات وكذلك ترى زيادةً في اسماء القرى وذكرًا لاقيسة علوّ الآكام والقمم. وقد امتازت بين هذه الخرائط خريطة فلسطين للراسم الالماني الشهير هنري كيبرت (H. Kiepert) التي نُشرت في سنة ١٨٥٦ ادرج فيها صورة جبل لبنان ولكنَّ هذه الخريطة كانت على مقياس $\frac{١}{٦٠٠,٠٠٠}$ فلم يمكن صاحبها لضيق المكان ان يتّسع في ذكر هذا الجبل واعمالهِ. ثم اعاد كيبرت رسم خرائط سوريَّة غير مرَّةٍ دون ان ينال لبنان حظًّا اوفى من المرَّة الاولى

وبعد سنتين لظهور خريطة كيبرت ابرز سنة ١٨٥٨ الضابط الهولندي ڤان دي ڤلد

(Van de Velde) خريطة حسنة للاراضي المقدَّسة جعل حدودها الشماليَّة لبنان الى نهر الكبير. وكان مقياس هذه الخارطة $\frac{١}{٢١٥,٠٠٠}$ اعني انَّها كانت نحو ضعف خارطة كيبرت فنال لبنان حظَّهُ منها وهي تستحقّ ذكرًا خصوصيًا ليس فقط لِسَعَتها لكن ايضًا لسَيْر صاحبها على طريقة علميَّة. فانَّ راسمي الخرائط السابقة كانوا بنوا رسومهم على اقوال اهل الرِحَل والمسافرين الذين دوَّنوا ملاحظاتهم بدون آلات رصديَّة او بلا تدقيقٍ كافٍ في الرسوم او الحسابات التريغنومتريَّة. فاراد ڤان دي ڤلد ان يسدَّ هذا الخلل فطاف جهات فلسطين لهذه الغاية امَّا لبنان فانهُ لم يُجرِ فيهِ غير رصود قليلة بنفسهِ لكنَّهُ وجد في بعض زملائهِ ما اغناهُ نوعًا عن ذلك فانَّ الاميركيّ روبنصن وقنصل بروسية في دمشق العلَّامة وِتشتين كانا باشرا بعض هذه الرصود. وكذلك كان ضبَّاط البحارة الانكليزيَّة قاسوا سواحل لبنان والجهات المجاورة لها. فانتفع ڤان دي ڤلد من هذه المساعي العلميَّة الجليلة ورسم خارطتهُ وفقًا لها فجاء عملهُ محكمًا وافيًا يُعَدّ بروزهُ كنقطةٍ مهمَّة في تاريخ خرائط لبنان (١). ثم زار ڤان دي ڤلد ثانيةً جبل لبنان وطبع خريطتهِ بعد مدَّة فزاد في تحسينها وتلافى شوائبها

هذا ومع فوائد الخرائط المذكورة لم يتفرَّغ الى ذاك العهد احد من العلماء لرسم خارطة خاصَّة بلبنان دون سواه حتى نهض لهذا العمل الجليل قومٌ من ضبَّاط البعثة الفرنسويَّة الى سوريَّة فرسموا بعد الرصود والاقيسة التوپوغرافيَّة خارطةً للبنان تُعرف باسمهم مقياسها $\frac{١}{٢٠٠,٠٠٠}$ طولها ٨٩ سنتيمترًا في عرض ٦٧ اودعوها من اعلام الامكنة ما لم يسبقهم اليهِ غيرهم وهي تحتوي ليس فقط اسماء معاملات لبنان بل تمتدّ ايضًا الى الجبل الشرقي والبقاع وبلاد بشارة

ومن محسّنات هذه الخارطة انَّ اصحابها كرَّروا اقيسة الارتفاعات التي قام بها سابقًا القنصل برتون الانكليزي مع غيره من العلماء الاميركان والانكليز والالمان وكمَّلوها. واصلحوا ايضًا اغلاطًا اخرى عديدةً كما انَّهم اتقنوا تصوير لبنان في سلسلتهِ الكبرى وفي الفروع المتشعّبة منهُ مع حُسن رسم انجادهِ ومشارفهِ ومنعطفاتهِ ووجهة أوديتهِ وكل حزونهِ وبطونهِ فضلًا عن طرقهِ وعقباتهِ. وكانت هذه الفوائد مدوَّنةً على الخارطة على احسن هيئة واجود نظر (لها بقيَّة)

١) راجع المجلَّة الاسيويَّة الالمانيَّة (ZDMG, XIII, 726)

عين العليّ

رواية تاريخية للاب س. ت اليسوعيّ

الفصل الرابع عشر

ان الله يحيي ويميت (تابع)

وبقي راسيوس صُلب نهارهِ يتقلَّب على احرَّ من الجمر فكان يهيمُ في وجههِ دائرًا في انحاء البلدة كالشارد العقل. ولكنَّهُ لا يلبث ان يعود الى الملعب ليرى ما يجري فيهِ من تهيئة الالعاب فكان هناك احد الشيوخ لم يعرفهُ راسيوس وتحت امرهِ خمسمائة من العبيد يُعدّون لوازم العيد الذي كان موعدهُ في غدٍ. وكان الشعب يتقاطر الى نظر هذه الاعدادات فيفرح سلفًا لما سيجري فيها من المذابح الدمويَّة. وكان يزيد فرحهم لمَّا يسمعون هَمهَمَة الوحوش المضوَّرة وزئير السباع في اقفاصها وهي لم تكد تصبر على جوعها الطويل. وكانوا يزيدونها شراسةً بان يقدّموا لها عن بعد قطعاً من اللحم فتهجم لتلتقطها وصوت هديرها يرعد الفرائص

وكان القوم يتراهنون على ايّ هذه الضواري يسبق رفقتهُ في التهامهِ صيدهُ وتقطيعهِ في غدٍ لحمان الاسرى فهذا يجعل قصبة السبق لاسود لبنان وذاك لنمورة جبل الشيخ وغيرهُ للكلاب السلوقيَّة المضرَّاة. وكان فتًى صغير يسأل والدهُ ايَّ اثمٍ اجترحهُ الذين يُعرضون هكذا للسباع وهل يُعطى لهم اسلحة ليدافعوا عن نفوسهم. وكان غلامٌ آخر يطلب من ابيهِ ان لا يحرمهُ مشاهدة مذبحة اليهود الذين قتلوا اخاهُ الكبير في الحرب ليشتفي بنظره الى دمائهم

امَّا راسيوس فكان يسمع كل هذه الاحاديث دون ان يعرف احد بامره لتنكُّره بلبس رداء العبيد. وكان ما يطرق اذانهُ وتشاهدهُ عيونهُ يجرح قلبهُ ويستفزُّ كلَّ عواطفهِ حتى اضطُرَّ الى ان يبتعد عن ذلك المكان. الَّا انَّ نظرهُ لم يزل شاخصاً الى حيث عاهد السُّعاة بلقياهُ

فبقي كذلك لا يذوق راحةً الى قرب غروب الشمس. فجاء الليل بظلماتهِ دون ان تلوح لهُ بارقةٌ من الامل. فاقترب ثانيةً من سجن الاسرى وفي فكره انهُ اذا فُتح لهُ

كالمرَّة الاولى وثب على اليهودي الحارس قتلهُ بمدية كانت تحت ثيـابهِ ثم دخل الى صموئيل فاخرجهُ سالماً. بيد انَّ هذه المرَّة بقي الباب مقفلاً مع طرقهِ لهُ طرقات عديدة. فاستولى عليـهِ القنوط وكاد يخرجهُ عن رشده ويسقطهُ على الحضيض فانسحب من ثمَّ يتمايل كالسكران حتى بلغ الى قطعة العمود التي جلس عليها الليلة السابقة فاستند اليها وتثاقلت اجفانهُ فبُلي بسُبات عميق بينما كان يضنكهُ الجثام

فرأى نفسهُ كانهُ على درجات الملعب واذا بالضواري وثبت على الاسرى وبينهم صموئيل الشيخ وكلُّهم عُزل من السلاح لا نصير لهم. فلمَّا رأى ابا يهوديت همَّ بان يَفديَهُ بنفسهِ ويتوسَّط بينهُ وبين الوحش المتسلّط عليهِ الَّا انهُ احسَّ بقواهُ قد انحلّت وكانَّ يدًا غير منظورة غلّلتـهُ وجمّدت كلّ حركاتهِ. ولم يبقَ لهُ الَّا ان صرخ صرخةً عظيمة: « يا يسوع خلّص والدها » فما كاد هذا القول يخرج من حلقهِ حتى رأى الشيـخ مجلَّلاً بالنور متصاعدًا الى العُلى وهو يترنَّم بنشيد الفرح

*

فلمَّا انتبه راسيوس من نومهِ واذا بالنهار قد طلع وهو يومهُ الاخير. ففرك عينيـهِ ليرى أهو في يقظة ام في منام. الَّا ان حركة القوم حولهُ نبَّهت افكارهُ وذكَّرتهُ بحقيقة الحال وبامر يهوديت. وكان يجول في فكره ما رآهُ في نومهِ وكأنَّ هذا الحلم ارجع اليهِ شيئًا من املهِ المفقود

فمن وقتهِ سار الى المعسكر حيث مقام طيطس ليستعلم عن رجوعهِ فاذا هو لم يزل غائبًا. امَّا السُّعاة فلم يرجع منهم ولا واحد فخارت قواهُ واظلمت الدنيا في عينيهِ وهو يتعجّب كيف تستطيع نفسهُ احتمال هذه الاحزان كلها. واخذ يفكّر في ما يصنع لخلاص صموئيل. فعاد حلمهُ الى فكرهِ وعزم على ان يرمي بنفسهِ في وسط الملعب ويكشف صدرهُ امام الحضور ليروا جروحهُ في سبيل الوطن وينشدهم الآلهة بالَّا يسمحوا في موت شيخٍ مسكين ليس عليهِ حرج. فمن يعلم يا تُرى إن لم يحنّ لهُ قلب الشعب فيخلّص صموئيل بهذه الوسيلة

فقام للحال ورجع الى دارهِ ونزع عنهُ رداء العبيد وارتدى ببزَّة الضبَّاط الرومانيين وجعل على صدرهِ اوسمتهُ التي اكتسبها في ساحة الحرب وامسك بيدهِ السهم الذهبيّ الذي أُعطي لهُ جائزةً عن فروسيَّتهِ في حرب الفرس وكان طيطس اضاف الى طرف هذا

السهم حليةً من الحجارة الكريمة . ثم تقلّد سيفهُ وكتب بطاقةً ثانية ارسلها الى يهوديت وفيها الكلمتان السابق ذكرهما : « اليوم ان شاء السماء نظفر بالمرام »

ومع انَّ ساعة الحفلة لم تأتِ بعد قدم راسيوس الى الملعب وفحصهُ فحصاً نعمًا ليرى كيف يمكنهُ ان يتمِم ما عوّل عليهِ . فوجد ساحة الملعب مفروشة بالرمل الناعم وقد حُفرت حولهُ جداول من الماء لتلطيف حرارة النهار . وكانت جُعلت بين دوائر المقاعد مجامر ليُلقى في نارها اللُبان والندّ فيتنسَّم الشعب هذه الروائح العطرية بينما تُسَرُّ عيونهُ بمشاهد الملعب

ثم خرجَ راسيوس ليستعدّ لنزاعهِ الاخير ويروّح نفسهُ حتى اذا ازفت الساعة يبقى رابط الجأش حاضر الجنان . وكان يسمع الجمهور المتراكم في الساحة المجاورة يحيّي المصارعين القادمين الى ملعب بيروت ليسرُّوا الاهلين بصراعهم وكان هؤلاء يتقدَّمون ثناء وثلاث ورؤوسهم مكلَّلة بالورد منهم كهول ومنهم شبَّان في مقتبل العمر وكلهم اعلاج ذوو بنيَّة قوية يتدفق ماء الحياة على وجوههم . وكانت اجسامهم مدهونة بالزيت لتزيد حركاتهم مرونةً وخفَّة فيلمع جلدهم لصقالتهِ بالشمس . فكان الشعب يصفّق لهم استحساناً وهم سائرون ليضحُّوا نفوسهم في سبيل مسرَّتهِ الوحشيَّة فدخلوا الاسراب المعدَّة لهم وأُقفلت عليهم الابواب وما كانوا ليخرجوا منها الَّا محمولين على الاكتاف

ولمَّا كان رأد الضحى نفر البوق العسكري فاجاب القوم لصوتهِ متهللين وتراكضوا الى مقاعد الملعب التي فُتحت ابوابها من عشرة جوانب . وكان الكل يتزاحمون ويركب بعضهم بعضاً ليسبقوا سواهم ويجلسوا في افضل مكان . فهذا يصرخ وذاك يلكم ومنهم من يُداس بالارجل . ولم يهدأ هذا اللجب الَّا بعد ساعةٍ لمَّا قدم كبار العمال وشيوخ البلد والاعيان والبطارقة وكهنة الهياكل الكبرى يتقدَّمهم كاهن المشتري البعلبكيّ وكاهنة عشتروت وكلهم بالبزَّات الرسميَّة التي تأخذ بالالباب وتفتن العيون . وكانت السيّدات تبرَّجن بالحليّ والمصاغات الثمينة فخرجن ليعرضنَ محاسنهنَّ على الحضور . فجلس هؤلاء في صدر الملعب حيث أُعدَّت لهم امكنة خاصَّة على حسب مقامهم

وجلس راسيوس في موقع يمكّنهُ من البروز الى ساحة الملعب قريباً من الدرج الذي يُشرف على مجال الالعاب . وكان ينظر حيناً بعد حين الى الكرسي المعدّ لطيطس لعلَّهُ يراهُ فيقترب اليهِ او يرسل اليهِ بطاقةً لكنَّ مكانهُ المزيَّن بالارجوان كان فارغاً

على جانبي كرسيّهِ حاكما المدينة ومدبّراها الاكبران. وحولهما جماهير مجمهرة تضج وتصيح ليُسرَع في افتتاح الالعاب

فحينئذٍ قام الحاكم الاوّل فرونتون نائب الامبراطور فسپسيان واشار براية في يده أن: «قد حانت الساعة». فسكن اللجب وخمدت الحركات. فصار الحضور كأن على رؤوسهم الطير وعلم راسيوس ان الاجل دانٍ. لكنهُ تصلّب وعاين الموت دون خوفٍ كما اعتاد نزال العدوّ في الحرب وهو لم يعهد بقلبهِ وجأبا

ثم سُمعت بعد سكوت القوم ثلاث طرقات عظيمة تؤذن بافتتاح الالعاب. فظهر رجل وهو لابس بزّة إله الجحيم كارون واخذ يدعو اهل الصراع الى الموت فانفتح باب سرب المصارعين بصوت يرجف الابدان. فخرج للحال المصارعون اثنين اثنين وطافوا الملعب ماشين وعيونهم جامدة ورؤوسهم عالية حتى اذا بلغوا صدر الملعب بازاء كرسي طيطس الفارغ وقفوا ثمَّ بسطوا ايديهم اليُمنى وصرخوا باصوات ثابتة: «تقبّل ايا قيصر سلام المائتين»

فعلت اصوات القوم طربًا صارخين: «زِهْ زِهْ. موتوا كرماء»

فدقَّ النفير ثانيةً وعاد القوم الى سكوتهم

فحينئذٍ قام كلّ مصارعٍ بازاء نظيرهِ وشخص اليهِ بالنظر كانهُ يتهدّدهُ. ثم سحبوا خناجرهم بيمناهم وفي شمالهم ترس من حديد. فاخذوا يتقارعون ويتضاربون كلّ رجل مع خصمهِ. فكنت ترى الحديد يلمع في الشمس تارةً يعلو فوق الرؤوس وتارةً يتّجه الى الصدور. وكانت حركاتهم في اوّل الامر هادئةً لطيفةً ثم لم يلبثوا أن اتّقد غضبهم فتحامل الواحد على الآخر بضربات هائلة. وكان الشعب في اثناء ذلك ينشّط هذا ويبعث همّة ذاك ويسخر من جبانة البعض ويصفّق استحسانًا لغيرهم

على انَّ الدماء ما عتّمت أن تسيل فعمل نظرها في المصارعين واضحوا كأنهم بعد مدّة قليلة اشبه بوحوش ضارية لا يلوون على شيء. فكنت تراهم يصدقون الحملة على مناظريهم فيطعنونهم طعنات متوالية رُبّما كانت القاضية. فيسقط هذا على الحضيض وتُسمع لذاك حشرجة الموت. امّا الحضور فكانت هذه المناظر تزيدهم شراسةً لا يجدون في قلبهم اثرًا لرحمةٍ على ميت بل كانوا يُغرون المصارعين بعضهم ويزيدونهم هياجًا فيرتاحون لجراحهم ويُسرّون بموتهم

وكان الصرعى يسقطون فوق الصرعى امّا الباقون فكانوا لا يزيدون الّا توحشاً اللهمَّ الّا بعض الشبان منهم ممّن لم يحسنوا بعدُ فنون الصراع فانّهم ارادوا الهرب من الموت وهمّوا بالخروج الّا انَّ الرجل الممثِّل للاله كارون جاء وردَّ الابواب في وجههم فجاءهم المصارعون الكهول وطعنوهم بمداهم والحقوهم بالموتى

فما مضت ساعة على هذا الصراع حتى ذهب ثلاثة ارباع المصارعين جرحى وقتلى. فاشار الحاكم والشعب بعدهُ برفع الابهام انّهم لا يريدون موت بقيّة المصارعين فخرج هؤلاء تصحبهم ضجّات القوم كانّهم اتوا اعمالاً شريفة او ظفروا باعداء المملكة. امّا الصرعى فانَّ طائفة من العبيد دخلوا الملعب وحملوهم ليُقبروا او يُلقوا في زاوية ريثما يبرأون من جراحهم او يموتون كالبهائم وجاء عبيد غيرهم ورشّوا الرمل على ساحة الملعب لئلّا يبقى فيها اثر للدماء

هكذا تمَّ الدور الاوَّل من تلك الرواية الفاجعة التي كان يستطيبها اهل ذلك العصر المدَّعي بالتمدُّن. وكان بقي دور آخر افجع وافظع منهُ ألا وهو موت اسرى اليهود. لكن بين هذين الفصلين اراد اصحاب الالعاب ان يطيّبوا النفوس ويُنسوها حيناً تلك المناظر المؤثّرة بتشخيص ملاعب هزليّة لئلّا تأخذهم الشفقة بعد ذلك على الاسرى اذا ما أُلقوا للسباع. فأُجريت هذه الالعاب المضحكة التي سُرَّ بها القوم غاية السرور وكانت في اثناء ذلك طائفة من العبيد يحملون اطباقاً عليها المشروبات المبرّدة واصناف الحلويات والفواكه الطيّبة يقدّمونها لوجوه القوم ويفرّقون ما بقي على الجمهور المتسارع الى لقطها وازدرادها

وكانت الشمس في خلال ذلك كادت تستوي في كبد السماء فاحبَّ الحضور أن ينتهي اصحاب الهزل من ألعابهم المضحكة لتُعرض امامهم الاسرى وتبرز الوحوش من مكامنها فاخذوا يصرخون: « الاسرى للسباع ! الاسرى للسباع »

وكان راسيوس مدّة كل الألعاب السابقة غائصاً في بحر الافكار كانّهُ لا يعي لما يجري حولهُ من الفظائع المخلّة بشرف الانسانيّة. فما سمع كلمة « السباع » حتى استيقظ من غفلتهِ وعرف ان الساعة ساعتهُ. فرمى بشملتهِ العسكريّة ونفض ما اثارتهُ عليهِ المصارعة من الغبرة وهندس حالهُ واخذ أُهبتهُ لامرهِ

فلمّا خمدت الاصوات خرج الاله كارون ثانيةً من عرينهِ ليدعو الموتى الى مملكتهِ

وكان راسيوس حينئــذٍ يفحص الدرجات التي بها ينزل الى الساحة لينجز قصدهُ. وهو كذلك اذ خرق رجلٌ صفوف الحضور وهو يطفر من دائرة الى دائرة حتى ادرك الضابط وسلّمهُ لوحاً مطليًا بالشمع كان عليهِ بعض الفاظ وجيزة

واذا هو جواب طيطس الى صديقهِ راسيوس وفاديهِ من الموت. وكان هذا منطوقهُ:

«لا سبيل الى ردّ طلبك. فاني آمر أن يُسلَّم لك الذي تريد نجاتهُ»

قرأ راسيوس هذه الكلمات الوجيزة التي عملت فيهِ عمل هزّةٍ من الكهرباء فكادت تُطير عقلهُ وتهدّ حيلهُ الّا انهُ فكّر في الخطر القريب الذي يتهدّد صموئيل فشدّد عزيمتهُ وضبط جنانهُ ثمّ نزل اسرع من طرفة العين الى ساحة الملعب وسار توًا الى باب الحديد الذي منهُ كان يُنتظر خروج الاسرى فقدّم لقائد المئة القائم على حراستهِ بطاقة القيصر. فلم يسعهُ الّا الطاعة لاوامر سيّدهِ

فدخل راسيوس وما مضى بضع دقائق حتى ضمّ بين ذراعيهِ الشيخ الاسير وقادهُ الى الباب الخارجي حيث كانت تنتظرهُ محفّةٌ ارسلتهــا يهوديت لابيها واثقةً بقول راسيوس ان الخلاص قريب

لا نحاول وصف الفرح الذي احاق بالابنة والوالد لمّا التقيا فانّ الالسنة صمتت لتنطق العيون بعبراتهــا الجارية كواكف المُزن. وكان صموئيل لكثرة ما اصابهُ من الاوجاع قد استلقى على ديوان دارهِ لا يكاد يعي لنفسهِ. امّا يهوديت وراسيوس فكانا منطرحين عند اقدامهِ لا ينبسان ببنت شفة الّا انّ قلبيهمــا كانا طافحين من الفرح يرشفان معًا كاس الهناء بعد مكابدة علز الموت

وبينما كان اصحاب دار الورود يذوقون ملذّات الاجتماع بعد الفراق والاوجاع كان يُرى في ملعب بيروت منظر تتفتّت له الاكبــاد فانّ مئين من اسرى اليهود كانوا أُخرجوا من اسرابهم بلا ثياب ولا اسلحة ثمّ فُتحت اقفاص الوحوش فخرجت هذه بزئير ارتجفت له الفرائص وتراكضت على اولئك المساكين المنكودي الحظّ. فاخذ هذا يحطّم بانيابهِ وذاك ينطح بقرونهِ وغيرهُ يمزّق ببراثنهِ فيُسمَعُ صوت العظام المتكسّرة مع ولولة المثّل بهم وصراخهم ممّا تنشقّ لهُ الاكباد. وكان بين الاسرى قومٌ من النصارى لم يفرقهم الرومان لمّا فتحوا اورشليم لظنّهم انّهم من اليهود العُصاة فماتوا معهم وهم ازكياء فابدوا في تلك الساعة شجاعةً قضى الحضور منها العجب. وكان يلوح على

وجوههم بازاء الموت سكينة وفرح كأنهم لا يرون في الموت سوى بابٍ لحياة الخلود ومجاز لافراح سرمديّة

وهكذا تمّت تلك الالعاب الشهيرة التي يعدّها المؤرخون من ابهج الاعياد التي اقامها الرومان مدّة ملكهم. وكان ذلك في ١٧ من تشرين الثاني سنة ٧٠ للميلاد

(التتمّة للعدد الاخير)

مطبوعات شرقية جديدة

A Text-book of North-Semitic Inscriptions.
by the Rev. G. A. Cooke, 8°, XVI - 407 pp. with XIV Plates.
Clarendon Press, Oxford. 1903.

الكتابات الساميّة الشماليّة

قد اصدرت هذا الكتاب النفيس مطبعة اوكسفرد الشهيرة المعروفة بكلارندون برس. ومدارهُ على كتابات اللغات الساميّة الشماليّة اعني الموابيّة والعبرانيّة والفينيقيّة والاراميّة والنباطيّة والتدمريّة. وهو يختلف نوعاً عن تاليف المسيو ليدزبارسكي المعنون (Handbuch der nordsemitischen Epigraphik) بان يدوّن الكتابات الساميّة ويزيد عليها بالانكليزيّة ترجمتها وشرحها. امّا المسيو ليدزبارسكي فانهُ اثبت النصوص وحدها واضاف اليها معجماً لجميع الكتابات الساميّة الشماليّة مع مقدّمة على الكتابات الساميّة اجمالاً. فيكون لكل كتاب مزيّة تتمّم فوائد الآخر وفي كتاب المسيو كوك اربعة عشر جدولاً للكتابات الساميّة. وكنّا نودّ لو أتسع فيها الّا انّ خوفهُ من زيادةٍ في ثمن الكتاب الذي يساوي ١٦ شليناً منعهُ عن ذلك. وعلى كلّ حال نحضُّ كل من يُعنى بدراسة الخطوط الشرقيّة لاسيّما عارفي الانكليزيّة منهم والذين يحضرون دروس مكتبنا الشرقي على ابتياع هذا السفر الجليل وإعمال النظر فيهِ

س. رنزفال

Istochniki dlya istorii Mohammeda
i literatura o nem, A. Krymskiĭ *Moskva*, 1902

اصول السيرة النبويّة لابن هشام

يعرف القرّاء ان اقدم السير النبويّة التي بلغتنا قد كتبها محمّد بن هشام وذلك في القرن الثاني للهجرة. فاحبَّ المستشرق الفاضل اغاثنجلوس كريمسكي نزيل بيروت

سابقًا ان يبحث عن المصادر التي اخذ عنها ابن هشام لتأليف كتابهِ كالاحاديث والاخبار والآثار التي نقلها التابعون عن الصحابة. وقد جعل لكل هذه الابحاث فصولًا مفيدة ليبيّن الغثّ من السمين وهو يستند في كل اقاويلهِ الى الرواة الأقدمين ويعرّف منزلتهم من الصدق والعلم. ولهُ باب خصوصي في سيرة ابن اسحاق ومقامها في التاريخ. والكتاب مكتوب باللغة الروسيَّة فنثني على همَّة صاحبهِ ونتمنَّى ان يلحق هذا الجزء من تآليفهِ بالجزء الثاني الذي وعد بنشرهِ ل. ش

BIBLIOGRAPHIE DES OUVRAGES ARABES OU RELATIFS AUX ARABES publiés en Europe de 1810 à 1885.
par V. Chauvin, 7ᵉ *fasc. pp.* 192. *Liège*, 1903

قائمة الكتب العربيَّة او المنوطة بالعرب التي نُشرت بالطبع في اوربَّة من سنة ١٨١٠ الى ١٨٨٥ (الجزء السابع)

هذا القسم السابع من كتابٍ كرّرنا غير مرَّة الثناء على مؤلفهِ وهو ختام قائمة الكتب المنوطة بروايات الف ليلة وليلة. وان اراد القرَّاء ان يقفوا على شيء من خواصّهِ افدناهم انَّ اسفار سندباد البحريّ وحدها تستغرق في هذه القائمة ٢٩ صفحة. فناهيك بهذا المثل شاهدًا على سعة اطلاع المسيو شوڤين الذي اذا وصف كتابًا لا يفوتهُ شيء مما ينوط بهِ. والحقّ يقال انَّ تاليفًا كهذا يُغني الادباء عن مراجعات طويلة متعبة ولعلَّهُ ايضًا يردّهم (كما جرى لنا) عن مباشرة بعض الابحاث المتعلّقة ولو عرضيًا بكتاب الف ليلة وليلة اذا ما رأوا ما ينبغي لهم من الكدّ والنصب لجمع المصنَّفات العديدة التي كُتبت في هذا الموضوع الواسع. وقد سُررنا بان الجمعيَّة الالمانيَّة الاسيويَّة تعضد هذا التأليف وتنفق عليهِ من ماليتها وفي ذلك احسن دليل على خطر هذا المسعى الجليل وفوائدهِ للآداب العربيَّة ه. ل

LES PLANTES DANS L'ANTIQUITÉ ET AU MOYEN-AGE
par Ch. Joret, Paris, E. Bouillon, 1ʳᵉ partie 1897, XX-304 p.

النباتات في العهد القديم والقرون الوسطى

ليس الغرض من هذا الكتاب درس علم النبات. وانَّما اراد صاحبهُ ان يكتب تاريخ النباتات من حيث الصناعة والادب والطبّ في العهد القديم والقرون الوسطى. وهي غاية لم يسبقهُ اليها احد غيرهُ وقد فاز بها فوزًا تامًّا. فانهُ جمع في هذه الخلاصة كلّ ما ورد عن النباتات في تاريخ المصريين والكلدان والاشوريين واليهود والفينيقيين

بحيث يقوم لهم هذا الكتاب مقام مكتبة نباتيّة واسعة . وعليهِ فانّنا نوصي بهذا الكتاب كلّ من يهمّهم في بلادنا معرفة تاريخ النباتات واستعمالها القديم . وهو يفيد خصوصاً الاطبَّاء والصيادلة ليطّلعوا على عادات القدماء في اتّخاذ النبات والمداواة بهِ ولعلّهم يقضون من مؤلفهِ العجب اذ يرون تدقيقهُ في وصف النبات الشرقي . وتعريف مثال ذلك ما يقول عن تاريخ الخوخ وقدمهِ في الشام (ص٣٩٥) . وخلاصة القول ان ما يحتويهِ هذا الكتاب من الفوائد يجعلهُ جديرًا بترجمة عربيّة لتعمّ فوائدهُ بلادنا . وقد كتب لنا الساعي بطبعهِ ان القسم الثاني المختص بالهند والصين وغيرهما يتمّ طبعهُ عمَّا قليل

س . رنزفال

هدايا أُرسلت الى مجلَّة المشرق

١ درس الاشياء . مزيَّنًا بالصور . طبقًا لما قرَّرتهُ نظارة المعارف العموميَّة في مصر . جزءان ص ٧٩ و ٨٤ . تأليف الاديب ابراهيم زيدان . طُبع بمطبعة الهلال سنة ١٩٠٣

٢ رواية آدم وحوَّاء تأليف حضرة الخوري فيلمون الكاتب ب . م ص ٦٥

٣ و ٤ الدين والعلم والمال المدن الثلاث – الوحش الوحش الوحش طُبع بالاسكندريَّة سنة ١٩٠٣ روايتان من تأليف فرح افندي دسَّ فيهما المبادئ الفاسدة التي تنقض اركان الدين

٥ بلبزاز . رواية ادبيَّة سياسيَّة للكاتب الفرنسوي مرمونتـال . معرَّبة بقلم عباس افندي ابي مخول البجاني . سان باولو برازيل سنة ١٩٠٣ (ص ١٨٣)

٦ مجموعة الافعال الفرنسويَّة . جزءان (ص ٢١٠) تأليف محمود حمدي السعيد . طبع بمطبعة الهلال سنة ١٣٢٠ هـ

٧ الآداب خطبة لجرجي افندي نقولا باز طُبعت في بعبدا ١٩٠٣ ص ٣٢

شَذَرَاتٌ

العلماء والسجلات الواتيكانيَّة كان بعض اعداء الكنيسة يزعمون قبل عهد لاون الثالث عشر ان الباباوات لا يسمحون بمطالعة السجلَّات الواتيكانيَّة للجمهور لخوفهم من نشر اسرارها التي تحتوي على مساوئ الكرسي الرسوليّ . وقد ابطل لاون الثالث عشر هذه الشكاية اذ رخَّص لكل العلماء بدخول تلك المكتبة التي تتضمَّن كنوزًا ادبيَّة وتاريخيَّة لا يُقدَّر ثمنها . وكثيرًا ما كان هذا البابا العظيم يدخل المكتبة ساعة درس العلماء فيهـا ليُسَرَّ بمثابرتهم وكثرة عددهم . ولما قيل لقداستهِ يومًا انَّ احد هؤلاء يُدعى الياس برجه (E. Berger) وانهُ اكثر العلماء تردّدًا على المكتبة مع كونهِ بروتستانيًا ارسل اليهِ البابا احد حرسهِ ليقول لهُ : « يسرُّني ادمانك على المطالعة

والكتابة. ومهما اردت ان تنسخ وتنشر فافعل ولا تخفْ شيئاً » . وقد افاد البريد الاخير انَّ الحبر الاعظم الجديد تعقَّب آثار سلفهِ وفتح سجلّات الواتيكان السريَّة لكل باحثٍ كيفما كان مذهبهُ قائلًا: « انهُ لغلطٌ عظيم اخفاء هذه الآثار عن اعين اهل البحث لأنَّها تختصُّ قبل كل شيء بمملكة التاريخ. والكنيسة لا تخشى نور ايّ علم كان »

اوَّل حروف عربيَّة مطبوعة قلنا في مقالتنا عن الطباعة الشرقيَّة (المشرق ٣ : ٨٠) انَّ اوَّل كتاب نُشر بالعربيَّة كان طبعهُ سنة ١٥١٤. وقد افادنا بعض الافاضل انهُ اطَّلع على حروف الهجاء العربيَّة في كتاب ألَّفهُ برنرد دي بريدنباخ (Breydenbach) قانونيّ كنيسة مايانس فطبعهُ مرَّةً اولى في مايانس سنة ١٤٨٦ ثم جدَّد طبعهُ في سپير سنة ١٤٩٠ عند الطبَّاع بطرس دراخ. ومدار الكتاب على وصف الاراضي المقدَّسة وجبل سينا. وهذه هي صورة الحروف العربيَّة كما تُرى في طبعة سپير



عمارات القسطنطينيَّة في سنة ٩٩٢ ﻫ وقفنا على تقرير نقلهُ بهاء الدين العامليّ عن خطّ بعض الثقات في سنة ٩٩٢ ﻫ (١٥٨٤ م) وفيهِ تفصيل عمارات الاستانة العليَّة في ذاك العهد فاحببنا نقلهُ بحرفهِ لفوائدهِ: « محلّات حارات المسلمين (عدد ٢٢٥) . الجوامع (ع ٤٠٠) . مساجد الحارات (ع ٤٤٩٤) . الابنية العالية (ع ٥٠) . مكتبخانه (ع ١٩٥٢) . الخانقاهات (ع ١٥٠) . الزوايا التي فيها المشايخ والعبَّاد (ع ٢٨٥) . العيون التي عليها الفرون (ع ٣٤٥٤٨) . المدارات لاجل الرحى (ع ٥٨٥) . المواضع المتَّسعة التي يُجاب اليها الاشـ ـاء (ع ١٢) . الحمَّامات (ع ٨٧٤) حارات النصارى (ع ٤٨٥) . حارات اليهود (ع ٢٨٥) . الكنائس والبيع (ع ٧٤٢) فسبحان مالك الملك ذي الجلال والاكرام »

أسئلة وأجوبة

س وسأل من لبنـان حضرة الخوري ف. و. : ١ً هل يفضَّل الارشاد الروحي الخاص عند غير معلّم الاعتراف مثلًا وقت الرياضة السنويّة. ٢ً اذا خطب احد ابنةً ثم حُلَّت الخطبة لداعٍ قانوني فهل يصح الزواج باخت المخطوبة اذا ولدت هذه بعد الخطبة. ٣ً من سمع قداس كاهنين يشتركان معًا على مذبح واحد هل ينال ثمرة قداسٍ ام قدّاسين. ٤ً هل يكون تفويض السيد البطريرك بسرّ الاعتراف مقيّدًا بسلطة بحيث يمكن الاسقف ان يربط الكاهن المفوَّض

اسئلة لاهوتيّة

ج نجيب على (الاول) انّ الارتشاد الروحيَّ منهُ عاديٌّ يقوم بهِ معلّم الاعتراف ومنهُ غير عادي كالرياضة السنويّة التي تصير في الغالب تحت تدبير كاهن غير المرشد فلا بأس من الالتجاء الى هذا الكاهن وربّما كان لارشادهِ فعلٌ اقوى. نجيب على (الثاني) ان الزواج لا يصحُّ مع اخت المخطوبة البتَّة. نجيب على (الثالث) ان ثمرة القداس تزيد على حسب استعداد السامع وان كان ينال ايضًا ثمرةً بتعدُّد الكهنة الذين يقدّسون ويصلّون لاجل الحضور. ونجيب على (الرابع) ان تفويض السيد البطريرك اذا كان مطلقًا لا يستطيع الاسقف ان يقيدهُ بربط الكاهن ما لم يراجع السيد البطريرك. وللمجمع المقدّس اجوبة صريحة في ذلك

س وسأل من مالطة حضرة الخوري بطرس السبعليّ: ١ً ما هو اصل اللغة المالطية. ٢ً ما هو اصل قولهم فِنِك (fenech) وتأويلهُ الارنب ثم الزرموج (zarmug) وهو اصغر الارنب

اللغة المالطية — اصل الفِنِك والزرموج

نجيب على (الاوّل) ان بعض الكتبة زعموا انَّ اصل اللغة المالطيَّة من الفينيقيين لانَّ مالطة كانت قبل تاريخ الميلاد مستعمرة للقرطجنيين. والصواب ان اللغة المالطيَّة هي نفس اللغة العربيَّة دخلت بين اهاها مع فتح العرب لهذه الجزيرة في اواخر القرن التاسع فملكوها الى سنة ١٠٩٠ لمّا فتحها الكُنت روجار النُرمنديّ. وقد تشوّهت هذه اللغة بدخول الفاظ ايطاليّة عديدة فيها وهي تُكتب بالحرف الفرنجيّ. ونجيب على (الثاني) انَّ «فِنك» مصحّفة عن «فَنَك» والفنك حيوان في كبر الارنب يُتَّخذ من جلدهِ الفرو وهو غير الارنب الّا ان المالطيين دعوا بهِ الارنب لمشابهـة بينهما. اما «الزرموج» بمعنى صغار الارنب فلا ذكر لهُ في المعاجم. ولعلّهُ تصحيف «للخرنق» وهو الارنب الصغير

ل. ش

السنة السادسة		العدد ٢٤		١٥ ك ١ سنة ١٩٠٣

المشرق

يوبيل مطبعتنا الذهبيّ

سطَّر المشرق في بعض اعداد سنتهِ الثالثة تاريخ مطبعتنا الكاثوليكيَّة منذ اوَّل نشأتها الى بدء القرن العشرين فنحيل القرَّاء الى تلك التفاصيل المسهبة وفيها غنًى عن التكرار وقد دبَّج البشير الاخير بخلاصة تلك الاخبار صفائحهُ المزدانة بابهى حلل العيد. الَّا اننا نرى في نسبة يوبيل هذه المطبعة الذهبيّ فرضًا واجبًا وحتمًا لازبًا ان نشكرهُ تعالى اوَّلًا على ما افاض من الهبات في هذه المدة الطويلة على اصحابها وعملتها واشغالها المتنوّعة. ثم نقدّم ثانيًا لكلّ من قام بهذا المسعى الجليل آيات الثناء والشكر على ما افرغوهُ في سبيل انشاء هذه المطبعة وترقية اعمالها وتوسيع نطاقها. على انَّ كثيرين منهم كشهيد ايمانهِ الاب يوحنَّا بيليوته والطيب الذكر الاب فرنسيس غوترله والاب الهمام المقدام امبرواز مونو والاخوة الافاضل

انطون طالون والياس كنعان ويوسف رشدان ومريم الياس والعامل الفاضل اسعد الخوري غصن قد انتقلوا الى دار البقاء فنالوا على اعمالهم ما استحقّوهُ من الجزاء . لكن ذكرهم لا يبرح في القلوب واعمالهم باقيةٌ تنطق بسموّ همّتهم . امّا خلفاؤهم فلا يزالون على تأثّر اعقابهم وهم يحصدون بالفرح في هذا اليوبيل ما زرعهُ اسلافهم بالكدّ والنّصب

وممّا يولي اصحاب هذه المطبعة فضلًا انّهم انشأوها في زمن كان فيهِ فنّ الطباعة الشرقيّة قليل الانتشار لا يكاد يقوم بهِ الّا الدول الكبرى او بعض الجمعيّات الواسعة الثروة فلم تثبّط همّتهم الموانع الجمّة والعوائق المتعدّدة التي كانت تحول دون تحقيق نيّاتهم . فايّدهم الله على العمل وبلّغهم غايةً من النجاح لم تكن في حسبانهم

ولدينا فوق ذلك داعٍ آخر للفرح في هذه النسبة وهو انّ هذه المطبعة كانت كلّها موقوفةً على خدمة الدين والوطن في كلّ آن بحيث لا يجد مُنتقد في اعمالها العديدة السابقة ما يستوجب ملامًا على خللٍ صدر منها في حقّ الآداب أَو المبادئ الكاثوليكيّة القويمة

قيل ان غوتنبرغ في ليلة اختراعهِ فنّ الطباعة رأى في حلمٍ ما سينجم عن هذا الاكتشاف من الاضرار الشتى

كانتشار الاضاليل وسرَيان روح الثورة وغير ذلك ممَّا كاد ان يفتَّ في عضدهِ ويصدَّهُ عن افشاء سرّهِ . ومطبعتنا والحمد لله لا يشوب فرحها في هذا اليوم ذكر عيبٍ اتتهُ في طول مدَّتها من شأنهِ ان يزري بمقام اصحابها

فيحقُّ لها ان تفرح بما ادَّتهُ من الخدم للدين القويم وتوطيد اركانهِ وتعزيز شأن اربابهِ كما تشهد لها مصنَّفاتها الدينيَّة العديدة

تفرح بما قدَّمتهُ من شارات الولاء والطاعة للسلطة الشرعيَّة التي طالما دافعت عن حوزتها وذبَّت عن حقوقها

تأنس بأَنَّها كانت من أقوى العوامل في تأييد رئاسة الكرسيّ الرسوليّ في انحاء الشرق ومن اصدق المساعدين للرؤساء الروحيين من جميع الطوائف الشرقيَّة على تتمَّة مهامّهم

تسرُّها خدمتها الآداب مدَّة خمسين عامًا وهي لم تكفَّ عن نشر التآليف العديدة في كل الفنون الادبيَّة

ترتاح لاعلائها منار العلوم والمعارف البشريَّة التي من شأنها ان تفقّه العقول وتسمق بدارسيها الى مراقي الحضارة مُثبتةً على رؤوس الأَشهاد الاخاء المتين بين العلم والدين

تلك هي الاعباء التي قامت بها هذه المطبعة فاثنى عليها كل قاصٍ ودانٍ وناهيك بما اثبتهُ البشير من اقوال امام

الاحبار ونيافة القاصد الرسوليّ على سوريَّة والسَّادة الاجلَّاء بطاركة الطوائف الكاثوليكيَّة باجمعهم وكلُّهم يثنون على هذا المشروع وعلى المرسلين القائمين بهِ اعطر الثناء . وقد تلطَّف السيد العلَّامة المنسنيور يوسف العلم وترجم عن افكار اهل بلادنا بقولهِ في هذا اليوبيل :

أكرِمْ بمطبعةٍ قضتْ من عهدها ... خمسين عاماً بالمعارف زاهره
واليومَ ذا يوبيلُها متقبِّلٌ ... منَّا التهاني من قلوبٍ شاكره
كيف السبيل الى قضاء حقوقها ... فُرِضَ الثنا وحقوقُها متثابره
وعلومُها وفنونُها وصفوفُها ... بصنوفها مثل البحار الزاخره
وبريدُها يبدُو بطلعة مشرقٍ ... وبشيرُها تهوى النفوسُ بشائره
هيا بنا ندعو طوابعها التي ... منها تلقَّينا العوارفَ ماطره
فلنطبعنْ منَّا الثناء عداد ما ... طبعت صحائفُها الحروفَ الوافره
قل انما طبعاتها بقلوبنا ... لا تُمْحى والنفسُ منَّا ذاكره
ان الديانة والعلوم واهلها ... تُهدي الثناء لفضلها مُتفاخره
خيرُ العوارفِ بالمعارف لا سوى ... هذي تدوم مع الدهور معاصره
قد يُفقَدُ المال العزيزُ وانما ... العلم الشريفُ لهُ الحيوة مضافره
ان المطابعَ للعلوم جداولٌ ... تجري الى كل الورى متشاطره
لكنَّما خيرُ المطابع ما غدَتْ ... للدين والآداب عيناً ساهره
للعلمِ بالوَحيِ الكريم علاقةٌ ... ترعى جوانبَها العيونُ الطاهره
ما كل من قال القصائد شاعرٌ ... والحكمُ في هذا لأُذنٍ شاعره
يا أيها الرحمانُ صُنْ جمعيَّةً ... عقدَت عرى الآمال بأبن الناصره
باسمٍ لهُ دُعِيت تتيهُ تعزُّزاً ... لأسمٍ لهُ تعلو الخلائقُ صاغره

امير مراكش والبابا اينوشنسيوس الرابع

طرفة للاب انطون ربّاط اليسوعي

في مكتبة مخطوطات الفاتيكان السرّية برومية عدّة رسائل عربيّة دينيّة ذات شأن كنّا اطّلعنا على شذرات منها فرغبنا في نقل بعضها بالفوتوغرافية ومنذ اسابيع قلائل جاءتنا اضبارة من هذه المنقولات فاستلفتت نظرنا رسالة مخطوطة بالحرف المغربي البديع الشكل فأجهدنا النفس على قراءتها رغمًا عن الصعوبة المسبّبة عن رسمها الفوتوغرافي وعن نوع تركيب الحروف ومرور سبعة قرون على القرطاس بحيث اتلف منهُ الهامش . فاذا بها رسالة من امير مراكش ابي حفص عمر الملقّب بالمرتضي الى البابا اينوشنسيوس الرابع كُتبت في ١٧ ربيع الاول عام ٦٤٨ هجري (١٢٥٠ مسيحيّة) وهي تملأ وجهًا وربع وجه من صفحة كبيرة ابتدأ فيها الخطّاط بالبسملة واتبعها بالحمدلة بحرف كبير ثم نضّد الرسالة على ترتيب خاص بحيث انهُ قصّر الاسطر ووسّع الهامش تباعًا ثم عاد فملأ الهامش بتمامه . وهي محفوظة بين مخطوطات قصر سنت انجلو في الخزانة السابعة العليا الرابعة العدد ١١ (١)

ولمّا رغبنا في نشرها جعلنا ننقّر في تواريخ العرب ومؤلفات الاوروبيين عسانا نطّلع على تفاصيل اخرى عن هذه العلاقات واسبابها ونتائجها فعثرنا في المجلد الواحد والعشرين من تاريخ العلّامة بارونيوس (٢) على رسالة بعث بها البابا اينوشنسيوس الى صاحب مراكش تاريخها ٢٥ اذار ١٢٥١ يلمّح بهِ الحبر الاعظم الى معنى ما احتوت عليهِ رسائله السابقة وكأني بالبابا كتب رسالته هذه الاخيرة قبل اطلاعه على جواب الامير عمر الذي نحن بصدده . فجمعنا بين اقوال كتبة اوروبة وبين اقوال مؤرخي العرب كابن خلدون في تاريخهِ وابن ابي دينار صاحب «كتاب المونس في اخبار افريقية وتونس» والامام صالح بن عبد الرحيم صاحب «روض القرطاس في اخبار المغرب وفاس» ومحيي الدين صاحب «كتاب المعجب في تلخيص اخبار المغرب» وغيرهم واستخلصنا الافادات التالية ليقرب فهم الرسالة على القرّاء الكرام

(١ Arch. S. Angelo Armadio VII Capsa IV. n° 11

(٢ Baronii Annales, t. XXI, Innoc. IV anno 9. 1251. n° 29

امير مراكش صاحب الرسالة — قال ابن ابي دينار « هو ابو حفص عمر بن الامير اسحق بن الامير عبد المؤمن بن علي بويع في ربيع الاخر سنة ٦٤٦ بعد موت ابي الحسن علي الملقَّب بالسعيد. عُقد لهُ البيعة بمدينة رباط الفتح وارتحل الى مراكش واخذ البيعة عن اهلها واستقام لهُ الامر من مدينة سلا الى مدينة السوس ». وقال الامام ابو محمد صالح بن عبد الحليم في كتاب روض القرطاس : « هو عمر بن السيد ابي ابرهيم اسحق بن امير المسلمين يوسف بن عبد المؤمن... » قال ابن زيني دحلان في كتاب المستطاب : « وفي مدتهِ كثرت الفتن بينهُ وبين مرين واستولى بنو مرين على مدينة فاس ثم حاصروا مراكش فصالحهم على مالٍ يدفعهُ اليهم كل عام ... » وهو الامير الثالث عشر من امراء الدولة الموحدية ولي الامارة غرَّة ربيع الاول ٦٤٦ ه ومات سنة ٦٦٥ وقام بعدهُ ادريس ابو دبوس فمات سنة ٦٦٧ وبهذا انقرضت الدولة الموحدية وانتقلت بلاد المغرب الى حكم بني مرين وصارت افريقية الى بني حفص

محمد بن تُومَرت المتسمَّى بالمهدي — ورد في الرسالة ذكر هذا الرجل الشهير الذي اسهب مؤرخو مراكش في وصف احوالهِ واخبارهِ فاردنا ذكر شيء من امره. قال صاحبا المونس والمعجب وغيرهما : لمَّا كانت سنة ٥١٥ ه قام بسوس محمد بن عبد الله بن تومرت في صورة آمرٍ بالمعروف ناهٍ عن المنكر .. وكان قد رحل الى المشرق في شهور سنة ٥٠١ ه في طلب العلم وانتهى الى بغداد ولقي ابا بكر الشاشي فاخذ عليهِ شيئاً من اصول الفقه وسمع الحديث علي المبارك بن عبد الجبَّار ولازم ابا حامد الغزالي ثلاث سنين وحصل عليهِ علماً عظيماً. فقفل راجعاً الى المغرب سنة ٥١٠ فلقيهُ عبد المؤمن بن عليّ فانضاف الى خدمتهِ ثم رحل الى فاس ومنها الى مراكش يدعو الى علم الاعتقاد على طريق الاشعريَّة وينها عن المنكر فلحق بهِ كثيرون فبايعوهُ على الرخاء والشدة ثم بايعتهُ القبائل وانتشر خبرهُ في كل الانحاء واتاهُ الناس من كل فجّ فاعلمهم انهُ الامام المهدي المنتظر وجعل توحيداً بلسان البربر وسمَّى الذين دخلوا في طاعته الموحدين فأُشربت قلوبهم محبته واجسامهم طاعته ثم جرت لهُ وقائع مع دولة المرابطين فكان اصحابه ظاهرين واحوال المرابطين في اختلال وتقهقر الى ان تملكت الدولة الموحدية على البلاد والله يرث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

سبب الرسالة — كان ابن يعقوب المنصور الملقَّب بالعادل امير مراكش فوَّض امر

الاندلس الى اخيهِ ابي العلاء ادريس فقوي امر ابي العلاء في الاندلس ثم بويع لهُ فيها ولم يلبث ان جاز البحر الى مدينة سبتة طلباً للامارة وجرت بينهُ وبين العادل ثم بينهُ وبين يحيي خلف العادل حروب كانت فيها الغلبة لابي العلاء وجُدِّدت لهُ البيعة وسمّي المأمون. قال الشيخ محمد بن ابي القاسم الرعيني القيرواني : كان ابو العلاء فصيح اللسان ضابطاً للحديث الشريف حسن الصوت والتلاوة سالكاً في امور الدنيا والدين حازماً شجاعاً وهو اوّل من ادخل النصارى الى مراكش استنصر بهم ودخل معهُ اثنا عشر الف نصراني

وجاء في روض القرطاس ان الملك النصراني اشترط شروطاً قبل موازرته بالمال والرجال منها ان تكون الجنود المسيحيَّة في امن من دينهم ودنياهم بمراكش يحفظون شرائع الانجيل ويبنون لهم كنيسة . . . فرضي ابو العلاء بالشروط فامدَّهُ الملك النصراني باثني عشر الفاً من الجنود الباسلة فرافقتهُ الى افريقيَّة ودافعت عن صوالحه وابلت بلاء حسناً في سبيل حقوقه

وما زال عدد النصارى في ازدياد يسكنون احياء بتمامها مع عيالهم ويخدمون الدولة اصدق خدمة في الجنديَّة وتنظيم السلاح الخ حتى ان الحبر الاعظم اقام لهم برضى الامير اسقفاً يسهر على صوالحهم ويهديهم الى مناهج دينهم حفظاً للفرض الواجب وطاعةً لمن انتدبهم لخدمته. لكن احوالهم تغيَّرت في اواسط القرن السابع للهجرة فاصبحوا عرضة للصوص الذين كانوا ينتهزون فرصة غياب الرجال في خدمة الامير فيفتكون بالنساء والاولاد

هذا سبب رسالة الحبر الاعظم سلمها الى اسقف البلدة ليقدمها الى امير مراكش طالباً اليهِ ان يسهر على صوالح النصارى لئلّا تُبخس حقوقهم وعليها يجيب الامير كما يلي :

بسم الله الرحمن الرحيم

صلّى الله على سيدنا محمد وعلى آلهِ وصحبهِ وسلّم تسليمًا والحمد لله وحده

من عبد الله عمر امير المؤمنين بن سيّدنا الامـير ابي ابرهيم بن امير المؤمنين بن امير المؤمنين أيّدهم الله تعالى بنصره وامدهم بمعونته

الى مطاع ملوك النصرانيّة ومُعظَّم عظماء الأمّة الروميّة وقيّم الملّة المسيحيّة ووارث رئاستها الدينيّة البابه «اينه سانس اش» انار الله تعالى بصيرته بتوفيقه وارشاده. وجعل التقوى التي امر عزّ وجلّ بها عُدَّتهُ لحياهُ ومعاده. واناله من سابق الهـداية ما يقضي لمدى العناية بدائم انفساحه وامتداده. تحيّةً كريمةً نراجع بها ما تقدّم من تحيّاتكم الواردة علينا. ويترجم لكم ارجُها عمّا تغمّدكم بهِ المنّان لدينا

امّا بعد فانّا نحمد الله الذي لا اله الّا هو حمـدَ من علم انهُ الربّ الواحد الذي دلّت على وحدانيّته البراهين القاطعة والشواهد. . ونصلّي على سيّدنا محمد رسوله المصطفى الكريم الذي وضحت بهِ للنجاة المذاهب والمقاصد. وخُرقت لهُ بظهور المعجزات الباهرة على يديهِ العوائد. ونُصر بالرعب فالقى لهُ يدَ الاستسلام كلُّ من كان يناوي ويعـاند. وعلى آلهِ وصحبهِ الكرام الذين ازدانت بهم الحاضر والمشاهد. ووصلت قصار صوارمهم في مواقف الحروب السواعد. وانجزت لهم في استيلاء الاسـلام على مشارق الارض ومغاربها المواعد. ونسأل الله عزّ وجلّ رضاهُ عن الامام المعصوم. المهدي المعلوم (اطلب المقدّمة). الذي جدَّ بهِ لدين الله تعالى الشباب المعاود. واهلت بهدايته بعد اقفارها المعاهد. وباء بالخسران الخاتل بامره والمُكايد. وعن الخلفاء الراشدين المهتدين الذين تولى منهم اتمام بداية الامام الراشد فالراشد. وعلت بهم لامر الله تعالى المراقي والمصاعد. وعن سيّدنا الامير الطاهر ابي ابرهيم بن سيّدنا الخليفة امير المؤمنين بن سيّدنا الخليفة امير المؤمنين الذي طابت منهُ العناصر والمحاتد. واشتقّ من نبعةِ الخلافة قد اورق نضارة وغضارة فشهد المآبد [؟] . وزهد في الدنيا الفانية. ورغب في الاخرى الباقية فنعم الراغب الزاهـد

وهذا كتابنا كتب الله تعالى لنا حظوظاً من رضاهُ تزكو وتتوفّر. واستعملنا واياكم بكل ما نتهيّأ بهِ لاحراز الفوز لديهِ ونتيسّر. من حضرة مراكش حرسها الله تعالى ودين الله عزّ وجلّ عالٍ مسماه ومصعده. والتوحيـد حالٍ بالظهور جيدهُ ومُقلّدهُ. والسعي معمـل في ابتغاء وجه الله تعالى موفّقه ومسدّده. والحمد لله رب العالمين حمدًا يتوالى على الالسنة تكررهُ وتردّدهُ. ونستدعي بهِ من مزيد النعماء افضل ما وعد بهِ تعالى من

يشكرهُ ويحمدهُ. والى هذا يسّر الله تعالى بتوفيقه اسعادكم. وجعل في طاعته التي تعبّد بها خلقه اهداءكم وايرادكم

فانهُ سبقت منّا اليكم مراجعات عن كتبكم المؤثرة الواصلة الينا وقدمنا نحوكم من الجواب عنها ما تمّمنا بهِ برّكم ووفّينا. وعرّفناكم انّا نوجب لمنصبكم الذي ابرّ في ملّتكم على المناصب. واقرّ لرتبتكم فيهِ اهل دينكم بالشغوف على سائر ما لهم من المراتب. فانتم عندنا لذلكم بالتكرمة الحفيلة ملحوظون. وبالعناية الجميلة محظوظون. نوكد من اسباب المواصلة لكم ما حقّه ان يُؤكّد. ونجدّد من عهود الحفاية بكم ما شأنه ان يجدّد. ونشكر لكم ما توالى علينا من حسن ايثاركم لجنابنا وتردّد. وفي سالف هذه الأيام انصرف عن حضرة الموحدين اعزّهم الله البشب (١ الذي كان قد وصل بكتابكم الينا انصرافا لم يعدم منا فيه شرف واكرام. ولم يغبه فيهِ اعتناء بهِ واهتمام. كما انهُ في المدّة التي قضي لهُ فيها لدينا بالمقام لم نزل نتغمده اثنائها بالاحسان والانعام. وتحمّل كتابنا اليكم تعريفًا بما اختار من انصرافه. وتوخيًا في ما اثره من ذلك لاسعافه. وما قصر لهُ في حالَي مقامه ورحيله. ولا عدل بهِ عن حفّي البر وحفيله وسني المنّ وجزيله. ذهابًا لتكريم اشارتكم السابقة في حقه وسلوكًا بهِ من البر على اوضح طرقه. والله تعالى يرشد في كل الاحوال. لازكى الاعمال لديهِ وينجز من الاقوال والافعال على ما يقرن اليهِ يمنه. ومتى سنح لكم اسعدكم الله تعالى بتقواه ان توجهوا لهؤلاء النصارى المستخدمين ببلاد الموحّدين اعزّهم الله من ترونهُ برسم ما يصلحهم في دينهم ويجريهم على معتاد قوانينهم فتخيّروا من اهل العقل الراجح والسمت الحسن ومن يسير في النزاهة على واضح السنن وممن يتميّز في الخدمة بالمذهب المستجاد والفضل المنتخب وذلكم هو الذي اذا تعيّن من قبلكم مستجمعًا للصفات المذكورة ومتحليًا بالخلال المشكورة حسن في كل ما [يستخدمهُ] وتسنى لهُ بذلك اجزل الخير واوفره وانتم تفون بهذا المقصود في ما تعملون من اختياركم متى ظهر لكم التوجيه بهذا الرسم لاحد وتعتمدون فيهِ اجمل معتمد. وشكرنا لكم كل ما تذهبون اليهِ في جانبنا من تسنية الاغراض والمذاهب. وتحتفلون فيهِ من المساعدة الصادرة منكم عن كرم الضرائب. وتبادرون الى بذله من المكارم المناسبة لما لكم في نحلتكم من امامة المناصب مما نكافي بهِ صدق مصادقتكم. ونتوخى منهُ ما لا يعدل عن

١) نطقهُ تعريب Episcopus

مواقفتكم جزاء لبركم بامثاله واعتناء بما يقضي لولائكم بدوامه واتصاله بحول الله تعالى وقوته وهو سبحانهُ ييسرنا لنيل الحسنى والزيادة من فضله . ويأخذ بنا في ديننا ودنيانا على اقوم سبله . ويجعلنا وايَّاكم بما يمنحنا من التوفيق في اول رعيل من حزب الحق واهلهُ بمنه وكرمه لا رب سواه

كتب في الثامن عشر من شهر ربيع الاول عام ثمانية واربعين وستمائة

[عنوان الرسالة :]

الى مطاع ملوك النصرانيَّة ومعظم عظماء الامة الروميَّة وقيم الملة المسيحيَّة ووارث رياستها الدينيَّة البابه « اينه سانس اش » انار الله تعالى بصيرته بالتوفيق والارشاد ومنحهُ بتقواه سعادة المحيا والمعاد

يمين العليّ

رواية تاريخية للاب س. ت اليسوعيّ (تتمَّة)

الفصل الخامس عشر

في اكدار الحاضرة ومسرات الآخرة

غابت شمس ذاك اليوم المعدود وارخى الليل سدولهُ على بيروت . وبينما كانت اصوات الشعب المائج تملأُ انحاء المدينة ضجيجاً كان سكوت الموت يحوّم على ملعب بيروت فترى في ساحتهِ خلطاً من العظام المهشَّمة واللحمان المتقطعة التي لا تُعرف لها صورة . وعلى مقربة منها كانت الوحوش الشبعى رابضةً تهضمُ مآكلها البشريَّة ريثما تقوم في غدٍ فتغتذي من بقاياها

وبعد وهنٍ من الليل طلع القمر فانار باشعَّتهِ الفضيَّة تلك الجثث وكان هناك بعض النصارى اتوا ليصلُّوا لاجل اخوانهم المتوفين بالرب فخيّل لهم انَّ البدر سجّى الموتى باكفان من النور وان ملائكة السماء انحدرت لتجعل فوق هامهم اكاليل الظفر

امَّا دار الورود فانَّها كانت عادت الى افراحها السابقة برجوع صمونيل ربّها . فقضى فيها الشيخ المسكين ايَّاماً من الراحة لم يعهدها منذ نحو عشرة اشهر . وكان يزيد فرحهُ

انهُ يرى في قلب ابنتهِ من العواطف اللينة وشواعر البرّ والتُقى والتفاني في خدمتهِ ما لم يختبره سابقًا وهو لا يدري انَّ تنصُّرها كان اشربها روحًا جديدًا وغرس في قلبها اسمى الفضائل

وكان راسيوس لا يكاد يفارق الشيخ ويتسابق مع يهوديت في خدمتهِ والقيام بامرهِ فيقضي بقربه ساعات النهار وهو يسمع من فمهِ اخبارهُ الفاجعة التي جرت لهُ في الاشهر الاخيرة اذ كان مع اليهود المحاصَرين في المدينة المقدَّسة وكيف نجا مرارًا من الموت ووقع اخيرًا في يد الرومان وكان يخبر ذلك بصوت اجشّ تقطعهُ نوبات السُعال وضيق النَّفس. وكان لا يزال يردّد آيات الشكر اليهِ تعالى اذ اعادهُ سالمًا الى دارهِ. ولكن كان يسوؤهُ ان لا يرى مع ابنتهِ العزيزة ولدهُ يوسف وهو يتعجَّب كيف لم يسأل هذا عنهُ ولم يهتمّ بامرهِ وترك شقيقتهُ وحدها بلا مساعد ولا سلوان. على انهُ كان يفرح اذ يرى بدلًا من ابنهِ ابنًا آخر اعزّ وابرّ وهو الضابط راسيوس الذي ارسلهُ الله كملاك لينجّيهُ من مخالب الموت. وكان شتاء تلك السنة لطيفًا فكانت يهوديت وراسيوس يؤمّلان ان صموئيل يعود الى العافية تمامًا. بيد انَّ احكام الله كثيرًا تخالف احكام البشر

وذلك أنَّ صموئيل بعد خروجهِ من الاسر كان اصاب اوَّلًا بعض الراحة لكنَّهُ ما علق ان انتكس وتسلَّطت عليهِ حُمَّى لم تكد تفارقهُ. فضاعفت يهوديت اهتمامها بوالدها واستدعت نطس الاطبَّاء من بيروت وجوارها الَّا انَّ ادويتهم لم تنجع في جسم انتهكت قواهُ اصناف الاوجاع. ولمَّا ارادت الفتاة التقيَّة ان تقف على حقيقة الامر اشار الى السماء احدهم وكان نصرانيًا يدعى لوقيوس ففهمت يهوديت انَّ حبَّها لا يحفظ لابيها حياتهُ

وبقيت مع ذلك عند فراش الشيخ تخدمهُ خدمةً نصوحًا وهي تلطف اوجاعهُ وتعزّيهِ وتبشّ لهُ. وكانت مع ذلك تفكّر في خلاص نفسهِ اكثر منها في جسدهِ فتتوسَّل الى فادي العالم ان لا يسمح بموتهِ قبل ان يصطبغ بمياه المعموديَّة

واذ كانت يومًا تمرّض اباها بتفانٍ عجيب حاك نظرُها في قلب والدها فسألها كيف يمكنهُ ان يجازيها عن برّها وعظم حبّها. فنظرت اليهِ يهوديت برقَّة وقالت:

« أفليس من الواجب على الولد ان يضحّي نفسهُ في علَّة وجودهِ. فاعلم يا ابتاه انَّ

اعظم جزاء انتظرهُ منك بركتك الوالديَّة . ثمَّ اطلب اليك ان تسمح لي بان ادين بالنصرانيَّة بعد ما تمَّت اقوال يسوع الناصريّ في مدينتنا اورشليم وخابت آمال اسرائيل»

قالت هذا وسكتت لترى مفعول كلامها في ابيها . واذا بصموئيل رفع بعينيهِ الى السماء كأنهُ يطلب مشورةً من الله فيما يجيب ابنتهُ . وبعد قليل التفت الى ابنتهِ قائلًا:

« اني اباركك يا ابنةً عزيزة من صميم الفؤاد . وان وجدتِ في النصرانيَّة ما يضمن لك سعادة القلب وراحة الضمير فاني لستُ اشاء ان احول دون رغائبكِ »

وقعت هذه الاقوال في قلب يهوديت كالندى على العشب فاثلجت صدرها وعلمت ان الله مهَّد لها الطريق لخلاص والدها . فاردفت والدموع تترقرق في عينيها:

« لا اخفي عليك الحقيقة يا ابتاه فاني نصرانيَّة منذ شهرين . وان كنتَ وجدتَ لابنتك بعض الفضائل التي لم تعهدها لها فإنَّ ذلك الَّا ثمرة ديني الجديد الذي جرَّدني عن اخلاقي السيئة وجعلني امةً للمسيح . والآن ابتِ العزيز ألا توليني نعمةً أخرى اعدُّها لو نلتُها من اكبر نعم الله اليَّ . . . ألا تريد ان ترافق ابنتك في سعادتها وتؤمن بذاك الذي دعا امَّتنا الى الخلاص وتنبَّأت عن مجيئهِ انبياؤنا . . . آه ما اكبر ما يكون فرحي لو اقررتَ معي بانَّ يسوع الناصري هو المسيح الحقيقي . . .»

ولم يمكن ليهوديت ان تزيد على هذا شيئًا الَّا انَّ الدموع بلَّت وجنتيها فعرف صموئيل انَّ ابنتهُ وجدت بتنصُّرها نعيم البال وراحة القلب فقال لها:

« كفّي دموعكِ يا عزيزتي فان شاء الله بعد شفائي اذهب واياكِ الى قبرس فتحضرين هناك عماد والدكِ . . .»

لم تكن يهوديت لتظنَّ ان كلامها يعمل في قلب والدها هذا العمل مع ما كانت تعرف لهُ من التعصُّب لدينهِ وبغضهِ لشيعة الجليليّين الَّا انَّ ما شاهدهُ من انجاز نبوَّة المسيح في سقوط اورشليم كان قطع حبل رجائهِ في ملك اسرائيل ووعَّر الطريق في قلبهِ للايمان . . . ولكن ما العمل وابوها لا يعرف انَّ زمانهُ قصير وموتهُ وشيك

فاخذت الفتاة تترصَّد الفرصة لتقنع اباها بتعجيل عمادهِ . فما لبثت ان وجدتها فانتهزتها . وذلك انَّها كانت وضعت نسخةً من انجيل متى المكتوب بالعبرانيَّة قبل ٢٥ سنة على منضدةٍ قريبة من فراش والدها فاذا رأتهُ غفا قليلًا اخذت الكتاب فقرأت منهُ بعض الآيات

فاذ كان احد ايام كانون الاوّل وتحسّن نوعاً حال صمونيل سأل ابنتهُ عن الكتاب وفحواهُ فقالت من ساعتها: « دعني يا ابتِ اقرأ لك منهُ فصولًا فاني لتأكدة انك تجد في استماعهِ لذّةً وانشراح بالٍ ؟. ولكن لا اقراهُ حتى يخرج صديقنا راسيوس لأنهُ وثنيّ ومدار الكتاب على اسرائيل ومسيحهِ . . . »

قالت هذا وهي تتبسّم ولا تعلم ما جرى لراسيوس مع النصارى. فزجرها الضابط بلطف وقال: « اتكونين انتِ ايضاً مسيحيّة » ؟

قالت: نعم واملي انهُ لا يمرّ علينا يوم تذكار ميلاد المسيح في ٢٥ ك حتى يعتمد ابي ويا ليتك يا صاح كنت تعرف النصرانيّة لصرت . . . »

فقاطع راسيوس كلام يهوديت قائلًا: وما ادراكِ اني لا اعرفها ؟

— وكيف عرفتها وانت جندي لا تفكر الّا في الحروب ؟

— ساء ظنّكِ ؟ فاني وان لم اكن مسيحيًا اعرف النصارى حقّ المعرفة

فتعجّبت يهوديت من قولهِ وسألتهُ كيف اتّصل الى ذلكِ. فاخبرها راسيوس امام ابيها ما جرى لهُ في صيداء وكيف اجتمع بالنصارى وعمل في قلبهِ ما شاهدهُ فيهم من الفضائل. ثم قصّ عليها حكايتهُ مع لاونطيوس النصرانيّ وكيف ارتبط مع هذا الضابط الهمام بربط الصداقة والحبّ ثم اختبر فضلهُ السامي لمّا قام بتمريضهِ ولولاهُ لما اصاب الشفاء من جراحهِ

فسُرّت يهوديت بهذا الخبر ايّ سرور لكنّ فكرها وقتئذٍ كان منصرفاً الى والدها لئلّا تفوتهُ ساعة النعمة فقالت: ترى يا ابتِ ان الله سهّل لك الامور. فانّ ابنتك نصرانيّة والذي خلّصك من الموت امتحن النصارى وعرف فضلهم فها انني وايّاهُ نتعاقب في تعليمك حتى اذا حان يوم العيد تصطبغ بمياه العماد

فاثّر كل ذلك في قلب صمونيل ولم يستطع ان يردّ امل ابنتهِ خائباً فقال: « ليكن كما تشائين »

فكانت يهوديت كلّما ترى والدها مرتاحاً تشرح لهُ اسرار الديانة وتقرأ لهُ فصولًا من الانجيل بينما كان راسيوس يسمع لكلامها العذب ويؤيدهُ بقولهِ « انهُ لا يظنّ بانّ على الارض ديناً كالنصرانيّة يجرّد المرء عن الامور الزائلة ويحملهُ على ممارسة اعظم الفضائل كحبّ الاعداء والتواضع والكفران بالنفس مع ما في هذه الديانة من

الاسرار المعزّية والعقائد الموافقة للعقل الصائب »

وكان صموئيل كالارض العطشى يتقبّل هذه التعاليم برغبةٍ وقنوت وكانّ الروح القدس قد مسّ قلبهُ واثار عقلهُ فتعلّم باقلّ من اسبوعٍ كلّ ما يجب على المسيحيّ ان يعرفهُ من دينهِ . ولمّا خاف أن تفوتهُ نعمة العماد اذا أخّرها الى عيد ميلاد الرب جعل يلحُّ على ابنتهِ لكي تأتي لهُ بالاسقف كوارتوس لينصّرهُ باقرب وقت

فاجابت يهوديت الى سؤلهِ بطيب الخاطر وارسلت الى الاسقف تستقدمهُ لهذه المهنة الشريفة . فلبّى الى دعائها وفي ليلة اليوم الخامس عشر من كانون الاوّل سال ماء الخلاص على راس والدها وقلبهُ يطفح فرحاً واراد ان يتسمّى بسمعان ذكرًا للكاهن الذي وُعد بمعاينة المسيح

وكان راسيوس حضر هذه الرتبة فأثّرت في قلبهِ وزادتهُ ميلًا الى النصرانيّة الّا انّ ساعة تنصُّرهِ لم تدقّ بعد

ومضى على صموئيل ثلاثة أيّامٍ وهو لا يملّ من الشكر لله على ما اولاهُ من نعمة التنصُّر فيكرر قول سميّهِ سمعان الشيخ : « الآن ارسل يا رب عبدك بسلام لانّ عينيَّ عاينتا خلاصك » فكان جسمهُ يزيد نحولًا وقواهُ تنحلّ شيئاً فشيئاً حتى لحظت يهوديت انّ اجلهُ قد دنا وكان الطبيب لوقيوس اعلمها بانهُ لا يعيش طويلًا

فعرضت على والدها ان تأتي لهُ بالاسقف ثانيةً ليصلّي عليهِ ويطلب لهُ الشفاء من دائهِ بمسحة المرضى . ففهم سمعان انّ آخرتهُ قريبة فسُرَّ بذلك واعدَّ نفسهُ لقبول الاسرار

فلمّا كان المساء اجتمع كلّ اهل الدار من خدم وعبيد وحضروا هذه الرتبة بخشوع عظيم . فدخل كوارتوس وزوّد الشيخ بالاسرار المقدَّسة وقوّاهُ بدهن المرضى واعدَّهُ لابديّتهِ . وكان الحضور يبكون ويصلّون معاً . فلمّا انجز الاسقف عملهُ شكرهُ سمعان واهداهُ ملكاً واسعاً ليقيم فيهِ كنيسة لنصارى بيروت . ثم التفت الى عبيدهِ وقال لهم : اني اتأسّف على ما فرط مني سابقاً في حقكم فاغفروا لي ومنذ الآن لم أُعد اعتبركم كعبيد بل كاصدقاء فان شئتم اذهبوا احرارًا في سبيلكم . وغاية ما اتمنّى ان تؤمنوا بايماني »

ثم انتصب على فراشهِ واشار الى ابنتهِ يهوديت والى راسيوس الضابط ان يقتربا فلمّا دَنوَا منهُ جعل يد يهوديت في يد راسيوس قائلًا : « كان لي ابنٌ الّا انهُ اهملني وجحد نعمتي ولم يبالِ لاختهِ فقمْ انت يا راسيوس عزيزي مقامهُ وهذه ابنتي وحشيشة

قلبي فاني اقرنك بها وابارككما جميعاً » ثم رفع ذراعهُ على الزوجين وباركهما بينما كانا منحنيين تحت يده تخنقهما العبرات

وما كاد يتم بركتهُ حتى سقط على فراشهِ واغمض عينيهِ فظنَّ الحضور انَّهُ بارح الحيـاة . . . لكنَّهُ بعد قليل عاد وفتحهما كأنَّهُ يرى رؤيا سماويَّة وصرخ : « هلمَّ يا ربّ . . . وارحم عبدك . . . اغفر لشعبنا . . . اغفر لولدي . . . يسوع . . . مريم اقبلا روحي » قال هذا وفاضت نفسهُ البارَّة على انَّ ثغرهُ بقي باسماً يدلُّ على سعادة نفسهِ

فبقيت يهوديت وزوجها راسيوس حيناً يصلّيان ويقبّـلان يدي الشيخ الميت الّا انَّ موتهُ الصالح كان لهما اقوى تعزية فخيل لهما انه سبقهما الى دار البقاء ليحرسهما ويشفع بهما

*

قضت يهوديت ايَّام حدادها منفردةً عن العالم منقطعةً الى زوجها الذي جمعهـا وايَّاهُ قول والدها الاخير . الّا انَّها منذ وفاة والدها كانت اشواقها الى السماء اكثر منها الى الارض كانَّ الله لم يحفظها بين تلك الاوجاع المتوالية الّا لخلاص علَّة وجودها . امَّا راسيوس فانهُ يوم حظي بابنة صموئيل احسَّ كانهُ اصـاب كنزًا عظيماً . بل كان يرى في زوجتهِ ملاكاً جعلهُ الله حيناً في ملكهِ ليغني نفسهُ بالمواهب الالهيَّة . وكانَّ بقلبهِ كان يناجيهِ بانَّ يهوديت لا تبقى لهُ زمناً طويلاً وانَّها ثمرة حان قطافها لدار الخلود

وفي صباح احد ايَّام شباط اتى البريد بكتاب ليهوديت فعرفت من عنوانهِ انَّهُ خطّ اخيها يوسف فاسرعت الى فضّ ختمهِ لترى ما جرى لذاك الشقيق المحبوب الذي كاد ابوهُ يرميهِ باللعنة قبل وفاتهِ . فاذا هو مكتوب من الاسكندريَّة وفيهِ ما حرفهُ :

« بلغني خبر وفاة ابي وهو لم يذكرني عند موتهِ بخير ولكن بركتهُ وشتمهُ سيَّان عندي . . . امَّا الوراثة فسأطالبكِ بها عمَّا قليل عند قضاة الرومان . . . ولكن عليَّ قبل ذلك نذرًا اوفيهِ ان شاء الله وهو ما سبقتُ واعلمتكِ بهِ انكِ لا تحظين زمناً طويلاً بمحبوبك الرومانيّ . . . فستعرفين عمَّا قليل ما في قلبي لك ولهُ من البغض . . . أُعلمتُ انَّ هذا الجنديّ قد تنصَّر وانك سبقتِهِ الى هذا الدين . . . فكفاني بذلك وصلةً الى مرامي وتشفياً من حقدي »

قرأت يهوديت هذه الالوكة فكانت في قلبها بمثابةِ سهمٍ رشقه او حيَّة نفثت فيهِ

بسمّها. ولمَّا كان حبُّها لراسيوس شديدًا لم تشأ ان تطلعهُ على مضمون تلك الرسالة لئلَّا تكدّر صفاء حياتهِ. بيد انَّ هذا الجرح الاليم كان القاضي على حياتها فاخذت قواها في الانحطاط رويدًا رويدًا وضاق نفسها وعلا الاصفرار وجناتها حتى انَّها لم ترَ بدًّا من ملازمة الفراش

فقلق راسيوس واوفد للحال الى لوقيوس الطبيب يستدعيهِ فجاء وفحص جسم يهوديت فعلم انَّها لا تشفى من مرضها. ولمَّا خرج من غرفتها وطلب منهُ راسيوس ان يوقفهُ على حقيقة الامر اكتفى بان يقول: « قد حسدك السماء على كنزك »

فادرك راسيوس معنى هذا القول وامتلأ قلبهُ حزنًا لكنَّهُ تجلَّد امام يهوديت لئلَّا يزيد وجعها. امَّا هي فشعرت انَّ ضوء حياتها اوشك ان ينطفئ ولمَّا عاد زوجها الى غرفتها قالت لهُ: « ما راي الطبيب ؟ »

— يرى انَّ مرضكِ عرضيٌّ

— لا لا تخدعني يا عزيزي فاني شاعرةٌ بقرب حلول الاجل. على اني لا اخاف الموت بل هو في عيني كبابٍ لعالم آخر حيث الفرح الدائم والخير العميم

فهمَّ راسيوس ان يخفي عنها تأثُّرهُ لكنَّ الدموع غلبتهُ فترامى على عنق يهوديت لا يستطيع ان يفوه بكلمةٍ

فجعلت هي تعزّيهِ وتطيّب قلبهُ قائلة: « ليس على الارض نعيم باقٍ امَّا هناك فالوصال بلا انفصال والتلاقي بلا فراق »

وكان راسيوس لشدَّة محبَّتهِ لزوجتهِ لم يشأ ان يصدّق بموتها القريب فلم يدع وسيلةً الَّا توسَّل بها ولا طبيبًا الَّا استشارهُ. ولكنَّ قضاء الله لا يُردّ فانَّ المرض كان يتثاقل على يهوديت يومًا فيومًا وهي لا تزيد الَّا صبرًا جميلًا وشوقًا الى السماء حتى اذا كان احد الأيام اصابتها نوبةٌ كادت تكون القاضية عليها فبقيت حينًا بين الحياة والموت فلمَّا افاقت اشارت الى راسيوس فقالت بصوت متخافت:

« ترى يا صاح انَّ ما قلتهُ لك في قرب وفاتي امرٌ يقين. . . » فاجهش راسيوس بالبكاء ثم قال: « وكيف تموتين يا عزيزتي وانا ابقى وحدي بين الاكدار والاوجاع »

قالت يهوديت: اعلم يا صاح انَّ فراقنا ليس بطويل وقد اعلمني ربّي انهُ سيجمعنا

عمّا قليل في دار النعيم . . . ولكن اسألك واحدةً فقط قبل وداعك أتعـدني بانك لا تردّني خائبةً »

— ولو طلبتِ نفسي لما ضننتُ بها عليكِ

— ارغب اليك ان تجحد دين الاصنام . وتدين بدين المسيح

فسكت راسيوس قليلًا واردفت يهوديت :

« لا تدعني اموت قبل ان تحقق امانيّ »

قال راسيوس : اني اقسم برأسكِ اني لن اعرف ايمانًا غير ايمانك

— ومتى تفي بوعدك ؟

— في هذا المساء

فاستبشرت يهوديت وكانَّ نورًا سماويًا جلّل محيّاها فقالت : اذن اموت فرحةً وها انا اذهب الى ربّي لأُعدَّ لك المكان حيث نجتمع قريبًا كما وعدني المسيح

ثم قضت بقيَّة ذلك النهار وهي تتكلّم مع زوجها عن الدار السرمديَّة التي تنتظر عباد المسيح الذين كفروا بنفوسهم وحمـلوا الصليب معهُ الى ان قالت : « وان دعاك الربّ الى الجهاد في سبيل ايمانك فلا تأبَ ان تهب لهُ دمك الذي طالما كرمتَ بهِ في الدفاع عن الوطن . . . فانَّ المسيحيّ يرى في الاستشهاد افضل نعمةٍ يتمنَّاها »

ثم امرت يهوديت كلّ الخدم بان يزيّنوا الدار احسن زينةٍ وينصبوا في القـاعة الكبرى مذبحًا يزدهي بالانوار ويتلالا بضياء المشاعل وارسلت من يُقـدم بالاسقف كوارتوس لرتبة العماد

فلمَّا دخل الشيخ الجليل كان راسيوس جاثيًا يُصلّي عند فراش يهوديت

فانتصبت المريضةُ على فراشها لئلاَّ يفوتها شيء من هذا المشهد المؤثر فلمَّا رأت الماء المقدّس يسيل على جبين حبيبها صرخت : « ها قد تمَّ » وسقطت على فراشها مغشيًا عليها . فتسارع الكل حولها وظنُّوا انَّها قد ماتت . فاخذ راسيوس بيدها فبلّها بدموعهِ . واذا بيهوديت فتحت عينيها لآخر مرَّة فقالت : « الوداع الوداع ايُّها العزيز اني انتظرك عند الله حيث نحيا الى الابد »

ثم التفتت الى الاسقف كانَّها تطلب بركتهُ ودخلت في النزاع . فباركها كوارتوس من صميم الفؤاد ثم قال : « اخرجي ايَّتها النفس المسيحيَّة من هذا العالم واذهبي الى الاب

الذي خلقكِ . . . الى الابن الذي فداكِ . . . الى الروح القدس الذي قدّسكِ . . » فسمع الحضـــور يهوديت تقول: « يسوع . . . مريم . . . هلمّ معي يا عزيزي راسيوس » ثم شهقت شهقة اخيرة وتطايرت نفسها البارّة الى جنان الخلد . امّا جسدها النحيف فلاح للحضور كانهُ لبس شيئاً من انوار القيـــامة . وكان الذين يرونهُ محفوفاً بالزهور يعدّونهُ كاحد الزنابق العطرة التي حولهُ يجاريها نقاوةً وطهرًا

من لنا أن نصف بحر الاحزان الذي غاص فيهِ الضابط راسيوس بعد وفاة قرينتهِ . فان هذا المصاب الجلل ضعضع ركنهُ وامرّ عيشهُ وكانّ الدنيا اظلمت في عينهِ فلم يعد يجد فيها غير شجىً ومرارةً

وكان اهل بيروت يرونه في صباح كل يوم يخرج الى اكمةٍ مطلّـــة على نهر بيروت وهو خاشع البصر كاسف البال فاذا بلغ اعلاها دخل مدفناً هناك على شبه مغارة كان فيهِ قبر من رخام اودعه جسم يهوديت . فكان يكبُّ على القبر ويقضي ساعات طوالًا وهو يصلّي ويبكي فلا يرجع الى دار الورود الّا المســاء فيخال للذين يرونه في هذه الحالة انهُ فقد رشدهُ لحزنهِ

وكان لاونطيوس صديقهُ بعـــد الحرب الاورشليميّة عاد الى مركزهِ في طرابلس فبلغهُ ما اصاب راسيوس من الاكدار بموت قرينتهِ فقام من ساعتهِ واتى بيروت فرثا لحال صديقهِ وبكى معهُ طويلًا وزار قبر يهوديت مرارًا وكان لا يدع فرصةً ليطيّب قلبـهُ ويخمّد اشجانهُ ويرقّي بآمالهِ الى حيث سبقتهُ زوجتهُ لتعدّ لهُ مكانًا في السماء . ولم يزل يضمّد جراح قلبهِ حتى اقنعهُ أن يخرج مـــدّةً من بيروت لترويح البال فيأتي معهُ الى طرابلس . وكان راسيوس تمنّع مدّةً لئلا يفوت عن نظرهِ قبر حليلتهِ الّا انهُ لم يستطع آخرًا الّا مطاوعة صديقهِ فخرج معهُ وهو لا يدري انهُ سيلقى حتفه في سفره هـــذا ويجتمع بيهوديت الى الابد

*

لم ينسَ يوسف وعيدهُ وانّما كان واقفاً لراسيوس بالمرصاد . وتيسيرًا لبلوغ مآربهِ القبيحة اتى من الاسكندريّة الى طرابلس ليترصّد فيها الفرصة لنصبْ المكايد . وفيها بلغه خبر وفاة اختهِ يهوديت فسُرّ بذلك سرورهُ بموت احد اعدائهِ لكنّ هذا لم يشفِ الّا قسمًا من بغضهِ فاخذ اوّلًا يتقرّب الى حاكم طرابلس وكان هذا اسمه ادريانوس وهو رجل

عريق بالوثنيَّة شديد التعصُّب لعبادة الاصنام فاخذ يصوّر له النصارى كاعداء الدين والدولة معاً فيسعى بهم لديهِ ويقبّح سلوكهم حتى اسعر قلبهُ بغضاً عليهم. فكتب الحاكم الى فسبسيانوس الملك يطلب منهُ الرخصة ليتتبَّع النصارى ويكبح ثورتهم ويردَّ كيدهم في نحرهم. فاتاهُ بعد ايَّام الجواب من الملك ان افعل كما تشاء وان اقتضى الامر معاقبة هؤلاء الاشرار بالموت فلا حرج عليك

فسُرَّ يوسف بهذا الجواب الذي وافق وصول راسيوس ولاونطيوس الى طرابلس في ربيع سنة ٧١ للمسيح. وما أُعلم بمجيء الضابطين حتى ذهب الى الحاكم وافادهُ انهما من اعيان النصارى وخوَّفهُ منهما واغراهُ بهما قائلًا: «ان عاش هؤلاء فسلامٌ على الجيش الرومانيّ لأنهما من اصحاب الدسائس وكلاهما يسعى بتنصير الجنود حتى اذا كثر عدد المسيحيين بثُّوا الفتن واثاروا الثوارات على المملكة. فبدار بدار وأسرع الى استنطاقهما واعرض عليهما ان يقدّما بخورًا لتمثال المرّيخ اله الحرب ولعزَّة القياصرة فان فعلا كنتَ في أمنٍ من سوء مقاصدهما وامَّا اذا امتنعا فاعلم ان الخطب عظيم وانَّ الدولة لفي خطر مبين... ولعلَّ احدهما وهو راسيوس يلوذ بطيطس ويدَّعي انهُ من اصدقائهِ فلا تُعِرهُ سمعك»

وكان طيطس بعد الاعياد البهيَّة التي جرت في بيروت انتقل الى اورشليم ليرى بعينهِ انهُ لم يبقَ ثمَّت سبب للخوف ثم ابحر من يافا الى الاسكندريَّة. فبابتعادهِ خلا الجو ليوسف فلم يزل ينحت أثلتهما ويندّد بهما حتى اصاخ اليهِ ادريانوس لاسيَّما بعد ان طمَّعهُ في ثروة راسيوس التي زعم انَّها ملكهُ الخاصّ ووعدهُ بان يقتسمها كلاهما بعد موتهِ

فلمَّا كان اليوم العاشر لوصول الضابطين الى طرابلس وكانا في مساء بعض ايَّام نيسان قد خرجا الى متنزهٍ قريب من المدينة ارسل ادريانوس قائد مئة يأتيهِ بهما عند عودتهما على حجَّة ان لديهِ حاجةً اليهما

فعاد الضابطان عند مغيب الشمس واذا بقائد المئة اوقفهما باسم الحاكم واقتادهما الى مجلس البلد

فما دخلاهُ حتى أُقفلت الابواب فاحسَّ لاونطيوس بوقوع البلاء. فقال لصديقهِ: «لا اعلم ما يُراد منَّا ولكني اعرف انَّ الحاكم من ألدّ اعداء النصرانيَّة فان طلب المسيح منك دمك فلا تنسَ ان يهوديت تنتظرك في السماء»

قال راسيوس: يا « حبَّذا الموت ان كان يجمعني بتلك النفس الطاهرة. وهي قد اعلمتني بان الموت في سبيل المسيح غنيمةٌ »

فلمَّا مثلا امام الحاكم وجداهُ جالساً على سدَّةٍ وعلى جانبيهِ مستنطق وكاتب. وكان يوسف بن صموئيل في قربةٍ ليفحمهما اذا انكرا دينهما. فقال الحاكم: « بلغني انكما تدسَّان الدسائس وتسعيان بخراب الدولة »

قال لاونطيوس: « انَّ شكوى كهذه لغريبةٌ وكلانا راجعٌ من الحرب حيث اهدرنا دماءنا في سبيل الملك »

قال الحاكم: « فان كنت صادقاً يا لاونطيوس هانذا بتمثال المرّيخ وبدمية فسپسيان الملك فقدّم لهما بخورًا »

— اني عبد الاله الواحد المثلَّث الأقانيم خالق السماء والارض فايَّاهُ اعبد ولا ارضى دونهُ الهاً

— حذارِ فان عصيانك يوْدي بك الى الموت الاحمر

— لست اخاف الموت فافعل ما بدا لك

قال ادريانوس: كبلوهُ بالحديد وسوقوهُ الى السجن لعلّهُ يرعوي

ثم صارت النوبة الى راسيوس وكان مثل صديقهِ لاونطيوس حمَّسهُ فانساهُ كل احزانهِ ليفكِّر بوصاة يهوديت الاخيرة اذ قالت لهُ: « وان اهّلك المسيح لتموت في سبيل ايمانك فيا حبَّذا الموت وهو اجزل نعم الله اليك »

فقال ادريانوس للضابط:

وانت ما اسمك؟

— انا مسيحي

— اني اسألك عن اسمك. وأعلم حقَّ العلم بانك تُدعى راسيوس

— ليس تحت ذكر اسمي كبير امرٍ ولكني مسيحي

فاضطرب ادريانوس وقام مغتاظاً من كرسيهِ فقال:

اسجد للآلهة او موتاً تموت

— أتظن ان الموت يخيفني وطالما رهنتُ حياتي للموت في ساحة الوغى. فاعلم اني لا اسجد لاصنامك الصمّ البُكم

— والقياصرة ألا تضحّي لعزّتهم الضحايا

— أكرم القياصرة كنوّاب الله فلهم خدمتي . امّا نفسي فهي لهُ تعالى فقط ولن اعبد غيرهُ الهاً

قال ادريانوس للحضور : انتم شهود على عصيانهِ . خذوهُ الى السجن وليُقتل كلاهما في غدٍ

فسيق راسيوس الى السجن حيث استقبلهُ لاونطيوس بصوت الفرح وقبّل قيودهُ التي غُلَّ بها قائلًا : « قد صدق وعد المسيح ليهوديت فطبْ نفساً وقرَّ عيناً . غداً ان شاء الله تنتهي الاوجاع فنموت كريمَين ونحظى بالاكليل السرمدي الذي وُعد بهِ من يجاهد الجهاد الصالح في سبيل الله »

ثم احييا تلك الليلة في الصلاة وتهلّلا بالتسابيح وكان الجند الذين وكلت اليهم حراستهما يتعجّبون من فرحهما ويستعظمون شهامة نفسهما وهما سايران الى منقع الدم كما يسير الجياع الى المآدب الفاخرة او كما يمشي الابطال الى النصرة الباهرة

فلمّا كان صباح تلك الليلة عقد ادريانوس مجلساً ثانياً وامتثل امامهُ الشهيدان . فالحَّ عليهما بجحود الايمان فلم يفعلا وآثر الموت على الخيانة فامر بان يقطع رأسهما . فلاقى هما هذا الحكم فرحاً وقبّل لاونطيوس رفيقهُ وهو يقول : « اذكر يهوديت فلا يعزّ عليك هذا النهار حتى تحظى بمشاهدتها »

ثم قادتهما شرذمة من الجند الى خارج المدينة الى غابة من الزيتون . فكنت تراهما وهما مسرعان اشبه بمن يركض الى افراح العرس وعلى جبهتهما تلوح امائر السرور والبهجة . فلمّا وصلا الى المكان جثوا قليلًا فصلّيا صلاةً احرّ من النار ثم عانق الرفيق رفيقهُ مشيرين الى السماء وجعل راسيوس على راسهِ منديلًا ليهوديت كان على صدرهِ لا يفارقهُ ليلًا مع نهار

فبعد هنيهة برق السيف على راسهما فقطع حبل حياتهما ليحظيهما بمجد لا تُقاس بهِ آلام هذا الدهر

ولمّا علم نصارى طرابلس بخبر الشهيدين اتوا ليلًا ونقلوا جثتهما باكرام فدفنوا لاونطيوس في بيت احد اعيانهم اقيم بعدئذٍ مكانهُ معبدٌ على اسمهِ . امّا جسد راسيوس رُوفوس فانهُ نُقل الى بيروت وجُعل في المغـارة التي قُبرت فيها يهوديت فاجتمع

جسدهما في تربة واحدة كما اجتمع روحهما في منزل الابرار

على انَّ ادريانوس خاف بعد موتهما أن يبلغ الخبر الى طيطس في الاسكندريَّة ويصيبهُ من جرَّاء ذلك ضررٌ ما فكتب من ساعتهِ الى ڤسپسيانوس يخبرهُ بمكايد الضابطين وعصيانهما وعقابهما . فاجابهُ مستحسناً فعلهُ . اما طيطس فبلغه الواقع واستشاط لهُ غيظاً لكنَّهُ احفظهُ في قلبهِ . ولمَّا جلس بعد سنة على سُدَّة الملك بعد ابيهِ ارسل الى ادريانوس ونفاهُ الى بلاد الخزر . امَّا يوسف فاستصفى كل اموالهِ التي ورثهـا من اختهِ يهوديت فكنتَ تراهُ الى موتهِ لئيماً ممقوتاً وعلى جبينهِ سمة لعنة « عين العليّ » (تمَّت)

رسم خرائط لبنان

للاب هنري لامنس اليسوعي (تتمَّة)

ولمَّا ظهرت هذه الخارطة التي رسمها ضُبَّاط البعثة الفرنسويَّة استحسنها ڤان دي فلد لكنَّهُ ودَّ لو ألحقها اصحابهـا بشرحٍ يرشد القرَّاء الى بيان طرائقها والادوات المستعملة لرسمها ومراكز اقيسة مثلَّثاتها الى غير ذلك من الفوائد اللازمة لضبط الرسوم وتحقيق صحَّتها . وقد انتقد غيرهُ على هذه الخارطة فاخذوا عليها بعض المآخذ منها انَّ اقيسة السواحل لا توافق الخرائط البحريَّة التي كان الانكليز يقومون برسمها آنئـذٍ تحت نظارة الكومندان مَنسِل . فمن اين يا تُرى هـذا الاختلاف وايّ الفريقين هو المُحِقّ او المحقوق ؟ فانَّ الرسَّام ريشرد كيپرت بن هنري كيپرت الشهير اعلن انَّ اقيسة الضباط الانكليز لا تخلو من الخلل (١ وكذلك نرى كتبة الانكليز قد اثنوا اطيب الثناء على الخارطة الفرنسويَّة للبنان (٢ التي يرجَّح كون اصحابها استفادوا من اعمال الضابط الفرنسويّ ديمولين (Desmolins) في اقيستهِ الساحليَّـة . وزد على ذلك انَّ العلاَّمة النمسويّ دينر (Diener) من علماء الجيولوجيَّة قد استصوب عمل الخارطة نفسها وممَّن لم يستحسنها السيِّدة ايزابل برتون امرأة السائح الانكليزي الشهير (٣ بيد

١) راجع ملاحظاتهِ في ملحق رحلة البـارون فون اوپنهيم الى خليج العجم ج ٢ ص ٣٩٦ و ٤٠٥ ٢) راجع المجلَّة PEF, 1865, 75
٣) راجع الكتاب Unexplored Syria I, 95

ان رأيها ضعيف في رسوم الخرائط ولعلّها ارادت بهذا الانتقاد ان تبيّن فضل خارطة زوجها التي ليست بشيء · على راي كيبرت · وكذلك الدكتور پوست من اساتذة الكلّيَّة الاميركيَّة في بيروت فانهُ « وجد الخارطــة الفرنسويَّة قليلة الضبط في تعيين مواقع الامكنة كثيرة الاغلاط في تدوين الاعلام العربيَّة (١ » ونحن وان كنَّا نسلّم بما فرط في خارطة الضبَّاط الفرنسويين من الاوهام في تعريف بعض مواقع الامكنة نرى انَّ اغلاط الانكليز والاميركيين في الاعلام العربيَّة اكثر وافظع كما اشار الى ذلك العلماء الالمان كالعلاَّمة سوسين (٢ فيصحُّ فيهم المثل « ايُّها الطبيب اشفِ نفسك »

والرأي الارجح عندنا في خارطة لبنــان التي رسمها الضباط الفرنسويُّون ما قالهُ فيها ريشرد كيبرت ابن المومأ اليهِ « انَّ خارطة لبنــان حسنة الرسم يروق العين النظر فيها ولكن الواصفين قد بالغوا في وصفها (٣ » · فكأنهُ اراد بذلك انَّ هــذه الخارطة مع ما فيها من المحاسن ليست تامَّة كاملة · وهو حكم صائب الَّا انَّهـا لمَّا كانت الخارطة الوحيدة للُبنان انَّما المرجع اليها في تقويم هــذا الجبل · وعندنا انَّ اصحاب هذه الخارطة لم يطوفوا كل ناحية عكَّار · امَّا جبل اكروم فقد تحقَّقنا في رحلتنا اليهِ سنة ١٨٩٩ انَّ الضبَّاط الفرنسويين لم يدخلوهُ مطلقاً (٤ · على انَّ هذه الملاحظات عرضيَّة لا تمسّ جوهر العمــل الذي ادَّى للعلم ولا يزال خدماً مشكورة · ولا بُدَّ من الرجوع اليها والاستناد الى معلوماتها الفريدة في بابهــا حتى يقوم قوم من اهل الضلاعة والخبرة فيتداركوا الخلل

ولهذه الخريطة رسم مصغَّر الحقــهُ المسيو رنان بكتابهِ « بعثة فينيقية » مقياسهُ $\frac{1}{\ldots,\ldots0}$ اصطنعهُ اصحاب الخارطة السابقة انفسهم الَّا انَّ الاعلام فيهــا قليلة لانَّ المقصود منها انَّما كان فقط الدلالة على العاديَّات في لبنان

هذا وقد ورد آنفاً ذكر خارطة الانكليزيّ منسل البحريَّة · وهي مفيدة لتعريف اقيسة عدَّة مواقع كما انَّها تصلح لبيان علوّ مشارف لبنان الداخليَّة · وعلى راي ريشرد

---

١) راجع PEF 1892, 219

٢) راجع المجلة الفلسطينية الالمانية ZDPV, III, 179, IV, 242, V, 243, XIII, 45

٣) راجع رحلة اوپنهيم السابق ذكرها

٤) راجع مقالتنا Notes topographiques sur l'Emésène

كيبرت لا يُركن الى تعريفات هذه الخارطة الّا في الخطّ الساحليّ. امّا جهات لبنان الداخليّة وتحديد مواقع القرى واسمائها ووصف الانهار والطرق ومنعطفات الجبل فانّ مَنسل تصرّف فيها على حسب مخيّلتـــهِ (١. وقد اثنى الجغرافيّ ديئر (٢ على ضبط اقيسة الانكليز في تعريف اعالي لبنان بينما ترى غيرهُ كيشرد كيبرت وبلَنكنهورن قد انتقدوا عليها في صحّة ضبطها

*

وفي سنة ١٨٨٤ نشر الدكتور لورته متقدّم المكتب الطبي في ليون كتابًا اسمهُ « سوريّة كما هي اليوم » اتقن طبعهُ وزيّنهُ بالتصاوير البديعـــة وهو يحتوي على فوائد جمّة في شأن الجغرافيّة. وخصوصاً تاريخ بلادنا الطبيعيّ وقد اضاف اليهِ خريطة فلسطين ولبنان مقياسها $\frac{١}{...,...}$ استند فيها (على ما جاء في صدر الخارطة) الى اصدق الموارد واحدثها عهدًا دون ان يُطلعنا على طريقتهِ في اصطناعها غير انّ الذي يتصفّحها لا يجد فيها شيئًا جديدًا والاحرى ان يقال انها دون خارطة البعثة الفرنسويّة

فمن ذلك انّ نتوءات الجبل ليست بواضحة فضلًا عن كونها غير صحيحة. ثم ان في اسماء الامكنة اغلاطاً عديدة. مثال ذلك انهُ يدعو بحيرة زينيّة « لجميّة » وكذا دعاهُ مرارًا في الكتاب. امّا اقيسة العلوفلا توافق في الغالب اقيسة غيرهِ من الكتبة ممّن يُوثق بهم. والظاهر من كلام المؤلف انهُ دوّن هذه الاقيسة نقلًا عن بعض الادوات الصغرى غير المضبوطة. وخلاصة القول يلوح من درس هـــذه الخارطة انّ صاحبها لم يزد شيئًا على معلوماتنا السابقة وانّما نقل ما اتى بهِ الكتبة المتقدّمون دون تروٍّ كافٍ وبلا اجهاد ذهنٍ. وهذه الخارطة مع قلّة ضبطها متقنة الطبع تُفيد الذين لا يطلبون الدقّة في التفاصيل ويكتفون بنظر عامّ وهي بالخصوص تساعد على مطالعة كتابهِ

وهذا الانتقاد والتنفير احقّ بخارطـــة الاميركان المطبوعة بالعربيّة على الحجر سنة ١٨٨٩. فانّها ليست فقط كثيرة الخلل لكنّها ايضاً مبهمة لا تقرّ لنضارتها العين ولا

١) راجع رحلة البارون اوبنهيم السابق ذكرها ج ٢ ص ٣٩٦ و ٤٠٥

٢) راجع كتابهُ Libanon Grundlinien einer phys. Geogr. von Mittel-Syrien, 9

يأنس بفوائدها العقل. والدليل على قلّة ضبطها انّ اصحابها لم يذكروا لها مقياساً وانّما يقيسون المسافات على مشية الخيل وهي لعمري دلالةٌ تناسب مجاهل افريقيـة وما شاكلها من الاقطار امّا بلاد متمدّنة كسوريّة فلا ترضى بها

ومن معايب هذه الخارطة انّ نتوّات الجبل وسلسلتهُ الوسطى مدلول عليها ببعض الخطوط المخرشبة العمل امّا تفرّعاتهُ وانجادهُ ومعاطفهُ واوديتهُ فكل ذلك مُهمل لا ذكر لهُ. وقد أُشير فقط الى مجاري الانهار بعض الاشارة. وعندنا انّ هذه الخارطة لا تصلح للمدارس ولعلّهـا تؤدي بالاحداث الى الوهم والغلط. وزد على ذلك انّ اسماء امكنة عديدة في هذه الخارطة لم تُذكر لضيق المحلّ. امّا صورة الاسماء فهي مضبوطة في الغالب لجبل لبنان لكنّها مخلّة لبقيّة انحاء الشام كما لحظ الامر العلّامة المستشرق فان بركم في المجلّة الاسيويّة (J A, 1895 I, 490) وانّما السبب في هذا النقص ان اصحاب هذه الخارطة لم يرسموها رسماً مستقلّا بل اتّبعوا فيها الخرائط الانكليزيّة التي تكثر فيها مثل هذه الاغلاط. ومن اوهامهم انّهم جعلوا مديريّة هرمل ملاصقة لبنان مع انّ موقعها في ولاية سوريّة وان كانت تخصّ متصرفيّة الجبل. وكلّ هذه الشوائب تنزع عن الخارطة الاميركيّة صفتها العلميّة ولذلك لا ترى احداً من المستشرقين يرجع اليها في اوصافهِ. وحكمنا هذا مختصّ في قسمها اللبنانيّ امّا رسم بقيّة انحاء الشام فقد تعدّدت فيهِ الاغلاط وتوفّرت اسباب الزلّات وتشوّهت الاعلام لكنّنا نجتزئ بالاشارة لئلا نخرج عن دائرة موضوعنا

ولا ندحة لنا من ذكر خارطة الدكتور النمسويّ دينر التي تُرى في آخر كتابهِ عن لبنان المطبوع سنة ١٨٨٦. والغاية من كليهما جيولوجيّة لبنان اي تعريف طبقات ارضهِ ويدخلهُ ايضاً فوائد عديدة جغرافيّة كوصف ارتفاع الجبال ووجهتها وانعطاف وديانها واقيسة معاليها. الّا انّ الاستاذ ريشرد كيبرت مرتاب في صحّة هذه الاقيسة الاخيرة لعدم وقوفهِ على اسلوب دينر في تدوينهـا. وكذلك تراهُ يذكر بالتحفّظ اقيسة الارتفاع التي اجراها احد معلّمي كليّة بيروت الاميركيّة المعلّم روبرت وِست ونشرهـا في مجلّة فلسطين الانكليزيّة (PEF) سنة ١٨٩١ (ص ١٤٧) و ١٨٩٢ (ص ٢١٩) و١٨٩٦ (ص ١٦٥). ولا غرو فان هذه الاقيسة لا تراعي درجات الحرارة وذلك امر واجب لضبط قياسات البارومتر. ثم انهُ اهمل في تدوين هذه الاقيسة رسم خارطة لبنان فيبقى

القارئ متضعضعاً لا يميّز النقط المقيسة من سواها. امّا قياسات الدكتور بُست الاميركي فيرتاي ريشرد كيبرت (ص ٤٠٧) انّها ليست ذات شأن. ومجمل القول انّ العلماء حتى اليوم لم يضبطوا ضبطاً تامّاً اقيسة مشارف لبنان فلا تزال على شك من صحّتها

هذا ولا يجهل احد من السيّاح دليل فلسطين وسوريّة المنسوب الى بيديكر وهو كتاب كثير الفوائد وضعهُ عالمان المانيّان شهيران سوتسين وبِنسِنغِر واصحاباهُ بخريطة للبنان مقياسها $\frac{1}{\text{٥٠٠,٠٠٠}}$ وهي قسمان يحتوي احدهما شمالي لبنان وجنوبهُ الّا انّهُ شمالاً لا تتجاوز خطّ طرابلس فلا يتضمّن جبل عكّار. وهذه الخريطة قد قام بعملها رجلٌ واسع الخبرة في فن رسم الخرائط ألا وهو هنري كيبرت. ومع شهرة هذا العمل وكثرة محاسنهِ لا يسعنا السكوت عن بعض نقائصهِ منها انّ اعلام القرى اقلّ عدداً من الخريطة الفرنسويّة. ولعلّهُ اقتصر صاحبهُ على هذه الاسماء رغبةً في توفير المكان ثم انّ الغاية من رسم هذه الخارطة ليست التعليم المدرسيّ فاكتفى الراسم بذكر الاعلام التي فيها ما تهمّ المسافرين معرفتهُ. امّا ضبط الاسماء فيحتاج ايضاً الى اصلاح لئلا تزلّ بهِ قدم المطالعين لاسيّما ان دليل بيديكر قد اتبع في نقل الاعلام العربيّة طريقة الحروف المفردة المنقطة الشائعة عند كبار العلماء الاجانب. ولو قصد بيديكر لأمكنهُ سدّ هذا الخلل. ولعلّهُ فعل في طبعتهِ الاخيرة التي لم نطلع عليها. لكنّ الطبعة الرابعة التي في يدنا تاريخها سنة ١٨٩٧ وهي غير مصلحة ومع هذه النقائص نرى خريطة بيديكر حسنةً يُستفاد من مراجعتها وان لم تُغنِ عن الخريطة الفرنسويّة

وفي الدليل عينهِ خريطة اخرى مقياسها كخريطة البعثة الفرنسويّة $\frac{1}{\text{٢٠٠,٠٠٠}}$ تتضمّن جهات بيروت على مسافة ٢٩ كيلومترًا طولاً في ١٩ ك عرضاً فيها كل ما يُرغب اليهِ من وصف الامكنة. وهي في هذا القسم اوسع من خريطة الضبّاط الفرنسويين

امّا احسن ما وُضع من الخرائط للبنان فهي خريطة حديثة رسمها ريشرد كيبرت الذي تكرّر الثناء على براعتهِ في هذا الفنّ والحقها بكتاب في جزئين الّفهُ البارون فون اوبنهيم عنوانهُ : Vom Mittelmeer zum persischen Golf. Berlin 1900. فالخريطة تاريخها ١٨٩٣ الّا انها لم تتمّ الّا بعد ذلك السنة والدليل

على قولنا انَّها تتضمَّن عدَّة فوائد من تاريخ سنة ١٨٩٨. وهذه الخريطة مقياسها $\frac{١}{٨٥٠،٠٠٠}$ وحدودها شمالًا مرعش الى خطّ الناصرة فبُصرى ومن ثمَّ لا ترى فيها لبنان الّا مصغَّرًا. وهي مع ذلك غاية الاتقان ومثال يُقتدى بهِ من حيث رسم الجبل وتعريف عطفاتهِ واديتهِ ومجاري انهارهِ وحسن ضبط اعلامهِ. وخلاصة القول لا نجد في هذه الخارطة غير محاسن اللهمَّ الّا اقيسة قِمم لبنان فانَّنا في ريب من صحتها لاختلافها عن الاقيسة المعهودة. مثال ذلك جبل صنّين فانَّ العلماء يحسبون علوَّهُ عادةً ٢٦٠٨ م وقياسهُ في هذه الخريطة ٢٧٥٠ مترًا وكذلك اجمع العلماء سابقًا انَّ اعلى قمم لبنان تتراوح بين ٣٠٦٠ مترًا الى ٣١٠٠ م والعلامة كيبرت في خريطتهِ يزعم انَّ المشارف التي تطلّ على وادي الارز يبلغ بعضها ٣٢١٥ مترًا وغيرها ٣٣٦٠ م. ولم نعهد احدًا من العلماء ذهب الى ذلك الّا بُرتون الذي لا يوثق بكلامهِ من هذا القبيل

على انَّ العلامة كيبرت يفيدنا في ملحقهِ انَّهُ اخذ هذه الاعداد عن خريطة مخطوطة للخواجا عبد الله طعمه. ولا نعرف ان كان العلماء يكتفون بهذا السند الوحيد

وفي الختام ان طلب احد رأينا في الخرائط اللبنانيَّة اشرنا اليهِ ان يقتني خريطة البعثة الفرنسويَّة سنة ١٨٦٠ مع خريطة ريشرد كيبرت وبهما غنًى عن غيرهما الى ان يرسم لنا احد العلماء قريبًا ان شاء الله خارطة جديدة تستوفي كل الشروط المرغوبة مستندين الى الاعمال السابقة مع اصلاح شوائبها

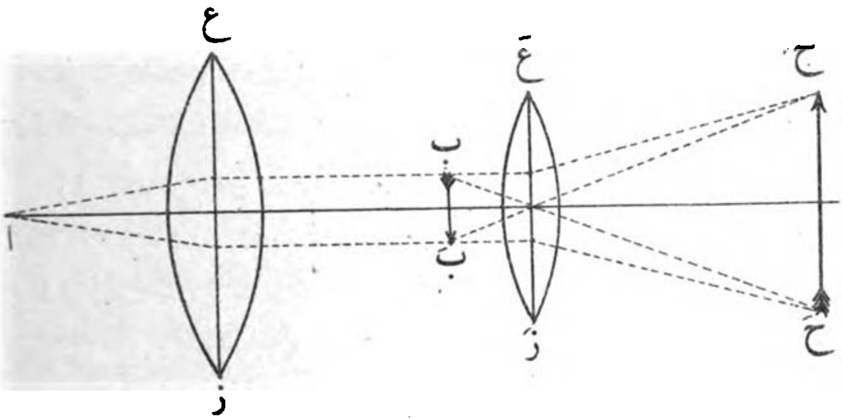
التصاوير النوريَّة المكبَّرة

للاب بطرس دي ڤراجيل اليسوعيّ مدرس الطبيعيات في مكتبنا الطبيّ

من آثار المكتب الشرقي الذين أُنشئ العام الماضي في مدرستنا الكليَّة أن يُلقي الاساتذة خطبًا عموميَّة كل شهر في الموادّ التي يدرّسونها. وكثير من هذه الخطب يصحبها تصاوير نوريَّة مكبَّرة تقرّب للحضور فهم كلام الخطيب وادراك مقاصدهِ فسألنا البعض ان نشرح لهم بمقالة وجيزة سر هذه الصور والمبدأ الذي عليهِ مبناها

فلنفرض ان مصدرًا نوريًا ساطع النور ينبعث من النقطة ا وانَّ امامهُ عدستَين من

الزجاج محدَّبتين «ع ز» ثم «عَ زَ» بحيث يكون مركزهما على قطب واحد. فان وضعنا عند نقطة ب بَ لوحاً شفَّافاً ذا تصاوير فوتغرافيَّة كرسم شخص او بلد وقعت الاشعَّة النوريَّة المنبعثة من ا الى العدسيَّة الاولى «ع ز» فنفذت فيها وصارت بعد انحرافها مستقيمةً بناءً على خاصيَّة هذه العدسيَّات. ثم تجاوزت منها الى اللوح الشفّاف ب بَ. واتَّصلت الى العدسة الثانية عَ زَ فتنفرج بعد نفوذها كما ترى في الشكل وتبلغ صورتها الى حاجز ح حَ من حائط او خام فترتسم عليهِ منعكسةً مكبَّرةً. وان كان المصدر النوريّ شديد السطوع ظهرت الصورة غاية في الوضوح بحيث يراها عدد غفير من الحضور. وهذا يستطيع الخطيب ان يعظِّم المرئيَّات التي يدور عليها محور كلامهِ وان كانت غاية في الصغر



تكبير الصور بالنُّور

وعلى هذا المبدأ قد بُني الفانوس السحريّ الذي اخترعهُ اليسوعيّ الشهير اثناس كرخر سنة ١٦٥٤ فوضعهُ في كتابهِ «علم النور والظلّ»

وقد تعدَّدت من بعدهِ الاجهزة لتعظيم صور المنظورات وخصوصاً لزيادة نور المصابيح المتَّخذة لها فانَّ هذه الصور يكبر حجمها على قدر سطوع النور. وكان الاب كرخر يستعمل في اوَّل الامر مصباحاً من الزيت مع مرآة صقيلة كان يجعلها وراء الصورة فتعكس نور المصباح. على انَّ اعظم مصدر للنور انَّما هو الشمس بيد انَّ الشمس لا تضيء كل ساعة فاقتضى الامر الالتجاء الى مصادر نوريَّة أُخرى فاتَّخذ البعض البترول

لكنَّ نورهُ ضعيف لا يصلح الَّا لامكنة صغيرة. وقد اتَّخذ غيرهم الغاز مع الكحول فاشعلوا مشبَّكًا ناعمًا منقعًا بموادَ اوكسيدية معلومة. لكنَّ هـذا المصدر النوريَّ مع شدَّة ضوئهِ متَّسع السطح فتتضعضع بعض اشعَّتهِ ويذهب جلاء الصورة

واعلم انَّ الصورة تكون كبيرةً واضحةً على شرط ان يبلغ نور المصباح الى بورة العدسة ع ز في نقطة غاية في الصغر والبهاء معًا كي تنفذ فيها الاشعَّة على خطوط متوازية. ولا يُنال ذلك الَّا بطريقتين

الطريقــة الاولى تُنسب الى دورمند (Drummond) وهي طريقة النور الاوكسدريك بان تؤخذ اسطوانة من التباشير فتُشعل بلهيب الاوكسيجين والهدروجين او الاوكسيجين وغاز التنوير. فاذا وقع هذا اللهيب على التباشير اضطرم الى البياض وصار نورهُ ساطعًا جدًّا

امَّا الطريقة الثانية فهي طريقة النور الكهربائي بان يُعمـد الى اسطوانتين من فحم صلب متَّصلتين ببطاريَّة مولّدة للكهرباء فاذا اجرى محرّك البطـاريَّة المجرى الكهربائي وفُصل قليلًا بين الاسطوانتين انبعث منهما نور عظيم غاية في البهاء والحرارة ينتج من احتراق دقائق الفحم التي يجذبهـا المجرى في سيرهِ من اسطوانة الى أُخرى وهذا القوس النوري يكون ثابتًا ذا ضوء ساطع بشرط ان تقرَّب الفحمتان كلّما فني شيء من طرفهما

واذا كانت اسطوانتا الفحم كبيرتين والبطـاريَّة قويَّة كان النور عظيمًا يمكن استخدامهُ لانارة مركب او بلدٍ كما تفعل السفن الحربية التي لديهـا عدسات كبيرة ومرايا عاكسة ذات قطر واسع

وعادةً في تكبير الصور تُستبدَل العدسة ع زْ بجهاز متعدّد العدسات يُدخل في انبوبة معدنيَّة متحرّكة بحيث يمكن رسم الصورة على أبعاد مختلفة الى ان تبلغ معظم الوضوح

والصور التي تُنار هكذا هي صور ايجابيَّة اعني انَّهـا ترسم الصور كما هي في اصلها فيوافق البياض بياضًا والسواد سوادًا امَّا الصور السلبيَّة فلا يمكن استعمالها الَّا بعد نقل صورتها السلبيَّة الى صورة ايجابيَّة

مَطبُوعَاتٌ شَرقيّةٌ جَدِيدَة

Le tombeau de la Sainte Vierge à Jérusalem
par le P. Barnabè O. F. M. *Jérusalem*, 1903, XX-302

قبر العذراء مريم في اورشليم

ليس هذا التأليف دون مصنَّفات المؤلف السابقة في فوائدهِ واسلوب كتابتهِ . فان حضرة الاب برنباي الفرنسيسيّ يثبت — ونحن نستصوب رايه في ذلك — انَّ قبر البتول الطاهرة العذراء مريم ليس موقعهُ كما زعم بعض المحدثين في أفسس ولكن في القدس الشريف قريباً من بستان الجسمانيَّة . وادلَّتهُ منها قديمة تستند الى التقليد وشواهد قدماء الكتبة ومنها حديثة مبنيَّة على اطلاعات المؤلف وابحاثهِ وتعمُّقه في درس العاديَّات وتشخيص الامكنة فضلًا عن نصوص جديدة اوردها لم يأتِ بها الكتبة الذين سبقوا عهدهُ فامكنهُ أن يُبطل راي مناظريهِ بقوَّة حججهِ . وانَّما يسوؤنا أن نرى حضرة الكاتب في ردودهِ على بعض الافاضل ممَّن لا يرتأُون رايهُ لا يُراعي آداب الجدال فيكثر من العبارات القارصة في حقوقهم (راجع الصفحات ٢٧ و١٥٧ في الحاشية و٢٧٣ و٢٨٧ وما بعدها). فان المحبَّة المسيحيَّة تقضي على المتجادلين لاسيَّما اذا كانوا من الرهبان ان يؤيدوا آراهم بالبراهين دون هذه المنازعات الشخصيَّة . وفي الختام نهنئ حضرة الآباء الفرنسيسيين على جودة طبع الكتاب وحسن تصاويره الثلاثة عشر ر . ش

HISTOIRE DE LA GUERRE DE CRIMÉE
par C. Rousset, 2 vols. 3e ed. *Paris*, *Hachette*

تاريخ حرب القريم

هذا الكتاب من اصدق واتمّ ما وُضع في تاريخ هذه الحرب التي حازت بها دولتنا العليَّة مع فرنسة وانكلترة على مجد عظيم فوضعت فيهِ حدًّا لمطامع روسيَّة . والمؤلف احد الكتبة المبرّزين وهو احد اعضاء الاكادمية الفرنسويَّة ومعروف برصانة عبارتهِ وبلاغة كلامهِ . وممَّا يدلّ على فضل هذا التأليف رغبة الجمهور في مطالعتهِ لحسن سبكهِ وسلاسة تعبيرهِ وتلاحم رواياتهِ فتعدَّدت طبعاتهُ بوقت قليل . والشرقيُّون يجدون فيهِ لذَّة ونفعاً اذ يوقفهم على مفاخر الدولة العليَّة التي يستظلُّون بحمايتها

كتاب حياة القديس انطونيوس ابي الرهبان العظيم

للقس بولس عبود الخوري الغوسطاوي (طبع في مصر ص ١٢٨)

انَّ سيرة القديس انطونيوس العظيم لا تصلح فقط للنسّاك بل تفيد كل المسيحيين اذ تعرض عليهم مثالًا شريفًا يقتدون بهِ في الزهد بالعالم والكفر بالذات وردّ تجارب الخنّاس والرغبة في الامور السماويّة. ولذلك قد اكثر الكتبة من تسطير اعمال ذاك العابد العظيم. لكنَّ افضل سيرةٍ للقديس انطونيوس هي السيرة التي كتبها القديس اثناسيوس البطريرك الاسكندري معاصرهُ وصديقهُ فانَّها اصدق مرآة تمثِّل حياة ابي الرهبان وتبيِّن عظم فضاهِ وتحتوي لباب تعاليمهِ. ومن ثمَّ قد اقبل عليها الكتبة وترجموها الى اكثر اللغات المعروفة. وقد نُقلت ايضًا سابقًا منها الى العربيَّة ترجمة قديمة فصيحة أطلعنا عليها حضرة الخوري الفاضل قسطنطين باشا الراهب المخلّصي. وقد سرَّنا ان حضرة الخوري بولس عبُّود باشر هذه الترجمة الجديدة فتولَّى طبعها لتنتشر عبادة القديس انطونيوس في كل انحاء المشرق ويستفيد الكل من تعاليمهِ ويجروا على آثارهِ فنعم العمل وحبَّذا العاملَ ل. ش

شذرات

عاديّات الفيّوم في مقاطعة الفيّوم على بعد نحو ٥٠ ميلًا من القاهرة غربي النيل هرم يظنُّ العلماء انهُ مدفن احد الفراعنة المدعو اوفرتيس وهو الثاني من اسمهِ. وقد اكتشف منذ عهد قريب الاثريّ الشهير فلندرس پتري (Fl. Petrie) آثار مدينة كان يسكنها عملة الهرم. وفيها وُجدت كتابات رسميَّة ووصايا وصكوك وشذرات ادبيَّة في جملتها قصيدة من الشعر القديم قدَّمها اهل الفيُّوم للفرعون اوفرتيس الثالث ومنها ايضًا كتابان في الطبّ النباتي وعلاج امراض العيون.

عاديّات ابي غوش افاد البشير آخرًا نقلًا عن مراسلة خصوصيَّة وعن قرار قدّمهُ العلّامة شلومبرجر لجمعيَّة الكتابات والآثار انَّ الآباء البندكتيين اكتشفوا في قرية العنب المعروفة بابي غوش بالقرب من القدس الشريف آثارًا قديمة بديعة وذلك انَّهم كانوا باشروا بحفريّات حول كنيستهم فوجدوا آثار صور ورسوم يدويَّة

في كنيسة قديمة كانت على اسم النبي ارميا . وهذه التصاوير تُشبه ما وُجد سابقاً في كنيسة بيت لحم من النقوش البديعة التي قام بها سنة ١١٦٩ للمسيح مصوّر يونانيّ يُدعى افرام . وفي هذه الرسوم الاخيرة كما في تلك آثار يد يونانيّة عارفة بالفنّ اللاتيني . ومما اطّلع عليهِ مؤخرًا قواعد لعوامد عظيمة مع كتابة كوفيّة تثبت انهُ كانت في ابي غوش كنيسة قبل عهد الصليبيين

اسئلة واجوبة

س سألنا احد ادباء المسلمين : هل يعرف النصارى غير اناجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا الاناجيل المقدَّسة

ج الاناجيل القانونيَّة التي تقبلها الكنيسة منذ اوَّل النصرانيَّة هي الاربعة المذكورة لا غير . وانَّما يوجد عدد عديد من الاناجيل غير القانونيَّة كانجيل الطفوليَّة وانجيل الرسل وانجيل بطرس وانجيل برتلماوس وانجيل نيقوديموس وانجيل برنابا وغير ذلك ممَّا اشاعهُ الهراطقة منذ القرن الثالث للمسيح وبعضهُ لا يزال معروفًا حتى يومنا لا يعيرهُ بالًا علماء النصرانيَّة

س وسأل من زحلة جناب سعيد امين : ١ً كيف اضطربت العذراء مريم لفقد المسيح وهي تعرف انهُ اله . ٢ً ما هي بيت صيداء المذكورة في الانجيل حيث قال الرب : « الويل لكِ يا بيت صيداء . ٣ً ما هي الشروط لاكتساب غفران ثوب الحبل بلا دنس وثوب الكرمل

العذراء مريم عند فقد المسيح — بيت صيداء — ثوب الحبل بلا دنس وثوب الكرمل

ج قد اجبنا على السؤَال (الاول) في المشرق (السنة الاولى ص ٦٧١) . ونجيب على (الثاني) انَّ بيت صيداء المذكورة هي مدينة صغيرة كانت على شاطئ بحيرة جنَّاسر قريبة من كفرناحوم بينها وبين طبريَّة . والبعض يزعمون انَّهُ يوجد مكانان بهذا الاسم وان كليهما على شاطئ البحيرة احدهما على ضفَّة الاردن الشرقيَّة والاخرى على ضفَّتهِ الغربيَّة . ونجيب على (الثالث) انَّ غفرانات ثوب الحبل بلا دنس تُكتَسب بتلاوة الصلاة الربيَّة والسلام الملائكي والمجد ستّ مرَّات مع الاشتراك القانونيّ وتدوين الاسم في سجلَّات الشركة (المشرق ٢ : ٥٧٥) . امَّا ثوب الكرمل فراجع مقالة حضرة الاب انستاس الكرمليّ فيهِ (المشرق ٣ : ٦٣٣) ل . ش

فهرس اوّل

لموادّ أعداد السنة السادسة من مجلة المشرق ١٩٠٣

العدد ١٥ (١ آب) وفاة قداسة البابا (٦٧٣-٦٧٧) = السَّلَف والخلف في انتخاب الباباوات للاب ل. شيخو (٦٧٨-٦٨٥ ; ١٦ : ٧٢٧-٧٣٩) = شذرات في اصل القهوة للدكتور بطرس كُيك مدرّس الصيدلية في المكتب الطبي الفرنسي (٦٨٥-٦٩٣)

العدد ١٦ (١٥ آب) البُشرى بالحبر الاعظم الجديد بيُوس العاشر (٧٢١-٧٢٦) = تتويج الاحبار الرومانيين للاب ل. شيخو (٧٣٩-٧٤٥) = الفاكهة عموماً والعنب خصوصاً للاديب شحاته خزام (٧٤٥-٧٥٢) = عيد انتقال العذراء في الكنيسة الارمنيَّة لدير نرسيس صائغيان (٧٥٢-٧٥٥) = من دريداوا الى هرر للاديب عبد الله افندي مخائيل رعد (٧٥٥-٧٥٨)

العدد ١٧ (١ ايلول) ترجمة الخوري بطرس التولوي الفيلسوف الشهير للقس جرجس منش (٧٦٩-٧٧٧) = شيعة الركوسيَّة للاب ه. لامنس (٧٧٧-٧٨١) وللاب انستاس الكرملي (٢٠ : ٩٢٨-٩٣٢) = غرابة كنائس الاحباش للاديب عبد الله افندي ميخائيل رعد (٧٩٣-٧٩٤) = قواعد التعريب للاب انستاس الكرملي (٧٩٤-٨٠٠ ; ١٨ : ٨٢٥-٨٤٤)

العدد ١٨ (١٥ ايلول) ترقّي التواصل بسرعة التراسل للاديب ميشال افندي الياس سماحه (٨١٩-٨٢٩) = الحلواء نبذة للدكتور بطرس كُيك وللاب ل. شيخو (٨٢٩-٨٣٥) = مار سهدونا: ترجمتهُ وتآليفهُ للخوري بطرس عزيز الكلداني (٨٤٤-٨٤٩) = الصومال والدِكدك للاديب عبد الله افندي مخائيل رعد (٨٤٩-٨٥٢)

العدد ١٩ (١ تشرين ١) الالماس تاريخهُ ومعادنهُ الافريقية للاديب اسكندر افندي طحيني (٨٦٥-٨٧٨) = الحَرَّة او بقعة من بادية الشام للاب ه. لامنس (٨٧٨-٨٨٥) = صناعة السجاد في عكّار وازمير للخوري بولس طعمه (٨٨٥-٨٨٨) = مجمع دير حراش والجامع المارونية للخوري ابراهيم حرفوش المرسل اللبناني (٨٨٨-٨٩٧) = اواخر الاقوال لمشاهير الرجال للاديب ن. صباغ وللاب ل. شيخو (٨٩٧-٩٠٣)

العدد ٢٠ (١٥ تشرين ١) طرفة في تاريخ الكنيسة الحبشية للاديب عبد الله افندي مخائيل رعد (٩١٣-٩٢٣ ; ٢١ : ٩٧٤-٩٨٥) = التمثال المكتشف حديثاً في جُبيل نظر للاب ل. جلابرت (٩٢٣-٩٢٨) = مشكل كتابي نظر للاب ل. شيخو (٩٣٣-٩٤١) = الخط العربي نخبة من كتاب صُبح الاعشى للقلقشندي نشرها الاب ل. شيخو (٩٤١-٩٤٥) = المقتطف والبابويَّة نبذة لهُ (٩٤٥-٩٤٩)

العدد ٢١ (١ تشرين ٢) الفلكيُّ اليسوعي انجلو سكّي للاب ب. دي ڤراجيل اليسوعي (٩٦١-٩٧٠) = الطوائف الشرقية وبدعة الكلوينيين للاب ا. رباط اليسوعي (٩٧١-٩٧٤) = في التاريخ الشمري وتواريخ المنذور يوسف الملم نبذة للاب ل. شيخو (٩٨٦-٩٩٣) = دفنة: حالتها الحاضرة وآثارها الغابرة للشيخ منصور مسعود حبيش (٩٩٣-٩٩٦)

العدد ٢٢ (١٥ تشرين ٢) البركة الرسولية (١٠٠٩-١٠١٠) = اقدم المخطوطات النصرانية العربية نظر للاب لويس معلوف اليسوعي (١٠١١-١٠٢٢) = التراسل الكهربائي للاديب ميشال سماحة (١٠٢٢-١٠٢٨) = دقائق التعريب للاب انستاس الكرملي (١٠٢٨-١٠٣٧ ; ٢٣ : ١٠٧٧-١٠٩٠) = العاديَّات العربية في القطر المصري للاب أِلكسيس مالون اليسوعي (١٠٤٤-١٠٥٢)

فهرس ثانٍ

يحتوي اسماء كتبة المشرق ومقالاتهم

فهرس ثالث

للمطبوعات الشرقية التي ورد وصفها في السنة السادسة من المشرق

على ترتيب اسماء مؤلفيها

الكتب العربيَّة والسريانيَّة والارمنيَّة الخ

مطبوعات اوربيّة

TRIDTSATILÈTIE SPETSIALNYKH CLASSOW LAZAREWSCAVO INSTITUTA VOSTOTCHNYKH IAZYKOW (p. 628)
Turot (H.) : La Guerre Gréco-turque (p. 476)
Vambéry (A.) : Voyage d'un faux derviche dans l'Asie Centrale, *nouvelle édition* (p. 428)
Vandenhoff (B.) : Exegesis Psalmorum apud Syros Nestorianos (p. 714)
Vast (H.) : Le Cardinal Bessarion (p. 764)
Weber (D[r] S.) : Die katolische Kirche in Armenien (p. 475)

فهرس رابع

لجميع موادّ المشرق على ترتيب حروف المعجم

فهرس رابع

لجميع موادّ المشرق على ترتيب حروف المعجم

اصلاح بعض اغلاط وقعت في اعداد السنة السادسة للمشرق

الصفحة ٦١ السطر ٨ « عن سائر » صوابهُ « فوق سائر » — س ١٧ « تسعة آلاف بيتًا »
« بيتٍ » — س ٣٥ « للذوديين » ص « للداوديين » = ٦٦ س ١٧ « صِمْـل » ص
صُمْل » — س ٣٠ « الرقيق » ص « الدقيق » — « المَسْودُون » ص « المُسْوَدُّون » = ٦٧
٣ « عنفوان الذل » ص « عنوان » — س ٣٣ « ومن الصُمْل » ص « الصُمْل » — س ٣٤
لانكليزُ . . . والزمنديُّون والاراسيُّون » ص « الانكليز . . . والزُرمنديين والاراسيّين »
٨١ س ٩ « كلّها » ص « فكلّها » = ٩٢ س ١٥ و ١٩ « المغاورون » وقيل ان اصل هذه
لمة الاعجميَّة في العربية « المغاربة » = ١٥٥ س ١٣ « الى انّي » ص « الّا انّي » = ١٥٧
٢٢ « الشكل الرابع » ص « الشكل الاوّل » = ١٧٦ س ١٧ « في نقف تلّ مار يوسف »
« في قناة نهر الكلب بين مغارة جعيتا ونقف تل مار يوسف » = ١٧٨ س ٢٠ و ٢١ « في بنية
ضعات » ص في بنية الاطفال » = ١٩٠ س ٢ « دعواه » ص « دعاهُ » = ٢١٨ س ١٨
رايتُ » ص « رايتَ » = ٢١٩ س ٤ « مجازتهُ » ص « مجازهُ » — س ٢٧ « وتتضوّع » ص
تتضوّع » = ٢٢١ س ٦ « خميلةُ » ص « خميلة » — س ٩ « جاورا » ص « جاوروا » =

٢٢٢ س ١٦ « فُلاحُ » ص « فَلاحُ » = ٢٨١ السطر الاوّل يُنقل الى راس الصفحة ٢٨٠ = ٣١١ س ٣ « نعرّف مباشرةً طليعة والنُّطق » ص « نعرّف في طليعـــة امورنا الدليل والنطق » = ٣٣٢ س ٣ « عنهِ » ص « عنهُ » = ٣٤٤ س ٦ « اعتراض ثالث » ص « هنا اعتراضاً ثالثاً » = ٤٠٣ س ١٤ « مُزاد » ص « يُزاد » = ٤٢٧ س ٩ « عمل قلبها » ص « في قلبها » = ٤٧٨ س ١٢ « وصعده » ص « وصعده » = ٥١٦ س ٣ « الآلية » ص « الأليَّـــة » - ١٥ « الكراديس ج كُدس » ص « ج كُدّاس » = ٥٢١ س ٣٦ « يوماً » ص « يوماً » = ٥٢٢ س ١٣ « نقضي » ص « ومذ ذاك اليوم نقضي » = ٥٢٣ س ٥ « يقولهُ » ص يقولُ = ٥٢٩ س ٣ « اللّثنات » ص « اللُّثنات » = ٥٣١ س ٣ « الّا ان يكون اوّلهُ » ص « الّا ان يكون اوّلهُ ياءً » - ٣٠ « يُوثنين » ص « يوثنين » = ٥٣٢ س ٨ « الشفشفة » ص « الشقشقة » = ٦١٠ س ١٢ و ١٣ « في كتاب تقويم البلدان » ص « في كتاب تاريخ الامم قبل الاسلام » = ٦٢١ س ١١ « علي بن عيسى » ص « علي بن العباس » = ٦٤٦ س ٣٤ « قريشيّ » ص « قُرَشيّ » = ٦٤٧ س ١٥ « يتحوّل » ص « يتموّل » = ٦٥١ س ٣٥ « بن الفرات » ص « ابن الفرات » = ٦٦٠ س ١٣ « لا يدركوا » ص « لا يدركون » = ٦٨٧ س ١٧ « اخلاطانية » ص « اخلاطا نية » = ٦٩٥ س ٣٥ « اليولياميون » الصواب « ان هذه البدعة لاحقة بالبدعة الاوطاخية وتُنسب الى يليان اسقف هاليكرناس » ٧١٥ س ١٧ « والتعقّل » ص « والتغفّل » = ٧٢٦ س ١٣ « ألفي (البابا بيوس) شعار البندقية » ص « انهُ ابقاهُ في شعارهِ = ٧٧٧ س ١٤ « فأرتأى » ص « فارتأى » = ٨٣٣ س ٣٦ « حبُّ الكيل « للهِ حبُّ المال » = ٨٣٦ س ٣١ « خُد » ص « خُذا » ٨٣٨ س ٢ و ٣ « لا » ص « ولا » = ٨٣٩ س ١٠ « سِدلي » ص « قِرلي » = ٨٤١ س ١٦ « الّا تمنو » ص « الّا ان تمنو » = ٨٤٢ س ١٠ « مزيد » ص « مزيّة » = ٩٢٩ س ٤ « فيها » ص « فيهمـــا » = ٩٣٠ س ٨ « لنرفة » ص « لفرقة » = ٨٣٦ س ٧ « معزاتهُ » ص « معجزاتهِ » = ٩٤٠ س ٦ « بنها » ص « بينهما » - س ٩ « فيكوردو » ص « فيكورو » = ١٠٠٦ س ٢٤ « مباراة » ص « مجازاة » = ١٠٠٩ س ٤ « لنزيجـــة » ص « لنزيجته » = ١٠٦٨ س ٣٧ « الجاهية » ص « الجاهلية » = ١١١٩ س ٣٠ « ســأطالك » ص « سأطالبك » - س ٣٣ « سبقتِهِ » ص « سبقتِهِ » = ١١٢٣ س ١٠ « التوارات » ص « التورات » = ١١٢٥ س ١٣ « واثر » ص « وآثرا »

اصلاح اغلاط للسنة الخامسة ص ٢٨٨ و ٥٩٨